

(١٤٧٣)

الغلاء والوباء والمجاعة

عبر القرون

من مصنفات التاريخ والتراجم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"ابن هارون: مات في الطاعون **سنة الوباء سنة** إحدى وثلاثين ومائة، كذا ذكره المزي، وفيه نظر في مواضع:

الأول: ابن سعد لما ذكره في الواسطيين ما ذكره عنه المزي ذكر وفاته عن يزيد بن هارون كما ذكرها المزي، فإن كان المزي رآها ونقلها عن يزيد بحذف ابن سعد فلا يجوز، لأنه تدليس وإيهام أنه رأى كلام يزيد، وهو غير جيد، لأن ابن هارون ليس له كتاب في الوفيات، إنما يؤخذ عنه رواية، وإن كان لم ير كتاب ابن سعد، إنما قلد فيه صاحب الكمال كعادته، وهو الظن به، فقد أخل فيه بما ذكرناه، وكأنه غره أن صاحب الكمال لما ذكر كلام ابن سعد في قراءته وسمته، قال: وقال يزيد، فكأن الشيخ اعتقد أن يزيد غير مذكور في كتاب ابن سعد، ولو رآه لما أغفله، وقال ابن سعد أيضا في موضع آخر: مات سنة تسع وعشرين ومائة، والله تعالى أعلم.

الثاني: ابن أبي عاصم لما ذكر وفاته سنة تسع ذكرها بعد ذلك في سنة ثلاثين أيضا، فكان ينبغي له إن كان نقل من كتاب ابن أبي عاصم ذكر ذلك، لا سيما وليس هو مذكورا في كتابه التهذيب البتة.

الثالث: قوله: وقال غيره: مات سنة تسع وعشرين ومائة، نظر من حيث أنه لم يعرف القائل، وهو كثيرا ما ينقل كلام ابن حبان، وابن حبان قد قال في كتاب الثقات: كان يختم القرآن بين الأولى والعصر، وبين المغرب والعشاء، وكان من المتقشفين المتجردين للدين، مات في سنة تسع وعشرين ومائة، وخرج في جنازته اليهود والنصارى والمجوس يبكون عليه، وهو مولى عبد الرحمن بن أبي عقيل.

وفي سنة تسع ذكر وفاته ابن قانع وأبو حسان الزيادي فيما ذكره القراب." (١)

"٣٦٣٤ - سليمان بن عيسى بن نجيح السجزي.

عن ابن عون، وغيره.

هالك.

قال الجوزجاني: كذاب مصرح.

وقال أبو حاتم: كذاب.

وقال ابن عدي: يضع الحديث له كتاب تفضيل العقل جزءان.

ومن بلاياه: حدثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: إن الله أمرني بحب أربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ١١/٣٦٧

وله: عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: من **تمنى الغلاء على** أمتي ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة.

وله: عن سفيان، عن منصور عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا: إذا اتت على أمتي ثلاث مئة سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب على رؤوس الجبال. -[١٦٧]-

قال الخطيب: أخبرنا أبو القاسم السراج ، حدثنا محمد بن القاسم الضبعي ، حدثنا محمد بن أشرس السلمي ، حدثنا سليمان بن عيسى عن مالك عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه تندموا. هذا حديث غير صحيح. انتهى.

وسيأتي مثله في ترجمة عبد العزيز بن أبي رجاء (٤٨٠٩).

وقد أورده الدارقطني من رواية محمد بن منصور البلخي عن سليمان وقال: هذا منكر وسليمان متروك.

وفي ترجمة مالك من الحلية من طريق محمد بن سليمان عن سليمان بن عيسى عن مالك، عن ابن شهاب، عن أنس رفعه: من كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه ... الحديث.

وفيه: العقل أداة العامل بطاعة الله وحجة على أهل معصية الله. وقال: غريب تفرد به سليمان وضعفه.

وحدث الخليلي، عن أبي بشر محمد بن محمد بن عمران بن الجنيد الدشتكي عنه بهذا الإسناد حديث ادفنوا موتاكم وسط قبور صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء.

وقال الحاكم: الغالب على أحاديثه المناكير والموضوعات.." (١)

"٤٠٩٩ - العباس بن بكار الضبي [أبو الوليد، وهو العباس بن الوليد بن بكار]

بصري.

عن خالد، وأبي بكر الهذلي.

قال الدارقطني: كذاب. -[٤٠٣]-

قلت: اتهم بحديثه عن خالد بن عبد الله عن بيان عن الشعبي، عن أبي جحيفة، عن علي رضي الله عنه مرفوعا: إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط إلى الجنة.

وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير.

حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثنا عبد الله بن المثنى حدثني ثمامة بن عبد الله، عن أنس

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٤/١٦٦

رضي الله عنه **مرفوعا: الغلاء والرخص** جندان من جند الله أحدهما الرغب والآخر الرهب فإذا أراد أن يغلي قذف في قلوب التجار الرغبة فحبسوا ما في أيديهم، وإذا أراد أن يرخصه قذف في قلوب التجار الرهبة فأخرجوا ما في أيديهم.

والآخر أيضا باطل.

وقال ابن حبان: العباس بن الوليد بن بكار بصري روى أيضا عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غرس يوم الأربعاء فقال: سبحان الباعث الوارث أتته بأكلها.

ومن أباطيله: عن خالد بن أبي عمرو الأزدي عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي.

ومن مصائبه: حدثنا عبد الله بن زياد الكلبي، عن الأعمش عن زر عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا: في المهدي. فقال سلمان: يا رسول الله فمن أي ولدك؟ قال: من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين ، انتهى. -[٤٠٤]-

وقال المؤلف بعد قليل: العباس بن الوليد بن بكار قد مر ينسب إلى جده.

وفي "الثقات" لابن حبان: عباس بن بكار من أهل البصرة كنيته أبو الوليد يروي، عن أبي بكر الهذلي وأهل البصرة روى عنه محمد بن زكريا الغلابي، وغيره من أهل بلده.

مات بالبصرة سنة ٢٢٢ وهو ابن ٩٣ سنة يغرب حديثه عن الثقات لا بأس به.

وقال ابن عدي: منكر الحديث عن الثقات، وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: يروي المناكير لا شيء.

ومن مناكيره ما قرأت على أحمد بن الحسن أن أحمد بن علي بن أيوب المشتولي أخبرهم أخبرنا أبو الفرج بن الصيقل أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا محمد بن عبد الباقي الدوري إجازة أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو بكر أحمد بن شاذان ، حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد البوشنجي يعرف بابن أبي الأزهر ، حدثنا العباس بن بكار بالبصرة حدثني خالد بن طليق الخزاعي، عن أبيه، عن جده قال: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا إلى عمران بن حصين الخزاعي يعوده فلما قام من عنده أتبعه بصره إلى أن غاب عنه فقيل له: إنا لنراك أتبعت بصرك عليا فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: النظر إلى علي عبادة فأحببت أن أستكثر من النظر إليه.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق الأشقر ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثنا عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة، عن أنس عن أم سليم قالت: لم ير لفاطمة دم في حيض، ولا نفاس.

هذا من وضع العباس.." (١)

"٥١٥١ - (ز): عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البليطي - بموحدة مصغر - أبو الفتح النحوي.

ذكره العماد الكاتب في شعراء المصريين وقال: تحول إلى دمشق فأقام بها مدة ثم دخل مصر فرتب له صلاح الدين راتبا على إقراء العربية بالجامع فاستمر بها إلى أن مات.

وقال ياقوت عن الإدريسي أحد تلامذة البليطي: كانت وفاته في آخر **سني الغلاء في** صفر سنة ٥٩٩ وكان طوالا جسيما أحمر اللون وكان يلبس في الصيف الثياب الكثيرة حتى يصير كالعدل وفي الشتاء قل أن يظهر. -[٤٠٦]-

وكان ماهرا في العلوم الأدبية وهو صاحب القصيدة الميمية التي تقرأ بالحركات والسكون وأولها:

إني امرؤ لا يصطبيني ... الشادن الحسن القوام

رفعه بالصفة المشبهة بالفاعل ونصبه بالمفعول وجره بالإضافة.

ومنها:

ما من جوى إلا ... تضمنه فؤادي أو سقام

رفعه عطفا على الموضع وجره عطفا على: جوى ونصبه عطفا على الضمير في: تضمنه.

وله قصيدة طنانة طائية أولها:

دعوه على ضعفي يجور ويشتط ... فما بيدي حل لديه، ولا ربط

قال الإدريسي: كان قلما سئل عن شيء من العلوم إلا وأحسن القيام به وكان مع ذلك خليعا ماجنا منهمكا على اللذات مدمنا على الشرب والقصف.

قال: وسمع بعض المطربين يغني صوتا فاستفزه الطرب وبكى فبالغ ثم نظر إلى المغني فوجده يبكي فقال له: أنا بكيت من شدة الطرب فلم بكيت أنت قال: كان لي ولد يبكي إذا سمع هذا الصوت فلما رأيتك

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٤٠٢/٤

تبكي تذكرته فبكيت فقال: أنت ابن أخي وأخرجه إلى العدول فأشهدهم أنه ابن أخيه وأنه لا وارث له سواه فاستمر يقال له: ابن أخي البليطي.." (١)

"

وفيها توفي الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي الأعور الفقيه صاحب علي وابن مسعود وحديثه في السنن الأربعة سنة ست وستين

٦٦ – فيها **كان الوباء العظيم** بمصر

وتوثب على الكوفة عام أول المختار بن أبي عبيد وتتبع قتلة الحسين فقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص وأضرابه وجهز جيشا ضخما مع إبراهيم بن الأشتر النخعي فكانوا ثمانية آلاف لحرب عبيد الله بن زياد فكانت وقعة الخازر بأرض الموصل وقيل كانت في سنة سبع وهو أصح وكانت ملحمة عظيمة

وفيها وقيل في سنة ثمان توفي زيد بن أرقم الأنصاري وقد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ونزل الكوفة

". (٢)

" سنة سبعين

٧٠ – فيها غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد الأشدق وذبحه صبرا بعد أن آمنه وحلف له وجعله ولي عهده من بعده

وفيها توفي عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

وقتل في التي قبلها مالك بن يخامر السكسكى صاحب معاذ وكان قد أدرك الجاهلية

وفيها **كان الوباء بمصر**

وفيها قال ابن جرير ثارت الروم ووثبوا على المسلمين فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين

قلت هذا أول وهن دخل على الإسلام وما ذاك إلا لاختلاف الكلمة ولكون الوقت فيه خليفتان يتنازعان الأمر فما شاء الله كان (١٧ ب)

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٥/٤٠٥

(٢) العبر في خبر من غبر، ١/٧٣

". (١)

" خلق وأسروا يحيى فأحرق بعد ما قتل ببغداد ثم **وقع الوباء في** جيش الموفق وكثر بالعراق ثم كانت وقعة هائلة بين الزنج والمسلمين فقتل خلق من المسلمين وتفرق عن الموفق عامة جنده

وفيها توفي أحمد بن بديل الإمام أبو جعفر اليامي الكوفي قاضي الكوفة ثم قاضي همذان روى عن أبي بكر بن عياش وطبقته وكان صالحا لما تقلد القضاء عادلا في أحكامه وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته قال الدارقطني فيه لين (٥٩ ب)

وفيها أبو علي أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي النيسابوري قاضي نيسابور روى عن أبيه وجماعة

وفيها أحمد بن سنان القطان أبو جعفر الواسطي الحافظ سمع أبا معاوية وطبقته وصنف المسند كتب عنه ابن أبي حاتم وقال هو إمام أهل زمانه

وفيها أحمد بن الفرات الحافظ أبو مسعود الرازي أحد الأعلام في شعبان بأصبهان طوف النواحي وسمع أبا أسامة وطبقته وكان ينظر بأبي زرعة في الحفظ وصنف المسند والتفسير وقال كتبت ألف ألف وخمسمائة ألف حديث

". (٢)

"

وفيها يحيى بن منصور أبو سعد الهروي الحافظ (٩٦ آ) شيخ هراة ومحدثها وزاهدها في شعبان وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين

وفيها في رجب قطر الندى بنت الملك خمارويه بن أحمد بن طولون زوجه المعتضد وكانت شابة بديعة الحسن عاقلة

سنة ثمان وثمانين ومائتين ٢٨٨ فيها ظهر أبو عبد الله الشيعي بالمغرب فدعا العامة إلى الإمام المهدي عبيد الله فاستجابوا له

---

(١) العبر في خبر من غبر، ١/ ٧٨

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢/ ٢٢

وفيها **كان الوباء المفرط** بأذربيجان حتى فقدت الأكفان وكفنوا في اللبود ثم بقوا مطرحين في الطرق ومات أمير أذربيجان محمد بن أبي الساج وسبعمائة من خواصه وأقاربه

ومات ابنه الأفشين

وفيها بشر بن موسى أبو علي الأسدي المحدث

". (١)

" خليفة خطب يوم الجمعة إلى خلافة الحاكم العباسي فإنه خطب أيضا مرتين وآخر خليفة جالس الندماء ولكنه كان مقهورا مع أمرائه مرض في ربيع الأول بمرض دموي (١٣٣ ب) ومات وكان سمحا كريما محبا للعلماء والأدباء سمع الحديث من البغوي توفي في نصف ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف

وفيها يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول أبو بكر التنوخي الأنباري الأزرق الكاتب في آخر السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة روى عن جده والحسن بن عرفة وطائفة

سنة ثلاثين وثلاثمائة ٣٣٠ **فيها الغلاء المفرط** والوباء ببغداد وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير وأكلوا الجيف

وفيها وصلت الروم فأغارت على أعمال حلب وبدعوا وسبوا عشرة آلاف نسمة

". (٢)

" توزون وتلقاه وقبل الأرض وأنزله في مخيم ضرب له ثم قبض على الوزير أبي الحسين بن أبي علي بن مقلة وكحل المتقي بالله فصاح المسكين فصرخ النساء فأمر توزون بضرب الدبادب حول المخيم وأدخل بغداد مسمولا مخلوعا وبويع عبد الله بن المكتفي ولقب بالمستكفي بالله فلم يحل الحول على توزون واستولى أحمد بن بويه على واسط والبصرة والأهواز فسار توزون لحربه فدام القتال والمنازلة بينهما أشهرا وابن بويه في استظهار ومرض توزون بعلة الصرع **واشتد الغلاء على** ابن بويه فرد إلى الأهواز ورد توزون إلى بغداد وقد زاد به الصرع

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٨٦/٢

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٢٥/٢

وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان حلب وأعمالها وهرب متوليها يانس المؤنسي إلى مصر فجهز الإخشيذ جيشا فالتقاهم سيف الدولة على الرستن فهزمهم وأسر منهم ألف نفس وافتتح الرستن ثم سار إلى دمشق فملكها فسار الإخشيذ ونزل على طبرية فخامر

". (١)

" ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمدبن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمئة ألف درهم **وكان الغلاء ببغداد** فوق الوصف وفيها توفى أبيض بن محمد بن أبيض بن اسود الفهري المصري روى عن النسائي مجلسين وهو آخر من روى عنه

وإسحاق بن المقتدر بالله توفى في ذي القعدة عن ستين سنة وصلى عليه ولده القادر بالله الذي ولى الخلافة بعد الطائع وأمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض والعلوم وبرعت في مذهب الشافعي وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة

وأبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف ببغداد في ربيع الأول وله تسع وثمانون سنة وكان متهما بالإعتزال وقد فضله بعضهم على المبرد وكان عديم المثل

وابن لولو الوراق ابو الحسن علي بن محمد بن

". (٢)

" متعففا له مصنف في علم الشروط توفي في شعبان وقد روى عنه الحاكم مع تقدمه

وهبة الله بن سلامة أبو القاسم البغدادي المفسر مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ وهو جد رزق الله التميمي لأمه كان من أحفظ الأئمة للتفسير وكان ضريرا له حلقة بجامع المنصور سنة إحدى عشرة وأربعمئة

٤١١ - فيها **كان الغلاء المفرط** بالعراق حتى أكلوا الكلاب والحمر

وفيها أبو نصر النرسي أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون البغدادي الصدوق العبد الصالح روى عن ابن البحتري وعلي بن إدريس الستوري

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٢/٢٣٨

(٢) العبر في خبر من غبر، ٣/٦

والحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن عبد العزيز بن نزار بن المعز العبيدي صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب فقد في شوال وله ست وثلاثون سنة

". (١)

" سنة تسع وأربعين وأربعمئة

٤٤٩ فيها خلع القائم بأمر الله على السلطان طغرلبك السلجوقي سبع خلع وطوقه وسوره وتوجه وكتب له تقليدا بها وشافهه بملك المشرق والمغرب فقدم للقائم تحفا منها خمسون مملوكا بخيلهم وسلاحهم وخمسون ألف دينار

وفيها عجز ثمال بن صالح بن مرداس عن حلب للقحط وسلمها بالأمان للمصريين

وفيها **كان الوباء المفرط** بما وراء النهر حتى قيل إنه مات فيه ألف ألف وستمائة ألف

وفيها توفي أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري اللغوي الشاعر صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفي وله ست وثمانون سنة جدر وهو ابن ثلاث سنين فذهب بصره ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك

وأبو مسعود البجلي أحمد بن محمد بن عبد الله بن

". (٢)

" سنة ستين وأربعمئة

٤٦٠ فيها وقبلها **كان الغلاء العظيم** بمصر

وفيها كانت الزلزلة التي هلك فيها بالرملة وحدها على ما ورخ ابن الأثير خمسة وعشرون ألفا وقال انشقت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم ورد

وفيها توفي الباطرقاني أبو بكر أحمد بن الفضل الأصبهاني المقرىء الأستاذ توفي في صفر عن ثمان وثمانين سنة وله مصنفات في القراءات وكان صاحب حديث وحفظ روى عن أبي عبد الله بن مندة وطبقته

---

(١) العبر في خبر من غبر، ١٠٦/٣

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٢٠/٣

وابن القطان أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبي المالكي رئيس المفتين بالأندلس وله سبعون سنة روى عن يونس بن عبد الله القاضي وجماعة

وخديجة بنت محمد بن علي الشاهجانية الواعظة ببغداد كتبت بخطها عن ابن سمعون وتوفيت في المحرم عن أربع وثمانين سنة

". (١)

" ليستولى على ممالك ألب أرسلان أخيه فالتقاه ملكشاه بناحيه همذان فانهزم جيش قاورت بك وأسر هو فخنقه ابن أخيه ملكشاه

وفيها افترق جيش مصر واقتتلوا عند كوم الريش وكانت ملحمة مشهورة وقتل نحو الأربعين ألفا ثم التقوا مرة ثانية وكثر القتل في العبيد وانتصر الأتراك وضعف المستنصر وأنفق خزائنه في رضاهم وغلبت العبيد على الصعيد ثم جرت لهم وقعات **وعاد الغلاء المفرط** والوباء ونهبت الجند دور العامة قال ابن الأثير **اشتد الغلاء والوباء** حتى أن أهل البيت كانوا يموتون في ليلة وحتى حكى أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل إنها باعت عروضا لها قيمة ألف دينار بثلاثمئة دينار واشترت بها حملة قمح وحمله الحمال على ظهره فنهبت الحملة فنهبت المرأة

". (٢)

" وقرأ على أبي أحمد الفرضي وأبي الحسن السوسنجردي وجماعة توفي في جمادى الأولى

ومحمود بن نصر بن صالح بن مرداس الأمير عز الدولة الكلابي صاحب حلب ملكها عشرة أعوام وكان شجاعا فارسا جوادا ممدحا يداري المصريين والعباسيين لتوسط داره بينهما وولى بعده ابنه نصر فقتله بعض الأتراك بعد سنة سنة ثمان وستين وأربعمئة

٤٦٨ فيها حاصر أتسز الخوارزمي دمشق واشتد **بها الغلاء وعدمت** الأقوات ثم تسلم البلد بالأمان وعوض انتصار المصمودي ببانياس ويافا وأقيمت الخطبة العباسية وأبطل شعار الشيعة من الأذان وغيره واستولى أتسز على أكثر الشام وعظم ملكه

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٢٤٨/٣

(٢) العبر في خبر من غبر، ٢٥٩/٣

وفيها توفي أبو علي غلام الهراس مقرىء واسط الحسن بن القاسم الواسطي ويعرف أيضا بإمام الحرمين كان

". (١)

" سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة

فيها غزا نور الدين محمود بن زنكي فافتتح ثلاثة حصون للفرنج بأعمال حلب

وفيها **كان الغلاء المفرط** بل وقبلها سنوات بأفريقية حتى أكلوا لحوم الآدميين

وفيها توفي أبو الحسن بن الآبنوسي أحمد بن أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي الشافعي الوكيل سمع أبا القاسم بن البسرى وطبقته وتفقه وبرع وقرأ الكلام والاعتزال ثم لطف الله به وتحول سنيا توفي في ذي الحجة عن بضع وسبعين سنة

والبطروجي أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي أحد الأئمة روي عن أبي عبد الله الطلاعي وأبي علي الغساني وطبقتهما وكان إماما حافلا بصيرا بمذهب مالك ودقائقه إماما في الحديث ومعرفة رجاله وعلله له مصنفات مشهورة ولم يكن في وقته بالأندلس مثله ولكنه كان قليل العربية رث الهيئة خاملا توفي في المحرم

". (٢)

" سنة ست وتسعين وخمس مئة

فيها تسلطن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش بعد موت أبيه علاء الدين

وفيها كانت دمشق محاصرة وبها العادل وعليها الأفضل والظاهر ابنا صلاح الدين وعساكرهما نازلة قد خندقوا عليهم من أرض اللوان إلى يلدا خوفا من كبسة عسكر العادل ثم ترضوا عنها ورد الظاهر إلى حلب وسار الأفضل إلى مصر فساق وراءه العادل وأدركه عند الغرابي ثم تقدم عليه وسبقه إلى مصر فرجع الأفضل منحوسا إلى صرخد وغلب العادل على مصر وقال هذا صبي وقطع خطبته ثم أحضر ولده الكامل وسلطنه على الديار المصرية في أواخر السنة فلم ينطق أحد من الأمراء وسهل له ذلك اشتغال أهل مصر

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٣/٢٦٨

(٢) العبر في خبر من غبر، ٤/١١٤

بالقحط فإن فيها كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة اصابع **واشتد الغلاء وعدمت** الأقوات **وشرع الوباء وعظم** الخطب إلى أن

---

(١) ".

"

والنفيس أبو البركات محمد بن الحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصارى الحموى سمع بمكة من عبد المنعم الفراوى وبالثغر من أبي الطاهر بن عوف وأبي طالب التنوخى توفى في آخر السنة عن ثمان وتسعين سنة

والجمال ابن المخيلي أبو الفضل يوسف بن عبد المعطى ابن منصور بن نجا الغساني الإسكندرانى المالكى روى عن السلفى وجماعة وكان من أكابر بلده

توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وست مئة

٦٤٣ ١٦٩ ب في أولها بل قبل ذلك حاصرت الخوارزمية دمشق وعليهم الصاحب معين الدين حسن ابن الشيخ واشتد الخطب وأحرقت الحواضر ورمى من الفريقين بالمجانيق وتعب الدمشقيون بالصالح إسماعيل أولا وآخرا وذاقوا من الخوف والقحط والوباء ما لا يعبر عنه ودام الحصار خمسة أشهر إلى أن ضعف إسماعيل وفارق دمشق وتسلمها الصاحب معين الدين فغضبت الخوارزمية من الصلح ونهبوا داريا وترحلوا وراسلوا الصالح إلى بعلبك وصاروا معه على الصالح نجم الدين وردوا معه فحاصروا دمشق في ذي القعدة لموت معين الدين ابن الشيخ وتلك الأيام **كان الغلاء المفرط** حتى أبيعت الغرارة بدمشق بألف وست مئة درهم وأكلت الجيف وتفاقم الأمر والخمور والفاحشة دائرة بدمشق

---

(٢) ".

"

المستعصم بالله أنى أخرج إليهم في تقرير الصلح فخرج الخبيث وتوثق لنفسه ورجع فقال إن الملك قد رغب في أن يزوج بنته بإبنك الأمير أبي بكر وأن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٤/٢٩٠

(٢) العبر في خبر من غبر، ٥/١٧٣

ثم يترحل فخرج إليه المستعصم في أعيان الدولة ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه فخرجوا فضربت رقاب الجميع وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى بقيت الرعية بلا راع

ثم دخلت حينئذ التتار بغداد وبذلوا السيف واستمر القتل والسبى نيفا وثلاثين يوما فقل من نجا فيقال إن هولاوو أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمان مئة ألف وكسر فعند ذلك نودى بالأمان ثم أمر هولاوو بناجونوين فضربت عنقه لأنه بلغه أنه كاتب الخليفة وأرسل رسولا إلى الناصر صاحب الشام يهدده إن لم يخرب أسوار بلاده **واشتد الوباء بالشام** ولا سيما بدمشق وحلب لفساد الهواء

وفيها توفي أبو العباس القرطبى أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصارى المالكى المحدث الشاهد نزيل الإسكندرية كان من كبار الأئمة ولد سنة ثمان وسبعين وخمس مئة ١٨٤ آ وسمع بالمغرب من جماعة واختصر الصحيحين وصنف كتاب المفهم في شرح مختصر مسلم توفي في ذي القعدة

---

(١) ".

"

للناس من الأهل والمال والمواشي ما لا يحصى وحمى الله دمشق من النهب والسبى والقتل ولله الحمد لكن صودروا مصادرة عظيمة ونهب ما حول القلعة لأجل حصارها وثبت متوليها علم الدين أرجواش ثباتا لا مزيد عليه حتى هابه التتار ودام الحصار أياما عديدة وأدمن الناس على الخوف وأخذ الدواب جميعها وشدة العذاب في المصادرة **مع الغلاء والجوع** وضروب الهم والفزع لكنهم بالنسبة إلى ما تم بجبل الصالحية من السبي والقتل أحسن حالا فقيل إن الذي وصل إلى ديوان غازان من البلد ثلاثة آلاف ألف وسبع مئة سوى ما أخذ في الترسيم والبرطيل ولشيخ الشيوخ وكان إذا ألزم التاجر بألف درهم لزمه عليها فوق المائتين ترسيما يأخذه التتار ثم أعان الله وترحل الملك فى ثانى عشر جمادى الأولى غير مصحوب بالسلامة ثم ترحل بقية التتار بعد عشرة أيام ودخلت الجيوش القاهرة فى غاية الضعف ففتحت بيوت المال وأنفق فيهم نفقة لم يسمع بمثلها ومدة انقطاع خطبة الناصر من خوف التتار مئة يوم

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٥/٢٢٦

". (١)

"رأي العقاد : تناول الأستاذ عباس العقاد في كتابه (الإسلام في القرن العشرين) دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال (ظاهر من سيرة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب الوهابية أنه لقي في رسالته عنتا ، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع ومن العنت أطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها وآتيان الممالك من غير أبوابها وقد غبر البادية زمان كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ويدعون السعي من وجوهه توسلا بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستشفاء **ودفع الوباء فكان** حقا على الدعاة أن يصرفهم عن هذه الجهالة وكان من أثر هذه الدعوة أنها صرفتهم عن ألوان البدع والخرافات)

يقول الدكتور الشيخ عائض بن عبد الله القرني –حفظه الله– في نونيته:

ومجدد الإسلام في هذا الورى .. أعني التميمي ناصر الإيمان

رحم الإله محمدا في لحده ... خضم الضلال مهدم الأوثان

في نجد أشرق نوره متوهجا ... بل شع من هند إلى تطوان

فعلى عقيدتهم بنيت عقيدتي ... وعلى رسائلهم فتقت لساني

أقفو طريقتهم ونهجي نهجهم ... دوما وأبرأ من أخي كفران

أهل الضلالة هم خصومي دائما ... لا يلتقي بمحبة خصمان

ولكل مبتدع أقول مجلجلا ... أنا صارم يفري الرقاب يماني

أسلمت نفسي للذي برأ الورى ... وبرئت من شركٍ ومن طغيان

ورضيت بالقرآن والسنن التي ... جاءت بفهم صحابة العدناني

أقوال المفكرين والمستشرقين في الإمام – رحمه الله :

يقول المستشرق سيديو في كتابه (تاريخ العرب العام) الذي نقله إلى العربية (عادل زعيتر) : قال في أثناء كلامه على ثورات العرب للتحرر من سيطرة الترك وسيطرة البرتغال في عمان بعد كلام .

ومن ثم نرى أن جزيرة العرب استردت استقلالها التام تقريبا ، منذ أوائل القرن الثامن عشر بفضل جدها ، وضعف أعدائها ، ولم يبق لها إلا أن تؤيد نصرها بمركز يلتف حوله جميع النفوس .." (٢)

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٥/٣٩٢

(٢) اللآلئ الحسان بذكر محاسن الدعاة والأعلام (الجزء الأول)، ص/٣١

"قال: وبه عن الإدريسي قال: سمعت أحمد بن محمد هذا قال: سمعت جدي الحسين بن علي الفقيه الدبوسي يقول: كان محمد بن بجير بن حازم من دبوسية وسبق انتقاله إلى خشوفغن وتوطنه بها أنه رأى في المنام كأن قارئا يقرأ : /٤ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون /٤ ، ثم رأى في الليلة الثانية والثالثة كذلك . فخرج منها بعياله . وبعد خروجه من دبوسية **ظهر الوباء بها** ومات بها خلق عظيم.

٨٣- أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن بندار الإستراباذي

حدث بسمرقند.

قال: وبه عنه حدثنا أبو بكر هذا بسمرقند قال: حدثنا عيسى بن محمد أبو القاسم الوسقندي قال: حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عبد الرحمن المروزي بالري قال: حدثنا محمد بن قدامة بن إسماعيل السلمي قال: حدثنا أبو حذيفة البخاري قال: سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي ص قال: " مولى القوم منهم ومولى مولاهم منهم ، وقال مرة : من أنفسهم".

قال محمد بن قدامة: فبلغ المأمون أن أبا حذيفة حدث بهذا عنه فأمر له بعشرة آلاف درهم .

٨٤- أبو نصر أحمد بن محمد القرشي السمرقندي

قال: وبه عنه قال: حدثنا أبو نصر هذا قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد الرحال الكاغذي قال: حدثنا السري بن سهل المؤدب قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا حماد بن عبد الله قال: حدثنا آدم بن عبد أخو سفيان قال: وجد على باب صنعاء مكتوب بالسيريانية فالتمس (٦٩أ) له رجل يقرأه ، فإذا فيه: إذا ارتفع الدقاق ، واتضع العتاق ، وذهبت مكارم الأخلاق ، جاء من الأمر ما لا يطاق .

٨٥- أبو الفضل أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم الصفار الغاتفري السمرقندي

ولد في شهر ربيع الأول سنة عشر وثلاثمائة ، ومات سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة .." (١)

"وعلى دينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء أى وتقدم أنه ابتاع المحل الذى بناه دارا له قبل مبعثه بألف سنة فليتأمل ويقال إن الأوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء اه

---

(١) القند في ذكر علماء سمرقند، ص/٢٩

أقول قد علمت أن نزوله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب على الوجه المتقدم وأخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب إليه أول البعثة أو بين مكة والمدينة وهو مهاجر إلى المدينة يبعد هذا

وفيه أيضا أن الذى فى التنوير لابن دحية أن هذا تبع الأوسط وأنه الذى كسا البيت بعد ما أراد غزوة وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجر نبى اسمه محمد

أى فقد ذكر بعضهم أن تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك أجل من أن يستخفه غضب وأمره أعظم أن يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع أن هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين إبراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب إلى أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فأدوه إليه ويقال إن الكتاب كان عند أبى أيوب الأنصارى وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام

وفى التنوير أيضا أن ابن أبى الدنيا ذكر أنه حفر قبر بصنعاء قبل الإسلام فوجد فيه امرأتان لم يبليا وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة اينتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا إله إلا الله ولا يشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجاء لاتسبوا تبعا فإنه كان مؤمنا وفى رواية لاتسبوا تبعا الحميرى فإنه أول من كسا الكعبة قال السهيلى وكذا تبع الأول كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا ينبئ فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء أى الحمى وكان إذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا **يضره الوباء وفى** لفظ كان إذا دخلها غريب فى الجاهلية يقال له إن أردت السلامة **من الوباء فانهق** نهيق الحمار فإذا فعل ذلك سلم

وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار أى نهقوا عشرة أصوات فى طلق واحد قبل أن يدخلوها وكانوا يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء

" (١)

"٪ أمين مصطفى بالخير يدعو ٪ كضوء البدر زايله الظلام ٪

---

(١) السيرة الحلبية، ٢/٢٨٠

إلا أن يحمل قولها على أنها لما تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من إنشاء الصديق وكان بلال إذا أقلعت عنه الجمى يرفع عقيرته أى صوته يقول متشوقا إلى مكة ٪ الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ٪ بواد وحولى إذخر وجليل ٪ ٪ وهل أردن يوما مياه مجنة ٪ وهل يبدون لى شامة وطفيل ٪

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى **أرض الوباء وأراد** بلال بالوادى وادى مكة وإلا ذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة أى وفى رواية وهل يبدون لى عامر وطفيل وعامر أيضا جبل من جبال مكة

وفى شرح البخارى للخطابى كنت أحسب شامة وطفيلا جبلين حتى مررت بهما فإذا هما عينان من ماء هذا كلامه

وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فأطلق اسم كل منهما على الآخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهى عن لعن المعين لأنه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح إلا إن علم موته على الكفر كأبى جهل وأبى لهب دون الكافر الحى لأنه يحتمل أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام لأن اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها وأما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز أو أن ذلك محمول فى ذلك على الإهانة الطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذى هو حقيقة اللعن وكان كل من أبى بكر وعامر وبلال فى بيت واحد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فاستأدنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فإذا بهم مالا يعلمه إلا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم أى وقالت لأبيها يا أبت كيف أصبحت فأنشدها الشعر المتقدم قالت فقلت إنا لله إن أبى ليهذى قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال ٪ إنى وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان خنقه من فرقه ٪

قالت فقلت هذا والله لا يدرى ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف أصبحت فإذا هولا لا يعقل وفى رواية فأنشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقلت إنهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى

---

(١) ".

"بها فى زمن من الأزمنة بخلاف مكة فإنه وجد بها فى بعض السنين وهى سنة تسع وأربعين وسبعمائة

---

(١) السيرة الحلبية، ٢/٢٨٢

ويقال إنه وقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الألف لما هدم السيل الكعبة أى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم فمن حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر إلى أن أقاموا الأخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا أخبر بعض الثقات من أهل مكة

وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة فى زمن من الأزمنة يخالفه قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة أفنى الخلق وهو أول طاعون وقع فى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقع فلا بأرض تخرجوا منها وإن سمعتم به فى أرض فلا تقربوها

ويروى أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل **عنها الوباء ثلاثا** أى وفيه أن هذا قد يخالف ما سبق من أن هذا كان فى آخره الأمر لاعند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة إلا أن يحمل على أن قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة

وفى الحديث سيأتى على الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم إلى الرخاء المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها أحد فيصبر للأوائها وشدتها حتى يموت إلا كنت له يوم القيامة شهيدا وشفيعا

وفي مسلم لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا وكنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا أي شفيعا للعاصي وشهيدا للطائع وللأواء بالمد الجوع

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإني أشفع لمن يموت بها لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء وفى رواية أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد أى وفى رواية فى مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم أن هذا ليس عاما فى الأزمنة ولا فى الأشخاص وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لايقبل الله

". (١)

---

(١) السيرة الحلبية، ٢/٢٨٦

"واما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران في كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في القتال خرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة اي مكث بالمدينة باقي الشهر الذي قدم فيه وهو شهر ربيع الاول وباقي ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة

فخرج صلى الله عليه وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة اخره نون وهي قرية كبيرة بينه وبين الابواء ستة اميال او ثمانية والابواء بالمد قرية كبيرة بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوىء السيول بها وقيل لما كان فيها **من الوباء فيكون** على القلب والا لقيل الاوباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين اي وفي الامتاع ودان جبل بين مكة والمدينة

واقول قد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله اعلم

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم انصارى يعترض عيرا لقريش ولبنى ضمرة أي وخرج صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الاصل

ويوافقه قول بعضهم وخرج صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من اصحابه يريد قريشا وبني ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى ان خروجه صلى الله عليه وسلم الله انما كان لاعتراضه العير وانه اتفق له موادعة بني ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطي خرج يعترض عيرا لقريش فلم يلق كيدا وفي هذه الغزوة وادع بني ضمرة هذا كلامه أي صالح سيدهم حينئذ وهو مجدي بن عمر

وعبارة بعضهم فلما بلغ الابواء لقى سيد بني ضمرة مجدي بن عمر الضمري فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم جمعا و لا يعينوا عليه عدوا قال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بانهم امنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصرة على من رامهم أي قصدهم الا ان يحاربوا في دين الله مابل بحرصوفة أي ما بقي فيه ما يبل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أي أمانهما انتهى

---

(١) ".

---

(١) السيرة الحلبية، ٢/٣٤٧

"وتحدثت عن سلطنة علي ابن المعز ثم تولي سيف الدين قطز، وترتيبه للأمور الداخلية. كان الحديث عن معركة عين جالوت الخالدة وانكسار المغول، وتتبعت تحرك المغول بعد سقوط بغداد، وبينت كيف تم احتلال المغول لبلاد الشام والجزيرة، ووضحت مشروع الكامل الأيوبي لمواجهة التتار وكيف استشهد عند دفاعه البطولي عن ميافارقين، فقد صمدت المدينة الباسلة وظهرت فيها مقاومة ضارية بقيادته ونظرا لطول الحصار الذي فرضه المغول على المدينة، نفذت الأرزاق من داخلها وعم القحط **وانتشر الوباء وتهدمت** الأسوار من شدة ضرب المنجنيقات حتى هلك أكثر سكان المدينة، فقد وقعت **المجاعة** فيها بسبب الحصار الطويل وفي عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م سقط آخر معقل للمقاومة في الجزيرة ودخل التتار ميافارقين فوجدوا جميع سكانها موتى، ما عدا سبعين شخصا نصف أحياء وقبضوا على الكامل الأيوبي فعنفه هولاكو وأمر بتقطيعه وأخذوا يقطعون لحمه قطعاً صغيرة ويدفعون بها إلى فمه حتى مات ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به في البلاد وذلك سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م إلى أن وصل دمشق، فعلقوه على باب الفراديس، حتى أنزله الأهالي ودفنوه.

وكان السلطان الناصر الأيوبي سلطان بلاد الشام متردد بين المقاومة والاستسلام، وكان متخوفا من المغول، الذين هددوه بالرسائل وذكروه بما حدث لبغداد وخليفتها وجاء في رسائلهم للسلطان الناصر:... واستحضرنا خليفتها وسألناه عن كلمات فكذب فواقعه الندم واستوجب منا العدم وكان قد جمع ذخائر نفيسة وكانت نفسه خسيسة، فجمع المال ولم يعبأ بالرجال وكان قد نمى ذكره وعظم قدره ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال:

... ... إذا تم أمر دنا نقصه

... ... توق زوالا إذا قيل تم

... ... إذا كنت في نعمة فارعها

... ... فإن المعاصي تزيل النعم

... ... وكم من فتى بات في نعمة

... ... فلم يدر بالموت حتى هجم." (١)

"٢ . تورانشاه يقود المعركة: وصل تورانشاه إلى المنصورة في ١٧ ذو القعدة ٦٤٧هـ/٢١ شباط ١٢٥٠م بعد أن أعلن سلطانا في دمشق، وهو في طريقه إلى مصر، فأعلنت عندئذ وفاة الصالح أيوب

---

(١) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص/٣

وسلمته شجرة الدر مقاليد الأمور، فأعد خطة عسكرية كفلت له النصر النهائي على الصليبيين(١). وكان وصوله إلى مصر إيذانا بإعادة إرتفاع الروح المعنوية عند المصريين وبين صفوف المماليك وتيمن الناس بطلعته(٢). وأمر بإنشاء اسطول من السفن الخفيفة نقلها إلى فروع النيل السفلى وأنزلها في القنوات المتفرعة، فأخذت تعترض طريق السفن الصليبية التي تجلب المؤن للجنود من دمياط، فقطع بذلك الطريق عليها وحال دون اتصال الصليبيين بقاعدتهم دمياط(٣)، وفقد الصليبيون عددا كبيرا من سفنهم قدرتها المصادر بما يقرب من ثمان وخمسين سفينة، انقطع المدد من دمياط عن الفرنج **ووقع الغلاء عندهم**، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام، ول‌ا يقدرون على الذهاب وتشجع المسلمون وطمعوا فيهم وأدرك لويس التاسع استحالة الزحف نحو القاهرة في ظل هذه الاوضاع وبدأ يفكر في العودة إلى دمياط وفعلا أمر بالإرتداد وأحرق الصليبيون ما عندهم من الخشب وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، كما أدرك أن عملية الانسحاب لن تكون سهلة، وأن المماليك سوف يطاردون جيشه لذلك لجأ قبل أن يبدأ بعملية الإنسحاب إلى فتح باب المفاوضات مع تورانشاه على أساس ترك دمياط مقابل أخذ بيت المقدس(٤)،

(١) السلوك (١ ـ ٤٤٩)، تاريخ الأيوبيين صـ٣٨٧.

(٢) النجوم الزاهرة (٦ ـ ٣٦٤).

(٣) المصدر نفسه (٦ ـ ٣٦٤).

(٤) تاريخ الأيوبيين صـ ٢٨٨..." (١)

"أقبل المغول على فرض حصار شديد على مدينة ميافارقين، اشتركت فيه فرق أرمينية ومسيحية شرقية وقابله المسلمون داخل المدينة بصمود هائل عجز أمامه المغول على اقتحامها مدة طويلة، وكان في جيش الملك الكامل فارسان بارعان أذهلا قادة المغول ودوخاهم وأوقعاهم في الدهشة والحيرة، إذ كان لبسالتهما وأحكامهما الرماية سببا في إنزال أفدح الخسائر في الجيش المغولي، حتى اضطر هولاكو الذي أدرك عجز قواته عن اقتحام المدينة إلى إرسال مدد جديد بقيادة الأمير أرقتو، وانضم هذا القائد الجديد بجموعه إلى الجهة التي فيها جيش الأمير المغولي إيلكيا نويان، ونظرا لطول الحصار الذي فرضه المغول على المدينة، نفذت الأرزاق من داخلها وعم القحط **وانتشر الوباء وتهدمت** الأسوار من شدة ضرب المنجنيقات، حتى هلك أكثر سكان المدينة(١)، فقد وقعت **المجاعة** فيها بسبب الحصار الطويل وفي عام ٦٥٨هـ ١٢٦٠م

(١) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص/٥٠

سقط آخر معقل للمقاومة في الجزيرة ودخل التتار ميافارقين"فوجدوا جميع سكنها موتى، ما عدا سبعين شخصا نصف أحياء، وقبضوا على الكامل الأيوبي؛ فعنفه هولاكو وأمر بتقطيعه(٢)، وأخذوا يقطعون لحمه قطعا صغيرة ويدفعون بها إلى فمه حتى مات، ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به في البلاد وذلك في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م(٣)، حتى وصل دمشق، فعلقوه على باب الفراديس، حتى أنزله الأهالي ودفنوه وقتل المغول كل من وجدوه في ميافارقين وهدموها، وهذا يدل على شدة حنق المغول من الملك الكامل، ومن مقاومته لهم وربما كان أيسر ما كلفتهم إياه هو الخسائر البشرية والمادية فهي . بلا شك . ساهمت في تحطيم سمعتهم الحربية المرعبة لأن مقاومة الكامل أصبحت رمزا لإرادة المقاومة ضد التتار، وأصبح الكامل بموته قدوة ومثالا للتضحية والشهادة(٤).

---

(١) جهاد المماليك صـ٧٦.

(٢) المصدر نفسه صـ٧٦.

(٣) المصدر نفسه صـ٧٦.

(٤) العلاقات الدولية (٢/٥٤).." [١]

"القضاء المزبور فلما جاء الكتاب اليه قبل وباشر امر القضاء بسيرة حسنة تغمده الله بغفرانه واسكنه بحبوحة جنانه وكان فاضلا في العلوم كلها وقد اعترف علماء عصره بفضله ولكنه لم يشتغل بالتصنيف ورأيت له رسالة في تجويز الفرار **عن الوباء تنبىء** تلك الرسالة عن فضله وكانت سيرته في القضاء محمودة وطريقته فيه مرضية وكانت الظلمة يخافون منه خوفا عظيما جزاه الله تعالى عن الشريعة خير الجزاء توفي رحمة الله تعالى عليه قاضيا بمدينة قسطنطينية سنة احدى عشرة وتسعمائة ودفن عندمسجده بالمدينة المزبورة نور الله تعالى مرقده وفي غرف جنانه ارقده ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى يوسف بن حسين الكرماسني

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره منهم المولى الفاضل خوجه زاده وبرع في العلوم العربية والشرعية وصار مدرسا ببعض المدارس ثم انتقل الى احدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينية وكان في قضائه مرضي السيرة ومحمود الطريقة وكان سيفا من سيوف الحق ولا يخاف في الله تعالى لومة لائم روي انه ذهب يوما الى المسجد بعمامة صغيرة ولما خرج من المسجد طلبه

---

(١) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص/١٣٧

الوزير إبراهيم باشا لمصلحة اقتضت حضوره فلم يبدل عمامته خوفا من ترجيح جانب الوزير على المسجد فلما رآه الوزير علي تلك الهيئة سأله عنها قال في جوابه حضرت خدمة الخالق بهذه الهيئة ولم أجد في نفسي رخصة في تغيير الهيئة لاجل الوزير فوقع هذا الكلام عند الوزير موقع القبول والرضا وحكاه الى السلطان بايزيدخان فارسل السلطان بايزيدخان الى المولى المذكور جوائز سنية لأجل فعله المذكور وله عدة مصنفات منها حاشية شرح المطول للتلخيص وشرح الوقاية في الفقه وله مختصر في علم اصول الفقه سماه الوجيز وكتاب في علم المعاني توفي في حدود التسعمائة ودفن في جنب مكتبه الذي بناه عند جامع السلطان محمد خان بمدينة قسطنطينية روح الله تعالى روحه ونور ضريحه

---

(١) ".

"درهما بطريق التقاعد فلازم بيته بقسطنطينية واشتغل بالتصنيف لكن اخترمته المنية فلم يظهر شيء من ذلك مات رحمه الله تعالى في أوائل سلطنة السلطان سليم خان ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى علاء الدين علي الايديني الملقب باليتيم

انما لقب بذلك لانه وقع في زمن سلطنة السلطان مرادخان وباء عظيم ومات في **ذلك الوباء جميع** اقربائه وبقي هو يتيما وما بقي له الا عمه ورباه الى ان بلغ سن البلوغ ثم ارتحل الى بلده تيره وحصل هناك مبادي العلوم وتعلم الكتاب ثم ارتحل الى بلدة بروسه واشتغل هناك بالعلم والقراءة وقرأ على بعض المدرسين ولما بنى السلطان محمد خان المدارس الثمان بقسطنطينية كان مع الطلبة الذين سكنوا بها ابتداء ثم لما صار ضعف الاشتغال بقسطنطينية ارتحل كثير من الطلبة الى الاطراف وارتحل هو الى بلدة تيره وكان المولى قاضي زاده مدرسا بها وقتئذ واشتغالا عنده اشتغلا عظيما ثم ان السلطان محمد خان لما نقل المولى المذكور الى احدى المدارس الثمان جاء معه الى قسطنطينية وما فارقه الى ان صار المولى المذكور قاضيا بمدينة بروسه واراد المولى قاضي زاده ان يرسله الى عتبة السلطان ليحصل له مرتبة فلم يرض بذلك وقال ان ري مع الله تعالى عهدا ان لا اتولى المناصب وسكن بمدينة بروسه في بيت صغير ولم يكن له اهل واولاد اصلا وبذل نفسه لاقراء العلم وكان يدرس لكل احد ولا يمنع الدرس عن احد وربما يدرس في يوم واحد عشرين درسا ما بين صرف ونحو وحديث وكانت له مشاركة في كل العلوم وبذلك نفسه لله تعالى وابتغاء لمرضاته ولا يأخذ اجرة من احد ولا يقبل الا الهدية فلم يقبل وظيفة اصلا ولم يكن له الا العلم والعبادة

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/١٢٧

وكان مشتغلا بنفسه فارغا عن احوال الدنيا راضيا من العيش بالقليل وانا اقرأ عليه الصرف والنحو سمعت منه ما فاته صلاة ابدا منذ بلوغه ولم يتزوج ولم يقارف الحرام اصلا وقد جاوز عمره التسعين وما سقط منه سن اصلا وكان يقرا الخطوط الدقيقة وكان يكتب خطا حسنا جدا وكان يشتري الكتاب ابتر ويكمله ويعمل له جلدا وكان يعرف تلك ا لصنعة وقداجتمع له بهذا الطريق كتب كثيرة مات في سنة عشرين وتسعماية وسمعت انه قد رأى ا لسلطان مراد خان وهو شاب نور الله تعالى قبره

". (١)

"إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب سعد الدين بن علم الدين بن شمس الدين السكندري الأصل المصري القبطي أخو الفخر ماجد وهو الأكبر ويعرف بابن غراب، أصله من أبناء الكتبة الاقباط بالاسكندرية فاتصل بخدمة الجمال محمود الاستادار واختص به ورقاه حتى ولاه نظر الخاص قبل استكماله عشرين سنة عوضا عن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، ومع ذلك فلما أمسك الجمال المشار إليه كان هو القائم باظهار خباياه ومحافصته بحيث أنه كان إذا رآه يبكي من شدة قهره منه وتزايدت بذلك وجاهته عند الظاهر برقوق وبعده استقر به ابنه الناصر فرج في نظر الوزارة، ولم يلبث أن قبض عليهما وأحيط بموجودهما وخلعا مما كان معهما وتسلمهما أزبك رأس نوبة ثم نقلا إلى قطلوبغا الكركي شادالشر بخاناه إلى أن أفرج عنهما وعادا لوظائفها ثم عزلا ولا زالا كذلك ارتفاعا وانخفاضا إلى أن استقر به الناصر أمير مشورة وأنعم عليه بتقدمة ألف ونزل إلى بيته ولزم الفراش مريضا حتى مات في ليلة الخميس أو ضحوة نهاره تاسع عشر رمضان سنة ثمان ولم يبلغ الثلاثين وكان فيما قيل شابا جميلا كريما جوادا ممدحا رئيسا نالته السعادة في مباشرته مائلا إلى فعل الخير والصدقة سيما في الوباء الذي كان في سنة ست فانه فعل فيه من الخيرات ما هو مذكور به مستفيض عنه بل قبل إنه ولي الوظائف وإلى أن مات ما دخل عليه مملوك المماليك السلطانية، كبيرا كان أو صغيرا في حاجة إلا وسقاه السكر المذاب ثم يأخذ في قضاء حاجته. وقد ترجمه شيخنا في حوادث أبنائه فقال كان جده غراب أول من أسلم من آبائه وباشر بالاسكندرية إلى أن اتهم بأنه كان ممن دل الفرنج لما هجموها على عورات المسلمين فقتله ابن عزام سنة سبع وسبعين ونشأ ابنه عبد الرزاق وترقى إلى أن ولي نظر الاسكندرية ومات في نحو الثمانين وخلف ولدين صغيرين مجد أكبرهما وإبراهيم هذا فلما تمكن محمود من الظاهر دخل الاسكندرية فأوى

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٢٠٣

إليه إبراهيم وهو يومئذ يكتب في العرضة تحت كنف أخيه ماجد الذي يلقب فخر الدين ويسمى محمدا فقربه محمود ودربه وخرجه إلى أن مهر سريعا وجادت كتابته وحمد محمود ذهنه وسيرته فاختص به وتمكن منه بحيث صار يدري جميع أموره وتعلم لسان الترك حتى حذق فيه فاتفق أنه عثر عليه بخيانة فخاف ابن غراب من سطوته فاستدرك نفسه وانضوى إلى ابن الطبلاوي وهو يومئذ قد قرب من قلب الظاهر برقوق فلم يزالا بالظاهر حتى بطش بمحمود وآل أمره إلى استنفاذ أمواله وموته بحبس أولى الجرائم وتقلب ابن غراب من ماله فيما يستحي من ذكره لكثرته ولازم خدمة ابن الطبلاوي إلى أن رقاه فولي نظر الخاص ثم ناطح ابن الطبلاوي إلى أن قبض عليه باذن الظاهر وكان من أوصياء الظاهر ثم اختص بيشبك فكان معه ظهيرا في تلك الحروب والمتقلبات حتى ذهب ايتمش وتنم وغيرهما من أكابر الظاهرية وتشتت شمل أكثر الباقين وتمكن ابن غراب حتى استحضر أخاه فخر الدين فقرره وزيرا ثم لما استقر في كتابة السر ونظر الجيش أضاف إليه نظر الخاص ثم لبس الاستادارية وتزيا بزي الجندي وضرب على بابه الطبول ونعم جدا حتى انه لما مرض كان الأمراء الكبار يعودونه قياما على أرجلهم وكان هو السبب في فرار الناصر وتركه المملكة وإقامته عنده تلك المدة مختفيا حتى تمكن مما أراد من إبعاد من يود الناصر وتقريب من أبغضه فلما عاد الناصر إلى المملكة بتدبير ابن غراب ألقى إليه بالمقاليد فصار يكثر الامتنان على جميع الامراء بأنه أبقى لهم بهجتهم وأعاد إليهم ما سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله عند فاقتهم وكان يصرح بأنه أزال دولة وأقام أخرى ثم أعاد الاولى من غير حاجة لذلك وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه من غير مانع وأهان كاتب السر فتح الله وبادره ولبس مكانه ثم ترفع عن كتابة السر فولاها كاتبا عنده يقال الفخر بن المزوق، ولما تكامل له جميع ما أراد لحظته عين الكمال بالنقص فمرض مدة طويلة بالقولنج الصفراوي إلى أن مات وكانت جنازته مشهودة وبات في قبره ليلة الجمعة وكثر تعجب الناس لذلك ولا عجب فيه فقد مات الحجاج ليلة سبع وعشرين من رمضان ولكن كان ابن غراب محبوبا إلى العامة لما قام به **في الغلاء والفناء** من إطعامه الفقراء وتكفينه للأموات من ماله، ولم يوجد له كبير أمر من المال بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل." (١)

"أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف بن سمير بن خازم أبو هاشم المصري الطاهري التيمي ويعرف بابن البرهان. ولد فيما بين القاهرة ومصر في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعمائة واشتغل بالفقه شافعيا وسمع الحديث وأحبه ثم صحب بعض الظاهرية وهو شخص يقال له سعيد

---

(١) الضوء اللامع، ١/٤٠

السحولي فجذبه إلى النظر في كلام ابن حزم فأحبه ثم نظر في كلام ابن تيمية فغلب عليه بحيث صار لا يعتقد أن أحدا أعلم منه، وكانت له نفس أبية ومروءة وعصبية ونظر كبير في أخبار الناس فطمحت نفسه إلى المشاركة في الملك مع أنه ليس له فيه قدم لا من عشيرة ولا وظيفة ولا مال فلما غلب الظاهر برقوق على المملكة وحبس الخليفة رام جعل ذلك وسيلة لما حدثته به نفسه فغضب من ذلك وخرج في سنة خمس وثمانين إلى الشام ثم إلى العراق يدعو إلى طلب رجل من قريش فاستقرأ جميع الممالك ودخل حلب فلم يبلغ قصدا ثم رجع إلى الشام فاستغوى كثيرا من أهلها وكان أكثر الموافقين له ممن يتدين منهم الياسوفي والحسباني لما يرى من فساد الأحوال وكثرة المعاصي وفشو الرشوة في الأحكام وغير ذلك فلم يزل على هذه الطريقة إلى أن نمى أمره إلى بيدمر نائب الشام فسمع كلامه وأصغى إليه ولم يشوش عليه لعلمه أنه لا يجيء من يديه ثم نمى أمره إلى نائب القلعة شهاب الدين بن الحمصي وكانت بينه وبين بيدمر عداوة شديدة فوجد فرصة في التألب عليه بذلك فاستحضر ابن البرهان واستخبره وأظهر أنه مال إلى مقالته فبث له جميع ما كان يدعو إليه فتركه ثم كاتب السلطان بذلك كله فلما علم بذلك كتب إلى النائب يأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وبتسميرهم فتوزع النائب عن ذلك وتكاسل عنه وأجاب بالشفاعة فيهم والعفو عنهم وأن أمرهم متلاش وإنما هم قوم خفت أدمغتهم من الدرس ولا عصبة لهم واستمر ابن الحمصي في انتهاز الفرصة فكاتب أيضا بأن النائب قد عزم على المخامرة فوصل إليه الجواب بمسك ابن البرهان ومن كان على رأيه وإن آل الأمر في ذلك إلى قتل بيدمر فمات الياسوفي خوفا بعد أن قبض عليه وفر الحسباني ولما حضر ابن البرهان إلى السلطان استدناه واستفهمه عن سبب قيامه عليه فأعلمه بأن غرضه أن يقوم رجل من قريش يحكم بالعدل فإن هذا هو الدين الذي لا يجوز غيره وزاد في نحو هذا فسأله عن من معه على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم فأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين واستعملوا مع المقيدين ثم أفرج عنهم في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة إملاق إلى أن مات لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وحيدا فريدا بحيث لم يحضر في جنازته إلا سبعة أنفس لا غير ورأيته بعد موته فقلت له أنت ميت قال نعم فقلت ما فعل الله بك فتغير تغيرا شديدا حتى ظننت أنه غاب ثم أفاق فقال نحن الآن بخير لكن النبي صلى الله عليه وسلم عتبان عليك فقلت لماذا قال لميلك إلى الحنفية فاستيقظت متعجبا وكنت قلت لكثير من الحنفية إني لأود لو كنت على مذهبكم فيقال لماذا فأقول لكون الفروع مبنية على الأصول فاستغفرت الله من ذلك، قال وقد كنت أنسيت هذا المنام فذكرنيه شهاب الدين أحمد بن

أبي بكر البوصيري بعد عشر سنين. وكان ذا مروءة علية ونفس أبية حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار لها ويستحضر أدلتها وما يرد على معارضيها، وأملي وهو في الحبس بغير مطالعة مما يدل على وفور اطلاعه مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ورسالة في الإمامة، قاله شيخنا قال وقد جالسني كثيرا وسمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الإنذار لما حدث بعده من الفتن والشرور بما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس ولا سيما ماحدث **من الغلاء والفساد** بسبب رخص الفلوس بالقاهرة بحيث أنه رأى عندي قديما مرة منها جانبا كبيرا فقال لي احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال فكان كذلك لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالا فأكثر وآل الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل ثم صارت تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصار من كان عنده منها شيء اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل رطل لستة إلى اثني." (١)

"أحمد بن محمد المدعو مظفر بن أبي بكر بن مظفر بن إبراهيم الشهاب التركماني الأصل القاهري الشافعي شقيق عمر الآتي وأمهما تونسية أقامت في صحبة والدهما خمسين سنة لم يختلفا ويعرف بابن مظفر. ولد تقريبا سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وتلاه لأبي عمرو على أبيه والبعض من الشاطبية والمنهاج وقرأ فيه على النور الأدمي واجتمع بالأبناسي الكبير وحضر دروس الأبناسي الصغير وصحب الشهاب أحمد الزاهد ثم الجمال الزيتوني وتكسب في بعض **سني الغلاء بسقي** الماء وإقراء الأطفال وقتا، وممن قرأ عنده الشمس محمد بن الغرزوبة، وانتفع في العزلة والتقلل وكان كثير السياحة يتوجه للقرافة على قدميه لزيارة الشافعي والليث وغيرهما ويتفكر في عجائب المخلوقات متقللا من الدنيا بل متجردا لا يلوي على أهل ولا مال ما علمته تزوج قط إلا قبيل موته فيما قيل لا قصدا للاستمتاع بل للسنة، وعرض عليه بعد أخيه التكلم له في وظائفه فأبى مؤثرا الانفراد وحب الخمول وعدم الشهرة بل ربما فر من بعض من يقصده للدعاء قانعا باليسير حريصا على مواساة قريبة له لانعدام يأخذ مالعله يرد عليه مائلا لمخالطة الفقراء ونحوهم، كل ذلك مع لطف العشرة والتودد والأدب والفصاحة والسمت وحسن التلاوة والصلاة واستحضار أشياء من مقامات الحريري وغيرها من نكت وفوائد، وللناس فيه اعتقاد، ولما قدم العلاء البخاري مصر عرضوا عليه أن يؤم به ففعل ثم أعرض عن ذلك لكثرة القاصدين للعلاء وميله للعزله، وصار بأخرة يبيت بالمنكوتمرية ويؤثرها على غيرها لقلة من يأوي بها فكثرت مجالستي معه بها وصليت خلفه

---

(١) الضوء اللامع، ١/ ٣٢٠

وسمعت قراءته الشجية بل قرأت عليه الفاتحة وسمعت من كلماته النافعة جملة ودعا لي كثيرا وأخبرني بجملة من أحوال أبيه المذكور في سنة تسع وتسعين. مات بالإسهال في يوم السبت ثاني عشر صفر سنة ست وتسعين ودفن من يومه رحمه الله وإيانا.

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى الشهاب القرشي اليماني الحرضي ثم الزبيدي الشافعي نزيل القاهرة ثم مكة ويعرف بالزبيدي. ولد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة تقريبا وتفقه في بلاده بالفقيه عمر القمني أخذ عنه الإرشاد لشيخه ابن المقري قراءة وسماعا وأجاز له في سنة سبع وستين، وقدم القاهرة فقرأ القراءات فيما أخبرني به على إمام الأزهر النوري وعبد الدائم والشهاب السكندري وابن كزلبغا ثم على الزين جعفر السنهوري ولازم الزين زكريا وحمل عنه شرحه للبهجة والجوجري وقرأ عليه الإرشاد أيضا ووصفه بالشيخ الفاضل العالم الكامل وقال قرأه بفهم ودراية بحيث اطلع على خباياه وفوائده واتضحت له معانيه مع تقييد شوارده وحصل شرحه له وقرأ عليه وسمع قطعة منه، وقال إنه كان السبب في تأليفه له فطالما سأل فيه ووصفه بالفقيه الفاضل المقرئ المجود المفنن وأذن له في إفادتهما وذلك في سنة ثمان وسبعين وكذا أخذ عن ابن قرقماس وسمع على جماعة من المسندين لازمني بالقاهرة ثم بمكة حتى قرأ علي شرحي على ألفية الحديث وسمع القول البديع وحصلهما مع شرح الهداية وقرأ قطعة منه وغيرها من تصانيفي وغيرها وكتبت لهم إجازة حسنة وتصدى بمكة لإقراء المبتدئين وانتفعوا به في القراءات وفي العربية مع خير وسكون وتقنع وإقبال على شأنه ومحبة في العلم وأهله وإرفاد للفقراء بعيشه في بعض الأوقات ولكنه جامد الحركة، وقد قدم القاهرة في أثناء سنة ثمان وثمانين ثم عاد لمكة وسافر منها إلى اليمن وأخذ منه رأس علمائه الفقيه يوسف المقري شرحي على الألفية ونعم الرجل، ثم لما تزايدت فاقته سيما **حين الغلاء بمكة** في سنة ثمان وتسعين عاد إلى اليمن لطف الله به.

أحمد بن النجم محمد بن أبي بكر الشهاب المرجاني الأصل المكي. مضى فيمن جده أبو بكر بن علي بن يوسف.

أحمد بن محمد بن حاجي بن دانيال الشهاب أبو العباس الكيلاني الشافعي المقرئ ويعرف بالحافظ الأعرج، برع في فنون وأتقن القراءات مع ابن الجزري وغيره وأقرأها غير واحد، وممن قرأ عليه جعفر السنهوري، وأثبت شيخنا اسمه في القراء بمصر في وسط هذا القرن، ومات في الطاعون بعد الأربعين.

أحمد بن محمد بن حذيفة المسيري. مضى فيمن جده أحمد رأيته منسوبا لذلك فيمن سمع على التقي بن فهد بمكة.." (١)

"تاج بن سيفا بن عبد الله الفارابي ثم الشويكي – بضم المعجمة مصغر نسبة إلى الشويكة مكان ظاهر دمشق – ويعرف بالتاج الوالي، قال شيخنا في أنبائه: كان في ابتدائه يتعاطى خدمة الاكابر في الحاجة، وذكر لي أنه كان يخدم الشهاب بن الجابي بدمشق وما يدل على أن مولده بعد الخمسين، ثم اتصل بالمؤيد قبل سلطنته بعد أن اتصل بطيبغا القرمشي فخدمه وراج عليه فلما استقر في الملك ولاه الشرطة فباشرها وفوض إليه في أثناء ذلك الحسبة فكان في مباشرته لها **ذاك الغلاء المفرط**؛ ثم في أواخر الدولة صرف عنها واستقر أستادار الصحبة ثم أعيد اليها في مرض موت المؤيد، وحصل له في أوائل دولة الاشرف انحطاط مع استمراره على الولاية ثم خدم الاشرف فراج عليه أيضا وأضاف إليه مع الولاية المهمندارية وأستادارية الصحبة وشاد الدواوين والحجوبية ونظر الاوقاف العامة وغيرها وكان المباشر للولاية عنه غالبا أخوه عمر ثم صار بأخرة كالمستبد بها ثم صرف عنها فقط، واستمر فيما عداها حتى مات بعلة حبس البول وقاسى منه شدائد وكان يعتريه قبل هذا بحيث أنه شق عليه مرة فخرجت منه حصاة كبيرة وأفاق دهرا ثم عاوده حتى كانت هذه القاضية، ولم يتعرض السلطان لماله وترافع أخوه عمر وزوجته وقرر عليها خمسة آلاف دينار ثم أعفيت منها باعتناء أهل الدولة، وكان حسن الفكاهة ذرب اللسان لا يبالي بقول وينقل عنه كلمات كفرية مختلطة بمجون لا ينطق بها من في قلبه ذرة من ايمان مع كثرة الصدقة والبر المستمر، وأرخ وفاته في العشرين من صفر والصواب انها كما قال العيني في ليلة الجمعة العشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين، وقال إنه صلى عليه من الغد خارج باب النصر ودفن بحوش له بحذاء تربة صوفية سعيد السعداء وكانت جنازته حافلة جدا، قال وكان متواضعا متسع الكرم له وضع عند المؤيد جاء معه من الشام وتزايد وضعه عند الاشرف، وولي ولايات كثيرة وكان أهل مصر يحبونه ولكن كان في لسانه زلق يرمى منه مهما جاء. وقال المقريزي كان أبوه قدم دمشق من بلاد حلب وصار من جملة أجنادها وممن قام مع منطاش فأخرج عنه الظاهر برقوق أقطاعه وولد له التاج بناحية الشويكة التي تسميها العامة الشريكة خارج دمشق ونشأ بدمشق في خمول وطريقة غير مرضية إلى أن اتصل بشيخ حين نيابته لها فعاشره على ما كان مشهورا به من اتباع الشهوات؛ وتقلب معه في طوال تلك المحن وولاه وزارة حلب لما ولي نيابتها فلما قدم القاهرة بعد قتل الناصر فرج قدم معه في جملة أخصائه وندمائه فولاه في سلطنته ولاية القاهرة مدة أيامه فما

---

(١) الضوء اللامع، ٣٢٨/١

عف ولا كف عن اثم، وأحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله ثم تمكن في الأيام الاشرفية وارتفعت درجته وصار جليسا نديما للسلطان وأضيفت له عدة وظائف حتى مات من غير نكبة، ولقد كان عارا على جميع بني آدم لما اشتمل عليه من المخازي التي جمعت سائر القبائح وأربت بشاعتها على جميع الفضائح. قلت وهو الذي شفع عند الاشرف في القضاة سنة آمد حتى أعفوا من المسير إليها ورسم باقامتهم في حلب بل وأنعم على المالكي والحنبلي لقتللهما بالنسبة للآخرين بمال وعد ذلك وأشباهه في مآثره.
تاج بن محمود تاج الدين العجمي الاصفهيدي الشافعي نزيل حلب. ولد في سنة تسع وعشرين وسبعمائة تقريبا وورد من العجم إلى حلب فتوجه منها إلى الحجاز فحج ثم عاد إليها وسكن الرواحية بها وولي تدريس النحو بها واقراء الحاوي أيضا، وكان إماما عالما ورعا عزبا عفيفا غير متطلع للدنيا صنف شرحا على المحرر وعلى ألفية ابن مالك في النحو ولكنه ليس بالطائل وغير ذلك، ولم يكن له حظ ولا تطلع إلى أمر من أمور الدنيا، وتصدى لشغل الطلبة والافتاء، وكانت أوقاته مستغرقة في ذلك فالاقراء من بعد الصبح إلى الظهر بالجامع الكبير ومن ثم إلى العصر بجامع منكلي بنا والافتاء من العصر إلى المغرب بالرواحية وربما يقع له الوهم في الفتاوي الفقهية، وهو ممن أسر في الفتنة وأرسل ابراهيم صاحب شماخي يطلبه من تمر لنك واستدعاه إلى بلاده مكرما فتوجه معه إليها واستمر هناك حتى مات في أثناء ربيع الأول سنة سبع؛ وممن قرأ عليه ابن خطيب الناصرية وترجمه بما هذا ملخصه؛ ونحوه لشيخنا في أنبائه.
تاني بك بن سيدي بك الناصري الساقي المصارع رأس نوبة. مات سنة ست وثلاثين.." (١)

"وقبل ذلك مقام إبراهيم أساء فيه الأدب على عالم الحجاز مما يستحق التعزير عليها وبعضها أفحش من بعض، ولم أر منها سوى أولها وهو مشتمل على ازدراء كثير للجوجري ومزيد دعوى يستدل ببعضه على حمقه بل جنه وأما الرابع فهو رد على من قرأ قول القاضي عياض في آخر الشفا: ويخصنا بخصيصي بالتثنية بعد أن كتب إليه ورقة فيها اساءة وغلظة لا تليق بمخاطبة طلبة العلم بحيث كان ذلك حاملا له على الاستفتاء عليه وكتب بموافقته فيما قرره الأمين الاقصرائي والعبادي والبامي والزين قاسم الحنفي والفخر الديمي وكاتبه وأفرد القارئ جزءا سماه المفصل في الرد على المغفل بل أفرد بعض طلبة الجوجري شيئا في الانتصار له وغضب الجوجري ممن توجه لذلك لما تضمن من التنويه بذكر المعترض، وكذا راسل الكمال بن أبي شريف وملا على الكرماني بما لا يليق وأرسل إليه الخطيب الوزيري بولده للروضة ليعرض عليه فرده معللا ذلك بأنه لا يستكمل أباه للوصف بكذا وكذا وكتابة دون هذا لا ترضيه، ولما تكلم بعض الطلبة في

---
(١) الضوء اللامع، ١/٤٩٠

تكفير ابن عربي قال انه يؤذن من الله بحرب وما عسى أن يفعل فيه الحاكم وان الذي يراه مما لا يوافقه عليه المعتقد ولا المنتقد اعتقاده وتحريم النظر في كتبه ثم نقل عنه انه قال يحرم النظر في كلامي. وهو ممن أخذ هذا المذهب عن أبي عبد الله محمد بن عمر المغربي النازل بالقرب من مدرسة قراقجا الحسني فقد تردد إليه دهرا إلى غير هذا. ولو شرحت أمره لكان خروجا عن الحد. وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه، ولا زال أمره في تزايد من ذلك فالله تعالى يلهمه رشده؛ وقد ساعده الخليفة حتى استقر في مشيخة البيبرسية بعد الجلال البكري وخمد من ثم بل جمد بحيث رام ستر نفسه بقوله تركت الاقراء والافتاء وأقبلت على الله، وزعم قبل ذلك انه رأى مناما يقتضي ذم النبي صلى الله عليه وسلم له وأمره خليفته الصديق ر بحبسه سنة ليراجع الاقراء والافتاء حيث التزامه تركهما وانه استغفر وترك هذا الالتزام بحيث لوجئ إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها ثم لم يلبث أن قال ما تقدم، وفارقه المحيوي بن مغيزل لما رأى منه الجفاء الزائد بعد كونه القائم بالتنويه به وذكر عنه من الحقد والأوصاف والتعاظم ما يصدقه فيه الحال ومن ذلك إنه توسل عند الامام البرهاني الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاده من عنده ضعف الأصل وحضر إليه مع العلم سليمان الخليفتي لقبض ذلك فما قال له جزيت خيرا ولا أبدي كلمة مؤذنة بشكره، ونقل له مرة عن السنباطي بعد موته ما يؤذن بجفاء منه فقال فلم لم تعلمني بهذا الا بعد موته فقال لتعلم بواطن الرجال هذا مع مزيد احسانه إليه سيما في **زمن الغلاء وقطع** خبز الشيخونية وطعامها بحيث كان يعطيه في كل أسبوع دينارا حسبما صرح به عن نفسه، وكذا فارقه بعض بني الأتراك ممن شفعه فيه بعد أن كان حنفيا ومع كونه مبتدئا لمزيد احسانه إليه واقباله عليه بل فارق المغربي الذي كان يزعم انه الغاية في الولاية والفتح القربى، ومن هوسه قوله لبعض ملازميه إذا صار الينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل؛ ثم لما كان في سنة ثمان وتسعين قام عليه الشيخ أبو النجا بن الشيخ خلف وأظهر نقصه وخطأه وانقمع منه وذل إلى الغاية ومدح الامام الكركي أبا النجا بأبيات حسبما كتبت ذلك كله في الحوادث؛ وقبل ذلك كتب مؤلفا سماه الكاوي في الرد على السخاوي خالف فيه الثابت في الصحيح مع كوني لم أتكلم في المسئلة إلا قبل بل مذهبي فيه ترك التكلم اثباتا ونفيا فسبحان قاسم العقول.ذلك مقام إبراهيم أساء فيه الأدب على عالم الحجاز مما يستحق التعزير عليها وبعضها أفحش من بعض، ولم أر منها سوى أولها وهو مشتمل على ازدراء كثير للجوجري ومزيد دعوى يستدل ببعضه على حمقه بل جنه وأما الرابع فهو رد على من قرأ قول القاضي عياض في آخر الشفا: ويخصنا بخصيصي بالتثنية بعد أن كتب إليه ورقة فيها اساءة

وغلظة لا تليق بمخاطبة طلبة العلم بحيث كان ذلك حاملا له على الاستفتاء عليه وكتب بموافقته فيما قرره الأمين الاقصرائي والعبادي والبامي والزين قاسم الحنفي والفخر الديمي وكاتبه وأفرد القارئ جزءا سماه المفصل في الرد على المغفل بل أفرد بعض طلبة الجوجري شيئا في الانتصار له وغضب الجوجري ممن توجه لذلك لما تضمن من التنويه بذكر المعترض، وكذا راسل الكمال بن أبي شريف وملا على الكرماني بما لا يليق وأرسل إليه الخطيب الوزيري بولده للروضة ليعرض عليه فرده معللا ذلك بأنه لا يستكمل أباه للوصف بكذا وكذا وكتابة دون هذا لا ترضيه، ولما تكلم بعض الطلبة في تكفير ابن عربي قال انه يؤذن من الله بحرب وما عسى أن يفعل فيه الحاكم وان الذي يراه مما لا يوافقه عليه المعتقد ولا المنتقد اعتقاده وتحريم النظر في كتبه ثم نقل عنه انه قال يحرم النظر في كلامي. وهو ممن أخذ هذا المذهب عن أبي عبد الله محمد بن عمر المغربي النازل بالقرب من مدرسة قراقجا الحسني فقد تردد إليه دهرا إلى غير هذا. ولو شرحت أمره لكان خروجا عن الحد. وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه، ولا زال أمره في تزايد من ذلك فالله تعالى يلهمه رشده؛ وقد ساعده الخليفة حتى استقر في مشيخة البيبرسية بعد الجلال البكري وخمد من ثم بل جمد بحيث رام ستر نفسه بقوله تركت الاقراء والافتاء وأقبلت على الله، وزعم قبل ذلك انه رأى مناما يقتضي ذم النبي صلى الله عليه وسلم له وأمره خليفته الصديق ر بحبسه سنة ليراجع الاقراء والافتاء حيث التزامه تركهما وانه استغفر وترك هذا الالتزام بحيث لوجئ إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها ثم لم يلبث أن قال ما تقدم، وفارقه المحيوي بن مغيزل لما رأى منه الجفاء الزائد بعد كونه القائم بالتنويه به وذكر عنه من الحقد والأوصاف والتعاظم ما يصدقه فيه الحال ومن ذلك إنه توسل عند الامام البرهاني الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاده من عنده ضعف الأصل وحضر إليه مع العلم سليمان الخليفتي لقبض ذلك فما قال له جزيت خيرا ولا أبدي كلمة مؤذنة بشكره، ونقل له مرة عن السنباطي بعد موته ما يؤذن بجفاء منه فقال فلم لم تعلمني بهذا الا بعد موته فقال لتعلم بواطن الرجال هذا مع مزيد احسانه إليه سيما في زمن الغلاء وقطع خبز الشيخونية وطعامها بحيث كان يعطيه في كل أسبوع دينارا حسبما صرح به عن نفسه، وكذا فارقه بعض بني الأتراك ممن شفعه فيه بعد أن كان حنفيا ومع كونه مبتدئا لمزيد احسانه إليه واقباله عليه بل فارق المغربي الذي كان يزعم انه الغاية في الولاية والفتح القربى، ومن هوسه قوله لبعض ملازميه إذا صار الينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل؛ ثم لما كان في سنة ثمان وتسعين قام عليه الشيخ أبو النجا بن الشيخ خلف وأظهر نقصه وخطأه وانقمع منه وذل إلى الغاية ومدح الامام الكركي أبا

النجا بأبيات حسبما كتبت ذلك كله في الحوادث؛ وقبل ذلك كتب مؤلفا سماه الكاوي في الرد على السخاوي خالف فيه الثابت في الصحيح مع كوني لم أتكلم في المسئلة إلا قبل بل مذهبي فيه ترك التكلم اثباتا ونفيا فسبحان قاسم العقول.." (١)

"أولها السادس عشر بعد المائة ولكن تخللها يسير في غيره ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج لكبير تعب فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر وأنشد في آخره قوله من أبيات تزيد على عشرين بيتا: السادس عشر بعد المائة ولكن تخللها يسير في غيره ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج لكبير تعب فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر وأنشد في آخره قوله من أبيات تزيد على عشرين بيتا:

بلغت في ذا اليوم سن الهرم ... تهدم العمر كسيل العرم

وآخر ما أملاه كان في صفر سنة ست وثمانمائة لما توقف النيل وشرق أكثر بلاد مصر **ووقع الغلاء المفرط** وختم المجلس بقصيدة أولها:

أقول لم يشكو توقف نيلنا ... سل الله يمدده بفضل وتأييد

يقول في آخرها:

وأنت فغفار الذنوب وساتر ال ... عيوب وكشاف الكروب إذا نودي." (٢)

"عبد الوهاب بن عبد الله المدعو ماجدا بن موسى بن أبي شاكر أحمد بن أبي الفرج إبراهيم بن سعيد الدولة تقي الدين بن الفخر بن التاج بن العلم بن التاج القبطي المصري الحنفي ويعرف كسلفه بابن أبي شاكر. ولد سنة سبعين أو في التي بعدها بالقاهرة ونشأ في حجر السعادة واشتغل بالفقه وغيره وتميز في الكتابة وتنقل في المباشرات إلى أن باشر نظر ديوان المفرد في آخر الدولة الظاهرية حتى مات وكذا باشر استادارية الأملاك والذخائر والمستأجرات والأوقاف وعظم عند الناصر بحسن مباشرته ثم ولي نظر الخاص بعد موت المجد بن الهيصم ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ست عشرة وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها موجوده وبقي في الترسيم بشباك البرقوقية يستحذى من كل من يمر به من الأعيان حتى حصل مالا له صورة وأفرج عنه وأعيد إلى مباشرة الذخيرة والأملاك ثم قرر في الوزارة بعد صرف التاج بن

---

(١) الضوء اللامع، ٢/٢٣٣

(٢) الضوء اللامع، ٢/٣٠٦

الهيصم فباشرها مباشرة ے سنة وشكره الناس كلهم وحدث في **وزارته الوباء فلم** يشاحح أحدا في وارثه بحيث كثر الدعاء له ولكن لم تطل مدته بل مات بعد تسعة أشهر وذلك يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة تسع عشرة وكان بعيدا من النصارى متزوجا من غيرهم وهي علامة حسن إسلام القبطي سيما مع كثرة فعله الخير والصدقة ومحبته في أهل العلم وأن كان منهمكا في اللذات شديد الوطأة على العامة موصوفا بالدهاء وبالجملة فقد باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله وكان عارفا بالمباشرة جيد الكتابة. ذكره شيخنا في أنبائه وهو صاحب المدرسة التي بين السورين ظاهر القاهرة وقف عليها عدة أوقاف والرباط المقابل لباب جياد من المسجد الحرام ولكنه لم يكمل فكمله الفخر بن أبي الفرج عفا الله عنهما، وطول المقريزي في عقوده ترجمته.

عبد الوهاب بن عبد الله تاج الدين بن كاتب المناخ. في عبد الرزاق.

عبد الوهاب بن عبد المجيد بن قاضي القضاة أبي الحسن علي بن أبي بكر التاج الناشري الزبيدي الشافعي أخو محمد الآتي. ولد في ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وحفظ القرآن والحاوي والألفية والتسهيل وغيرها وأخذها تفهما عن الشيوخ حتى مهر في الفقه والعربية وغيرهما مع العفة والأدب والعقل والوضاءة وصدق اللهجة والحرص على ضبط أوقاته وقصرها على أنواع العبادات. مات في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين شهيدا بالبطن رحمه الله.

عبد الوهاب بن عبد المؤمن بن عبد العزيز القرشي القاهري البزاز والد عبد القادر الماضي. كان ممن يكتب في الإملاء عن شيخنا بل كتب عن ابن زقاعة كثيرا من نظمه مع فضل وخير. مات في سنة خمس وأربعين.

عبد الوهاب بن عبيد الله بن محمد بن أحمد التاج السجيني القاهري الأزهري الشافعي أخو الشهاب أحمد الماضي وهو أصغرهما ووالد علي المرافع.

ولد في سنة عشرين وثمانمائة بسجين من الغربية وتحول منها قريب البلوغ فقطن الجامع الأزهر وجود القرآن وتعلم اللسان التركي وأقرأ في الطبقة عند لاشين اللالا واختص به ثم أعرض عنه لأجل بعض الفقراء وسمع على الزين الزركشي وابن الفرات وشيخنا بل قرأ على الشريف التماية وغيره وكذا قرأ في العربية على نظام الحنفي وسمع فيها على السنهوري واشتغل ولم يتميز بل كان على الهمة. مات يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين، ودفن خارج باب البرقية بتربة قريبة من تربة الشيخ سليم وكنت ممن شهد دفنه رحمه الله وعفا عنه.

عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن خضر بن عبد الوهاب التاج النشرتي ثم الطائفي المسيري الشافعي ويعرف

بابن الخطيب. ممن حفظ القرآن والعمدة والشاطبية والمنهاج والألفيتين وغيرها وعرض على جماعة واشتغل وتميز، وقدم القاهرة فكتب عدة من تصانيفي وقرأ علي القول البديع منها والعمدة وغيرهما بل قرأ علي في الألفية وشرحها بحثا وأكثر من حضور الإملاء وكان خيرا حسن الفهم خطب ببلده وغيرها ومات في أوائل شوال سنة ثمان وسبعين ببلده وقد جاز الأربعين أو قاربها رحمه الله.." (١)

"علي بن محمد بن علي بن ذي الاسمين أيوب عثمان بن ذي الاسمين عبد العزيز عبد المجيد الشهير بأبي المجد بن محمد بن عبد العزيز بن قريش نور الدين وربما كني بأكبر أولاده النجم فيقال أبو نجم الدين بن نجم الدين القرشي الأبودري - بفتح الهمزة ثم موحدة ودال مهملة ثم راء مشددة نسبة لأبي درة من أعمال البحيرة - ثم الدسوقي بضم المهملتين المالكي ويعرف بسنان لسن كانت له بارزة وأيوب في نسبه هو أخو الشيخ إبراهيم الدسوقي صاحب الأحوال. ولد تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة بأبي درة وانتقل منها وهو صغير بعد موت والده وحفظ القرآن عند الشهاب التروجي وتلاه لأبي عمر وعلي بن عامر بلقانه وحفظ عنده الشاطبيتين ثم قدم القاهرة فحفظ بها أيضا العمدة والرسالة ومختصر ابن الحاجب كلاهما في المذهب والملحة وألفية ابن مالك، وعرض على الزين قاسم السمسطائي النويري ولازمه في بحث الرسالة والمختصر معا بل رافقه في سماع الحديث وبحث العمدة على الزين عبيد البشكالسي ومن شيوخه في السماع الصلاح الزفتاوي والتنوخي وابن الشيخة وابن الفصيح والعراقي والهيثمي والأبناسي والدجوي والغماري والمراغي والنور الهوريني والجمال عبد الله الرشيدي وناصر الدين نصر الله الحنبلي والسويداوي والحلاوي وأكثر من المسموع وكان يخبر أنه أخذ الخرقة الدسوقية عن ابن عمه الجمال عبد الله بن محمد بن موسى المنوفي بدسوق في سنة نيف وثمانمائة عن أبيه عن جده موسى عن شقيقه إبراهيم، وقطن دسوق من سنة اثنتي عشرة إلى أن مات شيخ المقام الإبراهيمي بها وهو ابن عمه الشمس محمد بن ناصر الدين محمد بن جلود في سنة أربع وثلاثين فاستقر عوضه في المشيخة فباشرها وصرف عنها مرارا، وحج وزار بيت المقدس ودخل إسكندرية مرارا، وحدث سمع منه الفضلاء حملت عنه الكثير بالقاهرة ثم بدسوق وارتفق بما كان يصله به الطلبة في **سني الغلاء لكونه** كان كثير العيال جدا وكان حينئذ منفصلا عن المشيخة، وكان خيرا ضابطا صدوقا ثقة ثبتا ساكنا وقورا صبورا على إسماع متواضعا سليم الفطرة مستحضر الفوائد. مات في ليلة الجمعة حادي عشر رمضان سنة تسع وخمسين بدسوق على مشيختها ودفن عند الضريح البرهاني وخلف أولادا رحمه الله وإيانا.

---

(١) الضوء اللامع، ٢/٤٨٢

علي بن محمد بن علي بن الحسين بن حمزة بن محمد بن ناصر الدين العلاء أبو الحسن وأبو هاشم بن الحافظ الشمس أبي المحاسن الدمشقي الشافعي والد أحمد الماضي. ولد في ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبعمائة وأمه عائشة ابنة محمد بن عبد الغني الذهبي، واعتنى به أبوه فأحضره في الأولى على عمر بن عثمان بن سالم بن خلف جزء الغطريف وغيره وعلى ناصر الدين محمد بن أزبك الخازنداري المهروانيات وغيرها وفي الرابعة على إسماعيل بن السيف أربعي أبي الأسعد القشيري وفي الخامسة على أحمد بن النجم السمعونيات وسمع من البياني جزء غلام ثعلب ومن ست العرب وغيرهما، وحدث سمع منه الفضلاء روى لنا عنه الموفق الأبي وكان رفيقا للحافظ ابن موسى في الأخذ عنه، وأجاز لابن فهد وولدي شيخنا، وذكره في معجمه وكان ناظر الأوصياء بدمشق. مات بها في شوال سنة تسع عشرة رحمه الله.

علي بن محمد بن علي بن حسين بن محمد الشرف الأرموي. فيمن اسم أبيه أحمد.

علي بن محمد بن علي بن خليل نور الدين بن الشمس القاهري الأصل المكي والد عمر الآتي وأبوه ويعرف كهو بابن السيرجي. ولد في سنة سبع وثمانمائة بمكة وأمه أم الخير ابنة الجمال إبراهيم الأميوطي ونشأ بها، كان بيده التكلم على دار أم المؤمنين خديجة المعروفة بمولد السيدة فاطمة تلقاه عن أبيه، ومات مقتولا بطريق وادي مر في ذي القعدة سنة ثمان وستين وحمل إلى مكة فدفن بمعلاتها ولم يكن محمودا عفا الله عنه.

علي بن محمد بن علي بن درباس العلاء بن العلاء ذكره البقاعي في شيوخه مجردا. علي بن محمد بن علي بن سعدون التجيبي الجرائري قاضيها. مات سنة بضع وخمسين.

علي بن البهاء محمد بن علي بن سعيد بن سالم بن عمر بن يعقوب بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن طاهر بن محمد بن صبح البهاء الأنصاري ويعرف بابن إمام المشهد. ولد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وأسمع على عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي اليسر ومحمد وزينب ابني ابن الخباز. ذكره شيخنا في معجمه وقال أجاز لي؛ ولم يؤرخ وفاته فذكرته ظنا.." (١)

"البدر حسن بن إبراهيم الخالدي الماضي:بدر حسن بن إبراهيم الخالدي الماضي:

لك الله محيي الدين بحر مكارم ... وبحر علوم لا يحاط عميقه

فيا مجمع البحرين قد فقت حاتما ... وفي الفضل للنعمان أنت شقيقه

---

(١) الضوء اللامع، ١٢٦/٣

وكان كثير الإجلال حسبما بينته في موضع آخر، ولم يزل على جلالته ووجاهته إلى أن ابتدأ به المرض في أوائل المحرم سنة تسع وسبعين بالزحير وتوالي الإسهال بحيث كان يعتريه غم بسببه ولا يمكن كبير أحد من الجلوس معه غالبا، ثم مات بعد أن سمعت منه أن السلطان عينه لمشيخة مدرسته في تتمات كتبتها في الوفيات وغيرها في صبيحة يوم الجمعة رابع جمادى الثانية منها وحمل نعشه حتى صلى عليه بسبيل المؤمني باستدعاء السلطان له وشهوده الصلاة عليه ثم دفن بحوش كان أعده لنفسه وحوطه قبل موته بثلاثة أيام بجوار سبيل التربة الأشرفية كان هو يدفن به الغرباء المترددين إليه ونحوهم، وتأسف الناس على فقده ولم يخلف مثله رحمه الله وإيانا.

٦٥٦ – محمد بن سليمان بن محمد بن أبي بكر الدمشقي الصالحي نزيل القاهرة. ولد بصالحية دمشق سنة بضع وأربعين وسبعمائة ولازم التاج بن السبكي والتقي بن الشهيد وابن كثير وسمع عليه وعلى العماد الحسباني وصحب الجلال بن خطيب داريا دهرا وكتب عنه، وكان حسن الإدراك كثير الفوائد مع إعجاب بنفسه، وقدم القاهرة في سنة اثنتين وثمانين ولزمته مدة وكنت له محبا ومنه مستفيدا. قاله المقريزي في عقوده وحكى عنه عن التقي عبد الله بن جملة أن شخصا سماه لما **حدث الوباء الكبير** في سنة تسع وأربعين وسبعمائة أمر في الحال ببيع ثيابه وعقاره والتصدق بثمن ذلك ففي تلك الليلة التي تم فيها هذا رأى في منامه قائلا يقول له في هذه الليلة كان انقضاء عمرك إلا أن الله قد زاد في عمرك لما فعلت ست عشرة سنة، إلى غيرها من الأشعار والحكايات. مات بالقاهرة في ذي القعدة سنة عشرين رحمه الله.

٦٥٧ – محمد بن سليمان بن مسعود الشمس الشبراوي – نسبة لشبرا النخلة بالمنوفية – القاهري الشافعي والد محمد الآتي. ذكره شيخنا في إنبائه مقتصرا على اسمه ونسبته وقال: اشتغل كثيرا وكان مقتدرا على الدرس فدرس كتاب الشفا وعرضه ثم مختصر مسلم للمنذري ولم يكن بالماهر. مات في سلخ سنة أربع عشرة. قلت وكذا حفظ غير ذلك كالتنبيه والألفيتين، وقد جاور في سنة سبع وتسعين بالمدينة وسمع بها على الزين المراغي والعلم سليمان السقاء، وكان إمام السنقورية بالقاهرة واتفق أنه كان جالسا بخلوته منها فلعبت النار من القنديل في عمامته وغيرها من أثوابه فبادر وألقى نفسه في بركة المدرسة.

٦٥٨ – محمد بن سليمان بن وهبان المدني عم سليمان الماضي. سمع على الزين المراغي في سنة خمس عشرة. محمد بن سليمان الحكري.

٦٥٩ – محمد بن سليمان الفيومي بواب الزمامية بمكة، ذكره ابن فهد مجردا.

٦٦٠ – محمد بن سليم بن كامل الشمس الحوراني ثم الدمشقي الشافعي. قال شيخنا في إنبائه: تفقه

وتمهر واعتنى بالأصول والعربية وكان من عدول دمشق وقرأ الروضة على العلاء حجي وكتب عليها حواش مفيدة وأذن له في الإفتاء ودرس وأعاد وتصدر وأفاد؛ وكان أسمر شديد السمرة أكثر أقرانه استحضارا للفقه ممن يكتب الحكم وكتب للتاج السبكي كثيرا من مصنفاته. مات في رجب سنة ثلاث بعد أن عوقب بأيدي اللنكية وقد قارب الستين وليس في لحيته شعرة بيضاء رحمه الله. محمد بن سند. يأتي في ابن علي.

٦٦١ – محمد بن سنقر أبو السعود الجمالي نزيل مكة وشاد عمارة السلطان مع الحسبة. سمع مني هو وأبوه المسلسل وحديث زهير العشاري وكتبت لهما إجازة بل قرأ على الأربعين النووية.

٦٦٢ – محمد بن سنقر الأمير ناصر الدين الاستادار، مات سنة تسع.

٦٦٣ – محمد بن سنقر الشرفي – نسبة لابن شرف الدين صاحب الجامع الشهير بالحسينية لكون والده مولاه ويعرف بلغيلغ. مات في جمادى الآخرة سنة ستين ودفن خلف تربة الصوفية الصغرى. أرخه ابن المنير وقال كان أميا له كلمات حسنة وخبرة بالصالحين وللناس فيه اعتقاد رحمه الله.

٦٦٤ – محمد بن سنقر ابن أخت تغري بردى القادري. اعتنى به خاله فأسمعه مع ولدي شيئا. ومات.." (١)

"ودونك للإرشاد شرحا منقحا ... خليقا بأوصاف المحاسن والمدح

تكفل بالتحرير والبحث فارتقى ... وفي الكشف والإيضاح فاق على الصبح

بعين الرضا فانظره أن جاء محسنا ... فقابله بالحسنى وإلا فبالصفح

وكذا كتبت له مرثية لشيخه المناوي ومقطوعا في النجم بن فهد وقوله أيضا مما سمعته منه:

قل للذي يدعى حذقا ومعرفة ... هون عليك فللأشياء تقدير

دع الأمور إلى تدبير مالكها ... فإن تركك للتدبير تدبير

وترجمته تحتمل أكثر مما ذكر.

٢٩٦ – محمد بن عبد المهدي بن علي بن جعفر المكي. كان من مشارفي ديوان حسن بن عجلان في بعض ولايته على مكة. مات في سنة اثنتي عشرة ببعض بلاد اليمن. ذكره الفاسي. محمد بن بعد المؤمن البرنوسي.

٢٩٧ – محمد بن عبد الهادي بن أبي اليمن محمد بن أحمد بن الرضى إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو اليمن الطبري المكي؛ وأمه زينب ابنة أبي عبد الله محمد بن أبي العباسي بن عبد المعطي. بيض له ابن

---

(١) الضوء اللامع، ٣٤/٤

فهد.

٢٩٨ – محمد أبو حامد أخو الذي قبله. سمع من ابن الجزري في سنة ثلاث وعشرين. ذكره وبيض له أيضا.

٢٩٩ – محمد بن الجلال أبي المحامد عبد الواحد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب الجمال المرشدي المكي الحنفي. ولد في صفر سنة ثمان واشتغل على أبيه ولم يتزوج ولا سافر، وكان مباركا ساكنا. مات في ربيع الآخر سنة ست وأربعين بمكة. أرخه ابن فهد.

٣٠٠ – محمد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد الشرف السنقاري نزيل هو. ولد في المحرم سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان أبوه موسرا فمات. بعد الثمانين ونشأ هو يتعانى التجارة والزراعة ويتردد إلى القاهرة، وتقلبت به الأمور وتفقه قليلا وأخذ عن المشايخ، وكان فاضلا مشاركا متدينا بحيث كان. يقول ما عشقت قط ولا طربت قط. مات في الطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وكان يحكى عن ناصر الدين محمد بن محمد بن عطاء الله قاضي هو أنه كانت بجانب داره نخلة جربها بضعا وثلاثين سنة إن قل حملها توقف النيل وإن كثر زاد وإنها سقطت في سنة ست وثمانمائة فقصر النيل في تلك السنة ووقع الغلاء المفرط. ذكره شيخنا في إنبائه والمقريزي في عقوده وطوله.." [١]

"وأني لأهواكم على السمع والثنا ... وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

وهو في عقود المقريزي وقال أن البشتكي كان يدعي أنه ينظم له رحمه الله وعفا عنه.

محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر، وربما قدم عبد الله على أبي بكر وحينئذ فهو الشرف بن المعين أو العفيف بن البهاء بن التاج بن المعين المخزومي الدماميني ثم السكندري المالكي، كان أبوه ناظر الإسكندرية ونشأ هو فتعاني الكتابة وباشر في أعمالها ثم سكن القاهرة وكان حاد الذهن فباشر عند الجمال محمود الاستادار واشتغل بالعلم في غضون ذلك فبرع في الفقه وأصوله والعربية وغلب عليه الحساب وتعاني الديونة ثم قدم القاهرة وخدم الجمال محمود ابن علي الاستادار فاشتهر وأثرى وعرف بالمكارم والسماح وبذل الكثير حتى ولي حسبة القاهرة في رمضان سبع وتسعين عوضا عن البهاء بن البرجي فدام أزيد من أربعة أشهر ثم صرف وأعيد بعد أيام وباشر قليلا في **اشتداد الغلاء وتشحط** الحوانيت من الخبز ثم صرف ثم ولي وكالة بيت المال ونظر الكسوة في رجب التي تليها ثم أضيفت الحسبة اليهما بل كان سعي بعد موت الكاستاني في كتابة السر بقناطر ذهب وهو عشرة آلاف دينار فلم يسعفه

---

(١) الضوء اللامع، ٤/١٤٤

برقوق بذلك، وكذا سعي في القضاء وعين له فقام عليه المالكية حتى انتقض، ثم ولي نظر الجيش في ثامن ربيع الاول سنة تسع وستين بعد موت الجمال محمود القيصري وباشرها مع الوكالة إلى أن صرف عن نظر الجيش في سابع ذي القعدة سنة ثمانمائة بسعد الدين بن غراب رفيقه عند محمود هذا ودام في الوكالة ثم أعيد للجيش ثم استقر فيها وفي نظر الخاص معا هرب إبنا غراب فلما خلصا قبضا عليه أفرجا عنه فولي قضاء اسكندرية حتى مات في سابع عشري المحرم سنة ثلاث. ذكره شيخنا في إبنائه ملخصا والمقريزي مبسوطا، وقال شيخنا: كان فيه مع حدته وذكائه كرم وطيش وخفة وكان يعادي ابن غراب فعمل عليه حتى أخرجه من القاهرة لقضاء اسكندرية ولم يلبث أن مات بها مسموما على ما قيل، وقال المقريزي أيضا أنه صحبه فخبر منه معرفة تامة بصناعة الحساب ودربة بالمباشرات وذكاء وحدة وكرما مع طيش وخفة وتهور كثير عفا الله عنه، وأثنى عليه العيني فقال وحصل طرفا من العلوم في أثناء مباشراته وجمع كتبا جدا وكان عارفا بالعلوم الديوانية جيدا ذكيا كريما ذامروءة تامة وفتوة محسنا إلى أصحابه متعصبا لمن يلوذ ببابه ذا خلق جميل وسماط جزيل وأدب ورياسة ودربة وسياسة رحمه الله وعفا عنه.

محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله بن أحمد البدر بن البهاء المشهدي القاهري الازهري الشافعي سبط القاضي الشمس محمد بن أحمد الدفري المالكي والماضي أبوه ويعرف بابن المشهدي. ولد في ثامن عشر شوال اثنتين وستين وثمانمائة ونشأ في كنف أبويه وأحضره أبوه في الثانية ختم ابن ماجه على البوتنجي ومن معه ثم حفظ القرآن والعمدة وبعض المنهاج واشتغل عنده وعند ابن قاسم والجوجري ويحيى بن حجي والشرف عبد الحق السنباطي وقرأ على قطعة من ألفية العراقي باشارة أبيه ثم لازم الزين زكريا وكذا الخيضري وسمع قليلا على ألفية العراقي باشارة أبيه لازم الزين زكريا وكذا الخيضري وسمع قليلا على القمصي وابن الملقن والمتوتي والشهاب الحجازي وأم هانئ الهورينية وهاجر القدسية وتميز وشارك في القضاء بل وأذن له ابن قاسم والجوجري وكذا والده في الحديث واستقر بعده في أكثر جهاته لم يخرج عنه منها سوى المزهرية والنيابة بالبرقوقية ولم يكن يقصر عنهما بالنسبة للوقت، وقد لازمني بعد ذلك في شرحي للألفية وغيره. وكتب بعض تصانيفي، وهو كثير السكون والعقل والأدب والفضيلة مع تقلله وكتب على نظم العراقي للاقتراح شرحا قرضته مع جماعة.." (١)

"٤٩٥ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشمس الدلجي الشافعي نزيل مكة. ولد سنة ستين وثمانمائة تقريبا بدلجة ونشأ بها يتيما فحفظ القرآن ثم تحول مع عمه إلى القاهرة فقطن الأزهر سنة وقرأ

---

(١) الضوء اللامع، ٣٠٢/٤

في التنبيه ثم بمفرده إلى الشام فدام بها مدة دخل في أثنائها حلب فأقام بها أربع سنين وأخذ في دمشق عن الزين خطاب في الفقه وغيره ولازمه نحو سنتين والشهاب الزرعي والتقى بن قاضي عجلون وبه تفقه وعنه أخذ أصول الفقه وقرأ في المنطق وبعض المطول على ملا زاده. وأكمل المطول على غيره وفي المعاني والبيان على ملا حاجي والعربية والعروض على المحب البصروي بل قرأ عليه بعض شرحه على الإرشاد ومصنفه في الفرائض وشرحه بكمالهما ولازم البقاعي هناك حتى قرأ عليه صحيح مسلم وسمع في غيره بحثا وغيره وفي حلب على قل درويش بعض شرح العقائد وعلى عثمان الطرابلسي في الكشاف وسافر من الشام لمكة فقطنها من سنة اثنتين وتسعين وحضر بها دروس القاضي وربما أقرأ، وذكر لي أنه اختصر المنهاج وله نظم وسمع مني وعلي أشياء وكان يتأسف على عدم تحصيل تصانيفي لمزيد فاقته ولما **اشتد الغلاء بمكة** توجه في أثناء سنة تسع وتسعين بحرا إما للشام أو لمصر أو لهما أنجح الله قصده.

٤٩٦ – محمد بن محمد بن محمد بن أسعد بن عبد الكريم بن سليمان بن يوسف بن علي بن طحا الفخر أبو اليمن بن العلاء أبي بكر بن الكمال الثقفي القاياتي المصري الشافعي. ولد في رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة قال شيخنا ولم نجد له من المسموع ما هو على قدر سنه مع أن جده كان فاضلا محدثا له عمل قليل في الفن وناب في الحكم ونشأ هذا وهو من بيت حكم وعدالة فحفظ المنهاج وكتبه بخطه بل كتب عليه ودرس بعدة أماكن مع قلة بضاعته في العلم ولكنه كان دربا في الأحكام متوددا متواضعا محصلا للدنيا باشر التوقيع ثم النيابة في قضاء مصر والجيزة وباشرها مدة طويلة منفردا ثم أشرك معه غيره مع استمراره على أنه الكبير فيهم، وعين للقضاء الأكبر فامتنع بل استمر نائبا حتى مات، وجاور بمكة مرارا وجرد بها القرآت السبع على كبر السن عند بعض المتأخرين بل قرأ بها كثيرا من الحديث يعني على النشاوري والجمال الأميوطي وغيرهما وكذا قرأ بالقاهرة على السويداوي وغيره ونسخ بخطه الكثير وحصل مجاميع حديثية من مسموعاته. قلت رأيتها وحصل لسبطته أم هانئ ابنة الهوريني مسموعا كثيرا بمكة وغيرها قال شيخنا ورأيت سماعه في جامع الترمذي بخط المحدث جمال الدين الزيلعي على أبي الحسن العرضي ومظفر الدين بن العطار ولم يحدث بذلك، وكذا سمع على المحدث نور الدين الهمداني وغيره الخلعيات قرأتها بل كان يذكر أنه سمع على أبي الفرج بن عبد الهادي فقرأت عليه أربعين من صحيح مسلم عنه ولم أقف له على سماع على الميدومي مع إمكان ذلك. مات في حادي عشر رجب سنة ثمان وقد جاز

الثمانين ودفن بتربته بالقرب من مقام الشافعي وخلف مالا طائلا وأوصى بثياب بدنه لطلبة العلم ففرقت فيهم وحدثنا عنه جماعة. وممن ذكره المقريزي في عقوده لكن بإسقاط محمد الثالث رحمه الله وإيانا.." (١)

"٥١٠ – محمد أبو السعود شقيق الذي قبله. ولد في فجر يوم الخميس ثاني عشرى شعبان سنة أربعين وثمانمائة. ومات وأنا بمكة في منتصف ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين فجأة وكان خيرا ساكنا مواظبا على الجماعة والتلاوة منجمعا عن الناس قليل الكلام ممن حفظ القرآن والمنهاج وأخذ في الفقه وغيره عن الزين خطاب والكمال أمام الكاملية حين مجاورتهما وفي العربية عن عمه البدر حسن وسمع الحديث قديما وحديثا وأجاز له جماعة بل سمع مني وعلي بمكة بعد الثمانين رحمه الله وإيانا.

٥١١ – محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي الشمس أبو عبد الله السرسنائي الأصل المحلي الشافعي ويعرف بابن أبي عبيد وهي كنية جده. ولد في ليلة حادي عشرى رمضان سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة بالمحلة ونشأ بها فحفظ القرآن والشاطبيتين التيسير والعنوان ومختصر أبي شجاع والمنهاج وجمع الجوامع والملحة وألفية ابن ملك وعرض على بعض أعيان بلده وتلا بالسبع إفرادا وجمعا على الشهاب بن جليدة والزين جعفر السهنوري وابن أسد وعبد الغني الهيثمي ولم يكمل عليه خاصة وأخذ الفقه وأصوله والفرائض والعربية عن الشمس بن كتيلة وقدم القاهرة فحضر دروس المناوي والعبادي وأبي السعادات البلقيني والجوجري وزكريا في الفقه وعن الثلاثة الأخيرين أخذ في الأصول وعن أبي السعادات في العربية وأخذها معا عن ابن الفالاتي وتميز ولازمني في الحديث رواية ودراية ومما قرأه علي البخاري وجملة من الكتب الستة، وكتب من تصانيفي القول البديع وغيره وقرأ على عدة منها. وناب في قضاء المحلة عن ابن العجيمي وغيره بل استقل بها وقتا وخطب بعدة أماكن واستقر به ابن الغمري خطيب جامع التوبة الذي أنشأه وسكنه وقرأ الحديث على العامة وترقى فيه وفي الخطابة ونحوهما مع المشاركة في الفضائل وجودة المباحثة والفصاحة والقدرة على التعبير عن مراده وحسن الكتابة والبراعة في الشروط والأحكام بحيث حسده ابن العجيمي فمن دونه ورموه بالتساهل والجرأة في الأحكام والقضايا وتعب بسبب ذلك خصوصا في أيام الزيني زكريا بحيث عزله وأعاده عن قرب مع اعترافه بتمام فضيلته ولكنه قال لي أنه سوهائي المحلة وآل أمره إلى أن صودر ورسم عليه بل سجن بالقلعة وغيرها وما نهض للقدر الذي ألزم به وصار بعد ذلك فقيرا وحيدا حتى أنه جلس مع ابن المدني برأس سوق أمير الجيوش وما أنصفه القاضي وكانت بينه وبين أبي البركات الصالحي مناطحات.

---

(١) الضوء اللامع، ٣٩٧/٤

٥١٢ – محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر البهاء بن الشمس بن النظام المقرئ الصوفي والده الماضي ابن أخت الشمس بن قاسم. سمع مني وقرأ قليلا ثم فسد حاله وأدخل سجن أولى الجرائم حتى مات بعد الثمانين ظنا. محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشمس الدلجي المقرئ ويدعى قريشا. سبق هناك ويأتي في ابن أبي يزيد أيضا.

٥١٣ – محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشمس بن سعد الدين بن نجم الدين البغدادي القاهري الزركشي المقرئ الشاعر والد عبد الصمد. ذكره شيخنا في معجمه فقال: أصله م نشيراز ثم سكن القاهرة وشذا طرفا من الأدب وأتقن القرآت والعروض وعمل فيه منظومة كان شيخنا المجد إسماعيل الحنفي القاضي يطريها ويقرئها أولاده لإعجابه بها وكذا له قصائد سماها العواطل الخوالي بمدح خير الموالي نبويات أجاد فيها والتزم فيها أشياء مخترعة مع كونها كلها بغير نقط وعمل في الظاهر برقوق مرثية طويلة أنشدها للسالمي فأثابه عليها الإمامة في سعيد السعداء وأنشدني لنفسه مما قاله **في الغلاء الكائن** في سنة سبع وسبعين:

أيا فادي الضيوف بكل خير ... ويا برا نداه مثل بحر

لقد **جار الغلاء على** عدوا ... وها أنا قد شكوت إليك فقري." (١)

"ومدحه ابن الجزري بما سيأتي في منصور بن الحسن وتلقن منه الذكر بالقاهرة في هذه السنة غير واحد كالأمين الأقصرائي والعز الحنبلي وكذا صحبه في غيرها الجمال المرشدي المكي وجمال بن جلال النيربزي والطاوسي وقال إنه قرأ عليه نظمه الفارسي في آخرين كالسيد الصفي الإيجي وأجاز لابن أخيه العلاء بن السيد عفيف الدين، وذكره التقي بن فهد في الكنى من معجمه وبيض له. ودخل الشام وحلب وبيت المقدس وغيرها، وحج وتلمذ له خلائق وصار له صيت وشهرة. قال النقي بن قاضي شهبة: اجتمعت به فرأيته شيخا كبيرا ابن ثمانين سنة وهو ببلاد تيمور وله بالطريق عن بلاده سنة وأربعة أشهر وهو عالم كبير جليل المقدار ذو علوم كثيرة، وقال العلاء القابوني البخاري أنه سأل عن مسئلة من مشكلات العربية فتكلم فيها أحسن كلام. وقال الجمال يوسف العجمي نزيل دمشق أنه في العلم كالعلاء البخاري ولكنه يميل إلى الدنيا وذكر أن شاه رخ بن تمر قال له حج في البحر أسهل عليك فقال أريد أن أزور بلاد الشام ومن بها من الصالحين والعلماء أحياء وأمواتا فإنه ليس وراء الفرات قبر نبي انتهى. وقوله يميل إلى الدنيا ليس يجيد بل هو بعيد عن ذلك وقد أزال في هذه السفرة ما كان يتوقع من الشر بين إسكندر صاحب تبريز وشاه رخ

---

(١) الضوء اللامع، ٤/٤٠٢

بن تمر حين دخول الشيخ تبريز في حكاية طويلة فيها له كرامة. وعمر حتى مات في يوم السبت غرة شوال سنة ثمان وثلاثين ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها وأبعد جدا من قال أنه جاء الخبر لدمشق بوفاته في سنة خمسين رحمه لله ونفعنا به.

محمد بن محمد بن محمد بن علي أمين الدين المنصوري - نسبة للمنصورية بالبيمارستان - الحنبلي ابن ربيب الشمس محمد بن عبد الله الأئميدي الماضي ويعرف بأمين الدين بن الحكاك. ولد سنة خمس وثلاثين تقريبا وسمع وهو صغير مع الإئميدي على ابن بردس و ا بن الطحان بحضرة البدر البغدادي وكذا سمع على المحب بن نصر الله وربما كان يجلسه حين السماع على فخذه أو نحوه، وحفظ المقنع في الفقه ومختصر الطوفي في الأصول وألفية ابن ملك وعرض على جماعة منهم شيخنا وأخذ في الفقه عن ابن الرزاز والبدر البغدادي وزوجه ابنة الجمال بن هشام والعز الكناني واستنابه وذلك بعد أن تكسب بالشهادة والتوقيع وتميز فيها، وتنزل في الجهات ورجحه البدر قاضيهم غير مرة في الفهم والفروع على سائر جماعته مع استحضار كتابه وتودد وأدب وهيئة وخبرة بالحشمة وإسراف فيما قيل على نفسه ولكن أخبرني بعضهم بتوبته قبيل موته تعلل مدة ثم مات في حياة أبويه في صفر سنة ست وتسعين بعد أن أنشأ دارا بالدرب المواجه لحمام ابن الكويك بالقرب من رأس حارة زويلة وصلي عليه برحبة مصلى باب النصر ثم دفن بتربة قريبا منها تجاه تربة الرقاقية وتأسف كثيرون عليه رحمه الله وعفا عنه.

محمد بن محمد بن محمد بن العماد. يأتي فيمن لم يسم أبوه ثالث المحمدين.

٦٨٣ - محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البدر ابن أبي عبد الله بن الإمام أبي عبد الله بن أبي حفص ابن القدوة أبي بكر البالسي الأصل الدمشقي الصالحي ويعرف بابن قوام. ولد في تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وسمع علي الحجار وإسحق بن يحيى الأمدي والمزي وابن المهندس والنجمين ابن هلال والعسقلاني وعبد القادر بن عبد العزيز الأيوبي وزينب ابنة ابن الخباز؛ ذكره شيخنا في معجمه فقال: الشيخ المسند الكبير لقيته بزاوية جده في صالحية دمشق وكان خيرا فاضلا من بيت كبير حصل له في سمعه ثقل فقرأ عليه كلمة كلمة كالأذان وكنا نتحقق تسميعه تارة بصلاته على النبي صلى الله عليه وسلم وتارة بترضيه على الصحابة ونحو ذلك وكان تفرد برواية الموطأ لأبي مصعب بالسماع المتصل مع العلو فقرأناه وغيره عليه و أصيب في الكائنة العظمى بدمشق فاحترق في شعبان سنة ثلاث رحمه الله. قلت روى لنا عنه بالسماع سوى شيخنا جماعة وآخر من يروى

عنه بالإجازة حفيد الجمال يوسف العجمي؛ وهو في عقود المقريزي وأسقط من نسبه محمدا على جاري أكثر عوائده.." [١]

"وحج رضي الله عنه من المدينة إلى مكة، فلم يضرب له فسطاط، ولا خباء حتى رجع، وكان إذا نزل يلقي له كساء، أو نطع على شجرة فيستظل بذلك، وكان رضي الله عنه أبيض يعلوه حمرة، وإنما صار في لونه سمرة في عام الرمادة، حين أكثر من أكل الزيت توسعة للناس أيام الغلاء، فترك لهم اللحم والسمن، واللبن، وكان قد حلف أن لا يأكل إداما غير الزيت حتى يوسع الله على المسلمين، **ومكث الغلاء تسعة** أشهر، وكانت الأرض قد صارت سوداء مثل الرماد، وكان يخرج يطوف على البيوت ويقول: من كان محتاجا فليأتنا، وكان رضي الله عنه يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد صلى الله عليه وسلم على يدي، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء، وكان يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة، فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا، وكان يسمع حنينه من وراء ثلاث صفوف، وكان رضي الله عنه يقول: ليتني كنت كبشا أهلي سمنوني ما بدا لهم ثم ذبحوني، فأكلوني وأخرجوني عذرة، ولم أكن بشرا.

ولما مرض كانت رأسه في حجر ولده عبد الله فقال له: يا ولدي ضع رأسي على الأرض فقال له عبد الله: وما عليك إن كانت على فخذي، أم على الأرض؟ فقال: ضعها على الأرض فوضع عبد الله رأسه على الأرض فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي ثم قال رضي الله عنه: وددت أن أخرج من الدنيا، كما دخلت لا أجر لي، ولا وزر علي ثم قال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفرط، فلما مات رآه العباس رضي الله عنهما فقال له: كيف وجدت الأمير يا أمير المؤمنين؟ قال: كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت ربا رحيما، وكان إذا مر على مزبلة يقف عندها، ويقول: هذه دنياكم التي تحرصون عليها، وكان يقول: أضروا بالفانية خير لكم من أن تضروا بالباقية يعني الآخرة.

وكان يأخذ التبنة من الأرض ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أك شيئا ليتني كنت نسيا منسيا، وكان رضي الله عنه يحب الصلاة في وسط الليل، وكان إذا حصل بالناس هم يخلع ثيابه، ويلبس ثوبا قصيرا لا يكاد يبلغ ركبتيه، ثم يرفع صوته بالبكاء، والاستغفار، وعيناه تذرفان حتى يغشى عليه، وكان يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل والأيتام، فقال له بعضهم: دعني أحمل عنك فقال: ومن يحمل عني يوم القيامة ذنوبي، وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الإمام عثمان بن عفان

---

(١) الضوء اللامع، ٤/٤٤٣

رضي الله تعالى عنه ورحمه

ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم: رقية ثم أم كلثوم.

وحاصروه تسعة وأربعين يوما، ثم قتلوه صبرا، والمصحف مفتوح بين يديه، وهو يقرأ، وكان رضي الله عنه شديد الحياء حتى إنه ليكون في البيت والباب مغلق عليه، فما يضع عنه الثوب عند الغسل ليفيض عليه، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه، وكان يصوم النهار، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله، وكان يختم القرآن في كل ركعة كثيرا، وكان يخطب الناس وعليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة، وكان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته، فيأكل الخل والزيت، وكان يردف خلفه غلامه أيام خلافته، ولا يستعيب ذلك.

وكان إذا مر على المقبرة بكى حتى بل لحيته رضي الله عنه، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الإمام علي بن أبي طالب

رضي الله تعالى عنه

ونسبه مشهور. وكان برضي الله عنه يقول الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مخالطة الكلاب.

قلت: والمراد بالدنيا ما زاد على الحاجة الشرعية بخلاف ما دعت الضرورة إليه، وذلك أن فضول الدنيا شهوات، وأهل الشهوات كثير، ولذلك ما رؤي زاهد قط في محل مزاحمة على الدنيا، كما هو مشاهد، وإنما سمي طالب الفضول كلبا للدنيا لتعلق قلبه به، لأن الكلب مأخوذ من التكلب، وكل من عسر عليه فراق شهوته فهو كلبها، فافهم فما توسع من توسع في مأكل، أو ملبس إلا لقلة ورعه، والشارع لم يأمرنا بالتوسع في الشبهات، والله أعلم.

قال أبو عبيدة رحمه الله: ارتحل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تسع كلمات، قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب.." (١)

"ابن معضاد بن شداد الزاهد العابد ذو الأحوال الغريبة، والمكاشفات العجيبة، وكان مجلس، وعظه يطرب السامعين، ويستجلب العاصين، أخبر بموته قبل وفاته، ونظر إلى موضع قبره، وقال يا قبير جاءك دبير، وكان يضحك أهل مجلسه إذا شاء في حال بكائهم، ويبكيهم إذا شاء في وسط ضحكهم، وكان يعظ، وهو يمشي بين أهل مجلسه يسدي، وينير وكان له مريدة تسمع، وعظه، وهو بمصر، وهي بأرض أسوان من أقصى الصعيد فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون أنشد:

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/١٧

قاعدة في الطاقة ... والكلب يأكل في العجين

يا كلب كل وتهنى ... ما للعجين أصحاب

فالتفتت المريدة، فإذا الكلب يأكل في عجينها، وأرخوا الحكاية، فجاء الخبر بذلك، وكان من أصحابه الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر، وقبره بالصعيد يزار، وكان يوما. يعظ، والناس يبكون، فقال: لهم قولوا معي شقع بفع بالله يقع، فجاء الخبر أن القاضي المالكي نزل من باب الدرج من قلعة مصر، فوقع، فانكسرت رقبته فجاء الخبر أنهم عقدوا للشيخ عقد مجلس في منعه من الوعظ، وقالوا: إنه يلحن في القرآن وفي الحديث، فامتنع القضاة الثلاثة، وأفتى المالكي بمنعه، فجاء القضاة الثلاثة، وقبلوا رجل الشيخ، وقالوا كلنا كنا هالكين لو أفتينا فيك بشيء، فقال: الشيخ نحن لا نلحن إنما سمعكم هو الذي يلحن، ويسمع الزور، والباطل، وكان يكاتب السلطان: من إبراهيم الجعبري إلى الكلب الزوبري، فكان السلطان يقول: من أطلع هذا على اسمي في بلادي إنه، والله اسمي في بلادنا قبل أن أجيء، فعقد العلماء له مجلسا وأفتوا بتعزير الشيخ، فحبس الشيخ بولهم، وبول السلطان، فعجزوا عن إطلاقه بكل حيلة، فنزلوا إليه واستغفروا، فأمرهم بالاستنجاء من إبريقه، فأطلق بولهم، وشوش نصراني الطور على جماعة من أصحابه فأرسل إليه، وقال: أقسم بالله إن عدت إلى أذاهم لأقطن هذا القلم، فقال النصراني بقلبه: وما تقطه فقط القلم، فسقطت رأس النصراني، وكان رضي الله عنه نارا موقدة على الظلمة، والولاة أمارا بالمعروف وله نظم، وسجع كثير، وتصوف، وشطح.

مات في الحرم سنة سبع، وثمانين، وستمائة، ودفن بزاويته خارج باب النصر، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله تعالى عنه آمين.

ومنهم الشيخ عبد الله المنوفي المالكي

رضي الله تعالى عنه

الصالح العابد الزاهد الأوحد ذو الكرامات الكثيرة، والتلامذة الأئمة. مات سابع رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودفن تجاه قبر السلطان، قايتباي الآن بالصحراء، وكان الناس في ذلك النهار بالصحراء للدعاء **برفع الوباء عنهم** فحضر جنازته نحو من ثلاثين ألف رجل، وقد أفرده بالترجمة تلميذه الشيخ خليل رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ حسين الجاكي

رضي الله عنه

إمام جامع الجاكي، وخطيبه، وكان واعظا صالحا يذكر الناس، وينتفع الناس بكلامه وعقدوا. له مجلسا عند السلطان ليمنعوه من الوعظ وقالوا: إنه يلحن فرسم السلطان بمنعه فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكناس فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط، والمكنسة على كتفه في صورة أسد عظيم، وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان فارتعد السلطان، ووقع مغشيا عليه فلما أفاق قال له: أرسل للشيخ حسين يعظ، وإلا أهلكتك ثم دخل من الحائط فنزل السلطان إلى الشيخ حسين، وأراد الاجتماع بالشيخ أيوب فلم يأذن له. مات الشيخ حسين سنة ثلاثين وسبعمائة، ودفن خارج باب النصر في زاوية شيخه أيوب، وقبره ظاهر يزار بها كل ليلة أربعاء وصبيحتها. رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الشيخ خضر الكردي

رضي الله تعالى عنه

شيخ الملك الظاهر بيبرس أبي الفتوحات رحمه الله، كان به الإلمام الكثير، والتصوف، والكشف، والهمة، والمدد وكان السلطان ينزل كثيرا لزيارته، ويحادث بأسراره، ويستصحبه في أسفاره فرمى أولاد الحلال بينه وبينه فنقم عليه، وحبسه فطلع للسلطان جمرة رعت ظهره فأرسل يتعطف بالشيخ، وأطلقه فقال أجلي قريب من أجل السلطان فماتا قريبا من بعضهما، والشيخ خضر قبله بأيام في سنة خمس وسبعين وستمائة، وكان حبس الشيخ أربع سنين، ومع ذلك كان يرسل له الأطعمة الفاخرة إلى الحبس.." (١)

"كان رضي الله عنه مقيما ببركة ميدان خارج القاهرة وكان يغتسل لكل فريضة صيفا كان أو شتاء، وكان الأمراء، والخوندات، والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات فيطعمها للحشاشين الذين يتفرجون، ويقول لهم يا إخواني ما لي أرى أعينكم حمرا لا يزيدهم على ذلك، وكان النقباء يلومونه على عدم إطعامهم من ذلك الطعام فقال يوما للنقيب، املأ لك صحنا من هذه الحلاوة، وغطه، وقم بنا نأكله في تلك الجزيرة التي في وسط البركة فمضى هو والنقيب، وقال اكشف، وكل فوجده النقيب كله خنفسا فقال كل فقال لهذا خنفس فقال أتلومني على عدم إطعامكم الخنفس كل يوم. قال الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه ولما دفناه في تربة خشقدم كان من جملة الحاضرين سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه فقال: وعزة ربي ما رأيت أصبر منه نازلا في قطعة من جهنم، وما فيه من شعرة تتغير رضي الله تعالى عنه.

ومنهم سيدي إبراهيم المتبولي

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٢١٣

رضي الله تعالى عنه

كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين بالحسينية من القاهرة المحروسة، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة فلما صار يجتمع به في اليقظة، ويشاوره على أموره قالت له الآن قد شرعت في مقام الرجولية، وكان مما شاوره عليه عمارة الزاوية التي ببركة الحاج فقال يا إبراهيم عمر ها هنا، وإن شاء الله تعالى تكون مأوى للمنقطعين من الحاج، وغيرهم، وهي دافعة البلاء الآتي من الشرق عن مصر فما دامت عامرة فمصر عامرة، ولما شرع في غرس النخل بالقرب من البركة لم يصح له بئر فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال: غدا إن شاء الله تعالى أرسل لك علي بن أبي طالب رضي ا الله عنه يعلم لك على بئر نبي الله شعيب التي كان يسقي منه غنمه فأصبح فوجد العلامة مخطوطة فحفر فوجدها، وهي البئر العظيمة بغيطه إلى الآن.

وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف الكردي رضي الله عنه **أن الغلاء وقع** أيام السلطان قايتباي حتى اجتمع عند الشيخ في الزاوية نحو من خمسمائة نفس فكان كل يوم يعجن لهم ثلاثة أرادب، ويطعمها لهم من غير إدام فطلب الناس منه أدما فقال للخادم اذهب إلى الخص الذي في النخل فارفع الحصير الخوص، وخذ حاجتك فذهب ورفع الحصير فوجد قناة تجري ذهبا، وفضة من علو نازلة في السفل فأخذ منها قبضة فاشترى بها ذلك اليوم أدما فقال: النقيب يا سيدي إذا كان الأمر كذا دستورك نوسع على الناس فقال ما ثم إذن فذهب الخادم من وراء الشيخ فلم يجد القناة فحفر فلم يجد شيئا، ولما سافر إلى القدس زار السيدة مريم عليها السلام بنت عمران فقرأ عندها ختما تلك الليلة فرأى بعض القراء سيدنا عيسى عليه السلام، وهو يقول: سلم لنا على إبراهيم.

وقل له جزاك الله عنه وعن والدته خيرا، وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف أيضا قال اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد فشاورت الشيخ، وإن ذلك بعد العصر فقال إن شاء الله يكون فدخلت الخلوة أقرأ ورد العصر فرأيت نفسي داخل بلدي، والناس تسلم علي، وشالوا الأعلام قدامي فدخلت دارنا فسلمت على أمي وأبي، ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقرئ أطفالا مدة تسعة شهور فقوي اشتياقي إلى الشيخ فشاورت، والدي، ووالدتي فأذنا لي فخرجت إلى موضع خارج البلد فأذنا لي في خلوتي ببركة الحاج فخرجت لأسلم على إخواني فلم يسلموا علي فأخبرتهم بسفري فقالوا: يوسف حصل له جنون فعلم الشيخ

بذلك فقال: اكتم يا ولدي ما معك ثم بعد ثلاث سنين جاءت والدته بصحبة والده وقالا يا سيدي لولا خاطرك ما خلينا يوسف يجيء إلى سنة.." (١)

"أحد أعيان أصحاب سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من العلماء العاملين، والفقراء الزاهدين المحققين، سار في الطريق سيرة صالحة وكانت جماعته في المحلة الكبرى، وغيرها يضرب بهم المثل في الأدب، والاجتهاد، ولما أذن له سيدي أحمد الزاهد أن يذهب إلى المحلة، وقال له: إن مقامك بها عارضه الشيخ أبو بكر الطريني، فرده إلى محلة أبي الهيثم مدة ثم رجع إلى مصر فقال: سيدي أحمد لسيدي مدين اذهب، وطن أخاك في المحلة فسافر معه سيدي مدين، ولم يجيء إلى أن طاب الوقت بينه، وبين الطرينية، وعملوا له مولدا، وصرفوا عليه من مالهم، وكان رضي الله عنه يقول: خدمت عند سيدي أحمد رضي الله عنه مدة في البوابة ومدة في الوقادة، ومدة في النقابة، وكان قد قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام كهول، وشباب، وأطفال، وجعل لكل قسم مكانا يخصه، ولا يختلط بالآخر، وكانوا لا يجتمعون إلا يوما واحدا في الجمعة فيتناقشون فيما وقع بينهم في بقية الجمعة لأنه كان أخذ عليهم العهد أن لا أحد يجيب عن نفسه قط بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما شاء من حيث أنهم كانوا يرون نفوسهم ملكا للشيخ يفعل فيهم ما شاء، وهم أوصياء على أجسامهم فينتصرون لها من حيث إنها مضافة إلى الحق، وما كان أحد منهم يتكدر قط مما يفعله الشيخ معه من هجر أو إخراج أو ضرب أو جوع أو نحو ذلك بل كانوا يرون الفضل للشيخ، ولمن غمز عليهم في ذلك لمكان صدقهم في طلب الأدب، وكان رضي الله عنه يقول: كان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يأذن قط لفقير أن يجلس على سجادة إلا إن ظهرت له كرامة، وكانت كرامتي أنني نمت عن الوقود، فأشرت إلى القناديل فاتقدت كلها، وأخبرني الأخ الصالح الشيخ شمس الدين الطنيخي أن الفقراء أرسلوه يوما إلى البستان فأتى بشيء من الرطب للفقراء، فغلبته النفس فأكل ثلاث رطبات، فأول ما رآه النقيب قال: هذا أكل من الرطب من وراء الفقراء، فأخبرتهم أني أكلت ثلاث رطبات، فأمر الشيخ بهجري عن كل رطبة يوما، وأخبرني رحمه الله أن الفقير كان يأتيه أبوه أو أخوه من البلاد، فيقع بصره عليه فلا يقدر يسلم عليه حتى يشاور النقيب، ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب الخيسي يوما الخلوة، فرآه جالسا في الهواء وله سبع عيون، فقال له: الكامل من الرجال يسمى أبا العيون، ووقع الغلاء في سنة، فأخرج الشيخ جميع ما في المخزن من القمح فباعه للناس، وصار يشتري مثل الناس، وقال: إن الله يكره الرجل المتميز عن أخيه. ولما أراد عمارة جامعه بمصر بسويقة أمير الجيوش أرسل يستأذن النبي

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣٠٦

صلى الله عليه وسلم في عمارته على يد شخص يرعى المعزى في مصر كان مشهورا بالولاية بباب النصر، فقال له: أرد لك الجواب غدا، فلما كان الغد قال له: عمر أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يحب المشي إلى الشفاعات مع قدرته على قضاء الحاجة بقلبه، ويقول: إن الحديث ورد فيمن مشى في قضاء الحاجة لا فيمن يقضيها بقلبه، ولما أرسل السلطان جقمق تجريدة خلف بن عمر أمير الصعيد جاءوا به في الحديد فعثر حمار بياع، فجل من فقراء سيدي محمد في الصعيد، فقال: يا سيدي محمد يا غمري فسمعه ابن عمر فقال من هذا فقال: شيخي فقال، وأنا الآخر أقول: سيدي محمد يا غمري لاحظني فسمعه سيدي محمد، وهو في المحلة قال: الحاكي لي الشيخ شهاب الدين بن النخال فطلب رضي الله عنه ثلاث حمير وقال: اركبوا فركبنا مع الشيخ، وسافرنا إلى القاهرة، فجلس الشيخ تحت قبة السلطان حسن لحظة وإذا بابن عمر طالعون به الحديد إلى القلعة فقال لابن النخال اطلع خلف هذا الرجل فإذا رأيت السلطان أغلظ عليه، وأمر بإتلافه فضع إصبعك السبابة على الإبهام، وتحامل عليه فإن كل من في الموكب تضيق نفسه، ويخنق حتى السلطان فلما طلع ورآه أغلظ عليه السلطان فصنع ما أمره الشيخ فصاح السلطان أطلقوه واخلعوا عليه فتلطخ جماعة بالزعفران فنزل ابن النخال فأخبر الشيخ فقال اركبوا قضيت الحاجة، ولم يكن أحد يعلم ابن عمر بالواقعة، ولا بمجيء الشيخ ورجع إلى المحلة، وقال: المعاملة مع الله تعالى، وما مع أحد منكم دستور يتكلم بذلك حتى أموت قال لي: ابن النخال فما أخبرت بها أحدا قبلك. مات رضي الله عنه سنة نيف وخمس وثمانمائة، ودفن بجامع المحلة رضي الله عنه.

ومنهم سيدنا، ومولانا شمس الدين الحنفي." (١)

"كان من رجال الله المعدودة، وكان رضي الله عنه يبيع السمك القديد مع البطيخ مع التمر حنا، والمرسين والياسمين، والورد وكان إذا أتاه فقير يستعين به في شيء من الدنيا يقول: له هات لي ما تقدر عليه من الرصاص فإذا جاء به يقول له: ذوبه بالنار فإذا أذابه يأخذ الشيخ بإصبعه شيئا يسيرا من التراب ثم يقول: عليه باسم الله، ويحركه فإذا هو ذهب لوقته، وأنكر عليه مرة قاض في دمياط، وقال له: ما مذهبك فقال: حنشي ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت، وكان رضي الله عنه يمشي في البلد، ويقول: يا علماء البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وكراماته رضي الله عنه كثيرة، وأرسل مرة سيدي حسين أبو علي رضي الله عنه السلام له. فقال: سيدي على المحلي رضي الله عنه نعطيك هدية في نظير السلام ثم غرف له من البحر ملء القفة جواهر فقال: الفقير ليس لي، ولا لشيخي حاجة بالجواهر فردها في البحر. مات سنة

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣١١

نيف، وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى

سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى

رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من المدققين في الورع، ويقول: الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم، وكان إذا طحن في طاحون يقلب الحجر، ويخرج ما تحته من دقيق الناس يعجنه للكلاب ثم يطحن، ويخلى للناس بعده الدقيق من قمحه، ولم يأكل فراخ الحمام الذي في أبراج الريف إلى أن مات، وكان والدي رحمه الله تعالى يأتيه بفتاوى العلماء بحله فيقول: يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله عز وجل ثم يقول: يا ولدي إنها تأكل الحب أيام البذار، ويطيرونها بالمقلاع، ولذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون، ولو كان الفلاحون يسمحون بما يأكله الحمام ما فعلوا شيئا مما ذكرناه ثم بالغ فتورع عن أكل العسل النحل، وقال: إني رأيت أهل الفواكه ببلادنا يطيرون النحل عن زهر الخوخ، والمشمش وغيرهم، ولا يسمحون بأكل أزهارهم، فقال له: والدي رحمه الله تعال أما قال: الله تعالى المالك الحقيقي "كلي من كل الثمرات " فقال: الثمرات المملوكة أم المباحة؟ فسكت والدي ثم قال له: والدي إن كل تفيد العموم فنحن على العموم فقال: الخاص مقدم على العام، وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها فكشف والدي رحمه الله رأسه، واستغفر، وقال: مثلي لا يكون معلما لك يا سيدي، وكان يقرئ الأطفال، ولا يدخل جوفه قط شيئا من ناحيتهم، ولا من ناحية آبائهم حتى في **أيام الغلاء كان** يجوع، ويطعم ذلك لأرامل البلد، وأيتامها، وكان عنده موهبة معلقة في سقف الزاوية كل صغير فضل من خبزه شيء يضعه فيها قال: عمى الشيخ عبد الرحمن فكانت تملأ كل يوم، وكان الأطفال نحو مائة نفس، فيرسل العرفاء بقفف صغار بعد العشاء تفرقه على مساكين البلد، وأوقات هو بنفسه، وإذا كان الزمان زمان رخاء يترصد المراكب التي ترسي من قلة الريح بساحل بلده فيرسله لهم مع الجبن، والفول الحار، ومعهما مهما وجد، وكان لا يأكل قط من طعام فلاح، ولا شيخ بلد، ولا مباشر، ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه، وقدم إليه مرة رجل قباني في بولاق طعاما فلم يأكله فقال: يا سيدي هذا حلال هذا من عرقي فقال: لا آكل من طعام من يمسك الميزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الخلاص.." [١]

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣٣٧

" وكتب إليه من أهل القيروان : أبو محمد بن أبي زيد الفقيه وأبو أحمد بن نصر الداودي وغيرهما . وحدث عن جماعة كثيرة سوى من تقدم ذكره من رجال الأندلس ومن القادمين عليها . سمع الحديث منهم وكتبه عنهم وتكرر عليهم ووالي الإختلاف إليهم . وكان : من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين . حافظا للحديث وعلله منسوبا إلى فهمه واتقانه عارفا بأسماء رجاله ونقلته يبصر المعدلين منهم والمجرحين وله مشاركة في سائر العلوم وتقدم في معرفة الآثار والسير والأخبار وعناية كاملة بتقييد السنن والأحاديث المشهورة والحكايات المسندة جامعا لها مجتهدا في سماعها وروايتها . وكان حسن الخط جيد الضبط جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس مع سعة الرواية والحفظ والدراية . وكان يملي الحديث من حفظه في مسجده ومستمل بين يديه على ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق والناس يكتبون عنه

أخبرني جماعة من أبي علي الغساني قال : سمعت القاضي أبا القاسم سراج ابن عبد الله يقول : شهدت مجلس القاضي أبي المطرف بن فطيس وهو يملي على الناس الحديث ومستمل بين يديه وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما وكان قد رتب لهم على ذلك راتبا معلوما وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه وبالغ في ثمنه . فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه

أخبرني حفيده أبو سليمان أنه سمع عمه وغير واحد من سلفه يحكون أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب جده هذا مدة عام كامل في مسجده في الفتنة **في الغلاء وانه** اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية

وأخبرنا أيضا : أن القاضي جده كان لا يعير كتابا من أصوله البتة وكان إذا سأله أحد ذلك وألحف عليه أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده

وتقلد قضاء الجماعة بقرطبة يوم الخميس ثلاث خلون من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين وثلاث مائة . مقرونا بولاية صلاة الجمعية والخطبة مضافا ذلك كله إلى خطته العليا في الوزارة فاستقل بالعمل وتولى الخطابة ولم يستقصر في شيء من عمله وذلك في أيام المظفر عبد الملك بن أبي عامر قيم الدولة ثم صرف ابن فطيس عن القضاء والصلاة يوم السبت لخمس خلون من شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين وثلاث مائة . وكانت ولايته للقضاء والصلاة تسعة أشهر ويومين . وكان مشهورا في أحكامه بالصلابة في الحق ونصرة المظلوم وقمع الظالم واعزاز الحكومة . له بذلك في الناس أخبار مأثورة

حدث عنه من كبار العلماء أبو عمر بن عبد البر وأبو عبد الله بن عائذ والصاحبان وابن أبيض وسراج القاضي وأبو عمر بن سميق والطلمنكي وحاتم بن محمد وأبو عمر الحذاء والخولاني وأبو حفص الزهراوي وغيرهم . وجمع كتبا حسانا منها : كتاب القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن في نحو مائة جزء ونيف . وكتاب المصابيح في فضائل الصحابة مائة جزء وفضائل التابعين لهم بإحسان مائة جزء وخمسون جزءا والناسخ والمنسوخ ثلاثون جزءا وكتاب الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين أربعون جزءا وأعلام النبوة ودلالات الرسالة عشرة أسفار وكرامات الصالحين ومعجزاتهم ثلاثون جزءا ومسند حديث محمد بن فطس خمسون جزءا ومسند قاسم بن أصبغ العوالي ستون جزءا . والكلام على الإجازة والمناولة عدة أجزاء . وغير ذلك من تواليفه . نقلت تسميتها من خط يده وكانت كتبه في مجلس جدواته بالخضرة وسمكه وسطحه والبرطل أمامه والبسط الذي فيه والنمارق كلها حضر

قال أبو مروان بن حيان : توفي الوزير القاضي الراوية أبو المطرف بن فطيس صدر الفتنة البربرية يوم الثلاثاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وأربع مئة ودفن في اليوم المذكور بتربة سلفه على باب منازلهم وقرب مسجدهم وصلى عليه ابنه أبو عبد الله محمد . وكان مولده سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة ." (١)

" روى عن أبي جعفر بن عون الله وابن مفرج وعباس بن أصبغ وأحمد بن خالد التاجر . وله رحلة لقي فيها أبا عبد الله بن الوشا بمصر ونظراءه وكتب عنهم وسمع منهم روايات وفوائد كثيرة . حدث عنه الخولاني وقال : استجزته فأجاز لي جميع روايته بخطه سنة سبع وتسعين وثلاث مائة

عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي : من أهل قرطبة يكنى : أبا حفص

سمع : من قاسم بن أصبغ . وأبي عبد الملك بن أبي دليم ومحمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني وأبي بكر بن معاوية ومن أبيه حسين بن محمد بن نابل . وكان شيخا صالحا من بيت علم ودين . وكف بصره في آخر عمره سمع الناس منه كثيرا

قال ابن حيان : وتوفي **في الوباء لثمان** خلون من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة وكان قد عهد إلى ابن ابنه أن يدرجه في كفن دون قطن للأثر الصالح في ذلك فكأن وليه كره خلاف العادة وأحضر القطن مع الأكفان فلما سواها الغاسل فوق المشجب ووضع القطن فوقه للبخور طارت شرارة من المجمر إلى القطن فأحرقته وطرح من فوق المشجب والنار قد أشعلته ولم ينل الكفن منه شيء من أذاها فكشف ابن

---

(١) الصلة، ص/٩٨

ابنه عند ذلك ما كان تخطاه من وصيته لمن حضر فعجبوا منه . ورؤها آية انفذ بها عهد العبد الصالح على كره وليه فكفنوه دون قطن وتحدث الناس زمانا بشأنه . وكان ثقة صدوقا عفيفا موسرا رحمه الله

عمر بن نمارة بن عمر بن حبيب بن روح بن مطرح الأموي : من أهل قرطبة يكنى : أبا حفص

روى عن أبي عبد الملك بن عبد البر تاريخه في فقهاء قرطبة وعن القاضي منذر ابن سعيد وأبي العباس الباغاني المقرىء حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو عمر بن سميق القاضي وتوفي في نحو الأربع مئة

عمر بن محمد بن عمر الجهني المكتب : من أهل المرية يكنى : أبا حفص

حدث : عن أبي بكر محمد بن الحسين الآجري بكتاب الأربعين حديثا له حدث به عنه أبو عمر أحمد بن محمد المقرىء الطلمنكي وأبو القاسم حاتم بن محمد وغيرهما وسمع أيضا أبو حفص هذا من أبي القاسم الوهراني وكان رجلا صالحا متعبدا برابطة المرية وبها توفي رحمه الله في شوال سنة تسع وأربع مئة . نقلت وفاته من خط أبي عمر الطلمنكي

عمر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز يعرف : بابن القوطية . من أهل قرطبة يكنى : أبا حفص

روى عن أبيه وغيره . حدث عنه أبو بكر بن الغراب البطليوسي وقال : كان أديبا شاعرا

عمر بن سعيد البشكلاري : من أهل قرطبة يكنى : أبا حفص

حدث عن خلف بن قاسم وغيره . حدث عنه ابن أخيه عبد الله بن محمد بن سعيد البشكلاري

عمر بن أبي عمرو واسمه : لب بن أحمد البكري : من أهل بطليوس

له رحلة إلى المشرق لقي فيها جماعة من العلماء وكان يقرض الشعر ويزن بمعرفته . وتوفي قريبا من العشرين والأربع مئة . ذكره ابن مدير

عمر بن محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج : من أهل قرطبة يكنى : أبا حفص ولد القاضي أبي عبد الله بن مفرج كبير المحدثين بقرطبة

سمع : من أبيه معظم ما عنده من روايته ومن أبي جعفر بن عون الله وأبي محمد ابن عبد الله بن محمد بن قاسم وغيرهم . ولا أعلمه حدث عن غيره . وكان ثقة في روايته . روى عنه أبو مروان الطبني وقال : توفي لخمس خلون من رجب سنة خمس وثلاثين وأربع مئة

عمر بن حزم بن أحمد بن عمر بن حزم الحضرمي القنبي : من أهل إشبيلية يكنى : أبا حفص . من بني عصفور

لقي شيوخا جلة بقرطبة وإشبيلية وله رحلة إلى المشرق لقي فيها العلماء . ذكره أبو محمد بن خزرج وروى عنه وقال : توفي في جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربع مئة ومولده سنة ستين وثلاث مئة

عمر بن عبيد الله بن زاهر : أندلسي استوطن بونة من عمل إفريقية يكنى : أبا حفص

روى عن أبي عمران الفاسي الفقيه وأبي عبد الملك مروان بن علي الأسدي البوني وأبي القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي وغيرهم . ذكره أبو مروان عبد الملك ابن زيادة الله الطبني في شيوخه الذين لقيهم بالمشرق وأثنى عليه ." (١)

"ونقلت نسبه هكذا من خط الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي وبيض ما بين عبيد بن وبين ابن عدي وضبب عليه، إما لأنه لم يعرف اسم من بينهما واما لأنه شك في ذلك، ووقع إلي نسبه بغير خط الوزير أبي القاسم وذكر نسبه متصلا الى عبيد بن عدي بن أسامة هكذا الى تغلب، قال الوزيرأبو القاسم - ونقلته من خطه: وبعض حساد هؤلاء القوم يرميهم بالدعوة، ويقول انهم موالي اسحاق بن أيوب التغلبي وذلك باطل، وأصله أن كثيرا منهم أسلموا على يد اسحاق هذا فتطرق القول عليهم لأجل ذلك، وقد قال الشاعر:

إن العرانيين تلقاها محسدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

قال الوزير: وحدثني أبي قال: سألت الحسين بن بكر الكلابي النسابة - قال: وكان أحفظ خلق الله لأنساب العرب وأخبارها ومثالبها ومناقبها - عن السبب في استرذال العرب غنيا وباهلة فقال: والله ان فيهما لفضلا غزيرا وفخرا كثيرا، غير أنه غمرهما فضل أخويهما: فزارة وذبيان من غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وكذلك أصغر من في ولد حمدان أكبر من كبراء غيرهم.

قلت: ومن قال أنهم موالي اسحاق بن أيوب فالظاهر أراد أنهم موالي الموالاه لأن الذين أسلموا على يده موالي موالاة لا موالي عتاقة.

قلت: وكان حمدان بن حمدون من الكرماء الأجواد، والشجعان الشداد، وممن له ذكر في الغزو والجهاد، وقد بنى سور ملطية وأنفق عليه سبعين ألف دينار، وقد ذكره أبو الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني المؤرخ في كتاب عنوان السير في محاسن أهل البدو والحضر فقال: تغلب حمدان بن حمدون بن حارث بن لقمان ابن راشد التغلبي على دارا ونصيبين، وتحصن بقلعة ماردين، فخرج اليه المعتضد بالله، ووقف على بابها وقال: يا حمدان افتح الباب ففتحه وجلس المعتضد بالله، فأمر بنقل ما فيها وهدمها، ثم رضي

(١) الصلة، ص/١٢٦

على حمدان وأمره على ما تغلب عليه، وكان أهل الموصل وديار بكر قد **عمهم الغلاء ثلاثة** أعوام، فحمل اليهم حمدان من الأقوات ما أرخص أسعارهم، وانفق على سور ملطية سبعين ألف دينار ووقف أربعمائة فرس عليهم وتوفي في سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان بن علي:

ابن خلف بن هلال بن نعمان بن داود، أبو الفوارس ابن أبي الموفق التميمي الأثاربي، ثم الحلبي، من ولد حاجب بن زرارة التميمي، أصله من قرية من قرى حلب يقال لها معراثا الأثارب، وكانت جارية في ملكة ومن أولاده انتقلت الى ملاكها الآن، ثم انتقل هو وأبوه الى الأثارب فسكناها، وكان أكثر مقامه بالجزر يتردد في الدولتين الاسلامية والفرنجية، وولي في الجزر أعمالا للديوان في دولة أتابك زكي بن آق سنقر.

وحكى لي الصدر بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب أنه لما كان الجزر في أيدي الفرج ولوا حمدان بن عبد الرحيم فيه أعمالا وصادروه بعد ذلك.

وحكى لي حمدان بن عبد الرحيم بن سعيد بن عبد الرحيم أن عم أبيه حمدان ابن عبد الرحيم تولى ديوان معرة النعمان في بعض السنين، ووهبه صاحب الأثارب الفرنجي قرية تعرف بمعربونية من ناحية معرة مصرين ودامت في يده بعد أخذ المسلمين البلاد من أيدي الفرنج، وسنذكر سبب تمليك القرية اياه في أثناء هذه الترجمة، وما زالت معربونية في أيدي أهله الى زمننا.

قلت: وسكن حمدان حلب وسير رسولا الى الفرنج، وسير الى مصر الى الآمر الفاطمي، وسير أيضا إلى دمشق رسولا الى طغتكين أتابك، ودخل بغداد.

وكان هذا حمدان بن عبد الرحيم خليعا، كثير الانهماك في الشرب في قرى الجزر ونواحيها والديرة والمنتزهات في جبل سمعان والجبل الأعلى، وكان قد شذا طرفا من الادب واطلع على التواريخ وأيام العرب وحصل قطعة صالحة من معرفة النجوم والطب، وصنف كتابا في أخبار بني تميم وأيامهم جمع فيه فوائد كثيرة وأشعارا حسنة وضمنه ذكر مآثرهم وأخبارهم ووقائعهم وأشعارهم، وانتسب فيه الى بني تميم ووسمه بالمصباح ووضع كتابا في تاريخ حلب من سنة تسعين وأربعمائة ضمنه أخبار الفرنج وأيامهم وخروجهم الى الشام من السنة المذكورة وما بعدها وسماه المفوف، وله شعر حسن لطيف الألفاظ عذب المجاجة، وربما يقع فيه ألفاظ ملحونة، وقع الى ديوان شعره بخطه وقد سقط منه شيء، وكان مولده في حدود الستين والأربعمائة.." (١)

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٧١/٣

"بإقبالها تزهي بأكرم مودع ... وإن تك قد ولت بخير مودع
ولائي لكم يا آل أحمد صادق ... وإن مان مذاق وتمق مدع
وإني لشيعي المحبة فيكم ... وإن لم يشن ديني غلو التشيع
فلي من نداكم خفض عيش مرفه ... ولي في ذراكم عز قدر مرفع

أخبرني الملك الأمجد أبو علي الحسن بن داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب قال: سير الخليفة المستعصم إلى أبي رسولا عندما قصد التتار بغداد يستصرخه ويحثه على سرعة الوصول إليه ولو على الهجن، ويأمره أن يترك أولاده ويأمرهم أن يستصحبوا معهم من يرى استصحابه من أولاد الملوك والأمراء والأجناد وكان أبي إذ ذاك مع العرب في أطراف تيه بني إسرائيل فوافاه الرسول وقد سير إليه الملك المغيث بن العادل بن الكامل عسكرا فقبضه، ثم سيره إلى طور هارون صلى الله على نبيا وعليه السلام، وتركه هنالك فقصد الرسول الملك المغيث وقال له: الخليفة قد طلب هذا الرجل لهذا المهم العظيم، فسير إليه وأحضره وجاء هو والرسول حتى نزلا بالبويضا خارج دمشق على عزم التوجه إلى الخليفة فقال لي أبي: والله يا والدي ما أنا متوجه إلى بغداد أرجو دنيا ولا تقدما على العساكر، وإنما أريد أن أبذل نفسي في سبيل الله تعالى وأرجو أن أنفع المسلمين وأموت شهيدا فلعل الله يكفر عني ما اقترفته فيما مضى من عمري، وأقام على هذه النية يقصر الصلاة اعتقادا منه أنه يقيم أياما يسيرة يتجهز فيها، ثم يتوجه إلى وجهته، فلما وردت الأخبار بأن التتار قد ضايقوا بغداد أشار عليه جماعة من أصحابه أن يتثبط ريثما يتحقق أمرها فقال: أنا قد بعت الله نفسي فما أرجع فيما بيني وبين الله تعالى، فلما وصلت الأخبار بأن التتار قد أخذوا بغداد وتواتر ذلك، أظهر بعض الناس أن الخليفة قد نجا بنفسه والتحق بالعرب، فقال لا بد لي من اللحاق به فإن بيعة في عنقي وقد أمرني بأمر وما يمكنني مخالفته، والذي يخشاه الناس في ذلك هو القتل، وأنا أتمناه فإن الموت لا بد منه وقد حان حينه، فإن هذا الشيب كما تروه فأحسن ما كان الموت بأيدي المشركين في سبيل الله تعالى، فلما تحقق أن الخليفة أخذ فيمن أخذ توجع لفوات ما أمله، وقال: ما كنت أرجو إلا أن أكون بين قتلى المعركة ولكن ما يريده الله هو الكائن.

قال لي ولده الحسن: فجزاه الله بنيته وآتاه الشهادة فإنه مات بالطاعون، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الإمامان عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الطاعون شهادة لكل مسلم.

قال لي ولده: وحدثت أنه سأل الله عز وجل ذلك قبل مرضه بيوم أو يومين، فإنه حدثني الحاجي عبد الله

بن فضل بن رداد وفارس بن آق سنقر بن عبد الله الأمجدي قالا: كنا جالسين عند والدك رحمه الله أيام **اشتداد الوباء عقب** كائنة بغداد، فتسخطنا بالوباء، وقلنا: هذا سخطة أرسلها الله على الناس، فقال: لا تقولوا هذا فإن الطاعون لما وقع بعمواس قال بعض الناس هذا رجز، هذا الطوفان الذي بعث على نبي إسرائيل، وبلغ ذلك معاذا فقال: يا أيها الناس لم تجعلون دعوة بينكم، ورحمة ربكم عذابا وتزعمون أن الطاعون هو الطوفان الذي بعث على بني إسرائيل وإن الطاعون لرحمة من ربكم رحمكم بها، ودعوة من نبيكم لكم وكفت الصالحين قبلكم، اللهم أدخل على آل معاذ منه نصيبهم الأوفى فطعن عبد الرحمن بن معاذ وامرأته، ودخل عليه معاذ يعوده فقال: أبني كيف تجدك؟ قال يا أبة " ألحق من ربك فلا تكونن من الممترين " ، فقال: يا بني " ستجدني إن شاء الله من الصابرين " ، فمات الفتى وامرأته، وطعنت امرأتان لمعاذ فماتتا في يوم واحد، فأقرع بينهما فقدم أحدهما قبل صاحبتها في القبر وطعنت خادمة وأم ولده فتوفيتا فدفنهما، حتى إذا لم يبق غيره طعن في كفه بثبرة صغيرة كأنها عدسة، فجعل ينظر إليها ويقول: إنك لصغيرة، وإن الله ليجعل في الصغير الخير الكبير، ثم يقبلها ويقول: ما أحب أن لي بك حمر النعم، فلما نزل به الموت فجعل يغت به ثم يغمى عليه، ثم يتنفس عنه فيقول غم غمك، فوعزتك غمك إنك لتعلم أني أحبك، ثم يقول: جرعني ما أردت.." (١)

"وكان لهذا السلطان عند الأمير ولدان أحدهما الذي كانت أمه عند سنقر البرسقي وماتت، اسمه ألب أرسلان أبو طالب، والآخر الذي كان عند دبيس، فبعث عماد الدين يسوم المسترشد أن يخطب لأبي طالب ولد السلطان، فاعتذر المسترشد إليه بأنه صبي، وأن المنقول رسم لولده داوود وهو بأصبهان، وقد وصلت رسل البلاد كلها تقول: اخطب لداوود فنحن له طائعون، وأنا منتظر جواب كتاب سنجر عم القوم، وكان أتابك عماد الدين قد أخذ خبر عودة ابن الأنباري رسول الخليفة من دمشق، كان المسترشد نفذه في معنى دبيس إلى تاج الملوك، فوجده قد صار إلى عماد الدين، فعاد وكانت في صحبته قافلة عظيمة فيها أموال، فبعث عماد الدين إليه سرية للقبض عليه، فقبضوا عليه ونهبوا القافلة في كياد الخليفة وفك القيود عن دبيس وخلع عليه، وحمل له من المال والجوهر والخيل والعدد ما لا حد عليه، وخرج من الدار التي كان يشرب فيها وسلمها إليه بآلاتها وكل ما فيها.

قلت: وبعد ذلك وصل داوود بن محمود بن محمد بن ملكشاه إلى زنكي، فأخذه وسار به إلى بغداد وأنزله في دار السلطنة ببغداد، وزنكي في الجانب الغربي والخليفة إذ ذاك الراشد بعد قتل المسترشد، فوصل

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣/٤١٥

السلطان مسعود إلى بغداد فحصرهم بها، **فوقع الوباء في** عسكره، فسار إلى أرض واسط ليعبر إلى الجانب الغربي، فاغتنم زنكي غيبته، وسار إلى الموصل وسار داوود إلى مراغة، وبلغ الخبر إلى السلطان مسعود، فعاد فهرب الراشد ولحق أتابك زنكي بالموصل، ودخل مسعود بغداد، فبايع محمدا المقتفي، وخطب له ببغداد وأعمال السلطان وبقيت الخطبة بالشام والموصل على حالها إلى أن اتفق زنكي والسلطان مسعود واصطلحا، وخطب بالشام والموصل للمقتفي ولمسعود، وفارق الراشد إذ ذاك زنكي، وسار عن الموصل إلى خراسان، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

قرأت بخط القاضي علاء الدين أبي محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب في تاريخ مختصر عمله أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب الفرضي البغدادي المعروف بابن الدهان، وذكر: أنه نقله من خطه، قال في حوادث سنة إحدى وعشرين: واتفق الأمر على أن يسير بدر الدولة وخطلبا إلى باب الموصل إلى عماد الدين زنكي، فلمن ولى عاد إلى منصبه وأقام بحلب الأمير قراقش والرئيس فضائل بن بديع، فأصلح عماد الدين بينهما، ولم يوقع لأحد منهما، وسير سرية إلى حلب صحبة الحاجب صلاح الدين العمادي، فوصل إلى حلب وطلع إلى القلعة، وأقام فيها واليا من جانبه.

وقال: وفي هذه السنة – يعني – سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة دخل عماد الدين زنكي بن آق سنقر إلى حلب في يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة والطالع السنبلة أربع عشرة درجة، وطالعه الأصلي الميزان، كذا حكى لي البرهان، وقبض على خطلبا وسلمه إلى ابن بديع فكحله في منتصف رجب سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، قال: وانحاز قاضي القضاة الزينبي إلى الموصل في ولاية الراشد والآن عاد وسمع البينة في خلع الراشد وانضاف إلى الراشد لما أصعد إلى الموصل أبو الفتوح الواعظ الإسفرائيني وجلال الدين بن صدقة الذي كان وزيره، وقوام الدين بن صدقة وأكابر بيت صدقة، وحصل الجماعة عند زنكي بالموصل، ولما اتفقت الكلمة على المقتفي لأمر الله وعلى السلطان مسعود استشعر الراشد من زنكي، وطلب منه أن يعبر إلى الجانب الغربي ليمضي إلى همذان، فمشى بين يديه إلى أن حصل في الشبارة وعبر وتخلف عند زنكي جلال الدولة صدقة وجماعة من بيته، وسمعت قوام الدين صدقة يحكي أن الراشد لما حصل على شاطىء دجلة بالموصل يريد العبور وزنكي بين يديه، قال لأبي الرضا بن صدقة: أريد أقتل زنكي، فقال أبو الرضا لابن عمه قوام الدين: قال لزنكي يسرع خطوه بحيث يبعد عن الراشد، ففعل، وعرف زنكي ذلك لأبي الرضا، فاستوزره، ومضى الراشد إلى أصفهان وصحبته أبو الفتوح الإسفرائيني وأقام عليها إلى أن قتل.

وقال: في خامس عشر جمادى الآخرة – يعني – سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، فتح زنكي الرها، كان نازلا

على آمد فكتب إليه رئيس حران يخبره أن صاحب الرها قد توجه إلى الشام، فأغذ زنكي السير حتى نزل على الرها، وحال بينها وبين صاحبها، وحاصرها أشد الحصار، وفتحها بالسيف فغنم المسلمون منها.." (١)

"فلما سمع شرف الدولة مسلم بن قريش هذه الأبيات قال: من هذا الرجل؟ فقيل له من أهل المعرة رعيتك، قال: أوصوا به الوالي ليحسن إليه، وحذروه أن يجني عليه فهذا ما يعرفنا، ولو لم يكن له شكاية من والينا لما قال هذا.

أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد قال: أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن - إجازة إن لم يكن سماعا - قال قرأت بخط أبي القاسم بن صابر قال: أنشدنا أبو المنجا طاهر بن أحمد بن محمد بن عبد الأعلى التنوخي قال: أنشدنا أبو المعالي سالم بن المهذب التنوخي قال: أنشدنا أبو الحسن الكناني لنفسه، يعني الأمير علي بن منقذ:

يا من جعلت إذا خطا ... خدي له أرضا ليرضى

إن العيون إذا نظرن ... إليك لم يطمعن غمضا

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن المنيرة الكفر طابي في كتابي البديع في نقد الشعر، وشاهدته بخطه: لأبي المعافى سالم بن عبد الجبار ١٩١ - ظ أبياتا في أبي المرهف بن منقذ:

أبا المرهف الباني من المجد منزلا ... منيفا له طنب على النجم ممدود

ومن بات للعافين من جود كفه ... خضم ندى عذب المشارب مورود

لقد ضيم إلا في جنابك قاطن ... وأعوز إلا من أناملك الجود

أنشدني أبو البركات الفضل بن سالم بن مرشد بن المهذب بحماة قال: أنشدني والدي للشيخ أبي المعافى سالم بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب.

طوبى لمن ملكت يداي مصاحبا ... في الناس يصبر لي على ما أصبر

يصل المودة ما وصلت حباله ... أبدا ويهجر أي وقت أهجر

لو يشترى لشريت ذاك بمقلتي ... وبقيت بالأخرى إليه أنظر

وأنشدني أبو البركات قال: أنشدني والدي لسالم أيضا:

لمن جيرة حكمتهم في فاشتطوا ... لهم منزل بين الجوانح مختط

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤/٧٦

يزيد بهم وجدي على القرب والنوى ... وسيان عندي منهم القرب والسخط

وقال منها:

أأ حبابنا رفقا بنا وتعطفا ... علينا فما من شأن مثلكم القسط

هجرتم على قرب المزار وجرتم ... بلا سبب ما هكذا بيننا الشرط

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي عن أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي منقذ قال: ومن شعره، يعني أبا المعافى سالم ١٩٢ - و بن عبد الجبار:

ومهفهف كالغصن في حركاته ... متهضم في خصره المهضوم

يهتز من نفس المشوق قوامه ... لينا كما هز القضيب نسيم

يحلو ويمرر وصله وصدوده ... وكذا الهوى شقا ونعيم

كن كيف شئت فإن وصلي ثابت ... تتصرم الأيام وهو مقيم

غيري لديك حباله موصولة ... أبدا وحبل مودتي مصروم

قلبي الذي جلب الغرام لنفسه ... فلمن أعاتب غيره وألوم

قال: ومن شعره في والدي على منهاج النسبي:

لأبي سلامة مرشد بين الورى ... خلق يكل الناس عن أوصافه

ملك إذا علق المخوف بحبله ... أمن الخطوب فواله أوصافه

ومما وقع لي من شعره في الخيري:

انظر إلى الخيري ما بيننا ... مقمصا بالطل قمصانا

كأنما صاغته أيدي الحيا ... من أحمر الياقوت صلبانا

وله يصف الوباء والأفرنج بالشام:

ولقد حللت من الشآم ببقعة ... أعزز بساكن ربعها المسكين

وبئت وجاورها العدو فأهلها ... شهداء بين الطعن والطاعون

توفي أبو المعافى سالم في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة أو بعدها ١٩٢ - ظ فإن عبد الواحد بن عبد الله ابن عمي عبد الصمد بن أبي جرادة أخبرني أنه نقل من خط عبد الله بن علي بن أحمد بن جعفر التنوخي المعري، وذكر جماعة من مشايخ معرة النعمان وقال: ما بقي منهم إلى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة إلا أبو العلاء المحسن بن الحسين بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن سليمان بن داوود، وأبو المعافى،

وأبو المنجا ابنا عبد الجبار بن محمد بن المهذب بن علي بن الهذب، فتكون وفاته بعد ذلك.

سالم بن عبد الرحمن:." (١)

"

وكان حافظا للمسائل عالما برأى مالك وأصحابه لم تكن له رحلة وكانت وفاته في صدر أيام أمير الؤمنين عبد الرحمن بن محمد رحمه الله

من كتاب أبن حارث بخطبه

٧٩٠ عبد الرحمن بن الصباغ من أهل وادي الحجارة روى عن عبيد الله بن يحيى ونظرائه وكان ثقة فاضلا

توفي سنة أربع وعشرين وثلاثماثة

ذكره خالد

٧٩١ عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن أبي إسماعيل الأموى من أهل قرطبة يكنى أبا المطرف

كان أصم أسلخ وكان نحويا لغويا فصيح اللسان شاعرا جزل الشعر مرسلا بيلغا طويل القلم

وكان يرمز إليه بالشفاه فيفهم

رحل سنة أربع وثلاث مائة فلقى بمكة أبا جعفر العدوي وأبا الخصيب الفارسي النحوي

وكان الشعر أغلب أدواته وقد كتب عنه

وتوفي في شهر ربيع الأول من **أيام الوباء سنة** خمس وثلاثين وثلاث مائة

أخبرني بذلك سعيد أبن عبد العزيز وذكره الرازي

٧٩٢ عبد الرحمن بن مسلمة بن سعيد بن تبرى بن إسماعيل بن سليمان أبن منتقم بن سليمان إسماعيل بن عبد الله من أهل قرمونة

سكن قرطبة يكني أبا المطرف

سمع من عبد الله بن يونس وقاسم بن أصبغ وغيرهما وعاجلته منيته

". (٢)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤/٢١١

(٢) تاريخ العلماء بالأندلس، ١/٣٠٤

" خمس وتسعين ومائتين ذكره أحمد عن ابن الأغبس

وكذلك ذكره الرازى

١٥٧١ يحيى بن زكرياء بن يحيى الثقفى المعروف بابن الشامة من أهل قرطبة

سمع من ابن وضاح كثيرا ومن يحيى بن إبراهيم بن مزين وأبان بن عيسى ابن دينار وعامر بن معاوية القاضى وإبراهيم بن لبيب وإبراهيم بن قاسم بن هلال ومحمد بن إدريس الجيانى ووهب بن نافع وابن القزاز والخشنى وحج عام تسعين ومائتين فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى وبمكة من الزبيرى وغيرهما من أهل العلم

وكان عابدا صواما

ذكره أحمد وقال توفى رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائتين فى شهر رمضان وهو ابن تسع وخمسين سنة

وقال خالد توفى سنة خمس وتسعين ومائتين

١٥٧٢ يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله

كان يشاور مع أبيه ويستفتى وحج وكان مبجلا وتوفى سنة ثلاث وثلاث مائة ذكره خالد

١٥٧٣ يحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى الليثى من أهل قرطبة يكنى أبا إسماعيل الليثى ويعرف بالرقيعة

يروى عن أبيه وكان اسن من أخيه عبيد الله

كانت له رحلة دخل فيها العراق وسمع هنالك من إسماعيل بن إسحاق وأحمد بن زهير وغيرهما

وكان مشاورا فى الأحكام وتوفى **فى الوباء سنة** ثلاث

---

(١) ".

"""""""""" صفحة رقم ١٥٥ """"""""

اعتقادات الفلاسفة ؛ وكتاب البرهان والدليل ، في خواص سور التنزيل . وأنشدني لنفسه من لفظه : ما للعطاس ولا للفأل من أثر . . . فثق بدينك بالرحمان واصطبر فسلم الأمر فالأحكام ماضية . . . تجري على السنن المربوط بالقدر وتوفي ببلده مالقة ؛ وقبر بها شهيدا بالطاعون ، وذلك منتصف شهر صفر من

---

(١) تاريخ العلماء بالأندلس، ١٨٣/٢

عام ٧٥٠ . وعقبه مستعمل في خطة القضاء على الطريقة المثلى من المبرة وكثرة الحشمة تولاه الله تعالى

ذكر القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي

ومهم قريبنا وصاحبنا ، الخطيب أبو عبد الله محمد بن شيخنا الخطيب أبي جعفر أحمد ابن شيخنا أيضا الولي الكبير الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي ، أحد أماثل قطره ، وذوي الأصالة والجلالة من أهله . تقدم قاضيا ببلده مالقة ، وقد نجمت بن **بواكي الوباء الأكبر** ، وذلك صدر عام ٧٥٠ ، بعد تمنع منه وابابة . فلم يوسعه الأصحاب عذرا في التوقف ، وشرطوا له عونهم اياه ، كالذي جرى للحارث بن مسكين بمصر مع إخوانه في الله تعالى . وما كان إلا أن ولي الطنجالي وحمى وطيس الطاعون الأعظم الذي حسبت ظهوره في زماننا هذا أنه من علامات نبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد ثبت عنه في الحديث الصحيح أنه قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : اعدد ستا بين يدي الساعة : موتي ؛ ثم فتح بيت المقدس ؛ ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ؛ ثم استفاضة المال ؛ حتى يعطى الرجل مائة دينار ، فيظل ساخطا ؛ ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية إثنا عشر ألفا ه نص . والغاية هي الراية ؛ وبنو الأصفر هم الروم . ولا يعد أن تكون المهادنة المشار إليها هذه التي نحن فيها في الأندلس منذ اثنين وثلاثين." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٦ """"""""

سنة ، أولها هلاك ملك النصارى المسمى بالفنش بن هرانده بن شانجه ، وهو بظاهر جبل الفتح حاصرا له ، وذلك عاشر المحرم من عام ٧٥٠ والى هلم . وقلما يعلم أنه جرى بين الملتين مثلها في طول المدة واستصحاب المسالمة . والله أعلم بالمراد من ذلك كله ، في الحديث الذي أوردناه ، هل هو ما ذكرناه ونبهنا عليه ، أم غيره وعلى كل تقدير ، والله تعالى يلطف بالساكن في هذه الجزيرة المنعطفة من البحر الزاخر ، والعدو الكافر ، ويجعل عافية من بها إلى خير والعقاص المذكور في الحديث هو داء يصيب الغنم ، فتموت بإذن الله . والطاعون سئل عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : رجس أرسل على بني إسرائيل وقيل إنه أول ما بدأ بهم في الأرض ، ومات به منهم عشرون ألفا . وقيل : سبعون ألفا في ساعة واحدة . وقيل إنهم عذبوا به . وفي الحديث أيضا سئل عليه السلام عن الطاعون ؛ فقال : غدة كغدة البعير ، تخرج في المراق والآباط . قال أبو عمر : قال غير واحد : وقد تخرج في الأيدي ، والأصابع ، وحيث

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس، ص/١٥٥

ما شاء الله من البدن . وما أخبر به النبي (صلى الله عليه وسلم) حق وإنه الغالب . وقال الخليل : **الوباء** **الطاعون** . وقال غيره : كل مرض يشتمل الكثير من الناس في جهة من الجهات ، فهو طاعون . وعن عياض : أصله القروح في الجسد ؛ والوباء عموم المرض : فسمى لذلك طاعونا ، تشبيها بالهلاك . وقيل فيه غير ما ذكر . وقد شاهدنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها . ومنها انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقة إلى ما يزيد في اليوم على الألف ، بقي بعد ذلك أشهرا حتى خلت الدور ، وعمرت القبور ، وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء ، وذهب كل من كان قد شرط للقاضي أبي عبد الله إعانته على ما تولاه . وكان من لطف الله تعالى بمن بقي حيا من الضعفاء بمالقة كون القاضي لهم بقيد الحياة ، إذ كان قبل ذلك ، على تباين طبقاتهم ، قد هرعوا إليه بأموالهم ، وقلدوه تفريق صدقاتهم ؛ فاستقر لنظره من الذهب ، والفضة ، والحلي ، والذخيرة ، وغير ذلك ، ما تضيق عنه بيوت أموال الملوك ؛ فأرفد جملة من الطلبة وفقراء البلدة ، وتفقد سائر الغربة ، وصار يعد كل يوم تهيئة مائة قبر حفرا ، وأكفانهم برسم من يضطر إليها من الضعفاء فشمل النفع به الأحياء والأموات . بقي هو وغيره من أهل القطر على ذلك زمانا ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٧ """"""""

مشاركة بالأموال ومساهمة في المصايب والنوازل ، إلى أن **خف الوباء** ، وقل عدد الذاهبين به والمسالمين بسببه ؛ فأخذ بالجد التام في صرف الأوقات إلى إمكانها ، ووضع العهود في مسمياتها ؛ فانتشع بذلك الفل ، وذهب على أكثرهم القل . والله لطيف بعباده . وكان هذا الرجل المترجم به جلدا ، قويا في نفسه ، بدنا ، طوالا هاشميا خلقا وخلقا ، نبيها ، نزيها ، خطيبا ، مهيبا ، أصيل الرأي ، رصين العقل ، قائما على عقد الشروط وعلم الحساب والفرائض على طريقة جده وسميه الولي أبي عبد الله . ولما من الله سبحانه برفع ما كان نزل بالناحية المالقية من الطاعون ، واستروح من بقي بها من الخلائق روح الحياة ، وكادت النفوس أن ترجع إلى مألوفاتها ، وتقوم ببعض معتاداتها ، نهض بنفسه القاضي أبو عبد الله إلى أمير المسلمين السلطان المؤيد أبي الحجاج رحمه الله وأرضاه فورد عليه ، وهو بحضرته ، وطلب منه الإنعام عليه بالإعفاء من القضاء ؛ فأنزله بمنزلة التجلة ، وراجعه بعد ذلك بما حاصله : حوائجك كلها مقضية لدينا ، إلا ما كان الآن من الإعفاء ؛ فارجع إلى بلدك ، واكتب إلينا إن شئت من هنالك بما يظهر لك ، بعد تقديم الاستخارة . ولعل العمل أن يقع بموافقة إرادتك ، إن شاء الله فارتحل عنه شاكرا فعله ، وداعيا

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس، ص/١٥٦

بالخير له ، هو وكل من بلغه عن السلطان ما قابل به مستعفيه . هذا من التلفظ الجميل ، والفضل الجزيل . ثم كتب من بلده مالقة ، يخبر باستمرار عزيمته على ما نواه أولا من الخروج عن القضاء ، والاقتصار على الخطة . فوصله الجواب بإسعاف غرضه . وتقدم الشيخ أبو القاسم بن سلمون الكناني قاضيا في مكانه . فأظهر السرور بذلك كله . ولما قدم ابن سلمون على مالقة ، تلقاه ، وحياه ، وحضر عن اختياره ، تخلقا منه وتواضعا في جملة الفقهاء وعامة أهل المصر بالقبة الكبرى من المسجد الجامع ، عند قراءة رسوم الولاية ، على العادة المعتادة هنالك . ثم انتقل القاضي الجديد ، إثر الفراغ من الغرض المطلوب ، بالاجتماع إلى مجلس الحكومة ؛ فمال إليه الحاضرون ، وتبعوه بجملتهم ، وتركوا صاحبهم القديم ، كأن لم يشعروا به ، كالذي جرى ليحيى بن معمر بقرطبة مع أصحابه ، إذ الناس ناس والزمان زمان . ولم يثبت إذ ذاك مع الطنجالي أحد من القوم غيري ، وغير الخطيب أبي عبد الله بن حفيد الأمين . فتأملت ، أثناء ما دار بيننا من الكلام." (١)

"قال في كتابه (الأعلام الجزء السابع) عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ((وكانت دعوته ، الشعلة الأولى للنهضة الحديثة في العلم الإسلامي كله ، تأثر بها رجال الإصلاح ، في الهند ومصر ، والعراق ، والشام وغيرها))

محمد رشيد رضى :

قال السيد محمد رشيد رضا عن محمد بن عبدالوهاب ((قام يدعو إلى تجريد التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده ، بما شرع الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام ، وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة))

رأي العقاد :

تناول الأستاذ عباس العقاد في كتابه ((الإسلام في القرن العشرين))

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال ((ظاهر من سيرة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب الوهابية أنه لقي في رسالته عنتا ، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع ومن العنت أطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها وآتيان الممالك من غير أبوابها وقد غبر البادية زمان كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ويدعون السعي من وجوهه توسلا بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستشفاء **ودفع الوباء فكان** حقا على الدعاة أن يصرفهم عن هذه الجهالة وكان

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس، ص/١٥٧

من أثر هذه الدعوة أنها صرفتهم عن ألوان البدع والخرافات))
وكما تناول الدعوة مفكرين عرب تناولها بعض المستشرقين
لوثروب ستودارد :." (١)

"وأما عمر فنشأ نشأة صالحة، واشترى وظيفة خطابة وإمامة بالمسجد النبوي وباشرهما. وتوفي شابا سنة ١١٧٥. وأعقب محمد علي الموجود اليوم. وباشر وظيفة أبيه من الخطابة والإمامة. وتزوج وله أولاد. وأما إبراهيم فموجود اليوم كاتب الإسباهية. وله ولد يسمى عبد الوهاب من فاطمة بنت الحمصاني. ومولد إبراهيم المذكور أعلاه سنة ١١٢٢. وكان رجلا كاملا، عاقلا، إسباهيا. وتوفي شابا في سنة ١١٥٠. وأعقب محمدا، الموجود اليوم، والدته حليمة بنت عمر الخاشقجي. وهو وابن عمه مشتركان في كتابة المرادية. وهو رجل في غاية الكمال من أحسن الرجال.
بيت ركن
" بيت ركن " . أصلهم السيد سليمان بن السيد أحمد بن السيد ركن الدين الهندي الأصل المكي المولد والمربى. قدم المدينة المنورة سنة ١١٧٠. وكان رجلا كاملا، عاقلا، تزوج عدة زوجات. ولهم منه أولاد وبنات موجودون اليوم. وكان يتعاطى صنعة الحمصانية، ويبيع ويشتري في دكانه بباب المصري. وصارت له ثروة عظيمة. وكانت بيننا وبينه صحبة ومحبة. وهو رجل لا بأس به إلا أن فيه حدة وشدة زائدة. والكمال لله. وتوفي وله ولدان موجودان. وكذلك كانت بينا وبين والده السيد أحمد محبة وصحبة لما كنا مجاورين بمكة المكرمة. وكان حسن الصوت له معرفة تامة بالغناء. وله عدة أولاد. وكذلك أخوه السيد عبد الوهاب ركن كانت بيننا وبينه بمكة المكرمة صحبة ومحبة. وكان رجلا كاملا، فاضلا، حسن الخط.
ولهما أخ ثالث يسمى السيد عبيد فأدركناه. وكان رجلا شاعرا ماهرا. وقفت له على كثير من القصائد النبوية وغيرها. ومن شعره البيتان المشهوران:
أخا الرأي لا يغررك قول ملبس ... يكيف آراء الورى بقياسه
تزيا بزي الآدمي، وإنه ... حمار. ولكن رحله فوق رأسه
بيت رشيد
" بيت رشيد " . أصلهم رشيد الشرقي من بلاد المشرق. قدم المدينة المنورة سنة ١٠٨٠. وكان رجلا صالحا، مباركا من أحسن المجاورين سيرة وسريرة. وكان ملازما للمسجد النبوي غالب الأوقات إلى أن

(١) بحث حول الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحركته المجدده، ص/٢٨

أدركته الوفاة سنة ١١٣٥. وأعقب من الأولاد: عبد النبي. فنشأ نشأة صالحة على طريقة والده وزيادة، ولاحت عليه لوائح السعادة إلى أن حال حاله وكثرت أمواله، فاشترى بيتا كبيرا في آخر زقاق العاصي، ونخلا بجزع السيح وغيرهما. وأوقفهما على أولاده. وهما بأيديهم " إلى " اليوم. توفي سنة ١١٣٠. وأعقب من الأولاد: محمدا، وعبد الله، وعمر، وفاطمة.

فأما محمد فكان رجلا كاملا، عاقلا، وكان صائغا. وجميع إخوانه كذلك. وصار في وجاق الإنقشارية. وتوفي شابا سنة ١١٤٨. وأعقب من الأولاد: عمر. فنشأ نشأة صالحة مثل والده. وصار صائغا من أهل الديانة والأمانة. وهو في وجاق النوبجتية. وصار جاوشا وبيرقدارا وجروبجيا. وتولى الحبسة. وصار كتخدا نوبجتيان عاما كاملا إلى أن قبض عليه محمد باشا. وسار إلى الشام بمزيد العز والإكرام. ثم أعاده إلى بلده ووطنه. وله ولد وبنات موجودون بقيد الحياة.

وأما عبد الله فكان رجلا صالحا، مباركا، قتله في دكانه محمد صالح المكي النوبجتي غيلة فمسك وحبس في القلعة ثلاثة أيام. وحاولوهم على أخذ الدية فلم يقبل أولياؤه فقتلوه في الحبس سرا في سنة ١١٤٠. ومن غريب الاتفاق أن الثلاثة الأيام التي كان محبوسا فيها ولم يؤخذ للقتيل بقود لم تطلع فيها شمس أبدا ولا ظهرت من كثرة الغيوم والهموم " والغموم " بسبب الظلم الغشوم.

حرف الزاي

" بيت الزيني " . أصلهم أحمد بن علي الزيني الصعيدي. قدم المدينة المنورة. وكان من أحسن المجاورين، رجلا صالحا، مباركا، ملازما للمسجد الشريف في غالب الأوقات إلى أن أدركته الوفاة؛ فتوفي وأعقب من الأولاد: عبد الرحمان. وهو رجل لا بأس به. وصار جوربجيا في النوبجتية. وكان بيننا وبينه صحبة ومحبة. وسافر إلى بندر ينبع المحروس سنة ١١٣٦ لاستخلاص حب أهل المدينة من البادية الجمالة **بسبب الغلاء العظيم** المسمى بشحي. وهو غلاء مشهور. وقد خاص منهم الكثير، وتوفي عبد الرحمان المزبور في سنة ١١٤٥. وأعقب من الأولاد: أبا بكر، وعليا، وأحمد، وأبا السعود، وخديجة.

فأما أبا بكر فكان رجلا مباركا. والدته حفصة بنت مصطفى حمودة الشامي السابق ذكره في حرف الحاء. وتوفي سنة ١١٥٢. وأعقب سليمان الموجود الآن.." (١)

" ثم قال أبو الحسن رحل مع أبيه وحج مع محمد بن حماد الطهراني سنة ستين ومائتين ثم رحل بنفسه الى الشام ومصر سنة اثنتين وستين ثم رحل الى أصبهان سنة أربع وستين قال لي أبو عبد الله القزويني

---

(١) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص/٦١

إذا صليت مع بن حاتم فسلم نفسك اليه يعمل بها ما شاء قال أبو الوليد الباجي بن أبي حام ثقة حافظ عمر بن إبراهيم الهروي الزاهد نا الحسين بن احمد الصفار سمعت بن أبي حاتم يقول وقع **عندنا الغلاء فانفذ** بعض اصدقائي حبوبا من أصبهان فبعته بعشرين ألف أو قال اشتر لي بها دارا فانفقتها على الفقراء وكتبت اليه اشتريت لك بها قصرا في الجنة فقال رضيت ان ضمنت فكتبت على نفسي صكا بالضمان فاريت في المنام قد قبلنا ضمانك ولا تعد لمثل هذا قلت الحسين ضعيف قال محمد بن مهرويه سمعت بن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول انا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة قال محمد فدخلت على بن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا فبكى وارتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية قلت مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاث مائة وفيها مات شيخ القراء أبو بكر احمد بن محمد الادمي وأبو الدنيا ." (١)

"وأما محاسن مصر فكثيرة: من ذلك ما قاله الشيخ الإمام الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق: إن من محاسن مصر اعتدال هوائها في حرها وبردها؛ وإن مزاج هوائها لا يقطع أحد ا عن التصرف كما يقطع حر بغداد أهلها عن التصرف في معايشهم، ويخلو أكثر الطرقات بها نهارا، وكذلك بردها، وإن برد مصر ربيع وحرها قيظ. وقدم رجل من بغداد إلى مصر فقيل له: ما أقدمك؟ فقال: فررت من كثرة الصياح في كل ليلة: يا غافلين! الصلاة لاختفائهم من الحر والبرد، فإن حر بغداد وبردها يقطعان أهلها عن التصرف حتى إنهم يكمنون في بطن الأرض من شدة الحر في الصيف، وتطوف الحراس في بعض المواضع نهارا لاختفاء الناس في بطون الأرض من شدة الحر. انتهى كلام ابن زولاق.

قلت: وأما برد الشمال والروم فلا حاجة لذكره لعظم البرد وكثرة الثلوج والأمطار وغير ذلك.

قال ابن زولاق أيضا: ومن ذلك الأقوات والميرة التي لا قوام لأحد في بلد إلا بها، فإن مصر تمير أهلها والساكنين بها وبأعمالها، وتمير الحرمين الشريفين والوافدين إليها، من الأقطار، وما تجد بلدا إلا وتصل إليها ميرة مصر؛ وبغداد لا تمير أهلها فضلا عن غيرهم لأن طعامها وأقوات ساكنيها من الموصل وأعماله والفرات وأعماله وديار مضر وربيعة.

وأما بغداد فإنها تمير نفسها أربعة أشهر، وتميرها الموصل أربعة أشهر، وتميرها واسط أربعة أشهر؛ وكذلك البصرة أيضا لا تمير نفسها، وإنما تميرها واسط والأهواز؛ ولما **حل الغلاء ببغداد** نزح عنها أهلها وأثر فيها إلى اليوم. وكان بمصر غلاء في سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وغلاء في سنة أربع عشرة وثلاثمائة، وغلاء

(١) تذكرة الحفاظ، ٨٣١/٣

في سنة عشرين وثلاثمائة، وغلاء في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وغلاء في سنه ست وسبع وثمان وخمسين وثلاثمائة، فما أثر ذلك فيها.

قلت: هذا، وما وصل القائل إلى غلاء سني المستنصر بالديار المصرية من سنة ست وخمسين إلى سنة خمس وستين وخمسمائة التي شبهت بأيام يوسف عليه السلام، ولم يقع بمصر غلاء مثله قبله ولا بعده، وبعد ذلك تراجع أمر مصر في مدة يسيرة وعاد ت إلى ما كانت عليه أولا. يأتي ذكر **هذا الغلاء وغيره** في ترجمة الخليفة المعز العبيدي في هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

قلت: وهذا القياس الذي ذكرناه بين مصر وبغداد إنما كان تلك الأيام التي كان بها يومئذ عظماء خلفاء بني العباس، وكانت مصر تلك الأيام يليها عامل من قبل أمير من أمراء الخلفاء؛ وأما يومنا هذا فلا تقاس مصر بالعراق جميعه بل تزيد محاسنها على جميع أقطار الأرض، ولولا خشية الإطالة لبينا ذلك، ولكن فيما ذكرناه من محاسن مصر وما اشتملت عليه من الطرائف كفاية عن الإطناب فيها. وأما خراج مصر قديما فقيل: إن كيقاوس أحد ملوك القبط الأول جبى خراجها فجاء مائة ألف ألف وثلاثين ألف د ينار، وجباه عزيز مصر مائة ألف ألف د ينار، وجباه عمرو بن العاص – رضي الله عنه – في الإسلام اثني عشر ألف ألف دينار، ثم رذل إلى أن جباه أحمد بن طولون في سنة ستين ومائتين أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار مع ما يضاف إليه من ضياع الأمراء، ثم جباه جوهر القائد خادم المعز العبيدي ثلاثة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار في سنة ستين وثلاثمائة.

وسبب نزول خراج مصر أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في حفر ترعها وإتقان جسورها، وإزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالقصب والحلفاء والقضاب وغير ذلك.

وحكى عبد الله بن لهيعة: أن المرتبين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل: سبعون ألفا بصعيد مصر، وخمسون ألفا بالوجه البحري.

وحكى ابن زولاق: أن أحمد بن المدبر لما ولي خراج مصر كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال: والله لو عمرها السلطان لوفت له بخراج الد نيا.

وقيل: إنها مسحت في أيام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء الغامر والعامر مائة ألف ألف فدان، والفدان أربعمائة قصبة، والقصبة عشرة أذرع.

وقيل: إن أحمد بن المدبر المذكور اعتبر ما يصلح للزراعة بمصر فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان،

والباقي مستبحر وتلف من قلة الزراعة، واعتبر أيضا مدة الحرث فوجدها ستين يوما؛ والحراث يحرث خمسين فدانا، فكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف وثمانين ألف حراث.." (١)

"قضى وطرا منه وغادر سنة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقال الذهبي في التذهيب: روى أحمد بن حنبل عن أبي عبد الله البصري عن أبي مليكة قال: قال عمرو بن العاص: إني لأذكر الليلة التي ولد فيها عمر. قلت: ما قال هذا إلا لأنه أسن من عمر فلعل بينهما نحو خمسين سنة. انتهى كلام الذهبي باختصار.

خطبة عمرو

وقال ابن عبد الحكم في تاريخه خطبة عمر: حدثنا عبد الرحمن حدثنا سعيد بن ميسرة عن إسحاق بن الفرات عن ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري عن بحير بن ذاخر المعافري قال: رحت أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة تهجيرا وذلك آخر الشتاء: أظنه بعد حميم النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس، فذعرت؛ فقلت: يا أبت، من هؤلاء؟ قال: يا بني، هؤلاء الشرط؛ فأقام المؤذنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر، فرأيت رجلا ربعة قصد القامة، وافر الهامة، أدعج أبلج، عليه ثياب موشية كأن به العقيان، تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة، فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم، فسمعته يحض على الزكاة وصلة الأرحام ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك: يا معشر الناس، إياكم وخلالا أربعة، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة، وإلى الضيق بعد السعة، وإلى المذلة بعد العزة. إياكم وكثرة العيال، وإخفاض الحال، وتضييع المال، والقيل بعد القال، في غير لمحرك ولا نوال؛ ثم إنه لا بد من فراغ يؤول إليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشأنه، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيكون من الخير عاطلا، وعن حلال الله وحرامه غافلا.

يا معشر الناس، إنه قد تدلت الجوزاء، وذكت الشعرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل، وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر، فحي لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده ؛ وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا؛ وإياكم والمسومات

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٧/١

والمعسولات فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم.
حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة؛ فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه، واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال؛ فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك؛ واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية.
وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض " ، فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: " لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة " . فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود وسخن العمود وكثر الذباب حمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر، فحي إلى فسطاطكم على بركة الله؛ ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته؛ أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم. قال: فحفظت ذلك عنه ؛ فقال والدي بعد انصرافنا إلى المنزل – لما حكيت له خطبته – إنه يا بني يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدعة.
السنة الأولى من ولاية عمرو بن العاص
الأولى على مصر
وهي سنة عشرين من الهجرة: فيها كانت غزوة تستر؛ وفيها توفي بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر الصديق، وحمامة أمه، وكان من السابقين الأولين وممن عذب في الإسلام وشهد بدرا وكان مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ مات بدمشق بالطاعون في هذه السنة، وقيل في التي قبلها، ودفن بدمشق بالباب الصغير، وله بضع وستون سنة – رضي الله عنه.." (١)

"وفيها شرع الخليفة عبد الملك بن مروان في عمارة القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة جامع الأقصى، وقيل: بل كان شروعه في ذلك سنة سبعين. وفيها عزل عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عن إمرة العراق وأعاد أخاه مصعب بن الزبير. فقدمها مصعب وتجهز وخرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان، وخرج عبد الملك أيضا من الشام يريد مصعب بن الزبير، فسار كل منهما إلى آخر ولايته وهجم عليهما الشتاء،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٩/١

فرجع كل منهما إلى ولايته. قال خليفة: وكانا يفعلان ذلك في كل سنة حتى قتل مصعب.

وفيها عقد عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة لحسان الغساني على غزو إفريقية.

وفيها اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام، فصالح الخليفة عبد الملك بن مروان ملكهم، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين. هكذا ذكر ابن الأثير هذه الواقعة في هذه السنة، وقال غيره: إنها في غير السنة.

وفيها توجه مصعب بن الزبير إلى مكة ومعه أموال كثيرة ودواب كثيرة، فقسم في قومه وغيرهم ونحر بدنا كثيرة.

وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه، وكانوا جماعة، فأمسك الله بأيديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة.

وفيها حج بالناس مصعب بن الزبير؛ وكان على قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة.

وفيها توفي الأحنف بن قيس التميمي البصري أبو بحر؛ واسمه الضحاك بن قيس بن معاوية بن الحصين، وكان أحنف الرجلين والحنف: الميل، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. قلت: وأخبار الأحنف مشهورة تغني عن الإطناب في ذكره، وقد تقدم ذكر وفاته، والصحيح في هذه السنة.

وفيها توفي أبو الأسود الدؤلي البصري الكناني، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ؛ وهو من الطبقة الأولى من تابعي البصرة؛ وهو أول من وضع علم النحو، ومات بالطاعون.

وفيها قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد أبي أحيحة بن العاص بن أمية الأشدق؛ سمي الأشدق لأنه كان خطيبا مفلقا، وقيل: لاتساع شدقه. وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة.

وفيها توفي قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك، أبو العلاء الأسدي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة ؛ وكانت أرضعته هند أم معاوية بن أبي سفيان. وفيها توفي مالك بن يخامر السكسكي الألهانى الحمصي، من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وقيل: له صحبة ورواية.

وفيها توفي يزيد بن ربيعة بن مفرغ أبو عنان الحميري البصري ؛ كان شاعرا مجيدا؛ والسيد الحميري من ولده.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثلاثة أصابع؛ مبلغ الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وستة أصابع.

السنة الخامسة من ولاية عبد العزيز

بن مروان على مصر

وهي سنة سبعين: فيها **كان الوباء بمصر**، وقيل فيها كان طاعون الجارف المقدم ذكره في لماضية.

وفيها تحول عبد العزيز بن مروان صاحب الترجمة من مصر إلى حلوان حسبما ذكرناه في أول ترجمته، واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار.

وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير.

وفيها كانت مقتلة عمير بن الحباب بن جعدة السلمي.

وفيها تحركت الروم على أهل الشام وعجز عبد الملك بن مروان عنهم لاشتغاله بقتال عبد الله بن الزبير، فصالح ملك الروم على أن يؤدي له في كل جمعة ألف دينار.

وفيها وفد مصعب بن الزبير على أخيه عبد الله بن الزبير بأموال العراق.

وفيها بعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية إلى البصرة ليأخذها في غيبة مصعب بن الزبير.

وفيها توفي الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي الأعور، راوية علي رضي الله عنه. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. وقيل: توفي سنة ثلاث وستين.

وفيها توفي عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمه جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، وكان اسمها عاصمة، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة. وعاصم هذا هو جد عمر بن عبد العزيز الأموي لأمه.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا. وفي درر التيجان: ثمانية عشر إصبعا.

السنة السادسة من ولاية عبد العزيز

بن مروان على مصر." (١)

"هو عبد الله ابن الخليفة عبد الملك بن مران بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأموي الأمير أبو عمر. ولد في حدود سنة ستين ونشأ بدمشق تحت كنف والده عبد الملك؛ وندبه أبوه في خلافته إلى عدة غزوات، وافتتح المصيصة في سنة أربع وثمانين وقتل وسبى وغنم؛ ثم ولاه

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧٣/١

أبوه إمرة مصر بعد موت عمه عبد العزيز بن مران في سنة خمس وثمانين، فتوجه إليها ودخلها في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وثمانين، وقيل من سنة ست وثمانين. ودخل مصر ابن سبع وعشرين سنة؛ كان أبوه عبد الملك أمره أن يعفي آثار عبد العزيز؛ فأول ما دخل عبد الله المذكور استبدل العمال بعمال غيرهم والأصحاب بأصحاب أخر، واستعمل على شرطة مصر عبد الأعلى، ومنع من لبس البرانس ؛ وكان فيه شدة بأس. فلم يكن إلا أشهر وتوفي أبوه عبد الملك بن مران وولي الخلافة من بعده أخوه الوليد بن عبد الملك، فأقره الوليد على إمرة مصر على عادته؛ فأمر عبد الله المذكور أن تنسخ دواوين مصر بالعربية، وكانت تكتب بالقبطية، ففعل ذلك. ثم وقع في سنة سبع وثمانين الشراقي بمصر وغلت الأسعار بها إلى الغاية، حتى قيل: إن أهل مصر لم يروا في عمرهم مثل تلك الأيام. وقاست أهل مصر شدائد بسبب الغلاء، فاستشأمت الناس بكعبه. هذا مع ما كان عليه من الجور؛ فإنه كان يرتشي ويأخذ الأموال من الخراج وغيره. ولما شاع ذلك عنه طلبه أخوه الوليد من مصر، فخرج عبد الله من مصر إليه بدمشق في صفر سنة ثمان وثمانين، واستخلف على مصر عبد الرحمن بن عمرو بن مخزوم الخولاني. هذا وأهل مصر في شدة عظيمة من عظم الغلاء؛ فأقام عند الوليد مدة يسيرة ثم عاد إلى مصر حتى عزله أخوه الوليد بن عبد الملك عن إمرة مصر في سنة تسعين، وولى عوضه على مصر قرة بن شريك الآتي ذكره. فكانت ولاية عبد الله هذا على مصر ثلاث سنين وعشرة أشهر.

وبعد عزله توجه إلى دمشق عند أخيه الوليد. وخرج من مصر بجميع أمواله واستصحب معه الهدايا والتحف إلى أخيه الوليد. فلما وصل إلى الأردن أحيط به من قبل أخيه الوليد فأخذ جميع ما كان معه، وحمل عبد الله المذكور إلى أخيه الوليد. وعبد الله هذا أمه أم ولد لأن أكبر إخوته الوليد ثم سليمان ثم مران الأكبر – عرج – وعائشة؛ وأمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن خزيمة ؛ ثم يزيد ومروان الأصغر ومعاوية وأم كلثوم، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ؛ ثم هشام وأمه أم هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومية واسمها عائشة؛ ثم أبو بكر، وكان يعرف ببكار، وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله ؛ ثم الحكم وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان؛ ثم فاطمة وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ثم عبد الله هذا صاحب الترجمة، ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لأمهات الأولاد.

السنة الأولى من ولاية عبد الله

بن عبد الملك بن مران على مصر وهي سنة ست وثمانين.

فيها كان طاعون القينات؛ سمي بذلك لأنه بدأ في النساء، وكان بالشام وواسط والبصرة.
وفيها سار قتيبة بن مسلم متوجها إلى ولايته فدخل خراسان وتلقاه دهاقين بلخ وساروا معه، وأتاه أيضا أهل صاغان بهدايا ومفتاح من ذهب وسلموا له بلادهم با لأمان.
وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصن بولق وحصن الأخرم. وفيها توفي الخليفة عبد الملك بن مران بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين أبو الوليد، القرشي الأموي، والد عبد الله هذا صاحب الترجمة. بويع بالخلافة بعهد من أبيه مروان بن الحكم، وكان ذلك بعد أن دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة. وتم أمر عبد الملك المذكور في الخلافة وبقي على مصر والشام، وابن الزبير عدى باقي البلاد، مدة سبع سنين والحروب ثائرة بينهم. ثم غلب عبد الملك على العراق وما والاها بعد قتل مصعب بن الزبير؛ ثم ولى الحجاج بن يوسف الثقفي العراق ومحاربة عبد الله بن الزبير حتى قتله ؛ واستوثق الأمر بقتل عبد الله بن الزبير لعبد الملك، ودام في الخلافة حتى توفي بدمشق في شوال. وخلافته المجمع عليها أعني بعد قتل عبد الله بن الزبير من وسط سنة ثلاث وسبعين.." (١)

"قلت: تقدم التعريف به في ولايته الأولى على مصر في سنة اثنتين ومائة؛ وكان سبب ولايته هذه على مصر ثانيا أنه لما ضعف أمر عبد الرحمن بن خالد أمير مصر المقدم ذكره شكا منه أهل مصر إلى هشام بن عبد الملك، وكان شكواهم من لينه لا لسوء سيرته، فعزله الخليفة هشام لهذا المقتضى وغيره وولى حنظلة بن صفوان هذا ثانيا على إمرة مصر على صلاتها؛ فقدمها حنظلة في خامس المحرم سنة تسع عشرة ومائة، وتم أمره ورتب أمور الديار المصرية ودام بها إلى سنة إحدى وعشرين ومائة؛ وفيها انتقض عليه قبط مصر، فحاربهم حنظلة المذكور حتى هزمهم. ثم في سنة اثنتين وعشرين ومائة قدم عليه بمصر رأس زيد بن علي زين العابدين فأمر حنظلة بتعليقها وطيف بها؛ ثم استمر على إمرة مصر إلى أن عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك وولاه إفريقية، فاستخلف حنظلة على صلاة مصر حفص بن الوليد الحضري المعزول عن إمرة مصر قبل تاريخه. وخرج حنظلة من مصر إلى إفريقية يوم الاثنين لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فكانت ولايته على مصر في هذه المرة الثانية خمس سنين وثمانية أشهر.
وذكر صاحب كتاب البغية والاغتباط، فيمن ولي الفسطاط قال بعد ما سماه: ولي ثانيا من قبل هشام على الصلاة، فقدم يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم سنة تسع عشرة ومائة، وجعل على شرطته عياض بن خترمة بن سعد الكلبي. ثم ذكر نحوا مما ذكرناه من عزله وخروجه إلى إفريقية.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٨٣/١

ولما ولي حنظلة إفريقية أمره الخليفة هشام بتولية أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي إمرة الأندلس، فولاه في شهر رجب. وكان أبو الخطار لما تتابع ولاة الأندلس من قيس قال شعرا وعرض فيه بيوم مرج راهط، وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم، وقيام القيسية مع الضحاك بن قيس الفهري على مروان. فلما بلغ شعره هشام بن عبد الملك سأل عنه فأعلم أنه رجل من كلب. فأمر هشام بن عبد الملك حنظلة أن يولي أبا الخطار الأندلس فولاه وسيره إليها، فدخل قرطبة فرأى ثعلبة بن سلامة أميرها قد أحضر الألف الأسرى من البربر ليقتلهم، فلما دخل أبو الخطار دفع الأسرى إليه، فكانت ولايته سببا لحياتهم. ومهد أبو الخطار بلاد الأندلس. وفي ولايته خرج عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع بالأندلس، فأرسل إليه حنظلة رسالة يدعوه إلى مراجعة الطاعة فقبضهم وأخذهم معه إلى القيروان، وقال: إن رمي أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندي أجمعين، فلم يقاتله أحد، واستفحل أمره. وكان حنظلة لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجي. فلما قوي أمر عبد الرحمن خرج حنظلة إلى الشأم ودعا على عبد الرحمن وأهل إفريقية فاستجيب له، فوقع الوباء والطاعون ببلادهم سبع سنين لم يفارقهم إلا في أوقات متفرقة. وثار على عبد الرحمن هذا جماعة من العرب والبربر ثم قتل بعد ذلك. هذا بعد أن وقع له مع أبي الخطار حروب ووقائع. وكان ممن خرج على عبد الرحمن عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس، وثابت الصنهاجي بناحية أخرى، وأما حنظلة فإنه أستمر بالشأم إلى أن مات.

السنة الأولى من ولاية حنظلة

الثانية على مصر

وهي سنة تسع عشرة ومائة: فيها حج بالناس مسلمة بن عبد الملك أخو الخليفة هشام.

وفيها غزا مروان بن محمد المعروف بالحمار غزوة السابحة فدخل بجيشه من باب اللان، فلم يزل حتى خرج من بلاد الخزر، ثم انتهى إلى البيضاء مدينة الخاقان.

وفيها جهز عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية جيشا، عليهم قثم بن عوانة، فأخذوا قلعة سردانية من بلاد المغرب ورجعوا، فغرق قثم بن عوانة وجماعته في البحر.

وفيها توفي عبد الله بن كثير، مقرىء أهل مكة، أبو معبد، مولى عمرو بن علقمة الكناني؛ أصله فارسي، ويقال له: الداري والداري: العطار، نسبة إلى عطر دارين، وقال البخاري: هو مولى قريش من بني عبد الدار، وقال أبو بكر بن أبي داود: الدار: بطن من لخم، منهم تميم الداري؛ قرأ القرآن على مجاهد وغيره، وقيل: إن وفاته سنة عشرين، وهو الأصح.

وفيها قصد خاقان أسد بن عبد الله القسري بجموع الترك، فالتقاهم أسد بن عبد الله وواقعهم فقتل خاقان وأصحابه. وغنم أسد أموالا عظيمة وفتح بلادا لم يصل إليها غيره.." (١)

"ولما ولي صالح مصر ببيعة أهل مصر لأمير المؤمنين عبد الله السفاح؛ ثم أخذ صالح في إصلاح أمر مصر وقبض على جمع كثير من المصريين الأمويين، منهم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر وأخوه معاوية، وقتل كثيرا من شيعة بني أمية، وحمل طائفة منهم إلى العراق، وقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين؛ وأمر للناس بأعطيتهم للمقاتلة والعيال، وقسم الصدقات على الأيتام والمساكين وأبناء السبيل، وزاد في المسجد زيادة هائلة، وجعل على شرطته ابن هانىء الكندي؛ ثم ورد عليه بعد مدة طويلة كتاب السفاح بإمارته على فلسطين والاستخلاف على مصر، فاستخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد، وخرج منها في شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ وسار معه عبد الملك بن مروان بن موسى، الذي كان أمير مصر، مكرما وعدة من أهل مصر - تأتي بقية ترجمة صالح بن علي هذا في ولايته الثانية على مصر إن شاء الله تعالى - فكانت ولاية صالح على مصر في هذه المرة سبعة أشهر وأياما.

السنة التي حكم فيها صالح

على مصر

وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائة: فيها استعمل الخليفة السفاح على البصرة عمه سليمان بن علي، واستعمل على مكة خاله زياد بن عبيد الله، وعلى اليمن ابن خالة محمد بن زياد بن عبيد الله. وفيها وجه السفاح على إفريقية محمد بن الأشعث.

وفيها خرج ببخارا شريك بن شيخ المهري، وكان قد نقم على أبي مسلم الخراساني تجبره، فجهز إليه أبو مسلم جيشا فحاربوه وقتلوه.

وفيها خرج طاغية الروم قسطنطين بجيوشه وأخذ ملطية وهدم السور والجامع وفيها قتل عبد الله بن علي عم السفاح الخليفة خلقا كثيرا من قواد بني أمية. وفيها توفي داود بن علي بن عبد الله بن العباس عم الخليفة السفاح. وكان ولي المدينة ومكة، وحج بالناس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة؛ وهو أول أمير حج بالناس من بني العباس؛ وقتل داود هذا أيضا في ولايته خلقا من بني أمية وأعوانهم. ثم مات بعد أشهر واستخلف حين احتضر على عمله ولمده موسى، فاستعمل السفاح على مكة خاله زيادا المقدم ذكره، وموسى بن داود على إمرة المدينة لا غير. وفيها قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/١١٠

وفيها قتل عبد الله بن علي عم السفاح ثعلبة وعبد الجبار ابني أبي سلمة بن عبد الرحمن.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وتسعة أصابع.

ولاية أبي عون الأولى

على مصر

هو أبو عون، واسمه عبد الله، وقيل عبد الملك بن يزيد، الأمير أبو عون؛ أصله من أهل جرجان. ولي صلاة مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي بن عبد الله بن العباس له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة. واستمر أبو عون بمصر إلى أن **وقع الوباء بها** فخرج منها إلى يشكر واستخلف على مصر صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وقحزم بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وفتح الزاي وبعدها ميم. ثم عاد أبو عون إلى مصر **بعد الوباء وأقام** بها إلى أن خرج منها ثانيا إلى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة، واستخلف على مصر عكرمة أيضا، وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل.
وفي هذه السنة خرج القبط عليه بسمنود بالوجه البحري من أعمال مصر، فبعث إليهم أبو عون جيشا فحاربوهم وقتلوهم. وفي أيام أبي عون هذا سكنت أمراء مصر العسكر.
وسببه أنه لما قدم صالح بن علي العباسي وأبو عون هذا بجموعهم إلى مصر في طلب مروان الحمار نزلت عساكرهما الصحراء جنب جبل يشكر، الذي هو الآن جامع أحمد بن طولون وكان فضاء. فلما رأى أبو عون ذلك أمر أصحابه بالبناء فيه فبنوا وبنى هو به أيضا دار الإمارة ومسجد عوف بجامع العسكر. وعملت الشرطة أيضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا؛ وإلى جانبها بنى الأمير أحمد بن طولون جامعه الموجود الآن. وسمي من يومئذ ذلك الفضاء العسكر وصار منزلا لأمراء مصر من بعد أبي عون، وصار العسكر مدينة ذات أسواق ودور عظيمة؛ وفيه أيضا بنى الأمير أحمد بن طولون بيمارستانه، وكان البيمارستان المذكور بالقرب من بركة قارون التي صارت الآن كيمانا وبعضها بركة على يسار من مشى من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السد؛ وعلى هذه البركة بنى كافور." (١)

"وذكر الذهبي وفاة جماعة في هذه السنة، قال: وفيها توفي محمد بن عبد الله ابن حسن وأخوه إبراهيم قتلا، والأجلح الكندي، وإسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، وأنيس بن أبي يحيى الأسلمي، وحبيب بن الشهيد، وحجاج بن أرطاة، والحسن بن ثوبان، والحسن بن الحسن

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢٧/١

في سجن المنصور، ورؤبة بن العجاج التميمي، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، وعبد الملك بن أبي سليمان الكوفي، وعمر بن عبد الله مولى غفرة بالمعجمة والفاء وعمرو بن ميمون بن مهران الجزري، ومحمد بن عبد الله الديباج، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وهشام بن عروة في قول، ويحيى بن الحارث الذماري ونصر بن حاجب الخراساني، ويحيى بن سعيد أبو حيان التيمي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وثمانية أصابع. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا.

السنة الثانية من ولاية يزيد بن حاتم على مصر

وهي سنة ست وأربعين ومائة.

فيها كان فراغ بناء بغداد وتحول إليها الخليفة أبو جعفر المنصور في صفر؛ وكان خالد بن برمك أشار على المنصور ببنائها، وقيل: إن حجاج بن أرطاة هو الذي اختط جامعها، وقبلتها منحرفة؛ ولما دخلها الخليفة أبو جعفر المنصور أمر أن يكتب إلى الآفاق أن يرد عليه الخطباء والعلماء والشعراء؛ وكان لا يدخل أحد المدينة راكبا، فشكا إلى المنصور عمه عيسى بن علي أن المشي يشق عليه، فلم يأذن له في الركوب ؛ ثم بعد مدة أمر المنصور بإخراج الأسواق من المدينة، خوفا من مبيت صاحب خبر بها، فبنيت الكرخ وباب المحول وغير ذلك. وظهر شح المنصور في بناء بغداد، وبالغ في المحاسبة، حتى قال خالد بن الصلت، وكان على بناء ربع بغداد : رفعت إليه الحساب فبقيت علي خمسة عشر درهما فحبسني حتى أديتها.

وعندما دخل المنصور بغداد وقع بها الطاعون. وقد تقدم أن الطاعون غير الوباء، فالوباء هو الذي تتنوع فيه الأمراض، والطاعون هو الطعن الذي ذكر في الحديث.

وفيها توفي ضيغم بن مالك العابد. كان من الخائفين البكائين؛ وهو من الطبقة الخامسة من أهل البصرة ؛ وكان ورده في كل يوم أربعمائة ركعة.

وفيها توفي عمرو بن قيس الملائي، من الطبقة الرابعة من أهل الكوفة؛ كان من الأبدال، وكان يقول: حديث أرقق به قلبي وأبلغ به إلى ربي أحب إلي من خمسين قضية من قضايا شريح.

وذكر الذهبي وفاة جماعة أخر، قال: وتوفي أشعث بن عبد الملك الحمراني، والحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ذباب المدني، وحبيب بن الشهيد بخلف، وسنان بن يزيد التميمي أبو حكيم الرهاوي، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند المدني، وعوف بن أبي جميلة الأعرابي، و محمد بن السائب الكلبي، ومحمد بن أبي يحيى الأسلمي، و هشام ابن عروة بن الزبير على الصحيح، ويزيد بن أبي عبيد، ويحيى بن

أبي أنيسة الجزري.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع وستة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا.
السنة الثالثة من ولاية يزيد بن حاتم على مصر
وهي سنة سبع وأربعين ومائة.
فيها حج الخليفة أبو جعفر المنصور وعزم على قبض جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - أعني جعفرا الصادق - فلم يتم له ذلك.
وفيها آنتثرت الكواكب من أول الليل إلى الصباح فخاف الناس عاقبة ذلك.
وفيها خلع الخليفة أبو جعفر المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد و ولاها لابنه محمد المهدي، وجعل عيسى المذكور بعد المهدي؛ وكان السفاح قد عهد إلى أبي جعفر المنصور بالخلافة ثم من بعده إلى عيسى بن موسى هذا.
وفيها أغارت الترك مع استرخان الخوارزمي على مدينة تفليس، وكان بها حرب بن عبد الله الريوندي الذي تنسب إليه الحربية ببغداد، فخرج إليهم حرب المذكور وقاتلهم فقتلوه وقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين وسبوا.." (١)

"ولما فتح عمرو برج العاص مصر بنى بها مقياسا بأسوان، فدام المقياس بها مدة إلى أن بني في أيام معاوية بن أبي سفيان مقياس بأنصنا أيضا؛ فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان. وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر إذ ذاك من قبل أخيه عبد الملك بن مروان، وقد تقدم ذكر عبد العزيز في ولايته على مصر. وكان عبد العزيز يسكن بحلوان. وكان مقياس عبد العزيز الذي ابتناه بحلوان صغير الفرع. ثم بنى أسامة بن زيد التنوخي في أيام الوليد بن عبد الملك مقياسا وكسر فيه ألف قنطار. وأسامة هذا هو الذي بنى بيت المال بمصر، وكان أسامة عامل خراج مصر. ثم كتب أسامة المذكور إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة ببطلان هذا المقياس المذكور، وأن المصلحة بناء مقياس غير ذلك؛ فكتب إليه سليمان ببناء مقياس في الجزيرة يعني الروضة فبناه أسامة في سنة سبع وتسعين - قال ابن بكير مؤرخ مصر: أدركت المقياس بمنف ويدخل القياس بزيادته كل يوم إلى الفسطاط يعني مصر - ثم بنى المتوكل فيها مقياسا في سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله هذا، وهو المقياس

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٣٩/١

الكبير المعروف بالجديد. وقدم من العراق محمد بن كثير الفرغاني المهندس فتولى بناءه؛ وأمر المتوكل بأن يعزل النصارى عن قياسه؛ فجعل يزيد بن عبد الله أمير مصر على القياس أبا الرداد الفقيه المعلم، واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد المؤذن. وكان القمي يقول: أصل أبي الرداد هذا من البصرة. وذكر الحافظ ابن يونس قال: قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر سبعة دنانير في كل شهر، فلم يزل القياس من ذلك الوقت في أيدي أبي الرداد وأولاده إلى يومنا هذا. ومات أبو الرداد المذكور في سنة ست وستين ومائتين.

قلت: وهذا المقياس هو المعهود الآن، وبطل بعمارته كل مقياس كان بني قبله من الوجه القبلي والبحري بأعمال الديار المصرية. واستمر على ذلك إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون الديار المصرية، وركب من القطائع في بعض الأحيان في سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه والقاضي بكار بن قتيبة الحنفي إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار. قلت: وأما مصروف عمارة هذا المقياس فشيء كثير، وبني بعد تعب زائد وكلفة كبيرة يطول الشرح في ذكرها؛ وفي النظر إلى بنائه ما يغني عن ذكر مصروف عمارته. وبنى أيضا الحارث مقياسا بالصناعة لا يلتفت إليه ولا يعتمد عليه ولا يعتد به، وأثره باق إلى اليوم.

وقال الحسن بن محمد بن عبد المنعم: لما فتحت العرب مصر عرف عمرو بن العاص عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حد مقياس لهم فضلا عن تقاصره، وأن فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، ويدعو الاحتكار إلى تصاعد الأسعار بغير قحط. فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله عن شرح الحال؛ فأجابه عمرو: إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا، والحد الذي تروى منه إلى سائرها حتى يفضل منه عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان، وهما الظمأ والاستبحار، اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر ذراعا في الزيادة. وكان البلد في ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط، وخميرة العمارة فيه.

قلت: وقد تقدم ذكر ما تحتاج مصر إليه من الرجال للحرث والزراعة وحفر الجسور، وكمية خراج مصر يوم ذاك وبعده في أول هذا الكتاب عند ذكر النيل، فلا حاجة لذكره هنا ثانيا إذ هو مستوعب هناك. ولم نذكر هنا هذه الأشياء إلا استطرادا لعمارة هذا المقياس المعهود الآن في أيام صاحب هذه الترجمة ؛ فلزم من ذلك التعريف بما كان بمصر من صفة كل مقياس ومحله وكيفيته، ليكون الناظر في هذا الكتاب على بصيرة

بما تقدم من أحوال مصر.

ولما وقف عمر بن الخطاب على كتاب عمرو بن العاص استشار عليا رضي الله عنهما في ذلك؛ ثم أمره أن يكتب إليه ببناء مقياس، وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا، وأن يقر ما بعدهما على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين؛ ففعل ذلك وبناه عمرو عني المقياس بحلوان ؛ فاجتمع له كل ما أراد.." (١)

"وفيها خرج الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الأرقط عبد الله بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بمدينة قزوين فغلب عليها في أيام فتنة المستعين؛ وقد كان هو وأحمد بن عيسى العلوي قد اجتمعا على قتال أهل الري وقتلا بها خلقا كثيرا وأفسدا وعاثا وسار لقتالهما جيش من قبل الخليفة فأسر أحدهما وقتل الآخر.

وفيها خرج إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الحسني العلوي بالحجاز، وهو شاب له عشرون سنة وتبعه خلق من العرب، فعاث في الحرمين وأفسد موسم الحافي وقتل من الحجاج أكثر من ألف رجل، واستحل المحرمات بأفاعيله الخبيثة، وبقي يقطع الميرة عن الحرمين حتى هلك الحجاج وجاعوا؛ ثم **نزل الوباء فهلك** في الطاعون هو وعامة أصحابه في السنة الآتية.

وفيها توفي إسحاق بن منصور بن بهرام الحافظ، أبو يعقوب التميمي المروزي الكوسج؛ كان إماما عالما محدثا فقيه ا رحالا، وهو أحد أئمة الحديث. وفيها توفي الحسين بن الضحاك بن ياسر، أبو علي الشاعر المشهور المعروف بالحسين الخليع الباهلي البصري؛ ولد بالبصرة سنة آثنتين وستين ومائة ونشأ بها ومدح غير واحد من الخلفاء وجماعة من الوزراء وغيرهم ؛ وكان شاعرا مجيدا خليعا؛ وهو من أقران أبي نواس، وشعره كثير.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي إسحاق بن منصور الكوسج، وأيوب بن الحسن النيسابوري الفقيه صاحب محمد بن الحسن، وحميد بن زنجويه، وعمرو بن عثمان الحمصي، وأبو تقي هشام بن عبد الملك اليزني، ومحمد بن سهل بن عسكر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبعة أذرع وأربعة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

؟السنة العاشرة من ولاية يزيد

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٥٤/١

بن عبد الله على مصر وهي سنة اثنتين وخمسين ومائتين.
فيها استقر خلع المستعين من الخلافة وقتل بعد الحبس على ما يأتي ذكره. وكانت فيها بيعة المعتز بالخلافة.
وفيها ولى الخليفة المعتز الحسن بن أبي الشوارب قضاء القضاة.
وفيها خلع الخليفة المعتز على الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر خلعة الملك وقلده سيفين، فأقام بغا ووصيف الأميران ببغداد على وجل من ابن طاهر، ثم رضي المعتز عنهما وردهما إلى رتبتهما.
ونقل المستعين إلى قصر الحسن بن سهل بالمخرم، هو وعياله ووكلوا به أميرا وكان عنده خاتم عظيم القدر فأخذه محمد بن طاهر وبعث به إلى المعتز. وفيها خلع الخليفة المعتز على أخيه أبي أحمد خلعة الملك وتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ووشاحين مجوهرين وقلده سيفين.
وفيها في شهر رجب خلع المعتز أخاه المؤيد إبراهيم من العهد وقيده وضربه. وفيها حبست أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكرية ببغداد وغيرها، فجاءت في العام الواحد مائتي ألف ألف دينار، وذلك عن خراج المملكة سنتين.
وفيها مات إسماعيل بن يوسف العلوي الذي كان خرج بمكة في السنة الخالية ووقع بسببه حروب وفتن.
وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد إلى واسط ثم رد أيضا إلى بغداد، ثم نفى المعتز أيضا علي بن المعتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد.
وفيها حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الهاشمي العباسي.وفيها توفي المؤيد إبراهيم ولي العهد ابن الخليفة المتوكل على الله الهاشمي العباسي وأمه أم ولد، وكان أخوه المعتز خلعه وحبسه؛ وفي موته خلاف كبير، والأقوى عندي أنه مات خنقا.
وفيها توفي إبراهيم بن سعد الحافظ، أبو إسحاق الجوهري؛ كان إماما محدثا دينا صدوقا ثبتا؛ طاف البلاد ولقي الشيوخ وسمع الكثير، وروى عنه غير واحد وصنف المسند.." (١)

"أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبع.
السنة الرابعة من ولاية أحمد
بن طولون على مصر وهي سنة ثمان وخمسين ومائتين فيها عقد المعتمد على الله لأخيه الموفق طلحة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٦٢/١

على حرب الزنج، فندب إليهم الموفق منصورا، فكانت وقعة بين منصور بن جعفر بن دينار وبين يحيى ، فانهزم عن منصور عسكره، وساق وراءه يحيى فضرب عنقه، وآستباحت الزنج عسكره فلما وصل الموفق إلى نهر معقل انهزم جيش الخبيث رأس الزنج، ثم تراجعوا وقاتلوا جيش الموفق حتى هزموه وانحاز الموفق وهم بالهروب، ثم تراجع وواقعهم حتى انتصر عليهم، وأسر طاغيتهم يحيى المذكور، وقتل عامة أصحابه، وبعث بيحيى إلى المعتمد، فضربه ثم طوف به ثم ذبحه. وفيها **وقع الوباء العظيم** بالعراق، ومات خلق لا يحصون، حتى مات غالب عسكر الموفق؛ فلما وقع ذلك كثر الزنج على الموفق وواقعوه ثانيا أشد من الأول. ثم هزمهم الله ثانيا.

وفيها كانت زلازل هائلة سقطت منها المنازل ومات خلق كثير تحت الردم.

وفيها كانت واقعة ثالثة بين الزنج والموفق كانوا فيها متكافئين.

وفيها توفي أحمد بن الفرات بن خالد أبو مسعود الرازي الأصبهاني. كان أحد الأئمة الثقات. ذكره أبو نعيم في الطبقة السابعة وأثنى عليه.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ سكن بغداد وحدث بها عن جده وغيره، وروى عنه المحاملي وغيره.

وفيها توفي جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي. كان يقال له قاضي الثغور، وولي القضاء بسر من رأى، وحدث عن أبي عاصم النبيل وغيره، قال أبو زرعة الرازي: كنت إذا رأيته هبته وأقول: هذا يصلح للخلافة.

وفيها توفي محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس أبو عبد الله النيسابوري الذهلي مولاهم ؛ كان حافظ عصره وإمام الحديث بنيسابور وصاحب الواقعة مع البخاري صاحب الصحيح. كان أحد الأئمة الحفاظ المتقنين؟ كان الإمام أحمد بن حنبل يثني عليه وينشر فضله ويقول: هو إمام السنة بنيسابور.

وفيها توفي معاوية بن صالح، أب وعمرو الحضرمي الحمصي قاضي الأندلس، أصله من أهل مصر ؛كان إماما عالما فاضلا محدثا كبير الشأن.

وفيها توفي يحيى بن معاذ بن جعفر، أبو زكريا الرازي الواعظ، أحد الزهاد أوحد وقته في علوم الحقائق ؛ وكانوا ثلاثة إخوة: يحيى وإسماعيل وإبراهيم؛ كان إسماعيل أكبرهم، ويحيى الأوسط.

وفيها توفي يحيى الجلاء. كان من الزهاد، وصحب بشرا الحافي ومعروفا الكرخي وسريا السقطي. قال أحمد بن حنبلي: قلت لذي النون: لم سمي بابن الجلاء. فقال: سميناه بذلك لأنه إذا تكلم جلا قلوبنا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع ونصف. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وخمس أصابع ونصف.

السنة الخامسة من ولاية أحمد

وهي سنة تسع وخمسين ومائتين: فيها كان أيضا بين الموفق وبين الزنج مقتلة عظيمة، ثم كان بين موسى ابن بغا وبين الزنج أيضا مقتلة عظيمة، وقتل فيها خلق من الطائفتين.

وفيها كانت وقعة بين الروم وبين أحمدبن محمد القابوسي على ملطية وشمشاط ، ونصر الله المسلمين.

وفيها ولد عبيد الله الملقب بالمهدي والد الخلفاء الفاطميين.

وفيها توفي الحسين بن عبد السلام، أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور كان يصحب الشافعي رضي الله عنه .

وفيها توفي محمد بن عمرو بن يونس، أبو جعفر الثعلبي، ويعرف أيضا بالسوس، الزاهد العابد؛ مات وقد بلغ من العمر مائة سنة.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع أبو الحسن القرشي الدمشقي الحافظ العالم المحدث مصنف كتاب الطبقات.

وفيها توفي الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي ألج رجاني العالم المشهور.

وفيها توفي أيضا أحمد بن إسماعيل السهمي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وخمس أصابع ونصف.

السنة السادسة من ولاية أحمد

وهي سنة ستين ومائتين: فيها **كان الغلاء المفرط** بالحجاز والعراق حتى بلغ الكر من الحنطة ببغداد مائة وخمسين دينارا.." (١)

"وصلا بعسكرهما قريب الإسكندرية وخفيف النوبي في أثرهما لا قريبا منهما وكان أبوزنبور قد أرسل المتقلبين والكتاب إلى الإسكندرية ليتحصنوا بها وتابع محمد الخلنجي العساكر إلى نحو خفيف النوبي نجدة له في البر والبحر فكان ممن ندبه محمد الخلنجي محمد بن لمجور في ست مراكب بالسلاح والرجال فسار حتى وافى الإسكندرية في يوم الخميس نصف ذي الحجة وكان بينه وبين أهل الإسكندرية

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/٢٧٦

مناوشة حتى دخلها وخلص بعض أولئك المتقبلين والكتاب وحملهم إلى مصر وأخذ أيضا لعيسى النوشري ولأبي زنبور ما وجلى لهما بالإسكندرية وفرقه على عساكره وأقام بعسكره مواقفا عيسى النوشري خارجا عن الإسكندرية أياما ثم آنصرف إلى مصر وانصرف عيسى النوشري إلى ناحية تروجة فوافاه هناك خفيف النوبي وواقعه فكانت بينهماوقعة هائله انهزم فيها خفيف النوبي وقتل جماعة من أصحابه ولم يزل خفيف في هزيمته إلى أن وصل إلى مصر بمن بقي معه من أصحابه فلم يكترث محمد الخلنجي بذلك وأخذ في إصلاح أموره وبينما هو في ذلك ورد عليه الخبر بمجيء العساكر إليه من العراق صحبة فاتك المعتضدي وبدر الحمامي وغيرهما فجهز محمد الخلنجي عسكرا لقتال النوشري وقد توجه النوشري نحو الصعيد ثم خرج هو في عساكره إلى أن وصل إلى العريش ثم وقع له مع عساكر العراق وجيوش النوشري وقائع يطول شرحها حتى أجدبت مصر وحصل **بها الغلاء العظيم** وعدمت الأقوات من كثرة الفتن وطال الأمر حتى ألجأ ذلك إلى عود محمد بن علي الخلنجي إلى مصر عجزا عن مقاومة عساكر العراق وعساكر أبي الأغر بمنية الأصبغ بعد أن واقعهم غير مرة وطال الأمر عليه فلما رأى أمره في إدبار وعلم أن أمره يطول ثم يؤول إلى آنهزامه دبر في أمره مادام فيه قوة فأطلع عليه محمد بن لمجور المقدم ذكره وهوأحد أصحابه وعرفه سرا بأشياء يعملها وأمره أن يركب بعض المراكب الحربية وحمل معه ولده وما أمكنه من أموإله وواطأه على الركوب معه وأمره بآنتظاره ليتوجه صحبته في البحر إلى أي وجه شاء هاربا فشحن محمد بن لمجور مركبه بالسلاح والمال وصار ينتظر محمدا الخلنجي صاحب الواقعة ومحمد الخلنجي يدافع عسكر عيسى النوشري تارة و عسكر الخليفة مرة إلى أن عجز وخرج من مصر إلى نحو محمد بن لمجور حتى وصل إليه فلما رآه محمد بن لمجور قد قرب منه رفع مراسيه وأوهمه أنه يريده فلما دنا منه ناداه محمد بن علي الخلنجي ليصير إليه ويحمله معه في المركب فلما رآه محمد بن لمجوروسمع نداءه سبه وقال له مت بغيظك قد أمكن الله منك وتأخر وضرب بمقاذيفه وانحدر في النيل وذلك لما كان في نفس محمد بن لمجور من محمد بن علي الخلنجي مما أسمعه قديما من المكروه والكلام الغليظ فلما رأى محمد الخلنجي خذلان محمد بن لمجور له ولم يتم له الهرب كر راجعا حتى دخل مدينة مصر وقد آنفل عنه عساكره فصار إلى منزل رجل كان يعنى بإخفائه ويءامنه على نفسه ليختفي عنده فخافه المذكور وتركه هاربا وتوجه إلى السلطان فتنصح إليه وأعلمه أنه عنده فركب السلطان وأكابر الدولة والعساكر حتى قبضوا عليه وكان ذلك في صبيحة يوم الاثنين ثامن شهر رجب من سنة ثلاث وتسعين ومائتين فكانت مدة عصيانه منذ دخل إلى مصر إلى أن قبض عليه سبعة أشهر واثنين وعشريين يوما ودخل فاتك وبحر الحمامي بعساكرهما وعساكر

العراق حتى نزلا بشاطىء النيل ثم وافاهم الأمير عيسى النوشري من الفيوم حسبما يأتي ذكره في ترجمته في ولايته الثانية على مصر أعني عوده إلى ملكه بعد الظفر بمحمد بن علي الخلنجي ونزل عيسى بدار فائق، فإن بدرا كان قد م إلى مصر ونزل في داره التي كان النوشري نزل فيها أؤلا ودعا للخليفة على منابر مصر ثم من بعده لعيسى النوشري هذا وأمور مصر مضطربة إلى غاية ما يكون وقلد عيسى شرطة العسكر لمحمد بن طاهر المغربي وشرطة المدينة ليوسف بن إسرائيل وتقلد أبو زنبور الخراج على عادته وأخذ النوشري في إصلاح أمور مصر والضياع وتتبع أصحاب محمد الخلنجي من الكتاب والجند وغيرهم وقبض على جماعة كثيرة منهم مثل السري بن الحسين الكاتب وأبي العباس أحمد بن يوسف كاتب ابن الجصاص وكان على نفقات محمد الخلنجي وجماعة أخر يطول الشرح في ذكرهم وأما محمد بن لمجور وكيغلغ وبدر الكريمي وجماعة أخر من أصحاب محمد الخلنجي فإنهم تشتتوا فى البلاد ثم دخل محمد بن لمجور مصر متنكرا فقبض عليه وطيف به ومعه." (١)

"وفيها في شهر ربيع الآخر هبت ريح شديدة حملت رملا أحمر قيل إنه من جبل ذرود فامتلأت به أزقة بغداد وسطوحها.

وفيها قبض المقتدر على الوزير ابن مقلة وأحرقت داره وكانت عظيمة قد ظلم الناس في عمارتها وعز على مؤنس الخادم حتى لم يشاوره المقتدر في القبض عليه ثم أستوزر المقتدر سليمان بن الحسن فكان لا يصدر عن أمر حتى يشاور علي بن عيسى وكانت وزارة ابن مقلة سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

وفيها توفي جعفر بن محمد بن يعقوب الشيخ أبو الفضل الصندلي البغدادي كان من الأبدال سمع علي بن حرب وغيره واتفقوا على ثقته وصدقه وفيها توفي سعيد بن عبد العزيز بن مروان الشيخ أبو عثمان الحلبي الزاهد وهو من أكابر مشايخ الشام صحب سريا السقطي وروى عنه أبو الحسين الرازي وغيره ومات بدمشق .

وفيها توفي عبد الواحد بن محمد بن المهتدي أبو أحمد الهاشمي سمع يحيى بن أبي طالب وروى عنه أبو الحسين الرازي وغيره.

وفيها توفي عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الأسفرايني ولد بقرية من أعمال أسفراين يقال لها " جوربذ وسافر في طلب الحديث وكان من الاثبات.

وفيها توفي محمد بن سعيد بن محمد أبو عبد الله الميورقي قدم بغداد وحدث بها وكان يتفقه على مذهب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٢١/١

الإمام الأعظم أبي حنيفة.

وفيها توفي يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور كان محدثا فاضلا قال أو أسبوعين بنو صاعد ثلاثة يوسف وأحمد ويحيى وكانت وفاة يحيى هذا ببغداد.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الأنبار في قاضي مدينة المنصور وأبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحراني وسعيد بن عبد العزيز الحلبي الزاهد وأبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الأسفرايني وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن فيروز الأنماطي ويحيى بن محمد بن صاعد في ذي القعدة وله تسعون سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وإحدى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا إصبعان.

السنة الثامنة من ولاية تكين الرابعة

وهي سنة تسع عشرة وثلاثمائة: فيها نزل القرامطة الكوفة فهرب أهلها إلى بغداد.

وفيها دخل الديلم الدينور وقتلوا أهلها وسبوا فورد بعض أهل دينور بغداد وقد سودوا وجوههم ورفعوا المصاحف على رؤوس القصب وحضروا يوم عيد النحر إلى جامع بغداد وآستغاثوا ومنعوا الخطيب من الخطبة والصلاة وثار معهم عامة بغداد وأعلنوا بسب المقتدر ولازم الناس المساجد وأغلقوا الأسواق خوفا من القرمطي.

وفيها ولد المعز أبو تميم معد العبيدي رابع خلفاء بني عبيد وأول من ملك منهم ديار مصر الآتي ذكره في محله من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وفيها قبض المقتدر على الوزير سليمان بن الحسن وحبسه وكانت وزارته سنة وشهرين وكان المقتدر يميل إلى وزارة الحسين بن القاسم فلا يمكنه مؤنس وأشار مؤنس بعبيد الله بن محمد الكلوذاني فاستوزره المقتدر مع مشاورة علي بن عيسى في الأمور.

وفيها كانت وقعة بين هارون بن غريب وبين مرداويج الديلمي بنواحي همذان فانهزم هارون وملك الديلمي الجبل بأسره إلى حلوان.

وفيها أيضا عزل المقتدر الكلوذاني وأستوزر الحسين بن القاسم بن ألف دينار في كل سنة وكانت وزارة الكلوذاني شهرين.

وفيها في ذي الحجة استوحش مؤنس من الخليفة المقتدر لأنه بلغه أجتماع الوزير والقواد على العمل على

مؤنس فعزم خواص مؤنس على كبس الوزير فعلم الوزير فتغيب عن داره وطلب من المقتدر عزل الوزير فعزله فقال انفه إلى عمان فآمتنع المقتدر وأوقع الوزير في ذهن المقتدر أن مؤنسا يريد أن يأخذ أبا العباس من داره ويذهب به إلى الشام ومصر ويبايعه بالخلافة هناك ثم وقعت أمور ألجأت مؤنسا إلى الخروج من بغداد إلى الشفاسية وكتب إلى المقتدر يطلب منه مفلحا الأسود فقويت الوحشة بين المقتدر وبين مؤنس حتى أرسل المقتدر إلى قتاله ثلاثين ألفا وكان مؤنس في ثمانمائة فانتصر عليهم وهزمهم وملك الموصل.

وفيها **كان الوباء المفرط** ببغداد حتى كان يدفن في القبر الواحد جماعة.." (١)

"وفيها توفي الحسن بن علي بن أحمد بن بشار أبو بكر الشاعر المشهور الضرير النهرواني المعروف بابن العلاف أحد ندماء المعتضد " وكان من الشعراء المجيدين قال: كنت في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتى الخادم ليلا فقال أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة بعد آنصرافكم فقلت:

ولما آنتبهنا للخيال الذي سرى ... إذا الدار قفر والمزار بعيد

وقد أرتج علي تمامه فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة قال فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فآبتدرت وقلت:

فقلت لعيني عاودي النوم وآهجعي ... لعل خيالا طارقا سيعود

ومن شعر ابن العلاف هذا قصيدته التي رثى فيها المحسن بن أبي الحسن بن الفرات الوزير وكنى عنه بالهر خوفا من الخليفة وعددها خمسة وستون بيتا وأولها:

يا هر فارقتنا ولم تعد ... وكنت منا بمنزل الولد

فكيف ننفك عن هواك وقد ... كنت لنا عدة من العدد

تطرد عنا الأذى وتحرسنا ... بالغيب من حيّة ومن جرد

وتخرج الفأر من مكامنها ... ما بين مفتوحها إلى السدد

وكلها على هذا المنوال وفيها حكم أضربت عن ذكرها لطولها.

وفيها توفي الحسن بن علي بن زكريا بن صالح بن عاصم بن زفر أبو سعيد العدوي البصري روى عنه الدار قطني وغيره وعاش مائة وثمانين سنة.

وفيها توفي علي بن الحسين بن حرب أبو عبيد القاضي البغدادي ويعرف بابن حربويه ولي قضاء مصر وأقام بها دهرا طويلا قال الرقاشي سألت عنه الدار قطني فقال ذلك الجليل الفاضل.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/٣٤٨

وفيها توفي محمد بن سعيد وقيل ابن سعد أبو الحسين الوراق النيسابوري صاحب أبي عثمان الحيري كان من كبار المشايخ عالما بالشريعة والحقيقة.

وفيها توفي محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد كان أحد الأبدال وله كرامات قال ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله.

له وفيها توفي المؤمل بن الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو الوفاء النيسابوري الماسرجسي شيخ نيسابور في عصره وكان أبوه من بيت حشمة في النصارى فأسلم على يد ابن المبارك وهو شيخ سمع المؤمل هذا الكثير ورحل إلى البلاد وروى عنه أبناه أبو بكر محمد وأبو القاسم علي وغيرهما قال الحاكم سمعت محمد بن المؤمل يقول حج جدي وهو أبن نيف وسبعين سنة فدعا الله تعالى أن يرزقه ولدا فلما رجع رزق أبي فسماه المؤمل لتحقيق ما أمله وكناه أبا الوفاء ليفي لله بالنذور ووفاها.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب خطيب مشغرى وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان في رجب وأبو سعيد الحسن بن علي بن زكرياء العدوي الكذاب وأبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي رأس المعتزلة وأبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه القاضي وأبوا لوفاء المؤمل بن الحسن الماسرجسي.

أمر النيل في هذه السنة : الماء القديم خمس أذرع وتسع أصابع مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراع، وأربع أصابع.

السنة التاسعة من ولاية تكين الرابعة

وهي سنة عشرين وثلاثمائة فيها عزل المقتمر الحسين بن القاسم من الوزارة وآستوزر أبا الفتح بن الفرات.
وفيها بعث المقتدر بالعهد واللواء لمرداويج الديلمي على إمرة أذربيجان وإرمينية وأران وقم ونهاوند وسجستان.

وفيها نهب الجند دور الوزير الفضل بن جعفربن الفرات فهرب الوزير إلى طيار له في الشط فأغرق الجند الطيارات وسخم الهاشميون وجوههم وصاحوا الجوع الجوع وكان قد اشتد الغلاء لأن القرمطي ومؤنسا الخادم منعا الغلات من النواحي أن تصل ولم يحج ركب العراق في هذه السنة .." (١)

"ثم وقع بين الإخشيذ وبين سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان وحشة وتأكدت إلىأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ثم آصطلحا على أن يكون لسيف الدولة حلب وأنطاكية وحمص ويكون باقي

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/٣٤٩

بلادالشام للإخشيذ وتزوج سيف الدولة ببنت أخي الإخشيذ.
ثم وقع أيضا بين الإخشيذ وبين سيف الدولة ثانيا وجهزالإخشيذ الجيوش لحربه وعلى الجيوش خادمه كافور الإخشيذي وفاتك الإخشيذي ثم خرج الإخشيذ بعدهما من مصر في خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وآستخلف أخاه أباالمظفرالحسن بن طغج على مصر وسار الإخشيذ بعساكره حتى لقي سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان بقنسرين وحاربه فكسره وأخذ منه حلب ثم بلغه خلع المستكفي من الخلافة وبيعة المطيع لله الفضل في شوال سنةأربع وثلاثين وثلاثمائة وأرسل المطيع إلى الإخشيذ باستقراره على عمله بمصر والشام فعاد الإخشيذ إلى دمشق فمرض بها ومات في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وولي بعده آبنه أبو القاسم أنوجور بآستخلاف أبيه له فكانت مدة ولاية الإخشيذ على مصر في هذه المرة الثانية إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ويومين.
والإخشيذ بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة وكسر الشين المعجمة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم ذال معجمة وتفسيره بالعربي ملك الملوك وطغج بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وبعدها جيم وجف بضم الجيم وفتحها وبعدها فاء مشددة.
وكان الإخشيذ ملكا شجاعأ مقداما حازما متيقظا حسن التدبير عارفا بالحروب مكرما للجند شديد البطش ذا قوة مفرطة لا يكاد أحد يجرقوسه وله هيبةعظيمة في قلوب الرعية وكان متجملا في مركبه وملبسه وكان موكبه يضاهي موكب الخلافة وبلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك وكان عدة جيوشه أربعمائة ألف وكان قوي التحرزعلى نفسه وكانت مماليكه تحرسه بالنوبة عندما ينام كل يوم ألف مملوك ويوكل الخدم بجوانب خيمته ثم لايثق بأحد حتى يمضي إلى خيمة الفراشين فينام فيها وعاش ستين سنة وخلف أولادا ملوكا وهوأستاذ كافور الإخشيذي الآتي ذكره قال الذهبي وتوفي بدمشق في ذي الحجة عن ست وستين سنة ونقل فدفن ببيت المقدس الشريف ومولده ببغداد وقال آبن خلكان ولم يزل في مملكته وسعادته إلأن توفي في الساعة الرابعة يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة انتهى.
السنة الثانية من ولاية الإخشيذ
محمد بن طغج على مصر .
وقد تقدم أنه حكم في السنة الماضية على مصر من شهررمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فتكون سنة أربع وعشرين وثلاثمائة هذه هي الثانية من ولايته ولاعبرة بتكملة السنين.
فيهاأعني سنة أربع وعشرين وثلاثمائة قطع محمد بن رائق الحمل عن بغداد واحتج بكثرة كلف الجيش

عنده وفيها توفي هارون بن المقتدر أخو الخليفة المطيع لله وحزن عليه أخوه الخليفة وآغتنم له وأمر بنفي الطبيب بختيشوع بن يحيى وآتهمه بتعمد الخطأ في علاجه وفيها في شهر ربيع الأول أطلق من الحبس المظفر بن ياقوت وحلف للوزيرعلى المصافاة وفي نفسه الحقد عليه لأنه نكبه ونكب أخاه محمدا ثم أخذ يسعى في هلاكه ولا زال يديرعلى الوزير ابن مقلة حتى قبض عليه وأحرقت داره وهذه المرة الثالثة وآستوزرعوضه عبد الرحمن بن عيسى وهوأخو الوزيرعلي بن عيسى برغبة أخيه عن الوزارة وكان آبن مقلة قد أحرق دار سليمان بن الحسن وكتبوا على داره :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنا ... ولم تخف سوء ما يجري به القدر

وسالمتك الليالي فآغتررت ... بهاوعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم وقع بعد ذلك أمور يطول شرحها وقبض الراضي على الوزيرعبد الرحمن بن عيسى وعلى أخيه علي بن عيسى لعجزه عن القيام بالكلف وآستوزر أباجعفر محمد بن القاسم الكرخي وسلم آبني عيسى للكرخي فصادرهما برفق فأدى كل واحد سبعين ألف دينار ثم عجزالكرخي أيضا فاستوزرالراضي عوضه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد فكان سلمان في العجز بحال الكرخي وزيادة فدعت الضرورة أن الراضي كاتب محمد بن رائق وآستقدمه وقلده جميع أمور الدولة وبطل حينئذ أمرالوزارة والدواوين وبقي آسم الوزارة لا غيروتولى الجميع محمد بن رائق.

وفيها كان الوباء العظيم بأصبهان وبغداد وغلت الأسعار.." (١)

"وفيها في شوال آجتمعت العامة وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم فلم يقع لذلك إنكار فمنعت العامة الإمام من الصلاة وكسرت المنبر منعهم الديلم من ذلك فقتل من الفريقين جماعة كثيرة.

وفيها آستوزر المتقي القراريطي وخلع المتقي على بدر الخرشني وقلمه الحجابة وجعله حاجب الحجاب قلت هذا أول ما سمعنا بمن سمي حاجب الحجاب ولكن لانعلم هل كان بهذه الكيفية أوغير هذه الصورة من أنه كبير الحجبة ولعله ذلك.

وفيها توفي بجكم التركي الأمير أبوالخير كان أمير الأمراء قبل بني بويه وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها بل يتكلم بترجمانه ويقول أخاف أن أتكلم فأخطيء والخطأ من الرئيس قبيح وكان عاقلا سيوسا عارفا يتولى المظالم بنفسه قال القاضي التنوخي جاء رجل من الصوفية إلى بجكم فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه فلما خرج قال بجكم لرجل احمل معك ألف درهم وأدفعها إليه فأخذها الرجل ولحقه وأقبل بجكم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٥٩/١

يقول ما أظنه يقبلها فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم أخذها قال نعم فقال بجكم بالفارسية كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف.

وفيها وقع الحرب بين محمد بن رائق وبين كورتكين وانكسر كورتكين واختفى .

وفيها توفي عبد الله بن طاهربن حاتم أبو بكر الأبهري كان من أقران الشبلي سئل ما بال الإنسان يحتمل من معلمه ما لا يحتمل من أبويه فقال لأن أبويه سبب لحياته الفانية ومعلمه سبب لحياته الباقية.

وفيها توفي العباس بن الفضل بن العباس بن موسى الأمير أبوالفضل الهاشمي العباسي كان فاضلا سمع الحديث ورواه ومات في جمادى الأولى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال: وفيها توفي الحسن بن علي أبو محمد البربهاري شيخ الحنابلة والقاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زبر وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي الحامض والراضي بالله أبوإسحاق محمد بن المقتدر في شهر ربيع الآخر عن اثنتين وثلاثين سنة وأبو نصر محمد بن حمدويه المروزي القارىء وأبو بكر يوسف بن يعقوب التنوخي ا لآ زرق أمر النيل في هذه السنة الماء القديم ثلاث أذرع وإحدى عشرة إصبعا مبلغ الزياده خمس عشرة ذراع وثلاث عشرة إصبعا.

السنة الثامنة من ولاية الإخشيذ

وهي سنة ثلاثين وثلاثمائة: فيها آستوزر الخليفة المتقي أباعبد الله البريدي برأي آبن رائق لما رأى آنضمام الأتراك إليه فاحتاج إلى مداراته.

وفيها في ا لمحرم وجد كورتكين الديلمي في ا لحرب،فأحضر إلى دار أبن رائق فحبسه.

وفيها **كان الغلاء العظيم** ببغداد وأبيع كر القمح بمائتي دينار وعشرة دنانير وأكلوا الميتة وكثرت الأموات على الطرق وعظم البلاء وخرج في شهر ربيع الآخر الحرم من قصر الرصافة يستغثن في الطرقات الجوع الجوع وخرج الأتراك وتوزون فساروا إلى البريدي بواسط.

وفي هذه الأيام وصلت الروم إلى حموص من أعمال حلب وهي على ستة فراسخ من حلب فأخربوا وأحرقوا وسبوا عشرة آلاف نسمة.

وفيها ولي قضاء الجانبين ومدينة أبي جعفر القاضي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخرقي التاجر وتعجب الناس من تقليد مثله القضاء.

وفيها عزل البريدي وقلد القراريطي الوزارة.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٦٥/١

"**وفيهاعظم الغلاء ببغداد** في شعبان وأكلوا الجيف والروث ومالوا على الطرق وأكلت الأكلب لحومهم وبيع العقار بالرغفان ووجدت الصغارمشوية مع المساكين وهرب الناس إلى البصرة وواسط فمات خلق في الطرقات وذكر ابن الجوزي أنه آشتري لمعزالدولة كردقيق بعشرين ألف درهم قلت والكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقي لأن الكرأربعة وثلاثون كارة والكارة: خمسون رطلا بالدمشقي.
وفيها وقع بين معزالدولة أحمدبن بويه وبين ناصرالدجولة الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي وجاء فنزل سامرا فخرج إليه معزالدولة ومعه الخليفة المطيع لله في شعبان وآبتدأت الحروب بينهم بعكبرا وكان معز الدولة قد تغيرعلى ابن شيرزاد واستخانه في الأموال فلما وقع القتال جاء ناصرالدولة فنزل بغداد من الجانب الشرقي وملكها وجاء معزالدولة ومعه المطيع كالأسير فنزل في الجانب الغربي ثم قوي أمر معزالدولة حتى ملك بغداد ونهبت عساكره الديلم أهل بغداد وهرب ناصرالدولة من بغداد.
وفيها توفي القائم بأمرالله نزاروقيل محمد وهو الأشهر وكنيته أبو القاسم بن المهدي عبيد الله الذي توثب علىالأمر وادعى أنه علوي فاطمي يأتي ذكرأحوالهم في تراجم من ملك مصر من ذريتهم كالمعزوغيره ولي القائم هذا بعد موت أبيه المهدي بعهد منه إليه وسارإلى مصر مرتين ووقع له مع أصحاب مصر حروب وخطوب تقدم ذكر بعضها في تراجم ملوك مصر يوم ذاك وكانت وفاة القائم هذا بالمهدية من بلاد المغرب في شوال قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي وكان القائم شرا من أبيه المهدي زنديقا ملعونا ذكرالقاضي عبد الجبار أنه أظهر سب الأنبياء عليهم السلام وكان مناديه ينادي العنوا الغاروماحوى وقتل خلقا من العلماء وكان يراسل أبا طاهر القرمطي إلىالبحرين وهجروأمره بإحراق المساجد والمصاحف فلما كثرفجوره خرج عليه رجل يقال له مخلد بن كيداد وساق الذهبي أمورا نذكربعضها في تراجم أولاده الآتي ذكرهم في أخبارملوك مصر فحينئذ نطلق هناك عنان القلم في نسبهم وكيفية دخولهم إلى مصروأحوالهم مبسوطا مستوعبا.
وفيها توفي أحمد بن محمد بن الحسن أبو بكر المعروف بالصنوبري الضبي الحلبي الشاعر المشهور كان إماما بارعا في الأدب فصيحا مفوها روى عنه من شعره أبو الحسن الأديب وأبو الحسن بن جميع وغيرهما ومن شعره:

لاالنوم أدري به ولاالأرق ... يدري بهذين من به رمق

إن دموعي من طول ماآستبقت ... كلت فما تستطيع تستبق

ولي مليك لم تبد صورته ... مذ كان إلاصلت له الحدق

نويت تقبيل نار وجنته ... وخفت آدنو منها فأحترق

وفيها توفي علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي الكاتب الوزير وزر للمقتدر والقاهروحدث عن أحمد بن شعيب النسائي والحسن بن محمد الزعفراني وحميد بن الربيع وروىعنه آبنه عيسى والطبراني وأبوطاهر الهذلي وكان صدوقا دينا خيراصالحاعالما من خيار الوزراء ومن صلحاء الكبراء وكان كبير البر والمعروف والصلاة والصيام ومجالسة العلماء حكى أبوسهل بن زياد القطان أنه كان معه لما نفي إلى مكة قال فطاف يوما أو سعى وجاء فرمى بنفسه وقال أشتهي على الله شربة ماء مثلوج فنشأت بعد ساعة سحابة فبرقت ورعدت وجاءت بمطر يسير وبردكثير وجمع الغلمان منه جرارا وكان الوزيرصائما فلما كان الإفطارجئته بأقداح مملوءة من أصناف الأشربة فأقبل يسقي المجاورين ثم شرب وحمد الله وقال ليتني تمنيت المغفرة وقال أحمد بن كامل القاضي سمعت علي بن عيسى الوزيريقول كسبت سبعمائة ألف ديناراًخرجت منها في وجوه البر ستمائة وثمانين ألف ديناروقال الصولي لا أعلم أنه وزرلبني العباس وزير يشبهه في عفته وزهده وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكان يصوم نهاره ويقوم ليله ولا أعلم أنني خاطبت أحدا أعرف منه بالشعرولما نكب وعزل عن الوزارة قال أبياتامنها:

ومن يك عني سائلا لشماتة ... لما نابني أو شامت، غير سائل

فقد أبرزت مني الخطوب آبن حرة ... صبورا على أهوال تلك الزلازل." (١)

"وفيها توفي محمد بن العباس بن الوليد القاضي أبوالحسين البغدادي كان فاضلا بارعا مات ببغداد في شوال وكان ثقة صدوقا.

الذين ذكرالذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أحمد ابن الزاهد أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي وعلي بن الفضل بن إدريس السامري وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عقبة الشيباني.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعا مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع.

السنة العاشرة من ولاية أنوجور

وهي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة: فيها تحرك ابن محتاج صاحب خراسان على ركن الدولة الحسن بن بويه فنجده أخوه معز الدولة بجيش من العراق.

وفيها في المحرم عقد معزالدولة بن بويه إمرة الأمراء لابنه أبي منصوربختيار.

وفيها دخل محمد بن ماكان الديلمي أحد قواد صاحب خراسان إلى أصبهان فخرج عن أصبهان أبومنصور

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/ ٣٧٠

بن ركن الدولة فتبعه ابن ماكان فأخذ خزائنه وعارضه أبو الفضل بن العميد وزيرركن الدولة ومعه القرامطة فأوقعوا به وأثخنوه بالجراح وأسروا قواده وسار ابن العميد إلى أصبهان.

وفيها وقع وباءعظيم بالري وكان الأميرأبو علي بن محتاج صاحب خراسان قد نزلها فمات في الوباء.

وفيها فلج أبوالحسين علي بن أبي علي بن مقلة وأسكت وله تسع وثلاثون سنة.

وفيها زلزلت مصرزلزلة عظيمة هدمت البيوت ودامت مقدار ثلاث ساعات زمانية وفزع الناس إلى الله تعالى بالدعاء.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد بن جعفرأبو بكربن الحداد الكناني المصري الفقيه الشافعي شيخ المصريين ولد يوم وفاة المزني وكان إماما فقيها له وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه.

وفيها توفي شعلة بن بدرالأمير أبوالعباس الإخشيذي ولي إمرة دمشق من قبل أبي القاسم أنوجوربن الإخشيذ وكان شجاعا بطلاقتل في طبرية في حرب كان بينه وبين مهلهل العقيلي. وفيها توفي محمد بن يعقوب بن يوسف الحافظ أبو عبد الله الشيباني النيسابوري ابن الاخرم ويعرف أبوه بابن الكرماني قال الحاكم كان أبو عبد الله صدرا من أهل الحديث ببلادنا بعد أبي حامد بن الشرقي وكان يحفظ ويفهم وصنف على صحيح البخاري ومسلم وصنف المسند الكبيروسأله أبوالعباس بن السراج أن يخرج له على صحيح مسلم ففعل ذلك.

وفيها حج الناس من غير أمير.

وفيها توفي محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج الشيخ أبو النضر الاطوسي الزاهد العابد كان يصوم النهار ويقوم الليل ويتصدق بالفاضل من قوته ورحل إلى البلاد في طلب الحديث وسمع الكثير وكان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء جزءا لقراءة القرآن وجزءا للتصنيف وجزءا يستريح فيه.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أبو الحسين أحمد بن عثمان بن بويان المقرىء وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هاشم الأذرعي وأبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق بن السماك في شهر ربيع الأول وأبو بكربن الحداد الكناني محمد بن أحمد شيخ الشافعية بمصر وله نحو ثمانين سنة وأبوالنضر محمد بن محمد بن يوسف الاطوسي الفقيه في شعبان وأبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ وأبوزكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري الحافظ المفسر الأديب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع .

السنة الحادية عشرة من ولاية أنوجور

وهي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

فيها أوقع الروم بأهل طرسوس وقتلوا وسبوا وأحرقوا قراها.

وفيها زاد السلطان معز الدولة في إقطاع الوزير أبي محمد المهلبي وعظم قدره عنده.

وفيها خرج روزبهان الديلمي على معزالدولة فسير معزالدولة لقتاله الوزير المهلبي فلما كان المهلبي بقرب الأهواز تسلل رجال المهلبي إلى روزبهان فانحاز المهلبي بمن معه إلى حصن فخرج معزالدولة بنفسه لقتال روزبهان المذكور وآنحدر معه الخليفة المطيع لله فقاتله حتى ظفر به في المصاف وفيه ضربات وأسر قواده وقدم معز الدولة بغداد وروزبهان بين يديه على جمل ثم غرق .

وفيها غزا سيف الدولة بلاد الروم وآفتتح حصونا وسبى وغنم وعاد إلى حلب ثم أغارت الروم على نواحي ميافارقين.

وفيها توفيت أم المطيع بعلة الاستسقاء وخرج المطيع في جنازتها في وجوه دولته وعظم عليه مصابها وكانت تسمى مشعلة.." (١)

"وفيها توفي محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة الأدمي القار صاحب الألحان كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن يسمع صوته من فرسخ قال محمد بن عبد الله الأسدي حججت أنا وأبو القاسم البغوي وأبو بكرالأدمي فلما صرنا بالمدينة وجدنا ضريرا قائما يروي أحاديث موضوعة فقال بعضنا ننكرعليه فقال الأدمي تثور علينا العامة ولكن اصبروا وشرع يقرأ فما هوإلا أن أخذ يقرأ فآنفضت العامةعن الضرير وجاؤوا إليه وسكت الضرير وكفي أمره.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أبوالحسين أحمد بن عثمان الأدمي العطشي وأبو الفوارس الصابوني أحمد بن محمد بن الحسين في شوال وله خمس ومائة سنة وأبوالوليد أحمدبن محمد الفقيه شيخ خراسان والحسين بن علي بن يزيد النيسابوري الحافظ وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الخراساني وعبد الله بن محمد بن موسى الكعبي النيسابوري وأبوطاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم شيخ القراء ببغداد والقاضي أبوأحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال في رمضان وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعا مبلغ الزيادة سبع عشر ذراع سواء.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١/٣٧٩

ولاية علي بن الإخشيد

هوعلي بن الإخشيذ محمد بن طغج بن جف الأميرأبو الحسن الفرغاني التركي ولي سلطنة مصر بعد موت أخيه أنوجور بن الإخشيذ محمد في يوم السبت عشرين ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة أقامه خادمه كافور الإخشيذي الخصي في مملكة مصر باتفاق حواشي والده والجند وأقره الخليفة المطيع لله على ذلك وصار كافورالإخشيذي هو القائم بتدبير مملكته والمتصرف فيها كما كان أيام أخيه أنوجور وجمع له الخليفة جميع ما كان لأبيه وأخيه من أعمال الديار المصرية والممالك الشامية والثغور والحرمين الشريفين وأطلق كافور لعلي هذا في السنة ما كان يطلقه لأخيه أنوجور وهوفي كل سنة أربعمائة ألف دينار وقويت شوكة كافوربعد موت أنوجور وتولية علي هذا أعظم مما كانت أيام أنوجور ومولد علي. المذكورأعني صاحب الترجمة لأربع بقين من صفر سنة ست وثلاثمائة وفى دام علي هذا في الملك وله الاسم فقط والمعنى لكافور إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ووقع **بمصر الغلاء واضطربت** أمور الديار المصرية والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب **وتزايد الغلاء وعز** وجود القمح، ثم قدم القرمطي إلى الشام في سنة آثنتين وثلاثمائة ووقع لها بأمور وعجز المصريين عن دفعه عنها لشغلهم بالغلاء والمغاربة الفاطميين ومع هذا قل ماء النيل في هذه السنين فارتفعت الأسعار أكثر مما كانت عليه ووهنت ضياع مصر وقراها من عدم زيادة النيل **وعظم الغلاء وكثرت** الفتن وسار ملك النوبة إلى أسوان ووصل إلى إخميم وقتل ونهب وسبى وأحرق وعظم آضطراب أعمال الديارالمصرية قبليها وبحريها ثم فسد ما بين علي بن الإخشيذ صاحب مصر وبين مدبرمملكته، كافور الإخشيذي ومنع كافورالناس من الاجتماع به حتى اعتل علي المذكور بعلة أخيه أنوجورومات لإحدىعشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وحمل إلى المقدس ودفن عند أبيه الإخشيذ وأخيه أنوجور وبقيت مصر من بعده أياما بغير أمير وكافور يدبر أمرها على عادته في أيام أولاد الإخشيذ ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات. ثم ولي كافور إمرة مصر بآتفاق أعيان الديارالمصرية وجندها وكانت مدة سلطنة علي بن الإخشيذ المذكور على مصر خمس سنين وشهرين ويومين.

السنة الأولى من ولاية علي بن الإخشيذ

وهي سنة خمسين وثلاثمائة: أعني بذلك أنه ولي في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقد ذكرناتلك السنة في أيام أخيه أنوجور فلذلك ذكرنا أن سنة خمسين وثلاثمائة أول السنين لعلي هذاعلى مصربهذا المقتضى.

فيها أعني سنة خمسين وثلاثمائة دخل غلام سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم وسبألف نفس وغنم أموالا كثيرة.
وفيها أخذ ملك الروم رومانوس بن قسطنطين من المسلمين جزيرة أقريطش من بلاد المغرب وكان الذي افتتح أقريطش عمربن شعيب غزاها وآفتتحها في حدود سنة ثلاثين ومائتين وصارت في يد أولاده إلى هذا الوقت.." (١)

"وفيها توفي عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق أبوالحسين الاموي مولاهم البغدادي الحافظ سمع الكثير وروى عنه الدارقطني وغيره وصنف معجم الصحابة ومات في شوال. الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي إبراهيم بن علي أبو إسحاق الهجيمي والحسن بن محمد الوزير أبو محمد المهلبي ودعلج بن أحمد السجزي وعبد الله بن جعفربن محمد بن الورد البغدادي بمصر وعبد الباقي بن نافع أبوالحسين في شوال وأبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد النقاش في شوال وله خمس وثمانون سنة وأبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني وأبو محمد يحيى بن منصور قاضي نيسابور.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وإحدى عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع.
السنة الثالثة من ولاية علي بن الإخشيذ
وهي سنة آثنتين وخمسين وثلاثمائة: فيها في يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا النساء منشورات الشعور يقمن المأتم على الحسين بن علي رضي الله عنه قلت وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه وكل منهم رافضي خبيث نذكر ذلك كله فيما يأتي في الحوادث إن شاء الله تعالى.
وفيها أصاب سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان فالج في يده ورجله.
وفيها قال ثابت بن سنان أرسل بعض بطارقة الأرمن إلى ناصرالدولة الحسن بن حمدان رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة ومعهما أبوهما والالتصاق كان في الجنب ولهما بطنان وسرتان ومعدتان وتختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما وكل واحد منهما مكمل الخلق وكان أحدهما يميل إلى النساء والاخر إلى المرد وقال القاضي علي بن الحسن التنوخي ومات أحدهما وبقي أياما وأنتن وأخوه حي فجمع

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٨٣/١

ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فصلهما فلم يقدروا ومات الآخر من رائحة الميت بعد أيام.

وفيها قتل ملك الروم وصار الدمستق هوالملك واسمه تقفور.

وفيها توفيت خولة أخت سيف الدولة بن حمدان بحلب وهي التي رثاها المتنبي بقوله:

يا أخت خير يا بنت خير ... أب كناية بهما عن أشرف النسب

وفيها آنتصرت الروم على الإسلام بكائنة حلب وضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها لب العدو ومزقهم ولله الأمر.

وفيها خرج أيضا سيف الدولة غازيا فسار إلى حران وعطف على ملطية وقتل من الروم خلائق وملأ يده سبيا وغنائم ولله الحمد.

وفيها في شعبان ورد غزاة خراسان نحو ستمائة رجل إلى الموصل يريدون الجهاد نجدة لأهل الموصل.

وفيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة فتهيأ ناصرالدولة بن حمدان لقتالهم.

وفيها اجتمع أهل بغداد ووبخوا الخليفة المطيع لله بكائنة حلب وطلبوا منه أن يخرج بنفسه إلى الغزو ويأخذ بثأر أهل حلب وبينما هم في ذلك ورد الخبر بموت طاغية الروم وأن الخلف وقع بينهم فيمن يملكونه عليهم وأن أهل طرسوس غزوهم وانتصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير في دهر مثلها فآنتدب المسلمون لغزو الروم من كل جانب.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة قال وفيها توفي أحمد بن عبيد بن أحمد أبو بكر الحمصي الصفار وأبو الحسين أحمد بن محمود البيهقي وأبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الإسكافي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع سواء مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا.

السنة الرابعة من ولاية علي بن الإخشيد

وهي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة: فيها عمل يوم عاشوراء كعام أول من المأتم والنوح إلى الضحى فوقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والرافضة وجرح جماعة ونهب الناس.

وفيما نزل ملك الروم الدمستق المصيصة في جيش ضخم فأقام أسبوعا ونقب السور من أماكن وقاتله أهله إلى أن رحل عنها بعد أن أهلك الضياع وكان رحيله **لشدة الغلاء فإن** القحط كان بالشام والثغور.

وفيها بعث القرامطة إلى سيف الدولة يستهدونه حديدا فسير إليهم شيئا كثيرا وحمل ذلك إليهم في الفرات ثم في البرية إلى هجر.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٨٦/١

"وقال الشيخ شمس الدين أبو المظفر في تاريخه مرآة الزمان: وكان مغرى بالنجوم يعني المعز والنظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر في مولده وطالعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فأشار عليه أن يعمل سردابا تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت، فعمل على ذلك، وأحضر قواده وكتابه وقال لهم: إن بيني وبين الله عهدا في وعد وعدنيه وقد قرب أوانه، وقد جعلت نزارا ولدي ولي عهدي بعدي، ولقبته العزيز بالله، واستخلفته عليكم وعلى تدبير أموركم مدة غيبتي، فالزموا الطاعة له واتركوا المخالفة واسلكوا الطريق السديدة، فقالوا: الأمر أمرك، ونحن عبيدك وخدمك، ووصى العزيز ولده بما أراد، وجعل القائد جوهرا مدبره والقائم بأمره بين يديه، ثم نزل إلى سرداب اتخذه وأقام فيه سنة، وكانت المغاربة إذا رأوا غماما سائرا ترجل الفارس منهم إلى الأرض، وأومأ بالسلام يشير إلى، أن المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس، فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له، فأقام على ما كان عليه. انتهى.

وقيل: إنه دخل مصر ومعه خمسمائة جمل موسوقة ذهبا عينا وأشياء كثيرة غير ذلك.

وقال القفطي: إن المعز كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر، فسألته أمه تأخير ذلك لتحج خفية، فأجابها وحجت. فلما وصلت إلى مصر أحس بها كافور الإخشيذي الأستاذ فحضر إليها وخدمها وحمل إليها هدايا وبعث في خدمتها أجنادا، فلما رجعت من حجها منعت ولدها من غزو بلاده. فلما توفي كافور بعث المعز جيوشه فأخذوا مصر. انتهى.

ولما أرسل المعز القائد جوهرا إلى مصر وفتحها وبلغه ذلك سار بنفسه إلى المهدية في الشتاء فأخرج من قصور آبائه من الأموال خمسمائة حمل، ثم سار نحو الديار المصرية بعد أن مهد له جوهر القائد وبنى له القاهرة. وكان صادف مجيء جوهر إلى **مصر الغلاء والوباء**، فلم يلتفت إلى ذلك وافتتحها، ثم افتتح الحجاز والشام، وأرسل يعرف المعز. وقد ذكرنا شيئا من ذلك في ترجمة جوهر القائد.

وخرج المعز من المغرب في سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن استخلف على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي، وجد المعز في السير في خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فتلقاه قاضي مصر أبو طاهر الذهلي والأعيان، وطال حديثهم معه، وأعلمهم بأن قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد والحق وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة، وأن يعمل بما أمره به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعظهم وطول حتى أبكى بعضهم وخلع على جماعة. ثم نزل بالجيزة وأخذ جيشه

في التعدية إلى مصر ثم ركب هو ودخل القاهرة، وقد بنيت له بها دور الإمارة، ولم يدخل مدينة مصر، وكانوا قد احتفلوا وزينوا مصر بأحسن زينة. فلما دخل القصر خر ساجدا وصلى ركعتين.." (١)

"وهي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

فيها وثب أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن بن عمران صاحب البطيحة، فقتله واستولى على بلده.

وفيها حج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي، وقيل: إنه لم يحج أحد من العراق من هذه السنة إلى سنة ثمانين، بسبب الفتن والخلف بين خلفاء بني العباس وبين خلفاء مصر بني عبيد.

وفيها أنشأ عضد الدولة بيمارستانه ببغداد في الجانب الغربي، ورتب فيه الأطباء والوكلاء والخزان وكل ما يحتاج إليه.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وفي هذا الزمان كانت البدع والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرفض والاعتزال والضلال فإنا لله وإنا إليه راجعون!. قلت: ومعنى قول الذهبي: ومضر فإنه معلوم من كون خلفاء بني عبيد كانوا يظهرون الرفض وسب الصحابة، وكذلك جميع أعوانهم وعمالهم. وأما قوله: ببغداد فإنه كان بسبب عضد الدولة الآتي ذكره، فإنه كان أيضا يتشيع ويكرم جانب الرافضة.

وفيها توفي السلطان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو وقيل بويه على اسم جده، وفناخسرو أشهر ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي. ولي مملكة فارس بعد عمه عماد الدولة، ثم قوي على ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وأخذ منه العراق وبغداد. وقد تقدم من ذلك نبذة يسيرة في حوادث بعض السنين. وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بني بويه، ودانت له البلاد والعباد. وهو أول من خوطب بالملك شاهنشاه في الإسلام، وأول من خطب له على منابر بغداد بعد الخلفاء، وأول من ضربت الدبادب على باب داره. وكان فاضلا نحويا، وله مشاركة في فنون كثيرة، وله صنف أبو علي الفارسي الإيضاح. قال أبو علي الفارسي: منذ تلقب شاهنشاه تضعضع أمره، وما كفاه ذلك حتى مدح نفسه، فقال:

عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

ولما أحس بالموت تمثل بشعر القاسم بن عبد الله الوزير، وهو قوله:

قتلت صناديد الرجال فلم أدع ... عدوا ولم أمهل على ظنة خلقا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤١٠/١

وأخليت دور الملك من كل نازل ... وبددتهم غربا وشردتهم شرقا

ثم جعل يبكي ويقول: ما أغنى عني ماليه! هلك عني سلطانيه! وصار يرددها إلى أن مات في شوال ببغداد وله سبع وأربعون سنة. وتولى الملك من بعده ابنه صمصام الدولة، ولم يجلس للعزاء إلا في أول السنة. أظن أنهم كانوا أخفوا موت عضد الدولة لأمر، أو أنه اشتغل بملك جديد حتى فرغ منه.

وفيها توفي محمد بن جعفر بن أحمد، أبو بكر الحريري المعدل البغدادي، وكان يعرف بزوج الحرة، وكان جليل القدر، من الثقات. مات ببغداد، ودفن عند قبر معروف الكرخي. رحمة الله عليهما.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.

السنة الثامنة من ولاية العزيز نزار

وهي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

فيها في ثاني عشر المحرم أظهرت وفاة عضد الدولة وحمل تابوته إلى المشهد، وجلس ابنه صمصام الدولة للعزاء، وجاءه الخليفة الطائع معزيا، ولطم عليه الناس في دوره وفي الأسواق أياما عديدة. ثم ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة، وخلع عليه الخليفة الطائع عبد الكريم سبع خلع، وعقد له لواءين، ولقب شمس الدولة.

وفيها بعد مدة يسيرة ورد الخبر على صمصام الدولة المذكور بموت عمه مؤيد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة بجرجان، فجلس صمصام الدولة أيضا للتعزية، وجاءه الخليفة الطائع مرة ثانية معزيا في عمه مؤيد الدولة المذكور. ولما مات مؤيد الدولة كتب وزيره الصاحب إسماعيل بن عباد إلى أخيه فخر الدولة علي بن ركن الدولة بالإسراع إليه وضبط ممالك أخيه مؤيد الدولة، فقدم فخر الدولة إليه وملك بلاد أخيه، واستوزر الصاحب بن عباد المذكور. وعظم ابن عباد في أيام فخر الدولة إلى الغاية.

وفيها **كان الغلاء المفرط** بالعراق، وبلغ الكر القمح أربعة آلاف وثمانمائة درهم، ومات خلق كثير على الطريق جوعا، وعظم الخطب.

وفيها ولى العزيز نزار صاحب الترجمة خطلخ القائد إمرة دمشق.." (١)

"وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الحافظ أبو بكر بن المقرىء مسند أصبهان، طاف البلاد وسمع الكثير وروى عنه خلق. قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون صاحب أصول، مات

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٣٦/١

في شوال وله ست وتسعون سنة.
وفيها توفي عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضي، ولي القضاء من الجانبين ببغداد، وكانت له منزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصا من الطائع، وكان من العلماء الثقات الفضلاء العقلاء.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا.
السنة السابعة عشرة من ولاية العزيز نزار
وهي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.
فيها منع أبو الحسين علي بن محمد بن المعلم الكوكبي، صاحب أمر بغداد، الرافضة من أهل الكرخ وباب الطاق من النوح في يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح، وكان ذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة.
وفيها جلس الخليفة القادر بالتاج وحضر القضاة والأشراف والأعيان، وأحضر رسول صاحب المولتان، فذكر الرسول رغبة مرسله في الإسلام والدخول فيه برعيته، وسأل أن ينفذ إليه الخليفة من يعلمهم السنن والفرائض والشرائع والحدود، فكتب على يده كتابا ووعد بكل جميل، وسر الناس بذلك غاية السرور، وفيها شغب الديلم والترك والجند على بهاء الدولة وطلبوا منه تسليم أبي الحسين بن المعلم، وكان ابن المعلم قد استولى على بهاء الدولة وحكم عليه وقصر في حق الجند، فامتنع بهاء الدولة من تسليمه، ثم غلب وسلمه لخاله شيرزيل، فسقاه السم مرتين فلم يعمل فيه، فخنقه بحبل الستارة حتى مات ودفنه.
وفيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع رطل الخبز بأربعين درهما، والجوزة بدرهم.
وفيها حج بالناس محمد بن الحسن العلوي.
وفيها توفي أحمد بن علي بن عمر أبو الحسين الحريري. ولد سنة اثنتين وثلاثمائة، وهو غير صاحب المقامات. أخرج له الخطيب حديثا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: " أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما " . ومات أبو الحسين في شهر رمضان.
وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، أبو سعيد الرازي القرشي الصوفي نزيل نيسابور، كان كالريحانة بين الصوفية، سيدا ثقة.
الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في ذي الحجة، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب النسائي الشافعي راوي مسند الحسن

بن سفيان عنه، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي وله أربع وتسعون سنة، وأبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز في شهر ربيع الآخر عن سبع وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع واثنتا عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا.

السنة الثامنة عشرة من ولاية العزيز نزار

وهي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوج الخليفة القادر بالله سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار، فماتت قبل الدخول بها.

وفيها عظم الغلاء حتى بلغ ثمن كر القمح ببغداد ستة آلاف درهم وستمائة درهم غياثي، والكارة الدقيق مائتين وستين درهما.

وفيها ابتنى الوزير أبو نصر سابور بن أردشير دارا بالكرخ سماها دار العلم، ووقفها على العلماء ونقل إليها كتبا كثيرة.

وفيها توفي أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البزاز، ولد في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين، ومات في شوال ببغداد. وكان ثبتا ثقة صاحب أصول. قيل له: أسمعت من الباغندي شيئا؟ قال: لا أعلم، ثم وجد سماعه منه، فلم يحدث به تورعا.

وفيها توفي جعفر بن عبد الله بن يعقوب أبو القاسم الرازي. روى عن محمد بن هارون الروياني مسنده، وسمع عبد الرحمن بن أبي حاتم وجماعة. قال أبو يعلى الخليلي: موصوف بالعدالة وحسن الديانة، وهو آخر من روى عن الروياني.

وفيها توفي عبد الله بن عطية بن عبد الله بن حبيب، أبو محمد المقرىء الدمشقي المفسر العدل، إمام مسجد عطية داخل باب الجابية. كان يحفظ خمسين ألف بيت من شعر العرب في الاستشهادات على معاني القرآن واللغة. مات بدمشق في شوال. ومن شعره قوله:." (١)

"وكان المتغلبون على البلاد في أيام الظاهر كثيرين جدا، وذلك لصغر سنه وضعف بدنه. ووقع له في أيامه خطوب قاساها إلى أن توفي بالقاهرة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة. وكانت ولايته على مصر ست عشرة سنة وتسعة أشهر. تولى الملك بعده ابنه

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٤٢/١

أبو تميم معد، ولقب بالمستنصر وسنه ثماني سنين، وقام علي بن أحمد الجرجرائي الوزير بالأمر، وأخذ له البيعة، وقرر للجند أرزاقهم، واستقامت الأحوال. وكانت وفاة الظاهر بعلة الاستسقاء، طالت به نيفا وعشرين سنة من عمره.

قلت: ولهذا أشرنا أنه كان كثرة من تغلب عليه لضعف بدنه وصغر سنه.

وكان الظاهر جوادا ممدحا سمحا حليما محببا للرعية، ولا بأس به بالنسبة لآبائه وأجداده. وهو الذي بنى قصر اللؤلؤة عند باب القنطرة، وهو من القصور المعدودة بالقاهرة، وصار يتنزه به هو ومن جاء بعده من خلفاء مصر من ذريته وأقاربه، وكان التوصل إلى القصر من باب مراد، وصار الخلفاء يقيمون به في أيام النيل. ودام أمر هذا القصر مستقيما إلى أن **وقع الغلاء بالديار** المصرية في زمن المستنصر، وذهب من محاسن القاهرة شيء كثير من **عظم الغلاء والوباء**، كما سيأتي ذكره إن شاء الله في محله.

السنة الأولى من ولاية الظاهر

لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة اثنتي عشرة وأربعمائة: فيها وقع بين سلطان الدولة وبين مشرف الدولة بن بويه، واستفحل في الآخر أمر مشرف الدولة، وخطب له ببغداد في المحرم، وخوطب بشاهنشاه مولى أمير المؤمنين، وقطعت الخطبة لسلطان الدولة من بغداد.

وفيها لم يحج أحد من العراقيين ولا في الماضية. فقصد الناس يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقالوا له: أنت سلطان الإسلام وأعظم ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح من بلاد الكفر ما تحبه، والثواب في فتح طريق الحج أعظم، وقد كان الأمير بدر بن حسنويه، وما في أمرائك إلا من هو أكبر منه شأنا، يسير الحاج بماله وتدبيره عشرين سنة. فتقدم ابن سبكتكين إلى قاضيه أبي محمد الناصحي بالتأهب للحج ونادى في أعمال خراسان بالحج، وأطلق للعرب ثلاثين ألف دينار سلمها إلى الناصحي المذكور غير ما للصدقات، فحج بالناس أبو الحسن الأقساسي. فلما بلغوا فيد حاصرتهم العرب، فبذل لهم القاضي الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الحافي، فركب رأسهم جماز بن عدي وقد انضم عليه ألفا رجل من بني نبهان، وأخذ بيده رمحا وجال حول الحاج، وكان في السمرقنديين غلام يعرف بابن عفان، فرماه بسهم فسقط منه ميتا وهرب جمعه، وعاد الحاج في سلامة.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن أحمد، أبو سعد الماليني الصوفي الحافظ، سافر إلى الأقطار، وسمع خلقا كثيرا، وصنف وصحب المشايخ، وكان يقال له طاوس الفقراء.

وفيها توفي الحسن بن علي، أبو علي الدقاق النيسابوري، أحد المشايخ، كان صاحب حال ومقال. قال

القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من تواضع لغني لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه " قال: لأن المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا خدمه بأركانه وتواضع له بلسانه ذهب ثلثا دينه، فإن خدمه بقلبه ذهب الكل.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن محمد، أبو الحسن بن رزقويه البغدادي البزاز، ولد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ودرس الفقه، وسمع الحديث فأكثر، وكان ثقة صدوقا كثير السماع حسن الاعتقاد جميل المذهب.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، الحافظ الكبير، شيخ شيوخ الدنيا في زمانه، طاف الدنيا شرقا وغربا، ولقي الشيوخ الأبدال، وإليه المرجع في علوم الحقائق والسير وغيرها، وله المصنفات الحسان.

وفيها توفي محمد بن عمر، أبو بكر العنبري الشاعر، مات يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع.

السنة الثانية من ولاية الظاهر

لإعزاز دين الله على مصر وهي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة: فيها وقع الصلح بين سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه وبين أخيه مشرف الدولة على يد الأوحد أبي محمد وزير سلطان الدولة، وخطب لسلطان الدولة ببغداد كما كان أولا قبل الخلاف.." (١)

"أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا.

/خلافة المستنصر بالله على مصر هو أبو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله معد أول خلفاء الفاطميين بمصر ابن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي الأصل، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة؛ وهو الخامس من خلفاء مصر من بني عبيد، والثامن من المهدي عبيد الله. ولي الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله في يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وكان عمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يوما؛ وختن وهو ابن ست سنين.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٧٤/١

قال الذهبي رحمه الله: هو معد أبو تميم الملقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله – وساق بقية نسبه بنحو ما سقناه إلى أن قال – : بقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر؛ وهو الذي خطب له بإمرة المؤمنين على منابر العراق في نوبة الأمير أبي الحارث أرسلان المعروف بالبساسير في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. ولا أعلم أحدا في الإسلام، لا خليفة ولا سلطانا، طالت مدته مثل المستنصر هذا. وولي وهو ابن سبع سنين. ولما كان في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قطع الخطبة له من المغرب الأمير المعز بن باديس – وقيل: بل قطعها في سنة خمس وثلاثين – وخطب لبني العباس وخرج عن طاعة بني عبيد الباطنية. وحدث في أيام المستنصر **بمصر الغلاء الذي** ما عهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام، ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا، حتى قيل: إنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا – فإنا لله وإنا إليه راجعون – وحتى إن المستنصر هذا بقي يركب وحده، وخواصه ليس لهم دواب يركبونها؟ وإذا مشوا سقطوا من الجوع؛ وآل الأمر إلى أن استعار المستنصر بغلة يركبها من صاحب ديوان الإنشاء. وآخر شيء نزحت أم المستنصر وبناته إلى بغداد خوفا من أن يمتن جوعا. وكان ذلك في سنة ستين وأربعمائة. ولم يزل **هذا الغلاء حتى** تحرك الأمير بدر الجمالي والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب في البحر وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور وشرع في إصلاح الأمر. وتوفي المستنصر في ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ. وفي دولته كان الرفض والسب فاشيا مجهرا، والسنة والإسلام غريبا! فسبحان الحليم الخبير الذي يفعل في ملكه ما يريد. وقام بعده ابنه المستعلي أحمد، أقامه أمير الجيوش الأفضل. واستقامت الأحوال؛ فخرج أخوه نزار من مصر خفية، فسار إلى ناصر الدولة أمير الإسكندرية، فأعانه ودعا إليه، فتمت بين أمير الجيوش وبينهم حروب وأمور إلى أن ظفر بهم. انتهى كلام الذهبي في أمر المستنصر.

ونشرع الآن في ذكر المستنصر **وأمر الغلاء بأوسع** مما ذكره الذهبي من أقوال جماعة من المؤرخين وغيرهم.

قال العلامة أبو المظفر في تاريخه: ولم يل أحد من الخلفاء الأمويين ولا العباسيين ولا المصريين مثل هذه المدة يعني مدة إقامة المستنصر في الخلافة ستين سنة قال: وعاش المستنصر سبعا وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء والجلاء والفتن. وكان القحط في أيامه سبع سنين مثل سني يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه، من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة. أقامت البلاد سبع سنين يطلع النيل فيها وينزل، ولا يوجد من يزرع لموت الناس واختلاف الولاة والرعية، فاستولى الخراب على كل البلاد، ومات أهلها، وانقطعت السبل برا وبحرا. وكان **معظم الغلاء سنة** اثنتين وستين.

وقال أبو يعلى بن القلانسي: في أيامه يعني المستنصر ثارت الفتن في بني حمدان وأكابر القواد، وغلت الأسعار، واضطربت الأحوال، واختلت الأعمال، وحصر في قصره وطمع فيه. ولم يزل على ذلك حتى استدعى أمير الجيوش بدرا الجمالي من عكا إلى مصر فاستولى على التدبير، وقتل جماعة ممن يطلب الفساد، فتمهدت الأمور؛ ولم يبق للمستنصر أمر ولا نهي إلا الركوب في العيدين. ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالي وقام بعده ولده الأفضل. ولما مات." (١)

"وأما قريش فحصل في يده الخليفة وعميد العراق وأبو منصور بن يوسف وولده؛ فحمل الخليفة إلى معسكره راكبا وعلى كتفه البردة وبيده سيف مسلول وعلى رأسه اللواء. ولحق الخليفة ذرب عظيم قام منه في اليوم مرارا، وامتنع من الطعام والشراب؛ فسأله قريش وألح عليه حتى أكل وشرب، وحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فنزل بها. وسار حاشية الخليفة على حامية إلى السلطان طغرلبك مستنفرين له. ولما وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البرد، فبعث يطلب من متوليها ما يلبس، فأرسل إليه جبة ولحافا.

وركب البساسيري يوم الأضحى وعلى رأسه الألوية المصرية وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقي، وأحسن إلى الناس، وأجرى الجرايات على الفقهاء، ولم يتعصب لمذهب، وأفرد لوالدة الخليفة دارا وراتبا، وكانت قد قاربت التسعين سنة. ثم في آخر ذي الحجة أخرج رئيس الرؤساء مقيدا وعلى رأسه طرطور، وفي رقبته مخنقة جلود، وهو يقرأ: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء... " الآية. فبصق أهل الكرخ في وجهه، لأنه كان متعصبا لأهل السنة، رحمه الله، ثم صلب على صورة ما ذكرناه أولا.

وأما عميد العراق فقتله البساسيري أيضا؛ وكان شجاعا شهما، وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ. ثم بعث البساسيري البشائر إلى مصر، وكان وزير المستنصر هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي، وكان أبو الفرج ممن هرب من البساسيري، فذم للمستنصر فعله وخوفه من سوء عاقبته؟ فتركت أجوبته مدة، ثم عادت على البساسيري بغير الذي أمله، فسار البساسيري إلى البصرة وواسط وخطب بهما أيضا للمستنصر. وأما طغرلبك فإنه انتصر في الآخر على أخيه إبراهيم ينال وقتله، وكر راجعا إلى العراق، ليس له هم إلا إعادة الخليفة إلى رتبته.

وفي الجملة أن الذي حصل للمستنصر في هذه الواقعة من الخطبة باسمه في العراق وبغداد لم يحصل ذلك لأحد من آبائه وأجداده. ولولا تخوف المستنصر من البساسيري أو تحريضه على ما هو بصدده لكانت دعوته تتم بالعراق زمانا طويلا، فإنه كان أولا أمد البساسيري بجمل مستكثرة. فلو دام المستنصر على ذلك

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٤/١

لكان البساسيري يفتتح له عدة بلاد. قال الحسن بن محمد العلوي: " إن الذي وصل إلى البساسيري من المستنصر من مال خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس، وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف، ومن الرماح والنشاب شيء كثير. يعني قبل هذه الواقعة؛ ولهذا قلنا: لو دام المستنصر على عطائه للبساسيري لكان افتتح له عدة بلاد. قلت: ولله الحمد على ما فعله المستنصر من التقصير في حق البساسيري، وإلا لكانت السنة تذهب بالعراق، وتملكها الرافضة بأجمعها كما كان وقع بمصر في أيام دولة الفاطميين أعني صاحب الترجمة وآباءه.

ولما خطب البساسيري في بغداد باسم المستنصر معد هذا غنته مغنية بقولها: الرمل – مجزوء

يا بني العباس صدوا ... ملك الأمر معد

ملككم كان معارا ... والعواري تسترد

فطرب المستنصر لذلك ووهبها أرضا بمصر رزقة لها جائزة لإنشادها هذا الشعر، وتلك الأرض الآن تعرف بأرض الطبالة بالقرب من بركة الرطلي لكونها غنته بهذه الأبيات، وهي تطبل بدف كان في يدها، فعرفت بأرض الطبالة، وحكرت الأرض المذكورة وبنيت. وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده. ومن حينئذ أخذ أمره في إدبار من **وقوع الغلاء والوباء** بالديار المصرية.." (١)

"هذا والغلاء بمصر يتزايد، حتى إنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها **من الغلاء الزائد** عن الحد، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، فإنه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضهم بعضا. وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها. وأكلت الدواب بأسرها، فلم يبق لصاحب مصر – أعني المستنصر – سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة. وبيع الكلب بخمسة دنانير، والسنور بثلاثة دنانير. ونزل الوزير أبو المكارم وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معه إلا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه، ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا، فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم، أكل الناس في تلك الليلة لحومهم. ودخل رجل الحمام فقال له الحمامي: من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عز الدولة أو فخر الدولة. فقال له الرجل: أتهزأ بي! فقال: لا والله، انظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجودهم **في الغلاء واحتاجوا** إلى الخدمة. وأعظم من هذا أن المستنصر الخليفة صاحب الترجمة باع جميع موجوده وجميع ما كان في قصره حتى أخرج ثيابا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٧/١

كانت في القصر من زمن الطائع الخليفة العباسي، لما نهب بهاء الدولة دار الخليفة في إحدى وثمانين وثلاثمائة، وأشياء أخر أخذت في نوبة البساسيري، وكانت هذه الثياب التي لخلفاء بني العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبني العباس، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبني العباس. فلما ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدق الحاجة. وأخرج المستنصر أيضا طستا وإبريقا بلورا يسع الإبريق رطلين ماء، والطست أربعة أرطال، وأظنه بالبغدادي، فبيعا باثني عشر درهما فلوسا، ثم باع المستنصر من هذا البلور ثمانين ألف قطعة. وأما ما باع من الجواهر واليواقيت والخسرواني فشيء لا يحصى. وأحصي من الثياب التي أبيعت في هذا الغلاء من قصر الخليفة ثمانون ألف ثوب، وعشرون ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى؛ وباع المستنصر حتى ثياب جواريه وتخوت المهود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقل ثمن. وباع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق. وبيعت البيضة بدينار والإردب القمح بمائة دينار في الأول، ثم عدم وجود القمح أصلا. وكان السودان يقفون في الأزقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها. واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر وكانت سمينة، فعفقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة، وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها، فخرجت من الدار واستغاثت، فجاء الوالي وكبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى، وقتل السودان. واحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى إنه أرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. وخرجت امرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها مد جوهر، فقالت: من يأخذ هذا ويعطيني عوضه دقيقا أو قمحا؟ فلم يلتفت إليها أحد؛ فألقته في الطريق وقالت: هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم؛ فلم يلتفت إليه أحد وهو مبدد في الطريق فهذا أعجب من الأول.." (١)

"وقيل: إن سبب ما حصل لمصر من الخلل في أول الأمر الفتنة التي كانت بمصر في أيام المستنصر هذا بين الأتراك والعبيد، وهو أن المستنصر كان من عادته في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة، فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة، ومعه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه الناس، كما يفعل بالماء في طريق مكة. فلما كان في جمادى الآخرة خرج على عادته المذكورة، فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا في سكرته على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد فقتلوه، فاجتمع الأتراك بالمستنصر هذا وقالوا له: إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان عن غير رضاك فلا ترضى بذلك، فأنكر المستنصر ذلك؛ فاجتمع جماعة من

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٩/١

الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد أن حصل بينهم وبين العبيد قتال شديد على كوم شريك وانهزم العبيد من الأتراك. وكانت أم المستنصر تعين العبيد بالأموال والسلاح؛ فظفر بعض الأيام أحد الأتراك بذلك، فجمع طائفة الأتراك ودخلوا على المستنصر وقاموا عليه وأغلظوا له في القول، فحلف لهم أنه لم يكن عنده خبر. وصار السيف قائما بينهم. ثم دخل المستنصر على والدته وأنكر عليها. ودامت الفتنة بين الأتراك والعبيد إلى أن سعى وزير الجماعة أبو الفرج بن المغربي - وأبو الفرج هذا هو أول من ولي كتابة الإنشاء بمصر - ولا زال الوزير أبو الفرج هذا يسعى بينهم حتى اصطلحوا صلحا يسيرا، فاجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرى دمنهور. فكانت هذه الواقعة أول الاختلاف بديار مصر؛ فإنه قتل من الأتراك والعبيد خلائق كثيرة، وفسدت الأمور فطمع كل أحد. وكان سبب كثرة السودان ميل أم المستنصر إليهم؛ فإنها كانت جارية سوداء لأبي سعد التستري اليهودي. فلما ولي المستنصر الخلافة ومات الوزير صفي الدين الجرجرائي في سنة ست وثلاثين حكمت والدة المستنصر على الدولة، واستوزرت سيدها أبا سعد المذكور، ووزر لابنها المستنصر الفلاحي، فلم يمش له مع أبي سعد حال؟ فاستمال الأتراك وزاد في واجباتهم حتى قتلوا أبا سعد المذكورة فغضبت لذلك أم المستنصر وقتلت أبا منصور الفلاحي، وشرعت في شراء العبيد السود، وجعلتهم طائفة واستكثرت منهم. فلما وقع بينهم وبين الأتراك قامت في نصرهم.

وقال الشيخ شمس الدين بن قزأوغلي في المرآة: وكل هذه الأشياء كان ابن حمدان سببها، ووافق ذلك انقطاع النيل؛ وضاقت يد أبي هاشم محمد أمير مكة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر، فأخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب والميزاب، وصادر أهل مكة فهربوا. وكذا فعل أمير المدينة مهنأ، وقطعا الخطبة للمستنصر، وخطبا لبني العباس الخليفة القائم بأمر الله، وبعثا إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد بذلك، وأنهما أذنا بمكة والمدينة الأذان المعتاد، وتركا الأذان ب حي على خير العمل؛ فأرسل ألب أرسلان إلى صاحب مكة أبي هاشم المذكور بثلاثين ألف دينار، وإلى صاحب المدينة بعشرين ألف دينار. وبلغ الخبر بذلك المستنصر، فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء. وقد كاد الخراب أن يستولي على سائر الإقليم. ودخل ابن الفضل على القائم بأمر الله العباسي ببغداد، وأنشده في معنى الغلاء الذي شمل مصر قصيدة، منها: الطويل.

وقد علم المصري أن جنوده ... سنو يوسف منها وطاعون عمواس

أحاطت به حتى استراب بنفسه ... وأوجس منها خيفة أي إيجاس

قلت: وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالم معه. وهذا البلاء من

تلك الأيام إلى يومنا هذا.

ثم في سنة ست وستين سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عكا إلى مصر، ومعه عبد الله بن المستنصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان بمدة. واسم ابن حمدان الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي الأمير ناصر الدولة ذو المجدين.

سبب قتل ابن حمدان المذكور." (١)

"وسببه أنه كان ابن حمدان اتفق مع إلدكز التركي، وكان إلدكز تزوج بابنته، فاتفقا اتفاقا كليا وتحالفا وأمن أحدهما للآخر. ووصل ناصر الدولة إلى مصر – أعني بعد توجهه إلى الإسكندرية حسب ما ذكرناه – على طمأنينة مرتبا للمواكب والعساكر، فركب إلدكز يوم الجمعة مستهل شهر رمضان في خمسين فارسا، وكان له غلام يقال له: أبو منصور كمشتكين ويلقب حسام الدولة، وكان يثق به، فقال له إلدكز: أريد أن أطلعك على أمر لم أر له أهلا غيرك؛ قال: وما هو؟ قال: قد علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء، وقد عزمت على قتله، فهل فيك موافقة ومشاركة وأريح الإسلام منه؟ فقال نعم، ولكن أخاف أن يفلت فتتبرأ مني؛ قال لا. وقصدوا ابن حمدان قبل أن يلحقه أصحابه واستأذنوا عليه، فأذن لهم فدخلوا والفراشون ينفضون البسط ليقعد عليها ابن حمدان، وهو يتمشى في صحن الدار، ومشى إلدكز معه، ثم تأخر عنه وضربه بيافروت كان معه، وهو سكين مغربي في خاصرته، وضربه كمشتكين فقطع رجليه، فصاح: فعلتموها! فحزوا رأسه. وكان محمود بن ذبيان أمير بني سنبس في خزانة الشراب، فدخلوا عليه وقتلوه. ثم خرجوا إلى دار كان فيها فخر العرب ابن حمدان وقد شرب دواء وعنده الأمير شاور فقتلوهما. وخرجوا إلى خيمة الأمير تاج المعالي بن حمدان أخي ناصر الدولة، وكان على عزم المسير إلى الصعيد، فهرب إلى خراب مقابل خيمته، فكمن فيه فرآه بعض العبيد فأعطاه معضدة فيها مائة دينار، وقال له: اكتم علي؛ فأخذها العبد وجاء إلى إلدكز ونم عليه، فدخل وقتله. وانهزم ابن أخي ابن المدبر في زي المكدين فأخذ، وكان قد تزوج بإحدى بنات نزار ابن المستنصر الخليفة، فقطع ذكره وجعل في فمه ثم قتل. وقطع ابن حمدان قطعا، وأنفذ كل قطعة إلى بلد. وجاءوا إلى القصر إلى الخليفة المستنصر هذا ومعهم الرؤوس، وأرسلوا إلى الخليفة وقالوا: قد قتلنا عدوك وعدونا، من أخرب البلاد وقتل العباد، ونريد من المستنصر الأموال. فقال المستنصر: أما المال فما ترك ابن حمدان عندي مالا. وأما ابن حمدان فما كان عدوي، وإنما كانت الشحنة بينك وبينه يا إلدكز، فهلكت الدنيا بينكما، وإني ما اخترت ما فعلت من قتله ولا

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٩٠/١

رضيته، وستعلم غب الغدر، ونقض العهد. ووقع بينهما كلام كثير. وآل الأمر إلى بيع المستنصر قطع مرجان وعروضا وحمل إلى إلدكز ورفقته مالا من أثمان ذلك وغيره. ثم علم المستنصر أن أمره يؤول مع إلدكز إلى شر حال؛ فلذلك أرسل أحضر بدرا الجمالي المقدم ذكره. ولما حضر بدر الجمالي إلى مصر وجد إلدكز تغلب عليها. وكان إلدكز قد وصل إلى دمياط وبها ابن المدبر، وكان قد هرب منه، فقتله وصلبه، وعاد إلى مصر، واتفق مع بدر الجمالي وتحالفا وتعاهدا. فلم يكن إلا مدة يسيرة وقبض بدر الجمالي على إلدكز وأهانه وعذبه وطالبه بالمال؛ فلم يظهر سوى اثني عشر أرف دينار، وكان له من الأموال والجواهر شيء كثير إلا أنه لم يقر به، فقتله بدر الجمالي، وقيل: هرب إلى الشام. وأخذ بدر الجمالي في إصلاح أمور الديار المصرية: انتزع الشرقية من أيدي عرب لواتة وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر أمراءهم وأخذ منهم أموالا جمة وعمر الريف فرخصت الأسعار ورجعت إلى عادتها القديمة. ثم أخذ الإسكندرية وسلمها إلى القاضي ابن المحيرق. وأصلح أموال الصعيد واستدعى أكابرهم إليه، فجاءه منهم الكثير. وصلح الحال لهلاك الأضداد، ورفعت الفتن، وانفرد أمير الجيوش بدر الجمالي بالأمر إلى أن مات في خلافة المستنصر. وتولى بعده ابنه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي المذكور. ويأتي ذكر ذلك وغيره مما ذكرنا **من الغلاء والفناء** والحروب في الحوادث المتعلقة بالمستنصر من سنين خلافته على سبيل الاختصار، كما هو عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ودام المستنصر في الخلافة وهو كالمحجوز عليه مع بدر الجمالي؛ ثم من بعده مع ولده الأفضل شاهنشاه إلى أن توفي بالقاهرة في يوم عيد الفطر، وهو يوم الخميس سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وبايع الناس ابنه أحمد من بعده، ولقب بالمستعلي بالله. وقام الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي بتدبير ملكه. وقد تقدم مدة إقامة المستنصر في الخلافة، وكم عاش من السنين في أول ترجمته فيطلب هناك.." (١)

"والتقينا كما اشتهينا ولا عي ... ب سوى أن ذاك في الأحلام

وإذا كانت الملاقاة ليلا ... فالليالي خير من الأيام

وكانت وفاة الشريف في يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

وفيها توفي محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الوليد المرسي؛ يعرف بابن منقذ؛ حدث عن سهل بن إبراهيم وغيره؛ وكان عالما فاضلا ورعا محدثا صدوقا ثقة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٩١/١

إصبعا.
السنة العاشرة من خلافة المستنصر معد على هصر
وهي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.
فيها مات بواسط نصراني يقال له ابن سهل، وأخرجت جنازته نهارا، فثارت العامة بالنصارى وجردوا الميت وأحرقوه، ومضوا إلى الدير فنهبوه. وكان الملك العزيز بن جلال الدولة بن بويه بواسط، وعمه الملك أبو كاليجار ببغداد، ولم يكن له تلك الهيبة، وكانوا قد أحسوا بانقراض دولة بني بويه بظهور طغرلبك السلجوقي صاحب خراسان، فلم ينتطح في ذلك شاتان.
وفيها جهز المستنصر صاحب الترجمة جيشا من مصر إلى حلب، فحصروا ابن مرداس فيها واستظهروا عليه، فاستنجد بالروم فلم ينجحوه. وقد تقدم ذكر هذه الواقعة في ترجمة المستنصر.
وفيها لم يحج أحد من العراق. وحج الناس من مصر وغيرها.
وفيها توفي الحسن بن محمد بن أحمد، أبو محمد الدمشقي المعروف بابن السكن؛ كان عابدا زاهدا. صام الدهر وله اثنتا عشرة سنة من العمر، وعاش سبعا وثمانين سنة. وكان لا يشرب الماء في الصيف، وأقام سنة وخمسة أشهر لا يشربه. فقال له طبيب: معدتك تشبه الآبار، في الصيف باردة وفي الشتاء حارة.
وفيها توفي محمد بن محمد بن علي ابن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن الحسين الأصغر، أبو الحسن العلوي الحسيني البغدادي النسابة شيخ الأشراف. كان فريدا في علم الأنساب، وله تصانيف كثيرة، وله شعر.
وفيها توفي مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، الإمام أبو محمد القيسي القيرواني ثم القرطبي المقرئ شيخ الأندلس في زمانه؛ حج وسمع بمكة وغيرها. وكان إماما عالما محدثا ورعا؛ صنف الكثير في علوم القرآن. ومولده بالقيروان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا.
السنة الحادية عشرة من خلافة المستنصر
وهي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة.
فيها أغارت الترك على ما وراء النهر واستولوا على بخارى وسمرقند وخوارزم، فقطع طغرلبك جيحون. وبعث أخاه إبراهيم إلى العراق فاستولى على حلوان ثم عاد إلى الري. والتقى طغرلبك فهزمهم وعاد إلى خراسان.
وفيها زلزلت أخلاط وديار بكر زلازل هدمت القلاع والحصون وقتلت خلقا كثيرا.

وفيها لم يحج أحد من العراق. وحج الناس من مصر والشام.

وفيها توفي عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن حيويه ،الجويني الشافعي والد أبي المعالي الجويني. وجوين بضم الجيم: بلدة من أعمال نيسابور. وأصلهم من العرب من بني سنبس. سمع الحديث، وتفقه بمرو على القفال، وصنف التصانيف الكثيرة. ومات بنيسابور.

وفيها توفي محمد بن يحيى بن محمد أبو بكر. كان أصله من قرية بالعراق يقال لها الزيدية. كان عالما بالقرآن والفرائض وسمع الحديث. ومات في شهر رمضان. قال أبو بكر الخطيب: كتبت عنه، وكان ثقة.

وفيها توفي الحسن بن محمد بن إبراهيم، أبو علي البغدادي المالكي المقرئ العالم المشهور، مصنف الروضة. كان عالما بالقراءات وغيرها، مفتنا. مات في هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا.

السنة الثانية عشرة من خلافة المستنصر

وهي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

فيها **وقع الغلاء والوباء** بالموصل والجزيرة وبغداد، ووصل كتاب من الموصل أنهم أكلوا ،لميتة، وصفى الجمعة أربعمائة نفس، ومات الباقون وكانوا زيادة على ثلاثمائة إنسان، وبيعت الرمانة بقيراطين، واللينوفرة بقيراطين أيضا، والخيارة بقيراط. قاله صاحب مرآة الزمان.." (١)

"وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأصبهاني الفقيه المحدث؛ كان زاهدا عالما ورعا، وكنيته أبو محمد، ويعرف بابن اللبان. أثنى على علمه وفضله جماعه من العلماء. وكانت وفاته في جمادى الآخرة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.

السنة العشرون من خلافة المستنصر

وهي سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

فيها دخل طغرلبك السلجوقي بغداد، وهرب منها أبو الحارث أرسلان البساسيري إلى الرحبة، وكاتب البساسري المستنصر صاحب مصر، ومشت الرسل بينهما.

وفيها استولى أبو الحسن علي بن محمد الصليحي على اليمن، وانتمى إلى المستنصر صاحب مصر،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٩٧/١

وخطب له باليمن، وأزال دعوة بني العباس منها، وكان يدعى بها للقائم بأمر الله، فصار يدعو للمستنصر هذا صاحب الترجمة.

وفيها توفي الحسين ابن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف، أبو عبد الله العجلي القاضي، وكان يعرف بابن ماكولا؛ ولي قضاء البصرة وبغداد، وكان قاضيا نزها عفيفا دينا أديبا شاعرا.

وفيها توفي علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم التنوخي القاضي، تقلد القضاء في عدة بلاد، وسمع الحديث الكثير، وصنف الكتب المفيدة، ومات في بغداد في المحرم. وكان صدوقا محتاطا في الحديث. وقيل: إنه كان معتزليا يميل إلى الرفض.

وفيها توفي محمد ابن الخليفه القائم بأمر الله العباسي في حياة والده، كان قد نشأ نشوءا حسنا، ورشحه أبوه القائم بأمر الله للخلافة، ولقبه ذخيرة الدين. وكانت وفاته في ذي القعدة، وحزن عليه أبوه القائم حزنا شديدا، وخرج حتى صلى عليه بنفسه، فصلى عليه وبينه وبين الناس سرادق وهم يصلون خلفه بصلاته؛ وجلس الوزير رئيس الرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ومنع من ضرب الطبول ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع حضر عميد الملك وزير السلطان بين يدي القائم بأمر الله، وأدى عن السلطان رسالة تتضمن التعزية والسؤال بقيام الوزير والجماعة من مجلس التعزية فقاموا، ثم حمل تابوته بعد ذلك إلى الرصافة فدفن هناك.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع أصابع.

السنة الحادية والعشرون من خلافة المستنصر

وهي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

فيها **عم الوباء والقحط** بغداد والشام ومصر والدنيا؛ وكان الناس يأكلون الميتة. وبلغت الرمانة والسفرجلة دينارا، وكذا الخيارة واللينوفرة، وانقطع ماء النيل بمصر، وكان يموت بها في كل يوم عشرة آلاف إنسان. وباع عطار واحد في يوم واحد ألف قارورة شراب. ووقع بمصر أن ثلاثة لصوص نقبوا نقبا فوجدوا عند الصباح موتى: أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الكارة التي سرقها. **وهذا الوباء والغلاء** **خلاف الغلاء الذي** ذكرناه في ترجمة المستنصرة ويأتي ذكر ذلك أيضا في محله. غير أنه كان ينذر عن ذاك بأمور استرسلت إلى أن عظم الأمر.

وفيها أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ومساجد الكرخ ب الصلاة خير من النوم على رغم أنف الشيعة، وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من حي على خير العمل.

وفيها توفي جعفر بن محمد بن عبد الواحد، أبو طالب الجعفري الشريف الطوسي شيخ الصوفية، كان محدثا فاضلا، سافر إلى البلاد في طلب الحديث، وسمع بالعراقين والشام وخراسان وغيرها.
وفيها توفي علي بن أحمد بن علي، أبو الحسن المؤدب. أصله من قرية ببلاد خوزستان يقال لها فالة بفاء ثم قدم البصرة وسمع الحديث، ثم قدم بغداد ومات بها؛ وكان محدثا شاعرا أديبا فصيحا ثقة.
وفيها توفي هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال، أبو الحسين الكاتب الصابئ صاحب التاريخ - قلت: نقلنا عنه كثيرا في هذا التاريخ - وكان مولده في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وجده إبراهيم هو صاحب الرسائل المقدم ذكر وفاته، وأن الشريف الرضي رثاه، وعيب عليه من كونه من الأشراف ورثى صابئا. وكان أبو هلال هذا المحسن صابئا، وأسلم هو متأخرا؛ وكان قبل أن يسلم سمع جماعة من النحاة، منهم أبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.." (١)

"وفيها كان **بمصر الغلاء والقحط** المتواتر الذي خرج عن الحد - وقد تقدم ذكره - ولا زال في زيادة في هذه السنة والتي قبلها إلى أن أخذ أمره في نقص في سنة إحدى وستين وأربعمائة. وأبيع القمح في هذه السنة بثمانين دينارا الإردب.
وفيها توفي سعيد بن محمد بن الحسن، أبو القاسم إمام جامع صور. كان فاضلا سمع الحديث ورواه؛ ومن رواياته عن الحسن البصري أنه قال: لا تشتروا مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد.
وفيها توفي علي بن الخضر، أبو الحسن العثماني الدمشقي الحاسب. كان له تصانيف في علم الحساب. ومات بدمشق في شوال.
وفيها كان بالرملة الزلزلة الهائلة التي أخربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها - كما نقل ابن الأثير - خمسة وعشرون ألفا. وقال ابن الصابئ: حدثني علوي كان بالحجاز: أن الزلزلة كانت عندهم في الوقت المذكور، وهو يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى، فرمت شرفتين من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وانشقت الأرض فبان فيها كنوز ذهب وفضة، وانفجرت فيها عين ماء، وأنها أهلكت أيلة ومن فيها؛ وذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة. وأما ابن الأثير فإنه قال: وانشقت صخرة بيت المقدس وعادت بإذن الله، وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢

عليهم فأهلكهم.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.
السنة الثالثة والثلاثون من خلافة المستنصر
وهي سنة ستين وأربعمائة.
فيها ولى المستنصر دمشق للأمير بارزطغان قطب الدولة، ووصل معه الشريف أبو طاهر حيدرة، ونزل بدار العقيقي، وانهزم بدر الجمالي أمير الجيوش من دمشق، فنهب أهلها خزائنه لأنه كان مسيئا إليهم؛ ثم ظفر بدر الجمالي بالشريف حيدرة بعد أمور صدرت وسلخه.
وفيها جاء ناصر الدولة بالأتراك إلى باب المستنصر بالقاهرة - وقيل: بالساحل - وزحف المذكورون إلى باب وزيره ابن كدينة: فطالبوه بالمال؛ فقال: وأي مال بقي عندي بعد أخذكم الأموال واقتسامكم الإقطاعات! فقالوا: لا بد أن تكتب إلى المستنصر. فكتب إليه بما جرى. فكتب المستنصر الجواب على الرقعة بخطه يقول: السريع.
أصبحت لا أرجو ولا أتقي ... إلا إلهي وله الفضل
جدي نبيي وإمامي أبي ... وقولي التوحيد والعدل
المال مال الله، والعبد عبد الله، والإعطاء خير من المنع " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .
وفيها توفي أحمد بن محمد بن عقيل الشهرزوري الشاعر الفاضل في القدس الشريف. وكان إماما فاضلا أديبا شاعرا. ومن شعره: البسيط.
واحسرتا مات حظي من قلوبكم ... وللحظوظ كما للناس آجال
وفيها توفي الحسن بن أبي طاهر بن الحسن، أبو علي الختلي. كان يسكن دمشق وبها توفي. ومن رواياته عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن النبي. صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحسن الحسن الخلق الحسن " فالحسن الأول ابن حسان التميمي، والثاني ابن دينار، والثالث البصري، والرابع ابن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.
وفيها توفيت خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظة الشاهجانية. كانت عظيمة مشهورة بالصدق والورع والزهد والدين المتين. ولدت سنة ست وسبعين وثلاثمائة. وكانت تسكن قطيعة الربيع. وصحبت ابن سمعون الواعظ. ولما ماتت دفنت إلى جانبه.

وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن يوسف، أبو منصور البغدادي؛ كان إماما بارعا. لم يكن في زمانه من يخاطب بالشيخ الأجل سواه. ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وكان أوحد زمانه في فعل المعروف، والقيام بأمور العلماء، وقمع أهل البدع.

وفيها توفي أبو جعفر الطوسي فقيه الإمامية الرافضة وعالمهم. وهو صاحب التفسير الكبير وهو عشرون مجلدا، وله تصانيف أخر. مات بمشهد علي – رضي الله عنه – وكان مجاورا بضريحه. كان رافضيا قوي التشيع.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال، أبو عمر القرطبي المعروف بابن القطان المالكي المغربي، شيخ المالكية في زمانه وعالمهم. مات في هذه السنة وله سبعون سنة.

وفيها توفي أحمد بن الفضل، أبو بكر الباطرقاني المقرئ في صفر وله ثمان وثمانون سنة. كان إماما عالما بالقراءات رحمه الله.

أمر النيل في هذه السنة:." (١)

"الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وست أصابع.

السنة الرابعة والثلاثون من خلافة المستنصر

وهي سنة إحدى وستين وأربعمائة.

فيها خرج ناصر الدولة بن حمدان من عند الوزير أبي عبد الله الماشلي وزير المستنصر بمصر فوثب عليه رجل صيرفي وضربه بسكين؛ فأمسك الصيرفي وشنق في الحال، وحمل ناصر الدولة بن حمدان إلى داره جريحا، فعولج فبرئ بعد مدة. وقيل: إن المستنصر ووالدته كانا دسا الصيرفي عليه.

وفي هذه الأيام اضمحل أمر المستنصر بالديار المصرية لتشاغله باللهو والشرب والطرب. فلما عوفي ابن حمدان اتفق مع مقدمي المشارقة، مثل سنان الدولة وسلطان الجيوش وغيرهما، فركبوا وحصروا القاهرة. فاستنجد المستنصر وأمه بأهل مصر، وأذكرهم حقوقه عليهم، ووعدهم بالإحسان؛ فقاموا معه ونهبوا دور أصحاب ابن حمدان وقاتلوهم. فخاف ابن حمدان وأصحابه، ودخلوا تحت طاعة المستنصر، بعد أمور كثيرة صدرت بين الفريقين.

وفيها أبيع القمح بمصر بمائة دينار الإردب، ثم عدم وجوده. وقد ذكرنا ذلك كله في أول ترجمة المستنصر مفصلا.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٩/٢

وفيها توفي عبد الرحيم بن أحمد بن نصر، الحافظ أبو زكريا البخاري التميمي؛ سمع الحديث وطاف البلاد في طلب الحديث، وسمع بعدة أقطار، واتفقوا على صدقه وثقته. وكانت وفاته في المحرم بمصر.

وفيها توفي محمد بن مكي بن عثمان، الحافظ أبو الحسين الأزدي المصري في جمادى الأولى؛ وكان إماما فاضلا محدثا سمع الحديث ورحل البلاد.

وفيها توفي نصر بن عبد العزيز، أبو الحسين الشيرازي الفارسي المقرئ كان إماما في علم القراءات، وله سماع ورواية.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وأربع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا.

السنة الخامسة والثلاثون من خلافة المستنصر

وهي سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

فيها كان **معظم الغلاء بالديار** المصرية حتى خربت وخرب غالب أعمالها. وأبطل صاحب مكة وأصاحب، المدينة خطبة المستنصر، وخطبا للقائم بأمر الله العباسي، فلم يلتفت المستنصر لذلك لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء.

وفيها وقف الوزير نظام الملك الأوقاف على مدرسته النظامية ببغداد.

وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد، أبو الجوائز الواسطي الكاتب؛ ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة؛ وسكن بغداد دهرا طويلا. وكان شاعرا ماهرا. ومن شعره - رحمه الله تعالى - :

واحربا من قولها: ... خان عهودي ولها

وحق من صيرني ... وقفا عليها ولها

ما خطرت بخاطري ... إلا كستني ولها

وفيها توفي الشريف حيدرة بن إبراهيم، أبو طاهر بن أبي الجن، الشريف العلوي. كان عالما قارئا محدثا، وكان عدوا لبدر الجمالي؛ فلفا دخل بدر الجمالي دمشق هرب منها حيدرة المذكور إلى عمان البلقاء؛ فغدر به بدر بن حازم وبعث به إلى بدر الجمالي بعد أن أعطاه بدر الجمالي اثني عشر ألف دينار وخلعا كثيرة؛ فقتله بدر الجمالي أقبح قتلة ثم سلخ جلده. وقيل: سلخه حيا. وأظن القاضي شهاب الدين أحمد قاضي دمشق وكاتب مصر في زماننا هذا كان من ذرية ابن أبي الجن هذا. والله أعلم.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن سهل، أبو غالب بن بشران النحوي الواسطي الحنفي، ويعرف بابن الخالة.

كان إماما عالما فاضلا عارفا بالأدب والنحو واللغة والحديث والفقه، وكان شيخ العراق ورحلته. وابن بشران جده لأمه. ومات بواسط. ومن شعره: المتقارب.

يقول الحبيب غداة الوداع ... كأن قد رحلنا فما تصنع

فقلت أواصل سفح الدموع ... وأهجر نومي فما أهجع

وله أيضا: البسيط.

لما رأيت سلوى غير متجه ... وأن عزم اصطباري عاد مفلولا

دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ... ليقضي الله أمرا كان مفعولا

وفيها توفي هزارسب بن تنكر بن عياض، أبو كاليجار تاج الملوك الكردي. كان قدم على السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأصبهان ثم عاد إلى خوزستان، ونزل بموضع يعرف بخرندة. وكان قد تجبر وتكبر وتسلط وتفرعن وتزوج بأخت السلطان ألب أرسلان، فلحقه مرض الذرب حتى مات منه.." (١)

"وفيها توفي محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويعرف بابن الروقلية. كان عمه عطية قد أخذ حلب منه، فتجهز محمود هذا وأتاه وحصره حتى استعادها منه. ومات بها في ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، وهي الليلة التي مات فيها الخليفة القائم بأمر الله العباسي. وسبب موته أنه عشق جارية لزوجته، وكانت تمنعه منها، فماتت الجارية فحزن عليها حتى مات بعد يومين. ولما مات وقع بين العسكر الخلاف. وكان محمود هذا قد أوصى إلى ولده أبي المعالي شبل وأسكنه القلعة والخزائن عنده؛ وأسكن ولده نصرا البلد، وكان يكره نصرا ويحب شبلا، والعساكر تحب نصرا؛ فلا زالوا حتى ملك نصر وخلع شبل. أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وتسع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع.

السنة الحادية والأربعون من خلافة المستنصر

وهي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

فيها خرج مؤيد الملك بن نظام الملك الوزير من بغداد يريد والده، وكان أبوه قد مرض، وخرج معه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البيضاوي الشاهد رسولا من الديوان إلى السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، يخبره بوفاة الخليفة القائم بأمر الله وإقامة ولده المقتدي بعده في الخلافة.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/ ١٠

وفيها لبس بدر الجمالي أمير الجيوش من المستنصر خلعة الوزارة بمصر، وكانت منزلته قبل ذلك أجل من الوزارة، ولكن لبسها حتى لا يترتب أحد في الوزارة فينازعه في الأمر.

وفيها أيضا قبض بدر الجمالي على قاضي الإسكندرية ابن المحيرق وعلى جماعة من فقهائها وأعيانها، وأخذ منهم أموالا عظيمة.

وفيها استولى أتسز التركماني على دمشق وخطب بها للمقتدي العباسي، وكتب إلى المقتدي يذكر له تسليمها إليه وغلو الأسعار بها وموت أهلها، وأن الكارة الطعام بلغت في دمشق نيفا وثمانين دينارا مغربية، وبقيت على ذلك أربع سنين. والكارتان ونصف غرارة بالشافي. فتكون الغرارة بمائتي دينار. وهذا شيء لم يعهد مثله في سالف الأعصار. قلت: ولا بعده. وقد تقدم ذكر **هذا الغلاء بمصر** والشام في ترجمة المستنصر هذا.

وفيها توفي أحمد بن علي بن محمد، القاضي أبو الحسين جلال الدولة الشريف العلوي، كان ولي قضاء دمشق للمستنصر، وهو آخر قضاة المصريين الرافضة، وهو الذي أجار الخطيب البغدادي لما أمر أمير دمشق بقتله. قال يوما وعنده أبو الفتيان بن حيوس: وددت أني في الشجاعة مثل جدي علي، وفي السخاء مثل حاتم. فقال له أبو الفتيان بن حيوس: وفي الصدق مثل أبي ذر الغفاري. فخجل الشريف، فإنه كان يتزيد في كلامه.

وفيها توفي إسماعيل بن علي أبو محمد العين زربي الشاعر الفصيح. كان يسكن دمشق وبها مات. ومن شعره:

وحقكم لا زرتكم في دجنة ... من الليل تخفيني كأني سارق

ولا زرت إلا والسيوف شواهر ... علي وأطراف الرماح لواحق

وله أيضا: الطويل.

ألا يا حمام الأيك عيشك آهل ... وغصنك ميال وإلفك حاضر

أتبكي وما امتدت إليك يد النوى ... ببين ولم يذعر جناحك ذاعر

قلت: وهذا يشبه قول القائل في أحد معانيه: الخفيف

نسب الناس للحمامة حزنا ... وأراها في الحزن ليست هنالك

خضبت كفهما وطوقت الجي ... د وغنت وما الحزين كذلك

وفيها توفي مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق، أبو جعفر البياضي الشاعر

البغدادي. كان أديبا فاضلا شاعرا. مات ببغداد في ذي القعدة. ومن شعره: الخفيف.

ليس لي صاحب معين سوى اللي ... ل إذا طال بالصدود عليا

أنا أشكوهم الحبيب إليه ... وهو يشكو بعد الصباح إليا

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا. وأوفى يوم نصف توت.

السنة الثانية والأربعون من خلافة المستنصر

وهي سنة تسع وستين وأربعمائة.

فيها في صفر غلب على المدينة النبوية محيط العلوي وأعاد خطبة المستنصر هذا بها، وطرد عنها أميرها الحسين بن مهنأ فقصد الحسين ملكشاه السلجوقي.." (١)

"وهي التي مات فيها المستنصر معد صاحب الترجمة حسب ما تقدم ذكره.

وفيها أيضا توفي الخليفة المقتدي بالله العباسي وبدر الجمالي أمير الجيوش بمصر، وآق سنقر صاحب حلب قتيلا، وبوزان بالشام، وأمير مكة. وتسمى هذه السنة سنة موت الخلفاء والأمراء؛ فعدة الناس هذا كله من القرآن المقدم ذكره في سنة خمس وثمانين وأربعمائة. ويأتي كل واحد من هؤلاء على حدته في هذه السنة. وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد بين العشاءين في المحرم.

وفيها حدث فتن وحروب وغلاء بسائر الأقاليم.

وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين أبو القاسم المقتدي بالله، عبد الله ابن الأمير ذخيرة اللين أبي العباس محمد ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بأمر الله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة المهدي بالله محمد ابن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي الهاشمي. بويع بالخلافة بعد موت جده القائم بأمر الله في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وهو ابن تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر. وكان توفي أبوه الذخيرة محمد، والمقتدي هذا حمل في بطن أمه، وكان اسم أمه أرجوان - وقيل قرة العين - وكانت أرمينية، فولدته بعد موت أبيه بستة أشهر. وكان المقتدي من رجال بني العباس له همة عالية، وشجاعة وافرة، وظهرت في أيامه خيرات؛ وخطب له في الشرق بأسره وما وراء النهر

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦/٢

والهند وغزنة والصين والجزيرة والشام واليمن؛ وعمرت في أيامه بغداد، واسترجع المسلمون الرهاء وإنطاكية. ومات فجاة في ليلة السبت خامس عشر المحرم، وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية أشهر ويومين. وتخلف بعده ابنه أبو العباس أحمد. وكانت خلافة المقتدي تسع عشرة سنة وثمانية أشهر.

وفيها توفي الشريف أمير مكة محمد بن أبي هاشم. كان ظالما جبارا فاتكا سفاكا للدماء مسرفا رافضيا سبابا خبيثا متلونا، تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين؛ وكان يقتل الحجاج ويأخذ أموالهم. وهلك بمكة وقد ناهز السبعين. وفرح المسلمون وأهل مكة بموته، وقام بعده ابنه هاشم.

وفيها توفي المستنصر صاحب الترجمة العبيدي خليفة مصر، وقد تقدم ذكر وفاته في ترجمته.

وفيها توفي الحسن بن أسد، أبو نصر الفارقي الشاعر المشهور. كان فصيحا فاضلا عارفا باللغة والأدب؛ وهو الذي سلم ميافارقين إلى منصور بن مروان.

فلما دخلها تتش السلجوقي اختفى، ثم ظهر لما عاد تتش، ووقف بين يديه وأنشده قصيدة، منها: البسيط.

واستحلبت حلب جفني فانهملا ... وبشرتني بحر القتل حران

فقال تتش: من هذا؟ فقيل له: هذا الفارقي؛ فأمر بضرب عنقه من وقته. فكان قوله:

وبشرتني بحر القتل حران

فألا عليه.

ومن شعره: المنسرح

كم ساءني الدهر ثم سر فلم ... يدم لنفسي هذا ولا فرحا

ألقاه بالصبر ثم يعركني ... تحت رحا من صروفه فرحا

وفيها توفي الأمير آق سنقر بن عبد الله قسيم الدولة التركي. كان شجاعا عادلا منصفا؛ وكان الملوك السلجوقية يحترمونه، ولم يكن له ولد غير زنكي. وآق سنقر هذا هو جد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد. ولما قتل آق سنقر انضم على ولده زنكي مماليك أبيه وصار معهم، واستفحل أمره، على ما يأتي ذكره إن شاء الله في عدة مواطن.

وفيها توفي أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني وزير مصر للمستنصر بل صاحب أمرها وعقدها وحلها. كان أولا ولي الشام والسواحل للمستنصر، ثم خالفه مدة وأقام بعكا، إلى أن استدعاه المستنصر المذكور إلى مصر بعد أن اختل أمرها **من الغلاء والفتن**، وفوض إليه أمور مصر والشام وجميع ممالكه؛ فاستقامت الأمور بتدبيره وسكنت الفتن، وصار الأمر كله له؛ وليس للخليفة المستنصر معه سوى الاسم لا غير. ومات قبل

المستنصر بأشهر. ولما مات بدر الجمالي أقام المستنصر ابنه أبا القاسم شاهنشاه، ولقبه الأفضل؛ فأحسن الأفضل السيرة في الرعية، لكنه عظم في الدولة أضعاف مكانة أبيه. وخلف بدر الجمالي أموالا كثيرة يضرب بها المثل.

أمر النيل في هذه السنة:." (١)

"واستمر صلاح الدين بمصر وأرسل يطلب أباه نجم الدين أيوب من الملك العادل نور الدين محمود الشهيد، فأرسله إليه معظما مبجلا؛ وكان وصوله أعني نجم الدين إلى القاهرة في شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة، فلما قرب نجم الدين إلى الديار المصرية خرج ابنه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إلى ملاقاته، وترجل صلاح الدين وجميع الأمراء ومشوا في ركابه؛ ثم قال له ابنه صلاح الدين: هذا الأمر لك يعني الوزارة وهي السلطنة الآن، وتدبير ملك مصر، ونحن بين يديك؛ فقال له نجم الدين: يا بني، ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت أهل له. وأبى نجم الدين عن قبول السلطنة، غير أنه حكمه ابنه صلاح الدين في الخزائن، فكان يطلق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين.

وكانت الفرنج تولت على دمياط في ثالث صفر من السنة المذكورة وجدوا في قتالها، وأقاموا عليها نحو الشهرين يحاصرونها بالمجانيق ويزحفون عليها ليلا ونهارا، وصلاح الدين يوجه إليها العساكر مع خاله شهاب الدين وابن أخيه، تقي الدين، وطلب من العاضد مالا فبعث إليه شيئا كثيرا، حتى قال صلاح الدين: ما رأيت أكرم من العاضد! جهز إلي في حصار الفرنج لدمياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها.

ولما سمع نور الدين بما وقع لدمياط أخذ في غزو الفرنج بالغارات عليهم. ثم وقع **فيهم الوباء والفناء** فرحلوا عن دمياط بعد أن مات منهم خلق كثير. كل ذلك في حياة العاضد في أوائل أمر صلاح الدين.

ثم أخذ السلطان صلاح الدين في إصلاح أحوال مصر وعمارة البلادة وبينا هو في ذلك ورد عليه كتاب الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق، فأمره فيه بقطع خطبة العاضد وإقامتها لبني العباس خلفاء بغداد، فخاف صلاح الدين من أهل مصر إلا يجيبوه إلى ذلك، وربما وقعت فتنة؛ فعاد الجواب لنور الدين يخبره بذلك، فلم يسمع له نور الدين؛ وأرسل إليه وخشن له في القول، وألزمه بذلك إلزاما كليا إلى أن وقع ذلك؛ وقطعت خطبة العاضد في أول المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان العاضد مريضا فأخفى عنه أهله ذلك حتى مات يوم عاشوراء، فندم صلاح الدين على قطع خطبته، وقال: ليتني صبرت حتى مات. وقد ذكرنا ذلك كله مفصلا في ترجمة العاضد السابقة لهذه الترجمة. ومن هنا نذكر – إن شاء

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٨/٢

الله تعالى - أقوال المؤرخين في أحوال السلطان صلاح الدين هذا وغزواته وأموره، كل مؤرخ على حدته.
ومن يوم مات العاضد عظم أمر صلاح الدين واستولى على خزائن مصر واستبد بأمورها من غير منازع. غير أنه كان من تحت أوامر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد صاحب دمشق على ما سنبينه في هذا المحل. وكان يدعو له الخطيب بمصر وأعمالها بعد نور الدين المذكور ويدعو لنور الدين بعد الخليفة.

وكان مولد صلاح الدين بتكريت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ونشأ في حجر أبيه نجم الدين أيوب في الدولة النورية، وترقى فيها؛ وكان ولاه نور الدين قبل خروجه مع عمه أسد الدين شيركوه الثالثة إلى ديار مصر، شحنجية دمشق، فرجع عنها غضبا على ما سنذكره إن شاء الله.

قال العلامة أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه مرآة الزمان: "كان السلطان صلاح الدين شجاعا شهما مجاهدا في سبيل الله؛ وكان مغرما بالإنفاق في سبيل الله؛ وحسب ما أطلقه ووهبه مدة مقامه على عكا مرابطا للفرنج، من شهر رجب سنة خمس وثمانين، إلى يوم انفصاله عنها في شعبان سنة ثمان وثمانين، فكان اثني عشر ألف رأس من الخيل العراب والأكاديش الجياد للحاضرين معه للجهاد، غير ما أطلقه من الأموال.

قال العماد الكاتب: لم يكن له فرس يركب إلا وهو موهوب، ولا جاءه قود إلا وهو مطلوب؛ وما كان يلبس إلا ما يحل لبسه، كالكتان والقطن والصوف؛ وكانت مجالسه منزهة عن الهزء والهزل، ومحافله حافلة بأهل العلم والفضل، ويؤثر سماع الحديث. وكان من جالسه لا يعلم أنه جالس سلطانا لتواضعه. قال: ورأى معي يوما دواة محلاة بفضة فأنكر علي وقال: ما هذا! فلم أكتب بها عنده بعدها. وكان محافظا على الصلوات في أوقاتها لا يصلي إلا في جماعة، وكان لا يلتفت إلى قول منجم؛ وإذا عزم على أمر توكل على الله. انتهى كلام العماد باختصار.." (١)

"قد كان يهضمني دهري ... فأدركني محمد بن أبي بكر بن أيوب

ووصل الكامل إلى مصر في عاشر شهر رمضان، والتقاه أبوه العادل من العباسة، وأنزله في دار الوزارة. وكان قد زوجه بنت أخيه صلاح الدين فدخل بها. ولم يقطع العادل الخطبة لولد العزيز.

قلت: وهذا مما يدل أيضا على أن الأفضل كان عند الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بمنزلة الأتابك. والظاهر أنه كان ظن الأفضل إذا تم أمره مع عمه العادل هذا استقل بالملك، فلم يقع له ذلك؛ ولهذا لم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١٥/٢

نذكره في ملوك مصر، وما ذكرناه هنا إلا في ضمن ترجمة المنصور صاحب الترجمة.

قال: ثم إنه جمع الفقهاء يعني الملك العادل وقال لهم: هل يجوز ولاية الصغير على الكبير؛ فقالوا: الصغير مولى عليه. قال: فهل يجوز للكبير أن ينوب عن الصغير؛ قالوا: لا، لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النيابة! فعند ذلك قطع خطبة ابن العزيز يعني عن المنصور صاحب الترجمة وخطب لنفسه ولولده الكامل من بعده. ونقص النيل في هذه السنة ولم يبلغ ثلاث عشرة ذراعا. **ووقع الغلاء بديار** مصر " .

قلت: وعلى هذا يكون أول سلطنة العادل على مصر في يوم خطب له بمصر؛ وهو يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة.

قال ابن المستوفي في تاريخ إربل: فتكون أول سلطنة الملك العادل من هذا اليوم، ولا عبرة باستيلائه على مصر قبل ذلك. وعلى هذا أيضا تكون مدة الملك المنصور محمد صاحب الترجمة على سلطنة مصر سنة واحدة وتسعة أشهر سواء، فإن والده العزيز عثمان مات في عشرين المحرم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة فتسلطن من يوم موت أبيه، وخلع في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة. انتهى.

ولم أقف على وفاته الآن.

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور

محمد ابن الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر يوسف على مصر وهي سنة خمس وتسعين وخمسمائة؛ على أن الملك العزيز والده حكم منها نحو العشرين يوما من المحرم كما تقدم ذكره.

فيها حج بالناس من بغداد مظفر الدين وجه السبع.

وفيها كانت وفاة الملك العزيز عثمان حسب ما تقدم ذكره في ترجمته.

وفيها توفي يحيى بن علي بن الفضل أبو القاسم بن فضلان مدرس النظامية؛ كان فقيها بارعا؛ قم بغداد وناظر وأفتى ودرس، وكان مقطوع اليد؛ وقع من الجمل فعملت عليه يده فخيف عليه فقطعت. وكانت وفاته في شعبان. ومن شعره: - رحمه الله تعالى - :

وإذا أردت منازل الأشراف ... فعليك بالإسعاف والإنصاف

وإذا بغى باغ عليك فخله ... والدهر فهو له مكاف كاف

وفيها توفي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملك المنصور أبو يوسف صاحب المغرب. كان ملكا مغازيا مجاهدا، وهو الذي كسر ألفنش ملك الفرنج المقدم ذكره على الزلاقة، وهو أعظم ملوك المغرب وأحسنهم

سيرة لما كان جمع من المحاسن: الدين والصلاح والشجاعة والكرم والحزم والعزم، ودام في ملكه إلى أن م ا ت في شهر ربيع الأول بعد أن أوصى بالملك إلى ولده أبي عبد الله محمد. وكانت مدة أيامه خمس عشرة سنة. وفيه يقول شاعره أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الأندلسي المرسي قصيدته المطولة، وعدة أبياتها مائة وسبعة أبيات. أولها:

أتراه يترك الغزلا ... وعليه شب واكتهلا

ومدحه أيضا إبراهيم بن يعقوب الشاعر المشهور بقصيدة طنانة أولها:

أزال حجابه عني وعيني ... تراه من المهابة في حجاب

وقربني تفضله ولكن ... بعدت مهابة عند اقترابي

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر في المحرم، وله ثمان وعشرون سنة. والحفيد ابن رشد العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتكلم. وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسي بأصبهان في جمادى الآخرة. وأبو الحسن مسعود بن أبي مسعود الأصبهاني الخياط الجمال في شوال. وأبو الفضل منصور بن أبي الحسن الطبري الصوفي الواعظ. والعلامة جمال الدين يحيى بن علي بن فضلان البغدادي الشافعي في شعبان. وصاحب المغرب المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القيسي.

أمر النيل في هذه السنة:." (١)

"قال أبو المظفر: وكنت قاعدا إلى جانب المعظم عند باب الدار التي فيها الإيوان وهو واجم ولم أعلم بحاله؛ فلما دفن أبوه قام قائما وشق ثيابه ولطم رأسه ووجهه، وكان يوما عظيما، وعمل له العزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالي، وعمل له العزاء في الدنيا كلها، ونودي ببغداد: من أراد الصلاة على الملك العادل الغازي المجاهد في سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر، فحضر الناس ولم يتخلف سوى الخليفة؛ وصلوا عليه صلاة الغائب وترحموا عليه، وتقدموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم، ففعلوا ذلك بعد صلاة الجمعة. وبقي العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمائة، ثم نقل إلى تربته التي أنشأها عند دار العقيقي ومدرسته. - قلت: لا أعلم ما كان السبب في عدم وجود الكفن القطن للملك العادل مع همة ولده الملك المعظم عيسى وأخذه من عالقين ميتا في محفة ولم يفطن به أحد. وهذا أعظم وأكثر كلفة وأصعب من شراء ثوب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦٧/٢

بعلبكي، وما يحتاج إليه الميت من الحنوط والقطن وغيره فلعل لها عذرا وأنت تلوم " – .
قال: وكان له عدة أولاد: منهم شمس الدين مودود والد الملك الجواد يونس. والكامل محمد. والأشرف موسى. والمعظم عيسى. والأوحد أيوب. والفائز إبراهيم. وشهاب الدين غازي. والعزيز عثمان. والأمجد حسن. والحافظ أرسلان. والصالح إسماعيل. والمغيث عمر. ومجير الدين يعقوب. وتقي الدين عباس. وقطب الدين أحمد. والقاهر إسحاق. وخليل أصغرهم. وكان له عدة بنات أفضلهن صفية خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز " . انتهت ترجمة الملك العادل – رحمه الله تعالى – .
ولما مات العادل استقر كل واحد من أولاده في مملكته، فإنه كان قسم ممالكه في أولاده حسب ما تقدم ذكر ذلك كله في صدر هذه الترجمة؛ فالذي كان بمصر الملك الكامل محمد، وبالشام المعظم عيسى، وبالشرق الأشرف شاه أرمن، وباقي أولاده كل واحد في مملكة، أو في خدمة أخ من إخوته. انتهى.
السنة الأولى من سلطنة الملك العادل
أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة.
فيها كان هبوط النيل، ولم يعهد ذلك في الإسلام إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين، ولم يبق منه إلا شيء يسير؛ **واشتد الغلاء والوباء** بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق.
قال أبو المظفر: "كان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وشيه؛ وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا. وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا بالأطباء كذلك، فكانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها، وكانوا يختطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم. وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفا؛ وامتلأت طرقات المغرب والمشرق والحجاز والشام برمم الناس، وصلى إمام جامع الإسكندرية في يوم على سبعمائة جنازة. وقال العماد الكاتب الأصبهاني: " في سنة سبع وتسعين وخمسمائة: اشتد الغلاء، وامتد البلاء؛ وتحققت **المجاعة**، وتفرقت الجماعة؛ وهلك القوي فكيف الضعيف! ونحف السمين فكيف العجيف! وخرج الناس حذر الموت من الديار، وتفرق فريق مصر في الأمصار؛ ولقد رأيت الأرامل على الرمال، والجمال باركة تحت الأحمال، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم، تسترق الجياع باللقم " . انتهى.
قال: وجاءت في شعبان، زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلق كثير، ثم

امتدت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلس، فلم تبق فيها جدارا قائما إلا حارة السمرة؛ ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا، وهدمت عكا وصور وجميع قلاع الساحل؛ وامتدت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقية بجامع دمشق، وأكثر الكلاسة والبيمارستان النوري، وعامة دور دمشق إلا القليل؛ فهرب الناس إلى الميادين، وسقط من الجامع ست عشرة شرفة، وتشققت قبة النسر " انتهى كلام صاحب المرآة باختصار، فإنه أمعن وذكر أشياء مهولة من هذا النموذج.." (١)

"قال أبو المظفر في تاريخه: " في شعبان أخذ الفرنج دمياط، وكان المعظم قد جهز إليها الناهض بن الجرخي في خمسمائة راجل، فهجموا على الخنادق فقتل ابن الجرخي ومن كان معه، وصفوا رؤوس القتلى على الخنادق، وكان الفرنج قد طموها يعني الخنادق وضعف أهل دمياط وأكلوا الميتات، وعجز الملك الكامل عن نصرتهم، ووقع **فيهم الوباء والفناء**، فراسلوا الفرنج على أن يسلموا إليهم البلد ويخرجوا منه بأموالهم وأهلهم، واجتمعوا وحلفوهم على ذلك، فركبوا في المراكب وزحفوا في البر والبحر، وفتح لهم أهل دمياط الأبواب، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السور، وغدروا بأهل دمياط، ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا، وباتوا تلك الليلة بالجامع يفجرون بالنساء، ويفتضون البنات، وأخذوا المنبر والمصاحف ورؤوس القتلى، وبعثوا بها إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة؛ وكان أبو الحسن ابن قفل بدمياط، فسألوا عنه، فقيل لهم: هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين يأوي إليه الفقراء، فما تعرضوا له. ووقع على المسلمين كآبة عظيمة. وبكى الكامل والمعظم بكاء شديدا، ثم تأخرت العساكر عن تلك المنزلة. ثم قال الكامل لأخيه المعظم: قد فات المطلوب، وجرى المقدر بما هو كائن، وما في مقامك هاهنا فائدة؛ والمصلحة أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج، وتستجلب العساكر من بلاد الشرق. قال أبو المظفر: فكتب المعظم إلي وأنا بدمشق كتابا بخطه، يقول – في أوله – : قد علم الأخ العزيز بأن قد جرى على دمياط ما جرى، وأريد أن تحرض الناس على الجهاد، وتعرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفرة أهل العناد. وإني كشفت ضياع الشام فوجدتها ألفي قرية، منها ألف وستمائة أملاك لأهلها، وأربعمائة سلطانية، وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر؛ وأريد أن تخرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم، الأصاغر منهم والأكابر. ويكون لقاؤنا وهم صحبتك إلى نابلس في وقت سماه. قال: فجلست بجامع دمشق وقرأت كتابه عليهم، فأجابوا بالسمع والطاعة، وقالوا: نمتثل أمره بحسب الاستطاعة. وتجهزوا، فلما حل ركابه بالساحل وقع التقاعد، وكان تقاعدهم سببا لأخذه الثمن والخمس من أموالهم. وكتب إلي يقول: إذا لم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٧٤/٢

يخرجوا فسر أنت إلينا، فخرجت إلى الساحل وهو نازل على قيسارية، فأقمنا حتى فتحها عنوة، ثم سرنا إلى النفر ففتحه وهدمه؛ وعاد إلى دمشق بعد أن أخرج العساكر إلى السواحل. واستمر الملك الكامل على مقاتلة الفرنج إلى أن فتح الله عليه في سنة ثماني عشرة وستمائة، وطلب من إخوته النجدة، وتوجه المعظم في أول السنة إلى أخيه الأشرف موسى، واجتمعا على حران. وكتب صاحب ماردين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظم إليه، فسأله فسار إلى ماردين، فتلقاه صاحب ماردين من دنيسر، وأصدمه إلى القلعة وخدمه خدمة عظيمة، وقدم له التحف والجواهر وتحالفا واتفقا على ما أرادا؛ ثم عاد المعظم إلى أخيه الأشرف. وجاء خبر دمياط. وكان المعظم أحرص الناس على خلاص دمياط والغزاة، وكان مصافيا لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصرا في حق الكامل مباينا له في الباطن؛ فلما اجتمعت العساكر على حران قطع بهم المعظم الفرات، وسار الأشرف في آثاره، ونزل المعظم حمص والأشرف سلمية. قال: وكنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاة، فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس، فاجتمعت بالمعظم في شهر ربيع الآخر فقال لي: قد سحبت الأشرف إلى هاهنا وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخره وهو يكاسر وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر، وهو صديقك؛ وأشتهي أن تقوم تروح إليه فقد سألني عنك مرارا؛ ثم كتب إلى أخيه كتابا بخطه نحو ثمانين سطرا، فأخذته ومضيت إلى سلمية؛ وبلغ الأشرف وصولي فخرج من الخيمة وتلقاني وعاتبني على انقطاعي عنه وجرى بيني وبينه فصول؛ وقلت له: المسلمون في ضائقة، وإذا أخذ الفرنج الديار المصرية ملكوا إلى حضرموت، وعفوا آثار مكة والمدينة والشام وأنت تلعب، قم الساعة وارحل؛ فقال: ارموا الخيام والدهليز، وسبقته إلى حمص فتلقاني المعظم، وقال: ما نمت البارحة ولا أكلت اليوم شيئا، فقلت: غدا يصبح أخوك الأشرف حمصي.." (١)

"الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن ماتكين الجوهري في ذي القعدة، وله ثمانون سنة. ونجم الدين ثابت بن باذان التفليسي الصوفي شيخ الأسدية. وسراج الدين الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد الزبيدي الحنبلي في صفر، وله خمس وثمانون سنة. وزكريا بن علي بن حسان العلبي في شهر ربيع الأول. والخادم طغريل أتابك الملك العزيز ومدبر دولته. والشيخ القدوة عبد الله بن يونس الأرمني. والسيف الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي في صفر، وله ثمانون سنة. والمحدث أبو رشيد محمد بن أبي بكر الأصبهاني الغزالي المقرئ. وأبو عبد الله محمد بن – عمر بن يوسف القرطبي في صفر بالمدينة. وأبو الغنائم المسلم بن أحمد المازني النصيبي

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٥/٢

في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع.

؟السنة ،لسابعة عشرة من سلطنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب على مصر وهي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

فيها خرجت عساكر الروم نحو آمد وحاصروها وأقاموا عليها أياما، ثم نازلوا السويداء فأخذوها.

وفيها **كان الوباء العظيم** بمصر حيث إنه مات في شهر نيف وثلاثون ألف إنسان. وفيها توفي عبد السلام بن المظفر بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون. كان فقيها فاضلا زاهدا إلا أنه كان مغرى بالنكاح؛ كان عنده نيف وعشرون جارية للفراش. ومات بدمشق بقاسيون، وهو والد قطب الدين وتاج الدين.

وفيها توفي صواب العادلي مقدم عسكر الملك الكامل الذي كانت الروم أسرته في عام أول؛ وكان خادما عاقلا شجاعا، وكان العادل والكامل يعتمدان عليه، وكان حاكما على الشرق كله من قبل الكامل.

وفيها توفي الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض الحموي الأصل، المصري " المولد و " الدار والوفاة الصالح الشاعر المشهور، أحد البلغاء الفصحاء الأدباء. مولده في رابع ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة، وتوفي بالقاهرة في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى، ودفن من الغد بسفح المقطم، وقبره معروف به يقصد للزيارة. والفارض بفتح الفاء وبعدها ألف وراء مكسورة وضاد معجمة، وهو الذي يكتب الفروض على النساء والرجال. وهو صاحب النظم الرائق والشعر الفائق الغرامي. وديوان شعره مشهور كثير الوجود بأيدي الناس، وشعره أشهر من أن يذكر. فمن مقطعات شعره قوله:

وحياة أشواقي إلي ... ك وحرمة الصبر الجميل

لا نظرت عيني سوا ... ك ولا صبوت إلى خليل

ومن قصائده - رحمه الله وعفا عنه:

سائق الأظعان يطوي البيد طي ... منعما عرج على كثبان طي

وبذات الشيح عني إن مرر ... ت بحي من عريب الجزع حي

وتلطف واجر ذكرى عندهم ... علهم أن ينظروا عطفا إلي

قل تركت الصب فيكم شبحا ... ما له مما براه الشوق في

؟خافيا عن عائد لاح كما ... لاح في برديه بعد النشر طي

صار وصف الضر ذاتيا له ... عن عناء والكلام الحي لي

كهلال الشك لولا أنه ... أن عيني عينه لم تتأي

مثل مسلوب حياة مثلا ... صار في حبكم ملسوب حي

مسبلا للنأي طرفا جاد إن ... ضن نوء الطرف إذ يسقط خي

بين أهليه غريبا نازحا ... وعلى الأوطان لم يعطفه لي

جامحا إن سيم صبرا عنكم ... وعليكم جانحا لم يتأي

نشر الكاشح ما كان له ... طاوي الكشح قبيل النأي طي

في هواكم رمضان عمره ... ينقضي ما بين إحياء وطي

صاديا شوقا لصدى طيفكم ... جد ملتاح إلى رؤيا وري

حائرا فيما إليه أمره ... حائر والمرء في المحنة عي

فكأين من أسى أعيا الإسى ... نال لو يغنيه قولي وكأي

رائيا إنكار ضر مسه ... حذر التعنيف في تعريف ري." (١)

"ثم خرج بعساكره فخيم بالعباسة وكان قد نفذ رسوله إلى الخليفة المستعصم يطلب تقليدا بمصر والشام أو الشرق، فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب، فلبس التشريف الأسود والعمامة والجبة، وركب الفرس بالحلية الكاملة، وكان يوما مشهودا؛ ثم جاء الصالح والخوارزمية ونازلوا دمشق وليس بها كبير عسكر، وبالقلعة الطواشي رشيد، وبالبلد نائبها حسام الدين بن أبي علي الهذباني، فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلا ونهارا، واشتد **بها الغلاء وهلك** أهلها جوعا ووباء. قال: وبلغني أن رجلا مات في الحبس فأكلوه؛ كذلك حدثني حسام الدين بن أبي علي، فعند ذلك اتفق عسكر حلب والمنصور صاحب حمص على حرب الخوارزمية وقصدوهم، فتركوا حصار دمشق وساقوا أيضا يقصدونهم فالتقى الجمعان، ووقع المصاف في أول سنة أربع وأربعين على القصب، وهي منزلة بريد من حمص من قبليها، فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فانكسروا عندما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان، وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة، وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتتت الخوارزمية، وخدم طائفة منهم بالشام وطائفة بمصر وطائفة مع كشلوخان ذهبوا إلى التتار وخدموا معهم؛ وكفى الله شرهم. وعلق رأس بركة خان على قلعة حلب. ووصل الخبر إلى القاهرة فزينت، وحصل الصلح التام بين السلطان يعني الصالح نجم الدين أيوب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢١١/٢

وبين صاحب حمص والحلبيين.
وأما الصالح إسماعيل فإنه التجأ إلى ابن أخته الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب. وأما نائب دمشق حسام الدين فإنه سار إلى بعلبك وحاصرها وبها أولاد الصالح إسماعيل فسلموها بالأمان؛ ثم أرسلوا إلى مصر تحت الحوطة هم والوزير أمين الدولة والأستادار ناصر الدين بن يغمور فاعتقلوا بمصر. وصفت البلاد للملك الصالح. وبقي الملك الناصر داود بالكرك في حكم المحصور، ثم رضي السلطان على فخر الدين ابن الشيخ وأخرجه من الحبس بعد موت أخيه الوزير معين الدين، وسيره إلى الشام واستولى على جميع بلاد الناصر داود، وخرب ضياع الكرك ثم نازلها أياما، وقل ما عند الناصر من المال والذخائر وقل ناصره، فعمل قصيدة يعاتب فيها السلطان فيما له عنده من اليد من الذب عنه وتمليكه ديار مصر، وهي:
قل للذي قاسمته ملك اليد ... ونهضت فيه نهضة المستأسد
عاصيت فيه ذوي الحجى من أسرتي ... وأطعت فيه مكارمي وتوددي
يا قاطع الرحم التي صلتي بها ... كتبت على الفلك الأثير بعسجد
إن كنت تقدح في صريح مناسبي ... فاصبر بعزمك للهيب المرصد
عمي أبوك ووالدي عم به ... يعلو انتسابك كل ملك أصيد
صالا وجالا كالأسود ... ضواريا فارتد تيار الفرات المزبد
دع سيف مقولي البليغ يذب ... عن أعراضكم بفرنده المتوقد
فهو الذي قد صاغ تاج فخاركم ... بمفضل من لؤلؤ وزبرجد
ثم أخذ يصف نفسه وجوده ومحاسنه وسؤدده إلى أن قال:
يا محرجي بالقول والله الذي ... خضعت لعزته جباه السجد
لولا مقال الهجر منك لما بدا ... مني افتخار بالقريض المنشد
إن كنت قلت خلاف ما هو شيمتي ... فالحاكمون بمسمع وبمشهد
والله يابن العم لولا خيفتي ... لرميت ثغرك بالعداة المرد
لكنني ممن يخاف حرامه ... ندما يجرعني سمام الأسود
فأراك ربك بالهدى ما ترتجي ... لنراك تفعل كل فعل مرشد
لتعيد وجه الملك طلقا ضاحكا ... وترد شمل البيت غير مبدد

كي لا ترى الأيام فينا فرصة ... للخارجين وضحكة للحسد
لا زال هذا البيت مرتفع البنا ... يزهى بعد آخر أمجد." (١)

"وفيها توفي موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العلامة كمال الدين أبو الفتح الموصلي الشافعي. مولده في صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل، وتفقه على والده وغيره، وبرع في عدة علوم.

قال ابن خلكان – رحمه الله – : وكان الشيخ يعرف الفقه والأصلين والخلاف. والمنطق والطبيعي والإلهي والمجسطي وإقليدس والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيره. ثم قال بعد ثناء زائد إلا أنه كان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه.

وعمل فيه العماد المغربي وهو عمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي هجوا – رحمه الله تعالى – :

أجدك أن قد جاء بعد التعبس ... غزال بوصل لي وأصبح مؤنسي
وعاطيته صهباء من فيه مزجها ... كرقة شعري أو كدين ابن يونس

وكان العماد المذكور قد مدحه قبل ذلك بأبيات منها:

كمال كمال الدين للعلم والعلا ... فهيهات ساع في مساعيك يطمع
إذا اجتمع النظار في كل موطن ... فغاية كل أن تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا ... ولكن حياء واعترافا تقنعوا

ومن شعر ابن يونس ما كتبه لصاحب الموصل يشفع عنده شفاعة، وهو:

لئن شرفت أرض بمالك قدرها ... فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقا نوح وأمرك نافذ ... وسعيك مشكور وظلك منصف
ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما ... تمكن في أمصار فرعون يوسف

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي العلامة شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلي ثم الموصلي الضرير النحوي صاحب التصانيف. وأحمد بن يعقوب أبو العيناء المارستاني الصوفي في ذي الحجة. والفقيه إسحاق بن طرخان الشاغوري في رمضان، وله نحو تسعين سنة. وأبو الطاهر إسماعيل بن ظفر النابلسي في شوال، وله خمس وستون سنة. وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن هبة الله بن دينار الصائغ في جمادى الآخرة. وخطيب بيت لهيا أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٢٥

الإسعردي الحنبلي في شهر ربيع الآخر. والفقيه عبد الحميد بن محمد بن أبي بكر بن ماض. والعلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن موسى الموصلي، ذو الفنون في شعبان عن تسع وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا.

السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح

نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة أربعين وستمائة.

فيها **كان الوباء ببغداد** وتزايدت الأمراض. وتوفي الخليفة المستنصر وبويع ابنه المستعصم.

وفيها عزم الملك الصالح المذكور على التوجه إلى الشام، فقيل له: البلاد مختلة والعساكر مختلفة فجهز إليها العساكر وأقام هو بمصر.

وفيها توفي كمال الدين أحمد بن صدر الدين شيخ الشيوخ بمدينة غزة في صفر عن ست وخمسين سنة، وبنى عليه أخوه معين الدين قبة على جانب الطريق، وكان قد كسره الجواد بعسكر الملك الناصر داود صاحب الكرك؛ وقيل: إنه مات مسموما. ومن شعره ما كتبه لابن عمه سعد الدين:

لو أن في الأرض جنات مزخرفة ... تحف أركانها الولدان والخدم

ولم تكن رأى عيني فالوجود بها ... إذ لا أراك وجود كله عدم." (١)

"وفيها توفي الملك المغيث عمر بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الترجمة؛ مات في حياة والده الملك الصالح في حبس دمشق - بعد أن عجز والده في خلاصه - في يوم الجمعة ثاني عشرين شهر ربيع الآخر، وحمل إلى تربة جده الملك الكامل محمد فدفن بها؛ وكان شابا حسنا عاقلا دينا. وقد مر من ذكره نبذة كبيرة في عدة مواضع من هذا الكتاب.

وفيها توفي شمس الأئمة محمد بن عبد الستار بن محمد الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره المعروف بشمس الأئمة الكردري البراتقيني الحنفي. وبراتقين: قصبة من قصبات كردر من أعمال جرجانية. قال الذهبي: كان أستاذ الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق؛ برع في علوم، وأقرأ في فنون؛ وانتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه. انتهى قلت: وشمس الأئمة أحد العلماء الأعلام وأحد من سار ذكره شرقا وغربا، وانتشرت تصانيفه في الدنيا - رحمه الله تعالى - .

الذين ذبهر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله بن عمر بن

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٣٢/٢

علي الجويني في صفر، وله سبعون سنة. وأبو المنصور ظافر بن طاهر بن ظافر بن إسماعيل بن سحم الأزدي المطرز بالإسكندرية في شهر ربيع الأول. وأبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجا العسالي. ابن المخيلي أحد رؤوس الثغر في جمادى الآخرة، وله أربع وسبعون سنة.

وأبو الضوء قمر بن هلال بن نطاح القطيعي في رجب. وتاج الدين أحمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن الشيرازي في رمضان، وقد نيف على السبعين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا سواء.

السنة السادسة من سلطنة الملك الصالح

نجم الدين أيوب على مصر وهي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

فيها كان الحصار على دمشق من الخوارزمية.

وفيها **كان الغلاء العظيم** بدمشق، وبلغت الغرارة القمح ألفا وستمائة درهم، وأبيعت الأملاك و ا لأمتعة بالهوان.

وفيها أيضا **كان الغلاء بمصر**، وقاسى أهلها شدائد.

وفيها توفي الوزير معين الدين الحسن ابن شيخ الشيوخ أبو علي وزير الملك الصالح أيوب، وهو الذي حصر دمشق فيما مضى. كان استوزره الملك الصالح بعد أخيه عماد الدين، وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان، ودفن إلى جانب أخيه عماد الدين المذكور بقاسيون.

وفيها توفي عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن أبو الفضل أمين الدين الحلبي، كان كاتبا لعز الدين أيبك المعظمي، وكان فاضلا دينا بارعا حسن الخط. ومن شعره في إجازة – رحمه الله تعالى – :

قد أجزت الذي فيها ... إلى ما التمسوه مني

فلهم بعدها رواية ما ... صح لديهم من الرواية عني

وكانت وفاته في شهر رجب، ودفن بباب توما.

وفيها توفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، كان تزوجها أولا سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر، وبعد موته تزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل، ثم قدمت دمشق، وهي صاحبة الأوقاف، وماتت بدمشق ودفنت بقاسيون، وقد جاوزت ثمانين سنة.

وفيها توفي أحمد بن عيسى ابن العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الإمام الحافظ

الزاهد سيف الدين بن المجد الحنبلي. ولد سنة خمس وستمائة. وسمع الحديث الكثير، وكتب وصنف وجمع وخرج، وكان ثقة حجة بصيرا بالحديث ورجاله، ومات في أول شعبان.

وفيها توفي عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى أبي نصر، الإمام المفتي تقي الدين أبو عمرو ابن الإمام البارع صلاح الدين النصري الكردي الشهرزوري الشافعي المعروف بابن الصلاح. ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتفقه على والده الصلاح بشهرزور وغيره، وبرع في الفقه والحديث والعربية وشارك في فنون. ومات في شهر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية.

وفيها توفي علي بن محمد بن عبد الصمد العلامة شيخ القراء بدمشق علم الدين أبو الحسن الهمذاني السخاوي المصري. ولد سنة ثالث أو تسع وخمسين وخمسمائة؛ وكان إماما علامة مقرئا محققا مجودا بصيرا بالقراءات، ماهرا في النحو واللغة، إماما في التفسير، مات بدمشق في جمادى الآخرة.." (١)

"وفيها عظم بمصر أمر الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار ورشح للسلطنة، وكان من حزبه من خشداشيته بيبرس البندقداري، وبلبان الرشيدي، وسنقر الرومي، وسنقر الأشقر. وصار الملك المعز في خوف. وقد تقدم ذكر هذه الحكاية في ترجمة المعز.

وفيها كان الغلاء بمكة المشرفة، وأبيع فيها الشربة الماء بدرهم، والشاة بأربعين درهما.

وفيها توفي الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيد بن حمويه ابن عم شيخ الشيوخ صدر الدين. مات بخراسان، وكان زاهدا عابدا دينا متكلما في الحقيقة، وله مجاهدات ورياضات، وقدم الشام وحج وسكن بدمشق، ثم عاد إلى الشرق بعد أن افتقر بالشام، واجتمع بملك التتار فأحسن به الظن وأعطاه مالا كثيرا، وأسلم على يده خلق كثير من التتار، وبنى هناك خانقاه وتربة إلى جانبها، وأقام يتعبد، وكان له قبول عظيم هناك - رحمه الله تعالى - .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي الخياط في المحرم. وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم مكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الإسكندراني في شوال عن إحدى وثمانين سنة. وأبو محمد عبد القادر بن حسين البندنيجي البواب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٣٥

السنة الخامسة من ولاية الملك المعز أيبك

الصالحي النجمي التركماني على مصر وهي سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

فيها وصلت الأخبار من مكة بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها، بحيث يطير شررها إلى البحر في الليل، ويصعد منها دخان عظيم في النهار، فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تظهر في آخر الزمان. فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات.

قلت: وقد تقدم ذكر هذه النار بأوسع من هذا في ترجمة الملك المعز هذا.

وفيها وصلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقية وادعى أنه خليفة، وتلقب بالمستنصر، وخطب له في تلك النواحي، وأظهر العدل وبنى برجا وأجلس الوزير والقاضي والمحتسب بين يديه يحكمون بين الناس، وأحبته الرعية وتم أمره.

وفيها توفي الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي. كان إماما فاضلا في فنون، وصحب الفخر الرازي خطيب الري، وأقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة بدمشق والكرك، وكان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان. مات بدمشق ودفن بقاسيون في تربة المعظم عيسى.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية. ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين، وسمع الكثير ورحل البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحران. الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي السديد أبو محمد مكي بن المسلم بن علان القيسي في صفر، وله تسع وثمانون سنة. والرشيد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي عن نيف وثمانين سنة في جمادى الأولى. والمفتي كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة النصيبي بحلب عن سبعين سنة. وأبو البقاء محمد بن علي بن بقاء بن السباك. والعلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية بحران يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة. وأبو الغيث فرج ابن عبد الله الحبشي فتى أبي جعفر القرطبي في شوال. والإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي بدمشق. وأبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخياط بحران في أواخر السنة، وله مائة وسنة. والفارس أقطاي مقدم البحرية، قتله المعز بمصر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا واثنتا عشرة

إصبعا.

السنة السادسة من ولاية الملك المعز أيبك

الصالحي النجمي التركماني على مصر.

وهي سنة ثلاث وخمسين وستمائة.." (١)

"الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني في شهر ربيع الأول، وله سبع وثمانون سنة. والإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي في نصف شهر ربيع الأول، وله ست وثمانون سنة. والإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء البادرائي الشافعي في ذي القعدة ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وخمس وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

السنة الثانية من سلطنة المنصور علي

ابن الملك المعز أيبك على مصر وهي سنة ست وخمسين وستمائة.

فيها استولى الطاغية هولاكو على بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله ومعظم أهل بغداد، وقد تقدم ذلك.

وفيها **كان الوباء العظيم** بدمشق وغيرها.

وفيها توفي الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفا ؛الربعي الموصلي المعروف بابن الحلاوي الشاعر المشهور، كان من أحسن الناس صورة وألطفهم أخلاقا مع الفضيلة التامة، ورحل البلاد ومدح الخلفاء والملوك وخدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل ولبس زي الجند. وشعره في نهاية الرقة والجزالة، وهو صاحب القصيدة التي أولها: الطويل،

حكاه من الغصن الرطيب وريقه ... وما الخمر إلا وجنتاه وريقه

هلال ولكن أفق قلبي محله ... غزال ولكن سفح عيني عقيقه

وأسمر يحكي الأسمر اللدن قده ... غدا راشقا قلب المحب رشيقه

على خده جمر من الحسن مضرم ... يشب ولكن في فؤادي حريقه

أقر له من كل حسن جليله ... ووافقه من كل معنى دقيقه

بديع التثني راح قلبي أسيره ... على أن دمعي في الغرام طليقه

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٥٤/٢

على سالفيه للعذار جريرة ... وفي شفتيه للسلاف عتيقه
يهدد منه الطرف من ليس خصمه ... ويسكر منه الريق من لا يذوقه
على مثله يستحسن الصب هتكه ... وفي حبه يجفو الصديق صديقه
من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى ... ولا ذكر بانات الغوير تشوقه
ولا حل في حي تلوح قبابه ... ولا سار في ركب يساق وسوقه
ولا بات صبا بالفريق وأهله ... ولكن إلى خاقان يعزى فريقه
له مبسم ينسي المدام بريقه ... ويخجل نوار الأقاحي بريقه
تداويت من حر الغرام ببرده ... فأضرم من ذاك الحريق رحيقه
إذا خفق البرق اليماني موهنا ... تذكرته فاعتاد قلبي خفوقه
حكى وجهه بدر السماء فلو بدا ... مع البدر قال الناس هذا شقيقه
رآني خيالا حين وافى خياله ... فأطرق من فرط الحياء طروقه
فأشبهت منه الخصر سقما فقد غدا ... يحملني كالخصر ما لا أطيقه
فما بال قلبي كل حب يهيجه ... وحتام طرفي كل حسن يروقه
فهذا ليوم البين لم تطف ناره ... وهذا لبعد الدار ما جف موقه
ولله قلبي ما أشد عفافه ... وإن كان طرفي مستمرا فسوقه
فما فاز إلا من يبيت صبوحه ... شراب ثناياه ومنها غبوقه
وفيها توفي الأمير بكتوت بن عبد الله سيف الدين العزيزي أستادار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، كان من أكابر الأمراء في الدولة الناصرية، وكان حسن السيرة مليح الشكل متجملا، كان موكبه يضاهي مواكب الملوك.." (١)

"وفيها هلك ريدا فرنس، واسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذي كان ملك دمياط في دولة الملك الصالح أيوب.

وفيها توفي المحدث الفاضل عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله ابن أبي بكر بن خلف الرسعني، كان إماما فاضلا شاعرا محدثا. ومن شعره:
ولو أن إنسانا يبلغ لوعتي ... وشوقي وأشجاني إلى ذلك الرشا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٦٤/٢

لأسكنته عيني ولم أرضها له ... فلولا لهيب القلب أسكنته الحشا

وفيها توفي الأمير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى الأزكشي الكردي الأموي، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم، ولما ولي الملك المظفر قطز السلطنة، وولى الأمير علم الدين سنجر الحلبي نيابة الشام جعله مشاركا له في الرأي والتدبير في نيابة الشام، وكان الملك الأشرف موسى ابن العادل سجنه مدة لأمر اقتضى ذلك. فلما كان في السجن كتب بعض الأدباء يقول: دوبيت،

يا أحمد ما زلت عماد الدين ... يا أشجع من أمسك رمحا بيمين

لا تيئسن إن حصلت في سجنهم ... ها يوسف قد أقام في السجن سنين

وكان مولده بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمائة، ومات في جمادى الأولى بمدينة إربل.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي عبد الغني بن سليمان بن بنين البناني، في شهر ربيع الأول، وله ست وثمانون سنة، وهو آخر من روى عن عمر. والعلامة علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي في رجب بدمشق، وله ست وثمانون سنة. والإمام تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مرهف الناشري المصري المقرئ في شعبان، وله إحدى وثمانون سنة. والإمام كمال الدين علي بن شجاع بن سالم العباسي الضرير في ذي الحجة، وله تسعون سنة إلا شهرا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.

السنة الرابعة من سلطنة الظاهر بيبرس

وهي سنة اثنتين وستين وستمائة.

فيها انتهت عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس ببين القصرين من القاهرة. وقد تقدم ذكرها في ترجمته.

وفيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري إلى القاهرة، وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علي بن مجلي ففعل ذلك، وقدم القاهرة، فلما وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب. وقد تقدم أن علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب.

وفيها **كان الغلاء بديار** مصر فبلغ الإردب القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقرة، والشعير سبعين درهما الإردب، وثلاثة أرطال خبز بالمصري بدرهم نقرة، ورطل اللحم بالمصري - وهو مائة وأربعة وأربعون درهما

- بدرهم، وكان **هذا الغلاء عظيما** بديار مصر. فلما وقع ذلك فرق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم، ثم فرق من شونه القمح على الزوايا والأربطة، ورتب للفقراء كل يوم مائة إردب مخبوزة تفرق بجامع ابن طولون. ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمغل الجديدة وأبيع القمح في الإسكندرية في **هذا الغلاء الإردب** بثلاثمائة وعشرين درهما.

وفيها أحضر بين يدي السلطان طفل ميت له رأسان وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرجل، فأمر بدفنه.

وفيها توفي القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي الحلبي الشافعي المعروف بابن الأستاذ قاضي حلب، مولده سنة إحدى عشرة وستمائة، سمع الكثير وحدث ودرس، وكان فاضلا عالما مشكور السيرة مات في شوال.

وفيها توفي شيخ الشيوخ الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصاري الأوسي الدمشقي المولد الحموي الدار والوفاة الإمام الأديب العلامة، مولده يوم الأربعاء ثاني عشرين جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث وتفقه وبرع في الفقه والحديث والأدب، وأفتى ودرس وتقدم عند الملوك، وترسل عنهم غير مرة. وكانت له الوجاهة التامة وله اليد الطولى في الترسل والنظم، وشعره في غاية الحسن. ومن شعره - رحمه الله - قوله: الخفيف،

إن قوما يلحون في حب سعدى ... لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها ولاموا عليها ... أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وله رحمه الله: السريع." (١)

"ولما كان يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول ركب السلطان الملك العادل كتبغا بأبهة السلطنة وشعار الملك من قلعة الجبل ونزل وسار إلى ظاهر القاهرة نحو قبة النصر، وعاد من باب النصر وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة عائدا إلى قلعة الجبل، كما جرت العادة بركوب الملوك.

ولم تطل مدة سلطنته حتى **وقع الغلاء والفناء** بالديار المصرية وأعمالها؛ ثم انتشر ذلك بالبلاد الشامية جميعها في شوال من هذه السنة، وارتفع سعر القمح حتى بيع كل إردب بمائة وعشرين درهما بعد أن كان بخمسة وعشرين درهما الإردب، وهذا في هذه السنة؛ وأما في السنة الآتية التي هي سنة خمس وتسعين وستمائة فوصل سعر القمح إلى مائة وستين درهما الإردب وأما الموت فإنه فشا بالقاهرة وكثر، فأحصي من مات بها وثبت اسمه في ديوان المواريث، في ذي الحجة فبلغوا سبعة عشر ألفا وخمسمائة وهذا سوى من

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣١٦/٢

لم يرد اسمه في ديوان المواريث من الغرباء والفقراء ومن لم يطلق من الديوان ورحل جماعة كثيرة من أهل مصر عنها إلى الأقطار من **عظم الغلاء وتخلخل** أمر الديار المصرية.

وفي هذه السنة حج الأمير أنس ابن الملك العادل كتبغا صاحب الترجمة، وحجت معه والدته وأكثر حرم السلطان، وحج بسببهم خلق كثير من نساء الأمراء بتجمل زائد، وحصل بهم رفق كبير لأهل مكة والمدينة والمجاورين، وشكرت سيرة ولد السلطان أنس المذكور وبذل شيئا كثيرا لصاحب مكة.

ثم استهلت سنة خمس وتسعين وستمائة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الهاشمي البغدادي العباسي وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والشمالية والفراتية والساحلية الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري. ووزيره الصاحب فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين بن الخليلي. ونائب السلطنة بالديار المصرية الأمير حسام الدين لاجين المنصوري. وصاحب مكة، شرفها الله تعالى، الشريف نجم الدين أبو نمي محمد الحسني المكي وصاحب المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عز الدين جماز بن شيحة الحسيني. وصاحب اليمن ممهد الدين عمر ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر ابن علي، بن رسول. وصاحب حماة بالبلاد الشامية الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد ابن تقي الدين عمر، بن شاهنشاه بن أيوب. وصاحب ماردين الملك السعيد شمس الدين داود ابن، الملك المظفر فخر الدين ألبي أرسلان ابن الملك السعيد شمس الدين قرا أرسلان بن أرتق الأرتقي وصاحب الروم السلطان غياث الدين مسعود ابن السلطان عز الدين كيكاوس ابن السلطان غياث الدين كيخسرو بن سلجوق السلجوقي. وملك التتار غازان ويقال قازان، وكلاهما يصح معناه، واسمه الحقيقي محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، وهو مظهر الإسلام وشعائر الإيمان. ونائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي المنصوري وكان الموافق لأول هذه السنة عاشر بابه أحد شهور القبط المسمى بالرومي تشرين الأول.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني: وفي العشر الأول من المحرم حكى جماعة كثيرة من أهل دمشق واستفاض ذلك في دمشق وكثر الحديث فيه عن قاضي جبة أعسال، وهي قرية من قرى دمشق، أنه تكلم ثور بقرية من قرى جبة أعسال، وملخصها: أن الثور خرج مع صبي يشرب ماء من هناك فلما فرغ حمد الله تعالى فتعجب صبي، وحكى لسيده مالك الثور فشك في قوله وحضر في اليوم الثاني بنفسه، فلفا شرب الثور حمد الله تعالى؛ ثم في اليوم الثالث حضر جماعة وسمعوه يحمد الله تعالى؛ فكلمه بعضهم فقال الثور: "

إن الله كان كتب على الأمة سبع سنين جدبا، ولكن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها بالخصب، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك، وقال الثور: يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم؛ قال: أن تموت عقب الإخبار قال الحاكي لذلك: ثم تقدم الثور على مكان عال فسقط ميتا، فأخذ الناس من شعره للتبرك، وكفن ودفن انتهى.

قلت: وهذه الحكاية غريبة الوقوع والحاكي لها ثقة حجة، وقد قال: إنه استفاض ذلك بدمشق انتهى.

وأما أمر الديار المصرية فإنه عظم **أمر الغلاء بها** حتى أكل بعضهم الميتات والكلاب، ومات خلق كثير بالجوع. والحكايات في ذلك كثيرة، **وانتشر الغلاء شرقا** وغربا.." (١)

"وبينما السلطان الملك العادل كتبغا فيما هو فيه من **أمر الغلاء ورد** عليه الخبر في صفر بأنه قد وصل إلى الرحبة عسكر كثير نحو عشرة آلاف بيت من عسكر بيدو ملك التتار طالبين الدخول في الإسلام خوفا من السلطان غازان، ومقدمهم أمير اسمه طرغاي، وهو زوج بنت هولاكو؛ فرسم الملك العادل إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري، بأن يسافر من دمشق إلى الرحبة حتى يتلقاهم، فخرج إليهم، ثم خرج بعده الأمير سنقر الأعسر شاد دواوين دمشق، ثم ندب الملك العادل أيضا الأمير قراسنقر المنصوري بالخروج من القاهرة، فخرج حتى وصل إلى دمشق لتلقي المذكورين، ورسم له أن يحضر معه في عوده إلى مصر جماعة من أعيانهم، فوصل قراسنقر إلى دمشق وخرج لتلقيهم، ثم عاد إلى دمشق في يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأول، ومعه من أعيانهم مائة فارس وثلاثة عشر فارسا؛ وفرح الناس بهم وبإسلامهم وأنزلوهم بالقصر الأبلق من الميدان.

و أما الأمير علم الدين سنجر لدواداري فبقي مع الباقين، وهم فوق عشرة آلاف ما بين رجل كبير وكهل وصغير وامرأة ومعهم ماشية كثيرة ورخت عظيم، وأقام قراسنقر بهم أياما؛ ثم سافر بهم إلى جهة الديار المصرية، وقدموا القاهرة في آخر شهر ربيع الآخر، فأكرمهم السلطان الملك العادل كتبغا ورتب لهم الرواتب ثم بدا للملك العادل كتبغا السفر إلى البلاد الشامية لأمر مقدر اقتضاه رأيه، وأخذ في تجهيز عساكره وتهيأ للسفر وخرج بجميع عساكره وأمرائه وخاصكيته في يوم السبت سابع عشر شوال وسار حتى دخل دمشق، في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة وخامس ساعة من النهار المذكور ودخل دمشق والأمير بدر الدين بيسري حامل الجتر على رأسه، ونائب سلطنته الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ماشيا بين يديه، ووزيره الصاحب فخر الدين بن الخليلي؛ واحتفل أهل دمشق لقدومه وزينت المدينة وفرح الناس به.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٣٩١

ولما دخل الملك العادل إلى دمشق وأقام بها أياما عزل عنها نائبها الأمير عز الدين أيبك الحموي، وولى عوضه في نيابة دمشق مملوكه الأمير سيف الدين أغزلو العادلي وعمره نحو من اثنتين وثلاثين سنة، وأنعم على الأمير عز الدين أيبك الحموي بخبز أغزلو بمصر، وخرجا من عند السلطان وعليهما الخلع، هذا متول وهذا منفصل.

ثم سافر السلطان الملك العادل من دمشق في ثاني عشر ذي الحجة بأكثر العسكر المصري وبقية جيش الشام إلى جهة قرية جوسية، وهي ضيعة اشتراها له الصاحب شهاب الدين الحنفي فتوجه إليها، ثم سافر منها في تاسع عشر ذي الحجة إلى حمص ونزل عند البحرة بالمرج بعدما أقام في البرية أياما لأجل الصيد، وحضر إليه نواب البلاد الحلبية جميعها ثم عاد إلى دمشق ودخلها بمن معه من العساكر ضحى نهار الأربعاء ثاني المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة. وأقام بدمشق إلى يوم الجمعة رابع المحرم ركب السلطان الملك العادل المذكور بخواصه وأمرائه إلى الجامع لصلاة الجمعة فحضر وصلى بالمقصورة؛ وأخذ من الناس قصصهم حتى إنه رأى شخصا بيده قصة فتقدم إليه بنفسه خطوات وأخذها منه ولما جلس الملك العادل للصلاة بالمقصورة جلس عن يمينه الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة، وتحته بدر الدين أمير سلاح، ثم من تحته نائب دمشق أغزلو العادلي وعن يسار السلطان الشيخ حسن بن الحريري وأخواه، ثم نائب السلطنة لاجين المنصوري، ثم تحته نائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي أعني الذي عزل عن نيابة دمشق، ثم من تحته الأمير بدر الدين بيسري، ثم قراسنقر المنصوري، ثم الحاج بهادر حاجب الحجاب ثم الأمراء على مراتبهم ميمنة وميسرة.

فلما انقضت الصلاة خرج من الجامع والأمراء بين يديه والناس يبتهلون بالدعاء له، وأحبه أهل دمشق وشكرت سيرته، وحمدت طريقته. ثم في يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيده وحبسه بالقلعة وفي يوم الاثنين حادي عشرين المحرم عزل السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر عن شد دواوين دمشق ورسم له بالسفر صحبة السلطان إلى مصر، وولى عوضه فتح الدين عمر بن محمد، بن صبرة.." (١)

"ويعجبني المقالة الثامنة عشرة من تأليف العلامة شرف الدين عبد المؤمن بن هبه الله الأصفهاني المعروف بشوروة فإن أوائلها تقارب ما نحن فيه وهي: رتبة الشرف، لا تنال بالترف؛ والسعادة أمر لا يدرك، إلا بعيش يفرك، وطيب يترك؛ ونوم يطرد، وصوم يسرد؛ وسرور عازب، وهم لازب، ومن عشق المعالي ألف

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٩٢/٢

الغم، ومن طلب اللآليء ركب اليم ومن قنص الحيتان ورد النهر، ومن خطب الحصان نقد المهر؛ كلا أين أنت من المعالي! إن السحوق جبار وأنت قاعد، والفيلق جرار وأنت واحد العقل يناديك وأنت أصلخ، ويدنيك ويحول بينكما البرزخ؛ لقد أزف الرحيل قاستنفد جهدك، وأكثب الصيد فضمر فهدك؛ فالحذر يترصد الانتهاز، والحازم يهييء أسباب الجهاز؛ تجرع مرارة النوائب في أيام معدودة، لحلاوة معهودة غير محدودة؛ وإنما هي محنة بائدة، تتلوها فائدة؛ وكربة نافذة، بعدها نعمة خالدة، وغنيمة باردة؛ فلا تكرهن صبرا أو صابا، يغسل عنك أو صابا ولا تشربن وردا يعقبك سقاما، ولا تشمن وردا يورثك زكاما؛ ما ألين الريحان لو لا وخز البهمى، وما أطيب الماذي لولا حمة الحمى! فلا تهولنك مرارات ذاقها عصبة، إنما يريد الله ليهديهم بها؛ ولا تروقنك حلاوات نالها فرقة، إنما يريد الله ليعذبهم بها. انتهى.

السنة الأولى من سلطنة الملك العادل كتبغا

المنصوري على مصر وهي سنة أربع وتسعين وستمائة.

كان **فيها الغلاء العظيم** بسائر البلاد ولا سيما مصر والشام؛ وكان بمصر **مع الغلاء وباء** عظيم أيضا؛ وقاسى الناس شدائد في هذه السنة واستسقى الناس بمصر من **عظم الغلاء والفناء**.

وفيها أسلم ملك التتار غازان وأسلم غالب جنده وعساكره، على ما حكى الشيخ علم الدين البرزالي.." (١)

"وذكر نحو ذلك القطب الحلبي في تاريخ مصر، وحدث وخرج لنفسه أحاديث عوالي.

قال أبو حيان: إنه وقع له وهم فاحش في القسم الأول وهو التساعي، وهو إسقاط رجل من الإسناد حتى صار له الحديث تساعيا في ظنه. انتهى.

قلت: وقد استوعبنا سماعاته ومصنفاته ومشايخه في ترجمته من تاريخنا المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي مستوفاة في الكتاب المذكور. وكان له يد في النظم، فمن ذلك قصيدته الحائية: الخفيف،

ما لطرفي عن الجمال براح ... ولقلبي به غدا ورواح

كل معنى يلوح في كل حسن ... لي إليه تقلب وارتياح

ومنها:

فيهم يعشق الجمال ويهوى ... ويشوق الحمى وتهوى الملاح

وبهم يعذب الغرام ويحلو ... ويطيب الثناء والإمتداح

لا تلم يا خلي قلبي فيهم ... ما على من هوى الملاح جناح

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٩٦/٢

ويح قلبي وويح طرفي إلى كم ... يكتم الحب والهوى فضاح
صاح عرج على العقيق وبلغ ... وقباب فيها الوجوه الصباح
والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال.

وفيها توفي سلطان إفريقية وابن سلطانها وأخو سلطانها عمر بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن عمر الهنتاني الملقب بالمستنصر بالله والمؤيد به؛ وولي سلطنة تونس بعد وفاة أخيه إبراهيم فيما أظن، وقتل الدعي الذي غلب عليها، وملك البلاد ودام في الملك إلى أن مات في ذي الحجة. وكان عهد لولده عبد الله بالملك، فلما اختصر أشار عليه الشيخ أبو محمد المرجاني بأن يخلعه لصغر سنه فخلعه، وولى ولد الواثق محمد بن يحيى بن محمد الملقب بأبي عصيدة الآتي ذكر وفاته في سنة تسع وسبعمائة. وكان المستنصر هذا ملكا عادلا حسن السيرة وفيه خبرة ونهضة وكفاية ودين وشجاعة وإقدام. رحمه الله تعالى.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي الزاهد القدوة أبو الرجال بن مري بمنين في المحرم. وعز الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق التاجر ابن البزوري في صفر. والإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم بن الفاروثي في ذي الحجة. وصاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر في رجب؛ وكانت دولته بضعا وأربعين سنة. وشيخ الحجاز محب الدين الطبري. وأبو الفهم أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني النقيب في المحرم. والعلامة تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي عصرون التميمي مدرس الشامية الصغرى في ربيع الأول. ومحيي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم بن الدميري في المحرم، وله تسعون سنة. والزاهد القدوة شرف الدين محمد بن عبد الملك اليونيني المعروف بالأرزوني. والزاهد المقرىء شرف الدين محمود بن محمد التاذفي بقاسيون في رجب. والعلامة زين الدين المنجا بن عثمان بن أسعد ابن المنجا الحنبلي في شعبان، وله خمس وستون سنة. وقاضي القضاة شرف الدين الحسن بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي. وناصر الدين نصر الله بن محمد بن عياش الحداد في شوال والعدل كمال الدين عبد الله بن محمد بن قوام في ذي القعدة. وأبو الغنائم بن محاسن الكفراني. والمقرىء موفق الدين محمد بن أبي العلاء محمد بن علي، ببعلبك في ذي الحجة. والمقرىء أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحليم سحنون المالكي في شوال بالإسكندرية. والعلامة الصاحب محيي الدين محمد بن يعقوب بن النحاس الحلبي الحنفي في آخر السنة.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراع وأصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا. وكان الوفاء في سادس أيام النسيء.

السنة الثانية من سلطنة الملك العادل كتبغا

المنصوري على مصر وهي سنة خمس وتسعين وستمائة.

فيها **كان الغلاء العظيم** بسائر البلاد، ولا سيما مصر والشام؛ وكان بمصر **مع الغلاء وباء** عظيم أيضا، وقاسى الناس شدائد في هذه السنة والماضية.

وفيها ولي قضاء الديار المصرية الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد بعد وفاة قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز.." (١)

"ثم بعد قليل وصل إلى قرا سنقر من الملك المظفر بيبرس تقليد بنيابه حلب وبلادها دربست على يد أمير من أمراء مصر. ومن مضمون الكتاب الذي من المظفر إلى قرا سنقر: " أنت خشداشي، ولو علمت أن هذا الأمر يصعب عليك ما عملت شيئا حتى أرسلت إليك وأعلمتك به، لأن ما في المنصورية أحد أكبر منك، غير أنه لما نزل ابن أستاذنا عن الملك آجتمع الأمراء والقضاة وكافة الناس، وقالوا: ما لنا سلطان إلا أنت، وأنت تعلم أن البلاد لا تكون بلا سلطان، فلو لم أتقدم أنا كان غيري يتقدم فآجعلني واحدا منكم ودبرني برأيك. وهذه حلب وبلادها دربست لك، وكذا لخشداشيتك: الأمير قبجق والأمير أسندمر " . وسير الملك المظفر لكل من هؤلاء الثلاثة خلعة بألف دينار، وفرشا قماشه بألف دينار، وعشرة رؤوس من الخيل. فعند ذلك حلف قرا سنقر وقبجق وأسندمر، ورجع الأمير المذكور إلى مصر بنسخة اليمين. فلما وقف عليها الملك المظفر فرح غاية الفرح، وقال: الآن تم لي الملك. ثم شرع من يومئذ في كشف أمور البلاد وإزالة المظالم والنظر في أحوال الرعية.

ثم آستهلت سنة تسع وسبعمائة وسلطان الديار المصرية الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري، والخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان، ونائب السلطنة بديار مصر الأمير سلار، ونائب الشام الأمير آقوش الأفرم الصغير، ونائب حلب الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري، ونائب حماة الأمير سيف الدين قبجق المنصوري، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أسندمر المنصوري.

ثم فشا في الناس في السنة المذكورة أمراض حادة، **وعم الوباء الخلائق** وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى. ثم توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسري، وآرتفع سعر القمح وسائر الغلال، ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الاستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده سوى مؤونة سنة واحدة، وباع ما عداه قليلا قليلا. والخطيري هذا هو صاحب الجامع الذي بخط بولاق. انتهى.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٩٨/٢

وخاف الناس أن يقع نظير غلاء كتبغا، وتشاءموا بسلطنة الملك المظفر بيبرس المذكور. ثم إن الخطيب نور الدين علي بن محمد بن الحسن بن علي القسطلاني خرج بالناس وآستسقى، وكان يوما مشهودا، فنودي من الغد بثلاث أصابع؛ ثم توقفت الزيادة مدة، ثم زاد وانتهت زيادة النيل فيه إلى خمس عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا في سابع عشرين توت، ثم نقص في أيام النسيء، وجاء النوروز ولم يوف النيل ست عشرة ذراعا، ففتح سد الخليج في يوم الجمعة ثامن توت وهو ثامن عشرين شهر ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه، وهذا القول هو الأشهر. قال: وآنحط مع ذلك بعد الوفاء السعر وتشاءم الناس بطلعة الملك المظفر بيبرس.

وغنت العامة في المعنى:

سلطاننا ركينونائبنا دقين يجينا الماء منين

جيبوا لنا الأعرج ... يجيء الماء ويدحرج

ومن يومئذ وقعت الوحشة بين المظفر وبين عامة مصر، وأخذت دولة الملك المظفر بيبرس في آضطراب، وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقصد في أيامه كل واحد من خشداشيته أن يترقى إلى أعلى منزلة، واتهموا الأمير سلار بمباطنة الملك الناصر محمد وحذروا الملك المظفر منه، وحسنوا له القبض على سلار المذكور، فجبن بيبرس عن ذلك.." (١)

"وفيها توفي القاضي بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن علي ابن المظفر المعروف بابن الحلي ناظر ديوان الجيش المنصور، واستقر عوضه القاضي فخر الدين صاحب ديوان الجيش.

وفيها توفي الأديب إبراهيم بن علي بن خليل الحراني المعروف بعين بصل. كان شيخا حائكا أناف على الثمانين، وكان عاميا مطبوعا؛ وقصده آبن خلكان واستنشده من شعره فقال: أما القديم فلا يليق إنشاده، وأما نظم الوقت الحاضر فنعم، وأنشده بديها:

وما كل وقت فيه يسمح خاطري ... بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى

وهل يقتضي الشرع الشريف تيمما ... بترب وهذا البحر يا صاحبي معنا

فقال له ابن خلكان. أنت عين بصر، لا عين بصل. انتهى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم تأخر، وتأخرت الزيادة إلى أن دخل شهر مسرى **ووقع الغلاء واستسقى** الناس، فنودي بزيادة ثلاث أصابع؛ ثم توقفت الزيادة ونقص في أيام النسيء، ثم زاد حتى بلغ في

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٥٦/٢

سابع عشرين ت‍‍وت خمس عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا، وفتح خليج السد، بعد ما كان الوفاء في تاسع عشر بابه، بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما. وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة ست عشرة ذراعا وإصبعين. وكان ذلك في أوائل سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير. فتشاءم الناس بكعبه وأبغضته العامة.
/عود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر ثالث مرة وقد تقدم ذكر نزوله عن الملك وتوجهه إلى الكرك وخلع نفسه وماوقع له بالكرك من مجيء نوغاي ورفقته، ومكاتباته إلى نواب الشام وخروجه من الكرك إلى الشام، طالبا ملك مصر إلى أن دخل إلى دمشق، كل ذلك ذكرناه مفصلا في ترجمة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير. ونسوق الآن ذكر دخوله إلى مصر فنقول: لما كانت الثانية من نهار الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وهي الساعة التي خلع الملك المظفر بيبرس نفسه فيها من ملك مصر بديار مصر، خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من دمشق يريد الديار المصرية، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب، وإقبال سعد الناصر وإدبار سعد المظفر وسارا الملك الناصر يريد الديار المصرية وصحبته نواب البلاد الشامية بتمامهم وكمالهم والعساكر الشامية وخواصه ومماليكه.
وأما أمر الديار المصرية فإن الملك المظفر بيبرس لما خلع نفسه وخرج من مصر إلى الإطفيحية جلس الأمير سلار بقاعة النيابة من قلعة الجبل وجمع من بقي من الأمراء واهتم بحفظ القلعة، وأخرج المحابيس الذين كانوا فيها من حواشي الملك الناصر محمد وغيرهم، وركب ونادى في الناس: " ادعوا لسلطانكم الملك الناصر " ، وكتب إلى الملك الناصر بنزول المظفر عن الملك وفراره إلى إطفيح، وسير بذلك أصلم الدوادار ومعه النمجاه، وكان قد توجه قبل ذلك من القاهرة الأمير بيبرس المنصورفي الدوادار، والأمير بهادر آص في رسالة المظفر بيبرس أنه قد ترك السلطنة وأنه سأل: إما الكرك وإما حماة وإما صهيون. واتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضا إليها، وقدوم الأمير سيف الدين شاطي السلاح دار في طائفة من الأمراء المصريين إليها أيضا. ثم قدمت العربان وقدم الأمير مهنا بن عيسى، بجماعة كثيرة من آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه. ثم قدم الأمير برلغي الأشرفي مقدم عساكر المظفر بيبرس وزوج ابنته، والأمير آقوش الأشرفي نائب الكرك، فسر الملك الناصر بقدومهما، فإنهما كانا عضدي المظفر. قال الأمير بيبرس الدوادار المقدم ذكره في تاريخه، رحمه الله:." (١)

"الأملاك التي له بحمص: الحمام خمسة وعشرون ألف درهم الحوانيت سبعة آلاف درهم السريع ستون ألف درهم الطاحون الراكبة على العاصي ثلاثون ألف درهم زور قبجق خمسة وعشرون ألف درهم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٧٣/٢

الخان مائة ألف درهم الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم الحوش الملاصق له ألف وخمسمائة درهم. المناخ ثلاثة آلاف درهم الحوش الملاصق للخندق ثلاثة آلاف درهم حوانيت العريضة ثلاثة آلاف درهم الأراضي المحتكرة سبعة آلاف درهم.

والتي في بيروت: الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم المصبنة بآلاتها عشرة آلاف درهم الحمام عشرون ألف درهم. المسلخ عشرة آلاف درهم الطاحون خمسة آلاف درهم قرية زلايا خمسة وأربعون ألف درهم.

القرى التي بالبقاع: مرج الصفا سبعون ألف درهم التل الأخضر مائة ألف وثمانون ألف درهم المباركة خمسة وسبعون ألف درهم. المسعودية مائة ألف درهم. الضياع الثلاث المعروفة بالجوهري أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم السعادة أربعمائة ألف درهم أبروطيا ستون ألف درهم نصف بيرود والصالحية والحوانيت أربعمائة ألف درهم المباركة والناصرية مائة ألف درهم رأس الماء سبعة وخمسون ألف درهم حصة من خربة روق اثنان وعشرون ألف درهم رأس الماء والدلي بمزارعها خمسمائة ألف درهم حمام صرخد خمسة وسبعون ألف درهم. طاحون الغور ثلاثون ألف درهم السالمية ثلاثة آلاف درهم.

الأملاك بقارا: الحمام خمسة وعشرون ألف درهم الهري ستمائة ألف درهم الصالحية والطاحون والأراضي مائتا ألف درهم وخمسة وعشرون ألف درهم. راسليها ومزارعها مائة وخمسة وعشرون ألف درهم القضيبة أربعون ألف درهم. القريتان المعروفة إحداهما بالمزرعة، والأخرى بالبينسية تسعون ألف درهم، هذا جميعه خارج عما له من الأملاك على وجوه البر والأوقاف في صفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة والديار المصرية. وعمر بصفد بيمارستانا مليحا. وعمر بالقدس رباطا وحمامين وقياسر. وله بجلجولية خان مليح، وله بالقاهرة دار عظيمة بالكافوري.

قلت: هي دار عبد الباسط بن خليل الآن. وحمام وغير ذلك من الأملاك.

انتهى كلام الشيخ صلاح الدين باختصار.

قلت: وكان لتغير السلطان الملك الناصر على تنكز هذا أسباب، منها: أنه كتب يستأذنه في سفره إلى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما بتلك البلاد من الغلاء، فألح في الطلب، والجواب يرد عليه بمنعه حتى حنق تنكز وقال، والله لقد تغير عقل أستاذنا وصار يسمع من الصبيان الذين حوله. والله لو سمع مني لكنت أشرت عليه بأن يقيم أحدا من أولاده في السلطنة وأقوم أنا بتدبير ملكه، ويبقى هو مستريحا فكتب بذلك جركتمر إلى السلطان، وكان السلطان يتخيل بدون هذا فأثر هذا في نفسه. ثم اتفق أن أرتنا نائب

بلاد الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتابا لتنكز، فحنق تنكز لعدم مكاتبته ورد رسوله من دمشق. فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، وسأل ألا يطلع تنكز على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمور أوجبت شدة تغير السلطان على تنكز. ثم اتفق أيضا غضب تنكز على جماعة من مماليكه، فضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك فكتب منهم جوبان، وكان أكبر مماليكه، إلى الأمير قوصون يتشفع به في الإفراج عنهم من سجن الكرك. فكلم قوصون السلطان في ذلك، فكتب السلطان إلى تنكز يشفع في جوبان فلم يجب عن أمره بشيء، فكتب إليه ثانيا وثالثا فلم يجبه. فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: ما تقولون في هذا الرجل؟ هو يشفع عندي في قاتل أخي فقبلت شفاعته، وأخرجته من السجن وسيرته إليه، يعني طشتمر أخا بتخاص، وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعتي وكتب السلطان لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان المذكور فأفرج عنه فكان هذا وما أشبهه الذي غير خاطر السلطان الملك الناصر على مملوكه تنكز. انتهى.

ثم اشتغل السلطان بموت أعز أولاده الأمير آنوك في يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل، ودفن بتربة الناصرية ببين القصرين، وكان لموته يوم مهول، نزل في جنازته جميع الأمراء، وفعلت والدته خوند طغاي خيرات كثيرة، وباعت ثيابه، وتصدقت بجميع ما تحصل منها.." (١)

"ثم قدم الخبر على قوصون بنزول العسكر الذي صحبة الأمير قطلوبغا الفخري على مدينة الكرك وقد امتنعت منه وآستعد أهلها للقتال. وكان الوقت شتاء، فأقام العسكر نحو عشرين يوما في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلط هل الكرك عليهم بالسب واللعن والتوبيخ، وشنوا الغارات عليهم، وصاروا يقطعون قربهم وروايا‌هم؛ هذا وقوصون يمد الفخري بالأموال ويحضه على لزوم الحصار.

ثم قدم الخبر من دمشق بأن تمر الموسوي قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر الساقي حمص أخضر نائب حلب. فكتب قوصون بالقبض عليه. ثم حمل قوصون تشريفا إلى نائب حلب المذكور، فلم يرض نائب حلب بالتشريف ورده؛ وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد، فأجابه قوصون بأعذار غير مقبولة.

ثم قدم الخبر على قوصون أيضا من شطي بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخري قد خامر على قوصون، وحلف لأحمد بن الناصر هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموا أحمد سلطانا ولقبوه بالملك الناصر؛ وذلك بمكاتبة الأمير طشتمر الساقي نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد أستاذه ما فعل،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٥/٣

ويعزم عليه أنه يدخل في طاعة أحمد، ويقوم بنصرته. فصادف ذلك من الفخري ضجره من الإقامة على حصار الكرك وشدة البرد وعظم الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه. وكتب لنائب حلب بذلك فأعاد جوابه بالشكر، وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بنصرة أحمد. وكان الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام قد أحس بشيء من هذا فآحترس على الطرقات، حتى ظفر بقاصد طشتمر نائب حلب على طريق بعلبك ومعه كتب فأخذها منه، وبعث بها إلى قوصون، فقدمت ثاني يوم ورود كتاب شطي بمخابرة الفخري، فإذا فيها: " الملكي الناصري " فآضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم ما وقع وأوقفهم على الكتب. وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخري في هذه السفرة مبلغ أربعين ألف دينار سوى الخيل والقماش والتحف. ورسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين مع الفخري إلى الكرك، فمازال به الأمراء حتى كف عن ذلك. وألزم مباشريهم بحمل ما وصل إليهم وبجميع حواصلهم، وصار قوصون في أمر مريج مما بلغه. وكتب إلى الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقي حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص ونائب صفد ونائب طرابلس؛ وكتب إليهم قوصون بالسمع والطاعة إلى طاعة نائب الشام، وحمل إليهم النفقات. فلما بلغ ألطنبغا الصالحي نائب الشام ذلك تجهز وخرج من دمشق بعساكرها في جمادى الآخرة فتلقاه الأمير أرقطاي نائب طرابلس على حمص وصار من جملة عساكره، وأخبره بكتاب نائب حلب إليه يدعوه لموافقته وأنه أبى عليه. ثم بعث ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة من آستماله وحلفه على طاعة الملك الأشرف كجك. ولما بلغ طشتمر حمص أخضر مجيء ألطنبغا نائب الشام إليه أرسل آستدعى ابن دلغادر، فقدم عليه، فآتفق معه على المسير إلى أبلستين؛ وسار به، ومعه ما خف من أمواله، وأخذ أولاده ومماليكه فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج من حلب فقاتلوه عدة وجوه فلم ينالوا منه غرضا؛ وقتل من الفريقين خمسة نفر وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر إلى أبلستين كتب إلى إرتنا يستأذنه في العبور إلى الروم، فبعث إليه إرتنا بقاضيه وعدة من ألزامه، وجهز له الإقامات. فمضى طشتمر إلى قيصرية، وقد توجه إرتنا لمحاربة ابن دمرداش بعد أن رتب لطشتمر كل يوم ألفي درهم.

وأما ألطنبغا الصالحي نائب الشام فإنه قدم إلى حلب، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر نائب حلب إلى جهة الروم، وأنه استولى على مدينة حلب. فقدم كتابه على قوصون في يوم الأربعاء ثاني شهر رجب. ثم في يوم الإثنين سابع رجب فرق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجردين مع قطلوبغا الفخري

الخارجين عن طاعة قوصون، وعدتهم اثنان وثلاثون أميرا، منهم أمراء طبلخانات ستة عشر، وأمراء عشرات ستة عشر، وأميران مقدمان: الفخري وقماري.." (١)

"ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول أنعم على الأمير منجك اليوسفي بتقدمة أحمد شاد الشراب خاناه. ثم في الغد يوم الخميس امتنع النائب من الركوب في الموكب وأجاب بأنه ترك النيابة؛ فطلب إلى الخدمة وسئل عن سبب ذلك، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إقامة الفتنة وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه، وأشار لألجيبغا وطنيرق. فأنكرا ما ذكر النائب عنهما، فحاققهما الأمير أركون الكاملي أن ألجيبغا واعده بالأمس على الركوب في غد وقت الموكب، ومسك النائب ومنجك. فعتب عليهما الأمراء، فاعتذرا بعذر غير مقبول، وظهر صدق ما نقله النائب؛ فخلع على ألجيبغا بنيابة طرابلس وعلى طنيرق بإمرة في دمشق وأخرجا من يومهما. فقام في أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفي من السفرة وتوجه ألجيبغا إلى طرابلس في ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أياما. واستمر منجك معزولا إلى أن أعيد إلى الوزر في يوم الإثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندمر العمري لتوقف أحوال الوزارة.

وفيه أيضا أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائي وطيبغا المظفري ومنكلي بغا المظفري وفرقوا ببلاد الشام.

ثم قدمت تقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة، وهي مائة وأربعون فرسا بعبي تدمرية فوقها أجلة أطلس، ومقاود سلاسلها فضة، ولواوين بحلق فضة، وأربعة قطر هجن بمقاود حرير، وسلاسل فضة وذهب، وأكوارها مغشاة بذهب، وأربعة كنابيش ذهب عليها ألقاب السلطان، وتعابي قماش مبقجة من كل صنف؛ ولم يدع أحدا من الأمراء المقدمين ولا من أرباب الوظائف، حتى الفراش ومقدم الإسطبل ومقدم الطبلخاناه والطباخ، حتى بعث إليهم هدية. فخلع على مملوكه عدة خلع، وكتب إليه بزيادة على إقطاعه، ورسم له بتفويض حكم الشام جميعه إليه، يعزل ويولي من يختار.

وفيه أنعم علي خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه؛ وأنعم أيضا على ابن المجدي بإمرة طبلخاناه؛ وأنعم على أحد أولاد منجك الوزير بإمرة مائة وتقدمة ألف.

ثم في ثالث ذي الحجة أخرج طشبغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت بينه وبين القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر، أفضت به إلى أن أخذ طشبغا بأطواق كاتب السر ودخلا على الأمير

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٨٤/٣

شيخون كذلك؛ فأنكر شيخون على طشبغا، ورسم بإخراجه، وعمل مكانه قطليجا الأرغوني دوادارا. ثم رسم للأمير بيغرا أمير جاندار أن يجلس رأس ميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصري حاجب الحجاب أمير جاندار عوضه، واستقر الأمير قبلاي حاجب الحجاب عوضا عن أيتمش.

وكانت هذه السنة أعني سنة تسع وأربعين وسبعمائة **كثيرة الوباء والفساد** بمصر والشام، من كثرة قطع الطريق، وولاية الأمير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وآنفراده وأخيه بيبغا أرس بتدبير المملكة.

ومع هذا كان فيها **أيضا الوباء لم** يقع مثله في سالف الأعصار، فإنه كان ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين. فما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى اشتهر وآشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة. فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس " إلى عشرين ألف نفس " في كل يوم. وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقيت فيها الموتى؛ فكانت الحفيرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر. وكان الموت بالطاعون، يبصق الإنسان لحما ثم يصيح ويموت؛ ومع هذا **عم الغلاء الدنيا** جميعها. ولم يكن **هذا الوباء كما** عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.." (١)

"وكان أول آبتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من تبريز إلى آخرها ستة أشهر، وهي بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، في مشاتيهم ومصايفهم وعلى ظهور خيلهم؛ وماتت خيولهم، وصاروا جيفة مرمية فوق الأرض؛ وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة. ثم حملت الريح نتنهم إلى البلاد، فما مرت على بلد إلا وساعة شمها إنسان أو حيوان مات لوقته؛ فهلك من أجناد القان خلائق لا يحصيها إلا الله تعالى. ثم هلك القان وأولاده الستة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه.

ثم **اتصل الوباء ببلاد** الشرق جميعها: بلاد أزبك وبلاد إسطنبول وقيصرية الروم؛ ثم دخل أنطاكية حتى أفنى من بها. وخرج جماعة من بلاد أنطاكية فارين من الموت فماتوا بأجمعهم في طريقهم؛ ثم عم الوباء، جبال ابن قرمان وقيصرية، ففني أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموت، فعادوا إلى أرضهم وماتوا جميعا. ثم وقع ذلك ببلاد سيس فمات لصاحبها تكفور في يوم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٢/٣

واحد بموضع مائة وثمانون نفسا وخلت سيس. ثم وقع في بلاد الخطا مطر عظيم لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت. ثم مات الناس والوحوش والطيور حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاث أشهر. وأفني أهل الصين حتى لم يبق منهم إلا القليل، وكذلك بالهند.

ثم وقع ببغداد أيضا، فكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعا، فما هو إلا أن يمد يده على موضع الطلوع فيموت في الوقت. وكان أولاد دمرادش قد حصروا الشيخ حسنا صاحب بغداد، ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد، فمات منهم عدد كثير نحو الألف ومائتي رجل وستة أمراء وحوادث كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر.

ثم في أول جمادى الأولى **ابتدأ الوباء بمدينة** حلب، ثم بالبلاد الشامية كلها، وبلاد ماردين وجبالها، وجميع ديار بكر، وأفنى بلاد صفد والقدس والكرك ونابلس والسواحل وعربان البوادي حتى إنه لم يبق ببلد جينين غير عجوز واحدة خرجت منها فارة. وكذلك وقع بالرملة وغيرها؛ وصارت الخانات ملآنة بجيف الموتى. ولم **يدخل الوباء معرة** النعمان من بلاد الشام ولا بلد شيزر ولا حارم.

وأول ما بدأ بدمشق؛ كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعا. ثم صار يخرج للإنسان كبة تحت إبطه فيموت أيضا سريعا. ثم خرجت بالناس خيارة فقتلت خلقا كثيرا. ثم صار الآدمي يبصق لحما ويموت من وقته؛ فاشتد الهول من كثرة الموت، حتى إنه أكثر ما كان يعيش من يصيبه ذلك خمسين ساعة. وبلغ عدة من يموت في كل يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان، ومات بمدينة غزة في ثاني المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد في كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى غلقت أسواقها. وشمل الموت أهل الضياع بها، وكان آخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا خلف محراثه، ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره. ثم ماتت أبقارهم؛ وخرج رجل بعشرين رأس بقر، لإصلاح أرضه فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه؛ فعاد إلى غزة. ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية. ومات أهل قطيا وصارت جثثهم تحت النخل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين وجارية عجوز. وبعث الوالي يستعفي فولى الوزير عوضه مبارك، أستادار طغجي.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٣/٣

"ثم **عم الوباء بلاد** الفرنج، وابتدأ في المواشي ثم في الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرس من في أيديهم من أسرى المسلمين وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفا من أن تفرغ الفرنج فتملك المسلمون قبرس. فلما كان بعد العشاء الأخير؛ هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر في المدينة نحو مائة قصبة، فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت. فظن أهل قبرس أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون. ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا؛ وهلك لهم في **هذا الوباء ثلاثة** ملوك. **واستمر الوباء فيهم** مدة أسبوع، فركب منهم ملكهم الذي ملكوه رابعا، في جماعة في المراكب يريدون جزيرة بالقرب منهم، فلم يمض عليهم في البحر إلا يوم وليلة ومات أكثرهم في المراكب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة فماتوا بها عن آخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وبخارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرس فوصلوها، وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس وحدثوا بذلك، فلم تطل مدتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركابها بها أحدا، وإن صدفت في بعضها جماعة فإنهم، يدعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبوا بغير ثمن. ولكثرة من كان يموت عندهم، صاروا يلقون الأموات في البحر.

وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه إلى الأرض حتى يموت.

وقدمت مراكب إلى الإسكندرية، وكان فيها اثنان وثلاثون تاجرا وثلاثمائة رجل ما بين تجار وعبيد، فماتوا كلهم ولم يصل منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة.

وعم الموت جزيرة الأندلس بكمالها إلا مدينة غرناطة فإنهم نجوا، ومات من عداهم حتى إنه لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم؛ فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، فمرت بهم ريح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها؛ فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقي منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم أيضا بحيث إنه مات منهم في ليلة واحدة عمد كثير. وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود وتغير، وماتت المواشي بأسرها.

ثم **وقع الوباء بأرض** برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت في كل يوم مائة. ثم صار يموت مائتان، وعظم عندهم حتى إنه صلي في اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح، وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وأريق ما بها من الخمور. وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير تحوم في غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيها ميت والطير يأكلهم، وقد مات من الطير أيضا شيء كثيرة فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات منهم زيادة على ثلثهم. ثم وصل إلى مدينة دمنهور وتروجة والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم ومواشيهم. وبطل من البحيرة سائر الضمانات. وشمل الموت أهل البرلس ونستراوة، وتعطل الصيد من البحيرة بموت الصيادين. فكان يخرج في المركب عدة صيادين فيموت أكثرهم، ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطارخة كبة منتنة قدر البندقة قد آسودت. ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها دود، وتلف أكثر تمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري لا يوجد من يدفنها.." (١)

"ثم **عظم الوباء بالمحلة** حتى إن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على شخص لا يجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلتهم. وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. وماتت الفلاحون بأسرهم إلا القليل، فلم يوجد من يضم الزرع. وزهد أرباب الأموال في أموالهم وبذلوها للفقراء؛ فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين ابن الشيخ مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة، فدخلوا على سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه، ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرا، لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر الشرقية عن ضم الزرع لكثرة موت الفلاحين. وكان **ابتداء الوباء عندهم** من أول فصل الصيف الموافق لأثناء شهر ربيع الآخر من سنة تسع وأربعين وسبعمائة. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم ومواشيهم. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يبق مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى.

ثم قم الخبر من دمشق **أن الوباء كان** بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف، هبت في نصف الفيل ريح شديدة جدا، واستمرت حتى

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٤/٣

مضى من النهار قدر ساعتين، فآشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه؛ ثم انجلت وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله. وأخذ فيهم الموت مدة شهر رجب فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، وصارت الأموات مطروحة في البساتين على الطرقات. فقدم على قاضي القضاة تقي الدين السبكي قاضي دمشق رجل من جبال الروم، وأخبر أنه لما **وقع الوباء ببلاد** الروم رأى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، و ا سألوا الله في رفع ما أنتم فيه؛ فعرفهم ذلك فاجتمع الناس في المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم، وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فلما سمع القاضي والنائب ذلك نودي بدمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي، فصاروا به جمعا كبيرا وقرأوا " صحيح البخاري " في ثلاثة أيام وثلاث ليال. ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى وكشفوا رؤوسهم وضجوا بالدعاء؛ وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام **فتناقص الوباء حتى** ذهب بالجملة.

وكان ابتداؤه بالقاهرة ومصر في النساء والأطفال ثم بالباعة حتى كثر عدد الأموات؛ فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول شهر رجب إلى العشرين منه، وقصد العود إلى القلعة فأشير عليه بالإقامة في سرياقوس وصوم رمضان بها. ثم قدم كتاب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء رأى النبي في نومه، فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره صلى الله عليه وسلم بالتوبة، والدعاء بهذا الدعاء المبارك وهو: اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الحروب بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، ونعتصم بك عن إنزال قهرك، يا ذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام. وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفي شعبان **تزايد الوباء بديار** مصر، وعظم في شهر رمضان، وقد دخل فصل الشتاء؛ فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء. وفي يوم الجمعة سادس شهر رمضان، نودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفتية والمصاحف عند قبة النصر خارج القاهرة، فآجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمر قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون إلى الله تعالى ويقنتون في صلواتهم. ثم خرجوا إلى قبة النصر وفيهم الأمير شيخون والوزير منجك اليوسفي والأمراء بملابسهم الفاخرة من الذهب وغيره، في يوم الأحد ثامن شهر رمضان.

ومات في ذلك اليوم الرجل الصالح سيدي عبد الله المنوفي، تغمده الله برحمته، وأعاد علينا من بركاته،

فصلى عليه ذلك الجمع العظيم، وعاد الأمراء إلى سرياقوس وأنفق الجمع. **واشتد الوباء بعد** ذلك حتى عجز الناس عن حصر الموتى.." (١)

"فلما انقضى شهر رمضان حضر السلطان من سرياقوس. وحدث في الناس في شوال نفث الدم، فكان الإنسان يحس في نفسه بحرارة ويجد غثيانا فيبصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل داره واحدا بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. وآستعد الناس جميعا وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة. ولم يحتج أحد في **هذا الوباء إلى** أشربة ولا أدوية ولا أطباء لسرعة الموت. فما انتصف شوال إلا والطرقات والأسواق قد امتلأت بالأموات، فانتدب جماعة لمواراتهم وانقطع جماعة للصلاة عليهم. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدد، وهلك أكثر أجناد الحلقة، وخلت الطباق بالقلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

فما أهل ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقفرة، لا يوجد بشوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لاشتغال الناس بالموتى. وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح؛ فلا تجد بيتا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وترى فيه عدة أموات. وصلي في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي، فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع، ووقف الإمام على العتبة والناس خلفه خارج الجامع. وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة من الناس، وصار بحارة برجوان اثنتان وأربعون دارا خالية. وبقيت الأزقة والحروب المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل في يوم واحد عنه، لرابع وخامس.

وحصرت عدة من صلي عليه بالمصليات التي خارج باب النصر وباب زويلة وباب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاث عشرة ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن يتأخر دفنه في البيوت.

ويقال: بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا، وحصرت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان فكانت تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وكانت عدتها ألفا وأربعمائة نعش، فحملت الأموات على الأقفاص

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٥/٣

ودراريب الحوانيت؛ وصار يحمل الاثنان والثلاثة في نعش واحد وعلى لوح واحد. وطلبت القراء على الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة على الجنائز. وعمل جماعة مدراء وجماعة غسالا وجماعة تصدوا لحمل الأموات، فنالوا بذلك جملا مستكثرة، وصار المقرىء يأخذ عشرة دراهم، وإذا وصل الميت، إلى المصلاة تركه وانحرف لآخر. وصار يأخذ الحمال ستة دراهم بعد الدخلة عليه، وصار الحفار يأخذ أجرة حفر كل قبر خمسين درهما، فلم يمتع أكثرهم بذلك وماتوا.

ودخلت امرأة غاسلة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة، صاحت الغاسلة وسقطت ميتة؛ فوجدوا في بعض أصابعها التي لمست بها الكبة كبة قدر الفولة. وصار الناس يبيتون بموتاهم في الترب لعجزهم عن تواريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فلا يوجد لهم سوى – نعش واحد ينقلون فيه شيئا بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دورا وأموالا بغير استحقاق، لموت مستحقيها، فلم يتمل أكثرهم بما أخذ، حتى مات بعدهم بسرعة، ومن عاش منهم استغنى به، وأخذ كثير من العامة إقطاعات حلقة.

وقام الأمير شيخون العمري والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم وبطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في المواضع المشهورة يؤذن واحد. وبطلت أكثر طبلخاناة الأمراء، وصار في طبلخانة الأمير شيخون ثلاثة نفر بعد خمسة عشر نفرا. وغلقت أكثر المساجد والزوايا. وقيل إنه ما ولد لأحد في **هذا الوباء إلا** ومات الولد بعد يوم أو يومين ولحقته أمه.

ثم شمل في آخر **السنة الوباء بلاد** الصعيد بأسرها؛ ولم **يدخل الوباء ثغر** أسوان، ولم يمت به سوى أحد عشر إنسانا. ووجدت طيور كثيرة ميتة في الزروع ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور. فكانت إذا نتفت وجد فيها أثر الكبة.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب وحمر الوحش، وغيرها من الوحوش ميتة وفيها أثر الكبة.." (١)

"وكان **ابتدأ الوباء أول** أيام التخضير، فما جاء أوان الحصاد حتى فنوا الفلاحون ولم يبق منهم إلا القليل؛ فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد ونادوا: من يحصد يأخذ نصف ما حصد. فلم يجدوا واحدا، وغرسوا غلالهم على خيولهم وفزوها بأيديهم، وعجزوا عن غالب الزرع فتركوه. وكان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى واحد حتى إلى السابع والثامن، فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٦/٣

والأساكفة، وركبوا الخيول ولبسوا الكلفتاه والقباء. وكثير من الناس لم يتناول في هذه السنة من إقطاعه شيئا. فلما جاء النيل ووقع أوان التخضير، تعذر وجود الرجال فلم يخضر إلا نصف الأراضي، ولم يوجد أحد ليشتري القرط الأخضر ولا من يربط عليه خيوله. وترك ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان، وآنكسرت البلاد التي بالضواحي وخربت. وخلت بلاد الصعيد مع آتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها الخراج، فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرا. ومع ذلك كان الرخاء موجودا وآنحط سعر القماش حتى بيع بخمس ثمنه وأقل، ولم يوجد من يشتريه. وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأرخص ثمن. وانحط قدر الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهما، بعد ما كان بعشرين. وعدمت جميع الصناع، فلم يوجد سقاء ولا بابا ولا غلام. وبلغت جامكية الغلام ثمانين درهما، عنها خمس دنانير وثلث دينار، فنودي بالقاهرة: من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء ثمانية دراهم لقلة الرجال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الإردب القمح دينارا.

ويقال: إن هذا الوباء أقام يحور على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة.

قلت: ورأيت أنا من رأى هذا الوباء، فكانوا يسمونه الفصل الكبير، ويسمونه أيضا بسنة الفناء، ويتحاكون عنه أضعاف ما حكيناه، يطول الشرح في ذكره.

وقد أكثر الناس ذكر هذا الوباء في أشعارهم فمما قاله شاعر ذلك العصر الشيخ جمال الذين محمد بن نباتة:

سر بنا عن دمشق يا طالب العي ... ش فما في المقام للمرء رغبه

رخصت أنفس الخلائق بالطا ... عون فيها فكل نفس بحبه

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي وأكثر في هذا المعنى على عادة إكثاره؛ فمما قاله في ذلك:

رعى الرحمن دهرا قد تولى ... يجازي بالسلامة كل شرط

وكان الناس في غفلات أمر ... فجا طاعونهم من تحت إبط

وقال أيضا:

قد قلت للطاعون وهو بغزة ... قد جال من قطيا إلى بيروت

أخليت أرض الشام من سكانها ... وأتيت يا طاعون بالطاغوت

وقال الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي، في المعنى من قصيدة أولها:

إن هذا الطاعون يفتك في العا ... لم فتك امرىء ظلوم حسود

ويطوف البلاد شرقا وغربا ... ويسوق الخلوق نحو اللحود

ولزين الدين عمر بن الوردي في المعنى:

قالوا فساد الهواء يردي ... فقلت يردي ہوى الفساد

كم سيئات وكم خطايا ... نادى عليكم بها المنادي

وقال أيضا:

حلب والله يكفيشرها أرض مشقه

أصبحت حية سوء ... تقتل الناس ببزقه

ولابن الوردي أيضا:

إن الوبا قد غلبا ... وقد بدا في حلبا

قالوا له على الورى ... كاف ورا قلت وبا

وقال أيضا:

سكان سيس يسرهم ما ساءنا ... وكذا العوائد من عدو الدين

الله ينفذه إليهم عاجلا ... ليمزق الطاغوت بالطاعون

وقال الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار في المعنى:

قبح الطاعون داء ... فقدت فيه الأحبه

بيعت الأنفس فيه ... كل إنسان بحبه

وله أيضا في المعنى:

يا طالب الموت أفق وانتبه ... هذا أوان الموت ما فاتا

قد رخص الموت على أهله ... ومات من لا عمره ماتا

ثم **أخذ الوباء يتناقص** في أول المحرم من سنة خمسين وسبعمائة.." (١)

"وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم، بما أحدثه الوزير منجك بالنواحي؛ وخربت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت عربان العائد وثعلبة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتد فسادهم لاختلاف كلمة مدبري المملكة.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٧/٣

وكان في أيامه الفناء العظيم المقدم ذكره، الذي لم يعهد في الإسلام مثله. وتوالى في أيامه شراقي البلاد وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل الأحدب ببلاد الصعيد، فآختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللا فاحشا، كل ذلك من اضطراب المملكة واختلاف الكلمة، وظلم الأمير منجك وعسفه.

وأما الملك الناصر حسن المذكور فإنه كان في نفسه مفرط الذكاء عاقلا، وفيه رفق بالرعية، ضابطا لما يدخل إليه وما يصرفه كل يوم، متدينا شهما، لو وجد ناصرا أو معينا، لكان أجل الملوك. يأتي بيان ذلك في سلطنته الثانية، إن شاء الله تعالى.

وأما سلطنته هذه المرة فلم يكن له من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط، وذلك لصغر سنه وعدم من يؤيده. انتهى.

السنة الأولى من سلطنة الناصر حسن

ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون الأولى وهي سنة تسع وأربعين وسبعمائة، على أنه حكم من الخالية من رابع عشر شهر رمضان.

فيها أعني سنة تسع وأربعين **كان الوباء العظيم** المقدم ذكره في هذه الترجمة، وعم الدنيا حتى دخل إلى مكة المشرفة، ثم عم شرق الأرض وغربها، فمات بهذا الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تحصى.

فمن مات فيه من الأعيان الشيخ المحدث برهان الدين بن لاجين بن عبد الله الرشيدي الشافعي في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شوال؛ ومولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة. وكان أخذ القراءات عن التقي الصائغ، وسمع من الأبرقوهي وأخذ الفقه عن العلم العراقي، وبرع في الفقه والأصول والنحو وغيره، ودرس وأقرأ وخطب بجامع أمير حسين خارج القاهرة سنين.

وتوفي الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السنهوري المادح الضرير.وكانت له قدرة زائدة على النظم؛ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بعدة قصائد. وشعره كثير إلى الغاية، لا سيما قصائده النبوية وهي مشهورة في حفظ المداح.

وتوفي القاضي الإمام البارع الكاتب المؤرخ المفتن شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان القرشي العدوي العمري الدمشقي الشافعي في تاسع ذي الحجة بدمشق. ومولده في ثالث شوال سنة سبعمائة. وكان إماما بارعا وكاتبا فقيها. نظم كثيرا من القصائد والأراجيز والمقطعات ودوبيت، وأنشأ كثيرا من التقاليد والمناشير والتواقيع، وكتب فى الإنشاء لما ولي والده كتابة سر دمشق؛ ثم لما ولي والده كتابة السر بمصر أيضا، صار ولده أحمد هذا هو الذي يقرأ البريد على الملك

الناصر محمد بن قلاوون، وينفذ المهمات؛ واستمر كذلك في ولاية والده الأولى والثانية، حتى تغير السلطان عليه وصرفه في سنة ثمان وثلاثين، وأقام أخاه علاء الدين عليا، وكلاهما كانا يكتبان بحضرة والدهما ووجوده، نيابة عنه لكبر سنه؛ وتوجه شهاب الدين إلى دمشق، حتى مات بها في التاريخ المذكور. وكان بارعا في فنون، وله مصنفات كثيرة، منها تاريخه " مسالك الأبصار، في ممالك الأمصار " في أكثر من عشرين مجلدا، وكتاب " فواصل السمر، في فضائل آل عمر " في أربع مجلدات، " والدعوة المستجابة " ، " وصبابة المشتاق " في مجلد، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، " ودمعة الباكي " " ويقظة الساهي " و " نفحة الروض " .

قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي: وأنشدني القاضي شهاب الدين ابن فضل الله لنفسه، ونحن على العاصي هذين البيتين:

لقد نزلنا على العاصي بمنزلة ... زانت محاسن شطيه حدائقها

تبكي نواعيرها العبرى بأدمعها ... لكونه بعد لقياها يفارقها

قال: فأنشدته لنفسي:

وناعورة في جانب النهر قد غدت ... تعبر عن شوق الشجي وتعرب

فيرقص عطف الغصن تيها لأنها ... تغني له طول الزمان ويشرب

وتوفي الأمير سيف الدين أطلمش الجمدار؛ كان أولا من أمراء مصر، ثم ولي حجوبية دمشق إلى أن مات، وكان مشكور السيرة.." (١)

"ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبعمائة، أمسك السلطان الأمير صرغتمش الناصري، بعد ما أقعد له قواعد مع الأمير طيبغا الطويل ويلبغا العمري وغيرهما، وأمسك معه جماعة من الأمراء، وهم طشتمر القاسمي حاجب الحجاب، وطيبغا الماجاري، وأزدمر وقماري وأرغون الطرخاني وآقجبا الحموي، وجماعة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات. وكان سبب مسكه أن صرغتمش كان قد عظم أمره بعد موت شيخون، وآستبد بأمور الدولة وتدبير الملك؛ فلما تم له ذلك، ندب الملك الناصر حسنا لمسك طاز ووغر خاطره عليه، حتى كان من أمره ما كان. فلما صفا له الوقت بغير منازع، لم يقنع بذلك، حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن ومسكه واستقلاله بالملك فبلغ الناصر ذلك فاتفق مع جماعة من الأمراء مسكه عند دخوله على السلطان في خلوة؛ فلما كان وقت دخوله، وقفوا له في مكان

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٥٥/٣

رتبهم السلطان فيه فلما دخل صرغتمش احتاطوا ب‍ه وقبضوا عليه ثم خرجوا لمن عين لهم من الأمراء المقدم ذكرهم، فقبضوا عليهم أيضا في الحال، وحبسوا الجميع بقلعة الجبل. فلما بلغ مماليك صرغتمش وحواشيه من المماليك بالسلاح وطلعوا إلى الرميلة، فنزل إليهم المماليك السلطانية من القلعة، وقاتلوهم من بكرة النهار إلى العصر عدة وجوه، إلى أن كانت الكسرة على مماليك صرغتمش. أخذتهم السيوف السلطانية، ونهبت دار صرغتمش عند بئر الوطاويط، ونهبت دكاكين الصليبية، ومسك من الأعجام صوفية المدرسة الصرغتمشية جماعة لأنهم ساعدوا الصرغتمشية وأحموهم عند كسرتهم؛ وما أذن المغرب حتى سكن الأمر وزالت الفتنة، ونودي بالأمان والبيع والشراء.

وأصبح الملك الناصر حسن في بكرة يوم الثلاثاء وهو سلطان مصر بلا منازع. وصفا له الوقت، وأخذ وأعطى، وقرب من اختار وأبعد من أبعد، وخلع على الأمير ألجاي اليوسفي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن طشتمر القاسمي. وخلع على جماعة أخر بعدة وظائف. ثم أخذ في ترقية مماليكه والإنعام عليهم، وأعيان مماليكه: يلبغا العمري وطيبغا الطويل، وجماعة من أولاد الأمراء.

وكان يميل لإنشاء أولاد الناس وترقيهم إلى الرتب السنية، لا لحبه لهم، بل كان يقول: هؤلاء مأمونو العاقبة، وهم في طي علمي، وحيث وجهتهم إليه توجهوا، ومتى أحببت عزلهم أمكنني ذلك بسهولة، وفيهم أيضا رفق بالرعية ومعرفة بالأحكام حتى إنه كان في أيامه منهم عدة كثيرة، منهم أمراء مقدمون، يأتي ذكر أسمائهم في آخر ترجمته، إن شاء الله تعالى.

ثم أخرج السلطان صرغتمش ورفقته في القيود إلى الإسكندرية، فسجن صرغتمش بها إلى أن مات في ذي الحجة من السنة، على ما سيأتي ذكر صرغتمش في الوفيات من حوادث سنين الملك الناصر حسن.

ثم إن السلطان عزل الأمير منجك اليوسفي عن نيابة دمشق في سنة ستين وسبعمائة، وطلبه إلى الديار المصرية؛ فلما وصل منجك إلى غزة بلغه أن السلطان يريد القبض عليه، فتسحب ولم يوقف له على خبر. وعظم ذلك على السلطان وأكثر من الفحص عليه، وعاقب بسببه خلائق فلم يفده ذلك.

ثم خلع السلطان على الأمير علي الماريديني نائب حلب، بإعادته إلى نيابة دمشق كما كان أولا؛ وآستقر بكتمر المؤمني في نيابة حلب عوضا عن علي الماريديني، فلم تطل مدته بحلب وعزل عنها بعد أشهر بالأمير أسندمر الزيني، أخي يلبغا اليحياوي نائب الشام كان.

ثم خلع السلطان على فخر الدين بن قروينة باستقراره في نظر الجيش والخاص معا.

ثم ظهر الأمير منجك اليوسفي من اختفائه في بيت بالشرف الأعلى بدمشق، في سنة إحدى وستين

وسبعمائة، بعد أن اختفى به نحو السنة، فأخذ وأحضر إلى القاهرة؛ فلما مثل بين يدي السلطان، وعليه بشت عسلي وعلى رأسه مئزر، صفح عنه لكونه لم يخرج من بلاده، ورسم له بإمرة طبلخاناه بدمشق، وأن يكون طرخانا يقيم حيث شاء؛ وكتب له بذلك توقيع شريف.

ثم في هذه السنة **وقع الوباء بالديار** المصرية، إلى أوائل سنة آثنتين وستين وسبعمائة. ومات في **هذا الوباء جماعة** كثيرة من الأعيان وغيرهم، وأكثرهم كان لا يتجاوز مرضه أربعة أيام إلى خمسة، ومن جاوز ذلك يطول مرضه؛ **وهذا الوباء يقال له: الوباء الوسطي** أعني بين وباءين.." (١)

"خلفت بالشام حبيبي وقد ... يممت مصرا لغنى طارق

والأرض قد طالت فلا تبعدي ... بالله يا مصر على عاشق

وتوفي القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن عبد الحق السعدي البارنباري المصري كاتب سر طرابلس. وكان فاضلا كاتبا، خدم الملوك وباشر كتابة سر طرابلس. وكان له شعر جيد وكتابة حسنة. رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي النحوي المقرىء الفقيه الشافعي المعروف بابن السمين - رحمه الله - في جمادى الآخرة. وكان إماما عالما، أفتى ودرس وأقرأ عدة سنين.

وتوفي الأمير سيف الدين قبلاي بن عبد الله الناصري في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول. وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون؛ وولي نيابة الكرك ثم الحجوبية الثانية بمصر، ثم نقل إلى الحجوبية الكبرى بها، ثم ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية. وقد تقدم من ذكره نبذة جيدة في عدة تراجم.

وتوفي القاضي زين الدين خضر ابن القاضي تاج الدين محمد بن زين الدين خضر بن جمال الدين عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين علي كاتب الإنشاء بالديار المصرية. ومولده ليلة الأحد رابع ذي الحجة سنة عشر وسبعمائة. كان فاضلا قادرا على الكتابة سريعها، يكتب من رأس القلم التواقيع والمناشير؛ واعتمد القاضي علاء الدين علي بن فضل الله عليه. وكان له نظم ونثر. رحمه الله تعالى. ومن شعره في مقص قوله:

يحركني مولاي في طوع أمره ... ويسكنني شانيه وسط فؤاده

ويقطع بي إن رام قطعا وإن يصل ... يشق بحدي الوصل عند اعتماده

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٧٩/٣

وتوفي الأمير سيف الدين آص ملك بن عبد الله بطالا بدمشق في شهر رمضان. وكان من أعيان الأمراء، وتنقل في عدة وظائف وأعمال، وكان مشهورا بالشجاعة. رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين قردم بن عبد الله الناصري الأمير آخور بطالا بدمشق في يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان، وقد تقدم ذكره في عدة أماكن.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وأربع عشره إصبعا. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا. والله سبحانه وتعالى أعلم.

السنة الثانية من سلطنة الناصر حسن الثانية

وهي سنة سبع وخمسين وسبعمائة.

فيها توفي السيد الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الحسيني نقيب الأشراف بالديار المصرية، وقد توفي عن سبعين سنة. وكان رحمه الله إماما عالما فاضلا، درس بالقاهرة بمشهد الحسين والفخرية، وولي حسبة القاهرة ووكالة بيت المال، وكان معدودا من الرؤساء العلماء.

وتوفي قاضي القضاة نجم الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي فخر الدين عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعي الشافعي قاضي قضاة حلب في صفر. وكان - رحمه الله - إماما عالما فاضلا. أفتى ودرس وولي الحكم بعدة بلاد.

وتوفي صاحب بغداد وما والاها الشيخ حسن بن الحسين بن آقبغا بن أيلكان ببغداد، وملك بعده ابنه الشيخ أويس. والشيخ حسن هذا هو سبط الملك أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولون بن جنكزخان ملك التتار صاحب " اليسق " والأحكام التركية. وكان في أيام الشيخ **حسن الغلاء العظيم** ببغداد حتى أبيع بها الخبز بسنج الدراهم وبرح الناس عنها، وكان مشكور السيرة. رحمه الله تعالى.

وتوفي الشيخ الإمام شرف الدين إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي الشافعي في يوم الثلاثاء خامس شهر رجب وكان - رحمه الله - فقيها عالما. ناب في الحكم بالقاهرة، وأفتى ودرس وشرح الفرائض " من الوسيط " وغيره.

وتوفي الشيخ الإمام العالم كمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدي النشائي الشافعي في يوم الأحد حادي عشر صفر؛ ومولده في أوائل ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وستمائة. وكان - رحمه الله - إماما عالما خطيبا فصيحا مصنفا. ولي خطابة جامع الأمير أيدمر الخطيري ببولاق وإمامته ودرس به، وهو أول من ولى خطابته وإمامته. ومن مصنفاته: كتاب " جامع المختصرات " وكتاب " المنتقى " . وعلق على "

التنبيه " استدراكات، وله غير ذلك. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة:." (١)

"وعندما ثبت قواعد الملك الأشرف أرسل يلبغا بطلب الأمير علي المارديني نائب الشام إلى مصر، فلما حضر أخلع عليه بنيابة السلطنة بديار مصر، وتولى عوضه نيابة دمشق الأمير منكلي بغا الشمسي نائب حلب. وتولى نيابة حلب عوضا عن الشمسي الأمير إشقتمر المارديني. وتولى نيابة طرابلس عوضا عن إشقتمر الأمير أزدمر الخازن نائب صفد. وتولى نيابة صفد عوضا عن أزدمر الخازن الأمير قشتمر المنصوري الذي كان نائبا بالديار المصرية لأمر وقع منه في حق يلبغا العمري الأتابكي. واستقر الأمير أرغون الأحمدي الخازندار لالا الملك الأشرف شعبان. واستقر الأمير يعقوب شاه السيفي تابع يلبغا اليحياوي خازندارا عوضا عن أرغون الأحمدي. ثم استقر الأمير أرنبغا الخاصكي في نيابة غزة عوضا عن تمان تمر العمري بحكم وفاته. ثم ولي الأمير عمر شاه حاجب الحجاب نيابة حماة عوضا عن أيدمر الشيخي. واستقر الشريف بكتمر في ولاية القاهرة عوضا عن علاء الدين علي بن الكوراني بحكم استعفائه عنها. ثم استقر الأمير أحمد بن القشتمري في نيابة الكرك.

ثم ورد الخبر بوقوع الوباء بمدينة حلب وأعمالها وأنه مات بها خلق كثير، والأكثر في الأطفال والشبان.

ثم نزل السلطان الملك الأشرف شعبان إلى سرياقوس بعساكره على عادة الملوك.

ثم سمر الأتابك يلبغا خادمين من خدام السلطان الملك المنصور لكلام بلغه عنهما، فشفع فيهما، فخليا ونفيا إلى قوص.

ثم في سنة خمس وستين أنعم على الأمير طيدمر البالسي بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية.

ثم أخلع على الأمير آسن قجا بنيابة ملطية في ثالث صفر. واستقر الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة صفد عوضا عن قشتمر المنصوري، وحضر قشتمر المذكور إلى مصر على إقطاع عمر بن أرغون المذكور. واستقر الأمير طينال المارديني نائب قلعة الجبل عوضا عن ألطنبغا الشمسي بحكم استعفائه.

ثم أنعم السلطان على جماعة بإمرة طبلخاناه وهم: تمربغا العمري، ومحمد بن قماري أمير شكار، وألطنبغا الأحمدي. وآقبغا الصفوي. وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرات وهم: إبراهيم بن صرغتمش، وأرزمك من مصطفى، ومحمد بن قشتمر، وآقبغا الجوهري، وطشتمر العلائي خازندار طيبغا الطويل، وطاجار من عوض، وآروس بغا الخليلي، ورجب بن كلبك التركماني.

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٨٣/٣

ثم وقع الفناء في هذه السنة في البقر حتى هلك منها شيء كثير، وأضر ذلك بحال الزراع.
ثم في هذه السنة فتح الأمير منكلي بغا الشمسي نائب الشام باب كيسان، أحد أبواب دمشق بحضور أمراء الدولة وأعيان أهل دمشق، وذلك بعد بروز المرسوم الشريف إليه بذلك، وعقد عليه قنطرة كبيرة ومد له إلى الطريق جسرا، وعمر هناك جامعا. وكان هذا الباب مغلقا من مدة تزيد على مائتي سنة، كان سده الملك العادل نور الدين محمود الشهيد لأمر اقتضى ذلك، فيه مصلحة للإسلام.
ثم رسم في هذه السنة بإبطال الوكلاء المتصرفين في أبواب القضاة. وفي هذا المعنى يقول الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب، رحمه الله تعالى: السريع،
يقول ذو الحق الذي عاله ... خصم ألد ولسان كليل
إن صيروا أمر وكيلي سدى ... فحسبي الله ونعم الوكيل
ثم استقر الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جرجي الإدريسي بحكم انتقال جرجي إلى نيابة حلب عوضا عن إشقتمر المارديني.
ثم في سنة ست وستين وسبعمائة استقر الأمير قطلقتمر العلائي أمير جاندار في نيابة صفد عوضا عن الأمير عمر بن أرغون النائب، وحضر عمر بن أرغون إلى مصر على إقطاع قطلقتمر المذكور في سابع شهر رجب. ثم استقر الأمير عبد الله ابن بكتمر الحاجب أمير شكار عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن ألجيبغا، واستقر أسندمر العلائي الحرفوش حاجبا عوضا عن عبد الله بن بكتمر المذكور.
ثم أنعم السلطان على الأمير أسندمر المظفري بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية في سلخ شهر رمضان. ثم أنعم على الأمير شعبان ابن الأتابك يلبغا العمري بإمرة مائة وتقدمة ألف. ثم استقر الأمير قشتمر المنصوري في نيابة طرابلس، واستقر الأمير أزدمر الخازن في نيابة صفد عوضا عن الأمير قطلقتمر العلائي. ثم استقر الأمير ألطنبغا البشتكي في نيابة غزة عوضا عن أرنبغا الكاملي بحكم وفاته.." (١)

"وفي سابع شوال استقر الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة الكرك، عوضا عن ابن القشمري. واستقر طيدمر البالسي في نيابة الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام. واستقر خليل بن عرام حاجبا بثغر الإسكندرية. ثم استقر أيدمر الشيخي في نيابة حماة عوضا عن عمر شاه، وأخلع على شمس الدين ابن المقدسي باستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضا عن ابن أبي شاكر في ثالث عشر ذي القعدة. واستقر العلامة سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي الحنفي قاضي قضاة الحنفية بالديار

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٤/٣

المصرية، بعد موت قاضي القضاة جمال الدين التركماني. واستقر الشيخ سراج عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني البلقيني الشافعي في قضاء دمشق عوضا عن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي، فلم تطل مدة البلقيني في قضاء دمشق وعزل، وأعيد تاج الدين السبكي. واستقر القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري في كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده. واستقر فتح الدين محمد بن الشهيد في كتابة سر دمشق عوضا عن جمال الدين بن الأثير.

ثم وقع الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدة الموتى في اليوم أكثر من ألف نفس، وأقام نحو الأربعة أشهر وارتفع.

وفي هذه السنة أيضا وهي سنة تسع وستين وسبعمائة قصدت الفرنج مدينة طرابلس الشام في مائة وثلاثين مركبا من الشواني والقراقير والغربان والطرائد وصحبتهم صاحب قبرس، وهو المقدم ذكره عليهم، وكان نائبها وأكثر عسكرها غائبين عنها. فاغتنمت الفرنج الفرصة وخرجوا من مراكبهم إلى الساحل، فخرج لهم من طرابلس بقية عسكرها بجماعة من المسلمين، فتراموا بالنبال ثم اقتتلوا أشد قتال. وتقهقر المسلمون، ودخل المدينة طائفة من الفرنج، فنهبوا بعض الأسواق. ثم إن المسلمين تلاحقوا، وحصل بينهم وبين الفرنج وقائع عديدة استشهد فيها من المسلمين نحو أربعين نفرا، وقتل من الفرنج نحو الألف، وألقى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج فرجعوا خائبين.

وفي هذه السنة قوي أمر الملك الأشرف في السلطنة، وصار تدبير ملكه إليه: يعزل ويولي من غير مشورة الأمراء، وصار في الفلك من غير منازع ولا معاند، وحسنت سيرته، وأحبته الرعية إلى الغاية، وصار يقصد المقاصد الجميلة مما سيأتي ذكره.

ثم في أول جمادى الآخرة عزل الأشرف أسنبغا بن الأبو بكري عن نيابة حب بالأمير قشتمر المنصوري.

ثم قبض السلطان على أرغون العجمي الساقي أحد المماليك السلطانية بسبب أنه سرق أحجارا مثمنة من الخزانة السلطانية وباعها على الفرنج، وفيها حجر يعرف بوجه الفرس، فجاء به الفرنج إلى منجك اليوسفي نائب الشام فعرفه وأرسله إلى السلطان، وأخبره بخبر أرغون العجمي وكيف باعه للفرنج، فصفح السلطان عنه ونفاه إلى الشام.

ثم في يوم السبت العشرين من شهر رمضان نفى السلطان الأمير آقتمر الصاحبي الدوادار الكبير إلى الشام لأمر وقع بينه وبين الأمير ألجاي اليوسفي.

وفي تاسع عشر ذي القعدة أحضر الأمير بيدمر الخوارزمي المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه وأدخل إلى قاعة الصاحب بقلعة الجبل، وطلب منه ثلاثمائة ألف دينار، وكان متولي أمره علي بن محمد بن كلبك التركماني، فعصر يوم الثلاثاء حادي عشرين ذي القعدة، ثم أفرج عنه ونفي إلى طرابلس بعد أن أخذ منه مائة ألف دينار.

ثم قدم الخبر على السلطان بقتل الأمير قشتمر المنصوري نائب حلب. وخبره أنه لما ولي نيابة حلب في جمادى الآخرة من هذه السنة وتوجه إلى حلب، فلم يقم بها إلا يسيرا، وخرج منها وكبس أمير آل فضل بعربه بتل السلطان. فركب العرب وقاتلته، فقتل في المعركة هو وولده محمد بن قشتمر. وكان الذي قتله حيار أمير آل فضل وولده نعير بن حيار، وكان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة. ولما بلغ الملك الأشرف ذلك عظم عليه، وأرسل تقليدا للأمير اشقتمر الماريديني بنيابة حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعباني، وعزل حيارا عن إمرة العرب وولاها لزامل .." (١)

"ثم في عاشر شهر ربيع الآخر استقر أحمد بن آل ملك في نيابة غزة عوضا عن طشبغا المظفري. وأنعم على مبارك الطازي بتقدمة ألف، وعلى سودون جركس المنجكي بتقدمة ألف. وارتجع السلطان من طينال الماريديني تقدمته وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم استمر منكلي بغا البلدي الأحمدي في نيابة الكرك. واستقر ناصر الدين محمد بن آقبغا آص أستادارا بتقدمة ألف. ثم أنعم السلطان على ألطنبغا ططق العثماني بتقدمة ألف واستقر أمير سلاح برانيا عوضا عن طيدمر البالسي. وأنعم على طغيتمر اليلبغاوي الدوادار الثاني بإمرة طبلخاناه، وهو أول من لبس الدوادارية الثانية. ثم نقل منكلي بغا البلدي من نيابة الكرك إلى نيابة صفد. واستقر آقتمر عبد الغني النائب بديار مصر في نيابة طرابلس، وقد تقدم أن آقتمر هذا كان ولي نيابة الشام سنين.

وفي رابع عشرين ذي القعدة استقر يلبغا الناصري اليلبغاوي، صاحب الوقعة مع برقوق الآتي ذكره، حاجبا ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف. ثم عزل السلطان سابق الدين مثقالا الآنوكي مقدم المماليك وأمره أن يلزم بيته، واستقر عوضه في تقدمة المماليك الطواشي مختار الحسامي مقدم الرفرف المقدم ذكره.

ثم ندب السلطان الأمير يلبغا الناصري للسفر إلى دمشق لإحضار نائبها الأمير منجك اليوسفي، فسار من وقته إلى أن وصل إلى دمشق، وأحضر الأمير منجك المذكور. ووصل منجك إلى الديار المصرية وصحبته أولاده ومملوكه جركتمر وصهره آزوس المحمودي بعد أن احتفل أهل الدولة لملاقاته وخرجت إليه الأمراء

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٠٣/٣

إلى بين الحوضين خارج قبة النصر. وطلع إلى القلعة من باب السر، وسائر الأمراء والخاصكية مشاة بين يديه في ركابه، مثل أيدمر الدوادار ومن دونه بإشارة السلطان. فلما دخل منجك على السلطان وقبل الأرض، أقبل عليه السلطان إقبالا كليا وخلع عليه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصكيا عوضا عن آقتمر عبد الغني المنتقل إلى نيابة طرابلس، وفوض إليه السلطان النظر في الأحباس والأوقاف والنظر في الوزارة – فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم ذكره – والنظر على ناظر الخاص، وقرئ تقليده بالإيوان، وأن السلطان أقامه مقام نفسه في كل شيء، وفوض إليه سائر أمور المملكة، وأنه يخرج الإقطاعات التي عبرتها سبعمائة دينار إلى ما دونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة، وأنه يخرج الطبلخانات والعشرات بسائر المماليك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قدامه في الدركاه مع الموقعين.

ثم **بدأ الغلاء بالديار** المصرية في هذه السنة وتزايد سعر القمح إلى أن أبيع بتسعين درهما الإردب، وزاد النيل بعد أن نقص في شهر هاتور، وهذا أيضا من الغرائب. وهذه السنة تسمى سنة الشراقي كما سنبينه في حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا.

ثم في أول سنة ست وسبعين عزل السلطان الأمير آقتمر عبد الغني عن نيابة طرابلس بالأمير منكلي بغا البلدي نائب صفد وولاه نيابة صفد.

قلت: درجة إلى أسفل.

ثم مرض الأمير منجك اليوسفي النائب فنزل السلطان لعيادته، ففرش منجك تحت رجلي فرسه الشقق الحرير، وقدم له عشرة مماليك وعشرة بقج وعدة خيول، فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه. وكان ذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين ذي الحجة. ومات منجك بعد يومين.

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان، تولى مملكة تبريز وبغداد بعد وفاة أبيه.

وفي هذه السنة فتحت سيس – وهي كرسي الأرمن – على يد الأمير اشقتمر الماريديني نائب حلب، بعد أن نازلها مدة ثلاثة شهور حتى فتحها وانقرضت منها دولة الأرمن – ولله الحمد – فدقت البشائر لذلك وفرح الملك الأشرف فرحا عظيما بهذا الفتح العظيم.

وفي هذه السنة – أيضا وهي سنة ست وسبعين المذكورة – وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جمادى الآخرة وتزايد في شعبان، ثم في شهر رمضان حتى صار يموت في كل يوم من الحشرية نحو خمسمائة نفس ومن الطرحى نحو الألف. وأبيع كل فروج بخمسة وأربعين درهما، وكل سفرجلة بخمسين درهما، وكل

رمانة بعشرة دراهم، والعشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار وكل رمانة حلوة بستة عشر درهما، وكل بطيخة صيفية بسبعين درهما.." (١)

"ولما توفي منجك شغرت نيابة السلطنة بديار مصر إلى العشرين من شهر ربيع الأول واستقر فيها الأمير آقتمر الصاحبي الحنبلي.

وفي محرم سنة سبع وسبعين ختن السلطان أولاده وعمل المهم سبعة أيام. وفي العشر الأوسط من صفر هذه السنة ابتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسته التي أنشأها بالصوة تجاه الطبلخاناه السلطانية التي موضعها الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ، وهو كلا شيء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالي وشرع في هدمه.

وفي هذه السنة **تزايد الغلاء بالبلاد** الشامية، حتى جاوز الحد وجعل الغني فقيرا، وأبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين. وفي هذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب: الخفيف،

لا تقيمن بي على حلب الشه ... باء وارحل فأخضر العيش أدهم

كيف لي بالمقام والخبز فيها ... كل رطل بدرهمين ودرهم

وفي سنة ثمان وسبعين عزل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبي الحنبلي عن نيابة السلطنة بالديار المصرية واستقر به أتابك العساكر، وعزل الأمير آقتمر عبد الغني عن نيابة صفد واستقر به أمير مائة ومقدم ألف بالقاهرة.

ثم في العشرين من شهر ربيع الآخر غرقت الحسينية خارج القاهرة وخرب فيها أزيد من ألف بيت. وكان سبب هذا الغرق أن أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقبغا آص استأجر مكانا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بركة ليجتمع فيه السمك وفتح له مجرى من الخليج، فتزايد الماء وغفلوا عنه، فطفح على الحسينية فغرقها. فقبض السلطان بعد ذلك بمدة على محمد بن اقبغا آص وصادره وعزله عن الأستادارية، هذا والسلطان في تأهب سفر الحجاز.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سفر السلطان إخوته وأولاد أعمامه إلى الكرك صحبة الأمير سودون الفخري الشيخوني ليقيم عندهم بالكرك مدة غيبة السلطان في الحجاز. كل ذلك والسلطان متضعف، وحركة الحجاز عمالة، وحواشيه وخواصه ينهونه عن السفر في هذه السنة وهولا يلتفت إلى كلامهم.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٠٧/٣

ثم توجه السلطان إلى سرياقوس على عادته في كل سنة، وعاد وقد نصل عن ضعفه إلى يوم السبت الثاني عشر من شوال خرجت أطلاب الأمراء المتوجهين صحبة السلطان إلى الحجاز.

وفي الأحد ثالث عشره خرج السلطان بتجمل زائد وطلب عظيم إلى الغاية، جر فيه عشرون قطارا من الهجن الخاص بقماش ذهب، وخمسة عشر قطارا بقماش حرير، وقطار واحد بلبس خليفتي، وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام، ومائة فرس ملبسة، وكجاوتان بأغشية زركش وتسع محفات، غشاء خمس منهن زركش، وستة وأربعون زوجا من المحاير، وخزانة عشرون جملا، وقطاران من الجمال محملة خضر مزروعة كالبقل والشمار والنعناع والسلق والكسبرة وغير ذلك. وأما أحمال المطاعم والمشارب والمآكل فلا تدخل تحت حصر كثرة: منها ثلاثون ألف علبة حلاوة في كل علبة خمسة أرطال كلها معمولة من السكر المكرر المصري وطيبت بمائة مثقال مسك، سوى الصندل والعود، هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصكية. وإنما كان هذا للسلطان خاصة نفسه، وأشياء من هذا النموذج كثيرة، ومع هذا كله لم يتغير سعر السكر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه في أبهة عظيمة حتى نزل سرياقوس، فأقام بها يوما. وفي هذا اليوم أخلع السلطان على الشيخ ضياء الدين القرمي الحنفي باستقراره شيخ شيوخ المدرسة التي أنشأها بالصوة وقد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.." (١)

"وتوفي الأمير الكبير سيف الدين ألجاي اليوسفي، أحد مماليك الملك الناصر حسن، غريقا بالنيل بساحل الخرقانية، بعد وقعة كانت بينه وبين الملك الأشرف شعبان، حسب ما ذكرناه أنه انكسر في الآخر. وتوجه إلى الجهة المذكورة واقتحم البحر بفرسه، فغرق في يوم الجمعة تاسع المحرم، ودفن بمدرسته بسويقة العزي خارج القاهرة. وكان من أجل الأمراء شجاعة وكرما وهمة وسؤددا، وقد تقدم ذكره في عدة تراجم من هذا الكتاب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، وهي سنة الشراقي العظيم.

السنة الثانية عشرة من سلطنة الأشرف شعبان

بن حسين على مصر وهي سنة ست وسبعين وسبعمائة.

وفيها كان **ابتداء الغلاء العظيم** بسائر البلاد.

وفيها فتحت سيس على يد نائب حلب الأمير إشقتمر المارديني، وقد تقدم ذكر ذلك كله في أصل الترجمة.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٠٨/٣

وفيها توفي العلامة قاضي القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن العلامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله ابن قاضي القضاة علاء الدين علي بن عثمان بن المارديني الحنفي، الشهير بابن التركماني، قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الجمعة ثالث ذي القعدة عن نحو أربعين سنة، بعد أن باشر ثلاث سنين وأشهرا. وكان سلك في العدل طريقة أبيه وجده. وكان عالما بارعا ذكيا فهما عفيفا. وله نظم ونثر، ومن شعره وقد حصل له رمد: الوافر،

أفر إلى الظلام بكل جهدي ... كأن النور يطلبني بدين

وما للنور من ظل وإني ... أراه حقيقة مطلوب عيني

وقد تقدم ذكر أبيه وجده كل واحد منهما في محله.

وتوفي قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري بفتح الكاف الحنفي بدمشق، بعد أن كف بصره، عن خمس وثمانين سنة. وكان من العلماء الأعلام، ماهرا في مذهبه. أفتى ودرس وأفاد وأتقن روايات القراء السبعة، وناب في الحكم بدمشق مدة من الزمان. ثم استقل بالوظيفة مدة طويلة، ثم تركها لولده متنزها عن ذلك، ولزم العبادة إلى أن مات. وتوفي الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عمار الحارثي الدمشقي الشافعي، الشهير بابن قاضي الزبداني، بدمشق عن سبع وثمانين سنة. وقد انتهت إليه رياسة الفتوى بالشام في زمانه، ودرس بظاهرية دمشق وعادليتها الصغرى، وكتب وصنف.

وتوفي الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي الحنفي، الشهير بابن عبد الحق. درس بدمشق بعدة مدارس، وباشر بها الوظائف الجليلة، وكان معدودا من أعيان أهل دمشق إلى أن مات بها عن بضع وستين سنة.

وتوفي الشيخ الإمام العلامة الأديب المفتن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني المغربي الحنفي، الشهير بابن أبي حجلة، نزيل الديار المصرية بها في يوم الخميس مستهل ذي الحجة عن إحدى وخمسين سنة. ومولده بالمغرب بزاوية جده أبي حجلة عبد الواحد. ثم رحل إلى الشام، ثم استوطن مصر، وولي مشيخة خانقاه منجك اليوسفي إلى أن مات. وكان إماما بارعا فاضلا ناظما ناثرا وله مصنفات كثيرة تبلغ ستين مصنفا، رحمه الله. ومن شعره في مليح له خال على خده: البسيط،

تفرد الخال عن شعر بوجنته ... فليس في الخد غير الخال والخفر

يا حسن ذاك محيا ليس فيه سوى ... خال من المسك في خال من الشعر

وله: السريع،

وعاذل بالغ في عذله ... وقال لما هاج بلبالي

بعارض المحبوب ما تنتهي ... قلت ولا بالسيف والوالي

وله مضمنا، وهو أحسن قوله في المعنى: الكامل،

يا صاح قد حضر الشراب وبغتني ... وحظيت بعد الهجر بالإيناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقني ... واجعل حديثك كله في الكاس." (١)

"وتوفي الصاحب الوزير فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر بالقاهرة، ودفن بالقرافة بتربته بجوار تربة قاضي القضاة شمس الدين الحريري. وكان في مبادئ أمره صاحب ديوان يلبغا العمري، ثم تولى الوزر بعد موته ثلاث مرات، وجمع في بعض الأحيان بين الوزارة ونظر الخاص معا كما كان ابن قروينة من قبله. وكان حسن السيرة، مليح الشكل بشوشا متواضعا، لين الجانب، قليل الأذى، محببا للناس.

وتوفي التاجر ناصر الدين محمد بن مسلم الكارمي المصري في يوم الجمعة ثاني عشر شوال. وقد خلف أموالا كثيرة من المتجر، وعمل الكيميا بحيث إنه لم يكن أحد من أهل عصره أكثر مالا منه.

وتوفي القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان صاحب تبريز وبغداد وما والاهما. وفي موتته غريبة وهي أنه رأى في منامه قبل موته أنه يموت في يوم كذا وكذا، فخلع نفسه من الملك وولى عوضه ولده الكبير الشيخ حسين بن أويس، واعتزل هو عن الملك، وصار يتعبد ويكثر من الصلاة والصدقة والبر إلى الوقت الذي عينه لهم أنه يموت فيه فمات فيه. وكان ملكا حازما عادلا، ذا شهامة وصرامة، قليل الشر كثير الخير، محئبا للفقراء والعلماء. وكان مع هذا فيه شجاعة وكرم. ومات في عنفوان شبيبته، وكان تسلطن بعد أبيه، فمكث في الملك تسعة عشر سنة، وماس بتبريز عن نيف وثلاثين سنة.

وتوفي الأمير الكبير سيف الدين منجك بن عبد الله اليوسفي الناصري، أتابك العساكر ونائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية، بداره من القاهرة بالقرب من سويقة العزي الملاصقة لمدرسة السلطان حسن، بعد عصر يوم الخميس تاسع عشرين شهر ذي الحجة، ودفن صبيحة يوم الجمعة بتربته التي أنشأها عند جامعه وخانقاته، خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل. وكانت جنازته مشهودة. وكان عمره يوم مات بضعا وستين سنة. وقد مر من ذكره ما يستغنى به عن التكرار هنا. وكان ابتداء أمره وظهور اسمه من سلطنة الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهلم جرا إلى يومنا هذا، حتى إنه لم يذكر سلطان

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٩٢٢/٣

بعد موت محمد بن قلاوون، إلا ومنجك هذا له فيه أمر وذكر وواقعة. وقد طالت أيامه في السعادة، على أنه قاسى فيها خطوبا وأهوالا، وأمسك وحبس، ثم أطلق، واختفى مدة ثم ظهر. وقد تكرر ذلك مفصلا في عدة تراجم من سلاطين مصر. وأما ما عمره من المساجد والجوامع والمآثر فقد ذكرنا كله في ترجمته في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي فلينظر هناك.

وتوفي الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله الناصري، حاجب الحجاب بالديار المصرية وأحد أمراء الألوف بها. وكان من أماثل الأمراء وأعيان المماليك الناصرية. ترقى بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد، وولي عدة وظائف أعظمها حجوبية الحجاب.

وتوفي الأمير سيف الدين أيدمر بن عبد الله الناصري الدوادار بالقاهرة عن نيف وستين سنة. وكان أميرا عالي القدر، ظاهر الحشمة، وافر المهابة، حسن السياسة التدبير، يبدأ الناس بالسلام ويكثر منه ذلك، حتى إنه لما ولى نيابة حلب لقبه أهلها بسلام عليكم، وكان أول أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولي نيابة طرابلس، ثم نيابة حلب، ثم عزل وطلب إلى ديار مصر، واستقر بها أمير مائة ومقدم ألف أيضا إلى أن مات، وهو أجل أمراء عصره.

وتوفي الأمير الطواشي سابق الدين مثقال بن عبد الله الحبشي الآنوكي، مقدم المماليك السلطانية وأحط أمراء الطبلخانات. وكان أصله من خدام سيدي آنوك ابن الملك الناصر محمد، وترقى إلى أن ولي تقدمة المماليك السلطانية، وهو الذي ضربه يلبغا العمري داخل القصر ستمائة عصاة ونفاه إلى أسوان وولي مكانه مختار الدمنهوري شاذروان. فلما قتل يلبغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته ووظيفته تقدمة المماليك السلطانية إلى أن مات، وولي التقدمة بعده مختار الدمنهوري شاذروان المقدم ذكره ثانيا. وأظن مثقالا هذا هو صاحب المدرسة السابقية داخل بين القصرين من القاهرة. والله أعلم.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الأشرف شعبان

بن حسين على مصر وهي سنة سبع وسبعين وسبعمائة.

فيها كان الغلاء المفرط بالبلاد الشامية حتى أكل الناس الميتات والكلاب والقطط.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٢٣٠

"والقضاة: الشافعي برهان الدين بن جماعة، والحنفي صدر الدين بن منصور، والمالكي علم الدين البساطي، والحنبلي ناصر الدين العسقلاني. وكاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري، والوزير شمس الدين المقسي، وناظر الجيش المحتسب جمال الدين محمود القيصري العجمي، وناظر الخاص هو ابن المقسي أيضا، ونائب دمشق إشقتمر المارديني، ونائب حلب إينال اليوسفي، ونائب طرابلس كمشبغا الحموي، ونائب حماة طشتمر القاسمي، ونائب صفد الأمير الكبير طشتمر العلائي – نقل إليها من القدس – ونائب غزة آقبغا بن عبد الله، ونائب إسكندرية بلوط الصرغتمشي.

والذين هم معاصروه من ملوك الأقطار: صاحب بغداد وتبريز وما والاهما الشيخ حسين بن أويس، وصاحب ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى، وصاحب اليمن الملك الأشرف ابن الملك الأفضل، وصاحب مكة الشريف أحمد بن عجلان، وصاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور، وصاحب سيواس القاضي برهان الدين أحمد، وصاحب بلاد قرمان الأمير علاء الدين، وصاحب بلاد سمرقند وما والاها تيمورلنك كوركان، وصاحب بلاد الدشت طقتمش خان من ذرية جنجز خان. انتهى.

ولما كان يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر أنعم برقوق على الأمير تغري برمش بتقدمة ألف بديار مصر بعد وفاة أمير علي بن قشتمر المنصوري. ثم أنعم على سودون الشيخوني بتقدمة ألف أيضا واستقر حاجبا ثانيا عوضا عن علي بن قشتمر المنصوري. ثم بعد مدة أستقر تغري برمش المقدم ذكره أمير سلاح بعد وفاة علان الشعباني. ثم استقر مأمور القلمطاوي حاجب الحجاب في نيابة حماة بعد وفاة طشتمر خازندار يلبغا العمري.

ثم طلب يلبغا الناصري من دمشق – وكان منفيا بها على تقدمة ألف – فحضر في آخر شعبان، فتلقاه الأتابك برقوق والأمراء، وترجل له برقوق وأركبه مركوبا من مراكيبه، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة، وأجلس رأس ميسرة فوق أمير سلاح. فلم تطل مدته بديار مصر وأخلع عليه بنيابة حلب في يوم الخميس ثاني شوال بعد عزل إينال اليوسفي وطلبه إلى مصر. فلما وصل إينال إلى غزة قبض عليه وأرسل إلى سجن الكرك.

ثم أنعم الأتابك برقوق على دواداره الأمير يونس النوروزي بتقدمة ألف بمصر عوضا عن يلبغا الناصري، وخلع على الأمير جركس الخليلي الأمير آخور الكبير واستقر مشير الدولة، ورسم للوزير ألا يتكلم في شيء إلا بعد مراجعته.

وفي العشر الأخير من شوال أنعم على قطلوبغا الكوكائي بتقدمة ألف، بعد وفاة الأمير آنص والد الأتابك

برقوق العثماني الذي قدم قبل تاريخه من بلاد الجركس. يأتي ذكر وفاته في الوفيات.

ثم في يوم الاثنين تاسع ذي الحجة من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة تخلى الأمير تغري برمش أمير سلاح عن إمرته ووظيفته وتوجه إلى جامع قوصون ليقيم به بطالا. فأرسل الأتابك إليه الأمير سودون الشيخوني الحاجب الثاني وقردم الحسني رأس نوبة وتوجها إليه وسألاه أن يرجع إلى وظيفته وإمرته فلم يرجع لها، فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك.

ثم إن تغري برمش المذكور ندم من ليلته، وأرسل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية أن يسأل برقوقا أن يعيده إلى إمرته ووظيفته، فأرسل أكمل الدين إلي برقوق بذلك فلم يقبل برقوق ورسم بخروجه إلى القدس ماشيا، فأخرجه النقباء إلى قبة النصر ماشيا، ثم شفع فيه فركب وسار إلى القدس.

ثم في العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليلي الأمير آخور الماء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحوض الذي على بابه. قلت: وإلى الآن الحوض باق على حاله بلا ماء.

ثم في التاريخ المذكور أخرج الأمير جركس الخليلي فلوسا جددا من الفلوس العتق، منها فلس زنته أوقية بربع درهم، وفلس زنته نصف أوقية، وفلس بفلسين. فلما فعل ذلك وقف حال الناس **وحصل الغلاء وقل** الجالب، فلما بلغ الأتابك برقوقا أمر بإبطالها. وفي المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار، رحمه الله تعالى: البسيط،

تغيير عتق فلوس قد أضر فكم ... حوادث جلا جلت من العدد

فكيف تمشي علاقات الأنام إذا ... والحال واقفة بالعتق والجدد

وقالت العامة – لما فعل الخليلي ذلك ورسم بنقش اسمه على الفلوس – : الخليلي من عكسو، نقش اسمو على فلسو. انتهى.." (١)

"ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أويس بالتوجه إلى محل مملكته ببغداد، فخرج من دمشق في يوم الاثنين أول شعبان من سنة ست وتسعين المذكورة، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه؛ وعند وداعه خلع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين متمرا وقلده بسيف مسقط بذهب، وكتب له تقليدا بسلطنة بغداد، وناوله إياه، فأراد أحمد بن أويس أن يقبل الأرض فلم يمكنه السلطان من ذلك، إجلالا له وتعظيما في حقه، وقام له وعانقه وودعه، ثم افترقا وكان ما أنعم به السلطان الملك الظاهر على القان غياث الدين أحمد بن أويس عند سفره خاصة من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٥٦/٣

والمماليك والقماش السكندري وغير ذلك. واستمر ابن أويس بمخيمه خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان، فسافر إلى جهة بغداد، بعد أن أظهر الملك الظاهر من علو همته ومكارمه وإنعامه لابن أويس المذكور ما أدهشه.

قلت: هكذا تكون ا‌لشيم الملوكية، وإظهار الناموس، وبذل الأموال في إقامة الحرمة، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية، حتى تحمل جملة كبيرة من الديون؛ فإنه من يوم حبس بالكرك وملك الناصري ومنطاش ديار مصر فرقا جميع ما كان في الخزائن السلطانية، وحضر الملك الظاهر من الكرك فلم يجد في الخزائن ما قل ولا كثر، وصار مهما حصله أنفقه في التجاريد والكلف، فلله دره من ملك! على أنه كان غير مشكور في قومه.

حدثني غير واحد من حواشي الأسياد أولاد السلاطين، قالوا: "كنا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك هذه الكعب الشؤم نشفت القلعة من الرزق وخربت الدنيا " . هذا وكان الذي يصرف يوم ذلك على نزول السلطان إلى سرحة سرياقوس بكلفة ملوك زماننا هذا من أول السنة إلى آخرها! فلعمري، هل الأرزاق قلت الأشرفي، والأمير تمرباي الأشرفي، وقطلوشاه المارديني، وحبس الجميع بقلعة حلب. وانفض الموكب، والوالد واقف لم يتوجه، فـقال له السلطان: لم لا تتوجه فقال: يا مولانا السلطان أستحي أنزل من الناس. يمسك أخي دمرداش نائب طرابلس وأتوق أنا نيابة حلب؛ وما يقبل السلطان شفاعتي فيه، فقال له السلطان: قبلت شفاعتك فيه؛ غير أنه يمكث في السجن أياما، ثم أفرج عنه لأجلك، لئلا يقال: يمسك السلطان نائب طرابلس ويطلقه من يومه! فيصير ذلك وهنا في المملكة، فقال الوالد رحمه الله: السلطان يتصرف في مماليكه كيف يشاء، ما علينا من قول القائل ثم قبل الأرض ويد السلطان، فتبسم السلطان، وأمر بإطلاق دمرداش وحضوره؛ فحضر من وقته، فخلع عليه بأتابكية حلب عوضا عن آقبغا الجمالي المستقر في نيابة صفد، ثم قال له السلطان: خذ أخاك وانزل، فكانت هذه الواقعة أول عظمة نالت الوالد من أستاذه الملك الظاهر برقوق انتهى هذا الخبر. والأخبار ترد على السلطان شيئا بعد شيء من بلاد الشمال بعود تيمورلنك إلى بلاده والسلطان لا يصدق ذلك، ويتقدم عـلى لقاء تيمورلنك، فلم يجسر تيمور على القدوم إلى البلاد الشامية مخافة من الملك الظاهر برقوق، وتوجه إلى بلاده فلما تحقق السلطان عوده تأسف على عدم لقائه.

وخرج السلطان، من حلب بعساكره في سابع محرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة يريد دمشق، فوصلها ولم يقم بها إلا أياما قليلة لطول إقامته بها في ذهابه وخرج منها بعساكره في سابع عشر المحرم المذكور، يريد

الديار المصرية، بعد أن خلع على الأمير بتخاص السودوني حاجب حجاب الديار المصرية باستقراره في نيابة الكرك، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علي، ونقل الشهابي المذكور إلى حجوبية دمشق الكبرى، عوضا عن الأمير تمربغا المنجكي بحكم قدوم تمربغا المنجكي إلى مصر صحبة السلطان.
وسار السلطان إلى أن وصل مدينة قطيا، فأمسك مملوكه الأمير جلبان الكمشبغاوي قراسقل المعزول عن نيابة حلب وبعثه من قطيا في البحر إلى ثغر دمياط.
وسار السلطان من قطيا حتى وصل إلى ديار مصر في ثامن عشر صفر؛ وطلع إلى القلعة من يومه، بعد أن احتفل الناس لطلوعه، وزينت القاهرة أياما، غير **أن الغلاء كان** حصل قبل قدوم السلطان، فتزايد بعد حضوره لكثرة العساكر.." (١)

"ومن يومئذ صفا الوقت للملك الظاهر، وصارت مماليكه نواب البلاد الشامية من أبواب الروم إلى مصر وأخذ السلطان يكثر من الركوب والتوجه إلى الصيد، وعمل له الأمير تمربغا المنجكي شرابا من زبيب، يسمى التمربغاوي، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، ولم يكن يعرف منه السكر قبل ذلك.
ثم أنعم السلطان على الأمير فارس من قطلوجا الظاهري الأعرج بإمرة مائة وتقدمة ألف وولاه حجوبية الحجاب عوضا عن بتخاص السودوني المستقر في نيابة الكرك، وأنعم على الأمير نوروز الحافظي الظاهري بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عن الوالد، وهو الإقطاع الذي كان أنعم به السلطان على جلبان نائب حلب.
ثم أنعم السلطان على الأمير أرغون شاه البيدمري بإمرة مائة وتقدمة ألف.
وأنعم السلطان أيضا على كل من تمربغا المنجكي، وصلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وصرغتمش المحمدي الظاهري بإمرة طبلخاناه وأنعم أيضا على كل من مقبل الرومي، وآقباي من حسين شاه الظاهري، وآق بلاط الأحمدي، ومنكلي بغا الناصري بإمرة عشرة.
ثم بعد أشهر خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظي الظاهري باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن الوالد بحكم انتقاله إلى نيابة حلب، وكانت شاغرة من تلك الأيام.
ثم قبض السلطان على الأمير محمود بن علي الأستادار المعروف بابن أصفر – عينه في صفر سنة ثمان وتسعين – وعلى ولده وعلى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب.
وخلع السلطان على قطلوبك العلائي أستادار الأمير أيتمش باستقراره في الأستادارية، عوضا عن محمود

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٤٢/٣

المذكور، وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرين، واستمر محمود على إمرته وهو مريض محتفظ به. وخلع السلطان أيضا على سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود باستقراره ناظر ديوان المفرد وهذا أول ظهور ابن غراب في الدولة الظاهرية. واستمال السلطان ابن غراب، فأخذ يدل على ذخائر أستاذه محمود، ومحمود في المصادرة، إلى أن أظهر شيئا كثيرا من المال.

ثم أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بإمرة طبلخاناه وهم: طولو من علي باشاه الظاهري، ويلبغا الناصري الظاهري، وشافي خجا الظاهري العثماني، وقينار العلائي وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة وهم: طيبغا الحلبي الظاهري، وسودون من علي باشاه الظاهري المعروف بسودون طاز، وشقوب شاه الخازندار الظاهري، ويشبك الشعباني الخازندار، وتمان تمر الإشقتمري رأس نوبة الجمدارية.

ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحاجب باستقراره في نظر الشيخونية، وخلع على الأمير تمربغا المنجكي حاجبا ثانيا بتقدمة ألف.

وفي هذه الأيام **عظم الغلاء وفقد** الخبز من الدكاكين.

وفي آخر ذي العقدة استقر سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود في وظيفة نظر الخاص بعد القبض على سعد الدين بن أبي الفرج بن تاج الدين موسى.

ثم رسم السلطان بإحضار الأمير محمود فحمل إلى بين يدي السلطان، وهو في ألم عظيم من العصر والضرب والعقوبة، فانتصب إليه كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب في محاققته والفحش له في الكلام، حتى امتلأ السلطان غضبا على محمود وأمر بعقوبته حتى يموت من عظم ما أغراه سعد الدين المذكور به.

ثم ورد الخبر بقدوم الأمير تنم الحسني نائب الشام، وكان خرج بطلبه الأمير سودون طاز؛ وقدم من الغد في يوم الاثنين ثالث صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة، بعد أن خرج السلطان إلى لقائه بالريدانية، وجلس له على مطعم الطير، وبعث الأمراء والقضاة إليه فسلموا عليه، ثم أتوا به، فقبل الأرض، فخلع عليه خلعة باستمراره على نيابة دمشق ثم قدم من الغد تقدمته، وكانت تقدمة جليلة، وهي عشرة كواهي، وعشرة مماليك صغار في غاية الحسن، وعشرة آلاف دينار، وثلاثمائة ألف درهم فضة، ومصحف عليه قراءات، وسيف مسقط ذهب مرضع، وعصابته منسبكة من ذهب مرضع، بجوهر نفيس وبدلة فرس من ذهب، فيها أربعمائة مثقال ذهب، وكان أجرة صائغها ثلاثة آلاف درهم فضة، ومائة وخمسين بقجة فيها أنواع الفرو، ومائة وخمسين فرسا، وخمسين جملا، وخمسة وعشرين حملا من نصافي ونحوه، وثلاثين حملا فاكهة وحلوى،

فخلع السلطان على أرباب الوظائف.

ثم نزل السلطان بعد أيام إلى بر الجيزة، ومعه الأمير تنم وغيره، وتصيد بئر الجيزة، ثم عاد.." [١]

"وكان كثير الصدقات والمعروف، أوقف ناحية بهتيت على سحابة تسير مع الحاج إلى مكة في كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج وتصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أيضا أرضا على قبور إخوة يوسف عليه السلام بالقرافة. وكان يذبح دائما في طول أيام إمارته وسلطنته في كل يوم من أيام شهر رمضان خمسا وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد أن تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقي، تفرق على أهل الجوامع والمساجد والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ، وثلاثة أرغفة، وهذا غير ما كان يفرق في الزوايا من اللحم أيضا؛ فإنه كان يعطي لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن، وعدة أرغفة في كل يوم، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم. وكان يفرق في كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتي ألف درهم، الواحد إلى مائة دينار. وكان يفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينار إلى أكثر وأقل، ويفرق في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير وأرباب الصلاح. وكان يبعث في كل سنة إلى بلاد الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحا، تفرق في الحرمين وفرق في **مدة الغلاء كل** يوم أربعين إردبا، عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد من الجوع.

وكان غير هذا كفه، يبعث في كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقهاء والفقراء، حتى إنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد خازنداره العبد الصالح الطواشي صندل المنجكي الرومي.

وأبطل عدة مكوس: منها ما كان يؤخذ من أهل شورى وبلطيم من البرلس، وكانت شبه الجالية في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم. قلت: أعيد ذلك في سلطنة الملك الظاهر جقمق.

وأبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط عما تبتاعه الفقراء وغيرهم.

وأبطل مكس معمل الفراريج بالنحريرية وما معها من بلاد الغربية، وأبطل مكس الملح بعينتاب، ومكس الدقيق بالبيرة، وأبطل من طرابلس ما كان مقررا على قضاة البر ولاة الأعمال عند قدوم النائب إليها، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كل منهم، أو بغلة بدل ذلك.

وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة.

وأبطل ضمان المغاني بمدينة الكرك والشوبك، وبمنية ابن خصيب، وأعمال الأشمونين وزفتة ومنية غمر.

وأبطل رمي الأبقار، بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر، على البطالين بالوجه البحري.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/٣٤٣

وأنشأ بالقاهرة مدرسته التي لم يعمر مثلها بين القصرين، ورتب لها صوفية بعد العصر كل يوم، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة، أعظمهم بالإيوان القبلي الحنفي، ثم درسا للتفسير، ودرسا للحديث، ودرسا للقراءات، وأجرى على الجميع في كل يوم الخبز ولحم الضأن المطبوخ، وفي الشهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضي والحور ونحوها.
وعمر جسرا على نهر الأرون بالغور في طريق دمشق، طوله مائة وعشرون ذراعا في عرض عشرين ذراعا. وجمد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، وسور دمنهور، وعمر جبال الشرقية بالفيوم وكانت منذ عشرين سنة خرابا، وزاوية البرزخ بدمياط، وقناة العروب بالقدس، وبنى أيضا بركة بطريق الحجاز، وبركة أخرى برأس وادي بني سالم بطريق الحجاز،، وجدد عمارة القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، وجدد عمارة الميدان من تحت القلعة، بعد ما كان خرب، وسقاه وزرع به القرط، وغرس فيه النخل. وعمر صهريجا ومكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين القرآن الكريم بقلعة الجبل، وجعل عليه وقفا. وعمر أيضا بالقلعة طاحونا. وعمر أيضا سبيلا تجاه باب دار الضيافة تجاه القلعة.
وخطب له على منابر تبريز، عندما أخذها قرا محمد التركماني، وضربت الدنانير والدراهم فيها باسمه. وخطب له على منابر الموصل من العراق، وعلى منابر ماردين بديار بكر، ومنابر سنجار. وخرب عساكره مدينة دوركي وأرزنكان من أرض الروم.
وكان نائبه بالديار المصرية الأمير سودون الفخري الشيخوني إلى أن مات سودون المذكور، فلم يستنب الملك الظاهر أحدا بعده.." (١)

"ثم في ثامن عشر شوال خلع السلطان على الأمير بكتمر الركني أمير سلاح باستقراره رأس نوبة الأمراء عوضا عن نوروز الحافظي، واستقر الأمير تمراز الناصري أمير مجلس عوضه أمير سلاح، واستقر سودون المارداني رأس نوبة النوب أمير مجلس عوضا عن تمراز، واستقر سودون الحمزاوي رأس نوبة النوب عوضا عن سودون المارداني، وأخلع السلطان على الأمير طوخ باستقراره خازندارا عوضا عن سودون الحمزاوي.
ثم في خامس عشرين ذي القعدة أفرج عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين ماجد، وكان السلطان قبض عليهما من شهر رمضان، وولى وظائفهما جماعة، واستمرا في المصادرة إلى يومنا هذا. وكان الإفراج عنهما بعد ما التزم سعد الدين بن غراب بحمل ألف ألف درهم فضة، وفخر الدين بثلاثمائة ألف درهم، ونقلا إلى السالمي ليستخرج الأموال منهما ثم يقتلهما.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٥٦/٣

وكان ابن قايماز أهانهما وضرب فخر الدين وأهانه، فلم يعاملهما السالمي بمكروه ولم ينتقم منهما، وخاف سوء العاقبة، فعاملهما من الإحسان والإكرام بما لم يكن يبال أحد. وما زال يسعى في أمرهما حتى نقلا من عنده لبيت شاد الدواوين ناصر الدين محمد بن جلبان الحاجب، وهذا بخلاف ما كانا فعلا مع السالمي، فكان هو المحسن وهم المسيئون.

ثم خلع السلطان على يلبغا السالمي بآستقراره أستادارا، وعزل ابن قايماز؛ وهذه ولاية يلبغا السالمي الثانية.

ثم في سابع ذي الحجة من سنة خمس وثمانمائة أخرج السلطان الأمير أسنبغا المصارع، والأمير نكباي الأزدمري، وهما من أمراء الطبلخاناه بمصر، إلى دمشق، وإينال المظفري وآخر، وهما من الأمراء العشرات، ورسم للأربعة بإقطاعات هناك، لأمر اقتضى ذلك، فساروا من القاهرة.

فلما كان يوم تاسع عشرين الحجة أغلق المماليك السلطانية باب القصر من قلعة الجبل على من حضر من الأمراء، وعوقوهم بسبب تأخر جوامكهم، فنزل الأمراء من باب السر، ولم يقع كبير أمر. وأمر السلطان ليلبغا السالمي أن ينفق عليهم فنفق عليهم.

ثم في يوم الثلاثاء رابع المحرم من سنة ست وثمانمائة عزل يلبغا السالمي عن الأستادارية، وأعيد إليها ركن الدين عمر بن قايماز، وقبض على السالمي وسلم إليه.

ثم في ثامنه خلع السلطان على الصاحب علم الدين يحيى أبي كم وآستقر في الوزارة ونظر الخاص معا عوضا عن تاج الدين بن البقري، واستقر ابن البقري على ما بيده من وظيفتي نظر الجيش ونظر ديوان المفرد، فلم يباشر أبو كم الوزر غير ثمانية أيام وهرب واختفى، فأعيد تاج الدين بن البقري إليها. هذا والسالمي في المصادرة.

وفي هذه السنة كان الشراقي العظيم بمصر، **وعقبه الغلاء المفرط** ثم الوباء، وهذه السنة هي أول سنين الحوادث والمحن التي خرب فيها معظم الديار المصرية وأعمالها، من الشراقي، واختلاف الكلمة، وتغيير الولاة بالأعمال وغيرها. ثم في شهر ربيع الأول كتب بإحضار دقماق نائب حلب. وفيه اختفى الوزير تاج الدين بن البقري، فخلع على سعد الدين بن غراب وآستقر في وظيقتي الأستادارية ونظر الجيش. وصرف ابن قايماز، وخلع على تاج الدين رزق الله وأعيد إلى الوزارة.

وفي خامس صفر كتب باستقرار الأمير آقبغا الجمالي الأطروش في نيابة حلب عوضا عن دقماق، فلما بلغ دقماق أنه طلب إلى مصر هرب من حلب.

ثم قدم الخبر على السلطان بأن قرايوسف بن قرامحمد قدم إلى دمشق، فأنزله الأمير شيخ المحمودي بدار

السعادة وأكرمه.
وكان من خبر قرايوسف أنه حارب السلطان غياث الدين أحمد بن أويس وأخذ منه بغداد. فلما بلغ تيمور ذلك بعث إليه عسكرا، فكسرهم قرايوسف. فجهز إليه تيمور جيشا ثانيا فهزموه، ففر بأهله وخاصته إلى الرحبة، فلم يمكن منها ونهبته العرب، فسار إلى دمشق، فوافى بها السلطان أحمد بن أويس وقد قدمها أيضا قبل تاريخه. وأخبر الرسول أيضا أن قاني باي العلائي هرب من سجن الصبيبة، فتأخر نوروز بالسجن ولم يعرف أين ذهب.
ثم في يوم الثلاثاء خلع السلطان على بدر الدين حسن بن نصر الله الفوي وآستقر في نظر الخاص عوضا عن ابن البقري، وهذه أول ولاية الصاحب بدر الدين ابن نصر الله للوظائف الجليلة.
ثم في عاشره اختفى الوزير تاج الدين، وفي ثالث عشره أعيد آبنالبقري للوزر على عادته ونظر الخاص، وصرف آبن نصر الله، هذا والموت فاش بين الناس وأكثر من كان يموت الفقراء من الجوع.." (١)

"وكان الناصر أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات، وطرق الطاغية تيمور بلاد الشام في سنة ثلاث وثمانمائة، وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق، حتى صارت دمشق كوما ليس بها دار. وقتل من أهل الشام مالا يحصى عدده... وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته جهدهم في ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعهم لها بالسعر الكثير. ثم زيادة أطيان أراضي مصر حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأرض. وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب، والمعاملة بالدنانير المشخصة التي هي ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين درهما، كل مثقال، بعد ما كان بعشرين درهما، ومكسوا كل شيء. وأهمل عمل الجسور بأراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بالأموال التي تجبى منهم. وأكثر وزراؤه من رمي البضائع على التجار ونحوهم بأغلى الأثمان، وكل ذلك من سعد الدين بن غراب، وجمال الدين يوسف الأستادار وغيرهما، فكانا يأخذان الحق والباطل ويأتيان له به لئلا يعزلهم من وظائفهم. ثم ماتوا، فتم هو على ذلك يطلب المال من المباشرين فيسدون بالظلم، فخربت البلاد لذلك، وفشا أخذ أموال الناس. هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية،فما من سفرة سافر إليها إلا وينفق فيها أموالا عظيمة، زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر ومهجهم. ثم يتقدم إلى الشام فيخرب الديار ويستأصل الأموال ويدمر القرى. ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤١٨/٣

أعظم ما كانت، فخربت الإسكندرية، وبلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية، والجيزية، وتدمرت بلاد الفيوم، وعم الخراب بلاد الصعيد، بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطبة كانت تقام في يوم الجمعة، ودثر ثغر أسوان، وكان من أعظم ثغور المسلمين، وخرب من القاهرة وأملاكها وظواهرها زيادة عن نصفها. ومات من أهل مصر **في الغلاء والوباء** نحو ثلثي الناس. وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع مجاهرته بالفسوق، من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله جلت قدرته.

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل يلبغا الناصري بعساكر الشام لينزع أباه الملك الظاهر برقوق من الملك – وهو في غاية الاضطراب من ذلك – فعندما بشر به قيل له: ما تسميه؟،... قال: بلغاق، – يعني فتنة – وهي كلمة تركية. فقبض على أبيه الملك الظاهر وسجن بالكرك – كما تقدم ذكره أو هو لم يسم فلما عاد برقوق، إلى الملك عرض عليه فسماه فرجا، ولم يسمه أحد لذلك اليوم إلا بلغاق، وهو في الحقيقة ما كان إلا فتنة، أقامه الله – سبحانه وتعالى – نقمة على الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا.

ومن عجيب الاتفاق أن حروف اسمه " ف رج " عددها ثلاثة وثمانون ومائتان وهي عدد جركس وكان فناء طائفة الجركس على يديه. فإن حروفها تفنى إذا أسقطت بحروف اسمه.

قلت: كيف كان فناء الجركس على يديه، وهم إلى الآن ملوك زماننا وسلاطينها؟!. فهذا هو الخباط بعينه!. وإن كان يعني الذين قتلهم، فهو قتل من كل طائفة – انتهى.

قال: وكانت وفاته عن أربع وعشرين سنة وثمانية أشهر وأيام. وكل هذه الأمور من سوء تدبير مماليك أبيه معه والفتنة في بعضهم البعض، وهم الذين جسروه على المظالم، وعلى قتل بعضهم، فاستمر على الظلم والقتل إلى أن كان من أمره ما كان – انتهى كلام المقريزي بتمامه وكماله.

قلت: وكان يمكنني أن أجيب عن كل ما ذكره المقريزي – غير إسرافه على نفسه – غير أني أضربت عن ذلك خشية الإطالة والملل. على أني موافقه على أن الزمان يصلح ويفسد بسلطانه وأرباب دولته، ولكن البلاء قديم، حديث – انتهى.

وخلف الملك الناصر عشرة أولاد – فيما أظن – ثلاثة ذكور وسبع إناث. فالذكور: فرج، ومحمد، وخليل، والإناث: ستيته التي زوجها لبكتمر جلق، وعائشة، وآسية، وزينب، وشقراء، وهاجر، ورحب، والجميع أمهاتهم أم أولاد مولدات، ما عدا عائشة وشقراء – والله أعلم.

السنة الأولى من سلطنة الناصر فرج الثانية

وهي سنة ثمان وثمانمائة. على أن أخاه الملك المنصور عبد العزيز حكم منها سبعين يوما.." (١)

"وتوجه برسباي المذكور إلى نيابة طرابلس، ومعه سودون الأسندمري، وقد استقر أتابك طرابلس. وأقام بطرابلس مدة إلى أن واقع التركمان الإينالية والبياضية والأوشرية على صافيتا من عمل طرابلس، وكانوا حضروا إلى الناحية المذكورة جافلين من قرا يوسف، وأفسدوا بالبلاد، فنهاهم الأمير برسباي المذكور فلم ينتهوا، فركب عليهم وقاتلهم في يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان من سنة إحدى وعشرين المذكورة، فقتل بينهم خلق كبير، منهم: الأمير سودون الأسندمري أتابك طرابلس، وانهزم باقيهم عراة، فغضب الملك المؤيد، ورسم بعزله عن نيابة طرإبلس واعتقاله بقلعة المرقب، وولى سودون القاضي نيابة طرابلس عوضه. فدام برسباي، في سجن المرقب مدة إلى أن كتب الملك المؤيد بالإفراج عنه في العشرين من المحرم سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، كل ذلك بسعي الأمير ططر في أمره، فاستمر بدمشق إلى أن مات الملك المؤيد. وخرج جقمق عن طاعة ططر، وقبض على برسباي المذكور، وسجنه بقلعة دمشق إلى أن أطلقه الأتابك ألطنبغا القرمشي. وخرج إلى ملاقاة الأمير ططر لما قدم دمشق، وانضم عليه إلى أن خلع عليه ططر باستقراره دوادارا كبيرا بعد الأمير على باي المؤيدي، فلم تطل أيامه في الدوادارية. ومات ططر بعد أن جعله لالا لولده الملك الصالح محمد، وجعل جاني بك الصوفي الآتابك مدبر مملكة ولده الصالح المذكور، ووقع ما حكيناه في ترجمة الملك الصالح من واقعته مع جاني بك الصوفي، ثم مع طرباي، ثم من خلعه الملك الصالح وسلطنته.

ولما تم أمر الملك الأشرف برسباي هذا في السلطنة، وأصبح يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر خلع على الأمير بيبغا المظفري أمير سلاح باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأمير طرباي، وكانت شاغرة من يوم أمسك طرباي، وخلع على الأمير قجق العيساوي أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضا عن بيبغا المظفري، وخلع على الأمير آقبغا التمرازي باستقراره أمير مجلس عوضا عن الأمير قجق.

وأول ما بدأ به الأشرف في سلطنته أنه منع الناس كافة من تقبيل الأرض بين يديه، فامتنعوا من ذلك. وكانت هذه العادة، أعني عن تقبيل الأرض، جرت بالديار المصرية من أيام المعز معد أول خلفاء بني عبيد بمصر المقدم ذكره في هذا الكتاب، وبقيت إلى يوم تاريخه، وكان لا يعفي أحدا عن تقبيل الأرض، والكل يقبل الأرض: الوزير والأمير والمملوك وصاحب القلم ورسل ملوك الأقطار، إلا قضاة الشرع وأهل العلم وأشراف

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٦/٣

الحجاز، حتى لو ورد مرسوم السلطان على ملك من نواب السلطان قام على قدميه وخر إلى الأرض وقبلها قبل أن يقرأ المرسوم، فأبطل الملك الأشرف ذلك وجعل بدله تقبيل اليد. فمشى ذلك أياما بطل، وعاد تقبيل الأرض لكن بطريق أحسن من الأولى فإن الأولى كان الشخص يخر إلى الأرض حتى يقبلها كالساجد، والآن صار الرجل ينحني كالراكع ويضع أطراف أصابع يده على الأرض كالمقبل، ثم يقوم ولا يقبل الأرض بفمه أبدا بل ولا يصل بوجهه إلى قريب الأرض، فهذا على كل حال أحسن مما كان أولا بلا مدافعة، فعد ذلك من حسنات الملك الأشرف برسباي.

ثم في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور خلع السلطان الملك الأشرف على الأمير تنبك العلائي ميق نائب الشام خلعة السفر، وتوجه إلى محل كفالته.

ومن خرق العادات أيضا في سلطنة الملك الأشرف أنه لما تسلطن لم ينفق على المماليك السلطانية، وأعجب من ذلك أنه ما طولب بها، وهذا أغرب وأعجب.

ثم رسم السلطان الملك الأشرف، في يوم الخميس ثامن جمادى الأولى، ونودي بذلك في القاهرة، بأن لا يستخدم أحد من اليهود ولا من النصارى في ديوان من دواوين السلطان والأمراء، وصمم الأشرف على ذلك، فلم يسلم من بعض عظماء الأقباط من مباشري الدولة، ولم يتم ذلك.

ثم قدم الخبر على السلطان بكثرة الوباء ببلاد حلب وحماة وحمص في عشر جمادى الآخرة.

ورسم السلطان فنودي بسفر الناس إلى مكة في شهر رجب، فكثرت المسرات بذلك لبعد العهد بسفر الرجبية.

ثم جلس السلطان للحكم بين الناس كما كان الملك المؤيد ومن قبله، وصار يحكم في يومي السبت والثلاثاء بالمقعد من الإسطبل السلطاني. ثم كتب السلطان إلى الأمير تنبك البجاسي نائب حلب أن يتوجه إلى بهسنا لحصار تغري بردي المؤيدي المعزول عن نيابة حلب.." (١)

"ثم في يوم الاثنين ثاني ذي القعدة ركب السلطان من قلعة الجبل إلى مطعم الطيور بالريدانية خارج القاهرة ولبس به قماش الصوف برسم الشتاء على عادة الملوك. ثم عاد إلى القاهرة من باب النصر، ورأى عمارته بالركن المخلق، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، ونثر عليه الدنانير والدراهم وهذه أول ركبة ركبها من يوم تسلطن.

ثم في يوم الخميس خامس ذي القعدة عزل السلطان أيتمش الخضري عن الأستادارية وأعيد إليها أرغون

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠٤/٤

شاه النوروزي ولم تشكر سيرة أيتمش لشدة ظلمه، مع عجزه عن القيام بالكلف السلطانية.
ثم في يوم الخميس رابع ذي الحجة اختفى الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ فخلع السلطان على أرغون شاه الأستادار وأضيف إليه الوزر في يوم الاثنين ثامن ذي الحجة.
ثم خلع السلطان على القاضي علم الدين صالح ابن الشيخ سراج الدين عمر البلقيني باستقراره قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن ولي الدين أبو زرعة العراقي بحكم عزله.
ثم في المحرم أنعم السطان على مملوكه جانبك الخازندار بإمرة طبلخاناه من جملة إقطاع الأمير فارس المعزول عن نيابة الإسكندرية بعد موته.
ثم رسم السلطان بطلب الأمير إينال النوروزي نائب طرابس، فحضر إلى القاهرة في يوم الاثنين سادس عشرين صفر من سنة ست وعشرين وثمانمائة، وطلع إلى القلعة فأكرمه السلطان.
وخلع على الأمير قصروه من تمراز الأمير آخور الكبير باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن إينال النوروزي المقدم ذكره، وأنعم على الأمير إينال المذكور بإقطاع الأمير قصروه، وإينال المذكور هو صهري زوج كريمتي.
وأخذ الأمير قصروه في إصلاح شأنه إلى أن خلع السلطان عليه خلعة السفر في يوم ثاني عشر صفر، وخرج من يومه، ولم يستقر أحد في الأمير آخورية الكبرى.
ثم في يوم الثلاثاء خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة ظهر في السماء صفرة من عند غروب الشمس كست الجو والجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فما بقي أحد إلا واشتد فزعه، ولهجت العامة بأن القيامة تقوم.
فلما كان بعد ساعة وهو وقت الغروب أخذ الظلام ينجلي قليلا قليلا ويعقبه ريح عاصف حتى كادت المباني تتساقط منه. وتمادى ذلك طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمرا مهولا مزعجا من شدة هبوب الرياح والظلمة التي كانت في النهار. وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحري وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير والصلاح في منامه كأن قائلا يقول له: لولا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس، ولكنه شفع فيهم فحصل اللطف. قلت: لم أر قبلها مثلها ولا بعدها مثلها. وكان هذا اليوم من الأيام المهولة التي لم يدركها أحد من الطاعنين في السن انتهى.
ثم في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر ركب السلطان من قلعة الجبل وعدى النيل إلى بر الجيزة، وأقام

بناحية وسيم، حيث مربط الخيول على الربيع، بأمرائه ومماليكه يتنزه، وأقام به سبعة أيام والخدمة تعمل هناك إلى أن عاد في تاسعه، وأقام بالقلعة إلى يوم الخميس سادس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور فوصل فيه الأمير تنبك البجاسي نائب حلب إلى القاهرة وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض بين يديه على ما قرره الملك الأشرف في أول سلطنته، ثم خلع السلطان عليه خلعة الاستمرار وأنزله بمكان ورتب له ما يليق به. وأقام تنبك إلى يوم الخميس ثالث جمادى الأولى، وخلع السلطان عليه خلعة السفر، وخرج من يومه إلى محل كفالته بحلب.

ثم في يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى المذكورة خلع السلطان على الأمير جقمق العلائي حاجب الحجاب باستقراره أمير آخور كبيرا عوضا عن قصروه المنتقل إلى نيابة طرابلس، وكانت شاغرة من يوم ولي قصروه نيابة طرابلس إلى يومنا هذا.

ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة **بعظم الوباء بدمشق**، وأنه وصل إلى غزة.." (١)

"ثم في يوم الخميس سادس عشرين صفر خلع السلطان على قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني وأعيد إلى قضاء الشافعية بعد عزل الحافظ شهاب الدين بن حجر. وخلع أيضا على القاضي زين الدين عبد الرحمن التفهني وأعيد أيضا إلى قضاء الحنفية بعد عزل قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني. واستقر القاضي صدر الدين أحمد بن العجمي في مشيخة خانقاه شيخون عوضا عن التفهني، وخلع عليه في يوم الاثنين أول شهر ربيع الأول.

ثم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول المذكور خلع السلطان على القاضي سعد الدين إبراهيم ابن القاضي كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جكم باستقراره ناظر الخواص الشريفة بعد موت والده.

ثم في يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر خلع السلطان على قاضي القضاة بدر الدين محمود العييي المقدم ذكره باستقراره في حسبة القاهرة عوضا عن الأمير إينال الششماني، مضافا لما معه من نظر الأحباس.

ثم في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر المذكور خلع السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار المعروف بابن الأقطع، وقد صار قبل تاريخه زردكاشا، باستقراره في نيابة الإسكندرية عوضا عن آقبغا التمرازي بحكم عزله وقدومه إلى القاهرة على إمرته، فإنه كان ولي نيابه إسكندرية على إقطاعه: تقدمة ألف بالديار المصرية.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠٦/٤

ثم في خامس عشرينه خلع السلطان على آقبغا الجمالي الكاشف باستقراره أستادارا بعد عزل الزيني عبد القادر بن أبي الفرج، على أن آقبغا يحمل مائة ألف دينار بعد تكفية الديوان، فكذب وتخومل وعزل بعد مدة يسيرة حسبما نذكر وكان أصل آقبغا هذا من الأوباش من مماليك الأمير كمشبغا الجمالي أحد أمراء الطبلخانات، وصار يتردد إلى إقطاع أستاذه كمشبغا المذكور، ثم خدم بلاصيا عند الكشاف، ثم ترقى حتى ولي الكشف في دولة الملك الأشرف هذا، وأثرى وكثر ماله، فحسن له شيطانه أن يكون أستادارا، وأخذ يسعى في ذلك سنين إلى أن سمح له الملك الأشرف بذلك، وتولى الأستادارية، وأستاذه الأمير كمشبغا الجمالي في قيد الحياة من جملة أمراء الطبلخانات، فلم تحسن سيرته وعزل بعد مدة.

وفي هذا الشهر وقع الطاعون بإقليم البحيرة والغربية بحيث إنه أحصي من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. وكان الطاعون أيضا قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق من شعبان في السنة الخالية، واستمر إلى هذا الوقت، وعد ذلك من النوادر لأن الوقت كان شتاء، ولم يعهد وقوع الطاعون في فصل الربيع. ويعلل الحكماء ذلك بأنه سيلان الأخلاط في فصل الربيع وجمودها في الشتاء، فوقع في هذه السنة بخلاف ذلك. وكان قدم الخبر بوقوع الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدة من يموت بها في يوم على ألف وخمسمائة إنسان. ثم بدأ الطاعون بالديار المصرية في أوائل ربيع الأخر.

قلت: وهذا الطاعون هو الفناء العظيم الذي حصل بالديار المصرية وأعمالها في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة.

ثم في يوم الخميس أول جمادى الأولى نودي بالقاهرة بصيام ثلاثة أيام وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم، وأن يخرجوا من المظالم، ثم إنهم يخرجون في يوم الأحد رابع جمادى الأولى المذكور إلى الصحراء. فلما كان يوم الأحد رابعه خرج قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني في جمع موفور إلى الصحراء خارج القاهرة، وجلس بجانب تربة الملك الظاهر برقوق، ووعظ الناس، فكثر ضجيج الناس وبكاؤهم في دعائهم وتضرعهم، ثم انفضوا. فتزايدت عدة الأموات في هذا اليوم عما كانت في أمسه.

ثم في ثامن جمادى الأول هذا قدم كتاب إسكندر بن قرا يوسف صاحب تبريز أنه قدم إلى بلاده، وقصده أن يمشي بعد انقضاء الشتاء لمحاربة قرايلك، فلم يلتفت السلطان إلى كتابه لشغله بموت مماليكه وغيرهم بالطاعون.

ثم ورد كتاب قرايلك أيضا على السلطان يسأل فيه العفو عن ولده هابيل وإطلاقه، فلم يسمح له السلطان بذلك.

ثم **عظم الوباء في** هذا الشهر، وأخذ يتزايد في كل يوم. ثم ورد الخبر أيضا أنه ضبط من مات من النحريرية

بالوجه البحري إلى يوم تاريخه تسعة آلاف سوى من لم يعرف وهم كثير جدا، وأنه بلغ عدة الأموات في الإسكندرية في كل يوم نحو المائة، وأنه **شمل الوباء غالب** الأقاليم بالوجه البحري.." (١)

"ثم وجد في هذا الشهر بنيل مصر والبرك كثير من السمك والتماسيح قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت سمكة تسمى بنية كبيرة، فإذا هي كأنما صبغت بدم من شدة ما بها من الاحمرار. ثم وجد في البرية مابين السويس والقاهرة عدة كبيرة من الظباء والذئاب موتى.

ثم قدم الخبر **بوقوع الوباء أيضا** ببلاد الفرنج.

ثم في يوم الخميس سلخه ضبطت عدة الأموات التي صلي عليها بمصليات القاهرة وظواهرها فبلغت ألفين ومائة، ولم يرد منها في أوراق الديوان غير أربعمائة ونيف، وببولاق سبعين. وفشا الطاعون في الناس، وكثر بحيث إن ثمانية عشر إنسانا من صيادي السمك كانوا في موضع واحد فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة، فقام الواحد بشأن الجميع حتى أوصلهم إلى القبور فمات هو أيضا قاله الشيخ تقي الدين المقريزي في تاريخه، ثم قال أيضا: وركب أربعون رجلا في مركب وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم إلى الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهي راكبة على حمار مكاري فماتت وهي راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله حتى بدأ يتغير ريحها، فدفنت ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا مع شدة البرد. وشنع الموت بخانقاه سرياقوس حتى بلغت العدة في كل يوم نحو المائتين. وكثر أيضا بالمنوقية والقليوبية حتى كان يموت في الكفر الواحد ستمائة إنسان.

قلت: والذي رأيته أنا في **هذا الوباء أن** بيوتا كثيرة خلت من سكانها مع كثرة عددهم، وأن الإقطاع الواحد كان ينتقل في مدة قليلة عن ثلاثة أجناد وأربعة وخمسة. ومات من مماليك الوالد رحمه الله في يوم واحد أربعة من أعيان الخاصكية، وهم: أزدمر الساقي، وملج السلاح دار، وبيبرس الخاصكي، ويوسف الرماح، ماتوا الجميع في يوم واحد، فتحيرنا بمن نبدأ بتجهيزه ودفنه على اختلاف سكناهم وقلة التوابيت والدكك، وبالله لم أشهد منهم غير يوسف الرماح، وأرسلت لمن بقي غيري، مع أن كل واحد منهم أهل لنزول السلطان للصلاة عليه.

ثم أصبح من الغد مات سنقر دوادار الوالد الثاني، وكان من أكابر الخاصكية من الدولة المؤيدية. هذا خلاف من مات منهم من الجمدارية ومن مماليك الأمراء. وأما من مات من عندنا من المماليك والعبيد

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٣/٤

والجواري والخدم فلا يدخل تحت حصر. ومات من إخوتي وأولادهم سبعة أنفس ما بين ذكور وإناث، وأعظمهم أخي إسماعيل، فإنه مات وسنه نحو العشرين سنة، وكان من محاسن الدهر.

قال المقريزي: ثم تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصي في يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة من خرج عن أبواب القاهرة فبلغت عدتهم ألفا ومائتي ميت سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكور والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين، وذلك أن أناسا عملوا التوابيت للسبيل، فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يوردون الديون أسماءهم.

قال: وفي هذه الأيام ارتفعت أسعار الثياب التي يكفن بها الأموات، وارتفع سعر سائر ما يحتاج إليه المرضى كالسكر وبزر الرجلة والكمثرى على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية، بل بعضهم يموت موتا سريعا في ساعة وأقل منها. **وعظم الوباء في** المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة الذين كثر فسادهم وشرهم وعظم عتوهم وضرهم، بحيث إنه كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مملوكا مرضى فيموت منهم في اليوم زيادة على الخمسين مملوكا. انتهى كلام المقريزي.

قلت: والذي رأيته أنا أنه مات بعض أعيان الأمراء مقدمي الألوف، فلم يقدروا له على تابوت حتى أخذ له تابوت من السبيل. وأما الأخ رحمه الله فإنه لما توفي إلى رحمة الله تعالى وجدنا له تابوتا، غير أنه لا عدة فيه، فلما وضع الأخ فيه طرح عليه سلاري سمور من قماشه، على أن الغاسل أخذ من عليه قماشا يساوي عشرة آلاف درهم، ومع هذا لم ينهض أهل الحانوت بكسوة تابوته.." (١)

"وبلغ عدة من صلي عليه من الأموات بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة خمسمائة وخمسة، وقد أقام هناك جماعة كبيرة بأدويه وأقلام لضبط ذلك. وبطلت الصلاة بالمصلاة، وإنما صار الناس يصلون على أمواتهم صفا واحدا من باب االمصلى إلى تجاه باب دار الحاجب، فكان يصلى على الأربعين والخمسين معا دفعة واحدة. ومات لشخص بخدمتنا يسمى شمس الدين الذهبي ولد فخرجنا معه إلى المصلى، وكان سن الميت دون سبع سنين، فلما أن وضعناه للصلاة عليه بين الأموات جيء بعدة كبيرة أخرى إلى أن تجاوز عددهم الحد، ثم صلي على الجميع. وتقدمنا لأخذ الميت المذكور فوجدنا غيرنا أخذه وتبرك لنا غيره في مقدار عمره، فأخذه أهله ولم يفطنوا به ففهمت أنا ذلك، وعرفت جماعة أخر، ولم نعلم أباه بذلك، وقلنا لعل الذي أخذه يواريه أحسن مواراة، وليس للكلام في ذلك فائدة غير زيادة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٤/٤

في الحزن. فلما دفن الصبي وأخذ أهل الحانوت ا لتابوت صاحوا وقالوا: ليس هذا تابوتنا، هذا عتيق وقماشه أيضا خلق،. فأشرت إليهم بالسكات، وهددهم بعض المماليك بالضرب، فأخذوه ومضوا، فكانت هذه الواقعة من الغرائب المهولة. كل ذلك والطاعون في زيادة ونمو حتى أيقن كل أحد أنه هالك لا محالة. وكنا نخرج من صلاة الجمعة إلى بيتنا، وقد وقف جماعة من الأصحاب والخدم، فنتعادد إلى الجمعة الثانية، فينقص منا عدة كبيرة ما بين ميت ومريض. واستسلم كل أحد للموت، وطابت نفسه لذلك، وقد أوصى وتاب وأناب ورجع عن أشياء كثيرة. وصار غالب الشباب في يد كل واحد منهم سبحة، وليس له دأب إلا التوجه للمصلاة للصلاة على الأموات وأداء الخمس والبكاء والتوجه إلى الله تعالى والتخشع وماتت عندنا وصيفة مولدة بعد أن مرضت من ضحى النهار إلى أن ماتت قبل المغرب، فأصبحنا وقد عجز الخدم عن تحصيل تابوت لها، فتولت تغسيلها أمها وجماعة من العجائز، وكفنوها في أفخر ثيابها علی أحسن وجه، غير أننا لم نلق لها نعشا. وقد ألزمني التوجه للصلاة على الأمير الكبير بيبغا المظفري، وعلى الشهابي أحمد بن الأمير تمراز النائب، فوقفت على الباب والميتة محمولة على أيدي بعض الخدم إلى أن اجتازت بنا جنازة امرأة، فأنزلت التابوت غصبا ووضعتها عند الميتة واشتالتا على أعناق الرجال، وسارت أمها وبعض الخدم معها إلى أن قاربت التربة فأخذوها من التابوت ودفنوها.

ثم بلغ في جمادى الأخرة المذكورة عدة من صلي عليه بمصلاة باب النصر فقط في يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت.

ثم في اليوم المذكور بلغ عدة من خرج من الأموات من سائر أبواب القاهرة اثني عشر ألفا وثلاثمائة ميت محرره من الكتبة الحسبة بأمر شخص من أكابر الدولة، وقيل بأمر السلطان. ثم بلغ عدة من صلي عليه بمصلاه باب النصر من الأموات في العشر الأوسط من جمادى الأخرة المذكورة ألفا ونيفا وثلاثين إنسانا، ويقارب ذلك مصلاة المؤمني بالرميلة، فيكون على هذا الحساب مات في هذا اليوم نحو خمسة عشر ألف إنسان.

قال المقريزي: واتفق في **هذا الوباء غرائب**، منها: أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف إنسان ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير، ففنوا بالطاعون حتى لم يبق منهم إلا القليل، ففروا إلى أعلى الجبل وباتوا ليلتهم سهارا لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم، وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا، وأصبحوا فإلى أن يأخذوا في دفنهم مات منهم ثمانية عشر.

قال: واتفق أن إقطاعا بالحلقة تنقل في أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت. ومن كثرة الشغل بالمرضى رالأموات تعطلت الأسواق من البيع والشراء وتزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش فحملت الأموات على الألواح وعلى الأقفاص، وعلى الأيدي. وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون، بها في المقابر والحفارون طول ليلتهم يحفرون. وعملوا حفائر كبيرة بلغ في الحفرة منها عدة أموات. وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات. وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى النعوش في الشوارع كأنها قطارات جمال لكثرتها، متواصلة بعضها في إثر بعض. انتهى كلام المقريزي.." (١)

"ثم في يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة المذكورة جمع الشريف شهاب الدين أحمد كاتب السر بالديار المصرية بأمر السلطان أربعين شريفا، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة، ثم قاموا هم والناس على أرجلهم ودعوا الله تعالى، وقد غص الجامع بالناس، فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفا إلى سطح الجامع وأذنوا جميعا، ثم نزلوا وصلوا مع الناس صلاة العصر وانفضوا. وكان هذا بإشارة بعض الأعاجم، وأنه عمل ذلك ببلاد الشرق في وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك.

ولما أصبح الناس في يوم السبت **أخذ الوباء يتناقص** في كل يوم بالتدريج حتى انقطع. غير أنه لما نقلت الشمس إلى برج الحمل في يوم ثامن عشر جمادى الآخرة المذكورة ودخل فصل الربيع، وأخذ الطاعون يتناقص، غير أنه فشا الموت من يومئذ في أعيان الناس وأكابرهم ومن له شهرة، بعدما كان أولا في الأطفال والموالي والغرباء والخدم، وفشا أيضا ببلاد الصعيد، وبغالب الدواب والطير، وبدأ التطويل في الأمراض، ومشت الأطباء والجرائحية للمرضى.

والعجب أن الشريف كاتب السر الذي جمع الأشراف بجامع الأزهر مات بعد ذلك باثني عشر يوما، وولي أخوه كتابة السر عوضه، وقبل أن يلبس الخلعة وأما من مات في **هذا الوباء من** الأعيان فجماعة كبيرة، يأتي ذكر بعضهم في وفيات هذه السنة من هذا الكتاب.

ثم في يوم الاثنين تاسع شهر رجب خلع السلطان على الأمير الطواشي زين الدين خشقدم الرومي اليشبكي، نائب مقدم المماليك، باستقراره مقدم المماليك السلطانية بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت الأرغون شاوي الحبشي. وخلع السلطان على الطوشي فيروز الركني الرومي باستقراره في نيابة مقدم المماليك عوضا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٥/٤

عن خشقدم المذكور.
ثم في سادس عشر شهر رجب المذكور قدم الأمير تغري بردي المحمودي من ثغر دمياط، وكان قد نقل إليه من سجن الإسكندرية قبل تاريخه بمدة فرسم السلطان أن يتوجه من قليوب إلى دمشق ليكون أتابكا بها عوضا عن الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم حضور قاني باي المذكور إلى القاهرة ليكون بها من جملة مقدمي الألوف.
ثم في ثالث عشرينه خلع السلطان على الشيخ بدر الدين حسن بن القدسي الحنفي باستقراره في مشيخة الشيوخ بالشيخونية بعد موت القاضي صدر الدين أحمد بن العجمي.
ثم ورد الخبر على السلطان بحركة قرايلك على البلاد الحلبية، وأن شاخ رخ بن تيمورلنك قد شتى بقراباغ، فأخذ السلطان في تجهيز عسكر للسفر. هذا وقد أشيع بالقاهرة بأن الأمير جاني بك الصوفي مات بالطاعون ودفن ولم يعرف به أحد، فلم تطب نفس السلطان لهذا الخبر، واستمر على ما هو عليه من القلق بسببه.
ثم في يوم الأربعاء ثالث شعبان منع السلطان نواب القضاة من الحكم، ورسم أن يقتصر القاضي الشافعي على أربعة نواب، والحنفي على ثلاثة، والمالكي والحنبلي كل منهما على اثنين. قلت: نعمة طائلة، خمسة عشر قاضيا بمصر، بل ونصف هذا فيه كفاية.
ثم في يوم الاثنين ثامن شعبان أدير محمل الحاج على العادة في كل سنة، ولم يعهد دورانه في شعبان قبل ذلك غير أن الضرورة بموت المماليك الرماحة اقتضت تأخير ذلك، وكان الجمع فيه من الناس دون العادة لكثرة وجد الناس على موتاهم.
ثم في يوم السبت ثامن عشر شهر رمضان قدم شهاب الدين أحمد بن صالح بن السفاح كاتب سر حلب باستدعاء ليستقر في كتابة السر بالديار المصرية، ويستقر عوضه في كتابه سر حلب ابنه زين الدين عمر، على أن يحمل شهاب الدين المذكور عشرة آلاف دينار. وكانت كتابة السر شغرت من يوم مات الشريف شهاب الدين أحمد الدمشقي، وباشر أخوه عماد الدين أبو بكر أياما قليلة ومات أيضا بالطاعون، فباشر القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر إلى يوم تاريخه، بعد أن سعى في كتابة السر جماعة كبيرة بالقاهرة، فاختار السلطان ابن السفاح هذا، وبعث بطلبه، وخلع عليه في عشرينه باستقراره في كتابة السر، فباشر الوظيفة بقلة حرمة وعدم أبهة مع حدة مزاج وخفة وجهل بصناعة الإنشاء. على أنه باشر كتابة

السر بحلب سنين قبل ذلك، ومع هذا كله لم ينتج أمره لعدم فضيلته، فإنه كان يظهر من قراءته للقصص ألفاظا عامية وبالجملة فإنه كان غير أهل لهذه الوظيفة. انتهى.." (١)

"ثم في يوم السبت رابع عشرين شوال قدم المماليك السلطانية من تجريدة الرها إلى القاهرة، وكانوا من يوم ذاك بمدينة حلب، وتخلفت الأمراء بها.

ثم في يوم الاثنين ثالث ذي القعدة خلع السلطان على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ باستقراره أستادارا، مضافا إلى الوزر، عوضا عن آقبغا الجمالي بحكم عجز آقبغا عن القيام بالكلف السلطانية.

ثم في سادس ذي القعدة أمسك السلطان آقبغا المذكور وأهين وعوقب على المال فحمل جملة ثم أفرج عنه واستقر كاشفا للجسور بعد أيام.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي القعدة أيضا، ويوافقه خامس عشر مسرى، أو في النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان الملك الأشرف من قلعة الجبل ونزل حتى خلق المقياس، وعاد ففتح خليج السد على العادة ولم يركب لذلك منذ تسلطن إلا في هذه السنة.

ثم في ليلة السبت خامس عشر ذي القعدة ظهر للحاج المصري وهم سائرون من جهة البحر المالح كوكب يرتفع ويعظم، ثم تفرق منه شرر كبار، ثم اجتمع. لما أصبحوا اشتد عليهم الحر، فهلك من مشاة الحاج ثم من الركبان عالم كبير، وهلك أيضا من جمالهم وحميرهم عدة كبيرة، كل ذلك من شدة الحر والعطش، وهلك أيضا في بعض أودية الينبع جميع ما كان فيه من الإبل والغنم. ثم في يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة ركب السلطان من قلعة الجبل ونزل إلى بيت ابن البارزي المطل على النيل بساحل بولاق، وسار بين يديه غرابان في النيل حربية، فلعبا كما لو حاربا الفرنج، ثم ركب السلطان من وقته سريعا وسار إلى القلعة.

ثم في عاشر ذي الحجة توجه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش إلى زيارة القدس الشريف، وعاد في يوم تاسع عشرينه.

ثم ورد الخبر على السلطان في هذا الشهر بتوجه الأمير قصروه نائب حلب منها والأمراء المجردون معه لمحاربة قرقماس بن حسين بن نعير، فلقوا جمائعه تجاه قلعة جعبر، فانهزم قرقماس عن بيوته، فأخذ العسكر في نهب ماله، فرد عليهم العرب وهزموهم وقتلوا كثيرا من العساكر، وممن قتل الأمير قشتم المؤيدي أتابك حلب وغيره، وعاد العسكر إلى حلب بأسوء حال، فعظم ذلك على الملك الأشرف إلى الغاية.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٦/٤

قال المقريزي: وكان في هذه السنة حوادث شنيعة وحروب وفتن، فكان بأرض مصر بحريها وقبليها وبالقاهرة ومصر وظواهرها وباء عظيم مات فيه على أقل ما قيل مائة ألف إنسان، والمجازف يقول هذه المائة ألف من القاهرة ومصر فقط سوى من مات بالوجه القبلي والبحري وهم مثل ذلك.

قلت: وليس في قول القائل إن هذه المائة ألف من القاهرة ومصر فقط مجازفة أبدا، **فإن الوباء أقام** أزيد من ثلاثة أشهر ابتداء وانتهاء وانحطاطا، وأقل من مات فيه دون العشرين كل يوم، وأزيد من مات فيه نحو خمسة عشر ألف إنسان، وبهذا المقتضى ما ثم مجازفة، ومتحصل ذلك يكون بالقياس أزيد مما قيل انتهى.

قال، أعني المقريزي: وغرق ببحر القلزم مركب فيه حجاج وتجار تزيد عدتهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاثة رجال وهلك باقيهم. وهلك في ذي القعدة أيضا بطريق مكة فيما بين الأزلم والينبع بالحر والعطش ثلاثة آلاف إنسان، ويقول المكثر خمسة آلاف. وغرق في نيل مصر في مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف فيها من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء عظيم، هلك فيه خلائق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى. وكان ببلاد المشرق بلاء عظيم، وهو آن شاه رخ بن تيمور ملك الشرق قدم إلى تبريز في عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف. قلت: يغفر الله لقائل هذا اللفظ، فإنه تجاوز حد المجازفة في قوله انتهى.

قال: فأقام شاه رخ على خوي نحو شهرين، وقد فر منه إسكندر بن قرا يوسف، فقدم عليه الأمير عثمان بن طرعلي المدعو قرايلك التركماني صاحب آمد في ألف فارس، فبعثه على عسكر لمحاربة إسكندر، وسار في أثره، وقد جمع إسكندر جمعا يقول المجازف إنهم سبعون ألفا، فاقتتل الفريقان خارج تبريز فقتل بينهما آلاف من الناس، وانهزم إسكندر، وهم في أثره يقتلون ويأسرون وينهبون، فأقام إسكندر ببلاد الكرج ثم بقلعة سلماس، وحصرته العساكر مدة، فنجا وجمع نحو الأربعة آلاف، فبعث إليه شاه رخ عسكرا أوقعوا به وقتلوا من معه، فنجا بنفسه جريحا.." (١)

"وقدم الخبر في هذا الشهر من مكة المشرفة **بأن الوباء قد** اشتد بها وبأوديتها حتى بلغ عدة من يموت بمكة، في اليوم، خمسين نفسا، ما بين رجل وامرأة. وفي شهر رمضان المذكور تحرك عزم السلطان على السفر إلى جهة آمد، لقتال قرايلك، وكتب إلى بلاد الشام بتعبئة الإقامات من الشعير وغيره على العادة. وكان سبب حركة السلطان لذلك، لما ورد عليه الخبر في يوم ثامن عشره، أن الأمير إينار العلائي نائب الرها، كان بينه وبين أعوان قرايلك وقعة هائلة. وسببه أن بعض عساكر حلب أو عساكر الرها خرج

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٤٧/٤

يسير فرسه، فلما كان بين بساتين الرها، صادف طائفة من التركمان، فقاتلهم وهزمهم، وبلغ ذلك الأمير إينال، فخرج مسرعا من مدينة الرها، نجدة لمن تقدم ذكره، فخرجت عليه ثلاثة كمائن من القرايلكية، فقاتلهم، فكانت بينهم وقعة هائلة، قتل فيها من الفريقين عدة.

فلما بلغ السلطان ذلك، شق عليه، وعزم على السفر، ثم كتب السلطان إلى سائر البلاد الشامية بخروج نواب الممالك للحاق الأمير قرقماس نائب حلب بالرها ثم بطل ذلك، وكتب بمنعهم من المسير، حتى يصح عندهم نزول قرايلك على الرها بعساكره وجموعه، فإذا صح لهم ذلك، ساروا لقتاله.

وفي يوم الثلاثاء عشرين شوال، كتب السلطان باستقرار خليل بن شاهين الشيخي، ناظر الإسكندرية وحاجبها، في نيابة الإسكندرية، مضافا على النظر والحجوبية، عوضا عن الأمير جانبك السيفي يلبغا، الناصري فرج المعروف بالثور.

وفي شوال هذا، قدم على السلطان الخبر من بغداد، على يد قاصد كان السلطان وجهه قبل ذلك لكشف أخبار الشرق، وأخبر: أن أصبهان بن قرا يوسف، لما ملك بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف، أساء السيرة، بحيث إنه أخرج جميع أهل بغداد منها بعيالهم، بعد أن أخذ جميع أموالهم، من جليل وحقير، فتشتتوا بنسائهم وأولادهم في نواحي الأقطار، وصارت بغداد ليس بها سوى نحو ألف رجل من جند أصبهان المذكور لا غير، وأنه لم يبق بها سوى ثلاثة أفران تخبز الخبز فقط، ولم يبق بها سكان، ولا بيعة، ولا أسواق. فكان فعل أصبهان هذا أقبح من فعل أخيه شاه محمد، فإن شاه محمد لما تنصر ومال إلى دين النورانية، قتل العلماء وأباد الفقهاء والصلحاء لا غير، وترك من دونهم. فجاء هذا الزنديق الفاسق، تجاوز فعل شاه محمد من أنه أخرج جميع أهل بغداد وكان غرض أصبهان بذلك أن يخرب بغداد، حتى لا يبقى لأخيه إسكندر ولا غيره طمع فيها، فمد يده في ذلك، حتى صارت بغداد خرابا يبابا لا يأويها إلا البوم، انتهى.

قال: وإنه أخرب أيضا الموصل، حتى صارت مثل بغداد وأعظم، من أنه سلب نعم أهلها وأمر بهم فأخرجوا منها وتمزقوا في البلاد، واستولت عليها العربان، فصارت الموصل منزلة من منازل العرب، بعد أن كانت تضاهي دار السلام.

قال، أعني القاصد: وان أصبهان أيضا أخذ أموال أهل المشهد، وأزال نعمهم وتشتتوا في البلاد.

قلت: لا أعلم في طوائف التركمان ولا في أوباش عساكر جغتاي، ولا في جهال التتار، أوحش سريرة، ولا أقبح طريقة ولا أسوأ سيرة، ولا أضعف دينا ولا أعدم مروءة، ولا أقل نخوة ولا أبشع خبرا من هؤلاء الزنادقة

الكفرة الفسقة، أولاد قرا يوسف. وعندي أن النصارى أمثل من هؤلاء، فإنهم متمسكون بدين على زعمهم، وهؤلاء زنادقة لا يتدينون بدين، كفرة ملحدون.

حدثني الأمير علي باي المؤيدي العجمي رحمه الله، بعد عوده من عند أصبهان المذكور، لما أرسله السلطان الملك الظاهر جقمق، في الرسلية إليه، بأشياء: منها أنه كان يمد السماط بين يديه في بكرة أيام شهر رمضان، وأنه سأل علي باي في الأكل معه من جملة عساكره، فامتنع، فقال له: أمير علي باي، بتتعب نفسك سخرة، بني آدم هو مثاله مثال الزرع: يطلع ويكبر، ثم يحصد ويزول إلى الأبد، وما ثم شيء ذلك، فخل عنك ما أنت فيه، وكل واشرب.

قال: ثم سألت عن أصبهان من بعض خواصه، عن أحواله، فكان من جملة ما قاله إنه لا يتعبد على ملة من الملل منذ بلغ الحلم إلى يومنا، بخلاف أخيه شاه محمد فإنه كان أولا أيام أبيه قرا يوسف يصوم ويصلي ويظهر التنسك إلى أن مات أبوه فأظهر الميل إلى دين النصرانية، وصار يتعبد على ملتهم.." (١)

"قلت: وما عسى الملك الأشرف كان يظلم في تلك المدة القصيرة، فإن خبر جانبك الصوفي ورد عليه في سابع عشر جمادى الأولى، وابتدأ بالسلطان مرض موته من أوائل شعبان، ولزم الفراش من اليوم المذكور، وهو ينصل ثم ينتكس إلى أن مات في ذي الحجة. غير أن الشيخ تقي الدين المقريزي رحمه الله كان له انخراقات معروفة عنه، وهو معذور في ذلك، فإنه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات في فنه ومؤرخ زمانه، لا يدانيه في ذلك أحد، مع معرفتي بمن عاصره من مؤرخي العلماء، ومع هذا كله كان مبعودا في الدولة، لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرته وحلوا منادمته. على أن الملك الظاهر برقوق كان قربه ونادمه وولاه حسبة القاهرة في أواخر دولته، ومات الملك الظاهر فلم يمش حاله على من جاء بعده من الملوك وأبعدوه من غير إحسان، فأخذ هو أيضا في ضبط مساوئهم وقبائحهم، فمن أساء لا يستوحش. على أنه كان ثقة في نفسه دينا خيرا وقد قيل لبعض الشعراء: إلى متى تمدح وتهجو. فقال: ما دام المحسن يحسن والمسيء يسيء، انتهى .

ثم في يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان بأن إسكندر بن قرا يوسف، نزل قريبا من مدينة تبريز، فبرز إليه أخوه جهان شاه بن قرا يوسف المقيم بها من قبل شاه رخ بن تيمورلنك، فكانت بينهما وقعة هائلة انهزم فيها إسكندر إلى قلعة ألنجا من عمر تبريز، فنازلها جهان شاه إلى أن حصره بها أياما، وأن الأمير حمزة بن قرايلك متملك ماردين وأرزن أخرج أخاه علي بك من مدينة آمد وملكها منه.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٧١/٤

فقلق السلطان من هذين الخبرين، وعزم على أن يسافر بنفسه إلى البلاد الشامية، وكتب بتجهيز الإقامات بالشام، ثم أبطل ذلك بعد أيام. ورسم في يوم السبت سابع شهر رجب بخروج تجريدة من الأمراء إلى البلاد الشامية، وعين ثمانية نفر من الأمراء مقدمي الألوف: وهم قرقماس أمير سلاح، وآقبغا التمرازي أمير مجلس، وأركماس الظاهري الدوادار الكبير، وتمراز القرمشي رأس نوبة النوب، ويشبك السودوني حاجب الحجاب، وجانم الأشرفي الأمير آخور الكبير، وخجا سودون وقراجا الأشرفي.

ثم في يوم الاثنين تاسع شهر رجب نودي بأن أحدا من العبيد لا يحمل سلاحا ولا يمشي بعد المغرب، وأن المماليك السلطانية لا يتعرض لأحد من العبيد. وكان سبب هذه المناداة أنه لما أدير المحمل في يوم الخميس خامس شهر رجب المذكور، فلما كان أول ليلة من الزينة نزل جماعة كبيرة من المماليك الأشرفية الذين بالأطباق من قلعة الجبل وأخذوا في نهب الناس وخطف النساء والصبيان، فاجتمع عدد كبير من العبيد السود وقاتلوا المماليك الأجلاب، فقتل من العبيد خمسة نفر وجرح عدة في المماليك، وخطفت العمائم وأخذت الأمتعة. ثم أخذت المماليك تتتبع العبيد فقتلوا منهم جماعة، وقد كفت العبيد أيديهم عن قتالهم خوفا من السلطنة، واختفى كثير من العبيد، وقل مشي المماليك في الليل إلى أن نودي لهم بهذه المناداة، فسكن الشر، ومشى كل من الطائفتين على حاله الأول. ثم رسم السلطان بمنع المماليك من النزول من الأطباق إلى القاهرة إلا لضرورة.

ثم في عاشر شهر رجب أنفق السلطان على الأمراء المجردين لكل أمير ألفي دينار أشرفية.

ثم في يوم الأربعاء ثامن عشره ركب السلطان من قلعة الجبل، ونزل إلى خليج الزعفران فنزل به وأكل السماط، ثم ركب في يومه وعاد إلى القلعة، فأصبح من الغد متوعك البدن ساقط الشهوة للغداء، ولزم الفراش، وهذا أوائل مرضه الذي مات منه، غير أنه تعافى بعض أيام، ثم مرض ثم تعافى حسبما يأتي ذكره. وورد الخبر فيه بوقوع الوباء في بلاد الصعيد.

واستهل شعبان يوم الاثنين والسلطان مريض، فأخرج فيه مالا وفرقه على الفقراء والمساكين. فلما كان يوم الثلاثاء تاسعه تعافى السلطان وخلع على الأطباء لعافيته، وركب من الغد ونزل من القلعة إلى القرافة وتصدق على أهل القرافتين وعاد وهو غير صحيح البدن.." (١)

"ثم في يوم السبت ثالث عشر شعبان المذكور، نزل السلطان من القلعة إلى خارج القاهرة، وعاد ودخل من باب النصر، ثم نزل بالجامع الحاكمي، وقد قيل له إن بالجامع المذكور دعامة قد ملئت ذهبا،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٨٧/٤

ملأها الحاكم بأمر الله لمعنى أنه إذا خرب يعمر بما في تلك الدعامة. فلما بلغ الملك الأشرف ذلك شرهت نفسه لأخذ المال المذكور، فقيل له إنك تحتاج إلى هدم جميع الدعائم التي بالجامع المذكور حتى تظفر بتلك الدعامة المذكورة، ثم لا بد لك من عمارتها، ويصرف على عمارتها جملة كثيرة لا تدخل تحت حصر، فقال السلطان ما معناه: إن الذي نأخذه من الدعامة يصرف على عمارة ما نهدمه، ولا ينوبنا غير تعب السر وركب فرسه وعاد إلى القلعة.

ثم في يوم الخميس خامس عشرين شعبان المذكور برز الأمير قرقماس أمير سلاح، وقد صار مقدم العساكر، وصحبته من تقدم ذكره من الأمراء، إلى الريدانية خارج القاهرة من غير أن يرافقهم في هذه التجريدة أحد من المماليك السلطانية، فأقاموا بالريدانيه إلى أن سافروا منها في يوم السبت سابع عشرين شعبان، وهذه التجريدة آخر تجريدة جردها الملك الأشرف من الأمراء. وكتب السلطان إلى الأمير إينال الجكيم نائب الشام وغيره من النواب ان يسافروا صحبة الأمراء المذكورين إلى حلب، ويستدعوا حمزة بك بن قرايلك إلى عندهم، فإن قدم عليهم خلع عليه بنيابة السلطنة فيما يليه من أعمال ديار بكر، وإن لم يقدم عليهم مشوا عليه بأجمعهم وقاتلوه حتى أخذوه. قلت: الطويل

أيا دارها بالخيف إن مزارها ... قريب ولكن بين ذلك أهوال

ثم قدم الخبر على السلطان بأن محمد بن قرايلك توجه إلى أخيه حمزة بك المقدم ذكره، باستدعائه، وقد حقد عليه حمزة قتله للأمير جانبك الصوفي. فإن حمزة لما بلغه نزول جانبك الصوفي على أخويه محمد ومحمود وكتب في الحال إلى أخيه محمد هذا بأن يبعث بالأمير جانبك الصوفي إليه مكرما مبجلا، أراد حمزة أن يأخذ جانبك إلى عنده ليخوف به الملك الأشرف، فمال محمد إلى ما وعد به تغري برمش نائب حلب وقتل جانبك الصوفي وبعث برأسه إليه، فأسرها حمزة في نفسه، وما زال يعد أخاه المذكور ويمنيه إلى أن قدم عليه، وفي ظن محمد أن أخاه حمزة يوليه بعض بلاده، فما هو إلا أن صار في قبضته قتله في الحال.

قلت: هذا شأن الباغي، الجزاء من جنس عمله، وذلك أنه مثل ما فعل بجانبك الصوفي فعل به، انتهى.

ثم في يوم الثلاثاء أول شهر رمضان ظهر الطاعون بالقاهرة وظواهرها، وأول ما بدأ في الأطفال والإماء والعبيد والمماليك. وكان الطاعون أيضا قد عم البلاد الشامية بأسرها.

ثم في يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر رمضان المذكور ختمت قراءة البخاري بين يدي السلطان بقلعة الجبل، وقد حضر قضاة القضاة والعلماء والفقهاء على العادة هذا وقد تخوف السلطان من الوباء، فسأل

من حضر من الفقهاء عن الذنوب التي ترتكبها الناس، هل يعاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون، وإن النساء يتزين ويمشين في الطرقات ليلا ونهارا، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشي في الأسواق، فنازعه آخر فقال: لا تمنع إلا المتبهرجات، وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطي حاجتها. وتباحثوا في ذلك بحثا كبيرا، إلى أن مال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا، ظنا من السلطان أن بمنعهن يرتفع الطاعون. ثم خلع السلطان على من له عادة بلبس الخلعة عند ختم البخاري.

ثم أمرهم باجتماعهم عنده من الغد، فاجتمعوا يوم الخميس واتفقوا على ما مال إليه السلطان، فنودي بالقاهرة ومصر وظواهرهما بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن، وأن لا تمر امرأة في شارع ولا في سوق البتة، وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل وأنواع البهدلة، فامتنع جميع النساء من الخروج قاطبة، فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذ والي القاهرة والحجاب في تتبع الطرقات وضرب من وجدوا من النساء، وتشددوا في الردع والضرب والتهديد، فامتنعن بأجمعهن، فعند ذلك نزل بالأرامل أرباب الصنائع ومن لا يقوم عليها أحد لقضاء حاجتها ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس، من الضر والحاجة، بأس شديد.." (١)

"وكان أميرا عاقلا مدبرا سيوسا معظما في الدول. وهو أحد من أدركناه من عظماء الملوك ورؤسائهم. وهو أحد من كان سببا لسلطنة الملك الأشرف برسباي، وأعظم من قام معه حتى وثب على الملك. وهو أيضا استاذ كل من يدعى بالقصروي، لأننا لا نعلم أحدا سمي بهذا الاسم ونالته السعادة غيره. وتولى بعده نيابة دمشق الأمير إينال الجكمي.

وتوفي الأمير فخر الدين عثمان المدعو قرايلك ابن الحاج قطلبك، ويقال: قطبك ابن طرعلي التركي الأصل التركماني صاحب ماردين وآمد وأرزن وغيرها من ديار بكر، في خامس صفر، بعد أن انهزم من إسكندر بن قرا يوسف، وقصد قلعة أرزن فحيل بينه وبينها، فرمى بنفسه في خندق المدينة لينجو بمهجته فوقع على حجر فشج دماغه، ثم حمل إلى أرزن فمات بها بعد أيام، وقيل بل غرق في خندق المدينة. ومات وقد ناهز المائة سنة من العمر، فدفن خارج مدينة أرزن الروم، فنبش إسكندر عليه وقطع رأسه وبعث بها إلى الملك الأشرف، فطيف بها، ثم علقت أياما.

وكان أصل أبيه من أمراء الدولة الأرتقية الأتراك، ونشأ ابنه عثمان هذا بتلك البلاد، ووقع له مع ملوك الشرق

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٨٨/٤

وقائع. ثم اتصل بخدمة تيمورلنك، وكان جاليشه لما قدم إلى البلاد الشامية في سنة ثلاث وثمانمائة. وطال عمره ولقي منه أهل ديار بكر وملوكها شدائد، لا سيما ملوك حصن كيفا الأيوبية، فإنهم كانوا معه في ضنك وبلاء.

وتداول حروبه وشروره مع الملوك سنين طويلة، وكان صبارا على القتال، طويل الروح على محاصرة القلاع والمدن، يباشر الحروب بنفسه. ومع هذا كله لم يشهر بشجاعة، وكان في الغالب ينهزم ممن يقاتله، ثم يعود إليه غير مرة حتى يأخذه إما بالمصابرة أو بالغدر والحيلة. وكذا وقع له مع القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس، ومع بيرعمر حتى قتلهما. وفي الجملة، فإنه كان من أشر الملوك، غير أنه خير من بني قرا يوسف، لتمسكه بدين الإسلام، واعتقاده في الفقراء والعلماء. ولما مات خلف عدة أولاد وأولاد الأولاد، وهم إلى الآن ملوك ديار بكر، وبينهم قتل وحروب تدوم بينهم إلى أن يفنوا جميعا إن شاء الله تعالى.

وتوفي الشريف مانع بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية، وقد خرج للصيد خارج المدينة في عاشر جمادى الآخرة. وثب عليه الشريف حيدر بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن شيحة وقتله بدم أخيه خشرم بن دوغان أمير المدينة. وكان الشريف مشكور السيرة، غير أنه كان على مذهب القوم.

وتوفي الشيخ المسلك زين الدين أبو بكر بن محمد بن علي الخافي الهروي العجمي، في يوم الخميس ثالث شهر رمضان بمدينة هراة، في الوباء، وكان أحد أفراد زمانه. وخاف: قرية من قرى خراسان بالقرب من مدينة هراة، قلت: وفي الشيخ زين الدين نادرة: وهي أنه عجمي واسمه أبو بكر، وهذا من الغرائب، ومن لم يستغرب ذلك يأت بعجمي يكون اسمه أبا بكر أو عمر، سنيا كان أو شيعيا.

وتوفي القاضي بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز، أحد أعيان الفقهاء الشافعية ونواب الحكم، المعروف بابن الأمانة، في ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان.

ومولده في سنة اثنتين وستين وسبعمائة تخمينا. وكان فقيها بارعا في الفقه والأصول والعربية، كثير الاستحضار لفروع مذهبه، وأفتى ودرس سنين، وناب في الحكم مدة طويلة، وشكرت سيرته، وكان في لسانه مسكة تمنعه عن سرعة الكلام، رحمه الله. وتوفيت خوند جلبان بنت يشبك ططر الجاركسية زوجة السلطان الملك الأشرف برسباي، وأم ولده الملك العزيز يوسف، في يوم الجمعة ثاني شوال، بعد مرض طويل، ودفنت بتربة السلطان الملك الأشرف بالصحراء خارج الباب المحروق. كان الملك الأشرف اشتراها في أوائل سلطنته واستولدها ابنه الملك عبد العزيز يوسف، فلما ماتت خوند الكبرى أم ولده محمد المقدم

ذكرها تزوجها السلطان وأسكنها قاعة العواميد، فصارت خوند الكبرى ونالتها السعادة. وكانت جميلة عاقلة حسنة التدبير، ولو عاشت إلى أن ملك ابنها لقامت بتدبير دولته أحسن قيام.." (١)

"ثم في يوم الأربعاء سابع شهر رمضان وصل الأمير تنبك البردبكي، المعزول عن حجوبية لحجاب قبل تاريخه، من ثغر دمياط، بطلب من السلطان، وطلع إلى القلعة وقبل الأرض بين يل! السلطان، ووعد بخير. ورسم له بالمشي في الخدمة السلطانية على عادته أولا، لكنه لم ينعم عليه بإقطاع ولا إمرة.

وفي هذه الأيام رسم السلطان لنائب طرسوس بالقبض على أبي الخير النحاس، وضربه على سائر جسمه خمسمائة عصاة، وأن يأخذ جميع ما كان معه من المماليك والجواري؛ وخرج المرسوم بذلك على يد نحاس، ووقع ما رسم له السلطان..

ثم في يوم الاثنين سادس عشرين شهر رمضان، ورد الخبر من الشأم بضرب رقبة أبي الفتح الطيبي، أحد أصحاب أبي الخير النحاس، بحكم القاضي المالكي بدمشق، في ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان المذكور، بعد أن ألغى حكم القاضي برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعي، بعد عزله بعد أمور وقعت حكيناها في الحوادث.

ثم في يوم الاثنين سابع عشر شوال، برز الأمير تمربغا الظاهري الدوادار الثاني، أمير حاج المحمل، بالمحمل، إلى بركة الحاج، وأمير الركب الأول خيربك الأشقر المؤيدي أحد أمراء العشرات. وكان الحج قليلا جدا في هذه السنة، **لعظم الغلاء بالديار** المصرية وغيرها.

ثم في يوم الخميس خامس ذي القعدة، برز المرسوم الشريف باستقرار الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب بيروت، في نيابة غزة، بعد عزل خيربك النوروزي عنها، وتوجهه إلى دمشق بطالا.

ثم في يوم الاثنين سادس عشر ذي القعدة، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير تغري برمش الزردكاش بمكة المشرفة - وكان المخبر بموته جانبك الظاهري الخاصكي البواب - فأنعم السلطان في يوم الخميس تاسع عشره على السيفي دقماق اليشبكي الخاصكي بإمرة عشرة، من إقطاع تغري برمش الزردكاش، وأنعم بباقيه على الأمير قراجا الظاهري الخازندار، زيادة، على ما بيده ليكمل ما بيده إمرة طبلخاناة؛ وأنعم بإقطاع دقماق، ربع تفهنة، على جانبك الأشرفي الخازندار الخاصكي، وهو يوم ذاك من جملة الدوادارية.

ثم خلع السلطان في يوم الاثنين ثالث عشرينه على دقماق المذكور باستقراره زردكاشا كبيرا، عوضا عن تغري برمش المذكور، فأقام دقماق في الزردكاشية خمسة أيام، وعزل عن الوظيفة، واسترجع السلطان منه الإمرة

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٢١/٤

المنعم عليه بها من إقطاع تغري برمش وأعيد إليه إقطاعه القديم. وقد ذكرنا سبب عزله في حوادث الدهر مفصلا. واستقر الأمير لاجين الظاهري زردكاشا. ولما أعيد إلى دقماق إقطاعه القديم، صار جانبك الأشرفي الخازندار بلا إقطاع، لأن السلطان كان أنعم بإقطاعه على جانبك الظاهري البواب القادم من مكة. وساعد جانبك الأشرفي جماعة الأعيان في رد إقطاعه الأول عليه، أو ينعم عليه السلطان بالإمرة المسترجعة من دقماق، فلم يحسن ببال السلطان أخذ الإقطاع من جانبك الظاهري؛ فحينئذ لزمه أن يعطي جانبك الخازندار هذه الإمرة المذكورة فأنعم عليه بها، فجاءت جانب السعادة بغتة، من غير أن يترشح لذلك قبل تاريخه. وخلع السلطان على السيفي قايتباي الظاهري الخاصكي باستقراره دوادارا، عوضا عن جانبك الخازندار المذكور، فإنه كان بقي من جملة الدوادارية، غير أنه كان لا يعرف إلا بالخازندار والظريف إلى يومنا هذا.

ثم في يوم الخميس ثالث ذي الحجة، خلع السلطان على القاضي ولي الدين الأسيوطي باستقراره مشيخة المدرسة الجمالية بعد موت ولي الدين السفطي.

ثم في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يشبك الصوفي المؤيدي، المعزول عن نيابة طرابلس، من سجن الإسكندرية وتوجهه إلى ثغر دمياط بطالا.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، وصل كتاب الناصري محمد بن مبارك نائب البيرة، يخبر أنه ورد عليه كتاب الأمير رستم، مقدم عساكر جهان شاه بن قرا يوسف، يتضمن أنه قبض على الأمير بيغوت من صفر خجا المؤيدي الأعرج المتسحب من نيابة حماة إلى جهان كير بن قرايلك، وأنه أخذ جميع ما كان معه وجعله في الترسيم. فكتب له الجواب بالشكر والثناء عليه، وطلب بيغوت المذكور منه، وقد أوضحت أمر بيغوت هذا في كتابنا " حوادث الدهور " من أول أمره إلى آخره.." (١)

"ثم في يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من سنة خمس وخمسين المذكور رسم السلطان بتفرقة دراهم الكسوة على المماليك السلطانية على العادة في كل سنة، لكل مملوك ألف درهم، فامتنعوا من الأخذ، وطلبوا الزيادة، وبلغ السلطان الخبر، فغضب من ذلك، وخرج من وقته ماشيا حتى وصل إلى الإيوان، وجلس على السلمة السفلى بالقرب من الأرض، واستدعى كاتب المماليك أسماء جماعة فلم يخرج واحد، وصمموا على طلب الزيادة، وصاروا عصبة واحدة، فلم يسع السلطان إلا أن دعا عليهم، وقام غضبانا، وسار حتى وصل إلى الدهيشة واستمروا المماليك على ما هم عليه، وحصل أمور، إلى أن وقع الاتفاق على أن يكون

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٠٥/٤

لكل مملوك من المماليك السلطانية ألفا درهم، ورضوا بذلك، وأخذوا النفقة المذكورة، وقد تضاعف أمرها على ناظر الخاص.

ثم استهل شهر رمضان، أوله الاثنين، والناس في أمر مريج **من الغلاء المفرط** في سائر المأكولات لا سيما اللحوم، هذا مع اتساع الأراضي بالري؛ واحتاج الفلاحون إلى التقاوي والأبقار، وقد عز وجود البقر حتى أبيع الزوج البقر الهائل بمائة وعشرين دينارا وما دونها، وأغرب من ذلك ما حدثني السيفي إياس خازندار الأتابك آقبغا التمرازي، بحضرة الأمير أزبك الساقي، أنه رأى ثورا هائلا ينادى عليه بأربعين ألف درهم، فاستبعدت أنا ذلك، حتى قال الأمير أزبك: " نعم، وأنا سمعته أيضا يقول هذا الخبر للمقر الجمالي ناظر الخواص " . ثم استشهد إياس المذكور جماعة كثيرة على صدق مقالته، وهذا شيء لم نعهد بمثله. هذا مع كثرة الفقراء والمساكين، ممن افتقر في هذه السنين المتداولة بالغلاء والقحط، مع أنه تمفقر خلائق كثيرة ممن ليس له مروءة. وأمسك في هذه الأيام جماعة كثيرة من البيعة، ومعهم لحوم الدواب الميتة، ولحم الكلاب، يبيعونها على الناس، وشهروا بالقاهرة؛ وقد استوعبنا أمر **هذا الغلاء وما** وقع فيه من الغرائب من ابتداء أمره إلى آخره، وقد مكث نحو الأربع سنين، في تاريخنا " حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " ، محررا باليوم والساعة.

ثم في يوم الخميس حادي عشر شهر رمضان استقر الناصري ناصر الدين، محمد ابن مبارك نائب البيرة في حجوبية دمشق، بعد عزل الأمير جانبك الناصري وتوجهه إلى القدس بطالا.

ووقع في هذا الشهر، أعني عن شهر رمضان، غريبة، وهي أن جماعة أرباب التقويم والحساب أجمعوا على أنه يكون في أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قران نحس يكون فيه قطع عظيم. على السلطان الملك الظاهر جقمق، ثم في أواخر العشر المذكور يكون قران آخر، ويستمر القطع على السلطان من أول العشر إلى آخره، وأجمعوا على زوال السلطان بسبب هذه القطوع. فمضى هذا الشهر والسلطان في خير وسلامة، في بدنه وحواسه، ولازمته أنا في العشر المذكورة ملازمة غير العادة، لأرى ما يقع له من التوعك أو الإنكاد، أو شيء يقارب مقالة هؤلاء، ليكون لهم مندوحة في قولهم، فلم يقع له في هذه المدة ما كدر عليه، ولا تشوش في بدنه، ولا ورد عليه من الأخبار ما يسوء، ولا تنكد بسبب من الأسباب؛ وقد كان شاع هذا القول حتى لعله بلغ السلطان أيضا. وفرغ الشهر، ولم يقع شيء مما قالوه بالكلية. ويأبى الله إلا ما أراد. ويعجبني في هذا المعنى القائل، ولم أدر لمن هو: البسيط

دع المنجم يكبو في ضلالته ... إن ادعى علم ما يجرى به الفلك

تفرد الله بالعلم القديم فلا ... الإنسان يشركه فيه ولا الملك
ومثل هذا أيضا، وأظنه قد تقدم ذكره: البسيط
دع النجوم لطرقي يعيش بها ... وبالعزيمة فانهض أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا ... عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا." (١)

"ثم في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة، استقر القاضي حسام الدين محمد بن تقي الدين عبد الرحمن بن بريطع قاضي قضاة الحنفية بحلب، عوضا عن محب الدين ابن الشحنة، بعد أن وقع لابن الشحنة المذكور أمور مذكورة في " الحوادث " بتمامها وكمالها.

وفي يوم الاثنين عشرينه استقر أسنبغا، مملوك ابن كلبك، نائب القدس وناظره، بعد موت أمين الدين عبد الرحمن بن الديري الحنفي.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه، تكلم الأمير الوزير تغري بردي القلاوي مع السلطان في عزل فرج ابن النحال عن نظر الدولة، فعزله وأبقى معه كتابة المماليك على عادته.

ابتداء مرض موت السلطان

ولما كان يوم الجمعة رابع عشرينه، حضر السلطان الملك الظاهر جقمق الصلاة بجامع القلعة على العادة، وهو متوعك. فلما انقضت الصلاة، وخرج من الجامع، غشي عليه، فأرجف في القاهرة بموته، وتكلم الناس بذلك. فأصبح من الغد في يوم السبت خامس عشرينه، وحضر الخدمة في الدهيشة من القلعة، وحضر جميع أكابر الأمراء والخاصكية بغير كلفتاة، وعلم السلطان على قصص كثيرة. ومن غريب الاتفاق ما وقع له، أنه لما خرج إلى الدهيشة، ورأى الناس وقوفا، قال: " سبحان الحي الذي لا يموت! " ، فحسن ذلك ببال الناس كثيرا، عفا الله عنه. ثم أصبح في يوم الأحد سادس عشرين ذي الحجة، فركب من القلعة ونزل إلى بيت بنته زوجة الأمير أزبك من ططخ الساقي، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، غير أنه لم يطل الجلوس عندها وعاد إلى القلعة من وقته؛ وكان سكن أزبك المذكور يومئذ في الدار الذي خلف حمام بشتك، وهي الآن ملك شخص من أصاغر المماليك الأشرفية ، لا أعرفه إلا في هذه الدولة.

ثم في يوم الاثنين سابع عشرين ذي الحجة، عمل السلطان الموكب بالحوش لقصاد جهان شاه بن قرا يوسف، متملك تبريز وغيرها. وكان قدوم القصاد المذكورين لإعلام السلطان بأن جهان شاه المذكور كسر عساكر بابور بن باي سنقر بن شاه رخ بن تيمورلنك، وأنه استولى على عدة بلاد من ممالكه، وأن عساكر

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٠٧/٤

جغتاي ضعف أمرهم لوقوع الوباء في خيولهم ومواشيهم.

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشرينه، ضرب السلطان بعض نواب الحكم الشافعية بيده عشرة عصي، لأمر لا يستحق ذلك.

وفرغت سنة ست وخمسين، بعد أن وقع بها فتن كثيرة ببلاد الشرق، قتل فيها خلائق لا تدخل تحت حصر، استوعبنا غالبها في " حوادث الدهور " ، كونه موضوعا لتحرير الوقائع، كما أن هذا الكتاب وظيفته الإطناب في تراجم ملوك مصر. ومهما ذكرناه بعد ذلك من الوقائع يكون على سبيل الاستطراد وتكثير الفوائد لا غير.

واستهلت سنة سبع وخمسين وثمانمائة بيوم الجمعة، والسلطان الملك الظاهر جقمق صاحب الترجمة متوعك، غير أنه يتجلد ولا ينام على الفراش، وأيضا لم يكن على وجهه علامات مرض الموت إلا أنه غير صحيح البدن، وكان له على ذلك أشهر كثيرة، من أواخر سنة خمس وخمسين وثمانمائة - انتهى.

قلت: ويحسن ببالي أن أذكر في أول. هذه السنة، جميع أسماء أرباب الوظائف بالديار المصرية وغيرها، ليعلم بذلك فيما يأتي كيف تقلبات الدهر وتغيير الدول. فأقول: استهلت سنة سبع وخمسين وخليفة الوقت القائم بأمر الله حمزة، والقاضي الشافعي شرف الدين يحيى المناوي، والقاضي الحنفي سعد الدين سعد الديري، والقاضي المالكي ولي الدين محمد السنباطي، والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي، وأتابك العساكر إينال العلائي الناصري، وأمير سلاح جرباش الكريمي الظاهري برقوق المعروف بقاشق، وأمير مجلس تنم من عبد الرزاق المؤيدي، والأمير آخور الكبير قاني باي الجاركسي، ورأس نوبة النوب أسنبغا الناصري الطياري، والدوادار الكبير دولات باي المحمودي المؤيدي، وحاجب الحجاب خشقدم من ناصر الدين المؤيدي، وباقي مقدمي الألوف أربعة: أعظمهم المقام الفخري عثمان ابن السلطان، ثم الأمير تنبك البردبكي الظاهري برقوق المعزل عن الحجوبية، والأمير طوخ من تمراز الناصري، والأمير جرباش المحمدي الناصري المعروف بكرد، والجميع أحد عشر مقدما، بأقل من النصف عما كان قديما.." (١)

"وتوفي قاضي القضاة أمين الدين أبو اليمن محمد بن محمد بن علي أحمد بن العزيز الهاشمي العقيلي النويري الشافعي، قاضي قضاة مكة وخطيبها في ذي القعدة عن نحو ستين سنة تخمينا، وهو قاض. وكان فاضلا دينا خيرا، خطيبا فصيحا مفوها، كثير الصوم والعبادة، مشكور السيرة في أحكامه، فردا في

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣١٢/٤

معناه، لم أر بمكة المشرفة في مدة مجاورتي من يدانيه في الطواف، وفي كثرة العبادة، رحمه الله تعالى.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الظاهر جقمق

وهي سنة أربع وخمسين وثمانمائة.

فيها كان الشراقي العظيم بمصر، والغلاء المفرط المتداول إلى سنة سبع وخمسين، وكان **ابتداء الغلاء من** السنة الخالية، لكنه عظم في هذه السنة بوقع الشراقي، وتزايد، وبلغ سعر القمح إلى ألف درهم الإردب، والحمل التبن إلى سبعمائة درهم، وقس على ذلك حسبما نذكره في وقته على طول السنين.

فيها توفي المسند المعمر شمس الدين محمد بن الخطيب عبد الله الرشيدي الشافعي، خطيب جامع الأمير حسين بحكر النوبي خارج القاهرة، في يوم الجمعة حادي عشر شهر ربيع الأول؛ ومولده في ليلة رابع عشر شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة. وكانت له مسموعات كثيرة، وحدث سنين وتفرد بأشياء كثيرة، ولنا منه إجازة. وكان شيخا منور الشيبة فصيحا مفوها خطيبا بليغا، رحمه الله.

وتوفي الأمير سيف الدين شاد بك بن عبد الله الجكمي، أحد مقدمي الألوف بديار مصر، ثم نائب الرها، ثم حماة، بطالا بالقدس، بعد مرض طويل، في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول؛ وكان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب، وتنقل في الخدم من بعده، إلى أن صار بخدمة الأمير ططر؛ فلما تسلطن ططر، قربه وأنعم عليه، ثم تأمر عشرة بعد موته، وصار من جملة رؤوس النوب؛ ثم صار أمير طبلخاناه، ثم ثاني رأس نوبة، ثم ولي نيابة الرها، ثم عزل بعد سنين وصار بالقاهرة على طبلخاناته، إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية في أوائل دولته، ثم نقله إلى نيابة حماة بعد سنين، فلم تطل مدته على نيابة حماة وعزل وتوجه إلى القدس بطالا؛ ثم تكلم فيه، فقبض عليه وحبس مدة، ثم أطلق وأعيد إلى القدس بطالا، إلى أن مات. وكان متوسط السيرة، غير أنه كان قصيرا جدا وعنده سرعة حركة وإقدام، وله وجه في الدول، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير سيف الدين علي باي من دولات باي العلائي الساقي الأشرفي، في يوم الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني، وكان أصله من مماليك الملك الأشرف برسباي؛ اشتراه في سلطنته ورباه وأعتقه، وجعله خاصكيا، ثم ساقيا، ثم أمره عشرة، وجعله خازندارا كبيرا، بعد إينال الأبو بكري الأشرفي، بحكم انتقاله إلى الم شدية؛ بعد قراجا الأشرفي، بحكم انتقاله إلى تقدمة

ألف؛ ودام علي باي على ذلك، إلى أن أنعم على الملك العزيز يوسف بإمرة طبلخاناه وجعله شاد الشراب خاناه، بعد إينال الأبو بكري أيضا، بحكم انتقال إينال إلى الدوادارية الثانية، بعد تمرباي التمربغاوي المنتقل إلى تقدمة ألف؛ فلم تطل مدة علي باي بعد ذلك، وقبض عليه مع من أمسك من خجداشية الأشرفية وغيرهم، وحبس سنين، ثم أطلق وأنعم عليه بإمرة بالبلاد الشامية وقدم القاهرة، ثم حج وعاد إلى دمشق، ثم قدم القاهرة ثانيا، ودام بها إلى أن أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة، ودام على ذلك إلى أن مات في التاريخ المذكور. وكان شابا مليح الشكل طوالا، عاقلا، عارفا بأنواع الفروسية، خصيصا عند أستاذه الملك الأشرف إلى الغاية، لجمال صورته ولحسن سيرته. وأنعم السلطان بإقطاعه بعد موته على خجداشه تمراز الأشرفي الزردكاش، فما شاء الله كان.." (١)

"ولقي الناس منه شدائد كثيرة، وصار لا يمكن المرضى من دخول البيمارستان للتمرض به إلا برسالة، ثم يخرج المريض بعد أيام قليلة. وأظهر في أيام عزه وولايته من شراسة الخلق وحدة المزاج والبطش وبذاءات اللسان أمورا يستقبح ذكرها هذا مع التعبد والاجتهاد في العبادة ليلا ونهارا، من تلاوة القرآن، وقيام الليل والتعفف عن المنكرات والفروج، حتى إنه كان في شهر رمضان يختم القرآن الكريم في كل ليلة في ركعتين؛ وأما سجوده وتضرعه فكان إليه المنتهى. وكانت له أوراد هائلة دواما؛ فكان بمجرد فراغه من ورده يعود إلى تسلطه على خلق الله وعباده ولا زال على ذلك حتى نفرت القلوب منه، وكثر الدعاء عليه، حتى لقد شاهدت بعض الناس يدعو عليه في الملتزم بالبيت العتيق في هدوء الليل.

فلما زاد ذلك منه، سلط الله عليه أقل خلقه، أبا الخير النحاس، مع توغر خاطر السلطان عليه في الباطن؛ فلا زال أبو الخير يذكر للسلطان مساوئه، ويعرفه معايبه، إلى أن كان من أمره ما ذكرناه في أصل هذه الترجمة، من العزل والمصادرة والحبس بالمقشرة، والاختفاء المدة الطويلة، ثم ظهوره بعد نكبة النحاس، إلى أن مات، عفا الله عنه. وقد ذكرنا أحواله في تاريخنا " حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " مفصلا باليوم والوقت، وذكرناه أيضا في " المنهل الصافي " بأطول من هذا، فلينظر هناك.

وتوفي العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن يوسف بن إسماعيل الصاغاني الأصل، المكي المولد والدار والوفاة، الحنفي المذهب، قاضي قضاة مكة وعالمها ومفتيها ومصنفها، في تاسع عشرين ذي القعدة. وتولى أخوه أبو حامد القضاء من بعده. وكان مولد القاضي بهاء الدين في ليلة التاسع

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٤٧/٤

من محرم سنة تسع وثمانين وسبعمائة بمكة؛ ونشأ بها وطلب العلم، واشتغل حتى برع في عدة علوم، وأفتى ودرس وصنف، وأفنى عمره في الاشتغال والإشغال.
حكى لي الشيخ أبو الخير بن عبد القوي، قال: أعرف القاضي بهاء الدين نحو الخمسين سنة، وأزيد، ما دخلت إليه فيها إلا وجدته إما يكتب، أو يطالع، رحمه الله تعالى.
وتوفي الأمير سيف الدين تغري برمش بن عبد الله الزدكاش اليشبكي، أحد أمراء الطبلخانات، وزردكاش السلطان، بمكة، في أواخر هذه السنة، وسنه نيف على الثمانين سنة. وخلف مالا كبيرا وأملاكا كثيرة معروفة بأملاك الزردكاش. وكان توجه إلى مكة المشرفة مجاورا. وأصله من مماليك الأمير يشبك بن أزدمر؛ وترقى من بعده حتى صار أمير عشرة، ثم زردكاشا في الدولة الأشرفية برسباي، ودام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جقمق بزيادة على إقطاعه، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات، إلى أن مات. وكان مسرفا على نفسه، غير أن له غزوات كثيرة من الفرنج؛ ومات بتلك البقعة الشريفة، فلعل الله يغفر له ذنوبه بمنه وكرمه.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وخمسة عشر أصبعا. مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وسبعة أصابع؛ وهي سنة الشراقي العظيم.
السنة الرابعة عشرة من سلطنة الظاهر جقمق
وهي سنة خمس وخمسين وثمانمائة.
وفيها كان **تزايد الغلاء حتى** خرج عن الحد، وبيع القمح بنحو ألف وخمسمائة درهم الإردب، والفول والشعير بألف درهم الإردب، ثم تزايد بعد ذلك على ما حررناه في الحوادث.
وفيها توفي الخليفة أمير المؤمنين المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بالقاهرة، في يوم الجمعة ثاني المحرم، وقد تقدم ذكر نسبه إلى العباس في ترجمة أخيه المعتضد داود من هذا الكتاب؛ وتولى الخلافة بعده أخوه حمزة بغير عهد منه، ولقب بالقائم بأمر الله. ونزل السلطان الملك الظاهر للصلاة عليه بمصلاة المؤمني، ومشى في جنازته إلى أن شهد دفنه، وربما أراد حمل نعشه في طريقه. ومات المستكفي وهو في عشر الستين، بعد أن أقام في الخلافة تسع سنين ونحو عشرة أشهر. وكان دينا خيرا، منجمعا عن الناس بالكلية، كثير الصمت، قليل الكلام. ذكر عنه أخوه أمير المؤمنين

المعتضد داود – وكان شقيقه – عندما عهد له بالخلافة في مرض موته، أنه لا يعرف عليه كبيرة في مدة عمره – رحمه الله تعالى.." (١)

"وتوفي السيد الشريف عفيف الدين أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله، الأيكي العجمي الشافعي نزيل مكة المشرفة بمنى في ثاني يوم من التشريق، وحمل إلى مكة، ودفن بها، وكانت جنازته مشهودة. وكان الناس في أمره وصلاحه على أقسام. رأيته بمكة واجتمعت به مجلسا خفيفا – رحمه الله.

وتوفي الشيخ المعتقد الصالح أحمد الترابي المصري فجأة، في يوم الجمعة حادي عشر ذي الحجة، ودفن بزاويته من الغد، بالقرب من تربة الشيخ جوشن خارج باب النصر. وكان رجلا صالحا دينا خيرا معتقدا، وكنت أصحبه، وكان لي فيه اعتقاد ومحبة – رحمه الله تعالى أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر وثمانية أصابع.

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الظاهر جقمق

وهي سنة ست وخمسين وثمانمائة.

فيها **أخذ الغلاء في** انحطاط من الديار المصرية وأعمالها.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة علاء الدين علي ابن الشيخ قطب الدين أحمد القلقشندي الشافعي، أحد فقهاء الشافعية، في يوم الاثنين مستهل المحرم، ودفن الغد في يوم الثلاثاء خارج القاهرة. ومولده بالقاهرة في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ونشأ بها، وحفظ عدة متون في مذهبه، وتفقه بعلماء عصره، مثل شيخ الإسلام السراج البلقيني، وولده قاضي القضاة جلال الدين، والعلامة عز الدين بن جماعة، أخذ عنه المعقول، وعن الشيخ الإمام العلامة فريد عصره علاء الدين محمد البخاري الحنفي، وقاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي المالكي وغيرهم. وبرع في عدة علوم، وأفتى ودرس، وتولى عدة تداريس، ورشح لقضاء الديار المصرية غير مرة، وسئل بقضاء دمشق فامتنع، وتصدى للاشتغال سنين وانتفع به جماعة من الطلبة – رحمه الله تعالى.

وتوفي الإمام المقرىء ناصر الدين محمد بن كزل بغا الحنفي، إمام المدرسة الأشرفية بالعنبريين، في يوم الأحد تاسع عشر صفر، وهو في عشر الخمسين. ومات ولم يخلف بعده في القراءات وحسن التأدي، لا سيما في قراءة المحراب فإنه كان من الأفراد في ذلك؛ وكان أبوه من مماليك الأمير ألطنبغا الجوباني نائب دمشق – رحمه الله تعالى.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٥١/٤

وتوفي عظيم الديار المصرية وعالمها ورئيسها كمال الدين أبو المعالي محمد ابن العلامة القاضي ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عثمان بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البارزي الحموي الجهني الشافعي، كاتب السر الشريف بالديار المصرية، وابن كاتب سرها، وصهر السلطان الملك الظاهر جقمق، بداره بخط الخراطين من القاهرة، في يوم الأحد سادس عشرين صفر، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمني، ودفن عنده والده بالقرافة الصغرى تجاه شباك الإمام الشافعي - رضي الله عنه.

سألته عن مولده، فقال: بحماة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة.

قلت: ونشأ بها تحت كنف والده، وحفظ القرآن العزيز، وصفى التراويح بالناس في الديار المصرية لما قدم مع والده سنة تسع وثمانمائة، ثم عاد مع والده إلى حماة، وحفظ التمييز في الفقه، وقرأه على الحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبي المعروف بالقوف .

ثم قدم إلى الديار المصرية مع والده أيضا بعد قتل الملك الناصر فرج في سنة خمس عشرة وثمانمائة، وتفقه بقاضي القضاة ولي الدين أحمد العراقي، وأخذ المعقول عن العلامة عز الدين بن جماعة، وعن تلميذه ابن الأديب، وأخذ أيضا عن قاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي، وعن العلامة البارع الزاهد علاء الدين محمد البخاري الحنفي، ولازمه كثيرا وانتفع بدروسه، وأخذ النحو في مبادئ أمره عن الشيخ يحيى العجيسي المغربي وغيره، وسمع البخاري من عائشة بنت عبد الهادي. واجتهد في طلب العلم، وساعده في ذلك الذكاء المفرط والده المستقيم والتصور الصحيح، حتى برع في المنطوق والمفهوم، وصارت له اليد الطولى في المنثور والمنظوم، لا سيما في الترسل والإنشاء والمكاتبات، فإنه كان إمام عصره في ذلك، هذا مع ما اشتمل عليه من العقل والعراقة والسكون والسؤدد والكرم والإكرام وسياسة الخلق وحسن الخلق، والرئاسة الضخمة، والفضل الغزير.

وباشر كتابة السر في أيام والده نيابة عنه، وعمره نيف على عشرين سنة. ثم استقل بالوظيفة نيفا على ثلاثين سنة، على أنه صرف عنها غير مرة المدة الطويلة.." (١)

"والتبن والدريس بأبخس إلاثمان، إن أعطوا ثمنا، وإن شاؤوا أخذوه بلا ثمن، وكل من وقع له ذلك معهم لم يعد ثانيا إلى بيع ذلك الصنف إلا أن يكون محتاجا لبيعه، فعزت لذلك هذه إلاصناف بحيث إنها صارت أقل وجودا من أيام الغلاء، فصار هذا **هو الغلاء بعينه**، وزيادة **على الغلاء عدم** الشيء. ثم شرعوا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٥٥/٤

في نهب حواصل البطيخ الصيفي وغيره. ثم تزايد أمرهم، وشرعوا يفعلون ذلك مع تجار القماش وغيره، فغلت جميع إلاسعار مع كثرتها عند أربابها، فضر ذلك بحال الناس قاطبة، رئيسها وخسيسها، وهذا أول أمرهم، وما سيأتي فأهول. وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل من بركة الحاج، وهو الأمير قانم من صفر خجا أحد مقدمي الألوف، وسار إلى البركة دفعة واحدة، فكان عادة أمراء المحمل النزول بالمحمل إلى الريدانية، فبطل ذلك، وصاروا يتوجهون إلى البركة في مسير واحد، وأمير الركب الأول عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد. وفي هذه الأيام كانت عافية الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص من مرض أشرف فيه على الموت، وطلع إلى القلعة، وخلع السلطان عليه ونزل إلى داره في يوم مشهود لم ير مثله إلا نادرا. وفي يوم الخميس سابع عشرين ذي القعمة استقر الأمير سودون النوروزي السلاح دار أحد أمراء الطبلخانات في نيابة قلعة الجبل بعد موت قاني باي إلاعمش الناصري، وأنعم السلطمان بإقطاع قاني باي المذكور على ولده الصغير المقام الناصري محمد، وإلاقطاع إمرة عشرة. واستهلت سنة إحدى وستين وثمانمائة يوم الاثنين الموافق لثالث كيهك أحد شهورالقبط. فلما كان يوم السبت سادس المحرم ضرب السلطان والي القاهرة خيربك القصروي، وعزله عن ولاية القاهرة، وحبسه بالبرج على حمل عشرة إلاف دينار، فدام في البرج إلى أن أطلق في يوم عاشره، واستقر عوضه في ولاية القاهرة علي بن إسكندر، واستقر في نقابة الجيش الأمير ناصر الدين بن أبي الفرج على عادته أولا عوضا عن علي بن إسكندر المذكور. وفي يوم السبت هذا نودي أيضا على الذهب بأن يكون صرف الدينار الذي هو وزن درهم وقيراطين ثلاثمائة درهم نقرة، وكان بلغ صرفه قبل ذلك إلى ثلاثمائة وسبعين نقرة؛ وأضر ذلك بحال الناس زيادة على ما هم فيه من أمر المماليك الأجلاب. وفي يوم الاثنين خامس عشر المحرم المذكور ورد الخبر على السلطان بموت يشبك حاجب حجاب طرابلس، فرسم باستقرار شاد بك الصارمي عوضه في حجوبية الحجاب؛ والمتوفى والمولى كلاهما ولي بالبذل. وفي يوم الخميس ثالث صفر ثارت المماليك الأجلاب على السلطان، وأفحشوا في أمره إلى الغاية. وخبر ذلك أن السلطان لما كان في يوم الخميس المذكور وهو جالس بقاعة الدهيشة، وكانت الخدمة بطالة في هذا اليوم، وذلك قبل أن يصلي السلطان الصبح، وإذا بصياح المماليك، فأرسل السلطان يسأل عن الخبر، فقيل له إن المماليك أمسكوا نوكار الزردكاش وهددوه بالضرب، وطلبوا منه القرقلات التي وعدهم السلطان بها من الزردخاناه السلطانية، فحلف لهم أنه يدفع لهم ذلك في أول الشهر، فتركوه ومضوا، فلقوا الشيخ عليا الخراساني الطويل محتسب القاهرة، وهو داخل إلى السلطان، فاستقبلوه بالضرب المبرح المتلف، وأخذوا عمامته من على رأسه، فرمى بنفسه

إلى باب الحريم السلطاني حتى نجا. وأما السلطان لما فرغ من صلاة الصبح نزل وقعد على الدكة بالحوش على العادة، ثم قام بعد فراغ الخدمة وعاد إلى الدهيشة، وإذا بالصياح قد قوي ثانيا." (١)

"يشبك من جانبك المؤيدي الصوفي أتابك دمشق بها، فاستقر في أتابكية دمشق عوضه الأمير علان شلق المؤيدي أحد أمراء دمشق، بمال بذله في ذلك نحو العشرة إلاف دينار، وأنعم بتقدمة علان المذكور على شادبك السيفي جلبان، مضافا إلى دوادارية السلطان بدمشق، وذلك أيضا بالبذل. ورسم بإقطاع شادبك المذكور للأمير قراجا الظاهري، وهو بالقدس بطالا ليكون بيده وهو طرخان، ثم بطل ذلك. ثم في يوم الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر رسم السلطان بنقل الأمير جانم الأشرفي نائب حلب من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير قاني باي الحمزاوي بحكم وفاته، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير جانبك من أمير الظريف الأشرفي أحد أمراء الطبلخانات وخازندار. ورسم بانتقال الأمير حاج إينال اليشبكي من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، عوضا عن جانم الأشرفي المذكور؛ وصار مسفره الأمير سودون الإينالي المؤيدي قراقاس ثاني رأس نوبة. ورسم باستقرار الأمير إياس المحمدي الناصري الطويل نائب حماة في نيابة طرابلس، عوضا عن حاج إينال؛ ومسفره الأمير جاني بك الإينالي الأشرفي، ألمعروف بقلقسيز، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة. ورسم باستقرار الأمير جانبك التاجي المؤيدي نائب صفد فى نيابة حماة، عوضا عن إياس المحمدي، ومسفره جانم المؤيدي المعروف بحرامي شكل، أحد العشرات ورأس نوبة. ورسم باستقرار خيربك النوروزي نائب غزة في نيابة صفد، عوضا عن جانبك التاجي؛ ومسفره قانم طاز الأشرفي أحد أمراء العشرات ورأس نوبة. ثم استقر بعد مدة الأمير بردبك العبد الرحماني أحد أمراء الألوف بدمشق في نيابة غزة عوضا عن خيربك النوروزي المقدم ذكره؛ وصار مسفره السيفي خيربك من حديد إلاجرود أحد الدوادارية الخاصكية. قلت: وجميع ولاية هؤلاء النواب المذكورين بالبذل، ما خلا الأمير جانم نائب الشام. ثم أنعم السلطان بتقدمة بردبك العبد الرحماني الذي بدمشق على الأمير قراجا الظاهري المقدم ذكره. ثم في يوم الخميس عاشر جمادى الأولى استقر الأمير بردبك الأشرفي الدوادار الثاني وصهر السلطان أمير حاج المحمل، واستقر الأمير كسباي الششماني المؤيدي أحد أمراء العشرات أمير الركب الأول. واستقر الأمير يرشباي الإينالي المؤيدي الأمير آخور الثاني كان وأحد أمراء الطبلخانات الآن أمير المماليك المجاورين بمكة، ورسم لأسندمر الجقمقي بالمجيء من مكة إلى مصر. ثم في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى المذكور استقر القاضي محمب الدين بن الشحنة الحلبي الحنفي كاتب

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٩٣/٤

السر الشريف بالديار المصرية، بعد عزل القاضي محب الدين بن الأشقر. ثم في يوم الثلاثاء خامس شهر رجب أمسك السلطان القاضي شرف الدين موسى الآنصاري ناظر الجيش، وسلمه إلى الطواشي فيروز النوروزي الزمام والخازندار، فدام عنده إلى أن صودر وأخذ منه جمل من الاموال بغير استحقاق، بعد أن عزل عن وظيفة نظر الجيش كما سيأتي ذكره. ثم ورد الخبر على السلطان من حلب أن الطادون فشا بها وكثر. ثم في يوم الخميس رابع عشر شهر رجب استقر القاضي برهان الدين إبراهيم بن الديري ناظر الجيوش المنصورة عوضا عن الآنصاري المقدم ذكره، بمال كثير بذله في ذلك. ثم في يوم السبت سادس عشر رجب تعرض جماعة من المماليك الأجلاب للأمير زين الدين الأستادار، فهرب منهم، فضربوا الوزير وبهدلوه إلى الغاية، ولم ينتطح في ذلك عنزان، لقوة شوكة الأجلاب في هذه الأيام، حتى تجاوزت الحد، وبطل أمر حكام الديار المصرية قاطبة، وصار من كان له حق أو شبه حق لا يشتكي غريمه إلا عند الأجلاب، ففي الحال يخلص حقه من غريمه، إما على وجه الحق أو غيره، فخافهم كل أحد، لا سيما التجار والبيعة من كل صنف. وترك غالب الناس معايشهم، خوفا على رأس مالهم، فعز بسبب ذلك وجود أشياء كثيرة، **ووقع الغلاء في** جميع الأشياء، لاسيما في إل ا صناف المتعلقة بالأجناد، مثل الشعير والتبن والدريس، ومما أشبه ذلك من أنواع أقمشة الخيل والبغال والمتعلقة بذلك، حتى صار لا يوجد بالكلية إلا بعد عسر كبير، وصار من له ضيافة من تبن أو دريس أو شعير من الأجناد يسافر من القاهرة ويلاقيه ويمشي معه حتى يصل إلى بيته إن قدر على ذلك، وإن كان أميرا أرسل إلى ملاقاته بعض مماليكه، وربما أخذوا ممن استضعفوه من الأجناد أو مماليك الأمراء، وزاد هذا الأمر حتى أضر بجميع الناس قاطبة." (١)

"بالقاهرة ومصر وضواحيها، كما هي عادة الطادون وانتقاله من بلد إلى أخرى. وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من سنة أربع وستين المذكورة أنعم السلطان على سودون الأفرم الظاهري الواصل قبل تاريخه من البلاد الشامية بإمرة عشرة بعد موت الأمير أسندمر الجقمقي. وفي هذا اليوم أيضا كان عدة من ورد التعريف بهم من الأموات بالقاهرة فقط مائة وعشرة نفر، ولها تفصيل ما بين رجال ونساء وصبيان وموال وليس لذكر التفصيل هنا محل. وكان من شأن هذا الطادون أنه ينقص في اليوم نقصا قليلا عن أمسه، ثم يزيد في الغد كثيرا، إلى أن انتهى ونقص وهو على هن! الصفة. وفي هذه الأيام بلغ عدة من يموت في اليوم بخانقاه سرياقوس أكثر من ثلاثمائة نفر، ويقول المكثر أربعمائة، وبالمحلة ثلاثمائة، وفي مدينة منف في يوم واحد نحوا من مائتين، وقس على هذا في سائر القرى، وهذا نهاية النهاية الآن. وفي يوم الثلاثاء سابع

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٠٧/٤

عشر جمادى الأولى يوم تنتقل الشمس فيه إلى برج الحمل كان فيه عدة من ورد اسمه التعريف مائة وسبعين نفرا؛ وجاء في هذا اليوم عدة من صلي عليه من الأموات بمصلاة باب النصر على حدتها مائة نفر، فكيف يكون التعريف كله مائة وسبعين، وبالقاهرة مصلوات كثيرة نذكرها بعد ذلك في محلها؟!. وأبلغ من هذا أن الأمير زين الدين الأستادار ندب جماعة من الناس بأجرة معينة إلى ضبط جميع مصلوات القاهرة وظواهرها، وكان ما حرروه ممن صلي عليه في اليوم ستمائة إنسان، فعلى هذا لا عبرة بذكر التعريف المكتتب من ديوان المواريث، غير أن فائدة ذكر التعريف تكون لمعرفة **زيادة الوباء ونقصه** لا غير، ففي ذكره فائدة ما. وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الأولى كان فيه التعريف مائتين وتسعة نفر. ثم في يوم السبت حادي عشرينه أنعم السلطان على قاني باي الأشرفي المعروف بأخي قانصوه النوروزي بإمرة عشرة بعد موت الأمير يشبك الظاهري. ثم في يوم الخميس سادس عشرينه استقر الأمير برسباي البجاسي حاجب الحجاب أمير آخور كبيرا بعد موت يونس العلائي بالطادون، واستقر سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش في حجوبية الحجاب عوضا عن برسباي البجاسي المقدم ذكره. وفيه أيضا أنعم السلطان بإقطاع يونس العلائي على الأمير جرباش المحمدي أمير مجلس، وأنعم بإقطاع جرباش المذكور على الأمير جانبك الظاهري نائب بندر جدة، وصار جانبك من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وذلك زيادة على ما بيده من التحدث على بندر جدة، بل على جميع الأقطار الحجازية؛ والإقطاع الذي استولى عليه الأمير جرباش والذي خرج عنه كلاهما تقدمة ألف، لكن متحصل خراجهما يتفاوت. وفي يوم الخميس هذا كان عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نحوا من مائتين وخمسة وثلاثين نفرا، وكان عدة المضبوط بالمصلاة ألفا ومائة وثلاثة وخمسين نفرا، وذلك خارج عما ذكرنا من مصر وبولاق والقرافتين والصحراء والأوقاف وزاوية الخدام خارج الحسينية. وفي يوم السبت ثامن عشرين جمادى الأولى المقدم ذكرها استقر الشهابي أحمد بن قليب أستادار السلطان بمدينة طرابلس في حجوبية حجاب طرابلس، زيادة على ما بيده من الأستادارية وغيرها؛ وكانت ولايته للحجوبية بعد موت خشقدم الإردبغاوي دوادار قاني باي الحمزاوي.لقاهرة ومصر وضواحيها، كما هي عادة الطادون وانتقاله من بلد إلى أخرى. وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من سنة أربع وستين المذكورة أنعم السلطان على سودون الأفرم الظاهري الواصل قبل تاريخه من البلاد الشامية بإمرة عشرة بعد موت الأمير أسندمر الجقمقي. وفي هذا اليوم أيضا كان عدة من ورد التعريف بهم من الأموات بالقاهرة فقط مائة وعشرة نفر، ولها تفصيل ما بين رجال ونساء وصبيان وموال وليس لذكر التفصيل هنا محل. وكان من شأن هذا الطادون أنه ينقص في اليوم نقصا قليلا عن أمسه، ثم يزيد في الغد كثيرا، إلى أن انتهى ونقص

وهو على هن! الصفة. وفي هذه الأيام بلغ عدة من يموت في اليوم بخانقاه سرياقوس أكثر من ثلاثمائة نفر، ويقول المكثر أربعمائة، وبالمحلة ثلاثمائة، وفي مدينة منف في يوم واحد نحوا من مائتين، وقس على هذا في سائر القرى، وهذا نهاية النهاية الآن. وفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى يوم تنتقل الشمس فيه إلى برج الحمل كان فيه عدة من ورد اسمه التعريف مائة وسبعين نفرا؛ وجاء في هذا اليوم عدة من صلي عليه من الأموات بمصلاة باب النصر على حدتها مائة نفر، فكيف يكون التعريف كله مائة وسبعين، وبالقاهرة مصلوات كثيرة نذكرها بعد ذلك في محلها؟!. وأبلغ من هذا أن الأمير زين الدين الأستادار ندب جماعة من الناس بأجرة معينة إلى ضبط جميع مصلوات القاهرة وظواهرها، وكان ما حرروه ممن صلي عليه في اليوم ستمائة إنسان، فعلى هذا لا عبرة بذكر التعريف المكتتب من ديوان المواريث، غير أن فائدة ذكر التعريف تكون لمعرفة **زيادة الوباء ونقصه** لا غير، ففي ذكره فائدة ما. وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الأولى كان فيه التعريف مائتين وتسعة نفر. ثم في يوم السبت حادي عشرينه أنعم السلطان على قاني باي الأشرفي المعروف بأخي قانصوه النوروزي بإمرة عشرة بعد موت الأمير يشبك الظاهري. ثم في يوم الخميس سادس عشرينه استقر الأمير برسباي البجاسي حاجب الحجاب أمير آخور كبيرا بعد موت يونس العلائي بالطادون، واستقر سودون الإينالي المؤيدي المعروف بقراقاش في حجوبية الحجاب عوضا عن برسباي البجاسي المقدم ذكره. وفيه أيضا أنعم السلطان بإقطاع يونس العلائي على الأمير جرباش المحمدي أمير مجلس، وأنعم بإقطاع جرباش المذكور على الأمير جانبك الظاهري نائب بندر جدة، وصار جانبك من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وذلك زيادة على ما بيده من التحدث على بندر جدة، بل على جميع الأقطار الحجازية؛ والإقطاع الذي استولى عليه الأمير جرباش والذي خرج عنه كلاهما تقدمة ألف، لكن متحصل خراجهما يتفاوت. وفي يوم الخميس هذا كان عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نحوا من مائتين وخمسة وثلاثين نفرا، وكان عدة المضبوط بالمصلاة ألفا ومائة وثلاثة وخمسين نفرا، وذلك خارج عما ذكرنا من مصر وبولاق والقرافتين والصحراء والأوقاف وزاوية الخدام خارج الحسينية. وفي يوم السبت ثامن عشرين جمادى الأولى المقدم ذكرها استقر الشهابي أحمد بن قليب أستادار السلطان بمدينة طرابلس في حجوبية حجاب طرابلس، زيادة على ما بيده من الأستادارية وغيرها؛ وكانت ولايته للحجوبية بعد موت خشقدم الإردبغاوي دوادار قاني باي الحمزاوي.." (١)

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤/٤١٢

"ثم استهل جمادى الآخرة أولها يوم الثلاثاء وقد **كثر الوباء بالديار** المصرية، وانتشر بها وبظواهرها، هذا **مع الغلاء المفرط** في إلاسعار وظلم المماليك الأجلاب، فصارت الناس بين ثلاثة أمور عظيمة: الطادون، والغلاء، والظلم، وهذا من النوادر **وقوع الوباء والغلاء** معا في وقت واحد فوقع ذلك وزيد ظلم الأجلاب، ولله الأمر. وكان التعريف في هذا اليوم ثلاثمائة وستة عشر نفرا؛ وكان الذي حرروه في السبع عشرة مصلاة ألف إنسان وتسعمائة إنسان وعشرة. وأنكر ذلك غير واحد من الناس استقلإلا، بل قال بعضهم وبالغ بأن عدة من يموت في اليوم بالقاهرة أكثر عن ثلاثة إلاف نفر، واعتل بقوله إن الذين ندبوا لضبط المصلوات اشتغل كل منهم بنفسه وبمن عنده وبغلمانه. قلت: الصواب بل إلاصح مقالة الثاني لما شاهدناه من كثرة الجنائز، وازدحام الناس بكل مصلاة والله أعلم. وأما **أمر الغلاء ففي** هذا الشهر بيع فيه القمح كل إردب بستمائة درهم، والبطة من الدقيق العلامة بمائة وسبعين درهما، والرطل الخبز بأربعة دراهم، وهو عزيز الوجود بالحوانيت في كثير من الأوقات، والشعير والفول كلاهما بأربعمائة درهم إلاردب، وهما في قلة إلى الغاية والنهاية، والحمل التبن بأربعمائة درهم ولا بد له من حارس من الأجناد يحرسه من المماليك الأجلاب، هذا والموت فيهم بالجريف وصلوات الله على سيدنا عزرائيل وما سوى ذلك من المأكل فسعره متحسن، لا كسعر كالشعير والتبن والقمح والفول، كون هذه الأشياء يحتاج إليها الأجلاب، فيأخدونها بأبخس إلاثمان، فترك الناس بيع هذه إلاصناف إلا المحتاج، فعز وجودها لذلك.." [1]

"ووقع للأجلاب في **هذا الوباء أمور** عجيبة؛ فإنهم لما فرغوا من أخذ بضائع الناس ظهر منهم في **أيام الوباء أخذ** إقطاعات الأجناد، فصاروا إذا رأوا شخصا على حانوت عطار أخذوه، وقالوا له: " لعل الضعيف يكون له إقطاع " ، فإن كان له إقطاع عرفهم به، وإن لم يكن للضعيف إقطاع طال أمره معهم إلا أن يخلصه منهم أحد من الأعيان. ثم بدا لهم بعد ذلك أن كل من سمعوا له إقطاعا من أولاد الناس أو الأجناد القرانيص أخذوا إقطاعه، فإن كان صحيحا يرتجون مرضه، وإن كان ضعيفا ينتظرون موته؛ فعلى هذا الحكم خرج إقطاع غالب الناس الحي والميت حتى إنهم فعلوا ذلك بعضهم مع بعض. فصار السلطان والناس في شغل شاغل، لأن الأجلاب صاروا يزدحمون عليه لأخذهم إقطاعات الناس، وعندما يتفرغ من المماليك الأجلاب يتظلم كل أحد إليه ممن خرج إقطاعه وهو في قيد الحياة، فلم يسعه إلا رده عليه؛ فصار إلاقطاع يخرج اليوم ويرد إلى صاحبه في الغد، فصار يكتب في اليوم الواحد عدة مناشير ما بين إخراج ورد، واستمر الناس على ذلك من أول الفصل إلى آخره. وأغرب من هذا أن بعض الأجلاب اجتاز في عظم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤/٤١٣

أيام الوباء بالصحراء، فحاذى جنازة امرأة على نعشها طرحة زركش، فاختطفها وساق فرسه فلم يوقف له على أثر. ووقع لبعض الأجلاب أيضا أنه صدف في بعض الطرقات جنازة وهو سكران، فأمره المدير بالوقوف لتمر الجنازة عليه، فحنق منه، وأراد ضرب المدير، فهرب منه، فضرب الميت على رأسه، وقد شاهد ذلك جماعة كثيرة من الناس. وفيما حكيناه كفاية عن فعل هؤلاء الظلمة " إلا لعنة الله على الظالمين " . وفي يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة وصل إلى القاهرة تغري بردي الطياري الخاصكي المتوجه فى الرسلية إلى جزيرة قبرس، وصحبته جماعة كثيرة ، من ملوك الفرنج وأهل قبرس. والقادمون من الفرنج على قسمين: فرقة تسأل إبقاء ملك قبرس على الملكة المتولية، وفرقة تسأل عزلها وتولية أخيها جاكم الفرنجي الذي قدم إلى القاهرة قبل تاريخه، فلم يبت السلطان الأمر من ولاية ولا عزل في هذا اليوم، وأحال الأمر إلى ما سيأتي ذكره. وفي يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة المذكورة عظم الطادون بالقاهرة وظواهرها، واختلفت كلمة الحساب، لاشتغال كل أحد بنفسه وبمن عنده؛ فمنهم من قال: يموت في اليوم أربعة إلاف إنسان، ومنهم من قال: ثلاثة إلاف وخمسمائة، وقاس صاحب القول الثاني على عدة من صلي عليه في هذا اليوم المذكور بمصلاة باب النصر، وقال: إن كل مائة ميت بمصلاة باب النصر بثلاثمائة وستين ميتا، وجاءت مصلاة المؤمني في هذا اليوم أربعمائة وسبعة عشر ميتا؛ وهذا كله تقريبا لا تحريرا على إلاوضاع. ثم في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة عمل السلطان الموكب بالحوش السلطاني لأجل قصاد الفرنج، وحضرت الفرنج وقبلوا الأرض ونزلوا أيضا على غير طائل. وفي يوم الجمعة حادي عشره كان فيه التعريف مائتين وثمانين، وجاءت مصلاة باب النصر على حدتها خمسمائة وسبعين. وفيه ضربت المماليك الأجلاب الوزير سعد الدين فرج بن النحال ضربا مبرحا، لكونه لم يزد راتب لحمهم. وفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة كان فيه التعريف نحو ثلاثمائة إنسان، منهم مماليك خمسة وسبدون: منهم خمسة وثلاثون من مماليك الأمراء وغيرهم، ومن بقي سلطانية. وأما الذي ضبط في هذا اليوم ممن صلي عليه من الأموات باثنتي عشرة مصلاة أربعة إلاف إنسان، وفي ذلك نظر؛ لأن مصلاة باب النصر وحدها جاءت في هذا اليوم خمسمائة وسبعين، ومصلاة البياطرة أربعمائة وسبعين، وجامع إلازهر ثلاثمائة وستة وتسعين، فمجموع هذه المصليات الثلاث من جملة سبع عشرة مصلاة أو أكثر ألف وأربعمائة وستة نفر، فعلى هذا كيف يكون جميع من مات في هذا اليوم أربعة إلاف؟! فهذا محال، وهذا خارج عن القرافتين والحسينية والصحراء وبولاق ومصر القديمة، إلا أن غالب من يموت صغار وعبيد وجوار. غير أن هذا الطادون كان أمره غريبا، وهو أن الذى يطعن فيه

قل أن يسلم، حتى قال بعضهم: لعل إن من كل مائة مريض يسلم واحد، فأنكر ذلك غيره وقال: ولا كل ألف مبالغة. وفي يوم الأربعاء سادس عشره الموافق لرابع عشر برمودة **ارتفع الوباء من**." (١)

"عن قرقماس الأشرفي بحكم القبض عليه وحبسه بالإسكندرية، واستقر قاني بك المذكور مقدم العساكر لقتال شاه سوار بن دلغادر. وعين السلطان في هذا اليوم عدة أمراء تجريدة لقتال شاه سوار؛ فعين من أمراء الألوف قاني بك المقدم ذكره، وجانبك الإينالي الأشرفي المعروف بقلقسيز حاجب الحجاب، وبردبك هجين أمير جاندار، وهؤلاء من أمراء الألوف، وعين أيضا عدة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات يأتي ذكر أسمائهم يوم سفرهم من القاهرة، ثم عين صحبتهم ستمائة مملوك من المماليك السلطانية. وفيه استقر الأمير إينال الأشقر الظاهري نائب غزة في نيابة حماة، عوضا عن ابن المبارك؛ وكان الناصري محمد بن المبارك قد استقر في نيابة حماة قبل تاريخه عوضا عن الأمير تنم الحسيني الأشرفي، بحكم مرضه وعوده من تجريدة شاه سوار إلى حلب، وكان الناصري محمد بن المبارك إلى الآن لم يخرج من الديار المصرية، فعزل عنها قبل أن يحكمها أو يتوجه إليها. وكان إينال الأشقر قدم إلى القاهرة مع الأمير أزبك من تجريدة العقبة، ثم رشح ابن المبارك إلى نيابة غزة، فامتنع عن ولايتها. ثم في يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول لبس إينال الأشقر خلعة السفر. ثم في يوم السبت ثاني شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بالنفقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار، ففرقت هذه النفقة على أقبح وجه؛ وهو أن القوي يعطى، والغائب يقطع، والمسن يعطى نصف نفقة أو ربع نفقة، ومنع أولاد الناس والطواشية من الأخذ، وعاداتهم أخذ النفقة، فأحدث الظاهر يلباي هذا الحادث، وكثر الدعاء عليه بسبب ذلك، وتفاءل الناس بزوال ملكه لقطعه أرزاق الناس، فكان كذلك. ومنع السلطان أيضا أمراء الألوف وغيرهم من النفقة، ولم يعط إلا من كتب منهم إلى السفر لا غير، فبهذا المقتضى وأمثاله نفرت القلوب من الظاهر يلباي، وعظمت الوقيعة في حقه، وكثرت المقالة في بخله، وعدت مساوئه، ونسيت محاسنه إن كان له محاسن وصارت النفقة تفرق في كل يوم سبت وثلاثاء طبقة واحدة أو أقل من طبقة، حتى تطول الأيام في التفرقة. وبالجملة فكانت أيام الملك الظاهر يلباي نكدة، قليلة الخير، كثيرة الشر، **وعظم الغلاء في** أيامه، وتزايدت الأسعار، وهو مع ذلك لا يأتي بشيء، وجوده في الملك وعدمه سواء؛ فإنه كان سالبة كلية، لا يعرف القراءة ولا الهجاء، ولا يحسن العلامة على المناشير والمراسم إلا بالنقط، مع عسر في الكتابة. وكان الناس قد أهمهم أمر الجلبان أيام أستاذهم الملك الظاهر خشقدم، فزادوا بسلطنة الملك الظاهر يلباي هذا هما على همهم. ثم في يوم الاثنين

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤/٤١٤

حادي عشرربيع الآخر استقر الأمير جانبك قلقسيز أمير مجلس عوضا عن قاني باي المحمودي المنتقل إلى إمرة سلاح، واستقر الأمير بردبك هجين عوضه حاجب الحجاب. وفيه أنعم السلطان على الأمير قايتباي المحمودي الظاهري بإقطاع الأمير أزبك نائب الشام واستقر عوضه أيضا رأس نوبة النوب، وأنعم بإقطاع الأمير قايتباي على الأمير سودون القصروي نائب القلعة، والإقطاع تقدمة ألف. وفيه أيضا استقر الأمير خشكلدي البيسقي في تقدمة الألوف عوضا عن قاني باي المحمودي المؤيدي. ثم في يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر استقر الأمير سودون البردبكي الفقيه المؤيدي نائب قلعة الجبل بعد سودون القصروي. وفي يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر رسم السلطان أن ينتقل الأمير إينال الأشقر المقدم ذكره من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس بعد فقد نائبها الأمير قاني باي المؤيدي الحسني في واقعة شاه سوار، وذلك بسعي من إينال المذكور، وذلك قبل أن يصل إينال المذكور إلى حماة. ثم في يوم الخميس رابع عشره استقر الناصري محمد بن المبارك في نيابة حماة كما كان وليها أولا. وفيه استقر مغلباي الظاهري المحتسب شاد الشراب خاناه بعد الأمير خشكلدي البيسقي، واستقر طرباي البواب محتسب القاهرة عوضا عن مغلباي المذكور، واستقر سودون السيفي أحمد بن إينال أمير عشرة وأستادار الضحبة، وسودون هذا من الأوباش الأطراف. وفيه أنعم السلطان على جماعة من الأجلاب وغيرهم كل واحد بإمرة عشرة، والذين أعطوا أزيد من خمسة عشر نفرا. فالذي أخذ من الأجلاب: أركماس البواب، وقايت البواب، وطرباي البواب الذي ولي الحسبة، وأصباي البواب الذي كان قتل قتيلين أيام استاذه ولم ينتطح في ذلك عنزان، وأصطمر." (١)

"وفيها: انتقض كوكب عظيم من المشرق في المغرب وأضاءت له الدنيا ووقفت ساعة ثم أضاء السماء فأضاء المكان الذي أصابه منها اضاءة عظيمة، ثم سقط في جهة المغرب وبقي ساعة ظاهرا في الموضع الذي أصابه ساعة طويلة ثم اضمحل. ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها: دفع وادي زبيد سيل عظيم لم يعهد مثله وسال بخلق ودواب واخرب قرية مزارع وجاء بشيء من هدم البيوت لا يعلم من أين هو؟ فسبحان العليم والحكيم ولا حوة ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها: وقع مطر بمدينة زبيد وما حواليها وكان جمع من الرعاة في البادية خارج باب الشيارق. فلما وقع عليهم المطر لجأوا إلى المعقد الكبير الذي هو غربي دار الطويلع قبالة بستان حائط لبيق واكتنوا عندهم جماعة من الناس الذين كانوا بالحائط وغيرهم. فبيناهم كذلك إذ رأوا الغنم تجول بعضها في بعض وتتساقط ميتة حتى سقط منها نحو ستة رؤس، ثم سكنت بعد ذلك فنظروا فإذا ثعبان عظيم تحت ارجلها ميتا وقد

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥/٢٤

وطئت أحداهن بظلفها رأسه فقتلته ودفع الله شره. فسبحان القادر على ما يشاء.
وفيها: في ضحى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر شوال توفي الشيخ الصالح شيخ الشيوخ جمال الدين محمد المعروف بابن إسماعيل الصوفي، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الاشاعر، ودفن في قبر والده داخل قبة جده الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله وكثر الأسف عليه رحمه الله ونفع به.
سنة ست بعد التسعمائة
وفي: ليلة الاثنين الثامن والعشرين من المحرم. سنة ست توفي قاضي الشريعة بزبيد الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري رحمه الله تعالى، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بجامع زبيد، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله، وكان المذكور من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين وهو خاتمة القضاة الناشريين بزبيد رحمه الله ونفع به.
وفيها: في يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى توفي شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن محمد ابن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان ابن أبي شريف المري بالمهملة القدسي الشافعي بالقدس، وكان مولده في يوم السبت خامس ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وثمانمائة. أخذ العلم عن جماعة منهم: شيخ الإسلام أبن حجر والعلامة ابن الهايم ومن في طبقتهم. ومن محفوظاته الشاطبية والمنهاج الفرعي والفية الحديث ومختصر ابن الحاجب في النحو، وعرض هذه الكتب على الشيوخ فاجازوه، وجود القرآن العظيم بعد حفظه، وأخذ عن بعضهم علم الحديث والأصول والعروض والقافية والمنطق وغيرها، وتفقه بابن شرف وجماعة وأخذ عن بعضهم خرقة التصفوف سندها إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، واذن له غير واحد في الإقراء وحج وجاوز في سنة ثلاث وخمسين. وسمع على الشرف أبي الفتح المراغي والتقي ابن فهد والبرهان والزمزمي وأبي البقاء ابن الضياء بمكة وعلي المطري وغيره بالمدينة. ترجم له البقاعي ووصفه بالذهن الثاقب والحافظة الضابطة والقريحة الوقادة والفكر القويم والنظر المستقيم وسرعة الفهم وكمال المرؤة مع عقل وافر وأدب ظاهر وخفة روح ومجد على سمته يلوح وانه شديد الإنقباض عن الناس غير أصحابه. قال السخاوي ودرس وافتى وحدث ونظم ونثر وذكر من تصانيفه حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي وأخرى على تفسير البيضاوي وشرحا على الأرشاد لابن المقري وفصول ابن الهمام ومختصر الشفاء وغير ذلك.قال: وبالجملة فهو علامة متين التحقيق حسن الفكر والتأمل، وكتابه امتن من تقريره ورويته احسن من بديهته مع صيانة وديانة وقلة كلام وعدم ذكره للناس، ولكنه ينسب بمزيد باو وامساك مع الثروة وتجدد الربح من

التجارة. والكمال لله، وعاشر صاحب الترجمة بعد السخاوي أربع سنين وذكره مؤرخ دمشق، وذكر بعض أوصافه الحسنة باختصار وقال: انه خلف دنيا طائلة رحمه الله تعالى.
وفيها حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ومات بسببه خلائق لا يحصون وكثر الوباء، واستمر الدعاء لذلك في الصلاة والخطب، ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة واشتد في آخر شعبان ورمضان فبلغ الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفسا. وكان غالبه في النساء والأطفال، وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.." (١)

"وفيها: في ليلة الاثنين السادس عشر من الشهر المذكور توفي القاضي عفيف الدين عبد العليم بن القاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط بعد طول مرضه بمدينة زبيد، وكان قد قدم إليها في السنة التي قبلها من مدينة أب متوعكا بعد طلوع ولده الفقيه عفيف الدين عبد الله إليه فجعله نائبا له، وقدم إلىمدينة زبيد فلم يزل بها مريضا حتى قبل موته بأيام، وصل ابنه عبد الله باستدعائه إليه فمات بعد قدومه بأيام في التاريخ المذكور رحمه الله ونعم الرجل كان فقها وصلاحا ودينا وأمانة وعفة وصيانة، وصلي عليه بعد صلاة الصبح يوم الاثنين بمسجد إلا شاعر وشيعه خلق كثير، ودفن إلى جنب والده بمجنة باب سهام رحمه الله.
وفيها: في يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأولى توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن حسن الصباحي مفتي مدينة تعز.
وفيها: في عشية يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة توفي الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن علي الواحدي المقري بمدينة زبيد ودفن قبل غروب الشمس من اليوم غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد، وكان رجلا مباركا له قرب من الساطان بل كان يؤمه غالب الأوقات رحمه الله.
وفيها: كثر الموت بمدينة زبيد وعم الوباء، وبلغت الموتى فيها كل يوم إلى قريب مائة نفس، ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون.
وفيها: توفي الشيخ موسى ابن أبي الغيث الخاص صاحب الموثاه بها يوم الاثنين سلخ شهر رجب.
وفيها: توفي الفقيه الصالح حسين بن محمد بن نور الدين يوم السبت ثاني عشر شعبان.
سنة تسع عشر بعد التسعمائة
وفي المحرم أول سنة تسع عشر توفي جد والدي الشيخ الإمام والصديق الهمام الشريف شيخ بن الشيخ

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٢٣

عبد الله العيدروس، وكان من أعيان الصالحين وعباد الله المقربين حسن الأخلاق والشيم جميل الأوصاف معروف بالمعروف والكرم سليم الصدر رفيع القدر، صحب غير واحد من الأكابر كأبيه الشيخ عبد الله العيدروس وعمه الشيخ علي وعمه الشيخ علي وعمه الشيخ أحمد وأخيه الشيخ أبي بكر ومن في طبقتهم، وأخذ عنهم وتخرج بهم وتلقى منهم، ودخل من بابهم وصار وحيد عصره ومن المشار إليهم في قطره، ومحاسنه كثيرة وبحار فضائله غزيرة ولا سبيل إلى حصرها والأولى الآن طيها دون نشرها رحمه الله. وفيه يقول حفيده وسميه سيدي الشيخ الوالد قدس الله روحه شعر:

وفي شيخ من عبد الله جدي ... معاشرة بحسن الخلق تبدي

له قلب منيب ذو صفاء ... سليم الصدر بالانفاق يسدي

له في الأولياء حسن أعتقاد ... كريم الأصل ذو فخر ومجد

تربا بالولي القطب حقا ... أبوه العيدروس للخير يهدي

ولله در الشيخ عبد المعطي حيث يقول فيه من قصيدة أمتدح بها سيدي الوالد التزم فيها ذكر آبائه إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

أين الشيخ الذي يضاهي أباه ... في المعالي رفعة وأرتقاء." (١)

"ميزانها عند الخليل معدل ... متفاعلن متفاعلن فعلات

لو واصل بن عطاء الباني لها ... تليت توهم أنها آيات

ومنه:

لا تنكرا أهداءنا لك منطقا ... منك أستفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليه وحيه وكلامه

وقال في أبي علي الرستمي يهجوه بالدعوة والبرص:

أنت أعطيت من دلايل رسل ال ... له آيا بها علوت الرءوسا

جئت فردا بلا أب وبيمنا ... ك بياض فأنت عيسى وموسى

ومنه قوله وأجاد في ضروب التشبيه:

لنا صديق نفسنا ... في مقته منهمكه

أبرد من سكونه ... وسط الندى الحركه

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص/٥٢

وجدري وجهه ... يحكيه جلد السمكه
أو جلد أفعى سلخت ... أو قطعة من شبكه
أو حلق الدرع إذا ... أبصرتها مشبكه
أو كدر الماء إذا ... ما الريح أبدت حبكه
أو سفن محبب ... أو كرش منفركه
أو منخل أو عرض ... رقيقة منهتكه
أو حجر الحمام كم ... من وسخ قد دلكه
أو كور زنبور إذا ... أفرخ فيه تركه
أو سلحة يابسة ... قد نقرته١ الديكه
ومنه:
ما آنس لا أنس حتى الحشر مايدة ... ظلنا لديك بها في اشغل الشغل
إذا أقبل الجدي مكشوفا ترايبه ... كأنه متمط دايم الكسل
قد مد كلتي يديه لي فذكرني ... بيتا تمثلته من أحسن المثل
كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل
وقد تردى باطمار الرقاق لنا ... مثل الفقير إذا ما راح في سمل
الجيهاني محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني أبو عبد الله
لما ولي أبو الحسن نصر بن أحمد بن اسمعيل سنة أحدى وثلث ماية وهو ابن ثمان سنين تولى التدبير الجيهاني فاجري الأسباب على وجوهها وكان حسن النظر لمن أمله وقصده معينا لمن أمه واعتمده وكان مبتلى بالمذهب ولم يكن يصافح أحدا دون كاغذ أو ثوب ومر يوما بنخاس يعالج دابة فتأفف وأبرز يده من كمه وعلقها إلى أن نزل وصب عليها قماقم من الماء تقذرا مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولى ذلك ولم يكن يأذن في أمساك السنانير في دوره فكان الفأر ي‍تعابث فيها، وفيه يقول أبو الطيب الطاهري:
رأيت الوزير على بابه ... من المذهب الشايع المنتشر
يرى الفأر أنظف شيء يدب ... على ثوبه ويعاف البشر
يبيت حفيا بها معجبا ... ويضحي عليها شديد الحذر
فإن سعبت فهو في حجرها ... يفت لها يابسات الكسر

فلم صار يستقذر المسلمين ... ويألف ما هو عين القذر

قلت: هكذا أثبته ياقوت وجاء في الأحمدين فقال: أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وأظنه هذا والله أعلم ولكن هكذا أثبته في المحمدين وفي الأحمدين

التميمي الطبيب محمد بن أحمد بن سعيد أبو عبد الله التميمي الطبيب

كان بالقدس أولا ونواحيه وله معرفة جيدة بالنبات وماهيته وكان متميزا في الطب والإطلاع على دقايقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة واستقصى معرفة الدرياق الكبير الفاروق وركب منه شيئا كثيرا على أتم ما يكون، وانتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي وكان قد أجتمع بالقدس براهب يقال له أنباز خرما بن ثوابة كان يتكلم في أجزاء العلوم الحكمية والطب وكان في المابة الرابعة فلازمه وأخذ عنه فوايد، واختص التميمي بالحسن بن عبد الله بن طعج المستولي على الرملة ثم أدرك الدولة العلوية بمصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وصنف له كتابا كبيرا عدة مجلدات سماه مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، وصنف كتابا في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه، وكتاب الفحص والأخبار، وكان التميمي موجودا بمصر سنة سبعين وثلث ماية محمد بن أحمد بن الحسين

ابن المسند المشهور

توفي سنة خمسين وأربع ماية." (١)

"روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط ابن مخنف،وروى عنه أبو حاتم السجساتي وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي،وقدم بغداد وحدث بها،وكان مشتهرا بالشراب،وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين.ومن تصانيفه:كتاب الخيل كتاب أشعار الأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الذبيح وكتاب الأخلاق وغير ذلك.ومن شعره القصيدة التي منها:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وكن متى أبصرنني أو سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وقال:أول شعر قلته:

بنفسي شيء لست أعرف قدره ... على أنه ما كان فهو شديد

تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى ولا تبليه وهو جديد

القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد نزارا ابن المهدي القائم بالمغرب،بايع لمحمد

---

(١) الوافي بالوفيات، ١/١٨٤

والده المذكور بولاية العهد بإفريقية وما معها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على راسه،وجهزه أبوه إلى مصر مرتين ليأخذها:الأولى في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مائة فوصل إلى الإسكندرية وملكها وملك الفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها،والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في سنة سبع وثلاث مائة في عسكر عظيم فخرج عامل الإمام المقتدر عنها فدخلها ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم،ووردت الأخبار إلى بغداد فجهز مؤنس الخادم بالرجال والأموال،فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرى بينهما حروب عظيمة ووقع في عسكر **القائم** **الوباء والغلاء** فمات الناس والخيل فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم.

وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد الخارجي وكانت المطوعة قد تبعته وقاسى منهم شدائد.فأحسن السيرة بنو عبيد في الناس وهذبوا وطووا ما يرومونه من إظهار مذهبهم الخبيث وساسوا ملكهم وقنعوا بإظهار الرفض والتشيع.وكانت ولادة القائم بمدينة سلمية بالشام سنة ثمانين وقيل سنة اثنتين وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين،واستصحبه والده معه إلى المغرب على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.وتوفي القائم المذكور بالمهدية سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وأبو يزيد الخارجي محاصر له،فقام بالأمر ولده المنصور إسماعيل وكتم خبر موته خوفا من الخارجي وكان على سوسة وأكثر العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة وكتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين.

الوزير البلعمي محمد بن عبيد الله بن محمد بن رجاء الوزير أبو الفضل البلعمي، بالباء الموحدة واللام الساكنة والعين المهملة المفتوحة وبعدها ميم، أوحد عصره في العقل والرأي، له كتاب تلقيح البلاغة وكتاب المقالات وغير ذلك، وهو وزير صاحب ما وراء النهر، توفي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة.

الوزير أبو علي الخاقاني محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو علي الوزير كان أكبر ولد أبيه،أحضره المعتمد بعد وفاة أبيه وقلده مكانه وأراد أن يخلع عليه فأمر أن يؤخر ذلك فلم يضطلع بالأمر فترك أسبوعا وعزل بالحسن بن مخلد.ووزر للمقتدر وصدرت منه أشياء مضحكة وعزل بعلي بن عيسى وقبض عليه،على أنه صدرت منه واحدة حسنة:يقال أنه لما عزل أكثر الناس التزوير عليه وعرضت تواقيع كثيرة على أبي الحسن علي بن عيسى فأنكرها وجهزها إليه وقال له:عرفني الصحيح في هذه حتى أمضيه وأبطل الزور منها،فحضر الرسول وهو يصلي فأخذ ابنه أبو القاسم يميز الباطل من الصحيح منها فأومأ إليه أبوه أن يتوقف،فلما فرغ من صلاته أخذها وتصفحها وخلطها وقال:كل هذه التوقيعات صحيحة وأنا أمرت بها فما رأيت إبطاله فأبطله،ولما انصرف الرسول قال لابنه:أردت أن تبغضنا إلى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد

التقط الشوك على أيدينا نحن قد صرفنا فلم لا نحبب إلى الناس بإمضاء كل ما زوروه فإن أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه وإن أبطله كان الحمد لنا والذم له.توفي وقد تغير ذهنه في سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة.

ابن البلدي محمد بن عبيد الله البلدي،قال الثعالبي في التتمة:هو أشعر من أبيه.وكان قد حلف أن لا يشرب حولا فبرت يمينه في غرة شوال فقال:

برت على هجر الكؤوس يميني ... شهر الصيام فما امتطين يميني." (١)

"قال ابن النجار:أخو شيخنا حمزة،سمع الكثير في صباه مع أخيه من أبي عبد الله الحسين وأبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد الخياط وأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن السلال الوراق وأبي بكر أحمد ابن علي بن عبد الواحد الدلال وأبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الطرائفي وأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن علي بن الأبنوسي وأبي القاسم علي بن عبد السيد بن محمد بن الصباغ وأبي القاسم هبة الله بن الحسين بن الحاسب وأبي سعد أحمد بن محمد البغدادي وأبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ وأبي إسحق إبراهيم بن محمد بن نبهان الرقي وأبي حفص عمر بن ظفر المغازلي وخلق كثير سواهم.

وعمر حتى حدث بالكثير وانتشرت عنه الرواية وانفرد بقطعة من مسموعاته.

قال ابن النجار:قرأت عليه كثيرا وكان صدوقا مرضي الأخلاق محمود الطريقة سليم الجانب طيب الأخلاق حلو المجالسة حفظة للحكايات والأشعار لا يمل جليسه منه مضى عمره في استقامة وحسن طريقة.

مولده سنة ثمان وعشرين وخمس مائة ووفاته سنة تسع وست مائة.

ابن البواب محمد بن علي ابن البواب أبو عبيد الله الموصلي.

ذكره البلطي أنه كان معلما.قال العماد الكاتب:وهو الآن يعيش وهو ابن ثمانين سنة له مفقطعات حسنة فمن ذلك ما أنشدنيه في والده:

لي أب كل ما به يوصف النا ... س...فهو منه مبرا

فهو كالصل من بنات الأفاعي ... كلما زاد عمره زاد شرا

قال:وأنشدني له أيضا:

أدرها لقد قام السفيه علي رجل ... وحكم جيش الجهل في عالم الفضل

الوزير الجواد محمد بن علي بن أبي منصور الصاحب جمال الدين أبو جعفر الأصبهاني الملقب بالجواد

---

(١) الوافي بالوفيات، ١/٤٥٢

وزير صاحب الموصل أتابك زنكي بن آقسنقر.
كان نبيلا رئيسا دمث الأخلاق حسن المحاضرة محبوب الصورة سمحا كريما،مدحه القيسراني بالقصيدة التي أولها:
سقى الله بالزوراء من جانب الغرب ... مها وردت عين الحياة من القلب
كان جده أبو منصور فهادا للسلطان ملكشاه بن الب رسلان السلجوقي فتأدب ولده وسمت همته وخدم في مناصب علية وصاهر الأكابر،فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم رتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن ملكشاه فظهرت كفايته،فلما تولى اتابك زنكي الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه إليها وولاه نصيبين فظهرت كفايته وأضاف إليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة فجعله مشرف مملكته وحكمه تحكيما لا مزيد عليه.
وكان الوزير يومئذ ضياء الدين الكفرتوثي فلما توفي سنة ست وثلاثين وخمس مائة تولى الوزارة بعده أبو الرضا ابن صدقة وجمال الدين المذكور فخف على قلب زنكي،ولم يظهر جمال الدين في حياة زنكي مالا ولا نعمة إلى أن توفي على قلعة جعبر،فرتبه سيف الدين غازي ابن اتابك في وزارته،فظهر جوده حينئذ بالعطايا وبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد.
وأثر آثارا جميلة وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه وبنى سور مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من المسجد،وكان يحمل في كل سنة إلى مكة وإلى المدينة من الأموال وكسوة الفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة،وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد،وتنوع في فعل الخير وواسى الناس زمن الغلاء،وكان إقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء السلجوقية وأباع يوما بقياره وصرفه للمحاويج وله مكارم جمة كثيرة.
وأقام على هذا الحال إلى أن توفي مخدومه غازي وقام بعده قطب الدين مودود فاستكثر إقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه وحبسه،ولم يزل مسجونا حتى توفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمس مائة وصلي عليه وكان يوما مشهودا من بكاء الضعفاء والأرامل والأيتام وضجيجهم حول جنازته.
ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ثم نقل إلى مكة وطيف به حول الكعبة وطافوا به مرارا مدة مقامهم،وكان يوم دخوله يوما مشهودا وكان معه شخص يذكر مآثره ويعدد محاسنه إذا وصلوا به إلى المزارات

فلما انتهى إلى الكعبة وقف وأنشد:

يا كعبة الإسلام هذا الذي ... جاءك يسعى كعبة الجود." (١)

"وجعل أتابكه الأمير حسام الدين لاجين وتولى الوزارة الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي وصرف تاج الدين ابن حنى.

وحصل الغلاء الزائد المفرط في أيامه حتى بلغ الإردب بمصر إلى مائة وعشرين درهما والرطل اللحم بالدمشقي بسبعة دراهم والرطل اللبن بدرهمين والبيض ست بيضات بدرهم ورطل بثمانية دراهم ولم يكن الشام مرخصا وتوقفت الأمطار وفزع الناس.

وذلك في سنة خمس وتسعين وست مائة وتبع ذلك وباء عظيم وفناء كبير ثم **أن الغلاء وقع** بالشام وبلغت الغرارة مائة وثمانين درهما.

ثم قدم الملك العادل كتبغا إلى دمشق بالعساكر في ذي القعدة سنة خمس وتسعين،ولما عاد العادل إلى مصر من نوبة حمص وكان في سلخ المحرم سنة ست وتعسين فلما كان بوادي فحمة قتل حسام الدين لاجين الأمير سيف الدين بتخاص وبكتوت الأزرق العادليين وكانا عزيزان على العادل،فلما رأى العادل الهوشة خاف على نفسه فركب فرس النوبة وساق ومعه خمسة مماليك ووصل إلى دمشق العصر ونزل بالقلعة.

وساق حسام الدين لاجين بالخزائن وركب في دست الملك وبايعه الجيش ولم يختلف عليه اثنان،وتسمى بالمنصور وخطب له بالقدس وغزة وجاء الخبر إلى دمشق بأن صفد زينت وضربت البشائر بها وبالكرك ونابلس.

ووصل كجكن والأمراء من الرحبة فلم يدخلوا دمشق ونزلوا بالقرب من مسجد القدم،وأظهر كجكن سلطنة المنصور حسام الدين لاجين فتحقق العادل زوال ملكه وأذعن له بالطاعة واجتمع الأمراء وحلفوا للمنصور.

وفي مستهل ربيع الأول سنة ست وتسعين خطب للمنصور بدمشق واستناب بمصر الأمير شمس الدين قراسنقر ثم قبض عليه واستناب مملوكه منكوتمر وجعل الأمير سيف الدين قبجق نائبا بدمشق.

وجهز السلطان الناصر إلى الكرك وقال له المنصور:لو علمت أنهم يخلون الملك لك والله لتركته ولكنهم لا يخلونه لك وأنا مملوكك ومملوك والدك أحفظ لك الملك وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتخرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة

---

(١) الوافي بالوفيات، ٥/٢

فيها،فقال له السلطان الملك الناصر:فاحلف لي أن تبقي علي نفسي وأنا أروح،وحلف كل منهما على ما أراده الآخر.

ولما توجه إلى الكرك أقام بها إلى أن قتل المنصور حسام الدين لاجين في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتعسين وست مائة على ما يذكر في ترجمته.

وحلف الأمراء للسلطان الملك الناصر وأحضروه من الكرك وملكوه وهذه سلطنته الثانية.

واستقر في النيابة بمصر الأمير سيف الدين سلار وفي الأتابكية حسام الدين لاجين استاد دار.وفي جمادى الأولى من السنة ركب السلطان الملك الناصر بالقاهرة في دست الملك والتقليد الحاكمي وعمره يومئذ خمس عشرة سنة،ورتب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائبا بدمشق.

وفي عود السلطان إلى الملك ثانيا قال علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت:

الملك الناصر قد أقبلت ... دولته مشرقة الشمس

عاد إلى كرسيه مثل ما ... عاد سليمان إلى الكرسي

ولما حضر التتار إلى الشام خرج السلطان بالعساكر إلى الشام للقاء العدو في أوائل سنة تسع وتسعين وست مائة فدخل دمشق في ثامن شهر ربيع الأول بعدما طول الإقامة على غزة وأقام في قلعة دمشق تسعة أيام.

وعدى قازان والتتار الفرات وخرج السلطان لملتقى العدو وساق إلى حمص وركب بكرة الأربعاء سابع عشرين الشهر المذكور وساق إلى وادي الخزندار،فكانت الوقعة والتحم الحرب واستحر القتل ولاحت إمارات النصر للمسلمين وثبتوا إلى العصر وثبت السلطان والخاصكية ثباتا كليا فانكسرت ميمنة المسلمين وجاءهم ما لا قبل لهم به،لأن الجيش لم يتكامل يومئذ وكان الجيش بضعة وعشرين ألفا والتتار قريبا من مائة ألف فيما قيل،وشرعوا في الهزيمة واخذ الأمراء السلطان وتحيزوا به وحموا ظهورهم وساروا على درب بعلبك والبقاع،وبعض العسكر المكسور عبروا دمشق واستشهد بالمصاف جماعة من الأمراء.

وخطب بدمشق للملك مظفر الدين محمود قازان ورفع في ألقابه،وتولى الأمير سيف الدين قبجق النيابة عن التتار بدمشق.

وملك قازان دمشق خلا القلعة فإن ارجواش قام بحفظها وأبان عن حزم عظيم وعزم قويم.." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٧٧/٢

"كان جمدارا وأمره أستاذه وكان يتحقق أمانته، فجعله مشد الدواوين فعمل الشد أعظم من الوزارة، وتنوع في عذاب المصادرين من الكتاب وغيرهم وقتل بالمقارع وأحمى الطاسات وألبسها الناس وأحمى الدسوت وأجلسهم عليها وضرب الأوتاد في الآذان ودق القصب تحت الأظافير وبلغ شدد. وجاء لولو غلام فندش فأقامه السلطان معه، فاتفقا على عقاب الناس وزاد البلاء في أيامهما على الكتاب وعلى الناس وسكنت روعته ومهابته في القلوب وكان الكاتب يدخل إليه وهو ميت، وقاسي الناس منه البلاء العظيم. ولم يزل كذلك إلى أن غضب يوما على لولو المذكور فأخذ العصا وضربه إلى أن هرب من قدامه وهو خلفه إلى باب القلعة البراني وخرب شاشه في رقبته، فدخل لولو على النشو وعلى قوصون وبذل المال، فاتفق أن **كان الغلاء سنة** ست وثلاثين وسبعمائة، فقال له السلطان: يا الأكوز، لا تدع أحدا يبيع الإردب بأكثر من ثلاثين درهما، وانزل إلى شون ؛لأمراء وألزمهم بذلك! فأول ما نزل إلى شونة قوصون وأمسك السمسار الذي له وضربه بالمقارع وأخرق بالأستاذدار، فطلع إلى قوصون وشكا حاله إليه، فطلبه وأنكر عليه فأساء عليه الرد، فدخل إلى السلطان فأخرق السلطان بقوصون فأكمنها له، وعمل عليه هو والنشو ولم يزالا عليه إلى أن غضب عليه السلطان ورماه قد امه وضربه بالعصي، ورسم عليه أياما ثم أخرجه إلى دمشق أميرا، فوصل إليها وأقام بها قليلا، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة تقريبا.

حكى لي القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الآبار قبل إمساك الأكوز بأربعة أشهر أو ما يقاربها أن بعض المشايخ حدثه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس في صدر الإيوان والسلطان أمامه واقفا على رأس الدرج وهو ينكر عليه ويقول له: ما هؤلاء الظلمة الذين أقمتهم؟ فقال: يا رسول الله، من هم؟ ثم توجه وغاب قليلا وأتى بالأكوز فقال: اذبحه! فاتكاه وأخذ يذبحه، فقال له: خله الآن! فما كان بعد أربعة أشهر حتى غضب عليه وجرى ما جرى.

أكيدر صاحب دومة الجندل

أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل، أتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك فأسلم. وقيل: بقي على نصرانيته وصالحه النبي صلى الله عليه وسلم ويحنه بن رؤبة على دومة وتبوك وأيلة. وقيل: أسلم ثم ارتد إلى النصرانية لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم. وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناء سماه دومة بدومة الجندل. فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وهو بعين التمر يأمره أن يسير إلى أكيدر، فسار إليه فقتله وفتح دومة ثم مضى إلى الشام. ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق.

ألب أرسلان صاحب حلب

ألب رسلان ابن السلطان رضوان ابن السلطان تتش ابن ألب رسلان التركي، ولي إمرة حلب بعد أبيه وله ست عشرة سنة، وولي تدبير ملكه البابا لؤلؤ فقتل أخويه ملكشاه ومباركا وجماعة من الباطنية والقرامطة، وقدم دمشق فتلقاه طغتكين والأعيان وأنزلوه القلعة وعاد إلى حلب وطغتكين في خدمته، فلم ير ما يحب ففارقه. ثم إنه ساءت سيرته بحلب وانهمك على المعاصي واغتصاب الحرم، وخافه البابا لؤلؤ فقتله ونصب أخا له طفلا عمره ست سنين، ثم قتل لؤلؤ ببالس. وكانت قتلة ألب رسلان سنة ثمان وخمسمائة.

ألبقش السلاحي

كان أميرا كبيرا ناب عن السلطان في المملكة، ثم توهم منه فقبض عليه وحبسه بقلعة تكريت ثم أمر بقتله، فعرف نفسه فأخرج من الماء وحز رأسه وحمل إليه سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.

ألبكي

الأمير فارس الدين." (١)

"إيل غازي، الملك السعيد نجم الدين أبو الفتح، صاحب ماردين ابن صاحب ماردين أرتق بن إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق؛ مات في الحصار والوباء بقلعة ماردين. كان حازما بطلا شجاعا ممدحا، ملك مدة ديار بكر. وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وست مائة، وقيل سنة تسع، مرض مرضا أشرف فيه على الموت، ثم أبل وبعث إلى هولاكو يطلب سابق الدين بلبان، فبعث به إليه، فاستماله مدة مقامه عنده، وأخبره بما لقي أهل حلب، وأشار عليه بتسيير هدية أخرى بعد الهدية التي سيرها، فجهزها معه، وجهز معه عز الدين بطة. فقال هولاكو لعز الدين سرا: اقض له حاجة، أقض لك ألف حاجة. قال: ما هي؟ قال: تعرفني هل الملك السعيد مريض حقيقة، أم لا؟ فقال: كان مريضا وازداد مرضا عند أخذك حلب، ثم عوفي، فقال: إذا ألزمته بالمجيء يجيء؟ قال: لا، لأنكم لا تفون، وتهينون الملوك وتكلفونهم ما لا يطيقون، وقد تحقق انك تقتله. قال: فإن قصدته يقدر يمنع نفسه مني؟ قال: نعم، لحصانة قلعته، وما فيها من الذخائر والأقوات مدة أربعين سنة. فأعطاه بالشت ذهب وزنه سبع مائة مثقال، وثيابا، وأصبح استدعاه واستدعى سابق الدين، وكتب لهما جوابا مضمونه أنه أعفاه من الحضور. واتفق مع سابق الدين على استفساد من أمكنه من أعيان ماردين وأمرائها، وكتب لهم فرمانات، فأشار عليه أن يسير للملك المظفر ابن السعيد ويطيب قلبه. ثم وصلا إلى السعيد، وخلا به عز الدين، وعرفه ميل سابق الدين إلى هولاكو، ثم

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٨٦/٣

عاد سابق الدين إلى هولاكو يعتذر إليه، فقالوا له: متى خلا بهولاكو أفسد عليه الحال، فسير يطلبه ليحمله رسالة أخرى، وكان أسد الدين البختي أمير ماردين قد وصل إليه فرمان هولاكو، فجهز قاصدا على فرس عريان، يعرفه باطن القضية، وأن لا يعود، فلحقه على دنيسر، فلم يعد، واتصل بهولاكو. وعلم السعيد أن التتار لا بد لهم من قصده، فنقل ما كان في البلد من الذخائر إلى القلعة. وجاء التتار ونزلوا على ماردين، ووصل ابن قاضي خلاط برسالة هولاكو، أن يفتح باب البلد ليدخل العسكر يمتارون ويرحلون، فأذن لهم، فترددوا في الدخول والخروج. ثم إن التتار جردوا سيوفهم ودقوا طبولهم، وهجموا البلد، فقاتلهم أهل البلد، ودربوا شوارعهم، ودام قتالهم ثلاثة وستين يوما إلى أن فتح لهم بعض مقدمي البلد دربا، فملكوه ودخلوا الجامع، وصعدوا المنابر، ورموا النشاب، فضعف أهل البلد، واحتموا بالكنائس لباطن كان لأصحابها مع التتار، وانحاز أكثرهم إلى القلعة، فملك التتار البلد، ونصبوا المجانيق على القلعة، فلم يصل إلى القلعة إلا ثلاثة أحجار. واستمر القتال من ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وست مائة، إلى أن دخلت سنة تسع وخمسين، فتوفي الملك السعيد في سادس عشر صفر - وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وست مائة. وكان الوباء قد وقع في أهل القلعة فأهلك أكثرهم. ورمى أحمد بن الفارس الشافصني بنفسه من القلعة إلى التتار، وأخبرهم بموته، فبعثوا إلى ولده المظفر، وطلبوا منه الدخول في الطاعة، وكان قد أقيم مقام أبيه، فأجابهم جوابا أرضاهم به، وأظهر الدخول في طاعتهم، وعمل على مداراتهم.

السعيد صاحب ماردين، الحفيد

إيل غازي، الملك السعيد نجم الدين ابن الملك المظفر ابن الملك السعيد إيلغازي حفيد المذكور أولا، توفي سنة خمس وتسعين وستمائة، وتملك بعده ماردين أخوه المنصور نجم الدين غازي.

إيماء بن رحضة

بفتح الراء والحاء المهملة والضاد المعجمة - بن خربة - بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء وبعدها باء موحدة - الغفاري؛ له ولابنه خفاف صحبة، وكانا ينزلان غيقة من بلاد غفار، ويأتيان المدينة كثيرا، ولابنه خفاف رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم قريبا من الحديبية، وكانوا مروا عليه ببدر وهو مشرك.

أيمن

أيمن بن عبيد الحبشي

وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أم أسامة ابن زيد بن حارثة، وأيمن هذا أخو أسامة لأمه. وكان أيمن هذا ممن بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، ولم ينهزم، وقال ابن

عباس: هو الذي عنى العباس بن عبد المطلب بقوله:

وثامننا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسه في الله لا يتوجع

المكي الطويل." (١)

"بيبغا آروس، الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية؛ أول ما ظهر وشاع ذكره في الأيام الصالحية ثم لما كان في قتلة المظفر حاجي ظهر واشتهر وباشر النيابة بمصر على أحسن ما يكون وأجمل ما باشره غيره، لأنه أحسن إلى الناس ولم يظلم أحدا. وكان إذا مات أحد أعطى إقطاعه لولده فأحبه الناس محبة كثيرة، وكان الأمير سيف الدين منجك أخوه فولاه الوزارة، فاختلف الناس من الأمراء الخاصكية لأجل أخيه، فأرضاهم بعزله يويمات ثم إنه أخرج الأمير شهاب الدين أمير شكار إلى نيابة صفد، ثم أخرج بعده الأمير سيف الدين الجيبغا إلى دمشق، على ما تقدم في ترجمته، ثم الأمير حسام الدين لاجين العلائي زوج أم المظفر إلى حماة. ولم يزل على حاله في النيابة، لا يفعل إلا خيرا ولا يسمع عنه سوء وهو محسن إلى الناس. ولما كان في زمن الوباء، أعطى أولاد من يموت إقطاع أبيهم، وحضرت إليه امرأة معها بنتان، وقالت هؤلاء مات أبوهن ولم يترك لي ولهم شيئا غير إقطاعه، فقال لناظر الجيش: اكشف عبرة هذا الإقطاع، فكشفه، فقال: يعمل خمسة عشر ألفا، فقال: من يعطي في هذا عشرين ألف درهم ويأخذه. فقال واحد: أنا أعطي فيه اثني عشر ألفا فقال: هاتها، فوزنها، فقال للمرأة: خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك بها. وكان فيه خير كثير إلى أن عزم على الحج، ولما تعين رواحه، حضر إليه أخوه منجك الوزير وقال له: بالله لا تروح، يتم لنا ما جرى للفخري ولطشتمر، فلم يسمع منه، وتوجه إلى الحجاز هو وأخوه فاضل ومامور والأمير سيف الدين طاز والأمير سيف الدين بزلار وغيرهم من الأمراء، فأمسك بعده الأمير سيف الدين منجك الوزير بأيام قلائل، على ما سيأتي في ترجمة منجك، وأمسك هو على الينبع في سادس عشرين القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، فقال لطاز: أنا ميت لا محالة فبالله دعني أحج فقيده وأخذه إلى الحج، وحج وطاف وهو مقيد وسعى على كديش، ولم يسمع بمثل ذلك في وقت؛ ولما عاد من الحجاز تلقاه الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير وأخذه وحضر به إلى الكرك وسلمه إلى النائب بها، وتوجهوا بأخيه فاضل إلى القاهرة مقيدا. وكان دخوله إلى الكرك في يوم الأحد سابع المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، وقلت أنا فيه:

تعجب لصرف الدهر في أمر بيبغا ... ولا عجب فالشمس في الأفق تكسف

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٤٠/٣

لقد ساس أمر الملك خير سياسة ... ولم يك في بذل الندى يتوقف
وأمسك في درب الحجاز فلم يكن ... له في رضى السلطان عن ذاك مصرف
وسلم للأقدار طوعا وما عنا ... ولو شاء خلى السيف بالدم يرعف
وسار إلى البيت الحرام مقيدا ... وريح الصبا تعتل والورق تهتف
فيا عجبا ما كان في الدهر مثله ... يطوف ويسعى وهو في القيد يرسف
وعاجوا به من بعد للكرك التي ... على ملكها نفس الملوك تأسف
وأودع في حصن بها شامخ الذرى ... تراه بأقرط النجوم يشنف
سيؤيه من آوى المسيح بن مريم ... وينجو كما نجى من الجب يوسف

ولم يزل في الاعتقال بالكرك إلى أن خلع الملك الناصر حسن وتولى الملك السلطان الصالح صلاح الدين، فرسم بالإفراج عنه وعن الأمير سيف الدين شيخو وبقية الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، ووصل إلى القاهرة، فوصله وخلع عليه ورسم له بنيابة حلب عوضا عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي لما رسم له بنيابة الشام، فحضر إلى دمشق نهار السبت ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة ومعه الأمير عز الدين طقطاي ليقره في نيابة حلب ويعود؛ ولما وصل إلى غزة عمل له الأمير سيف الدين بيبغا تتر نائب غزة سماطا فأكله، ولما فرغ منه أمسكه وجهزه إلى الكرك مقيدا ليعتقل به على ما بلغني في ذلك.
بيبغا." (١)

"من بعد ما أضنيتني ساخط ... علي في حبك أم راض

ومنه: من البسيط

قد كان قلبي صحيحا كالحمى زمنا ... فمذ أبحت الهوى منه الحمى مرضا
فلم سخطت على من كان شيمته ... وقد أتحت له فيك الحمام رضى
يا من إذا فوقت سهما لواحظه ... أضحى لها كل قلب قلب غرضا
أنا الذي إن يمت حبا يمت أسفا ... وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبست ثوب سقام فيك صار له ... جسمي لدقته من سقمه عرضا
وصرت وقفا على هم بجاذبني ... أيدي الصبابة فيه كلما عرضا
ما إن قضى الله شيئا في خليقته ... أشد من زفرات الحب حين قضى

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/٤٥٠

فلا قضى كلف نحبي فأوجعني ... إن قيل إن المحب المستهام قضى

نظام الدين ابن القلانسي

الحسن بن أسعد الصدر نظام الدين، أخو الصاحب عز الدين بن القلانسي توفي سنة خمس عشرة وسبعمئة.

ناصر الدين بن درباس

الحسن بن إسماعيل بن عبد الملك بن درباس الشيخ ناصر الدين ابن القاضي صدر الدين مدرس مدرسة سيف الإسلام التي بالبندقانيين بالقاهرة. توفي سنة ست وسبعين وستمئة وكان أديبا شاعرا ومن شعره.

أبو محمد الضراب المصري

الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب المصري أبو محمد، مصنف المروءة. توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة. وسمع أحمد بن مروان الدينوري وأبا الحسن محمد بن علي بن أبي الحديد المصري وأحمد بن مسعود المقدسي وعثمان بن محمد الذهبي وغيرهم وسمع بعسقلان وروى عنه ابنه عبد العزيز وأحمد بن علي بن هاشم المقرىء ورشأ بن نظيف الدمشقي وجماعة.

الشيخ حسن الكبير

حسن بن أقبغا بن ايلكان النوين الكبير الشيخ حسن صاحب بغداد كان أولا زوج بغداد خاتون ابنة جوبان وقد تقدم ذكرها فأحبها القان بو سعيد وأخذها منه بعد ما أتت منه بابنه الأمير أيلكان وأبعد الشيخ حسن الكبير ولم يزل إلى أن ملك بغداد ونزل بها وجرت له حروب وخطوب وكروب بعد موت بو سعيد مع طغاي بن سوتاي وإبراهيم شاه بن سوتاي وأولاد تمرتاش وغيرهم ونصره الله عليهم ثم أنه تزوج بعد موت بو سعيد بالخاتون دلشاذ ابنة دمشق خواجا فهي ابنة أخي بغداد ومال إلى ملوك مصر وهادنهم وانتظمت كلمة الوفاق بينه وبين ملوك مصر. وكان السلطان الملك الناصر محمد بكتب إليه وترد الرسل بينهما والهدايا ومال إلى المسلمين ميلا كثيرا وجرى في أيامه في **بغداد الغلاء العظيم** حتى أبيع الخبر على ما قيل بشح الدراهم ونزح الناس عن بغداد وعدم منها حتى الورق. ثم أنه أظهر العدل والأمن فتراجع الناس غليها في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة وفي أول سنة تسع وأربعين توجه إلى ششتر ليأخذ من أهلها قطيعة كان قررها عليهم فلما أخذها وعاد وجد نوبه قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاثة أجباب نحاس مثل أجباب الهريسة طول كل جب ما يقارب الذراعين والنصف وهي مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا وفي بعضه سكة الإمام الناصر وكان وزن ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي يكون ذلك مثاقيل خمسمسة ألف مثقال.

الغياثي البصري

الحسن بن زدغان – بضم الباء الموحدة وسكون الزاي وضم الدال المهملة وفتح الغين المعجمة وبعد الألف نون – ابن ايلدكز الغياثي البصري توفي ببغداد في الحادي والعشرين من صفر سو تسع وأربعين وستمئة أنشدني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان قال: أنشدنا للمذكور الحافظ شرف الدين الدمياطي: من البسيط

يا حبذا ليلة بات الحبيب بها ... يجلو علي كؤوس الراح في الغسق

فاعجب لبدر دجى يسعى بشمس ضحى وفرعه كالدجا والفرق كالفلق

جلت معانيه عن وصف يحيط بها ... فلا شبيه لها في الخلق والخلق

نادمته وسواد الفرع يسترنا ... لولا بياض ثنايا ثغره اليقق

يصغي حياء إذا عاتبته خجلا ... حتى تبلل صدغاه من العرق

وتغرب الشمس شمس الراح في فمه ... فينجلي فوق خديه سنا الشفق

قلت: شعر متوسط وهذا المعنى متداول وأحسن ما فيه قول القائل: من البسيط." (١)

"واتصل البهاء بعده بخدمة الناصر بالشام وله فيه مدائح. ثم رجع إلى القاهرة ولزم بيته يبيع كتبه وموجوده. ثم انكشف حله بالكلية ومرض **أيام الوباء ومات**. وقيل إنه ترك مكاتبات الديوان في الديوان وفيهما جواب الناصر داود. فحضر الدوادار وطلب الكتب للعلامة والبهاء زهير غائب. فدفعهما إليه فخر الدين بن لقمان فيما أظن فدخل بها إلى السلطان فتأملها وعلم عليها. وكتب بين السطور في جواب الناصر داود: يا بهاء الدين هذا ما يكتب إليه بغير هذا وداهنه ولا تبدي له شيئا مما عندنا، أو قال كلاما هذا معناه. وفعل الصالح ذلك بناء على أن البهاء زهيرا يقف على الكتاب ويقرأ ما كتبه السلطان ويفك الأوصال ويغير الكتب على ما أراده. ثم إن الدوادار أحضر الكتب إلى الديوان وسفر فخر الدين لقمان القاصد إلى الناصر بجوابه ولم يقف عليه هذا كله وبهاء الدين زهير غائب. فلما وقف الناصر على جواب الصالح ورأى خطه ۭهز إلى الصالح يقول له: هكذا تكون الملوك وأيمانهم وأنت تبطن خلاف ما تظهر. وذكر له ما كتبه في جوابه بخطه. فلما وقف الصالح على ذلك استشاط غضبا وطلب البهاء زهيرا وقال له: أنا أعلم أنك أنت ما فعلت هذا معي ولكن قل لي من هو الذي اعتمد هذا لأقطع يده. فقال: يا خوند ما فعله إلا أنا. فألح عليه فأصر على الإنكار. فقال له: أنت لك علي حق خدمة وأنا ما آذيك ولكن خل لي هذه

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٢٢/٤

البلاد ورح. فخرج من مصر وعطل ولم يقل عن فخر الدين بن لقمان ما فعل. والله أعلم بصحة غضب الصالح عليه.

وكان البهاء زهير فيما يذكر أسود قصيرا شيخا بذقن مقرطمة وكان غريب الشكل. فكان يسلك مسلك ابن الزبير في وضع الحكايات على نفسه ظرفا منه ولئلا يدع لأحد عليه كلاما يتهكم به. وحكاياته في ذلك مشهورة. منها أنه حكى لجماعة الديوان قال: جاءت اليوم امرأة ما رأيت في عمري أحسن منها وراودتني على ذلك الفعل فلما كان ما كان أردت أن أدفع إليها شيئا من الذهب فقالت: ما فعلت هذا لحاجة ولكن أرأيت في عمرك أحسن مني؟ فقلت: لا والله. فقالت: إن زوجي يدعني ويميل إلى واحدة ما رأيت في عمري أوحش منها.

فلما عذلته ونهيته وما انتهى أردت مكافأته وقد فتشت هذه المدينة فلم أر فيها أوحش منك ففعلت معك هذا مقابلة لزوجي كونه تركني ومال إلى أوحش من في هذه المدينة. فقلت لها: أنا ها هنا كلما اجتمع زوجك بتلك تعالي أنت إلي.

وأنا أعتقد أن ذلك لم يقع وإنما أراد بهاء الدين زهير بذلك أن يتظرف ويسبق الناس إلى التندير عليه رحمه الله وسامحه.

وكتابته جيدة قوية مصقولة مليحة منسوبة. رأيت بخطه نسختين بالأمثال للميداني. وخطه عندي على بعض مجلداته.

وذكر القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان أنه اجتمع به وأثنى عليه ثناء كثيرا في ترجمته في تاريخه. وروى عنه شهاب الدين القوصي عدة قصائد والدمياطي وغيرهما.

نقلت من خط شهاب الدين القوصي في المعجم قال: أنشدني بهاء الدين أبو الفضائل لنفسه: من الطويل

وحقكم ما غير البعد عهدكم ... وإن حال حال أو تغير شان

فلا تسمعوا فينا بحقكم الذي ... يقول فلان عندكم وفلان

لدي لكم ذاك الوفاء بحاله ... وعندي لكم ذاك الوداد يصان

وما حل عندي غيركم في محلكم ... لكل حبيب في الفؤاد مكان

ومن شغفي فيكم ووجدي أنني ... أهون ما ألقاه وهو هوان

ويحسن قبح الفعل إن جاء منكم ... كما طاب ريح العود وهو دخان

قال وأنشدني لنفسه: من الوافر

حبيبي عينه قالوا تشكت ... وذلك لو دروا عين المحال

أتشكو عينه ألما وفيها ... يقال أصح من عين الغزال

ولكن أشبهت لون الحميا ... كما أشبهتها في الفعال

قال وأنشدني لنفسه: من مجزوء الكامل

وافى كتابك وهو بال ... أشواق عني يعرب

قلبي لديك أظنه ... يملي عليك فتكتب

قال وأنشدني لنفسه: من مجزوء الرمل

كلما قلت خلونا ... جاءنا الشيخ الإمام

فاعترفنا كلنا من ... هـ انقباض واحتشام

فهو في المجلس فدم ... ولنا فهو فدام

وعلى الجملة فالشي ... خ ثقيل والسلام." (١)

"وكان قد أقام بدمشق مدة يتردد إلى الزبداني للتعليم، ولما فتحت مصر انتقل إليها، وحظي بها، ورتب له صلاح الدين على جامع مصر جاريا يقرئ به النحو والقرآن. ولما كان في آخر **سني الغلاء بمصر** توفي وبقي في بيته ثلاثة أيام ميتا لأنه كان يحب الانفراد والخلوة. وكان يتطلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر، وكانوا يقولون له: أنت في الشتاء من حشرات الأرض! وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة وصب الماء الحار الناضح بيده الأخرى على رأسه ثن يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه، يفعل ذلك مرارا ويقول: أخاف من الهواء! وكان إماما نحويا مؤرخا شاعرا وله: العرض الكبير نحو ثلاث مائة ورقة، وكتاب العروض الصغير، وكتاب العظات والموقظات، وكتاب النبر في العربية، وكتاب أخبار المتنبي، وكتاب المستزاد على المستجاد من فعلات الأجواد، وكتاب علم أشكال الخط، وكتاب التصحيف والتحريف، وكتاب تعليل العبادات.

وحضر يوما عند البلطي بعض المطربين فغناه صوتا أطربه فبكى البلطي وبكى المطرب فقال البلطي: أما أنا فإني طربت فأنت علام تبكي؟ فقال: تذكرت والدي فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى! فقال البلطي: فأنت إذا والله ابن أخي! وخرج فأشهد على نفسه جماعة من عدول مصر بأنه ابن أخيه ولا وارث له سواه

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤/٤٩١

ولم يزل ذلك المطرب يعرف بابن أخي البلطي. وكان البلطي ماجنا خليعا خميرا منهمكا على الشراب واللذات.

ومن شعره:

دعوه على ضعفي يجور ويشتط ... فما بيدي حل لذاك ولا ربط

ولا تعتبوه فالعتاب يزيده ... ملالا وأني لي اصطبار إذا يسطو

تنازعت الآرام والدر والمهى ... له شبها والغصن والبدر والسقط

فللريم منه اللحظ واللون والطلى ... وللدر منه اللفظ واللحظ والخط

وللغصن منه القد والبدر وجهه ... وعين المهى عين بها أبدا يسطو

وللسقط منه ردفه فإذا مشى ... بدا خلفه كالموج يعلو وينحط

ومنه على نمط قول الحريري في مقاماته:

محملة العاقل عن ذي الخنا ... توقظه إن كان في محلمه

مكلمة الخابط في جهله ... لقلب من يردعه مكلمه

مهدمة العمر لحر إذا ... أصبح بين الناس ذا مهدمه

محرمة الملحف أولى به ... إياك أن ترعى له محرمه

مسلمة يمنعها غاصب ... حقا فأمسى جوره مسلمه

مظلمة يفعلها ظالما ... تلقيه يوم الحشر في مظلمه

من دمه أهدره الحب ... لا غرو إذا حلت به مندمه

أسلمه الحب إلى هلكه ... فإن نجا منه فما أسلمه

أشأمه البين وقد أعرقوا ... فيا لهذا البين ما أشأمه

مكتمة الأحزان في أدمعي ... يبدو نصول الشيب من مكتمه

محرمة الدهر رفيقي ففي ... ذرى جمال الدين لي محرمه

مقسمة الأرزاق في كفه ... أبلج زانت وجهه مقسمه

قال ياقوت في معجم الأدباء: وهي خمسون بيتا من هذا الأنموذج، قلت: لست ہذه الأبيات من نمط قول الحريري المشهور في مقاماته بل هذه من باب الجناس التام وهو ما اتفق لفظه واختلف معناه. لأن الحريري يأتي الأول بلفظتين إما مستقلتين وإما الثانية بعض كلمة أخرى ثم يأتي في الآخر بكلمة واحدة تشبه تينك

اللفظتين الأوليين، وهو ظاهر. وما كأن البلطي ذاق قول الحريري وما أتى في قوله ما يشبه قول الحريري إلا قوله: من دمه ومندمه لا غير! وأورد له ياقوت أيضا نمط قول الحريري في مقاماته:

آس أرملا إذا عرا

وهي أبيات يقرأ كل بيت منها مقلوبا:

اسع لا بقاء سنا ... إنسأ قبا لعسا

اسخ بمولى درع ... ردعاء لوم بخسا

اسد ندا عف نما ... من فعاد ندسا

إسمح بصد ناعم ... معاند صبح مسا

قلت: بينها وبين أبيات الحريري بون عظيم.." (١)

"قاتل يوما المصاف إلى ان قتل، واسر ولده وأحضر بين يدي المظفر قطز، فسأله عن أبيه فقال: أبي ما يهرب فأبصروه في القتلى، فأحضروا عدة رؤوس فلما رآه ولده بكى وقال للمظفر: يا خوند نم طيبا فما بقي لك عدو تخاف منه؛ كان هذا سعد التتار وبه يهزمون الجيوش ويفتحون الحصون.

ولما بلغ هولاكو قتله ضرب بيسراه وجه الأرض وركب وكر راجعا بعدما قتل الناصر صاحب الشام على ما يأتي في ذكره، وكان هلاكه سنة ثمان وخمسين وستمائة.

الملك العادل

كتبغا الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المغلي: كان أسمر دقيق الصوت، له لحية صغيرة في الحنك.

اسر حدثا كم عسكر هولاكو نوبة حمص الأولى في آخر سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأمره أستاذه الملك المنصور فكان من أمراء الألوف، ثم إنه عظم في دولة الأشرف.

ولما قتل الشرف التف الخاصكية عليه فحمل بهم على بيدرا وقتلوه.

ولما حضر السلطان الملك الناصر جعل كتبغا نائبه، واستمر الحال سنة، ثم تحول الناصر إلى الكرك وتسلطن كتبغا ولقب بالعادل، ونهض بأمره لاجين وقراسنقر وطائفة كان قد اصطنعهم في نوبة الأشرف.

وتمكن وقدم دمشق وصلى بجامعها الأموي غير مرة، وسار في الجيش إلى حمص ثم رد، فلما كان بأرض بيسان وثب عليه حسام الدين لاجين وشد على بتخاص والأزرق فقتلهما في الحال، وكانا عضدي كتبغا،

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٤٣/٦

واختبط الجيش، وفر كتبغا على فرس النوبة، وتبعه أربعة من غلمانه في صفر سنة ست وتعين وستمائة، فكانت دولته سنتين.

وساق كتبغا إلى دمشق فتلقاه مملوكه نائبها في الأمراء وقدم القلعة ففتح له بابها ارجواش، ودقت البشائر له، ولم ينتظم له الحال.

واجتمع كجكن والأمراء وحلفوا لمن هو صاحب مصر وصرحوا لكتبغا بالحال فقال: أنا ما مني خلاف، وخرج من قصر السلطنة إلى قاعة صغيرة وبذل الطاعة فرسم له أن يقيم بقلعة صرخد، وأتاه بعض غلمانه ونسائه، وانطوى ذكره إلى بعد نوبة قازان، فأحس ن السلطان الملك الناصر إليه وأعطاه حماة، فمات بها سنة اثنتين وسبعمائة.

وكان موصوفا بالديانة والخير والرفق بالرعية.

وكانت وفاته يوم الجمعة يوم النحر. ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق.

وجرى في **أيامه الغلاء العظيم** بالديار المصرية، وكان إذ طالعوه بخبر المقياس يبكي ويقول: هذا بخطيئتي.

وفيه يقول علاء الدين الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق، ومن خطه نقلت:

إنما العادل سطان الورى ... عندما جاد بتشريف الجميع

مثل قطر صاب قطرا ماحلا ... فكسا أعطافه زهر الربيع

الأمير زين الدين الحاجب

كتبغا الأمير زين الدين أمير حاجب الشام: أظنه تولى نيابة شيزر في وقت.

ولما كان بدمشق حاجبا كان الأمير سيف الدين تنكز يعظمه ويجلس قدامه ويرمل على يده في بأيام الخدم.

وكان يحترمه ويحب حديثه ويصغي غليه ويقبل شفاعاته ويزوره في بيته.

وكان محتشما في نفسه رئيسا يحضر السماعات ويرقص فيها، وأظ نه لبس في وقت زي الفقراء، ومشى معهم، إلا أنه كان فيه استحالة، وذلك أنه إذا دخل عليه أحد في بيته في أمر قال له: السمع والطاعة، ومن أحق منك بهذا الذي تطلبه؟ قف غدا لمولانا ملك الأمراء في الخدمة وأنا غدا أساعدك وتبصر ما أقول.

فإذا وقف ذلك المسكين قال: يا مولانا، أي حايك قام، أو أي بيطار قام، قال يريد يصير جنديا، فإذا سمع الأمر سيف الدين ذلك قال: نحه، فتناول ذلك المسكين العصي من كل جانب.

وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

الألقاب

ابن كتيلة: عبد الباقي بن أحمد.

كتيلة: عبد الله بن أبي بكر.

الكتندي الشاعر: محمد بن عبد الرحمن.

كثير

السلمي الصحابي

كثير بن عمرو السلمي حليف بني أسد، وقيل: بني عبد شمس، وبنو أسد حلفاء لبني عبد شمس: شهد بدرا فيما ذكر ابن إسحاق من رواية زياد، وليس في رواية ابن هشام.

وذكر ابن السراج عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي، عن أبيه، عن زيد عن ابن إسحاق، قال: وشهد بدرا من حلفاء لبني أسد كثير بن عمرو وأخوه مالك بن عمرو.

قال ابن عبد البر: ولم أر كثير في غير هذه الرواية، ولعله أن يكون ثقف لقبا له واسمه كثير.

كثير بن العباس

كثير بن العباس بن عبد المطلب أبو تمام:." (١)

"

٧٥٠ - وفي سنة خمسين وسبعمائة **وقع الوباء الأول** العام في الأرض وتوفي في هذه السنة الكثير من الفقهاء وممن توفي في قطرنا في هذه السنة الشيخ الفقيه القاضي بتونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري شارح مختصر ابن الحاجب في الفقه والشيخ الفقيه المفتي بتونس أبو عبد الله محمد بن هارون شارح

." (٢)

" مختصريه

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٧٢/٧

(٢) الوفيات، ص/٣٥٤

٧٥٠ - وفي هذه السنة توفي الخطيب والدي حسن بن علي ومن أشياخه الشيخ أبو علي ناصر الدين البجائي وابن غريون وأبو حيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وأبو علي بن حسين البجائي وبسبب فتنة **هذا الوباء واختلاف** طلبته في الفرار ممن

". (١)

"توفي الإمام المحدث الصالح أبو العباس أحمد بن فرحون والد نزيل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تلامذة أبي محمد المرجاني وأبي العباس البطرني، بتونس سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة.

وتوفي الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المفسر البجائي، ببجاية، سنة أربع وأربعين وسبعمائة.

وفي التي تليها توفي الشيخ أبو حيان النحوي بالقاهرة.

وفيها أو في التي تليها توفي الشيخ محمود بن أبي القاسم شمس الدين الأصبهاني، شارح مختصر ابن الحاجب في الأصول بالقاهرة.

وفي هذه السنة توفي بمدينة فاس الشيخ الفقيه الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي الذي تنسب إليه شروح الرسالة وهي من تقييدات الطلبة بمجلسه.

وفي سنة سبع وأربعين وسبعمائة توفي ببجاية الشيخ الفقيه أبو عزيز محمد بن علي البجائي. وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي بقسنطينة ودفن بزاوية بها.

وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة توفي الشيخ الراوية المحدث الكاتب الشهير أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن علي محمد الحضرمي السبتي، ومن أشياخه الأستاذ الشهير أبو الحسن بن أبي الربيع النحوي والخطيب أبو صالح الكناني والقاضي أبو العباس بن الغماز وغيرهم من الأعلام. وفي هذه السنة توفي الشيخ الفقيه المحصل القاضي ابن أبي يحيى التازي شارح رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى.

وفي سنة خمسين وسبعمائة **وقع الوباء الأول** العام في الأرض وتوفي في هذه السنة الكثير من الفقهاء. وممن توفي في قطرنا في هذه السنة الشيخ الفقيه القاضي بتونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري شارح مختصر ابن الحاجب في الفقه. والشيخ الفقيه المفتي بتونس أبو عبد الله محمد بن هارون شارح

---

(١) الوفيات، ص/٣٥٥

مختصريه.

وفي هذه السنة توفي الخطيب والدي حسن بن علي. ومن أشياخه الشيخ أبو علي ناصر الدين البجائي وابن غريون وأبو حيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وأبو علي بن حسين البجائي وبسبب فتنة **هذا الوباء واختلاف** طلبته في الفرار ممن مرض به ألف كتابا فيه سماه المسنون في أحكام الطاعون وله المسائل المسطرة في النوازل الفقهية.

؟وفي هذه السنة توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله الصفار ودفن في مسجده بداخل باب القنطرة من أبواب بلدنا. وهو من تلامذة جدي للأم.

؟العشرة السادسة من المائة الثامنة

٧٥١ - ٧٦٠هـ؟ ، ١٣٥٠ - ١٣٥٩م توفي الشيخ الفقيه أبو موسى عيسى بن أبركان ببجاية شهيدا غلطا من الضارب سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة توفي ببجاية الفقيه المحصل أبو علي بن حسين وله شرح على المعالم.

وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة توفي ببلدنا الفقيه المتفنن أبو القاسم ابن الحاج عزوز من بني علناس وله مختصر حسن في الفرائض وله غير ذلك.

وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة توفي بمدينة فاس الشيخ الفقيه القاضي الراوية أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق وكان له سند صريح وقلم فصيح.

وفي سنة ستين وسبعمائة توفي الشيخ خليل إمام حرم مكة محمد بن عبد الرحمن المالكي المحدث المفتي في مسائل الحج وغيره.

؟العشرة السابعة من المائة الثامنة

٧٦١ - ٧٧٠هـ؟ ، ١٣٥٩ - ١٣٦٩م توفي الشيخ الراوية المسن الشهير المحدث بالحرم الشريف صلاح الدين أبو سعيد المقدسي بالقدس سنة إحدى وستين وسبعمائة وروى عنه عدد كثير من أهل العلم. وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح الشهير الأستاذ البليغ في القراءة أبو عبد الله محمد بن الصفار المراكشي بمدينة فاس. وفيها توفي ابن هشام صاحب المغني.

وفي هذه السنة توفي شيخنا قاضي الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى، أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني السبتي وكتب لي بالإجازة العامة بعد التمتع بمجلسه وله شعر مدون سماه جهد المقل وله شرح

الخزرجية في العروض، وقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها. وكان إماما في الحديث والفقه والنحو، وهو على الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه. ولم يكن أحد بعده مثله بالأندلس.." (١)

" محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الخالق جمال الدين أبو العيث بن تقى الدين بن نور الدين بن الصائغ الدمشقي سمع من الحجاز وأسماء بنت صصرى وغيرهما وولي قضاء حمص وغزة ودرس بالعمادية بدمشق . وأقام عند جده بحلب مدة وناب في الحكم بسرمين ومات في ذي الحجة عن نحو الأربعين وقال ابن حبيب : عن بضع وأربعين قلت : وهو أخو شيخنا أبي اليسر أحمد

محمد بن فيروز بن كامل بن فيروز الحوارني شمس الدين قاضي القدس مات به في ربيع الأول وكان قد ولي قضاء حلب وغيرها

محمد بن محمد بن عبد الله الهاشمي أبو الخير بن فهد المالكي سمع من الفخر النويري والسراج الدمنهوري وغيرهما مات في ذي الحجة

محمد بن محمد بن عيسى الأقصرائي الحنفي بدر الدين قدم دمشق وسمع على المزي وغيره ودرس بالمعزية البرانية بالشرف الأعلى وخطب بها مات في ذي القعدة

محمد بن محمد بن يعقوب النابلسي ثم الدمشقي بدر الدين بن الخواسي الحنفي سمع من عيسى المطعم وأبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم وغيرهما وعني بالعلم وناب في الحكم مات في تاسع شهر ربيع الآخر عن ستين سنة وأشهر

محمد بن موسى بن ياسين بن مسعود الحوراني ثم الدمشقي سمع من الحجار وغيره وناب في الحكم بدمشق وولي قضاء القدس مات في تاسع عشر ربيع الأول بدمشق

محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي اللوشي بفتح اللام وسكون الواو بعدها شين معجمة الغرناطي سمع علي ابن جعفر ابن الزبير سنن النسائي الكبرى والشفاء والموطإ سمع على أبي الحسن فضل بن محمد المعافري وكان عارفا بالحديث وضبط مشكله وبالقراءات وطرقها مشاركا في الفقه وغيره مات في جمادى الآخرة أخذ عنه شيخنا قاسم بن علي المالكي الذي مات سنة إحدى عشرة وثماني مائة

---

(١) الوفيات لابن قنفذ، ص/١٣

محمد نظام الدين بن الخوارزمي ثم المصري مدرس الفقه بالجامع الطولوني ذكره محمد بن عبد الرحمن العثماني قاضي صفد في طبقات الفقهاء فقال : كان من أكابر العلماء الشافعية وعلمائها مات بمصر

يحيى بن عبد الله الرهوني شرف الدين الفقيه المالكي اصله من المغرب واشتغل ومهر ودرس بالشيخونية ودرس الحديث في الصرغتمشية وأفتى وله تخاريج وتصانيف تخرج به المصريون مات في ثالث شوال ورثاه ابن الصائغ وأرخه بعضهم سنة أربع وسبعين في ذي القعدة

يحيى بن محمد بن زكريا بن محمد بن يحيى العامري البلدي الحموي بن الخباز الشاعر الزجال تلميذ السراج المحار تمهر ونظم في الفنون وشارك في الآداب وقد كتب عنه الصفدي وغيره وكان يتشيع مات في ذي الحجة وقد عمر طويلا قال الصفدي : اجتمعت به غير مرة وأنشدني من نظمه وسألته عن مولده فقال : في سنة سبع وتسعين وستمائة في شهر المحرم بحماة . وكان مشاركا في الآداب

سنة أربع وسبعين وسبعمائة

فيها اشتد الحر بوادي الأخيضر على الحاج الشامي وهم رجوع فمات منهم جماعة عطشا وكان السبب في ذلك أن أمير الحاج في الذهاب ضرب الموكلين على الفساقي بسبب قلة ما بها من الماء فلما عاد الحاج لم يجدوا أولئك ملؤا في الفساقي شيئا أصلا حقدا منهم على ما صنع بهم وكان في ظن الحاج أنهم يجدون الفساقي ملأ فقدموا ملأى فقدموا معتمدين على ذلك حتى أن بعضهم سقى بقية ما معه من الماء للجمال ولما وصلوا فلم يجدوا الماء اقتتلوا على البئر فمات منهم خلق كثير من الزحمة ومن العطش ومات بعد ذلك منهم اكثر ممن قتل بالعطش

وفيها **كان الوباء بدمشق** فدام قدر ستة أشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر وفي ربيع الأول الموافق لتشرين الأول زادت الأنهار بدمشق فسدت أبوابها فانكسر بعضها فانقلب على نهر بردى فتلف بسبب ذلك شيء كثير وبطلت طواحين كثيرة وحمامات

وفيها ولي صلاح الدين بن عرام نيابة الإسكندرية عوضا عن شرف الدين موسى الأزكشي وكانت ولاية الأزكشي في هذه السنة اشهرا

وفيها أمر أن لا يزيد عدد الشهود في كل مركز على أربعة وان لا يستنيب أحد من القضاة من غير مذهبه وذلك من قبل الجاي اليوسفي المتحدث في المملكة

وفيها استقر الجاي أتابك السلطنة وولي نظر المارستان فاستناب كريم الدين بن الغنام فيه

وفيها ولي اشقتمر المارديني نيابة حلب بعد ايدمر المتوفي في العام الماضي

وفيها استقر يلبغا الناصري شاد الشربخاناة ." (١)

" محمد بن عمر بن علي بن عمر الحسيني القزويني ثم البغدادي محب الدين إمام الجامع ببغداد وكان أبوه آخر المسندين بها حدث عن أبيه وغيره واشتغل بعد أبيه على كبر إلى أن صار مفيد البلد مع اللطافة والكياسة وحسن الخلق وصار يسمع البخاري في كل سنة ويجتمع عنده الخلق الكثير مات في هذه السنة عن نيف وستين سنة

محمد بن عيسى اليافعي الفقيه الشافعي قاضي عدن كان فاضلا خيرا وهو والد صاحبنا الفقيه عمر قاضي عدن أيضا

محمد بن قاسم بن محمد بن علي الغساني المالقي كان عارفا بالقراءات مع مشاركة في الفنون وهو من شيوخ شيخنا بالإجازة قاسم بن علي المالقي

محمد بن محمد البكري صدر الدين الحنفي قاضي الإسكندرية كان أصله من الشام فقدم مصر فولاه السراج الهندي نيابة الحكم ثم ولي قضاء الإسكندرية إلى أن مات في ذي القعدة

محمد بن مسعود المقرئ المالكي صلاح الدين تلا بالسبع علي التقي الصائغ وكان متصديا للإقراء حتى أن القاضي محب الدين ناظر الجيش كان يقرأ عليه

ماجد بن إسحاق بن عبد الوهاب بن عبد الكريم سعد الدين بن تاج الدين القبطي المصري ناظر الخاص بدمشق عظمه ابن حبيب وأثنى عليه

مارى حاطة بن منشا مغا بن منشا موسى بن أبي بكر التكروري صاحب التكرور مالك بعد أبيه وهادي الملوك وكان كثير التبذر والفسق فطرقه مرض النوم فصار ساسا مدة حتى مات في هذه السنة وملك ابنه منشا موسى

محمود بن علي بن عبد العزيز بن أبي جرادة نور الدين الحنفي العقيلي الحلبي ولد سنة أربع وسبعمائة ومات في المحرم

محمود بن قطلوشاه السراي الحنفي أوحد الدين قدم من بلاده وهو كبير فأقام بالشام مدة فشغل وأفاد . وتخرج به جماعة ثم أقدمه صرغتمش بعد وفاة القوام الاتقاني فولاه مدرسته فلم يزل بها إلى أن مات

---

(١) انباء الغمر، ص/١٠

. وكان غاية في العلوم العقلية والأصول والعربية والطب مع التودد والسكون والانجماع مع عظم قدره عند أهل الدولة مات في شهر رجب عن ثمانين سنة أو أزيد

سنة ست وسبعين وسبعمائة

فيها طلع النيل على عادته وأوفى في ربيع الأول رابع عشرى مسرى واستهلت والغلاء قد تزايد جدا إلى أن بلغ الأردب بمائة وعشرة ثم بلغ في شعبان مائة وخمسة وعشرين وقيمتها بالذهب إذ ذاك خمسة مثاقيل وربع وبيع إذ ذاك دجاجة واحدة بأربعة دراهم وصار أكثر الناس لا يقدر إلا على النخالة كل قرص أسود بنصف درهم وأكل الفقراء السلق والطين وكادت الدواب أن تعدم لكثرة الموت بها وأكلوا الميتات وأمر السلطان بتفرقة الفقراء على الأغنياء فكان على الأمير المقدم على الألف مائة فقير وعلى كل أمير بعدد مماليكه ونحو ذلك وعلى الدواوين كل واحد بحسبه وعلى التجار كذلك ونودي في البلد بأن من سأل في الأسواق صلب ومن تصدق عليه ضرب

وفيها عقب الغلاء وزيادة النيل وتكامل الزرع وقع الفناء فتزايد في الفقراء لا سيما لما دخل البرد وزاد ذلك إلى أن بلغ في اليوم من الحشريين مائتي نفس ومن الطرحاء نحو خمسمائة ثم بلغوا إلى نحو الألف وتصدى الأمير ناصر الدين بن آقبغا آص والأمير سودون الشيخوني لدفن الطرحاء من أموالهما . وبلغ ثمن الفروج خمسة وأربعين والسفرجلة خمسين والرمانة عشرة والبطخية سبعين ثم ارتفع الفناء وتراجع السعر إلى أن بيع القمح في ذي القعدة سعر سبعين وفي آخرها إلى عشرين

وفيها أعيد ابن الغنام إلى الوزارة في شهر رجب وسلم له التاج الملكي فصادره إلى ثمانين ألف دينار ونفاه إلى الشام على حمار وخرب داره بمصر إلى الأرض

وفيها صرف كمال الدين المعري من قضاء حلب وأعيد الفخر الزرعي

وفيها شغر قضاء الحنفية بموت قاضيه صدر الدين بن التركماني فطلب الأشرف القاضي شرف الدين بن منصور لذلك من دمشق فحضر فلم يتم له أمر وعرض السلطان القضاء على الشيخ جلال الدين التباني فامتنع فألح عليه وأحضرت الخلعة فأصر على الامتناع وقال : العجم لا يعرفون أوضاع أهل مصر فآل الأمر إلى استقرار صدر الدين بن الكشك

وفي ربيع الأول تحدث السلطان بسفر الحجاز وأمر الأمراء بالتجهيز

وفي آخر السنة قبض على الوزير ابن الغنام وأبطل من الوزارة واستقر شرف الدين موسى الأزكشي مشيرا وسعد الدين بن زيشه ناظر الدولة ." (١)

" وفيها كائنة الشيخ محمد المقارعي كان عاميا يقول الشعر ويدعى العرفان ويجتمع إليه العوام فيتكلم بكلمات فظيعة فثار عليه جماعة من الحنابلة وادعى عليه عند صدر الدين بن العز قاضي الحنفية بدمشق بأشياء قبيحة تشتمل على الاتحاد والطعن في القرآن والشريعة وإنكار البعث وشهد عليه ببعضها فسجن ثم سعى بعض من تعصب له فنقل إلى القاضي أبي البقاء وجددت عليه الدعوى فأجاب بأنه أشعري وأن من شهد عليه حنبلي وأنهم تعصبوا عليه وأحضروا كتابا زعموا أنه من تأليفه وأنه يشتمل على زندقة فتأمله القاضي فذكر أنه ليس فيه شيء من ذلك ورده إلى السجن ثم أخرج في المحرم من السنة المقبلة وجددت عليه الدعوى وشهد بعض الشهود ثم آل الأمر إلى أن حقن دمه وأطلق

وفيها صادف الحاج سيل عظيم بخليص اتلف شيئا كثيرا في الذهاب ثم صادفهم في الرجعة هواء عاصف . وكان الشعير في الطلعة قد غلا جدا حتى بيع الكيل بمائة

وفيها وقع الغلاء بحلب وأعمالها كنحو ما وقع بمصر

وفيها كان الطاعون فاشيا بدمشق من رمضان من السنة الماضية فتزايد في المحرم إلى أن بلغ خمسمائة ثم تناقص بعد ذلك ومات فيه جماعة من الأعيان فذكر الشهاب بن حجى أن يعقوب الدلال بسوق الخيل أخبره أنه رأى الجن عيانا على خيل كالجراد المنتشر بأيديهم رماح في بعض أزقة الصالحية وطاعنهم وطاعنوه وصار يتحدث بذلك ويحلف والناس ما بين مصدق ومكذب فطعن هو ومات عن قرب ورئي في بدنه أثر طعنات قال : أخبرني بذلك من ولي غسله

وفيها ولي سري الدين أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن عمر الأندلسي المالكي قضاء حلب وهو أول مالكي قضى بها

وفيها لما قرأ البخاري أمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا فحضر جماعة من الأكابر

وفيها مات من أمراء الترك جماعة منهم : اسنبغا القوصوني واسنبغا البهادري والطنبغا النظامي وسلطان شاه بن قرا وطغيتمر دوادار يلبغا الكبير وقرقماش الصرغتمشي

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٣

وفيها حج الصالح صاحب حصن كيفا وعزم على المجاورة والتخلي عن الملك فأشار عليه من معه من أمرائه بتأخير ذلك لئلا تضيع المصلحة بأهله وقومه بالحصن فرجع إلى مقر ملكه وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى في حوادث ٧٨٠ ، من تفويضه حصن كيفا لأخيه سليمان

ذكر من مات

في سنة ست وسبعين وسبعمائة من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن محمد بن هبة الله الحلبي كمال الدين ابن أمين الدولة الحنفي كان وكيل بيت المال بحلب ولي بها عدة ولايات وكان كاتبا مجيدا وقد سمع من سنقر الزيني البخاري ومشيخته تخريج المقاتلي والذهبي ومن إبراهيم ابن عبد الرحمن الشيرازي جزء ابن عيينة ومن أبي بكر أحمد وأبي طالب عبد الرحيم ابني ابن العجمي جزء ابن فارس وحدث مات في جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة لأن مولده كان في ربيع الآخر سنة خمس وتسعين سمع من ابن ظهيرة بحلب ودمشق

إبراهيم بن حسن بن عمر بن حمود البعلي ثم المرقبي سمع من الحجار سمع منه ابن حجى وأرخه في صفر

إبراهيم بن عبد الله البغدادي نزيل دمشق وهو شيخ زاوية البدرية تجاه الأسدية ظاهر دمشق وكان خيرا معمرا صالحا مثابرا على الخير مات في ربيع الآخر

إبراهيم بن محمد بن أحمد الخطيب سمع من المطعم وابن سعد وكان جده قيما بالسامية بالشام مات في صفر ويعرف بالخطيب الخيار وله إجازة من التقي سليمان وجماعة في سنة ثلاث عشرة

إبراهيم بن محمد بن غريب البعلبكي القزاز الحمامي سمع من الخطيب ضياء الدين عبد الرحمن الأربعين المنتقاه من شرح السنة للبغوي تخريج ابن أبي الفتح سنة اثنتين وسبعمائة وكانت وفاته في ذي القعدة عن نحو ثمانين سنة

أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الرهاوي ثم المصري المعروف بطفيق سمع من الحسن الكردي والواني والختنى والدبوسي وغيرهم وناب في الحسبة وحدث سقط من سلم فمات في ذي القعدة ". (١)

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٥

" يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن إبراهيم الحنبلي جمال الدين السرمري العقيلي الحنبلي نزيل دمشق ولد سنة ست وتسعين وستمائة بسر من رأى . وسمع ببغداد من الصفي عبد المؤمن وابن الدقوقي وبدمشق من أصحاب ابن عبد الدائم وغيرهم وأخذ الفقه عن سراج الدين حسين بن يوسف بن أبي السري التستري ثم انتقل إلى بغداد سنة تسع وعشرين وأجاز له ابن الشحنة وابن الدواليبي وغيرهما وبرع في العربية والفرائض ونظم وخرج وحدث واقعد بأخرة وجاز الثمانين وله من التصانيف : عقد اللآلي في الأمالي وغيث السحابة في فضل الصحابة ونشر القلب الميت بفضل أهل البيت وعجائب الاتفاق وغرائب ما وقع في الآفاق والأربعين الصحيحة فيما دون أجر المنيحة والثمانيات وغير ذلك وقد أخذ عنه ابن رافع مع تقدمه وذكره في معجمه وحدث عنه ومات قبله وذكره الذهبي في المعجم المختص فقال : قدم علينا سنة ست وأربعين وقرأ علي وله معرفة بالمذهب ونظم جيد في علوم الحديث وغيرها انتهى . وكان مشاركا في العربية والفرائض ويقال : إن مصنفاته بلغت مائة وإنها في نيف وعشرين علما

يوسف بن يحيى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي جمال الدين بن أبي البركات عز الدين بن أبي الطاهر شمس الدين ابن شيخ الإسلام عز الدين ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة وسمع على ابن مشرف جزء أبي موسى المديني وأجاز له ابن الموازيني وابن القيم من مصر وكان يباشر في الأوقاف وعلى ذهنه حكايات ونوادر مات في جمادى الأولى وله ثمان وثمانون سنة ولو أسمع على قدر سنه لأدرك الإسناد العالي

يوسف الحاضري الحنفي نائب الحسبة مات في شوال

سنة سبع وسبعين وسبعمائة

فيها في المحرم طهر السلطان أولاده وعمل لهم مهما عظيما أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى . وظهرت فيه من الفواحش والقبائح ما لا مزيد عليه واستمر ذلك سبعة أيام

وفي العشرين من المحرم استقر نجم الدين بن الكشك في قضاء الحنفية بالقاهرة نقلا من دمشق واستقر عوضه ابن عمه صدر الدين على دمشق ثم استغنى نجم الدين بعد مائة يوم ونقل إلى دمشق ونقل ابن عمه إلى القاهرة واستقر صدر الدين بن منصور في قضاء العسكر ثم عزل صدر الدين بن الكشك في رمضان واستقر ابن منصور في قضاء الحنفية بالقاهرة

وفي صفر ابتدئ في عمارة المدرسة الأشرفية تحت قلعة الجبل وهدم من جوارها عدة أماكن للناس منها بيت كبير لسنقر الجمالي ونقل إليها عمودان عظيمان وجدا في بيت خوند الحجازية عمة السلطان برحبة العيد وكان المشد عليها اينبك

وفي آخر ربيع الأول عزل ابن الأزكشي من المشورة وأعيد التاج الملكي إلى الوزارة فقبض على ابن الغنام وأراد هدم داره جزاء بما عامله فبادر ابن الغنام وصير داره مدرسة في ليلة واحدة فاستمرت ولم يجسر الملكي على التعرض لها ثم قبض عليه في ذي القعدة واستقر شمس المقسي مشيرا بغير وزير واستقر أمين الدولة خبيص مستوفي الدولة

وفيها استقر آقتمر الحنبلي في نيابة السلطنة بالقاهرة بعد منجك

وفيها **وقع الغلاء العظيم** بدمشق فبلغت الغرارة خمسمائة بعد أن كانت في الرخص بخمسين واستمرت الشدة حتى أكلوا الميتات وعمل فيه ابن حبيب : استمر **غول الغلاء كاشرا** عن أنياب النوائب ناشرا حبائل مصائد المصائب وزاد إلى أن نقصت الأقوات وتزايد فيه أمواج الأموات

واستمر إلى آخر السنة فتناقص السعر **ووقع الغلاء بالقاهرة** في اللحم خاصة حتى بيع كل رطل بدرهم ونصف

وكان الغلاء أيضا في حلب حتى بيع المكوك بثلاثمائة ثم زاد إلى أن بلغ الألف حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب وباع كثير من المقلين أولادهم وافتقر خلق كثير ويقال : إن بعضهم أكل بعضا حتى أكل بعضهم ولده ثم عقب بعد **ذلك الوباء ففني** خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في قبر بغير غسل ولا صلاة ويقال : إنه دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين لكن أشده كان في الأولى

وفيها استقر ولي الدين بن أبي البقاء في قضاء الشام والخطابة عوض أبيه وكان أبو ه قد سعى أن يكون مستقلا بذلك في مرض موته فأجيب . ووافاه التوقيع بعد موت أبيه فولي شمس الدين بن مزهر وكالة بيت المال عوضا عنه وذلك في جمادى الأولى

وفيها وقع حريق كثير بدمشق ." (١)

" وفيها استقر بدر الدين الأخنائي في قضاء المالكية في رجب

وفيها وقع الضعف الشديد بالقاهرة بالباردة والناقض

وفيها توجه إلى الحجاز في رجب جمع كثير فمات منهم الكثير بالضعف

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٥

وفيها تسلم السلطان سنجار وأحضر صاحبها إلى القاهرة واستناب السلطان بها حيدر بن يونس المعروف بابن العسكري

وفيها وصلت هدايا صاحب اصطنبول من الروم وفي جملة الهدية صندوق فيه شخوص لها حركات كلما مضت ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بأنواع الملاهي وكلما مضت درجة سقطت بندقة

وفي شعبان اتفقت كائنة عجيبة بدمشق . وهو أن بعض الشرفاء كان ببرزة فوقع بينه وبين خطيب الجامع مخاصمة فتوجه الشريف إلى الحاجب واستدعى على الخطيب بأنه سبه وأخذ معه جندارية فتوجه لإحضاره وأخذوا الخطيب وشددوا عليه وساروا به والشريف يستطيل عليه فاتفق الخطيب وكان في ذلك عبرة عظيمة

وفيها ولي المجد إسماعيل الحنفي قضاء العسكر وناصر الدين الطوسي توقيع الدست

وفيها استقر بدر الدين بن مزهر في كتابة السر بدمشق عوضا عن أحمد بن فضل الله بحكم وفاته

وفيها انتقل سري الدين بن المسلاتي عن مذهب مالك واستقر شافعيا وناب في الحكم عن ابن جماعة واستمر على ذلك

وفي آخر هذه السنة نهب الحاج المصري في رجوعهم وفي ذلك يقول شهاب الدين بن العطار :

لقد نهب الحجاج في عام سبعة ... وسبعين جهرا بعد ذبح تمكنا

وصار أمير الركب بورى هاربا ... ولولا قليل كان بورى مكفنا

وجرى للحاج الشامي أشد مما جرى للمصري فإنهم جاءهم سيل بخليص تلف منهم بسببه شيء كثير وفي الرجعة هبت عليهم ريح عاصف ثم اشتد عليهم الغلاء في الطريق حتى بيعت الغرارة الشعير بمائة درهم

وفيها استولى الأمير صرما التركماني على الموصل وكان صاحبها بيرم حجا قد وقع بينه وبين التركماني ببروان فكسروه فلما بلغه استيلائ بيرما على الموصل استنجد بالصالح صاحب الحصن والمظفر صاحب ماردين فأنجداه بعسكرين فحاصر الموصل وانسلخت السنة وهم على ذلك

وفيها عثر على رجلين رافقا تاجرا فأطعماه شيئا فرقد وأخذا ما معه فعرفا

وفيها كانت بين أبي زيان بزاي وتحتانية مثقلة وهو محمد بن السعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن وبين أبي حمو بفتح المهملة وتشديد الميم وهو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن

يحيى بن يغمراسن بتلمسان حروب شديدة قتل فيها عبد الله بن صغير أمير كبير دولة أبي حمو وكانا يتنازعان المملكة وأول ما ملكها أبو حمو سنة ستين وسبعمائة

وفيها استقر تمراز في نيابة القدس وهو أول من ولي نيابتها وكانت قبل ذلك يكون فيها وال من جهة والي الولاية دمشق

وفيها وقف ناصر الدين بن براق داره مدرسة بدمشق وتقرر فيها شمس الدين الحبتي إماما

وفيها غلا البيض بدمشق فبيعت الحبة الواحدة بثلاثة دراهم يكون من حساب ستين بدينار اللهم ارخص أسعار المسلمين

ذكر من مات

في سنة سبع وسبعين وسبعمائة من الاعيان

إبراهيم بن حمزة السبكي سمع من أصحاب النجيب وطلب بنفسه ودرس بالجاولية يأتي ذكره مع أبيه مات بمكة

إبراهيم بن بهاء الدين عبد الله الحلي برهان الدين كان شكلا حسنا عاقلا فاضلا ولي نظر الجيش بدمشق والمارستان وبيت المال بالقاهرة

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الأخنائي برهان الدين بن علم الدين كان شافعي المذهب كأبيه وحفظ التنبيه ثم تحول مالكيا كعمه وقد أسمع على الحجار وغيره وولي الحسبة ونظر الخزانة وناب في الحكم ثم ولي القضاء استقلالا سنة ثلاث وثلاثين واستمر إلى أن مات وكان مهيبا صارما قوالا بالحق قائما بنصر الشرع رادعا للمفسدين وقد صنف مختصرا في الأحكام مات في رجب

أحمد بن ازدمر الجمالي أحد أمراء طرابلس كان ذا كرم ومروءة وهو ابن أخي العلائ أسمعه عم أبيه صلاح الدين العلائي على فاطمة بنت العز مشيخة أبي مسهر ومات في ذي القعدة

أحمد بن سنقر كان أحد الفضلاء وله نظم مات في صفر

أحمد بن عبد الله المرسي يأتي في مسعود

أحمد بن عبد القادر بن عمر بن أبي القاسم السلاوي سمع عمه الشيخ محمد بن عمرو البرزالي وغيرهما وكان شكلا حسنا مات في شوال ." (١)

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٦

" وفيها ولي القاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي القضاء بحلب عوضا عن جمال الدين إبراهيم بن العديم

وفيها استقر ناصر الدين ابن القاضي سري الدين في قضاء المالكية بحلب ثم عزل قبل وصوله إليها بابن القفصى

وفيها **كان الغلاء الشديد** بحلب وطرابلس حتى بيع المكوك بستمائة درهم وأكلت الكلاب وغيرها وبيع الشيء الذي كان يباع بدرهم بأربعين درهما ولما فر السلطان من العقبة اضطرب الناس فانحدر القاضيان برهان الدين الشافعي وجار الله الحنفي إلى القدس فأقاما فيه إلى أن سكنت الفتنة ثم قدما القاهرة يوم الاثنين سادس عشر ذي القعدة ورجع أكثر الرؤساء إلى القاهرة . وتوجه بهادر المشرف بمن بقي إلى مكة وأخذت خزائن السلطان فنهبت ورجع طشتمر والخليفة وتقي الدين بن ناظر الجيش وكان سافر معهم عوضا عن أبيه لضعفه وبدر الدين كاتب السر وبدر الدين الأخنائي قاضي المالكية والشيخ سراج الدين البلقيني وصحبتهم حريم السلطان إلى أن دخلوا القاهرة فلما دخلوا أنكر طشتمر ما جرى وركب إلى قبة النصر وأراد أن يسلطن الخليفة فلم يوافق على ذلك فاقتتلوا معه فانكسر ثم أعطى النيابة بدمشق وتوجه إليها في عاشر ذي القعدة . وجددت البيعة في ثامن ذي القعدة للملك المنصور ثم ثار المماليك الذين أعانوا الأمراء على قتل الأشرف فطالبوهم بالنفقة التي وعدوهم بها وهي على ما قيل لكل نفر خمسمائة دينار فماطلوهم فجاهروهم بالسوء فلما خشوا على أنفسهم أمروا بمصادرة المباشرين والتجار ودام ذلك مدة وكان ما أخذ من المودع الحكمي مائتي ألف دينار فيما قيل ومن مثقال الجمالي مائة ألف دينار ومن صلاح الدين بن عرام نحو خمسين ألف دينار وما أخذ من الوزير وناظر الخاص وغيرهما من الدواوين جمل مستكثرة . وعمد قرطاي إلى الخزائن فأنفدها النفقات والهبات وكان كثير السخاء وأنفق على المماليك كل واحد خمسمائة دينار عشرة آلاف درهم فضة نقرة وكانت عدتهم ثلاثة آلاف من الأجلاب وغيرهم وقيل بل ألفين وقيل بين ذلك

قال ابن حجى : رئي هلال شوال بجميع بلاد الشام حتى السواحل ليلة الثلاثاء إلا دمشق فلم ير بها لغيم حال دونه فعيدوا يوم الأبعاء

وفيها قرر علم الدين البساطي في قضاء المالكية بعد عزل بدر الدين الأخنائي وذلك في سابع عشرين ذي القعدة وكان الذي سعى له في ذلك إبراهيم بن اللبان شاهد ديوان قرطاي فاستنابه البساطي

فصار أكبر النواب وتعاظم إلى الغاية وكان البساطي ينوب عن الأخنائي في الشارع الأعظم وليس من بيت نائب السلطنة آقتمر

وفيها في العشرين من ذي القعدة ولي جمال الدين محمود القيسري حسبة القاهرة بعد عزل شمس الدين الدميري وكان جمال الدين ولي الخطابة بمدرسة الجاي وكان بدر الدين ابن أبي البقاء لما توجه السلطان إلى الحج توجه إلى دمشق لزيارة أخيه ولي الدين فناب عنه عشرة أيام ووصل الخبر بما جرى للسلطان فبادر إلى الرجوع إلى مصر فآل الأمر إلى ولايته القضاء كما سيأتي

وفيها أخذ بيرم خواجا الموصل بالأمان بعد حصار أربعة أشهر وزوج ابنته للأمير بيرم الذي كان غلب على الموصل واستناب أخاه بردخجا على الموصل

وفيها استقر تقي الدين بن محب الدين في نظر الجيش عوضا عن أبيه والأشرف إسماعيل صاحب اليمن في السلطنة عوضا عن أبيه والبرهان الصنهاجي في قضاء المالكية بدمشق عوضا عن الماروني وناصر الدين بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب عوضا عن ابن مهاجر والظاهر عيسى بن المظفر داود صاحب ماردين في السلطنة عوضا عن أبيه والله المستعان

ذكر من مات

سنة ثمان وسبعين وسبعمائة من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن فلاح الإسكندراني الأصل ثم الدمشقي ولد سنة خمس وتسعين وستمائة وأحضر على عمر بن القواس معجم ابن جميع وتفرد به عنه كاملا وسمع من محمد بن مشرف الدين الفزاري صحيح البخاري ومن تاج العرب بنت المسلم بن علان فوائد سختام سنة أربع وسبعمائة وأجاز له ابن عساكر وجماعة وكان يؤم بمشهد أبي بكر كأبيه وجده حسن الحظ والقراءة وعنده سكون وانجماع مات في ذي الحجة ." (١)

" محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن علي الهندي الصنعاني ضياء الدين نزيل المدينة ثم كة كان فاضلا صاحب فنون ويدري الفقه والعربية والأصول وله سماع من البدر الفارقي والعفيف المطري وكان يتعانى التجارة مات في ذي الحجة وقد جاوز الثمانين وهو والد صاحبنا شهاب الدين بن الضياء قاضي الحنفية الآبن بمكة وقد ادعى والده أنهم من ذرية الصنعاني وأن الصنعاني من ذرية عمر بن الخطاب وكان الضياء قد سمع علي الجمال المطري والقطب بن مكرم والبدر الفارقي وكان سبب تحوله من المدينة أنه

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٦

كان كثير المال فطلب منه جماز أميرها شيئا فامتنع فسجنه ثم أفرج عنه فاتفق أنهما اجتمعا في المسجد فوقع من جماز كلام في حق أبي بكر وعمر فكفره الضياء وقام من المجلس فتغيب وتوصل إلى ينبع واستجار بأميرها أبي الغيث فأرسله إلى مصر فشنع على جماز فأمر السلطان بقتله فقتل في الموسم فنهب آل جماز دار الضياء فتحول إلى مكة وتءصب له يلبغا فقرر له درسا للحنفية في سنة ثلاث وستين فاستمر مقيما بمكة إلى أن مات وكان عارفا بالفقه والعربية شديد التصعب للحنفية كثير الوقيعة في الشافعية

محمد بن محمد بن عثمان بن الصفي أحمد بن محمد بن أبي بكر الطبري سمع من جده عثمان وجماعة بدمشق ومكة وحدث أخذ عنه السراج الدمنهوري وغيره وكتب الكثير وتوجه إلى بلاد الهند سنة ثمان وخمسين فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة

محمود بن علي بن إبراهيم القيصري شيخ الخانقاه الخاتونية ونظر الربوة وولي أيضا نظر الأسرى وكان مكينا عند الناس كثير الإفضال والمكارم وقد نزل لولده عبد الملك عن المشيخة قبل موته بقليل وكانت له مكانة عند الناس ومكارم أخلاق مات في شوال سمع صحيح مسلم على السلاوي ونزل له صهره ابن حمويه عن مشيخة الشيوخ فما سعى فيها واستمر بالخاتوينة

موسى بن عبد الله الأزكشي نائب السلطنة في عدة أقاليم وبالقاهرة ثم الأستادارية والحجوبية والإشارة والكلام في أمور المملكة كلها مات في المحلة في ذي القعدة وكان معروفا بالعفة والديانة

موسى بن محمد بن شهري بضم المعجمة وسكون الهاء التركماني أحد أكابر الأمراء بالبلستين والنائب في سيس وغيرها من البلاد الشمالية مت في رمضان وقد جاوز الأربعين وكان يحب العلم ويفهم كثيرا ويذاكر ويتمذهب للشافعي ويقال إن الباريني أذن له في الإفتاء وكان ذلك في سنة وفاته وقد ولي نيابة

نهار الذي كان يعتقد بالإسكندرية هو عبد الله تقدم

سنة إحدى وثماني وسبعمائة

فيها وصل الحجاج إلى الأزلم فلم يجدوا بها الإقامة على العادة فوقع **فيهم الغلاء الشديد** وكان السبب في تأخير الإقامة أن العرب الذين جرت عادتهم بحملها نقل لهم عن عرب بلى أنهم أرادوا نهب الإقامة فتأخروا بمغارة شعيب فوصل الحاج إلى المويلحة فلم يجدوا شيئا ثم إلى عيون القصب فلم يجدوا شيئا فغلا الشعير حتى بيعت الويبة الشعير باثنين وتسعين درهما قيمتها حينئذ تزيد على خمسة دنانير هرجة ومات من الجمال شيء كثير وقاسى الحجاج مشقة شديدة وتأخروا عن العادة خمسة أيام

وفي رابع عشرين المحرم استقر قرط نائب السلطنة بالوجه القبلي وابنه حسين والي قوص وأوقع قرط في ربيع الآخر بالعرب فكسروه وقتلوا عددا من مماليكه ثم عاد فانتصر عليهم وقتل منهم مقتلة وأرسل رؤوسا إلى القاهرة فعلقت

وفيها توجه فخر الدين إياس في طلب برهان الدين بن جماعة لشكوى الناس من سيرة ابن أبي البقاء فوصل في أواخر صفر فخرج بركة لملتقاه وطلع صحبته إلى برقوق ونزل في آخر النهار في صهريج منجك ثم طلب صبيحة قدومه إلى القلعة وخلع عليه ونزل في موكب حافل فيه ثلاثة عشر من الأمراء الكبار وارتجت له القاهرة بحيث كان أعظم من يوم المحمل وباشر بحرمة ومهابة أعظم من المرة الأولى واستعاد من البلقيني تدريس الشافعي وكان انتزعه البلقيني لما استقر ابن أبي البقاء في القضاء ثم إن ابن جماعة اصطلح مع البلقيني وعوضه نظر وقف السيفي ووقف المدرسة الطقجية وكانت مدة ولاية ابن أبي البقاء هذه الأولى سنة وأربعة أشهر . وقرأت بخط الزبيري أن العظمة المذكورة لابن جماعة كانت من جهة بركة فلما تلاشى أمره لم ينفق لابن جماعة مثل الصورة التي كانت في أيام الأشرف بعناية ابن آقبغا آص ." (١)

" وفيها استقر قرط بن عمير كاشف البحيرة فاستخدم جندا من التركمان والعرب وتوجه فأوقع بالعرب وجرت له بينهم حروب كصيرة وذلك في شوال فاتفق أن شاع أن قرط بن عمير قتل واتفق حضور خضر بن موسى من عربان البحيرة فأمر بضربه بالمقارع ثم حضر حسين بن قرط فأخبر أن أباه في عافية وأن سلاحه نفد فخلع على حسين وأمد أبوه بالسلاح وجردت العساكر تقدمهم ستة أمراء فوقعت لهم وقعات كثيرة في شوال منها

وفي جمادى الآخرة توقف النيل وانهبط في سادس عشر توت **فوقع الغلاء فأعيد** جمال الدين إلى حسبة القاهرة واستقر شرف الدين بن عرب سبط بهاء الدين ابن المفسر محتسبا بمصر

وفيه استقر الشريف بكتمر الذي كان والي القاهرة نائبا بالبحيرة فأقام بتروجة وكوتب ملك الأمراء وهو أول من كوتب بذلك ممن ولي نيابة البحيرة

وفيها ولي طشتمر الدويدار نيابة صفد في رجب منها بعد أن أخرج من الإسكندرية إلى دمياط قبل ذلك فاستمر إلى رمضان سنة أربع وثمانين فاستعفى وطلب الإقامة ببيت المقدس بطالا فنقل إليها

وفيها قتل بركة بسجن الإسكندرية أمر بقتله نائبها بمقتضى مرسوم جاءه من القاهرة وقيل : إنه كان شاع عن ابن عرام أنه باطن بدر بن سلام فقدم القاهرة ليتنصل من ذلك ومعه هدايا وتقادم فقبلها منه الأمراء

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٨

وقبلوا عذره وخلع عليه واستمر نائبا فواطأه برقوق على قتل بركة سرا فلما رجع دس إليه من قتله وأشاع أنه وجده ميتا فلما بلغ ذلك أخوته تنمروا وأرادوا القيام على برقوق فأنكر أن يكون أمر بقتله وأرسل إلى ابن عرام فأحضر في خامس عشرين شهر رجب فقبض عليه يونس الدويدار واحتيط على حواصله وأملاكه ووكل ناسابه ولما توجه كشف أمر بركة فوجده مدفونا في المكان الذي قتل فيه فنبش عنه فوجده قد دفن بثيابه من غير غسل ولا صلاة عليه ووجد في جسده ضربات إحداهن في رأسه فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه في تربة بناها له . وأرسل ابن عرام في البحر الملح ثم في النيل خشية من عرب بدر بن سلام أن يخلصوه فأودع أول ما قدم في خزانة شمائل ثم أمر بتسميره وسلم للوالي فقرره على أمواله ثم شنع عليه الأمراء فأمر برقوق بضربه بالمقارع ونودي عليه : هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن فيقال : إنه أخرج ورقة من جيبه وقال : هذا خط الأمراء بالإذن في ذلك فلم يلتفت إليه ثم سمر وأنزل به فضربه مماليك بركة بالسيوف وعلقوا رأسه على باب زويلة

وفي المحرم أيضا سعى الشهاب بن خضر الدمشقي الحنفي في تدريس الركنية عند الهمام بن القوام قاضي الحنفية يومئذ عوضا عن القاضي صدر الدين بن منصور وحكم بفسقه تهورا فقام عليه حنيفة دمشق ورفعوا الأمر للنائب وأثنوا على القاضي صدر الدين فرسم بعقد مجلس فعقد وانفصل الأمر على إبطال حكم الهمام وأعيد صدر الدين إلى وظيفته وكانت هذه الفعلة من عجائب تهور الهمام

وفي أوائل السنة مات خطيب إخميم وكان مشهورا بكثرة المال فأرسل بركة محمد بن الدمرداشي للحوطة مع أنه خلف عدة أولاد وأقارب ففتك الدمرداشي في حاشية الخطيب فتكا عظيما . فاتفق مسك بركة فأمر برقوق بإحضار الدمرداشي وضربه فضرب ضربا شديدا وأهين وصودر ونفي

وفيها استقر صدر الدين بديع بن نفيس الطبيب التبريزي ثم البغدادي نزيل القاهرة شريكا لعلاء الدين بن صغير في رئاسة الطب بالقاهرة بعناية برقوق به وكان نفيس يهوديا فأسلم وهو عم فتح الله بن مستعصم بن نفيس الذي ولي كتابة السر في آخر دولة برقوق وارتغم غالب الناس لابن صغير لتقدمه في صناعته وحسن مباشرته للناس وتودده لهم حتى عمل الشيخ يدر الدين ابن الصاحب :

قالوا بديع غدا شريكا ... لابن صغير وذي تعاسة

قلت شريك بنصف جعل ... ولم يشاركه في الرئاسة

وعمل ابن العطار :

قالوا بديع غدا شريكا ... لابن صغير وشال رأسه

قلت قبيح على بديع ... من أين هاذاك والرئاسة

وفيها قبض على التاج الملكي وضرب ثم خلع عليه بالاستمرار ثم استعفى من الوزارة ولبس الفقيري ولازم جامع عمرو بن العاصي ثم أمسك في سابع عشرين شهر ربيع الآخر وسلم لبهادر الأعسر المعروف بالشاطر الزردكاش فصادره وعذبه بأنواع العذاب إلى أن مات تحت الضرب فقال فيه ابن العطار : ." (١)

" الملكي مات واستراحت ... من نجس أغلف الوزارة

وقالت الميضه أبعدوه ... من أين ذا الكلب والطهارة

وأضيفت الوزارة لشمس الدين المقسي مع نظر الخاص وقال فيه أيضا وكان موته اتفق يوم النيروز :

قضى الملكي في النيروز نحبا ... وراح مصادرا ومضى وسارا

وعم المسلمين به سرور ... وتم بموته عيد النصارى

وفي جمادى الآخرة اتفق بدمشق شيء غريب وهو وقوع المطر الغزير برعد وبرق في خامس عشرين أيلول وسقط برد كبار مثل البندق وكثر جدا حتى صارت الأرض بيضاء وكثر الوحل وجرى الماء في الشوارع كل ذلك في سنة واحدة ولم يعهد مثل ذلك قبلها

وفيها نودي أن لا يلعب أحد الناروز فلعبت جماعة فأمسك منهم أربعة من العامة فضربوا بالمقارع وجرسوا

وفي يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة وصل أنس بن عبد الله العثماني والد برقوق إلى القاهرة فخرج ولده والعسكر لملتقاه فالتقاه بعكرشة ووصل صحبته قاضي حلب كمال الدين المعري وقاضي دمشق ولي الدين بن أبي البقاء ونزل في ذلك بالخانقاه ومد له ولده سماطا عظيما وأقعده في صدره وقعد عن يمينه أيدمر الشمسي وعن يساره آقتمر عبد الغني وقعد برقوق دون أيدمر وكان أنس أعجميا لا يعرف بالعربي ولا بالتركي حرفا ثم ركب معه إلى القاهرة وأعطاه تقدمة ألف

وفي ربيع الآخر أحدث السلام على النبي صلى الله عليه و سلم تسليما عقب أذان العشاء ليلة الاثنين مضافا إلى ليلة الجمعة بدمشق ثم أحدث بعد عشر سنين عقب كل صلاة إلا المغرب وسيأتي في مكانه . وفيه أمر بكتابة محضر بسيرة قاضي الحنفية بدمشق وسار به البريد إلى دمشق فكتبوه وكان القاضي بمصر يسعى بالمال إلى أن عاد على وظيفته

---

(١) انباء الغمر، ص/٧٨

وفيها استولى على بلاد الدشت طقتمش خان الجنكزي وقتل خاني وكان أقام في مملكتها عشرين سنة

وفي ذي الحجة منها غلت الأسعار بدمشق وتأخر المطر فاستسقوا بعد صيام ثلاثة أيام فسقوا ووجد شخص بعد النداء مفطرا فعزر

وفيها أمسك على امرأة تزوجت برجلين شرطت لأحدهما الليل وللآخر النهار بحيلة احتالت بها عليهما فاطلع عليها فجرست

وفيها استقر صدر الدين بن منصور في قضاء الحنفية عوضا عن أخيه شرف الدين وكان لما مات عرض برقوق القضاء على الشيخ جلال الدين التباني فامتنع فألح عليه فأصر وأحضر معه مصحفا وكتاب الشفاء وتوسل بهما إليه أن يعفيه من ولاية القضاء فأعفاه واستشاره فيمن يصلح فعين له ابن جماعة صدر الدين فأرسل إليه فتشاغل بدمشق بمرض أخيه شرف الدين إلى أن مات في شعبان فتوجه بعده إلى القاهرة فوصلها في رمضان فولاه في ثامن رمضان

وفي نصف رمضان أمر أن يخفف من نواب القضاة وأن يكون لكل قاض أربعة نواب إلا الحنبلي فلا يزيد على اثنين فاستقر برهان الدين بن جماعة بأربعة الصدر بن المناوي وابن رزين وجمال الدين الخطيب الأسناوي والثلاثة بالقاهرة وفخر الدين القاياتي بمصر واستقر الحنفي بجمال الدين المحتسب ومجد الدين إسماعيل البلبيسي وشمس الدين الطرابلسي وشهاب الدين الشنشي الأطروشي واستقر المالكي ببهرام والشهاب الدفري وعبيد البشكالسي الثلاثة بالقاهرة وبجمال الدين التنيسي بمصر والمتنع الحنبلي من استنابة أحد

وفيها ابتدأ الوباء بالإسكندرية في شوال واستمر إلى آخر السنة ويقال : إنه كان يموت بها كل يوم مائة وخمسون نفسا

وفيها أبطل برقوق ضمان المغاني بحماة والكرك والشوبك ومنية بن خصيب وزفتا وأبطل ضمان الملح بعينتاب وضمان الدقيق بالبيرة وضمان القمح بدمياط وفارسكور وأبطل المقرر على أهل البرلس وبلطيم وأمر بعمارة جسر الشريعة بطريق الشام وجاء طوله مائة وعشرين ذراعا وانتفع الناس به

وفي الثالث من ذي الحجة أفرد للذخيرة والمتجر وخاص الخاص المستأجرات والأملاك ناظرا وهو أول من أفرد بذلك

وفيها مات بيرم خجا صاحب الموصل واستقر بعده أخوه مراد خجا ." (١)

" يوسف بن ماجد بن أبي المجد بن عبد الخالق المرداوي ولي الدين الحنبلي كان فاضلا في الفقه وامتحن مرارا بسبب فتياه بمسألة ابن تيمية في الطلاق وكذا في عدة من مسائله وقد حدث عن الحجاز وابن الرضي والشرف بن الحافظ وغيرهم وكان شديد التعصب لمسائل ابن تيمية وسجن بسبب ذلك ولا يرجع حتى بلغه أن الشيخ شهاب الدين بن المصري حط على ابن تيمية في درسه بالجامع فجاء إليه فضربه بيده وأهانه مات في تاسع عشر صفر

يوسف بن أبي راجح محمد بن إدريس بن غانم بن مفرح العبدري جمال الدين الشيبي الحجبي شيخ الحجبة مات بمكة

سنة أربع وثمانين وسبعمائة

فيها في المحرم وقع الطاعون بدمشق وتزايد في صفر حتى قارب الثلاثمائة ثم تناقص ويقال : جاوز الأربعمائة ثم تناقص في ربيع الآخر إلى ثمانين

وفيها في المحرم وقع الغلاء بمصر وارتفع السعر إلى أن بيع القمح بمائة درهم الأردب وعدمت الأقوات ثم فرج الله تعالى عن قرب ودخل الشعير الجديد وانحط القمح إلى أربعين

وفي المحرم استقر كمشبغا الحموي في إمرته

وفيها لما كثر الغلاء أمر برقوق الحكام أن لا يحبس أحد على دين لأجل الغلاء وأفرج عن المحابيس

وفيها رضي برقوق على بيدمر ورده إلى نيابة الشام وذلك في صفر وهي المرة السادسة وكان الذي أجضره من الإسكندرية بكلمش العلائي فوصل في الحادي والعشرين من المحرم فخلع عليه بنيابة الشام

وأرسل اشقتمر النائب الذي كان قبله إلى دمشق بطالا . ودخل بيدمر الشام في شهر ربيع الأول فاحتفل به أهل الشام وفرحوا بولايته جدا وكان يوم دخوله يوما مشهودا وجاوزوا الحد في ذلك

وفيها شرع جركس الخليلي في عمل جسر بين الروضة ومصر كان طوله مائتي قصبة في عرض عشرة وحفر في وسط البحر خليجا إلى فم الخليج الناصري عنده موردة الجيش وكان غرضه بذلك أن يستمر النيل في جهة بر مصر فلم يتم مراده بل كان ذلك أعظم الأسباب في عكس ما قصده وانطرد النيل عن بر مصر حيث كان ينشف نصفه فنشف كله إلى قرب المقياس . ثم بعد عشرين سنة حفر النيل بغير سعي أحد

---

(١) انباء الغمر، ص/٧٩

وصار يلبث قليلا قليلا إلى هذه الغاية ولم يلزم الخليلي أحدا من الناس فيما انفقه على هذا الجسر بغرامة درهم فما فوقه فأنشد ابن العطار في ذلك :

شكت النيل ارضه ... للخليلي فأحضره

ورأى الماء خائفا ... أن يطأها فجسره

وفيها عمل الخليلي على النيل طاحونا تدور في الماء فاستأجرها منه بعض الطحانين فحصل منها مالا عظيما لكثرة من كان يأتي إليه برسم الفرجة

وفيها في ثالث المحرم استقر سودون الشيخوني حاجب الحجاب وأعطى إمرة تغرى برمش وأرسل تغرى برمش إلى القدس بطالا واستقر أيدكار حاجب الميسرة

وفيها حضر الشيخ علي الروبي من الفيوم إلى مصر وحصل للناس فيه محبة زائدة واعتقاد مفرط وسارعوا إلى الاجتماع به وهو في الجيزة

وفيها امتنع القاضي برهان الدين بن جماعة من الحكم وذلك في صفر والسبب فيه أن تجرا مات وخلف ملا كثيرا فثبت عند القاضي برهان الدين أن له ورثة فمنع أهل المواريث من التعرض للمال فغضب برقوق من ذلك وراسله في تسليم المال فصمم وبلغه أن برقوق طلب من يوليه القضاء فذكر له الشيخ برهان الدين الأبناسي فاختفى فوقف البرهان عن الحكم بين الناس وسعى بدر الدين بن أبي البقاء في العود إلى المنصب وبذل مالا وأن لا يتعرض للتركة المذكورة فأجيب واستقر في سلخ صفر وتوجه برهان الدين بن جماعة إلى القدس في ثالث عشر ربيع الأول . وقرر ابن أبي البقاء في أمانة الحكم بالقاهرة شهاب الدين الزركشي مضافا إلى أمانة الحكم بمصر وقرر في نظر الأوقاف بمصر شمس الدين بن الوحيد عوضا عن زين الدين الزواوي وفي نظر الأوقاف بالقاهرة جمال الدين العجمي عوضا عن تقي الدين الأسنائي ." (١)

" تاج الدين العزولي مستوفي الدولة مات في ربيع الأول

هبة بنت أحمد بن محمد بن سالم بن صصرى ولدت سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة وأحضرت على ست الوزراء في الثالثة من صحصح البخاري وحدثت ماتت في شهر رمضان

سنة سبع وثمانين وسبعمائة

فيها وصل رسل الأسكري صاحب إصطنبول ومعهم الهدايا يسأل أن يكون لهم قنصل بالإسكندرية كالبنادقة فأجيبوا إلى ذلك

---

(١) انباء الغمر، ص/٩٣

وفيها نفي بلوط الصرغتمشي نائب الإسكندرية إلى الكرك

وفيها أمر السلطان أن لا يدخل أحد من الأمراء القصر إلا بمملوك واحد ويترك بقية الأتباع خارج القصر فامتثلوا ذلك

وفيها ظهرت عمارة المدرسة الظاهرية

وفي صفر وصل رسيل طقتمش خان ومعهم هدية جهزها تمرلنك مدبر المملكة وفيها : إنا نحب أن نكون أخوة كما كان أسلافنا مع أسلافكم

وفيها أضيف نظر الخاص بدمشق إلى وزيرها ابن بشارة

وفيها في شوال وصل مصر خجا التركماني أخو بيرم خجا عم قرا محمد التركماني طائعا وكان له الحكم من ماردين إلى الموصل وسأل السلطان أن يكون من جهته وأن ينضاف إليه فأجاب سؤاله ثم وصل سولى بن دلغادر التركماني إلى حلب ثم رجع هاربا

وفي ربيع الآخر استقر نعير بن حيار في إمرة آل فضل عوضا عن عمه

وفيها اشترى الملك الظاهر منطاش بن عبد الله التركي من أولاد أستاذه وأعتقه وهو أخو تمرباي الحسني فما كان بين ذلك وبين أن خامر وأثار تلك الفتن إلا نحو ستين

وفيها أنشأ الأمير الطنبغا الجوباني أغربة وشواني لغزو الفرنج في البحر الرومي واجتهد في عملهم وإصلاحهم وساروا إلى دمياط فوجدوا بساحلها غرابا للجنوية فكبسوا عليه وأسروا من فيه وقتل من الفرنج نحو العشرة وأسر منهم فوق الثلاثين نفسا فبذل ثلاثة منهم عن أنفسهم ثلاثمائة نفس قيمتها يومئذ خمسة عشر ألف دينار ووصلت الأغربة بالأسارى إلى بولاق في جمادى الآخرة فعرضوا على السلطان في ثاني يوم وصولهم

وفي جمادى الأولى عزل ابن خلدون عن قضاء المالكية وأعيد بن خير فكانت ولاية ابن خلدون دون السنة

وفي رجب كبس أولاد الكنز أسوان فقتلوا من وجدوه بها إلا القليل وهرب واليها إلى قوص فأمر السلطان حسين بن قرط على أسوان فتوجه إليها

وفيها كان الطاعون بحلب فزادت عدة الموتى فيه على ألف نفس في كل يوم

وفيها عزل يلبغا الناصري من حلب وأحضره إلى القاهرة فتلقاه بهادر المنجكي إلى بلبيس فقيده ووجهه إلى الإسكندرية فسجن بها وتوجه محمود شاد الدواوين إلى حلب للاحتياط على موجود يلبغا

المذكور واستقر سودون المظفري في نيابة حماة وكان السبب في عزل يلبغا أن سولى بن قراجا بن دلغادر التركماني وهو أخو خليل صاحب الوقائع المشهورة حضر إلى حلب طائعا صحبة بعض البريدية فأنزله يلبغا عنده وكاتب السلطان في أمره فأرسل بإمساكه وتجهيزه إلى القاهرة مقيدا فقيد فأمسك وجعل في القلعة فحضر بريدي وعلى يده مطالعة إلى نائب القلعة بإطلاقه ولم يكن لذلك حقيقة فاغتر نائب القلعة وأطلقه فاجتمع بيلبغا وكان ذلك بتدبيره فأمره بالهرب ففر ليلا فأصبح يلبغا فأظهر إنكار ذلك ذلك وخرج بالعسكر في طلبه فساروا يوما في غير الطريق التي توجه فيها فلم يروا له أثرا فبلغ ذلك السلطان فاتهمه به وكان ما كان من عزله

وفي شعبان زلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة وذلك في ليلة الثالث عشر منه

وفيه أحضرت إلى أحمد بن يلبغا صغيرة ميتة لها رأسان وصدر واحد ويدان فقط ومن تحت السرة صورة شخصين كاملين كل شخص بفرج أثنى ورجلين فشاهدها الناس وأمر بدفنها

وفي رمضان أمر عبيد البردداد مقدم الدولة أن يلبس بزي الترك ففعل ثم أذن له بعد فرجع إلى شلكه الأول في السنة التي تليها

وفيها أمسك الجوباني ثم أطلق في آخر السنة وأعطي نيابة الكرك

وفيها ثارت فتنة بين عبيد صاحب مكة وبين التجار ونهبوا منهم شيئا كثيرا

وفيها استقر محب الدين بن الشحنة في قضاء حلب بعد موت جمال الدين إبراهيم بن العديم

وفيها **وقع الغلاء بمصر** إلى بلغ القمح بخمسين درهما كل أردب ." (١)

" وفيها كثرت الشكاوي من بدر الدين بن أبي البقاء فعين السلطان ناصر الدين محمد بن عبد الدائم الشاذلي ابن بنت الميلق الواعظ وطلبه في رابع شعبان وفوض له قضاء الشافعية فاستخار الله بعد صلاة ركعتين وقبل وكان يعرفه من خطبته بمدرسة حسن ووصفه له سودون النائب وغيره فتم أمره وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري أن سبب عزل ابن أبي البقاء ما تقدم من قصة أمين الحكم وانضاف إلى ذلك أن بعض مدركي البلاد السلطانية مات في أول هذه السنة وكان يذكر بالمال الجزيل فجهز القاضي أمين الحكم ليحتاط علة موجوده فذكر ذلك للسلطان فأنكر عليه وأحضر أمين الحكم وضربه وعزل القاضي وطلب من يوليه عوضه فغرم القاضي في هذه الحركة خمسة آلاف دينار ثم ما أفاد بل طلب ابن بنت المليق وولاه فباشره بعزة وعظمه

---

(١) انباء الغمر، ص/١١٣

وفيها جمع كبيش العربان ونهب جدة وأخذ منها للتجار ثلاثة مواكب وتقابل هو وعنان أمير مكة فقتل كبيش في المعركة بعد أن كاد يتم له النصر وذلك بأذاخر بالقرب من مكة

وفيها سار علي بن عجلان من مكة إلى القاهرة فقدمها في رمضان فأشرك السلطان علي بن عجلان في إمرة مكة مع عنان فتوجه عنان إلى وادي نخلة ومنع الجلب عن مكة فوقع **فيها الغلاء فوافى** قرقماش أمير الركب إلى مكة بتقليد علي بن عجلان وأمره أن يتجهز إلى عنان فخرج وأرسل معه طبول المحمل فدقوا بين الأودية فظن عنان أن العساكر دهمته فهرب فدخلت القافلة فباعوا ما معهم برخص حتى انحطت الويبة من القمح إلى عشرة بعد ثلاثين

وفيها استولى على إمرة المدينة علي بن عطية ثم قتل وذلك أنه طرق المدينة فنهبها وقتل فيها أناسا فأفرج السلطان عن ثابت بن نعير وقلده إمرة المدينة وأمره بالمسير

وفي رابع ربيع الأول قبض على كريم الدين بن مكانس وضرب بالمقارع وصودر على مائة ألف ثم عزل عن نظر الدولة في ثاني رمضان

وفيها خامر منطاش نائب ملطية وهو لقب واسمه تمربغا الأفضلي وجماعة من المماليك الأشرفية الذين نفاهم برقوق ووافقهم القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس وقرا محمد التركماني كبير التركمان ويلبغا المنجكي وجمعوا جمعا كبيرا وبلغ ذلك السلطان فجرد العساكر إليهم فسار اينال الأتابك بدمشق وقزدمر وسودون باق والطنبغا المعلم ومقدمهم يلبغا الناصري نائب حلب فنازلوا ملطية فهرب منطاش فتوجهوا إلى سيواس ونازلوها فاستنجد برهان الدين صاحبها الأرمن وغيرهم فوقعت بينهم وبين عساكر الشام وقعة وقتل فيها من الفريقين جماعة ثم كان النصر على يد يلبغا الناصري وانهزم برهان الدين ثم أرسل يطلب الأمان ويبذل الطاعة للظاهر فأمنه وصار من جهته وكانت عدة الذي مع الناصر نحو الألف والذين تجمعوا لقتاله عشرين ألفا

وفيها قبض على جبريل قريب بيدمر وعلى محمد بن بيدمر وتسلمهما والي القاهرة فصادرهما على مال كثير

وفيها قتل بدر بن سلام أمير العربان بالبحيرة قتله بعض العرب غيلة وكان قد قهر السلطان وأعجز العسكر من التجاريد إليه وهو يفر من مكان إلى مكان وفسدت أحوال البحرية

وفيها في أواخر شعبان استقر في الوازارة علم الدين إبراهيم القبطي بن كاتب سيدي وكان مستوفي المرتجع فوصى ابن كاتب أرلان بأن يستوزره بعده فقبل الظاهر ذلك

وفي تاسع رمضان نزل جلال الدين البلقيني عن توقيع الدست لزوج ابنته بهاء الدين البرجي ونزل بدر الدين بن البلقيني أخيه جلال الدين عن إفتاء دار العدل واستمر بيد بدر الدين قضاء العسكر

وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر كوكب عظيم من جهة الشمال ثم امتد وتشعب منه ثلاث شعب إحداهما ذنب طويل نحو الرمح ونورها شديد وذلك بعد العشاء بنحو ساعة

وفي هذه السنة انتهت زيادة النيل إلى أربعة عشر إصبعا من تسعة عشر ذراعا وثبتت إلى خامس بابه

وفي أوائلها ملك ألو حمو تلمسان فحاصره ولده أبو تاشفين إلى أن قبض عليه وسجنه بالقصر فسأله أبو حمو أن يخرجه إلى الديار المصرية ليحج فأسعفه وحمله في مركب فخدع أبو حمو صاحبها حتى أنزله وبعث إلى محمد بن أبي محمد مهدي القائد ببجاية يستنصره فأنزله عنده وكتب إلى السلطان بتونس فأمره بمساعدته واستنفر العرب فنفروا معه فقتل أبو زيان بن أبي تاشفين في الحرب وانقض جمع أبي تاشفين فخرج من تلمسان ودخلها أبو حمو في رجب سنة تسعين ." (١)

" وفيها كائنة ميخائيل الأسلمي وكان نصرانيا وأسام في شعبان سنة ثمان وثمانين بحضرة السلطان وعناية محمود فأركب بغلة وعمل تاجر الخاص كما تقدم ثم قرر في نظر الإسكندرية في المحرم من هذه السنة فلما كان ثالث عشر ربيع الآخر ضربت عنقه بالإسكندرية بعد أن ثبت عليه أنه زنديق وشهد عليه بذلك خمسون إلا واحدا

وفيها ضربت الدراهم الظاهرية وجعل اسم السلطان في دائرة فتفاءلوا له من ذلك بالحبس فوقع عن قريب ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية

وفيها كان الغلاء بدمشق وقلة الماء بالقدس حتى بلغت الجرة نصف درهم

وفيها وقعت بين ابن يغمر نائب الأبلستين وبين ابن دلغادر حرب

وفي سادس عشر جمادى الآخرة وهو تاسع ابيب توقف النيل ثم نقص ثم رد النقص وزاد في رابع عشريه

وفي هذه السنة نازل عسكر تمرلنك صحبة ولده آمد ففر منه قرا محمد في مائة فارس إلى ملطية فاضطرب أول الأمر بالقاهرة وجمع الظاهر الفقهاء والأمراء وتحدث في إعادة ما وقف من الأراضي الخراجية فطال النتازع وآل الأمر إلى أنه يؤخذ لتجهيز العسكر متحصل سنة وأمر الظاهر بتجهيز أربعة من الأمراء وهم قرادمرداش ويونس والطنبغا المعلم وسودون باق وغيرهم فتوجهوا وخرجوا في أول رجب فوصلوا إلى

---

(١) انباء الغمر، ص/١٢٤

حلب فوجدوا تمرلنك قد رجع إلى بلاده لأمر حدث بها وأرسل نائب الشام رجلا اتهم بأنه جاسوس فضرب فأقر على ثلاثة بدمشق فضرب وحبس وكتب إلى دمشق بإحضار رفقته ولما وصل الأمراء إلى حلب في شعبان كاتبوا بأن اللنك رجع فصادف وصول الخبر بمخامرة منطاش فأمروا أن يتوجهوا إلى محاربته فتوجهوا وكان ما سنذكره في السنة الآتية

وفيها عاد اللنك إلى عراق العجم فاستقبله ملوكها وأذعنوا له بالطاعة مثل إسكندر الجلالي وأر سعيد وإبراهيم العمي وأبو إسحاق السيرجاني وسلطان أحمد بن أخي شجاع وابن عمه شاه يحيى وكان جملة من اجتمع عنده من ملوك العجم سبعة عشر ملكا فبلغه أنهم تواعدوا على الفتك به فسبقهم وأمر بالقبض عليهم وقد اجتمعوا في خيمة وقرر في ممالكهم أولاده وأحفاده وتتبع ذراري المقتولين فلم يبق منهم أحدا ثم توجه نحو عراق العرب فبلغ ذلك أحمد بن أويس فجهز له عسكرا كثيفا مع أمير يقال له : اسنباي فتلاقيا على مدينة سلطانية فانهزم جند بغداد فلم يتبعهم اللنك وعطف على همذان وما يليها فقبض على متوليها واستناب فيها ثم كر راجعا إلى بغداد فبلغ أحمد بن أويس ذلك فعرف أنه لا طاقة له بلقائه وكان أحمد بن أويس استولى على مملكة نبريز عوضا عن أخيه حسين بعد قتله فلم يلبث إلا قليلا حتى فاجأه عسكر اللنك فلما بلغ ذلك رحل عنها وترك أهلها حيارى فهجم عليهم العسكر عنوة فانتهبوها وفعلوا فيها ما لا يمكن شرحه وأقاموا بها شهر رجب كله في استخلاص الأموال وتخريب الدور وتعذيب ذوي الأموال بالعصر والإحراق والضرب وأنواع العذاب وانتهكوا الحرمات وسبوا الحريم والذراري وكان قبل ذلك استولى على تبريز وفعل بها الأفاعيل وكان أحمد ابن أويس قد أرسل ذخائره وحريمه وأولاده إلى قلعة يقال لها النجاء في غاية الحصانة وقرر فيها أميرا يقال له النون مع ثلاثمائة نفس من أهل النجدة فنازله اللنك فلم يقدر عليها وقتل في الحصار أميران كبيران من عسكره ثم ترحل عنها لما بلغه ما طرق بلاده من جهة طقتمش خان وأنه قد تعرض لأطراف بلاده فكر راجعا أيضا ولما بلغه ذلك قرا محمدا التركماني انتهز الفرصة ووصل إلى تبريز فملكها وقرر فيها ولده مصر خجا ورجع إلى بلاده

وفي تاسع رجب أمر المحتسب بطلب ذوي الأموال واستخراج زكواتها منها وأن يتولى قاضي الحنفية الطرابلسي تحليفهم فعمل ذلك في يوم واحد فلما ورد الخبر برجوع تمر لنك رد على الناس ما اخذ منهم وبطلت مطالبتهم بالزكاة وبالخراج أيضا

وفي العشرين من رمضان استقر جمال الدين المحتسب في قضاء العسكر عوضا عن شمس الدين القرمي بعد وفاته وسعى تجم الدين بن عرب في الحسبة فبذل فيها خمسين ألف درهم قيمتها يومئذ أكثر من ألفي مثقال ذهبا

وفي نصف شوال أفرج الظاهر عن يلبغا اناصري من دمياط وأعطاه شيئا كثيرا وقرره في نيابة حلب وسافر في تاسع ذي القعدة وقرر سودون المظفري نائب حلب أتابك العساكر بها ." (١)

" وفيه **كان الغلاء ببلاد** الشام حتى بيعت الغرارة بإثني عشر دينارا واكثر وعز الماء في القدس جدا

وفيها استقر جمال الدين محمود شاد الدواوين استادارا كبيرا بعد موت بهادر المنجكي وأضيف إليه أمر الوزير وناظر الخاص أن لا يخالفاه فيما يراه مصلحة وكان تقريره في اللاستادارية في ثالث جمادى الآخرة . وفي وظيفة المشورة في الخامس منه واستقر ناصر الدين بن الحسام الصقري شاد الدواوين عوضا عن محمود المذكور

وفيها بعد أن رجع تمرلنك إلى الدشت وبلغ ذلك قرا محمدا الرتكماني فنازل وغلب عليها وخطب فيها باسم السلطان وكتب السكة باسمه وأرسل الدراهم إليه بذلك ففرح السلطان بذلك وكتب له أجوبته بالشكر

وفي رجب وقع الخلف بين برهان الدين أحمد صاحب سيواس ومنطاش فأراد البرهان القبض عليه ففر منه

وفيها كانت الوقعة بين عنان بن مغامس وعلي بن عجلان فانكسر عنان وتوجه إلى القاهرة فوصل في شوال

وفي شهر ربيع الأول هبت ريح عظيمة بمصر وتراب شديد إلى أن كاد يعمي المارة في الطرقات وكان ذلك صبيحة المولد الذي يعمله الشيخ إسماعيل بن يوسف الأنبابي فيجتمع فيه من الخلق من لا يحصى عددهم بحيث أنه وجد في صبيحته مائة وخمسين جرة من جرار الخمر فارغات إلى ما كان في تلك الليلة من الفساد من الزناء واللواط والتجاهر بذلك فأمر الشيخ إسماعيل بإبطال المولد بعد ذلك فيما يقال ومات في سلخ شعبان

وفي صفر ابتدأ الظاهر بشرب التمر والبسر واستمر ذلك كل يوم أربعاء

وفيها استولى الفرنج على جزيرة جربة انتزعوها من المسلمين

---

(١) انباء الغمر، ص/١٢٥

وفيها عمل إبراهيم بن الجمال المغني المشهور وأخوه خليل المشبب السماع على العادة في المولد لبعض المصريين بمكان بالقرب من رحبة الخروب فسقط البيت الذي هم فيه فمات المغني والمشبب وجماعة تحت الردم وتهشم من عاش منهم حتى أن بعض معارفنا استمر أحدب إلى أن مات وكان إلى ولدي ابن الجمال المنتهي في صناعتهما

وفي ربيع الأول استقر فخر الدين بن مكانس في نظر الدولة عوضا عن أمين الدين عبد الله بن ريشة

وفيها استقر سري الدين بن المسلاتي وهو سبط الشيخ تقي الدين السبكي في قضاء الشافعية عوضا عن برهان الدين بن جماعة وحمل إليه التقليد إلى دمشق في أواخر شعبان وأعيد تقي الدين الكفري إلى قضاء الحنفية عوضا عن نجم الدين بن الكشك

وفي تاسع عشر رمضان غضب السلطان على سعد الدين بن البقري ناظر الديوان المفرد وصادره على خمسة آلاف دينار وقبض على سعد الدين بن قارورة مستوفي الدولة وصودر على ألف دينار أو أكثر وقبض على الوزير علم الدين كاتب سيدي في شهر رمضان وقرر عليه عشرة آلاف دينار فمات بعد ذلك في أواخر ذي الحجة وقرر في الوزارة عوضه كريم الدين بن الغنام

وفي عاشر شوال استقر شمس الدين ابن أخي الجار في مشيخة سعيد السعداء عوضا عن شهاب الدين الأنصاري

وفي رجب قدم بعض التجار بجماعة من أقارب السلطان الجراكسة فخرج عليهم طائفة من الفرنج الجنوبية فأسروهم فبلغ الظاهر الخبر فأمر بالقبض على من بالإسكندرية من الجنوبية وختم على حواصلهم في أواخر شعبان فبلغهم الخبر فأطلقوا من بأيديهم منهم فقدم الإسكندرية خواجا على أخو الخواجا عثمان بجميع من أسره الفرنج من أقارب السلطان ففك الختم عن حواصل الفرنج وذلك في أواخر ذي الحجة

وفيها في ربيع الأول رتب نجم الدين الطنبذي المحتسب من فقراء الفقهاء من يعلم أصحاب الدكاكين من العامة الفاتحة وفرائض الصلاة ونهى قراء المواعيد والوعاظ عن التهتك وأمرهم أن يبدلوه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه و سلم

وفيها غضب السلطان على بهادر مقدم المماليك بسبب أنه وجد سكرانا في بيت على البحر فضربه وأمر بنفيه إلى صفد وقرر عوضه في التقدمة صندل الأسود الملقب شنكل

وفيها بلغ السلطان أن كريم الدين بن مكانس وأبو البركات بن الرويهب صهره نصبا خيمة على شاطئ النيل وأحضرا من يغني وعملا مقاما حافلا فأمر بالقبض عليهما وضربهما بالمقارع ومصادرتهما فأخذ خط ابن مكانس بمائة ألف وابن الرويهب بخمسين ألفا ." (١)

" وفيها في رجب ضرب محب الدين السمياطي أمين الحكم بين يدي السلطان نحو مائتي عصاة لأنه رفع عليه أن تحت يده لإسماعيل بن مازن أمير العرب بالصعيد وديعة ذهب وأنه لم يطلع السلطان عليها فحصل بسبب ذلك للقاضي بدر الدين بن أبي البقاء إهانة وعزل عن قرب

وفيها نازل الفرنج طرابلس الشام فواقعوهم المسلمون فكسروهم وأخذوا منهم ثلاثة مراكب

وفيها حج جركس الخليلي وعمل في الحجاز خيرا كثيرا

وفي أواخرها خامر يلبغا الناصري بائب حلب

وفيها كان الرخص الزائد حتى بيع الأردب القمح بثمانية دراهم

وفي ربيع الأول تزايد الموت بالأمراض الحادة والطاعون حتى بيعت البطيخة من الصيفي بخمسين درهما قيمتها يومئذ دينارين وكان أكثر الموت في المماليك السلطانية حتى زاد كل يوم على عشرين نفسا منهم فندب القاضي برهان الدين بن الميلق جماعة لقراءة البخاري بالجامع الأزهر ودعوا الله عقب ختمه برفع الوباء ثم اجتمعوا يوم الجمعة بالجامع الحاكمي ففعلوا مثل ذلك ثم اجتمعوا أكثر من عددهم الأول فاستغاثوا بالجامع الأزهر وكان وقتا عظيما فارتفع الوباء في ثاني جمادى الآخرة بعد أن بلغ في كل يوم ثلاثمائة نفس

وفيه استقر ايدكار حاجبا كبيرا بعد أن شغرت الوظيفة أربع سنين منذ مات قطلوبغا الكوكائي

وفي ثالث عشر مسري أوفي النيل بمصر وذلك في أول يوم من شعبان

وفي ذي الحجة استقر محمد بن عيسى أمير عرب العائد في كشف الشرقية عوضا عن قطلوبغا التركماني

وفيها وقع الخلف بين قرا محمد التركماني وبين حسن بن حسن بك وثارت الفتنة بينهما

وفي ذي الحجة استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر في قضاء الشافعية بحلب عوضا عن مسعود واستقر محب الدين بن الشحنة في قضاء الحنفية بها

ذكر من مات

---

(١) انباء الغمر، ص/١٣٠

في سنة تسعين وسبعمائة من الأعيان

إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل ثم المقدسي قاضي الديار المصرية ثم الديار الشامية برهان الدين بن جماعة الشافعي أبو إسحاق كان مولده سنة خمس وعشرين وسمع الكثير بالقاهرة ودمشق وأخذ عن جده وطبقته وحضر عند الذهبي ولازمه وأثنى الذهبي على فضلئله وناب في الحكم ثم ولي خطابة القدس ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فوليه مرتين بصرامة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل وعزل نفسه مرارا ثم يسأل ويعاد حتى هم السلطان في بعض المرات أن ينزل إليه بنفسه ليترضاه وكان حسن الإلقاء لدرسه محبا في الحديث وأهله كثير الإنصاف والاعتراف قويا في أمر الله ثم ولي قضاء الشام من سنة خمس وثمانين عقب ولي الدين بن أبي البقاء إلى أن مات وكان قوالا بالحق معظما لحرمات الشرع مهابا محبا في السنة وأهلها لم يأت بعده له نظير ولا قريب من طريقته مات في شعبان وخلف من الكتب النفيسة ما يعز اجتماع مثله لأنه كان مغرما بها فكان يشتري النسخة من الكتب التي إليها المنتهى في الحسن ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مصنفه فيشتريه ولا يترك الأولى إلى أن اقتنى بخطوط المصنفين ما لا يعبر عنه كثرة ثم صار أكثرها لجمال الدين محمود الاستادار فوقفها لمدرسته بالموازنيين وانتفع بها الطلبة إلى هذا الوقت وكان محبا للآداب مصيغا للأمداح كثير البذل للشعراء مدحه البدر البشتكي بغرر القصائد فأخبرني شمس الدين الفيومي الكتبي قال سمعت البرهان يقول : ما قارب أحد من أهل العصر ابن نباتة إلا هذا الرجل ومع ذلك فكان ينظم نظما عجيبا فقرأت بخط من أثق به أنه من خطه ذم مصر لما وقع بها الغلاء سنة ست وسبعين :

وماذا بمصر من المؤلمات ... فذو اللب لا يرتضي يكسن

فترك وجور وطاعون وفرط غلا ... وهم وغم والسراج يدخن

يا رب لطفا منك في أمرنا ... فالقلب يدعو واللسان يؤمن

إبراهيم بن محمد بن شهري التركماني صاحب دوركي قتل في هذه السنة في وقعة سيواس ." (١)

" وفي شعبان مات سودون الطرنطاي نائب دمشق وقرر بعده كمشبغا الخاصكي الأشرفي وكان سودون محبا في الخير عديم الهزل كارها في الخمر جدا والمظالم ولكنه كان متعاظما جدا ولم يبلغ ثلاثين سنة وكان مهابا ويقال إنه قال لما ولي النيابة : كيف أعمل في الأحكام بين الناس وأنا لا أدري شيئا من

---

(١) انباء الغمر، ص/١٣١

الأمور الشرعية وكان يتنزه عن الرشوة وحصل له قبل موته برسام فكانت تصدر منه أفعال لا تشبه أفعال العقلاء وعزله الملك الظاهر قبل موته بعشرة أيام

وفي نصف رمضان أمر تغرى بردى تقدمة ألف

وفيه قرر بدر الدين الطوخي في وزارة دمشق عوضا عن ابن مكانس بحكم انفصاله ورجوعه إلى القاهرة

وفي شعبان كان الحريق العظيم بدمشق . فاحترقت المأذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة والدهيشة وتلف من الأموال ما لا يحصى وعمل في ذلك صاحبنا الأديب تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها

وفيها **كان الغلاء المفرط** بدمشق

وأوفى النيل ثالث مسرى وانتهى إلى عشرين اصبعا من عشرين ذراعا

وفي شعبان **وقع الوباء في** البقر حتى كاد إقليم مصر أن يفنى منها

وفيها استقر بدر الدين الأقفهسي شاهد الجاي ناظر الدولة

وفيها شكا أهل خانقاه سرياقوس من شيخهم فأمر السلطان بإحضاره فسأله عما أنهى عنه فأومأ بيده فلمح بعض الناس فيها أحرفا مقطعة فأعلم السلطان بذلك فسأله فاضطرب فقيل للسلطان إنه ساحر فعزله عن المشيخة وسلمه لشاد الدواوين وولاها الشريف فخر الدين وقيل إن الظاهر كان أودع عنده خمسة آلاف دينار قبل أن يقع قصة الناصري فلما عاد طالبه فأجاب بأنه تصدق بها وأصر على ذلك فأسرها الظاهر في نفسه إلى هذه الغاية

وفي العشرين من شوال استقر جمال الدين في نظر الجيش مضافا إلى القضاء ومشيخة الشيخونية وعظم شأنه وكثر تردد الناس إليه ويقال إنه بذل في ذلك مالا كثيرا

وفيها كائنة سعيد المغربي وكان مقيما بقبة جامع طولون وللناس فيه اعتقاد زائد وكان السلطان يزوره ويعظمه ويقبل شفاعته فكثر تردد الأكابر عليه ثم إنه سافر إلى العراق فلما عاد دخل للسلام على السلطان وذلك في العشرين من جمادى الآخرة فلما انصرف ذكر بعض البازدارية أنه رآه عند نعير أمير العرب فغضب السلطان وتخيل أنه جاسوس فأرسل إليه من قبض عليه وكان آخر العهد به

وفي آخر شوال استقر تاني بك أمير آخور ونقل بكلمش إلى مرتبة أخرى فاستقر أمير سلاح

وفي سلخ شوال أمر أصحاب العاهات والقطعان أن يخرجوا من القاهرة ثم أذن للقطعان بالعود

وفي آخر ذي الحجة عزل الشهاب النحريري عن قضاء المالكية واستقر ناصر الدين ابن التنسي نقلا من قضاء الإسكندرية

وفي أواخر ذي القعدة قتل جماعة من الأمراء المعتقلين منهم طغيتمر وقرادمرداش

وفي ثامن عشرين ذي القعدة استقر تقي الدين الكفري في قضاء الشام عوضا عن نجم الدين ابن الكشك

وفي خامس عشرين ذي الحجة وصل المبشر من الحجاز

وفي آخر ذي الحجة عزل القاضي عماد الدين الكركي من قضاء الشافعية وأمر بلزوم بيته بسبب أن المكيين رافعوا فيه فشغر فضاء الشافعية إلى أن انسلخت السنة

وفيها أرسل السلطان نائب الكرك أمير حسن الكجكني إلى ابن عثمان صاحب الروم بهدايا جليلة

وفيها ضربت بالإسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح فآل الأمر فيها إلى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار ونقص الأموال

وفي أواخر هذه السنة قبض علي بن عجلان على سبعين نفسا من الأشراف فقامت حرمته لذلك

وفيها وقع الحرب بين قرا يوسف بن قرا محمد أمير التركمان وبين حسين بك فقتل قرا يوسف أحد أمراء التركمان غدرا واستولى على امرأته وكانت من أجمل النساء فخلا بها في ليلته وقال : مات عنك شيخ وتزوجك شاب

وفيها نازل قرا يوسف ماردين فخادعه صاحبها والتمس الصلح على مال يحمله إليه ثم راسله بما أراد وراسل أمراءه حتى أفسدهم وأغار عليهم عسكر ماردين بغتة فتخلى عنه عامة أصحابه فانهزم واتفق رأي التركمان على تأمير حسين بك ومات في تلك الأيام بعد عمه قرا يوسف ." (١)

" وفيها وقع بين الشيخ شرف الدين يعقوب ابن الشيخ جلال الدين التباني وبين الشيخ مصطفى القرماني شيخ المدرسة الفخارية بحث وقع من الشيخ مصطفى في حق إبراهيم الخليل عليه السلام شيء أنكره الشيخ شرف الدين وتفصيل ذلك أن الشيخ جلال الدين لما مات رام الشيخ شرف الدين أن يستقر مكان أبيه فغلب عليه مصطفى واستقر فيها فبقي في نفسه فاتفق أنه ظفر بشرح مقدمة أبي الليث جمع مصطفى المذكور فوجده ذكر في دليل كراهة التوجه عند البول إلى الشمس والقمر : أنهما معظمان ولذلك قال إبراهيم الخليل لما رأى الشمس بازغة " قال هذا ربي " فقال شرف الدين : هذا كفر وبالغ في التشنيع

---

(١) انباء الغمر، ص/١٦٥

على مصطفى فشكا امره إلى قديد الحاجب فأهان الشيخ شرف الدين فلما وصل السلطان وقف إليه الشيخ شرف الدين وطلب منه أن يعقد لهما مجلسا فأجابه وأحضر القضاة والعلماء وشيخ الإسلام سراج الدين فادعى شرف الدين على مصطفى أنه وقع في حق الخليل عليه السلام فقال في كلام له فيما ادعاه عليه إنه قال : ولا يبول أحد في الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله وذكر إبراهيم في قوله " فلما رآ القمر بازغا " ووقع اللغط فالتفت السلطان إلى القضاة يستفتيهم فقال له ابن التنسي القاضي المالكي : إن حكمتني فيه ضربت عنقه فبادر أكثر الأمراء وسألوا السلطان أن يحكم فيه القاضي الحنفي فأجابهم فكشف الحنفي رأسه وأرسله إلى الحبس ثم أحضره بعد ثلاثة أيام فضربه وحبسه ثانية ثم أفرج عنه بعد أن حكم بإسلامه ؛ وكان ذلك في شهر ربيع الأول

وفيها **وقع الوباء ببغداد** فخلا منها أكثر أهلها فدخل سلطانها إلى الحلة فأقام بها **وأعقب الوباء غلاء** فلذلك تحول

وفيها وقع بين طقتمش خان وبين تمرلنك وقائع كان النصر فيها لتمرلنك وجهز ولده لقمان إلى كيلان فملكها وفر طقتمش خان إلى بلاد الروس ثم توجه إلى القرم فملكها ثم إلى كافا فملكها أيضا وخربها ووصلت رسل الملك الظاهر إليه المجهزون إلى طقتمش خان في آخر هذه السنة بهذه الأخبار في ذي الحجة ورئيسهم طولو فذكر أن اللنك طرقة بعد قدومهم بيسير فخامر جماعة من أصحاب طقتمش خان فانكسر وهرب طولو إلى يراي ثم توجه إلى القرم ثم إلى الكفا ثم توجه منها إلى شمعون فبلغهم أن اللنك غلب على القرم ونزل على الكفا وحاصرها وفتحها وتوصل طولو حتى دخل القاهرة

وفي شهر ربيع الأول منها ابتدأ جمال الدين محمد الاستادار في الخمول فإنه شكا إلى السلطان قلة المتحصل وكثرة المصروف فرافع فيه بعض المباشرين فأمر السلطان بمصادرته على خمس مائة ألف دينار ثم استشفع إلى أن قررت مائة وخمسين ألف دينار بعد أن ضربه ثم خلع عليه وفيه شكا شخص نصراني بعض نواب الحكم وهو شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد الدفري للسلطان فضربه بحضرته بطحا ورسم عليه وتألم الناس له

وفي رابع شعبان حضر الظاهر مجلس دار العدل بعد تعطلها ثلاث سنوات ونصف

وفي شوال غير الظاهر الحكم بين الناس من يومي الأحد والأربعاء إلى يومي السبت والثلاثاء وخص الأحد والأربعاء بالشرب

وفيها اعتنى السلطان بأمر البريد فجهز الخيول اللائقة بذلك وفرضها على الأمراء فعلى كل مقدم عشرة أكاديش وعلى الطبلخاناه كل واحد اثنين وعلى العشراوات كل واحد واحدا فجهزت على ذلك الحكم

وفيها كانت الوقعة بين الفرنج وصاحب غرناطة فقتل من الفرنج مقتلة عظيمة ونصر الله المسلمين وذلك أن الفرنج نازلت غرناطة فاستعان ابن الأحمر بصاحب فاس المريني فسار إليه في عساكره إلى جبل الفتح فتقهقر الفرنج لمجيئه ووقعت الحرب

وفيها كانت الوقعة بين نعير والتركمان فقتل من نعير جماعة من أصحابه ومات كثير من جماله فرحل نعير إلى القاهرة ودخل إلى السلطان وفي رقبته منديل فعفا عنه السلطان وخلع عليه ثم قدم ولده عمر إلى السلطان فعفا عنه ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية

وفيها حضر قاصد الملك الصالح صاحب ماردين يبذل الطاعة للملك الظاهر فأرسل له تقليدا وخلعة

وفيها ترافع شهاب الدين المالقي ترجمان الإسكندرية وزين الدين الموازيني مدولب دار الضرب بها إلى السلطان فصادرهما على ألف ألف درهم فضة

وفيها ضرب يلبغا الزيني والي الأشمونين بالمقارع بحضرة السلطان لكثرة ما شكاه أهل البلاد التي كان كاشفها ." (١)

" فيها في المحرم تناقص سعر القمح إلى أن وصل إلى ستين ثم طلع بسبب الرمايات إلى مائة وعشرة فعزل المحتسب نفسه فأعاده السلطان وأمره أن يرميه بمائة وكثر أسف الناس لذلك وآل الأمر في جمادى الأولى إلى أن عدم الناس الخبز سبعة أيام واستسقى الناس بالجامع الأزهر تقدمهم الشيخ سراج الدين البلقيني بسبب منام رآه بعض من يعتقد فيه الصلاح فعجب أكثر الناس لموافقة الشيخ على ذلك لكنه بالغ في الدعاء والابتهال والتضرع وضج معه الناس في ذلك وكانت ساعة عظيمة وكان ذلك في نصف جمادى الأولى فاتفق وصول غلال كثيرة في صبيحة ذلك اليوم فانحط السعر قليلا ثم **ازداد الغلاء إلى** أن سمر الوالي جماعة من الطحانين وضرب المحتسب أربعة منهم بالسياط وشهرهم ولم يزدد الأمر إلا شدة فعزل شرف الدين الدماميني واستقر شمس الدين البجاسي محتسبا في جمادى الآخرة وفي ثامن ربيع الآخر عمل السلطان في كل يوم خبزا يفرق على الفقراء والحبوس والزوايا نحو عشرين أردبا قمحا وحضر باب الأسطبل السلطاني نحو من خمسمائة فقير ففرق السلطان فيهم لكل نفر خمسون درهما فتسامع الفقراء بذلك فحضر في الجمعة المقبلة ما لا يحصى عدده فمنعوا من باب الأصطبل فازدحموا فمات منهم من

---

(١) انباء الغمر، ص/١٨٥

الزحمة سبعة وأربعون نفسا وأكثر السلطان في هذه السنة من الصدقات ثم انحط السعر في جمادى الآخرة بعد أن بلغ مائة وسبعين فرجع كل إردب قمح إلى خمسين ثم ارتفع وعدم الخبز من الحوانيت مدة بسبب انقطاع الجالبين لأنهم كانوا قد خسروا وتزاحم الناس على الأفران فأمر السلطان علاء الدين ابن الطبلاوي أن يتحدث في السعر ففعل ذلك فتزايد القحط واختفى المحتسب وانتهى سعر القمح إلى مائة وعشرين ثم تراجع إلى الخمسين ثم عاد إلى الثمانين ثم انحط وزاد النيل فأوفى في سابع ذي القعدة ثم استقر إلى أن جاوز العادة في الزيادة وتأخر حتى خافوا فوات الزرع ثم فرج الله تعالى

وفيه استقر قلمطاي الدويدار ناظرا على المدرسة الظاهرية الجديدة وفي المحرم بطل كشف الوجه البحري واستقر نيابة بتقدمة ألف واستقر فيها يلبغا الأحمدي وفي صفر استقر نور الدين الجيزي المعروف بالعور محتسب القاهرة عوضا عن شرف الدين الدماميني ثم عزل بعد أيام وأعيد شرف الدين وفي سادس صفر قبض على زوجتي محمود وولده محمد وكاتبه سعد الدين بن غراب وعوقوا بالقلعة وحمل من دار محمود وهو ضعيف مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار أخرجت من خبئتين في داره وفي حادي عشريه استقر قطلوبك العلائي أستادار السلطان عوضا عن محمود وكان قبل ذلك أستادار أيتمش واستقر علاء الدين الطبلاوي أستادار الخاص عوضا عن محمود أيضا

وفيها استقر قديد الحاجب نائب الإسكندرية عوضا عن مبارك شاه واستقر مبارك شاه وزيرا وفي هذا الشهر وصل اطلمش قريب تمرلنك فقبض عليه قرا يوسف التركماني صاحب تبريز فأرسله إلى الملك الظاهر فاعتقله وكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة تمرلنك إلى البلاد الشامية كما سيأتي شرح ذلك وفي ربيع الأول قبض على سعد الدين ابن كاتب السعدي وعلى ولده أمين الدين وسلما لابن الطبلاوي ثم شفع فيهما فخلع عليهما ثم سلم له محمد بن محمود وأمر أن يستخلص منه مائة ألف دينار فيقال إنه عراه وأراد ضربه بالمقارع فخدعه بأن قال له : يا أمير !

قد رأيت عزا فزال فعزك أيضا لا يدوم فاستعفى ابن الطبلاوي منه فسلم لشاهين الحسني ثم أعيد إليه وتسلم والدته أيضا ثم قبض على محمود وسلم لابن الطبلاوي في جمادى الأولى وشرع في تتبع ذخائر محمود إلى أن حصل للسلطان منها بعناية سعد الدين ابن غراب كاتب محمود ودلالته ما ينيف على ألف ألف دينار ما بين ذهب وفضة وغير ذلك ثم سلم محمود لفرج شاد الدواوين في جمادى الآخرة فعصره ثم تسلمه ابن الطبلاوي فعصره أيضا فأصر على عدم البذل

وفيها استقر أبو الفرج درهم قيمتها إذا ذاك ستة آلاف دينار ." (١)

" وفيها وقع بين الشريف الملكي الذي كان صيرفيا بقطيا ناظرا بها وواليا وضمنها في كل شهر بمائة ألف وخمسين ألف حسن بن عجلان أمير مكة وبين بني حسن وقعة هائلة كسرهم فيها وشتت شملهم وعظمت منزلته يومئذ وقام في قمع المفسدين وإصلاح أحوال بلاد الحجاز وفي جمادى الأولى هرب الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي من القاهرة إلى بلاد الروم وكانت بيده عدة وظائف بدمشق وتدريس الصلاحية ببيت المقدس وكان السبب في هروبه انه كان يتحدث عن قطلوبك بالشام في مستأجراته ومتعلقاته بدمشق فزعم أنه تأخر عنده مال كثير فتحاكم معه عند السلطان فرسم عليه فهرب ولما تحقق هربه استقر في تدريس الصلاحية الشيخ زين الدين أبو بكر القمني وتفرق الناس وظائفه ووصل هو في هربه إلى أبي يزيد بن عثمان صاحب الروم فاتفق أنه وجده عنده تلميذا هناك يقال له شيخ حاجي كان قد قرأ عليه القرآن بدمشق فعرف الملك بمقداره فعظمه وأكرمه ورتب له في كل يوم مائتي درهم وساق له عدة خيول ومماليك وفي جمادى الآخرة استقر الشيخ زاده الخرستاني شيخ الشيخونية عوضا عن بدر الدين الكلستاني إلى تدريس الصرغتمشية عوضا عن بدر الدين الكلستاني كاتب السر وعاد الكلستاني إلى تدريس الصرغتمشية عوضا عن جمال الدين ناظر الجيش وفيه نفى أحمد بن يلبغا إلى طرابلس واستقر في فارس الحاجب ناظرا على الشيخونية والصرغتمشية

وفي أوائل رجب استقر سعد الدين ابن البقري في الوزارة عوضا عن مبارك شاه واستقر علاء الدين ابن المنجا الحنبلي في قضاء الحنابلة بدمشق عوضا عن ابن مكنون واستقر شرف الدين الدماميني ناظر الكسوة وفي وسط هذه السنة أمر يشبك الذي صار الأمر في دولة الناصر بن الظاهر إمرة عشرة وفي صفر استقر ابن الطبلاوي أستادار خاص الخاص والذخيرة والأملاك وناظر الكسوة مع الحجوبية والولاية والتحدث في دار الضرب والمتجر

وفي ربيع الآخر استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الملكي في ولاية قطيا مضافا إلى نظرها والتزم في كل شهر بحمل مائتين وخمسين ألف درهم وكان أولا صيرفيا ثم ترقى إلى المباشرة ثم إلى النظر ثم إلى الإمرة

وفي رمضان خسف جرم القمر بعد العشاء حتى أظلم الجو وأوفى النيل في ثاني عشر مسري وانتهت الزيادة إلى تسعة عشر ذراعا

---

(١) انباء الغمر، ص/١٩٢

وفي ذي الحجة استقر علاء الدين ابن الطبلاوي في نظر المارستان عوضا عن كمشبغا

وفيها رجع اللنك بعساكره من بلاد الدشت بعد أن أثخن فيهم فوصل إلى سلطانية في شعبان ثم توجه إلى همذان فأمر بالإفراج عن الملك الطاهر صاحب ماردين فوصل إليه في رمضان فتلقاه واعتذر إليه وأضافه أياما ثم خلع عليه وأعطاه مائة فرس وجمالا وبغالا وخلعا كثيرة وعقد له لواء وكتب له ستة وخمسين منشورا كل منشور بتولية بلد من البلاد التي كان تمر فتحها في سنة ست وتسعين ما بين أذربيجان إلى الرها وشرط عليه أنه يلبي دعوته كلما طلبه فتوجه في ثالث عشرين رمضان فدخل ماردين في حادي عشر شوال فخشي نائب القلعة الطنبغا أن يقبض عليه ويسيره إلى اللنك ففر منه ؛ فتوجه المنصور أخو السلطان يخبر الظاهر فأكرمه وقرر له راتبا وأقام بمصر

وفيها **اشتد الغلاء بالقاهرة** وأكثر السلطان من الصدقات وعمل الخير وفرق الذهب والفضة وخرج البلقيني بالناس إلى الجامع الأزهر فدعا **برفع الغلاء وكانت** ساعة عظيمة وكان ذلك في نصف جمادى الأولى وصادف وصول غلال كثيرة وفي صبيحة ذلك اليوم وانحط السعر قليلا ثم انحط إلى أن بيع الإردب بخمسين ثم انقطع الجلابة للخسارة فتزاحم الناس على الخبز فأمر ابن الطبلاوي بالتحدث في السعر ثم تزايد القحط واختفى المحتسب ورجع القمح إلى مائة وعشرين فاستقر البخانسي ." (١)

" وفي ربيع الأول استقر بدر الدين محمد بن محمد الطوخي في الوزارة وصرف سعد الدين ابن البقري وصودر ابن البقري على مال كثير جدا أفضى به الطلب إلى إهلاكه فباشر الطوخي الوزارة بصرامة ومهابة وفي ولايته هذه ابطل مكس الغلة واستقر سعد الدين ابن الهيصم ناظر الديوان المفرد عوضا عن ابن الطوخي وفي صفر أعيد شرف الدين الدماميني إلى الحسبة مضافا إلى الوكالة ونظر الكسوة وصرف البجاسي ثم استقر ابن الدماميني في نظر الجيش في ربيع الأول بعد موت جمال الدين واستقر ابن البرجي في الحسبة فاتفق ان الأسعار غلت فتشاءم الناس به ولم يلبث إلا يسيرا حتى وقف العامة فيه للسلطان فعاندهم وخلع عليه فرجموه فعزله عنهم وأعاد البجاسي

وفيه استقر شمس الدين الطرابلسي في قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد جمال الدين ثم مات في آخر السنة

وفيها كانت الوقعة بين الملك أبي يزيد بك بن عثمان صاحب الروم وبين الفرنج فكسرهم كسرة عظيمة

---

(١) انباء الغمر، ص/١٩٣

وفيها قدمت هدية صاحب الروم صحبة قاصد السلطان واسمه طولو وهو االذي ولي إمرة الحاج بعد ذلك في سنة ست وثمانمائة واخبر أنه رأى شمس الدين ابن الجزري مقيما في بلد ابن عثمان في غاية الإكرام وكان ابن الجزري يتحدث في تعلقات الأمير قطلوبك الذي كان في خدمة الأمير الكبير أيتمش ثم ولي بعد ذلك الاستادارية فحاسب ابن الجزري فادعى أنه يستحق عليه شيئا كثيرا فخشي منه ففر فركب البحر إلى الإسكندرية ثم إلى انطاكية ثم إلى برصا فلقي شيخا كان يقرأ عليه في دمشق يقال له : كاموراً موبر فعرف ابن عثمان بمقداره فأكرمه وأرسل إليه خيولا ورقيقا وثيابا ورتب له مرتبا جيدا . ثم قدمت له هدية أخرى صحبة قصاد من عنده ومن جملتها جماعة من الفرنج كانوا يقطعون الطريق على المسلمين في البحر فأسرهم وأرسلهم فأسلم منهم اثنان

وفيها قدمت هدية صاحب اليمن صحبة عبده فأخر الطواشي وبرهان الدين ابن المحلي ويقال إنها قومت بستين ألف دينار

وفيها استقر نحمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري أبو السنون في إمرة العرب بالصعيد الأعلى عوضا عن أبيه

وفيها استأذن كاتب السر بدر الدين الكلستاني السلطان له ولجميع المتعممين أن يلبسوا الصوف الملون في المواكب فأذن لهم وكانوا لا يلبسون إلا الأبيض خاصة وفي ربيع الأول ولدت امرأة بظاهر القاهرة أربعة ذكور أحياء

وفي يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى استقر القاضي تقي الدين الزبيري في قضاء الشافعية وصرف صدر الدين المناوي

وفيها كانت الوقعة العظمى بين طقتمش خان صاحب بلاد الدشت وبين الفرنج الجنوية

وفي جمادى الآخرة وصل القاضي سري الدين إلى القاهرة مصروفا عن قضاء دمشق وكان عين لقضاء الشافعية بالقاهرة فاتفقت ولاية الزبيري قبل أن يقدم فلما قدم لم يلبث أن مات واستقر عماد الدين الكركي الذي كان قاضي الشافعية بالقاهرة في خطابة القدس بعد موت ابن جماعة واستقر الشيخ زين الدين العراقي في تدريس الحديث بجامع ابن طولون مكانه بحكم سفره واستقر الشيخ سراج الدين ابن الملقن في تدريس قبة الصالح وشهاب الدين النحريري في النظر عليه مكانه أيضا وفيه خرج أهل دمشق للاستسقاء لما كان أصابهم **من الغلاء فلما** رجعوا وجدوا ابن النشو فرجموه حتى مات وكان يحتكر الغلال بالجاه وراح دمه هدرا وكان ابن النشو هذا يقال له ناصر محمد متولي شد المراكز وولي إمرة طبلخاناه وكان أصله

سمسارا فلما تأمر صار يحتكر ولا يبيع أحد شيئ من الحبوب إلا بعد مراجعته وكان قتله والنائب في الصيد فلما رجع كوتب من عند السلطان بتتبع من فعل ذلك وتوسيطه فحصل لكثير من الشاميين أذى وكتبوا فيه محضرا بما يبدو من المذكور من الفجور وكلمات الكفر والجور المفرط والظلم الظاهر فلطف النائب القضية حتى أعفى الناس من ذلك

وفي رجب شرع يلبغا السالمي في تجديد عمارة الأقمر فأقام منارته وعمل فيه فسقية وجدد فيه خطبة في رابع رمضان ." (١)

" محمد بن أحمد بن الموفق الإسكندري ناصر الدين المحتسب بالإسكندرية سمع من أحمد بن المصفي وعلي بن الفرات وغيرهما وحدث سمعت منه بالإسكندرية ومات في ثاني شهر رجب

محمد بن الحسن الحصني جمال الدين كان ينوب في الحكم ثم امتحن بسبب وديعة نسبت إليه من قبل امرأة فجحدها فضرب عند الحاجب ثم قرر عليه مبلغ معين بسب ذلك فباع ملكه ونزل عن وظائفه وساءت حاله ثم اقعده المالكي عنده شاهدا على الخطوط إلى أن مات في شعبان

محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام محب الدين ابن العلامة جمال الدين حضر على الميدومي وغيره وسمع ممن بعده وقرأ العربية على ألبيه وغيره وشارك في غيرها قليلا وكان إليه المنتهى في حسن التعليم مع الدين المتين مات في رجب عن نحو من خمسين سنة

محمد بن عبد الله بن النشو الدمشقي كان شاد المراكز بدمشق وكان يحتكر الغلال فلما وقع الغلاء بدمشق وخرجوا للاستسقاء وجدوه فرجمه العوام حتى سقط وجروه برجليه وأحرقوه وذهب دمه هدرا وتقدم خبره في الحوادث

محمد بن عبد الله المصري الناسخ المعروف بابن البغدادي كان فاضلا شاعرا مات ...

محمد بن عبد الله الزرعي تاج الدين الحنبلي مات في شوال

محمد بن علي بن حسب الله بن حسنون المصري الشيخ شمس الدين سمع القلانسي وغيره وتفقه قليلا وله تخاريج ومختصرات وتقدم في الفنون وكان فاضلا دينا خيرا مات في شعبان

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الملك الدمشقي سري الدين ابن القاضي جمال الدين المسلاتي الأصل الدمشقي أبو الخطاب سبط التقي السبكي ولد في رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وأحضر علي ابن الخباز وغيره وأجاز له ابن الملوك وجماعة من المصريين وكان أبوه قاضي المالكية

---

(١) انباء الغمر، ص/١٩٨

ثم تحول هو شافعيا مع أخواله السبكية ونشأ بينهم طريقهم وولي إفتاء دار العدل وناب في الحكم عن برهان الدين ابن جماعة نحو سنة بعد أن صاهره على ابنته بعده فصرف عن قرب ؛ ثم استقل بالحكم بعده وولي خطابة المسجد الأقصى بعد وفاة ولد البرهان ابن جماعة ثم طلب للقاهرة لتولي القضاء فأدركه اجله بها في شهر رجب وكان عفيفا صارما مع لين الجانب شريف النفس حسن المباشرة للأوقاف مقتصدا في مأكله وملبسه

محمد بن محمد بن البرهان النويري علم الدين مات في ذي الحجة

محمد بن محمد الطريني الأصل المصري محب الدين تفقه للمالكية واختص بالبرهان الأخناي ثم انتقل شافعيا وناب في الحكم مات في المحرم

محمد بن ... . النبراوي الشيخ أبو عبد الله قرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري : كان كبير المقدار عظيم الشأن في العبادة وله كرامات ومكاشفات مع التقشف والتواضع وعدم الاجتماع مع الأكابر حج مرارا آخرها سنة ثمان وتسعين وقدم في أول سنة تسع مع نور الدين علي بن محمد النوساي فنزل الحسينية وهرع الناس للسلام عليه مات في مستهل شهر ربيع الأول وله سبع وتسعون سنة لن مولده على ما سمعه منه القاضي تقي الدين كان في سنة اثنتين وسبعمائة ولو كان له سماع لأدرك إسنادا عاليا ." (١)

"كان أولها يوم الاثنين سابع عشرين توت من أشهر القبط وأخذ النيل في النقص وانتهت زيادته إلى اثني عشر إصبعا من عشرين وفي الثامن من المحرم خرج السلطان إلى سرياقوس ثم رجع وفي أولها وصل ناصر النوبي صاحب بلاد النوبة إلى القاهرة واجتمع بالسلطان فأكرمه وخلع عليه وتوجه إلى بلاده وقبض على كمشبغا الكبير وعلى بكملش أمير آخور وأرسلا إلى الإسكندرية وفيه صرف تغري بردى نائب حلب واستقر بها أرغون شاه نائب طرابلس واستقر في نيابة طرابلس آقبغا الجمالي نائب صفد والشهاب أحمد بن الشيخ علي نائب غزة في نيابة صفد وقرر شيخ الصفوي في نيابة غزة ثم صرف عنها واستقر بقجاه الشرفي ولما وصل تغري بردى خرج السلطان إلى السرحة فتلقاه فدخل في نصف ربيع الأول وكانت في تقدمته مائة وثلاثون فرسا وسبعون جملا ومائة حمل قماش وفي سلخ المحرم استقر أيتمش أتابك العساكر عوضا عن كمشبغا وزاده من أقطاعه بلدا واستقر سودوم قريب السلطان على أقطاع كمشبغا وقرر أقطاع سودون لعبد العزيز ابن السلطان ووصل تغري بردى الذي كان نائب حلب فأعطى أقطاع شيخ الصفوي ونفى الشيخ إلى القدس بطالا واستقر بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس عوضا عن الصفوي وفي

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٠٤

المحرم لما رجع الحاج إلى العقبة وجدوا ودائعهم قد نهبت فقيل أخذ لهم ما يساوي عشرين ألف دينار وقبض أمير الحاج على صاحب الدرك فصولح على بعض وترك بعض وفي آخر صفر أمر يلبغا السالمي إمرة عشرة وفيه صرف شعبان عن حسبة مصر واستقر شمس الدين الشاذلي الذي كان بلانا بالإسكندرية مكانه ثم عزل الشاذلي وأعيد شعبان ثم عزل شعبان وأعيد الشاذلي ووقف جماعة من المصريين في شعبان . فشكوا منه إلى بيبرس الدويدار وذلك في ذي القعدة فأهانوه إهانة شديدة حتى صفعه بعضهم بحضرة الدويدار وأمر أن ينادى عليه فآل الأمر إلى أن هرب شعبان إلى اليمن

وفي ربيع الأول **وقع الوباء بالوجه** البحري ووصل منه إلى مصر فمرض أكثر الناس وفي صفر وسط شاهين رأس نوبة كمشبغا بعد القبض على أستاذه وقد حكم شاهين هذا في القاهرة في ولاية أستاذه نيابة الغيبة وكان قتله على سبيل القصاص منه لأجل قتيل عليه أنه قتله وكان إمساك كمشبغا في آخر المحرم وأرسل هو وبكلمش إلى الإسكندرية فسجنا وأمسك بعدهما شيخ الخاصكي وأرسل إلى القدس وكان من أخص الناس بالظاهر وبه يضرب المثل في حسن الصورة ثم تغير منه وأمسكه ومات بالقدس في هذه السنة واستقر نوروز الحافظي أمير آخور بدل تاني بك وبيبرس ابن أخت الظاهر دويدار عوضا عن قلمطاي وتغري بردى نائب حلب بدل بكلمش وآقبغا الكبير أمير مجلس بدل بيبرس المذكور وعلي باي بدل نوروز رأس نوبة

وفي هذه السنة انتهت المواذين بقصور سرياقوس فكان آخر ما ركب إليها الظاهر في هذه السنة ولم يخرج إليها منهم بعده

وفيها نازل تمرلنك الهند فغلب علي دلي كرسي المملكة وفتك على عادته وخرب وكان قد توجه إليها من طريق غزنة على البر ووصل رجيفة إلى اليمن والسبب المحرك له على ذلك أن فيروز شاه ملك الهند مات فبلغه ذلك فسمت نفسه إلى الاستيلاء على أمواله فتوجه في عساكره وكان فيروز شاه لما مات قام بالأمر بعده ملو الوزير ثم عصى عليه أخوه شارنك صاحب ملتان ففي أثناء ذلك طرقتهم اللنكية فحاصروا ملتان فملكها اللنك وقصد ملو في دلي وكان ملو بلغه أمر أخيه فجد واجتهد وجمع العساكر فاستقبل اللنك بجد وصدر أمامهم الفيلة عليها المقاتلة فلما استقبلتها الخيل نفرت منها فبادر اللنك وأمر باستعمال قطعات من الحديد على صفة الشوك وألقاها في المنزلة التي كان بها فلما أصبحوا واصطفوا للقتال أمر عساكره يتقهقرون إلى خلف فظنوا أنهم انهزموا فتبعوهم فاجتازت الفيلة على ذلك الشوك الكامن في الأرض فجفلت منه أعظم من جفل الخيل منها ورجعت القهقرى من ألم الحديد فكانت أشد عليهم من عدوهم

فإنها من حرارة الشوك ولت على أدبارها وهاجت حتى طحنت المقاتلة الرجالة والفرسان فانهزموا بغير قتال ؛ ثم توجه اللنكية بعد الهزيمة إلى حصار البلد ." (١)

" وفي تاسع عشر ربيع الأول قبض على سعد الدين بن غراب ناظر الخاص وأخيه الوزير وابن قطينة وعلاء الدين شاد الدواوين وقطلوبك الاستادار وكان ابن غراب زوج ابنته واستقر بدر الدين ابن الطوخي في الوزارة وشرف الدين ابن الدماميني في نظر الجيش والخاص ثم صرفا بعد سبعة أيام وأعيد ابن غراب وأخوه إلى وظائفهما وتسلما الطوخي وابن الدماميني ثم استقر ابن الدماميني في قضاء الإسكندرية واستقر أخوه محتسبا ثم أفرج عن قطلوبك وابن قطينة وشاد الدواوين على مال

وفي آخر ربيع الآخر استقر الشيخ أبينا التركماني في مشيخة سرياقوس عوضا عن أصلم بن نظام الدين الأصبهاني واستقر الشيخ شرف الدين بن التباني في مشيخة القوصونية عوضا عن أبينا وفي ليلة الخميس العاشر من جمادى الأولى حصل بمكة مطر عظيم انصب كأفواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ إلى القناديل وامتلأت ودخل الكعبة من شق الباب وكان في جهة الصفا مقدار قامة وبسطة فهدم من الرواق الذي يلي دار العجلة عدة أساطين وخربت منازل كثيرة ومات في السيل جماعة

وفي هذا الشهر تجهز تنم ومن معه للسفر إلى جهة الديار المصرية فبلغ ذلك أهل مصر فحصنوا القاهرة بالدروب وتوجه عسكر الشام في العشر الأوسط من جمادى الآخرة إلى غزة

وفي ثامن جمادى الآخرة استقر نور الدين الحكري في قضاء الحنابلة وصرف موفق الدين ابن نصر الله

وفيها أرسل الأمراء من مصر المهتار عبد الرحمن إلى الكرك نائبا بها وأمر بالقبض على سودون الظريف من غير أن يعلم فأظهر أنه حضر بسبب أمر اخترعه فلما وصل إليها استشعر النائب بذلك فركب عليه فهرب فكبس منزله فوجد فيه التقليد فوقعت فتنة كبيرة قتل فيها قاضي الكرك وموسى ابن القاضي علاء الدين وجماعة من أكابر البلد

وفي صفر وقع الوباء بالباردة والسعال ومات منه جماعة واستمر إلى نصف السنة ." (٢)

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٠٦

(٢) انباء الغمر، ص/٢٣٥

" وفي أواخر ربيع الآخر خلع تمراز نائب الغيبة على منكلي بغا الزيني بكشف البهسنا فنزل إلى يلبغا السالمي الأستادار فعراه الخلعة وضربه بالمقارع فبلغ ذلك نائب الغيبة فغضب فدخل النائب بينهما إلى أن أعاد السالمي على المذكور خلعته واستمر به

وفي نصف جمادى الأولى منع يلبغا السالمي اليهود والنصارى من دخول الحمامات إلا بشعار يعرفون به نساء ورجالا وشدد في ذلك فبلغ ذلك نائب الغيبة فنادى بإبطاله ثم وصل كتاب السلطان في أوائل جمادى الأولى وفيه أن يلبغا السالمي لا يحكم إلا فيما يتعلق بالديوان المفرد خاصة وكان السالمي عند سفر السلطان استنجز مرسوما بأنه يحكم في الأحكام الشرعية وكتب له عليه قضاة القضاة فلما وقع الخلاف بينه وبين نائب الغيبة سعى عليه في إبطال ذلك فتم له ما أراد وأمر بان ينادى في البلد : من وقف ليلبغا السالمي في شكوى عوقب ومن له على السالمي ظلامة يرفعها لنائب الغيبة ثم أمر بكتابة محضر بأحوال السالمي وما هو فيه من الهوج وكان السالمي يومئذ غائبا فلما رجع وبلغه ذلك أهان الذي كتب المحضر وأحضر دويدار الوالي فضربه بسبب إشهاره النداء فبلغ ذلك الوالي فهرب إلى بيت نائب الغيبة ثم وصل السلطان فتمكن يلبغا السالمي من التحكم في البلد ونودي له بذلك فصنع ما تقدم شرحه قريبا

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة استقر القاضي أمين الدين عبد الوهاب ابن القاضي شمس الدين الطرابلسي في قضاء الحنفية عوضا عن القاضي جمال الدين الملطي وكان قد تعوق عن السفر إلى الشام لضعفه فمات في غيبتهم وتعطل المنصب بعده إلى هذه الغاية واستقر القاضي جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسي في قضاء المالكية عوضا عن نور الدين ابن الجلال لأنه كان مات في غزة لما توجه العسكر إلى الشام ثم عزل بعد يسير واستقر القاضي ولي الدين ابن خلدون في رمضان

وفي ثالث رجب استقر علم الدين أبو كم في الوزارة عوضا عن فخر الدين ابن غراب

وفي رجب وقع بحسبان من الشام برد كبار مثل الكف ومنه مثل الخيار وزن الواحدة سبعة وعشرون درهما ولم يعهدوا مثل ذلك من قبل

وفي رجب حضر رسول تمرلنك يطلب أطلمش ويعدهم أنهم إذا أرسلوه يرسل كل من عنده من الأسرى أميرا كان أو فقيها وكانوا قد أسروا قاضي القضاة صدر الدين المناوي وشغر المنصب عنه ابتداء هرب السلطان من دمشق فلما وصل الكتاب لم يسعهم المخالفة فأخرجوا أطلمش وأعطوم مالا وأرسلوا رسلا يخبرون تمرلنك بإكرامه وإعزازه ؛ وفي ثامن عشر رجب استقر سعد الدين ابن غراب استادارا مضافا إلى ما بيده من نظر الخاص والجيش وشرط أن لا يغير ملبوسه وسلم له السالمي ليحاسبه على الأموال التي

أخذها من الناس فسلمه لناصر الدين بن كلفت شاد الدواوين فأهانه وهدده وعصره ثم أطلق في أول يوم من شوال ولقد عدته مهنئا بسلامته فوجدته مصرا على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها ويوجه ذلك بانه لولا أشيع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها ما رحل تمرلنك عن دمشق وهذا من غلطاته الظاهرة فإن رحيل اللنك إنما كان لضيق العيش على من معه فخشي أن يهلكوا جوعا وإلا فما الذي يمنعه من اتباعهم إلى مصر ؛ ثم قبض عليه مرة أخرى في ذي القعدة وتسلمه أحمد بن رجب شاد الدواوين فضربه وعصره حتى أشيع موته ثم أفرج عنه في نصف الشهر

وفي سابع شعبان وصل نائب طرابلس شيخ المحمودي إلى القاهرة وكان قد هرب من أسر تمرلنك فتلقاه يشبك وبقية الأمراء وأرسلوا إليه الخيول والمال ثم خلع عليه في رمضان بنيابة طرابلس على عادته ؛ وفي تاسع عشره حضر دقماق نائب حماة فارا أيضا من أسر تمرلنك

وفي أواخر شعبان نودي بالقاهرة : لا يقيمن عجمي بها ومن أقام لا يلومن إلا نفسه !

فشرعوا في الخروج منها ثم فتر ذلك وشفع فيهم

وفي تاسع عشرين شعبان استقر ناصر الدين الصالحي في قضاء الشافعية عوضا عن صدر الدين المناوي بعد السأس منه وشغر المنصب عنه أكثر من شهرين وفيه أخذ الذهب في الأرتفاع لكثرة من يطلبه لأن الفضة كانت في **غاية الغلاء وغالب** نقد الناس الفلوس وهي مثقلة لمن يقتنيها ولا سيما من يخاف على نفسه ." (١)

" وفيها نازل الفرنج طرابلس فأقاموا عليها ثلاثة أيام فبلغ ذلك نائب الشام فنهض إليهم مسرعا فانهزموا وأوقع بهم وكان ذلك مبدأ سعادته ثم توجه الفرنج إلى بيروت وكانوا في نحو من أربعين مركبا فواقعهم دمرداش ومن معه من الجند والمطوعة وقتل بعض الناس من الفريقين وجرح الكثير وكان نائب الشام ببعلبك فجاءه الخبر فتوجه من وقته وأرسل إلى العسكر يستنجده ومضى على طريق صعبة مشقة إلى أن وصل إلى طرابلس في المحرم ثم توجه من فوره إلى بيروت فوجده قد نهبوا ما فيها وأحرقوها وكان أهلها قد هربوا إلى الجبال إلا المقاتلة منهم فوقع بين الفريقين مقتلة عظيمة فأمر النائب بإحراق قتلى الفرنج ثم توجه إلى صيدا ومعه العساكر فوصل إليها وقد أخذ الفرنج من البهار الذي للكيتلان شيئا كثيرا فوصل النائب بالعسكر فوجدهم في القتال مع أهل صيدا ولم يتقدمه أحد بل كان معه عشرة أنفس لا غير فحمل على الفرنج فكسرهم وفروا إلى مراكبهم وفروا راجعين إلى ناحية بيروت ثم نزلوا لأخذ الماء فمانعهم بعض أصحاب النائب فغلبوه على

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٥٢

الماء وأخذوا حاجتهم وتوجهوا إلى جهة طرابلس ثم مروا عنها إلى الماعوضة فركز النائب طائفة بصيدا وطائفة ببيروت وتوجه إلى دمشق وكانت مدة غيبته دون نصف شهر ولما رجع لاقاه الناس فلام القضاة على تأخرهم عن الغزاة فأجابه الحنفي بجواب أغضبه فأهانه واستهزأ به

وفيها في ليلة الرابع عشر من المحرم توقف النيل بمصر مدة أيام فاتفق خسوف القمر بتمامه وهو في برج الدلو بحيث لم يبق من ضوئه شيء أصلا فاستشعر الناس عدم الزيادة فأمر الخطباء أن يستسقوا في الخطب ففعلوا فزاد في الجمعة التي تليها واطمأن الناس بعد أن اضطربوا ثم توقف فمضت مسرى من شهور القبط ولم يوف ثم نزل إصبعين في أيام النسيم ثم إصبعين فبادروا في أول يوم من توت وهو في العشرين من صفر وخلقوا المقياس وكسروا السد بغير وفاء ثم لم يزد بعد ذلك سوى نصف ذراع ثم انهبط دفعة واحدة فلم يصبح في الخلجان ماء وشرق غالب البلاد وذعر الناس بسبب ذلك وذلك في صفر وخرج القاضي جلال الدين ماشيا إلى الجامع الأزهر بعد الظهر فاستمر فيه إلى العصر في الدعاء والتضرع والقراءة وانضم إليه جمع كبير على ذلك فبلغ ذلك القضاة وشيوخ الخوانق فاستمروا إلى قريب المغرب وذلك في تاسع صفر ثم توجه إلى الآثار يوم السبت ثالث عشر صفر فوضعها على رأسه وهو واقف في المحراب يتضرع ويبكي ويدعو ثم رجع

وفي أول ربيع الأول وقع الغلاء في القمح واشتد الأمر وشرق غالب البلاد وقدر الله تعالى أن الذي وقع في الري من البلاد زكت الأرض بالزرع حتى جاء الفدان الواحد من الشعير في الفيوم إحدى وسبعين إردبا بكيل الناحية يكون بالكيل المصري مائة إردب وجاء الفدان في غير الفيوم بثلاثين إردبا إلى عشرة وثمانية وخرج الناس إلى الصحراء يستسقون بعد صيام ثلاثة أيام فخطب فيهم الحافظ زين الدين العراقي أوائل ربيع الآخر ثم رجعوا فتزايد السعر في القمح وجميع الغلال إلا أن المأكولات كثيرة جدا والبيع والشراء ماش الحال وأعيد البجاسي في هذه الحالة إلى الحسبة

وفي ربيع الأول منها استقر شمس الدين البيري أخو جمال الدين يوسف الأستادار في قضاء الشافعية بحلب وهي أول نيابة أخيه جمال الدين بالقاهرة وذلك أنه كان عمل أستادارية سودون طاز ثم أستادارية سودون الحمزاوي ثم عمل أستادارية بيبرس ابن عم السلطان في سنة خمس وثمانمائة فظهرت حسن مباشرته وأهل للوظائف الكبار وعين للوزارة فامتنع وأصر على ذلك وصارت له كلمة نافذة وأحبه الناس

وفي جمادى الآخرة حدث بالقاهرة سعال عقب هبوب ريح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة وفشا السعال ثم الحمى وجاء الشتاء شديدا أزيد من العادة ففشا الموت في أهل المسكنة وكان يموت بالجوع

والبرد في كل يوم فوق الألف وقام أهل المروءة بتكفين من يموت منهم مثل سودون المارداني وسعد الدين ابن غراب خارجا عما يكفن من المارستان ووقف الطرحي فيقال كان عدة من تكفل ابن غراب بمواراته إلى سلخ شوال اثني عشر ألف نفس وسبعمائة نفس ." (١)

" محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن فريج المصري القاضي ناصر الدين ابن الصالحي من الصالحية التي بظاهر القاهرة ولد سنة بضع وخمسين وسمع على ما ذكر من الشيخ جمال الدين ابن نباتة وغيره وتعانى الأدب فنظم الشعر الوسط وكتب الخط الحسن ووقع عن القضاة ثم ناب في الحكم عن الحنفية ثم عن الشافعية ثم وثب على منصب القضاء لما غاب المناوي فتم له ذلك عشرة أشهر ثم عزل ثم أعيد بعناية السالمي في شوال فاستمر فيه أربعة أشهر ومات بعلة القولنج الصفراوي وأسف أكثر الناس عليه لحسن تودده وكرم نفسه وطيب عشرته ومشاركته في العلم ولأنهم ألفوا من المناوي ذلك البأو المفرط فألان لهم الصالحي جانبه وتواضع وتكرم مات في ثاني عشر شهر الله المحرم وتقدم في الصلاة عليه القاضي الحنفي وكان كثير البر للفقراء والأغنياء لا يرد سائلا وكان ذلك يؤدي إلى حرمان بعض المستحقين لأن الذي تحت يده المال لا يرد خطه فيدفع لمن يكتب له من أموال الأيتام والأوقاف فيضيع ذلك على مستحقه من بعده وقد أكثر في ولايته الأولى هذه من النواب بالشفاعات من الأكابر ومنهم شمس الدين محمد بن يحيى المقري الصالحي كان استقر إماما عند قطلوبغا الكركي فكلم القاضي حتى قرره في الحكم بإيوان الصالحية في نوبة عز الدين البلقيني وشق ذلك على كثير من نواب الحكم

محمد بن محمد بن محمد بن الحسن المصري الصوفي القمني سمع من شمس الدين بن القماح صحيح مسلم بفوت وسمع من غيره وحدث سمعت منه قليلا مات وله سبع وسبعون سنة فإنه كتب لي بخطه أن مولده سنة ٧٢٩

محمد بن محمد البخانسي شمس الدين ولي الحسبة مرارا وكان جائرا في الحكم قليل العلم مبالغا في السطوة بالناس إلا أن أعف من غيره مات في رابع جمادى الأولى

محمد بن ويسف بن إبراهيم بن عبد الحميد المقدسي ثم الدمشقي المقرئ المؤذن روى لنا عن زينب بنت الخباز ومات بطرابلس

مسرور الحبشي المعروف بالشبلي شيخ الخدام بالمدينة النبوية مات معزولا لعجزه

---

(١) انباء الغمر، ص/٢٩٠

يحيى بن عبد الله بن محمد بن محمد بن زكريا الغرناطي أبو بكر كان إماما في الفرائض والحساب وشارك في الفنون وصنف في الفرائض كتاب المفتاح وولي القضاء ببلده ومات في ربيع الأول سنة ست وثمانمائة

يوسف بن إبراهيم بن أحمد الصفدي كان شيخا حسنا معظما معتقدا وله كلام على طريق الصوفية مات في ذي الحجة بصفد

سنة سبع وثمانمائة

فيها أوفى النيل وزاد زيادة حسنة وباشر الناصر كسر الخليج بنفسه ومنع الناس من الدخول إلى بركة الرطلي في الشخاتير وعمل على رأسها جسرا بقنطرة وباشر ذلك باشباي فنسب إليه واستمر ذلك وتراجع السعر كثيرا ثم رجع عند التحضير وحصل الفناء في الصعاليك وغيرهم **ووقع الغلاء في** كل شيء حتى اشترى بعض الناس زوج إوز بألف ومائتي درهم وبلغ سعر الشيرخشك كل رطل بثلاثمائة درهم وخرج من الإسكندرية خمس سفن ملأى ناسا هاربين **من الغلاء فتفرقوا** أجمعين

وفيها ظهر من الجانب الغربي من مصر وفي القليوبية على شاطئ النيل بالليل في المزارع شبيه الفئران يشعل مثل المشاعل

وفي المحرم ولي سويدان واسمه محمد بن سعيد الصالحي نسبة إلى الملك الصالح صالح بن التنكزية وكان أحد قراء الجوق بالقاهرة حسبتها عوضا عن الهوى

وفي ثالث صفر صرف بدر الدين ابن نصر الله عن نظر الخاص وأعيد إلى فخر الدين ابن غراب

وفي أوائلها أشيع أن نائب الشام شيخ المحمودي عزم على الخروج عن الطاعة فأرسلوا إليه الأمير طولو الذي كان أمير الركب في العام الماضي ليكشف أخباره وفي الباطن هو معه على هواه فقرر أمره ورجع سريعا وكان النائب تلقاه وبالغ في إكرامه ورجع في ربيع الأول

وفيها غلب جكم على حلب وهرب دمرداش ثم غلب على حماة وحمص وأطاعه خلق كثير من التركمان والعرب والترك وكان شهما مهابا فكاتبه الناصر يطلب منه الدخول في الطاعة وأن يؤمر على البلاد التي غلب عليها فامتنع ثم كاتبه نائب الشام ومن معه فأجاب إلى الدخول معهم ثم وقعت بين جكم وقرا يلك التركماني وقعة انتصر فيها جكم وأسروا قرا يلك وفر دمرداش في البحر إلى دمياط فأذن له في دخول القاهرة فاستقر بها أحد الأمراء واستقر جكم بحلب وغلب عليها ." (١)

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٠٠

" وفيها توجه شهاب الدين أحمد بن كندغدي رسولا إلى اللنك من المصريين فاتفق وفاته بحلب في ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة

وكان الغلاء قد اشتد فيها فخرجوا إلى الاستسقاء فاستسقوا في شهر رجب فخطب بهم في اليوم الثاني أبو زرعة ابن القاضي شرف الدين الأنصاري ثم عادوا في الثالث فخطب بهم شمس الدين ابن الحداد الطوفي فلما انصرفوا حصل مطر لكنه غير غزير لكنهم استبشروا به ثم جاء المطر بعد ذلك

وفي هذه السنة نودي على الفلوس أن يتعامل بها بالميزان وذلك في شعبان وسعرت كل رطل بستة دراهم وكانت فسدت إلى الغاية بحيث صار وزن الفلس ربع درهم بعد أن كان مثقالا

وفي يوم عيد النحر والعسكر خارج البلد أمر السالمي أن ينادى على الفلوس كل رطل بأربعة دراهم فحصل للناس من ذلك تشويش عظيم وأكثروا الدعاء عليه فبلغ ذلك السلطان فكاتب السالمي بالمنع من ذلك وأمر بإعادة الفلوس إلى ستة كل رطل ثم أرسل السلطان بإمساك السالمي فأمسك ليلة كبس السلطان بالسعيدية ثم سجن بالإسكندرية في نصف ذي الحجة بعد أن سلمه السلطان لجمال الدين فعوقب بالعصي بسبب أنه كاتب السلطان أنه حصل له ثلاثة آلاف دينار فطلبت منه وفي سابع عشر ذي الحجة نقل إلى دمياط ثم في تاسع عشر ذي الحجة بعد استقرار السلطان بمملكته وظهور ابن غراب أعيد أخوه فخر الدين إلى الوزارة ونظر الخاص

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة استقر نوروز في نيابة الشام ووصل شيخ وجكم وقرا يوسف إلى الشام في ثامن عشري ذي الحجة واستقر بكتمر الجركسي في نيابة صفد وسعد الدين بن غراب مشيرا ولبس بزي الأمراء حينئذ واستمر جمال الدين في الأستادارية

وفي ذي الحجة هرب أحمد بن أويس من دمشق إلى جهة بلاده وكان النائب قد أطلقه من السجن فخشي أن ينكسروا فيقبض عليه فهرب

وفيه أحدث بمكة قاضيان مالكي وحنفي فالحنفي شهاب الدين أحمد بن الضياء محمد بن محمد بن سعيد الهندي والمالكي المحدث تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي وذلك بعناية السالمي وكنت ممن ساعد الفاسي في ذلك

وفي أولها وصل اللنك إلى سمرقند واستقبله ملوك تلك البلاد وقدموا له الهدايا وأمر بعد قدومه بتزويج ولده شاه رخ وعمل له عرسا عظيما بلغ فيه المنتهى وراعى وصية ابن عثمان في التتار فاستصحبهم معه في جملة العسكر إلى أن فرقهم في البلاد ولم يجعل لهم رأسا فتمزقوا ثم عزم اللنك على الدخول إلى

بلاد الخطا فأمر أن يصنع له خمسمائة عجلة وتضبب بالحديد وبرز في شهر رجب ورحل إلى تلك الجهة فلما وصل إلى أترار فجأه الأمر الحق فوعك فاستمر في توعكه أياما ولم ينجع فيه الطب إلى أن قبض في سابع عشر شعبان وحمل حينئذ إلى سمرقند

وفيه في جمادى الأولى جهزت بنت تنم وهي أخت الناصر لأمه إلى الشام وتلقاها زوجها نائب الشام شيخ فدخلت في جمادى الآخرة فدخل بها وأولدها ومات عنها وتزوجت بعده بعض الأمراء الصغار وماتت في عصمته سنة ست وثلاثين

وفي ثامن عشر من جمادى الآخرة صرف جلال الدين البلقيني من قضاء الشافعية واستقر شمس الدين الأخنائي وهي الثالثة للأخنائي ثم صرف الأخنائي في ثالث عشري ذي القعدة واستقر جلال الدين وهي الرابعة له وصرف جمال الدين البساطي عن قضاء المالكية واستقر ولي الدين ابن خلدون في حادي عشر رجب ثم صرف في أواخر ذي القعدة واستقر جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسي

وفي أول يوم من المحرم وصل أبو العباس الحمصي دمشق على قضاء الشافعية بها

وفي ربيع الأول صرف أبو العباس الحمصي عن قضاء دمشق وكان قبيح السيرة متجاهرا بأخذ الرشوة وولي علاء الدين ابن أبي البقاء

وفي صفر وصل عبد العزيز البغدادي من القدس فعقد له مجلس مع الباعوني فزعم عبد العزيز أنه قطع عليه الطريق وأخذ قماشه ونهب ما معه من الورق والمستندات فادعى عليه الباعوني أنه حكم عليه بما حكم به مع ثبوت العداوة بينهما وكان قد أثبت ذلك على قاضي القدس الشافعي ونفذها له المالكي بدمشق فأنكر عبد العزيز العداوة فحكم عليه المالكي بثبوتها عنده واقتضى الحال تعزيره فعزر فكشف رأسه ثم توجه المذكور إلى بغداد فأقام بها وولي قضاءها وكان ما سنذكره ." (١)

" وفي السادس من جمادى الآخرة ظهر الناصر وصعد إلى القلعة ضحوة النهار فكانت مدة غيبته سبعين يوما إلا يوما وكان يشبك وجماعة اتفقوا مع الناصر وهو في بيت ابن غراب فأركبوه إلى بيت سودون الحمزاوي بالباطلية فلما أصبحوا ركبوا ولا علم عند بيبرس وأتباعه بظهور الناصر بل ظن أن الأمراء البطالين مثل يشبك ومن معه قد ركبوا عليه فركب هو أيضا بالرميلة فخرج الناصر ومن معه من المماليك فحملوا على بيبرس ومن معه وطلبوا باب القلعة ففتح لهم واليها الباب فطلع الناصر القصر وانخذلت طائفة بيبرس فهرب سودون المارداني واختفى وخرج بيبرس إلى ظاهر المدينة فأرسل إليه سودون الطيار فأحضره وأرسله مقيدا

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٠٤

إلى الإسكندرية واستقر يشبك في الأتابكية عوضه في ثامن جمادى الآخرة واستقر سودون الحمزاوي دويدارا عوضا عن سودون المارداني واستقر جركس المصارع أمير آخور عوضا عن سودون المحمدي ثم أمسك الناصر جماعة من الأمراء الذين كانوا مع بيبرس وتأمروا وحكموا في دولة أخيه المنصور وسجنهم واستقر سودون من زاده في نيابة غزة عوضا عن سلامش

وفي نصف جمادى الآخرة استقر شرف الدين يعقوب التباني في نظر الكسوة ووكالة بيت المال عوضا عن ولي الدين الدمياطي موقع بيبرس ثم صرف عن ذلك بعد أيام واستقر ابن البرجي في ثامن عشري جمادى الآخرة ثم أعيد ابن التباني في رابع رجب لذلك بعناية قطلوبغا الكركي وفي أواخر جمادى الآخرة استقر تمراز الناصري نائب السلطنة بعد شغورها مدة طويلة

وفي نصف رمضان استقر القاضي ولي الدين ابن خلدون في قضاء المالكية عوضا عن البساطي ثم لم ينشب ابن خلدون أن مات في خامس عشريه واستقر جمال الدين ابن التنسي بعناية قطلوبغا الكركي ثم صرف في سادس عشر شوال وأعيد البساطي

وفي شوال استقر كاتبه في درس الحديث بالشيخونية عوضا عن شمس الدين المدني والقاضي الحنفي كمال الدين ابن العديم في مشيختها عوضا عن الشيخ زاده الخرزباني

وفيها رجع منكلى بغا من بلاد الشرق وكان توجه رسولا إلى تمرلنك في العام الماضي

وفي رمضان أفرج نائب الشام عن جماعة ممن كانوا مسجونين بقلعة الصبيبة ومنهم سودون الظريف واستقر أميرا كبيرا بدمشق ثم قبض عليه لأمر صدر منه واستقر عوضه بكتمر الساقي وسجن سودون المذكور

وفيه رجع نوروز وعلان إلى حلب بموافقة جكم على ذلك . وأرسل جكم إلى نائب الشام بذلك فوافق عليه واستمر دمرداش عند التركمان يستحثهم ويجمعهم على قصد جكم ومن معه بحلب ووصل إليه تقليد حماة فقوي بذلك ؛ وفي رمضان **اشتد الغلاء بدمشق** وبلغت الغرارة من ستمائة إلى سبعمائة فنادى النائب في الفقراء بالاجتماع فاجتمعوا بالميدان ففرقهم على الأغنياء ما بين الأمراء والقضاة والتجار فقل سؤالهم وخف صياحهم وسكتوا

وفيه استولى التركمان على كثير من البلاد الشمالية وكان رأسهم إلياس ويقال اسمه فارس ابن صاحب الباز ثم وصلوا إلى حماة فغلب عليها وكان دمرداش قد وصل إليها لما جاءه تقليد النيابة بها فهجم عليه ابن صاحب الباز فهزمه إلى أن وصل إلى دمشق مكسورا فوصل إلى حمص فاستأذن له نائبها نائب الشام في دخوله دمشق فأذن فدخلها وعظم الأمر من التركمان فجمع النائب القضاة وتشاوروا في مال يجمعونه

بسبب طرد التركمان فطال النزاع إلى أن اتفقوا على أخذ أجرة شهر من كل بستان ودار وحانوت وغير ذلك فشرعوا في جبايتها ثم بطل ذلك ونودي بالرد على من أخذ منه شيء ولما بلغ جكم أن دمرداش عند نائب الشام شيخ تغيظ عليه لأنه كان عدوه وكان كتب قبل ذلك إلى شيخ يستنجده على التركمان فتقاعد عليه فغضب أيضا

وفي شوال وصل إلى جكم قاصد السلطان يطلب منه إرسال نوروز وغيره من الأمراء المنسحبين فحماهم جكم وشتم القاصد ورده بغير جواب ." (١)

" وفي العشرين منه مات ابن غراب سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق ابن غراب وكان جده غراب أول من أسلم من آبائه وباشر بها أي بالإسكندرية إلى أن اتهم بأنه كان ممن دل الفرنج لما هجموا الإسكندرية على عورات المسلمين فقتله ابن عرام سنة سبع وستين وسبعمائة ونشأ ابنه عبد الرزاق إلى أن ولي نظر الإسكندرية ومات في نحو الثمانين وخلف ولدين صغيرين أكبرهما يسمى ماجدا وأصغرهما إبراهيم فلما تمكن محمود من الظاهر دخل الإسكندرية فآوى إليه إبراهيم وهو يومئذ يكتب في العرصة تحت كنف أخيه ماجد الذي يلقب بعد ذلك فخر الدين ويسمى محمدا فقربه محمود ودربه وخرجه إلى أن مهر بسرعة وجادت كتابته وحمد محمود ذهنه وسيرته فاختص به وتمكن منه بحيث صار يدري بجميع أموره وتعلم لسان الترك حتى حذق فيه فاتفق أنه عثر عليه بخيانة فخاف ابن غراب من سطوته بل استدرك نفسه وانضوى على ابن الطبلاوي وهو يومئذ قد قرب من قلب الظاهر في ولاية القاهرة فلم يزالا به حتى بطش بمحمود وآل أمره إلى استنقاذ أمواله ومؤنه بحبس أولى الجرائم وتقلب ابن غراب في ماله فيما يستحيى من ذكره لكثرته ولازم خدمة ابن الطبلاوي إلى أن رقاه فولي نظر الخاص ثم ناطح ابن الطبلاوي إلى أن قبض عليه بإذن الظاهر ثم كان من أوصياء الظاهر ثم اختص بيشبك فكان معه ظهيرا له في تلك الحروب والتقلبات حتى ذهب إيتمش وتنم وغيرهما من أكابر الظاهرية . ثم تشتت شمل أكثر الباقين وتمكن ابن غراب حتى استحضر أخاه فخر الدين فقرره وزيرا ثم استقر في كتابة السر ونظر الجيش وأضاف إليه نظر الخاص ثم لبس الأستادارية ثم تزيا بزي الجند وضرب على بابه الطبول وعظم جدا حتى أنه لما مرض كان الأمراء الكبار يعودونه قياما على أرجلهم وكان هو السبب في فرار الناصر وتركه المملكة وإقامته عنده تلك المدة مختفيا حتى تمكن مما أراد من إبعاد من يود الناصر وتقريب من يبغضه فلما تكامل له جميع ما أراد لحظته عين الكمال بالنقص فمرض مدة طويلة بالقولنج إلى أن مات فلما عاد الناصر إلى المملكة بتدبير

(١) انباء الغمر، ص/٣١٤

ابن غراب ألقى إليه بالمقاليد فصار يكثر الامتنان على جميع الأمراء بأنه أبقى لهم مهجهم وأعاد إليهم ما سلبوه من ملكهم وأمدهم بماله عند فاقتهم وكان يصرح بأنه أزال دولة وأقام أخرى ثم أعاد الأولى من غير حاجة إلى ذلك وأنه لو شاء أخذ الملك لنفسه من غير مانع وأهان كاتب السر فتح الله وصادره ولبس مكانه ثم ترفع عن كتابة السر فولاها كاتبا عنده يقال له الفخر ابن المزوق وكانت جنازته مشهودة فمات ضحوة نهار الخميس ليلة التاسع عشر من رمضان وبات في قبره ليلة الجمعة وتعجب الناس لذلك ولا عجب فيه فقد مات الحجاج ليلة سبع وعشرين من رمضان ولكن كان ابن غراب محبوبا إلى العامة لما قام فيه **في الغلاء والفناء** من إطعامه للفقراء وتكفينه الموتى من ماله وكان يحب الانفراد بالرياسة مليح الشكل معرق الصورة شديد الزهو يظهر التعفف شديد العجب مفضالا وهابا وافر الحرمة كثير البذل والله يسامحه وكان قد بلغ في المملكة ما لم يبلغه أحد مات بعلة القولنج الصفراوي بعد أن صار أميرا مقدم ألف وتنقل في الولايات من نظر الخاص والجيش والأستادارية وكتابة السر وغير ذلك على ما سلف في الحوادث وكان يدري اللغة التركية مع الدهاء والمكر والمعرفة التامة بأخلاق أهل الدولة ولقد تلاعب بالدولة ظهرا لبطن وخدم عند الأضداد وعظم قدره حتى شاع أنه لا بد أن يلي السلطنة ولم يوجد له كثير من المال بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل تحت الحصر

وفي أواخر ذي الحجة استقر فتح الدين فتح الله في كتابة السر عوضا عن فخر الدين ابن المزوق الذي كان من جهة ابن غراب

وفي ليلة النصف من ذي الحجة خسف القمر في أواخر الليل فاستمر إلى بعد أذان الفجر

ذكر من مات

في سنة ثمان وثمانمائة من الأعيان

إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب مضى ذكره في الحوادث

إبراهيم الحنبلي الصواف برهان الدين أحد نواب الحكم كان من طلبة القاضي موفق الدين مات في العشرين من رمضان ." (١)

" أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف بن شمير بن خازم المصري أبو هاشم ابن البرهان الظاهري التيمي ولد في ربيع الأول سنة أربع وخمسين واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي ثم صحب شخصا ظاهري المذهب فجذبه إلى النظر في كلام أبي محمد بن حزم فأحبه ثم نظر في كلام ابن

---

(١) انباء الغمر، ص/٣١٧

تيمية فغلب عليه حتى صار لا يعتقد أن أحدا أعلم منه وكانت له نفس أبية ومروءة وعصبية ونظر كثير في أخبار الناس فكانت نفسه تطمح إلى المشاركة في الملك وليس له قدم فيه لا من عشيرة ولا من وظيفة ولا من مال . فلما غلب الملك الظاهر على المملكة وحبس الخليفة – أي في سنة ٧٨٥ – غضب ابن البرهان من ذلك وخرج في سنة خمس وثمانين إلى الشام ثم إلى العراق يدعو إلى طاعة رجل من قريش فاستقرى جميع الممالك فلم يبلغ قصدا ثم رجع إلى الشام فاستغوى كثيرا من أهلها وكان أكثر من يوافقه ممن يتدين لما يرى من فساد الأحوال وكثرة المعاصي وفشو الرشوة في الأحكام وغير ذلك فلم يزل على ذلك إلى أن نمى أمره إلى بيدمر نائب الشام فسمع كلامه وأصغى إليه إلا أنه لم يشوش عليه لعلمه أنه لا يجيء من يده شيء ثم نمى أمره إلى نائب القلعة ابن الحمصي وكان بينه وبين بيدمر عداوة شديدة فوجد الفرصة في التألب على بيدمر فاستحضر ابن البرهان واستخبره وأظهر له أنه مال إلى مقالته فبث عنده جميع ما كان يدعو إليه فتركه وكاتب السلطان وأعلمه بقصتهم فوصل كتاب السلطان إلى بيدمر يأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وأمره أن يسمرهم فتورع بيدمر عن ذلك وأجاب بالشفاعة فيهم والعفو عنهم وأن أمرهم متلاش وإنما هم قوم خفت أدمغتهم من الدرس ولا عصبية لهم ووجد ابن الحمصي الفرصة لعداوته لبيدمر فكاتب السلطان أن بيدمر قد عزم على المخامرة فوصل إليه الجواب بمسك ابن البرهان ومن كان على مثل رأيه وإن آل الأمر في ذلك إلى قتل بيدمر ولما أحضر ابن البرهان إلى السلطان استدناه واستفهمه عن سبب قيامه عليه فأعلمه أن غرضه أن يقوم رجل من قريش يحكم بالعدل وأعلمه بأن هذا هو الدين ولا يجوز غيره وزاد في نحو ذلك فسأله عمن معه على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم وأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا بالخزانة المعدة لأهل الجرائم وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين ثم افرج عنهم في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة إملاق حتى مات في أربع بقين من جمادى الأولى من هذه السنة وحيدا غريبا فريدا وحضرت جنازته والصلاة عليه في نحو سبعة أنفس لا غير وكان حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار ويستحضر أدلتها وما يرد على معارضها وأملى وهو في الحبس مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى ورسالة في الإمامة سمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الإنذار لما حدث بعده من الفتن ولا سيما ما حدث **من الغلاء والفساد** بسبب رخص الفلوس حتى رأى عندي قديما مرة خابيا كبيرا من الفلوس فقال لي : احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال وكان كذلك فإنها في ذلك الوقت كان القنطار منها يساوي عشرين مثقالا أو أكثر وآل الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل ثم

صارت تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصار من كان عنده منها شيء احتيط به لما رفعت قيمتها من كل رطل منها بستة دراهم إلى اثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم تراجع الحال لما فقدت ثم ضربت فلوس أخرى خفيفة جدا وجعل سعر كل رطل أكثر من ثلاثين وظهر في الجملة أنها ليست مالا يقتنى لوجود التخلل في قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة قرأت بخط البرهان المحدث بحلب : أنشدني أبو العباس أحمد بن البرهان عن الشيخ برهان الدين الآمدي قال : دخلت على العلامة أبي حيان فسألته عن القصيدة التي مدح بها ابن تيمية فأقر بها وقال : كشطناها من ديواننا ثم دعا بديوانه فكشف وأراني مكانها في الديوان مكشوطا قال المحدث : فلقيت الشيخ برهان الدين الآمدي فقال لي : لم أنشده إياها ولا أحفظها إنما أحفظ منها قطعا قال : فكان الآمدي قد ذكر لي قبل ذلك الحكاية بزيادات فيها ولم يذكر القصيدة قال : ثم لقيت ابن البرهان بحلب في أوائل سنة سبع وثمانين فذاكرته بما قال لي ." (١)

" وفي العشرين من صفر ظفر جمال الدين بناصر الدين ابن البارزي وكان قد اتصل بخدمة الشيخ فولاه خطابة الجامع الأموي وصرف الباعوني فشكاه الباعوني لجمال الدين فأحضره بين يديه وضربه ضربا شديدا واستعاد منه معلوم الخطابة وأمر باعتقاله وكان السبب في ذلك أن جمال الدين انتزع خطابة القدس من الباعوني لأخيه شمس الدين البيري فترامى عليه الباعوني فعوضه بخطابة دمشق فتعصب جمال الدين يومئذ للباعوني لهذا السبب

وفي ثاني عشري صفر أمر جمال الدين بقتل شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمود وكان قد عمل كتابة السر بحلب فحقد عليه جمال الدين أشياء أضمرها في نفسه منه لما كان خاملا بحلب

وفيه استعفى نجم الدين ابن حجي من قضاء دمشق فولاه الناصر الباعوني وقرر ابن حجي في قضاء طرابلس وصرف ابن القطب من قضاء الحنفية وقرر شهاب الدين ابن الكشك

وفي آخر صفر ركب الخليفة والقضاة بأمر الناصر ونادى في الناس بدمشق يحضهم على مقاتلة شيخ في كلام طويل يقرأ من ورقة

وفي الثاني من ربيع الأول برز الناصر إلى جهة صرخد ففر إليه من الشيخية برسباي وسودون اليوسفي ووصل إلى قرية عيون تجاه صرخد

(١) انباء الغمر، ص/٣١٩

وفي السابع من ربيع الأول وقعت الحرب فقتل من الفريقين ناس قليل وفر جماعة من السلطانية إلى شيخ فاشتد حذر الناصر من جميع من معه وتخيل أنهم يخذلوه إذا التقى الجمعان فبادر إلى القتال فانهزم تمراز وكان في مقدمة شيخ وثبت شيخ ولم يزل يتقهقر إلى أن دخل جذلان مدينة صرخد وانتهب السلطانية وطاقه وجميع ما كان لأصحابه من خيل وأثاث وفر شيخ فدخل القلعة ومعه ناس قليل فأصعد الناصر طائفة من مماليكه إلى أعلى منارة الجامع ورموا عليهم بالنفط والحجارة والأسهم الخطابية وانتهب مدينة صرخد وانهزم تمراز وسودون بقجة وسودون الجلب وسودون المحمدي وتمربغا المشطوب في عدد كثير إلى جهة دمشق وأرادوا أن يهجموها فمنعتهم العامة فرجعوا إلى جهة الكرك وتسلل كثير منهم فدخلوا دمشق ووصل كتاب الناصر عقبهم بأن من ظفر بأحد من المنهزمين وأحضره فله ألف دينار فاشتد الطلب عليهم

وفي نصف ربيع الآخر قبض على الكليتاني والي دمشق وضرب ضربا شديدا وعلى علم الدين وصلاح الدين ولدي ابن الكويز لكونهما من جهة شيخ وكذلك الصفدي فتسلمهم نوروز وطلب الناصر المنجنيق من دمشق إلى صرخد فنصبه على القلعة وكان شيئا مهولا وصل إليه على مائتي جمل واستكثر من طلب المدافع والمكاحل من الصبيبة وصفد ودمشق ونصبها حول القلعة فاشتد الخطب على شيخ ومن معه فتراموا على تغرى بردى الأتابك وألقوا إليه ورقة في سهم من القلعة يستشفعون به فجاء إلى السلطان وشفع عنده وألح عليه إلى أن أذن له أن يصعد إليهم ويقرر الصلح فتوجه صحبته الخليفة وكاتب السر وجماعة من ثقات السلطان وذلك في أواخر الشهر فجلسوا كلهم على شفير الخندق وجلس شيخ داخل باب القلعة ووقف أصحابه على رأسه فطال الكلام بينهما إلى أن استقر الأمر على أنه لا يستطيع أن يقابل السلطان حياء منه فأعيد الجواب عليه فأبى إلا أن ينزل إليه ويجتمع به فلم يزل تغرى بردى به إلى أن أجاب إلى الصلح فرجع هو وكاتب السر فسلم لهما كمشبغا الجمالي وأسنبغا دلاهما بحبل ثم أرخى ولده وعمره سبع سنين ليرسله إلى الناصر فصاح وبكى من شدة الخوف فرحمه الحاضرون فرد إلى أبيه واستبشر الفريقان بالصلح وكان العسكر الناصري قد مل من الإقامة بصرخد **لكثرة الوباء بها** وقلة الماء والزاد هذا مع كون الأهواء مختلفة وأكثر الناصرية لا يحبون أن يظفر الناصر بشيخ لئلا يتفرغ لهم فطلعوا في آخر يوم من الشهر وحلفوا الأمراء وأفرج شيخ عن ابن لاقي وعن تجار دمشق وبعث للناصر تقدمة عظيمة ولبس تشريفه واستقر في نيابة طرابلس وما فرغ من ترتيب ذلك إلا وأكثر المماليك السلطانية من مصر قد ساروا إلى جهة دمشق فاضطر الناصر إلى الرحيل إلى دمشق فتوجه وجهز شيخ ولده الصغير في أثر السلطان فوصل مع تغرى بردى

فأكرمه وأعاده إلى أبيه ورحل الناصر عن دمشق في ربيع الآخر فوصل إلى غزة بعد أن زار بيت المقدس في سابع عشر منه ." (١)

" فآل الأمر إلى أن قتل واستبد أحمد فسار السيرة الجائرة وقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان وانهمك في اللذات واتفق أن اللنك نازل شاه منصور صاحب شيراز وقتله وبعث برأسه إلى بغداد والتمس منهم ضرب السكة باسمه فلم يطعه أحد فأخذ تبريز ولم يزل إلى أن نازل بغداد في شوال سنة خمس وتسعين ففر منه بأهله وما يعز عليه من ماله فلحقه عسكر اللنك بالحلة فهزموه ونهبوا ما معه وخربوا الحلة وقصد الشام وأما اللنك فإنه أفقر أهل بغداد بالمصادرة ومات تحت عقوبته فوق الثلاثة آلاف . وأما أحمد فوصل إلى الرحبة واستأذن الظاهر في القدوم عليه فأجابه بما يطيب خاطره وأمر النواب بإكرامه وجهز له الأمير أزدمر وصحبته ثلاثمائة ألف وتلقاه المطبخ السلطاني فنصبت له الموائد وركب الظاهر إلى لقائه وذلك في صفر سنة ست وتسعين ونزل له عن المسطبة وأسرع أحمد لتقبيل يده فلم يوافق وعانقه وبكى وطيب خاطره وأجلسه معه على البساط بغير كرسي ثم خلع عليه وأركبه فرسا وسايره إلى أن وصل القلعة فأرسله إلى بيت أعده له مطل على بركة الفيل ثم أرسل له الظاهر بنحو عشرة آلاف دينار ومائتي قطعة قماش وعدة خيول وعشرين مملوكا وعشرين جارية ثم قدم ثقل أحمد ثم أحضره الظاهر دار العدل ثم تجهز السلطان وسافر بالعساكر إلى حلب بعد أن تزوج أخت أحمد واسمها تندى ودخل بها في ربيع الآخر ثم سار فدخل دمشق في العشرين من جمادى الأولى فأقام بها وجهز أحمد بن أويس في أول شعبان ورسم له بجميع ما يحتاج إليه فدخل بغداد في رمضان فوجد بها مسعود الخراساني من جهة اللنك ففر وأقام أحمد ببغداد واستخدم جنودا من العرب والتركمان **ووقع الوباء ببغداد** ففر أحمد إلى الحلة وجرى على سيرته السيئة من سفك الدماء والجد في أخذ أموال الرعية ولم يزل على ذلك إلى أن عاد اللنك طالبا الشام ففر أحمد إلى قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا صاحب الموصل واستنجد به فسار معه وكان أهل بغداد قد كرهوه فحاربوه وهزموهما معا فدخلا بلاد الشام واستأذنا أمير حلب وكان يومئذ دقماق من جهة الناصر فرج ذلك في شوال سنة اثنتين وثمانمائة فلم يأذن لهم فخرج لمحاربتهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أهل حلب وأسر دقماق ففدى نفسه بمائة ألف فبلغ الناصر ذلك فغضب وأمر بتجهيز عساكر الشام فتوجهوا ففر قرا يوسف فأوقعوا بأحمد فكسروه ونهبوا ما معه وبعثوا بسيفه إلى الناصر ثم قدم اللنك بلاد الشام وخربها في سنة ثلاث وخرج منها وكان أحمد حينئذ قد فر إلى بلاد الروم وأرسل اللنك إلى بغداد

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٥٦

عسكرا ثم تبعهم وحاصرها ثم أخذها عنوة ووضع السيف فيها وذلك في شوال سنة ثلاث بعد رحيله من الشام ويقال إنه قتل من أهلها نحو مائتين وخمسين ألف نفس وبنى برؤوسهم مساطب وفارقها وهي خراب ولما بعد اللنك رجع أحمد إلى بغداد فأقام بها قليلا فثار عليه ولده طاهر بن أحمد ففر منه وأتى إلى قرا يوسف فسار معه وقاتلا طاهر بالحلة فانهزم وغرق ودخل أحمد بغداد ثم غدر أحمد بجماعة كانوا عنده من جهة قرا يوسف عدتهم خمسون نفسا من أعيان دولته فغضب قرا يوسف وسار لمحاربة أحمد فهرب ثم اختفى في بئر ببغداد فأمر قرا يوسف بطم البئر فطمت فما شكوا في هلاكه فاتفق أنه كان بها فرجة فخرج منها ومضى إلى تكريت ثم إلى حلب وملك قرا يوسف بغداد فأرسل إليه اللنك ابن ابنه مرزا أبي بكر بن مرزا شاه بن اللنك ففر قرا يوسف فنهبه الأعراب بالرحبة فقدم دمشق فأنزله نائبها شيخ ثم قدم قرا يوسف في رجب سنة سبع ووافقه على سيره إلى مصر صحبة يشبك حتى كانت وقعة السعيدية ورجع الجميع منهزمين فأفرج شيخ عن أحمد في شوال فتوجه إلى بغداد في سادس عشر ذي الحجة فملكها وتوجه قرا يوسف إلى الموصل وكتب إلى أحمد فاجتمعا ونازلوا مرزا أبي بكر بالسلطانية فقتل في آخر سنة ثمان وملك قرا يوسف تبريز ورجع أحمد إلى بغداد فاستأذنه قرا يوسف فيمن يقيمه في السلطنة فأذن له بإقامة ولده بزق ففعل وذلك في سنة إحدى عشرة فقدم مرزا شاه في طلب ثأر ولده فواقعه قرا يوسف فقتل وغنم قرا يوسف جميع ما كان معه وهو شيء كثير فتقوى به واتفق في غضون ذلك أن أحمد لما تغلب على طباعه من الغدر مضى إلى تبريز فملكها ونهب جميع ما وجده لقرا يوسف وولده فرجع إليه وقاتله فانهزم منه وذلك في ." (١)

" وفي جمادى الأولى أمر السلطان بهدم مدرسة الأشرف شعبان ابن حسين التي على باب القلعة وجد الهدم فيها وكانت من أعظم الأبنية وكان جمال الدين قد اشترى من أولاد الأشرف كثيرا من الآلات التي بنيت بها لأن الأشرف مات قبل أن تكمل فبسط يده في تحويل بابها فأخذ الشبابيك والأبواب والبوابة وكثير من الحجارة حتى الكتب الموقوفة فاستعان بالجميع في مدرسته ثم جاء الناصر في هذه السنة فعكره مكان بقعتها لأن المتغلبين صاروا يستعينون بها على حصار القلعة بالنزول فيها فهدمها فصارت رابية عالية وحول ما ينتفع به من حجارتها وأخشابها إلى الأمكنة التي يريدها فبقيت كذلك إلى أواخر دولة المؤيد فأمر بعمارتها مارستانا وسكن به بعض المرضى ومات المؤيد فحولوه بعده جامعا ومنزلا للواردين وأمر في

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٧٦

هذا الشهر أيضا بهدم الدور الملاصقة لصور القلعة تحت الطبلخاناة وغيرها فهدمت من ثم باب القرافة وتشتت سكانها

وفيه ختم على جميع الحواصل التي يظن أن بها فلوسا بالقاهرة وندب الناصر لذلك أحمد بن الطبلاوي والي القاهرة قبل قتله ومجد الدين سالم بن سالم قاضي الحنابلة ففتحا حواصل الناس ونقلا ما فيها من الفلوس وأعطيا لكل واحد ثمن فلوسه ذهبا في كل قفة ثلاث ناصرية وكان قيمتها يومئذ ثلاثة وثمن فجمع منها شيء كثير فكان ذلك هو السبب في مناداته عليها في كل رطل باثني عشر درهما !

كما تقدم ويقال إن الذي أخبره برخص الفلوس وإن قيمتها قبل ذلك كانت تقتضي أن يكون كل رطل بعشرين درهما الشيخ سراج الدين البهادري أحد الأطباء فجره إلى ذلك الطمع الكامن في نفسه قبل ذلك إلى أن نادى عليها باثني عشر فلم يمش له ذلك إلا بالمشقة فترك بعد أن حصل من البلاد ما حصل

وفيها كانت بين الحجاج من أهل دمشق وبين العرب بناحية زيزا محاربة فجرح أمير الحاج ومات من تلك الجراحة

وفيها مات صاحب الهند غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه بن اسكندر شاه بن شمس الدين صاحب بنكاله

وفيها قتل وزيره يحيى بن عرب شاه ويلقب جان جهان . وفيها مات مرجان زمام الملك الأشرف ثم الناصر صاحبا اليمن وقد ولي إمرة زبيد

وفيها قتل وبير بن نخبار بن محمد عقيل بن راجح بن إدريس ابن حسن بن قتادة الحسني أمير ينبع وليها أزيد من عشرين سنة وقتل أخوه مقبل وابنه على قتلى كثيرة ممن اتهموهم بقتله لأنه قتل غيلة واستقر في إمرة ينبع بعده أخوه مقبل منفردا واستمر إلى أن خلع بعده بضع عشرة سنة واستقر عقيل ابن وبير مكانه كما سيأتي

وفيها كان السعيد محمد بن أبي فارس بن عبد العزيز بن أبي سالم إبراهيم المريني يحاصر فأس وبها أبو سعيد بن أحمد بن أبي سالم فهزمه أهل فأس بعد شهرين وذلك في صفر منها ووقع الإفساد في الزروع وقوى القوى على الضعيف **واشتد الغلاء وكان** الأردب عندهم بربع دينار فارتفع بعد ذلك أضعاف مضاعفة ثم رجع السعيد إلى حصار فأس وقد انتهبت الأعمال والنواحي في ربيع الآخر وحصرها نحوا من عشرين يوما ثم هزموه فتوجه إلى سلا ثم جمع عسكرا ورجع في شعبان وحصر البلاد وبنى مقابلها مدينة سماها المنصورة وانقضت السنة وهو على ذلك تم ملك البلد ثم قام عليه عبد الواحد بن أبي حمو واسمه موسى

وفر السعيد إلى تونس فهلك ببلد العناب وطالت مدة عبد الواحد وسنذكر أمره في سنة سبع وعشرين إن شاء الله تعالى

ذكر من مات

في سنة أربع عشرة وثمانمائة من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن حسين الموصلي ثم المصري نزيل مكة أقام بها ثلاثين سنة وكان مالكي المذهب يتكسب بالنسخ بالأجرة مع العبادة والورع والدين المتين وكان يحج ماشيا من مكة ومات بها أثنى عليه تقي الدين المقريزي

إبراهيم بن أبي بكر الماحوزي الأصل ثم الدمشقي تفقه قليلا وسلك طريق التصوف مع الدين المتين وكان كثير المال ولا يقبل لأحد شيئا وينهى أصحابه أن يأكلوا لأحد شيئا وكانت تلك طريقة والده الشيخ أبو بكر الموصلي وكان للناس فيه اعتقاد زائد وقل أن يرد أحد من الأمراء رسالته وكان لا يمشي لأحد مطلقا مع الثروة الزائدة مات راجعا من الحج في المحرم ودفن بتبوك لم يبلغ الستين وكان قد حج عشرين حجة وفي كل مرة يحصل للناس به النفع الزائد رحمه الله تعالى

أحمد بن إبراهيم بن محمد صاحب مصنف الجهاد ." (١)

" وفي أواخر ذي الحجة صرف ابن العجمي من الحسبة وألزم بمال حمله واستقر محمد بن شعبان على بذل خمسمائة دينار دفعة واحدة معجلة وفي كل شهر مائة دينار وكان سعر الغلال في هذه السنة رخيصة بمصر جدا حتى بلغ الشعير كل ويبة دينارين ونوى التمر واسمه الفصا دينارا وكل ثلاثة أرطال بقسماط بدينار وفيها غلا سعر الفلفل جدا ووصل الفرنج على العادة فأبى تجار المسلمين أن يبيعوه لهم إلا بسعر مائتين وأربعين فوصلوهم إلى مائتين وعشرين فامتنعوا ورجعوا ولم يشتروا شيئا وذلك في سنة خمس عشرة فدخلت سنة ست عشرة والأمر على ذلك وكان السلطان جهز مع شيخ علي الكيلاني أحد التجار بخمسة آلاف دينار يشتري له بها من الفلفل بقصد التجارة فاتفق أن صاحب اليمن أرسل إلى مكة جملة مستكثرة من الفلفل وأمر قاصده أن يعتمد على ما يشيره شيخ علي فبلغ سعره بخمسة وعشرين كل مائة من فأخذ منها بالخمسة آلاف التي هي للسلطان بهذا السعر فأتى على أكثره وباع القاصد بقية ما معه على التجار بسعر خمسة وثلاثين ولما وصل الذي اشترى للسلطان بيع باثني عشر ألف دينار فعظم قدر شيخ علي عنده جدا

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٨٦

وفي آخرها غلا الكتان جدا وغلا بسبب ذلك القماش المعمول من الكتان وتبعه جميع الأقمشة القطنية

وفيها اشتد البلاء على أهل فاس باستمرار حصار السعيد إياها إلى أن قدرت هزيمته أيضا في شعبان ثم عاد في شوال فخرجوا فقاتلوه فكبا به فرسه فأخذ وقتل

وفي أثناء ذلك وقع الفساد في تلك البلاد واستولى المفسدون وقطعت الطرقات ومات بفاس من الناس مالا يحصى عدده جوعا ثم **أعقبه الوباء حتى** يرى الدار ليس فيه أحد حي

ومن النوادر أن قلعة دمشق لما كملت عمارتها على يد نوروز حضر عنده شخص عجمي فقطع له آلة بطريق الهندسة بحيث يطلع الماء من النهر في دلوين يديرهما شخصان من نحاس فيجري الماء إلى الطارمة بالقلعة بغير علاج بهيمة ولا حامل يصعد الدلو فيصب في الإناء الذي أعد له وينزل فيطلع الأخر كذلك وأظهر نوروز في إمرته هذه بدمشق من العدل ما لا يوصف حتى توفرت الدواعي من الواردين على حكاية ذلك حتى أن المؤيد كان أرسل إلى القدس أميرين وهما جانبك الصوفي وإينال الرجبي في عسكر فخرج نائب القدس وظفر بإينال وفر جانبك إلى صفد وأرسل نائب القدس إينال إلى نوروز فلما وصل أكرمه وخلع عليه وأعطاه واستقر عنده

وفيها مات شاهين الحسني وكان تقدم في دولة الناصر وحج بالناس وولي نظير البيبرسية وغيرها فمات وعلي بن مبارك بن رميشة الحسني كان عين لإمرة مكة عند غضب الناصر على حسن بن عجلان في سنة اثنتي عشرة ولم يتم أمره

ذكر من مات

في سنة خمس عشرة وثمانمائة من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن حسين الموصلي المالكي تفقه واحترف بتأديب الأطفال بالقاهرة ثم حج فجاور وسلك طريق الورع والنسك وصار يتكسب بالنسخ ويحج ماشيا وكان غاية في الورع والتحري مات في عشر السبعين

أحمد بن أحمد بن أحمد بن النشار شهاب الدين أحد موقعي الحكم كان من أعيان الدماشقة حسن الخط والخطابة مات في شهر رمضان وهو ممن وافق اسمه اسم أبيه وجده ." (١)

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٩٨

" استهلت وقد صمم السلطان المؤيد على سف الشام لقتال نوروز فخرج في رابع محرم من القلعة إلى الريدانية في قليل من العسكر واستناب الطنبغا العثماني في باب السلسلة وقرر للحكم الحاجب وفي القلعة صماي وبردبك وقرر صدر الدين ابن العجمي في نظر الجيش بدمشق وصرف عن التربة الظاهرية وأعيد ا حاجي فقيه وأعيدت المواريث لديوان الوزارة وفي هذا اليوم هبت ريح شديدة تلاها رعد وبرق ومطر غزير وبرد ملأ وجه الأرض كل واحد قدر... وأكبر من ذلك فخربت عدة دور وجمع منه الكثير حتى بيع في الأسواق بستة كل رطل وأحضروا للسلطان منه وهو معسكر بالريدانية في طبق فأعجبه ذلك واستبشر به وتفاءل بأنه يدك بلاد الثلج وكان ذلك في بشنس من الأشهر القبطية وقد وقع قريب من ذلك سنة تسع وتسعين في سلطنة الظاهر برقوق واستمر متوجها في تاسع المحرم ومعه الخليفة الجديد والقضاة وأرباب الدولة ثم رحل فنزل على قبة يلبغا في ثامن صفر وكان سبب تباطئه في السير الاحتراز على نفسه من أعدائه وممن معه وفي غضون ذلك كان يحضر جماعة بعد جماعة من الظاهرية والناصرية يفرون من نوروز وأكثرهم ممن كان يؤثر الإقامة بالديار المصرية ومن أسباب ذلك أنه كان وقع الغلاء في الشام ثم التقت طلائع الفريقين فترجحت طليعة نوروز وكان شيخ بشقحب فركب م فدهمهم فانهزم أصحاب نوروز واستعد نوروز للحصار وحصن القلعة فبعث المؤيد مجد الدين قاضي الحنابلة في طلب الصلح فامتنع فوقعت الحرب ووصل كزل نائب طرابلس فحمل بمن معه فانهزم نوروز كعادته وامتنع بالقلعة وملك المؤيد البلد ونزل بالميدان وحاصر القلعة إلى أن ضاق نوروز بالأمر ومال إلى طلب الصلح فأرسل قمش فقرر له الصلح ونزل هو يشبك ابن أزدمر وسودون كسا وبرسبغا وإينال وغيرهم فقبض عليهم جميعا وقتلوا في ليلتهم وبعث برأس نوروز إلى القاهرة فوصلوا بها على باب القلعة صحبه شرباش فاشوق وكان يومئذ أمير عشرة وكان أول ما تقدم نوروز تقدمة في صفر سنة سبع وسبعين في اليوم الذي تآمر فيه شيخ طبلخاناة ثم توجه المؤيد إلى جهة حلب في ثامن جمادى الأولى ثم توجه منها في أول جمادى الآخرة إلى الابلسيتن ودخل إلى ملطية وقرر قواعد البلاد ووافاه نواب القلاع فقرر من أراد وصرف من رأى صرفه وقتل طوغان نائب قلعة الروم وقرر فيها جانبك الحمزاوي ورجع إلى القاهرة واستناب في ملطية كزل وفي حلب إينال الصصلاي وفي حماة تنبك البجاسي وفي طرابلس سودون بن عبد الرحمن وفي الكرك يشبك المشد - وقد صارت خرابا من الفتن ثم قدم دمشق فوصل في ثالث رجب فاستناب فيها قانباي المؤيد - وسار القدس فوصلها في أول شعبان ومضى إلى غزة فاستناب فيها طرباي وسار منها فدخل سرياقوس في رابع عشري شعبان وأقام بها إلى آخر الشهر وعمل أوقاتا بالقراء والمغنيين والسماعات وفرق على أهل الخانقاه مالا وركب يوم الأربعاء

سلخ شعبان فبات بالريدانية وأصبح يوم الخميس فعسكر وطلع إلى القلعة فانتقض عليه ألم رجله من ضربان المفاصل وانقطع به مدة

وفي ثامن رمضان نفي شرباش كباشة وأرغون إلى القدس واستقر الطنبغا العثماني أتابك العساكر بالقاهرة بعد موت يلبغا الناصري وكان قد مات في حال رجوعهم من الشام

وفي ثاني عشرة قبض على قجق وننبغا المظفري وتمنتمرءارق وسجنوا بالإسكندرية وعزل الأموي عن قضاء المالكية وأعيد جمال الدين الأقفاصي وقرر صماي في نيابة الإسكندرية وأحضر ابن محب الدين وكان قد ظلم فيها وعسف في غيبة المؤيد فوصل في آخر الشهر وقدم تقدمة قومت بخمسة عشر ألف دينار فخلع عليه وأعيد إلى الإستادارية وكان ابن أبي الفرج قد هرب من حماة إلى بغداد لأمر بلغه من السلطان خاف منه على نفسه فسد تقي الدين ابن أبي شاكر متعلقات الأستادارية في هذه المدة إلى هذا الغاية وفيه ضيق على الخليفة المستعين وكان قد أفردت له في القلعة دار فأقام فيها هو وأهله وخدمه ثم نقل إلى البرج الذي كان الظاهر برقوق سجن فيها والده الخليفة المتوكل فأقام فيه في ضيق شديد إلى أن أخرجه في ذي الحجة من السنة المقبلة إلى الإسكندرية ." (١)

" وفي خامس عشر رمضان استقر سودون القاضي حاجبا كبيرا عوضا عن قجق واستقر قجقار القردمي أمير مجلس وجانبك الصوفي أمير سلاح عوضا عن شاهين الأفرم بعد موته واستقر تاني بك ميق رأس نوبة عوضا عن جانبك الصوفي واستقر كزل العجمي أمير جندار عوضا عن شرباش كباشة واستقر اقبائي الخازندار في الديودارية الكبرى عوضا عن جاني بك الدويدار وكان قد مات في هذا السفرة من سهم أصابه في حصار دمشق فضعف منه إلى أن مات بحمص

وكان سعر الغلال في هذا الشهر من هذه السنة في غاية الرخص حتى كان ثمن كل ثلاثة أردب من القمح دينارا واحدا هذا في البلد وأما في الريف فكان يصح بالدينار الواحد أربعة أرادب وخمسة أرادب وكثر حمل النارنج حتى بيع كل مائة وعشر حبات بدرهم واحد بندقي ثمنه من الفلوس اثنا عشر درهما

وفي شوال سجن بالإسكندرية سودون الأسندمري وقصروه وكمشبغا الفيسي وشاهين الزردكاش وأحضر كمشبغا العيساوي من دمياط وفيه أمر المؤيد بضرب الدراهم المؤيدية فشرع فيها وكان ما سنذكره في السنة المقبلة

---

(١) انباء الغمر، ص/٤١٤

وفيه جلس المؤيد في الحكم بين الناس بالإصطبل واستقر ذلك يوم السبت والثلاثاء أول النهار وفي يوم الجمعة بعد الصلاة وكان يسمع الحكومة ويردها غالبا إلى القضاة إذا كانت شرعية

وفي ليلة الخميس رابع عشر شوال خسف القمر وظل منخسفا قدر أربع ساعات

وفيه راجت الدراهم البندقية وحسن موقعها من الناس وحض المؤيد الإستادار وغيره من المباشرين على مصادرة أهل الظلم من البرد دارية والرسل والمتصرفين وكانوا قد كثروا جدا في أيام جمال الدين يوسف وتزايدت أموالهم بحيث أن واجدا منهم يقال له سعد أنشأ ببركة الرطلي دارا صرف عليها نحو خمسين ألف دينار فمال عليهم ابن محب الدين وصادر أكثرهم واشتد المؤيد في جلوسه للحكم على طائفة القبط وأسمعهم ما يكرهون . وضرب جماعة منهم بالمقارع وحط من قدرهم وأوقع التوكيل بود والنصارى حتى ألزموا بحمل عشرين ألف دينار مصالحة عما مضى لهم من الجزية واستقر زين الدين قاسم البشتكي في تحصيل ذلك منهم وفي نظر الجوالي

وفي سلخ شوال أضيفت حسبة القاهرة ومصر إلى التاج الوالي وقبض على منكلي بغا الحاجب المحتسب فوكل به أياما ثم أطلقه

وفي أول يوم من ذي القعدة توجه السلطان إلى وسيم بالجيزة ثم توجه إلى تروجة . وقرر كمشبغا الميساوي في كشف الوجه البحري وفي شوال سعى كاتب السرابن البارزوي في احضار القاضي علاء الدين المغلى قاضي حماه فاذن له فاحضر في ذي القعدة فوجد السلطان في سفره تروجة . فأقام عند كاتب السر إلى أن قدم السلطان ثم كان ما سنذكره في السنة المقبلة

وفي هذا السنة كثر الوباء بكورة البهنسا فمات خلق كثير

وفي خامس ذي الحجة كان أمير الحاج وهو جقمق الدويدار قد منع عبيد أهل مكة من حمل السلاح في الحرم فاتفق أن واحدا منهم دخل ومعه سيفه ولم يسمع النداء فأحضر إلى جقمق فضربه وقيده فبلغ ذلك رفقته فأرادوا إثارة الفتنة فبادر جقمق فأغلق أبواب المسجد وأدخل خيله فيه ومشاعله فهجم عبيد مكة بالسلاح ركوبا على الخيل إلى المسجد فمشى أهل الخير وأشاروا عليه بإطلاق ذلك العبد تسكينا للفتنة فأطلقه فسكنت وقام الشريف حسن بإطفاء الفتنة ومنع القواد من القتال بعد أن وقع بينهم الشر وحصل لبعض الحاج عند الدفع من عرفة نهب وجراح وقتل في المعركة جماعة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا على أنفسهم

وفيها مات يغمور بن بهادر الدكري من أمراء التركمان هو وولده بالطاعون في أول ذي القعدة

وفيها تواقع قرا يوسف وشاه رخ ابن تمر لنك ثم اصطلحا وتصاهرا

وفي أواخر السنة عيد شاه رخ عيد النحر بمدينة قزوين وأرسل إلى قرا يوسف يلتمس منه أمورا ذكرها فكان ما سنذكره في العام الآتي

وفيها مات غير من تقدم من الأمراء سليمان بن هبة بن جماز ابن منصور الحسيني مسجونا في آخر ذي الحجة وقد ولي إمرة المدينة مرة وفي أولها مات طوغان

وفي هذه السنة جددت مئذنة جامع الأزهر وكانت أصلحت في سنة ثمانمائة فكملت في هذه السنة فأمر المؤيد بتجديدها فهدمت وأعيدت بحجر منحوت وجددت تحتها بوابة جديدة وكتب عليها اسم السلطان وكان تكميل ذلك في السنة المقبلة ." (١)

" وفيها أخذ الفرنج سبتة وكان السبب في ذلك أن أحمد بن أبي سالم المريني نزل عنها لابن الأحمر صاحب غرناطة فانتقل ما كان فيها من العدد والأسلحة والذخائر إلى غرناطة ثم اتفقت الفتنة المقدم ذكرها في سنة أربع عشرة بين السعيد وقريبه أبي سعيد إلى أن قتل السعيد وأعقب **ذلك الغلاء والوباء** بمدينة فاس والغرب كله فولى السعيد على فاس رجلا سامهم سوء العذاب ثم أرسل أبو سعيد ا رجلا من أقاربه يقال له صالح بن صالح فتناهى في الظلم وفشا فيهم الموت وبلغ ذلك الفرنج فعمروا عليهم عدة مراكب فحصر صالح أهل الجبال وأنزلهم على البلد فرجع الفرنج إلى جزيرة بين سبته وجبل الفتح يسمى طرف القنديل فأقام بها فطال الأمر على أهل الجبال وظنوا أن الفرنج رجعوا إلى بلادهم وقلت على أهل الجبال الأزواد فتفرقوا فبلغ ذلك الفرنج فنازلوا أهل سبتة فقاتلوه فغالبهم بالكثرة وملكوا منهم المينا فخرج المسلمون بأهلهم و أموالهم وما قدروا عليه فدخل الفرنج البلد في سابع شعبان من هذا السنة ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية وكان بها منها شيء كثير إلى الغاية ونقلوا ما وجدوا بها من الرخام والآلات والأمتعة حتى الأنوال وتركوها قاعا خرابا ومع ذلك فهي بأيدهم فلا قوة إلا بالله

ذكر من مات

سنة سبع عشرة وثمانمائة من الأعيان

احمد بن أبي أحمد المقرئ الحلبي اعتنى بالقرآن فكان يقرئ بمسجد يجاور الشاذبختيه بحلب مدة ثم تحول من حلب إلى القدس قبل الوقعة العظمى ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها ثم إلى طرابلس فتأهل بها واستمر إلى أن مات في شوال سنة ٨١٧ أثنى عليه القاضي علاء الدين في تاريخه على خيره ودينه

---

(١) انباء الغمر، ص/٤١٥

أحمد بن عبد الله المالقي . الناسخ كان شافعي المذهب إلا أنه يحب ابن تيمية ومقالاته وكان حسن الخط كتب ثلاثمائة مصحف وعدة نسخ من صحيح البخاري وأشياء غير ذلك مات في شوال مطعونا وأرخه القاضي تقي الدين ابن قاضي شهبة في جمادى الأولى سنة خمس عشرة – فليحرر هذا

أبو بكر بن علي بن سالم بن أحمد الكناني تقي الدين العامري ابن قاضي الزبداني ولد في ذي الحجة سنة خمسين واشتغل بدمشق فبرع في الحساب وشارك في الفقه قرأ في الأصول وولي قضاء بعلبك وبيروت وقدم القاهرة بعد الفتنة الكبرى وكان أسر مع التمرية ثم تخلص وأخبر عن بعض من أسره أنه قال له : علامة وقوع الفتنة كثرة نباح الكلاب وصياح الديكة في أول الليل قال : وكان ذلك قد كثر في دمشق قبل مجيء تمر لنك وكان يقرأ في المحراب جيدا وولي قضاء كفرطاب وتقدم في معرفة الفرائض والحساب وكان دينا خيرا يتعانى المتجر مات بدمشق في ذي الحجة

حسن بن موسى بن مكي القدسي الشافعي بدر الدين قاضي القدس سمع من الميدومي جزء ابن عرفة جزء البطاقة وغير ذلك وحدث عنه وولي قضاء القدس مرارا وكان مزجي البضاعة في العلم مات عن ستين سنة

سعد بن علي بن إسماعيل الهمداني الحنفي ثم العيني سعد الدين نزيل حلب كان فاضلا عاقلا دينا له مروءة ومكارم أخلاق وله وقع في النفوس الخيرة ونفعه للطلبة وإحسانه م بعلمه وجاهه مات في أول شعبان وخلف ولده سعد الدين سعد الله ولم تطل مدته بل مات سنة ٢١ ولم يكهل

شاهين الأفرم مات في الرملة عند توجههم إلى قتال نوروز وكان مشهورا بقلة الدين بل كان بعض الناس يتهمه في إسلامه وذكر لي الشيخ برهان الدين ابن زقاعة شيئا من ذلك وقال العينتابي : كان مدمنا على الخمر واللواط ولم يشتهر عنه خير ولا معروف مع كثرة أمواله

عبد الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن أبي المعالي الشيباني المكي سمع من عثمان بن الصفي الطبري والفخر النوري والسراج الدمنهوري و غيرهم وتفرد بالرواية عنهم بمكة وكان خطيبا بجدة مات في ربيع الآخر وقد قارب الثمانين وقد تقدم ذكر أخيه جار الله بن صالح

عبد الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الفتح الكناني العسقلاني الحنبلي جمال الدين سبط القلانسي ولد سنة خمسين وأحضر عند الميدومي وأسمع القلانسي والعرضي وابن الملوك

وحدث بالكثير في آخر أمره واحب الرواية فأكثروا عنه وكان أبوه قاضي القضاة وكان هو بزي الجند مع الدين والعبادة وعلى ذهنه مسائل نفيسة مات في نصف السنة بالقاهرة ." (١)

" واستمر السلطان في سفره فدخل دمشق في سادس شعبان وكان قد دخل غزة وخرج منها في يومه ثم خرج من دمشق في ثامن شعبان فلما كان في ثاني عشر شعبان قبل أن يصل السلطان بعسكره التقى عسكر قانباي وإينال ومن معهما وعسكر السلطان فالتقى العسكران فانكسر قانباي الدويدار وأسرهم وجماعة من العسكر وانهزم بعضهم فاتفق موافاة السلطان صبيحة ثاني يوم الوقعة وقد نزل العسكر واستغلوا بالنهب واطمأنوا فطلعت أعلامه عليهم من وراء أكمة فولوا الأدبار ولم يلو أحد على أحد فقبض المأسورون في الحال على من أسرهم واستعادوا ما نهب منهم ورجع الناهب منهوبا والغالب مغلوبا وأسر إينال الصصلاي وشرباش كباشة وتمنتمر واقبغا النظامي وجماعة واستمر السلطان على حلب والأسارى بين يديه مشاة في الأغلال والقيود فطلع القلعة واستمر قانباي في هزيمته إلى جهة اعزاز فلقيه بعض التركمان فآمنه وأنزله عنده ثم غدر به وقبض عليه و أحضره إلى السلطان فأمره به وبإينال الصصلاي وبكباشة وتمنترا فقتلوا وأرسلت رؤسهم إلى القاهرة فعلقت على باب زويلة ثم أرسل بها إلى الإسكندرية فطيف بها وفر سودون بن عبد الرحمن وطرباي وغيرهما فنجوا في هزيمتهم وقرر السلطان اقباي الدويدار في نيابة حلب وجار قطلي في نيابة حماة ويشبك الشربخاناه في نيابة طرابلس وفي مدة إقامة السلطان بحماة قدم عليه أبو يزيد بن قرا يلك بهدية من أبيه وتهنئة له بالنصر على أعدائه فأكرم مورده ورده إلى أبيه ومعه هدية مكافأة على هديته

وفيها فر كزل نائب ملطية إلى التركمان خوفا من السلطان لأنه كان قد وافق قانباي على العصيان عليه وعزم السلطان على الإقامة بحماة بقية السنة لحسم مادة الفتن وللقبض على من تسحب من النواب الذين خامروا وهم كزل نائب ملطية وسودون بن عبد الرحمن نائب طرابلس وطرباي نائب غزة ثم فتر عزمه عن الإقامة وأرسل طوغان نائب صفد إلى القاهرة على تقدمة ألف وأذن له في سفر البحيرة ليحصل شيئا يكون عونا له على تجديد ما نهب له في الوقعة وكانت الوقعة في رابع عشر شعبان واستمر المؤيد يقفو أثر المهزمين إلى قلعة الأمارب فبات بها ثم أصبح فدخل إلى حلب وأقام بحلب إلى ثاني عشر شوال ثم رجع إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشري ذي القعدة

وفي رمضان في ليلة الجمعة ثالثه أخذ رجل سكرانا وهو يشرب الخمر بالنهار فضرب الحد وطيف به فثار به عامة الصليبية فقتلوه ثم أججوا نارا فألقوه فيها حتى مات حريقا

---

(١) انباء الغمر، ص/٤١٦

وفي شوال ليالي توجه الحاج **ابتدأ الغلاء العظيم** بالقاهرة مع وجود الغلال وزيادة الماء وكثرة الزرع وكان أول السنة في الغلال من الرخص شيء عجيب بحيث أن القمح الذي هو في غاية الجودة لا يتجاوز نصف دينار كل إردب ودونه قد يبتاع بالدينار ثلاثة أرادب وذلك في كثير من الأوقات وأعظم الأسباب في **هذا الغلاء كثرة** الفتن بنواحي مصر من العرب وخروج العساكر م مرة بعد مرة ففي كل مرة يحصل الفساد في الزروع ويقل الأمن في الطرقات فلا يقع الجلب كما كان ." (١)

" وفي أواخر ذلك توجه الأستادار لدفع العرب المفسدين في وقت قبض المغل فعاث من معه في الغلال وأفسدوا وعادوا واتفق وقوع القحط بالحجاز والشام فكثر التحويل في الغلال إلى النواحي من أراضي مصر وصعيدها واتفق أن بعض الناس ممن له أمر مطاع في غيبة السلطان أراد التجارة في القمح فصار يحجر على من يصل لشيء منه أن يبيعه لغيره فعز الجالب فرارا منه فوقع في البلد تعطيل في حوانيت الخبازين ووقع الفساد من ذلك قليلا قليلا بحيث لا ينتبه له إلى أن استحكم فبلغ الإردب من القمح إلى ثلاثمائة وكذلك الحمل من التبن وتزاحم الناس على الخبز في الأسواق إلى أن فقد من الحوانيت وصار الذي من شأنه أن يكتفي بعشرة أرغفة لو وجد مائة لاشتراها لما قذف في قلوبهم من خشية فقده وصار من عنده شيء من القمح يحرص على أن لا يخرج منه شيئا خشية أن لا يجد بدله فتزاحم الناس على الأفران إلى أن قفلت صاروا يبيعوه من الأسطحة وآل الأمر إلى أن فقد القمح وبلغ الناس الجهد **وانتشر الغلاء في** قبلي مصر وبحريها واتفق أن الوجه البحري كان مقلا من الغلال بسبب الفأر الذي تسلط على الزرع في هذا السنة فاحتاجوا على جلبه من الصعيد وأمسك أهل الصعيد أيديهم عن البيع لما بلغهم من منع المحتسب من الزيادة في السعر فاشتد الأمر وعم البلاء ولما رأى التاج الوالي وهو المحتسب يومئذ ذلك استعفى من الحسبة فقرر نائب الغيبة فيها القاضي شمس الدين محمد ابن يوسف الحلاوي في العشرين من شوال فباشر أياما قلائل فلما أهل ذو القعدة تزايدت الأسعار واشتد الزحام بالأفران فخشي المحتسب على نفسه فاستعفى وأعيد أمر الحسبة إلى الوالي وهو التاج الشوبكي وذلك في حادي عشر ذي القعدة وقد امتدت الأيدي للخطف واجتمع ملا يحصى ببولاق لطلب القمح وتعطل غالب الأسواق من البيع والشراء بسبب اشتغالهم في تحصيل القوت لأن بعضهم كان يتوجه إلى الأفران من نصف الليل ليحصل له من الخبز وبعضهم يتوجه إلى السواحل ليحصل له شيء من القمح فمنهم من يجده ومنهم من يرجع خائبا فقلت أصناف المآكل وعظم الخطب وصارت المراكب من القمح إذا وصلت إلى الساحل

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٢٦

تربط في وسط النيل خشية من النهب بالساحل ويتوجه الناس ا في الشخاتير ليشتروا منها ثم وقع التحجير على من يشتري زيادة على إردب وصار معظم الواصل يقسم على الطحانين ليطحنوه للفرانين ويحمل إلى حوانيت الخبازين ومع ذلك فالزحام عليه شديد حتى مات جماعة من الزحمة وغرق جماعة في البحر عند التوجه إلى المراكب الواصلة وخرج الناس في ثامن عشر ذي القعدة إلى الصحراء يستكشفون هذا البلاء ومقدمهم القاضي جلال الدين البلقيني فوقفوا قريبا من قبة النصر فضجوا ودعوا بغير صلاة وأتفق أن القاضي واجه التاج الوالي فأشار عليه أن يختفي خشية عليه مما اتفق لابن النشو بدمشق في آخر القرن الماضي على تقدم شرحه لأن الألسنة كانت انطلقت في حقه أن **سبب الغلاء منه** فرجع مختفيا ورجع بعد ذلك الموقف وقد تيسر وجود الخبز قليلا ثم فقد أشد مما تقدم فركب التاج الوالي إلى البلاد القريبة وتتبع مخازن القمح وألزم أصحابها بالبيع وقسم على الطحانين مقادير احتياجهم فبلغت البطة الدقيق مائة درهم وزاد الأمر فانتهت إلى مائتين وبلغ القمح إلى ثلاثمائة درهم كل إردب وبلغ الفول إلى ثلاثمائة والأرز إلى ألف وثمانين وتزايد في غضون هذه الأيام سعر الذهب إلى أن بلغ الهرجة مائتين وثمانين كل مثقال وندب نائب الغيبة إلى كل فرن طائفة من الترك لمنع من ينهب وقعد حاجب الحجاب بنفسه على بعض الأفران واجتهد في ذلك حتى رأى الخبز على الحوانيت وكان من اللطف الخفي في هذه المدة طلوع الزرع فاستغنى الناس لبهائمهم بالربيع ثم استغنوا لأنفسهم بأكل الفول الأخضر ثم فريك الشعير وخرج الناس من ابتداء ذي الحجة أفواجا أفواجا إلى الأرياف ثم استشعر من عنده قمح من أهل الحصار والصعيد.........فأطلقوا أيديهم في البيع وكثر الجلابة من التجار فكثر الوصل ومع ذلك فالغلاء مستمر والطالب للقمح غير قليل ." (١)

" وفي ثاني عشر المحرم نقلت الشمس إلى برج الحمل فدخل فصل الربيع وابتدأ الطاعون بالقاهرة فبلغ في نصف صفر كل يوم مائة نفس ثم زاد في آخره مائتين وكثر ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها **وكثر الوباء بالصعيد** والوجه البحري حتى قيل إن أكثر هو هلكوا وفي طرابلس حتى قيل إنه مات بها في عشرة أيام عشرة آلاف نفس وبلغ عدد الأموات بالقاهرة في ربيع الأول ثلاثمائة في اليوم ثم في نصفه بلغوا خمسمائة وفي التحقيق بلغوا الألف لأن الذين يضبطون إنما هم من يرد الديوان وأما من لا يرده فكثير جدا وماتت ابنتاي غالية وفاطمة وبعض العيال وكان كل من طعن مات عن قرب إلا النادر وإن أهل فاس أحصوا من مات منهم في شهر واحد فكان ستة وثلاثين ألفا حتى كادت البلدان تخلو من أهلها وتصدى الأستادار لمواريث الأموات ثم ابتدأ الموت في النقص من نصف ربيع الأول إلى أن انتهى في أول

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٢٧

ربيع الآخر إلى مائة وعشرين ثم بلغ في تاسعه إلى ثلاثة وعشرين وتزايد الموت بدمشق وكان ابتداؤه عندهم في ربيع الأول فبلغت عدة من يموت في ربيع الآخر في اليوم ستين نفسا ثم بلغ مائتين في أواخره ثم كثر في جمادى الآخرة بها وكذلك وقع في القدس وصفد وغيرها ثم ارتفع في آخر ربيع الآخر فنزل في الثالث والعشرين منه إلى أحد عشر نفسا

وفيه قدم مفلح رسول صاحب اليمن بهدية جليلة إلى الملك المؤيد فأكرم مورده وأمر بأن يباع الهدية وتصرف في عمارة المؤيدية فحصل من ثمنها جملة مستكثرة وعين كاتبه للتوجه إلى اليمن في الرسلية عن السلطان فاستعفى من ذلك فأعفى وعمل الملك المؤيد الخدمة في إيوان دار العدل ورتب الجند في القلعة ما بين الباب الأول إلى باب الدار المذكورة قياما في هيئة جميلة مهولة وطلب قاصد صاحب اليمن فأحضر فرأى ما يهال وقدم الكتاب الواصل صحبته ثم أحضر الهدية بعد ذلك على مائتي جمال وخلعت عليه خلعة سنية

وفيها مات أحمد بن رمضان أمير التركمان وكان قديم الهجرة في الإمارة وقد تقدم في حوادث سنة خمس وثمانين قتل أخيه إبراهيم واستقراره بعده إلى هذا الغاية وكان معه أذنة وإياس وسيس وما ينضم إلى ذلك وكان يطيع أمراء حلب طورا ويعصى عليهم طورا

وقدم على الناصر فرج سنة ثلاث عشرة فخلع عليه وتزوج ابنته ورده إلى بلاده مكرما

وفيه في الثاني عشر من المحرم قرر تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر في الوزارة وكانت بيده مباشرة النظر على ديوان سيدي إبراهيم ابن السلطان فقبل الوزارة بعد تمنع شديد وكانت شاغرة منذ سفر السلطان في العام الماضي فباشرها مباشرة حسنة

وفي أواخر المحرم جمع السلطان الصناع من الحجارين أمرهم أن يقطعوا العمارة بجامعه داخل باب زويلة من مكان عينه تحت دار الضيافة وأقام هناك يوما كاملا وفي هذا الشهر ركب كزل نائب ملطية في جماعة من المخامرين فهجم على مدينة حلب فقاتلوه فقتلت طائفة وأنهزم

وفيه استقر عمر بن الطحان في نيابة قلعة صفد

وفيه كانت الفتن بين عرب الرحوم وعرب العاند بأرض القدس والرملة وغزة

وفيه قبض على إينال أحد أمراء دمشق وسجن بالقلعة

وفيه قبض على ابن أبي بكر بن نعير ففر أخوه أحمد ثم قتل في جمادى الآخرة ونزل أخوه الآخر فأحرق الرحبة

وفي المحرم جمع السلطان القضاة والعلماء وأحضر من يتكلم في العمارة وذكر أن الشيخ شرف الدين ابن التباني تكلم معه في أن كثير من الأمور التي باشرها من يتكلم بالعمارة لا تجري على أحكام الشرع من أخذ بيوت الناس بغير رضاهم وهدم الأوقاف بغير طريق ونحو ذلك فأصغى السلطان وجمع الجميع فأدار الكلام بينهم فتعصبوا الجميع على ابن التباني وفجر عليه أحمد بن النسخة شاهد القيمة ووافقه غيره إلى أن عجز عنهم وأعيته أجوبتهم فانفصل المجلس على غير شيء وحققوا للسلطان أنه متعصب عليهم وأن له غرضا في الوقيعة فيهم والتزم له القضاة بأنهم لا يجرون أموره في العمارة إلا على الوجه الشرعي المعتبر المرضي وانفصلوا على ذلك وسيسألون أجمعين عن ذلك واستمرت في سفر العمارة بالجامع ونودي أن لا يسخر فيه أحد وأن يوفى الصناع أجرهم بغير نقص ولا يكلف أحد فوق طاقته واستمر ذلك ." (١)

" وفي أول صفر أمر السلطان القضاة الأربعة بعزل جميع النواب وكانوا قد قاربوا مائتي نفس فمنعوا من الحكم ثم عرضهم في ثاني عشر صفر وقرر للشافعي والحنفي عشرة عشرة وللمالكي خمسة وللحنبلي أربعة ثم سعى كثير ممن منع عند كاتب السر بالمال إلى أن عادوا شيئا فشيئا

وفي نصف صفر نودي أن لا يزوج أحد من العقاد أحدا من مماليك السلطان إلا بأذنه

وفي ربيع الأول عرض السلطان أجناد الحلقة فمر به شيخ يقال له قطلوبغا السيفي وكان قد أمر في دولة منطاش تقدمة ألف ثم أهين بعد زوال دولته وخمل في الأيام الظاهرية إلى أن صار بأسوء حال فعرفه السلطان فسأله عن حاله فأعلمه بسوء حاله فاتفق أن السلطان كان تغير على أقبردي المنقار نائب الإسكندرية وعزله فقرر هذا في نيابتها بغير سعي ولا سؤال ولا قدرة حتى أنه لم يجد ما يتجهز به

وفي سابع عشر شهر ربيع الأول أشهد عليه السلطان بوقف الجامع الذي جدده ثم اشتد الأمر في العمارة في وسط السنة وتباهى أهل الدولة في جلب الرخام إليها من كل جهة وكذلك الأعمدة

وفيه ثار عليه ألم رجله وصار ذلك يعتاده في قوة الشتاء وفي قوة الصيف ويخف عنه في الخريف والربيع

وفي ربيع الأول هجم الفرنج نستروه فنهبوا بها وحرقوا ثم قدموا في ربيع الآخر إلى يافا فأسروا من المسلمين نساء وأطفالا فحاربهم المسلمون ثم أفتكوا منهم الأسرى منهم بمال ثم كان منهم ما سنذكره قريبا

وفيه هم السلطان بتغيير المعاملة بالفلوس وجمع منها شيئا كثيرا جدا وأراد أن يضرب فلوسا جددا وأن يرد سعر الفضة والذهب إلى ما كان عليه في الأيام الظاهرية فلم يزل يأمر بترخيص الذهب إلى أن انحط

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٣٤

الهرجة من مائتين وثلاثين إلى مائتين وثمانين والأفلوري إلى مائتين وعشرة وأمر أن يباع الناصري بسعر الهرجة ولا يتعامل به عددا وعدل أفلوريا من الذهب بثلاثين من الفضة فاستقر ذلك إلى آخر دولته ثم كان ما سنذكره في سنة خمس وعشرين

وفي هذا الشهر جردت طائفة من الأمراء إلى الصعيد لقتال العرب المفسدين به وجردت طائفة أخرى لقتال من بالوجه البحري فرجع المجردون إلى الوجه البحري وقد غنموا أموالا وأغناما وجمالا وحصل لفخر الدين الكاشف من ذلك ما لا يدخل تحت الحصر حتى كان جملة ما حمله للسلطان في مدة يسيرة أكثر من مائة ألف دينار

وفيه **اشتد الغلاء بالرملة** ونابلس وكثر فساد محمد بن بشارة بمعاملة صفد

وفيه كان وقعة بين نائب حلب وكزل فانهزم كزل وجرح وجماعة من أصحابه استولى حسن بن كبك على ملطية فأساء السيرة بها وغلب نائب حلب على حميد بن نعير وهزمه وغنم منه مالا جزيلا – وجمالا

وفيه توجه حديثة بن سيف أمير آل الفضل إلى الرحبة صحبة نائبها عمر ابن شهري وطائفة عسر الشام ففر عذراء وسبى ولدا على ابن نعير فرجع العسكر الشامي وأقام حديثة على الرحبة ونزل قريبا من تدمر فأتاه عذراء في ثلاثة آلاف نفس فوقعت بينهم مقاتلة عظيمة وكان النصر لحديثة

وفيه غضب السلطان علي بدر الدين الأستادار المعروف بابن محب الدين وشتمه وهم بقتله وعوقه بالقلعة فتسلمه جقمق على ثلاثمائة ألف دينار وكان عاجزا في مباشرته مع كثرة إدلاله على السلطان وبسط لسانه بالمانة عليه حتى أغضبه

فلما كان في الخامس والعشرين من هذا الشهر وهو ربيع الأول أعيد فخر الدين ابن أبي الفرج إلى الأستادارية واستمر بدر الدين في المصادرة ثم اشتد الطلب عليه في أول جمادى الآخرة وعوقب بأنواع العقوبات ثم خلع في رابعه على فخر الدين واستقر مشيرا ثم نقل المذكور إلى بيت فخر الدين الأستدار فقبض على امرأته وعوقبت فأظهرت مالا كثيرا ثم أفرج عن ابن محب الدين في أواخر رجب وقرر كشف الوجه القبلي بعد أن قرر عليه مائة ألف دينار باع فيها موجوده وأثاثه وأثاث زوجته بعد أن عوقبت واستدان شيئا كثيرا ." (١)

" عبد الوهاب بن عبد الله ويدعى ماجد بن موسى بن أبي شاكر أحمد ابن أبي الفرج بن إبراهيم بن سعيد الدولة القبطي الوزير تقي الدين بن فخر الدين بن تاج الدين بن علم الدين يعرف بالنسبة لجده فيقال

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٣٥

له ولكل من آل بيته : ابن أبي شاكر ولد سنة سبعين أو في التي بعدها ونشأ في حجر السعادة وتنقل في المباشرات إلى أن باشر نظر الديوان المفرد في آخر الدولة الظاهرية واستمر بيده إلى أن مات وباشر استادارية الأملاك والذخائر والمشاجرات والأوقاف وعظم عن الناصر بحسن مباشرته ثم ولي نظر الخاص بعد موت مجد الدين بن الهيصم ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ست عشرة وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها موجوده وبقي في الترسيم بشباك الظاهرية الجديدة يستجدي من كل من يمر به من الأعيان حتى حصل مالا له صورة وأفرج عنه وأعيد إلى مباشرة الذخيرة والأملاك ثم قرر في الوزارة بعد صرف تاج الدين ابن الهيصم فباشرها مباشرة حسنة وشكره الناس كلهم فلم تطل مدته حتى مات بعد تسعة أشهر من وزارته في حادي عشر شوال أو ذي القعدة - وكان بعيدا عن النصارى ومتزوجا من غيرهم وهي علامة حسن إسلام القبطي وكان يكثر فعل الخير والصدقة مع الانهماك في اللذة وحدث في **وزارته الوباء فلم** يشاحح أحدا في وراثة وكثر الدعاء له وكان عارفا بالمباشرة ويحب أهل العلم وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله وكان موصوفا بالدهاء وجودة الكتابة

عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي القاضي أمين الدين بن القاضي شمس الدين الطرابلسي نزيل القاهرة ولد سنة ٧٧٤ واشتغل في حياة أبيه وولي القضاء مستقلا بعد موت الملطي فباشره بعفة ومهابة وكان مشكور السيرة إلا أنه كان متعصبا لمذهبه مع إظهار محبة للآثار عاريا من أكثر الفنون إلا استحضار شيء يسير من الفقه وقد عزل عن القضاء بكمال الدين ابن العديم ولزم منزله مدة طويلة ثم تنبه بصحبة جمال الدين فتقرر بعنايته في القضاء ومشيخة الشيخونية ثم زال ذلك عنه في الدولة المؤيدية وانتزعت من أخي وظيفة إفتاء دار العدل فقررت لابن سفري ثم لابن الجيتي واستمر أمين الدين خاملا حتى مات بالطاعون في خامس عشري ربيع الأول

ومن العجائب أن ناصر الدين بن العديم أوصى في مرض موته بمبلغ كثير يصرف لتقي الدين ابن الجيتي الحنفي ليسعى به في قضاء الحنفية لئلا يليه ابن الطرابلسي قبل موت ابن العديم وكذلك ابن الجيتي

علي بن الحسين بن علي بن سلامة الدمشقي تفقه على الشيخ عماد الدين الحسباني وغيره وكانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر الوسط ودرس في دمشق ومات سنة ٨٢٩

علي بن عيسى بن محمد علاء الدين أبو الحسن بن أبي مهدي الفهري البسطي اشتغل ببلاده ثم حج ودخل الشام ونزل بحلب على قاضيها الجمال النحريري وقرأ بحلب التسهيل وعمل المواعيد بالجامع - وكان يذكر في المجلس نحو سبعمائة سطر يرتبها أولا ثم يلقيها ويطرزها بفوائد ومناسبات ثم رحل إلى

الروم وعظم قدره ببرصا وكان فاضلا ذكيا أديبا يعمل المواعيد بالجامع فذكر لي – الشيخ برهان الدين المحدث أنه كان يرتبه يوم الأربعاء فيبلغ سبعمائة سطر وينظره يوم الخميس ويلقيه يوم الجمعة سردا وذكر لي – أنه أنشده لابن الحباب الغرناطي اللغز المشهور في السمك

كتبتم رموزا ولم تكتبوا ... كهذا الذي سبيله واضحه

قال : وأنشدني عنه أناشيد ثم دخل الروم فسكنها وحصل له ثروة ثم دخل القرم وكثر ماله واستمر هناك إلى أن مات في هذا السنة

علي بن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر الحسيني أبو الحسن والد المحدث الشهير الشريف شمس الدين مات أبوه سنة خمس وستين وسبعمائة وهو صغير فحفظ القرآن والتنبيه وقرأ على ابن السلار وابن اللبان ومهر في ذلك حتى صار شيخ الإقراء بالقرمية . وكتب الخط المنسوب وجلس مع الشهود مدة ووقع وكان عين البلد في ذلك وولي نقابة الأشراف مدة يسيرة وولي نظر الأوصياء أيضا ؛ مات في شوال ." (١)

" فلما كان السابع عشر من ربيع الأول نزل السلطان إلى جامعه واستدعى بالبلقيني فأعاده إلى القضاء ففرح الناس به جدا لبغضهم في الهروي – وكان ما سنذكره بعد ذلك

وفي خامس صفر استقر صدر الدين ابن العجمي في الحسبة وفرح الناس به لمعرفته وعفته

وفي سادس عشره توجه ابن محب الدين أمير بطرابلس من جملة الأمراء

وفي ثامن عشره عمل الوقيد بالبحر كالسنة الماضية

وفي أواخر صفر ثار المماليك الذين في خدمة السلطان بالطباق وأرادوا إحداث فتنة وامتنعوا من حضور الخدمة وذكروا أن سبب ذلك حقارة الجامكية فأمر السلطان أن يزاد كل واحد منهم على قدر ما يريد فرضوا وسكنت الفتنة . وفيه أرسل الطنبغا المرقبي إلى الصعيد وصحبته رقم ( ) أمير هوارة فطرقه الأعراب فكانت بينهم مقتلة عظيمة ثم انهزم العرب إلى الميمون وغنم الطنبغا ومن معه من أغنامهم ودوابهم شيئا كثيرا جدا

وفي صفر فشا الطاعون بالشرقية والغربية وابتدأ بالقاهرة ومصر ثم كثر جدا في ربيع الأول وكان في الأطفال كثيرا جدا وعم الوباء في بلاد الفرنج وفيه عمرت قناطر شينين فبلغ مصروفها خمسة آلاف دينار جمعت من بلاد الجيزة حتى من الإقطاعات والرزق

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٤٢

وفي تاسع عشري ربيع الأول كسفت الشمس قبيل الزوال فاجتمع الناس بالجامع الأزهر فصليت بهم صلاة الكسوف على الوصف المعروف في الأحاديث الصحيحة بركوعين مطولين وقيامين مطولين وكذلك في جميع الأركان المقصودة وغير المقصودة ثم خطبت بهم ما يقتضي ذلك بعد أن انجلت الشمس والحمد لله واتفق وقوع زلزلة في هذا اليوم بمدينة أرزنكان هلك بسببها عالم كثير و انهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير وهدمت قيسارية بناها ابن عثمان في برصا وما حولها وهلك بسبب ذلك ناس كثير

وفي ربيع الأول ركب المحتسب والوالي فطافا بأمر السلطان على أماكن الفساد بالقاهرة وأراقا من الخمور شيئا كثيرا ومنع المحتسب النساء من النياحة على الأموات في الأسواق وعزر طائفة منهن . وألزم ود والنصارى بتضييق الأكمام وتصغير العمائم وبالغ في ذلك

وفيه تشاجر الوزير والأستادار وتفاحشا وخلع عليهما في تاسع عشرة والتزما بحمل مائة ألف دينار

وفي المحرم قبض على محمد بن بشارة وذلك أن السلطان كان أرسل ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك إلى دمشق وأمره أن يحتال على ابن بشارة فراسله إلى أن ضمن له عن السلطان الرضا فلما اطمأن لذلك أرسل أمان السلطان وحلف وأرسل له خلعة فلبسها وأقبل إلى دمشق فتلقاه وبالغ في إكرامه فآمن فينا هو آمنا في سوق الخيل فتلقاه ابن منجك فدخلا جميعا إلى بيت نكباي نائب الغيبة فلم يستقر به المجلس حتى قبض عليه فدفع عن نفسه بسيفه وجرح من تقدم فتكاثرت السيوف على رأسه وقض على عشرين من أصحابه فوسط منهم أربعة نفر واعتقل ابن بشارة بدمشق ثم أمر السلطان بإحضاره فأحضر في رابع عشري جمادى الأولى

وفي خامس ربيع الآخر خدع الهروي الموكلين به من الأجناد ففر إلى بيت قطلوبغا التنمي فبلغ ذلك السلطان فأمر الوالي الأمير التاج بنقله من بيت التنمي إلى القلعة فسجنه بها في البرج ثم أنزله التاج في ثاني عشر من الشهر إلى الصالحية وقد اجتمع بها القضاة فادعى التاج على الهروي بالمال الذي ثبت عليه فالتزم بأنه عنده وهو قادر عليه وأنه أدى بعضا وسيؤدي الباقي فسجنه في قبة الصالح ووكل به جماعة يحفظونه ثم نقل في ثامن عشري الشهر المذكور إلى القلعة لأنه كرر شكواه من كثرة سب الناس له من بغضهم فيه حتى خشي أن يأتوا على نفسه ثم بادر التاج ونقل الهروي من جامع القلعة إلى مكان عنده بالمطبخ ثم سعى عند السلطان في أمره إلى أن أمره بإطلاقه فنزل إلى دار استكراها له مرجان الخازندار وراء مدرسة الجاي فأقام بها إلى السنة الآتية

وفي الثاني من جمادى الأولى ولد الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد شيخ فقدر الله أنه يلي السلطنة في أول سنة أربع وعشرين وعمره سنة واحدة وثمانية أشهر وأيام

وفي الثالث من جمادى الأولى قرر كاتبه في تدريس الشافعية بالمؤيدية وقرر يحيى بن محمد بن أحمد العجيسي في تدريس المالكية وقرر عز الدين عبد العزيز بن علي بن العز الذي كان قاضي القدس في تدريس الحنابلة وتأخر تقرير مدرس الحنفية وغيره ." (١)

" وفي يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر فشا الطاعون وكثر موت الفجأة حتى ذعر الناس . فأمر السلطان المحتسب أن ينادي بصيام ثلاثة أيام أولها يوم الأحد حادي عشر فصاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الخميس نصف ربيع الآخر إلى الصحراء فخرج الفقهاء والمشايخ والعلماء والقضاة والعامة وتوجه الوزير وأستادار الصحبة إلى تربة الملك الظاهر فنصبوا المطابخ السلطانية وباتوا في تهيئة الأطعمة والخبز ثم ركب السلطان بعد صلاة الصبح ونزل من قلعة الجبل لابسا ثياب صوف وعلى كتفيه مئزر صوف مسدل وعليه عمامة صغيرة جدا لها عذبة مرخاة عن يساره وهو متخشع منكسر النفس وفرسه بقماش ساذج فوجد الناس قد اجتمعوا وحضروا الجميع مشاة . فوقف السلطان بينهم وعجوا بذكر الله فنزل السلطان عن فرسه وقام على قدميه والقضاة والخليفة والمشايخ حوله وخلفهم من الطوائف ممن يتعسر إحصاؤه فبسط السلطان يديه ودعا وبكى وانتحب والناس يرونه وبقي على ذلك زمانا طويلا ثم توجه إلى جهة التربة فنزل وأكل وذبح بيده مائة وخمسين كبشا سمينا وعشر بقرات وجاموستين وجملين وهو يبكي ودموعه تنحدر بحضرة الناس على لحيته وترك الذبائح مضطجعة كما هي وركب إلى القلعة فتولى الوزير وأستادار الصحبة تفرقتها على الجوامع والخوانك والزوايا وقطع منها شيء كثير ففرق على من حضر من الفقراء وفرق من الخبز نحو من ثلاثين ألف رغيف وبعث إلى السجون عدة أرغفة وقدور أطعمة واستمر الناس في الخشوع والخضوع إلى أن اشتد حر النهار فانصرفوا فكان يوما مشهودا لم يتقدم له نظير إلا ما جرت العادة به في الاستسقاء وهذا زعموا أه لاستكشاف البلاء فيسر الله عقب ذلك برفع الوباء وبلغ عدة من يرد الديوان من الأطفال خاصة من صفر إلى سلخ ربيع الآخر نحو أربعة آلاف طفل ومن جميع الناس سواهم قدر أربعة آلاف أخرى وأكثر ما انتهى إلى ثمانمائة في الديوان ويقال جاوز الألف والمائتين

وفي ربيع الآخر اتفق بمصر كائنة عجيبة وهو أن شخصا كان له أربعة أولاد ذكور فلما وقع الموت في الأطفال سألت أمه أن يختنهم ليفرح بهم قبل أن يموتوا فجمع الناس لذلك على العادة وأحضر المزين

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٧٣

فشرع في ختن واحد بعد آخر وكل من يختن يسقى شرابا مذابا بالماء على العادة فمات الأربعة في الحال عقب ختنهم فاستراب أبوهم بالمزين وظن أن مبضعه مسموم فجرح المزين نفسه ليبرئ ساحته فانقلب فرحهم عزاء ثم ظهر في الزير الذي كان يذاب فيه الشراب حية عظيمة ماتت فيه وتمزقت فكانت سبب هلاك الأطفال – ولله الأمر

وفي التاسع عشر من شهر رجب وشى الشيخ شرف الدين بن التباني بناظر الكسوة زين الدين عبد الباسط بأنه خالف شرط الواقف في عمل الكسوة فعقد له بسبب ذلك مجلس وأحضرت الكسوة فسأل السلطان القضاة : هل يجوز أن يعمل في الكسوة هذا الذهب والزخرفة مع أن شرط الواقف أن يفرق ما فاض من المال بعد عمل الكسوة على العادة في وجوه البر فتعصب الشافعي لعبد الباسط وقال : هذا من وجوه البر فنازعه الحنبلي في ذلك فلم يصغوا واستمر الحال

وفي شعبان تزايد ألم السلطان ثم عوفي وركب إلى بركة الحجاج وأجرى الخيل هناك وسابق بينهما بحضرته ثم ركب إلى بركة الحبش وسابق بين الهجن

وفيه سرق الإفرنج رأس مرقص أحد من كتب الأناجيل الأربعة من الإسكندرية وكانت موضوعة في مكان ومن شأن اليعاقبة من النصارى أن لا يولوا بطركا حتى يمضي إلى الإسكندرية ويوضع هذه الرأس في حجره ثم يرجع ولا تتم هذه البطركية إلا بذلك فتحيل بعض الفرنج حتى سرقها من الإسكندرية فاستعظم النصارى اليعاقبة ذلك ووقفوا للسلطان بسبب ذلك وحج بالناس في هذه السنة التاج الوالي

وفي رمضان ثارت بالملك الناصر أحمد صاحب اليمن سوداء فاختل عقله واعتقل وأقيم في الملك عوضا عنه أخوه حسين بن الأشرف وأعانه على ذلك الأمير محمد بن زياد الكاملي **وكان الغلاء يومئذ** ببلاد اليمن شديدا ووقع عليه جراد أهلك زروعهم ." (١)

" وفي رمضان غلت الأسعار وبلغ الإردب من القمح ثلاثمائة درهم وأزيد وسبب ذلك كثرة الحرامية بالنيل فقل الجلب من الوجه القبلي وحمل من الوجه البحري إلى الصعيد من الغلال ما لا مزيد عليه **لشدة الغلاء الذي** هناك حتى أكلت القطاط والكلاب وكان سبب **ذلك الغلاء بمصر** أن النيل نزل بسرعة فزرعوا في الحر على العادة في السنين الماضية فأفسدت الدودة البرسيم وتأخر المطر في الخريف والشتاء في الوجه البحري فلم تنجب الزروع وخرج السلطان إلى سرحة البحيرة فأتلف شيئا كثيرا

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٧٦

وفي رابع عشر شوال عقد مجلس بسبب قرقماش أحد المقدمين من الأمراء فادعى عليه مملوك أنه قطع أنفه وأذنه فأنكر فأحضر البينة فدفعه السلطان للقاضي المالكي

وفي سابع عشر شوال رحل جقمق إلى دمشق لولاية إمرتها وقرر قطلوبغا التنمي في إمرة صفد عوضا عن مراد خجا ورسم بنفي مراد خجا الشعباني إلى القدس

وفي يوم الجمعة حادي عشري شوال قرر الشيخ شمس الدين بن الديري في مشيخة المؤيدية وتدريس الحنفية بها ونزل السلطان إلى الجامع وخلع عليه وباشر فرش سجادته إبراهيم ابن السلطان وتكلم على قوله تعالى " الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلوة " الآية وخلع على كاتب السر ابن البارزي واستقر خطيبا وخازن الكتب ومد السماط الكبير فأكل الخواص ثم تناهبه العوام وعرض للسلطان الطلبة فقرر من شاء وصرف من لم يصلح في نظره وخطب ابن البارزي خطبة بليغة أجاد فيها أداء وإنشاء واستقر في تدريس التفسير بالمؤيدية بدر الدين ابن الأقصرائي وفي تدريس الحديث بدر الدين العينتابي وخلع على ولد كاتب السر القاضي كمال الدين خلعة السفر إلى الحجاز وكذلك على شهاب الدين الأذرعي إمام السلطان ثم ركب السلطان من يومه إلى الجيزة فأقام ثلاثة أيام

وفي سادس ذي القعدة قرر الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن علي ابن عبد الرحمن التفهني في قضاء الحنفية عوضا عن شمس الدين ابن الديري وتوجه السلطان من يومه الى مسرحة البحيرة واستناب في عنبتة اينال الابزعري وقرر مهنأ بن عيسى في امرة ال جرم عوضا عن علي بن أبي بكر بعد قتله ولبس خلعة من مخيم السلطان وكان قتل علي في حرب بينه وبين محمد بن عبد القادر النابلسي شيخ العشير بها في شوال

وفيها قتل محمد بن بشارة بالقاهرة في آخر شوال وصدقة بن رمضان أحد الأمراء بالتركمان في سيس

وفي ذي الحجة ألزم المحتسب النساء أن لا يعبرن جامع الحاكم وألزم الناس أن لا يمر أحد منهم إلا وهو مخلوع النعل وشدد على القومة في ذلك فاستمر ذلك وطهر المسجد من قبائح كانت تقع من النساء والرجال والشباب والصبيان

وفي خامس ذي الحجة وردت هدية علي بك بن قرمان نائب السلطنة بنكندة ولارندة ولؤلؤة

وفي خامس ذي القعدة قبض جقمق نائب الشام على نكباي الحاجب واعتقله بأمر السلطنة وصلى السلطان عيد الأضحى بالطرانة وخطب به وصلى العيد ناصر الدين ابن البارزي كاتب السر على العادة وقدم القاهرة ثالث عشر ذي الحجة ونزل في بيت ابن البارزي فأقام به يومين ثم رحل إلى القلعة

وفي السابع والعشرين وصل محمد بن علي بن قرمان صاحب قيسارية وقونية وغيرها من البلاد الرومية مقيدا فأنزل في بيت مقبل الدويدار ثم احضر إلى الموكب السلطاني في السنة المقبلة

وفيها غلت الأسعار بمكة جدا فبلغت الغرارة خمسة وعشرين دينارا وهي إردب بالمصري وربع إردب وحج في هذه السنة الأمير الكبير الطنبغا القرمشي وطوغان أمير آخور وخرجا بعد الحاج بمدة وقدما قبلهم بمدة فغابا ستين يوما

ذكر من مات

في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من الأعيان ." (١)

" وفيه استقر شاهين الزردكاش في نيابة طرابلس نقلا من نيابة حماة واستقر في حماة إينال اليوسفي نقلا من نيابة غزة واستقر أركماس الجلباني في نيابة غزة

واستقر نكباي بعد الإفراج عنه من سجن دمشق في نيابة طرسوس

وفي حادي عشر المحرم قرر شمس الدين محمد بن مغالي الحيتي في مشيخة الخانقاه المستجدة بالجيزة التي انتزعت من الخروبي وكانت وقفا على الذرية ثم على الزاوية المجاورة لها فأخفي كتاب الوقف واشتريت للسلطان من الورثة بقدر حصصهم وغالبهم أشهد عليه ولم يقبض الثمن واستمر ذلك إلى أن مات المؤيد وندموا على عدم قبض الثمن

وفي سادس عشر المحرم قرر عز الدين عبد العزيز بن علي بن العز الحنبلي مدرس الحنابلة بالمؤيدية في قضاء الحنابلة بدمشق وقرر عوضه في المؤيدية محب الدين ابن نصر الله البغدادي

وفي العشرين من المحرم أفرج عن برسباي الدقماقي من قلعة المرقب واستقر في مقدمي الألوف بدمشق وهو الذي ولي السلطانة في سنة خمس وعشرين كما سيأتي

وفي المحرم وقع المطر الغزير بالوجه البحري فأخصبت الزروع بعد أن كانت جفت **وكثر الغلاء بالوجه** القبلي فبلغ الإردب دينارين

وفي أوائل المحرم تسلم علي بن قرمان بلاد أخيه وعصت عليه قلعة قونيا فحاصرها وخطب باسم المؤيد في جميع تلك البلاد ووصلت هدية على المذكور إلى السلطان في صفر وهو في ربيع خيله

وفي العشرين من صفر نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على شاطئ النيل وعمل الوقيد في ليلة الثاني والعشرين وبالغ المباشرون في رمي النفط وترتيب السرج

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٧٧

وفي سادس عشريه نزل السلطان إلى بيت أبي بكر الأستادار يعوده فقدم تقدمة سنية على العادة .

وفيه شاع الخبر بأن قرا يوسف قد تأهب للمجيء إلى الشام وكان بلغه ما نودي به في حقه في القاهرة وكان أرسل يطلب التمكين من قرا يلك فلم يجب سؤاله ثم أرسل يطلب من السلطان الجواهر التي كان السلطان أخذها منه وهو مسجون بدمشق فرد جوابه بما يكره فتهيأ لدخول البلاد الشامية فاستعد السلطان لذلك وكان قد لهج قبل ذلك بالمسير إلى بغداد وتمادت الأيام ولا يزداد إلا تصميما على ذلك ." (١)

" وفي الثاني والعشرين من ربيع الأول سافر ابن القناري وصحبته أحمد بن الشيخ شمس الدين الجزري وهو صهره إلى بلاد الروم وصحبته من جهة السلطان قجقار شقطاي برسالة السلطان إلى ابن عثمان وسار القناري بتجمل هائل وكان قد جامل أهل البلد وجاملوه ولم تنتشر عنه دعوى كما انتشرت عن غيره وكتم ما يبوح به في بلاده من محبة ابن العربي وشغل الناس في الفصوص وغيرها فأقام هذه المدة بالقاهرة مجموع الخاطر قليل الفضول إلى أن سافر سالما

وفيه عقد مجلس بسبب زيادة الجوامك لمدرسي المنصورية وقام في ذلك الشيخ شمس الدين القمني فحصل بينه وبين المحتسب كلام سيئ وتساخطا فقام السلطان وتركهم ولم يستقر لهم أمر وكان ذلك بالمدرسة المؤيدية

وفي ربيع الآخر أمر السلطان ببناء المنظرة التي خربت في التاج والسبع في وجوه وأن يبني حولها بستان فشرع في ذلك

وفي رابع عشري ربيع الأول أمر السلطان بإبطال مكس الفاكهة مطلقا بطل ونقش على الجامع المؤيدي وفيه **كثر الوباء بالإسكندرية** وما حولها وكثر الإرجاف بمسير قرا يوسف إلى الجهة الشامية . واشتد بالسلطان ألم رجله وحبس الإراقة ثم عوفي في أول جمادى الأولى وركب وفرح الناس

وفي هذه المدة أغرى السلطان بولده إبراهيم وأنه كان يتمنى موته ويعد الأمراء بمواعيد إذا وقع ذلك وبلغ كاتب السر عنه أنه يتوعده بالقتل وتأكد بغضه عنده فحقد عليه ودس على السلطان من أعلمه أنه يتمنى موته لكونه يعشق بعض حظاياه ولا يتمكن منها بسببه إلا خفية ورتب له على ذلك إمارات وعلامات إلى أن أبغض السلطان ولده وأحب الراحة عنه ورتبوا له أنه صمم على قتله بالسم أو بغيره إن لم يمت عاجلا من المرض لما في نفسه من محبة الاستبداد فأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سببا لقتله من غير إسراع فدسوا عليه من سقاه من الماء الذي يطفأ فيه الحديد فلما شربه أحس بالمغص في جوفه فعالجه

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٨١

الأطباء مدة وندم السلطان على ما فرط فيه فتقدم الأطباء بالمبالغة في علاجه فلازموه نصف شهر إلى أن أبل قليلا من مرضه فركب في نصف الشهر إلى بيت عبد الباسط بشاطئ النيل . ثم ركب إلى الخروبية بالجيزة فأقام بها وكاد أن يتعافى فدسوا من سقاه ثانيا بغير علم أبيه فانتكس واستمر إلى آخر الشهر فتحول إلى الحجازية ثم حمل في ثالث عشر جمادى الآخرة إلى القلعة فمات ليلة الجمعة خامس عشره فاشتد جزع السلطان عليه إلا أنه تجلد وأسف الناس كافة على فقده وأكثروا الترحم عليه وشاع بينهم أن أباه سمه إلا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك ولم يعش أبوه بعده سوى ستة أشهر تزيد أياما كدأب من قتل أباه أو ابنه على الملك قبله عادة مستقرة وطريقة مستقرأة – فإنا لله وإنا راجعون وصار الذين حسنوا له ذلك يبالغون في ذكر معايبه وينسبونه إلى الإسراف والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرض لحرم أبيه وغير ذلك مما كان بريا من أكثره بل يختلقون أكثر ذلك ليتسلى أبوه عن مصابه به

ولقد حكى لي من شاهده في السفرة التي تجرد فيها إلى البلاد القرمانية منه ما يقضي منه العجب من ذلك وذكره القاضي علاء الدين في ذيل تاريخ حلب فقال : كان شابا حسنا شجاعا عنده حشمة مع الكرم والعقل والسكون والميل إلى الخير والعدل والعفة عن أمور الناس ودفن بالجامع المؤيدي وحضر أبوه الصلاة عليه يوم الجمعة وأقام إلى صلاة الجمعة وخطب به ابن البارزي خطبة حسنة سبك فيها قوله صلى الله عليه و سلم " تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم ولمحزونون " فأبكى السلطان ومن حضر ولم يتفق أن السلطان بعد ذلك دخل المؤيدية ووقع الخلل في أهل دولة المؤيد واحدا بعد واحد كما سنذكره ولم يتهنأ لهم عيش يجمعهم بعد ذلك

وفي حادي عشر جمادى الآخرة صرف على ابن الطبلاوي من ولاية القاهرة وضرب بين يدي السلطان بالمقارع وصودر على مال واستقر فيها ناصر الدين ابن أمير آخور

وفي أول يوم من هذا الشهر كملت عمارة الجامع الذي جدده ابن البارزي بجوار منزله وكان يعرف بجامع الأسيوطي وصلى السلطان فيه الجمعة وخطب به البلقيني وفي ثانيه نودي أن الحجاب لا يحكمون في الأمور الشرعية فسعى الأمراء في نقض ذلك فنقض بعد يومين ونودي لهم بالإذن بالحكم ." (١)

" وفي شهر رمضان أمر السلطان بإعادة الأذان بمئذنتي الناصر حسن بالرميلة وكان الظاهر برقوق قد أمر بتعطيلها وعدم التوصل إلى صعودهما ثم أمر الناصر بهدم سلميهما فأعيد ذلك بعد بضع وثلاثين سنة

---

(١) انباء الغمر، ص/٤٨٣

وأعيد فتح الباب الكبير المجاور للقبور وكان الظاهر أمر بسده بالحجارة ففتح الآن وأزيلت الحجارة وكان المؤيد قد نقل الباب إلى مدرسته فعمل للحسنية الآن باب جديد

وفيها خرج العرب على أبي فارس صاحب تونس فسار في آثارهم نحوا من عشرة أيام حتى أوقع بهم وخضعوا له

وفيها جهز أبو فارس عسكرا إلى الفرنج في البحر فنذروا بهم فبيتوهم فانهزموا فغضب أبو فارس على قائد الجيش ونسبه إلى النهاون وضربه وأهانه وشرع في تجهيز جيش أخر واتهم العامة أن صاحب فاس واطأ الفرنج على المسلمين فثاروا عليه فقتل بينهم مقتلة عظيمة . وفيها قوي صاحب تلمسان واستجد عسكرا

وفيها **كان الغلاء المفرط** بحلب ثم أعقبه الطاعون فمات بشر كثير . وفي أوائل هذا السنة آخذ الفرنج سبتة من أيدي المسلمين بعد أن كانت في أيديهم...

وفي رمضان استقر قطلوبغا حاجي التركماني ثم الحلبي في نظر الأوقاف وهو حمو الظاهر ططر وصار جد زوج السلطان الأشرف فكان يقال له : أنو السلطان فباشر بشدة وعنف

وفيها أنهى بعض الخاصكية أن بلد التدريس بالجامع العمري المعروف بالخشابية ليس يستحق لأن المدرسة الموقوف عليه لا يعرف فأمر بإخراجها أقطاعا ثم شفع في مستحقيها فاستقرت بأيديهم واستهلكت

وفي شوال أمر القاضي ولي الدين القاضي الشافعية بحبس ابن القوصية قاضي أسيوط فشفع فيه المحتسب بدر الدين العينتابي فأخرج في الترسيم فشفع فيه كاتب السر فامتنع القاضي من إطلاقه حتى يدفع ما في جهته من مال الحرمين فتعصب له أيتمش الخضري فاستخلصه من أيدي الرسل فبلغ القاضي فغضب ومنع نوابه من الحكم فبلغ ذلك السلطان فأمر بإعادة ابن القوصية إلى الحبس واستدعى القاضي سراج الدين عمر ابن موسى – الحمصي الذي كان ينوب عن الشافعي وجرى بسببه على صهره القاضي جلال الدين البلقيني ما جرى فقرره الشافعي في قضاء أسيوط عوضا عن ابن القوصية فتوجه ا واستمر مدة طويلة

وفي ذي القعدة نزل السلطان إلى المطعم ورجع فاجتاز بالمدينة وقد زينت له فدخل العمارة التي استجدها بالركن المحلق

وفي الثالث منه نفى عبد الله أخو أمير سعيد الكاشف بالوجه القبلي ودمرداش الكاشف بالوجه البحري إلى عينتاب وأمر بنفي ابن القوصية قاضي أسيوط معهما ثم شفع فيه فتأخر وفي بابه وقع برد شديد

عند نزول النيل وبادر الناس إلى للزرع ثم وقع البرد في أوائل هاتور ثم أعقبه حر شديد وسموم ففسد أكثر البرسيم رعته الدود فأفسدت منه بالجيزة شيئا كثيرا

وفي أواخر ذي القعدة عز وجود اللحم الضأني وقل الجالب للأضحية وبقي الناس بسبب ذلك...

وفي ذي القعدة صرف إيتمش الخضري من الأستادارية وأعيد أرغون شاه ثم أضيفت إلى أرغون شاه الوزارة في ثامن ذي الحجة منها وكان الوزير تاج الدين ابن كاتب المناخات قد استقر في الرابع من ذي الحجة ثم قبض عليه في الثاني عشر منه وصودر على مال يقال ثمانية آلاف دينار واستمر معزولا

وفي التاسع عشر من ذي الحجة وهو الموافق لثالث أيلول من القبطية ورد خبر الورد بالقاهرة وهذا أسرع ما رأيت منه بها

وفي السادس والعشرين منه وصل المبشر بسلامة الحاج فقطع المسافة في خمسة عشرة يوما وهذا أسرع ما أدركناه من ذلك

وفي رجب صرف القاضي بدر الدين ابن خطيب الدهشة عن قضاء حماة واستقر زين الدين عمر بن أحمد بن مبارك ابن الخزري عوضا عنه

وفي شوال صرف القاضي نجم الدين ابن حجي عن قضاء دمشق بتاج الدين ابن الكركي نقلا من قضاء حلب واستقر علاء الدين ابن خطيب الناصرية في قضاء حلب كعادته نقلا من طرابلس وأعيد ابن النويري إلى طرابلس

وفي السادس من ذي الحجة صرف القاضي ولي الدين العراقي عن قضاء الشافعية واستقر عوضه علم الدين صالح بن شيخنا - شيخ الإسلام سراج الدين وكان جلال الدين أخوه لما مات نظمت :

مات جلال الدين قالوا ابنه ... يخلفه أو فالأخ الكاشح

فقلت تاج الدين لا لائق ... بمنصب الحكم ولا صالح ." (١)

" وفي خامس ذي الحجة قبض على أزبك الدويدار واستقر مكانه اركماس الظاهري واستقر تمراز الذي كان نائب غزة في وظيفة اركماس راس النوبة الكبير ووصل في هذه السنة المحمل من العراق بعد أن انقطع عشر سنين أو اكثر . جهزه في هذه السنة حسين بن علاء الدولة ابن أحمد بن أويس أمير الحلة ومغيرة بن سقم أمير العرب ووقف الحاج يومين للاختلاف في الهلال

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٠٦

وفي ذي الحجة انحط سعرالقمح بعد أن كان بلغ أربعمائة إلى ثلاثمائة وخمسين ثم انحط بعد ذلك أيضا وفتحت الشؤن السلطانية وغيرها وبيع منها فحصل الاتساع وكان السعر بلغ مائتين وعشرين والتبن مائة وثمانين كل حمل ثم أنحط إلى أربعين درهما كل حمل

وفي ثامن رمضان استقر قانصوه النوروزي في نيابة طرسوس وكان أمير عشرة وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد وفي جمادى الآخرة قرر طرباي في نيابة طرابلس وكان قد أذن له أن يقيم بالقدس بطالا فتحول من ثم إلى طرابلس واستمر في إمرتها إلى

وفي شهر ربيع الآخر أفرج عن جنبوس الفرنجي صاحب قبرس على فدي مبلغه مائة ألف دينار وأن يطلق عندهم من أسرى المسلمين وجهز إلى الإسكندرية وفيه قدم مركبان من فرنج الكتيلان لأخذ الإسكندرية بغتة فوجدوا أهلها قد أيقظهم متولي قبرس بهم فلم يحصل لهم مقصود

وفيه أمر السلطان بإراقة الخمور فتتبعت من عند كل من يتعاناها من المسلمين وأهل الذمة وشدد في ذلك وكتب به إلى البلاد الشامية وغيرها وكتب إلى الإسكندرية بإلزام الفرنج بإعادة ما جلبوه من الخمور إلى بلادهم واتفق في دمياط أن بعض الفقهاء أراق خمرا فعارضه بعض الخاصكية وأهانه فبلغ ذلك السلطان فأمر بضرب ذلك الخاصكي ضربا مبرحا حتى أن بعض الأمراء وهو اخو السلطان قام ليشفع فيه فضربه معه فضربا معا ثم أمر بإحراق الحشيش والمنع من زرعها . وفيها نقض ابن الركاعنة طاعة أبي فارس صاحب تونس فسار إليه واجتمع به عبد الواحد بن أبي حمو وهو عمه ففر ابن الركاعنة وأقام أبو فارس عبد الواحد المذكور في ملك تلمسان وفاس ورجع - وكانما سيأتي ذكره سنة ثلاث وثلاثين

وفي السابع من رجب استقر كمال الدين ابن البارزي في كتابة السر بدمشق عوضا عن حسين السامري بحكم وفاته وكان له منذ عزل من نظر الجيش مقيما بالقاهرة سبع سنين واستقر شهاب الدين ابن نقيب الأشراف بدمشق في نظر الجيش عوضا عن حسين أيضا وكان جمعهما

وفي عاشره استقر عز الدين بن عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسي في تدريس الصلاحية بالقدس عوضا عن الشيخ شمس الدين البرماوي بحكم وفاته واتفق في هذه السنة من العجائب أن الفول نزل عليه الصقيع بالصعيد فافسده وهو أخضر شرق كثيرمن الأراضي فلم يزرع وأكلت الدودة مواضع مزدرعة فكانت هذه الأمور الثلاثة في العادة ينشأ **عنها الغلاء وانضاف** إلى ذلك نزول النيل بسرعة فزرعوا في شدة الحر ثم تسلطت الدودة مع ذلك فتحرك السعر قليلا ثم لم يرتفع لشئ من الغلة رأس وتمادى الأمر على ما كان حتى جاء المغل الجديد ثم غلا السعر في أيام زيادة النيل فزاد سعر كل إردب مائة درهم وانحلت

الأسعار بعد وفاء النيل وكان ببلاد الصعيد الأعلى وباء شديد ومرض حاد ومات بسببه خلائق في رجب وشعبان واستمر إلى... وفي سادس عشر شوال نودي بأبطال المعاملة بالدراهم البندقية واللنكية وأخرجت الدنانير الأشرفية ونودي أن يكون بمائتين خمسة وعشرون وأبطلت المعاملة بالأفلورية

وفي السادس من ذي الحجة قبض على أزبك الدويدار الكبير واستقر عوضه أركماس رأس نوبة النوب واستقر في وظيفته تمران الذي كان نائب غزة –

وفيها استقر جوهر القنقباى خازندار ثانيا ثم بعد قليل استقر عوضا عن خشقدم خازندار كبيرا واستقر خشقدم زماما بعد موت الزمام

وفي سابع عشر ذي الحجة استقر التاج الوالي مهمندارا عوضا عن خرز فاجتمعت له عدة وظائف : ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين والمهمندارية مع استمراره في مجالسة السلطان ومنادمته

ذكر من مات

في سنة ٨٣١ من الأعيان

إبراهيم بن عبد الله الشامي الملقب خرز قدم مع المؤيد فولاه المهمندارية بعد ابن لاقي ومات وقد ولى ولاية القاهرة ومات في العشر الأخير من ذي القعدة ." (١)

" وكان السلطان طلب العلم البلقيني وفوض إليه قضاء الشام فامتنع وقال : أنااوثر به وجه السلطان في هذا الشهر مرة عليهذا فقال له : قد بعث النبي صلى الله عليه و سلم معاذا إلىاليمن فلم بعتذر بمثل هذا فتعجب من حضر من استحضاره هذه القصة المناسبة ولم يؤثر ذلك في العلم لشوقه إلى العود بالقاهرة فلما استقر ابن المحمرة أرسل له السلطان محقة وأذن له أن يستنيب في وظائفه بالقاهرة . وفه استقر جمال الدين يوسف ابن الصفي الكركي في نظر الجيش بدمشق عوضا عن الشريق شهاب الدين واستقر شمس الدين محمد بن علي بن عمر الصفدي في قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن القاضي شهاب الدين ابن الكشك نقلا من القضاء بطرابلس واستقر في قضاء طرابلس ولد الصفدي المذكور

وفي ليلة الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة هبت ريح بالتراب برقة الأهواء فأثارت منه ما ملأ البيوت وكاد الناس يهلكون من الغم وأصبح الجو أصفر

وفي ليلة النصف خسف القمر ولم يشعر به أكثر الناس

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٥٦

وفي ثالث شعبان استقر نظام الدين عمر بن القاضي تقي الدين إبراهيم ابن الشيخ شمس الدين محمد بن مفلح في قضاء الحنابلة بدمشق عوضا عن القاضي شهاب الدين ابن الحبال وكان ابن الحبال قد ضعف بصره حتى قيل إنه عمي وقوي صممه وضعفت قوته فلما استقر نظام الدين وبلغه ذلك تحول إلى بلده طرابلس فأقام بها إلى أن مات في السنة المقبلة

وفي شعبان هجم جماعة من المماليك بيت الوزير فنهبوا وكانت كائنة شنيعة ؛ وفيه اشتد فساد المماليك الجلب وأفسدوا حتى منع السلطان الناس عن العمل إلا عن أمره إشفاقا عليه وسار الامراء إلى خرت برت فأوقعوا بمن فيها . وفيه **وقع الوباء بدرندا** . وفيه قدم نائب الشام سودون من عبد الرحمن وقدم معه كاتب السر ابن البارزي ثم رجعا على وظيفتيهما وسار بعدهم العسكر المجهز إلى البلاد الحلبية وهم : الحاجب الكبير والدويدار الكبير وغيرهما ومعهم من الطبلخانات والعشراوات جماعة ومن المماليك السلطانية أربعمائة نفس فوصلوا إلى حلب وأقاموا بها لحفظها من التركمان ثم وقعت لهم مع التركمان وقعة قتل فيها ولد لقرايلك صاحب تلك البلاد وصادف وصول الخبر بذلك يوم وفاء النيل فحصل للناس بذلك بشران وشاع أن قرا يلك مات ثم تبين كذب الإشاعة . وفيها قدم بيرم التركماني صاحب هيت فارا من أصبهان من قرا يوسف فأكرمه السلطان واجرى له راتبا ثم أقطعه ناحية من الفيوم . وفيها في رجب استقر سودون من عبد الرحمن أتابك العساكر نقلا من نيابة الشام واستقر في نيابة الشام جارقطلي عوضا عنه

ذكر من مات

في سنة ٨٣٢ من الاعيان

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب المرشدي المكي أخو محمد وعبد الواحد ولد سنة ستين وسبعمائة وسمع من عبد الرحمن بن عل التغلبي ابن القارئ جرء ابن الطلابة أنا الأبرقوهي ومن محمد بن أحمد بن عبد المعطي صحيح ابن حبان أنا الرضي والصفي الطبريان ومن عبد الله بن أسعد اليافعي صحيح البخاري ومن عز الدين ابن جماعة من مناسكه الكبرى - ومن غيرهم وأجاز له الصلاح ابن أبي عمر وابن أميلة وابن هبل وابن قواليح وأبو البقاء السبكي وآخرون وحدث ؛ ومات بمكة يوم الخميس رابع ذي القعدة وقد حدث قبل موته بسنة بشرح السنة لبغوي بإجازة من بعض شيوخه ومن قبل موته بشهر بالشمائل بإجازته من الصلاح المذكور

أحمد بن عمر بن أحمد بن عيسى الشاب التائب شهاب الدين المصري الشاذلي نزيل دمشق ولد في ذي الحجة سنة سبع وستين واشتغل بالفقه قليلا وتعاني المواعيد فمهر فيها وكان يلقي من حفظة عنان

وطاف البلاد في ذلك فدخل اليمن مرتين ثم العراق مرارا ودخل حصن كيفا وكثيرا من بلاد الشرق وأقام بدمشق مدة وحج مرارا وكان فصيحا ذكيا يحفظ شيئا كثيرا وله رواج زائد عند العوام وبنى عدة زوايا بالبلاد ؛ مات في رجب

برسبغا الجلباني تقدم في أيام الناصر فرج بواسطة عبد اللطيف الطواشي وكان يخدمه واستقر في الدويدارية وكان فصيحا عارفا لا يظن من عرفه إلا أنه من أولاد الناس وكان نفي في الدولة المؤيدية إلى القدس ثم أعيد في الدولة الأشرفيةوباشر الدوالب السلطانية بالصعيد ؛ مات في شهر رجب

خشرم بن دوغان بن جعفربن هبة الله بن جماز بن منصور بن جماز مع رفيقه كما ذكرنا في عجلان ." (١)

" محمد ويدعى الخضر بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النويري الشافعي ولد في ربيع الآخر سنة ٧٦٢ ، وتفقه قليلا واسمع على العز ابن جامعة وابن حبيب وابن عبد المعطي والاميوطي ومن بعدهم وأجاز له البهاء ابن خليل والجمال الأسنوي وأبو البقاء السكي وغيرهم وناب في الحكم عن قريبه عز الدين بن محب الدين ابن ابي الفضل وولي قضاء المدينة مدة يسيرة ولم يصل إليها بل استناب ابن المطري وصرف وكان ضخما جدا ؛ مات في رابع عشر ذي الحجة وقد دخل السبعين وانصلح بأخرة وهو والد أبي اليمن خطيب الحرم

محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقي بدر الدين ولد سنة ٧٨٦ ، ونشا في كنف ابيه ثم مات أبوه عنه وهو صغير فكفله زوج أخته محي الدين أحمد المدني وتولى التوقيع عنده لما ولي كتابة السر بدمشق فاتصل بالمؤيد وخدمه وقدم . . ثم سلمه إلى نائب القلعة يشبك بن أزدمر فحبسه عنده وضيق عليه إلى أن وقع الإفراج عنه بعد قتل الناصر فقدم مع التجريدة إلى القاهرة فولي نظر الإصطبل وباشر توقيع الدست مع البازري ثم صار نائب كاتب السر في مباشرة ولده فمن بعده إلى أن استقر فيها استقلالا فكانت مدته في ذلك نيابة واستقلالا نحو تسع سنين لأنه باشر ذلك عقب وفاة ناصر الدين ابن البازري في ثامن شوال سمة ثلاث وعشرين وباشر في غضونها نظر الجيش نيابة عن ناظر الجيش لما حج في سنة ست وعشرين وكان فصيحا مفوها عارفا بالامور الدنيوية عريا عن معرفة الأمور الأخروية إنماهمه الاعظم تحصيل الدرهم ولو كان فلوسا حتى حصل في هذه المدة ما يزيد على مائتي ألف دينار تمزقت بعده وبقي منها ما اشتراه من العقار فإنه بقي لذريته وكان ابتدأ مرضه في اول ربيع الآخر حصلت له ذبحة

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٦٥

في حلقه فصار ينفث الدم قليلا ولم ينقطع عن الركوب إلى الحادي والعشرين من الشهرالمذكور فحصل له رعاف كثير حتى أفرط فانقطع بسببه ولازمه الاطباء وأكثروا له من الحقن والأدوية إلى أن استفرغوا قوته كلها مع ما يخرج من أنفه من الدم ثم تنوعت به الأمراض من القولنج وغيره إلى أن مات في ليلة الأحد اثنتين وعشرين جمادى الآخرة عن نحو الخمسين واشيع بأنه سم وكان هو يلوح بذلك ولم يغب ذهنه في طول مرضه وحرص مرارا على أن يوصي ببر أو صدقة أو خلاص ذمة فلم يقدر له ذلك ومات باحماله لم يحط عنه منها شيء إلا أن كان اغتيل فإن في ذلك كفارة كبيرة وكثر الثناء السيء عليه بعد موته بسوء معاملته وطمعه – والله يسمح له !

فلقد كان يقوم في الحق أحيانا وله بر وصلة وصدقة لبعض الناس ومحبة في الصالحين ومروءة وعصبية لاصحابه – رحمه الله تعالى !

واستقر بعده في كتابة السر ولده جلال الدين . . محمد ولقب بلقب أبيه بدر الدين ولم يستمر ذلك وخلع على شرف الدين سبط ابن العجمي بنيابة كتابة السر وتلقى الامور عن جلال الدين لصغر سنه ويقال إنه أخذ لأجل ذلك من مال أبيه مائة ألف دينار

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

في المحرم استقر الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخات في نظر الديوان المفرد مضافا للوزارة وفيه أمطرت في حمص ضفادع خضراء امتلأ منها الأزقة والأسطحة ووصل الخبر بذلك

وفيه شغب الجند المماليك فزيد في أرزاقهم كل واحد أربعمائة فسكنوا

وفيها رجع إسكندر بن قرا يوسف إلى تبرير فملكها بعد رحيل شاه رخ ووقع **لها الغلاء المفرط** حتى أكلوا الكلاب ." (١)

" وفي شوال أغار على قرقماس بنحسين بن نعير على ابن عمه مدلج ابن علي بن نعير فانهزم قرقماس ودخل مدلج ومن معه بيوت قرقماس فنهبوها فكر عليهم قرقماس بمن معه فقتل مدلج وذلك في ذي القعدة وعمره نحو العشرين سنة فقدم سليمان بن عذراء إلى القاهرة فأمره الأشرف على العرب عوضا عن عمه مدلج فوصل إلى حلب في سادس ذي القعدة وورد على يده مثال للأمراء المجردين أن يتوجهوا مع نائب حلب ليقبضوا على قرقماس فبلغ ذلك قرقماس فأرسل يطلب الأمان فورد المثال السلطاني بطرده عن البلاد فتوجهوا الجميع من حلب يوم الجمعة سابع ذي القعدة وقرقماس يومئذ محاصر مدينة جعبر فأسرعوا السير

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٦٨

فادركوه وهو على المهد تجاه جعبر على شاطئ الفرات فلما رآهم ركب وانهزم فركبوا في إثره وتشاغل بعض العرب الذين معهم والعسكر بالنهب واستمر العسكر ف إثر قرقماس فأبعد عنهم وقد تعبت خيولهم وغلمانهم فكر فيهم قرقماس ومن معه فقتلوا الدشاري وكان على الساقة وأخذوا غالب الخيول التي وقفت والتي وجدوها وقتل من العسكر جماعة في تلك الوقعة ونهبت بعض خيامهم وأثقالهم ورجعوا إلى العرب في إثرهم يتخطفونهم ولما تحقق قرقماس رجوعهم خشي عاقبتهم فتوجه إلى جهة الشرف فدخل الامراء إلى حلب سابع عشر ذي القعدة وقد نهب من أثقالهم وخيولهم وسلاحهم شيء كثير جدا

وفيها ورد كتاب شاه رخ ملك الشرق يستدعي من الأرف هدايا منها كتاب في العلم منها فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر فجهزت له ثلاث مجلدات من أوائل الكتاب ثم عاد طلبه في سنة تسع وثلاثين فلم يتفق تتمة الكتاب

وفيها نقض عبد الواحد بن أبي حمو بيعة أبي فارس صاحب تونس فجهز أبو فارس إليه ابن أخيه ابن الركاعنة فظفر بعبدالواحد عمه فقتله واستقر في مملكة تلمسان في ذي القعدة منها

وفيها مات أزبك الدويدار وكان قد نفي إلى القدس بطالا في شهر بيع الأول منها بعد ضعف طويل

وفي مستهل جمادى الأولى سافرالناس إلى مكة ليجاوروا بها صحبة سعد الدين ابن المراة وكان استقر ناظرا على مكس البهار الوارد عليه في جدة

وفيها أوقع قرا يلك بملطية وماردين وساق بعد ذلك إلى البلاد الحلبية حتى وصل عينتاب يعيث وينهب

وفيها هلك صاحب الحبشة إسحاق بن داود بن سيف أرغد الحبشي الأمخري في ذي القعدة وأقيم بعده ولده أندراس بن إسحاق فملك أربعة أشهر وأقيم عمه خرنباي بن داود فتملك سبعة أشهر ثم هلك فأقيم سلمون ين إسحاق بن داود المذكور فهلك سريعا فأقيم بعده صبي صغير إلى أن هلك في الطاعون الذي كان عندهم سنة تسع وثلاثين - فذكرت ذلك هنا تحصيلا للفائدة وكانت ولاية إسحاق إحدى وعشرين سنة منذ مات أبوه

وفي زمانه حصرت دولته بعد أن كانت همجاء وكان أبوه يركب وهو عريان كزي بقية الحبشة فصار هذا يركب في الملابس الفاخرة وشعار الملك والسبب فيه أن قبطيا كابتا كان يقال له فخر الدولة فر من حادث حدث له فدخل بلاد الحبشة بكتاب البترك فحظي عند إسحاق ورتب له أمور المملكة وجبي الأموال وصادف دخول أمير من الجراكسة يقال له الطنبغا معزق وكان يعرف أنواع العمل بالسلاح والفروسية

فعلم جماعة منهم رمي النشاب والطعن بالرمح والضرب بالسيف وكانوا لا يعرفون القتال إلا بالحراب وعمل له زردخاناة ملأها بجميع آلات السلاح مما كان يجلبه له التجار الذين يترددون إلى بلاده خصوصا على التوريزي الذي ذكرنا قتله قبل ذلك وقد ذكرت خبره فيما مضى

وفي المحرم جهز أو فارس عسكرا في البحر إلى جزيرة صقلية فنازلوا أولا مازر فأخذوها عنوة وحصروا مألقة فانهزم من جملة الجند العلوج واخذ فانهزم بهزيمته جماعة واستشهد بعض الأعيان ثم تراجعوا وقبضوا على العلج وبعثوه إلى أبي فارس فأمدهم بجيش

وفيها **كان الغلاء الشديد** بحلب ودمشق والطاعون بدمشق وحمص

وفي يوم الخميس سادس عشري صفر صرف كاتبه والعيني عن وظيفة الحكم واستقر فيها التفهني والبلقيني واستقر صدر الدين ابن العجمي في مشيخة الشيخونية عوض التفهني وشرط على الشافعي عشرة نواب وللحنفي ثمانية وللمالكي ستة وللحنبلي أربعة ؛ ولا يولى أحد من غير مذهبه ." (١)

" ماجد بن أبي الفضائل بن سناء الملك فخر الدين ابن المزوق كان من أولاد الكتبة وخدم عند سعد الدين ابن غراب فولي بعنايته نظر الجيش وكتابة السر واحدة بعد أخرى ثم ولي نظر الإصطبل ثم تعطل في الدولة المؤيدية وما بعدها إلى أن مات في ليلة الخميس ١٢ رجب

محمد بن أحمد بن سليمان الاذرعي الحنفي شمس الدين أخذ عن ابن الرضي والبدر المقدسي في مذهب الحنفية ثم بعد اللنك انتقل إلى مذهب الشافعي وولي قضاء بعلبك وغيرها ثم عاد حنفيا وناب في الحكم ودرس وأفتى وكان يقرأ البخاري جيدا ويكتب على الفتوى كتابة حسنة وخطه مليح وتوجه إلى مصر في آخر عمره فعند وصوله طعن فمات غريبا شهيدا في جمادى الآخرة

محمد تاج الدين بن العماد إسماعيل البطرني المغربي الأصل نزيل دمشق كان في خدمة القاضي علم الدين القفصي وعمل نقيبه ثم بعد موته ولي قضاء طرابلس ثم رجع وناب عن القاضي المالكي وكان عفيفا في مباشرته ويستحضر طرفا من الفقه ؛ مات بالطاعون في صفر

محمد بن الملك الأشرف برسباي وكان قد عين للسلطنة بعد أبيه مات في يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الأولى مطعونا وقد ناهز الاحتلام ودفن بالمدرسة الأشرفية

محمد بن ططر السلطان الصالح بن الطاهر خلع في خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وأقام عند السلطان الملك الأشرف مكرما إلى أن طعن ومات في سابع عشري جمادى الآخرة هذه السنة

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٦٩

محمد بن الناصر فرج بن الظاهر برقوق مات بسجن الإسكندرية في يوم الاثنين حادي عشري جمادى النخرة مطعونا عن ٢١ سنة ودفن بها ثم نقل إلى مصر

محمد بن عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد الانصاري السبتي صاحبنا كتب إلي وشرح البردة وله يد في النظم والنثر والتصوف وكان حسن الطريقة

محمد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد السنقاري شرف الدين نزيل هون ولد في المحرم سنة ٧٧٣ ، وتفقه قليلا وأخذ عن المشايخ وكان أبوه موسرا فمات في الثمانين ونشا هو يتعانى التجارة والزراعة ويتردد إلى القاهرة وتقلبت به الأمور وكان فاضلا مشاركا متدينا وكان يقول : ما عشقت قط ولا طربت قط مات في الطاعون في جمادى الآخرة وكان يحكي عن ناصر الدين محمد بن محمد بن عطاء الله قاضي هو أنه كان بجانب داره نخلة جربها بضعا وثلاثين سنة فإن قل حملها توقف النيل وأن كثر زاد وأنها سقطت في سنة ست وثمانمائة فقصر النيل تلك السنة ووقع الغلاء المفرط

محمد بن عبد الوهاب بن نصر الله شرف الدين أبو الطيب بن تاج الدين ولد في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ونشأ في حجر السعادة وتعلم الكتابة واشتغل بالعلم وكتب في الإنشاء وعظم في دولة الظاهر ططر وولاه نظر الكسوة ودار الضرب ونظر الأشراف وغير ذلك ؛ ومات في سابع عشري ربيع النخر بمرض السل

محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أمين الدولة قاضي الحنفية بحلب شمس الدين ؛ مات يوم الخميس ١٢ شعبان

محمد جلال الدين بن بدر الدين محمد بن بدر الدين محمد بن مزهر ولد سنة ١٤ وحفظ القرآن واشتغل قليلا فلما مات أبوه في سنة اثنتين وثلاثين قرر مكانه في كتابة السر فباشرها والاعتماد في ذلك على شرف الدين الموقع وكان قد تقرر في نيابة كتابة السر وانفصل بدر الدين المذكور وكان لقب في أيام مباشرته في كتابة السر بلقب أبيه بدر الدين ومات بالطاعون - يوم الإثنين سنة ست وعشرى رجب -

محمد زين الدين بن القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الملك الدميري المالكي كان حسن الصورة له قبول تام عند الناس لكثرة حشمته وقد ولي الحسبة مرارا وبيده التحدث في المارستان نيابة عن الأمير الكبير على قاعدة أبيه ولم أظنه جاوز الخمسين ومات في ٣ شعبان

محمد الإسكندراني شمس الدين العروف بابن المعلمة ولي حسبة القاهرة مدة وكان مالكيا فاضلا مشاركا في العربية وغيرها مات في شعبان

مدلج بن علي بن نعير واسمه محمد بن حيار أمير آل فضل وكان ولي إمرة العرب بعد أخيه وعذراء ودخل في الطاعة ثم وقع بينه وبين ابن عمه قرقماس قاتل أخيه عذراء الوقعة المقدم ذكرها في الحوادث وقتل مدلج في ٢ ذي القعدة منها بظاهر حلب ." (١)

" وفيها توجه قرقماس الشعباني وهو يومئذ الحاجب الكبير إلى الصعيد فلاقاه موسى بن عمر شيخ عرب هوارة وقدم له تقدمة فلما رجع بلغ موسى أن ابن عمه عمران استقر مكانه وعزله فخاف موسى ودخل البرية بمن أطاعه وتوجه الوزير إلى قرقماس ليتعاونا على رجوع موسى فعجزا عنه . ثم لم يزل الوزير يراسل موسى ويتلطف به حتى عاد وأحضره إلى السلطان فخلع عليه ثم أمسكه بعد أيام ثم حبسه فبلغ ذلك عربه فأفسدوا في البلاد وأحرقوا الغلال ووصل عبد الدائم شيخ الفقراء ومعه طائفة من الفقراء في شوال فهرع الناس للسلام عليه والتبرك به وكان قد أذن لموسى بن عمر في التوجه إلى السلطان وضمن له السلامة فلما سمع بحبسه جاء للشفاعة فيه فأرسل لهم السلطان القاضي بدر الدين العيني فأحضرهم عنده وتأدب معهم وكانوا ثلاثة : عبد الدائم وشجاع والعريان وأتباعهم وقبل السلطان شفاعتهم وأذن لهم في تسليم ابن عمر بعد أن يحلفه كاتب السر عند العيني ففعل ذلك ورجعوا

وفي جمادى الأولى شاع عن أهل التقويم أنهم اتفقوا أن الشمس تكسف في ثامن عشري هذا الشهر بعد الزوال فتأهب السلطان وغيره لذلك وترقبها إلى أن غربت ولم يتغير منها شيء البتة

وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب تزوج سيدي محمد ولد الأمير جقمق بنت أحمد بن أرغون شاه وعمل له أبوه وليمة عظيمة وقدم له السلطان ومن دونه تقادم سنية

وفي شوال أرسل السلطان ثلاثمائة مملوك إلى جزيرة قبرس بمطالبة صاحبها بما استقر عليه من المال في كل سنة وأوصاهم أن يرسوا على بعض الجزائر ويراسلوه فإن أجاب بالامتثال رجعوا وصحبتهم ما يوصله لهم وإن امتنع اعتصموا ببعض الجزائر وراسلوا السلطان فعادوا بعد بضعة وعشرين يوما وصحبتهم أثواب صوف بقيمة ثلاثة آلاف دينار

وفيها حجب خوند جلبان زوج السلطان وكانت أمته فأعتقها وتزوجها وصيرها أكبر الخوندات وجهزها في هذه السنة تجهيزا عظيما وأرسل صحبتها جوهر اللالا وناظر الجيش ونصب في الودك المتعلق بها على شاطئ النيل وكان امرا مهولا وسافروا بالمحمل من أجلها في ٧ شوال ورحلوا به من البركة يوم الحادي والعشرين منه قبل العادة بثلاثة أيام

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٧٥

وفي ١٢ ذي القعدة أوفى النيل ستة عشر ذراعا ونودي عليه بزيادة نصف ذراع بعد الستة عشر وذلك في تاسع عشري أبيب وقد تقدم في سنة خمس وعشرين انه أوفى في تاسع عشري أبيب أيضا ولكن بزيادة اصبعين على الستة عشر فقط وأوفى قبل ذلك في سنة ست عشرة آخر يوم من أبيب وهي من النوادر وافسد تعجيل الزيادة من الزروع التي بالجزائر شيئا كثيرا كالبطيخ والسمسم

وفيها قدم الامير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك في ذي القعدة فأخبر أن نائب الشام اقام أياما محتجبا فأنكر عليه وسباي الحاجب الكبير فأجابه بالشتم والضرب والإهانة وخرج النائب إلى ظاهر البلد فأقام هناك فوقع الراي على رجوع ابن منجك بخلعة استمرار للنائب وأخرى للحاجب وأن يصلح بينهما فبادر وصحبته سودون ميق وهو يومئذ أمير آخور ثاني فاصلحا بينهما واستمر الحال واشتهر فيها وقوع زلزلة بالأندلس هدم بها من الأمكنة شيء كثير

وفيها نودي على الذهب بأن كل أشرفي بمائتين خمسة وثلاثين ومن خالف ذلك شنق في يده فاستمر على ذلك

وفها قدم غادر بن نعير على السلطان مفارقا لاخيه قرقماس فأكرمه وأمره عوضا عن أخيه فلما رجع عصى وآذى بعض الناس فأرسل السلطان إلى نائب حلب ونائب حماة أن يركبوا عليه فبلغه ذلك فهرب وأحاطوا بما وجدوه من ماله

وفيها أرسل شاه رخ قرايلك في طلب إسكندر بن قرا يوسف فواقعه فانهزم اسكندر وفر إلى بلاد الكرج فنزل بقلعة سلماس وبعث إليه شاه رخ عسكرا فقاتلوه إلى أن انهزم ونجا بنفسه جريحا فاتفق أنه **وقع الغلاء ثم الوباء في** عسكر شاه رخ فكر راجعا إلى بلاده

وفي العشرين من ذي الحجة مات فارس الذي كان رأس المماليك المقيمين بمكة لكف أذى وكان غيره قد توجه عوضه مع الحاج ورجع هو مبشرا فمات في الطريق وتاخر قدوم المبشرين بسبب ذلك يومين عن العادة فقدموا في ثامن عشري ذي الحجة وأخبروا بالرخاء لكن كان الماء قليلا

ذكر من مات

في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة من الأعيان ." (١)

" محمود بن أحمد بن محمد الفيومي الأصل نور الدين الحموي ابن خطيب الدهشة ولد سنة خمسين وسبعمائة وسمع من جماعة وتفقه ببلده على علمائها في ذلك العصر ودخل الشام ومصر طالب

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٧٩

علم ثم ولي قضاء حماة في أول دولة المماليك المؤيد وباشر مباشرة حسنة بعفة ونزاهة وصرف بزين الدين ابن الخزري في أوائل سنة ست وعشرين واختصر القوت للأذرعي وسماه لباب القوت وله تكملة شرح المنهاج للسبكي وشرح الكافية الشافية في العربية وله منظومة في الخط وشرحها وهذب المطالع لابن قرقور في قدر ضعفه وانتهت إليه رئاسة المذهب بحماة مع الدين والتواضع المفرط والعفة والانكباب على المطالعة والاشتغال والتصنيف وكان مشاركا في الأدب وغيره وحسن الخط ؛ مات في يوم الخميس تاسع عشر شوال بحماة وكانت جنازته مشهودة ومن نظمه :

وصل حبيبي خبر ... لانه قد رفعه

ينصب قلبي غرضا ... إذ صار مفعولا معه

وبينه وبين الشيخ بدر الدين ابن قاضي أذرعات مكاتبات منظومة

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

وفي تاسع عشر المحرم وصل الأمير طرباي نائب طرابلس فسلم على السلطان وخلع عليه فأقام خمسة أيام ورجع إلى بلده

وفي شهر رمضان منها استقر دولات خجا الظاهري في ولاية القاهرة عوضا عن التاج واستقر التاج في بقية – وظائفه وكان هذا ظالما غاشما ولي كشف الوجه القبلي فتعدى الحد في العقوبة حتى كان يأمر بأن ينفخ في دبر من يريد عقوبته حتى تندر عيناه وينفلق دماغه ثم ولي كشف الوجه البحري ثم استقر في الولاية فجمع كل من في سجن الوالي من أولى الجرائم فأطلقهم وحلف جهد يمينه أنه متى ظفر بأحد منهم وسطه وفعل ذلك ببعضهم فكفوا وركب في الليل وطاف وأكثر من ذلك وألزم الباعة بكنس الشوارع ورشها ووقيد القناديل في حوانيتهم كل ليلة ومنع النساء من الخروج إلى الترب أيام الجمع فاستمر على ذلك قدر شهرين ثم أعيد التاج

وفي الخامس من صفر انتشر بمصر جراد كثير في الآفاق ولكن لم يحدث منه شر ووردت الأخبار بأنه وقع فيما بين بغداد وتبريز فلم يدع خضراء وكثر فساده **وعم الغلاء حتى** حدث منه الشدائد **وأعقبه الوباء المفرط** وفيه أعيد آقبغا الجمالي لكشف الوجه القبلي وفي ربيع الآخر نزل بعض المماليك من الطباق لنهب بيت الوزير وكان استعد لهم فلم يظفروا به ولا بشيء منه فلما أصبح استعفى من الأستادارية فقرر السلطان فيها الصاحب بدر الدين بن نصر الله في ثالث عشري ربيع الآخر فباشرها شهرين ثم انفصل وأعيد آقبغا الجمالي في جمادى الآخرة وسبب ذلك أنه كان حصل من الصعيد بالظلم والعسف مالا كثيرا فرافعه

بعض الناس فسعى في الحضور فأجيب فسعى في الأستادارية على أن يزن عشرة آلاف دينار ويلتزم بالتكفية فأجيب ثم حوقق على جهات احتاط عليها فزيد على الذي وعد به خمسة آلاف دينار فالتزم بها ." (١)

" وفي سابع عشر شعبان وهو الثالث والعشرون من برموده أرعدت السماء وأمطرت مطرا غزيرا في هذه السنة تقطع غالب الجسور التي عملت للنيل فشرق بسبب ذلك كثير من الأراضي وفي أول رمضان تراءى الناس الهلال فخفى عليهم فشهد به إثنان بعد العشاء فثبت فلما أصبح السلطان استغرب ذلك لكونه تراءى هو ومن معه ومكانهم بالقلعة مرتفع جدا وكانت السماء صاحية فاستدعى بالشهود فحضروا عنده فامتحنهم بأن فرق بينهم وبأن ألزمهم أن يشيروا إلى الجهة التي رأوا الهلال فيها في أول ليلة ففعلوا فلم يخطئوا فمضى الأمر واتفق في هذه السنة أنهم لم يروا الهلال ليلة الترائي ثم ثبت في اليوم الثاني من ذي الحجة فتوافق العيدان في المعنى المذكور وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى الصيد والتنزه حتى ركب في يوم واحد إلى بيت ناظر الجيش ثم إلى بيت ناظر الخاص فحملا له تقادم جليلة وفيه استقر الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ ا ت في كتابة السر مضافا للوزارة في ثالث شوال عوضا عن ابن السفاح وكان السلطان أرسل إلى شهاب الدين ابن الكشك قاضي الحنفية بدمشق بأن يحضر ويستقر في كتابة السر فأرسل بالإعتذار وبذل مالا على الكف عنه فأجيب واستقر كريم الدين فباشر قليلا ثم صرف بعد قليل لما حضر ابن البارزي وفي ذي القعدة استقر القاضي عز الدين عبد العزيز بن علي البغدادي في قضاء الحنابلة بدمشق وفي أواخر جمادى الأولى صرف العينابي من الحسبة واستقر صلاح الدين بن بدر الدين بن نصر الله

وفي شوال قتل نصراني وقع في حق داود عليه السلام فحبس مدة ليسلم فأصر فقتل

وفي هذه السنة ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة والأشاعرة بدمشق وتعصب الشيخ علاء الدين البخارى نزيل دمشق على الحنابلة وبالغ في الحط على ابن تيمية وصرح بتفكيره فتعصب جماعة من الدماشقة لابن تيمية وصنف صاحبنا الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين جزءا في فضل ابن تيمية وسرد أسماء من أثنى عليه من أهل عصره فمن بعدهم على حروف المعجم مبينا لكلامهم وأرسله إلى القاهرة فكتب له عليه غالب المصريين بالتصويت وخالفوا علاء الدين البخارى في إطلاقه القول بتفكيره وتفكير من أطلق عليه أنه شيخ الإسلام وخرج مرسوم السلطان على أن كل أحد لا يعترض على مذهب غيره ومن أظهر شيئا مجمعا عليه سمع منه وسكن الأمر ؛ واستقر جارقطلي في نيابة الشام في ثامن عشرى رجب وفيه ألزم أهل سوق الخيل أن لا يبيعوا لمعم فرسا ولا لجندي من أولاد الناس ثم بطل ذلك عن قرب وفيه وقع الفناء في الخيول فأخذت

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٨٣

الناس من الربيع ثم شفع فيهم فأعيد أكثرها وتوجه عدة من الأمراء إلى بلاد الريف لأخذ الخيول من أيدي الفلاحين

وفي ثالث ربيع الآخر أمر السلطان بإخراج من في السجون على الديون والمصالحة عنهم وفي أولها اهتم السلطان بأمر الأسعار وأمر بإخراج البذر من حواصله للأراضي البائرة فكثر الزرع وفرح الناس بذلك وتراجع السعر . وفيها مات جينوس بن ثاني الفرنجي متولي قبرس الذي كان أسر ووصل الخبر بذلك في ذي القعدة واستقر ولده مكانه فبذل الطاعة لصاحب مصر والتزم بما كان أبوه التزم به وأرسل مع رسل السلطان إليه بذلك أربعة وعشرين ألف دينار وكان السلطان الأشرف جهز إلى جوان ابن جينوس الفرنجي متولي قبرص رسولا فقابله بالإكرام وقبل الأرض قائما أمام الكتاب وأجاب بالطاعة وأنه نائب عن السلطان وجهز المال الذي كان تأخر على والده وجهز سبعمائة ثوب صوف ملونة وسألوا السلطان أن يكون عندهم نائب من جهته فأرسل إليهم أميرا ومعه أربعون مملوكا

وفيها اشتهر خراب الشرق من بغداد إلى تبريز **وكثر الغلاء حتى** بيع الرطل اللحم بنصف دينار وأكلوا الكلاب والميتات ثم **فشا الوباء في** العراق والجزيرة وديار بكر . وفيها أمر القضاة بإحضار جميع نوابهم إلى السلطان ليعرفهم ففعلوا ذلك في أول ذي القعدة ثم أمروا بتأخير النواب فسألهم السلطان عن النواب فوقع الكلام إلى أن قال السلطان : يستقر للشافعي خمسة عشر وللحنفي عشرة وللمالكي سبعة وللحنبلي خمسة فامتثلوا ذلك ثم قال : لا يستنب أحد من غير مذهبه بالقاهرة وأما الضواحي فيستنيب الشافعي عز الدين الحنبلي في قضاء الشام عوضا عن نظام الدين ابن مفلح

ذكر من مات

في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة من الأعيان ." (١)

" محمد بن عبد الحق بن إسماعيل السبتي أبو عبد الله ولد سنة ٧٨٣ ، وأخذ عن الحاج أبي القاسم بن أبي حجة ببلده ووصل إلى غرناطة فقرأ بالأدب وقدم القاهرة سنة ٣٢ فحج وحضر عندي في الإملاء فزار وأوقفني على شرح البردة له وله آداب وفضائل ؛ مات في صفر

محمد بن علي بن موسى الشيخ شمس الدين الدمشقي المعروف بابن قديدار . ولد سنة ١٥٢ تقريبا لأنه قال : كتب في فتنة تنبغا روس رضيعا وقرأ القرآن في صغره وحفظ المنهاج والعمدة والألفية وتلا بالسبع على جماعة منهم ابن اللبان وصحب الشيخ أبا بكر الموصلي والشيخ قطب الدين وأقبل على العبادة

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٨٦

واشتهر من بعد سنة تسعين حتى أن اللنك لما طرق الشام أرسل من حماه وحمى من معه وكان شيخ المؤيد يعظمه وأرسله في سنة ثمان وثمانمائة رسولا عنه إلى الناصر فاجتمعنا به بالقاهرة ومصر وسمعنا من فوائده وكان سهل العريكة لين الجانب متواضعا جدا محبا في العلماء والمحدثين وكان قدم رفيقا له في ذلك الشيخ شهاب الدين بن حجى فنزلا بمدرسة البلقيني ثم بمدرسة المحلى على شاطئ النيل ثم رجعا وبنى شيخ له زاوية وكان يتردد إلى بيروت للمرابطة وله بها زاوية فيها سلاح كثير وكلمته نافذة عند الفرنج ويكتب إليهم بسبب المسلمين فيقبلون ما يكتب به وحصل له في آخر عمره ضعف في بدنه وثقل سمعه ؛ ومات ليلة عيد الفطر ودفن صبيحتها وكانت جنازته مشهودة وصلينا عليه بحلب صلاة الغائب

منكلى بغا الحاجب وهو من مماليك الظاهر اشتغل كثيرا وكتب الخط الحسن وولي حسبة القاهرة في دولة المؤيد وأرسله الناصر فرج إلى اللنك وكان يذاكر بشئ من الفقه ؛ مات – في ليلة الخميس – في حادى عشر ربيع الأول

يوسف جمال الدين بن صاروجا بن عبد الله المعروف بالحجازي تنقلت به الأحوال في الخدم وعمل أستادارا وتقدم في أواخر دولة الناصر عند الدويدار طوغان وكان زوج ابنته ويدعوه : أبي وكثر ذلك حتى صار يقال له : أبو طوغان وكان عارفا بالأمور

خوند والدة عبد العزيز بن برقوق

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أولها الثلاثاء بلا نزاع فإن الهلال غاب ليلة الثلاثاء قبل العشاء بنحو نصف ساعة وفي الحساب أولها الإثنين وفي أول يوم منها أوفى النيل ثم كسر الخليج في يوم الأربعاء الثاني منه واستمرت الزيادة إلى يوم وصول العسكر واستهلت ونحن بالطريق إلى غزة ورحل السلطان منها يوم الخميس يوم عاشوراء وساق على الطريق التي توجه فيها وأرسل إلى القدس خمسة آلاف دينار صدقة وكان الوصول إلى بلبيس يوم الجمعة ثامن عشرة ومات ما بين غزة وبلبيس من الجمال والبغال والحمير والخيول مالا يحصى كثرة بحيث صارت الأرض منتنة الرائحة مع شدة الحر ووصل إلى خانقاه سرياقوس ليلة السبت فأصبح فدخل القاهرة في موكب عظيم جدا وشق القاهرة وأمامه الخليفة والقضاة والأمراء . وزينت له المدينة . وبعد يومين وصل الحاج وأخبروا بالرخاء والأمن وأنه مات منهم في طريق المدينة خلق كثير من شدة الحر وأمطرت السماء مطرا غزيرا فنقص النيل نقصا فاحشا وكان انتهى إلى سبع عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعا فبادروا إلى

كسر سد الأميرية فظهر النقص فيه وانكشف كثير من الأراضي واستشعر **الناس الغلاء فبادروا** إلى خزن الغلال – والله المستعان ." (١)

" فبعث ناصر الدين زوجته خديجة والدة فياض تشفع في ولدها وجهز معها هدية ومفاتيح قيصرية وأن يكون زوجها ناصر الدين بك نائبا عن السلطان فيها فوصلت حلب في رمضان فوصلت القاهرة في آخر شوال فقبلت هديتها وأفرج عن ولدها وأعطي نيابة مرعش واستقر أبوه على حاله بقيصريه وكان إبراهيم بن قرمان راسل السلطان أن يعطيه قيصرية على أن يحمل كل سنة عشرة آلاف دينار وغيرها فأمره قرقماس نائب حلب أن يتجهز إلى أخذها ويسلمها لابن قرمان فوقع لصاحبها ما ذكر فبطل ذلك وفي أثناء ذلك لجأ حمزة إلى ابن عمه سليمان بن ناصر الدين بك واجتمع جانبك الصوفي الذي كان أميرا بمصر وسجن بالإسكندرية وهرب من أول الدولة الأشرفية بعد أن اختفى ثلاث عشرة سنة واستمرار السلطان في التنقيب عليه فجز داوداره ومحمد بن كند غدي ابن رمضان إلى ناصر الدين بك ابن دلغادر بالأبلستين فحلفاه على أنه إذا قدم عنده جانبك الصوفي لا يسلمه ولا يخذله ثم اجتمع جانبك بسليمان بن دلغار فتلقاه هو وأمراؤه وأمراء قلماس بن كبك ومحمد ابن قطلبك ونزلوا بملطية فجاء إليهم ناصر الدين بك ثم توجهوا جميعا إلى محمد بن قرا يلك وهو بقلعة كركر فقواهم ثم نازلوا قلعة ديركي وضايقوا أهلها بالحصار وجاء قاصد شاه رخ إلى قرا يلك يأمره بالمسير إلى قتال إسكندر بن قرا يوسف فترك جابي بك الصوفي ومن معه بدوركي وتوجه بجماعته إلى ملطية فحاصرها فمشى عليه إسكندر وأغار على أرزن الروم فأخذها ففر قرا يلك إلى آمد فأقام بها ثم خرج إلى ارقنين فلما كان في صفر سنة تسع وثلاثين التقى إسكندر بن قرا يوسف وقرا يلك على أرزن الروم فخرج على قرا يلك كمين لإسكندر فهزمه فلما كاد يؤخذ رمى بنفسه في خندق المدينة فغرق فطلع به أولاده بعد ذلك فدفنوه هناك فجاء إلى اسكندر من عرفه بذلك فأرسل من أخرجه من قبره بعد ثلاثة أيام وحز رأسه ورأس اثنين من أولاده وثلاثة من ألزامه وأرسلهم إلى القاهرة فنصبت على باب زويلة وذلك في ربيع الأول وزينت القاهرة فرحا بذلك وأكرم السلطان قصاد الإسكندر وأعطاهم مالا وقماشا بقدر عشرة آلاف دينار وكتب سليمان بن دلغادر إلى جانبك الصوفي بأنه معه معينا له على مقاصده فاغتر بذلك فاجتمعا بملطية فبالغ في إكرامه والمناصحة له وأقاما على ذلك مدة ثم خرجا يوما للصيد والتنزه فأبعدا في ذلك وكان جانبك قد رتب فرسانه وجماعته على حصار ديركي فقبض أصحاب سليمان

---

(١) انباء الغمر، ص/٥٩٧

على جانبك وقيدوه وسرى به سليمان على الدمس ليلة كاملة حتى صبح الأبلستين فسجنه وراسل السلطان الملك الأشرف يعلمه بالقبض عليه

وفيها جرد أربعة أمراء من الألوف إلى عرب البحيرة والسبب في ذاك أن وكانت طائفة من عرب لبيد قحلت بلادهم فدخلوا البحيرة وصالحوا أهلها فمكنوهم من التوجه إلى عرب محارب بالوجه القبلي فنزلوا في الأراضي التي بارت من الزرع وطلع فيها مرعى يقال له الكتيح - بكاف ومثناة ومهملة مصغر - فلم يمكنهم الكائف من الرعي فيه إلا ببذل مال فأنفقوا من ذلك ووقع بينهم قتال فكان ذلك سبب بعث الأمراء فنهبوا منهم كثير من جمالهم وفروا من أيديهم فرجع الأمراء في شعبان

وفي رمضان الوافق لبرمودة من أشهر القبط عند دخول فصل الصيف وقع بمصر مطر غزير دلفت منه البيوت وجاء سيل عظيم بحيث أقام بالصحراء أياما . وقرأت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي ورأيت في كتاب ورد من أرض الحبشة فيه : وفي أول رجب أي سنة ثمان وثلاثين غزا الأمير خير الدين أخو السلطان مدلاي بن سعد الدين بلادا للقرم فتح سبعة أبواب من أبواب الحطى وانتصر عليهم وقتل أميرا من ألزام الحطى وحرق بلادهم وأخذ من المال غنيمة شيئا كثيرا وقتل منهم عددا كثيرا ورجعوا ومعهم من الذهب والفضة والزرد والدروع والوصفان كثير ولم يسوقوا شيئا من الإبل والبقر والغنم ولا العجائز والشيوخ بل جعلوا عليهم علامات وخربوا ست كنائس وعدة قرى ورد ألف بنت من المسلمين ووصفوا خير الدين بعدل كثير والرخاء عندهم كثير

وفيها مات الحطى ووقع الخلف بعده . ثم اتفقوا على صبي صغير وسلطانهم مدلاي عادل خير

وفيها وقع الوباء في بلاد المسلمين والكفار فمات به خلق كثير جدا وفي شوال منها خرج خير الدين أيضا غازيا ." (١)

" وفيها وقع الوباء ببلاد كرمان و فشا الطاعون بهراة حتى سمعت اقطعوه الذي كان رسولا إلى شاه رخ ملك الشرق يقول - إنه سمع وهو عند شاه رخ أن عدة من مات بهراة ثمانمائة ألف . وتوجه شاه رخ في جمع عظيم لقتال اسكندر بن قرا يوسف والسبب في ذلك أن اسكندر كان نازل قلعة شماخي من بلد شروان وقاتل صاحبها خليل ابن إبراهيم الدربندي مدة فاغتنم غيبة اسكندر في الصيد فهجم على عسكره فقتل منهم ناسا واسر ولد اسكندر وابنته وزوجته فبعث بالابن إلى شاه رخ فسيره إلى سمرقند ووقف خليل بنت اسكندر وزوجته في الخرابات مع البغايا فلما عاد اسكندر غلب على شماخي حتى خربها ونهب ما

---

(١) انباء الغمر، ص/٦١٢

بها من الأموال وأفحش في القتل والسبي فهرب خليل واستنجد بشاه رخ فخرج في نصرته وظفر اسكندر ببنت خليل وامرأته فوقفهما في البغايا وألزم واحدة منهما أن تمكن خمسين رجلا يزني بها جزاء ما فعل خليل وكان خروج شاه رخ في ربيع الأول فنزل على قزوين في رجب وأمر فيروز شاه أمير الأتراك أن يتوجه إلى البلاد ما بين قزوين إلى السلطانية إلى تبريز وسائر العراقين وينادي بعمارة ما خرب من البلاد وزراعة ما تعطل من الأرض وغراس البساتين وحط الخراج عمن زرع إلى خمس سنين وإعانة الزراع والفلاحين بالبذر والمال

فلما بلغ آبهان بن قرا يوسف خبره راسل شاه رخ بأنه في طاعته فكف عنه – ثم أرسل شاه رخ ولده أحمد إلى ديار بكر في ذي الحجة وأقام على قرا باغ وجد في عمارة تبريز واظهر العدل إلى أن كان ما سنذكر في السنة المقبلة

وفي هذا الشهر نزلت الشمس برج الحمل في يوم الأحد ثالث عشري شعبان في النصف من برمهات من أشهر القبط وانقضى فصل الشتاء والبرد أشد ما كان كنحو الذي كان في طوبة من اشهر القبط وهو كانون من أشهر الروم ثم بعد ثلاثة أيام هجم الحر دفعة واحدة فدام على ذلك سبعة أيام ثم عاد البرد على الحال واستمر في رمضان إلا أنه في العشر الأخير منه تناقص ووقع بعض الحر

وفي يوم الخميس سادس عشري شعبان برز الأمراء بمقدمة العسكر المجرد إلى حلب إلى الريدانية وخرج آخرهم يوم الجمعة وهم سبعة أمراء فيهم الأتابك والدويدار الكبير والحاجب الكبير فتوجهوا فلما استهل شهر رمضان بيوم أشيع خروج بقية العسكر مع السلطان ثم فتر العزم

وفي شهر رجب اجتمعت طائفة من عرب بني حرب ومنازلهم حول عسفان بعد أن كانوا يفرقون في أعمال... فنهبوا غنما لبعض أهل مكة فقبض ابن عجلان على الغنم وردها لأصحابها وأنكر عليهم

فاعتذروا بأنهم اتفقوا مع والده حسن بن عجلان إن لا حرج عليهم من قبله فيما يفعلونه في غير الحرم فأنكر ذلك وأمر بالغارة عليهم فخرج إليهم طائفة من أهل مكة منهم أخوه علي بن حسن ووزيره سليمان وميلب بن علي بن مبارك بن رميثة وخرج أرنبغا مقدم المماليك المقيمين بمكة من قبل سلطان مصر ومعه عشرون مملوكا وذلك في الثالث عشري من شهر رجب فأوقعوا بهم فقتلوا منهم طائفة وانهزم الباقون واستاقوا إبلا كثيرة واشتغل من طلب النهب فكمن لهم بعض من انهزم في مضيق فأخذوهم على غرة فقتل ميلب وفر أرنبغا وقتل من أهل مكة نحو الثلاثين ومن الترك ثمانية أنفس ونهب جميع ما معهم ودخلوا مكة في أسوأ حال وفاز العرب بالغنيمة وتوجهوا إلى بلادهم فصادفهم وصول الوزير وولي الدين بن قاسم

ويلخجا الذي قرر شادا على البهار بجدة فبلغهم طرف من الفضة فأخذوا حذرهم فمروا بمكان الوقعة فدفنوا بعض القتلى وتوجهوا خائفين فلم يلقوا أحدا ودخلوا مكة سالمين في أول يوم من شعبان فتوجه أرنبغا ومن بقي معه من الترك إلى القاهرة فدخلوها في أوائل العشر الثاني من شهر رمضان وذكروا أنه وصل إلى مكة ناس من التجار ومعهم بضائع من قبل شاه رخ ابن اللنك أمر ببيعها بمكة وتفرقتها فيها صدقة على من عينه من أهل مكة وان المتكلم على البضائع من قبل سلطان مصر أساء عشرتهم وأخذ منهم عشور ما معهم وكاتب السلطان يستأذنه في تمكينهم من بيع ما أحضروه ومن تفرقته ." (١)

" وفي السابع من شهر رمضان قرر خليل الذي كان نائب الإسكندرية في الوزارة وصرف تاج الدين الخطير وكان قد أظهر العجز فاتفق أن لحم المماليك الاجلاب تأخر فرجموه فسعى في الاستعفاء فأناط السلطان الأمر بناظر الجيش فتروي في الأمر ثم قرر هذا فباشر دون الشهر ثم عجز وقصر – فتغيظ السلطان فتلافى ناظر الجيش الأمر وآل الأمر – إلى أن صرف خليل عن الوزارة وتكلم ناظر الجيش في ذلك إلى أن يصل كريم الدين ابن كاتب المناخات – من جدة فأقام ناظر الدولة يتصرف ويراجعه واستمر الحال إلى أن قدم كريم الدين واستهل شوال يوم الأربعاء فلبس السلطان الأبيض وذلك قبل العادة القديمة بأسبوعين – فإن العادة جرت أن يكون ذلك في ثامن بشنس فوقع هذا في الثالث والعشرين من برمودة

وفي ليلة السبت ثاني ذي القعدة ولد علي بن محمد ابن كاتبه أنشأه الله صالحا في دينه ودنياه وأمطرت في صبيحة هذا اليوم بعد طلوع الشمس واستمر في طول النهار أحيانا وذلك في رابع عشري بشنس وكان تقدم قبل ذلك سموم حارة في معظم النهار في الجمعة التي قبلها وفي الليل واضر ذلك بكثير من الخضراوات . وفيه نودي بمنع ضرب أواني الفضة وآلاتها وشدد على من يحمل الدراهم المضروبة إلى الحجاز لان التجار يستفيدون فيها لرغبة الهنود في الفضة فلذلك قلت بأيدي الناس

وفيه استقر شمس الدين الصفدي في قضاء الحنفية بدمشق على مال يحمله وكان قدم القاهرة ليخف عنه فزيد عليه

وفي ليلة السبت خامس عشري الشهر هبت هواء باردة بحيث عاود الناس لبس الصوف وخصوصا في الليل وفي أوائل النهار وذلك عند انفصال فصل الربيع ودخول فصل الصيف

واستهل شهر – ذي الحجة بالسبت وكنا تراءيناه فتعسرت رؤيته ثم ثبت في اليوم الثاني

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٢٤

وفي يوم الخميس سادس ذي الحجة نودي على البحر وكانت القاعدة يومئذ سته أذرع وستة عشر إصبعا

وفيها وصل حمزة بك بن علي بن دلغادر فوقف بين يدي السلطان فقبض عليه وسجن

وفيها وقعت بين خجا سودون ومن معه من جيش حلب وبين قرمش ومن معه من اتباع جانبك الصوفي بعينتاب وقعة كبيرة أمسك فيها قرمش وجماعة ممن فر إلى جانبك وسر السلطان بذلك لما وصل إليه الخبر -

وفيها على ما قرأت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي أنه بلغه في مجاورته بمكة هذه السنة أن أندراس الحطي صاحب مملكة الحبشة الكفرة مات في الطاعون العظيم الذي وقع في بلاد الحبشة حتى مات بسببه من لا يحصى من المسلمين والنصارى وأقيم بعده ولد له صغير فغزاهم شهاب الدين أحمد الملقب بدلاي ملك المسلمين بالحبشة فغنم وسبى وفتح عدة قرى واستنقذ الباني وهي بلدة من بلاد المسلمين كان العدو غلب عليها فأنزل بها ألف بيت من المسلمين وأقام أخاه خير الدين في بلد ركله ونشر العدل وأمنت الطريق في زمانه - ولله الحمد

وفي هذه السنة فشا الوباء في بلاد اليمن سهلها وجبلها إلى صعدة وصنعاء وفي مقابلها من بلاد بربر والحبشة والزنج

ذكر من مات

في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

إبراهيم أمير زاه بن شاه رخ صاحب شيراز وكان قد ملك البصرة وكان فاضلا حسن الحظ جدا مات في رمضان

أحمد بن شاه رخ ملك الشرق مات في شعبان بعد أن رجع من بلاد الجزيرة وأرزن الروم فحزن عليه أبوه واتفق أنه مات له في هذه السنة ثلاثة أولاد كانوا ملوك الشرق بشيراز وكرمان وهذا كان أعهدهم ويقال له أحمد جوكي

أحمد بن عبد العزيز الشبكي ثم الشيرازي الشيخ همام الدين قرأ على الشريف الجرجاني قرأ عليه المصباح في شرح المفتاح وقدم بمكة فنزل في رباط اشت فاتفق أنه كان يقرئ في بيته فسقط بهم البيت إلى طبقة سفلى فلم يصب أحد منهم بشيء وخرجوا يمشون فلما برزوا سقط السقف الذي كان فوقهم وكان

حسن التقرير قليل التكلف مع لطف العبارة وكثرة الورع عارفا بالسلوك على طريق كبار الصوفية وكان يحذر من مقالة ابن العربي وينفر عنها مات في خامس عشري شهر رمضان

أحمد بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن محمد بن محمد الزاهدي الخباز المعمر العابد شهاب الدين خادم ضريح الشيخ رسلان لدمشق ذكر أنه ولد سنة ٧٣٩ ، واسمع من زينب بنت الكمال وغيرها فقرؤا عليه بإجازتها ولم يظهر له سماع ؛ ومات في تاسع جمادى الأولى وله مائة سنة وسنتان ." (١)

" إسماعيل بن عبد الخالق الأسيوطي مجد الدين ابن الشيخ كان وقورا ملازما حانوت الشهود قليل الشر وله سماع وحضور وإجازة من عبد الرحمن بن القارئ ؛ مات في ثاني المحرم

بابي سنقر بن شاه رخ صاحب كرمان مات في ذي الحجة وكان ولي عهد أبيه وفيه شجاعة موصوفة

تاج بن سينا بن عبد الله الشويكي – بالشين المعجمة والكاف مصغر نسبة إلى الشويكة مكان ظاهر دمشق – المعروف بالتاج الوالي وقديما كان يعاني خدمة الأكابر في الحاجة وذكر لي أنه كان يخدم الشيخ شهاب الدين ابن الجابي بدمشق ذكر لي مرارا ما يدل على أن مولده كان بعد الخمسين واتصل بالملك المؤيد قبل سلطنته بعد أن اتصل بالأمير الطنبغا القرمشي فخدمه وراح عليه فلما استقر في الملك بالقاهرة ولاه الشرطة فباشرها وفوض إليه في أثناء ولايته أمر – الحسبة فكان في مباشرته **ذلك الغلاء المفرط** ثم في أواخر الدولة صرف عنها واستقر استادار الصحبة وفي مرض موت المؤيد أعيد وحصل له في أوائل دولة الأشرف انحطاط منزلة وهو مستمر على الولاية ثم خدم الأشراف فراج عليه أيضا واستقر معه مضافا إلى الولاية المهمدارية وأستادار الصحبة وشاد الدواوين والحجوبية ونظر الأوقاف العامة وغير ذلك فأما الشرطة فكان الذي يباشرها عنه غالبا أخوه عمر ثم في الآخر صار كالمستبد ثم صرف واستقر غيره ثم صرف مرة أخرة وأعيد ابن الطبلاوي ثم صرف ومات وهو على هذه الوظائف كلها مات بعلة – بعسر البول في آخر يوم العشرين من المحرم وبلغني أنه كان لقي منه شدائد وكان يعتريه قبل هذا بحيث أنه شق مرة فخرجت حصاة كبيرة وأفاق دهرا ثم عاوده ثم كانت هذه القاضية وكان حسن الفكاهة ذرب اللسان لا يبالي بما – يقول وتنقل عنه كلمات كفر مخلوطة بمجون لا ينطق بها من قبله دون – ذرة من إيمان فإن كان... مرضا نفعه فإنه كان كثير الصدقة والبر المستمر ولم يتعرض السلطان لماله وترافع أخوه عمر وزوجته وقرر عليها خمسة آلاف دينار ثم أعفيت من ذلك باعتناء أهل الدولة

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٢٥

جلبان خوند الجركسية زوج السلطان ووالدة ولده يوسف الذي قرر أميرا كبيرا وهو مراهق وكانت من جواريه فأعتقها وتزوجها وحظيت عنده وحجت سنة أربع وثلاثين فكانت في عظمة زائدة مفرطة وماتت بعلة الصرع في يوم الخميس ثاني شوال وقد أقدم السلطان من أهلها عددا كثيرا أحضرهم من بلاد الجركس وأقطعهم وخولهم وخلفت من الأمتعة والملابس والنقد شيئا كثيرا جدا يقال يقرب من سبعين ألف دينار

الحسين الإمام العلامة المفتي الأمير ابن أمير المسلمين أبي فارس الحفصي وكان أخوه لما مات في العام الماضي استقر ولده في المملكة ثم أراد الحسين الثورة فظفر به فقتله وقتل أخوين له وعظمت المصيبة بقتل الحسين وكان فاضلا مناظرا ذكيا - ذكر لي ذلك صاحبنا الشيخ عبد الرحمن البرشكي رحمه الله تعالى

خشقدم الخصي الظاهري كان خازندار السلطان ثم صرف عنها واستقر زماما إلى أن مات وخلف مالا جزيلا يقارب مائة ألف دينار منه غلال مخزونة قومت بستة عشر ألف دينار وصار للسلطان من تركته مال كثير وكذا من تركة خوند زوجة يلبغا الناصري وقيل : وصل ثمنها قدر عشرين ألف دينار وكان مرضه بالقولنج في أوائل السنة فتعافى ثم انتكس مرارا إلى أن مات وكان شهما يحب الصيد وفيه عصبية وخلقه سيء إلى الغاية واتفق أنه كان أنشأ مكانا بالقرب من الأخفاقيين يجعله مدرسة وعجل ببناء صهريج وابتدأ في عمل سبيل لسقي الماء تكمل في مدة ضعفه وجرت لشمس الدين الرازي بسبب إثبات وقفية داره في مرض موته إهانة من جهة السلطان واستقر جوهر اللالا زماما بعد موت خشقدم مضافا لوظيفته

سعد بن محمد بن جابر العجلوني ثم - الأزهري الشيخ مات في شوال وكان خيرا دينا سليم الباطن ولكثير من الناس فيه اعتقاد وذكر عنه كرامات وكانت بيده إمامة المدرسة الطيبرسية المجاورة للجامع الأزهر ." (١)

" محمد ناصر الدين أبو المعالي بن السلطان الظاهر جقمق مات في السبت سحر الثاني عشر من ذي الحجة وكان مولده في شهر رجب سنة ٨١٦ ، وقرأ القرآن واشتغل بالعلم وحفظ كتبا ومهر في مدة يسيرة ونشا في معاشرة أهل العلم ولازم الشيخ سعد الدين بن الديري قبل أن يلي القضاء وتردد إلى كاتبه وأخذ عن شمس الدين الكافياجي الرومي وغيره وكان محبا في العلم والعلماء وولي الإمرة بعد سلطنة أبيه بقليل وجلس راس الميسرة وسكن الغور بالقلعة ووعك في أثناء السنة قدر شهر ثم عوفي ثم انتكس في أوائل شوال وأصابه السل فصار بنقص كل يوم ثم انقطعت عنه شهوة الأكل وخرج إلى النزهة في الربيع وهو

---

(١) انباء الغمر، ص/٦٢٦

بتلك الحال فما رجع إلا وهو كما به وطرأ عليه الإسهال واستحكم به السل وهو مع ذلك يحضر الموكب إلى أن صلى صلاة العيد ونزل إلى بيته بالرميلة فضحى ورجع واستمر إلى أن مات لم يتهيأ له أن يوصي وخلف بنتين وثلاث نسوة ووالديه وك ا ن حنفيا لكثرة من يعاشره ويلازم الشافعية وكان كثير البر والبشر قليل الأذى كثير الإنكار على ما لا يليق بالشرع غلا أنه كان منجمعا عن الكلام مع والده وكان يكظم غيظه إلى أن قدرت وفاته – فمات شهيدا فمنعهم أبوه من الاعتماد على ذلك ومنهم من يزعم أنه سقى ؛ ولم يثبت شيء من ذلك ودفن بقرب القلعة بالتربة التي أنشأها قانباي الجركسي لولده محمد . . وكان من أقرانه وكانت سيرة الآخر مشكورة ومات وله دون الثلاثين

يحيى بن العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي وهو ابن الخليفة السلطان المستعين بالله أمير المؤمنين بن المتوكل بن المعتضد مات بعد الظهر الثاني عشر من المحرم وأخرجت جنازته صبيحة الثالث عشر ودفن بالصحراء في حوش اتخذه لنفسه فدفن فيه أولاده ولم يخلف غير بنتين ولم يبلغ الأربعين وكان قد ترشح للخلافة لما مات عمه المعتضد داود وادعى أن والده عهد إليه فلم يتم له ذلك وكان من خيار الناس مشكور السيرة سليما مما يعاب – رحمه الله !

ولم يخلف ذكرا وخلف مالا جزيلا فيما قيل

جمال الدين بن المجبر التزمنتي . . الشيخ جمال الدين مات في ليلة الجمعة خامس عشر شهر رجب وكان فاضلا اشتغل كثيرا – ودار على الشيوخ ودرس في أماكن وناب في الحكم عن القاضي علم الدين ابن شيخنا البلقيني وكان صديقه وأظنه جاوز السبعين

جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب الشريف الجعفري الزيني الأسيوطي مدرس المدرسة الشريفية بأسيوط والمدرسة المذكورة إنشاء ابن عم أبيه زين الدين بن الناظر الاسيوطي وكان قد ولي الحك بها مدة

سنة ثماني وأربعين وثمانمائة

استهل المحرم منها يوم الاثنين وقد تزايد الطاعون وبلغ عدد الأموات في كل يوم زيادة على عشرين ومائة ممن يضبط في المواريث وقيل إنه يزيد على المائتين وأكثر من يموت الأطفال والرقيق ثم تزايد واشتد اشتعاله إلى أن دخل الحاج فتزايد أيضا ومات من أطفالهم ورقيقهم عدد جم ويقال إنه جاوز الألف في كل يوم

وفي يوم الاثنين ثاني عشري الشهر خرج أمير المجاهدين إينال الدويدار الكبير وكان خرج قبله باثني عشر يوما طائفة كبيرة تقدموا إلى إحضار المراكب من دمياط إلى الإسكندرية

وفي يوم الجمعة الثالث من صفر بعد صلاة الجمعة والشمس في الجوزاء أمطرت السماء مطرا يسيرا بغير رعد تقدمته ريح عاصف بتراب منتشر فسكن في الحال واصبح الناس يتحدثون أن الوباء قد تناقص عما كان

وفي ليلة الأحد خامس صفر وجدت وجعا تحت إبطي الأيمن ونغزة مؤلمة فنمت على ذلك فلما كان في النهار زاد الألم قليلا ونمت القائلة وانتبهت – والأمر على حاله فلما كان العاشر برزت تحت إبطي كالخوخة اللطيفة ثم أخذت في لخفة قليلا قليلا إلى العشر الأخير منه فذهبت كأن لم تكن – ولله الحمد !

وتناقص الموت إلى أن انحط ما بين العشرين والثلاثين

شهر ربيع الأول – أوله الخميس بالرؤية الواضحة ووافق الرابع والعشرين من بونة وفي يوم الجمعة اختبر القياس مكان الماء

وفي يوم السبت دار من يبشر بالنيل

وفي يوم الأحد نودي بالزيادة وقد – وصل هجان من الحجاز يخبر برخص الأسعار بمكة – وله الحمد !

وفيه ارتفع الطاعون نادرا ثم ارتفع جملة ." (١)

"وتواترت الأخبار بضعف العدو ووقوع الغلاء في بلادهم وعسكرهم حتى أن الغرارة من القمح بلغت في أنطاكية ستة وتسعين دياوا صورية، ولا يزيدهم ذلك إلا صبرا وإصرارا وعنادا. ولما ضاق بهم الأمر وعظم الغلاء وخرج منهم خلق عظيم مستأمنين من شدة الجوع عزموا على الخروج إلينا، وكان طمعهم بسبب مرض السلطان ، فظنوا أنه لا يستطيع النهوض، وكان خروجهم يوم الإثنين حادي عشر شوال بخيلهم ورجلهم حاملين أزوادا وخياما إلى الآبار التي استحدثها المسلمون تحت تل الحجل لما كانوا نزولا عليه وأخذوا عليق أربعة أيام، فأخبر رحمه الله بخروجهم على هذا الوجه، فأمر اليزك أن يتراجع من بين أيديهم إلى تل كيسان وكان اليزك على العياضية، وكان نزول العدو على الآبار بعد صلاة العصر من اليوم المذكور، وباتوا تلك الليلة واليزك حولهم جميع الليل، فلما طلع الصبح جاء من اليزك من أخبره بأنهم قد تحركوا للركوب، وكان قد أمر الثقل في أول الليل أن يسيروا إلى الناصرة والقيمون، فرحل الثقل وبقي الناس، وكنت في جملة من أقام في خدمته، وأمر العسكر أن يركب يمنة ويسرة وقلبا تعبية القتال، وركب هو، وصاح

---

(١) انباء الغمر، ص/٧٠٣

الجاويش بالناس، فركبوا وسار حتى وقف على تل من جبال الخروبة، وابتدأت الميمنة بالمسير، فسارت حتى بلغ آخرها الجبل، وسارت الميسرة حتى بلغ آخرها النهر بقرب البحر، فكان في الميمنة ولده الملك الأفضل صاحب دمشق وولده الملك الظاهر صاحب حلب وولده الملك الظافر صاحب بصرى وولد عز الدين صاحب الموصل علاء الدين خرم شاه، ثم أخوه في طرفها، ويليه قريبا منه حسام الدين لاجين والطواشي قايماز النجمي وعز الدين جرديك النوري وحسام الدين بشاره صاحب بانياس وبدر الدين دلدرم، وجمع كثير من الأمراء، وكان في الميسرة عماد الدين زنكي صاحب سنجار وابن أخيه معز الدين صاحب الجزيرة، وفي طرفها الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه، وكان عماد الدين زنكي غائبا مع الثقل لمرض كان ألم به وبقي عسكره، وكان في الميسرة على المشطوب وجميع المهرانية والهكارية وخشترين وغيرهم من الأمراء الأكراد، وفي القلب الحلقة السلطانية. وتقدم السلطان أن يخرج من كل عسكر جمع من الجاليش وأن يدوروا حول العسكر واليزك معهم وأخفى بعض الأطلاب وراء التلال عساهم أن يجدوا عزة من العدو. ولم يزل عدو الله يسير والناس من جميع جوانبه وهو سائر على شاطئ النهر من الجانب الشرقي حتى رأس العين وداروا حوله حتى عبروا الجانب الغربي ونزلوا والقتال يتلقف منهم الأبطال. ويصرع منهم الرجال. وكان نزولهم على تل هناك، وضربوا خيامهم هناك ممتدة منه إلى النهر. وجرح منهم في ذلك اليوم خلق عظيم، وقتل منهم أيضا جماعة وكانوا إذا جرح واحد منهم حملوه أو قتل دفنوه وهم سائرون حتى لا يبين قتيل ولا جريح، وكان نزولهم يوم الثلاثاء بعد الظهر وتراجعت العساكر إلى مواطن المصابرة ومواقف الحراسة، وتقدم السلطان إلى الميسرة أن تستدير بهم بحيث يقع آخرها على البحر والميمنة يستدير بالنهر من الجانب الشرقي والجاليش يقاتلهم بقربهم ويرميهم بالنشاب بحيث لا يقطع النشاب عنهم أصلا، وبات الناس تلك الليلة على هذا المثال، وسار هو رحمه الله ونحن في خدمته إلى رأس جبل الخروبة، فنزل في خيمة لطيفة والناس حوله في خيم لطاف بمرأى من العدو واجتاز العدو يتواصل ساعة فساعة إلى الصبح. ولما كان يوم الأربعاء وصل من أخبر أنهم تحركوا للركوب، فركب هو ورتب الأطلاب وسار حتى أتى أقرب جبال الخروبة إليهم بحيث يشاهد أحوالهم. ملتاث المزاج ضعيف القوى قوي القلب ثم بعث إلى العساكر وأمرها بالمقاتلة والمضايقة والحملة عليهم من كل جانب وأمر الأطلاب أن تحيط بهم بحيث لا تكون قريبة ولا بعيدة لتكون وراء المقاتلة إلى أن تضاحي النهار وسار العدو إلى شاطئ النهر من الجانب الغربي يطلب جهة جهة والقتال يشتد عليهم من كل جانب إلا من جانب النهر والتحم القتال فصرع منهم خلق عظيم وهم يدفنون قتلاهم ويحملون جرحاهم وقد جعلوا رجالتهم سورا لهم تضرب الناس بالزنبورك والنشاب حتى

لا يترك أحد يصل إليهم إلا بالنشاب فإنه كان يظهر إليهم كالجراد وخيالتهم يسيرون في وسطهم بحيث لم يظهر منهم أحد في ذلك اليوم أصلا والكؤسات تخفق والبوقات تنعر والأصوات بالتهليل والتكبير تعلو، هذا والسلطان يمد الجاليش بالأطلاب." (١)

"وذلك أن العدو لما دخل الشتاء عليهم وتواترت الأنداء واختلفت الأهواء وخم المرج وخما عظيما وقع معه موتا عظيما وانضم إلى **ذلك الغلاء الزائد** وانسد عليهم البحر الذي كان يجيئهم منه الميرة من كل جانب وكان يموت منهم كل يوم المائة والمائتان على ما قيل وقيل أكثر من ذلك، ومرض ابن ملك الألمان مرضا عظيما وعرض له مع ذلك مرض الجوف فهلك به في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ست وثمانين وحزن الإفرنج عليه حزنا عظيما وأشعلت له نيران هائلة بحيث لم يبق له خيمة إلا وأشعلت فيها الناران والثلاثة بحيث بقي عسكرهم كله نار وفرح المسلمون بذلك بمثل ما حزن الكفار بفقده وهلك منهم كبير يقال له الكندبالياط ومرض الكندهري وأشرف على الهلاك، وفي الرابع والعشرين منه أخذ منهم بركوسان فيها نيف وخمسون نفرا وفي الخامس والعشرين منه أخذ منهم أيضا بركوس وجميع ما فيه وكان من جملة ما فيه ملوطة ملك لة باللؤلؤ وهي من تفاصيل الملك وقيل كلن في البركوس ابن أخيه وأخذ أيضا.

ذكر غارة أسد الدين

وهذا أسد الدين هو شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير وهو صاحب حمص. وكان من حديثه أن السلطان كان قد رسم له أن يأخذ حذره من الإفرنج بطرابلس ويأخذ نفسه بحراسة المسلمين والفلاحين في تلك الناحية وأنه قيل له إن إفرنج طرابلس قد أخرجوا جشارهم وخيلهم إلى مرج هناك وأبقارهم ودوابهم وأنه قد قرر مع عسكره قصدهم فخرج على غرة منهم وهجم على جشارهم فأخذ منهم الخيل أربعمائة رأس ومائة من البقر فهلك من الخيل أربعون وسلم الباقي وعاد إلى البلد ولم يفقد من أصحابه أحد ووصل الكتاب بذلك في رابع صفر من سنة سبع وثمانين.

ذكر وقائع عدة في هذه السنة

وفي ثالث ربيع الأول كان اليزك للحقة السلطانية وخرج من العدو إليهم خلق عظيم وجرى بينهم وقعة شنيعة وقتل فيها من العدو جماعة وقتل منهم رجل كبير على ما قيل ولم يفقد من المسلمين إلا خادم للسلطان يسمى قراقوش وكان شجاعا عظيما له وقعات عظيمة كثيرة استشهد في ذلك اليوم، وفي تاسع الشهر بلغ السلطان أن العدو يخرج منه طائفة يتفسحون لبعدنا عنهم فاقتضى رأيه أن أنفذ أخاه الملك العادل وفي

---

(١) النوادر السلطانية، ص/٦٤

خدمته خلق عظيم من العساكر الإسلامية وأمره أن يكمن للعدو وراء التل الذي كانت فيه الواقعة المعروفة به فسار هو وجمع كان من كبراء أهله وأصحابه فكمن وراء تل العاضية وكان ممن كان معه من كبار أهله الملك المظفر تقي الدين وابنه ناصر الدين محمد والملك الأفضل ولده ومعه صغار أولاد الملك الأشرف محمد والملك المعظم طورانشاه والملك الصالح إسماعيل وكان من المعممين الفاضل والديون وكنت في الصحبة في ذلك اليوم وركب جماعة من الشجعان على الخيول الجياد وناوشوا العدو فلم يخرج في ذلك اليوم وكان قد وشي إليهم بحلية الأمراء إلا أن ذلك اليوم لم ينفك إلا بنوع نصر فإنه وصل في أثنائه خمسة وأربعون نفرا من الإفرنج كانوا قد أخذوا في بيروت وسيروا إلى السلطان ووصلوا في ذلك اليوم إلى ذلك المكان. ولقد شاهدت منه رقة قلب لم ير أعظم منها وذلك أنه كان فيهم شيخ كبير طاعن في السن لم يبق في فمه ضرس ولم تبق له قوة إلا مقدار تحرك لا غير فقال للترجمال قل له ما الذي حملك على المجيء وأنت في هذا السن وكم من ههنا إلى بلادك فقال بلادي بيني وبينها عدة أشهر. وأما مجيئي فإنما كان للحج إلى القمامة، فرق له السلطان ومن عليه وأطلقه وأعاده راكبا على فرس إلى عسكر العدو. ولقد طلب أولاده الصغار أن يأذن لهم في قتل أسير فلم يفعل فسألته عن سبب المنع وكنت حاجبهم بما طلبوه فقال لئلا يعتادوا من الصغر على سفك الدماء ويهون عليهم ذلك وهم الآن لا يفرقون بين المسلم والكافر. ولما أيس من خروج العدو عاد المخيم في عشية ذلك اليوم.

ذكر وصول العساكر الإسلامية والملك افرنسيس." (١)

"ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة وفيها رحل السلطان عن الخروبة وعاد إلى قتال الإفرنج على عكا وكان الإفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبراج طول البرج ستون ذراعا جاءوا بخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والمقاتلة وألبسوها جلود البقر والطين بالخل لئلا تعمل فيها النار فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الأول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم أحرقوا الثاني والثالث وانبسطت نفوس المسلمين بذلك بعد الكآبة ووصلت إلى السلطان العساكر من البلاد وبلغ المسلمين وصول ملك الألمان وكان قد سار من بلاده وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل فاهتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على **الألمان الغلاء والوباء** فهلك أكثرهم في الطريق. ولما وصل ملكهم إلى بلاد الأرمن نزل في نهر هناك يغتسل فغرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طائلة إلى بلادهم ولم يصل مع ابن ملك الألمان إلى الإفرنج الذين على عكا غير قدر ألف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم وبقي السلطان

---

(١) النوادر السلطانية، ص/٦٨

والإفرنج على عكا يتناوشون القتال إلى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الإفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وأزالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مصر فعطفت عليهم المسلمون وقتلوا من الإفرنج خلقا كثيرا فعادوا إلى خنادقهم وحصل للسلطان مغص فانقطع في خيمته ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن إذا أراد الله أمرا فلا مرد له.

ذكر غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة لما قوي الشتاء واشتدت الرياح أرسل الإفرنج المحاصرون عكا مراكبهم إلى صور خوفا عليها أن تنكسر وانفتح الطريق إلى عكا في البحر وأرسل البدل إليها وكان العسكر الذين خرجوا منها أضعاف الواصلين إليها فحصل التفريط بذلك لضعف البدل.

وفيها في ثامن شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب إربل وكان مع السلطان بعسكره ولما توفي أقطع السلطان إربل أخاه مظفر الدين علي كوكبوري بن زين الدين علي كوجك وأضاف إليه شهرزور وأعمالها وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسار مظفر الدين إلى إربل وملكها.

وفيها أقطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسميساط والموزر الملك المظفر تقي الدين عمر زيادة على ما في يده وهو ميافارقين ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس وبكراس.

ذكر استيلاء الإفرنج على عكا

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستمر حصار الإفرنج لعكا إلى هذه السنة وكانوا قد أحاطوا بها من البحر إلى البحر وحفروا عليها خندقا فلم يتمكن السلطان من الوصول إليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين من خارجهم من السلطان واشتد حصارهم لعكا وضعف من بها عن حفظ البلد وعجز السلطان عن دفع العدو عنهم فخرج الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وطلب الأمان من الإفرنج على مال وأسرى يقومون بها للإفرنج فأجابوهم إلى ذلك وصعدت أعلام الإفرنج على عكا ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرى من هذه السنة واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في أماكن من البلد وقالوا إنما نحبسهم ليقوموا بالمال والأسرى وصليب الصلبوت وكتبوا إلى السلطان بذلك فحصل ما أمكن تحصيله من ذلك وطلب منهم إطلاق المسلمين فلم يجيبوا إلى ذلك فعلم منهم الغدر واستمر أسر المسلمين ثم قتل الإفرنج منهم جماعة كثيرة واستمر الباقون في الأسر.

وبعد استيلاء الإفرنج وتقرير أمرها رحلوا عنها مستهل شعبان نحو قيسارية والمسلمون يساورونهم ويتخطفون

منهم ثم ساروا من قيسارية إلى أرسوف ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف أزالوا المسلمين عن موقفهم ووصلوا إلى سوق المسلمين فقتلوا من السوقة خلقا كثيرا ثم سار الإفرنج إلى يافا وقد أخلاها المسلمون فملكوها.." (١)

"وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقا ... يقول نصيبي أو أبوح بكتمان

عريف يلحاني إذا ما أتيته ... ولم أنصرف عنكم بواجب الحان

و قد جمعت تلك الطريقة عندنا ... أئمة حساب وأعلام كهان

إذا استنزلوا الأرواح عند الحلول تأرجحت ... مجامرهم عن زعفران واوبان

و إن فتحوا الدارات في رد آبق ... ثنت عزمه أوهام خوف وخذلان

فيحسب الله عز وجل الأرض حيث ارتمت به ... ركائبه سرعان رجل وركبان

و قد عاشرنا أسرة كيموية ... أقامت لدينا في مكان وإمكان

فلله من أعيان قوم تألفوا ... على عقد سحر أو على قلب أعيان

و نحن على ما يغفر الله إنما ... نروح ونغدو من رباط إلى حان

مع الصبح نضيفها عباءة صفة ... و الليل ندليها زنانير رهبان

أتذكر في سفح العقاب مبيتكم ... ثمانين شخصا من إناث وذكران

لديكم من الألوان ما لم يجيء به ... طهور أبن ذنون ولا عرس بوران

ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها، فلذا تركتها، ثم قال:

فاقسم بالأيمان لولا تعففي ... عن السوء لا نحلت عقيدة إيماني

فعد للذي كنا عليه فإن لي ... على الغير إن صاحبته حقد غيران

فمن يوم إذ صيرت ودي جانبا ... و أعرضت عني ما تناطح عنزان

و لا روت الكتاب بعد نفران ... محاورة من ثعلبان لسرحان

و ما هو قصدي منك إلا إجازة ... تخولني التفضيل ما بين خلاني

و إنك إن سخرت لي وأجزتني ... لنعم وليا صان ودي وجازاني

و لم لا ترويني وأنت أجل من ... سقاني من قبل الرحيق فرواني

و لا تنس للدباغ نظما عرفته ... فإنكما في ذلك النظم سيان

---

(١) النوادر السلطانية، ص/١٣٤

و مزدوجات ينسبون نظامها ... إلى أبن شجاع في مديح أبن بطان
و ألمم بشيء من خرافات عنتر ... و ألمع ببعض من حكايات سوسان
و إن كنت طالعت اليتيمة وانسى ... بلامية في الفحش من نظم واساني
أجزني بكشف الدك أرضى وسيلة ... و خير جليس في بساط ودكان
و ناولني المصباح فهو لغربتي ... ميسر أغراضي ورائد سلواني
و ألحق به شمس المعارف إنني ... أسائل عن إسناده كل إنسان
و قد كنت قبل اليوم عرفتني به ... و لكنني أنسيته بعد عرفان
و لا بد يا أستاذ من أن تجيزني ... ببدء أبن سبعين وفصل أبن رضوان
و كتب أبن أخلي كيف كنت فإنها ... لوزن رقيق القول أكرم ميزان
و لا تنس ديوان الصبابة والصفا ... لإخوان صدق في الصفا خير إخوان
و زهر رياض في صنوف أضاحك ... و جبذ كساء في مكايد نسوان
كذاك فناولني كتاب حباحب ... و زدني تعريفا بها وببرجان
و لي أمل في أن أروي رسالة ... مضمنة أخبار حي بن يقظان
و حبس على الكاس والكوز والعصا ... فإنك مثر من عصي وكيزان
و صير لي الدلفاس أرفع لبسة ... فقد جل قدري عن حرير وكتان
و قد رق طبعي وأعتراني خشية ... يكاد بها روحي يفارق جثماني
و خل مفاتيح الطريقة في يدي ... و سوغ لهم مزيدى ونقصاني
فإني لم أخدمك إلا بنية ... و إني لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لي بالأسرار افصح معلن ... فإني قد أخلصت سري وإعلاني
انتهت المقامة. وأثبتها لأنها أخف ما رأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي، رحمه الله وسامحه، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل الإحماض، ولم يعنوا غالبا إلا إظهار البلاغة والاقتدار، كما فعل الحريري وغير واحد، والأعمال بالنيات.
و من نظم الفقيه عمر المذكور قوله عفا الله عنه:
إلى الله ربي أشتكي حالتي ... عسى فرج يأتي بأفضل حالي
و ما أسفي إلا لمالي أبيعه ... و خائن مالي يشتري بمالي

و من أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء، رأيت أن أثبتها لغرابة منزعها، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء، ونصها:." (١)

"وكانت منزلة سنان كبيرة عند المراء والوزراء فمن ذلك أن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع إليه في سنة كثرت فيها الأمراض والوباء توقيعا نسخته فكبرت مد الله في عمرك في أمر من في الحبوس وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقين من التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء في أمراضهم فينبغي أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من المزورات وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عالمهم فيما يصفونه لهم إن شاء الله تعالى ففعل سنان ذلك ثم وقع إليه توقيعا آخر فكرت فيمن بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء فتقدم مد الله في عمرك بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينقلون إلى غيره ففعل سنان ذلك وانتهى أصحاب إلى سورا والغالب على أهلها اليهود فكنب سنان إلى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب أصحابه عليه من السواد بأن اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم وأنه لا يعلم بما يجيبهم به إذ كان لا يعرف رأيه في أهل الذمة وأعلمه أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملي والذمي فوقع الوزير توقيعا نسخته فهمت ما كتبت به أكرمك الله وليس بيننا خلاف في أن معالجه أهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجيب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل أهل الذمة فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل أكرمك الله على ذلك واكتب إلى أصحابك به ووصى بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الوباء الكثيرة الأمراض الفاشية وإن لم يجدوا بذرقة توقفوا عن المسير حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فإنهم إذا فعلوا هذا وفقوا إن شاء الله تعالى.

وفي سنة ست وثلاثمائة أشار سنان بن ثابت هذا على المقتدر بأن يتخذ بيمارستان ينسب إليه فأمره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام وسماه البيمارستان المقتدري وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار.

وفي أول محرم سنة ست وثلاثمائة فتح سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٣٥

وجلس فيه ورتب المتطببين وكانت النفقة عليه في كل شهر ست مائة دينار على يدي يوسف بن يحيى المنجم لأن سنانا لم يدخل يده في شيء من نفقات البيمارستان.
ولسنان تصانيف جيدة وكان قويا في علم الهيئة وله في ذلك أشياء ظاهرة تغني عن الإطالة بذكرها ومن تصانيفه ما نقل من خط المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي.
رسالة في تاريخ ملوك السرياني. رسالة في الاستواء. رسالة إلى بجكم. رسالة إلى ابن رائق. رسالة إلى علي بن عيسى الوزير. الرسائل السلطانيات والإخوانيات. رسالة في النجوم. رسالة في شرح مذهب الصابئين. رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ورجل آخر. رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر. رسالة في أخبار آبائه وأجداده.
ونقل إلى العربي نواميس هرمس والسور والصلوات التي يصلي بها الصابئون.
إصلاحه لكتاب أفلاطون في الأصول الهندسية وزاد في هذا الكتاب شيئا كثيرا.
مقالة أنفذها إلى عضد الدولة في الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة متى تقع في الدائرة وعليها استخراجه للشيء الكثير من المسائل الهندسية. إصلاحه لعبارة أبي سهل الكوهي في جميع كتبه وكان أبو سهل سأله ذلك. إصلاحه وتهذيبه لما نقله من كتاب يوسف القس من السرياني إلى العربي من كتاب أرشيميدس في المثلثات.
سهل بن بشر بن حبيب بن هانئ ويقال هنا الإسرائيلي المنجم أبو عثمان كان صاحب تآليف في أحكام النجوم وادعاء لعلم الحدثان وكان يخدم طاهر بن الحسين الأعور ثم الحسن بن سهل وتآليفه مشهورة في الأحكام.." (١)

"(٢) وخمس مئة دينار وغير ذلك وشرطه له كل شفاعة يشفعها من حلب وفي الطريق ومدة مقامه بدمشق واقام بها قريبا من ثلاثة اشهر ولم يسأله من عزل وولاية إلا أجابه إلى ذلك وقدم إليه يوما وهو في سوق الخيل بدمشق نصراني من الزبداني رمى مسلما بسهم فمات فأمر بقتله وتفصيله على أعضائه قطعت يداه من كتفه ورجلاه من فخذيه وخر رأسه وحملت أعضاؤه على أعواد وطيف به فارتعب الناس لذلك فقلت له أنا لله أرغون شاه كم للمهابة حصل وكم بسيف سطاه من ذي ضلال تنصل ومجمل الرغب خلى بعض النصارى مفصل واختطف الحرافيش يوما في الغلاء الخبز من الجوع فأمسك جماعة من الحرافيش

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص/٨٦

(٢) ٤٦٠

وقطع أيدي ثمانية عشر رجلا وأرجلهم وسمر على الجمال سبعة عشر وهو واقف بسوق الخيل وذلك في تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة فقلت أنا في ذلك كان الغلا يغلو فأما إذا أصبح نارا قلت ذا يغلي وأصبح الحرفوش ذا كسرة عن طلب الكسرة في شغل من يطلب الخبز ومن يشتهي وهو بقطع اليد والرجل ولم ينل أحد من السعادة ما ناله ولا حصل ما حصله في المد القريبة من المماليك والجواري والخيل والجوهر والأمتعة والقماش ولا تمكن أحد بعد الأمير سيف الدين تنكز تمكنه يكتب إلى مصر بكل ما يريده في حلب وطرابلس وغيرها وحماة وصفد ﷺ." (١)

"(٢) ابن الأكفاني شمس الدين الطبيب محمد بن إبراهيم الأكز بضم الكاف وإشباعها لتنشئ واوا ثم زاي الأمير سيف الدين الناصري كان أولا جمدارا وأمره أستاذه وكان يتحقق أمانته فجعله مشد الدواوين فعمل الشد أعظم من الوزارة وتنوع في عذاب المصادرين وغيرهم وضربهم بالمقارع وأحمى لهم الطاسات وألبسهم إياها وأحمى الدسوت وأجلسهم عليها وضرب الأوتاد في آذانهم ودق القصب تحت أظافرهم وبالغ وشدد وجاء لولو فندش الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف اللام وأقامه السلطان معه مشد الجهات واتفقا على عقاب الناس وجمع الله منهما بين الحجاج والطاعون واستخرجا الأموال وأزهقا النفوس وتضاعف البلاء وعم الأذى وزاد الشقاء في أيامهما وسكنت روعة الأكز في القلوب وكان الكاتب يدخل إليه ميتا ويخرج ميتا ولم يزل كذلك إلى أن لطف الله بالناس وقدر أنه غضب على لولو المذكور فأخذ العصا بيده وضربه إلى أن هرب قدامه وهو خلفه إلى أن وصل إلى باب القلعة ونزل شاشه في رقبته فراح لولو إلى القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص ودخل عليه وعلى قوصون وبذل المال واتفق أن **كان الغلاء في** سنة ست وثلاثين وسبع مئة فقال السلطان يا الأكز لا تدع أحدا يبيع الأردب بأكثر من ثلاثين درهما وانزل إلى شون الأمراء وألزمهم بذلك ﷺ." (٣)

"(٤) بيبغاروس الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية أول ما ظهر وشاع ذكره في الأيام الصالحية إسماعيل وهو الذي جاء في أول دولة الكامل يطلب طقزتمر نائب الشام إلى مصر ثم لما قتل المظفر حاجبي ظهر واشتهر وباشر النيابة بمصر على أحسن ما يكون وأجمل ما باشره غيره لأنه أحسن

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٤٦٠/١

(٢) ٥٨٦

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٥٨٦/١

(٤) ٨٦

إلى الناس وبسط لهم الإيناس ولم يظلم أحدا ولم يتخذ على من تهتك رصدا وكان إذا مات أحد أعطى ولده إقطاعه وكل من طلب منه شيئا قال سمعا وطاعه فأحبه الناس ودعوا وحفظوا عهده ورعوا ومشوا في ركابه وسعوا وتباركوا بطلعته وتقرب كل أحد إليه بنفاق سلعته وكان الطاعون في أيامه **وذلك الوباء داخلا** في أقسامه فيقال إنه كفن مئة ألف أو يزيدون وأعطى الإقطاعات للأولاد أراد الأمراء ذلك أو لا يريدون قيل إنه جاءت إليه امرأة وقالت مات زوجي وليس له إلا إقطاعه وترك لي هاتين الابنتين فرق لها فقال لناظر الجيش اكشف عبرته فقال خمسة عشر ألف فقال من يعطي في هذا عشرين ألف درهم فقال واحد أنا أعطي اثني عشر ألف درهم فقال هاتها فوزنها فقال للمرأة خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك وأعطى الإقطاع لذلك الذي سلم الدراهم وكان في النيابة فيه خير كثير وإحسان إلى الناس غزير إلا أنه كان يعكف على حسو السلافه ويرى أنه بتعاطي كؤوسها قد نال الخلافه ماله رغبة في غير اجتلاء ﷺ." (١)

"(٢) وكان الشيخ حسن الكبير أولا زوج الخاتون بغداد بنت جوبان فلم يزل به بوسعيد القان إلى أن أخذها منه بعدما أتت من الشيخ حسن بابنه الأمير إيلكان ولم يزل الشيخ حسن مبعدا إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى فملك بغداد ونزل بها وأقام فيها وجرت له مع المذكورين حروب كثيرة ونصره الله عليهم ولم يزل مروعا من أولاد تمرتاش وهو المنصور ثم إنه تزوج الخاتون دلشاذ بنت دمشق خواجا بن جوبان الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه وجرى في أيامه **ببغداد الغلاء العظيم** حتى أبيع الخبز على ما قيل بصنج الدراهم ونزح الناس عن بغداد وعدم منها حتى الورق وكان يجلب منها إلى الشام ومصر وغيرهما ولما أظهر العدل وأمن الناس تراجع الناس إليها وذلك سنة ثمان وأربعين وسبع مئة وفي أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة توجه إلى ششتر ليأخذ من أهلها قطيعة كان قد قررها عليهم فلما أخذها وعاد وجد نوابه في بغداد قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاث جباب نحاسا مثل جباب الهريسة طول كل جب ما يقارب الذراعين والنصف وهي مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا وفي بعضه سكة الإمام الناصر وكان زنة ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي يكون ذلك مثاقيل خمس مئة ألف مثقال الحسن بن تمرتاش بن جوبان المعروف بالشيخ حسن تقدم ذكر والده وجده في مكانهما كان هذا الشيخ حسن داهية ولم يكن ذاهبه بعيد الغوص في الفكر والغور ﷺ." (٣)

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٨٦/٢

(٢) ١٩٢

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ١٩٢/٢

"[١] كان ذا حلم وركون إلى السلم فأهمل أمور الجهاد فامتلأت عليه بالوبال الربا والوهاد وامتدت أفنان الفتن وجرى وبل الوبال وهتن وعلا في أيامه **أمر الغلاء وكادت** سنوه تجري على الولاء إلا أنه كان له نظر في العلوم واتصاف يدخل به في ذوي الفهوم ولم يزل في إنكاد إلى أن كاد يفارقه الملك ويقع في ورطات يرمي بنفسه إلى الهلك إلى أن جاء الأمر الذي لا يدفع ولا يرده صاحب ولا يمنع وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة وله بضع وستون سنة كانت دولته اثنتين وعشرين سنة وملك أخوه يوسف قبله خمسا وعشرين سنة لكن بينهما الملكان عامر وسليمان وخالف على عثمان ابنه عمرو وملك سجلماسة وجرت في ذلك أمور يطول شرحها وملك بعد عثمان ولده الفقيه العالم السلطان العادل أبو الحسن علي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه عثمان بن يوسف ابن أبي بكر القاضي المحدث الفقيه الورع الصالح فخر الدين أبو محمد النويري المالكي صحب والده القدوة الزاهد علم الدين وتفقه به وبجماعة وأفتى ودرس وكان كثير الحج والمجاورة والتأله والصدق والإخلاص ﷺ." [٢]

"[٣] ولم يزل معظما يحبه أهل دمشق ويحسن هو إليهم إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة و ولاه الصعيد فدخل يوما إلى ديوان الإنشاء بقلعة الجبل لإلفه بأهل دمشق وقعد عندنا يسيرا يتحدث ويذكر دمشق فجاء إليه إنسان من عند بعض الخاصية يقول هذا يكون في خدمتك يصلي بك ويؤذن ويقرأ يشير إلى فقيه معه فقال سلم على الأمير وقل له أنا ما أروح إلى الصعيد مسلما فضلا عن أني أصلي فأخذنا منه ذلك على عادة بسطه وتنديبه فما كان إلا أن راح إلى الصعيد وحط يده والسيف فوسط وسمر وشنق وسفك الدماء إلى أن نقل إلى ولاية القاهرة في سادس عشري جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة وكان الحال في هذه الولاية أشق أول ولاية بالقاهرة قطع على ما قيل خمسين يدا غير الأرجل وزاد في ذلك ودخل مع القاضي شرف الدين النشو وأحبه وأخذا أرواح جماعة من الكتاب وولى السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمدا مصر وأضاف الحسبة في الخبز إلى الأمير علاء الدين في **أيام الغلاء لكنه** ساس ذلك سياسة جيدة وأظنه تولى القاهرة بعد سيف

---

(١) ٢٣٣

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٢٣٣/٣

(٣) ٣٣٢

الدين بلبان الحسامي بعدما نقل إلى نيابة دمياط علي بن الحسن بن علي الشيخ نور الدين أبو الحسن الأرموي الشافعي شيخ خانقاه القاضي كريم الدين سمع من الفخر بن البخاري وغيره ﷺ." (١)

"(٢) كبيس بن منصور بن جماز الشريف أمير المدينة الحسيني تولى إمرة المدينة لما قتل والده منصور في رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ولم يزل بها إلى أن قتل أيضا في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ابن الكتاني الشيخ زين الدين عمر بن أبي الحرم كتبغا الملك العادل زين الدين المنصوري المغلي كان فيه دين وتعبد وخير ومزايا له بها تفرد عديم الشر لا يناوي من ناواه ولا يقاوي من قاواه منقادا لأحداث دهره مرتادا لما يريده من خيره وشره ولذلك سلمت له العاقبه وأفادته الإنابة إلى الله والمراقبه ولكن **جاء الغلاء المفرط** في أيامه ونقص النيل زائدا عما عهد في قديم أعوامه فتشاءم الناس بطلعته ولم ينفق القدر له رديء سلعته وكان إذا رأى ذلك زاد بكاؤه وعظم ابتكاؤه وقال هذا بحظي وخطيئتي وهذا جاء في قسمي وقدر في عطيتي وغايتي أن ألوم حظي وحظي الحائط القصير ﷺ." (٣)

"(٤) ومولده سنة ثمان وسبعين وست مئة اشتغل بالعلم وقرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي وأجازه بالفتوى وتوجه إلى القاهرة وسمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والحافظ شرف الدين الدمياطي وقاضي القضاة ابن جماعة وقرأ على شيخنا أثير الدين الفصول في النحو وعلى الخطيب الجزري الأصول وأجازه بالفتوى وأجازه الشيخ فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد وتعدل وجلس بالقاهرة وقوص وتولى العقود واستنابه زين الدين إسماعيل السفطي في الحكم بأرمنت وتولى الخطابة بإسنا وتولى الحكم بقمولا وقنا وقفط وأصغون ثم ولي النيابة بقوص ثم إن قاضي القضاة جلال الدين القزويني قسم على قوص بينه وبين شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن حرمي القمولي فتولى جمال الدين قوص والبر الشرقي وذاك في البر الغربي وتزوج ببنت ابن حرمي للائتلاف وأقبل جمال الدين على المتجر بجملته واستمال ابن حرمي الوالي بالهدايا فاتفق أن **وقع الغلاء في** قوص سنة خمس وثلاثين وسبع مئة وكان عند جمال الدين تقدير ألفي إردب وخمس مئة إردب فقال الوالي لجمال الدين إنه يبيع بالسعر المعروف فأراد التأخير لغلاء السعر فكتب الوالي إلى السلطان فبرز مرسومه بالحوطة عليه وإحضاره وصرف عن القضاء ثم إن جمال الدين

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٣٣٢/٣

(٢) ١٤٤

(٣) أعيان العصر وأعوان ال نصر – موافق – محقق، ١٤٤/٤

(٤) ٥٥٨

تولى النيابة خارج باب النصر بالقاهرة بعد سنتين وشهرين مديدة لطيفة فلما تولى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يوله ﷺ." (١)

"(٢) الأيام بولده هذا الأمير ناصر الدين وترقى الى أن تولى الحجبة بصفد ثم إنه أمسك واعتقل بإسكندرية في واقعة بيبغاروس لما كان صحبة الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد ثم إنه أفرج عنه وأخرج الى طرابلس ثم طلب الى مصر وجعل حاجبا صغيرا بحلب وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخو نيابة ديوانه بحلب فاجتهد في خدمته وعمر الخان المليح والحمام بجب السقايين بين المعرة وحماة ثم أضيف إليه شد الخاص وشد الأوقاف بحلب ثم إنه رسم له بإمرة الحجبة الكبرى عوضا عن الأمير ناصر الدين بن شهري وأقام على ذلك الى أن طلب الى مصر صحبة علاء الدين علي البشيري فأعطاه السلطان بمصر إمرة طبلخاناه وجعله مشدا في العمائر السلطانية بالقاهرة ثم إنه جهزه في سنة إحدى وستين وسبع مئة الى منفلوط لقبض مغلها فقبضه وعاد الى القاهرة على شد العمائر ثم إنه مرض مرضة طويلة في **ذلك الوباء العام** ووصل الخبر الى دمشق بموته رحمه الله تعالى وكان رحمه الله بارا بوالدته وإخوته وأخواته عفيفا أمينا في مباشراته عارفا دربا بما يتحدث فيه فيه كرم ومروءة زائدة ﷺ." (٣)

"(٤) الذين معه واحدا بعد واحد ونزلوا الى كتبغا فطلب الشجاعي الأمان فطلبوه الى الست والى لاجين استادار ليستشيروه فيما يفعلونه فلما توجه إليهم ضربه الآقوش المنصوري بالسيف قطع يده ثم ضربه أخرى برى رأسه ونزلوا برأسه الى كتبغا وجرت أمور وغلقت أبواب القاهرة خمسة أيام ثم طلع كتبغا الى القلعة سابع عشري صفر ودقت البشائر وفتحت الأبواب وجددت الأيمان والعهود للسلطان الملك الناصر وأمسك جماعة من البرجية كانوا مع الشجاعي وجاءت الحوطة الى دمشق على ما يتعلق به وخطب الخطيب في يوم الجمعة حادي عشري شهر ربيع الأول للسلطان الملك الناصر استقلالا وترحم على والده المنصور وأخيه الأشرف وفي عشري شهر رجب ورد البريد بالحلف للناصر وولي عهد كتبغا وفي سلخ رجب ورد البريد أن السلطان ركب في شعار الملك وأبهة السلطنة وشق القاهرة دخل من باب النصر وخرج من باب زويلة عائدا الى القلعة والأمراء وكتبغا يمشون في ركابه وفرح الناس بذلك ودقت البشائر ولم يزل مستمرا

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٥٥٨/٤

(٢) ٣٩

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٣٩/٥

(٤) ٧٨

في الملك الى حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وست مئة فتسلطن كتبغا وتسمى بالعادل وحلف له الأمراء بمصر والشام ودقت البشائر وزينت البلاد وجعل أتابكه الأمير حسام الدين لاجين وتولى الوزارة الصاحب فخر الدين ابن الخليلي وصرف تاج الدين بن حنا **وحصل الغلاء الزائد** المفرط في أيامه حتى بلغ الإردب بمصر الى مئة وعشرين ورطل اللحم بالدمشقي الى سبعة دراهم ورطل اللبن بدرهمين والبيض ستا بدرهم ورطل الزيت بثمانية ﷺ." (١)

"(٢) ولم يكن الشام مرخصا وتوقفت الأمطار وفزع الناس وذلك في سنة خمس وتسعين وست مئة وتبع ذلك وباء عظيم وفناء كثير ثم **إن الغلاء وقع** بالشام وبلغت الغرارة مئة وثمانين وقد كتبغا بالعساكر الى الشام في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ولما عاد الى مصر من نوبة حمص في سلخ المحرم سنة ست وتسعين وست مئة ووصل الى اللجون جرى له ما جرى مما تقدم ذكره في ترجمة كتبغا وهرب كتبغا الى دمشق ودخل لاجين بالخزائن وتسلطن بالقاهرة وتسمى بالمنصور ولم يختلف عليه اثنان كما تقدم في ترجمة لاجين واستناب قراسنقر بمصر مدة ثم إنه قبض عليه واستناب منكوتمر مملوكه على ما تقدم وجعل قبجق نائب دمشق وجهز الملك الناصر الى الكرك وقال لو علمت أنهم يخلون الملك لك والله تركته ولكنهم ما يخلونه وأنا مملوكك ومملوك والدك أحفظ لك الملك فأنت تروح الى الكرك الى أن تترعرع وترتجل وتتخرج وتدرب الأمور وتعود الى ملكك بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فقال له السلطان فاحلف لي إنك تبقي علي نفسي وأنا أروح فحلف كل منهما على ذلك وتوجه السلطان وأقام بالكرك الى أن قتل لاجين على ما تقدم في ترجمته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة فحلف للسلطان الملك الناصر جميع الأمراء وأحضروه من الكرك وملكوه وهذه سلطنته الثانية وجعل سلار نائبا بمصر وحسام الدين أستادار أتابكا ﷺ." (٣)

"(٤) ودخل شهر جمادى الأولى والناس في أمر مريج ووصل بكتمر السلاح دار بألف فارس وعاد السلطان الى مصر فانجفل الناس غنيهم وفقيرهم ونودي في الأسواق بالرحيل وضج النساء والأطفال وغلقت أبواب دمشق واقتسم الناس قلعة دمشق بالشبر ووقع على غيارة التتار عسكر حمص فكسروهم وقتلوا منهم

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٥/٧٨

(٢) ٧٩

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٥/٧٩

(٤) ٨٣

نحو مئة وصحت الأخبار برجوع غازان نحو حلب فبلغ الناس ريقهم وأطفأ السكون حريقهم وهلك كثير من التتار تحت الثلج بحلب **وعم الغلاء وعز** اللحم بدمشق وبيع الرطل بتسعة دراهم ثم دخل الأفرم والأمراء من المرج بعدما أقاموا به أربعة أشهر واستقر حال الناس بعد ذلك وفي شهر شعبان ألبس النصارى الأزرق واليهود الأصفر والسامرة الأحمر وسبب ذلك أن مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند سلار والجاشنكير فحضر بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربي يتوهم أنه مسلم ثم ظهر له أنه نصراني فدخل الى السلطان وفاوضه في تغيير زي أهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت لقد ألزم الكفار شاشات ذلة تزيدهم من لعنة الله تشويشا فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا ونقلت منه له غيروا زيهم بما غيروه من صفات النبي رب المكارم ﷺ." (١)

"(٢) أخبرني من لفظه القاضي الفاضل فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج قال دخل يوما ناصر الدين بن صغير الى الطهارة فعلم برجله شيء من القاذورات فكتبت إليه والشيء بالشيء يذكر توجه سيدي بالأمس مخضب القدم من هيولاه ذا ما من محله المعمور لما منه يولاه وما كان في حقه في أمسه تكدير نفسه ولكل شيء آفة من جنسه هذه مسألة علكها أكبر لحيين واشتغل بها اشتغال ذات النحيين وأظنه قبل قدمه فخرج على تلك الصورة أو بعض أجزائه خلع صورة ولبس صورة فتى غير محجوب الندى عن صديقه ولا يظهر الشكوى إذا النعل زلت على أنه أكثر منه محافظة وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أحرقته نار وجد من أوطانه وأزعجته من مكانه وهو لا يضمر إلا حبا ولا يطلب منك إلا قربا لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده وأخبرني قال كتبت إليه ونحن بسرياقوس في أيام الطاعون بمصر أظن الناس بالآثام باؤوا وكان جزاؤهم **هذا الوباء أسيد** من له قانون علم بحيلة برئه يرجى الشفاء آآجال الورى متقاربات بهذا الفضل أم فسد الهواء ﷺ." (٣)

"(٤) وساد في القاهرة ورأس وأحبه المصريون لمكارمه ومروته وحلمه وولاه السلطان الملك الناصر محمد مطابخ السكر وولاه نظر الأهراء مع ما بيده وتولى نظر البيمارستان المنصوري فسلك فيه أحسن السلوك ورافق فيه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك وبعده الأمير علم الدين الجاولي وبعده الأمير بدر

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٥/٨٣

(٢) ١٨٢

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٥/١٨٢

(٤) ٦١٤

الدين جنكلي بن البابا ووقع بينهما وعزل منه في الأيام الصالحية إسماعيل ثم تولاه ورافق فيه الحاج أرقطاي نائب مصر وكان قد تولى أيام الملك الناصر محمد حسبة القاهرة ومصر وكان قبل ذلك محتسب القاهرة مع البيمارستان ولما **كان الغلاء في** سنة ست وثلاثين وسبع مئة جمع له السلطان بين الحسبتين ولما خرج القاضي جلال الدين من القاهرة الى قضاء الشام تعصب شرف الدين النشو عليه وساعده عليه غيره وأخذوا منه الحسبتين والصدقات وأبقوا عليه البيمارستان فلما كانت أيام الصالح إسماعيل ولاه نظر الدولة مع البيمارستان فباشر ذلك مديدة ولم يتناول معلوما وطلب الإعفاء فأعفاه ثم ولاه الجوالي مع حسبة القاهرة والبيمارستان ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدين جنكلي فعزل من الجميع في أواخر دولة الصالح ولزم بيته ﷺ. " (١)

"ابن كمونة

- ١٢٨٢ هـ / - ١٨٦٥ م

محمد علي بن محمد الأسدي الحائري النجفي، آل كمونة.

شاعر فحل، من مشاهير شعراء كربلاء ووجهائها، أكثر شعره في آل البيت.

ينتمي إلى بيت زعامة ورئاسة وثروة ووجاهة، توفي **بمرض الوباء في** كربلاء ودفن في الحائر الحسيني.

جمع أحفاده من بعده مجموع أشعاره في ديوان أسموه اللآلي المكنونة في منظومات ابن كمونة.." (٢)

"جواد الشبيبي

١٢٨٤ - ١٣٦٣ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٤٣ م

الشيخ جواد بن محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر البطايحي الشهير بالشبيبي الكبير.

عالم جليل، وأديب فذ، وشاعر خالد.

ولد ببغداد، وتوفي والده ولم يتجاوز الأسبوع من عمره، فرحلت به أمه إلى النجف، وتربى على جده لأمه الشيخ صادق أطيمش في الشطرتين، فأخذ عنه الشعر والأدب والعلم.

ثم رحل مع أمه إلى النجف **سنة الوباء ١٢٩٧**، ثم إلى بغداد حيث توفي هناك ودفن في النجف.." (٣)

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٦١٤/٥

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٢١٦

(٣) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/١٠٩٦

وحساد فكذلك أنا أشرت عليكم به لأني لا أعرف مثله وأشرت عليه أن لا يفعل لأنه أسلم لدينه

وحدثني الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي أن مولد أبي بكر أحمد بن علي كان في سنة خمس وثلاثمائة وأنه دخل بغداد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ودرس على أبي الحسن الكرخي ثم خرج إلى الأهواز ثم عاد إلى بغداد بعد أن زال الغلاء وخرج إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري برأي أبي الحسن الكرخي ومشورته وإن أبا الحسن مات وهو بنيسابور ثم عاد إلى بغداد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وأبو علي الشاشي عليل علة الموت فجلس للتدريس في مسجد أبي الحسن الكرخي وكان الموضع متماسكا ثم انتقل إلى سويقة غالب ودرس في درب المقير ثم انتقل في سنة ستين إلى درب عبدة ودرس في مسجد درب عبدة وكان يدرس في مسجد درب عبدة أبو سعيد البرذعي وفيه تفقه أبو الحسن الكرخي ودرس فيه أبو عمرو الطبري وأبو محمد سهل بن إبراهيم القاضي وبعدهما أبو علي الشاشي ثم الشيخ أبو بكر الرازي ثم شيخنا واستاذنا أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي وهو مسجدنا الذي ندرس فيه الآن ونرجو أن يلحقنا ومن يغشانا بركات هؤلاء الأئمة الذين سبقونا في الجلوس فيه

وتوفى الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الرازي في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وصلى عليه الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي وألحده بيده وجلس في مسجده بعد أن كان أجلسه فيه حدود العشر سنين يدرس فيي آخر النهار فيه

فصار إمام أصحاب أبي حنيفة ومدرسهم ومفتيهم بعد وفاة أبي بكر أحمد بن علي الرازي شيخنا وإمامنا أبو بكر محمد بن الخوارزمي وما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى والإصابة فيها وحسن التدريس وقد دعى إلى ولاية الحكم مرارا فامتنع منه وكان معظما في النفوس مقدما عند السلطان والعامة ولا يكاد يقبل لأحد من الناس برا ولا صلة ولا هدية وتوفى في ليلة الجمعة الثامنة." (١)

"ثم أخر ناصر الدولة أمر ابن مقلة واستوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصهباني، وهذا برأي أحمد بن علي الكوفي، فلم يكن له في الوزارة إلا التسمية والكوفي ينظر في الأعمال والأموال، فكان على ذلك إلى أن هرب ناصر الدولة فصرفه المتقي لله صرفا جميلا، وأقره على ما كان في يده ن تدبير أمر ضياع والدته وضياعه، واستوزر أبا الحسين بن مقلة، وخلع عليه في شهر رمضان بعد خروج ناصر الدولة لولا أن

---

(١) أخبار أبي حنيفة للصيمري، ص/١٤٩

ناصر الدولة لم يخرج، حتى نكب سلامة الحاجب وابن الأشناني القاضي وابن بلوا المعطى، وعذبه عذابا شديدا ما سمع بمثله وذكر جماعة وسن من الضرائب على الناس ما لم يسمع بمثله.

وأتى قبل ذلك على التمارين بأخذ أموالهم، فحدثني جماعة منهم قالوا دخلنا عليه هو بالقرب من مضربه، فقال لنا ما آخذ ضريبة إلا من التمر وأنتم أعلم وما لكم بعده، فسررنا بذلك قليلا، فالتفت إليه بعض من يدبر أمره، فقال والدبس فقال والدبس، فقال له والبسر فقال والبسر، فأتى بقوله هذا علينا.

وضيق ناصر الدولة على المتقي لله في نفقاته، وعلى أهل داره وانتزع ضياعه وضياع والدته فجعلها في جملته، واقتصر به على أجزاء يسيرة.

وخاطب أبا الحسن بن أبي عمرو الشرابي في أمر السكنجبين بخطاب شهره الناس وتحاكوه، وقال إنما يكفي دار الخليفة خماسية سكنجين في كل يوم، ولأطالبنك بمال ما كنت تأخذه.

وتحدث الناس من فعله هذا وصنعه بالخليفة، ما كثر به الشاكي له والداعي عليه، وتمنى الناس بني البريدي وغيرهم، مع ما نالهم من الضر والضرائب والغلاء ونكبات الناس، وأخذ أموالهم. وشكى مع ذلك أن أمر الرفض قد علن ببغداد، فنادى مناد في جانبي بغداد عن السلطان ببراءة الذمة ممن سمع بذكر أحد من الصحابة بسوء.

وأراد غلام من غلمان ناصر الدولة أن يسمه ففطن له، وزعموا أن سبب ذلك فاتك حاجب ابن رائق كان محبوسا في دار ناصر الدولة، وكان يعرف هذا الغلام فواطأه على ذلك وضمن له مالا.

وغلت الأسعار في جمادي الآخرة غلاء عظيما، ومات الناس جوعا ووقع فيهم الوباء، فكانوا يبقون على الطريق أياما لا يدفنون حتى أكلت الكلاب بعضهم.

وأنفذ ناصر الدولة حاجبه يرفع مددا لأخيه على سيف الدولة ليمضي إلى الجامدة، وحدر معه أحمد بن علي الكوفي واتهم ابن جعفر الخياط بأنه كاتب البريديين فقبض عليه ناصر الدولة وأقطع الخليفة ضياعه فاستبشع أن يكون هو المقطع للخليفة، وأن يدون الكتب بذلك.

وخرج الناس إلى المصلى يوم الاثنين مع الإمام ابن عبد العزيز الهاشمي. فدعوا الله وسألوه أن يكشف البلاء والضر عنهم.

وفي جمادي هرب جماعة من رؤساء الديلم والبربر من بغداد إلى البريدي، فلم يتبعهم ناصر الدولة بطلب، وقال من اختار المقام معنا وإلا فليمض مضيا ظاهرا فما أحد يتبعه.

وورد الخبر بقبول علي بن بويه خلع السلطان بفارس، ولبسه لها وإحضاره القضاة والعدول ليشهدوا ذلك

ويكتبوا به.

وصحت الأخبار بموت نصر بن أحمد خراسان وأن ابنه نوح ابن نصر قام مقامه بعد أن تنازع هو وأخوه إسماعيل عند الاياس من أبيهما أمر الامرة فأفاق أبوهما، فأمر بقتل ابنه إسماعيل وأن يجدد البيعة لنوح، وأوصى أن يجلس في الثغور لقتال الأتراك ألف دابة من دوابه، وأعتق ألف غلام.

وأرجف الناس بأن ابن طغج وافى دمشق لينفذ جيشا لأخذ الموصل فكتب إليه السلطان في الرجوع إلى مصر فرجع.

ووقعت منازعة بين الطالبيين والعباسيين في رجل طالبي زعموا أن أصحاب ابن عبد العزيز قتلوه، فجرت فيه خطوب ثم سكن الأمر وذلك في رجب.

وكثر الجراد في هذا الوقت فصاده الناس، وانتفع الضعفاء بأكله وصيده، وكان نعمة من نعم الله جل وعلا.

ووافى رسل صاحب خراسان إلى ناصر الدولة فحجبهم أياما، ثم أدخلهم وقال لهم صاحبكم في يده نصف الدنيا، ينال السلطان ما ناله فلا يسعفه بمال ولا ينجده بجيش، ولم يروا عنده ما يحبون، ثم أجابهم بجواب جميل وصرفهم، وغلت الأسعار وعز كل شيء من سائر الأطعمة والملبوس.." (١)

"المتقن، قال: أبو كامل الانبردواني حفدة أبي الحسن البوزجاني رحل إلى سمرقند إلى أبي الفضل الكاغذي فلما علم أنه صاحب رأي امتنع عليه في الحديث بعد ما سمع منه شيئا، مات **في الوباء في** أول سنة تسع وأربعين وأربعمائة، لم يكن متقنا ولا ثقة بل مجازفا في الرواية والسماع.

قرأت في كتاب المضافاة والمضاهاة لابي كامل البصيري: سمعت والدي أبا نصر محمد بن علي بن محمد بن بصير بن محمد الانبردواني يقول سمعت المشايخ يقول (؟) قدفي الكلام كالملح في الطعام (١).

الانجا فريني: بفتح الالف وسكون النون وفتح الجيم بعدها الالف ثم الفاء والراء المكسورة ثم الياء الساكنة آخر الحروف، هذه النسبة إلى أنجافرين وهي قرية من قرى

بخارا، منها أبو حفص عمر بن حرير بن داود بن خيدم الانجا فيريني البخاري، يروي عن سعيد بن مسعود وأبي صفوان إسحاق بن أحمد السلمي وعبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي، روى عنه أبو الفضل العباس بن أحمد بن محمد بن الفضل الراوادي، وتوفي في سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

الانجذاني: بفتح الالف وسكون النون وضم الجيم وفتح الذال المعجمة وفي آخرها النون بعد الالف، هذه النسبة إلى الانجذان وظني أنه نوع من البزور، والمشهور بهذه النسبة أبو عثمان سعيد بن محمد بن سعيد

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص/٨٨

الانجذاني من أهل بغداد، من أهل الصدق، سمع أبا عمر الحوضي وعمرو بن مرزوق وإبراهيم بن أبي سويد، روى عنه عبد الصمد بن علي الطستي (٢) والقضاة أحمد بن كامل بن خلف وعبد الباقي بن قانع الحافظ ومكرم بن أحمد وأبو بكر الشافعي، وقال الدارقطني لا بأس به، ومات في شوال من سنة خمس وثمانين ومائتين، ويعقوب بن صالح الانجذاني، قال أبو بكر بن مردويه هو من محلة جوبارة، يروي عن محمد بن إبراهيم عن مسعر ويوسف وسعر بن الحسن عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر، حدث عن رعية (٣) الابل.

---

(١) يستدرك ، ١٣٥ - الانتقيري) في معجم البلدان " أنتقيرة بفتح التاء فوقها نقطتان والقاف وياء ساكنة وراء حصن بين مالقة وغرناطة، قال أبو طاهر: منها أبو بكر يحيى بن محمد بن يحيى الانصاري الحكيم الانتقيري من أصحاب غانم روى عنه إبراهيم بن عبد القادر بن شفيع إنشادات...".

(٢) ويأتي رسم (الطستي) في موضعه وفيه عبد الصمد هذا.

(٣) في نسخ أخرى " حديث رعيه ".

(*)."[1]

"عبد الله بن أنس بن مالك، والمشهور بالانتساب إليه أبو علي محمد بن هارون بن شعيب الانصاري الثمامي من ولد ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك، سكن دمشق وحدث بها عن الحسن بن علوية القطان وأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي البصري وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي وزكريا بن يحيى السجزي، روى عنه تمام بن محمد بن
عبد الله الرازي وأبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر التميمي، وغيرهما من الدمشقيين.
والقاسم بن محمد بن سيار الثمامي الاندلسي من أهل المغرب، وإنما قيل له الثمامي لانه ينتسب إلى ولاء ثمامة بن عبد الملك الاندلسي، وتوفي القاسم بالاندلس سنة ست أو سبع وسبعين ومائتين.
وجماعة من المعتزلة يقال لهم الثمامية نسبوا إلى أبي معن ثمامة بن أشرس النميري وهو أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد واتصل بهارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغيره، وقال رجل لثمامة أنت إن شئت قضى فلان حاجتي فقال ثمامة أنا قدري ولم يبلغ قدري هذا كله، إنما قلت: إن شئت فعلت، ولم أقل إن شئت فعل فلان.

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٢١٤/١

وكان ثمامة جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس وذكر القتبي عنه في كتاب مختلف الحديث أنه رأى قوما يتعادون يوم الجمعة إلى الجامع فقال لبعض موافقيه على بدعته أنظر إلى البقر، أنظر إلى الحمير، ماذا صنع ذاك العربي بالناس - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن فضائح اعتقاد ثمامة وأصحابه قولهم أن أكثر اليهود والنصارى والزنادقة والدهرية يصيرون في الآخرة في القيامة ترابا ولا يدخلون جنة ولا نارا وكذلك قوله في البهائم وفي أطفال المؤمنين (١).

الثمانيني: بفتح الثاء المثلثة والميم بعدهما الالف وبعدها الياء آخر الحروف بين النونين المكسورتين، هذه النسبة إلى ثمانين وهي مدينة بالجزيرة بناحية الموصل عند جبل الجودي كثير الخير بها جامع ون٥ر جار، ورأيت في كتاب أن أول قرية عمرت بعد الطوفان (٢) ثمانين، وإنما سميت بهذا الاسم لان ثمانين نفرا خرجوا من السفينة وبنوها ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردي وبازبدا بأرض الموصل وهي قرية الثمانين وقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوح وسام بن نوح وحام ويافث ونساؤهم وسابعهم نوح وطبقت الدنيا منهم فذلك قول الله عزوجل

(١) في اللباب " فاته الثمامي - نسبة إلى ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ - بطن من طيئ منهم جعفر بن عفان بن جبير بن صفير بن سمير بن مالك بن شراحيل بن عميرة بن الحارث بن ثمامة الشاعر، كان غاليا في التشيع وله فيه أخبار خبيثة " وفي القبس ذكر هذا البطن وقال: " منهم من

الصحابة عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة.

(٢) في نسخ أخرى " بعد طوفان نوح ".

(*)".[١]

"من المختصين بخدمة أبي القاسم القشيري، سمع أبا حفص عمر بن أحمد بن مسرور، وأبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وغيرهما، سمع منه أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، وتوفي في شهر ربيع الاول سنة أربع وسبعين وأربعمائة في **أيام الغلاء والقحط**.

وابنه أبو الفتوح عبد الوهاب بن الشاه الشاذياخي، شيخ صالح، سديد السيرة، يسكن باب غزرة بنيسابور، سمع الاستاذ أبا القاسم القشيري، وأبا حامد أحمد بن الحسن الازهري، وأبا الفضل محمد بن أحمد بن

(١) الأنساب للسمعاني، ١/٥١٤

أبي جعفر الطبسي وغيرهم، سمعت منه سنة ثلاثين الكثير، منها: كتاب " البستان " لابي الفضل الطبسي، وكانت ولادته قبل سنة ستين وأربعمائة، وتوفي..(١).

ومن القدماء: أبو علي الحسن بن علي بن القاسم بن عباس بن عبد الصمد الشاذياخي من نيسابور، سمع إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ومحمد بن رافع النيسابوري، روى عنه أبو عبد الله بن دينار ويحيى بن منصور القاضي.

وشاذياخ: قرية ببلخ على أربعة فراسخ منها، والنسبة إليها الشاذياخي أيضا، خرج منها جماعة من العلماء، منهم:..ورأيت في شعر أبي ملحم حيث قال لعبد الله بن طاهر: سقى قصور الشاذياخ الحيا ولعله موضع بنواحي الرقة، لانه ذكر في الحنين، وهو من تلك البلاد (٢).

---

(١) هنا بياض في الاصول، وقد ترجمه المصنف في معجم شيوخه: " التحبير في المعجم الكبير " ٥٥ / ١ وقال: "كانت ولادته في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، ووفاته بنيسابور، ليله الجمعة الحادي والعشرين من شوال، سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ".

(٢) في قوله هذا ملاحظتان: أولاهما: نسبته الشعر إلى أبي محلم، يريد به عوف بن محلم الخزاعي الشيباني،

وصواب كنيته: أبو المنهال، كما كناه بها كل من ترجمه.

وسها ياقوت الحموي في " معجم البلدان " ٨: ٢١٩ فكناه أبا محلم، وهو الذي كناه في معجمه الآخر " معجم الادباء " ١٦: ١٣٩ على الصواب: أبا المنهال.

ثانيتهما: توقع المصنف أن الشاذياخ موضع بنواحي الرقة، لان أبا المنهال من نواحيها، وقوله هذا في الحنين إلى بلاده، فيكون الشاذياخ موضعا من أطرافها.

ومحل النظر في هذا التوقع: أن أبا المنهال قال هذه الابيات وهو في شاذياخ نيسابور مع عبد الله بن طاهر، وقد جاء فيها حنينه إلى وطنه في قوله: فقرباني بأبي أنتما * * من وطني قبل اصفرار البنان [*]." (١)

"باب النون والذال (المعجمة) النذيري: بفتح النون والذال المكسورة المعجمة بعدها الياء الساكنة آخر الحروف وفي آخرها الراء.

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٣٧٣/٣

هذه النسبة إلى نذير وهو بطن من بجيلة، وهو نذير بن قسر بن عبقر.
النذيري: بضم النون وفتح الذال المعجمة والياء الساكنة وفي آخرها الراء.
هذه النسبة إلى نذير وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو الامام أبو يعقوب يوسف بن محمد بن موسى بن العباس بن الفضل بن النذير الحنيفي النذيري المودوي، من أهل نسف.
كان أحد الائمة العلماء.
يروي عن أبي نصر أحمد بن محمد الراهبي.
روى عنه محمد بن الخليل النسفي أخو الحسين.
وتوفي غرة صفر سنة تسع وأربعين وأربعمئة آخر **مدة الوباء الواقع** بنسف، وصلى عليه أحمد بن محمد البلدي.." (١)

"رأيه من الأمراء فبرأهم فأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا فى الخزانة حبس أهل الجرائم وذلك فى ذى الحجة سنة ٧٨٨ ثم أفرج عنهم فى ربيع الأول سنة ٧٩١ فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة املاق إلى أن مات لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وحيدا فريدا بحيث لم يحضر فى جنازته إلا سبعة أنفس لا غير وكان ذا مروءة علية ونفس أبيه حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا باكثر المسائل التى يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار لها ويستحضر أدلتها وأملى وهو فى الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة ورسالة فى الامامة وذلك يدل على وفور اطلاعه قال ابن حجر وقد جالسته كثيرا وسمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الأنذار بما حدث بعده من الفتن والشرور لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس ولا سيما ما حدث **من الغلاء والفساد** بسبب رخص الفلوس بالقاهرة بحيث أنه رأى عندى قديما مرة منها جانبا كثيرا فقال لى احذر أن تقتنيها فانها ليست رأس مال فكان كذلك لأنها كانت فى ذلك الوقت يساوى القنطار منها عشرين مثقالا فاكثر وصار الأمر فى هذا العصر إلى أنها تساوى اربعة مثاقيل ثم صار تساوى ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل رطل إلى إثنى عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالا يقتنى لوجود الخلل فى قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة انتهى." (٢)

---

(١) الأنساب للسمعاني، ٤٧٨/٥
(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٩٤/١

"مائتى الف دينار وعشرين الف دينار وبالغ السلطان في اكرامه حتى أخرج له نساءه فقبلن يده وله محاسن منها أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع ان يصرف لاحد جامكية حتى يلم شعثها فعمرت كلها فى زمانه أحسن عمارة وأمر بكسح الأوساخ التى في مقاسم المياه التى تتخلل الدور وفتح منافذها وكانت انسدت **فكان الوباء يحصل** بدمشق كثيرا بسبب العفونات فلما صلح ذلك زال ما كان يعتادهم كل سنة من كثرة الامراض فكثر الدعاء له وأجرى العين الى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلا وأقاموا فى عملها سنة وأكثر من فكاك الأسرى وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم وجمع الكلاب فألقاها فى الخندق واستراح الناس من أذاها ولما انتهى حظه وبلغ الغاية فى هذه الدنيا أشهر في الناس أنه عزم على التوجه الى بلاد التتار حتى بلغ ذلك السلطان وتغير عليه وتنكر لتنكر وجهز العساكر لامساكه مع جماعة من الأمراء وليس عنده خبر فلما بلغه الخبر بوصول الجند والأمراء لامساكه بهت لذلك وقال ما العمل قالوا تستسلم فاستسلم وجهز سيفه الى السلطان وذلك في ذى الحجة سنة ٧٤٠ وتأسف أهل دمشق عليه ثم بعد القبض عليه أحيط بموجوده ووجد له ما يجاوز الوصف فمن الذهب العين ثلاث مائة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم وأما الجواهر والحوايص والأقمشة والخيول ونحو ذلك فشيء كثير جدا ثم لما دخل القاهرة أمر السلطان جميع المماليك والامراء أن يقعدوا له بالطرقات من حد باب القلعة وأن لا يقوم له أحد وفى بعض الأوقات." (١)

"(رحمه الله للعراقى تترى *** حافظ الأرض حبرها باتفاق) (اننى مقسم ألية صدق *** لم يكن فى البلاد مثل العراقى) مات عقيب خروجه من الحمام فى ليلة الاربعاء ثامن شعبان سنة ٨٠٦ ست وثمان مائة بالقاهرة ودفن بها وله شعر فمنه (إذا قرأ الحديث على شخص *** وأمل ميتتى ليروح بعدى) (فماذا منه انصاف لأنى *** اريد بقاءه ويريد بعدى) وأملى في صفر سنة موته مجلسا لما توقف النيل **ووقع الغلاء المفرط** وختمه بقصيدة أولها أقول لمن يشكو توقف نيلنا *** سل الله يمدده بفضل وتأييد) وختمها بقوله (وأنت فغفار الذنوب وساتر ال *** عيوب وكشاف الكروب اذا نودى) وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبة بليغة فرأ والبركة بعد ذلك وجاء النيل عاليا." (٢)

"١٩٧- السيد عبد الله بن محمد الهاشمى الحسينى الملقب العبرى بكسر المهملة وسكون الموحدة ذكره الذهبى في المشتبه فقال عالم كبير في وقتنا وتصانيفه سايرة وقال الأسنوى في طبقات الشافعية كان

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/١٦٢

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/٣٣٩

أولا حنفيا ثم صار شافعيا وكان يقرىء المذهبين ووصفه بعض أهل

بلاده فقال كان قاضى القضاة عضد السلاطين مشهورا فى الآفاق مشارا اليه في جميع الفنون ملاذا للضعفاء كثير التواضع والانصاف ومال فى آخر عمره إلى الاشتغال بالعلوم الدينية وله من المصنفات عدة منها شروح مصنفات القاضى البيضاوى المنهاج والمطالع والغاية والمصباح وشرح المصابيح وسكن سلطانيه ثم تبريز وولى قضاءها وعبارته فصيحة قريبة من الافهام وكانت وفاته بتبريز فى شهر رجب سنة ٧٤٢ اثنتين واربعين وسبعمائة فى العام الذى حصل **فيه الغلاء المفرط** بخراسان والعراق وفارس وأذربيجان ودياربكر حتى جاوز الوصف وأكل الأب ابنه والابن أباه وبيعت لحوم الآدميين في الأسواق جهرا ودام ذلك ستة أشهر كذا فى الدرر لابن حجر حاكياعن بعض فضلاء العجم

١٩٨- عثمان بن على بن عمر بن اسماعيل بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب بن على بن عبد الله الطائى الحلبى فخر الدين ابن خطيب حبرين الشافعى ولد فى ربيع الأول سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة ومهر فى الفنون حتى كان يدرس كل من قصده فى أى كتاب أراد من أى علم أحضره ولم ير الناس له فى ذلك نظيرا إلا ما حكى عن ابن يونس فكان يقرىء فى الحاوى وغيره من الفروع وفى المحصول وغيره من أصول الفقه وفى الشاطبية وغيرها من القراءات وفى الفرايض وأنواع الحساب وفى العربية والتصريف والحكمة والطب وغير ذلك وناب الحكم وكان في خلال الدرس وخلال الحكم يلازم السبحة ومن تصانيفه شرح التفجير وشرح الشامل الصغير وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح الحاوى وشرح مختصر مسلم للمنذرى ثم طلب إلى القاهرة

فمثل بين يدى السلطان فبدر من السلطان كلام فى حقه أغلظ له فيه فرجع مرعوبا فمرض وكان معه ولده فمرض كذلك وماتا جميعا بعد جمعة في المحرم سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة وأثنى عليه ابن حبيب فقال حاكم قدره كبير وعالم ليس له نظير قدوة فى معرفة الأصول والفروع مشار اليه بالتقدم فى المحافل والجموع ثم ذكر أنه باشر توقيع الحكم ونظر الاوقاف ووكالة بيت المال ثم اشتغل بالقضاء بحلب مدة." (١)

"بنى حبيس، وبنو عمرو بن مطرود بن كعب بن على بن سعد بن أبامة بن غطفان، ومنهم عايدة وصبرة وجابر، وفى صبرة هذه بنو جذام بن صبرة بن نصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام فخذ، وكان من بنى سويد الأمير المقدم زين الدولة طريف بن مكنون أحد الكرام من كبراء الأمراء

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٣٩٢/١

الحذاميين بمصر كان في مضيفته أيام الغلاء اثنا عشر ألفا تأكل عنده كل يوم. وكان يهشم الثريد في المراكب. ومن أولاده فضل الله شمخ بن كمونه وإبراهيم بن عالي وأمر كل منهما بالبوق والعلم. ومن جذام بنو كعب بن علبن سعد بن أبامة " وهم " فخذ من الضبيب عشيرة بني زيد وسويد ومية. ومن بني كعب بنو صليع بصاد مهملة وبنو مطرود ونفاثة ورذالة،، ومن جذام بنو كميل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد بن زيد بن ضبيب وهم جماعة صلاح وطارف من مقدمي جذام بالحوف، ومساكن جذام بالحوف، وراشد وهم في يمن ويجمعهم فخذان، وعشيرة في جذام من بني سويد ثم من بني عقبة. فالتي في سويد ولد راشد بن وليد بن سويد بن زيد بن مية من بني الضبيب بن قرط بن حفيدة بن نبيج بن عبيد بن كعب بن علي بن سعد بن أبامة بن غطفان وقيل أبامة بن عبيس بن غطفان بن سعد ابن إياس بن حرام بن جذام، ومن بني راشد هذه بنو حية بن راشد، منهم عروة بن تمام وماضي بن الغريب وبنو عامر بن راشد منهم صخر بن عمارة وبنو حلمة من بني منيع إحدى بنى عامر. وأما العشيرة ففي هلبا سويد بنو راشد بن هلبا بن مالك بن سويد. وأما التي في بنى عقبة فولد راشد بن عقبة أحد بني محرمة من بني مية من بني الضبيب المذكور، منهم بنو حميد بن صالح ابن راشد من عشيرة في عقبة، منهم جؤذر بن حميد وله عقب. ومن بطون الحميديين البراجسة والجواشنة والكعوك وأولاد غانم، ومن جذام هلبا وهي هلبا سويد وهلبا بعجة، فهلبا بعجة هو أبو الفوارس هلبا بن بعجة بن زيد بن الضبيب ابن قرط بن حفيدة " ابن نبيج " وهلبا سويد هو هلبا بن مالك بن سويد بن زيد ابن ضبيب المذكور. فمن هلبا بعجة الذواهبة والجزازرة والنجاد والغياث وبنو منظور والعبسة وبنو ثابت وبنو قبيصة وأمراؤهم أولاد بقر بن نجم ومن هلبا سويد بنو عمرو وفيهم العطويون أولاد شاس ومنهم العطويون والحميديون والجابريون والغتاورة ويقال لهم أولاد طواح المكوس. وبنو عقبة وهم من جذام ينسبون إلى عقبة بن عبيد بن مالك بن سويد بن زيد بن الضبيب وقالوا الضبيب بن قرط بن حفيدة بن عمرو بن صليع بن نبيج بن عبيد بن كعب بن سعد بن أبامة بن غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام. وبعضهم يقول حفيدة بن عمرو بن صليع بن نبيج بن كعب بن سعد بن إياس بن عبيس بن حرام بن جذام، ومنهم من أوصل عقبة جذام بإياد بن نزار وجعلهم ناقلة من نزار إلى جذام بن عبيس بن عبد عمرو بن وهم بن كعب بن إياد بن نزار. وإلى هذا الفخذ يرجع كل عقبى ببلاد الشام وبحوف مصر وما بين أيلة وحوف مصر. ولبني عقبة من عقبة أيلة إلى داما قريب عينونة. والعايذ بياء آخر الحروف وذال معجمة هم بطن من جذام ينسبون إلى عايذ الله وقيل ينسبون إلى عايذة إحدى بطون جذام، وللعايذ من القاهرة إلى عقبة أيلة، وبنو رداد بن بعجة بن زيد بن مية بن الضبيب بن قرط بن حفيدة

ابن نبيج بن عبيد بن كعب بن علي بن سعد بن أبامة بن غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام، منهم بنو ذؤيب بن مناة المجرس وبنو ذواد بن سنان وفيهم من يسكن الشام، وبنو زيد مناة بن أفصى بن إياس بن حرام ابن جذام منهم بنو كنانة وبنو روح وبنو كلب، وبنو سعد من جذام. وفي جذام خمس سعود: سعد بن إياس بن حرام بن جذام ، وسعد بن مالك بن زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام وإليه ينسب أكثر السعديين، وسعد بن مالك بن حرام بن جذام، وسعد بن أبامة بن غطفان وقيل سعد بن أبامة بن عبيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام ابن حذام، وسعد بن مالك بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام والخمسة اختلطت في مصر، وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها ولهم مزارع وفسادهم كثير. ومسكنهم من منية غمر إلى زفيتا ومنهم الوزير شاور وإليه ينسب بنو شاور كبار منية غمر ومنهم بنو عبد الظاهر الموقعون ومنهم أهل برهمتوش ومن هؤلاء بنو شاس. ومن سعد هذه بنو الضبيب وبنو زيد وبنو سويد وبنو مية، وفي سويد بني زيد بن." (١)

" وأبو بكر بن طاهر الخدب وأبو العباس بن مضاء وغيرهم توفي بسبتة فارا **من الغلاء الواقع** ببلده والفتنة سنة ٥٤١ وسنة نحو الخمسين ذكر وفاته ابن خير وابن حبيش وقرأت ذلك بخط شيخنا أبي الخطاب بن واجب

٧٢ عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج من أهل قرطبة يعرف بالمجريطي لأن أصله منها ويكنى أبا الحسن أخذ القراءات عن أبي القاسم بن النحاس وولي القضاء برندة حدث عنه ابنه القاضي أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بالقراءات وتوفي سنة ٥٤١ ومولده سنة ٤٧٣

٧٣ عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي المقرىء يكنى أبا القاسم ويعرف باللبسي نسبة إلى قرية على مقربة من وادي آش أخذ القراءات بغرناطة وغيرها عن أبي الحسن بن كرز وأبي بكر يحيى بن سعيد بن حبيب المحاربي وأبي الحسن علي بن يوسف السالمي وأبي بكر عباس بن خلف المقرىء وأبي القاسم بن مدير وأبي بكر بن المفرج البطليوسي وغيرهم ورحل حاجا في سنة ٤٩٧ فأدى الفريضة في سنة ثمان بعدها ولقي بمكة أبا محمد عبد الله بن عمر بن العرجاء فأخذ القراءات عنه وأبا حامد الغزالي فسمع منه وأجاز له تواليفه وأخذ بالمهدية عن أبي الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني المعروف بابن الحداد الاقطع وانصرف إلى الأندلس ونزل المرية سنة ٥٠٥ أو بعدها بيسير وولي صلاة الفريضة والخطبة بجامعها وتصدر

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/٤

للإقراء بمسجده في ربض الحوض منها وأخذ عنه جماعة منهم ابنه أبو محمد عبد الصمد وأبو القاسم بن حبيش وغيرهما وقد روى عنه أبو القاسم بن بشكوال

---

(١) ".

"بقية بتلاميذ له كانوا يسقطون الضعفاء من حديثه ويسوونه فالتزق ذلك كله به وأورد ابن حبان له عن بن جريج عن عطاء عن بن عباس أحاديث منها تربوا الكتاب ومنها من أدمن على حاجبيه بالمشط عوفي **من الوباء ومنها** إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى وقال هذه من نسخة موضوعة كتبناها يشبه أن يكون بقية سمعها من إنسان ضعيف عن بن جريج فدلس عنه فالتزق ذلك به وقال العقيلي صدوق اللهجة إلا أنه يأخذ عمن أقبل وأدبر فليس بشيء وقال أبو أحمد الحاكم ثقة في حديثه إذا حدث عن الثقات لا يعرف لكنه ربما روى عن أقوام مثل الأوزاعي والزبيدي وعبيد الله العمري أحاديث شبيهة بالموضوعة أخذها عن محمد بن عبد الرحمن ويوسف بن السفر وغيرهما من الضعفاء ويسقطهم من الوسط ويرويها عن من حدثوه بها عنهم وروى بن عدي عن بقية قال قال لي شعبة يا أبا يحمد ما أحسن حديثك ولكن ليس له أركان وقال بقية ذاكرت حماد بن زيد بأحاديث فقال ما أجود حديثك لو كان لها أجنحة وقال بن المديني صالح فيما روى عن أهل الشام وأما عن أهل الحجاز والعراق فضعيف جدا وقال الحاكم في سؤالات مسعود بقية ثقة مأمون وقال الساجي فيه اختلاف وقال الجوزجاني إذا تفرد بالرواية فغير محتج به لكثرة وهمه مع أن مسلما وجماعة من الأئمة قد أخرجوا عنه اعتبارا واستشهادا إلا إنهم جعلوا تفرده أصلا وقال الخليلي اختلفوا فيه وقال الخطيب في حديثه مناكير إلا أن أكثرها عن المجاهيل وكان صدوقا وقال البيهقي في الخلافيات أجمعوا على أن بقية ليس بحجة وقال عبد الحق في الأحكام في غير ما حديث بقية لا يحتج به وقال بن القطان بقية يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك وهذا أن صح مفسد لعدالته. (١)

---

(١) ...تهذيب التهذيب لابن حجر ١ / ٤١٨ رقم الترجمة (٨٧٨)." (٢)

"مات بالموصل سنة اثنتين وأربعين٤ وأربعمائة.

٢٥٣- عمر بن خلف بن مكي الصقلي٥.

---

(١) التكملة لكتاب الصلة، ٣/٢٤

(٢) الدر والياقوت في تراجم أعلام المحدثين من حضرموت، ص/٩

الإمام، اللغوي، المحدث، من تصانيفه: تثقيف اللسان٦، دال على غزارة علمه وكثرة حفظه. ولي قضاء تونس وخطابتها، وكان يخطب بالخطب البديعة، كل جمعة خطبة من إنشائه. ومن شعره:

يا حريصا قطع الأيام في بؤس عيش وعناء وتعب٧

ليس يعدوك من الرزق الذي قسم الله فأجمل في الطلب

٢٥٤- عمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي٨.

---

١ زيادة يقتضيها السياق.

٢ وهي أول قرية بنيت بعد طوفان نوح عليه السلام، وهي بأرض الموصل، من نواحي جزيرة ابن عمر عند جبل الجودي، ثم وقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوحا عليه السلام.

٣ كلا الكتابين لابن جني.

٤ ساقطة من "ب".

٥ ترجمته في إنباه الرواة ٢/ ٣٢٩ وهدية العارفين ١/ ٧٨٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢١٨ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤.

٦ طبع بعنوان: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. وعنوانه في إنباه الرواة: تلقيح الجنان وتثقيف اللسان.

٧ روايته في "أ": "يا حريصا اقطع ..."

٨ ترجمته في طبقات القراء ١/ ٥٩٤ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٠ وتكملة الصلة ص٦٥٧ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٩٥ وينظر إيضاح المكنون ٢/ ١٥٣.

٢٢٠ ٣٦٤

(/)

تلميذ السهيلي١، قرأ عليه وعلى غيره، وأتقن علوما وصار إماما في العربية، وله شرح الجمل للزجاجي٢،

ورد على ابن خروف منتصرا لشيخه السهيلي.

مات سنة عشر وستمائة٣.

٢٥٥- عمر بن محمد بن عمر، أبو علي الشلوبين٤.

وهو بلغة الأندلس الأشقر الأبيض، وهو أزدي، إمام في العربية واللغة، أخذ الجلة عنه كتاب سيبويه. وكان الحافظ السلفي يكاتبه، أقام علما للعلماء ستين سنة. وكانت عنده غفلة.

مات سنة خمس وأربعين وستمائة، عن ثلاث وثمانين سنة٥.

٢٥٦- عمرو بن عثمان بن قنبر٦.

". (١)

"مات بالموصل سنة اثنتين وأربعين٤ وأربعمائة.

٢٥٣- عمر بن خلف بن مكي الصقلي٥.

الإمام، اللغوي، المحدث، من تصانيفه: تثقيف اللسان٦، دال على غزارة علمه وكثرة حفظه. ولي قضاء تونس وخطابتها، وكان يخطب بالخطب البديعة، كل جمعة خطبة من إنشائه. ومن شعره:

يا حريصا قطع الأيام في بؤس عيش وعناء وتعب٧

ليس يعدوك من الرزق الذي قسم الله فأجمل في الطلب

٢٥٤- عمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي٨.

---

١ زيادة يقتضيها السياق.

٢ وهي أول قرية بنيت بعد طوفان نوح عليه السلام، وهي بأرض الموصل، من نواحي جزيرة ابن عمر عند جبل الجودي، ثم وقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوحا عليه السلام.

٣ كلا الكتابين لابن جني.

٤ ساقطة من "ب".

---

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا،   /

٥ ترجمته في إنباه الرواة ٢/ ٣٢٩ وهدية العارفين ١/ ٧٨٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢١٨ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤.

٦ طبع بعنوان: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. وعنوانه في إنباه الرواة: تلقيح الجنان وتثقيف اللسان.

٧ روايته في "أ": "يا حريصا اقطع ..."

٨ ترجمته في طبقات القراء ١/ ٥٩٤ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٠ وتكملة الصلة ص٦٥٧ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٩٥ وينظر إيضاح المكنون ٢/ ١٥٣.

٢٢٠ ٣٦٤

(/)

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة

حرف العين

تلميذ السهيلي١، قرأ عليه وعلى غيره، وأتقن علوما وصار إماما في العربية، وله شرح الجمل للزجاجي٢، ورد على ابن خروف منتصرا لشيخه السهيلي.

مات سنة عشر وستمائة٣.

٢٥٥- عمر بن محمد بن عمر، أبو علي الشلوبين٤.

وهو بلغة الأندلس الأشقر الأبيض، وهو أزدي، إمام في العربية واللغة، أخذ الجلة عنه كتاب سيبويه. وكان الحافظ السلفي يكاتبه، أقام علما للعلماء ستين سنة. وكانت عنده غفلة.

مات سنة خمس وأربعين وستمائة، عن ثلاث وثمانين سنة٥.

٢٥٦- عمرو بن عثمان بن قنبر٦.

." (١)

---

(١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة- سوريا، /

"كان بن عتاب يحله من الفقه بمحل كبير ومن علم الشروط والوثائق بمنزلة عالية ومرتبة سامية ويصفه بالعلم البارع والدين والفضل والتفنن في العلوم ويذهب به كل مذهب ويقول: إنه آخر القضاة والجلة من العلماء وصحبه بن عتاب عشرين عاما قال: سمعت شيخنا أبا محمد بن عتاب – رحمه الله – يقول: سمعت أبي – رحمه الله – يحكي مرارا قال: كنت أرى القاضي بن بشير في المنام – بعد موته – في هيئته التي كنت أعهده فيها فكنت أسلم عليه وكنت أدري أنه ميت وأسأله عن حاله وعما صار إليه فكان يقول: إلى خير ويسر بعد شدة فكنت أقول له: وما تذكر من فضل العلم؟ فكان يقول لي: ليس هذا العلم يشير إلى علم الرأي ويشير إلى أن الذي انتفع به من ذلك ما كان عنده من علم كتاب الله جل ثناؤه وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن حيان: لم يأت بعده مثله في الكمال لمعاني القضاء. كان مولده سنة أربع وستين وثلاثمائة ,وفاته كما تقدم في كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى.

ومن التاسعة من أهل سبتة:

عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد بن العجوز الكتامي أخو عبد العزيز

من أهل الفقه والصلاح شهر ذكره في العلم بسبتة والمغرب – بعد أبيه – وكان حسن الأخلاق ذا علم وفضل ونباهة ولقي أبا إسحق التونسي في منصرفه من الحج وأخذ معه في المسائل وأخذ عنه جماعة من السبتيين.

ومن العاشرة من الأندلس:

عبد الرحمن بن المطرف بن سلمة

فقيه طليطلة وحافظها ومفتيها كان من أحفظ الناس وأعرفهم بطريق الفتيا ذا فضل وصلاح روى عنه القاضي أبو الأصبغ بن سهل وتفقه عند شيخنا محمد بن أبي جعفر.

قال صاحب الصلة: ومن شيوخه أبو عمر الطلمنكي وأبو بكر بن مغيث والمنذر بن المنذر وغيرهم. كان حافظا للمسائل دريا بالفتوى نوظر عليه في الفقه. وتوفي في عقب صفر من سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

ومن الثانية عشر التي ذكرها محمد بن رشيق من أهل سبتة:

عبد الرحمن الفقيه أبو القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن العجوز

أخذ عن أبيه وغيره وكان عالما نبيلا بصيرا بالأحكام والوثائق عالما بالاحتجاج حضرت مجلسه في تدريس المدونة فما رأيت أحسن منه احتجاجا ولا أبين منه توجيها ولي قضاء الجزيرة وقضاء سلا ثم قضاء مراكش – رحمه الله – .

ومن الصلة لابن بشكوال:

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس

واسم هذا: سليمان وفطيس: لقب له يكنى أبا المطرف قاضي الجماعة بقرطبة روى عن أبي الحسن الأنطاكي المقري وأبي محمد القلعي وأبي محمد الباجي وأبي محمد الأصيلي وخلق يكثر إيرادهم من أهل المشرق والعراق.

وكان – رحمه الله – من كبار المحدثين وصدور العلماء المسندين حافظا للحديث متقنا لعلومه وله مشاركة في سائر العلوم وجمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما وكان وقد رتب لهم على ذلك راتبا معلوما وكان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه ولما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد وكان ذلك في **وقت الغلاء والفتنة** فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم وتقلد رحمه الله تعالى قضاء قرطبة مقرونا بولاية صلاة الجمعة والخطبة مضافا إلى ذلك الخطة العليا من الوزارة وكان ذا صلابة في الحق ونصرة للمظلوم وقمع للظالم. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره من الكبار كأبي عمر الطلمنكي وابن الحذاء والخولاني وغيرهم. وله تآليف كثيرة مفيدة يطول إيرادها. توفي سنة اثنتين وأربعمائة.

عبد الرحمن بن محمد بن عتاب

يكنى أبا محمد هو آخر الشيوخ الجلة الأكابر بالأندلس – في علو الإسناد وسعة الرواية روى عن أبيه وأكثر عنه وأجاز له من الشيوخ خلق كثير وكان عالما بالقراءات السبع وكثير من التفسير وغريبه ومعانيه مع حظ وافر من اللغة وتفقه عند أبيه وشوور في الأحكام بقية عمره وكان صدرا فيما يستفتى فيه وكانت الرحلة في وقته إليه ومدار أصحاب الحديث عليه وله تآليف حسنة مفيدة وسمع منه الآباء والأبناء وكثر انتفاع الناس به. توفي سنة عشرين وخمسمائة.

ومن الوفيات لابن خلكان:

عبد الرحمن السهيلي." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧١ """"""""

وعليها باب مغلق ، ونقر في أرضها أهراء للطعام ، ومصانع للماء ، وبنى فيها القصور والدور ، فلما فرغ

---

(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص/٨٨

منها قال : اليوم آمنت على الفاطميات يعني بناته ، وارتحل عنها .
ولما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها قال : هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار ، فكان كذلك ، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة وعاد ولم يظفر .
فلما كان في سنة ست وثلاثمائة جهز المهدي جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم إلى مصر ، وهي المرة الثانية ، فوصل الاسكندرية في ربيع الآخر ، ودخلها القاسم ، ثم سار منها ، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى طاعته ، فلم يقبلوا منه ، فبعث المقتدر مؤنسا الخادم في شعبان ، فوصل إلى مصر ، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات .
ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم من أبيه ، فأرست بالاسكندرية ، وعليها سليمان الخادم ، ويعقوب الكتامي ، وكانا شجاعين . فأمر المقتدر أن تسير مراكب طرسوس ، فسار إليهم خمس وعشرون مركبا ، فيها النفط والعدد ، فالتقت المراكب على رشيد ، فظفرت مراكب المقتدر ، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية ، وأهلك أكثر أهلها وأسر منها كثير ، فيهم سليمان ويعقوب ، فمات سليمان بمصر في الحبس ، وحمل يعقوب إلى بغداد ، فهرب منها ، وعاد إلى إفريقية .
وغلب مؤنس عساكر القائم ، ووقع **فيهم الغلاء والوباء** ، فمات كثير منهم ، ورجع من بقي إلى." (١)
"""""""""" صفحة رقم ١٢٠ """"""""
سنة تسع وخمسين وثلاثمائة
وفي المحرم أنفذ بشير الإخشيدي من تنيس نحو مائة وخمسين رجلا طيف بهم .
وكثر الفساد في الطرق فضرب جوهر أعناق جماعة وصلبهم في السكك .
ولاثنتي عشرة بقيت منه سار جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق إلى الشام ، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم ، وأسر الحسين بن عبيد الله بن طغج وجماعة ، وبعثهم في القيود إلى جوهر .
وسير جوهر إلى الصعيد في البر والبحر .
وفي ربيع الأول قبض على دواب الإخشيدية والكافورية ، وصرفهم مشاة ، وأمرهم بطلب المعيشة .
وسير الهدية جعفر بن الفضل بن الفرات مع ابنه أحمد في ربيع الآخر .
وفي سلخ ربيع الآخر **زاد الغلاء** ، ونزعت الأسعار ؛ وتوفي أبو جعفر المحتسب ، فرد جوهر أمر الحسبة إلى سليمان بن عزة . فضبط الساحل ، وجمع القماحين في موضع واحد ؛ ولم يدع كف قمح يجمع إلا

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١/٧١

بحضرته ؛ وضرب أحد عشر رجلا من الطحانين وطيف بهم . وفي يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى صلى جوهر الجمعة في جامع ابن طولون ، وأذن المؤذنون بحي على خير العمل ، وهو أول ما أذن به بمصر ، وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة : وإذا جاءك المنافقون وقنت في الركعة الثانية ، وانحط." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨ """""""""

سنة سبع وثمانين وثلثمائة

في المحرم ورد سابق الحاج ، فأخبر بتمام الحج والدعاء للحاكم في الحرمين .

وفيه نزع سعر القمح وغيره ، وعز وجوده ، **واشتد الغلاء** ، ووقع في البلد خوف شديد من طرف رجل من اللصوص في الليل وكبسه دور الناس فتحارسوا في الليل ، وأخذت نساء من الطرقات ، وعظم الأمر في ذلك .

وفيه ضربت رقبة عيسى بن نسطورس .

ووصل الحاج في رابع عشر صفر ؛ فخلع على سبكتكين ، مقدم القافلة ، وحمل على عدد من الخيل . ووقف سعر الخبز على أربعة أرطال بدرهم . وسار أبو تميم سلمان بن جعفر بن فلاح بعد أن خلع عليه وقيد بين يديه عدة خيول ، وحمل معه شيء كثير من الثياب ، وأنفق في أهل عسكره ؛ فنزل مسجد تبر ، فأقام إلى تاسع عشر ربيع الأول ؛ فخرج إليه الحاكم وحلفه ومن معه ، وعاد . فرحل ابن فلاح إلى القصور فأقام بها . وقرىء سجل يوم الجمعة للنصف منه بمدح كتامة ولعن منجوتكين." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٧١ """""""""

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة

في المحرم ابتدأ نقص ماء النيل من ثامن عشر توت ، فاشتد الأمر ، وبيع الخبز مبلولا ؛ وضرب جماعة من الخبازين وشهروا لتعذر وجود الخبز بالعشايا .

ووصل الحاج لثمان بقين من صفر .

وفي ربيع الأول خلع على علي بن جعفر بن فلاح بولاية دمشق حربا وخراجا .

واشتد الغلاء . فلما كان ليلة عيد الشعانين منع النصارى من تزيين كنائسهم على ما هي عادتهم ، وقبض

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٢٠/١

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٨/٢

على جماعة منهم في رجب ، وأمر باحضار ما هو معلق على الكنائس وإثباته في دواوين السلطان ؛ وكتب إلى سائر الأعمال بذلك . وأحرق صلبان كثيرة على باب الجامع وفي الشرطة .

وفي يوم الجمعة سادس عشر رجب ولي مالك بن سعيد الفارقي القضاء وخلع عليه في بيت المال قميص مصمت وعمامة مذهبة وطيلسان محشى مذهب ، وقلد بسيف . وقرأ سجله أحمد بن عبد السميع وهو قائم ، فخرج وبين يديه سفط ثياب ، وحمل على بغلة وبين يديه بغلتان ، وكان مالك بن سعيد لما قرئ سجله قائما على قدميه ، وكلما مر ذكر." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٥ """""""

سنة عشر وأربعمائة

فيها **اشتد الغلاء بديار** مصر حتى أبيع الدقيق رطلا بدرهم واللحم أربع أواق بدرهم ، ومات كثير من الناس بالجوع . وبلغت عدة من مات في مدة رمضان وشوال وذي القعدة ، مائتي ألف وسبعين ألفا سوى الغرباء وهم أكثر من ذلك وفي سنة عشر وأربعمائة سير الحاكم بأمر الله أبا القاسم بن اليزيد إلى شرف الدولة الحاكمية أبي تميم المعز بن نصير الدولة أبي مناد باديس ، ومعه سيف مكلل بنفيس الجوهر وخلعة من لباسه ،

سنة إحدى عشرة وأربعمائة

فقدم المنصورية لست بقين من صفر سنة إحدى عشرة . وتلقاه شرف الدولة ونزل إليه فقرأ عليه سجلا عظيما ؛ فكانت أيام فرح . ثم ورد بعده محمد بن عبد العزيز بن أبي كدينة بسجل آخر ومعه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب ، فخلع على أبي القاسم ومحمد ، وحملا ، وطيف بهما في القيروان والأعلام المذكورة بين أيديهما .

ولليلتين بقيتا من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة فقد الحاكم . وسبب فقده أن أخته ست الكل سلطانة كانت امرأة حازمة ، وكانت أسن منه ، فدار بينها وبينه يوما كلام ، فرماها بالفجور وقال لها : أنت حامل . فراسلت سيف الدين حسين بن علي بن دواس ؛ من مقدمي كتامة ، وكان قد تخوف من الحاكم ، وتواعدا على قتل الحاكم وتحالفا عليه . فأحضرت ست الكل عبدين وحلفتهما على كتمان الأمر ، ودفعت إليهما ألف دينار ليقتلا الحاكم . فأصعد إلى الجبل في الليل ، وكان الحاكم قد رأى أن عليه قطعا ؛." (٢)

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٧١

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/١١٥

"""""""" صفحة رقم ١٥٤ """"""""

وأوقفوا عليه الوالي والعسكر ، فسلم إليهم أبو الغول ورفيقه . فلما وصلا إلى حسان ركب لوقته وخشب سبعين رجلا من العسكرية ، وقتل طائفة من الحمدانية وغيرهم ، ووضع السيف والنهب في الرملة ، وأضرم النار في الدور والحوانيت حتى جعلها دكا ، وسبى النساء والأولاد ، وقبض على نحرير الوحيدي وأخذ منه أربعين ألف دينار . وأخذ من مبارك الدولة فتح ، المقيم بالقدس ، ثلاثين ألف دينار ، وأخذ جميع ما جمع الدزبري .

وأرجف بمصر أن خمسمائة فارس بعثها حسان إلى العريش ، ثم لم يعلم أين قصدت ، فخاف الناس أن يطرقهم في القرافة ، فانتقل أهل القرافة إلى مصر ، وانتقل جماعة من بلبيس إلى مصر . فسار بديع الصقلبي في الرسالة إلى حسان . وتحرك السعر بمصر ، واضطربت العامة . وندب مائة فارس من القيصرية للإقامة بالقرافة لحفظ الناس ، فإن الخوف اشتد حتى لم يطلع أحد إلى القرافة ، وتحملوا منها ، فمنعوا من النقلة وأعيدوا إليها .

وجرت الأمور في هذه الشهور المباركة على ما كان الرسم جرى به من عمارة المساجد والجوامع وتكثير القناديل والزيت وكثرة الوقيد . وقد دخل الشريف العجمي إلى الظاهر ، فأظهر أنه يراعي أمر الدولة ويتخوف ما يجري من الفساد ، فأمر الظاهر بأن يجتمع مع الشيخ نجيب الدولة أبي القاسم الجرجرائي والشيخ العميد محسن بن بدواس ، صاحب بيت المال ، وأن يدبر الأمراء بما يراه . فاستدعى المذكورين وقال لابن بدواس : احمل المال الذي عندك لينفق في الرجال . قال : ما عندي إلا يسير ، وواللہ لو طلبتم مني ينارا واحدا ما مكنتكم منه لأنه موفور لخواص مهمات مولانا صلوات الله عليه . فقال الشريف : فتقترض من التجار وتصادر من تجب مصادرته ، فقال الجرجرائي : وأي مال مع التجار وتجار مصر هلكي من الغلاء ؛ لكن إن أردتم المال فمن أم الحاكم بأمر الله ، قدس الله روحه ، وعمته ؛ وبالجملة فقد أغنى الله مولانا ، صلوات الله عليه ، بتوافر أمواله وتراث آبائه الأئمة الطاهرين عما نراه نحن أو نقوله بآرائنا . فأمسك الشريف عن غير رضا .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦١ """"""""

شهر شوال ؛ أوله السبت . فيه ركب الظاهر في عساكره ، وبين يديه فيل وزرافات وبنود مذهبة بقصب وفضة ، والطبول تضرب والجنائب تقاد أمامه ؛ وجميع قواد الأتراك والمصطنعة في السلاح ، وعليه ثوب

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٥٤/٢

خز بعمامة نظيره ، وفي يده القضيب ، وعليه السيف ومعه الرمح ، وعلى رأسه المظلة المذهبة يحملها مظفر ، وبين يديه الخدم السودان وعليهم أصناف المذهبات إلى المصلى . فصلى ورقى المنبر ، واستدعى قاضي القضاة ، فطلع ؛ ثم استدعى إبراهيم الجليس المؤدب ، فطلع ؛ ثم استدعى شمس الملك أبا الفتح مسعود بن طاهر الوزان ، فطلع ، ثم استدعى تاج الدولة ابن أبي الحسين ، صاحب صقلية كان ، ثم استدعى زين الملك على بن مسعود بن أبي الحسين ، ثم استدعى علي بن فضل ، ثم عبد الله بن الحاجب ؛ ثم جدل بالبندين المنصوبين على المنبر ؛ وخطب ؛ ثم نزل وعاد إلى قصره . وأحضر السماط فحضر أهل الدولة ، ولم يحضر الظاهر ، وكان في منظرة يشاهدونه . وفي ثامنه صرف نجيب الدولة مجلى بن نسطورس عن ديوان الأحباس بأبي غالب الصيفي النصراني كاتب ديوان الخراج . فيه ضربت خيمة بظاهر باب الفتوح ؛ ووقع الاهتمام بتجريد العساكر إلى الشام .

وفي هذا الشهر تحرك السعر ، وبلغ التليس القمح دينارين وثلثين ، والتليس الشعير دينارا واحدا ، والخبز رطلين بدرهم . وقدم الخبر بأن الحرب بمكة قامت بين الحسنيين والصليحيين ، فخرج منها أبو الفتوح حسن بن جعفر ؛ **وأن الغلاء بها** شديد .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦٤ """""""

وفارقنا أهلينا وقد هلكنا من الجوع ، فإن لم يكن لكم حاجة بإقامة الدعوة بمكة والمدينة فاصرفونا فإنا قد بذل لنا الرغائب في إقامة الدعوة لغير إمامكم فلم نأخذها ، ونريد إنسانا يكلمنا . فلم يجابوا بشيء . وكانوا قد مضوا قبل ذلك إلى رجال الدولة ، كمعضاد وغيره ، فصار يدفعهم هذا إلى هذا . فلما انصرفوا عن باب القصر خائبين بعث إليهم جمال الدولة مظفر الصقلبي ، صاحب المظلة ، ألف دينار من ماله ، فقالوا : لا نأخذ إلا ما يصلنا به أمير المؤمنين ، وهذه الصلة قد قبلناها ، والله مجازيك عليها ، ونحن نفرقها على ضعفائنا وعبيدنا ؛ ففرقوها على خمسمائة نفس ، لكل واحد ديناران .

واشتد الغلاء والقحط بمصر ، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم ، والحملة الدقيق بأربعة دنانير وثلثين ، والتليس القمح بثلاثة دنانير ، واللحم أربع أواق بدرهم . وعظم الموت سيما في الفقراء ؛ وبلغ الناس الجهد حتى إن جزارا طرح عظما لكلب فطرد رجل الكلب وأخذ العظم منه وابتلعه نيئا ؛ وأكل المساكين الصماليخ من القنبيط واقتاتوا باليسير من كسب الوز وكسب السمسم ، وغلت عامة الحبوب . وغلا الماء لتعذر علف الدواب وعدم من يستقي عليها ؛ وبيعت راوية الجمل بثلاثة دراهم ، وراوية البغل بدرهمين ؛ واشتدت

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٦١/٢

المسغبة . وقدم الخبر بشدة الموت بدمشق ، فمات من أهلها ألوف .
وفي نصفه ركب الظاهر وشق مدينة مصر ، وخلفه المقودون والمصطنعة ، وبين يديه الرقاصون ، فاستغاث الناس بضجة واحدة : الجوع يا أمير المؤمنين ، الجوع ؛ لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك ؛ فالله الله في أمرنا . فارتجت البلد بالضجيج حتى نزل إلى قصر العزيز على البحر ، فحضر أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتامي وقد اختل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٥ """"""""

عقله وحاله ، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم ، وبالغ فيما شتم به ، فضربه الرقاصون حتى سقط ، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة ، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله .
وتزايد أمر الغلاء ؛ ونزل دواس المحتسب برجاله ومعه السعدية ، وكتب مائة وخمسين مخزنا قمحا وختم عليها ؛ فأصبح الناس يوم الاثنين سادس عشره على أقبح صورة ، وكثر الصياح : الجوع الجوع ؛ ولم يظهر خبز ولا دقيق . وبيع الدقيق رطلا ونصفا بدرهم ، والخبز الأسود رطلين بدرهم وربع .
وفيه خرج حاج المغاربة إلى مكة ، فلم يصحبهم أحد من أهل مصر ؛ وعندما عدوا بركة الجب خرج عليهم طائفة من القيصرية والعبيد ، وكانت بينهم وقعة هزمهم فيها المغاربة وجرحوا كثيرا منهم . وفيه طلب المحتسب إلى القصر ، وهدد ، وقيل له : قد قتلت الناس جوعا وخربت البلاد على مولانا ، وهذا خطك بضمانك عمارة البلد بالأخباز والقمح إلى حين إدراك الغلة . فوعد بتلافي الأمر ، ونزل ؛ وأطلق القمح من المخازن للطحانين ، وسعر عليهم دينارين ونصفا للتليس ، وأمرهم ببيع الحملة الدقيق بأربعة دنانير ، والخبز رطلين ونصفا بدرهم ، فسكن الحال قليلا .
وفيه أفرج عن محمد بن جيش بن الصمصامة .
وفي عشريه ركب الظاهر إلى الصيد بسردوس ، وعاد . وفي ثالث عشريه عاد." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٦٩ """"""""

وفي حادي عشريه نهبت الدواب بسفط ونهيا من ثلاثين رجلا من بني قرة ، وقتلوا قاضي سفط ، واستاقوا مائة وخمسين فرسا لأهل الدولة ، وساقوا ثلاثمائة مكة لمعضاد وأربعة آلاف رأس من الضأن ؛ فلم يخرج أحد لطلبهم ، ولا أنكر شيء من ذلك . وفي ثاني عشريه خرج معضاد والشريفان وابن حماد الغرابيلي

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٦٤/٢
(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٦٥/٢

ونجيب الدولة الجرجرائي إلى الخيمة خارج باب الفتوح ، وحضر الكتاميون ، فطلب منهم مائة فارس لينفق فيهم ، فلم يحضروهم ، ونزعت الخيمة فعادوا أقبح عود .

وفي خامس عشريه سار وفد مكة وقد دفع إليهم نصف واجبهم ، ولم يرسل إلى أبي الفتوح بشيء ، فمضوا غير راضين . وفيه حمل مظفر صاحب المظلة إلى الحضرة عشرة آلاف دينار قرضا ؛ واستدعى من الشريف أبي طالب العجمي متولي الصناعة عشرة آلاف قرضا ، فدافع ثم أجاب إلى حمل خمسة آلاف بعد أن يضمن له أمر عادتها إليه ، فضمن له الشيخ نجيب الدولة أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ذلك ، فحملها .

واشتد الغلاء ؛ فبيع القمح بأربعة دنانير وثلث التليس والحملة الدقيق بستة دنانير ، والخبز رطل وربع بدرهم ؛ ونزل بالناس مسغبة شديدة . وفي ثالث عشريه تجمع العبيد ومعهم عدة من النهابة ، فبلغوا نحو الألفين ، يريدون نهب مدينة مصر ، فركب إليهم بدر الدولة نافذ في عسكر بالسلاح ، وأذن للناس عامة بأن من تعرض لهم من العبيد فليقتلوه ؛ فتحفظ الناس واستعدوا . ثم ركب معضاد ونسيم إلى حيث تجمع العبيد ، وأحضروا." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧١ """"""""

وقدم الخبر من حلب بأن صالح بن مرداس حاصر حلب ، وما زال بأهل البلد حتى فتحوا له أبوابها ، فدخل أصحابه وشرعوا في هدم أبراج السور ، فظن الناس أنه يريد بذلك أن يسلم حلب إلى الروم ، فاجتمعوا بمن في القلعة ، وقد تحصن بها موصوف الصقلبي ، وحاربوا أصحاب صالح حتى أخرجوهم وقتلوا منهم مائتين وخمسين رجلا ، وامتنعوا منهم بالمدينة . ومن خبر ذلك أن صالح بن مرداس نزل على مدينة حلب في جمع كثير من بني كلاب وغيرهم ، فحصرها أشد حصر حتى أخذ المدينة صلحا من أهلها ، ودخلها في رابع عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة هذه ، وتلقب بأسد الدولة . وامتنع موصوف الصقلبي بالقلعة ، فاستخلف صالح على مدينة حلب كاتبه أبو منصور سليمان بن طوق ، ومضى إلى بلعبك فأخذه عنوة ، وقتل بها خلائق . واشتدت محاصرة سليمان بن طوق لقلعة حلب ، وصعد قلعتها حتى قل الماء والزاد بها ، فطلب موصوف منه أشياء اشترطها عليه وسلمه القلعة ؛ فأتى صالح حلب وصعد قلعتها ، وقتل موصوفا ، ورتب أموره ، وصار بيده من بعلبك إلى عانة .

وقدم الخبر بأن حسان بن جراح جمع من العرب خلائق وقصد الرملة ، فمضى الدزبري إلى عسقلان

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٦٩/٢

وتحصن بها ، فقبض حسان على جماعة من أهل الرملة ممن سعى به وبأصحابه إلى الدزبري ، وضرب أعناقهم ، وملك المدينة . فاجتمع الدزبري مع مبارك الدولة فتح ، متولي القدس ، وفتاح بن بويه الكتامي ، وصار إليهم نحو الخمسة آلاف مقاتل ، وأوقعوا بحلة كبيرة لإخوة حسان ، وقتلوا ولدا لعلي بن جراح ، وهزموا من بها .

وقال ابن الرقيق : وكان بمصر **من الغلاء والشدة** وعدم الأقوات ما لم ير مثله من زمن." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٢ """"""""

سنة ست وعشرين وأربعمائة

فيها كثر الفأر بأراضي مصر وأكل زروعا كثيرة . وفيها **كثر الوباء بمصر** .

وفيها قتل الدزبري شبل الدولة ثمال بن صالح بن مرداس ، في شعبان ، وملك حلب ، وبعث إلى الظاهر بهدايا جليلة .

سنة سبع وعشرين وأربعمائة

فيها انعقدت الهدنة بين الظاهر وبين ميخائيل ملك الروم عشر سنين متوالية .

وفيها توفي الظاهر عن استسقاء طال به من نيف وعشرين سنة ، في يوم الأحد النصف من شعبان ؛ فكانت مدته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما . وكانت أيامه كلها سكونا ولينا ، وهو مشغول بملاذه ونزهه وسماع المغنى ، وأمور الدولة بيد عمته السيدة العزيز ست الملك ، وهي التي عدلت بالخلافة إليه عن ولي العهد أبي هاشم العباس بن دواد ابن عبيد الله المهدي ، وجيء بأبي هاشم فبايع والسيف على رأسه ، ثم جلس فكان آخر." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """"""""

سنة خمس وأربعين وأربعمائة

سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها أيضا قصر مد النيل ؛ ونزع السعر ؛ **ووقع الوباء** . ولم يكن في المخازن السلطانية إلا ما ينصرف في جرايات من في القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير ، فورد على الوزير من ذلك ما أهمه . وصار سعر التليس ثمانية دنانير ، واشتد الأمر على الناس . وكان التجار بين نار المعاملين وضيق الحال عليهم في

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٧١/٢

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٨٢/٢

القيام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ، ومطالبة الفلاحين بالقيام به ، يبتاعون منهم غلاتهم على أن يصبروا عليهم إلى حين إدراكه بسعر يربحون فيه . فإذا استقرت مبايعتهم لهم حضروا معهم للديوان ، وقاموا عنهم للجند بما يجب عليهم ، وكتب ذلك في روزنامج الجند مع مبلغ الغلة ؛ فإذا أدركت الغلة وصارت الأجران يكتالونها ويحملونها إلى مخازنهم . فمنعهم الوزير من ذلك ، وكتب إلى العمال بجميع النواحي أن يستعرضوا روزنامجات الجهابذة ، ويحضروا منها ما قام به التجار من المعاملين ، ومبلغ الغلة الذي رفع الإيقاع إليه ، وأن يقدموا للتجار ما وزنوه للديوان ويربحوهم في كل دينار ثمن دينار ؛ ويضعوا ختومهم على المخازن ويطالعوا ما يحصل تحت أيديهم بها . فلما تحصلت بالنواحي جهز المراك بحمل الغلات ، وأودعها المخازن السلطانية بمصر ، وقرر ثمن كل تليس ثلاثة دنانير بعد أن كان ثمانية دنانير . وسلم إلى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الأسواق ووظف ما تحتاج إليه القاهرة ومصر ، فكان ألف تليس في كل يوم ، لمصر سبعمائة وللقاهرة ثلثمائة . فقام بالتدبير أحسن قيام مدة عشرين شهرا ، حتى أدركت الغلة فتوسع الناس بها ، وزال **عنهم الغلاء** .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٧ """""""

وكان عند استقرار الهدنة مع قسطنطين ملك الروم ، في أيام وزارة أبي نصر الفلاحي ، قد وصل رسولان أحدهما هو المتكلم المترجم ، وكان داهية أديبا شاعرا نحويا فيلسوفا ولد بالروم ونشأ بأنطاكية ، ودخل العراق ، ولقن من العلوم والآداب ما بعد به صيته ، وكان يعرف بابن أصطفانوس ؛ والآخر متحمل الهدية ، وهو صاحب حرب يعرف بميخائيل . فرأيا من حسن زي الدولة وجميل سيرتها ما أعجبا به ، لا سيما ميخائيل ، فإنه أطربه ما رأى وحسن موقعه في نفسه . وساروا وقد امتلأت قلوبهما بمحبة ما شاهداه . فاتفق ملك الروم وتمليك ميخائيل هذا ، فبلغه ما بمصر **من الغلاء** ، فحمل إليها مائة ألف قفيز قمحا ، وقدم كتابه أمامها يعين الغلة والكيل الذي تستوفي به إذا وصلت ؛ فانتهت إلى أنطاكية . وأعد هدية الهدنة على ما جرت به العادة ، وهدية من ماله . فلما رأى الروم ذلك ظنوا به الميل إلى الإسلام ، فقتلوه في ثامن شوال ؛ فكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة سبعة أشهر ، وعمره أربع وخمسون سنة وشهر واحد . وأقاموا رجلا يعرف بابن سقلاروس من أهل أنطاكية ، وكان لجوجا خبيثا حديدا ، فاعترض الهديتين وأخذهما ، وقال : أنا أنتفع بهما وأنفق ثمنهما على قتال المسلمين .

وكانت للوزير بالقسطنطينية عيون ، فكتبوا إليه بذلك ، فسير مكين الدولة الحسن ابن علي بن ملهم الكتامي

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٢٢٦

إلى اللاذقية في عسكر لحصارها والتضييق على من فيها ؛ فحاصرها حتى اشتد على من فيها الأمر . فكتب ابن سقلاروس ، متملك الروم ، إلى الحضرة يستوضح ما الذي أوجب ذلك ؛ فأجيب أن الذي أوجبه ما كان فعله في نقض ما استقر مع من تقدمه من الهدنة ، وقبض الهدية ، والهدية التي ليست من ماله . فأجاب بأنه يحمل الهدية ؛ فاشترط عليه إطلاق من في بلاد الروم الأسرى . فأجاب بأنه إذا أطلق من لهم في بلاد الإسلام من أسرى الروم أطلق من في بلاد الروم من أسرى المسلمين . فأجيب بأنه." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٣٠ """"""""

سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها سير المستنصر إلى كنيسة قمامة ، فأحتاط بجميع ما فيها . وذلك أن القاضي أبا عبد الله القضاعي كان قد توجه من عند الخليفة برسالة إلى متملك الروم ، فقدم وهو بالقسطنطينية رسول السلطان طغرلبك بن سلجوق يلتمس من الملكة تيودورا أن تمكن رسوله من الصلاة في جامع قسطنطينية ، فأذنت له في ذلك ؛ فدخل إليه وصلى به ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي . فبعث القضاعي بذلك إلى المستنصر ، فأحاط بما في قمامة وأخذه ، وأخرج البطرك منها إلى دار مفردة ؛ وأغلق أبواب كنائس مصر والشام ، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين ، وزاد على النصارى في الجزية . وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين .

وفيها تجمع كثير من التركمان بحلب وغيرها ، وأفسدوا في أعمال الشام .

وفيها **تزايد الغلاء** ، **وكثر الوباء** ، وعم الموتان بديار مصر .

وفيها سار مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم من القاهرة بالعساكر ؛ ونودي في بلاد الشام بالغزو والجهاد . واستدعى راشد بن عليان بن سنان إلى القاهرة ، وقرر معه أن يسير في قومه الكلبيين مع ابن ملهم ، ثم قبض عليه . وعقدت إمارة الكلبيين لنبهان ، وقيل لسنان ، فنزل ابن ملهم أفامية ، ثم سار إلى حسن قسطول فحصره عشرين يوما حتى أخذه." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٣٥ """"""""

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها تسلم مكين الدولة ابن ملهم من ثمال بن صالح مدينة حلب في آخر ذي القعدة ، وانكفت أيدي

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٢٢٧

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٢٣٠

التركمان عنها ، وأقيمت خطبة المستنصر فيها وقطعت خطبة القائم ؛ وذلك بعد حروب عظيمة . وكان دخول ابن ملهم حلب يوم الخميس لثلاث بقين من ذي القعدة ، فبقي على ملكها أربع سنين . وفيها قدم كتاب من بخارى أنه وقع بها وباء عظيم حتى هلك من ذلك الإقليم ألف ألف وستمائة ألف وخمسون ألف إنسان ، وخلت الأسواق ، وأغلقت الأبواب . **وتعدى الوباء إلى** آذربيجان فالأهواز والبصرة وواسط ، وعامة تلك الأعمال ، فكانت الحفيرة تحفر ويلقى فيها العشرون والثلاثون من الأموات . وكان سببه قلة القوت والجوع ، فنبشت الأموات وأكلهم الناس . وكان الموت إذا وقع في دار مات جميع من فيها ، وكان المريض ينشق قلبه عن دم المهجة ، فيخرج من فمه قطرة فيموت ، أو يخرج من في دود فيموت . وكل دار كان فيها خمر مات أهلها كلهم في ليلة واحدة ، ومن كانت امرأته حراما ماتا معا ، ومات قيم مسجد وله خمسون ألف درهم فلم يقبلها أحد ، ووضعت في المسجد تسعة أيام ، فدخل أربعة من الشلوح إليها ليلا ليأخذوها فمات الأربعة عليها . وكان يموت الوصي قبل الموصى ، وكل مسلمين كان بينهما تفاخر ولم يصطلحا ماتا . وابتدأ **هذا الوباء من** تركستان ، ودب منها إلى كاشغر والشاش وفرغانة ، وعم النساء والصبيان ، فمات الصبيان والكهول والفتيان من سائر الناس إلا الملوك والعساكر ، فإنه لم يمت منهم ولا من الشيوخ والعجائز إلا القليل." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٧٩ """"""""

القاهرة ونزل بالجيزة . فامتدت الأيدي عند خروجه إلى دوره ودور حواشيه وأصحابه ، وانتهبتها وأفسدتها . فلما كان في الليلة التي خرج قبلها دخل في خفاء واجتمع بالقائد تاج الملوك شادي وترامي عليه وقبل رجله ، وقال له : اصطنعني وانصرني على الوزير الخطير وعلى إلدكز ، بأن تركب أنت وأصحابك وتسير بين القصرين ، فإذا أمكنتك الفرصة فاقتلهما ؛ فوافقه على ذلك وأجابه إليه ورجع ناصر الدولة إلى مخيمه بالجيزة . فلما طلع النهار شرع تاج الملوك في عمل ما تقرر بينه وبين ناصر الدولة ، فأحس إلدكز بالمكيدة فسارع إلى اللحوق بالقصر ، واستجار بالمستنصر . وأقبل الوزير في موكبه وليس له شعور بما بيت في الليل ، فصادفه تاج الملوك على غرة منه ، فأوقع به وقتله ؛ وسير في الحال إلى ناصر الدولة ، فحضر . وحسن إلدكز للمستنصر أن يركب لمحاربة ناصر الدولة ، فلبس سلاحه وألبس من معه وركب ، ونزل ، فصار معه من الجند والعامة ما لا يحصى عددهم كثرة . ووقف ناصر الدولة بمن معه ؛ ونشبت الحرب بينهما ، فكانت الكسرة على ناصر الدولة ، فانهزم وقد قتل كثير من أصحابه ؛ فمر على وجهه لا يلوى على شيء

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٢٣٥

في يسير من أصحابه ، حتى انتهى إلى بني سنبس بالبحيرة فنزل عليهم ، وأقام فيهم واستجارهم ، وتزوج منهم .

واشتد الغلاء بمصر ، وقلت الأقوات في الأعمال ، وعظم الفساد والضرر ، وكثر الجوع حتى أكل الناس الجيف والميتات ، ووقفوا في الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه ، مع ما نزل بالناس من الحروب والفتن التي هلك فيها من الخلق ما لا يحصيهم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """"""""

وتسلم جلال الدولة بن بويه من العين ، له ولمن يجري مجراه وعدتهم عشرة نفر ، من عطية واحدة مبلغ أربعة وأربعين ألف دينار ومائة وثلاثين دينارا . ووصل إلى بغداد على يد التجار مما خرج من القصر ، على ما وقفت في تاريخ بعض البغداديين ، أحد عشر ألف درع وعشرون ألف سيف محلى ، وثمانون ألف قطعة بللور وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج . وبيع طشت وإبريق من بللور باثني عشر ألف دينار ؛ وبيع نحو السبعين ألف قطعة من الثياب ، وعشر حبات زنتها عشرة مثاقيل بأربعمائة دينار .

قال ابن ميسر : رأيت مجلدة تجيء نحو العشرين كراسة ، فيها ذكر ما خرج من القصر من التحف والأثاث والثياب والذهب وغير ذلك .

وفيها صرف الوزير محمد بن جعفر ابن المغربي عن الوزارة في رمضان ، وتقرر جلال الملك أبو أحمد ، أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي . وفيها قتل أمير الجيوش بدر بساحل الشام الشريف أبا طاهر حيدرة ، ناظر دمشق ، لإحن كانت في نفسه منه ، وكان يعد من الأجواد . وفيها تغلب الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة الكتامي على دمشق واقتحمها قهرا بالسيف في شوال ، فأساء السيرة في الناس .

وفيها **عظم الغلاء بمصر** واشتد جوع الناس لقلة الأقوات في الأعمال وكثرة الفساد ، وأكل الناس الجيفة والميتات ، ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به ؛ وبيعت البيضة من بيض الدجاج بعشرة قراريط ، وبلغت رواية الماء دينارا ، وبيع دار ثمنها تسعمائة." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٧ """"""""

دينار بتسعين دينارا اشترى بها دون تليس دقيق . وعم **مع الغلاء وباء** شديد ؛ وشمل الخوف من العسكرية

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٧٩/٢

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٩٦/٢

وفساد العبيد . فانقطعت الطرقات برا وبحرا إلا بالخفارة الكبيرة مع ركوب الغرر . وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل كما تباع التحف والطرق في النداء : خراج خراج فبلغ أربعة عشر درهما ؛ وبيع أردب قمح بثمانين دينارا . ثم عدم ذلك كله ، وأكلت الكلاب والقطط ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير . وأبيعت حارة بمصر بطبق خبز ، حسابا عن كل دار رغيف ، فعرفت تلك الحارة بعد ذلك بحارة طبق ، وما زالت تعرف بذلك حتى دثرت فيما دثر من خطط مصر . وأكل الناس نحاتة النخل ؛ ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا . وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى في الطرقات ، فأعدوا سلبا وخطاطيف ، فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ، ثم ضربوه بالأخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه . قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط : حدثني بعض نسائنا الصالحات قالت : كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر ، فتقول : أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة ، فأخذني إنسان ، وكنت ذات جسم وسمن ، فأدخلني بيتا فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتيل ، فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا إلى أوتاد حديد ، عريانة ، ثم شرح من أفخاذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبني ، ثم أضرم الفحم وأسوى من لحمي وأكل أكلا كثيرا ؛ ثم سكر حتى وقع على جنبيه لا يعرف أين هو ؛ فأخذت في الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد ، وأعان الله على الخلاص ، وخلصت ، وحللت الرباط ، وأخذت خروقا من داره." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٨ """""""

ولففت بها أفخاذي ، وزحفت إلى باب الدار وخرجت أزحف إلى أن وقعت إلى الناس ، فحملت إلى بيتي ، وعرفتهم بموضعه ، فمضوا إلى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه ؛ وأقامت الدماء في أفخاذي سنة إلى أن ختم الجرح ، وبقي هكذا حفرا .

وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نخ أو حصير ؛ وتعطلت دواوينه وذهب وقاره ، وخرج من نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن : الجوع الجوع ، وهن يردن المسير إلى العراق ، فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهرة ، ومتن جوعا . جاء الوزير يوما على بغلة فأكلها العامة ، فأمر بهم فشنقوا ، فاجتمع الناس على المشنقين وأكلوهم . وعدم المستنصر القوت جملة حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ما كان لها من البر والصدقات في سني **هذا الغلاء** ، حتى أنفقت مالها كله ، وكان يجل عن الإحصاء ، في سبيل البر ؛ فلم يكن للمستنصر قوت

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٩٧/٢

سوى ما كانت تبعث به إليه ، وهو مرة واحدة في اليوم ، لا يجد غيره . وبعث بأولاده إلى الأطراف لعدم القوت ، فسير الأمير عبد الله إلى عكا فنزل عند أمير الجيوش ، وأرسل الأمير أبا علي معه ؛ وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان ، وسيره أولا إلى دمياط ؛ ولم يترك عنده سوى ابنه أبي القاسم أحمد .

وبعث المستنصر يوما إلى أبي الفضل عبد الله بن حسين بن شورى بن الجوهري الواعظ ، فدخل القاهرة من باب البرقية ، فلم يلق أحدا إلى القصر ؛ فجاء من باب البحر ، فوجد عليه شيخا ، فقال استأذن علي ؛ فقال : ادخل فهو وحده ؛ فدخل ، فلم ير أحدا في الدهاليز ولا القلعة ، فأنشد :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٩ """""""

يا منزلا ، لم تبل أطلاله . . . حاشا لأطلالك أن تبلى

لم أبك أطلالك ، لكنني . . . بكيت عيشي فيك إذ ولى

والعيش أولى ما بكاه الفتى . . . لا بد للمحزون أن يسلى

فإذا هو خلف باب المجلس ، فبكى وبكيت طويلا ، وحادثته ساعة ؛ ثم ناوله الخليفة قرطاسا فيه سبعون دينارا .

ومن عجيب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوت عرضت عقدا لها قيمته ألف دينار على جماعة ليعطوها به دقيقا وهم يعتذرون إليها ويدفعونها ، إلى أن رق لها رجل وباعها به تليس دقيق ، فحملته من مصر واكترت معها من يحفظه من النهابة ، وسارت تريد منزلها بالقاهرة ، فسلمه الحملة إليها عند بابي زويلة ، فلم تمش به غير قليل حتى تكاثر الناس عليها ، وانتهبوه منها فانتهبت هي أيضا منه مع النهابة ، فصار إليها ملء يديها دقيقا لم ينبها منه غيره ، فعجنته وشوته ، ثم مضت إلى باب القصر ووقفت على موضع مرتفع ، ورفعت القرصة في يدها حتى يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها : يأهل القاهرة ، ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره ، حتى تقومت علي هذه القرصة بألف دينار . ووقف مرة بعض المياسير بباب القصر وصرح إلى أن أحضر المستنصر ، فلما وقف بين يديه قال : يا مولانا هذه سبعون قمحة وقفت علي بسبعين دينارا كل حبة قمح بدينار ، في أيامك ، وهو ، أني اشتريت إردبا بسبعين دينارا فنهب مني ولم يبق في منه سوى ما وقع بيدي وانتهابي منه مع من نهب ، فعددت ما في يدي فجاء سبعين حبة من قمح ، وإذا كل حبة بدينار . فقال المستنصر : الآن فرج الله على الناس

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٩٨/٢

فإن أيامي حكم لها أنه يباع فيها القمحة بدينار . ولم يكن **هذا الغلاء عن** قصور مد النيل فقط ، وإنما كان من اختلاف الكلمة ومحاربة الأجناد بعضهم مع بعض . وكان الجند عدة طوائف مختلفة الأجناس ، فتغلبت لواتة والمغاربة على الوجه البحري ، وتغلب العبيد السودان على أرض الصعيد ، وتغلب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """""""

وعرفه بما صار إليه من سوء الحال ؛ فرق له وكف عنه ، وأطلق له في كل شهر مائة دينار . واستبد بسائر أمور الدولة ، وبالغ في إهانة المستنصر في الإعتقاد ، وزاد في إيصال الضرر إليه وإلى سائر حواشيه وأسبابه ، حتى قبض على أم المستنصر وعاقبها بعقوبات متعددة ، واستخلص منها أموالا جمة . فتفرق عن المستنصر جميع أهله ، وسائر أقاربه وأولاده وحواشيه ، فمنهم من سار إلى المغرب ومنهم من خرج إلى العراق ؛ وبقي فقيرا وحيدا خائفا يترقب . وقيل إن أم المستنصر فرت أيضا إلى العراق .

وفي شهر ربيع الأول استقر ابن أبي كدينة في الوزارة والدعوة والقضاء . واستمر الحال على ما وصفنا جميع سنة أربع وستين .

وفيها فقد الطعام ، فسارت التجار من صقلية والمهدية في الطعام والمرتب . فبيع القمح كل كيل قروي زنته تسعة أرطال بدينار نزاري ، ثم بيع بمثقالين ، ثم بثلاثة ، ثم فقد . وطبخ الناس جلود البقر وباعوها رطلا بدرهمين ، وبلغ الزيت أوقية بدرهمين ، وأوقية اللحم بدرهم ، وبيعت الأمتعة بأبخس ثمن ، وباع الناس أملاكهم . **ووقع الوباء فألقى** الناس موتاهم في النيل بغير أكفان .

وفيها مات القاضي الأجل أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي بطرابلس الشام ، ليلة السبت نصف." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٢ """""""

ولم يبق إلا وقوع الشر . فقال المستنصر لهم خيرا ، وأمر بإحضار الأفضل بن أمير الجيوش ، وقرر في الوزارة مكان أبيه ، وبطل أمر لاون ، فاستمر إلى ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة .

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد ، فلما كان عند موته حصل رعد عظيم وبرق كثير ومطر غزير ؛ وعمره يومئذ سبع وستون سنة وخمسة أشهر ؛ منها في خلافته ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، مرت به فيها أهوال عظيمة ، وشدائد آلت به إلى أن جلس على نخ ، لا يجد من القوت إلا ما تتصدق به

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٩٩/٢

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣٠٧/٢

عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل في كل يوم ، فلا يأكل غير مرة واحدة في اليوم من قعب فتيت تبعث بها إليه ، كما قد تقدم ذلك .

وكان قد قوي أمره وقام بتدبير وزارته عند إقامته في الخلافة وزير أبيه علي بن أحمد الجرجرائي ، فمشت الأحوال على سداد إلى أن مات ، فحكمت أمه في الدولة وولت أبا سعيد إبراهيم اليهودي التستري وزارتها ، فصار هو الذي يلي الوساطة ويدبر الأموال إلى أن قتل . فلما كانت سنة اثنتين وستين اختلطت الأمور وتعاظم الأمر ، فكان **من الغلاء والفتن** والبلاء والنهب ما تقدم ذكره . وولي وزارته أربعة وعشرون وزيرا ، وهم : أبو القاسم الجرجرائي إلى أن مات وزيرا في سنة ست وثلاثين ؛ فولي أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي إلى أن قتل في سنة تسع وثلاثين ؛ فولي عماد الدولة أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي مرتين إلى أن عزل في سنة أربعين ؛ فولي صاعد بن مسعود أبو الفضل وصرف في سنة اثنتين وأربعين ؛ فاستقر أبو محمد اليازوري مضافا إلى القضاء والتقدمة على الدعاة ، ولم يجمع ذلك لأحد قبله ، إلى أن قبض عليه في محرم سنة خمسين ؛ فاستوزر أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ثم صرف بعد شهرين وأربعة عشر يوما . واستقر أبو الفرج محمد بن جعفر بن." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥ """""""

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

فيها رحل عالم لا يحصى عددهم من البلاد الشامية فرارا من الفرنج والغلاء .

وفيها **عم الغلاء أكثر** البلاد ؛ ومات من أهل مصر خلق كثير .

وفيها مات قاضي القضاة أبو الطاهر محمد بن رجاء ، وتولى بعده أبو الفرج محمد ابن جوهر بن ذكا النابلسي . ومات علي بن محمد بن علي الصليحي ، قتله سعد بن نجاح الأحول ، وقتل أخاه عبد الله وجميع بني الصليحي بمكة في ذي القعدة .

وولى الحسن بن علي بن أحمد الكرخي الحكم شهرا واحدا وثلاثة أيام ، وصرف وصودر من أجل أنه أخذ عصابة من القصر في أيام الشدة لها قيمة فظهرت عليه .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٧٦ """""""

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٣٣٢

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣/٢٥

في ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سقطت صاعقة أحرقت ركن منارة الجامع العتيق .

في شعبان غلت الأسعار وعدم القمح والشعير ، فبلغ القمح كل إردب إلى تسعين درهما والدقيق إلى مائة وخمسين للحملة ، والخبز إلى ثلاثة أرطال بدرهم ، والويبة من الشعير إلى سبعة دراهم ، والزيت الطيب إلى سبعة دراهم للرطل ، والجبن إلى درهمين للرطل والبيض إلى عشرين درهما للمائة ، والزيت الحار إلى درهم ونصف للرطل ، والقلقاس كل رطلين بدرهم ؛ وعدم الفرخ والدجاج فلم يقدر على شيء منه . وعم الوباء ، وكثر الموتان .

وفيها مات أحمد بن مفرج بن أحمد بن أبي الخليل الصقلي الشاعر ، المعروف بتلميذ ابن سابق ؛ وكان فاضلا ذكيا يتصرف في عدة فنون ، وله رسائل حسنة وشعر جيد .

وكان الشعراء في أيام الحافظ قد أطنبوا في المديح وتناهوا في إطالة القصائد حتى صار الإنشاد يؤدى إلى قصر الوقت الذي جرت العادة باستماع أشعارهم فيه ، لطول مثولهم بالخدمة ؛ فخرج الأمر إليهم بالاختصار فيما ينشدونه من الأشعار . فقال أحمد بن مفرج يخاطب الخليفة :

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرا . . . لم لا أمرت ندى كفيك يختصر

والله لا بد أن تجرى سوابقنا . . . حتى يبين لنا في مدحك الأثر

فأمروا بالاستمرار على ما هم عليه من الإطالة في الإنشاد .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧٧ """""""

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها عظم الوباء بديار مصر ، فهلك فيه عالم لا يحصى عدده كثرة .

وفيها بعث الحافظ الأمير النجيب رسولا إلى رجار ملك صقلية لمحاربته أهل صقلية ؛ وكان رجار فيه فضيلة وأمر ، فصنفت له تصانيف ، وكان عنده محبة للأدب ؛ ومدحه ابن قلاقس الشاعر وغيره .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ١٨٧ """""""

بلغ إلى الباب الجديد أول الشارع ، خارج باب زويلة ، فكان الناس يتوجهون من مصر إلى القاهرة على ناحية المقابر لامتلاء الطريق بالمياه . فلما بلغ الحافظ ذلك أظهر له الحزن والانقطاع ، فسأله بعض خواصه عن ذلك ، فأخرج له كتابا وقال : انظر هذا السطر ، فإذا فيه : إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٧٦/٣

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٧٧/٣

الإمام عبد المجيد . ثم قال : هذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا ، وما يأتي بعدها . فاتفق أنه لم تنسلخ هذه السنة حتى مرض الحافظ مرضة الموت .

وفيها انقرضت دولة بني باديس . وذلك **أن الغلاء اشتد** بإفريقية من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة إلى سنة اثنتين وأربعين حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، وخلت القرى ، ولحق كثير من الناس بجزيرة صقلية . فاغتنم رجار متملكها الفرصة وبعث جرج ، مقدم أسطوله ، على نحو مائتين وخمسين شينيا ، فنزل على المهدية ثامن صفر سنة اثنتين وأربعين ، وبها الحسن بن علي بن يحيي بن تميم بن المعز بن باديس ؛ ففر بأخف حمله وتبعه الناس . فدخل جرج المهدية بغير مانع ، واستولى على قصر الأمير حسن ، وأخذ منه ذخائر نفيسة وحظايا بديعات .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٩ """"""""

سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

فيها نزع السعر **ووقع الغلاء بديار** مصر ، فلحق الناس منه شدة." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٤ """"""""

أخنس الأنف ، منتشر المنخرين ، كبير الشفتين . فأجلسه الصالح في البادهنج ، وكان عمره إحدى عشرة سنة . ثم أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بذلة ساذجة خضراء ، وهي لبس ولي العهد إذا حزن على من تقدمه ، وقام وألبسه إياها .

وأخذوا في تجهيز الفائز ؛ فلما أخرج تابوته صلى عليه وحمل إلى التربة . وأخذ الصالح بيد عبد الله وأجلسه إلى جانبه ، وأمر أن تحمل إليه ثياب الخلافة ، فألبسها ؛ وبايعه ، ثم بايعه الناس ؛ ونعته بالعاضد لدين الله . وذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين . وأبوه أحد الأخوين اللذين قتلهما الوزير عباس .

ولما بويع العاضد ركب وحملت على رأسه المظلة ؛ وركب الصالح بين يديه ، وخرج من التربة قاصدا قصره . وكانت عادة الخلفاء أنه إذا ورد البشير إلى أخص أهل من يبايع يعطى ألف دينار ؛ فلما بويع العاضد حضر المبشر إلى عمته فأعطته نزرا ، فلما راجعها في الزيادة أبت عليه ؛ فسئلت في السبب فقالت : هذا قاطع الخلفاء . وهكذا كان .

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣/١٨٧

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣/٢٢٩

واستقر العاضد اسما والصالح معنى ، فتمكن وقويت حرمته ، واستولى على الدولة وتمكن منها ، ونقل جميع أموال القصر إلى دار الوزارة ، وأساء السيرة باحتكار الغلات ، **فوقع الغلاء وارتفعت** الأسعار ؛ وأكثر من قتل أمراء الدولة .." (١)

"الحسن البصري

يروى أن رجلا اغتابه، فما كان منه إلا أنه أرسل له بطبق من الحلوى قائلا له: بلغني أنك نقلت حسناتك إلى ديواني وهذه مكافأتك!!

إنه (الحسن البصري بن أبي الحسن يسار) وكنيته (أبو سعيد) ولد في المدينة

عام واحد وعشرين من الهجرة، كان أبوه من سبي (ميسان) من بلاد فارس، سكن المدينة وبها أعتق، وتزوج بمولاة أم سلمة -رضي الله عنها- (خيرة) فكانت أم سلمة -رضي الله عنها- تبعث أم الحسن البصري لتقضي لها الحاجة، وتترك (الحسن) فيبكي وهو طفل فترضعه أم سلمة، وتخرجه إلى أصحاب رسول الله -صلى الله

عليه وسلم- وهو صغير فكانوا يدعون له، فأخرجته إلى عمر -رضي الله عنه- فدعا له وقال: (اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس).

تعلم في مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحفظ القرآن في العاشرة من

عمره، وتتلمذ على أيدي كبار الصحابة في مسجد الرسول -صلى الله عليه

وسلم- روى الحديث عن عليٍ وعثمان وعبد الله بن عمرو وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم، ثم رحل إلى البصرة، فكان فقيهها وعالمها، وشيخ القراء فيها، أقبل الناس عليه يتلقون عنه العلم، ويأخذون منه الحكمة، فقد كان موضع إعجاب العلماء والتلاميذ، فقد قال أنس بن مالك: سلوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا، وقال عنه أحد تلاميذه: ترددت على مجلس الحسن عشر سنين، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك.

وكانت حلقته في المسجد يدرس فيها الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة، وكان من تلاميذه من يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبه للقرآن، ومنهم من يصحبه للبلاغة واللغة، وكان دائما ينصح تلاميذه قائلا: إذا طلب الرجل العلم فينبغي أن يرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره.

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣/٢٤٤

لقد نذر الحسن البصري حياته لله تبارك وتعالى، فكان همه الأول النصح والإرشاد، فأقبل عليه طلاب العلم إقبالا عظيما، فذاع صيته، واتسعت حلقاته بالمسجد حتى لقب ب(إمام البصرة)..لازمته ظاهرة البكاء والخشية من الله، وعندما سئل عن ذلك قال: (نضحك ولا ندري، لعل الله قد اطلع على أعمالنا، فقال لا أقبل منكم شيئا) وسجل له التاريخ على صفحاته البيضاء موقفه من الحجاج بن يوسف، وقدكان الحسن البصري من أشد الناس وأشجعهم،وكان صلى الله عليه وسلم المهلب بن أبي صفرة) إذا قاتل عدوا يجعله في مقدمة الجيش.

وكان الحسن البصري يعتبر أن حياة القلب وسلامته طريق الإيمان الحق، وفي ذلك كان يراسل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في هذا الشأن فيقول له: (سلام عليك، أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات، فأجابه عمر: (سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل).

وجلس الحسن ذات يوم في مسجد البصرة الكبير يفسر قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الحديد: ١٦] ثم وعظ الناس وعظا بليغا حتى أبكاهم، وكان من بينهم شاب يقال له (عتبة) فقام وقال أيها الشيخ: أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي إذا تاب؟ فقال الحسن: نعم، يقبل توبتك عن فسقك وفجورك، فلما سمع الشاب ذلك صاح صيحة وخر مغشيا عليه، فلما أفاق دنا الحسن البصري منه وقال له:

أيا شاب لرب العرش عاصي أتدري ما جزاء ذوي المعاصي

سعير للعصاة لها زفير وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي

فإن تصبر على النيران فاعصه وإلا كن عن العصيان قاصي

وفيم قد كسبت من الخطايا رهنت النفس فاجهر في الخلاص

فخر الشاب مغشيا عليه، ثم أفاق، فسأل الحسن: هل يقبل الرب الرحيم توبة لئيم مثلي؟ فقال الحسن: هل يقبل توبة العبد الجافي إلا الرب المعافي؟! ثم رفع رأسه، ودعا له؛ فأصلح الله حال الشاب.

ومن أقواله لتلاميذه: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاثة: أنه لم يشبع بما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه، يابن آدم إنما أنت

أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك، الفقيه هو الزاهد في الدنيا، البصير بدينه المداوم على عبادة ربه، تفكر في الله ساعة خير من قيام ليلة، يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار، ومن مسرور ومن ورائه الموت.

وقال ناصحا تلميذا له:

إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثه وإن طال حتى يمسك.
وفارق الحسن دنيا الناس سنة ١١٠ هـ عن نحو ثمان وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهودة، صلوا عليه عقيب الجمعة، وشيعه خلق كثير.
ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحسن البصري التابعى الجليل

وصف بأنه من كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ومن القلائل الذين أجرى الله الحكمة على ألسنتهم فكان كلامه حكمة وبلاغة إنه التابعي الجليل الحسن البصري.
نسبه ونشأته
هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد الحسن في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي وكانت أمه ربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.
ونشأ الحسن بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث.
وحكى الأصمعي عن أبيه قال ما رأيت أعرض زندا من الحسن كان عرضه شبرا. وقال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي فقيل له فأيهما كان أفصح قال الحسن.
مواقف من حياته
كان الحسن يقص (يحكى القصص) في الحج فمر به علي بن الحسين فقال له يا شيخ أترضى نفسك للموت قال لا قال فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل ،لناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها.
***

وقيل إن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق أن الحجاج في النار فما تقول أقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له قد كان الحجاج فاجرا فاسقا وما أدري ما أقول لك إن رحمة الله وسعت كل شيء وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ذكر ذلك.

***

وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك

****

وقيل له ألا ترى **كثرة الوباء فقال** أنفق ممسك وأقلع مذنب واتعظ جاحد.

****

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال ما لكم تزدحمون ها تلك هي ساريته في المسجد اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله.

***

وحدث الحسن بحديث فقال له رجل يا أبا سعيد عن من فقال وما تصنع بعن من أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته.

***

وقال لفرقد بن يعقوب بلغني أنك لا تأكل الفالوذج فقال يا أبا سعيد أخاف ألا أؤدي شكره قال الحسن يا لكع هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه.

***

وقيل للحسن إن فلانا اغتابك فبعث إليه طبق حلوى وقال بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فكافأتك بهذا

***

ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأنفذ ذلك الأمر فما ترون؟! فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية فقال ابن هبيرة ما تقول يا حسن فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأجازهم ابن هبيرة وأضعف

جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين سفسفنا له فسفسف لنا.

من كلماته

ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت.

ورأى الحسن يوما رجلا وسيما حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبونه فقال لله أبوه ما رأيت أحدا طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا.

وفاته

وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله عنه وكانت جنازته مشهودة قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق فقال لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم.

وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين رأيت كأن طائرا أخذ أحسن حصاة بالمسجد فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن.

ـــ." (١)

"عبد الرحمن الجبرتي

كان والده الشيخ (حسن الجبرتي) من كبار علماء الأزهر، لكنه كان مميزا عنهم، ففي الوقت الذي كان فيه زملاؤه يتجهون إلى دراسة الفقه والنحو والبلاغة والتفسير، أضاف هو إليها دراسة الرياضيات، والمسائل الفلكية، ولقب الجبرتي نسبة إلى (جبرت) إحدى مدن الحبشة الإسلامية التي رحل منها أجداد الجبرتي إلى مصر في القرن العاشر الهجري.أحب الشيخ حسن الجبرتي هذه العلوم وتعلق بها تعلق الأم بوليدها حتى نبغ فيها، فتوافد عليه التلاميذ يستفيدون من علمه، ففتح لهم منزله الفسيح الرحب؛ حيث كان غنيا ورث عن آبائه المنازل والمتاجر، وازداد ثراؤه أكثر وأكثر من أرباح التجارة؛ لأنه كان تاجرا ماهرا في الوقت الذي كان فيه عالما جليلا.

في هذا البيت الحافل بالعلم والنعيم، ولد (عبد الرحمن الجبرتي) عام ١١٦٧هـ/١٧٥٤م، لكن والده لم

---

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/٣

يفرح بولادته كسائر الآباء، بل استقبله استقبالا حزينا؛ فقد ولد له أطفال كثيرون من قبل، وكان الموت يخطفهم من بين يديه بعد أن يبلغوا من العمر عاما أو عامين، فكان يخشى أن يكون مصيره مثل مصير إخوته لكن عناية الله أحاطت بعبد الرحمن فلم تمتد إليه يد الموت، وقدرت له الحياة.

نشأ عبد الرحمن في بيت أبيه، يحفظ القرآن الكريم، وكغيره من أولاد العلماء ذهب إلى المدارس والكتاتيب لتعلم العلوم الدينية، وعين له والده شيخا ليحفظه القرآن هو الشيخ (محمد موسى الجناجي) وشب عبد الرحمن فرأى العلماء والأدباء يأتون منزل أبيه؛ يتحدثون في العلوم والآداب، فجلس يستمع إليهم، ويأخذ من علمهم، كما استمع إلى كبار رجال الدولة وأمراء المماليك وأغنياء مصر الذين كانوا لا ينقطعون عن زيارة أبيه، بل إن جماعة من الأوروبيين كانت تأتي إليه؛ ليتعلموا على يديه علم الهندسة، فعرف الجبرتي الكثير عن أحوال مصر وأسرارها، وكان يدخر كل ذلك في ذاكرته الحافظة الواعية، وازداد عبد الرحمن الجبرتي علما عندما ارتاد حلقات الأزهر الشريف.

توفي والد عبد الرحمن عام ١١٨٨هـ فترك له ثروة كبيرة وأراض زراعية في أنحاء عديدة من مصر، فاضطر أن يتفقد أملاكه بنفسه، فرحل عن القاهرة حيث توجد هذه الأراضي في أقاليم مصر المختلفة فتهيأت له فرصة مناسبة ليعرف أحوال مصر، وطبقات الشعب من حكام وفلاحين وعمال ثم عاد إلى القاهرة بعد أن ازدادت معارفه، وواصل الشاب دراسته بالأزهر.

وأعجب (عبد الرحمن الجبرتي) بأحد علماء اليمن الذي وفد إلى مصر إعجابا شديدا وهو محمد المرتضي الزبيدي صاحب تاج العروس، ولازم مجلسه، حتى أصبح من تلاميذه المخلصين، وذات يوم أخبر (الزبيدي) تلميذه (الجبرتي) بأنه يريد أن يسجل أحداث الماضي، ويؤرخ لعلماء القرن الثامن عشر وأمرائه ومشاهيره، وطلب من الجبرتي أن يساعده في هذا العمل؛ فيجمع كل ما يستطيعه عن حياة السابقين، ويقرأ النقوش فوق القبور وعلى المساجد والآثار، وأعجب (عبد الرحمن الجبرتي) بالفكرة فأخذ يبحث ويسأل ثم يسجل معلوماته ويكتبها.

وبينما هو على هذه الحال مات أستاذه سنة (١٢٠٥هـ-١٧٩٠م) فحزن عليه حزنا شديدا، لكنه لم ييأس بل صمم على تكملة سيرته، فأخذ يكتب كل ما يراه ويشاهده، ويسجل كل صغيرة وكبيرة ومضت الأيام، وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، فكتب عنها بحياد تام وسجل يومياته أولا بأول في كتابه (مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس) وكتب عما ارتكبه الفرنسيون من تدمير ونسف وقتل، وما أمطروا به المساجد والأسواق والمنازل من قنابل أدت إلى موت الكثيرين من أبناء الشعب المصري، لكنه يغض الطرف عن

بعض مزايا الفرنسيين مثل حبهم للعلم والعمل واحترامهم للقانون.
وكتب (عبد الرحمن الجبرتي) عن المماليك وكيف أن بعضهم كانوا ينهبون ويقتلون ويخطفون الغلمان والنساء، ويسرقون الحلي من صدور النساء، كتب كل ذلك دون أن يجامل أحدا منهم، بالرغم من أنه كانت تربطه بهم روابط صداقة، فلم يكن كتابه مجاملة لأمير أو طاعة لوزير، ومضى عهد الفرنسيين وتولى (محمد علي) أمور الدولة فكتب (الجبرتي) بكل جرأة **عن الغلاء الفاحش** في عهد (محمد علي) وعن مصادرة الأموال، وانتهاك الحرمات، والسطو على المتاجر والمصانع، كما ندد بالطغاة
أمثال: (سليمان أغا السلحدار) و(محمد الدفتردار) من أتباع الوالي، ومع ذلك لم يغفل ما قام به (محمد علي) من أعمال مفيدة كإنشاء المصانع وبناء السفن وتشجيع العلماء وسجل ذلك كله في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار).
وانتشر ما كتبه الجبرتي عن هؤلاء الظلمة، على ألسنة الناس فتربصوا به، وحاولوا النيل منه، فقتلوا ابنه خليلا في سنة ١٢٣٧هـ، وتوقف بعدها الجبرتي عن الكتابة، وحزن على ابنه حزنا شديدا، حتى فقد بصره ومات عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م
___." (١)

"الحافظ البيهقي

بقلم » الشيخ نايف هاشم الدعيس
ولد أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله[١] بن موسى البيهقي في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[٢] بقرية – خسرو جرد[٣] – وعاش أربعا وسبعين سنة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في نيسابور[٤] وحمل[٥] منها إلى (بيهق)[٦] فدفن بها.
وقد عاش في زمن عاصف بالفتن التي ضربت أمواجها بلاد الإسلام فابتلى المسلمون بلاءا عظيما وصاروا طوائف وأحزابا يطعن بعضهم في بعض حتى طمع فيهم أعداؤهم وهاجم[٧] ملك الروم بلاد الشام بجيوشه الجرارة على حين غفلة من المسلمين.
ولو لا ما قدر في كتاب لجاز البلاد والأموال وصدع الصرح الشامخ الذي بناه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

---

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/٧٥

وفي الوقت الذي يهاجم الروم فيه الشام تحاصر مدينة البصرة ويباع[٨] نصف مدينة (الرها) بعشرين ألف دينار، ويدخل طغرلبك مدينة نيسابور وخراسان وما جاورها، وتتجدد الفتن في كل وقت وحين بين أهل السنة من جهة والشيعة والرافضة من جهة أخرى عم الذعر قلوب الناس وتخلخل الأمن ونهب[٩] الأتراك كل من ورد إلى بغداد **فشاع الغلاء وقل** المورد، ولعن الخطباء الرافضة والأشاعرة على المنابر ونحي عن المناصب الشافعية فضج أهل خراسان وأرسل [١٠] البيهقي رسالته إلى عميد عبد الملك الكندري التي دافع فيها عن أهل السنة عامة وعن الأشعري وما نسب إليه خاصة دفاعا قويا لم يترك في نفس الوزير الكندري إلا أثرا عكسيا فتمادى في ظلمه وعد وأنه ولم يأبه بكل ما كتب إليه حتى مات (طغرلبك) وانتقل الأمر من بعده إلى ابن أخيه (ألب أرسلان) الذي نقم على الكندري أعماله فقبض عليه وقتله وأسند أمر الوزارة إلى (نظام الملك) الذي انتصر للشافعية وأبطل ما كان من سب الأشعرية.

وليس مهما أن تعدد الحوادث بقدر الإهتمام بمعرفة مدى تأثيرها على نفسه المملؤة إيمانا وورعا ونزاهة وحبا للسنة، التي نصب نفسه للدفاع عنها والتمسك بها فجمع كل ما تحصل عليه ليجعل منه منهجا يتسم بالتمسك بعرى وثيقة تستمد الهدي من مشكاة النبوة فتكشف الظلام الكثيف الذي هيمن على ربوع الأرض وأحاطها من كل جانب بسبب المطاحنة المذهبية والتعصبات الجاهلية.

وهكذا نراه يمضي قدما في ترسيخ الأسس التي قام عليها صرح الإسلام فألف الكتب وجمع فيها ما لم يتهيأ لغيره جمعه فاستوعب الكثير مما يتعلق بالعقائد والسنة والفقه. وكان جل اهتمامه متابعة ما أثر عن الشافعي بعد أن ثبت له تمسكه بالكتاب والسنة وأنه فاق غيره في ذلك.

ولم يكن البيهقي بالرجل الذي يطوع النصوص لمذهبه كما فعل غيره وإنما غرضه منها أسمى من أن يتحدث عنه بمثل ذلك.

وليس غريبا أن يسلك هذا السبيل وهو يتبع إماما تمسك بالسنة وأوصى بها[١١] ما بلغه منها وما لم يبلغه، حتى علق قوله بثبوت ما خفي عليه منها.

أضف إلى ذلك تلقيه العلم عن أئمة برزوا في مناحي الإجتهاد فكان كل واحد منهم جبلا شامخا تتحطم عنده أمواج التعصب.

وقد انعكس ذلك على مؤلفاته فجاءت صورة صادقة للتعبير عما ينطوي عليه نفسه من حب وإيثار للسنة على غيرها وميول نحو الحق وإن أدى إلى مخالفة الإمام الذي[١٢] تولى الدفاع عنه، واشتهر بحبه له، فصنف التصانيف لنصرة[١٣] مذهبه حتى اشتهر عن إمام الحرمين قولته المشهورة " ما من شافعي المذهب

إلا وللشافعي عليه منه، إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منه "[١٤]. وقال الذهبي:" إن البيهقي أول من جمع نصوص الشافعي "[١٥]، ورد عليه السبكي[١٦] ورجح أنه آخر من جمع نصوصه، وأيده السيد أحمد صقر[١٧] بما نقله عن البيهقي نفسه وأنه ذكر ثلاثة كتب[١٨] سبقه مؤلفوها إلى جمع نصوص الشافعي فيها والظاهر أن الذهبي قال ذلك في حقه باعتبار استيعابه في مصنفاته أكثر – أو كل – ما في كتب السابقين، وبهذا تجتمع الأقوال ،التي اتفقت على تفوق البيهقي في هذا المضمار على كل من شارك فيه.

(صفاته)

قال السبكي[١٩] :"كان الإمام البيهقي أحد أئمة المسلمين وهداة المؤمنين والدعاة إلى حبل الله المتين، فقيه جليل، حافظ كبير، أصولي نحوي زاهد ورع، قانت لله، قائم بنصرة المذهب أصولا وفروعا جبلا[٢٠] من جبال العلم، أخذ الفقه عن ناصر العمري وقرأ علم الكلام على مذهب الأشعري ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار أوحد زمانه وفارس ميدانه، وأحذق المحدثين وأحدهم ذهنا، وأسرعهم فهما، وأجودهم قريحة ". هـ .

وقال ابن ناصر الدين:"كان واحد زمانه، وفرد أقرانه حفظا واتقانا، وثقة، وعمدة "[٢١].هـ

وقال[٢٢] ابن خلكان:"كان قانعا من الدنيا بالقليل "[٢٣]. هـ.

(علمه)

لم تذكر كتب التراجم كيف بدأ البيهقي حياته العلمية كما لم تعطنا فكرة واضحة المعالم عن أسرته وطفولته وكيف نشأ، لكنها لم تغفل اهتمامه وشغفه بالبحث والإطلاع الذي جازبه حدود قريته إلى العراق والجبال [٢٤] والحجاز فتلقى من علمائها الكثير وقد ربي عددهم على المائة[٢٥].

فأخذ عن شيخه أبي عبد الله الحاكم علم الحديث، وأخذ الفقه[٢٦] عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي [٢٧] . (ت ٤٤٤هـ).

وقال عبد الغافر[٢٨] :" جمع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث ".

وقال السمعاني[٢٩] :" جمع بين معرفة الحديث والفقه ". هـ.

ومن الغريب أن يقول الذهبي عنه:" دائرته في الحديث ليست كبيرة لكن بورك له في مروياته"[٣٠].

على رغم ما لمسناه في كتبه من الإطلاع الواسع والمعرفة التامة بالأحاديث وما يتعلق بها.

ورغم ما تقدم من أقوال العلماء وشهاداتهم له وتقديمه في معرفة الحديث ورغم ما أثر عنه من أقوال[٣١]

تفيد مدى اهتمامه واشتغاله بهذا العلم منذ حداثته ونعومة أظافره.
وكما استغربنا كلام الذهبي عنه نقف حائرين أمام تفسير عدم تمكنه من الإطلاع على (سنن النسائي) و (سنن ابن ماجه) و (جامع الترمذي)[٣٢]، وقد علمنا مدى حرصه واهتمامه بكتب السنة وما قام به من رحلات عديدة للتحصيل وجمع المعلومات.

(مصنفاته)

بعد أن جاب البيهقي أقطار الأرض طلبا للعلم والتقى بالكثير من العلماء ونهل من مواردهم المختلفة حتى فاق الكثير منهم عاد إلى بلده[٣٣] وأخذ يكتب الرسائل ويؤلف الكتب حتى بلغت – فيما قيل – ألف جزء، منها ما هو في الحديث، ومنها ما جمع بين الفقه والحديث ومنها ما انفرد بالعقائد، ولقد بورك له في مؤلفاته حتى لا يكاد يستغني عنها مسلم فنشر منها الكثير وما لم تزغ عنه أعين الباحثين يترقبون له الفرص لنشره وبثه ليستقى من نهله العذب.

ولقد عدد المترجمون عنه الكثير من كتبه لاسيما ما كتبه السيد أحمد صقر فقد ذكر من مؤلفاته واحدا وثلاثين مؤلفا لكنه اقتصر في التعريف بها على ما كتبه السبكي عنها، وهي عبارات وجيزة مختصرة ولهذا سنذكر أهم تلك المؤلفات مع التعريف بها:-

١- السنن الكبرى .

وهو أهم مؤلفاته وشهد له السبكي بقوله:" ما صنف في علم الحديث مثله تهذيبا وترتيبا وجودة" فأقر قول شيخه الذهبي " ليس لأحد مثله "[٣٤] وذكره[٣٥] السخاوي ضمن كتب السنن وقال:" فلا تعد عنه لاستيعابه لأكثر أحاديث الأحكام، بل لا تعلم –كما قال ابن الصلاح- في بابه مثله ولذا كان حقه التقديم على سائر كتب السنن ولكن قدمت تلك لتقديم مصنفيها في الوفاة ومزيد جلالتهم".

وقال الفاداني[٣٦] المكي:"لم يصنف في الإسلام مثلهما " ويعني السنن الكبرى والسنن الصغرى".

وقال أبو عبد الله محمد الأمير الكبير في تفسير كلام السخاوي المتقدم – أي لا تتجاوز أنت عن كتاب السنن الكبرى ولا حاجة لك في طلب غيره "[٣٧] وقد جمع في مؤلفه السنن من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وموقوفات الصحابة وما أرسله التابعون فكان موسوعة كبرى في الحديث وقد رتبه على أبواب الفقه[٣٨]، واشتغل به بعض العلماء فاختصره كل من إبراهيم بن علي المعروف بابن عبد الخالق الدمشقي (ت ٧٤٤هـ) في خمس مجلدات[٣٩] والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) والشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٤ هـ) وصنف الشيخ علاء الدين علي بن عثمان المعروف بابن التركماني

(ت ٧٥٠ هـ) كتابا سماه (الجوهر النقي في الرد على البيهقي) وهو مطبوع في حاشية كتاب (السنن الكبرى) وأكثره اعتراضات[٤٠] عليه ومناقشات له ومباحثات معه.
ولخص كتاب (الجوهر النقي)[٤١] زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٩ هـ) في كتاب سماه (ترجيح الجوهر النقي) وقد رتبه على حروف المعجم وبلغ فيه إلى حرف الميم.
٢- (معرفة السنن والآثار):
قال السبكي[٤٢] :" وأما المعرفة- معرفة السنن والآثار- فلا يستغني عنه فقيه شافعي، وسمعت الشيخ الإمام رحمه الله يقول: مراده معرفة الشافعي بالسنن والآثار ". هـ.
والحق أنه لا غنى لفقيه شافعي وغيره عنه لما جمع فيه من أحكام يستدل عليها بما في الكتاب والسنة، ويوازن فيه بين أقوال الفقهاء ويذكر أدلتهم ويبين الصحيح منها والضعيف.
فهو بدون ريب من موسوعات كتب الفقه المقارن قل أن تجد مثله وقد ضمنه الرد على أبي جعفر أحمد بن سلامه الطحاوي الحنفي الذي شن[٤٣] الغارة على الشافعي وأصحابه.
ويأتي ضمن البحوث تعريف كامل بكتاب (معرفة السنن والآثار) نشير فيه إلى نسخه ومواضعها.
وقد خرج فيه مؤلفه ما احتج به الشافعي من الأحاديث في الأصول والفروع بأسانيدها التي رواها بها مع ما رواه مستأنسا به غير معتمد عليه أو حكاه لغيره مجيبا عنه.
وقد تكلم البيهقي على تلك الأحاديث والأخبار بالجرح والتعديل والتصحيح والتعديل وأضاف إلى بعض ما أجمله الشافعي ما يفسره من كلام غيره وإلى بعض ما رواه ما يقويه من رواية غيره.
وبين فيه أن الشافعي لم يصدر بابا برواية مجهولة ولم يبن حكما على حديث معلول وأنه قد يورده في الباب على رسم أول الحديث بإيراد ما عندهم من الأسانيد واعتماده على الحديث الثابت أو غيره من الحجج.
وأنه قد يثق ببعض من هو مختلف في عدالته على ما يؤدي إليه اجتهاده كما يفعل غيره.
وأنه لم يدع سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغته وثبتت عنده حتى قادها، وهكذا نرى مقصده من تأليف (معرفة السنن) يتجلى في مقدمته الطويلة التي صدرها كتابه.
٣- كتاب (المبسوط) :
قال السبكي[٤٤]:" وأما المبسوط في نصوص الشافعي فما صنف في نوعه مثله ". وألفه البيهقي ليجمع كلام الشافعي ونصوصه مضبوطة بعد ما ضاق صدره مما وجده في الكتب [٤٥] من الإختلاف في نصوص الشافعي وإيراد الحكايات عنه دون تثبت، فحمله ذلك على نقل مبسوط ما اختصره المزني من

كلام الشافعي وأدلته على ترتيب المختصر[٤٦].

٤- كتاب (الأسماء والصفات) :

قال السبكي:" وأما كتاب الأسماء والصفات فلا أعرف له نظيرا ".هـ. وألفه البيهقي لبيان أسماء الله تعالى وأدلتها من الكتاب أو السنة أو الإجماع.

وبدأه بالثناء على الله ثم ذكر أسماء الله تعالى التي من أحصاها دخل الجنة وربط معاني تلك الأسماء بخمسة أبواب، وذكر أن هناك أسماء غير هذه لله تعالى[٤٧].

٥- كتاب (الإعتقاد):

قال السبكي[٤٨] : "وأما- كتاب الإعتقاد- وكتاب دلائل النبوة- وكتاب شعب الإيمان- وكتاب مناقب الشافعي- وكتاب الدعوات الكبير- فأقسم ما لواحد منها نظير ".

وكتاب الإعتقاد كتبه البيهقي ليبين فيه ما يجب على المكلف اعتقاده والإعتراف به مع الإشارة إلى أطراف أدلته.

وقال المؤلف نفسه:" هذا الذي أودعناه هذا الكتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة وأقوالهم ".

وهو لاشك كتاب نفيس في موضوعه يتسم بسلاسة الأسلوب والنقاش الهادئ وقوة الأدلة. وقد جمعه من تواليفه مما كتبه فيما يجب على المكلف اعتقاده والإعتراف به ملتزما ما فيه الإختصار[٤٩].

٦- كتاب[٥٠] (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) :

تكلم فيه عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ونشأته وشرف أصله ووفاة أبيه وأمه وجده.

و ذكر فيه صفاته الخلقية والخلقية وزهده في الدنيا وسيرة حياته منذ ولادته حتى وفاته، تباشير بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه.

وركز في مباحثه على المعجزات وخوارق العادات فذكر فيها أحاديث جلها صحيحة وبعضها فيه مقال[٥١].

وهو كتاب من أجمع تصانيف، مؤلفه لما أورده فيه وعنى به وقد اعتمد فيه على كتب السابقين له.

٧- كتاب (شعب الإيمان) [٥٢]:

وهو كتاب كبير في ست مجلدات، كتبه البيهقي على نمط (كتاب)[٥٣] أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت ٤٠٣هـ) في بيان شعب الإيمان المشار إليها في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[٥٤] ولم يجمع تلك الشعب ثم يكلم عليها واحدة تلو الأخرى وإنما أورد كلامه مفصلا عن

كل واحدة منها مستوفيا أدلتها وشارحا لها في جميع الكتاب وقد زاد على (كتاب) الحليمي ذكر الأسانيد التي عليها مدار الروايات.

٨- كتاب (مناقب الشافعي)[٥٥]:

وهو أجمع ما رأيت من كتب مناقب الإمام الشافعي، وقد نقل فيه مؤلفه عمن كتب قبله في ترجمة الإمام- كابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، وأبي الحسن محمد بن عبد الله الرازي (ت ٤٥٤ هـ).

ويتضح فيه تحمسه الشديد للشافعي ومذهبه أن دون المساس بأحد وكأن مرجع ذلك اقتناع البيهقي بتمسك الشافعي بالكتاب والسنة وأنه أقرب الأئمة منهما.

وبدأ كتابه بذكر ما لقريش من الخصائص لا سيما بني هاشم وبني المطلب ليدلل على مكانة الشافعي ونسبه.

وقد ذكر فيه مولده ونسبه وتعلمه وتعليمه وتصرفه في العلم وتصانيفه واعتراف علماء دهره بفضله، ومما يستدل به على كمال عقله وزهده في الدنيا وورعه واشتهاره بخصال الخير، ومكارم الأخلاق.

وقد أورد فيه أحاديث صحيحة وأخرى لا تخلوا من مقال[٥٦].

وقد نقل كثير من المؤلفين عن كتاب (مناقب الشافعي) بل كان جل كتاباتهم مستقاة منه لأن البيهقي لم يترك شيئا مما له أدنى علاقة بالشافعي إلا وذكره إلى جانب التثبت من الروايات.

٩- كتاب (الدعوات الكبير)[٥٧]:

ألفه البيهقي إجابة لسؤال أحد، إخوانه في أن يجمع له ما ورد من الأخبار في الأدعية المرجوة التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو علمها أحدا من أصحابه، وقد ذكرها بأسانيدها وقد رتبه على ترتيب كتاب المختصر المأثور لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأضاف إليه زيادات لم يعرض لها ابن خزيمة.

بدأ كتابه بذكر ما للدعاء والذكر من الأجر والثواب.

١٠- كتاب (الدعوات الصغير):ولم أقف عليه.

١١- كتاب (الزهد الكبير) [٥٨]:

ذكر فيه أقوال السلف والخلف رضي الله عنهم في فضيلة الزهد وكيفيته وأنه في قصر الأمل والمبادرة بالعمل الصالح.

١٢- كتاب (إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين) [٥٩]:

أورد فيه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقاويل السلف لإثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، وقد بين أن ذلك جائز عقلا كما جاز شرعا.

١٣- كتاب (أحكام القرآن) [٦٠] :

جمع البيهقي فيه من نصوص الشافعي ما يدل على مبلغ- علمه- بالمعاني الدقيقية في القرآن.

ومقصد الكتاب ظاهر من عنوانه وهو مثل كتاب (أحكام القرآن) لأبى بكر أحمد بن علي الرازي- الجصاص-، وكتاب (أحكام القرآن) لأبي بكر بن العربي.

١٤- كتاب (المدخل) [٦١]:

وهو من سماع عبيد الله بن عمر يحي بن عمر الكجي وخط تقي الدين أبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى أبي نصر النصري الشهروزري.

وعلى الكتاب بعض السماعات وفي آخره ذكر السند إلى البيهقي. وخط النسخة دقيق متداخل بعضه في بعض، وعليها سماعات ابن الصلاح والحافظ المزي وسماعات أخرى.

١٥- كتاب (البعث والنشور) [٦٢] :

وهو بخط محمد بن عبد العزيز بن محمد في خيزان في سنة أربع وأربعين وثمانمائة وعليه بعض السماعات.

١٦- كتاب (تخريج أحاديث الأم) [٦٣]:

وقد خرج فيه أحاديث كتاب (الأم) حديثا حديثا مع سنده والتعليق عليه.

١٧- كتاب (الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة) [٦٤]:

ذكر فيه ما اختلف فيه أبو حنيفة والشافعي في الأحكام، وقد رتبه على أبواب الفقه.

١٨- كتاب (بيان خطأ من أخطأ على الشافعي):

(علمه بمصطلح الحديث)

من الإطلاع على ما كتبه البيهقي تدرك معرفته بعلم مصطلح الحديث وهو يتفق في جميع القواعد التي قعدها علماء المصطلح مع جمهورهم والكثرة الغالبة منهم.

وقد يخرج عن قواعدهم أحيانا لكنه لا يفتأ أن يعود إلى الإلتزام بمنهجهم حتى فيما خالفهم فيه أحيانا أخرى.

وأصدق مثال على هذا ما اتفق عليه جمهورهم من الإختصار على الرمز (ثنا) الدال على الفعل (حدثنا) وقد تزاد (الدال) على الرمز (ثنا) فتكون العبارة (دثنا).

وقد تحذف الثاء فتكون العبارة (نا).

وما اتفقوا عليه أيضا من استعمال الرمز (أنا) الدال على الفعل (أخبرنا) وقد تزاد الراء بعد الألف فتكون العبارة (أرنا).

وفي كل ما تقدم من الإصطلاحات يختلف البيهقي عن الجمهور ويستعمل رموزا أخرى مشتقة من مبنى الأفعال المرموز لها فيقول في حدثنا (دثنا) يعني بزيادة حرف (الدال) على اصطلاح الجمهور.

وكذلك فإنه يزيد (الباء) على الرمز (أنا) فيقول (أبنا) بتقديم الباء على النون.

وقد وجدناه في مؤلفاته يستعمل الرمز الأخير بكثرة بينما لم يستعمل الرمز الأول إلا نادرا، مع أنه لم يخرج عن استعمال الجمهور لهذين الرمزين بالكلية وإنما يرجع إليهما في غالب رواياته لاسيما رمز (ثنا) فإنه لم يستعمل غيره في النسخة التي بين يدي ولا في غالب كتبه إلا في بعض المواضع. أما رمز (أبنا) ولم يستعمله في باقي كتبه كما استعمله هنا بل غالب ما هنالك ما اتفق عليه جمهورهم.

ولا يقبل البيهقي الرواية المرسلة إلا أن يأتي ما يعضدها ويقويها وقد نص على ذلك في كتابه[٦٥] المعرفة بقوله:" ونحن إنما لا نقول بالمنقطع إذا كان مفردا فإذا انضم إليه غيره وانضم إليه قول بعض الصحابة، أو ما يتأكد [٦٦] به المراسيل ولم يعارضه ما هو أقوى منه فإنا نقول به، وقد مضى بيان ذلك في أول الكتاب ".

----

[١] جاء في كتاب الأنساب للسمعاني تسميته - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله - فقدم وأخر، وهو خطأ ظاهر. انظر (الأنساب ص١٠١).

[٢] انظر (طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣).

[٣] (خسرو جرد) بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفي آخرها الدال المهملة قرية من ناحية (بيهق) ذكره السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣).

[٤] (نيسابور) بفتح النون وسكون الياء وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة.

قال ابن الأثير :" هي أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات ".

وقال ياقوت:" (نيسابور) والعامة يسمونها (نشاور) وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء... وكان المسلمون فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه... وقيل أنها

فتحت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأحنف بن قيس ". انظر (اللباب ٣٤١/٣) و (معجم البلدان ٣٣١/٥).

[٥] انظر (تذكرة الحفاظ ١١٤٣/٣).

[٦] قال ياقوت:" (بيهق) ناحية كبيرة وكسورة واسعة، كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وعشرين قرية، وكانت قصبتها أولا (خسرو جرد) وقد أخرجت هذه الكورة من لا يحصى من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء ". (معجم البلدان ٣٤٦/٢).

[٧] انظر (الكامل في التاريخ ٣٤٩/٧).

[٨] (المرجع السابق ٣٥٣/٧).

[٩] انظر (الكامل في التاريخ ٦٧/٨) ، (٩٧/٨ من نفس المرجع).

[١٠] انظر (مقدمة السيد صقر على كتاب معرفة السنن والآثار ١٨/١).

[١١] هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي عليه رحمة الله.

[١٢] ومن ذلك ما ذكره البيهقي عن الشافعي رحمه الله أنه كان ينكر قضاء شريح لعمر ولا يثبته . وأشار إلى اختلاف العلماء في المسألة وأتى بخبرين فيهما دلالة على أن شريحا تولى القضاء لعمر . (انظر مناقب الشافعية للبيهقي ٥٤٦/١)

[١٣] انظر (شذرات الذهب ٣٠٥/٣).

[١٤] انظر (وفيات الأعيان ٥٨/١) وغيره ممن ترجموا عن البيهقي.

[١٥] انظر(تذكرة الحفاظ ١١٣٣/٣) وكذلك قال ابن خلكان مثل قول الذهبي انظر (وفيات الأعيان ٧٦/١).

[١٦] انظر (طبقات الشافعية للسبكي ٤/٣) .

[١٧] في مقدمته على كتاب (معرفة السنن والآثار 52/١).

[١٨] الكتب الثلاثة هي، كتاب (التقريب) للقاسم بن محمد بن علي الشاشي (ت في حدود الأربعمائة هـ) وكتاب (جمع الجوامع) لأبي سهل بن العفريس الزوزني تلميذ الأصم.

وكتاب (عيون المسائل) لأبي بكر أحمد بن أحمد بن الحسن بن سهل الفارسي ابن سريج. (المرجع السابق ٢٥/١، ٢٦) .

[١٩] في (طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣) بتصرف.

[٢٠] هكذا بالنصب على تقدير (كان) أو يكون حالا من الضمير في قائم.
[٢١] ابن العماد (شذرات الذهب ٣٠٤/٣).
[٢٢] (وفيات الأعيان ٨٥/١).
[٢٣] نقل الذهبي عن عبد الغافر بن إسماعيل قوله "كان البيهقي على سيرة العلماء قانعا باليسير متجملا في زهده وورعه" انظر (سير أعلام ١٨٤/١١ ورقة).
[٢٤] قال ياقوت:" الجبال جمع جبل، اسم علم للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بالعراق وتسمية العجم له بالعراق غلط لا أعرف سببه وهو اصطلاح محدث لا يعرف في القديم ، وقد حددنا العراق في موضعه " (معجم البلدان ٩٩/٢).
وظاهر كلامه رحمه الله أن الجبال على البلاد التي في شرق العراق وغرب إيران. فلم نرد الإطالة بنقل كلامه.
[٢٥] عدد الأستاذ السيد أحمد صقر جماعة من مشايخ البيهقي في مقدمته على كتاب (معرفة السنن ٢/١-٩).
[٢٦] صرح بذلك البيهقي في كتابه (معرفة السنن والآثار ١٤٣/١) وانظر (طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣) و (وفيات الأعيان ٧٦/١).
[٢٧] انظر ترجمته في كتاب (العبر ٢٠٨/٣) ، (شذرات الذهب لابن العماد ٢٧٣/٣).
[٢٨] عبد الغافر صاحب كتاب (السياق) وهو ذيل على تاريخ نيسابور، ونقل الحافظ الذهبي كلامه في كتاب (تذكرة الحفاظ ١١٣٣/٣) ، (سير أعلام النبلاء ١٨٥/١١) وفيه قوله: "كتب الحديث وحفظه من صباه ".
[٢٩] (الأنساب ص ١٠١).
[٣٠] طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣ . ولم أقف على قول الذهبي:" دائرته في الحديث ليست كثيرة " في مؤلفاته إلا أن يكون في كتابه (تاريخ الإسلام) وقد وقفت على صورته التي في الجامعة الإسلامية ولم تبلغ ترجمة البيهقي.
[."(١)

"بعد تعيينه بعامين مدرسا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، استقدمه الشيخ رءوف شلبي وكيلا لأصول الدين في المنصورة لمساعدته في تنفيذ برنامجه التربوي هناك، وشجعه الشيخ العدوي على

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/١٦٣

ذلك، ثم انتدب أستاذا زائرا في كلية الشريعة بدولة قطر عام ١٩٨١م؛ حيث كان عميدها في ذلك الوقت الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، ثم انتقل إلى الإمارات عام ١٩٨٢م، ومكث فيها حتى عام ١٩٩٣م، وهو العام الذي انتقل فيه إلى كلية الشريعة بجامعة الكويت أستاذا للحديث وعلومه إلى أن وافته المنية.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ أخرج من مصر عام ١٩٩٣م لظروف أمنية، وظل حتى عام ٢٠٠٣م بعيدا عن أمه إلى أن استقدمها في العام نفسه إلى الكويت، وذهب معها إلى الأراضي المقدسة ليقضي معها فريضة الحج، ولم ينزل مصر إلا مريضا في عام ٢٠٠٥م في مستشفى دار الفؤاد بمدينة ٦ أكتوبر بالقاهرة.

صفاته الإنسانية والخلقية

تمتع الشيخ بمجموعة من الصفات أجمع عليها كل من عرفه، حتى إن من اقترب منه وتعامل معه لا يملك إلا أن يتمثل ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض" (٢).

وأحسب أن الشيخ قد وضع له القبول في الأرض بما آتاه الله من صفات كريمة وخلال حميدة، ومن أهم هذه الصفات:

الإخلاص: ومع أن الإخلاص سر بين العبد وربه؛ لا يستطيع أحد أن يقطع به، فإن له آثارا وشواهد تدل عليه، وأعمالا ومظاهر تقود إليه؛ منها أن كلامه كان يمس شغاف القلوب بالرغم من أنه كلام يقوله غيره لكن لا يكون له مثل هذا الأثر، ومنها مشهده في الصلاة الذي كان يزيد من رآه إيمانا، وكان كثير البكاء كما سبق القول.

وكان من أهل الليل، ومن أهل القرآن؛ حيث كان حريصا على ورد القراءة وورد المراجعة، فكان ورده اليومي ستة أجزاء التزم بها حتى في أيام مرضه، أما في رمضان فقد كان له مع القرآن شأن آخر؛ حيث كان التهجد عنده يبدأ من أول رمضان، وله في رمضان ثلاث ختمات: الختمة الأولى في العشرين الأوائل، والختمة الثانية في العشر الأواخر، والختمة الثالثة في صلواته فرائض ونوافل أثناء نهار رمضان وليله، هذا في الصلوات، أما في ورد القراءة اليومي فقد كان يختم القرآن كل ثلاثة أيام من أيام رمضان.

حتى رأيت قول الإمام الشاطبي متحققا فيه أكمل ما يكون التحقق، من أن القرآن الكريم: "كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة

بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه.

وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرا وعملا، لا اقتصارا على أحدهما، فيوشك أن يفوز بالبغية، ويظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول" (الموافقات: ٣٤٦/٤، طبعة دار الفكر العربي).

ومنها التواضع: فكان تواضعه لا يصدر عن تكلف أو تصنع أو مجاملة، بل كان تواضعا صادقا خالصا حقيقيا غير مشوب بما يكدر صدقه وصفاءه.

وقد قاده هذا التواضع إلى صفة أخرى هي صفة إنكار الذات؛ فكان لا يرى لنفسه حقا عند أحد، ولا يرى ذاته ولا عمله في أي مقام، بل كان يشعر مع نفسه، ويشعر غيره بالتقصير في جنب الله وفي حق الإسلام ودعوته، حتى إنه كان يعتذر مبكرا للمتحدثين معه إذا ظهر خلاف في معرض الأحاديث الخاصة حتى لو لم يكن مخطئا؛ إنجازا للمهام، وحرصا على الوقت، وتنازلا عن حق نفسه، وسدا لباب الجدل والمراء الذي لا يأتي بخير، كما كان يعتذر عن إخوانه ويتنازل عن حظه من أجلهم، ويعطي من حقه لحقوقهم؛ إيثارا وحبا، وبغية في ثواب الله.

ومن الصفات الإنسانية التي تميز بها الشيخ الدكتور نوح: السماحة والحلم، فكان سمحا مع كل الناس، حليما عليهم، بالرغم من غلظة بعضهم وجلافة بعض آخر، ومع علمه بحقيقة كل من يعامله كان يبادل المسيء إحسانا، والمحسن إحسانا مضاعفا، حتى أحبه غير المسلمين.

ولعل أبرز الصفات التي تمتع بها أنه كان دائما في حاجة الناس، وكان موئل الناس في قضاء حوائجهم ومصالحهم، كما كان نشطا في الجانب الاجتماعي؛ فلا يقصر في حق من الحقوق الاجتماعية العامة، ولا الحقوق الاجتماعية الخاصة، فضلا عن علاقاته الاجتماعية مع رفاق دربه.

كل هذه صفات وغيرها تحتاج إلى سرد مواقف للتدليل عليها بما يضيق المقام عنه هنا، وهي مواقف كثيرة ومتنوعة شهد بها الموالي والمعادي، والمسلم وغير المسلم.

صفات التكوين العلمي

العلماء الربانيون هم الذين يجمعون بين العلم والعمل والتعليم، فلا يبلغ العالم أن يكون ربانيا إلا إذا تعلم ما يجهل، ويعمل بما علم، ويعلم ما يعلم.

وأحسب أن الشيخ سيد نوح جمع بين العلم والعمل والتعليم؛ فهو عالم أزهري متمكن، لا سيما في مجال

السنة وعلوم الحديث كما سيأتي، عامل بما علم؛ فكان صواما قواما ذاكرا لله تعالى، وكانت له دروسه التعليمية لكل الفئات: للعمال، ولطلبة العلم، وللمتخصصين في العلم الشرعي، كما كان العلم رحما موصولة بينه وبين إخوانه من الدعاة والعلماء.

ومن صفات التكوين عنده أنه جمع بين الدعوة والتأصيل الشرعي، ولم لا، وهو العالم المتضلع من السنة وعلومها، الماهر بالقرآن حفظا وتلاوة واستحضارا واستشهادا؟! فكثير من الدعاة ينطلقون على غير بصيرة، لا سيما ونحن في عصر الفضائيات والدعاة الجدد، وكثير من الشرعيين لا يتحركون بعلمهم ولا يكون لهم نصيب في الدعوة والحركة بهذا العلم، ومن هنا نقول: إننا نعاني في الواقع العملي الفقهي والدعوي معا من وجود فجوة ليست صغيرة بين الفقيه وساحة الدعوة، وبين الداعية ومجال الفقه؛ فقلما تجد داعية يملك عقل الفقيه، أو فقيها يحمل روح الداعية.

إنما الفقيه معزول عن الواقع والحياة، والداعية بعيد عن محراب العلم الشرعي الرصين، في حين أنه لا تنافر بينهما في التصور الشرعي، بل كلاهما يستدعي الآخر ويستوجبه؛ فلن يجدد الدين في عقول الأمة إلا فقهاء يحملون أرواح الدعاة، ودعاة يملكون عقول الفقهاء، وقد جمع الشيخ سيد نوح هذه المعادلة المهمة، ووفقه الله فيها إلى حد بعيد.

ومن صفات وآثار تكوينه العلمي السليم أنه يقوم بتوصيل المعاني الكبيرة بأسلوب ميسور يفهمه الجميع؛ فكثير من الناس يتحدث بأسلوب لا يفهمه إلا الخاصة، فضلا عمن يتقعرون في أحاديثهم ويأتون بالغريب الوحشي من الألفاظ، أما التعبير عن المعاني الكبيرة والمفاهيم الصعبة بأسلوب ميسور يفهمه العالم والجاهل، فهذه ميزة لا يقدر عليها إلا أولو العزم من أهل العلم والدعوة، وقد استطاع الدكتور نوح أن يمزج بين العلم الرصين وإيصاله إلى الناس بشكل يتلاءم معهم؛ فالتقعر والإيغال في غريب الألفاظ ربما عبر عن نقص علمي فيمن يتحدثون به للإيهام بأنهم علماء متخصصون متمكنون من تخصصهم، وهم في الحقيقة فراغ وخواء من هذا التخصص؛ يستخدمون هذه الغرائب ليواروا بها السوءات والعورات.

وكنت إذا سمعت الشيخ نوح يتحدث في درس عام شارحا لحديث أو مستعرضا لقصة ظننت أن هذا الرجل داعية جماهيري؛ يحسن الحشد والتأثير على المشاعر، ولا علاقة له بالأكاديميات، لكن حين تسمعه بين العلماء في مناقشة رسالة علمية أو في مجلس لأهل العلم فهو العالم المتمكن الرصين المقدم، الذي غاص في بحار العلم وعايش بطون الكتب حتى استخرج كنوزها ولآلئها، ودل على المعلومة في الكتب التراثية برقم الجزء، وأحيانا برقم الصفحة.

ومن الأمور المنهجية التي تمتع بها عالمنا أنه تميز بالوضوح في العرض والترتيب في الأفكار، وهو منهج تسمعه في حديثه كما تقرؤه في كتبه سواء بسواء؛ ففي خطبه ودروسه كان يقسم خطبته أو محاضرته إلى عناصر وأفكار يتلوها غالبا على مسامع الناس في بداية حديثه حتى يكون لدى الناس تصور واضح، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير على يقظة المتلقي وانتباهه، وحمله على متابعة الحديث عنصرا بعنصر وفكرة بفكرة.

آثاره العلمية التأليفية

أعني بالآثار العلمية هنا ما كتبه الشيخ سيد نوح في مجال علوم السنة والحديث والفكر الإسلامي، وهذا الجانب غير ظاهر وغير معروف عن الشيخ؛ فقد عرف بالدعوة والتربية أكثر من الصنعة الحديثية، مع أن جهوده العلمية ومؤلفاته في علوم السنة أكثر مما كتبه في الدعوة والتربية، وفيما يلي بيان بأهم آثاره التأليفية في هذه المجالات:

أولا: في مجال الحديث والسنة:

فقد بدأ تخصصه في الماجستير والدكتوراه عن علوم السنة والحديث، فتناول في الماجستير موضوع: "زواج النبي بزينب بنت جحش ورد المطاعن التي أثيرت حوله في ضوء المنهج النقدي عند المحدثين" من جامعة الأزهر عام ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وفي الدكتوراه تناول موضوع: "الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال" من جامعة الأزهر أيضا عام ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م، وقد كان له السبق في الكشف عن الحافظ المزي والتنويه بكتابه تهذيب الكمال.

ثم كانت له أبحاث محكمة نشرت معظمها مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية التي تصدر في الكويت، ثم نشرها بعد ذلك في كتب مستقلة.

ومن هذه الأبحاث: "علم الطبقات.. حقيقته وقيمته العلمية والحضارية"؛ تناول فيه تاريخ علم الطبقات، وبين فوائده وثمراته ومنهج العلماء في تحديد الطبقات مع التمثيل لذلك.

ومنها كتاباه- شاركه فيهما الدكتور عبد الرزاق الشايجي الأستاذ بكلية الشريعة بالكويت-: "الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، وكتاب: "التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، بينا فيهما جهود الصحابة والتابعين في خدمة السنة تحملا وأداء، وذكرا أن جهود التابعين في حاجة إلى الدراسة والاهتمام في هذا المجال.

ومنها كتابه- بالمشاركة أيضا- بعنوان: "مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى"؛ أورد فيه مذهب

المجوزين رواية الحديث بالمعنى مع ذكر ضوابطهم وأدلتهم، كما أورد مذهب المانعين لهذا الأمر مع بيان مسوغاتهم وأدلتهم، ورجح مذهب المجوزين لقوة الأدلة نقلا ونظرا مع اعتبار شروط ذلك.

ومن كتبه في الصنعة الحديثية كتابه: "درء تعارض أحاديث كراء الأرض"؛ أورد فيه الأحاديث التي تبيح كراء الأرض، والأحاديث التي تحظره، ودرأ التعارض بينها على طريقة الأصوليين المحدثين.

ثانيا: في مجال الفكر الإسلامي:

أما في مجال الفكر الإسلامي فأبرز ما كتب الشيخ- رحمه الله- في هذا المجال ثلاثة كتب: الأول: "منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير"؛ حيث تناول هذه القضية من بعد دعوي وتربوي؛ فتعرض فيه لمفهوم أهل السنة والجماعة وماهية الدعوة والتربية، وبين الحاجة للدعوة والتربية في نظر أهل السنة والجماعة، وأهداف أهل السنة والجماعة من الدعوة والتربية، ومن أهم ما بينه في هذا الكتاب أنه قرر قواعد ومنطلقات للدعوة والتغيير والتربية من وجهة نظر أهل السنة والجماعة.

والكتاب الثاني بعنوان: "حاجة البشرية إلى الحكم بما أنزل الله كتابا وسنة"؛ شخص فيه واقع الأمة المسلمة، وبين الأسباب التي انتهت بهم إلى هذا الواقع، ورسم معالم طريق الخلاص مما تعاني منه البشرية اليوم من خلال الحكم بما أنزل الله.

أما الكتاب الثالث فجاء تحت عنوان: "دوافع عناية المسلمين بالقرآن الكريم"؛ ذكر فيه أحد عشر سببا دفع المسلمين إلى الرعاية والاهتمام بالقرآن الكريم؛ يذكر الدافع ثم يستشهد له من القرآن نفسه، ومن الأحاديث والآثار، ومن تاريخ الأمة إذا لزم الأمر.

ثالثا: في مجال الدعوة والتربية:

وهذا هو مجاله الأشهر وميدانه الأرحب الذي عرف به واشتهر عنه؛ فالدكتور السيد نوح هو صاحب المصنف الشهير "آفات على الطريق"، و"توجيهات نبوية على الطريق"، وفي هذين الكتابين يقدم نموذجا علميا تربويا خلقيا شهد بتميزه المتخصصون في الشرع كما شهد له المتخصصون في التربية والمناهج وطرق التدريس.

ففي "آفات على الطريق" صدر له ثمانية أجزاء يتناول الآفة بشكل مميز؛ حيث يعرفها في اللغة والاصطلاح ويذكر أسبابها ومظاهرها وآثارها، ثم يرسم الطريق لعلاجها.

وفي "توجيهات نبوية" ينتقي أحاديث يختارها، ثم يقوم عليها بالشرح والإيضاح الذي له فيه منهجه الخاص كذلك؛ حيث يخرج الحديث ثم يذكر معناه إجمالا، ويوضح ما فيه من جوانب متعددة، ثم يبين ما فيه

من دروس دعوية وعبر إيمانية وملامح تربوية ينتفع بها الدعاة والقادة والمربون.

وله في هذا المجال كتابه الماتع: "من أخلاق النصر في جيل الصحابة"، وهو كتاب أخلاقي تربوي صوفي؛ أورد فيه الشيخ أربعة عشر خلقا عند الصحابة كانت سببا في تمكين الله لهم ونصره إياهم؛ يذكر الخلق ثم يدلل عليه بما في سيرة الصحابة مستشهدا له بالقرآن والسنة، ولم يفته في نهاية الكتاب أن سجل بعض أقوال الأعداء عن هذه الأخلاق تؤكد أهميتها عند الصحابة وكيف كانت سببا في نصر الله لهم.

وله رسالة طيبة عن: "تكوين البيت المسلم"؛ ذكر فيها الشروط التي وضعها الإسلام ليكون البيت مسلما بحق، كما بين العقبات التي يضعها أعداء الإسلام في طريق تكوين البيت المسلم وكيف يمكن التغلب عليها.

بالإضافة إلى كتابه: "الدعوة الفردية في ضوء المنهج الإسلامي"، وكتابه: "منهج الرسول في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه".

جهوده الدعوية والحركية

نذر الشيخ سيد نوح نفسه للدعوة إلى الله تعالى، وجعل نفسه وقفا لله في وقت مبكر من حياته، ولقد كان لانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين أثر بالغ في انطلاقته المباركة، وفي فهمه للإسلام، وفي حمله لقضايا الأمة وهمومها، لا سيما قضية فلسطين التي كان لها مكانتها وقيمتها عنده في كل محفل وفي كل خطبة.

توزعت جهود الشيخ الدعوية مجالات عدة؛ فكان خطيبا متطوعا في وزارة الأوقاف الكويتية منذ ١٩٩٤م حتى وفاته؛ يخطب الجمعة في مسجد الوزان بشكل مستمر إلا في أيامه الأخيرة بسبب ظروفه الصحية، ولما كانت عملية تغيير الكبد وشفاه الله نصحه الأطباء بعدم بذل أي مجهود مراعاة لحالته، لكنه كان يقول: "لقد كنت في حكم الميت، وأحياني الله تعالى لينظر ماذا أفعل، ومن شكر الله تعالى ألا أتأخر عن دعوته وتبليغ رسالته"، فكان يخطب الجمعة ويلقي الدروس ويتحدث في الندوات ويحضر المؤتمرات حتى وافاه الأجل المحتوم.

ولقد كان للشيخ أياد بيضاء على ما يعرف في الكويت بـ"لجنة زكاة العثمان" التي أسسها المرحوم بإذن الله الشيخ حسن أيوب؛ حيث جعل لها الشيخ نوح أنشطة ثقافية وخيرية وعلمية، وفعل دورها الخيري في أنحاء الكويت وخارج الكويت، فكان لها الفضل الكبير في التكافل الاجتماعي ونشر العلم وتعليمه.

ومن العلامات البارزة في جهود الشيخ الحركية والدعوية مجال العمل الخيري؛ فقد جعله الله سببا في كفالة كثير من الأيتام، وفي إطلاق سراح كثير من المسجونين المعسرين، وفي توفير الأدوية لكثير من المرضى،

وفي توفير فرص عمل للعاطلين، وفي قضاء مصالح النٰاس وحوائجهم.. كل ذلك عبر دعوته للخير عن طريق أهل الخير؛ حيث كان مسجده "الوزان" يقوم بما لا تقوم به مؤسسة متخصصة في العمل الخيري.

القضية الفلسطينية في حياة الشيخ

السيد نوح

ومن أبرز القضايا التي كان له فيها دوره في العمل الخيري: القضية الفلسطينية؛ فقد كان يحشد الحشود، ويوحد الجهود، ويجمع النقود لأهل فلسطين، حتى إنه كان في عيد الأضحى يجمع قيمة الأضحية فيرسلها إلى فلسطين ويتم الذبح والتضحية هناك؛ فكان يجمع في الجمعة الواحدة أيام الأضحى ثمن ما يقرب من عشرين أو ثلاثين أضحية، علما بأن ثمن الأضحية الواحدة أربعون أو خمسون دينارا كويتيا.

وبالإضافة إلى هذا العمل الخيري وجمع الأموال الواجبة لأهل فلسطين، كان من الناحية الفكرية والدعوية لا تكاد تخلو خطبة من خطبه من حديث عن فلسطين وقضيتها وأزماتها، وكذلك دروسه ومحاضراته؛ فكانت القضية حاضرة في عقله، بارزة في وجدانه، فكان يحيا لها، ويجاهد من أجلها جهادا كبيرا، بل عاشت في كيانه وجرت في عروقه مجرى الدم.

نهاية المطاف

قبل عامين ونصف من رحيله ذهب إلى الصين ليركب كبدا غير الكبد، وعاد معافى إلى دروسه ونشاطه الدعوي بالرغم من أن الأطباء كانوا ينصحونه- كما سبقت الإشارة- بعدم بذل مزيد من الجهد، لكنه لم يكن يستجيب لهذه النداءات، وانطلق الشيخ انطلاقة جديدة بالرغم من مرضه وكأنما كان يلاحق القدر، أو يشعر باقتراب الأجل، فأراد أن يحصل من الأجر والثواب وعمل الخير ما يكون زادا له يوم القيامة.

وكتب الشيخ خواطره عن المرض "دروس وعبر"، ثم دخل في حالة مرضية غيبوبية مثل الأولى بسبب هذا الوباء الذي أصيب به العديد من أبناء الشعب المصري، ولقي ربه صابرا محتسبا راضيا مرضيا فجر يوم الإثنين ٣٠ يوليو٢٠٠٧م، ١٦ رجب ١٤٢٨هـ، بعد رحلة طويلة مع المرض الذي شاء الله أن يكون له ممحصا، ورافعا للدرجات إن شاء الله.

كانت جنازته مهيبة؛ تذكر- في ضخامة عددها- الإنسان بجنازات الزعماء والقادة والرؤساء، ولم لا، وصاحبها من كبار الدعاة إلى الله، ومن أبرز العلماء الربانيين في الدعوة الإسلامية في هذا الزمان؟!

كانت هناك موانع كثيرة تمنع الناس من أن تشارك في الجنازة؛ منها: الحر الشديد، والرطوبة العالية، وحرارة الشمس اللافحة التي ربما تجاوزت خمسا وخمسين درجة في هذا اليوم، وهي كفيلة بأن تجعل الناس

يترددون في الذهاب إلى الجنازة.
ومنها أننا كنا في فصل الصيف، بل في كبد الصيف، وكثير من الوافدين عادوا إلى بلادهم ليقضوا إجازتهم السنوية، ومنها بعد المكان في هذا الحر؛ فقد دفن الشيخ بمكان يسمى "الصليبخات"، وهي مكان يبعد عن مدينة الكويت بحوالي ٤٠ كيلو مترا في هذا الجو الخانق.
ومع ذلك تجمعت السيارات من كل حدب وصوب نحو مكان المصلى والدفن؛ يحدوهم حب الشيخ الذي تمكن من قلوبهم، وعيونهم ملأى بالدموع حزنا على رحيله، لا سيما عند صلاة الجنازة، وليس بمستغرب أن تجتمع له هذه الألوف المؤلفة من البشر لتصلي عليه، وهو الذي كان يصلي أسبوعيا صلاة الغائب يوم الجمعة في مسجد الوزان على من يبلغه خبر وفاته، ومن يموت من المسلمين في كل أسبوع.
وكما هو معروف أن بلاد الخليج فيها من كل الجنسيات، ومع ذلك لم يقتصر الحضور على المصريين فقط، بل كان فيها معظم الجنسيات الموجودة بالكويت، كما تجمع فيها كثير من التيارات الفكرية من سلفية، وإخوانية، وغيرها.
وإن دل ذلك فإنما يدل على أن الشيخ كان رجلا ربانيا، وداعية إيمانيا، وعالما عاش هموم أمته وهموم مجتمعه بعيدا عن الانغلاق والتعصب، وهذه الألوف المؤلفة شاهدة على أنها عاجل بشرى الشيخ إن شاء الله، وعلى أنه القبول في الدنيا قبل الآخرة.
رحمه الله ورفع درجاته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

----

* Wasfy75@yahoo.com

----

* المعلومات التي كتبتها هنا استقيتها من الأخ الأستاذ عبادة السيد نوح، ابن الشيخ يرحمه الله، ومن شيخنا الأستاذ الدكتور يحيى إسماعيل حبلوش أستاذ الحديث وعلومه.
صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده.
(١) "___.

"ظاهر المدينة يتصيد فوثب عليه حيدر بن دوغان بن حعفر بن هبة بن جماز بن شيحة فقتله بدم أخيه أمير المدينة خشرم بن دوغان في عاشر من جمادى الآخرة، وفي أخريات هذا الشهر قتل الشريف

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/١٦٨

كبيش بن جماز الحسيني بقرب القاهر، وابن الأمانة القاضي بدر الدين[1] محمد بن أحمد بن عبد العزيز القاهري بها في ليلة الثلاثاء سابع عشر من شعبان، وحفيد تيمور أحمد جوكي بن شاه رخ[2]، والشيخ أبو بكر بن محمد بن علي الحافي[3] ثم الهروي بالقاهرة في يوم الخميس ثالث من شهر رمضان **في الوباء الحادث** بها، وزوج السلطان الأشرف خوند جلبان الجركسية في يوم الجمعة ثاني شوال، وفيه صاحب مدينة تلمسان والغرب السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى التلمساني.

سبط بن العجمي إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي وجده لأمه هو عمر بن محمد بن الموفق أحمد بن هاشم بن أبي حامد عبد الله بن العجمي الإمام العلامة برهان الدين أبو الوفاء:

ولد بالجلوم من حلب في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ومات والده وهو طفل جدا وكفلته أمه وتحولت به إلى دمشق فأقام معها وحفظ بعض القرآن العزيز بها ثم رجعت إلى حلب وهو في صحبتها فنشأ بها وأدخلته مكتب الأيتام فحفظ به القرآن العظيم وصلى به بخانقاه جده لأمه الشمس أبو بكر أحمد بن العجمي والد والدته الموفق[4] أحمد السابق ذكره وقرأ من أول القرآن الكريم إلى

---

١ وهو لقب جد أبيه عثمان فإنه بدر الدين أبو محمد محمد بن الشهاب أحمد بن عبد العزيز بن عثمان بن سند الأنصاري الأبياري ثم القاهري الشافعي. ولد بأبيار في سادس من صفر من سنة ٧٦٦ كما وجد بخط والده "وتوفي بالقاهرة في التاريخ الذي ذكره المؤلف. وتوفي أبوه سنة ٨٠٢ وجده في سنة ٧٥٥. "الطهطاوي".

٢ هو المذكور في الصفحة قبل فهو مكرر والله أعلم. "الطهطاوي".

٣ وصوابه "الخافي" بالخاء المعجمة نسبة إلى خاف وهي قرية بالعجم قال الحافظ ابن حجر في تبصير المنتبه: منها الشيخ زين الدين الخافي صوفي من أتباع الشيخ يوسف العجمي كان بالقاهرة ثم نزح عنها ثم قدمها سنة ٨٢٤ ومعه جمع من أتباعه. اهـ. قال شارح القاموس: قلت وهو أبو بكر محمد بن محمد بن علي الخافي ويقال: الخوافي. اهـ. وهو الذي ذكره المؤلف ومنه يعلم أن اسمه محمد وأن أبا بكر كنيته لا اسمه وبذلك صرح صاحب الضوء اللامع في قسم الكنى وقال: إنه ذكره في المحمدين وقال: في المحمدين الزين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن علي الخوافي ثم الهروي الحنفي ورأيت من أسقط محمدا الثالث والصواب إثباته وذكره التقي بن فهد في الكنى من معجمه. ولد في أوائل سنة ٧٥٧ وتوفي في يوم

السبت غرة شوال من سنة ٨٣٨ ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث من شهر رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها. اهـ. باختصار كثير والثاني موافق لما ذكره المؤلف ولكن إذا كانت وفاته بهراة كان في قول المؤلف بالقاهرة تحريف والله أعلم. "الطهطاوي".

٤ وهذه العبارة غير مستقيمة والصواب "والد والدة الموفق...إلخ" كما هي عبارة الضوء اللامع. "الطهطاوي".." (١)

"قالت امرأة شميط: يا أبا همام إنا نعمل الشيء فيبرد فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد. فقال: والله إن أبغض ساعاتي إلي الساعة التي آكل فيها.

قال شميط رأس مال المؤمن دينه حيثما زال معه لا يخلفه في الرجال ولا يأمن عليه الرجال.

قال شميط: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

قال شميط بن عجلان: إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين به.

و كان يقول في مواعظه: إذا أصبحت آمنا في سربك معافى في بدنك، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها، إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه وغدا أمل لعلك لا تدركيه، إنما هو يومك هذا فإن كنت من أهل غد برزق غد إن دون غد يوما وليلة تخترم فيه أنفس كثيرة فلعلك المخترم فيه. كفى كل يوم همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة **وهم الغلاء والرخص** وهم الشتاء قبل أن تجيء وهم الصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة ما تطلب الجنة بهذا، متى تهرب من النار كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن. أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، فكيف لا يستبين للعالم جهله، وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مفتن في طلب الزيادة أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور.

وكان يقول: إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسه، فأرغموا أنفسهم كثيرا في رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا، وإن المنافق عبد هواه وعبد بطنه وعبد فرجه وعبد جلده، عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا.." (٢)

"(١) ٣٢٤

أبو الفتح البلطي

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي، ص/٢٠١

(٢) مختصر صفة الصفوة، ٣٣٧/١

عثمان بن عيسى بن هيجون (٢) ، أبو الفتح البلطي الأديب النحوي؛ له شعر ومجاميع في الأدب، وكان طويلا ضخما كبير اللحية، ويلبس عمامة كبيرة وثيابا كثيرة في الحر، تصدر بالجامع العتيق بمصر وروى؛ وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وبلط: بليدة قريبة من الموصل.

وكان قد أقام بدمشق مدة يتردد إلى الزبداني للتعليم، ولما ملك الملك الناصر مصر انتقل إليها وحظي بها، ورتب له صلاح الدين على جامع مصر جاريا يقرئ به النحو والقرآن، ولما كان في آخر **سنة الغلاء توفي**، وبقي في بيته ثلاثة أيام ميتا، لأنه كان يحب الانفراد والخلوة، وكان يتطيلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر، وكانوا يقولون له: أنت في الشتاء من حشرات الأرض، وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن، فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة وصب عليه ا لماء الحار الناضج بيده الأخرى، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه، يفعل ذلك مرارا ويقول: أخاف من الهواء.

وكان إماما نحويا مؤرخا شاعرا. وله العروض الكبير نحو ثلثمائة ورقة، وكتاب العروض الصغير وكتاب العظات الموقظات وكتاب النير في العربية وكتاب أخبار المتنبي وكتاب المستزاد على المستجاد في فعلات

---

(١) معجم الأدباء ١٢: ١٤١ والزركشي: ٢٠٧ وبغية الوعاة: ٣٢٣ ومعجم البلدان (بلط).

(٢) الزركشي ومعجم البلدان والبغية: منصور." (١)

"سنة اثنتين وسبعمائة.

وكان موصوفا بالديانة والخير والرفق بالرعية، ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق، وجرى في **أيامه الغلاء العظيم** بالديار المصرية، وكان يبكي ويقول: هذا بخطيئتي، وفيه يقول الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق:

إنما العادل سلطان الورى ... عندما جاد بتشريف الجميع

مثل قطر صاب قطرا ماحلا ... فكسا أعطافه زهر الربيع ٤٠٤ (١)

العتابي

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن

---

(١) فوات الوفيات، ٤٤٣/٢

الحسين، وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره، وهو أديب مصنف له من الكتب "كتاب المنطق " و " كتاب الآداب " و "كتاب فنون الحكم " و "كتاب الخيل " و "كتاب الألفاظ " . وتوفي في حدود العشرين والمائتين.
وكان تزهد ومدح الرشيد والمأمون، وكان قد نقل إلى الرشيد عنه ما أهدر به دمه، فخلصه جعفر فقال فيه شعرا:

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٤٨٨ وطبقات ابن المعتز: ٢٦١ والشعر والشعراء: ٧٤٠ ومروج الذهب ٤: ١٤ والأغاني ١٣: ١٠٧ والفهرست: ١٨١ وكتاب بغداد: ٦٩، ٨٧ - ٨٩ ومعجم المرزباني: ٢٥١ والوزراء والكتاب: ١٨١ والموشح: ٤٤٩ والبيان والتبيين ١: ٥١ ومعجم الأدباء ١٧: ٢٦ واللباب ٢: ١١٨ وابن خلكان ٤: ١٢٢ (وهو مما انفردت به إحدى النسخ وليس من شرط المؤلف) والزركشي: ٢٤٩؛ وبقية من هذه الترجمة في ر بقية يسيرة.." (١)

"للبريهي: ٤١ تحقيقنا خ في القرن التاسع في ١٩٩ ورقة بمكتبة شستربتي بدبلن برقم ٥١٥٤.

ابن جبريل:

- علي بن المؤيد بن أحمد بن جبريل الحسيني ولد سنة ٤٧٦ وكان من أكابر العلماء وحاول سنة ٧٩٦ تولي الإمام واستقام له الأمر برهة من الزمن توفى سنة ٨٣٦.

- اللآلي المضية في مراتب أئمة الزيدية وتفصيل منازلهم العلية خ جامع الغربية كتب المدرسة بآخره فتوي الإمام عز الدين بن الحسن خ جامع ١٣٤٠.

إسماعيل بن أبي بكر المقري المتوفى سنة ٨٣٧ فقه:

- تاريخ اليمن ذكره صاحب كشف الظنون ٢١٠ ولعله يعني به عمود التاريخ من كتابه عنوان الشرف الوافي وقد خصصه في تاريخ الدولة الرسولية انظر قسم الأدب.

الرصاص :

- أحمد بن محمد بن علي الرصاص من تلاميذ العلامة على بن محمد بن أبي القاسم المتوفي سنة ٨٣٧ مطلع البدور.

- القصيدة النونية في ذكر السودة وأنساب بني المعافا.

---

(١) فوات الوفيات، ٢١٩/٣

محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الخياط المتوفى سنة ٨٣٩ فقه:

- تاريخ اليمن ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ١٣٥ ويبدو أنه في تراجم علماء اليمن انظر نقولات منه في الضوء اللامع ج١٠ ص ٢٢٣ وتاريخ البريهي.

المرتضي:

- الحسن بن أحمد بن يحيى بن المرتضي كان من العلماء الفضلاة ولع بالرئاسة توفى **في الوباء العام** سنة ٨٤٠ ولا عقب له .

- كنز الحكماء وروضة العلماء في سيرة والده الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضي المتوفي سنة ٨٤٠ خ ٩٦٦ جامع الغربية ١١٥ تاريخ أخري جامع أوقاف خ سنة ١٠٧١ برقم ٢٣٧٦.

محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ كلام:

- الحسام المشهور في الذ عن دولة الإمام المنصور في سيرة الإمام علي بن محمد صلاح الدين المتوفي سنة ٨٤٠ خ جامع الغربية ٥٣ مجاميع أخري خ سنة ١١٥٨ برقم ١١٩ مجاميع.

@." (١)

" (وغادرنا بنى الديان صرعى ... كأن رؤوس سادتها الغثاء)

(فغودر منهم لما التقينا ... بمعترك تمور به الدماء)

(أبو خلف وصاحبه ووهب ... ورداد وفارسهم عداء)

(وذو الرمحين أحمر قد أتاه ... فداء ثم إن نفع الفداء)

(تنادوا نحونا ودعوت قومى ... كلابا والأمور لها بداء)

(فآب لنا شريك حيث أبنا ... جنيبا لايراد **به الغلاء**)

(فأنعمنا هناك على شريك ... وكنا من سجيتنا الحباء) ." (٢)

" (ويحسن أحيانا إلى غير محسن ... ويجتاح من يضحي على الناس منعما) - الطويل -

١٢٩٧ - مسلم هذا كان كبير السن من أمراء العرب ومقدما في بني عامر وذكر أنه قد كان له حصن بقرب الروم فغزاهم مرات عدة وقتل منهم عددا كثيرا ثم إنه اعتزل واشتغل بالعبادة وأملى علي نسبه

---

(١) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي، ص/٤٩٣

(٢) طبقات فحول الشعراء، ٢/٧٨٦

فقال أنا مسلم بن محمود بن عياش بن محمد بن منصور بن مزروع بن مقدم بن أوس بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر وكان أدبه يقصر عن نظم مثل هذا الشعر فالله أعلم

١٢٩٨ – أخبرنا أبو الفرج مهران بن علي بن مهران القرميسيني التاجر بالإسكندرية أنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد المقري الرازي أنا أبو عبد الله محمد بن احمد بن مأمون القيسي ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن المسور الحميري ثنا أبو علاثة ثنا سفيان بن بشر بن غالب الأسدي ثنا شريك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ ربع مد أحدهم ولا نصيفه

١٢٩٩ – أبو الفرج هذا قرميسيني المولد اسكندراني الموطن وكان من رؤساء التجار ذا همة نفيسة وكان لي به أنس كثير قل يوم يمضي ولا يجيء إلي وقد سمع بقراءتي على جماعة من الشيوخ وعلي

وعلقت عنه فوائد ولم أر له سماعا إلا عن أبي العباس الرازي وكان قد تجول في مدن العراق والجبل والشام واليمن وبلاد الهند في التجارة وسمعته يقول ولدت سنة خمس وأربعين وأربعمائة وتوفي سنة عشرين وخمسمائة في المحرم ودفن بمقبرة وعلة وصليت أنا عليه بالباب الأخضر وحضره خلق لا يحصون كثرة

١٣٠٠ – سمعته يقول سمعت غنائم بن عبد الله الصوفي يقول اجتمع نفر من الصالحين بمصر في أيام الغلاء إلى أبي الفضل الجوهري وسألوه الحضور في جامع عمرو للدعاء والذكر فقال ومن يحضر عندي ومن بقي فقيل لا بد ففعل ووعظ وذكر ثم قال أبشروا فهذه سنة ثلاث وستين وأشار بيده وهي متعلقة كلها وستدخل سنة أربع ويفتح الله ورفع بنصره وبعدها سنة خمس ويفتح الله ورفع ." (١)

"كان زياد على البصرة وأعمالها إلى سنة خمسين، فمات المغيرة بن شعبة بالكوفة وهو أميرها، فكتب معاوية إلى زياد بعهده على الكوفة والبصرة، فكان أول من جمع له الكوفة والبصرة، فاستخلف على البصرة سمرة بن جندب، وشخص إلى الكوفة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة(١). وقد تحدثنا عن سياسة زياد فيما سبق بالعراق وقد وصفه الذهبي فقال فيه:.. كان من نبلاء الرجال، رأيا، وعقلا وحزما ودهاء، وفطنة وكان يضرب به المثل في النبل والسؤدد وكان كاتبا بليغا كتب للمغيرة، ولابن عباس وناب عنه بالبصرة(٢). وقال الشعبي: ما رأيت أحدا أخطب من زياد(٣). وقال فيه ابن حزم: لقد امتنع زياد وهو فقعة القاع(٤)، لا نسب له ولا سابقة، فما أطاقة معاوية إلا بالمداراة، ثم استرضاه وولاه(٥) وقال أبو الشعشاء: كان زياد أفتك من الحجاج لمن يخاف هواه(٦) وعندما استقر أمره بالعراق وتمكن منها ،

---

(١) معجم السفر، ص/٣٨٤

كتب زياد إلى معاوية: قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز... فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، فذكروا ذلك له، فقال: ادعوا الله عليه فيكفيكموه، فاستقبل القبلة، واستقبلوها فدعوا ودعا، فخرجت طاعونة(٧) على أصبعيه، فأرسل إلى شريح(٨) . وكان قاضيه . فقال: حدث بي ما ترى، وقد أمرت بقطعها، فأشر علي، فقال له شريح: إني أخشى أن يكون الجراح على يدك، والألم على قلبك، وأن يكون الأجل قد دنا، فتلقى الله عز وجل أجذم(٩) وقد قطعت يدك كراهية للقائه، أو أن يكون في

---

(١) تاريخ الطبري (٦ / ١٥٠) .

(٢) تاريخ الطبري (٦ / ١٥٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٩٥) .

(٤) المصدر نفسه (٣ / ٤٩٦) .

(٥) المصدر نفسه (٣/٤٩٦) .

(٦) المصدر نفسه (٣/٤٩٦) .

(٧) الطاعون : **الوباء** .

(٨) شريح الكندي : مختلف في صحبته ولي القضاء من عهد عمر حتى عصر عبد الملك توفي سنة ٧٨هـ .

(٩) الأجذم : المقطوع اليد ، أو الذاهب الأنامل .." [١]

"" ع " عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي البزاز الاستاذ الكبير الإمام النحوي العلم الثقة مؤلف كتاب البيان والفصل، أخذ القراءة عرضا عن " ج ف " أحمد بن سهل الاشناني و " س غا " أبي عثمان سعيد بن عبد الرحيم الضرير و " ت س ف " أبي بكر بن مجاهد وسمع الحروف من جماعة شاركه شيخه ابن مجاهد في أكثرهم إبراهيم بن عرفة و " س " إبراهيم بن محمد بن أيوب و " س ج " أحمد بن رستم و " ج " أ؛مد بن عبيد الله و " س ج " أحمد بن فرح وأحمد بن علي بن الحسن و " ج " أحمد بن محمد ابن سعيد و " ج " أحمد بن محمد الشعراني وأحمد بن منصور و " ج " اسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان واسحاق بن أحمد الخزاعي وإسماعيل بن عبد الله الفارسي و " ج "

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٤٨٣/١

اسماعيل بن يونس والحسن بن الحباب و " ك " الحسن بن السري و " ج " الحسن بن علي و " ج " الحسن بن عبد الرحمن الكرخي و " ك " عبد الله بن محمد ابن ياسين و " ج " العباس بن أحمد البرتي وعبد الله بن الصقر و " ج " عبد الله ابن أبي داود و " ج " عبيد بن محمد المؤدب و " ج " عبد الوهاب بن عيسى وعلي ابن موسى بن حمزة و " س " عياش بن محمد و " ج " علي بن محمد القاضي و " ج " علي بن أحمد بن حاتم و " ج " علي بن أحمد بن أبي قربة و " ج " علي بن الحسن القطيعي و " ج ك " علي بن العباس والقاسم بن زكريا و " ج " محمد بن الحسن ابن شهريار و " ج " محمد بن سهل الوكيل و " ج " محمد بن الفتح الخزاز و " ج " محمد بن موسى العباسي و " ج " محمد بن يونس ومحمد بن جعفر القباب و " ج " محمد بن محمد بن الوزير و " ج " محمد بن محمد بن الضحاك و " ج ك " محمد بن جرير و " ج " محمد بن خلف بن وكيع و " ج " محمد بن أحمد البرمكي و " ج " محمد بن قريش و " ج " محمد بن عبد الرحمن ومحمد بن أحمد بن قطن والمفضل ابن محمد و " ك " سعيد بن عبد الرحيم ولم يختم عليه بل وصل إلى التغابن و " س " عبيد الله بن محمد بن أبي محمد اليزيدي فيما أسنده أبو طاهر بن سوار عن الحمامي والمصاحفي وهو وهم والصواب ما أسنده الحافظ أبو الغلاء الهمذاني عن الحمامي عن أبي طاهر قال حدثنا محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي قال وجدت في كتب أبي رأيناه وكتبنا ما فيه يحدث به عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أبي محمد اليزيدي عن أبي محمد اليزيدي قال قرأت على أبي عمرو فهذا هو الصحيح والله أعلم، روى عنه القراءة عرضا وسماعا " غ " أحمد ابن عبد الله بن الخضر وأبو الفرج أحمد بن موسى و " ت " عبد العزيز بن جعفر بن خواستي و " س " عبيد الله بن عمر المصاحفي و " س غا ف ك " علي بن عمر الحمامي وعلي بن الحسين الذهبي و " س " علي بن العلاف وجعفر بن محمد بن الفضل و " س " علي بن محمد الجوهري والحسين بن علي و " ك " عقيل بن علي محمد بن أحمد بن أبي الجود ومحمد بن صبغون و " س " عبيد الله بن أحمد الصيدلاني و " ك " القاضي أبو العلاء الواسطي فيما ذكره الهذلي ولا يصح لأنه ولد في السنة التي توفي فيها أبو طاهر وإنما قرأ على قيل بن علي بن البصري عنه، قال الحافظ أبو عمرو ولم يكن بعد ابن مجاهد مثل أبي طاهر في علمه وفهمه مع صدق لهجته واستقامة طريقته وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيين وكان حسن الهيئة ضيق الخلق، وكان قد خالف جميع أصحابه في إمالة النون من الناس في موضع الخفض في قراءة أبي عمرو فكانوا ينكرون ذلك عليه، ولما توفي ابن مجاهد رحمه الله أجمعوا على أن يقدموه فتصدر للاقراء في مجلسه وقصده الاكابر فتحلقوا عنده كعقيل بن البصري وكان

من جلة أصحابه ابن مجاهد وكأبي بكر الجلاء ونظرائهما، قال وسمعت فارس ابن أحمد يقول دخل أبو طاهر ذات يوم في مجلس ابن مجاهد وقد فرغوا من مسألة جرت بينهم فقال هلهم فيم كنتم قالوا مسألة جرت فقال لهم هلموها فقالوا إن الجواب فيها قد استوعب فقال هلموها فأن الأسد إذا حضرت تضارطت الثعالب، وقال القفطي في تاريخ النحاة قرأ كتاب سيبويه على أبي مجمد بن درستويه الفارسي ولم ير بعد ابن مجاهد في القرآت مثله، وقال الخطيب كان ثقة أمينا، مات في شوال سنة تسع وأربعين وثلثمائة وقد جاوز السبعين وهو والد محمد أبي عمر الزاهد غلام ثعلب.

عبد الواحد بن محمد بن جبريل أبو أحمد الهروي، قال الداني مقرى متصدر سمع عبد الله بن محمد بن إسماعيل الطرسوسي نزل معه وحدث بها ولا أدري على من قرأ.." (١)

"٤٤ - ومن أخبار أبي العالية الشامي

اسمه الحسن بن مالك مولى العمين، نزل البصرة وأقام بها وقدم بغداد، فأدب العباس بن المامون وجالس المأمون، وكان أديبا شاعرا راوية، سمع من الأصمعي. قال أبو العالية لما مات أحمد بن المعذل " منى السريع " :

لو لم يكن جدهم عاثرا ... وحظهم طاح بها طائح

ما مات منهم أحمد المرتضى ... وعاش عبد الصمد الفاضح

وقال في تقارب الخطو " من الطويل " :

أرى بصري في كل يوم وليلة ... يكل وخطوي عن مدى الخطو يقصر

ومن صاحب الأيام سبعين حجة ... يغيرنه والدهر لا يتغير

لعمري لئن أمسيت أمشي مقيدا ... لما كنت أمشي مطلق القيد أكثر

قال أيضا " من الطويل " :

ولو أنني أعطيت من دهري المنى ... وما كل من يعطي المنى بمسدد

لقلت ل]ام مضين: ألا ارجعي ... إلينا! وأيام أتين: ألا ابعدي

وقال " من الطويل " :

وما آثر التقصير إلا مذمم ... رأى نفسه حلت محل المقصر

وكل امري يولبك ما هو أهله ... فأهل لمعروف وأهل لمنكر

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء، ص/٢١٢

٤٥ - ومن أخبار أبي محلم السعدي

وهو محمد بن هشام بن عوف التميمي أعرابي. قال مؤرج: أبو محلم أحفظ الناس، أخذ مني كتابا فحبسه ليلة، ثم جاء به وقد حفظه وأنشد لأبي الأسود الدؤلي " من الطويل " :

إذا قلت: أنصفني ولا تظلمني ... رمى كل حق أدعيه بباطل

فباطلته حتى ارعوى لي كارها ... وقد يرعوي ذو الشغب بعد التجادل

رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنة وأن يتغمده برحمته ولا يهلكه فيما هو فيه، وأن قائلا قال له: لايهلك الله إلا من قلبه مرت. فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك، فلم يعرفوا حقيقته. فوجه إلى أبي محلم فأحضره الباب وسأله عن الرؤيا والمرت، فقال أبو محلم: المرت من الأرض القفر التي لانبت فيها، فالمعنى على هذا: لايهلك على الله إلا من قلبه خال عن الإيمان خلو المرت من النبات. فوجه الواثق إليه: أريد شاهدا من الشعر. فأفكر أبو محلم طويلا، فأنشده بعض من حضر بيتا لبعض بني أسد " من الطويل " :

ومرت مروراة يحار بها القطا ... ويصبح ذو علم بها وهو جاهل

فوجه بالبيت وضحك، ثم قال للذي أنشده: ربما بعد الشيء عن الإنسان وهو أقرب إليه مما في كمه، والله لاتبرح حتى أنشدك! فأنشده للعرب مائة بيت معروف لشاعر معروف، في كل بيت منها ذكر المرت. فبلغ ذلك الواثق، فأمر له بألف دينار. وأراده لمجالسته، فأبى أبو محلم، وقيل للواثق: إنه حلف جاف! فتركه.

وقال في العباس بن الأحنف " من المنسرح " :

إني وإن كنت لاأراك ولا ... أطمع في ذلك آخر الأبد

لقانع بالسلام يبلغني ... عنك فيشفي حرارة الكبد

وأمزج الهم بالسرور اذا ... أيقنت أنا جاران في بلد

وكان يضع من العباس، فلما أنشد هذا قال: وأبيك لقد شكا وقنع، وإن كان له شيء مليح فه١١. - وقال بعض شعراء البصرة فيه " من البسيط " :

وخادعتك تميم فانخدعت لها ... أبا المحلم والمخدوع مخدوع

لو أن موتى تميم كلها نشروا ... وثبتوك لقال الناس: مصنوع

إن الجديد إذا ما زيد في خلق ... تبين الناس أن الثوب مرقوع

قال أبو محلم: لما قدمت مكة لزمت مجلس ابن عيينة، فقال لي يوما: لاأراك تحظى بشء مما تسمع.

قلت: وكيف؟ قال: لأني لاأراك تكتب. فقلت: أني أحفظ! فاستعاذ مني مجالس، فأعدتها على الوجه. فقال: حدثنا الزهري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يولد في كل سبعين سنة من يحفز كل شيبء. قال: وضرب بيده على جنبي وقال: أراك صاحب السبعين.

قيل لأبي محلم: مات الضعفاء، في هذا الغلاء، وسلم الأقوياء. فقال: أما سمعت " من البسيط " :

رأيت جلتها في الجدب باقية ... تنفي الحواشي عنها حين تزدحم

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجد ولم يعبأ بها السلم." (١)

"أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم ... قد ضل من كانت العميان تهديه حتى صار إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا منزله يا أعمى.

ولما سمع بشار قول العباس بن الأحنف:

لما رأيت الليل سد طريقه ... دوني وعذبني الظلام الراكد

والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد قال: قاتل الله هذا الغلام، ما رضي إذ جعله أعمى حتى جعله بلا قائد! ومن شعره، أعني بشارا:

أقول وليلتي تزداد طولا ... أما لليل عندكم نهار

جفت عيني عن التغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصار (آيا صوفيا: ٧١ ب ٧٢ أ)

بشر الحافي

(الترجمة رقم: ١١٤، ص: ٢٧٦، س: ٩، بعد قوله: بمرو، رحمه الله تعالى)

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور وكان يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء.

(آيا صوفيا: ٧٢ ب)." (٢)

"الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما كان أفصح قال: الحسن.

---

(١) نور القبس، ص/٧٨

(٢) وفيات الأعيان، ٤٦٨/١

ونشأ الحسن بوادي القرى، وكان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث.
وحكى الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت أعرض زندا من الحسن، كان عرضه شبرا.
[وكان الحسن يقص في الحج، فمر به علي بن الحسين عليهما السلام، فقال له: يا شيخ أترضى نفسك للموت قال: لا، قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال: لا، قال: فثم دار للعمل غير هذه الدار قال: لا، قال: فعملك للحساب قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها.
وقيل إن رجلا أتى الحسن فقال: يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول اقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له: قد كان الحجاج فاجرا فاسقا وما أدري ما أقول لك، إن رحمة الله وسعت كل شيء؛ وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن؛ وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له: أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا، ذكر ذلك المختار في تاريخه.
وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن: يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك.
وقيل له: ألا ترى **كثرة الوباء فقال**: انفق ممسك واقلع مذنب، واتعظ جاحد.
ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال: مالكم تزدحمون ها تلك هي ساريته في المسجد، اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله؛ وحدث الحسن بحديث فقال له رجل: يا أبار سعيد عن من فقال: وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته؛ وقال له رجل: أنا أزهد منك." (١)
"حروب لا توصف، ووقع عسكر **القائم الوباء والغلاء** فمات الناس والخيل، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم (١) ، وكان وصوله إلى المهدية يوم الثلاثاء الثالث من رجب من السنة المذكورة، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد (٢) الخارجي - وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الأسر في ترجمة المنصور - والشرح في ذلك يطول.
وكانت ولادة القائم بمدينة سليمة - المذكورة في ترجمة والده المهدي - في المحرم سنة ثمانين، وقيل سنة اثنتين وثمانين، وقيل سبع وسبعين ومائتين، واستصحبه والده معه عند توجهه إلى بلاد المغرب؛ وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، رحمه الله تعالى بالمهدية وأبو يزيد الخارجي محاصر له، فقام بالأمر ولد المنصور إسماعيل، وكتم خبر موته خوفا من الخارجي أن يطلع عليه فيطمع فيه، وكان

---

(١) وفيات الأعيان، ٢/٧٠

بالقرب منه على مدينة سوسة، فأبقى الأمور على حالها وأكثر من العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة، وكانت كتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين، والله أعلم.

---

(١) بدله في مج: فلقيه بالفيوم فهزمه وقتل عسكره وقيل أن عدد القتلى كان خمسين ألفا، والأرض التي كانت الوقعة فيها تعرف إلى الآن بأرض الخمسين، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم.

(٢) بر من: كنداد؛ ر: كيدان؛ ن: كندار.." (١)

"المستنصر المذكور، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وقال في " تاريخ القيروان " (١) : إن ذلك كان في سنة خمس وثلاثين، والله تعالى أعلم بالصواب. وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين، وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد، والشرح في ذلك يطول.

ومنها أنه حدث في **أيامه الغلاء العظيم** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام، وأقام سبع سنين، وأكل الناس بعضهم بعضا، حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده، وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته، وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع، وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا، ولم يزل هذا الأمر على شدته حنى تحرك بدر الجمالي والد الفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر - حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه - وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت، وشرح ذلك يطول.

وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة (٢) ، وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير، أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم - بضم الخاء وتشديد الميم - ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة حتى كانت من ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة، وفيه غدير ماء، ويقال إنه غيضة هناك، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من

---

(١) وفيات الأعيان، ٥/٢٠

(١) ر: التاريخ القيرواني.

(٢) علق ابن المؤلف هنا بقوله: " قلت، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به: قد ذكر أنه ولي الأمر وهو ابن سبع سنين وأنه بويع في سنة أربع وعشرين فكيف يستقيم أن يكون مولده سنة عشرين، والله أعلم " .." (١)

"من ميله إلى الأدب وبقية العلوم، وكان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته، وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر، وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك، والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه.

فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها. وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين، فنزل باشبيلية.

(٣٨٦) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وما انضاف إليها، وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا ومات، وقيل إن أمه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه، فعملت عليه فقتلته بالسم. وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية، ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة في قلعة أعمال من طرطوشة يقال لها بنشكله، وهي من الحصون المنيعة. ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده، وقيل إخوته، إلى الأمير يوسف ابن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم وقيل لأخيهم، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم، وأصبحوا عنده في أعز مكان.

ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج، وكانوا قد استولوا عليها، فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم. ثم إنه حاصرها، فاجتمع الفرنج كافة عليه **واشتد الغلاء في** عسكره، فرجع عنها وعاد إلى مراكش.

(١) وفيات الأعيان، ٥/٢٣٠

وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة، ثم دخل جزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثيف، وقصد غربي بلادها." (١)

"ولما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاعة في القبائل، كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الإذن له في استخراج من كان في القبائل منهم، فيجعلهم دعوة منفردة. فأذن له يزيد بن عبد الملك في ذلك. فأخرج مهرة من كندة، وأخرج تنوخا من الأزد، وأخرج آل كعب بن عدي التنوخي من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية، وأخرج خشينا من لخم، فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة مفردة. وتدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع لأن الأول تدوين عمرو بن العاص، والثاني تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان، والثالث تدوين قرة بن شريك، والرابع هو هذا. ولم يكن بعد هذا في الديوان شيء له ذكر، إلا ما كان من إلحاق قيس فيه زمن هشام، وأشياء أحدثها المسودة من أرباعهم التي أحدثوها منه.

ثم ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره على إفريقية. فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومئة، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر.

٩١ – حنظلة بن صفوان

ابن تويل بن بشر الكلبي ثم وليها حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه بشر له عليها. فأقره يزيد بن عبد الملك. فجعل على شرطه محمد بن مطير البلوي، ثم عزله في سنة ثلاث ومائة، وجعل على شرطه القاسم بن أبي القاسم بن زر السبئي، مولى لهم. وخرج حنظلة إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومئة واستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجيبي حليف بن أيدعان بن سعد بن تجيب. وكتب يزيد ابن عبد الملك في سنة أربع ومئة، يأمر بكسر الأصنام، فكسرت كلها، ومحيت التماثيل، وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز الذي يقال له حمام أبي مرة، وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني:

من كان في نفسه للبيض منزلة ... فليأت أبيض في حمام زبان

عبل لطيف هضيم الكشح معتدل ... على ترائبه في الصدر ثديان

وقدم بشر بن صفوان من إفريقية وافدا إلى أمير المؤمنين يزيد، في سنة خمس ومئة. فلما صار في أرض مصر، بلغه أن يزيد قد توفي، فرجع إلى إفريقية.

وكانت وفاة يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومئة.

وبويع هشام بن عبد الملك، فاستقبل بخلافته شهر رمضان، ثم صرف حنظلة بن صفوان عنها، في شوال

---

(١) وفيات الأعيان، ١٣١/٧

سنة خمس ومئة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

٢٠ – محمد بن عبد الملك

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاتها؛ دخلها يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومئة. فجعل على شرطه حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي. ووقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربا **من الوباء أياما**. ثم قدم من الصعيد. وخرج من مصر، لم يلها إلا نحوا من شهر. حدثنا أبو بشر الدولابي قال: حدثني معاوية بن صالح الأشعري قال: أخبرني منصور بن أبي مزاحم قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: ولى هشام أخاه محمدا مصر، فقال له: أنا لها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها. فقال: ذلك لك. فوليها شهرا، فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل، وانصرف إلى الأردن. وكان منزله بها في قرية يقال لها ريسون. فكتب:

أتترك لي مصرا لريسون؟ حسرة! ... ستعلم يوما أي بيعيك أربح

قد أدرك هشام مثل هذا. فأجابه محمد: إني لست أشك في أن أربح البيعتين ما صنعت.

٢١ – الحر بن يوسف

ابن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها ، دخلها لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومئة فأقر حفص بن الوليد على شرطة.

وفي إمرة الحر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام، بان أرض مصر تحتمل الزيادة. فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة نتو، ونمي، وقربيط، وطرابية، وعامة الحوف الشرقي. فبعث إليهم الحر بأهل الديوان، فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير. وذلك أول انتقاض القبط بمصر. وكان انتقاضهم في سنة سبع ومئة. ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر من سنة سبع ومئة. واستخلف عليها حفص ابن الوليد.

ثم وفد الحر إلى هشام في شوال سنة سبع ومئة، واستخلف على الفسطاط حفص بن الوليد، وقدم في ذي القعدة.." (١)

---

(١) ولاة مصر، ص/٢١

"وقال ابن عفير في موضع آخر: قتل مروان بن الأصبغ بنهر أبي فطرس، وعبد العزيز ووفاء ابنا مروان بن الأصبغ، قتلا مع أبيهما. وترك منصور ابن الأصبغ. وهرب إسماعيل بن سهيل، وعمرو بن محمد بن عمارة المعيطي، وحميد كاتب زبان، على أرجلهم إلى الأندلس. وضربت عنق يزيد بن مقسم، مولى حضرموت، وعنق ابن اسطس. وهذا كله في سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وفيها أمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال، وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين. وزاد صالح بن علي في مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين.

وورد كتاب أبي العباس أمير المؤمنين على صالح بن علي، بإمرته على فلسطين، ويأمره بالاستخلاف على مصر. فاستخلف عليها أبا عون عبد الملك ابن يزيد، مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وسار صالح بن علي، ومعه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وأخوه معاوية بن مروان، في أحسن حال، وأرفع منزلة، وخرج صالح معه برجال من أهل مصر، صحابة لأمير المؤمنين أبي العباس. ومنهم الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، وعبد الرحمن بن عتبة المعافري، وعياض بن حريبة الكلبي، ومحمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، في عشرة منهم. وأقطع صالح بن علي الذين سودوا، وأقطع منهم شرحبيل ابن مذيلفة الكلبي، أقطعه منبوية، والأسود بن نافع الفهري أقطعه منية بولاق ومنازل زبان بالإسكندرية. وأقطع عبد الأعلى بن سعيد قطائع بالميمون وقرى أهناس.

٣٤ - أبو عون عبد الملك بن يزيد

مولى هناءة من الأزد، وهو من أهل جرجان ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قزحم الخولاني. ووقع الوباء بمصر فهرب أبو عون إلى يشكر، واستخلف عكرمة على الفسطاط. وخرج أبو عون إلى دمياط في شوال سنة خمس وثلاثين ومئة، واستخلف عليها عكرمة بن قزحم، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد. وخرج أبو مينا القبطي بسمنود. فبعث إليه بعبد الرحمن بن عقبة، فقتل أبو مينا. وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين وإفريقية، جمعوا له. ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبي العباس لغزو المغرب، عليهم عامر بن إسماعيل.

٣٥ - صالح بن علي بن عبد الله بن عباس

الثانية ثم وليها صالح بن علي بن عبد الله ولايته الثانية على صلاتها وخراجها. فدخلها لخمس خلون من بيع الآخر سنة ست وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه بالفسطاط عكرمة بن عبد الله بن قزحم، وعلى شرطه

بالعسكر يزيد بن هانئ الكندي، من أهل جرجان.
وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد جيوش المغرب، وقدم أمامه رجالا من أشراف أهل مصر، دعاة لأهل إفريقية، منهم قنبرة بن ...بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعثمان بن عبيد الله بن موسى بن نصير، والضحاك بن محمد اللخمي، ووحوح بن ثابت البلوي. فخرجوا أمام أبي عون. وكان خروج أبي عون في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومئة.
وخرج عامر بن إسماعيل في جيوشه، على مقدمة أبي عون. وبعث بالمثنى ابن زياد الخثعمي، في شوال سنة ست إلى الإسكندرية، ليجهز المراكب إلى طرابلس. وبعث بعياش بن عقبة الحضرمي في حمل الطعام لجيش أبي عون وعامر بن إسماعيل.
وتوفي أمير المؤمنين أبو العباس في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومئة، واستخلف أبا جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومئة. فأقر صالح بن علي على صلاتها وخراجها. وكتب صالح إلى أبي عون يأمره بالرجوع، وبرد الرعاة من أهل مصر، وقد بلغوا سرت. وبلغ أبو عون برقة، فأقام بها أحد عشر شهرا. واتخذ بها مصلى وتركه. ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر، وألحق صالح بن علي في أهل مصر ألفي مقاتل، وزاد أهل مصر عشرة عشرة في أعطياتهم.." (١)

"أبو الحسن علي بن الإخشيد، دعي له يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، والناظر في البلد والمستولي على الدولة كافور، والإمرة لعلي إلى سنة خمس وخمسين. فتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة ونصف. وحمل في تابوت إلى بيت المقدس، ودفن مع أخيه ووالده بباب الأسباط.

١٢٧ - كافور

واستبد كافور بالأمر بعد موت علي بن الإخشيد، ودعي باسمه على المنابر في المحرم سنة خمس وخمسين وثلاث مئة. ووردت رسل المطيع وخلعه وهداياه وطوق وسوار. ورفعت المطارد على رأسه. ووافت رسل صاحب هجر القرمطي إلى كافور، ومعهم نحو المئتي حمل من متاع الحاج الذين قطع عليهم بنو سليم. فأمر برده إلى الحاج وسلم إليهم.
ولما تم لكافور ملك مصر والحرمين، ولبس الخلع ولقب وطوق وسور، لم يعش بعد ذلك سوى مئة يوم، وتوفي كافور في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

---

(١) ولاة مصر، ص/٣٠

١٢٨ - أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد

وأجمع الرأي بعد وفاته على ولاية أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد. فحسنت سيرته، وأمر برفع الكلف والمؤن، وتعطيل المواخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونقص النيل، **وكثر الغلاء في** أيامه واشتد، حتى أكل الناس الجيف والكلاب.

ووافى الخبر من الرملة بأن الحسن بن عبيد الله بن طغج خالف، وأخذ البيعة لنفسه، وقبض على أموال كافور بالرملة. وجاء القائد جوهر إلى الفسطاط، فخرج الناس للقائه فدخل بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة.

وخطب للمعز يوم الجمعة على المنابر بمصر في السنة. وجلس جوهر للمظالم، وأحسن السيرة. وجاء المعز من المغرب إلى الديار المصرية، فدخل يوم الثلاثاء سادس رمضان سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.

تم بعون الله وعونه، وحسن توفيقه؛ والحمد لله، له كما يستحق، وصلى الله على محمد وآله.." (١)

"أبى اللؤم لي أصل كريم وأسرة ... عقيلية سنوا الندى والتكرما

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرة بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة:

أليس بياض الأفق في الليل مؤذنا ... بآخر عمر الليل إذ هو أسفرا؟

كذاك سواد النبت يقرب يبسه ... إذا ما بدا وسط الرياض منورا

ودخلت إلى كمال الدين المذكور يوما فقال لي: ألا ترى، أنا في السنة الحادية والثلاثين من عمري، وقد وجدت في لحيتي شعرات بيضا فقلت أنا فيه:

هنيئا كمال الدين فضلا حبيته ... ونعماء لم يخصص بها أحد قبل

لذاتك في شغل بداعية الصبا ... وأنت بتحصيل المعالي لك الشغل

بلغت لعشر من سنينك رتبة ... من المجد لا يسطيعها الكامل الكهل

ولما اتاك الحكم والفهم ناشئا ... أشابك طفلا كي يتم لك الفضل

عمر بن ثابت

أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير. إمام فاضل، وأديب كامل، أخذ عن أبي الفتح بن جني، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرؤون على أبي القاسم عند الواحد بن برهان الأسدي، وعمومهم يقرؤون على الثمانيني. مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله، وهو منسوب إلى سوق

---

(١) ولاة مصر، ص/٩١

ثمانين بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى. يقال: إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وسميت بذلك، لأنهم زعموا أن الذين نجوا من السفينة كانوا ثمانين آدميا.

وله من التصانيف: كتاب شرح اللمع، كتاب المفيد في النحو، كتاب شرح التصريف الملوكي. وجدت في بعض الكتب: أن أول قرية بنيت بعد الطوفان ثمانين، وإنما سميت بهذا الاسم، لأن ثمانين نفرا خرجوا من السفينة وبنوها، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردى وبازبدى بأرض الموصل وهي قرية الثمانين ثم وقع فيهم الوباء فماتوا إلا نوحا وسام بن نوح وحاما ويافثا ونساءهم وطبقت الدنيا منهم، فذلك قوله عز وجل: (وجعلنا ذريته هم الباقين).

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني

أبو القاسم يلقب دومى، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك، ذكره محمد بن إسحاق النديم وكان في عصره، وله: كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة، رأيتها بخطه في وقف جامع حلب، وله كتاب القوافي، وكتاب اللغات - ذكرهما ابن النديم - .

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن خرنقا

كان كاتبا مليح الخط محظوظا منه، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك، وخطه مشهور عند كتاب الآفاق معروف، مات فيما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة، ودفن في داره بدرب الدواب، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحد قبله، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال: حدثني أبو اليمن زيد بن الحسين الكندي: أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار أمامية، من جملة ذلك، دواة بأزهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بتسعمائة دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكر وما شاكل ذلك.

عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصري

أبو زيد مولى بني نمير، واسم شبة زيد، وإنما سمي شبة لأن أمه كانت ترقصه وتقول:

يا بأبي وشبا ... وعاش حتى دبا

شيخا كبيرا خبا

مات لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين للهجرة بسامرا، وبلغ من السن تسعين سنة، وكان أبو زيد راوية للأخبار عالما بالآثار، أديبا فقيها صدوقا قال المرزباني: وهو القائل للحسن بن مخلد:

ضاعت لديك حقوق واستهنت بها ... والحر يألم من هذا ويمتعض

إني سأشكر نعمى منك سالفة ... وإن تخونها من حادث عرض

وله:

أصبحت كلا على أناس ... قد كنت عن مثلهم عزوفا." (١)

" (١٠٦ - أحمد بن عبد الوهاب [٤٣٦ - ٤٩٣]) ابن موسى الشيرازي ، أبو منصور الواعظ الشافعي . نزيل بغداد . ذكر ابن الهمذاني في ' تاريخه ' سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة ، وقال : **وقع الوباء بالعراق** ، ومات فيه أبو منصور ابن الشيرازي الواعظ ، قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ورزق من العامة القبول ببغداد . وذكره أبو سعد السمعاني ، فذكر أنه حدث عن : أبي الحسن أحمد بن محمد الزعفراني المؤدب ، وأبي محمد الجوهري ، وغيرهما . سمع منه : أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ بذات عرق ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي الحافظ ، وغيرهما . وحكى عن ابن ناصر أنه أساء الثناء عليه ، وقال : كان يغسل الموتى . ومات سنة الجرف سنة ثلاث وتسعين ، طعن من روائح المتى الذين غسلهم .

. " (٢)

"ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٠٩هـ، وكان بيته بيت علم ودين وصلاح، فنشأ في هذا المحيط الطيب، وشب على الاستقامة والصلاح والرغبة في العلم، ولذا حفظ كثيرا من المتون في صغره، وكان يسردها كما يسرد الفاتحة، وكان ابن سعدي وعثمان القاضي. وهما عالمان جليلان من علماء عنيزة. من أترابه، فاستفاد منهما فائدة كبيرة، إذ كانت له معهما جلسات ومناقشات، وقد توفي وهو شاب في مقتبل عمره **في الوباء الذي** أصاب بلاد نجد عام ١٣٣٧هـ، وقد توفي في أيام وفاته زميلان آخران له، هما محمد العبدلي وعبد المحسن السلمان، والثلاثة من أصحاب الشيخ ابن سعدي، فرثاهم بقصيدة طويلة منها:

مات المحب ومات الخل يتبعه ... *** ... ومات ثالثهم والوقت مقترب

تبعه

ماتوا جميعا وما مات فضلهم ... *** ... بل كان فضلهم للناس يكتسب

---

(١) معجم الأدباء، ٢/٢١٤

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية، ١/٣٤٨

كانوا نجوم دياج يستضلء بهم ... *** ... لهفي على فقدهم◌ من بعدما ذهبوا

إلى أن قال:

ما ودعوني غداة البين إذ رحلوا ... *** ... بل أودعوا قلبي الأحزان وانقلبوا

شيعتهم ودموع العين ساكبة ... *** ... لفقدهم وفؤادي حشوه لهب

٤٣_ محمد بن عثمان القاضي:

ولد في عنيزة عام ١٣٤٦هـ في بيت علم وشرف ودين، ونشأ نشأة حسنة، ودخل المدارس النظامية في سن مبكرة، وحفظ القرآن وجوده، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط، وقد وفق بعلماء أجلاء في عنيزة، ومن أبرزهم والده والشيخ ابن سعدي، حيث لازمه ملازمة تامة، وحصل منه الكثير، ثم لازم الشيخ ابن عثيمين، واستفاد من دروسه وحلقاته، له باع طويل في الأنساب، وله كتاب يعد من أفضل الكتب وأدقها وأشملها، وخصوصا في قبائل نجد، ولعل من تمام نعمة الله عليه أن وفق في عمل يزيده علما ويدفعه للقراءة والكتابة والبحث، حيث كان قيما للمكتبة الصالحية بعنيزة، وإماما وخطيبا في أحد جوامعها.

4٤_ محمد بن منصور الزامل:." (١)

"غب لثم الأعتاب بعد الدعاء ... بشفاء لم تنو غير الشفاء

وذكر فيها فصلا يعرض بالمنطقي وهو في بابه مستعذب جدا وذلك قوله فيها

وأناس من الشآم نعتهم ... شامنا في جوانب الغبراء

تركتهم لا يألفون خليلا ... من جميع الورى لفقد الوفاء

خرجوا يطلبون فضل ثواء ... ليتهم قد رضوا بفضل الثراء

ألفوا الكسب من وجوه البرايا ... مادر واقدر مكسب الآباء

برح العجز فيهم فتراهم ... يبتغون الغداء وقت العشاء

قد أراقوا ماء الحيا والمحيا ... ثم حدوا في الكذب والأفتراء

ربما هجنوا لديك ثنائي ... ربما حسنوا لديك ازدرائي

ربما حاولوا حكاية صوتي ... فأخلوا بحسن ذاك الأداء

---

(١) حياة علامة القصيم، ص/٥٢

ليس عندي وأنت ذخري منهم ... غير مابا لجوزا من العواء

أنا يا سيدي سهيل عليهم ... وطلوعي يضر نسل الزناء

هذا البيت مأخوذ من قول المتنبي

وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

والعرب تزعم أن سهيلا إذا طلع وقع الوباء في ال أرض وكثر الموت يقول فأنا سهيل على أولاد الزناء خاصة أي أنهم يموتون حدا لي وبعض الناس يقول أن ولد الزنا اسم لدويبة ترصف إذا طارت بالليل وأنها تموت إذا طلع سهيل ولا أدري صحته والله تعالى أعلم ولم يزل المنطقي على حالته المذكورة حتى صار قاضي قضاة حلب ونقل منها إلى قضاء الشام فوردها وكان سيره بها حسنا ومدحه شعراء ذلك العصر بالقصائد الطنانة وأجود ما مدح به قصيدة الأمير المنجكي التي مطلعها قوله

ورد الربيع فقم لحث الكاس ... ودع المقام بأربع أدراس

يقول منها في مديحه

قاض تود لو أنها فرشت له ... عند القدوم كواكب الأغلاس

بيديه حل المعضلات وكشفها ... وجلاية الجلى ورفع الباس

وله سهام عدالة لوفوقت ... تركت متون الجور كالأقواس

لما سهرت على مدائحه التي ... جعلت عداي من الردى حراسي

ود الهلال لو استقام وأنه ... أمسى لدي مكانة النبراس." (١)

"يبكى وينتف لحيته من قهره وكان الشاه نزل بالقرب من بغداد نحو ثلاثة أيام حتى تسمع عساكره في بغداد بخبره فتقوى قلوبهم وتضعف قلوب عساكر السلطان وكان مراد باشا الارنبوى كافل حلب يقبح صنيع الحافظ ويسبه ويقول لاى شئ لا يرسل عساكر من عنده وكان هو معه عساكر كثيرة وجاء إلى الحافظ وقال له أعطنى اجازة حتى أتوجه إلى الشاه وأقتل جماعته وربما قبضت عليه فيقول له الحافظ مراد باشا لا نفرق عسكرنا وتضعفهم فيهجم عساكر بغداد علينا ويقتلونا ومراد باشا يصمم على قتال الشاه فقال له الحافظ أن فعلت فأنت تعلم فجمع مراد باشا نحو أربعة آلاف وكبس الشاه فتحاربوا شيئا قليلا ثم رجع مراد باشا مكسورا فقال له الحافظ عرفت أن قول الشيوخ أصوب من رأى الشبان وضاق الأمر على عساكر الحافظ ووقع الغلاء فيهم وهرب غالبهم ثم بعد ذلك اجتمع العسكر ورجموا الحافظ وطلبوا منه أن يقوم

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١٢٦/١

بالعساكر عن الحصار ويرجعوا إلى أوطانهم فقال اصبر على أسبوعا فصبروا أسبوعين ثم جاؤا فلم يزل يوادعهم حتى اجتمعوا عليه ووضعوا في عنقه محرمة وجذبوه حتى قام من مكانه وشرع في الرحيل وكان عنده بعض مكاحل دفنها في الارض ولم يعلم بذلك أحد الاشرذمة قليلة فجرد المكاحل فتبعهم الشاه وأراد العسكر أن يعجلوا في الرجوع فنادى كل من فارق الوزير وخرج عن خيامه تخرج عنه علوفته فتبعهم الشاه مرحلة مرحلة وأراد الهجوم عليهم فلم يبالوا بهن وجمعهم الحافظ وتوجه إلى الشاه وقاتله حتى رجع الشاه من خوفه وبعد يومين أحضر إليه مراد باشا وقال له أم لأقل لك لا تركب حتى كسرت العساكر وأظهرت الصيت القبيح لنا وقتله في الحال بين خيامه وأرسل جثته إلى جماعته وجاء الحافظ إلى حلب فبعث الهدايا والتحف إلى السلطان وجماعته واسترضى السلطان وجماعته حتى لا يقتل لكنه عزل ونزل بقسطنطينية خائفا مختفيا وتولى الوزارة بعده خليل باشا وبعده خسر وباشا ثم تولاها الحافظ صاحب الترجمة ثانيا وكان للعساكر الطغيان العظيم فاجتمع عليه العساكر وقتلوه وكان السلطان خيره بين أن يقتله هو بنفسه ويبعث برأسه إليهم ليطفى نار غضبهم وبين أن يمكن العساكر منه فقال الأولى أن تسلمني للعساكر ولا تتقلد دمى ليبقى الاثم في عنق العسكر ويكون لي في القيامة المطالبة الكبرى وكان قتله في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وألف رحمه الله تعالنتف لحيته من قهره وكان الشاه نزل بالقرب من بغداد نحو ثلاثة أيام حتى تسمع عساكره في بغداد بخبره فتقوى قلوبهم وتضعف قلوب عساكر السلطان وكان مراد باشا الارنبوى كافل حلب يقبح صنيع الحافظ ويسبه ويقول لاى شئ لا يرسل عساكر من عنده وكان هو معه عساكر كثيرة وجاء إلى الحافظ وقال له أعطنى اجازة حتى أتوجه إلى الشاه وأقتل جماعته وربما قبضت عليه فيقول له الحافظ مراد باشا لا نفرق عسكرنا وتضعفهم فيهجم عساكر بغداد علينا ويقتلونا ومراد باشا يصمم على قتال الشاه فقال له الحافظ أن فعلت فأنت تعلم فجمع مراد باشا نحو أربعة آلاف وكبس الشاه فتحاربوا شيئا قليلا ثم رجع مراد باشا مكسورا فقال له الحافظ عرفت أن قول الشيوخ أصوب من رأى الشبان وضاق الأمر على عساكر الحافظ ووقع الغلاء فيهم وهرب غالبهم ثم بعد ذلك اجتمع العسكر ورجموا الحافظ وطلبوا منه أن يقوم بالعساكر عن الحصار ويرجعوا إلى أوطانهم فقال اصبر على أسبوعا فصبروا أسبوعين ثم جاؤا فلم يزل يوادعهم حتى اجتمعوا عليه ووضعوا في عنقه محرمة وجذبوه حتى قام من مكانه وشرع في الرحيل وكان عنده بعض مكاحل دفنها في الارض ولم يعلم بذلك أحد الاشرذمة قليلة فجرد المكاحل فتبعهم الشاه وأراد العسكر أن يعجلوا في الرجوع فنادى كل من فارق الوزير وخرج عن خيامه تخرج عنه علوفته فتبعهم الشاه مرحلة مرحلة وأراد الهجوم عليهم فلم يبالوا بهن وجمعهم الحافظ وتوجه إلى الشاه وقاتله

حتى رجع الشاه من خوفه وبعد يومين أحضر إليه مراد باشا وقال له أم لأقل لك لا تركب حتى كسرت العساكر وأظهرت الصيت القبيح لنا وقتله في الحال بين خيامه وأرسل جثته إلى جماعته وجاء الحافظ إلى حلب فبعث الهدايا والتحف إلى السلطان وجماعته واسترضى السلطان وجماعته حتى لا يقتل لكنه عزل ونزل بقسطنطينية خائفا مختفيا وتولى الوزارة بعده خليل باشا وبعده خسر وباشا ثم تولاها الحافظ صاحب الترجمة ثانيا وكان للعساكر الطغيان العظيم فاجتمع عليه العساكر وقتلوه وكان السلطان خيره بين أن يقتله هو بنفسه ويبعث برأسه إليهم ليطفى نار غضبهم وبين أن يمكن العساكر منه فقال الأولى أن تسلمني للعساكر ولا تتقلد دمى ليبقى الاثم في عنق العسكر ويكون لي في القيامة المطالبة الكبرى وكان قتله في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وألف رحمه الله تعالى." (١)

"قانصوه باشا نائب اليمن قدمها في ثاني وعشري المحرم سنة تسع وثلاثين وألف من الديار المصري ثم إلى مكة في عسكر عظيم وصحبه من الأمراء والكبراء ما يحيل عن الوصف من مشاهيرهم الأمير موسى بن الخبير من غرب مصر في نحو ثلثمائة فارس أو يزيدون والأمير سليمان بعد أن كان عزم إلى مصر لخدمة الوزير عابدين بمال جزيل ليجهز له عسكرا فلما بلغ إلى مصر بلغة تجهيز قانصوه فساعده ووصل صحبته وتولى تدبير ملك المذكور وكان متهما بنحوسة لسوء تدبيره حتى عاجله القضاء المقدور على يد قانصوه المذكور في سنة أربعين وألف وصحبته حمزة أغا وإدريس أغا في ثلاثة آلاف من الأسباهية من الأبواب السلطانية ونحو ألف من المغاربة وألفين من أهل الشام وأربعة آلاف من مصر وألفين من مكة فحصل بينه وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب منافسة فقبض عليه وقتله وأقام مكانه مسعود بن إدريس وأقام بجدة واحدا من جماعته اسمه مصطفى ثم أخذ من مكة أموالا جمة والمراكب بالخزائن والجنود تمشى محاذية له بحرا فقدم أول عسكره مورا وفيهم الأمير ابن خبير وذلك يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر فلما علم بورودهم التقي بن إبراهيم إنجاز بجنوده إلى ربوع أذرع شرقي بيت الفقيه الزيدية وكذلك الشريف هاشم إنجاز إلى جانب أصاب وكذلك الأمير سنبل قام من حبس إلى شرقية وكان عزم السيد هاشم ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر وفي ليلة الثلاثا الثلامن عشر منه يوسف الكتخدا في مائتي حصان في المراوعة إلى بيت الفقيه ثم إلى زبيد وذلك صبح الثلاثا فتوجه إلى المخا عصر ذلك اليوم فورد يوم الأربعاء إلى المخا ضحوة فقبض على عابدين باشا وحبسه وقتله صبرا بعد ثلاثة أيام وقبض خزائنه وجعل عياله في مكان عيال الشريف أبي القاسم الشجر وسمعوا البكاء عليه كما سمع البكاء منهم على المشار إليه وأما قانصوه فورد

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢٤١/١

بيت الفقيه ابن عجيل صبح الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر فقبض على الفقيه أحمد بن محمد بن جعفر العجيل وحبسه وأخذ منه مالا جزيلا وصلبه في صبح الاثنين الثالث والعشرين وعظم المصاب وأهدم بيت الفقيه ونهبت جملة من بيوت وأموال لأنه كان عينا في بيت الفقيه رئيسا مقبولا عند السيد هاشم فحسده أعداؤه ونسبوا إليه المكايد وكان هو السبب في دخول الوهن على قانصوه لأنه لما فعل به ما فعل نفرت قلوب الناس منه وخصوصا حيث أنه كره شفاعة السيد الطاهر بن بحر ولم يقبل مشورته في العفو عن إساءة الناس ووعظه بوصول الوزير سنان وعفوه فأبي واستكبر لا مرير يده الله تعالى ثم توجه من بيت الفقيه إلى زبيد صبح الثلاثا خامس عشري الشهر بالجند الموفور فواجهه بها الأمراء والكبراء والمشايخ والسادات وورد إليه يوسف الكتخدا في جملة من عسكر المخا فدخل المحطة دخله عظيمة ولما استقر بها أمر بتجهيز الوزير حيدر فكه من الحبس الشديد فجهزوه إلى سواكن هو وبعض مماليكه ثم دخل إلى مصر فإلى الروم وحصل له مقام كامل عند السلطان وأمر الأمير موسى بن الخبير بالمسير إلى حيس فدخلها بجيش كبير **فشرع الوباء في** الجنود ومات ابن الخبير المذكور وابن أخيه وأكثر جماعتهم ولم يبق منهم إلا اليسير ومات بزبيد الأمير أحمد وعالم كثير حتى كل الحفارون عن الحفر والغالون عن التغسيل فأقام نحو أربعين يوما ثم توجه إلى حيس وأقام بها **فعظم الوباء ومات** من جماعته عالم كثير وهلكت الجمال التي وصلت من الشام وكانت نحو عشرة آلاف أو أزيد وكان من أراد جملا أخذه لموت الجمالين ومعظم الخيل ثم توجه إلى المخا فحظ بظاهرها وبني بها قلعة عظيمة وفي عشر الحجة حصل مهادنة بين قانصوه وبين الإمام إلى سنة أربعين بعد الألف وأرسل إليه محمد ولي وجماعة من أعيانه فكساهم وأنعم عليهم ثم رجعوا إلى المخا وفي أربع عشر الحجة طلب قانصوه يوسف الكتخدا فأمر بضرب عنقه في الديوان فقام عليه العسكر وحصروه في القلعة نحو خمسة عشر يوما فصالحهم بزيادة في علائفهم وشرطوا عليه قبض سبعة أنفار من جماعته اثنان قتلوهما وأربعة أودعوهم كران والسابع فر بنفسه ونجا ثم حصل بينه وبين العسكر حوادث حتى استحال جماعة منهم إلى الزيدية وعزم من عزم منهم إلى الشام ولم تزل الشحناء بينهم ثم في سنة خمس وأربعين حصلت وقعة بين قانصوه وبين الحسن وقتل جماعة من الفريقين ثم في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة خرج قانصوه." (١)

"وفي روض الأخبار من استبد بتدبيره زل ومن استخف بأسيره ذل حكى بعض أهل اليمن قال سمعته يقول في حال عزله كنت أعتمد على دفاتري وحفظي من أخبار اليمن وأقول ليس أحد أعرف مني بأحوال

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣٠٢/٢

اليمن وأعترف الآن أني دخلت اليمن وخرجت منه ولا عرفت ولا حققت قدر أنملة وكان قائما على قدم الثبات ذا عزيمة ماضية مع ظهور القحط وعمومه في جميع البلاد وافراط العساكر في طلب الإنعامات والترقيات مرة بعد مرة فعجز الفريقان فانعقد الصلح بينه وبين الإمام القاسم بأن لكل واحد ما كان تحت يده في حال الحرب وضبطت الحدود والأطراف وكان انعقاد الصلح على يد الأمير علي بن المطهر والشويع محمد بن عبد الله في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وألف وبعد انعقاد الصلح فك الوزير محمد باشا قيد الحديد من السيد حسن بن الإمام القاسم لأن خروجه ما كان في شرائط الصلح وبقي في دار الأدب إلى أن وصل المتسلم من جانب الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء في سنة إحدى وثلاثين والسيد حسن يعمل الحيلة في خلاصه حتى حصلت له الفرصة فخرج متنكرا على بعض القول في غفلة الحراسين فلما وصل الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء في رجب سنة إحدى وثلاثين صلب الحارس الذي كان على دار الأدب ولنرجع إلى المقصود فنقول كانت وفاة الإمام القاسم عقب الصلح نهار الاثنين خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف وقام في مقامه ولده السيد محمد وجدد الصلح بينه وبين الوزير الحاج محمد باشا على ما كان في زمن والده من غير زيادة ولا نقصان واستمر القحط وطال في زمان صاحب الترجمة حتى بيع حمل الجمل من الحنطة بأربعين حرفا وعبرة حمل الجمل ثلاثون قدحا صنعانيا وبيضة الدجاجة ببقجة وهي عبارة عن كبير واحد في مقابلة عثمانيين وكان أول زمانه حربا وفتنا وآخره نهبا ومحنا وله آثار عظيمة في تعمير القلاع السلطانية ما سبقه إلى مثل ذلك أحد وبنى جامعا في صنعاء وله غير ذلك من الخيرات وكان خروجه من صنعاء غرة صفر سنة إحدى وثلاثين ولما سمع بمجيء الوزير فضل الله باشا أسرع في النهوض فخالف التقدير التدبير وتقاربوا في المنازل بالقرب من زبيد فأرسل فضل الله باشا إليه عسكرا وسردارا فراموا عليه وعلى أولاده بالرصاص لأجل الجلب فكانت أم البنين تعرض نفسها على ولدها خوفا عليه من الرصاص انتهى ثم وصل إلى مكة في غرة شعبان من السنة المذكورة وصام رمضان وتصدق وفعل أفعالا عديدة من الخيرات وكان وصل معه في مركبه الواصل بحرا فيل صغير أراد أن يهديه إلى الحضرة السلطانية ثم إن هذا الفيل استمر بجدة أياما فجاء الخبر بوفاة السلطان عثمان ثم انتقل الوزير المذكور بالوفاة ليلة سابع وعشري شوال من السنة المذكورة ودفن صبيحة تلك الليلة بالمعلاة وبنى عليه قبة باقية إلى الآن ووقع بعد وصول الفيل غلاء شديد بمكة قال الإمام عبد القادر الطبري فيه مؤرخا وهو على غير وزن الأبحر المتداولة

حرم الله حل ساحته ... قدم الفيل ضل عن رشده

كثر الهم يا فتى أرخ ... سنة الفيل همه شده

وفي هذا القرن يضرب المثل بالغلاء الواقع بمكة في سنة تسع بعد الألف ونهاية ما وصل فيه الاردب المصري إلى ثمانية عشر دينارا على ما سمعناه من الثقات الشاهدين لذلك قلت فتكون الغرارة الشامية ولم يستمر هذا الغلا إلا نحو ثلاثة أشهر وفيه أكل الناس لحوم الكلاب والبس قال الإمام علي بن عبد القادر الطبري في الأرج المسكي والتاريخ المكي سمعت من الوالدان الفقراء كانوا يأخذون دم الشاة ويجعلونه في إناء على النار ثم يستعملونه ثم وقع بعد عام تسع غلاء متعدد **منه الغلاء الذي** ذكرناه ثم في سنة سبع وثلاثين وقع غلاء عظيم واستمر متزايدا إلى سنة ثمان فبقيت الكيلة الدخن في هذا العام بأحد عشر محلقا ثم وقع في عام تأليف هذا الكتاب غلاء أضرم في الأفئدة نيران الاشتعال وأعمى بصائر الناس من التفرغ للاشتغال واستمر أشهرا عديدة وفي الغالب إنما يكون في أنواع الحبوب وقد يقع في السمن وغيره من أنواع المأكولات والله تعالى أعلم محمد الشهير بابن الغزال الحمصي نزيل دمشق ورئيس الأطباء بها ارأس من انتمى إلى الطب في وقته ذكره والدي رحمه الله تعالى فقال في وصفه أبقراط وقته وزمانه وجالينوس عصره وأوانه قد جمع الفضل بعد شتاته ورد في جد الأدب روح حياته." (١)

"عبد العزيز القاهري بها في ليلة الثلاثاء سابع عشر شعبان، وحفيد تيمور احمد جوكي بن شاه رخ، والشيخ أبو بكر بن محمد بن علي الحافي ثم الهروي بالقاهرة في يوم الخميس ثالث شهر رمضان **في الوباء الحادث** بها، وزوج السلطان الاشرف خوند جلبان الجركسية (١) في يوم الجمعة ثاني شوال، وفيه صاحب مدينة تلمسان والغرب السلطان احمد ابن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى التلمساني.

* (سبط ابن العجمي) * ابراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي وجده لامه هو عمر ابن محمد بن الموفق احمد بن هاشم بن ابي حامد عبد الله بن العجمي الامام العلامة برهان الدين أبو الوفاء ولد بالجلوم (٢) من حلب في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ومات والده وهو طفل جدا وكفلته أمه وتحولت به إلى دمشق فأقام معها وحفظ

---

(١) نسبة إلى جركس جبل من الناس تتشعب منه اربع قبائل كبيرة وهي (تركس - ويقال لها ايضا شركس -، واذكس، وكسا، وآص) وتتفرع من هذه القبائل الاربع بطون وأفخاذ يذكرها البدر العيني في كتابيه (السيف المهند في سيرة الملك المؤيد) و (عقد الجمان في تاريخ الزمان)، و (آص) من قبائلهم

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/١١٢

هي قبيلة (علان) كما في ذيل اللب وتسمى (اللان) و (الان) ايضا والاخير في كتب الفرس.
(٢) بفتح الجيم وتشديد اللام المضمومة بقرب فرن عميرة بفتح العين حارة من حارات حلب.
الضوء اللامع.
(*)."(١)

"ليلة البدر " قال: إنما لم يقل كالشمس لأن نور الشمس يؤثر في عيون الناظرين إليها، فلا يتمكنون من النظر، والجنة دار لذة وطيب عيش، فلو أشبهت وجوههم نور الشمس لم يتمكن أحد منهم أن ينظر الآخر.

ومن كلامه في السنة: قال أبو الفرج بن الجوزي: سمعت الوزير يقول: تأويل الصفات أقرب إلى الحظ من إثباتها على وجه التشبيه فإن ذلك كفر. وهذا غايته البدعة.

قال وسمعته ينشد لنفسه:

لا قول عند آية المتشابه ... للراسخين غير " آمنا به "

قال: وسمعته يقول: ما أنزل الله آية إلا والعلماء قد فسروها، لكنه يكون للآية وجوه محتملات، فلا يعلم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات إلا الله عز وجل.

قال: وسمعته يقول في قوله تعالى: " إن هذا إلا قول البشر " المدثر: ٢٥، قال: العرب لا تعرف ذا ولا هذا إلا في الإشارة إلى الحاضر. وإنما أشار هذا القائل إلى هذا المسموع. فمن قال: إن المسموع عبارة عن القديم، فقد قال: هذا قول البشر.

قال مصنف سيرته: كثيرا ما سمعته يقول: ليس مذهب أحمد إلا الاتباع فقط. فما قاله السلف قاله، وما سكتوا عنه سكت عنه فإنه كان يكثر أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لأنه لم يقل. وكان يقول في آيات الصفات: تمر كما جاءت.

قال: وسمعته يقول: تفكرت في أخبار الصفات، فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها، مع قوة علمهم، فنظرت السبب في سكوتهم، فإذا هو قوة الهيبة للموصوف، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله، وقد قال عز وجل: " تضربوا لله الأمثال " النحل: ٧٤، قال: وكان يقول: لا يفسر على الحقيقة ولا على المجاز لأن حملها على الحقيقة تشبيه، وعلى المجاز بدعة.

قال: وسمعته يقول: والله ما نترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الرافضة نحن أحق به منهم، لأنه منا

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ، ص/٣٠٨

ونحن منه، ولا نترك الشافعي مع الأشعرية فإنا أحق به منهم.
قال: وسمعته يقول: من مكايد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعله أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعا.
ومنها: أن يخرج جوالب الفتن مخرج التشدد في الدين.
ومنها: أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يبين الحق فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليدا للمعظم عنده، قد قدمه على الحق.
قال: وسمعته يقول لبعض الناس: لا يحل والله أن تحسن الظن بمن يرفض، ولا بمن يخالف الشرع في حال.
ومن كلامه في فنون، قال ابن الجوزي: وسمعته يقول: يحصل العلم بثلاثة أشياء.
أحدها: العمل به، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو. ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم.
والثاني: التعليم، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه.
الثالث: التصنيف، فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه.
قال: وسمعته يقول: الحكمة في اختصاص المرأة بالحيض: أنها تحمل الولد، والولد مفتقر إلى الغذاء، فلو شاركها في غذائها، لضعفت قواها، ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها، إن حملت فهي قوته، وإن لم تحمل اندفعت، فإذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن.
قال: وسمعته يقول لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب.
وسمعته يقول: الأيام قد ذهبت، والأعمار قد نهبت، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت، وما يطلب منها شيء من الخير إلا أبت، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت.
وسمعته يقول: نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة، أضر على العصاة من تفريطهم، وقال: لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي، ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاء لقهروا، فلم يحصل ذلك المعنى.
وكان يقول في قوله تعالى: " وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها " الأنعام: ١٢٣، إنه على التقديم

والتأخير، أي: جعلنا مجرميها أكابر. وقال: البحر محيط بالأرض، وخلجانه تتخلل الأرض. والريح تهب على الماء، وتمر على الأرض، فيعتدل النسيم بالرطوبة. ولو كان ماء البحر عذبا لأنتن لكونه واقفا، فكانت الريح إذا هبت عليه **أوقعت الوباء في** الخلق، ولكنه جعل مالحا، ليحصل منه نفع الرطوبة، ولا يقع به الفساد.." (١)

"والثاني: التعليم، فإنه إذا علم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

الثالث: التصنيف، فإنه يخرجه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه.

قال: وسمعته يقول: الحكمة في اختصاص المرأة بالحيض: أنها تحمل الولد، والولد مفتقر إلى الغذاء، فلو شاركها في غذائها، لضعفت قواها، ولكن جعلت له فضلة من فضلاتها، إن حملت فهي قوته، وإن لم تحمل اندفعت، فإذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن.

قال: وسمعته يقول لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب.

وسمعته يقول: الأيام قد ذهبت، والأعمار قد نهبت، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت، وما يطلب منها شيء من الخير إلا أبت، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت.

وسمعته يقول: نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة، أضر على العصاة من تفريطهم، وقال: لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي، ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاء لقهروا، فلم يحصل ذلك المعنى.

وكان يقول في قوله تعالى: "وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها" الأنعام: ١٢٣، إنه على التقديم والتأخير، أي: جعلنا مجرميها أكابر. وقال: البحر محيط بالأرض، وخلجانه تتخلل الأرض. والريح تهب على الماء، وتمر على الأرض، فيعتدل النسيم بالرطوبة. ولو كان ماء البحر عذبا لأنتن لكونه واقفا، فكانت الريح إذا هبت عليه **أوقعت الوباء في** الخلق، ولكنه جعل مالحا، ليحصل منه نفع الرطوبة، ولا يقع به الفساد.

قال: وسمعته يقول: احذروا مصارع العقول، عند التهاب الشهوات.." (٢)

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/١١١

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ٢٤٦/١

"غرة شوال من سنه ٨٣٨ ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث شهر رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها اه باختصار كثير والثاني موافق لما ذكره المؤلف ولكن إذا كانت وفاته بهراة كان في قول المؤلف بالقاهرة تحريف والله اعلم.

الصفحة (٣٠٩) (جاء) في السطر الثالث منها في ترجمة البرهان الحلبي سبط ابن العجمي [والد والدته الموفق] وهذه العبارة غير مستقيمة والصواب [والد والدة الموفق الخ] كما هي عبارة الضوء اللامع.

الصفحة (٣١٠) (جاء) في السطر الحادي عشر منها [جاء على غالب مروياتها] ولعله سقطت منه كلمة حتى والاصل [حتى جاء الخ] كما في عبارة الضوء اللامع.

(وجاء) في السطر الثاني عشر منها [وخاله هاشم بن محمد بن الموفق الخ] هو هاشم بن عمربن محمد بن الموفق الخ كما يعلم من كلام

المؤلف في اول الترجمة.

وقد توفي هاشم هذا في النحرارية من أعمال مصر سنة بضع وسبعين وسبعمائة ءن ثمانين سنة كما في الدرر الكامنة.

ووالدة المترجم اخت هاشم هذا هي عائشة بنت عمر بن العجمي الكامنة.

ووالدة المترجم اخت هاشم هذا هي عائشة بنت عمر بن العجمي المذكور [توفيت في شهر رجب من سنة ٧٨٩] سمعت على العز أبي اسحق ابراهيم بن صالح بن العجمي زوج عمتها ووحدثت وسمع منها ولدها.." (١)

"ولي ابن طالب، القضاء بالقيروان، مرتين، لما عزل سليمان، أول مرة ولي هو، ولاه ابراهيم بن الأغلب. وعظم قدره. وجعل إليه النظر في تركة جدته. فطلب ابن طالب، سليمان. فاستخفى عنه. فلما رأى ابراهيم ميل نفوس الناس الى ابن طالب، ومحبتهم له، لعدله وسماحته وعقله، وحسن سيرته، وعلمه، واستبشارهم بأيامه، لرخص السعر، وارتفاع الوباء، أيامه به، غار ابراهيم به، وخشيه على ملكه. لكونه ابن عمه. فرأى إماتة اسمه، وعزله. ورد سليمان بن عمران. فلما شاخ سليمان بن عمران، عزله، وولي مكانه ثانية. قال ابن حارث: كان ابراهيم بن الأغلب، أكره الناس في ابن طالب. وكان قد أساء إليه، أيام قضائه، الأول. وإمارة أخيه ابراهيم المعروف بأبي الغرانيق. فلما ولي ابراهيم بعده، هم به. وكان الحضرمي، وبلاغ مولى ابراهيم خاصين به، ولهما بابن طالب عناية. فكانا يكفانه عنه. فلما شاخ سليمان بن عمران، واضطر

---

(١) ذيول تذكرة الحفاظ، ص/١٤١

ابراهيم، الى قاض غيره، جمع وجوه القيروان، وشاورهم فيمن يوليه. فطرحوا الاختيار إليه، وغلبته الشهوة في محمد بن عبدون، وأمر له بمركب فأمر بأن يخرج ابن عبدون عليه، الى أن دخل أحمد بن أبي سليمان، فسأله الأمير، فقال: أرى أن نولي العدل الرضي المستحق للقضاء. فقال: من هو؟ قال: ابن طالب. فاستوى جالسا، وقد كان ابن غافق أشار بمثله، قبله. وقال: ما أرى لها إلا ابن طالب. فقال له: ابن أبي سليمان: إن الصلاة عمود الدين. فلما استحق عند الأمير أن يقدم عليها، كان بما هو أقل منها أولى. فقال ابراهيم: يرد الفرس. وأذن لابن أبي سليمان في الانصراف، ووجه لابن طالب، فولاه القضاء. قال لي ابن طالب: كنت نائما قائلة، حتى انتبهت من نومي، فأنكرت ذلك، وعلمت أنه لأمر حدث. فقيل لي: رسول الحاجب بالباب. فخرجت إليه في ثوب البيت. فقال لي الحاجب: الأمير يدعوك الساعة. فقلت: أدخل، وأخذ ثيابي على نفسي. فقال لا. فساءني، ودعوت بثيابي فلبستها. وسرت حتى وصلت الى ابراهيم بن أحمد الأمير. فوجدته وبين يديه السيف مسلولا. فسلمت، فرد علي فسكن روعي، لرده. ثم قال لي: احتجت في يومي الى ابن طاهر، ما أوفاه من أمرك شيئا. وقد عزمت على توليتك القضاء، فأبيت. فمد يده الى السيف، وقال: إن شئت القضاء. وإن شئت هذا. فقلت تأذن لي في صلاة ركعتين أدعو وأستخير. قال: أفعل. فصليتهما، واجتهدت في الدعاء والخيرة. فلما سلمت، قال لي: ما ظهر لك. قلت أبقى الله الأمير، إن ولاني علي ما لا ينفذ عليه القضاء، ليست بولاية. فقال: عل مفرق رأسي. فقلت له: أبقى الله الأمير، تقدمت الإيمان، فآذن في الانصراف، حتى أنظر فيها، ثم أعود الساعة. قال: أفعل. وكان ابن طالب، قد حلف بجميع الإيمان قبل هذا، ألا يلي قضاء أبدا. فخرج ابن طالب، فخالع زوجته، وباع عبيده، وتصدق بأمواله، وأخرجها من ملكه. ثم رجع فقبل. وكتب له عهده، وأمر له بكسوة، ووصله وحمله. قال ابن طالب: وكنت لما دخلت إليه في المرتين، ما رفع إلي أحد رأسا. فلما وليت، وخرجت، فوجدت أهل الأرض وقوفا ينتظروني على الباب. فعلمت هوى الناس للدنيا. قال ابن حارث: وكان ابن طالب، إذا وقف للحكم بين الخصمين، كتب للمطلوب القصة، التي شهد عليه بها. ثم قال له: اذهب، وطف بها على كل من عنده علم، وجئني بالأجوبة، فيها. قال ابن أبي خالد: كان ابن طالب عدلا في قضائه، ورعا في أحكامه، كثير المشاورة، لأهل العلم من أهل مذهبه وغيرهم. وذكر أبو عمرو الداني في كتابه: أن ابن طالب، أيام قضائه، أمر ابن برغوث المقرئ، بجامع القيروان ألا يقرأ الناس إلا بحرف نافع. وقال صاحب المغرب في أخبار المغرب: إن في أيام ابن طالب، قتل ابراهيم الفزاري، وكان ابراهيم، شاعرا. متفننا في كثير من العلوم، مع استهزاء وطيش. وكان يحضر مجلس ابن طالب لمناظرة الفقه. فقيل إنه كان يزري به، ويتضحك

بأمره، ونمت عنه أمور منكرة. فانتهى ذلك الى ابن طالب. فطلبه ابن طالب وحبسه. وشهد عليه أكثر من مائتين بالاستهزاء بالله. وبكتاب الله. وبأنبيائه. وبنبينا صلى الله عليه وسلم. قيل منهم ثلاثون عدلا. فجلس له ابن طالب، وأحضر له العلماء، يحيى بن عمرو وغيره. وأمر بقتله فطعن بسكين في حنجرته. وصلب منكسا. ثم أنزل بعد ذلك، وأحرق بالنار. فحكى بعضهم: أنه لما رفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي، استدارت، وتحولت عن القبة.." (١)

"قوله : " رجع ناس من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد " يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، وقد ورد ذلك صريحا في رواية موسى بن عقبة في المغازي ، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي – صلى الله عليه وسلم – على الإقامة بالمدينة ، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فخرج ، قال عبد الله بن أبي لأصحابه أطاعهم وعصاني علام نقتل أنفسنا ؟ فرجع بثلث الناس ، قال ابن إسحاق في رواية فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجيا كعبد الله بن أبي فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال أبعدكم الله " فكان الناس فيهم " أي في الحكم في من انصرف مع عبد الله بن أبي فنزلت هذه الآية ، وهذا هو الصحيح في سبب نزولها .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم عن أبي سعيد بن معاذ قال نزلت هذه الآية في الأنصار خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال من لي بمن يؤذيني ؟ فذكر منازعة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن خضير ومحمد بن مسلمة فأنزل الله هذه الآية(١).

وفي سبب نزولها قول آخر أخرجه أحمد من طريق ابن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن قوما أتوا المدينة فأسلموا فأصابهم الوباء فرجعوا فاستقبلهم ناس من الصحابة فأخبروهم ، فقال بعضهم نافقوا ، وقال بعضهم لا ، فنزلت(٢)

وأخرج بن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي سلمة مرسلا ... فإن كان محفوظا احتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعا(٣)كذا في الفتح

---

(١) ١) ... تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣ / ١٠٢٣ .

(٢) ٢) ... رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن عوف . المسند ٢ / ٣١٠ ، وقال

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٣١٥/١

المحقق إسناده صحيح .

(٣) ٣) ... لم أقف على هذا الكلام في الفتح في كتاب التفسير ، ولعله في موطن آخر .." [١]

"*كانت اليهود تقول من اتى امراة من دبرها فى قبلها جابر مسلم

* قرا ابن عباس " اليوم اكملت لكم دينكم " وعنده يهودى عمار بن ابى عمار الترمذى

* اخر اية نزلت او اخر شى نزل يستفتونك البراء بن عازب الترمذى

*كان النبى (ص) يصلى على راحلتة تطوعا ابن عمر الترمذى

* رجع ناس من اصحاب النبى (ص) يوم احد زيد بن ثابت الترمذى

* ان قوما اتوا المدينة فاسلموا قاصا **بهم الوباء فرجعوا** ابو سلمة احمد

* خشيت سودة ان يطلقها النبى (ص) ابن عباس الترمذى

* سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان على الترمذى

* اللهم اغفر لقومى البخارى

*كانى انظرالى النبى (ص) يحكى نبيا من الانبياء عبد الله بن مسعود مسلم

* لما فتح الله تعالى مكة سال النبى (ص) اى ابويه

احدث به عهدا؟ ابن عباس الرازى

* لما حضرت ابا طالب الوفاة سعيد بن المسيب البخارى

* قعدنا نفر من اصحاب النبى (ص) فتذاكرنا عبد الله بن سلام الترمذى

* امرتنى عائشة ان اكتب لها مصحفا ابو يونس الترمذى

* نزلت " حافظو على الصلوات .. فقراناها على

رسول الله ماشاء الله البراء بن عارب مسلم

* ان النبى (ص) قرا هل تستطيع ربك معاذ ابن جبل الترمذى

* ان النبى (ص) قرا وترى الناس سكارى وماهم بسكارى عمران بن حصين الترمذى

* قرات على ابن عمر الله الذى خلقكم من ضعف عطية العوفى الترمذى

* قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال افيكم احد علقمة الترمذى

---

(١) جهود الإمام المباركفوري في الدراسات القرآنية من خلال كتابه تحفة الأحوذي، ٢١/٤

*كان فيما انزل من القران عشر رضعات عائشة مسلم

* قد انزل الله على ايات لم ير مثلهن عقبة بن عامر الترمذى

* ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا مسلم

* من قرا حم الدخان فى ليلة ابو هريرة الترمذى

* ان سورة من القران ثلاثين اية ابو هريرة الترمذى

*كيف تقرا اذا افتحت الصلاة ابى كعب البخارى

* سئل عن قراءة النبى (ص) فقال كانت قراءته مدا انس ابن مالك البخارى

* بينا رسول الله (ص) ذات يوم بين اظهرنا ابن عباس ابو داود." (١)

"ولما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاعة في القبائل، كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الإذن له في استخراج من كان في القبائل منهم، فيجعلهم دعوة منفردة. فأذن له يزيد بن عبد الملك في ذلك. فأخرج مهرة من كندة، وأخرج تنوخا من الأزد، وأخرج آل كعب بن عدي التنوخي من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية، وأخرج خشينا من لخم، فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة مفردة. وتدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع لأن الأول تدوين عمرو بن العاص، والثاني تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان، والثالث تدوين قرة بن شريك، والرابع هو هذا. ولم يكن بعد هذا في الديوان شيء له ذكر، إلا ما كان من إلحاق قيس فيه زمن هشام، وأشياء أحدثها المسودة من أرباعهم التي أحدثوها منه.

ثم ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره على إفريقية. فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومئة، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر.

٩1 - حنظلة بن صفوان

ابن تويل بن بشر الكلبي ثم وليها حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه بشر له عليها. فأقره يزيد بن عبد الملك. فجعل على شرطه محمد بن مطير البلوي، ثم عزله في سنة ثلاث ومائة، وجعل على شرطه القاسم بن أبي القاسم بن زر السبئي، مولى لهم. وخرج حنظلة إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومئة واستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجيبي حليف بن أيدعان بن سعد بن تجيب. وكتب يزيد ابن عبد الملك في سنة أربع ومئة، يأمر بكسر الأصنام، فكسرت كلها، ومحيت التماثيل، وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز الذي يقال له حمام أبي مرة، وله يقول كريب بن مخلد الجيشاني:

---

(١) جهود الإمام المباركفوري في الدراسات القرآنية من خلال كتابه تحفة الأحوذي، ٨/٥

من كان في نفسه للبيض منزلة ... فليأت أبيض في حمام زبان

عبل لطيف هضيم الكشح معتدل ... على ترائبه في الصدر ثديان

وقدم بشر بن صفوان من إفريقية وافدا إلى أمير المؤمنين يزيد، في سنة خمس ومئة. فلما صار في أرض مصر، بلغه أن يزيد قد توفي، فرجع إلى إفريقية.

وكانت وفاة يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومئة.

وبويع هشام بن عبد الملك، فاستقبل بخلافته شهر رمضان، ثم صرف حنظلة بن صفوان عنها، في شوال سنة خمس ومئة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

٢٠ - محمد بن عبد الملك

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاتها؛ دخلها يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومئة. فجعل على شرطه حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي. ووقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربا **من الوباء أياما**. ثم قدم من الصعيد. وخرج من مصر، لم يلها إلا نحوا من شهر.

حدثنا أبو بشر الدولابي قال: حدثني معاوية بن صالح الأشعري قال: أخبرني منصور بن أبي مزاحم قال: سمعت أبا عبيد الله يقول: ولى هشام أخاه محمدا مصر، فقال له: أنا لها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها. فقال: ذلك لك. فوليها شهرا، فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل، وانصرف إلى الأردن. وكان منزله بها في قرية يقال لها ريسون. فكتب:

أتترك لي مصرا لريسون؟ حسرة! ... ستعلم يوما أي بيعيك أربح

قد أدرك هشام مثل هذا. فأجابه محمد: إني لست أشك في أن أربح البيعتين ما صنعت.

٢١ - الحر بن يوسف

ابن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها ، دخلها لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومئة فأقر حفص بن الوليد على شرطة.

وفي إمرة الحر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام، بان أرض مصر تحتمل الزيادة. فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة نتو، ونمي، وقربيط، وطرابية، وعامة الحوف الشرقي. فبعث إليهم الحر بأهل الديوان، فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير. وذلك أول انتقاض القبط بمصر. وكان انتقاضهم في

سنة سبع ومئة. ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر من سنة سبع ومئة. واستخلف عليها حفص ابن الوليد.

ثم وفد الحر إلى هشام في شوال سنة سبع ومئة، واستخلف على الفسطاط حفص بن الوليد، وقدم في ذي القعدة.." (١)

"وقال ابن عفير في موضع آخر: قتل مروان بن الأصبغ بنهر أبي فطرس، وعبد العزيز ووفاء ابنا مروان بن الأصبغ، قتلا مع أبيهما. وترك منصور ابن الأصبغ. وهرب إسماعيل بن سهيل، وعمرو بن محمد بن عمارة المعيطي، وحميد كاتب زبان، على أرجلهم إلى الأندلس. وضربت عنق يزيد بن مقسم، مولى حضرموت، وعنق ابن اسطس. وهذا كله في سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وفيها أمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال، وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين. وزاد صالح بن علي في مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين.

وورد كتاب أبي العباس أمير المؤمنين على صالح بن علي، بإمرته على فلسطين، ويأمره بالاستخلاف على مصر. فاستخلف عليها أبا عون عبد الملك ابن يزيد، مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وسار صالح بن علي، ومعه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وأخوه معاوية بن مروان، في أحسن حال، وأرفع منزلة، وخرج صالح معه برجال من أهل مصر، صحابة لأمير المؤمنين أبي العباس. ومنهم الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، وعبد الرحمن بن عتبة المعافري، وعياض بن حريبة الكلبي، ومحمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، في عشرة منهم. وأقطع صالح بن علي الذين سودوا، وأقطع منهم شرحبيل ابن مذيلفة الكلبي، أقطعه منبوية، والأسود بن نافع الفهري أقطعه منية بولاق ومنازل زبان بالإسكندرية. وأقطع عبد الأعلى بن سعيد قطائع بالميمون وقرى أهناس.

٣٤ - أبو عون عبد الملك بن يزيد

مولى هناءة من الأزد، وهو من أهل جرجان ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قزحم الخولاني. **ووقع الوباء بمصر** فهرب أبو عون إلى يشكر، واستخلف عكرمة على الفسطاط. وخرج أبو عون إلى دمياط في شوال سنة خمس وثلاثين ومئة، واستخلف عليها عكرمة بن قزحم، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد. وخرج أبو مينا القبطي بسمنود. فبعث إليه بعبد الرحمن بن عقبة، فقتل أبو

---

(١) تسمية ولاة مصر، ص/٢١

مينا. وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين وإفريقية، جمعوا له. ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبي العباس لغزو المغرب، عليهم عامر بن إسماعيل.

٣٥ - صالح بن علي بن عبد الله بن عباس

الثانية ثم وليها صالح بن علي بن عبد الله ولايته الثانية على صلاتها وخراجها. فدخلها لخمس خلون من بيع الآخر سنة ست وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه بالفسطاط عكرمة بن عبد الله بن قزحم، وعلى شرطه بالعسكر يزيد بن هانئ الكندي، من أهل جرجان.

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد جيوش المغرب، وقدم أمامه رجالا من أشراف أهل مصر، دعاة لأهل إفريقية، منهم قنبرة بن ...بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعثمان بن عبيد الله بن موسى بن نصير، والضحاك بن محمد اللخمي، ووحوح بن ثابت البلوي. فخرجوا أمام أبي عون. وكان خروج أبي عون في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومئة.

وخرج عامر بن إسماعيل في جيوشه، على مقدمة أبي عون. وبعث بالمثنى ابن زياد الخثعمي، في شوال سنة ست إلى الإسكندرية، ليجهز المراكب إلى طرابلس. وبعث بعياش بن عقبة الحضرمي في حمل الطعام لجيش أبي عون وعامر بن إسماعيل.

وتوفي أمير المؤمنين أبو العباس في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومئة، واستخلف أبا جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومئة. فأقر صالح بن علي على صلاتها وخراجها. وكتب صالح إلى أبي عون يأمره بالرجوع، وبرد الرعاة من أهل مصر، وقد بلغوا سرت. وبلغ أبو عون برقة، فأقام بها أحد عشر شهرا. واتخذ بها مصلى وتركه. ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر، وألحق صالح بن علي في أهل مصر ألفي مقاتل، وزاد أهل مصر عشرة عشرة في أعطياتهم.." [١]

"أبو الحسن علي بن الإخشيد، دعي له يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، والناظر في البلد والمستولي على الدولة كافور، والإمرة لعلي إلى سنة خمس وخمسين. فتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة ونصف. وحمل في تابوت إلى بيت المقدس، ودفن مع أخيه ووالده بباب الأسباط.

١٢٧ - كافور

واستبد كافور بالأمر بعد موت علي بن الإخشيد، ودعي باسمه على المنابر في المحرم سنة خمس وخمسين

---

(١) تسمية ولاة مصر، ص/٣٠

وثلاث مئة. ووردت رسل المطيع وخلعه وهداياه وطوق وسوار. ورفعت المطارد على رأسه. ووافت رسل صاحب هجر القرمطي إلى كافور، ومعهم نحو المئتي حمل من متاع الحاج الذين قطع عليهم بنو سليم. فأمر برده إلى الحاج وسلم إليهم.

ولما تم لكافور ملك مصر والحرمين، ولبس الخلع ولقب وطوق وسور، لم يعش بعد ذلك سوى مئة يوم، وتوفي كافور في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

١٢٨ - أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد

وأجمع الرأي بعد وفاته على ولاية أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد. فحسنت سيرته، وأمر برفع الكلف والمؤن، وتعطيل المواخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونقص النيل، **وكثر الغلاء في** أيامه واشتد، حتى أكل الناس الجيف والكلاب.

ووافى الخبر من الرملة بأن الحسن بن عبيد الله بن طغج خالف، وأخذ البيعة لنفسه، وقبض على أموال كافور بالرملة. وجاء القائد جوهر إلى الفسطاط، فخرج الناس للقائه فدخل بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة.

وخطب للمعز يوم الجمعة على المنابر بمصر في السنة. وجلس جوهر للمظالم، وأحسن السيرة. وجاء المعز من المغرب إلى الديار المصرية، فدخل يوم الثلاثاء سادس رمضان سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.

تم بعون الله وعونه، وحسن توفيقه؛ والحمد لله، له كما يستحق، وصلى الله على محمد وآله.." (١)

""""""" صفحة رقم ٣١١ """""

- باب العزيري والعزيزي والغزنوي

-

أما العزيزي بضم العين وفتح الزاي وكسر الراء فهو

٤٣٩٥ محمد بن عزيز السجستاني تقدم ذكره في باب عزير

وأما العزيزي مثله إلا أنه بزاي مكررة فهو

٤٣٩٦ أبو الخير عمر بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن عزيزة الأصبهاني تقدم ذكره وأخوه

٤٣٩٧ عبد الله بن محمد بن عزيزة حدث عنهما أبو موسى محمد بن عمر الحافظ في مصنفاته فقال حدثنا العزيزيان

---

(١) تسمية ولاة مصر، ص/٩١

وأما الغزنوي بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون وكسر الواو فهو

٤٣٩٨ أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الفقيه الحنفي حدث عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي وإسماعيل بن السمرقندي وأبي الفضل الأرموي وابي الفتح الكروخي وغيرهم وكان ثقة صحيح السماع توفي بمصر **في الغلاء سنة** سبع وتسعين وخمسمائة." (١)

"حلب وجندها – على حد قول ابن العديم – مما اضطره إلى مغادرتها إلى ماردين بعد أن استخلف على حلب ابنه حسام الدين تمرتاش واستغل الجند المقيمون في بالس **موجة الغلاء التي** مروا بها في نفس السنة ٥١١هـ/١١١٧م، فأرسلوا إلى الصليبيين ليسلموها إليهم فاضطر إيلغازي إلى العودة على رأس قوة من التركمان إلى حلب، فلما شعر الصليبيون بالخطر، انسحبوا عنها فتسلمها إيلغازي للمرة الثانية، وعاد إلى ماردين بعد أن عقد معهم هدنة بعدم اعتداء أي منهما على ممتلكات الطرف الآخر(١).

نقض الصليبيين للهدنة: ولكن الصليبيين وجدوا الفرصة سانحة بعد خروج إيلغازي واغاروا على عزاز وشددوا لحصار عليها حتى اضطر من بها من المسلمين إلى التسليم، واضطر أهل حلب إلى مراسلة الصليبيين وطلبوا منهم التمسك بالهدنة التي كان قد عقدها معهم إيلغازي وأن يسلموهم أي أهل حلب تل هراق ويؤدون لهم القطيعة المقررة على حلب عن أربعة أشهر ومقدارها ألف دينار ويكون لهم من حلب شمالا وغربا (٢). وغضب نجم الدين ايلغازي لما وصلت إليه أخبار حلب، ولكنه لم يستطع العودة إليها وانقاذها مما هي فيه لقلة عساكرها فاتجه إلى شرق منطقة الجزيرة بقصد جمع العساكر في الوقت الذي أبلغ فيه ظهير الدين طغتكين عن رغبته في الاجتماع به سنة ٥١٢هـ/١١١٨م واجتمعا على قلعة دوسر بهدف القيام بدفع الصليبيين عن حلب ولكن ذلك لم يتسير لهما، الأمر الذي دفع الصليبيين إلى أحكام السيطرة على مداخل حلب بعد أن استولوا على بزاغة فتردت الأحوال بحلب حتى بلغت حد التلف على حد قول ابن العديم (٣) ، ولم يجد أهل حلب بدا من الاستعانة بالخلافة العباسية والدولة السلجوقية في بغداد، إلا أنهم لم يغاثوا نظرا لإنشغال السلاجقة بالمنازعات الأسرية فيما بينهم من جهة وضعف الخلافة العباسية من جهة أخرى.

---

(١) زبدة الحلب (٢/١٨٠) الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ص ١٢٥.

---

(١) تكملة الإكمال، ٤/٣١١

(٢) زبدة حلب (١٨٥/٢ – ١٨٦).
(٣) المصدر نفسه (١٨٦/٢).." (١)

"جوشن على الطريق إلى إنطاكية، وهكذا غدوا في حالة الدفاع بعد أن كانوا مهاجمين، وخرج الحلبيون إلى خيامهم فنالوا منها ما أرادوا، بينما اتجه قسم آخر منهم لاستقبال البرسقي والاحتفاء به لدى وصوله، وقد أدرك الرجل ما يرمي إليه الصليبيون بانسحابهم واتخاذهم موقفا دفاعيا، فلم يتسرع بمهاجمتهم قبل أن يعيد تنظيم قواته من جديد، خوفا من نزول هزيمة فادحة بعساكره قد تعرض حلب للسقوط، وأرسل طلائعه الكشفية لرد القوات المتقدمة إلى معسكراتها في حلب وقال موضحا خطته هذه : ما يؤمننا أن يرجعوا علينا ويهلك المسلمون؟ ولكن قد كفى الله شرهم، فلندخل إلى البلد ونقويه وننظر إلى مصالحه، ونجمع لهم إن شاء الله، ثم نخرج بعد ذلك إليهم. ومن ثم دخل البرسقي حلب، وبدأ بحل مشاكلها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي، فنشر العدل وأصدر مرسوما برفع المكوس والمظالم المالية وإلغاء الصادرات وعمت عدالته الحلبيين جميعا بعدما منوابه من الظلم والمصادرات وتحكم المتسلطين طيلة فترة الحصار الصليبي (١) ، ولم يكتف البرسقي بذلك، بل قام بنشاط واسع لجلب المؤن والغلال إلى المدينة كي يخفف من حدة الغلاء، ويقضي على الضائقة التي يعاينها الحلبيون، وما لبث النشاط الزراعي في منطقة حلب أن عاد إلى حالته الطبيعية، حيث استأنف المزارعون العمل في الأراضي التي شردوا عنها، كما عاد النشاط التجاري إلى سابق عهده اعتمادا على ما تمتعت به المنطقة من أمن واستقرار (٢) ، وهكذا استطاع البرسقي أن يحكم الطوق الذي أحاط به الصليبيون حلب، وأن يخلص هذا الموقع الهام من أخطر محنة جابهته طيلة الحروب الصليبية ويوحده مع الوصول لأول مرة منذ بدء هذه الحروب، الأمر الذي أتاح لهذا القائد ولعماد الدين زنكي من بعده أن يفيد من هذه الوحدة لتحقيق انتصارات عديدة ضد الغزاة (٣)

---

(١) زبدة حلب (٢٢٩/٢ – ٢٣٠) دراسات تاريخية ص ١٩.
(٢) دراسات تاريخية ص ١٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠.." (٢)

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ١٢٥/١
(٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ١٤٥/١

"١٣- مرعاة الخليفة العباسي لرعاياه من اليهود : وفي سنة ٥٧٣هـ جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامة ببغداد، وكانت بسبب أن مؤذنا عند كنيسة اليهود نال منه بعض اليهود بكلام، فشتمه المسلم فاقتتلا، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان وتفاقم الحال، وكثرت العوام وأكثروا الضجيج، ولما كان يوم الجمعة منعت العامة إقامة الخطبة في بعض الجوامع وخرجوا من فورهم، فنهبوا سوق العطارين الذي فيه اليهود وذهبوا إلى كنيسة اليهود فنهبوها، ولم يتمكن الشرط من ردهم فأمر الخليفة بصلب بعض العامة، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسب هذه الكائنة، فسكنت الفتنة ولله الحمد (١).

١٤- مقتل وزير الخليفة عضد الدولة : وفي سنة ٥٧٣هـ خرج وزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصدا الحج وخرج الناس في خدمته ليودعوه، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم قصص فتقدم أحدهم ليناوله القصة فضربه بالسكين ضربات وهجم الثاني، وكذا الثالث فهبروه وجرحوا جماعة حوله وقتل الثلاثة من فورهم وحرقوا ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه وهذا الوزير هو الذي قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمهما، فسلط الله عليه من قتله وكما تدين تدان، جزاء وفاقا " وما ربك بظلام للعبيد" (فصلت، آية : ٤٦) (٢).

١٥- تعويض الله لخلقه : استهلت سنة ٥٧٧هـ والملك الناصر صلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الأحاديث جاء كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخشاه بما من الله تعالى به على الناس من كثرة ولادة النساء من التوائم جبرا لما أصابهم في العام الماضي **من الوباء والفناء**، وأن الشام مخصب بإذن الله جبرا لما كان أصابهم من الجدب والغلاء (٣) .

---

(١) البداية والنهاية (١٦٨/٥٢٥).

(٢) المصدر نفسه (١٦/٥٢٥).

(٣) المصدر نفسه (١٦/٥٥١).." (١)

"٧٧ وفيها مات قبيصة بن خالد الأسدي وكان فصيحا مفوها روى عبد الملك ابن عمير عنه قال قال لي عمر إني أراك شابا فصيح اللسان فسيح الصدر وفيها أعاد ابن الزبير أخاه مصعبا وعزل ابنه حمزة وقصد هو عبد الملك بن مروان كل منهما الآخر ثم فصل بينهما الشتاء فوثب على دمشق في غيبة عبد

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٢/٢١١

الملك عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وأراد الخلافة فجاء عبد الملك وجرى بينهما قتال وحصار ثم نزل إليه بالأمان وفيها كان بين الأزارقة وبين المهلب حرب شديد ودام القتال شهرا بسولاف سنة سبعين فيها غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد الأشدق بعد أن أمنه وحلف له وجعله ولي عهده من بعده فذبحه صبرا وفيها توفي عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي وولد في حياة رسول الله جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه وقيل كانت وفاته لستين سنة وفيها مات مالك بن يخامر السكسكي صاحب معاذ وكان قد أدرك الجاهلية وفيها **كان الوباء بمصر** وفيها قال ابن جرير ثارت الروم وقووا على المسلمين لاختلاف كلمتهم فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي كل جمعة ألف مثقال وهو أول وهن دخل على المسلمين والإسلام سنة إحدى وسبعين فيها توفي عبد الله بن أبي حدرد الأسلي ممن بايع تحت الشجرة وله روايات في غير الكتب الستة سنة اثنتين وسبعين فيها توفي أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري الحارثي نزيل الكوفة كان." (١)

"٢٦٢ سنة سبع وستين ومائة وفيها جد ا لمهدي فيطلب الزنادق في الأفاق وأكثر الفحص عنهم وقتل طائفة وفيها أمر بالزيادة في المسجد الحرام وغرم عليه أملا عظيمة وأدخلت فيه دور كثيرة وفيها **كان الوباء العظيم** بالعراق وفيها توفي حماد بن سلمة بن دينار البصر ي الحافظ في آخر السنة سمع قتادة وأبا جمرة الضبعي وطبقتهما كان سيد أهل وقته قال وهيب بن خالد حماد ابن سلمة سيدنا وأعلمنا وقال ابن المديني كان عند يحيى بن ضريس عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث وقال عبد الرحمن بن مهدي لو قيل لحماد بن سلمة أنك تموت غدا ما قدر أن يزيد ف يالعمل شيئا وقال شهاب البخلي كان حماد بن مسلمة يعد من الأبدال وقال غيره كان فصيحا مفوها إماما في العربية صاحب سنة له تصانيف في الحديث وكان بطاينيا فروى سوار بن عبد الله عن أبيه قال كنت آتي حماد بن سملة في سوقة فإذا ربح في وثب حبة أو حبتين شد جبوبه وقام وقال موسى بن إسماعيل لو قلت أني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحا لصدقت كان يحدث أو يسبح أو يقرأ أو يصلي قد قسم النهار على ذلك وقلت وهو أحد الحمادين وأجلهما صاحبي المذهبين أحدهما هذا والثاني حماد ابن زيد بن درهم وتأخر موته عن هذا وسنتكلم عليه أن شكاء الله تعالى قال صاحب الجواهر المضية في طقات الحنيفة في آخرها فائدة الحمادان حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار ولقد ألطف عبد الله بمعاوية حيث قال حدثنا حماد ابن سلمة بن

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١/٧١

دينار وحماد بن زيد بن درهم وفضل ابن سملة على ابن زيد كفضل الدينار على الدهرم انتهى والله أعلم وفيها الحسن بن صالح بن حي الهمداني فقيه الكوفة وعابدها روى عن." (١)

"٢٨٣ ويعد من خطباء أهل البصرة وقال الحاكم منسوب إلى الغفلة وإلى سوء الحفظ انتهى وقد خرج له الشيخان وغيرهما وفيها نوح الجامع وهو أبو عصمة نوح بن أبي مريم الفقيه قاضي مرو ولقب بالجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى والحديث عن حجاج بن أرطأة والمغزي عن ابن إسحق والتفسير عن مقاتل وهو متروك الحديث قاله في العبر وعبد الرحمن بن أبي الموالي المدني مولى آل علي رضي الله عنه روى عن أبي جعفر الباقر وطائفة وضربه المنصور أربعمائة سوط على أن يدله على محمد بن عبد الله بن حسن فلم يدله وكان من شيعته قاله في العبر قال في المغني عبد الرحمن ابن أبي الموالي مشهور ثقة خرج مع ابن حسن قال أمد حديثه في الإستخارة منكر قلت خرجه البخاري وقد قال ابن عدي رواه غير واد كما رواه ابن أبي الموالي انتهى وجويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري روى عن نافع والزهري وكن ثقة كثير الحديث سنة أربع وسبعين ومائة وفيها حج الرشيد فبدأ بالمدينة فقسم فيا مالا عظيما ووقع الوباء بمكة فأبطأ في دخولها ثم دخلها فقضى طوافه وسيعه ولم ينزل مكة قاله في الشذور وفيها توفي في جمادى الآخرة الإمام أبو عبد الرحمن بع الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر الحافظ روى عن الأعرج وعطاء بن رباح وخلق كثير قال أحمد بن صالح المصري كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلابة للعلم وقال زيد بن الحباب سمعت سفيان الثوري يقول عند ابن لهيعة الأصول." (٢)

"١٣٧ وفيها أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندي الكوفي الحافظ صاحب التصانيف في ربيع الأول وقد جاوز التسعين روى عن هشيم وبعد اله بن إدريس وخلق وكان ثقة حجة قال أبو حاتم هو إمام أ لزمانه وقال محمد بن أحمد الشوطي ما رأيت أحفظ منه سنة ثمان وخمسين ومائتين فيها توجه منصور بن جعفر فالتقى الخبيث قائد الزنج وهو فقتل منصور في المصاف واستبيح ذلك الجيش فسار أبو أحمد الموفق أخو الخليفة في جيش عظيم فانهزمت الزنج وتقهقرت ثم جهز الموفق فرقة عليهم مفلح فالتقوا الزنج فقتل مفلح في المصاف وانهزم الناس وتحيز الموفق إلى الابلة فسير قائد الزنج جيشا عليهم يحي بن محمد فانتصر المسلمون وقتل في الوقعة خلق وأسروا يحي فأحرق بعد ما قتل ببغداد ثم وقع الوباء في جيش الموفق وكثر ثم كانت وقعة هائلة بين الزنج والمسلمين فقتل خلق من المسلمين وتفرق عن الموفق عامة

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٥٥/١

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٧٦/١

جنده وفيها توفي أحمد بن بديل ال إمام أبو جعفر اليامي الكوفي قاضي الكوفة ثم قاضي همذان روى عن أبي بكر بن عياش وطبقته وخرج له الترمذي وغيره وكان صالحا عادلا في أحكامه وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته قال الدارقطني فيه لين وقال في المغني أحمد بن بديل الكوفي القاضي مشهور غير متهم قال ابن عدي يكتب حديثه مع ضعفه وقال النسائي لا بأس به انتهى وأبو علي أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي النيسابوري قاضي نيسابور روى عن أبيه وجماعة وفيها أحمد بن سنان القطان أبو جعفر الواسطي الحافظ سمع أبو معاوية وطبقته وروى عنه أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي وصنف المسند وكتب عنه ابن حاتم وقال هو إمام أهل زمانه." (١)

"١٩٥ الصوفية يقول القضاء والدنية في علم الصوفية وكان يقول لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا مدعي ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث رحمه الله تعالى وفيها زكريا بن يحي السجزي الحافظ أبو عبد الرحمن خياط السنة بدمشق وقد نيف على التسعين روى عن شيبان بن فروخ وطبقته وكان من علماء الأثر ثقة قيل توفي في سنة تسع وثمانين وبه جزم ابن ناصر الدين وفيها يحي بن منصور أبو سعيد الهروي الحافظ شيخ هراة ومحدثها وزاهدها في شعبان وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين وفي رجها قطر الندى بنت الملك خمارويه بن أحمد بن طولون زوجة المعتضد وكانت شابة بديعة الحسن عاقلة رحمها الله تعالى سنة ثمان وثمانين ومائتين فيها ظهر أبو عبد الله الشيعي بالمغرب فدعا العامة إلى الإمام المهدي عبيد الله فاستجابوا له وفيها **كان الوباء المفرط** بأذربيجان حتى فقدت الأكفان وكفنوا باللبود ثم بقي الموتى مطروحين في الطرق ومات أمير أذربيجان محمد بن أبي الساج وسبعمائة من خواصه وأقربائه وفيها بشر بن موسى الأسدي بن صالح بن شيخ بن عميرة البغدادي في ربيع الأول ببغداد روى عن هوذة بن خليفة والأصمعي وسمع من روح عبادة حديثا واحدا وكان ثقة محتشما كثير الرواية عاش ثمانيا وتسعين سنة وفيها ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن هارون الحاسب الحكيم الحراني كان في مبدأ أمره بحران ثم انتقل إلى بغداد فاشتغل بعلوم الأوائل فمهر." (٢)

"٣٢٤ القواس والدارقطني وقال هو ثقة حافظ وفيها أبو الفضل البلعمي الوزير محمد بن عبيد الله أحد رجال الدهر عقلا ورأيا وبلاغة روى عن محمد بن نصر المروزي وغيره وصنف كتاب تلقيح البلاغة وكتاب المقالات وفيها الراضي بالله الخليفة أبو إسحاق محمد وقيل أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٣٦/٢

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩٥/٢

العباسي ولد سنة سبع وتسعين ومائتين من جارية رومية اسمها ظلوم وكان قصيرا أسمر نحيفا في وجهه طول استخلف سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش إلى خلافة المتقي وآخر خليفة خطب يوم الجمعة إلى خلافة الحاكم العباسي فإنه خطب أيضا مرتين وأخر خليفة جالس الندماء ولكنه كان مقهورا مع أمرائه مرض في ربيع الأول بمرض دموي ومات وكان سمحا كريما محبا للعلماء والأدباء سمع الحديث من البغوي توفي في نصف ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف وفيها أبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول أبو بكر التنوخي الأنباري الأزرق الكاتب في آخر السنة بغداد وله نيف وتسعون سنة روى عن جده والحسن بن عرفة وطائفة سنة ثلاثين وثلثمائة فيها كان الغلاء المفرط والوباء ببغداد وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير وأكلوا الجيف وفيها وصلت الروم غارت على أعمال حلب وبدعوا وسبوا عشرة آلاف نسمة وفيها أقبل أبو الحسين علي بن محمد البريدي في الجيوش فالتقاه المتقي وابن." (١)

"٣٢٨ وطبقتهما وعنه ابنه أحمد قال ابن درباس هو مسند الأندلس وهو ثقة ثقة وفيها عمر بن سهل بن إسمعيل الحافظ المجود أبو حفص الدينوري رحال روى عن إبراهيم بن أبي العيش وأبي قلابة الرقاشي وعنه أبو القسم بن ثابت الحافظ وصالح بن أحمد الهمداني ذكره أبو يعلى في الإرشاد فقال ثقة أمام عالم وفيها محمد بن عمر بن حفص الجورجيري بأصبهان سمع أسحق بن القيض ومسعوه بن يزيد القطان وطبقتهما وفيها محمد بن يوسف بن بشر أبو عبد الله الهروي الحافظ غندر من أعيان الشافعية والرحالين في الحديث سمع الربيع بن سليمان والعباس بن الوليد البيروتي وطبقتهما ومنه الطبراني والزبير بن عبد الواحد وهو ثقة ثبت وفيها الزاهد العباد أبو صالح صاحب المسجد المشهور بظاهر باب شرقي يقال اسمه مفلح وكان من الصوفية العارفين سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فيها كما قال في الشذور وافى جراد زائد عن الحد حتى بيع كل خمسين رطلا بدرهم واستعان به الفقراء على الغلاء وفي التي قبلها ظهر كوكب عظيم ذو ذنب منتشر فبقى ثلاثة عشر يوما ثم اضمحل واشتد الغلاء والمرض انتهى وفيها قلل ناصر الدولة بن حمدان رواتب المتقى وأخذ ضياعه وصادر." (٢)

"٣٣١ أداء شكر المنعم من كل الوجوه والتبري من الحول والقوة في كل شيء وقال من توالت عليه الهموم في الدنيا فليذكر هما لا يزول يستريح منها وقال الأحوال كالبروق فإذا أثبتت فهو حديث النفس

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٢١/٢

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٢٥/٢

وملازمة الطبع ومن حلو كلامه من أيقن لغيره فماله أن يبخل بنفسه وفيها محمد بن مخلد العطار أبو عبد الله الدوري الحافظ ببغداد سمع يعقوب الدورقي وأحمد بن إسماعيل السهمي وخلائق وعنه الدارقطني وآخرون وكان معروفا بالثقة والصلاح والاجتهاد في الطلب وله تصانيف توفي في جمادى الآخرة وله سبع وتسعون سنة وفيها صاحب ما وراء النهر أبو الحسن نصر بن الملك أحمد بن إسماعيل الساماني بقي في المملكة بعد أبيه ثلاثين سنة وثلاثين يوما وولي بعده ابنه نوح وفيها هناد بن السري بن يحي الكوفي الصغير روى عن أبي سعيد الأشج وجماعة وفيها الجصاص أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدعاء روى عن أحمد بن إسماءيل السهمي وعلي بن اشكاب وجماعة وله أوهام وغلطات قال في المغني قال الخطيب في حديثه وهم كثير انتهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قال في الشذور فيها **اشتد الغلاء وكثرت** اللصوص حتى تحارس الناس بالليل بالبوقات انتهى وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف لكونه عامل عليه ابن بويه ونسبه إلى الظلم ولم يحج الركب لموت القرمطي الطاغية أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي في رمضان بهجر من الجدري أهلكه الله به فلا رحم الله فيه مغرز." (١)

"٣٣٣ سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة فيها حلف توزرون ايمانا صعبة للمتقي لله فسار التقي من الرقة واثقا بأيمانه في المحرم فلما قرب من الأنبار جاء توزون وتلقاه وقبل الأرض وأنزله في مخيم ضربه له ثم قبض على الوزير أبي الحسين بن أبي علي بن مقلة وكحل المتقى لله فسمل عينيه وأدخل بغداد مسمولا مخلوعا وتوفي في شعبان سنة خمسين وقيل سنة سبع وخمسين وثلثمائة وله ستون سنة وبويع عبد الله بن المكتفي ولقب المستكفي بالله فلم يحل الحول على توزون واستولى أحمد بن بويه على واسط والبصرة والأهواز فسار توزون بعلة الصوع **واشتد الغلاء على** ابن بويه فرد إلى الأهواز ورد توزون إلى بغداد وقد زاد به الصرع وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان حلب وأعمالها وهرب متوليها يانس المونسي إلى مصر فجهز الخشيد جيشا فالتقاهم سيف الدولة على الرستن فهزمهم وأسر منهم ألف نفس وافتتح الرستن ثم سار إلى دمشق فملكها فسار الأخشيد ونزل على طبرية فخامر خلق من عسكر سيف الدولة إلى الأخشدي فرد سيف الدولة وجمع وحشد فقصده إلاخشيد فالتقاه بقنسرين وهزمه ودخل حلب وهرب سيف الدولة وأما بغداد فكان فيها قحط لم ير مثله وهرب الخلق وكان النساء يخرجن عشرين وعشرا يمسك بعضهن ببعض يصحن الجوع الجوع ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة فأنا لله وإنا إليه راجعون قاله في العبر وفي شوال

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٢٨/٢

مات أبو عبيد الله البريدي وقام أخوه أبو الحسين مقامه وكان البريدي هذا على ما قال ابن الفرات ظلوما عسوفا وكان أعظم أسباب الغلاء." (١)

"٣٣٥ الخلافة إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وسنة ستة وأربعون سنة وقال في الشذور وفي هذه **السنة الغلاء حتى** ذبح الصبيان وأكلوا وأكل الناس الجيف وصارت العقار والدور تباع برغفان خبز واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم انتهى وفيها اصطلح سيف الدولة والإخشيد وصاهره وتقرر لسيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية وفيها تداعت بغداد للخراب من شدة القحط والفتن والجور وهلك توزون بعلة الصرع في المحرم بهيت وفيها توفي كما قال ابن ناصر الدين (بعد فتى يس المضعف * الهروي أحمد المصنف) وهو أحمد بن محمد بن يس الهروي الحافظ الحداد أبو إسحاق مصنف تاريخ هراة وهو ليسبالقوي وفيها أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي الدمشقي في جمادى الأولى وله بضع وتسعون سنة تفرد بالرواية عن جماعة وحدث عن موسى بن عامر المري ومحمد بن إسماعيل بن علية وطبقتهما وفيها الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الضبي الحلبي وشعره في الذروة العليا وفيها الحسين بن يحي أبو عبد الله المتوثى القطان في جمادى الآخرة ببغداد وه خمس وتسعون سنة روى عن أحمد بن المقدام العجلي وجماعة وآخر من حدث عنه هلال الحفار وفيها عثمان بن محمد أبو الحسين الذهبي البغدادي بحلب روى عن أبي بكر ابن أبي الدنيا وطبقته وفيها ابن إسحاق المادرائي أبو الحسن محدث البصرة روى عن علي بن." (٢)

"٨٨ وفيها ابن النحاس المصري واسمه أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح أبو العباس الحافظ نزيل نيسابور قال ابن ناصر الدين كان أحد الحفاظ المبرزين والثقات المجودين انتهى سنة سبع وسبعين وثلثمائة فيها رفع شرف الدولة عن العراق مظالم كثيرة فمن ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم **وكان الغلاء ببغداد** فوق الوصف وفيها توفي أبيض بن محمد بن أبيض بن أسود الفهري المصري روى عن النسائي مجلسين وهو آخر من روى عنه وفيها لإسحق بن المقتدر بالله توفي في ذي القعدة عن ستين وصلى عليه ولده القادر بالله الذي ولى الخلافة بعد الطائع لله وفيها أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض والعلوم وبرعت في مذهب الشافعي وكانت تفتي مع أبي علي بن

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢/٣٣٠

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢/٣٣٢

أبي هريرة وفيها أبو علي الفارسي الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف ببغداد في ربيع الأول وله تسع وثمانون سنة وكان متهما بالاعتزال وقد فضله بعضهم على المبرد وكان عديم المثل قاله في العبر وقال ابن خلكان كان إمام وقته في علم النحو ودار البلاد وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وكان قدومه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة أنا غلام أبي علي في النحو وصنف له كتاب الإيضاح والتكملة ويحكى أنه كان يوما في ميدان شيراز يساير عضد." (١)

"٩١ سنة ثمان وسبعين وثلثمائة فيها أمر الملك شرف الدولة برصد الكواكب كما فعل المأمون وبنى لها هيكلا بدار السلطنة وفيها كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء **اشتد الغلاء ببغداد** جدا وظهر الموت بها ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط الناس منه وجاءت ريح عظيمة بفم الصلح حرقت دجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها وغرق كثير من السفن واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب وطرحت ذلك في أرض خوخى فشوهد بعد أيام انتهى وفيها توفي بشر بن محمد بن محمد بن ياسين القاضي أبو القسم الباهلي النيسابوري توفي في رمضان وقد جلس وأملى عن السراج وابن خزيمة وفيها تبوك بن الحسن بن الوليد أبو بكر الكلابي المعدل أخو عبد الوهاب روى عن سعيد بن عبد العزيز الحلبي وطبقته وفيها الخليل بن أحمد بن محمد أبو سعيد السجزى القاضي الفقيه الحنفي الواعظ قاضي سمرقند وبها مات عن تسع وثمانين سنة روى عن السراج وأبي القسم البغوي وخلق وفيها أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفيه وصاحب كتاب اللمع في التصوف روى عن جعفر الخلدي وأبي بكر محمد بن داود الدقي قال الذهبي كان المنظور إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم مع الاستظهار بعلم الشريعة وقال السخاوي كان على طريقة السنة قال خرجت مع أبي عبد الله الروزباري لنلقى أنبليا الراهب بصور فتقدمنا إلى ديره وقلنا له ما الذي حبسك ههنا قال أسرتني حلاوة قول الناس لي يا راهب انتهى وتوفي في رجب." (٢)

"١٩٢ أبو عمر بن مهدي عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الفارسي ثم البغدادي البزازآخر أصحاب المحاملي وإبن مخلد وإبن عقدة قال الخطيب ثقة توفي في رجب وله إثنتان وتسعون سنة وفيها القاضي أبو منصور الأزدي محمد بن محمد بن عبد الله الفقيه شيخ الشافعية بهراة ومسند البلد رحل وسمع ببغداد من احمد بن عثمان الأدمي وبالكوفة من إبن دحيم وطائفة توفي فجاءة في المحرم وفيها أبو طاهر محمد

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٨٨/٣

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٩١/٣

بن محمد محمش بميم مفتوحة وحاء مهملة ساكنة بعدها ميم مكسورة ثم شين معجمة إبن علي بن داود بن أيوب الأستاذ الزيادي الفقيه الشافعي عالم نيسابور ومسندها ولد سنة سبع عشر ة وثلثمائة وسمع سنة خمس وعشرين من أبي حامد بن بلال محمد بن الحسين القطان وعبد الله بن يعقوب الكرماني وخلق وأملى ودرس وكان قانعا متعففا له مصنف في علم الشروط وروى عنه الحاكم مع تقدمه عليه وأثنى عليه وعرف بالزيادي لأنه كان يسكن ميدان زياد بن عبد الرحمن وقال ابن السمعاني إنما سمي بذلك نسبة إلى بعض أجداده وفيها هبة الله سلامة بن أبي القسم البغدادي المفسر مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ وجد رزق الله التميمي لأمه كان من أحفظ الأئمة للتفسير وكان ضريرا له حلقة بجامع المنصور سنة إحدى عشر وأربعمائة **فيهاكان الغلاء المفرط** بالعراق حتى أكلوا الكلاب والحمر وفيها توفي أبو نصر النرسي أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون البغدادي الصدوق الصالح روى عن ابن البختري وعلي بن إدريس الستوري وفيها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن عبد العزيز نزار بن المعز العبيدي." (١)

"٢٧٧ وفيها ذخيرة الدين ولي العهد محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بأمر الله أحمد توفي في ذي القعدة وله ست عشرة سنة وكان قد ختم القرآن وحفظ الفقه والنحو والفرائض وخلق سرية حاملا فولدت ولد اسماه جده عبد الله فهو المقتدي الذي ولى الخلافة بعد جده وفيها حمد بن علي بن يحيى بن سلوان المازني ما عنده سوى نسخة أبي مسهر وما معها توفي في ذي الحجة وهو ثقة قاله في العبر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فيها تزوج القائم بأمر الله بأخت طغر لبك وتمكن القائم وعظمت الخلافة بسلطنة طغر لبك وفيها كان القحط الشديد بديار مصر والوباء المفرط وكانت العراق تمون بالفتن والخوف والنهب من جماعة طغر لبك ومن الأعراب ومن البساسيري قال ابن الجوزي في الشذور ثم **وقع الغلاء والوباء** في الناس وفسد الهواء وكثر الذباب واشتد الجوع حتى أكلوا الميتة وبلغ المكوك من برز البقلة سبعة دنانير والسفر جلة والرمانة دينار والخيارة واللينوفرة دينار **وعم الغلاء والوباء** جميع البلاد وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا دارا فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب البيت والثاني على رأس الدرجة والثالث على الثياب المكروه انتهى وفيها توفي عبد الله بن الوليد بن سعيد أبو محمد الأنصاري الاندلسي الفقيه المالكي حمل عن أبي حمد بن أبي زيد وخلق وعاش ثمانيا وثمانين سنة وسكن مصر

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩١/٣

وتوفي بالشام في رمضان وفيها أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري." (١)

"٢٧٩ وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبوه المحسن صائبا على دين جده إبراهيم واسلم هلال المذكور في آخر عمره وسمع العلماء في حال كفره لأنه كان يطلب الأدب وله كتاب الأماثل والأعيان ومبتدى بن هلال ذا فضائل وتواليف نافعة منها التاريخ الكبير ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين والسقطات البادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر رمضان رحمه الله سنة تسع وأربعين وأربعمائة فيها كما قال في الشذور بلغت كارة الخشكار أي النخالة عشرة دنانير ومات من الجوع خلق كثير وأكلت الكلاب وورد كتاب من البخاري انه وقع في تلك الديار وباء حتى أخرج في يوم ثمانية عشر ألف جنازة وأحصى من مات إلى تاريخ هذا الكتاب ألف ألف وستمائة وخمسون آلفا وبقيت الأسواق فارغة والبيوت خالية **ووقع الوباء باذر** بيجان وأعمالها والأهواز وأعمالها وواسط والكوفة وطبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين والثلاثين زبية فيلقون فيها وكان سببه الجوع وباع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز فأكلها ومات في الحال وتب الناس كلهم وأراقوا الخمور وسروا المعازف وتصدقوا بمعظم أموالهم ولزموا المساجد وكان كل من اجتمع بامرأة فأشار بأصبعه إلى بيت في الدار فإذا بجانبه خمر فقلبوها فمات وتوفي رجل كان أربعة أنفس ليلا إلى المجسد فماتوا ودخل رجل على ميت مسجي بلحاف فاجتذبه عنه فمات." (٢)

"٣١٨ آبيات وتوفي يوم الاثنين غرة جمادي الآخرة ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية وقام بالمملكة بعده ولده أبو القسم محمد انتهى ملخصا وفيها ابن حيدر أبو منصور بكر بن محمد بن محمد بن علي بن حيدر النيسابوري التاجر ويلقب بالشيخ المؤتمن روى عن أبي الحسين الخفاف وجماعة وكان ثقة حدث بخراسان والعراق وتوفي في صفر سنة خمس وستين وأربعمائة فيها كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء **اشتد الغلاء بمصر** حتى أكلت امرأة رغيفا بألف دينار انتهى وفيها قتل أبو شجاع محمد بن جعرى بك داود بن مكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغر بك وتقدم ذكره واستولى ألب أرسلان على الممالك بعد عمه طغر بك وعظمت مملكته ورهبت

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٧٦/٣

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٧٨/٣

سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه مع سعة ملك عمه فقصد هذا بلاد الشام فانتهى إلى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صاح بن برداس الكلابي فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال ألب أرسلان لا بد له من دوس بساطي فخرج إليه محمود ذليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما إلى البلد ورحل عنهما قال المأموني في تاريخه قيل انه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان فانه أول من عبرها من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون فمر على جيحون في سادس ربيع الأول يقال لها فربر ولتلك البليدة حصن على شاطئ جيحون في سادس ربيع الأول من هذه السنة فاحتضر إليه أصحابه مستحفظ يقال له يوسف الخوارزمي كان." (١)

"٣٨٢ وما يحتاج الأمير المذكور مع هذا الكتاب إلى فضيلة أخرى ففيه دلالة على كثرة إطلاعه وضبطه واتقانه ومن الشعر المنسوب إليه (قوض خيامك عن أرض تهان بها * وجانب الذل أن الذل يجتنب) (وأرحل إذا كان في الأوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب) وكانت ولادته في عبكرا في خامس شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وقتله غلمانه بجرجان وقيل بخوزستان وقيل بالأهواز قال الحميدي خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا وطاح دمه هدرا رحمه الله وفيها أبو عامر الازدي القاضي محمود بن القاسم بن القاضي أبي منصور محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد المهلبي الهروي الفقيه الشافهي راوي جامع الترمذي عن الجراحي قال أبو نصر الفامي هو عديم النظير زاهدا وصلاحا وعفه ولد سنة أربعمائة وتوفي في جمادي الآخرة وفيها المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بن المعز العبيدي الرافضي صاحب مصر وكانت أيامه ستين سنة وأربعة أشهر وقد خطب له ببغداد في سنة إحدى وخمسين ومات في ذي الحجة عن ثمان وستين سنة وبويع بعده ابنه المستعلى قاله في الهبر وقال ابن خلكان اتفق للمستنصر هذا أمور لم تتفق لغيره وسردها منها انه أقام في الأمر سنين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها انه ولى وهوابن سبع سنين ومنها انه حدث في **أيامه الغلاء العظيم** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا وكانت ولادته صبيحة يوم الثلاثاء سابع

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣١٧/٣

عشر جمادي الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي في ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة وهذه الليلة تسمى عيد الغدير أعني غدير خم بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم اسم مكان." (١)

"١٣٠) ثم الكلام فذره فهو زندقة * وخرقة فهو خرق ليس يرتفع) قال ابن الجوزي توفي بكرة الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر وتوفي في غرفته التي في مسجده فحط تابوته بالحبال من سطح المسجد وأخرج إلى جامع القصر فصلى عليه عبد القادر وما رأيت جمعا أكثر من جمعه ودفن في دكة الإمام أحمد عند جده أبي منصور وفيها أبو بكر وجيه بن ظاهر بن محمد الشحامي أخو زاهر توفي في جمادى الآخرة عن ست وثمانين سنة سمع القشيري وأبا حامد الأزهري ويعقوب الصرفي وطبقتهم وطائفة بهراة وببغداد والحجاز وأملى مدة وكان خيرا متواضعا متعبدا لا كأخيه وتفرد في عصره قاله في العبر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فيها غزا نور الدين محمود بن زنكي فافتتح ثلاث حصون للفرنج بأعمال حلب وفيها **كان الغلاء المفرط** بل وقبلها بسنوات بإفريقية وفيها توفي أبو الحسن بن الأبنوسي أحمد بن أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي الشافعي الوكيل سمع أبا القاسم بن البسري وطبقته وتفقه وبرع وقرأ الكلام والاعتزال ثم لطف الله به وتحول سنيا توفي في ذي الحجة عن بضع وسبعين سنة وفيها أبو جعفر البطروجي أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي أحد الأئمة روى عن أبي عبد الله الطلاعي وأبي علي الغساني وطبقتهما وكان إماما عاقلا بصيرا بمذهب مالك ودقائقه إماما في الحديث ومعرفة رجاله وعلله له مصنفات مشهورة ولم يكن في وقته بالأندلس مثله ولكنه كان قليل العربية رث الهيئة خاملا توفي في المحرم." (٢)

"٦٦ الصخرة والأقصى فقطعوا شعورهم وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وما شكوا أن الفرنج يصبحوهم فهرب بعضهم إلى مصر وبعضهم إلى الكرك وبعضهم إلى دمشق ومات خلق من الجوع والعطش ونهبت الأموال التي كانت لهم بالقدس وأبيه القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم وذم الناس الملك المعظم فقال بعضهم (في رجب حلل الحميا * وأخرب القدس في المحرم) (واستخدم القبط والنصارى * وبعد ذا وزر المكرم) وقال مجد الدين قاضي الطور (مررت على القدس الشريف مسلما * على ما تبقى من ربوع وانجم) (ففاضت دموع العين مني صبابة * على ما مضى من عصره المتقدم) (وقد رام علج أن يعفى رسومه * وشمر عن كفي لئيم مذمم) (فقلت له شلت يمينك خلها * لمعتبر أو سائل أو مسلم) (فلو كان يفدى بالنفوس فديته * بنفسي وهذا الظن في كل مسلم) وفي شعبان أخذت

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٨١/٣

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٢٩/٤

الفرنج دمياط بعد ما حصر أهلها ووقع فيهم الوباء وعجز الكامل عن نصرهم فطلبوا من الفرنج الأمان وأن يخرجوا منها بأهلهم وأموالهم في القساقسة وحلفوا لهم على ذلك ففتحوا لهم الأبواب فدخلوا وغدروا بأهلها ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا وباتوا في الجامع يفجرون بالنساء ويفتضون البنات وأخذوا المنبر والمصحف وبعثوا بهما إلى الجزاير وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الهراس سمع من نصر الله المصيصي وغيره وتوفي في شعبان وفيها أبو البشاير إسحق بن هبة الله بن صالح قاضي خلاط كان فقيها شافعيا عالما حسن الكلام في الوعظ والتذكير من محاسن القضاة يرجع إلى دين قدم اربل وتوفي بها ومن شعره." (١)

"٢١٦ قاله ابن ناصر الدين وفيها أبو الحسن علي بن ما شاء الله بن الحسين بن عبد الله بن عبد الله العلوي الحسيني البغدادي المأموني الفقيه الحنبلي المقرىء ابن الجصاص ولد في أوائل سنة ست وستين وخمسمائة وقرأ القراءات على ابن الباقلاني الواسطي بها وسمع الحديث من ابن شاتيل وشهدة وابن كليب وغيرهم وتفقه على أبي الفتح بن المنى وتكلم في مسائل الخلاف وناظر وحدث وروى عنه ابن النجار وأجاز لسليمان بن حمزة والقسم بن عساكر وغيرهما وتوفي في جمادى الأولى وفيها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعيد بن مصافر بن جميل البغدادي الأزجي الحنبلي الأديب ولد في سابع ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وسمع بإفادة والده من ابن شاتيل وابن كليب وغيرهما وكان لديه فضل وأدب وله تصانيف وسمع منه المحب المقدسي وعلي بن عبد الدايم وتوفي في ثالث رجب ببغداد وفيها الجمال بن المخيلي أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور ابن نجا الغساني الأسكندراني المالكي روى عن السلفي وجماعة وكان من أكابر بلده توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بها كان الغلاء المفرط بدمشق بيعت الغرارة بألف وستمائة درهم وأكلت الجيف وتوفي بها خلق كثير من الأعيان وفيها وجزم ابن كمال باشا أنه توفي في التي قبلها شمس الأئمة الكردري الحنفي محمد بن عبد الغفار بن محمد العلماوي الكردري بفتح الكاف والدال المهملة وسكون الراء الأولى نسبة إلى كردرنا ناحية بخوارزم قال ابن كمال باشا في طبقاته كان أستاذ الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق أخذ عن شيخ الإسلام برهان الدين على المرغيناني صاحب الهداية والشيخ مجد الدين السمرقندي والشيخ." (٢)

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦٥/٥

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢١٥/٥

"٣٠٧ دهرا وانتهت إليه رياسة الأقراء وكان إماما يجري في فينون من العلم وفيه تودد وتواضع ولين ومروءة تامة توفي في سابع ذي الحجة وفيها العلم أبو القاسم والأصح أبو محمد القسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللورقي بفتحتين وسكون الراء نسبة إلى لورقة بلدة بالأندلس المقرىء النحوي المتكلم شيخ القراء بالشام ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ القراءات على ثلاثة من أصحاب ابن هذيل ثم قرأها على أبي الجود ثم على الكندي وسمع ببغداد من ابن الأخضر وكان عارفا بالكلام والأصلين والعربية أقرأ واشتغل مدة وصنف التصانيف ودرس بالعزيرية نيابة وولي مشيخة الأقراء والنحو بالعادلية وتوفي في سابع رجب وقد شرح الشاطبية قاله في العبر سنة اثنتين وستين وستمائة فيها انتهت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين بمصر ورتب في تدريس الإيوان القبلي القاضي تقي الدين محمد بن رزين وفي الإيوان الشمالي مجد الدين بن العديم وفي الإيوان الشرقي فخر الدين الدمياطي في تدريس الحديث وفي الغربي كمال الدين المحلي وفي جمادى الآخرة وصل الخبر بأن امرأة عجوزا من الحسينية عندها امرأتان تجيب لهم شبابا فيثور عليهم رجال عندها فيقتلونهم ويعطوهم لوقاد الحمام يحرقهم وإذا كثر القتلى يعطوهم لملاح يغرقهم وكان والي الحسينية شريكهم فحسب الذين قتلوا فكانوا خمسمائة نسمة فأمر السلطان أن يسمروا جميعا في الحسينية وفيها **اشتد الغلاء بالقاهرة** حتى أبيع الأردب القمح بمائة وخمسين دينارا ففرق الملك الظاهر الصعاليك على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم وفيها أحضر إلى بين يدي الظاهر طفل ميت له رأسان وأربعة أعين." (١)

"٤٥٨ الفرائض مصنفا فيها له حلقة أشغال وسمع الكثير بخراسان والعراق والشام ومصر وكتب بخطه الأنيق المتقن الكثير ووقف أجراءه وراح مع التتار من **خوف الغلاء فنزل** بماردين أشهرا فأدركه أجله بها وله ست وخمسون سنة وكان صالحا دينا سنيا قاله الذهبي وقال حدثنا عن محمد بن أبي الدنية وغيره وفيها الغسولي أبو علي يوسف بن أحمد بن أبي بكر الصالحي الحجار روى عن موسى بن عبد القاد روهو آخر من روى في الدنيا عنه وروى عن الشيخ الموفق وعاش ثمانيا وثمانين سنة وكان فقيرا متعففا أميا لا يكتب خدم مدة في الحصول وتوفي في منتصف جمادى الآخرة بالجبل قاله الذهبي وغيره.." (٢)

"نص على أن من وصى بقضاء الصلاة المفروضة عند نفذت وصيته توفي ببغداد في يوم الثلاثاء عاشر جمادى

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٠٦/٥

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٤٥٧/٥

٦٢ الأولى وفيها الأمير الصاحب الوزير نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفي البصروي الحنفي ولي الحسبة ثم الخزانة ثم الوزارة ثم الإمرة ودرس أولا بمدرسة بصرى وكان فاضلا مقدم خيول عربية فتقدم في ذلك وتوفي ببصرى كهلا وفيها مسند الوقت شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن مميل بن الشيرازي الدمشقي سمع من جده القاضي أبي نصر والسخاوي وجماعة وبمصر من العلم بن الصابوني وابن قميرة وأجاز له أبو عبد الله بن الزبيدي والحسين ابن السيد وقاضي حلب بن شداد وخلق وله مشيخة وعوال وروى الكثير وكان ساكنا وقورا منقبضا له كفاية وكبر سنه وأكثر ولم يختلط وتوفي بالمزة ليلة عرفة عن أربع وتسعين سنة وشهرين وفيها صفي الدين محمود بن محمد بن حامد الأرموي ثم القرافي الصوفي كان محدثا لغويا إماما سمع الكثير وكتب وتعب واشتهر وحدث عن النجيب والكمال وكان شافعيا حفظ التنبيه مع دين وتصون ومعرفة توفي بدمشق بالمارستان في جمادى الآخرة وله ست وسبعون سنة وفيها صاحب الأجرومية أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي النحوي المشهور بابن آجروم بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والدال المشددة ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفي صاحب المقدمة المشهورة بالجرومية قال ابن مكتوم في تذكرته نحوى مقرى له معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع وله مصنفات وأراجيز وقال غيره المشهور بالبركة والصلاح ويشهد لذلك عموم النفع بمقدمته ولد بفاس سنة اثنتين وسبعين وستمائة وتوفي بها في صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة فيها **كان الغلاء المفرط** بالشام وبلغت الغرارة أزيد من مائتي درهم أياما ثم جلب القمح من مصر بالزام سلطاني لأمرائه فنزل إلى مائة وعشرين درهما ثم بقي أشهرا ونزل السعر بعد شدة وأسقط مكس الأقوات بالشام بكتاب سلطاني." (١)

"وشيخ الشيوخ الحموي

٦٨ وأجاز له الضياء والسخاوي وسمع منه نايب السلطنة الآثار للطحاوي ووصله ورتب له مرتبا ثم أضر وعجز وتوفي بدمشق في ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة وفيها أول الملوك العثمانية خلد الله دولتهم وهو السلطان عثمان بن طغربك بن سليمان شاه بن عثمان تولى صاحب الترجمة سنة تسع وتسعين وستمائة فأقام ستا وعشرين سنة نقل القطبي أن أصله من التركمان الرحالة النزالة من طائفة التتار ويتصل نسبه إلى يافث بن نوح عليه السلام انتهى ونقل صاحب درر الأثمان في أصل منبع آل عثمان أن عثمان جدهم الأعلى من عرب الحجاز وأنه هاجر **من الغلاء لبلاد** قرمان واتصل باتباع سلطانها في سنة خمسين وستمائة وتزوج من قونيا فولد له سليمان فاشتهر أمره بعد عثمان ثم تسلطن وهو الذي فتح برصا في حدود ثلاثين

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦١/٦

وسبعمائة ثم تسلطن بعد سليمان ولده عثمان حواى الأصغر ويقال هو الذي افتتح برسبا وأنه أول ملوك بني عثمان فإنه استقل بالملك وأما أبواه فكانا تابعين للملوك السلجوقية ونقل بعض المؤرخين أن أصل ملوك بني عثمان من المدينة المورة فالله أعلم ولما ظهر جنكزخان أخر بلاد بلخ فخرج سليمان شاه بخمسين ألف بيت إلى أرض الروم فغرق في الفرات فدخل ولده طغربك الروك فأكرمه السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم فلما مات طغربك خلف أولادا أمجادا أشدهم بأسا وأعلاهم همة عثمان صاحب الترجمة فنشأ مولعا بالقتال والجهاد في الكفار فلما أعجب السلطان علاء الدين السلجوقي ذلك منه أرسل إليه الراية السلطانية والطبل والزمر فلما ضربت النوبة بين يديه قام على قدميه تعظيما لذلك فصار قانونا مستمرا لآل عثمان إلى الآن يقومون عند ضرب النوبة ثم بعد ذلك تمكن من السلطنة واستعل بالأمر وافتتح من الكفارة عدة قلاع وحصون رحمه الله تعالى قاله الشيخ مرعي في نزهة الناظرين وفيها الإمام المحدث نور الدين علي بن جابر الهاشمي اليمني الشافعي شيخ الحديث حدث عن زكي البيلقاني وعرض عليه." (١)

"١٨٣ أحسن قيام وفي ولايته وقع ببغداد الغلاء المفرط حتى بيع الخبز بصنج الدراهم ونزح الناس عن بغداد ثم نشر العدل إلى أن تراجع الناس إليها وكانوا يسمونه الشيخ حسن لعدله قال في الدرر وفي سنة تسع وأربعين توجه إلى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قررها عليهم فأخذها وعاد فوجد نوابه في بغداد في رواق العدل ببغداد ثلاث قدور مثل قدور الهريسة مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا وغير ذلك فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطارا بالبغدادي ولما توفي قام ابنه أويس مقامه وفيها جمال الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عباس بن حامد بن خلف المعروف بابن الناصح وهو لقب عبد الرحمن الحنبلي سمع على الفخر ابن البخاري وحدث وكان رجلا صالحا مباركا يتعانى التجارة ثم ترك ذلك ولازم الجامع نحو الستين سنة توفي في ذي القعدة وفيها السيد شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمد الحسيني الأرموي المصري الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع من جماعة واشتغل بالفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس بمشهد الحسين والفخرية والطيبرسية وولي نقابة الأشراف والحسبة ووكالة بيت المال وحدث وسمع منه جماعة قال ابن رافع كان من أذكياء العالم كثير المروءة أديبا بارعا وقال ابن السبكي كان رجلا فاضلا ممدحا أديبا هو والشيخ جمال الدين بن نباتة والقاضي شهاب الدين بن فضل الله أدباء العصر إلا أن ابن نباته وابن فضل الله يزيدان عليه

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦/٦٧

بالشعر فإنه لم يكن له فيه يد وأما في النثر فكان أستاذيا ماهرا مع معرفته بالفقه والأصول والنحو توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فيها وثب مملوك يقال له آي قجا من مماليك السلطان على شيخو الناصري وكان شيخو هذا تقدم في أيام المظفر واستقر في أول دولة الناصر حسن من رؤس." (١)

"ذم السؤال وهي (ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال)

٢٠٠ (وإذا بليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال) (وإذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال) توفي ليلة الخمس ثاني رجب بسكنه بالصالحة ودفن بالروضة بالقرب من الشيخ موفق الدين ولم يدفن بها حاكم قبله وله بضع وخمسون سنة سنة أربع وستين وسبعمائة فيها **اشتد الوباء والطاعون** بالبلاد الشامية والعربية وفيها خلع يلبغا وغيره من الأمراء السلطان صلاح الدين المنصور محمدا محتجين باختلال عقله خلعوه بحضرة الخليفة والقضاة ثم سجن بقلعة الجبل وبايعوا شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد ولقب بالأشرف شعبان وفيها توفي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم البعلبكي ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن النقيب سمع بدمشق من ابن الشحنة والفزاري وابن العطار وغيرهم وبالقاهرة من جماعة و أ خذ القراءات عن الشهاب الكفري والنحو عن أبي حيان والمجد التونسي والأصول عن الأصفهاني وولي عدة مدارس وإفتاء دار العدل وناب في الحكم عن ابن المجد قال ابن كثير كان بارعا في القراءات والنحو والتصريف وله يد في الفقه وغيره توفي في شهر رمضان ودفن بمقبرة الصوفية وفيها شهاب الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيرجي الزاهد الحنبلي المعيد بالمستنصرية ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد وفيها صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الشافعي مولده بصفد في سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة وسمع الكثير وقرأ الحديث وكتب بعض الطباق وأخذ عن القاضي بدر الدين بن جماعة وأبي الفتح بن سيد الناس والتقى السبكي والحافظين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي وغيرهم وقرأ طرفا من الفقه وأخذ النحو عن أبي حيان والأدب عن ابن نباتة والشهاب محمود ولازمه ومهر في فن الأدب وكتب الخط المليح وقال النظم الرائق وألف المؤلفات الفائقة وباشر كتابة الإنشاء بمصر." (٢)

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٨٢/٦

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩٩/٦

"٢٣٠ سنة وأشهر وفيها محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي اللوشي بفتح اللام وسكون الواو بعدها معجمة الغرناطي سمع من جعفر بن الزين سنن النسائي الكبرى والشفا والموطأ وأخذ عن فضل المعافري وكان عارفا بالحديث وضبط مشكله وبالقراءات وطرقها مشاركا في الفقه توفي في جمادى الآخرة وفيها شرف الدين يحيى بن عبد الله الزرهوني نسبة إلى زرهون جبل قرب فاس الفقيه المالكي اشتغل ومهر ودرس بالشيخونية والحديث في الصرغتمشية وله تخاريج وتصانيف وتخرج به المصريون توفي في ثالث شوال وفيها يحيى بن محمد بن زكريا بن محمد بن يحيى العامري اليلدي الحموي ابن الخباز الشاعر الزجال تلميذ السراج المحار تمهر ونظم في الفنون وشارك في الآداب وكتب عنه الصفدي وغيره وكان يتشيع مات في ذي الحجة وقد عمر طويلا قال الصفدي سألته عن مولده فقال سنة سبع وتسعين وستمائة سنة أربع وسبعين وسبعمائة فيها **كان الوباء الكثير** بدمشق دام قدر ستة أشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر وفيها كان الحريق بقلعة الجبل داخل الدور السلطانية استمر أياما وفسد منه شيء كثير ويقال أن أصله من صاعقة وقعت وفيها توفي إبرهيم بن أحمد بن إسمعيل الجعفري الدمشقي الحنفي برع في الفقه وناب في الحكم ودرس وتوفي في المحرم وفيها إبرهيم بن محمد بن عيسى بن مطير اليمني كان عالما صالحا عارفا بالفقه درس وأفتى وحدث عن أبيه فكان مقيما بأبيات حسين من سواحل اليمن وكان يلقب ضياء الدين وسمع من الحجري وغيره وحدث قاله ابن حجر وفيها أحمد بن رجب بن حسين بن محمد بن مسعود البغدادي نزيل دمشق والد الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي ولد ببغداد ونشأ بها وقرأ بالروايات وسمع من مشايخها ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس وجلس للإقراء بدمشق وانتفع به وكان ذا خير." (١)

"٢٥٠ سنة سبع وسبعين وسبعمائة فيها كان الغلاس بحلب حتى بيع المكوك بثلثمائة ثم زاد إلى أن بلغ الألف حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب وباع كثير من المقلين أولادهم وافتقر خلق كثير ويقال أن بعضهم أكل بعضا حتى أكل بعضهم ولده ثم أعقب **ذلك الوباء حتى** فنى خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في القبر الواحد بغير غسل ولا صلاة ويقال أنه دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين لكن أشده كان في الأولى وفيها توفي برهان الدين إبراهيم بن عليم الدين محمد بن أبي بكر الأخنائي وكان شافعي المذهب وحفظ التنبيه ثم تحول مالكيا كعمه سمع على الحجار وغيره وولي الحسبة ونظر الخزانة وناب في الحكم ثم ولي القضاء استقلالا إلى أن مات وكان مهيبا صارما قوالا بالحق قائما بنصر الشرع رادعا

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٢٩/٦

للمفسدين وقد صنف مختصرا في الأحكام مات في رجب وفيها أحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أبي الحسن البعلبكي الحنبلي الص‍وفي المسند سمع صحيح مسلم من زينب بنت كندي وسمع من اليونيني وغيره وأجاز له أبو الفضل بن عساكر وابن القواس وحدث بالكثير وارتحلوا إليه واستدعاه التاج السبكي سنة إحدى وسبعين إلى دمشق فقرأ عليه الصحيح قال ابن حجي كان خيرا حسنا أخرجت له جزءا توفي مناهزا للتسعين وفيها القاضي جمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن الياس بن الخضر الدمشقي المعروف بابن الرهاوي الشافعي أدرك الشيخ برهان الدين وحضر عنده وتفقه على جماعة من علماء العصر وقرأ بالروايات واشتغل بالعربة وقرأ الأصول والمنطق على الشمس الأصفهاني ودرس وأفتى وتعانى الحساب ودرس بالمسرورية والكلاسة وولي وكالة بيت المال وقام على القاضي تاج الدين وآذاه من حوله فمقته أكثر الناس لذلك وناب في الحكم عن البلقيني ودرس بالشامية البرانية ثم أخذت منه بعد شهر ودرس بالناصرية الجوانية ثم أخذت منه وأوذي وصودر بعد موت القاضي تاج الدين وحصل له خمول إلى أن توفي في ربيع الأول عن." (١)

"**٢٨٣ الغلاء الشديد** بمصر ثم فرج الله تعالى وفيها توفي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الصالحي الحنبلي المعروف بابن الناصح الإمام العلامة ولد سنة اثنتين وسبعمائة وسمع من القاضي تقي الدين سليمان وأبي بكر بن عبد الدايم وست الوزراء بنت منجا قال الشيخ شهاب الدين بن حجي حدث وسمعنا منه وكان يباشر في أوقاف الحنابلة وهو رجل جيد وبه صمم كأبيه توفي يوم الأربعاء ثالث المحرم ودفن بسفح قاسيون وفيها همام الدين أمير غالب بن قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن العميد بن أمير غال بالقاراني الأتقاني كان بزي الجند وله أقطاع ثم ولي الحسبة فبدت منه عجائب ثم ولي قضاء الحنفية سنة ثمانين وانتزع التدريس من علماء الحنفية وكان مع فرط جهله وقلة دينه سليم الصدر جوادا ويحكي عنه في أحكامه أشياء ما تحكي عن قراقوش وأطم حتى أنه حلف امرأة ادعت وحكم على المدعى عليه أن يدفع لها ما حلفت عليه وحكى ابن جماعة أنه قدمت إليه قصة فيها فلان له دعوى شرعية على شخص يسمى أسد فكتب إن كان وحشيا فلا يحضر مات في جمادى الأولى عن خمسين سنة قاله ابن حجر وفيها تقي الدين صالح بن إبراهيم بن صالح بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي الحنفي بن خطيب النيرب ولد سنة عشرين أو قبلها وحضر على زينب بنت عبد السلام مسند أنس ثم سمعه عليها وعلى أبي بكر بن عسر من

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد، ٦/٢٤٩

لفظ البرزالي وغيرهم وحدث وكان يشهد عند جامع تنكز وفيه انجماع وسكون مات مطعونا في جمادى الأولى وفيها عباس بن عبد المؤمن ابن عباس الكفرماوي الحازمي الشافعي قاضي جبة عسال ولد قبل العشرين وحضر عند الشيخ برهان الدين بن الفركاح واشتغل قديما وولاه السبكي الكبير قضاء الخليل وسمع من الجزري وابن النقيب وحدث وتولى عدة بلاد ثم ناب بدمشق عن ولي الدين بن أبي البقا ثم ولي قضاء صفد سنة ثمانين ومات في رجب وفيها زين الدين عبد الرحمن بن حمدان." (١)

"٣٣٢ وفيها مراد بن أورخان ثالث ملوك بني عثمان ولي السلطنة بعد موت أبيه سنة إحدى وستين وسبعمائة وكان شديد البطش والفتك في الكفار وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة ولما ضاق الكفار به ذرعا أظهر واحد من ملوكهم الطاعة له وقدم ليقبل يده فضرب السلطان بخنجر كان بيده فاستشهد رحمه الله تعالى وفيها شرف الدين موسى بن عمر بن منصور اللوبياني الشامي ولد بعد سنة عشرين وسمع من الحجار وكان فقيها نبيها أذن له ابن النقيب في الإفتاء وكان يدرس ويفتي ويرتزق من الشهادة توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبعمائة في شعبانها كان الحريق العظيم بدمشق فاحترقت المأذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة والدهشة وتلف من الأموال ما لا يحصى وعمل في ذلك تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها قاله ابن حجر وفيها **ثار الغلاء المفرط** بدمشق وفيها رجع تمرلنك إلى بلاد العراق في جمع عظيم فملك أصبهان وكرمان وشيراز وفعل بها الأفاعيل المنكرة ثم قصد شيراز فتهيأ منصو رشاه لحربه فبلغ تمرلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن منصور من ذلك بل استمر على حذره ثم تحقق رجوع تمرلنك فأمن فبغته تمرلنك فجمع أمواله وتوجه إلى هرزم ثم انثنى عزمه وعزم على لقاء تمرلنك فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار لكن الكثرة غلبت الشجاعة فقتل منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين فجمعهم في دعوة وقلتهم أجمعين وفيها توفي ناصر الدين إبراهيم ابن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن إسمعيل بن عمر بن مختار الصالحي المعروف بابن السلار ولد سنة أربع وسبعمائة وسمع من عبد الله بن أحمد بن تمام وابن الزراد وست الفقهاء بنت الواسطي وهو آخر من روى عن الدمياطي بالإجازة وكان له." (٢)

"٢٠٠ فاشتهر ومهر في الفقه والعربية والحساب والعروض وغير ذلك وتصدر بالجامع الأزهر تبرعا ودرس وأفتى مدة وأقرأ وخطب وناب في الجمالية عن حفيد الشيخ ولي الدين العراقي ثم انتزعها منه الشيخ

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٨٢/٦

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٣١/٦

شمس الدين البرماوي وأصابه فالج أبطل نصفه واستمر موعكا إلى أن مات ليلة الأحد حادي عشر ربيع الأول وفيها محمد ويدعى الخضر بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم النويري الشافعي ولد في ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتفقه قليلا وأسمع على العز بن جماعة وابن حبيب وابن عبد المعطي والأميوطي ومن بعدهم وأجاز له البهاء بن خليل والجمال الأسنوي وأبو البقاء السبكي وغيرهم وناب في الحكم عن قريبه عز الدين بن محب الدين وولي قضاء المدينة مدة يسيرة ولم يصل إليها بل استناب ابن المطري وصرف وكان ضخما جدا وانصلح بآخره وهو والد أبي اليمن خطيب الحرم وتوفي في رابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فيها كما قال البرهان البقاعي أخبرني الفاضل البارع بدر الدين حسين البيري الشافعي أنه سكن آمد مدة وأنها أمطرت بها ضفادع وذلك في فصل الصيف وأخبرني أن ذلك غير منكر في تلك الناحية بل هو أمر معتاد وأن الضفادع تستمر إلى زمن الشتاء فتموت وأخبرني أن أهل المدينة وهي آمد أخبروه أنها أمطرت عليهم مرة حيات ومرة أخرى دما انتهى وفيها **كان الغلاء الشديد** بحلب ودمشق والطاعون المفرط بدمشق وحمص ومصر حتى قال ابن حجر ركب أربعون فسا مركبا يقصدون الصعيد فما وصلت إلى الميمون حتى مات الجميع وأن ثمانية عشر صيادا اجتمعوا في مكان فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر فجهزهم الأربعة فمات منهم وهم." (١)

"٢١١ ومنه (وصل حبيب خبر * لأنه قد رفعه) (بنصب قلبي غرضا * إذ صار مفعولا معه) وتوفي بحماة يوم الخميس سابع شوال قيل لما احتضر تبسم ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها خرب الشرق من بغداد إلى تبريز من **فرط الغلاء وعمومه** حتى أكلوا الكلاب والميتة وفيها أجريت عيون مكة حتى دخلتها وامتلأت برك باب المعلى ومرت على الصفا وسوق الليل وعم النفع بها وفيها كما قال ابن حجر ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة والأشاعرة بدمشق وتعصب الشيخ علاء الدين البخاري نزيل دمشق على الحنابلة وبالغ في الحط على ابن تيمية وصرح بتكفيره فتعصب جماعة من الدماشقة لابن تيمية وصنف صاحبنا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين جزءا في فضل ابن تيمية وسرد أسماء من أثنى عليه وعظمه من أهل عصره فمن بعدهم على حروف المعجم مبينا لكلامهم وأرسله إلى القاهرة فكتب عليه غالب المصريين التصويب وخالفوا علاء الدين البخاري في إطلاق القول بتكفيره وتكفير من أطلق عليه أنه شيخ الإسلام وخرج مرسوم السلطان إلى أن كل أحد لا يعترض على مذهب غيره ومن أظهر شيئا مجمعا عليه سمع منه وسكن الأمر انتهى وفيها توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن إسمعيل

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩٩/٧

الأبشيطي قال ابن حجر تفقه قليلا ولزم قريبه الشيخ صدر الدين الأبشيطي وأدب جماعة من أولاد الأكابر ولهج بالسيرة النبوية فكتب منها كثيرا إلى أن شرع في جمع." (١)

"٢٢٩ الشافعي قرأ على العاقولي وصدر الدين الأسفراييني مصنف ينابيع الاحكام في مذاهب الأربعة الأعلام ومهر في النظم والقراءات والفقه يقال أنه أقرأ الحاوي ثلاثين مرة وله شرح على منهاج البيضاوي ونظم بقية القراءات العشر وتكملة للشاطبي على طريقه حتى يغلب على سامعه أنه نظم الشاطبي وخمس البردة وبانت سعاد وتوفي بمكة في سادس عشرى ربيع الآخر وفيها تقي الدين محمد بن بدر الدين محمد بن سراج الدين عمر البلقيني الشافعي ولد سنة تسع وثمانين وسبعمائة ومات أبوه وهو طفل فرباه جده وحفظ القرآن وصلى بالناس وهو صغير نحو عشرة سنين ودرس في المنهاج ولازم الكمال الدميري وغيره وكان ذكيا حسن النغمة ونشأ في املاق ولما ولي عمه القضاء نبه قليلا وولي بآخره نيابة الحكم بميمنة الأمل وغيرها من الضواحي ودرس بعد موت عمه جلال الدين بجامع طولون وتمول بملازمة ناظر الجيوشي عبد الباسط وحصل وظائف وإقطاعات وصار كثير المال جدا في مدة يسيرة وحدث عن جده بشيء يسير وتوفي بالقاهرة ليلة الثاني عشر من شوال ودفن على أبيه وجده وخلف ولدا كبيرا وآخر صغيرا وابنتين سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فيها وقع ببرصا طاعون عظيم واستمر أربعة أشهر وفيها **وقع الوباء ببلاد** كرمان وفشا الطاعون بهراة حتى قيل أن عدة من مات بهراة ثمانمائة ألف وكذلك **نشا الوباء في** بلاد اليمن جميعها وفي بلاد البربر والحبشة وفيها توفي أميرزاه إبراهيم بن شاه رخ صاحب شيراز وكان قد ملك البصرة وكان فاضلا حسن الخط جدا توفي في رمضان وفيها أحمد بن شاه رخ ملك الشرق مات في شعبان بعد أن رجع من." (٢)

"٣١٧ أن حنبليا قبله وليها ثم ولي قضاء القدس مدة طويلة ثم أضيف إليه قضاء بلد الخليل عليه السلام ثم ولي قضاء الرملة تسعة وخمسين يوما إلى أن **دخل الوباء فتوفي** بالطاعون يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة انتهى ملخصا سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة فيها توفي جمال الدين محمد بن أبي بكر الناشري الصامت قال المناوي في طبقاته برع في الفقه وشارك في عدة فنون ثم أقبل على التعبد والتزهد وترك الرياسة وحب الخمول والعزلة واستقل بخويصة نفسه حتى مات ولم يخلف بعده مثله سنة أربع وسبعين وثمانمائة فيها توفي جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى الحنفي الإمام العلامة

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢١٠/٧

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٢٨/٧

ولد بالقاهرة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ورباه زوج أخته قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم الحنفي إلى أن مات فتزوج بأخته جلال الدين البلقيني الشافعي فتولى تربيته وحفظ القرآن العزيز ولما كبر اشتغل بفقه الحنفية وحفظ القدوري وتفقه بشمس الدين محمد الرومي وبالعيني وغيرهما وأخذ النحو عن التقي الشمني ولازمه كثيرا وتفقه به أيضا وأخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الروم يوغيره وقرأ المقامات الحريرية على قوام الدين الحنفي وأخذ عنه العربية أيضا وقطعة جيدة من علم الهيئة وأخذ البديع والأدبيات عن الشهاب بن عربشاه الحنفي وغيره وحضر على ابن حجر العسقلاني وانتفع به وأخذ عن أبي السعادات ابن ظهيرة وابن العليف وغيرهما ثم حبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره مثل العيني والمقريزي واجتهد في ذلك إلى الغاية وساعدته جودة ذهنه." (١)

"٣٥٢ يدفع إليه كل يوم شربة ويضربه خمسين عصا فلما سمع المولى ابن حسام الدين بذلك أرسل إلى السلطان كتابا بأن ترفع عنه هذا الظلم أو أخرج من مملكتك فرفع عنه ذلك وذهب إلى سفري حصار وأقام بها بما لا يمكن شرحه من الكآبة والحزن ومات السلطان محمد وهو فيها فلما جلس السلطان بايزيد خان على سرير الملك أعطاه مدرسة دار الحديث بأدرنة وعين له كل يوم مائة درهم فكتب هناك حواش على مباحث الجواهر من شرح المواقف وأورده أسئلة كثيرة على السيد الشريف وله كتاب بالتركية في مناجاة الحق سبحانه وكتاب في مناقب الأولياء بالتركية أيضا وتوفي بأدرنة ولم يوجد في بيته حطب يسخن به الماء وذلك لفرط سخائه انتهى ملخصا وفيها تقريبا المولى يعقوب باشا من المولى خضر بك بن جلال الدين الحنفي أخو المترجم قبله كان إماما عالما صالحا محققا صاحب أخلاق حميدة وكان مدرسا بسلطانية بروسا ثم صار مدرسا بإحدى الثمان ثم ولي قضاء برسة ومات وهو قاض بها وله حواش على شرح الوقاية لصدر الشريعة أورد فيها دقائق وأسئلة مع الإيجاز والتحرير وله غير ذلك رحمه الله تعالى سنة اثنتين وتسعين ثومانمائة فيها **كان الغلاء المفرط** وفيها توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن موسى الأبشيهي المحلي الشافعي الإمام العالم توفي بالرحبة في ذي القعدة وفيها فخر الدين عثمان بن علي التليلي الحنبلي الإمام العلامة الخطيب أخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر والفقه عن الشيخ عبد الرحمن أبي شعر وولي الإمامة والخطابة بجامع الحنابلة بصالحية دمشق مدة تزيد على ستين سنة وكان صالحا معتقدا توفي يوم الجمعة سابع عشرى شعبان ودفن بالروضة." (٢)

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣١٦/٧

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٥١/٧

"

وفيها مات قبيصة بن خالد الأسدي وكان فصيحا مفوها روى عبد الملك ابن عمير عنه قال لي عمر إني أراك شابا فصيح اللسان فسيح الصدر

وفيها أعاد ابن الزبير أخاه مصعبا وعزل ابنه حمزة وقصد هو عبد الملك بن مروان كل منهما الآخر ثم فصل بينهما الشتاء فوثب على دمشق في غيبة عبد الملك عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وأراد الخلافة فجاء عبد الملك وجرى بينهما قتال وحصار ثم نزل إليه بالأمان

وفيها كان بين الأزارقة وبين المهلب حرب شديد ودام القتال شهرا بسولاف سنة سبعين

فيها غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد الأشدق بعد أن أمنه وحلف له وجعله ولي عهده من بعده فذبحه صبرا

وفيها توفي عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي وولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه وقيل كانت وفاته لستين سنة

وفيها مات مالك بن يخامر السكسكي صاحب معاذ وكان قد أدرك الجاهلية

وفيها **كان الوباء بمصر**

وفيها قال ابن جرير ثارت الروم وقووا على المسلمين لاختلاف كلمتهم فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي كل جمعة ألف مثقال وهو أول وهن دخل على المسلمين والإسلام سنة إحدى وسبعين

فيها توفي عبد الله بن أبي حدرد الأسلي ممن بايع تحت الشجرة وله روايات في غير الكتب الستة سنة اثنتين وسبعين

فيها توفي أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري الحارثي نزيل الكوفة كان

___

". (١)

"

سنة سبع وستين ومائة

وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة في الأفاق وأكثر الفحص عنهم وقتل طائفة

___

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ١/٧٧

وفيها أمر بالزيادة في المسجد الحرام وغرم عليه أموالا عظيمة وأدخلت فيه دور كثيرة وفيها **كان الوباء العظيم** بالعراق

وفيها توفي حماد بن سلمة بن دينار البصري الحافظ في آخر السنة سمع قتادة وأبا جمرة الضبعي وطبقتهما كان سيد أهل وقته قال وهيب بن خالد حماد ابن سلمة سيدنا وأعلمنا وقال ابن المديني كان عند يحيى بن ضريس عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث وقال عبد الرحمن بن مهدي لو قيل لحماد بن سلمة أنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا وقال شهاب البلخي كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال وقال غيره كان فصيحا مفوها إماما في العربية صاحب سنة له تصانيف في الحديث وكان بطاينيا فروى سوار بن عبد الله عن أبيه قال كنت آتي حماد بن سلمة في سوقة فإذا ربح في وثوب حبة أو حبتين شد جيوبه وقام وقال موسى بن إسماعيل لو قلت أني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت كان يحدث أو يسبح أو يقرأ أو يصلي قد قسم النهار على ذلك

قلت وهو أحد الحمادين وأجلهما صاحبي المذهبين أحدهما هذا والثاني حماد ابن زيد بن درهم وتأخر موته عن هذا وسنتكلم عليه أن شاء الله تعالى قال صاحب الجواهر المضية في طبقات الحنيفة في آخرها فائدة الحمادان حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار ولقد ألطف عبد الله بمعاوية حيث قال حدثنا حماد ابن سلمة بن دينار وحماد بن زيد بن درهم وفضل ابن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدهرم انتهى والله أعلم

وفيها الحسن بن صالح بن حي الهمداني فقيه الكوفة وعابدها روى عن

---

(١) ".

" ويعد من خطباء أهل البصرة وقال الحاكم منسوب إلى الغفلة وإلى سوء الحفظ انتهى وقد خرج له الشيخان وغيرهما

وفيها نوح الجامع وهو أبو عصمة نوح بن أبي مريم الفقيه قاضي مرو ولقب بالجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى والحديث عن حجاج بن أرطأة والمغازي عن ابن إسحق والتفسير عن مقاتل وهو متروك الحديث قاله في العبر

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ١/٢٦٢

وعبد الرحمن بن أبي الموالي المدني مولى آل علي رضي الله عنه روى عن أبي جعفر الباقر وطائفة وضربه المنصور أربعمائة سوط على أن يدله على محمد بن عبد الله بن حسن فلم يدله وكان من شيعته قاله في العبر قال في المغني عبد الرحمن ابن أبي الموالي مشهور ثقة خرج مع ابن حسن قال أحمد حديثه في الإستخارة منكر قلت خرجه البخاري وقد قال ابن عدي رواه غير واحد كما رواه ابن أبي الموالي انتهى

وجويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري روى عن نافع والزهري وكان ثقة كثير الحديث سنة أربع وسبعين ومائة

وفيها حج الرشيد فبدأ بالمدينة فقسم فيا مالا عظيما ووقع الوباء بمكة فأبطأ في دخولها ثم دخلها فقضى طوافه وسيعه ولم ينزل مكة قاله في الشذور

وفيها توفي في جمادى الآخرة الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر الحافظ روى عن الأعرج وعطاء بن أبي رباح وخلق كثير قال أحمد بن صالح المصري كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلابة للعلم وقال زيد بن الحباب سمعت سفيان الثوري يقول عند ابن لهيعة الأصول

". (١)

"

وفيها أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندي الكوفي الحافظ صاحب التصانيف في ربيع الأول وقد جاوز التسعين روى عن هشيم وعبد الله بن إدريس وخلق وكان ثقة حجة قال أبو حاتم هو إمام أهل زمانه وقال محمد بن أحمد الشطوي ما رأيت أحفظ منه سنة ثمان وخمسين ومائتين

فيها توجه منصور بن جعفر فالتقى الخبيث قائد الزنج وهو فقتل منصور في المصاف واستبيح ذلك الجيش فسار أبو أحمد الموفق أخو الخليفة في جيش عظيم فانهزمت الزنج وتقهقرت ثم جهز الموفق فرقة عليهم مفلح فالتقوا الزنج فقتل مفلح في المصاف وانهزم الناس وتحيز الموفق إلى الابلة فسير قائد الزنج جيشا عليهم يحيى بن محمد فانتصر المسلمون وقتل في الوقعة خلق وأسروا يحيى فأحرق بعد ما قتل ببغداد ثم وقع الوباء في جيش الموفق وكثر ثم كانت وقعة هائلة بين الزنج والمسلمين فقتل خلق من المسلمين وتفرق عن الموفق عامة جنده

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٢٨٣/١

وفيها توفي أحمد بن بديل الإمام أبو جعفر اليامي الكوفي قاضي الكوفة ثم قاضي همذان روى عن أبي بكر بن عياش وطبقته وخرج له الترمذي وغيره وكان صالحا عادلا في أحكامه وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته قال الدارقطني فيه لين وقال في المغني أحمد بن بديل الكوفي القاضي مشهور غير متهم قال ابن عدي يكتب حديثه مع ضعفه وقال النسائي لا بأس به انتهى

وأبو علي أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي النيسابوري قاضي نيسابور روى عن أبيه وجماعة

وفيها أحمد بن سنان القطان أبو جعفر الواسطي الحافظ سمع أبو معاوية وطبقته وروى عنه أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي وصنف المسند وكتب عنه ابن أبي حاتم وقال هو إمام أهل زمانه

". (١)

" الصوفية يقول القضاء والدنية والكلام في علم الصوفية مجال وكان يقول لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا مدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث رحمه الله تعالى

وفيها زكريا بن يحيى السجزي الحافظ أبو عبد الرحمن خياط السنة بدمشق وقد نيف على التسعين روى عن شيبان بن فروخ وطبقته وكان من علماء الأثر ثقة قيل توفي في سنة تسع وثمانين وبه جزم ابن ناصر الدين

وفيها يحيى بن منصور أبو سعيد الهروي الحافظ شيخ هراة ومحدثها وزاهدها في شعبان وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين

وفي رجها قطر الندى بنت الملك خمارويه بن أحمد بن طولون زوجة المعتضد وكانت شابة بديعة الحسن عاقلة رحمها الله تعالى سنة ثمان وثمانين ومائتين

فيها ظهر أبو عبد الله الشيعي بالمغرب فدعا العامة إلى الإمام المهدي عبيد الله فاستجابوا له

وفيها **كان الوباء المفرط** بأذربيجان حتى فقدت الأكفان وكفنوا باللبود ثم بقي الموتى مطروحين في الطرق

ومات أمير أذربيجان محمد بن أبي الساج وسبعمائة من خواصه وأقربائه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٢/١٣٧

وفيها بشر بن موسى الأسدي بن صالح بن شيخ بن عميرة البغدادي في ربيع الأول ببغداد روى عن هوذة بن خليفة والأصمعي وسمع من روح بن عبادة حديثا واحدا وكان ثقة محتشما كثير الرواية عاش ثمانيا وتسعين سنة

وفيها ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن هارون الحاسب الحكيم الحراني كان في مبدأ أمره بحران ثم انتقل إلى بغداد فاشتغل بعلوم الأوائل فمهر

". (١)

" القواس والدارقطني وقال هو ثقة حافظ

وفيها أبو الفضل البلعمي الوزير محمد بن عبيد الله أحد رجال الدهر عقلا ورأيا وبلاغة روى عن محمد بن نصر المروزي وغيره وصنف كتاب تلقيح البلاغة وكتاب المقالات

وفيها الراضي بالله الخليفة أبو إسحاق محمد وقيل أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل العباسي ولد سنة سبع وتسعين ومائتين من جارية رومية اسمها ظلوم وكان قصيرا أسمر نحيفا في وجهه طول استخلف سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش إلى خلافة المتقي وآخر خليفة خطب يوم الجمعة إلى خلافة الحاكم العباسي فإنه خطب أيضا مرتين وأخر خليفة جالس الندماء ولكنه كان مقهورا مع أمرائه مرض في ربيع الأول بمرض دموي ومات وكان سمحا كريما محبا للعلماء والأدباء سمع الحديث من البغوي توفي في نصف ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف

وفيها أبو بكر يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول أبو بكر التنوخي الأنباري الأزرق الكاتب في آخر السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة روى عن جده والحسن بن عرفة وطائفة سنة ثلاثين وثلثمائة

فيها **كان الغلاء المفرط** والوباء ببغداد وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير وأكلوا الجيف

وفيها وصلت الروم فأغارت على أعمال حلب وبدعوا وسبوا عشرة آلاف نسمة

وفيها أقبل أبو الحسين علي بن محمد البريدي في الجيوش فالتقاه المتقي وابن

". (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢/١٩٥

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢/٣٢٤

" وطبقتهما وعنه ابنه أحمد قال ابن درباس هو مسند الأندلس وهو ثقة ثقة

وفيها عمر بن سهل بن إسمعيل الحافظ المجود أبو حفص الدينوري رحال روى عن إبراهيم بن أبي العيش وأبي قلابة الرقاشي وعنه أبو القسم بن ثابت الحافظ وصالح بن أحمد الهمداني ذكره أبو يعلى في الإرشاد فقال ثقة أمام عالم

وفيها محمد بن عمر بن حفص الجورجيري بأصبهان سمع أسحق بن الفيض ومسعود بن يزيد القطان وطبقتهما

وفيها محمد بن يوسف بن بشر أبو عبد الله الهروي الحافظ غندر من أعيان الشافعية والرحالين في الحديث سمع الربيع بن سليمان والعباس بن الوليد البيروتي وطبقتهما ومنه الطبراني والزبير بن عبد الواحد وهو ثقة ثبت

وفيها الزاهد العباد أبو صالح صاحب المسجد المشهور بظاهر باب شرقي يقال اسمه مفلح وكان من الصوفية العارفين سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة

فيها كما قال في الشذور وافى جراد زائد عن الحد حتى بيع كل خمسين رطلا بدرهم واستعان به الفقراء **على الغلاء وفي** التي قبلها ظهر كوكب عظيم ذو ذنب منتشر فبقى ثلاثة عشر يوما ثم اضمحل **واشتد الغلاء والمرض** انتهى

وفيها قلل ناصر الدولة بن حمدان رواتب المتقى وأخذ ضياعه وصادر

". (١)

" أداء شكر المنعم من كل الوجوه والتبري من الحول والقوة في كل شيء وقال من توالت عليه الهموم في الدنيا فليذكر هما لا يزول يستريح منها وقال الأحوال كالبروق فإذا أثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع ومن حلو كلامه من أيقن أنه لغيره فماله أن يبخل بنفسه

وفيها محمد بن مخلد العطار أبو عبد الله الدوري الحافظ ببغداد سمع يعقوب الدورقي وأحمد بن إسماعيل السهمي وخلائق وعنه الدارقطني وآخرون وكان معروفا بالثقة والصلاح والاجتهاد في الطلب وله تصانيف توفي في جمادى الآخرة وله سبع وتسعون سنة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٢/٣٢٨

وفيها صاحب ما وراء النهر أبو الحسن نصر بن الملك أحمد بن إسماعيل الساماني بقي في المملكة بعد أبيه ثلاثين سنة وثلاثين يوما وولي بعده ابنه نوح

وفيها هناد بن السري بن يحيى الكوفي الصغير روى عن أبي سعيد الأشج وجماعة

وفيها الجصاص أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدعاء روى عن أحمد بن إسماعيل السهمي وعلي بن اشكاب وجماعة وله أوهام وغلطات قال في المغني قال الخطيب في حديثه وهم كثير انتهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

قال في الشذور فيها **اشتد الغلاء وكثرت** اللصوص حتى تحارس الناس بالليل بالبوقات انتهى

وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف لكونه عامل عليه ابن بويه ونسبه إلى الظلم

ولم يحج الركب لموت القرمطي الطاغية أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي في رمضان بهجر من الجدري أهلكه الله به فلا رحم الله فيه مغرز

". (١)

" سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

فيها حلف توزون ايمانا صعبة المتقي لله فسار التقي من الرقة واثقا بأيمانه في المحرم فلما قرب من الأنبار جاء توزون وتلقاه وقبل الأرض وأنزله في مخيم ضربه له ثم قبض على الوزير أبي الحسين بن أبي علي بن مقلة وكحل المتقى لله فسمل عينيه وأدخل بغداد مسمولا مخلوعا

وتوفي في شعبان سنة خمسين وقيل سنة سبع وخمسين وثلثمائة وله ستون سنة وبويع عبد الله بن المكتفي ولقب المستكفي بالله فلم يحل الحول على توزون واستولى أحمد بن بويه على واسط والبصرة والأهواز فسار توزون لحربه فدام القتال والمنازلة بينهما أشهرا وابن بويه في استظهار ومرض توزون بعلة الصوع **واشتد الغلاء على** ابن بويه فرد إلى الأهواز ورد توزون إلى بغداد وقد زاد به الصرع

وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان حلب وأعمالها وهرب متوليها يانس المونسي إلى مصر فجهز الأخشيد جيشا فالتقاهم سيف الدولة على الرستن فهزمهم وأسر منهم ألف نفس وافتتح الرستن ثم سار إلى دمشق فملكها فسار الأخشيد ونزل على طبرية فخامر خلق من عسكر سيف الدولة إلى الأخشيد فرد سيف الدولة وجمع وحشد فقصده إلاخشيد فالتقاه بقنسرين وهزمه ودخل حلب وهرب سيف الدولة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٣٣١/٢

وأما بغداد فكان فيها قحط لم ير مثله وهرب الخلق وكان النساء يخرجن عشرين وعشرا يمسك بعضهن ببعض يصحن الجوع الجوع ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة فأنا لله وإنا إليه راجعون قاله في العبر

وفي شوال مات أبو عبد الله البريدي وقام أخوه أبو الحسين مقامه وكان البريدي هذا على ما قال ابن الفرات ظلوما عسوفا وكان أعظم أسباب الغلاء

". (١)

" الخلافة إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وسنة ستة وأربعون سنة وقال في الشذور وفي هذه السنة **اشتد الغلاء حتى** ذبح الصبيان وأكلوا وأكل الناس الجيف وصارت العقار والدور تباع برغفان خبز واشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم انتهى

وفيها اصطلح سيف الدولة والإخشيد وصاهره وتقرر لسيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية

وفيها تداعت بغداد للخراب من شدة القحط والفتن والجور

وهلك توزون بعلة الصرع في المحرم بهيت

وفيها توفي كما قال ابن ناصر الدين

(بعد فتى يس المضعف ** الهروي أحمد المصنف)

وهو أحمد بن محمد بن يس الهروي الحافظ الحداد أبو إسحاق مصنف تاريخ هراة وهو ليس بالقوي

وفيها أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي الدمشقي في جمادى الأولى وله بضع وتسعون سنة تفرد بالرواية عن جماعة وحدث عن موسى بن عامر المري ومحمد بن إسماعيل بن علية وطبقتهما

وفيها الصنوبري الشاعر أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الضبي الحلبي وشعره في الذروة العليا

وفيها الحسين بن يحيى أبو عبد الله المتوثى القطان في جمادى الآخرة ببغداد وله خمس وتسعون سنة روى عن أحمد بن المقدام العجلي وجماعة وآخر من حدث عنه هلال الحفار

وفيها عثمان بن محمد أبو الحسين الذهبي البغدادي بحلب روى عن أبي بكر ابن أبي الدنيا وطبقته

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٢/٣٣٣

وفيها ابن إسحاق المادرائي أبو الحسن محدث البصرة روى عن علي بن

". (١)

"

وفيها ابن النحاس المصري واسمه أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح أبو العباس الحافظ نزيل نيسابور قال ابن ناصر الدين كان أحد الحفاظ المبرزين والثقات المجودين انتهى سنة سبع وسبعين وثلثمائة

فيها رفع شرف الدولة عن العراق مظالم كثيرة فمن ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع أملاكه وكان مغلها في العام ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم **وكان الغلاء ببغداد** فوق الوصف

وفيها توفي أبيض بن محمد بن أبيض بن أسود الفهري المصري روى عن النسائي مجلسين وهو آخر من روى عنه

وفيها إسحاق بن المقتدر بالله توفي في ذي القعدة عن ستين سنة وصلى عليه ولده القادر بالله الذي ولى الخلافة بعد الطائع لله

وفيها أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض والعلوم وبرعت في مذهب الشافعي وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة

وفيها أبو علي الفارسي الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف ببغداد في ربيع الأول وله تسع وثمانون سنة وكان متهما بالاعتزال وقد فضله بعضهم على المبرد وكان عديم المثل قاله في العبر وقال ابن خلكان كان إمام وقته في علم النحو ودار البلاد وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وكان قدومه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة أنا غلام أبي علي في النحو وصنف له كتاب الإيضاح والتكملة ويحكى أنه كان يوما في ميدان شيراز يساير عضد

". (٢)

" سنة ثمان وسبعين وثلثمائة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢/٣٣٥

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣/٨٨

فيها أمر الملك شرف الدولة برصد الكواكب كما فعل المأمون وبنى لها هيكلا بدار السلطنة

وفيها كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء **اشتد الغلاء ببغداد** جدا وظهر الموت بها ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط الناس منه وجاءت ريح عظيمة بفم الصلح حرقت دجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها وغرق كثير من السفن واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب وطرحت ذلك في أرض خوخى فشوهد بعد أيام انتهى

وفيها توفي بشر بن محمد بن محمد بن ياسين القاضي أبو القسم الباهلي النيسابوري توفي في رمضان وقد جلس وأملى عن السراج وابن خزيمة

وفيها تبوك بن الحسن بن الوليد أبو بكر الكلابي المعدل أخو عبد الوهاب روى عن سعيد بن عبد العزيز الحلبي وطبقته

وفيها الخليل بن أحمد بن محمد أبو سعيد السجزى القاضي الفقيه الحنفي الواعظ قاضي سمرقند وبها مات عن تسع وثمانين سنة روى عن السراج وأبي القسم البغوي وخلق

وفيها أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفيه وصاحب كتاب اللمع في التصوف روى عن جعفر الخلدي وأبي بكر محمد ابن داود الدقي قال الذهبي كان المنظور إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم مع الاستظهار بعلم الشريعة وقال السخاوي كان على طريقة السنة قال خرجت مع أبي عبد الله الروزباري لنلقى أنبليا الراهب بصور فتقدمنا إلى ديره وقلنا له ما الذي حبسك ههنا قال أسرتني حلاوة قول الناس لي يا راهب انتهى وتوفي في رجب

". (١)

"

وفيها أبو عمر بن مهدي عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الفارسي ثم البغدادي البزازآخر أصحاب المحاملي وإبن مخلد وإبن عقدة قال الخطيب ثقة توفي في رجب وله إثنتان وتسعون سنة

وفيها القاضي أبو منصور الأزدي محمد بن محمد بن عبد الله الفقيه شيخ الشافعية بهراة ومسند البلد رحل وسمع ببغداد من احمد بن عثمان الأدمي وبالكوفة من إبن دحيم وطائفة توفي فجاءة في المحرم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٩١/٣

وفيها أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش بميم مفتوحة وحاء مهملة ساكنة بعدها ميم مكسورة ثم شين معجمة إبن علي بن داود بن أيوب الأستاذ الزيادي الفقيه الشافعي عالم نيسابور ومسندها ولد سنة سبع عشر ة وثلثمائة وسمع سنة خمس وعشرين من أبي حامد بن بلال و محمد بن الحسين القطان وعبد الله بن يعقوب الكرماني وخلق وأملى ودرس وكان قانعا متعففا له مصنف في علم الشروط وروى عنه الحاكم مع تقدمه عليه وأثنى عليه وعرف بالزيادي لأنه كان يسكن ميدان زياد بن عبد الرحمن وقال ابن السمعاني إنما سمي بذلك نسبة إلى بعض أجداده

وفيها هبة الله سلامة بن أبي القسم البغدادي المفسر مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ وجد رزق الله التميمي لأمه كان من أحفظ الأئمة للتفسير وكان ضريرا له حلقة بجامع المنصور سنة إحدى عشر وأربعمائة **فيهاكان الغلاء المفرط** بالعراق حتى أكلوا الكلاب والحمر

وفيها توفي أبو نصر النرسي أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون البغدادي الصدوق الصالح روى عن ابن البختري وعلي بن إدريس الستوري

وفيها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن عبد العزيز نزار بن المعز العبيدي

---

(١) ".

"

وفيها ذخيرة الدين ولي العهد محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بأمر الله أحمد توفي في ذي القعدة وله ست عشرة سنة وكان قد ختم القرآن وحفظ الفقه والنحو والفرائض وخلف سرية حاملا فولدت ولد اسماه جده عبد الله فهو المقتدي الذي ولى الخلافة بعد جده

وفيها محمد بن علي بن يحيى بن سلوان المازني ما عنده سوى نسخة أبي مسهر وما معها توفي في ذي الحجة وهو ثقة قاله في العبر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

فيها تزوج القائم بأمر الله بأخت طغرلبك وتمكن القائم وعظمت الخلافة بسلطنة طغرلبك

وفيها كان القحط الشديد بديار مصر والوباء المفرط وكانت العراق تموج بالفتن والخوف والنهب من جماعة طغرلبك ومن الأعراب ومن البساسيري قال ابن الجوزي في الشذور ثم **وقع الغلاء والوباء** في الناس وفسد الهواء وكثر الذباب واشتد الجوع حتى أكلوا الميتة وبلغ المكوك من بزر البقلة سبعة دنانير

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ١٩٢/٣

والسفرجلة والرمانة دينار والخيارة واللينوفرة دينار **وعم الغلاء والوباء** جميع البلاد وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا دارا فوجودا عند الصباح موتى أحدهم على باب البيت والثاني على رأس الدرجة والثالث على الثياب المكوره انتهى

وفيها توفي عبد الله بن الوليد بن سعيد أبو محمد الأنصاري الاندلسي الفقيه المالكي حمل عن أبي محمد بن أبي زيد وخلق وعاش ثمانيا وثمانين سنة وسكن مصر وتوفي بالشام في رمضان

وفيها أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري

".(١)

"

وغيرهم وذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال كتبنا عنه وكان صدوقا وكان أبوه المحسن صابئا على دين جده إبراهيم واسلم هلال المذكور في آخر عمره وسمع العلماء في حال كفره لأنه كان يطلب الأدب وله كتاب الأماثل والأعيان ومبتدى العواطف والاحسان وهو مجلد وكان ولده غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال ذا فضائل وتواليف نافعة منها التاريخ الكبير ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين وكانت ولادة هلال المذكور في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي ليلة الخميس سابع عشر رمضان رحمه الله سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كما قال في الشذور بلغت كارة الخشكار أي النخالة عشرة دنانير ومات من الجوع خلق كثير وأكلت الكلاب وورد كتاب من بخاري انه وقع في تلك الديار وباء حتى أخرج في يوم ثمانية عشر ألف جنازة وأحصى من مات إلى تاريخ هذا الكتاب ألف ألف وستمائة وخمسون آلفا وبقيت الأسواق فارغة والبيوت خالية **ووقع الوباء باذربيجان** وأعمالها والأهواز وأعمالها وواسط والكوفة وطبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين والثلاثين زبية فيلقون فيها وكان سببه الجوع وباع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز فأكلها ومات في الحال وتاب الناس كلهم وأراقوا الخمور وكسروا المعازف وتصدقوا بمعظم أموالهم ولزموا المساجد وكان كل من اجتمع بامرأة حراما ماتا من ساعتهما ودخلوا على مريض قد طال نزعه سبعة أيام فأشار بأصبعه إلى بيت في الدار فإذا بجانبه خمر فقلبوها فمات وتوفي رجل كان مقيما بمسجد فخلف خمسين الف

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس، ٢٧٧/٣

درهم فلم يقبلها احد ورميت في المسجد فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المجسد فماتوا ودخل رجل على ميت مسجي بلحاف فاجتذبه عنه فمات

". (١)

"

آبيات وتوفي يوم الاثنين غرة جمادي الآخرة ودفن ثاني يوم بمدينة إشبيلية وقام بالمملكة بعده ولده أبو القسم محمد انتهى ملخصا

وفيها ابن حيدر أبو منصور بكر بن محمد بن محمد بن علي بن حيدر النيسابوري التاجر ويلقب بالشيخ المؤتمن روى عن أبي الحسين الخفاف وجماعة وكان ثقة حدث بخراسان والعراق وتوفي في صفر سنة خمس وستين وأربعمائة

فيها كما قال السيوطي في تاريخ الخلفاء **اشتد الغلاء بمصر** حتى أكلت امرأة رغيفا بألف دينار انتهى

وفيها قتل أبو شجاع محمد بن جعرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان وهو ابن أخي السلطان طغربك وتقدم ذكره واستولى ألب أرسلان على الممالك بعد عمه طغربك وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه مع سعة ملك عمه فقصد هذا بلاد الشام فانتهى إلى مدينة حلب وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن برداس الكلابي فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما فقال ألب أرسلان لا بد له من دوس بساطى فخرج إليه محمود ذليلا ومعه أمه فتلقاهما بالجميل وخلع عليهما وأعادهما إلى البلد ورحل عنهما قال المأموني في تاريخه قيل انه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا حديثه في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان فانه أول من عبرها من ملوك الترك ولما عاد عزم على قصد بلاد الترك وقد كمل عسكره مائتي ألف فارس أو يزيدون فمر على جيحون النهر المشهور جسرا واقام العسكر يعبر عليه شهرا وعبر هو بنفسه ايضا ومد السماط في بليدة يقال لها فربر ولتلك البليدة حصن على شاطئ جيحون في سادس ربيع الأول من هذه السنة فاحضر إليه أصحابه مستحفظ القلعة يقال له يوسف الخوارزمي كان

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٢٧٩/٣

". (١)

"

وما يحتاج الأمير المذكور مع هذا الكتاب إلى فضيلة أخرى ففيه دلالة على كثرة إطلاعه وضبطه واتقانه ومن الشعر المنسوب إليه

(قوض خيامك عن أرض تهان بها ** وجانب الذل أن الذل يجتنب)

(وأرحل إذا كان في الأوطان منقصة ** فالمندل الرطب في أوطانه حطب)

وكانت ولادته في عكبرا في خامس شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وقتله غلمانه بجرجان وقيل بخوزستان وقيل بالأهواز قال الحميدي خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك فقتلوه بجرجان وأخذوا ماله وهربوا وطاح دمه هدرا رحمه الله

وفيها أبو عامر الازدي القاضي محمود بن القاسم بن القاضي أبي منصور محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد المهلبي الهروي الفقيه الشافعي راوي جامع الترمذي عن الجراحي قال أبو نصر الفامي هو عديم النظير زهدا وصلاحا وعفة ولد سنة أربعمائة وتوفي في جمادى الآخرة

وفيها المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر علي بن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بن المعز العبيدي الرافضي صاحب مصر وكانت أيامه ستين سنة وأربعة أشهر وقد خطب له ببغداد في سنة إحدى وخمسين ومات في ذي الحجة عن ثمان وستين سنة وبويع بعده ابنه المستعلى قاله في العبر

وقال ابن خلكان اتفق للمستنصر هذا أمور لم تتفق لغيره وسردها منها انه أقام في الأمر سنين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس ومنها انه ولى وهوابن سبع سنين ومنها انه حدث في **أيامه الغلاء العظيم** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضا وكانت ولادته صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة وتوفي في ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة وهذه الليلة تسمى عيد الغدير أعني غدير خم بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم اسم مكان

". (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣/٣١٨

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣/٣٨٢

"

(ثم الكلام فذره فهو زندقة ** وخرقة فهو خرق ليس يرتفع)

قال ابن الجوزي توفي بكرة الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر وتوفي في غرفته التي في مسجده فحط تابوته بالحبال من سطح المسجد وأخرج إلى جامع القصر فصلى عليه عبد القادر وما رأيت جمعا أكثر من جمعه ودفن في دكة الإمام أحمد عند جده أبي منصور

وفيها أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمد الشحامي أخو زاهر توفي في جمادى الآخرة عن ست وثمانين سنة سمع القشيري وأبا حامد الأزهري ويعقوب الصرفي وطبقتهم وطائفة بهراة وببغداد والحجاز وأملى مدة وكان خيرا متواضعا متعبدا لا كأخيه وتفرد في عصره قاله في العبر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها غزا نور الدين محمود بن زنكي فافتتح ثلاث حصون للفرنج بأعمال حلب

وفيها **كان الغلاء المفرط** بل وقبلها بسنوات بإفريقية

وفيها توفي أبو الحسن بن الأبنوسي أحمد بن أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي الشافعي الوكيل سمع أبا القاسم بن البسري وطبقته وتفقه وبرع وقرأ الكلام والاعتزال ثم لطف الله به وتحول سنيا توفي في ذي الحجة عن بضع وسبعين سنة

وفيها أبو جعفر البطروجي أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي أحد الأئمة روى عن أبي عبد الله الطلاعي وأبي علي الغساني وطبقتهما وكان إماما عاقلا بصيرا بمذهب مالك ودقائقه إماما في الحديث ومعرفة رجاله وعلله له مصنفات مشهورة ولم يكن في وقته بالأندلس مثله ولكنه كان قليل العربية رث الهيئة خاملا توفي في المحرم

". (١)

" الصخرة والأقصى فقطعوا شعورهم وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وما شكوا أن الفرنج يصبحوهم فهرب بعضهم إلى مصر وبعضهم إلى الكرك وبعضهم إلى دمشق ومات خلق من الجوع والعطش ونهبت الأموال التي كانت لهم بالقدس وأبيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم وذم الناس الملك المعظم فقال بعضهم

(في رجب حلل الحميا ** وأخرب القدس في المحرم)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٤/١٣٠

(واستخدم القبط والنصارى ** وبعد ذا وزر المكرم)

وقال مجد الدين قاضي الطور

(مررت على القدس الشريف مسلما ** على ما تبقى من ربوع وانجم)

(ففاضت دموع العين مني صبابة ** على ما مضى من عصره المتقدم)

(وقد رام علج أن يعفي رسومه ** وشمر عن كفي لئيم مذمم)

(فقلت له شلت يمينك خلها ** لمعتبر أو سائل أو مسلم)

(فلو كان يفدى بالنفوس فديته ** بنفسي وهذا الظن في كل مسلم)

وفي شعبان أخذت الفرنج دمياط بعد ما حصر أهلها ووقع فيهم الوباء وعجز الكامل عن نصرهم فطلبوا من الفرنج الأمان وأن يخرجوا منها بأهلهم وأموالهم في القساقسة وحلفوا لهم على ذلك ففتحوا لهم الأبواب فدخلوا وغدروا بأهلها ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا وباتوا في الجامع يفجرون بالنساء ويفتضون البنات وأخذوا المنبر والمصحف وبعثوا بهما إلى الجزاير وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن محمد بن سيدهم الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الهراس سمع من نصر الله المصيصي وغيره وتوفي في شعبان وفيها أبو البشاير إسحق بن هبة الله بن صالح قاضي خلاط كان فقيها شافعيا عالما حسن الكلام في الوعظ والتذكير من محاسن القضاة يرجع إلى دين قدم اربل وتوفي بها ومن شعره

". (١)

" قاله ابن ناصر الدين وفيها أبو الحسن علي بن ما شاء الله بن الحسين بن عبد الله بن عبد الله العلوي الحسيني البغدادي المأموني الفقيه الحنبلي المقرىء ابن الجصاص ولد في أوائل سنة ست وستين وخمسمائة وقرأ القراءات على ابن الباقلاني الواسطي بها وسمع الحديث من ابن شاتيل وشهدة وابن كليب وغيرهم وتفقه على أبي الفتح بن المنى وتكلم في مسائل الخلاف وناظر وحدث وروى عنه ابن النجار وأجاز لسليمان بن حمزة والقسم بن عساكر وغيرهما وتوفي في جمادى الأولى وفيها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعيد بن مسافر بن جميل البغدادي الأزجي الحنبلي الأديب ولد في سابع ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وسمع بإفادة والده من ابن شاتيل وابن كليب وغيرهما وكان لديه فضل وأدب وله تصانيف وسمع منه المحب المقدسي وعلي بن عبد الدايم وتوفي في ثالث رجب ببغداد

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٥/٦٦

وفيها الجمال بن المخيلي أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور ابن نجا الغساني الأسكندراني المالكي روى عن السلفي وجماعة وكان من أكابر بلده توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة

بها **كان الغلاء المفرط** بدمشق بيعت الغرارة بألف وستمائة درهم وأكلت الجيف وتوفي بها خلق كثير من الأعيان وفيها وجزم ابن كمال باشا أنه توفي في التي قبلها شمس الأئمة الكردري الحنفي محمد بن عبد الغفار بن محمد العلماوي الكردري بفتح الكاف والدال المهملة وسكون الراء الأولى نسبة إلى كردر ناحية بخوارزم قال ابن كمال باشا في طبقاته كان أستاذ الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق أخذ عن شيخ الإسلام برهان الدين على المرغيناني صاحب الهداية والشيخ مجد الدين السمرقندي والشيخ

". (١)

" دهرا وانتهت إليه رياسة الأقراء وكان إماما يجري في فنون من العلم وفيه تودد وتواضع ولين ومروءة تامة توفي في سابع ذي الحجة

وفيها العلم أبو القاسم والأصح أبو محمد القسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللورقي بفتحتين وسكون الراء نسبة إلى لورقة بلدة بالأندلس المقرىء النحوي المتكلم شيخ القراء بالشام ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ القراءات على ثلاثة من أصحاب ابن هذيل ثم قرأها على أبي الجود ثم على الكندي وسمع ببغداد من ابن الأخضر وكان عارفا بالكلام والأصلين والعربية أقرأ واشتغل مدة وصنف التصانيف ودرس بالعزيرية نيابة وولي مشيخة الأقراء والنحو بالعادلية وتوفي في سابع رجب وقد شرح الشاطبية قاله في العبر سنة اثنتين وستين وستمائة

فيها انتهت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين بمصر ورتب في تدريس الإيوان القبلي القاضي تقي الدين محمد بن رزين وفي الإيوان الشمالي مجد الدين بن العديم وفي الإيوان الشرقي فخر الدين الدمياطي في تدريس الحديث وفي الغربي كمال الدين المحلي وفي جمادى الآخرة وصل الخبر بأن امرأة عجوزا من الحسينية عندها امرأتان تجيب لهم شبابا فيثور عليهم رجال عندها فيقتلونهم ويعطوهم لوقاد الحمام يحرقهم وإذا كثر القتلى يعطوهم لملاح يغرقهم وكان والي الحسينية شريكهم فحسب الذين قتلوا فكانوا خمسمائة نسمة فأمر السلطان أن يسمروا جميعا في الحسينية

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس، ٢١٦/٥

وفيها **اشتد الغلاء بالقاهرة** حتى أبيع الأردب القمح بمائة وخمسين دينارا ففرق الملك الظاهر الصعاليك على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم

وفيها أحضر إلى بين يدي الظاهر طفل ميت له رأسان وأربعة أعين

". (١)

" الفرائض مصنفا فيها له حلقة أشغال وسمع الكثير بخراسان والعراق والشام ومصر وكتب بخطه الأنيق المتقن الكثير ووقف أجراءه وراح مع التتار من **خوف الغلاء فنزل** بماردين أشهرا فأدركه أجله بها وله ست وخمسون سنة وكان صالحا دينا سنيا قاله الذهبي وقال حدثنا عن محمد بن أبي الدنية وغيره

وفيها الغسولي أبو علي يوسف بن أحمد بن أبي بكر الصالحي الحجار روى عن موسى بن عبد القادر وهو آخر من روى في الدنيا عنه وروى عن الشيخ الموفق وعاش ثمانيا وثمانين سنة وكان فقيرا متعففا أميا لا يكتب خدم مدة في الحصون وتوفي في منتصف جمادى الآخرة بالجبل قاله الذهبي وغيره انتهى الجزء الخامس ويتلوه السادس أوله سنة إحدى وسبعمائة

". (٢)

" الأولى وفيها الأمير الصاحب الوزير نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفي البصروي الحنفي ولي الحسبة ثم الخزانة ثم الوزارة ثم الإمرة ودرس أولا بمدرسة بصرى وكان فاضلا مقدم خيول عربية فتقدم في ذلك وتوفي ببصرى كهلا وفيها مسند الوقت شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن مميل بن الشيرازي الدمشقي سمع من جده القاضي أبي نصر والسخاوي وجماعة وبمصر من العلم بن الصابوني وابن قميرة وأجاز له أبو عبد الله بن الزبيدي والحسين ابن السيد وقاضي حلب بن شداد وخلق وله مشيخة وعوال وروى الكثير وكان ساكنا وقورا منقبضا له كفاية وكبر سنه وأكثر ولم يختلط وتوفي بالمزة ليلة عرفة عن أربع وتسعين سنة وشهرين وفيها صفي الدين محمود بن محمد بن حامد الأرموي ثم القرافي الصوفي كان محدثا لغويا إماما سمع الكثير وكتب وتعب واشتهر وحدث عن النجيب والكمال وكان شافعيا حفظ التنبيه مع دين وتصون ومعرفة توفي بدمشق بالمارستان في جمادى الآخرة وله ست وسبعون سنة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٥/٣٠٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٥/٤٥٨

وفيها صاحب الأجرومية أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي النحوي المشهور بابن آجروم بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والدال المشددة ومعناه بلغة البربر الفقير الصوفي صاحب المقدمة المشهورة بالجرومية قال ابن مكتوم في تذكرته نحوى مقرى له معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع وله مصنفات وأراجيز وقال غيره المشهور بالبركة والصلاح ويشهد لذلك عموم النفع بمقدمته ولد بفاس سنة اثنتين وسبعين وستمائة وتوفي بها في صفر سنة أربع وعشرين وسبعمائة

فيها **كان الغلاء المفرط** بالشام وبلغت الغرارة أزيد من مائتي درهم أياما ثم جلب القمح من مصر بالزام سلطاني لأمرائه فنزل إلى مائة وعشرين درهما ثم بقي أشهرا ونزل السعر بعد شدة وأسقط مكس الأقوات بالشام بكتاب سلطاني

". (١)

" وأجاز له الضياء والسخاوي وسمع منه نايب السلطنة الآثار للطحاوي ووصله ورتب له مرتبا ثم أضر وعجز وتوفي بدمشق في ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة

وفيها أول الملوك العثمانية خلد الله دولتهم وهو السلطان عثمان بن طغربك بن سليمان شاه بن عثمان تولى صاحب الترجمة سنة تسع وتسعين وستمائة فأقام ستا وعشرين سنة نقل القطبي أن أصله من التركمان الرحالة النزالة من طائفة التتار ويتصل نسبه إلى يافث بن نوح عليه السلام انتهى ونقل صاحب درر الأثمان في أصل منبع آل عثمان أن عثمان جدهم الأعلى من عرب الحجاز وأنه هاجر **من الغلاء لبلاد** قرمان واتصل باتباع سلطانها في سنة خمسين وستمائة وتزوج من قونيا فولد له سليمان فاشتهر أمره بعد عثمان ثم تسلطن وهو الذي فتح برصا في حدود ثلاثين وسبعمائة ثم تسلطن بعد سليمان ولده عثمان حواى الأصغر ويقال هو الذي افتتح برسبا وأنه أول ملوك بني عثمان فإنه استقل بالملك وأما أبواه فكانا تابعين للملوك السلجوقية ونقل بعض المؤرخين أن أصل ملوك بني عثمان من المدينة المنورة فالله أعلم ولما ظهر جنكزخان أخرب لاد بلخ فخرج سليمان شاه بخمسين ألف بيت إلى أرض الروم فغرق في الفرات فدخل ولده طغربك الروم فأكرمه السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم فلما مات طغربك خلف أولادا أمجادا أشدهم بأسا وأعلاهم همة عثمان صاحب الترجمة فنشأ مولعا بالقتال والجهاد في الكفار فلما أعجب السلطان علاء الدين السلجوقي ذلك منه أرسل إليه الراية السلطانية والطبل والزمر فلما ضربت

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦٢/٦

النوبة بين يديه قام على قدميه تعظيما لذلك فصار قانونا مستمرا لآل عثمان إلى الآن يقومون عند ضرب النوبة ثم بعد ذلك تمكن من السلطنة واستقل بالأمر وافتتح من الكفارة عدة قلاع وحصون رحمه الله تعالى قاله الشيخ مرعي في نزهة الناظرين

وفيها الإمام المحدث نور الدين علي بن جابر الهاشمي اليمني الشافعي شيخ الحديث حدث عن زكي البيلقاني وعرض عليه الوجيز للغزالي وله مشاركات وشهرة وتوفي بالمنصورية عن بضع وسبعين سنة وفيها علاء الدين علي بن النصير

(١) ".

" أحسن قيام وفي ولايته وقع **ببغداد الغلاء المفرط** حتى بيع الخبز بصنج الدراهم ونزح الناس عن بغداد ثم نشر العدل إلى أن تراجع الناس إليها وكانوا يسمونه الشيخ حسن لعدله قال في الدرر وفي سنة تسع وأربعين توجه إلى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قررها عليهم فأخذها وعاد فوجد نوابه في بغداد في رواق العدل ببغداد ثلاث قدور مثل قدور الهريسة مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا وغير ذلك فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطارا بالبغدادي ولما توفي قام ابنه أويس مقامه

وفيها جمال الدين عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عباس بن حامد بن خلف المعروف بابن الناصح وهو لقب عبد الرحمن الحنبلي سمع على الفخر ابن البخاري وحدث وكان رجلا صالحا مباركا يتعانى التجارة ثم ترك ذلك ولازم الجامع نحو الستين سنة توفي في ذي القعدة

وفيها السيد شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن محمد الحسيني الأرموي المصري الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع من جماعة واشتغل بالفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس بمشهد الحسين والفخرية والطيبرسية وولي نقابة الأشراف والحسبة ووكالة بيت المال وحدث وسمع منه جماعة قال ابن رافع كان من أذكياء العالم كثير المروءة أديبا بارعا وقال ابن السبكي كان رجلا فاضلا ممدحا أديبا هو والشيخ جمال الدين بن نباتة والقاضي شهاب الدين بن فضل الله أدباء العصر إلا أن ابن نباته وابن فضل الله يزيدان عليه بالشعر فإنه لم يكن له فيه يد وأما في النثر فكان أستاذا ماهرا مع معرفته بالفقه والأصول والنحو توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦٨/٦

فيها وثب مملوك يقال له آي قجا من مماليك السلطان على شيخو الناصري وكان شيخو هذا تقدم في أيام المظفر واستقر في أول دولة الناصر حسن من رؤس

". (١)

"

(وإذا بليت ببذل وجهك سائلا ** فابذله للمتكرم المفضال)

(وإذا السؤال مع النوال وزنته ** رجح السؤال وخف كل نوال)

توفي ليلة الخميس ثاني رجب بسكنه بالصالحية ودفن بالروضة بالقرب من الشيخ موفق الدين ولم يدفن بها حاكم قبله وله بضع وخمسون سنة سنة أربع وستين وسبعمائة

فيها **اشتد الوباء والطاعون** بالبلاد الشامية والعربية وفيها خلع يلبغا وغيره من الأمراء السلطان صلاح الدين المنصور محمدا محتجين باختلال عقله خلعوه بحضرة الخليفة والقضاة ثم سجن بقلعة الجبل وبايعوا شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد ولقب بالأشرف شعبان وفيها توفي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم البعلبكي ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن النقيب سمع بدمشق من ابن الشحنة والفزاري وابن العطار وغيرهم وبالقاهرة من جماعة وأخذ القراءات عن الشهاب الكفري والنحو عن أبي حيان والمجد التونسي والأصول عن الأصفهاني وولي عدة مدارس وإفتاء دار العدل وناب في الحكم عن ابن المجد قال ابن كثير كان بارعا في القراءات والنحو والتصريف وله يد في الفقه وغيره توفي في شهر رمضان ودفن بمقبرة الصوفية وفيها شهاب الدين أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيرجي الزاهد الحنبلي المعيد بالمستنصرية ببغداد ودفن بمقبرة الإمام أحمد وفيها صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الشافعي مولده بصفد في سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة وسمع الكثير وقرأ الحديث وكتب بعض الطباق وأخذ عن القاضي بدر الدين بن جماعة وأبي الفتح بن سيد الناس والتقى السبكي والحافظين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي وغيرهم وقرأ طرفا من الفقه وأخذ النحو عن أبي حيان والأدب عن ابن نباتة والشهاب محمود ولازمه ومهر في فن الأدب وكتب الخط المليح وقال النظم الرائق وألف المؤلفات الفائقة وباشر كتابة الإنشاء بمصر ودمشق ثم ولي كتابة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦/١٨٣

". (١)

" سنة وأشهر وفيها محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي اللوشي بفتح اللام وسكون الواو بعدها معجمة الغرناطي سمع من جعفر بن الزين سنن النسائي الكبرى والشفا والموطأ وأخذ عن فضل المعافري وكان عارفا بالحديث وضبط مشكله وبالقراءات وطرقها مشاركا في الفقه توفي في جمادى الآخرة

وفيها شرف الدين يحيى بن عبد الله الزرهوني نسبة إلى زرهون جبل قرب فاس الفقيه المالكي اشتغل ومهر ودرس بالشيخونية والحديث في الصرغتمشية وله تخاريج وتصانيف وتخرج به المصريون توفي في ثالث شوال وفيها يحيى بن محمد بن زكريا بن محمد بن يحيى العامري اليلدي الحموي ابن الخباز الشاعر الزجال تلميذ السراج المحار تمهر ونظم في الفنون وشارك في الآداب وكتب عنه الصفدي وغيره وكان يتشيع مات في ذي الحجة وقد عمر طويلا قال الصفدي سألته عن مولده فقال سنة سبع وتسعين وستمائة سنة أربع وسبعين وسبعمائة

فيها **كان الوباء الكثير** بدمشق دام قدر ستة أشهر وبلغ العدد في كل يوم مائتي نفر وفيها كان الحريق بقلعة الجبل داخل الدور السلطانية استمر أياما وفسد منه شيء كثير ويقال أن أصله من صاعقة وقعت

وفيها توفي إبرهيم بن أحمد بن إسمعيل الجعفري الدمشقي الحنفي برع في الفقه وناب في الحكم ودرس وتوفي في المحرم وفيها إبرهيم بن محمد بن عيسى بن مطير اليمني كان عالما صالحا عارفا بالفقه درس وأفتى وحدث عن أبيه فكان مقيما بأبيات حسين من سواحل اليمن وكان يلقب ضياء الدين وسمع من الحجري وغيره وحدث قاله ابن حجر وفيها أحمد بن رجب بن حسين بن محمد بن مسعود البغدادي نزيل دمشق والد الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي ولد ببغداد ونشأ بها وقرأ بالروايات وسمع من مشايخها ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس وجلس للإقراء بدمشق وانتفع به وكان ذا خير

". (٢)

" سنة سبع وسبعين وسبعمائة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦/ ٢٠٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦/ ٢٣٠

فيها **كان الغلاء بحلب** حتى بيع المكوك بثلثمائة ثم زاد إلى أن بلغ الألف حتى أكلوا الميتة والقطاط والكلاب وباع كثير من المقلين أولادهم وافتقر خلق كثير ويقال أن بعضهم أكل بعضا حتى أكل بعضهم ولده ثم أعقب **ذلك الوباء حتى** فنى خلق كثير حتى كان يدفن العشرة والعشرون في القبر الواحد بغير غسل ولا صلاة ويقال أنه دام بتلك البلاد الشامية ثلاث سنين لكن أشده كان في الأولى

وفيها توفي برهان الدين إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبي بكر الأخنائي وكان شافعي المذهب وحفظ التنبيه ثم تحول مالكيا كعمه سمع على الحجار وغيره وولي الحسبة ونظر الخزانة وناب في الحكم ثم ولي القضاء استقلالا إلى أن مات وكان مهيبا صارما قوالا بالحق قائما بنصر الشرع رادعا للمفسدين وقد صنف مختصرا في الأحكام مات في رجب

وفيها أحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أبي الحسن البعلبكي الحنبلي الصوفي المسند سمع صحيح مسلم من زينب بنت كندي وسمع من اليونيني وغيره وأجاز له أبو الفضل بن عساكر وابن القواس وحدث بالكثير وارتحلوا إليه واستدعاه التاج السبكي سنة إحدى وسبعين إلى دمشق فقرأ عليه الصحيح قال ابن حجي كان خيرا حسنا أخرجت له جزءا توفي مناهزا للتسعين وفيها القاضي جمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن الياس بن الخضر الدمشقي المعروف بابن الرهاوي الشافعي أدرك الشيخ برهان الدين وحضر عنده وتفقه على جماعة من علماء العصر وقرأ بالروايات واشتغل بالعربة وقرأ الأصول والمنطق على الشمس الأصفهاني ودرس وأفتى وتعانى الحساب ودرس بالمسرورية والكلاسة وولي وكالة بيت المال وقام على القاضي تاج الدين وآذاه من حوله فمقته أكثر الناس لذلك وناب في الحكم عن البلقيني ودرس بالشامية البرانية ثم أخذت منه بعد شهر ودرس بالناصرية الجوانية ثم أخذت منه وأوذي وصودر بعد موت القاضي تاج الدين وحصل له خمول إلى أن توفي في ربيع الأول عن

---

(١) ".

" **الغلاء الشديد** بمصر ثم فرج الله تعالى وفيها توفي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الصالحي الحنبلي المعروف بابن الناصح الإمام العلامة ولد سنة اثنتين وسبعمائة وسمع من القاضي تقي الدين سليمان وأبي بكر بن عبد الدايم وست الوزراء بنت منجا

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦/ ٢٥٠

قال الشيخ شهاب الدين بن حجي حدث وسمعنا منه وكان يباشر في أوقاف الحنابلة وهو رجل جيد وبه صمم كأبيه توفي يوم الأربعاء ثالث المحرم ودفن بسفح قاسيون

وفيها همام الدين أمير غالب بن قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن العميد بن أمير غالب القاراني الأتقاني كان بزي الجند وله أقطاع ثم ولي الحسبة فبدت منه عجائب ثم ولي قضاء الحنفية سنة ثمانين وانتزع التدريس من علماء الحنفية وكان مع فرط جهله وقلة دينه سليم الصدر جوادا ويحكى عنه في أحكامه أشياء ما تحكى عن قراقوش وأطم حتى أنه حلف امرأة ادعت وحكم على المدعى عليه أن يدفع لها ما حلفت عليه وحكى ابن جماعة أنه قدمت إليه قصة فيها فلان له دعوى شرعية على شخص يسمى أسد فكتب إن كان وحشيا فلا يحضر مات في جمادى الأولى عن خمسين سنة قاله ابن حجر وفيها تقي الدين صالح بن إبراهيم بن صالح بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي الحنفي بن خطيب النيرب ولد سنة عشرين أو قبلها وحضر على زينب بنت عبد السلام مسند أنس ثم سمعه عليها وعلى أبي بكر بن عسر من لفظ البرزالي وغيرهم وحدث ،وكان يشهد عند جامع تنكز وفيه انجماع وسكون مات مطعونا في جمادى الأولى وفيها عباس بن عبد المؤمن ابن عباس الكفرماوي الحازمي الشافعي قاضي جبة عسال ولد قبل العشرين وحضر عند الشيخ برهان الدين بن الفركاح واشتغل قديما وولاه السبكي الكبير قضاء الخليل وسمع من الجزري وابن النقيب وحدث وتولى عدة بلاد ثم ناب بدمشق عن ولي الدين بن أبي البقا ثم ولي قضاء صفد سنة ثمانين ومات في رجب

وفيها زين الدين عبد الرحمن بن حمدان العيفناوي ولد بعيفنا من نابلس

." (١)

"

وفيها مراد بن أورخان ثالث ملوك بني عثمان ولي السلطنة بعد موت أبيه سنة إحدى وستين وسبعمائة وكان شديد البطش والفتك في الكفار وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة ولما ضاق الكفار به ذرعا أظهر واحد من ملوكهم الطاعة له وقدم ليقبل يده فضرب السلطان بخنجر كان بيده فاستشهد رحمه الله تعالى

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٦/٢٨٣

وفيها شرف الدين موسى بن عمر بن منصور اللوبياني الشامي ولد بعد سنة عشرين وسمع من الحجار وكان فقيها نبيها أذن له ابن النقيب في الإفتاء وكان يدرس ويفتي ويرتزق من الشهادة توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبعمائة

في شعبانها كان الحريق العظيم بدمشق فاحترقت المأذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة والدهشة وتلف من الأموال ما لا يحصى وعمل في ذلك تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها قاله ابن حجر وفيها **ثار الغلاء المفرط** بدمشق

وفيها رجع تمرلنك إلى بلاد العراق في جمع عظيم فملك أصبهان وكرمان وشيراز وفعل بها الأفاعيل المنكرة ثم قصد شيراز فتهيأ منصو رشاه لحربه فبلغ تمرلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن منصور من ذلك بل استمر على حذره ثم تحقق رجوع تمرلنك فأمن فبغته تمرلنك فجمع أمواله وتوجه إلى هرمز ثم انثنى عزمه وعزم على لقاء تمرلنك فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار لكن الكثرة غلبت الشجاعة فقتل منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين فجمعهم في دعوة وقتلهم أجمعين وفيها توفي ناصر الدين إبراهيم ابن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن إسمعيل بن عمر بن مختار الصالحي المعروف بابن السلار ولد سنة أربع وسبعمائة وسمع من عبد الله بن أحمد بن تمام وابن الزراد وست الفقهاء بنت الواسطي وهو آخر من روى عن الدمياطي بالإجازة وكان له

---

(١) ".

" فاشتهر ومهر في الفقه والعربية والحساب والعروض وغير ذلك وتصدر بالجامع الأزهر تبرعا ودرس وأفتى مدة وأقرأ وخطب وناب في الجمالية عن حفيد الشيخ ولي الدين العراقي ثم انتزعها منه الشيخ شمس الدين البرماوي وأصابه فالج أبطل نصفه واستمر موعكا إلى أن مات ليلة الأحد حادي عشر ربيع الأول

وفيها محمد ويدعى الخضر بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم النويري الشافعي ولد في ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتفقه قليلا وأسمع على العز بن جماعة وابن حبيب وابن عبد المعطي والأميوطي ومن بعدهم وأجاز له البهاء بن خليل والجمال الأسنوي وأبو البقاء السبكي وغيرهم وناب في الحكم عن قريبه عز الدين بن محب الدين وولي قضاء المدينة مدة يسيرة ولم يصل إليها بل

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٣٣٢/٦

استنباب ابن المطري وصرف وكان ضخما جدا وانصلح بآخره وهو والد أبي اليمن خطيب الحرم وتوفي في رابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

فيها كما قال البرهان البقاعي أخبرني الفاضل البارع بدر الدين حسين البيري الشافعي أنه سكن آمد مدة وأنها أمطرت بها ضفادع وذلك في فصل الصيف وأخبرني أن ذلك غير منكر في تلك الناحية بل هو أمر معتاد وأن الضفادع تستمر إلى زمن الشتاء فتموت وأخبرني أن أهل المدينة وهي آمد أخبروه أنها أمطرت عليهم مرة حيات ومرة أخرى دما انتهى

وفيها **كان الغلاء الشديد** بحلب ودمشق والطاعون المفرط بدمشق وحمص ومصر حتى قال ابن حجر ركب أربعون نفسا مركبا يقصدون الصعيد فما وصلت إلى الميمون حتى مات الجميع وأن ثمانية عشر صيادا اجتمعوا في مكان فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر فجهزهم الأربعة فمات منهم وهم

". (١)

" ومنه

(وصل حبيبي خبر ** لأنه قد رفعه)

(بنصب قلبي غرضا ** إذ صار مفعولا معه)

وتوفي بحماة يوم الخميس سابع شوال قيل لما احتضر تبسم ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

فيها خرب الشرق من بغداد إلى تبريز من **فرط الغلاء وعمومه** حتى أكلوا الكلاب والميتة

وفيها أجريت عيون مكة حتى دخلتها وامتلأت برك باب المعلى ومرت على الصفا وسوق الليل وعم النفع بها

وفيها كما قال ابن حجر ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة والأشاعرة بدمشق وتعصب الشيخ علاء الدين البخاري نزيل دمشق على الحنابلة وبالغ في الحط على ابن تيمية وصرح بتكفيره فتعصب جماعة من الدماشقة لابن تيمية وصنف صاحبنا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين جزءا في فضل ابن تيمية وسرد أسماء من أثنى عليه وعظمه من أهل عصره فمن بعدهم على حروف المعجم مبينا لكلامهم وأرسله إلى القاهرة فكتب عليه غالب المصريين التصويب وخالفوا علاء الدين البخاري في إطلاق القول بتكفيره وتكفير

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس،   ٧/٢٠٠

من أطلق عليه أنه شيخ الإسلام وخرج مرسوم السلطان إلى أن كل أحد لا يعترض على مذهب غيره ومن أظهر شيئا مجمعا عليه سمع منه وسكن الأمر انتهى

وفيها توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن إسمعيل الأبشيطي قال ابن حجر تفقه قليلا ولزم قريبه الشيخ صدر الدين الأبشيطي وأدب جماعة من أولاد الأكابر ولهج بالسيرة النبوية فكتب منها كثيرا إلى أن شرع في جمع

". (١)

" الشافعي قرأ على العاقولي وصدر الدين الأسفراييني مصنف ينابيع الاحكام في مذاهب الأربعة الأعلام ومهر في النظم والقراءات والفقه يقال أنه أقرأ الحاوي ثلاثين مرة وله شرح على منهاج البيضاوي ونظم بقية القراءات العشر وتكملة للشاطبي على طريقه حتى يغلب على سامعه أنه نظم الشاطبي وخمس البردة وبانت سعاد وتوفي بمكة في سادس عشرى ربيع الآخر

وفيها تقي الدين محمد بن بدر الدين محمد بن سراج الدين عمر البلقيني الشافعي ولد سنة تسع وثمانين وسبعمائة ومات أبوه وهو طفل فرباه جده وحفظ القرآن وصلى بالناس وهو صغير نحو عشرة سنين ودرس في المنهاج ولازم الكمال الدميري وغيره وكان ذكيا حسن النغمة ونشأ في املاق ولما ولي عمه القضاء نبه قليلا وولي بآخره نيابة الحكم بمينة الأمل وغيرها من الضواحي ودرس بعد موت عمه جلال الدين بجامع طولون وتمول بملازمة ناظر الجيوشي عبد الباسط وحصل وظائف وإقطاعات وصار كثير المال جدا في مدة يسيرة وحدث عن جده بشيء يسير وتوفي بالقاهرة ليلة الثاني عشر من شوال ودفن على أبيه وجده وخلف ولدا كبيرا وآخر صغيرا وابنتين سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

فيها وقع ببرصا طاعون عظيم واستمر أربعة أشهر

وفيها وقع الوباء ببلاد كرمان وفشا الطاعون بهراة حتى قيل أن عدة من مات بهراة ثمانمائة ألف وكذلك فشا الوباء في بلاد اليمن جميعها وفي بلاد البربر والحبشة

وفيها توفي أميرزاه إبراهيم بن شاه رخ صاحب شيراز وكان قد ملك البصرة وكان فاضلا حسن الخط جدا توفي في رمضان

وفيها أحمد بن شاه رخ ملك الشرق مات في شعبان بعد أن رجع من

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٧/٢١١

____

". (١)

" أن حنبليا قبله وليها ثم ولي قضاء القدس مدة طويلة ثم أضيف إليه قضاء بلد الخليل عليه السلام ثم ولي قضاء الرملة تسعة وخمسين يوما إلى أن **دخل الوباء فتوفي** بالطاعون يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة انتهى ملخصا سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة

فيها توفي جمال الدين محمد بن أبي بكر الناشري الصامت قال المناوي في طبقاته برع في الفقه وشارك في عدة فنون ثم أقبل على التعبد والتزهد وترك الرياسة وحب الخمول والعزلة واستقل بخويصة نفسه حتى مات ولم يخلف بعده مثله سنة أربع وسبعين وثمانمائة

فيها توفي جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تغرى بردى الحنفي الإمام العلامة ولد بالقاهرة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ورباه زوج أخته قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم الحنفي إلى أن مات فتزوج بأخته جلال الدين البلقيني الشافعي فتولى تربيته وحفظ القرآن العزيز ولما كبر اشتغل بفقه الحنفية وحفظ القدوري وتفقه بشمس الدين محمد الرومي وبالعيني وغيرهما وأخذ النحو عن التقي الشمني ولازمه كثيرا وتفقه به أيضا وأخذ التصريف عن الشيخ علاء الدين الرومي وغيره وقرأ المقامات الحريرية على قوام الدين الحنفي وأخذ عنه العربية أيضا وقطعة جيدة من علم الهيئة وأخذ البديع والأدبيات عن الشهاب بن عربشاه الحنفي وغيره وحضر على ابن حجر العسقلاني وانتفع به وأخذ عن أبي السعادات ابن ظهيرة وابن العليف وغيرهما ثم حبب إليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره مثل العيني والمقريزي واجتهد في ذلك إلى الغاية وساعدته جودة ذهنه

____

". (٢)

" يدفع إليه كل يوم شربة ويضربه خمسين عصا فلما سمع المولى ابن حسام الدين بذلك أرسل إلى السلطان كتابا بأن ترفع عنه هذا الظلم أو أخرج من مملكتك فرفع عنه ذلك وذهب إلى سفري حصار وأقام بها بما لا يمكن شرحه من الكآبة والحزن ومات السلطان محمد وهو فيها فلما جلس السلطان بايزيد خان على سرير الملك أعطاه مدرسة دار الحديث بأدرنة وعين له كل يوم مائة درهم فكتب هناك حواش على

____

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٧/٢٢٩

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٧/٣١٧

مباحث الجواهر من شرح المواقف وأورد أسئلة كثيرة على السيد الشريف وله كتاب بالتركية في مناجاة الحق سبحانه وكتاب في مناقب الأولياء بالتركية أيضا وتوفي بأدرنة ولم يوجد في بيته حطب يسخن به الماء وذلك لفرط سخائه انتهى ملخصا

وفيها تقريبا المولى يعقوب باشا بن المولى خضر بك بن جلال الدين الحنفي أخو المترجم قبله كان إماما عالما صالحا محققا صاحب أخلاق حميدة وكان مدرسا بسلطانية مدرسا ثم صار مدرسا بإحدى الثمان ثم ولي قضاء برسة ومات وهو قاض بها وله حواش على شرح الوقاية لصدر الشريعة أورد فيها دقائق وأسئلة مع الإيجاز والتحرير وله غير ذلك رحمه الله تعالى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة

فيها **كان الغلاء المفرط**

وفيها توفي القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن موسى الأبشيهي المحلي الشافعي الإمام العالم توفي بالرحبة في ذي القعدة

وفيها فخر الدين عثمان بن علي التليلي الحنبلي الإمام العلامة الخطيب أخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر والفقه عن الشيخ عبد الرحمن أبي شعر وولي الإمامة والخطابة بجامع الحنابلة بصالحية دمشق مدة تزيد على ستين سنة وكان صالحا معتقدا توفي يوم الجمعة سابع عشرى شعبان ودفن بالروضة

". (١)

" لما بلغ عمر بن الخطاب سرغ حدث أن بالشام وباء شديدا فقال بلغني **شدة الوباء بالشام** فقلت إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فإن سألني الله عز و جل لم استخلفته على هذه الأمة قلت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة بن الجراح فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل فإن سألني ربي عز و جل لم استخلفته قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه تمنوا فقال رجل أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله عز و جل ثم قال تمنوا فقال رجل أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجدا أو جوهرا أنفقه في سبيل الله عز و جل وأتصدق به ثم قال تمنوا ." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣٥٢/٧

(٢) صفة الصفوة، ٣٦٧/١

"كفى كل يوم همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة **وهم الغلاء والرخص** وهم الشتاء قبل أن يجيء وهم الصيف قبل أن يجيء فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخره ما تطلب الجنة بهذا متى تهرب من النار كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع فكيف لا يستبين للعالم جهله وقد عجز عن شكر ما هو فيه وهو مفتن فى طلب الزيادة أم كيف يعمل للاخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور

وكان يقول إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم فأرغموا أنفسهم كثيرا فى رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا وإن المنافق عبد هواه وعبد بطنه وعبد فرجه وعبد جلده عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا

وكان يقول الناس رجلان فمتزود من الدنيا ومتنعم فيها فانظر أي الرجلين أنت إنى أراك تحب طول البقاء فى الدنيا فلأيشىء تحبه أن تطيع الله عز و جل وتحسن عبادته وتتقرب إليه بالآعمال الصالحة فطوبى لك أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب ." (١)

""""" صفحة رقم ٣٢٦ """"

قال أبو الحسن وكان عبد الرحمن قد كساه الله بهاء ونورا يسر به من نظر إليه

قال وسمعت أبا عبد الله القزوينى الواعظ يقول إذا صليت مع عبد الرحمن فسلم نفسك إليه يعمل بها ما يشاء

وقال عمر بن إبراهيم الزاهد الهروى حدثنا الحسين بن أحمد الصفار قال سمعت عبد الرحمن بن أبى حاتم يقول وقع **عندنا الغلاء فأنفذ** بعض أصدقائى حبوبا من أصبهان فبعته بعشرين ألف درهم وسألنى أن أشترى له دارا عندنا فإذا نزل علينا نزل فيها فأنفقتها على الفقراء وكتب إلى ما فعلت قلت اشتريت لك بها قصرا فى الجنة قال رضيت إن ضمنت ذلك لى فتكتب على نفسك صكا ففعلت قال فأريت فى المنام قد وفينا بما ضمنت ولا تعد لمثل هذا

وقال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخى سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه الرازى سمعت على بن الحسين بن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة من مائتى سنة

قال ابن مهرويه فدخلت على ابن أبى حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا فبكى

---

(١) صفة الصفوة، ٣/٣٤٣

وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب وجعل يستعيدنى الحكاية ويبكى

مات ابن أبى حاتم وهو فى عشر التسعين فى المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة." (١)

""""" صفحة رقم ٣٠٢ """"

قال عبد الغافر الفارسي لو تتبعنا ما ظهر من آثاره وحسناته لعجزنا

توفي في يوم الجمعة سابع عشرى ذي القعدة سنة ثلاث وستين وأربعمائة

ومن الفوائد عنه رحمه الله تعالى

وهو الذي لقنه القاضي الحسين مسألة ليغالط بها فقهاء مرو إذا قدم عليهم

وصورتها رجل غصب حنطة في **زمن الغلاء وفي** زمن الرخص طالبه المالك فهل يطالب بالمثل أو القيمة

فمن قال إنه يطالب بالمثل فقط غلط

ومن قال يطالب بالقيمة غلط لأن في المسألة تفصيلا إذا تلفت الحنطة في يده كما هي قبل الطحن كما إذا احترقت وجب المثل وإن طحن وعجن وخبز وأكل فعليه القيمة لأن الطحن والعجن والخبز من ذوات القيم

وقد نقل ذلك أبو سعد الهروي في الإشراف والرافعي في الشرح

٣٧٨ الحسن بن أحمد بن محمد بن الليث الحافظ

أبو علي الكشي ثم الشيرازي

سمع ببغداد من إسماعيل الصفار وعبد الله بن درستويه." (٢)

""""" صفحة رقم ١٢١ """"

٤٦٤ عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار أبو يوسف القزويني

المعتزلي المفسر

وقيل إنه كان زيدي المذهب في الفروع

مولده سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بقزوين

أخذ عن القاضي عبد الجبار المعتزلي وجالس القاضي أبا القاسم بن كج وسمع منهما الحديث ومن غيرهما وحدث عنه جماعات

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٣٢٦/٣

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٣٠٢/٤

وله تفسير كبير قيل إنه في سبعمائة مجلد كبار

وكان قد اجتمع له من الكتب شيء كثير فإنه سكن بغداد ثم سافر إلى الشام ثم إلى مصر وأقام بها مدة ثم عاد إلى بغداد وهو يحصل في ذلك الكتب وقيل إنه حصل غالبها من مصر في **عام الغلاء المفرط** وكان يقول ملكت ستين تفسيرا منها تفسير ابن جرير الطبري في أربعين مجلدا وتفسير أبي القاسم البلخي وأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم وأبي مسلم بن بحر وغيرهم

وأهدى إلى نظام الملك أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلها غريب الحديث لإبراهيم الحربي بخط أبي عمر بن حيويه في عشر مجلدات فوقفه نظام الملك بدار الكتب ببغداد." (١)

""""" صفحة رقم ٢١٣ """"

حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم قال سألت أنسا أحرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة فقال نعم هي حرام حرمها الله ورسوله لا يختلى خلاها فمن لم يعمل بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

سمعت الشيخ عليا الهجار المكشوف الرأس وهو رجل صالح يقول مر أبو العباس المرسي رضي الله عنه في القاهرة بأناس يزدحمون على دكان الخباز في **سنة الغلاء فرق** عليهم فوقع في نفسه لو كان معي دراهم لآثرت هؤلاء بها فأحس بثقل في جبته فأدخل يديه فواجد دراهم جملة فدفعها إلى الخباز وأخذ بها خبزا فرقه عليهم فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زيوفا فاستغاث به فعاد ووقع في نفسه أن ما وقع في نفسي أولا من الرقة اعتراض على الله وأنا أستغفر الله منه فلما عاد وجد الخباز الدراهم جيدة فانصرف أبو العباس وجاء إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية فقال ابن دقيق العيد له يا أستاذ أنتم إذا رقيتم على أحد تزندقتم ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا

قلت تأمل أيها المسترشد ما تحت هذا الجواب من المعنى الحقيقي فقد أشار الشيخ به والله أعلم إلى أن الفقير يطلع على الأسرار فكيف يرق ولا يقع شيء في الوجود إلا لحكمة اقتضته ومن اطلع على الذنب لم يرق للعقوبة وقد قال تعالى) ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله (والفقيه لا اطلاع له على ذلك فيرق ديانة ورأفة ولهذا الكلام شرح طويل ليس هذا موضعه فلنمسك العنان." (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٥/١٢١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٩/٢١٣

"أخونا الكبير كان أساسا محكما للمراتب العليا وقياسا منتجا للفضيلة الكبرى ميزان نقد العقليات برهان عدل النقليات ولد تاسع عشر رمضان يوم السبت وقت الإشراق سنة ١٢٤٦ وأخذ العلوم المروجة والفنون الدرسية متفرقة في بلاد شتى من أساتذة متعددين كبلدة دهلي وغيرها وساح البلاد ولاقى جماعة من أهل العلم المدرسين وبرع في الفضائل وجمع الفواضل المتكثرة : كالرمي بالبندق والركوب على الأفراس ونظم القصائد الغراء في الفارسية والعربية وفاق الأقران في : الذكاء والفطنة وقوة الحافظة وجودة الذهن وتتلمذ على المولوي : عبد الجليل الكولي وأجاز له الشيخ العارف : عبد الغني المجددي الدهلوي – نزيل المدينة المنورة حالا الآخذ لعلم الحديث – عن الشيخ : محمد عابد السندي الراوي عن إمام المحدثين وخاتمة المجتهدين الشيخ : صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير : بالفلاني وسمع من الحديث المسلسل بالأولية في سنة ١٢٧١ ، وسافر من الوطن قاصدا بيت الله الحرام في سنة ١٢٧٦ ، فوارد ببلدة برودة – من أرض كجرات – وأقام مدة يسيرة عن المولوي : غلام حسنين القنوجي ثم مرض بالحمى واشتد المرض وانجر إلى الإسهال وكان **هناك الوباء فتوفي** – رحمه الله تعالى – تاسع جمادى الأولى يوم الجمعة من شهور سنة ١٢٧٧ ، ودفن بعد صلاة الجمعة في التكية الماتريدية عند مزار السيد : يحيى الترمذي – من خلفاء المخدوم : أخي جمشيد الراجكيري – وكان عمره ثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما." (١)

"ومثل ذلك لكل من الخلفاء الأربعة بعده، وقصة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع عمر بن معدي كرب، وذكر الشورى وما آل إليه أمرها، ووقعة القادسية، وذكر الأمور المنقومة على عثمان وجوابه عنها، وذكر وقعة الجمل، ووقعة صفين، وذكر التقاء الحكمين بدومة الجندل، وذكر مكر معاوية لعمرو بن العاص، ومناظرة ابن عباس للخوارج حين أرسله علي إليهم، ووقعة النهروان وقتل ذي الثدية المخرج، ومراسلات معاوية رضي الله عنه إلى علي – كرم الله وجهه – وجواب علي عنها، ومراسلات معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة، وإلى محمد بن أبي بكر الصديق، وجوابهما إليه، وذكر بعض أقضية علي – كرم الله وجهه – وشعره، ومراث قيلت فيه.

المقصد الرابع

وفيه سبعة أبواب: الباب الأول: في ذكر الدولة الأموية، وفيه: ذكر قصة هند بنت عتبة بن ربيعة والدة معاوية – رضي الله عنه – ، وصلح الحصن بن علي مع معاوية، ونزوله عن الخلافة له بشروط اشترطها الحسن، وفى له معاوية بكلها أو جلها، واستلحاق معاوية زياد بن سمية إلى نسب أبي سفيان وما قيل في ذلك،

---

(١) صديق حسن خان، ص/٢١

وقتل زياد حجر بن عدي وأصحابه من شيعة علي -كرم الله وجهه - وموت زياد ابن أبيه، وذكر سياسات معاوية التي ملك بها الجنود، وأحكمت له بها العقود، وذكر عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة، وذكر توجه الحسين إلى الكوفة، واستشهاده بكربلاء على التفصيل، وذكر مناقب الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وذكر ولاية الوليد بن عتبة على الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد الأشدق، وذكر خلع أهل المدينة يزيد، ووقعة الحرة، وحصار مكة، وذكر بيعة عبد الله بن الزبير، وذكر انتقاض أمر عبيد الله بن زياد، ورجوعه إلى الشام، وذكر مسير الخوارج إلى ابن الزبير، ثم مفارقتهم إياه، وذكر خروج سليمان بن صرد الخزاعي في التوابين من الشيعة للأخذ بثأر الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - ، وذكر المختار بالكوفة وأخباره، وذكر مسير ابن زياد إلى المختار، وخلاف أهل الكوفة عليه وغلبه إياهم، وذكر شأن المختار مع ابن الزبير، وذكر مقتل ابن زياد، وذكر مسير مصعب بن الزبير وقتله إياه، وذكر مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق، وقتله مصعب بن الزبير، وذكر زفر بن الحارث الكلابي بقرقيسياء، وتوجيه عبد الملك بن مروان الحجاج إلى مكة لقتل عبد الله بن الزبير، وذكر ولاية المهلب حرب الأزارقة، وولاية الحجاج على العراق. وذكر وثوب أهل البصرة على الحجاج، وذكر شبيب بن يزيد الحروري، وذكر فرسان الجاهلية والإسلام، وذكر وفاة الحجاج، وقصة وضاح اليمني مع أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك وهي عربية ذكرها ابن حمدون في التذكرة وغيره، وبناء الوليد بن عبد الملك جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية، وغيره ذلك.

الباب الثاني: في ذكر الدولة العباسية، وفيه ذكر قيام أبي مسلم الخراساني بالدعوة العباسية، وذكر الشيعة ومبادئ دولهم، وذكر كيفية بناء المنصور مدينة بغداد، وذكر توسيع المسجد الحرام وتربيعه للمهدي العباسي، وإيقاع الرشيد بالبرامكة، واختلاف الناس في أسباب نكبتهم، وذكر فتح المعتصم عمورية، وظهور القرامطة أيام المكتفي علي بن المعتضد العباسي، وظهور النار من الحرة الشرقية بالمدينة النبوية، وشرح واقعة التتار، ومبدأ أمرهم، وقتلهم الخليفة المستعصم العباسي آخر خلفاء بغداد، وغير ذلك.

الباب الثالث: في ذكر الدولة العبيدية - المسمين بالفاطميين - ، وفيه ذكر الخلاف في صحة نسبهم، وذكر افتتاح المعز الفاطمي مصر على يد عبده جوهر الرومي الصقلي، وذكر عجارف الحاكم بأمر الله منهم وكيفية مقتله، وفتنة البساسيري ببغداد، وخطبته بها للمستنصر الفاطمي، وإخراج الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى حديثة عانة، وإعادة الملك طغرلبك إياه، **وذكر الغلاء الشديد** والقحط العظيم بديار مصر سنة اثنتين وستين وأربعمائة في خلافة المستنصر الفاطمي المذكور، وغير ذلك.

الباب الرابع: في ذكر الدولة الأيوبية الكردية، وفيه ذكر قتل شاور، وذكر العاضد آخر خلفاء العبيديين،

وذكر نور الدين الشهيد محمود بن زنكي، وذكر القاضي الفاضل، واستكتاب صلاح الدين يوسف بن أيوب إياه، وصلب صلاح الدين عمارة اليمني وقاضي مصر وجماعة. لتمالئهم على قصد سوء، وذكر الوزير جمال الدين الأصفهاني الجواد المشهور ومدفنه بالمدينة الشريفة، وغير ذلك.." (١)

"ثم فيها - غير ما سبق قريبا من بناء المسجد والمساكن - دعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة برية مسبعة، وهي الجحفة؛ وسبب ذلك وعك أبي بكر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة، وذلك أنه روى أن هواء المدينة كان عفنا وخما يكون فيه الوباء، وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية: فإذا دخلها غريب نهق نهيق الحمار؛ يسمونه: التعشير، يقال له: إذا أردت أن تسلم من الوعك والوباء، فانهق نهيق الحمار، فإذا فعل سلم: فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم، فمرض كثير منهم، وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياما.

وفي سنن النسائي، وسيرة ابن هشام: أن الصديق لما قدم المدينة أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلالا، قالت عائشة: فدخلت عليهم وهم في بيت واحد، قبل أن يضرب علينا الحجاب، فقلت: يا أبت، كيف أصبحت؟ فقال: من الرجز:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فقلت: إنا لله، إن أبي ليهذي! فقلت لعامر بن فهيرة: كيف تجدك؟ فقال: من الرجز:

لقذ وجدت الموت قبل ذوقه ... والمرء يأتي موته من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي أنفه بروقه

قالت فقلت: هذا - والله - لا يدري ما يقول! ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول: من الطويل:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي إذخر وجليل؟!

وهل أردن يوما مياه مجنة ... ويبدو لعيني شامة وطفيل؟!

ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء. قالت عائشة: فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد حبا، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها إلى مهيعة " ، فأجاب الله دعاءه، فجعل هواءها صحيحا موافقا لأمزجة الغرباء، ونقل وباءها وحماها وعفونة هوائها إلى الجحفة وهي - يومئذ - كانت

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/١

دار اليهود ولم يكن بها مسلم؛ يقال: كانت لا يدخلها الطير إلا حم.

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي قال: " رأيت امرأة ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة.

قال صاحب الخميس نقلا عن الصفوة: مهيعة – كمعيشة كلتاهما بالمثناة – التحتية – : اسم للجحفة.

قلت: المشهور: أنها بسكون الهاء وفتح الياء التحتية: بوزن مسبعة كما تقدم. وفي تشويق الساجد إلى أشرف المساجد: الجحفة – بضم الجيم، وسكون الحاء – قرية تسمى مهيعة على خمس مراحل من مكة وهي ميقات أهل مصر والمغرب، وهي بقرب رابغ محاذية له على يسار الذاهب إلى مكة، بينها وبين البحر ستة أميال.

وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة لم يسرة عن الطريق، وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف، وهي الغيضة التي تسمى خم، وبهذا الغدير قال – عليه الصلاة والسلام – في خطبته هنالك: من كنت مولاه فعلى مولاه، " اىلهم وال من والاه... " إلىآخره، وذلك منصرفه من حجة الوداع، يوم ثامن من ذي الحجة الحرام.

وفيها وآخى بعد مقدمه إلى المدينة بخمسة أشهر، بين المهاجرين والأنصار – وكانوا تسعين كل طائفة خمسة وأربعون – على الحق والمساعدة والتوارث، وكانوا كذلك؛ حتى نزل بعد بدر قوله تعالى: " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " الأنفال: ٧٥ وكتب كتابا بين المهاجرين والأنصار.

وفيها وادع اليهود، وأقرهم، واشترط عليهم ولهم.

ذكر السبب في كون اليهود بالمدينة:." (١)

"ولما توفي محمد الحبيب عهد إلى ابنه عبيد الله وقال له؛ أنت المهدي، وتهاجر بعدي هجرة بعيدة فتلقى محنا شديدة. واتصل خبره بسائر دعاته في إفريقية واليمن، وبعث إليه أبو عبد الله الشيعي رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم، وأنهم في انتظاره، وشاع خبره واتصل بالخليفة العباسي على المكتفي، فطلبه ففر من أرض الشام إلى العراق، ثم لحق بمصر ومعه ابنه الآخر أبو القاسم غلاما حدثا، وخاصته ومواليهم، بعد أن كان أراد قصد اليمن فبلغه ما أحدث بها علي بن الفضل، وأنه أساء السيرة، فانثنى عن ذلك، واعتزم على اللحاق بأبي عبد الله الشيعي داعيتهم بالمغرب، فارتحل هو ومن معه من مصر إلى الإسكندرية، ثم خرجوا من الإسكندرية في زي التجار، وجاء كتاب المكتفي إلى عامل مصر – وهو يومئذ

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢٣٩/١

عيسى النوشري – بخبرهم والقعود لهم بالمراصد، وكتب إليه بنعته وحليته فسرح في طلبهم، ثم وقف عليهم وامتحن أحوالهم؛ فلم يقف على اليقين في شيء منها فخلى سبيلهم، وجد المهدي في السير، وكانت له كتب في الملاحم منقولة من آبائه، سرقت من رحله في طريقه، فيقال: إن ابنه أبا القاسم استردها من برقة حين زحف إلى مصر.

ثم إن المهدي أغزى ابنه أبا القاسم، وجموع كتامة سنة إحدى وثلاثمائة إلى الإسكندرية ومصر، وبعث أسطوله في البحر في مائتي مركب، وشحنها بالأمداد، وعقد عليها لحباسة بن يوسف، فسارت العساكر فملكوا برقة والإسكندرية والفيوم، فبعث المقتدر عساكر من بغداد مع سبكتكين ومؤنس الخادم؛ فتواقعوا معهم مرارا وأجلوهم عن مصر؛ فرجعوا إلى المغرب.

ثم أعاد المهدي حباسة في العسكر في البحر سنة اثنتين وثلاثمائة إلى الإسكندرية فملكها، وسار يريد مصر، فجاء مؤنس الخادم من بغداد لمحاربته فتواقعوا مرات، وكان الظهور آخرا لمؤنس، وقتل من أصحاب حباسة حوالي سبعة آلاف، وانصرف إلى المغرب فقتله المهدي، فانتقض عليه لذلك أخو حباسة واسمه عروبة، واجتمع عليه من كتامة خلق كثير من كتامة والبربر؛ فسرح إليه المهدي مولاه غالبا في الجيوش؛ فهزمهم وقتل عروبة وبني عمه في أمم لا تحصى.

ثم اعتزم المهدي على بناء مدينة على ساحل البحر يتخذها معصما لأهل بيته، لما كان يتوقعه على الدولة من الخوارج. ويحكى عنه أنه قال: بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من نهار، وأراهم موقف صاحب الحمار بساحتها، فخرج بنفسه يرتاد موضعا لبنائها، ومر بتونس وقرطاجنة حتى وقف على مكانها؛ جزيرة متصلة بالبر؛ كصورة كف اتصلت بزند فاختطها، وهي المهدية، وجعلها وأدار ملكه، وأدار عليها سورا محكما، وجعل لها أبوابا من الحديد، وزن كل مصراع مائة قنطار.

وابتدأ بناءها آخر سنة ثلاث وثلاثمائة، ولما ارتفع السور رمى من فوقه بسهم إلى ناحية المغرب ونظر إلى منتهاه، وقال: إلى هذا الموضع يصل صاحب الحمار – يعني أبا يزيد – وأبو يزيد هذا خارجي خرج عليه، نهب باجة وغيرها، وأحرق وقتل الأطفال وسبى النساء، واجتمع إليه قبائل البربر، واتخذ الأخبية والبيوت وآلات الحرب، وأهدى إليه رجل حمارا أشهب، وكان يركبه وبه لقب، وكان يلبس جبة صوف قصيرة ضيقة الكمين، وهو أبو يزيد بن مخلد بن كيداد، وكان جده كيداد من أهل قسطيلية من بلد توزر، وكان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة، وبها ولد ولده أبو يزيد المذكور، ثم أمر أن ينحت في الجبل دار لإنشاء السفن تسع مائة سفين، ويخبأ في أرضها أهراء الطعام ومصاح للمياه، وبنى فيها القصور والدور، فكملت سنة

ست وثلاثمائة. فلما فرغ منها قال: اليوم أمنت على الفواطم.

ثم جهز ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر مرة ثانية سنة سبع وثلاثمائة فملك الإسكندرية، ثم سار وملك الجيزة والأشمونين وكثيرا من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة بطلب الطاعة فلم يجيبوه إليها، وبعث المقتدر مؤنسا الخادم في العساكر؛ فكانت بينه وبين أبي القاسم عدة وقعات ظهر فيها مؤنس، وأصاب عسكر أبي القاسم الجهد **من الغلاء والوباء**، فرجع إلى إفريقية، وكانت مراكبهم قد وصلت من المهدية إلى الإسكندرية في ثمانين أسطولا؛ مددا لأبي القاسم.." (١)

"فمن العلويين: المرتضي، والرضي، وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى. ومن القضاة: أبو محمد القناتي، وأبو القاسم الحمزوي، وأبو العباس بن السوري. ومن الفقهاء: الإمام أبو حامد الإسفراييني، وأبو محمد بن الكشفلي، وأبو الحسين القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حكمان. ومن الشهود: أبو القاسم التنوخي في كثير، وقرئ بالبصرة، وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، رحمه الله تعالى.

ثم قام من بعده ولده علي الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكني بأبي هاشم، بويع بعد قتل أبيه وهو ابن ست عشرة سنة، وقامت عمته بتدبير ملكه أحسن قيام – كما تقدم ذكره – إلى أن ماتت، فحذا حذوها، وحسنت أيامه وسيرته. إلى أن طمع الناس فيه لصغر سنه، وتغلب صاحب الرملة حسان بن مفرج البدري على أكثر بلاد الشام. وتضعضعت دولة الظاهر إلى أن توفي يوم الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، وكانت مدة ولايته ستة عشر عاما وتسعة أشهر.

ثم قام بالأمر بعده ابنه معد المكنى أبا تميم، الملقب بالمستنصر – بسين الاستفعال – ابن الظاهر وعمره سبع سنين، وتكفل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل، أمير الجيوش، بدر بن عبد الله الجمالي. بويع يوم موت أبيه وهو ابن سبع سنين وسبعة وعشرين يوما، وبقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر، ولا يعلم في الإسلام خليفة ولا سلطان أقام في الملك هذه المدة والمستنصر هذا هو الذي خطب له البساسيري على منابر بغداد، وهذا شيء لم يقع لأحد من آبائه.

وفي أيامه **وقع الغلاء العظيم** بمصر، حتى إن الكلب بيع بخمسة دنانير ليؤكل، والقط بثلاثة دنانير، وضعفت الناس من شدة الجوع؛ حتى إن الكلب يدخل إلى بيت الشخص فيأكل ولده وليس له قدرة على النهوض إلى دفعه، وكان بمصر حارة تعرف بحارة الطبق وفيها عشرون دارا، كل دار تساوي أكثر من ألف

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٦٣

دينار فبيعت كلها بطبق خبز؛ كل دار منها برغيف!!.
قال ابن الجوزي في المنتظم: خرجت امرأة ومعها قدر ربع من جوهر، فقالت: من يأخذ مني هذا الجوهر ويعطيني عوضه برا؟ فلم تجد من يأخذه منها بذلك، فقالت: إذا لم ينفعني وقت الحاجة فلا حاجة لي به، فألقته على الأرض وانصرفت، فالعجب ما كان له من يلقطه. وأخرج المستنصر جميع الذخائر فباعها، يقال: إنه باع في **هذا الغلاء ثمانين** ألف قطعة من أنواع الجواهر المثمنة، وخمسة وسبعين ألف قطعة من أنواع الديباج المنسوج بالذهب، وعشرين ألف سيف محلى، وأحد عشر ألف دار، وافتقر الخليفة حتى لم يبق له إلا سجادة تحته وقبقاب في رجله، فصار إذا نزل للصلاة يستعير بغلة الديوان حتى يركبها، ومات معظم الناس جوعا.
قال ابن الجوزي في المنتظم: في سنة اثنتين وستين وأربعمائة في ولاية المستنصر كان غلاء شديد، وقحط عظيم بديار مصر؛ بحيث إنهم أكلوا الجيف والميتات والكلاب، وأفنيت الدواب. فلم يبق لصاحب مصر فرس بعد العدد الكثير، ونزل الوزير يوما عن بغلته فغفل عنها الغلام لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا، فأصبحوا وعظامهم بادية على ما صلبوا عليه، قد أكل الناس لحومهم!! وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء، ويدفن رءوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم؛ فقتل.." (١)

"وصورة الكتاب الأول: ليعلم إسماعيل بهادر أصلح الله أحوالة أن جميع أهل الشرائع والأحكام، وعلماء الدين والإسلام، المحبين لشريعة سيد الأنام، قد أفتوا بكفرك وفسادك، وضلالك وعنادك، لارتكابك العقائد الفاسدة، والضلالات الكاسحة، والأحوال الفظيعة، والأقوال القبيحة الشنيعة. ومن استحل ما حرم الله فلا شك في كفره، فلذلك نشرت الأعلام الإسلامية، والرايات الدينية. وسرت إلى بلادك لإمحاء رسمك ووجودك. واضمحلال اسمك وجنودك. لكن لما كان من سنة الدين، وطريق الحق المبين، الإخبار والإعلام بالدعوة إلى اتباع شريعة الإسلام، قبل الإلجاء بالسيف حين لا يفيد أين ولا كيف؛ أرسلت إليك مخبرا بأنك إن أخلصت التوبة، وصدقت في الأوبة، ورجعت عن تلك العقائد القبيحة الفظيعة فقد فزت بالمقصد الأسنى، ولك الأمان مع الزيادة في الحسنى.
وإن لم ترجع فلتعلم أني قد سرت إليك بآيات النصر والتمكين، ورايات الظفر المبين، عملا بقوله تعالى: " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " التوبة: ١٢٣، لترمى بالعذاب مجاهرة، والنكال مجاهرة، والسلام على من اتبع الهدى.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٧٤

فلم يرتدع لذلك، فأرسل إليه بكتاب ثان بديع اللفظ والمعاني، فلم يرتدع لفرط العتو والطغيان. فسار إليه السلطان سليم، فتلاقيا في شالدران بقرب تبريز. وأراد أن يقيم بتبريز لأخذ إقليم العجم جميعه فما أمكنه ذلك **لكثرة الغلاء والقحط**، وسبب ذلك أن القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لأن تتبعه بالميرة والعليق تخلفت عنه في محل الاحتياج إليها وما وجد في تبريز شيء من المأكولات والحبوب؛ لأن إسماعيل شاه حرقها عند انكساره، **فاشتد الغلاء بحيث** بيعت العليقة بنحو مائتي درهم، والرغيف الخبز بمائة درهم، فاضطر السلطان سليم إلى العود عن تبريز إلى بلاد الروم، وتركها خاوية على عروشها، ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل وتأخرها عنه وقت الحاجة، فأخبر أن سبب ذلك أن سلطان مصر الغوري قانصوه كان بينه وبين إسماعيل شاه محبة ومودة ومراسلات، بحيث كان السلطان الغوري يتهم بالرفض وعقيدته سبب ذلك، فلما ظهر للسلطان سليم أن الغوري هو الذي أمر بقطع القوافل عنهم صمم على قتال الغوري أولا، وبعد استيلائه عليه وعلى بلاده يتوجه على شاه إسماعيل ثانيا.

فلما استقر ركابه في تخت ملكه، تهيأ لأخذ مصر، وإزالة دولة الشراكسة عنها. وتوجه إلى ناحيته من جهة حلب، فالتقيا بمرج دابق كما تقدم ذكر ذلك مفصلا.

كانت مدته ثمان سنين وأياما، وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة رحمه الله برحمته، وأسكنه بحابيح جنته.

ثم تولى السلطان

سليمان بن سليم خان

سنة ست وعشرين وتسعمائة:

ولد سنة تسعمائة تقريبا، فتكون سنه حين التولية ستا وعشرين سنة، سلك طريق المعدلة وجادة الإنصاف، وتفقد أحوال الرعايا والعساكر، ورفع الظلم والاعتساف، وأعرض عن المنهيات.

وله خيرات لا تحصى معروفة في الآفاق، وفتوحات وغزوات، رفعت أهل الإيمان، وخفضت أرباب الشقاق والنفاق، منها: انكروس ورودس وبدن وبلغراديج وغزوة العجم، وألمان وأولونية وبغداد واسطنبول والستوراغون وسكتوار آخر غزواته، وتوفي فيها سنة ٩٧٤ أربع وسبعين وتسعمائة.

ومن مشاهير العلماء في أيام دولته المفتي على شلبي وكمال باشا زاده وسعدي شلبي وجوي زاده ومفتي خواجه شلبي وأبو السعود أفندي صاحب التفسير وغيرهم.

ووزراؤه بيري باشا وإبراهيم باشا وإياس باشا ولطفي باشا وسليمان باشا ورستم باشا وعلي باشا ومحمد

باشا، كلهم كانوا أرباب خيرات ومبرات.
افتتح البلدان الواسعة بالقهر والحرب، وأخذ الكفار والملاحدة بالطعن والضرب. وأيد الدين الحنيفي بمجده وسيفه الباتر.
وأقام الملة الحنيفية، وأحيا ما لها من مآثر، ونصر مذهب السنة السنية، وأظهر شعائر الإسلام البهية، وردع أهل الإلحاد فما لهم من قوة ولا ناصر.
وكان مجدد دين هذه الأمة المحمدية في هذا القرن العاشر، كما ورد: " لكل قرن مجدد ظاهر " .
وبنى المدارس المعروفة بالسليمانية للأربعة الأئمة: المالكي ثم الحنفي ثم الشافعي ثم الحنبلي.
وقد جعلت مدرسة دار حديث لعدم متأهل من الحنابلة، وبسط بساط العدل في سائر الممالك، وفتح القلاع والحصون، ومهد المسالك.
وكانت أيام سلطنته باسمة الثغور، ودولته الشريفة غرة في جباه الدهور.." (١)

"ثم ابتدأ الحاج من العراق سنة ست وخمسين وأربعمائة بنظر السلطان ألب أرسلان بن داود ملك السلجوقية حين استولى على بغداد والخلافة، طلب منه القائم العباسي ذلك فبذل المال وأخذ رهائن من العرب، وحج بالناس أبو الغنائم نور الهدى الزيني نقيب الطالبيين، ثم جاور في السنة التي بعدها واستمال الأمير أبا هاشم محمد بن جعفر المذكور عن طاعة العبيديين فخطب لبني العباس سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وانقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله عما فعل فرد الخطبة للعبيديين.
ثم خاطبه القائم العباسي وعاتبه وبذل له الأموال فخطب له سنة ثنتين وستين وأربعمائة بالموسم فقط، وكتب إلى المستنصر العبيدي معتذرا.
ثم بعث القائم العباسي أبا الغنائم الزيني نقيب المذكورين سنة ثلاث وستين وأربعمائة أميرا على الركب العراقي، ومعه عسكر ضخم لأمير مكة من عند ألب أرسلان وثلاثون ألف دينار، وتوقيع بعشرة آلاف دينار واجتمعوا بالموسم، وخطب الأمير أبو هاشم محمد بن جعفر للقائم العباسي فقال: الحمد لله الذي هدانا أهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوض بنيه لبسة الشباب بعد لبسة المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة إمام الجماعة. فانحرف المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحب مصر المذكور عن الهواشم ومال إلى السليمانيين، وكتب إلى علي بن محمد الصليحي صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم على استرجاع ملكهم وينهض معهم إلى مكة، فنهض وانتهى إلى المهجم.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٣١٩

وكان سعيد بن نجاح الأحول موتور بني الصليحي قد جاء من الهند ودخل صنعاء، فثار بها واتبع الصليحي، وهو في سبعين رجلا والصليحي في خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله. كذا في تاريخ العلامة ابن خلدون.
ورأيت في تاريخ العلامة محمد بن جار الله بعد أن قال: ثم ولي بعد شكر بنو أبي الطيب: وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر، ولم يذكر الفاسي عدتهم.
قال: ثم ولي علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة في شهر الحجة، وأظهر العدل بها، واستعمل الجميل مع أهلها، وكثر الأمن، وطابت قلوب الناس، ورخصت الأسعار في أيامه وكثرت له الأدعية، وكسا البيت ثوبا أبيض، ورد للبيت الحلي الذي أخذه بنو أبي الطيب لما ملكوا بعد شكر، وأقام بمكة إلى ربيع الأول سنة ست وخمسين وأربعمائة.
ثم ولى عنه نائبا أبا هاشم محمد بن جعفر هذا، وسبب ذلك أن الصليحي لما دخل مكة كان الأشراف بنو أبي الطيب قد أبعدوا عن مكة وجمعوا عليه، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة ويؤمر بها من يختار منهم، وكان قد وقع في عسكره الوباء فمات منهم سبعمائة رجل ولم يبق ألا نفر يسير، فاختار أبا هاشم محمد بن جعفر هذا، وهو أول الهواشم، وأقامه نائبا عنه وأمره على مكة واستخدم له عسكرا، وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فرسا، ثم عاد إلى اليمن فجاء الأشراف بنو سليمان ومعهم حمزة بن أبي وهاص، وحاربوا محمد بن جعفر فحاربهم ولم يكن له بهم طاقة، فخرج هاربا من مكة فتبعوه، فكر راجعا، وضرب واحدا منهم ضربة قطع بها درعه، وجسده وفرسه ووصل إلى الأرض فرجعوا عنه، وكان تحته فرس، يقال لها: دنانير لا تكل ولا تمل، وقيل: إنه كان صهر شكر على ابنته.
ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه منها.
فهذا الذي ذكره ابن جار الله مخالف لما ذكره العلامة ابن حلدون مخالفة ظاهرة. أما أولا: ففي تاريخه فإنه – أي ابن جار الله – ذكر أن إتيان الصليحي إلى مكة، وإقامته أبا هاشم محمد بن جعفر نائبا عنه كان في سنة ست وخمسين وأربعمائة، وأنه دخلها وأقام أبا هاشم محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم، والذي ذكره ابن خلدون؛ إن الصليحي أمره المستنصر العبيدي لما مال عن الهواشم إلى السليمانيين بسبب عدولهم بالخطبة عنه إلى العباسيين أن ينهض مع السليمانيين، ويعينهم على استرجاع ملكهم، وأرخ ذلك الأمر له بسنة اثنتين وستين وأربعمائة فهذا تخالف في التاريخ.." (١)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٣٨٥

"وله من الولد ثلاثون ذكرا واثنتا عشرة أنثى، منهم: زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وأبو الغيث، وشميلة، وعطيفة، ورميثة، وسيف، وأسد، ومقبل، وحميضة، وعبد الله.

ثم وليها بعد أبي نمي ولداه حميضة يلقب معز الدين، ورميثة يلقب أسد الدين في حياته، ودعي لهما على زمزم قبل وفاته بيومين في السنة المذكورة سنة إحدى وسبعمائة.

واستمرا شريكين في الإمرة. فلما وصل الحاج وصل صحبته ثلاثون أميرا، فجاء إليهم أبو الغيث وعطيفة، وشكوا إليهم من حميضة، ورميثة أنهما أسراهما وربطاهما، واستبد بالإمرة دونهما وأنهما أحق منهما، فمال الأمراء إليهما، فلما انقضى الموسم أمسك الأمراء رميثة وحميضة، وأوثقوهما في الحديد، وذهب بهم إلى مصر، وولوا أبا الغيث وأخاه عطيفة فأقاما إلى عام ثلاث وسبعمائة.

ثم عاد كل من حميضة ورميثة إلى إمرة مكة المشرفة عام أربع وسبعمائة، وأظهرا عدلا وأسقطا بعض المكوس، ثم ساءت سيرتهما فبعث الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون من يقبض عليهما فانهزما.

ثم في سنة اثنتي عشرة حج الناصر ففرا منه.

ثم في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وصل عسكر من صاحب مصر المذكور نحو ثلاثمائة فارس، وأمدهم صاحب المدينة بخمسمائة فارس، ووصل معهم أبو الغيث، فلما سمع بهم رميثة وحميضة خرجا إلى حلى بن يعقوب.

ثم وليها أبو الغيث بمفرده، فعزلهما بأخيهما أبي الغيث منفردا، وجهز معه عسكرا قويا فاستولى على مكة أيام الموسم من السنة المذكورة، ثم أقام العسكر عند أبي الغيث شهرين، وكانت مكة مقحطة جدا، فتعب الجند من الغلاء، وضجر أبو الغيث من النفقة عليهم، فكتب لهم خطة بالاستغناء عنهم ففارقوه، فلم يلبث بعدهم سوى جمعة حتى قصده أخوه حميضة فقاتله، فانهزم أبو الغيث، وقتل من أصحابه جماعة، وفر هو إلى أخواله هذيل بوادي نخلة، وأرسل حميضة إلى الملك الناصر يستعطفه فلم يرض عنه، وأرسل أبو الغيث يستنصره فوعده بالنصر، ثم التقى الأخوان في رابع ذي الحجة عام أربع عشرة وسبعمائة فغلب حميضة أخاه أبا الغيث فأسره، ثم أمر بعد ذلك بعض عبيده بقتله فقتله بخيف بني شديد ذبحا بحضرة الناس فهالهم ذلك.

قال في عمدة الطالب: إن حميضة قتل أخاه أبا الغيث على فراشه، وحمله إلى داره ثم استدعي إخوته للضيافة، فاجتمعوا فما راعهم ألا أبو الغيث مقتولا في جفنة مسلوقا كما هو وقد وضع بين أيديهم، وعلى

رأس كل واحد منهم غلامان أسودان من غلمان حميضة معهم السلاح، فأذعنوا له بالملك قهرا، ودامت له الولاية على مكة حتى فارقها في رمضان سنة خمس عشرة وسبعمائة لما سمع بوصول أخيه رميثة.

ثم وليها رميثة منفردا متوليا إمرة مكة المشرفة في عسكر معه من مصر، وذلك في سنة خمس عشرة وسبعمائة، فلما سمع حميضة فزع لذلك، وقبل وصولهم إلى مكة بستة أيام أخذ المال من النقد والبز وهو مائة حمل، وأحرق الباقي في الحصن الذي في الجديدة من وادي مر وقطع ألفي نخلة.." (١)

"وفيها أعني سنة أربع وأربعين وسبعمائة: اشترى الشريف عجلان بن رميثة، وأخوه الشريف ثقبة بن رميثة اشتريا مكة من أبيهما رميثة بستين ألف درهم، لأنه كبر سنا، وصار أولاده كل منهم يحكم في البلاد بما شاء واختار، فما رضي بذلك ملك مصر لما بلغه، وأرسل إلى الشريف ثقبة وخدعه وطلبه إليه، فلما وصل إليه بمصر حبسه، فعندما بلغ الشريف عجلان حبس أخيه ثقبة أخذ جلاب اليمن جميعا فكان ذلك بعض أسباب الغلاء، وأعاد رميثة إلى إمرة مكة فعاد واستمر إلى سنة ست وأربعين وسبعمائة، فعزل عنها بابنه عجلان، وكان الملك الكامل ولاه ذلك من مصر.

فوصل مكة متوليا ودخلها في حياة أبيه.

وتوفي والده رميثة في النصف من شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة.

وكان الشريف رميثة سيدا جليلا فاضلا نبيلا، شاعرا كريما، حازما حليما.

ولما تغلب ابنه أحمد على الحلة وأعمالها من العراق كتب إليه أبوه رميثة قصيدة يذكر فيها شرف مكة وفضائلها ويذم العراق وأهله، فلما قتل أحمد وصل الخبر إلى أبيه فقال: قد علمت منذ تعرض لبلاد المغول أنه مقتول.

وانقطع الحاج عن مكة خوفا من أبيه رميثة.

وكانت وفاة رميثة يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة الحرام سنة ست وأربعين وسبعمائة كما تقدم وطيف به أسبوعا كما هي عادة أسلافه.

وذلك وقت صلاة الجمعة والخطيب على المنبر، فكف حتى فرغوا من الطواف به.

وكان ابنه عجلان يطرف مع الجنازة، ثم جعله في مقام الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم.

ودفن بالمعلاة عند قبر أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم. كانت ولايته على مكة سبع مرات ومجموعها ثلاثون سنة أو أكثر، مستقلا أربع عشرة سنة ونصف سنة أو أزيد،

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٤٠٠

وشريكا لأخيه حميضة في مرتين مجموعهما نحو عشر سنين، وشريكا لأخيه عطيفة ست سنين أو أزيد. وكان يكنى أسد الدين ويلقب أبا عرادة. وكان له من الأول ا د أحمد وسند وثقبة وعجلان ومغامس، رحمه الله تعالى.

ومما قيل فيه قول موفق الدين الحديدي من الكامل:

بالله هات عن اللوى وطلوله ... وعن الغضا وجلاله وحلوله

أطل الحديث فإن تقصير الذي ... يلقى من التبريح في تطويله

علل بذكرالعامرية قلبه ... فشفاء علة ذاك في تعليله

وإذا عليل الريح أهدى نحوه ... نشرا فنشر عليله بعليله

رشأ رنا فرمى فؤاد محبه ... عن قوس حاجبه بسهم كحيله

وحوى القلوب بأسرها في أسره ... وسبى البها برسيله وأسيله

وبياضه وسواده وقويه ... وضعيفه وخفيفه وثقيله

وتفيأ الظل الذي ضمنت له ال ... أيام بين مبيته ومقيله

حط الرحال بمكة وأقام في ... حرم الخلافة بعد طول رحيله

جلب المديح لمنجب بن محمد اب ... ن نبيه انن وصيه ابن بتوله

ومنها:

واقرأ تحيته البطين ومجد إب ... راهيمه في صلب إسماعيله

ما بين شبره وبين شبيره ... شرف يطول لهاشم وعقيله

نسب كمشتق الشموس ومفخر ... باع الكواكب قاصر عن طوله

أما الفروع فليس مثل فروعه ... وكذا الأصول فليس مثل أصوله

يا بن المظلل بالغمامة والذي ... قد أنزل القرآن في تفضيله

ماذا عسى مدحي وقد نزل الثنا ... فيكم من الرحمن في تنزيله

في هل أتاك، وهل أتى، وحديده ... حقا، وغافره، وفي تتزيله

قالوا مدحت رميثة فأجبتهم ... ليس المديح ينال غير منيله." (١)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤٠٥/٢

"وفيها أواخر شهر رمضان: توفي بالقرية المسماة بالآبار من بلدة الطائف الحميدة الآثار، ودفن في سوح ضريح الحبر ابن عباس طيب الأنفاس، مولانا وسيدنا العلامة، العمدة الصدر الفهامة، القاضي عصام الدين بن علي زاده العصامي، نتيجة الفضلاء الكرام، وسلالة العلماء الأعلام.

الراوي حديث المجد عن أسلافه الأماثل، والحاوي محاسن سلسلة آبائه الفضلاء التي لم يفصلها بحمد الله جاهل، والرافع عماد بيتهم، والمجيب منادى صيتهم وصوتهم، بيت فضل لم ينشأ به إلا قاض وخطيب، فنن فضله في رياض المعالي رطيب.

ولد بمكة ونشأ بها وأخذ العلم عن والده، وعن مولانا السيد عمر بن عبد الرحيم، وعن ابن عمه مولانا الشيخ عبد الملك بن جمال الدين العصامي وغيرهم، ولازم الإقراء والتدريس على الدوام في المسجد الحرام، على طريقة العلماء الكاملين، والأئمة الواصلين.

وخلف ابنين نجيبين كاملين، هما مولانا القاضي علي، ومولانا المرحوم القاضي محمد. انتقل محمد بعد سنوات عن ابنين نجيبين أيضا.

وتصدر مولانا القاضي على مكانه للإقراء والإفادات، وهو كآبائه على طريق خير وصلاح، قد أشرق نورهما على محياه ولاح.

أطال الله بقاءه للدين، ونفع بعلومه المسلمين آمين.

وفي سنة سبعين حصل غلاء بمكة وصلت فيه كيلة الحب إلى سبعة عشر محلقا، فأشار شيخنا العلامة محمد البابلي على مولانا الشريف زيد بإبطال التسعير، فأطلق مناديه بذلك، وأن كل من عنده حب أو ما يقتات به يبيعه بسعر الله، فأظهر كل من عنده الحب، وجلب من سائر البلدان حتى كثر ورخص السعر، وسبب الغلاء: كثرة الجراد بأرض الحجاز واليمن، وأعقبه الدبا فأكل جميع الأشجار والزراعات.

وطبق بعض الأدباء تاريخا على قوله: غلاء وبلاء نعوذ بالله منهما ومن كل مخوف.

وفي سنة اثنتين وسبعين: عمرت زمزم والبناء الذي عليها ما عدا الجهة القبلية، وأدير باب المصعد إلى قبتها إلى الجهة الجنوبية، فأرخ ذلك قاضي مكة عامئذ - وهو بعض الأروام الواصل منهم كل عام جديد قاض جديد - بأبيات بالتركية آخرها بيت التاريخ بالعربية هو:

قلت تاريخه بلفظ حل ... قد بنى الزمزم محمد خان

وهي أبيات دون عشرة منقورة في حجر على باب زمزم إلى الآن فسبحان الحكيم.

وفي سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت بعد الظهر سابع شعبان منها: حصل مطر سال منه سيل كبير

ملأ المسجد وغرق فيه نحو ستة أنفس، فتصدى مولانا الشريف زيد لتنظيفه ونادى في الناس، وحضر بنفسه وكذلك صنجق جدة الأمير سليمان بك – وهو يومئذ شيخ الحرم المكي، وقائم على عمارة المقامات وترميم المشاعر – وعمل الأشراف والعلماء والخطباء والمدرسون بأيديهم بعد أن عمل مولانا الشريف زيد بيده، وبذل هو والسنجق مالا جزيلا، وأعمل الهمة في ذلك، فتم تنظيفه من سائر جهاته في سبعة أيام، ولله الحمد والشكر.

وقال صاحبنا المرحوم مولانا السيد أحمد ابن ا لمرحوم مولانا السيد أبي بكر بن سالم ابن شيخان مؤرخا دخول السيل: من الخفيف:

قهقه الرعد عندما ابتسم البر ... ق فأبكى الغمام قطر المياه

وأذابا قلوبنا الخوف والرع ... ب فويل لغافل القلب ساهي

وأتانا طوفان نوح وبالمو ... ت قطعنا لولا جناب الإله

إن تقل أوضحوا فسابع شعبا ... ن وسبت ليوم ست مضاهي

أو ترد عامه المهيل فأرخ ... بات سيل يطوف بالبيت داهي

وفي سنة أربع وسبعين وألف: عمرت المقامات الأربعة، مقام الخليل وباقي الثلاثة، وطلاء جميع قباب المسجد بالنورة ظاهرا وباطنا، ورممت جميع المشاعر بعرفات، مسجد إبراهيم، وقبة جبل الرحمة والمشعر بمزدلفة، ومسجد الخيف بمنى، وأعلام الجمرات وحدود الحرم.." (١)

"إلى نحوها حملته نسمة الصبا ... لتكسب وصفا من شذا ذلك الوصف

جال الدين محمد بن عبد الله الطبري أحد أولئك الجله. وواحد تلك البدور والأهلة. الضارب في كل فن بسهم. والقارع صفاة كل قريحة وفهم. ضاع نشر ادبه وما ضاع.. ورضع ثدي الفضل فشب على حب ذلك الرضاع. وله قريض يزرى بقراضة الذهب. ثبت في صفحات الصحايف حسنه وما ذهب. وقفت له على كافية هي في الشهادة بفضله كافيه وقافيه. راحت الباب أولى الآداب لاثرها قافيه. وهي

أسير العيون الدعج ليس له فك ... لان سيوف اللحظ من شأنها الفتك

حذار خلي القلب من علق الهوى ... فأولها سقم وآخرها سفك

ورح سالما قبل الغرام ولا تقس ... على فاني هالك فيه لا شك

ألم ترني ودعت يوم فراقهم ... حشاي لعلمي إن ما دونه الهلك

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٣/ ٣٤

وكيف خلاصي من يدي شادن إذا ... بدا أبيض في الديجور من نوره الحلك
وهيهات أن ترجي لمثلي سلامة ... وقد سل بيض الهند ألحاظه الترك
يقولون ترك الحب أسلم للفتى ... نعم صدقوا لو كان يمكنه الترك
دعوني وذكرى بين بانات لعلع ... غريبا هواهم في المواقف لي نسك
وإن رمتمو ارشاد قلبي فكرروا ... أحاديث عشق طاب في نظمها السبك
أما والخدود العندميات لم أحل ... وكل الذي عنى روى عاذلي أفك
وما بمصون الثغر من ماء كوثر ... وكأس عقيق ختمه حاله المسك
لقد لذلي خلع العذار وطاب في ... هوي الخرد الغيد الدمي عندي الهتك
تنبيه قد يتوهم إن قوله في البيت الثالث فإني هالك فيه لا شك لحن بناء على أن لا نافية للجنس واسمها في مثل ذلك مبني على الفتح ولا لحن بل فيه وجهان أحدهما منع كونها نافية للجنس بل عاملة عمل ليس والخبر محذوف جوازا كقول الحماسي
والحرب لا يبقى لجا ... حمها التحيل والمراح
إلا الفتى الصبار في النج ... دات والفرس الوقاح
من صد عن نيرانها ... فأنا ابن قيس لا براح
والثاني أن تكون نافية للجنس إلا أنها ملغاة والرفع بالابتداء ولم يجب تكرارها لجواز تركه في الشعر فاعلم الفضل بن عبد الله الطبري
خلف ذلك السف. والمعيد من عهد مجدهم ما سلف. الفضل اسمه وسمته. النافحة بارجه نسمته. رفع عماد ذلك البيت. فأقر عين الحي منهم والميت. وهو الآن مفتي الشافعية بالبلد الحرام. والمحفوظ بعين الاجلال والاحترام. يشنف السطور بفرائده. ويفوق الطروس بفوائده. مع إنافته في الأدب بمكانه. شيد من ربعها المشيد أركانه. فاجتلى بها نجوم لياليه. واقتنى منها منظوم لآليه. ولا يحضرني الآن من شعره غير قوله في التفضيل بين مسمعين يعرف أحدهما بركن والآخر بالقصبى
تخالف الناس في ركن فقدمه ... قوم وقوم عليه قدموا القصبى
وقائل الحق والانصاف قال متى ... أسمعهما ألق استاذا وألق صبي
وقال مؤرخا السيل الوارد مكة سنة ألف وتسع وثلاثين
سئلت عن سيل أتي ... والبيت منه قد سقط

متى أتي قلت لهم ... مجيئه كان غلط

ولغيره

لله سيل قد أتى ... لطهر بيت مرتضى

من دنس عنه نأي ... تاريخه حل رضا

وكان من خبر هذا السيل إنه لما كان فجر الأربعاء التاسع عشر من شعبان سنة تسع وثلاثين وألف نشأت على مكة وأقطارها شرفها الله تعالى سحابة غربية مدلهمة فلم تزل كذلك إلى وقت الزوال فأرعدت وأبرقت وأتت بمطر كأفواه القرب واستمرت ساعتين ودرجتين ثم أمسكت فأقبل السيل ودخل المسجد الحرام وأعتلي على باب الكعبة ذراعين عمليين وربع فأهلك الأطفال. والنساء والرجال ثم باتت تمطر إلى نصف الليل فلما كان قبل الغروب يوم الخميس العشرين من شعبان سقط من البيت الشريف جانباه الشرقي والشامي فكان الساقط منها قدر نصفها ثم أعقب هذا السيل في أهل مكة من الفناء ما **أشبه الوباء المصري** والله أعلم." (١)

"

وقال لي إن كانت والدتك **في الغلاء تغزل** غزلا رقيقا فتبيع الأستار بدرهمين اقل أو اكثر فكان ذلك قوتنا ٣١

وكان قديما قبل أن نأخذ من السلطان يأكل عندنا وربما وجهنا بالشيء فيأكل منه

ودخل يوما إلى منزلي وقد غيرنا سقفا لنا فدعاني ثم أملى علي حديث الأحنف بن قيس قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن مسلمة عن يونس عن الحسن قال قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غير أسقف بيته حمر وشقا شق وخضروها فقالوا له أما ترى إلى سقف بيتك _ فقال معذرة إليكم أني لم أره لا ادخله حتى تغيروه ٣٢

واعتلت من عيني ليلة فلم يزل عندي فقلت اللهم أني أسألك الصبر فقال سل الله العافية فان الصبر إنما يكون مع البلاء

وكان كتب إلى إسحاق بن راهوية ٣٣

فكتب إلى إسحاق أن الأمير عبد الله بن طاهر ٣٤ وجه إلي

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٣٥

ودخلت عليه وفي يدي كتاب أبي عبد الله فقال ما هذا الكتاب _ فقلت كتاب احمد بن حنبل فقال هاته فأخذه فقرأه

." (١)

"على أننا لو التفتنا إلى القرآن العظيم لوجدناه يقيم – حيال مظاهر الاختراق العرفي والأخلاقي – سدا منيعا لا يمكنها معه – بحال من الأحوال –أن تتحول عن طبيعتها الخللية لتضحى وضعا سويا يقارفه الإنسان من غير ما حرج ولا رادع..

فشيوع الفاحشة في البيئة المسلمة أمر زري، شنيع، لا تهادنه روح الإسلام. بل إن الإسلام لتأخذه حمية رد الفاحشة وتنقية أجواء المجتمع المسلم من دنسها حتى وهي على حال مجردة لا تتعدى نطاق الهمس والظن والتخرسات الملثمة..

فمثلما حرص المجتمع المسلم على التزام وضع الطهارة الجسدية، بتطهر المسلم خمس مرات في اليوم، حرص كذلك على طهارة الفكر والعقل والتصورات، وأكد حيال الفاحشة مبدأ الحجر والحجب والعزل.. فالمبتلي بالفاحشة هو إنسان مهزوم في معركة النفس، قد عجز عن أن يدفع عنه العار الذي ألحقه به الشيطان، فلا أقل من أن يواري على الناس عواره ..

من هنا كانت الوقاية التي يتصدى بها الإسلام للأمراض الأخلاقية .. فالمبتلي تستوجب عليه سلامة المجتمع أن يستتر أو يستر، حتى لا تتوطن النفوس – جراء التعود بما يلابس الفطرة من نزوع للشر – على الفساد، ويضحى الفساد مشاعا، وهو ما يعيشه الغرب اليوم..

من هنا وجدنا النورسي القرآني العقيدة يقول بمنطق الحجر على مرضى العدوى، ولا يهادن الوباء، ولا يومن بأن **ترك الوباء يستشري** من شأنه أن يزرع المناعة في المجتمع كما يدعي الاباحيون .

إن ترك العلة تسفر عن نفسها في قارعة الطريق، معناه قبولها والاعتراف بها، وبالتالي دعوة الناس الأصحاء إلى الابتلاء بها .." (٢)

"ولو سلمنا بأن **ترك الوباء يشيع** من شأنه أن يتيح للأجسام أن تتلقح وتكتسب مناعتها، ألا يكون ذلك على حساب ضحايا بلا إحصاء ؟ إذ ليس كل جسم يمتلك قوة المقاومة، وهو ما يعني أن المراهنة

---

(١) سيرة الامام ابن حنبل، ص/٤٢

(٢) رسائل عن النورسية، ٤٣/١٣

– منذ المنطلق – ليست منصفة مع ذوي القابليات الجسمية الضعيفة، فأين هو الإنصاف الذي تتحدث عنه الديمقراطية إزاء من يسقطون ؟ ثم أليس في عملية تكيف الجسم مع جرثوم معين إرهاص حتمي لميلاد جراثيم بديلة أخطر وأفتك من سابقها، وهو ما تؤكده البيانات الصحية في علوم الجرثمة والحياة ؟ فعالم الأخلاق يتشابه تماما مع عالم الأعضاء، وحساسية الإصابة في هذا هي ذاتها في ذاك، بل أرهف وأكثر استشراء في المجال السلوكي منها في المجال العضوي.

من هنا شدد النورسي، ومن منظور قرآني، على ضرورة سد الباب في وجه الاختراقات القيمية، حتى ولو نودي إلى ذلك باسم التجديد وباسم الارتقاء وباسم التمدن والديمقراطية وتقمص أخلاقيات الآخرين.

٦- النورسي .. ونسيج نفسيته

ثمة معابر عدة توصلنا إلى معرفة طبيعة النورسي النفيسة ومكوناتها ..

ومن غير شك أن أوثق السبل المحققة لتلك الغاية، هي تتبع سيرته كما سجلتها محطات حياته، أي من خلال سجل تقلباته عبر أشواط الحياة كما رصدها هو أو من كتب سيرته، أو كما تداولها الناس وعرفوها منه أو عنه.

ثم إن هناك سبيلا آخر نراه يجلي بصورة أساسية وإضافية تلك الجبلة الحياتية المتميزة. ويتمثل هذا السبيل في تصريحات النورسي وكتاباته ومأثور أقواله وتراثه – وليس بالضرورة تلك التي وردت في سياقات خبرية مباشرة، سردت لنا وقائع حياته. فكثير من خفايا النفس – كما نعلم – تكمن وراء ظلال الخطاب التلقائي أو ذلك الذي لا يجعل من رواية السيرة المباشرة ارتكازه الأدائي الأول.

إذ أن تتبع تلك الإفضاءات الوجدانية، يفيد أيما إفادة في تقويم الشخصية وسبر طبيعتها وسماتها وأصالة أو زيف ما تتجلى به من ظاهر الصفات وجلي الأحوال.." (١)

"كان الشيخ العز بن عبد السلام له كرامات وبطولات نادرة حتى أنه وهو في السبعين من عمره خرج للجهاد ضد الصليبيين في دمياط وبانت له كرامة هائلة أثناء القتال حيث وقف في مقدمة سفينة مصرية في بحر دمياط وسفن الصليبيين مقبلة بسرعة ناحيتهم فنادى بأعلى صوته 'يا ريح خذيهم يا ريح خذيهم' وهو يشير ناحية سفن الصليبيين فانقلبت الريح عاصفة وحملت سفن الصليبيين في عرض البحر حتى غرقت

---

(١) رسائل عن النورسية، ٤٤/١٣

فكبر المسلمون وسمعوا مناديا في الهواء وهم لا يرونه : 'الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من أطاعته الريح' ، وعندما حاول نائب السلطان الصالح أيوب وكان أحد المماليك الذين أمر الشيخ العز ببيعهم أن يقتل الشيخ وقد وقف على داره بالسيف فلما رآه النائب تجمدت يده على السيف وارتدعت فرائصه ثم بكى وطلب من الشيخ أن يعفو عنه .

وكان من مواقف الشيخ العز الطريفة أنه عندما كان في دمشق حصل غلاء شديد حتى بيعت البساتين بأسءار زهيدة جدا **لشدة الغلاء فقالت** له زوجته 'خذ هذا المصاغ واشتري لنا بستانا نتنزه فيها ونستروح فيه' فأخذ الشيخ مصاغها ثم تصدق به على الفقراء فلما عاد قالت له 'اشتريت البستان' قال لها نعم اشتريت لك بستانا في الجنة تصدقت بثمنه على الفقراء فقالت له جزاك الله عني خيرا .

بالجملة كان الشيخ رحمه الله صاحب علم وعمل وقول وفعل وفقه وفهم حتى أنه قد بلغ رتبة الاجتهاد كما قيل ذلك عنه ، وقد بلغ من العز والكرامة والجاه وحب الناس ما لم يكن لأحد منذ أزمان بعيدة ويكفي قول الظاهر بيبرس عندما سار في جنازته قال لمن حوله 'الآن تم لي ملكي بعد موت العز بن عبد السلام لأنه لو كان قال للناس اخرجوا عليه لخرجوا كلهم على ولسلبوني الملك' فرحم الله سلطان العلماء وأجزل له المثوبة وغفر له ما كان من زلاته .

مفكرة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الرد على من أنكر علي تسمية العز بن عبد السلام بالإمام !

الأخ عبد الرحمن السلفي." (١)

"تسمية من كان بواسط من الفقهاء والمحدثين

٣٤٠٩- أبو هاشم الرماني.

واسمه يحيى بن دينار. وكان ثقة.

٣٤١٠- يعلى بن عطاء.

مولى عبد الله بن عمرو بن العاص. وكان ثقة. وكان من أهل الطائف. وكان قدم واسط وأقام بها في آخر سلطان بني أمية. سمع منه شعبة بن الحجاج وأبو عوانة وهشيم وأصحابهم.

---

(١) سلطان العلماء .. العز بن عبد السلام، ص/١٢

٣٤١١- أبو عقيل.

الذي روى عنه شعبة واسمه هاشم بن سلال. ويقال سلام.

وكان ثقة إن شاء الله. وكان من أهل الشام. فقدم واسط وكان قاضيا بها.

٣٤١٢- أبو خالد الدالاني.

واسمه يزيد بن عبد الرحمن. وكان منكر الحديث.

٣٤١٣- القاسم بن أبي أيوب.

وكان ثقة قليل الحديث.

٣٤١٤- أبو بلج

واسمه يحيى. بن أبي سليم الفزاري. وكان ثقة إن شاء الله.

روى عنه شعبة وهشيم وأبو عوانة. وقال يزيد بن هارون: قد رأيت أبا بلج وكان جارا لنا ولم يكن له حاجة في النساء. وكان يتخذ الحمام في بيته يستأنس بهن. وكان يذكر الله كثيرا فقال: لو قامت القيامة لدخلنا الجنة. يقول: لذكرنا الله.

٣٤١٥- منصور بن زاذان.

صاحب الحسن وهو الذي روى عنه هشيم وأصحابه.

وكان ثقة ثبتا سريع القراءة. وكان يريد يترسل فلا يستطيع. وكان يختم في الضحى.

وكان يعرف ذلك منه بسجود القرآن. وكان قد تحول فنزل المبارك على تسعة فراسخ من واسط. قال يزيد بن هارون: ومات منصور سنة الوباء في الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة.

٣٤٠٩ التقريب (٢/ ٤٨٣) .

٣٤١٢ التقريب (٢/ ٤١٦) .

٣٤١٣ التقريب (٢/ ١١٥) .

٣٤١٥ التقريب (٢/ ٢٧٥) .." [١]

"(وغادرنا بنى الديان صرعى ... كأن رؤوس سادتها الغثاء)

(فغودر منهم لما التقينا ... بمعترك تمور به الدماء)

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢٢٦/٧

(أبو خلف وصاحبه ووهب ... ورداد وفارسهم عداء)

(وذو الرمحين أحمر قد أتاه ... فداء ثم إن نفع الفداء)

(تنادوا نحونا ودعوت قومى ... كلابا والأمور لها بداء)

(فآب لنا شريك حيث أبنا ... جنيبا لايراد به الغلاء)

(فأنعمنا هناك على شريك ... وكنا من سجيتنا الحباء)." (١)

"وروى عبد الله (١) بن محمد عن وهب بن جرير عن شعبة عن منصور بن الأشل حديثين.

١٤٨٩ - منصور بن صقير (٢) أبو النضر روى عنه محمد بن يحيى

١٤٩٠ - منصور بن عبد الرحمن البرجمي (٣) سمع أبا مجلز روى عنه وكيع.

١٤٩١ - منصور بن المعتمر (٤) أبو عتاب السلمي الكوفي سمع زيد بن وهب وأبا وائل وإبراهيم روى عنه سليمان التيمي والثوري، قال يحيى بن سعيد مات بعد السودان بقليل وجاء السودان سنة إحدى وثلاثين ومائة وكان من أثبت الناس.

١٤٩٢ - منصور بن زاذان الواسطي سمع الحسن وابن سيرين وقتادة روى عنه شعبة وهشيم، قال أحمد عن يزيد بن هرون مات **سنة الوباء في** الطاعون (يعني - ٥) سنة إحدى وثلاثين ومائة ويقال كان ينزل بالمبارك، مولى عبد الله بن (أبى - ٦)

---

(١) هو المسندى شيخ المؤلف يروى عن وهب وغيره ووقع في قط (عبيد الله) كذا - ح (٢) هكذا في صف والميزان قال (ويقال سقير) يعنى بالسين المهملة كما ضبطه عبد الغنى في المؤتلف ص ٦٥ وغيره وهو مقتضى القاعدة في ابدال الصاد سينا كما يقال صقر وسقر ووقع في قط وكتاب ابن ابى حاتم (سفين) وفى التهذيب (صقير ويقال ابن شقير) كذا - ح (٣) هكذا في قط وكتاب ابن ابى حاتم والثقات وغيرها وضبطه في التقريب ووقع في صف (البرنجلى) كذا - ح (٤) هكذا في قط وكتاب ابن ابى حاتم والثقات وغيرها ووقع في صف (النعمان) خطأ - ح (٥) من قط (٦) من قط ومثله في كتاب ابن ابى حاتم وغيره

---

(١) طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ٢/٧٨٦

- ح.

(*)."[1]

"١٤٩٢- منصور بن زاذان، الواسطي.

سمع الحسن، وابن سيرين، وقتادة.

روى عنه: شعبة، وهشيم.

قال أحمد، عن يزيد بن هارون: مات **سنة الوباء في** الطاعون، يعني سنة إحدى وثلاثين ومئة.

ويقال: كان ينزل بالمبارك.

مولى عبد الله بن أبي عقيل، الثقفي.." [2]

"١٦٧٩ - حدثني محمد بن زياد بن عبد الله قال توفي زياد بن سلم بن زياد بن أبي سفيان أبو المغيرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومات سلم بن زياد أبو حرب سنة خمس وسبعين وهو يتجهز للخروج إلى خراسان وسجستان وكان ولاه عبد الملك فدفن بالحديبية

١٦٨٠ - وقال يزيد بن هارون مات منصور بن زاذان **سنة الوباء في** الطاعون يعني سنة إحدى وثلاثين وطلبت الحديث وحصين بالمبارك يقرأ عليه وكان قد نسي سنة تسع وعشرين مولى عبد الله بن أبي عقيل الثقفي يعد من أهل واسط." [3]

"وقال لي إن كانت والدتك **في الغلاء تغزل** غزلا رقيقا فتبيع الأستار بدرهمين اقل أو اكثر فكان ذلك قوتنا

وكان قديما قبل أن نأخذ من السلطان يأكل عندنا وربما وجهنا بالشيء فيأكل منه

ودخل يوما إلى منزلي وقد غيرنا سقفا لنا فدعاني ثم أملى علي حديث الأحنف بن قيس قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن مسلمة عن يونس عن الحسن قال قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غير أسقف بيته حمر وشقا شق وخضروها فقالوا له أما ترى إلى سقف بيتك _ فقال معذرة إليكم أني لم أره لا ادخله حتى تغيروه

واعتلت من عيني ليلة فلم يزل عندي فقلت اللهم أني أسألك الصبر فقال سل الله العافية فان الصبر إنما

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٧/٣٤٦

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٧/٣٤٦

(٣) التاريخ الأوسط البخاري ٢/٣٠

يكون مع البلاء

وكان كتب إلى إسحاق بن راهوية

فكتب إلى إسحاق أن الأمير عبد الله بن طاهر وجه إلي

ودخلت عليه وفي يدي كتاب أبي عبد الله فقال ما هذا الكتاب _ فقلت كتاب احمد بن حنبل فقال هاته فأخذه فقرأه." (١)

"عبد الرحمن بن لبيبة روى عنه إبراهيم بن سعد

١٥٠١٨ - محمد بن عبد الله بن طاوس بن كيسان يروي عن أبيه روى عنه عمر بن يونس اليمامي

١٥٠١٩ - محمد بن إسماعيل بن طريح بن إسماعيل بن عبد بن أسير بن عمرو الثقفي الطائفي يروي عن أبيه عن جده روى **عنه الغلاء بن** الفضل البصري

١٥٠٢٠ - محمد بن صبيح بن السماك أبو العباس الكوفي القاص يروي عن الأجلح روى عنه محمد بن آدم المصيصي مستقيم الحديث وكان يعظ الناس في مجالسه

١٥٠٢١ - محمد بن عبد الله بن أبى حرة بن أخى حكيم الأسلمي يروي عن أبيه وعمه حكيم بن أبي حرة روى عنه عبد العزيز بن محمد الدراوردي

١٥٠٢٢ - محمد بن عبد الله بن أبي هدبة المديني يروي عن عمر بن عبد العزيز روى عنه يحيى بن سليم الطائفي

١٥٠٢٣ - محمد بن عبد الله الصراري من أهل المدينة وصرار موضع." (٢)

"شمس بن عبد مناف

ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاتها، دخلها يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومائة فجعل على شرطه حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي، ووقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربا **من الوباء أياما**، ثم قدم من الصعيد وخرج عن مصر لم يلها إلا نحوا من شهر.

حدثنا أبو بشر الدولابي، قال: حدثني معاوية بن صالح الأشعري، قال: أخبرني منصور بن أبي مزاحم، قال: سمعت أبا عبيد الله، يقول: " ولي هشام أخاه محمدا مصر.

---

(١) سيرة الإمام أحمد بن حنبل صالح بن أحمد ص/٤٢

(٢) الثقات لابن حبان ابن حبان ٩/٣٢

فقال له: أنا أليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها.

فقال: ذلك لك.

فوليها شهرا، فأتاه كتاب لم يعجبه، فرفض العمل وانصرف إلى الأردن، وكان منزله بها في قرية، يقال لها: ريسون، فكتب: أتترك مصر لريسون حسرة، ستعلم يوما أي بيعتك أربح، قد أدرك هشام مثل هذا.

فأجابه محمد: إني لست أشك في أن أربح البيعتين ما صنعت "

الحر بن يوسف بن يحيى.

بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها، دخلها لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة، فأقر حفص بن الوليد على شرطه، وفي إمرة الحر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطا، فانتقضت كورة تنو، وتمي، وقربيط، وطرابية، وعامة الحوف الشرقي،." (١)

"أبو عون عبد الملك بن يزيد

مولى هناءة من الأزد وهو من أهل جرجان ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد على صلاتها وخراجها باستخلاف صالح مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فجعل على شرطة عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم الخولاني، **ووقع الوباء بمصر**، فهرب أبو عون. . . واستخلف عكرمة على الفسطاط، وخرج أبو عون إلى دمياط في شوال سنة خمس وثلاثين ومائة، واستخلف عليها عكرمة بن قحزم وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد وخرج أبو مينا القبطي بسمنود، فبعث إليه بعبد الرحمن بن عتبة، فقتل أبو مينا.

وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر، وفلسطين، وإفريقية جمعوا له، ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبي العباس لغزو المغرب عليهم عامر بن إسماعيل.

صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الثانية

ثم وليها صالح بن علي بن عبد الله ولايته الثانية على صلاتها وخراجها، فدخلها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة، فجعل على شرطه بالفسطاط عكرمة بن عبد الله بن قحزم، وعلى شرطه بالعسكر يزيد بن هانئ الكندي من أهل جرجان.

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٥٦

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد جيوش المغرب، وقدم أمامه رجالا من أشراف أهل مصر دعاة لأهل إفريقية، منهم: قنبرة بن. . . . . بن عبد الرحمن بن معاوية بن." (١)

"أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد

وأجمع الرأي بعد وفاته على ولاية أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد، فحسنت سيرته، وأمر برفع الكلف والمؤن، وتعطيل المواخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونقص النيل، وكثر الغلاء في أيامه، واشتد حتى أكل الناس الجيف والكلاب.

ووافى الخبر من الرملة، بأن الحسن بن عبيد الله بن طغج خالف وأخذ البيعة لنفسه، وقبض على أموال كافور بالرملة، وجاء القائد جوهر على الفسطاط، فخرج الناس للقائه، فدخل بعد عصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وخطب للمعز يوم الجمعة على المنابر بمصر في السنة، وجلس جوهر للمظالم وأحسن السيرة، وجاء المعز من المغرب إلى الديار المصرية، فدخل يوم الثلاثاء سادس رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.." (٢)

"حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن الأزرق المعدل ، حدثنا محمد بن موسى بن عيسى الحضرمي ، حدثنا أبو محمد وفاء بن سهيل بن عبد الرحمن الكندي سنة ثلاث وستين ومائتين ، حدثنا إسحاق بن الفرات ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الأسود بن مالك الحميري ، عن بحير بن ذاخر المعافري قال: ركبت أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة وذلك آخر الشتاء بعد حميم النصاري بأيام يسيرة ، فأطلنا الركوع ، إذ أقبل رجال بأيديهم السياط ، يؤخرون الناس ، فقلت: يا أبه من هؤلاء؟ فقال: يا بني هؤلاء الشرط ، وأقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلا قصير القامة ، أدعج أبلج ، عليه ثياب موشية ، كأن بها العقبان تلق عليه ، وعليه عمامة وجبة ، فحمد الله وأثنى عليه ، حمدا موجزا وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس فأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الرحم ويأمر بالاقتصاد وينهى عن الفضول وكثرة العيال وقال في ذلك: يا معشر الناس إياي وخلالا أربعا ، فإنها تدعوا إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة، إياي وكثرة العيال وإخفاض الحال وتضييع العيال والقيل بعد القال، في غير درك ولا نوال، ثم إنه لا بد إلى فراغ يؤول المرء إليه في توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها فمن صار ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ولا يضيع المرء في

---

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٧٧

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/٢١٥

فراغه نصيب نفسه من العلم فيكون من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه عادلا يا معشر الناس إنه قد تدلت الجوزاء وركبت الشعراء وقلعت السماء **وارتفع الوباء وطاب** المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السمائم." (١)

"وقال خليفة بن خياط مات سنة ١٣٢ وقال ابن أبي شيبة مثله وقال ابن نمير مثله وقال عمرو بن علي مثله وأبو عيسى مثله وقال كاتب الواقدي مثله وقال الذهلي نا يحيى بن بكير مثله وقال البخاري قال أبو نعيم قيل مات بعد ما قدم السودان بسنة وقال الذهلي وفيما كتب إلي أبو نعيم مثله

١١٧١ - منصور بن زاذان ويقال كنية زاذان أبو المغيرة مولى عبد الله بن أبي عقيل أخو المغيرة الثقفي الواسطي كان ينزل المبارك سمع عطاء بن أبي رباح روى عنه هشيم في الحج قال البخاري وفضل الغلابي قال أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون مات **سنة الوباء في** الطاعون يعني سنة ١٣١ وقال البخاري ويقال مات سنة ١٢٩ وقال بحشل حدثني تميم بن المنتصر قال سمعت يزيد يقول مات في الطاعون سنة إحدى وثلاثين وقال الذهلي قال يحيى بن بكير مات سنة تسع وعشرين يعني ومائة وقال محمد بن سعد مثله

١١٧٢ - منصور بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن." (٢)

"١٣٤٥ - محمد بن عمر بن يزيد الزهري

أخو رستة، يكنى أبا عبد الله، حدث عن أبي داود، والحسين بن حفص، وبكر بن بكار، وغيرهم، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين في الوباء، وله اثنتان وتسعون سنة، وكان أصغر الأخوة.." (٣)

"وحساد فكذلك أنا أشرت عليكم به لأني لا أعرف مثله وأشرت عليه أن لا يفعل لأنه أسلم لدينه وحدثني الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي أن مولد أبي بكر أحمد بن علي كان في سنة خمس وثلاثمائة وأنه دخل بغداد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ودرس على أبي الحسن الكرخي ثم خرج إلى الأهواز ثم عاد إلى بغداد بعد أن **زال الغلاء وخرج** إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري برأي أبي الحسن الكرخي ومشورته وإن أبا الحسن مات وهو بنيسابور ثم عاد إلى بغداد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وأبو علي الشاشي عليل علة الموت فجلس للتدريس في مسجد أبي الحسن الكرخي وكان الموضع متماسكا ثم انتقل إلى سويقة غالب ودرس في درب المقير ثم انتقل في سنة ستين إلى درب عبدة ودرس في مسجد درب

---

(١) المؤتلف والمختلف للدارقطني الدارقطني ١٠٠٣/٢

(٢) رجال صحيح البخاري = الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد أبو نصر الكلاباذي ٧٠٩/٢

(٣) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان أبو نعيم الأصبهاني ١٥٧/٢

عبدة وكان يدرس في مسجد درب عبدة أبو سعيد البرذعي وفيه تفقه أبو الحسن الكرخي ودرس فيه أبو عمرو الطبري وأبو محمد سهل بن إبراهيم القاضي وبعدهما أبو علي الشاشي ثم الشيخ أبو بكر الرازي ثم شيخنا واستاذنا أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي وهو مسجدنا الذي ندرس فيه الآن ونرجو أن يلحقنا ومن يغشانا بركات هؤلاء الأئمة الذين سبقونا في الجلوس فيه

وتوفى الشيخ أبو بكر أحمد بن علي الرازي في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وصلى عليه الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي وألحده بيده وجلس في مسجده بعد أن كان أجلسه فيه حدود العشر سنين يدرس فيي آخر النهار فيه

فصار إمام أصحاب أبي حنيفة ومدرسهم ومفتيهم بعد وفاة أبي بكر أحمد بن علي الرازي شيخنا وإمامنا أبو بكر محمد بن الخوارزمي وما شاهد الناس مثله في حسن الفتوى والإصابة فيها وحسن التدريس وقد دعى إلى ولاية الحكم مرارا فامتنع منه وكان معظما في النفوس مقدما عند السلطان والعامة ولا يكاد يقبل لأحد من الناس برا ولا صلة ولا هدية وتوفى في ليلة الجمعة الثامنة." (١)

"بلغني: أن أبا الحسين بن مخزوم خرج إلى البصرة لما **اشتد الغلاء ببغداد** بعد سنة ثلاثين وثلاثمائة وأحسبه مات هناك، وكان مولده في سنة ثمان وستين ومائتين.

٣٠٢- محمد بن أحمد بن المطلب بن عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو أحمد الهاشمي:

حدث عن عبد الله بن محمد البغوي، ومحمد بن محمد [١] الباغندي، وأبى بكر ابن أبي داود، ومحمد بن هارون بن المجدر، وإسحاق بن محمد بن مروان الموفى، ويحيى بن محمد بن صاعد، وعمر بن محمد بن شعيب الصابوني. روى عنه أبو القاسم عبد الله بن عثمان الحصري.

وذكر أنه سمع منه في جامع المدينة إملاء في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

٣٠٣- محمد بن أحمد بن محمى، أبو بكر الجوهري [٢] :

سمع عبد الله بن محمد البغوي. حدثنا عنه أبو القاسم الأزهري، وأحمد بن محمد العتيقي، والقاضي أبو عبد الله الصيمري، ومحمد بن علي بن الفتح الحربي.

سألت الأزهري عنه. فقال: ثقة، سمعت منه في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، ومولده في سنة إحدى وثلاثمائة.

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه الصيمري ص/١٧٢

أخبرنا أحمد بن محمد العتيقي قال: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمى اللؤلؤي ثقة مأمون، توفى في شعبان سنة ثمانية وثمانين وثلاثمائة.

٣٠٤- محمد بن أحمد بن ممشاد، أبو بكر المؤدب:

حدث عن أبي عمرو بن السماك، ومحمد بن جعفر الأدمي القارئ [٣] وأحمد بن سلمان النجاد. حدثني عنه أحمد بن محمد العتيقي.

٣٠٥- محمد بن أحمد بن نعيم، أبو عبد الله النيسابوري:

نزل بغداد وحدث بها عن سلمة بن شبيب، وسفيان بن وكيع، ومحمد بن رافع، ومسلم بن الحجاج، روى عنه محمد بن عبد الله الصفار الأصبهانى ساكن نيسابور.

---

[١] ٣٠٢- ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] ٣٠٣- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ١٥/ ١١.

[٣] ٣٠٤- من هنا حتى نهاية الترجمة ساقط من المخطوطة.." (١)

"ذكر من اسمه معاوية

٧١٧٤- معاوية بن عبيد الله بن يسار، أبو عبيد الله الأشعري مولاهم:

كان كاتب المهدي أمير المؤمنين ووزيره، وإليه تنسب مربعة أبي عبيد الله بالجانب الشرقي وكان قد كتب الحديث، وطلب العلم، وسمع أبا إسحاق السبيعي، ومنصور ابن المعتمر، ونحوهما. روى عنه منصور بن أبي مزاحم، وكان خيرا فاضلا عابدا، وهو من أهل طبرية. وكان يكتب للمهدي قبل الخلافة وأمره كله إليه رسمه المنصور بذلك. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه.

أخبرنا الحسن بن الحسين النعالي قال: أخبرنا أحمد بن نصر بن عبد الله الذارع- بالنهروان- حدثنا سعيد بن معاذ الأبلي- بالأبلة- حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثني أبو عبيد الله صاحب المهدي قال: حدثني المهدي عن أبيه قال: حدثني عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: عارض النبي صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال: «وصلتك رحم، جزاك الله خيرا يا عم «[١] .

قرأت في كتاب أبي الحسن الدارقطني- بخطه- حدثني القاضي أبو الطاهر محمد ابن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بجير- بمصر- أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الملك السراج التاريخي قال: حدثني عيسى

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١/ ٣٨٠

بن أبي عباد قال: حدثني عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله قال: أبلى أبو عبيد الله مصليين، وأسرع في الثالث- أو ثلاثة وأسرع في الرابع- موضع الركبتين، والوجه، واليدين، لكثرة صلواته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين، وكان يلي ذلك مولى له. فلما **اشتد الغلاء أتاه** فقال:

قد غلا السعر فلو نقصنا من هذا؟ فقال: لأنت شيطان- أو رسول الشيطان- صيره كرين، فكان له في كل يوم بعد ذلك كران يخبزان للمساكين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت فلم يعبر عليها إلا من تبع جنازته من مواليه، واليتامى، والأرامل، والمساكين. ودفن في مقبرة قريش ببغداد وصلى عليه علي بن المهدي.

قلت: ومات في سنة سبعين، وقيل: سنة تسع وستين ومائة. وكان مولده في سنة مائة.

---

[١] ٧١٧٤- انظر الحديث في: الكامل لابن عدي ١/٢٥٩. والعلل المتناهية ٢/٤٢٢. وكنز العمال ٣٤٤٣. والبداية والنهاية ٣/١٢٥.." (١)

"وروى عن إبراهيم بن مخلد إلى أبى مصعب الأصم قال سئل مالك بن أنس عن قول عمر في العراق بها الداء العضال؟ قال: الهلكة في الدين ومنهم أبو حنيفة. لم يرد عمر رضي الله عنه بالداء العضال الهلكة في الدين كما ذكر مالك، إنما **أراد الوباء بدليل** قوله لا تسكنوا العراق فإن العرب لا تصلح إلا حيث يصلح البعير.

فاختطوا بأرض العرب. فاختط الناس الكوفة والبصرة فكتبوا إليه وإنا قد اختطينا بأرض كوفة، فسميت الكوفة. وبأرض بصرة فسميت البصرة.

وروى عن جعفر إلى مطرف أنه قال سمعت مالكا يقول الداء العضال الهلاك في الدين وأبو حنيفة من الداء العضال.

وروى عن ابن رزق إلى الوليد بن مسلم قال قال لي مالك بن أنس: أيتكلم برأي أبي حنيفة عندكم؟ قلت: نعم. قال: ما ينبغي لبلدكم أن يسكن.

وروى عن على بن المعدل إلى الوليد بن مسلم قال قال لي مالك بن أنس: أيذكر أبو حنيفة ببلدكم؟ قلت نعم. وقال ما ينبغي لبلدكم أن تسكن.

وروى عن على بن معدل إلى منصور بن مزاحم قال سمعت مالك بن أنس يقول- وذكر أبا حنيفة- فقال:

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٣/١٩٨

كاد الدين، كاد الدين.

وروى عن ابن رزق إلى منصور بن مزاحم قال سمعت مالك يقول: إن أبا حنيفة كاد الدين ومن كاد الدين فليس له دين.

وروى عن أحمد العتيقى إلى أبى محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عن أبيه عن بن أبي سريج قال سمعت الشافعي يقول سمعت مالك بن أنس- وقيل له أتعرف أبا حنيفة؟ فقال نعم ما ظنكم برجل لو قال هذه السارية من ذهب لقام دونها حتى يجعلها من ذهب وهي من خشب أو حجارة. قال أبو محمد: يعني أنه كان يثبت على الخطأ ويحتج دونه ولا يرجع إلى الصواب إذا بان له.

هذا لا يصلح أن يصدر عن مالك، لأن مالكا رضى الله عنه كان يثنى على أبى حنيفة وهو ما رواه الخطيب. قال: أنبأنا البرقاني أنبأنا أبو العباس بن حمدان لفظا حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أحمد بن الصباح قال سمعت الشافعي محمد بن إدريس قال قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته. وأما قول أبى محمد إن مالكا عنى أنه كان." (١)

"إن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في فيه ودعا له ٢٢٥/١

أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بعد السلام والكلام ٥٠/٣

أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى مرة في ثوب واحد كان صفيقا متزرا به، ومرة كان واسعا فصلى ملتحفا ٢٣٣/٢

أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بهرة ١٧٥/٣

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتي بالباكورة من الفاكهة وضعها على فيه، ثم وضعها على عينيه ٢٢١/١٤

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في الصيف خرج ليلة الجمعة، وإذا دخل في الشتاء دخل ليلة الجمعة ٤٣٥/١٤

أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المراجيح وأمر بقطعها ٢٠٠/١٢

أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتنابزين ١٩/٩

أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر الالوية ٤١١/١٤

إن الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها ٣٤٤/٧

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٧٠/٢٢

إن اليهود إذا سلموا عليكم، إنما أحدهم يقول السام عليكم، فقولوا وعليك ٢١١/٣
إن اليهود ليحسدونكم على السلام والتأمين ٤٤/١١
إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ٣٦٢/١٢
إن بايعتهم أربوك، وإن ائتمنتهم خانوك ٢٠٥/٣
إن بدا له أن يجلس فليجلس، فإذا قام فليسلم، فإن الأولى ليست بأحق من الآخرة ٦١/١٤
إن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، كلما ذهب نبي خلفه نبي، وإنه ليس كائن بعدي نبي ٩٣/٣
إن بيعكم يحضره الحلف والكذب؛ فشوبوه بالصدقة ٢٨٠/٥
إن بين يدي الساعة كذا بين فقال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي ما قال؟ قال فاحذروهم ١٩٨/١
إن تاب تاب الله عليه ١٧٠/١١
إن تاجرنا يحب الغلاء، ومسافرنا يكره المطر ١٠/٥
إن تسليمك على المسلم صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وصلاتك على الجنازة صدقة، وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة ١٠٦/٩
إن تعتمر خير لك ٣٣/٨
إن تعطها من غير مسألة تعن عليها وإنك إن تعطها عن مسألة توكل إليها ٤٥٠/٤
إن توضأنا عطشنا، فنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله: صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ١٣١/٩." (١)

"وحدث عن أبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص البغدادي وغيره
وكان من الحفاظ الكبار وكان فيه زهد وورع وكان يذهب إلى الإعتزال
٢٦٤ - بلغنا وفاة أبي الحسن سهل بن محمد القائيني الصوفي المعروف بالخشاب بمصر سنة سبع أربعين وأربعمئة
حدث بكتاب المدخل إلى الأكليل من تصنيف الحاكم أبي عبد الله بن البيع وكان يذهب إلى التشيع
٢٦٥ - بلغنا وفاة عبد الوهاب بن الحسين بن برهان الغزال المعروف بابن عجلان البغدادي بصور في سنة سبع وأربعين وأربعمئة
حدث عن جماعة من البغداديين ثقة وسماع حسن

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٩٨/٢٣

وقرىء على الكتاني كتب إلي أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازي الواعظ من مصر

٢٦٦ - (٥٣ ز) توفي ابوالفتح احمد بن بأبشاذ الجوهري الواعظ في شهر رمضان فجأة في الوباء سنة سبع وأربعين ودفن بقرب ذي النون وكان لينا." (١)

"٢٧١ - مات أبو الحسين عبد الملك بن اسماعيل بن علي الهلالي العدل الثقة في صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمئة في الوباء صلي عليه في النجار ودفن عند ذي النون

٢٧٢ - ومات في هذا التاريخ المذكور أبو الحسين بن بقا محمد بن الحسين بن بقا ابن بنت الشيخ أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ وكان يفهم

ودفن في هذا اليوم رحمهما الله وإيانا وكانا شيخين ثقتين

٢٧٣ - توفي أبو الفرج محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي الفقيه بدمشق يوم الجمعة أول يوم من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمئة

كتب الي أ [ونصر أحمد بن الحسن الشيرازي من مصر

٢٧٤ - مات أبو الطاهر محمد بن الحسين بن سعدون البغدادي بمصر في شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ودفن عند مسجد الأقدام

قال أبو نصر وكان شيخنا ثقة ما رأت عيناي مثله." (٢)

"منخلع من صالح الخصال، مترد في هوة السفال، لا يتحرز منه في حال من الأحوال، راكب للغي، مستميت على الإمارة، مطرح للنظر في العاقبة، شتيت الشمل، قليل الوفر، نزر العدد، حال البلد حاضر أهله، إلى من فارقوا من جاليهم، قد وقذه، ورجاله ورعيته طول ما صحبوا الغلاء وحالفوا المجاعة، يكاد يأسه يستولي على طعمه فيدفعه بالتوطي عن الكريهة، والتحكيم على متقلد خطة البغي في سوء العاقبة، قد مثل منتصبا لحظته، لابسا فؤاد القاسي فوق درعه، يكاثر بحور الحصى من فرط جهله، قد جمع محاشه عند شمرته لحربه، فما إن تتامت عدتهم مائتي فارس، أكثرهم مسوقون حاقدون معوقون مستقصرون، يشتري لهم القوت من السوق، مضيقا على رعيته، ويزدلف بهم في غد أيامهم، ويعدهم ثواب عاجل الطعن نسيئة على مستأخر النصر؛ قد علم ذلك من اختلال أحواله عدوه المتظاهرة قواه وعدده، فنزل بساحته نزول النظير له، المتكافئ العدة، متسنما ہضاب جبل البلد المسامتة لباب المدينة الجوفي، مهتضما وأحبشه اللهام،

(١) ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم الكتاني، عبد العزيز ص/١٩٧

(٢) ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم الكتاني، عبد العزيز ص/٢٠٠

بإنزاله إياهم ساترات تلك الأهضام، كالمتقدم بالاستظهار على مرهوب بيات الليل ومغافصة النهار، قد اقتصر من اللصوص بأهل البلد والموالاة لقتالهم على قفص يده لزروعهم؛ أطال بذلك حصار قرطبة، وأعداؤه يعجبون من طول كنفه لها، ويرونه لا محالة محروم المصال، مع ما يزجي من كتائب لو قادها." (١)

"فقرئ يوما عليه، في الموطأ اسم عمر بن حسين، في كتاب الزكاة. فقال سحنون: هذا كان يشاور في القضاء، أيام مالك. ثم قرأ القارئ، فبعد قليل، قال سحنون: كيف سحبت لكم الرجل، الذي كان يشاور في القضاء، أيام مالك. فقد نسيت اسمه. فسكت الناس. فقلت له أنا من موضع: هو عمر بن حسين أصلحك الله. فقال: بارك الله عليك. أحسنت يا غلام. من هذا الغلام؟ فعرف بي. قال: أحب أن أرى عليك زين العلم. ما ينبغي أن يمنع هذا العلم من أحد، فما أتيت الموعد الآخر، إلا وقد حلق رأسي، وكسيت ثياب العلماء. فلم أزل أتردد الى سحنون، وهو يقرئني حتى نفعني الله. وله تأليف في الرد على المخالفين من الكوفيين، وعلى الشافعي.

ذكر ولايته القضاء وشيء من سيرته

ولي ابن طالب، القضاء بالقيروان، مرتين، لما عزل سليمان، أول مرة ولي هو، ولاه ابراهيم بن الأغلب. وعظم قدره. وجعل إليه النظر في تركة جدته. فطلب ابن طالب، سليمان. فاستخفى عنه. فلما رأى ابراهيم ميل نفوس الناس الى ابن طالب، ومحبتهم له، لعدله وسماحته وعقله، وحسن سيرته، وعلمه، واستبشارهم بأيامه، لرخص السعر، وارتفاع الوباء، أيامه به، غار ابراهيم به، وخشيه." (٢)

"بلاد إذا ما أقبل الصيف جنة ... ولكنها عند الشتاء جحيم

وأول هذه القصيدة هو:

إذا همذان اعترها البرد وانقضى ... برغمك أيلول وأنت مقيم

وفي الهند والسند «١» : الجرب والحصبة، ولكي يسلموا فإنهم يطلون أسافلهم بطحين الشعير والبقلة الحمقاء والخل.

وفي قاسان: العقرب اللادغة.

وفي الموصل وديار ربيعة يوجد حيوان كحبة الباقلاء يقال له الجرادة، كل من عضه يموت في الحال.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢/٦١٢

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك القاضي عياض ٤/٣١٠

وكل من أقام بالموصل تزداد قوته في كل عام «٢» .
ومن أقام في التبت فإنه يكون ضاحكا منبسطا إلى أن يخرج منها «٣» ، كما أنه لا يهتم بمنفعته ولا يفكر فيها، وهذا بلاء عظيم.
وفي **طبرستان: الوباء والأمراض** المعدية، والأفاعي والعقارب التي لا حصر لها.
وفي بلخ: العقارب والقرحة البلخية.
وأما ماء طخارستان فإنه يصيب الفم بالورم.
وفي البحرين: عظم الطحال «٤» .." (١)
"والعقب منه أحمد. وكان أحمد المقرئ هذا جد جدي الإمام أبي القاسم عبد العزيز ابن يوسف النيسابوري.
والعقب من أحمد بن الحسين المقرئ، أبو علي يحيى وعلي، وكانا قد أقرءا جدي وأبي، كما كانا مؤذنين في مدرسة سرديه مقدمين على سائر قراء هذه الولاية.
[٢٥٢] والعقب من المقرئ أبي علي يحيى بن أحمد بن الحسين المقرئ، أحمد ومحمد. ولا عقب لأحمد، وتوفي في شهور سنة سبع وأربعين وخمس مئة.
والعقب من محمد، عين القراء أبو علي، وعلي.
والعقب من علي بن أحمد بن الحسين المقرئ: الفقيه الأديب أحمد بن علي، وهو من تلاميذ الإمام إدريس بن علي، والإمام الأجل أبي نصر القشيري، وكان في تحصيل العلوم كدودا، وله خلف غير خلف، ومن منظومه قوله:
ارحم عيالي وفقري واعتصام يدي ... بحبل ودك والإفلاس والأدبا
لئن غفرت ذنوبي يا مدى أملي ... ما عاد شخصي إلى مثل الذي اكتسبا
توفي في شهور سنة تسع وأربعين وخمس مئة، **في الوباء العارض** بيبهق أعاذنا الله منه.
إسماعيل بن محمد الحنفي البيهقي «١»
من منظومه:
كريم رأى التقصير في الزور فاعتذر ... وما رابني شك به غاب أو حضر." (٢)

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/١٢٨
(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٤٥١

"قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول *كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله (١) قال وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول وقال السروي صوته يقول وقال الحاكم فيقول (٢) * ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل * اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة (٣) وأمية بن خلف انتهى حديث ابن عبد الحكم وزاد سعيد كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة

[٢٦٣٤] أخبرنا أبو القاسم الشحامي أخبرنا أبو سعد الجنزرودي أخبرنا أبو أحمد الحافظ أنا أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ القهستاني (٤) حدثنا يحيى بن سليمان بن نضلة حدثني مالك يعني ابن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة وعك أبو بكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبة كيف تجدك قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول *كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله * وكان بلاك إذا أقلع عنه يرفع عقيرته فيقول * ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل *

---

(١) البيت في اللسان (صبح)

(٢) البيتان في اللسان (جلل) منسوبان لبلال

(٣) الزيادة عن م وانظر مختصر ابن منظور ٥ / ٢٥٩

(٤) في المطبوعة المجلدة العاشرة ص ٣٢٠ " حدثنا

" باعتباره خبرا جديدا والصواب ما أثبتناه " انتهي حديث ابن عبد الحكم " فالكلام تابع

(٥) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وأضيف عن م وانظر الانساب وهذه النسبة إلى قهستان ناحية بخراسان بين هراة ونيسابور فميا بين الجبال." [١]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٥٠/١٠

"نصر أنا أبو الميمون بن راشد ثنا أبو يزيد بن محمد نا أبو مسهر نا عبد الرحمن بن عامر عن زرعة بن ثوب أنه أدرك وكان في خاتمه مكتوب لكل عمل ثواب نا زرعة بن ثوب

٢٢٤٨ - زرعة بن روبية روى عن عمر مرسلا روى عنه هشام بن سعد المدني أنبأنا أبو غالب محمد بن محمد بن أسد أنا أبو الحسن الطيوري أنا أبو بكر عبد الباقي بن عبد الكريم بن عمر الشيرازي وأخبرنا أبو سعد بن الطيوري في كتابه أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي إجازة قالا أنا عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن حبة أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة حدثني جدي يعقوب نا أصحابنا عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد قال فحدثني زرعة بن روبية الدمشقي أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامله بالشام إذا **وقع الوباء بأرض** فاكتب إلي فلما **وقع الوباء بالشام** كتب إليه فأقبل حتى قدم ولا أعرف زرعة هذا ولم يذكره البخاري ولا ابن أبي حاتم وأظنه عروة بن رويم أخطأ فيه بعض الرواة

٢٢٤٩ - زرعة بن موسى أبو العلاء الطبراني النصراني (١) كاتب الأمراء بني ملهم له شعر حسن ذكره أبو الحسن محمد بن الحسن بن الكفر طابي الدمشقي الشاعر قرأت بخط أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الشاعر كتب إلي الشيخ أبو العلاء زرعة بن موسى الكاتب (٢) :

---

(١) ترجمته في بغية الطلب ٨ / ٣٧٩٠

(٢) الخبر والبيتان في بغية الطلب ٨ / ٣٧٩٠." [1]

"منها بأرخص ثمنا امرأة من حور العين إنما صداقها كسرة يطعمها أحدكم مسكينا أو سجود ركعتين هذا والله أيسر عليكم من هذا الثمن كله أخبرنا أبو يعلى حمزة بن الحسن بن الفرج أنا أبو الفرج سهل بن بشر الإسفرايني أنا أبو الحسن علي بن ربيعة بن علي بن ربيعة البزاز نا الحسن بن رشيق نا الحسين بن حميد الغافقي نا زهير بن عباد الرواسي حدثني أبو حفص المدني قال قال أبو حازم خصلتان ما تركتهما (١) منذ عرفت الله عز وجل إخلاص العمل وتركي للطمع فيما بيني وبين خلق الله عز وجل أنبأنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم الحافظ (٢) نا عبد الله بن محمد نا خالي عبد الله بن محمود عن عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس (٢) قال سمعت أبي يذكر أنه بلغه عن أبي حازم أنهم أتوه فقالوا له يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر قال وما يغمكم من ذلك إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا **في الغلاء أخبرنا** أبو

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٢/١٩

بكر محمد بن شجاع ومحمد بن جعفر بن مهران قالا أنا أبو عمرو بن منده أنا الحسن بن محمد بن أحمد بن يوسف أنا أبو الحسن اللبناني نا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال قال أبو حازم الأيام ثلاثة فأما أمس فقد انقضى عن الملوك نعمته وذهبت عني شدته وإني وإياهم من غد لعلى وجل وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي نا علي بن المبارك الصنعاني نا محمد بن إسماعيل الصنعاني نا سفيان قال قال أبو حازم لجلسائه وحلف لهم لقد رضيت منكم أن يبقي أحدكم على دينه كما يبقي على نعله (٤)

أخبرنا أبو الحسن زيد بن الحسن بن زيد الموسوي العلوي بطوس قال سمعت الشيخ الزاهد خادم الفقراء أبا إسحاق إبراهيم الفارسي التركي قال سمعت

(١) بالاصل: " تركتها " والمثبت عن م

(٢) الخبر في حلية الاولياء ٣ / ٢٣٩

(٣) في الحلية: حبيش

(٤) الخبر في حلية الاولياء ٣ / ٢٣٩ وفيها: " على نعليه " وسير الاعلام ٦ / ٩٨." (١)

"إبراهيم بن عبد الله بن خرشيذ قوله نا الحسين بن إسماعيل الحاملي إملاء أنا الفضل بن يعقوب الرحامي نا الفريابي عن سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله قال قال النبي (صلى الله عليه وسلم) ما أنزل الله عز وجل داء إلا وله دواء فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر أنبأنا أبو علي الحداد ثم أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا يوسف بن الحسن قالا أنا أبو نعيم نا عبد الله بن جعفر نا يونس بن حبيب نا أبو داود الطيالسي نا شعبة عن مخارق قال سمعت طارق بن شهاب يقول قدم وفد بجيلة على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال ابدءوا بالأحمسين ودعا لنا (١) أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الحواري في كتابه وحدثنا عنه أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرادي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قراءة عليه نا أبو عبد الله الحافظ نا علي بن حمشاذ نا بشر بن موسى نا الحميدي نا سفيان عن أيوب بن عائذ الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أتانا كتاب عمر لما **وقع الوباء بالشام** فكتب عمر إلى أبي عبيدة إنه قد عرضت لي إليك حاجة لا غنى لي عنها فقال

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٠/٢٢

أبو عبيدة يرحم الله أمير المؤمنين يريد بقاء قوم ليسوا بباقين قال ثم كتب إليه أبو عبيدة إني في جيش من جيوش المسلمين لست أرغب نفسي فلما قرأ الكتاب استرجع فقال الناس مات أبو عبيدة قال لا وكأن وكتب إليه بالعزيمة وأظهر من أرض الأزد فإنها عمقة وبئة إلى أرض الجابية فإنها نزهة ندية فلما أتاه الكتاب بالعزيمة أمر مناديه أذن في الناس بالرحيل فلما قدم إليه ليركب وضع رجله في الغرز ثم ثنى رجله فقال ما أرى داءكم إلا وقد أصابني قال ومات أبو عبيدة **ورفع الوباء عن** الناس وقد روى سفيان عن أيوب بن عائذ أيضا عن قيس عن طارق قصة قدوم عمر بن الخطاب الشام وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته

(١) نقله ابن حجر في الإصابة ٢ / ٢٢٠ وفيه: بالأحمسيين

ودعا لهم

(٢) كذا وفي مختصر ابن منظور ١١ / ١٦٢ الأردن." (١)

"وروى شعبة عن قيس **قصة الوباء فزاد** في إسنادها أبا موسى الأشعري أخبرنا بها أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر بن الطبري أنا أبو الحسين بن الفضل أنا عبد الله بن جعفر نا يعقوب نا آدم عن شعبة نا قيس بن مسلم قال سمعت طارق بن شهاب عن أبي موسى الأشعري قال كنا مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام فوقع الطاعون وذكر الحديث قال فذهب أبو عبيدة ليركب فوجد وحره فطعن فمات وانكشف الطاعون أخبرنا أبو البركات الأنماطي وأبو العز الكيلي قالا أنا أبو طاهر أحمد بن الحسين زاد أبو البركات وأبو الفضل بن خيرون قالا أنا محمد بن الحسن أنا أبو الحسين الأهوازي أنبأ أبو حفص بن أحمد نا خليفة بن خياط (١) قال ومن نجيلة وهم ولد أنمار بن إراش طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جشم بن نفر بن (٢) عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث من ساكني الكوفة رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وروى عنه (٣) أحاديث ليس فيها سماعا مات سنة اثنين (٤) وثمانين أخبرنا أبو بكر اللفتواني أنا أبو عمرو بن منده أنا الحسين بن محمد بن يوسف أنا أحمد بن محمد بن عمر أنا أبو بكر بن أبي الدنيا (٥) ثنا محمد بن سعد قال في تسمية من نزل الكوفة من الصحابة طارق بن شهاب الأحمسي رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد روى عن أبي بكر أخبرنا أبو طالب بن يوسف وأبو نصر ابن البنا في كتابيهما قالا قرئ على أبي محمد الجوهري ونحن نسمع عن أبي عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٢/٢٤

نا محمد بن سعد (٦) قال في الطبقة الأولى من أهل الكوفة بعد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن

---

(١) طبقات خليفة بن خياط ص ١٩٦ و ١٩٧ رقم ٧٣٥

(٢) بالأصل: عن

(٣) زيادة عن طبقات خليفة

(٤) كذا بالأصل

(٥) الخبر برواية ابن أبي الدنيا ليس في الطبقات الكبرى المطبوع لابن سعد

(٦) طبقات ابن سعد ٦ / ٦٦." [١]

"عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر (١) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح أخبرناه عاليا أبو المظفر بن القشيري أنا أبو سعد الجنزرودي أنا أبو عمرو بن حمدان ح وأخبرناه أبو سهل بن سعدوية أنا إبراهيم سبط بحروية أنا أبو بكر بن المقرئ قالا أنا أبو يعلى نا أبو هشام وهو الرفاعي نا أبو أسامة نا عمرو بن حمزة عن سالم عن ابن عمر عن عمر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال إن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح أخبرنا أبو الحسن بن قبيس نا وأبو منصور بن خيرون أنا أبو بكر الخطيب أنا الحسن بن أبي بكر أنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي أنا عبيد الله بن محمد بن يحيى بن فضاء (٢) الجوهري نا سليمان الشاذكوني نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الجراح بن منهال (٣) عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم عن عبد الله بن الأرقم سمع عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إن لكل أمة أمينا وأمين أمتي أبو عبيدة بن الجراح أخبرنا أبو علي الحسن بن المظفر أنا أبو محمد الجوهري وأخبرنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو علي بن المذهب قالا أنا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد (٤)

حدثني أبي أنا أبو المغيرة وعصام بن خالد قالا نا صفوان عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا لما بلغ عمر بن الخطاب سرع (٥) حدث أن بالشام وباء شديدا قال بلغني أن **شدة الوباء بالشام** فقلت إن أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح حي استخلفته فإن سألني الله عز وجل لم استخلفته على أمة محمد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٣/٢٤

(صلى الله عليه وسلم) قلت إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) بعدها في المطبوعة: " عن عمر " واللفظتان سقطتا من الأصل وم

(٢) في المطبوعة: " بن قضاء "

(٣) في المطبوعة: المنهال

٤ - () مسند الإمام أحمد ط دار الفكر ١ / ٤٨ رقم ١٠٨

(٥) في م: سرغ وفي المسند بالعين المهملة كالأصل والغين لغة فيه." [(١)]

"إلي وإن أتاك نهارا (١) فإني أعزم عليك أن تمسي حتى تركب إلي فقال أبو عبيدة قد علمت حاجة أمير المؤمنين التي عرضت وأنه يريد يستبقني من ليس بباق فكتب إليه إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم وإني قد علمت حاجتك التي عرضت لك وأنك تستبقي من ليس بباق فإذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمتك وائذن لي في الجلوس فلما قرأ عمر كتابه فاضت عيناه وبكا فقال له من عنده يا امير المؤمنين مات أبو عبيدة قال لا كأن قد قال فكتب إليه عمر إن الأرض أرضك إن الجابية أرض نزهة (٢) فاظهر بالمهاجرين إليها قال أبو عبيدة حين قرأ الكتاب أما هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه قال فأمرني أن أبوئ الناس منازلهم قال فطعنت امرأتي فجئت إلى أبي عبيدة فقلت قد كان في أهلي بعض الغرض شغلني عن الوجه الذي بعثتني إليه قال لعل المرأة أصيبت فقلت أجل فانطلق هو يبوئ الناس منازلهم وأمرني أن أرحلهم على أثره فطعن أبو عبيدة حين أرسله فقال لقد وجدت في قدمي وخزة فلا أدري لعل هذا الذي أصابني قد أصابني فانطلق أبو عبيدة (٣) فبوأ الناس منازلهم وارتحل الناس على أثره وكان انكشاف الطاعون وتوفي أبو عبيدة رحمة الله عليه (٤)

أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أنا محمد بن أحمد بن أبي جعفر الطبسي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الصدفي أنا الحسن بن محمد بن حليم أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه أنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر كتاب إلى أبي عبيدة في الطاعون الذي وقع بالشام إنه عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها فإذا أتاك كتابي هذا فإني أعزم عليك إن أتاك ليلا أن لا تصبح حتى تركب (٥) وإذا أتاك نهارا أن لا تمسي حتى تركب الي فلما قرأ الكتاب قال: قد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٦٠/٢٥

(١) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدرك عن م

(٢) أي بعيدة **عن الوباء** (اللسان)

(٣) ما بين معكوفتين سقط من الأصل واستدرك عن م

(٤) بعدها كتب في العبارة التالية: آخر السادس بعد الثلثمائة

(٥) بالأصل وم: يركب." (١)

"٣٧٠٥ - عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب بن نفيل أبو عمر القرشي العدوي الخطابي (١) حدث عن (٢) مقسم مولى ابن عباس ومسلم بن يسار (٣) ومكحول وعن حفصة بنت عمر مرسلا ومحمد بن سعد بن أبي وقاص روى عنه الحكم بن عتيبة (٤) وزيد بن أبي أنيسة ومحمد بن مسلم الزهري وإسحاق بن راشد الجرري ويزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الهمداني وحفص بن عمر بن ثابت الأنصاري وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة ووفد عليه أخبرنا أبو محمد هبة الله بن سهل بن عمر وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم قالا أنا أبو عثمان البحيري أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا إبراهيم بن عبد الصمد نا أبو مصعب نا مالك (٥) عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ (٦) لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه **أن الوباء قد** وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم واستشارهم وأخبرهم **ان الوباء قد** وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر وما نرى أن نرجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا ترى أن تقدمهم على **هذا الوباء فقال** ارتفعوا عني ثم قال ادع (٧) لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا

---

(١) ترجمته وأخباره: نسب قريش للمصعب ص ٣٦٣ جمهرة ابن حزم ص ١٥١ تهذيب الكمال ١١ / ٥٨ وتهذيب التهذيب ٣ / ٣٢٦ تقريب التهذيب الوافي بالوفيات ١٨ / ٧٠ وسير الاعلام ٥ / ١٤٩ ومصادر أخرى يرد ذكرها أثناء الترجمة

(٢) في المطبوعة: " حدث عن ابن عباس ومقسم

" وقد ورد في تهذيب الكمال وسير أعلام النبلاء أنه حدث عن ابن عباس

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٨٤/٢٥

(٣) بالاصل وم: بشار والمثبت عن تهذيب الكمال وسير الاعلام

(٤) الاصل وم: " عيينة " والصواب عن تهذيب الكمال

(٥) الحديث في موطأ مالك باب ما جاء في الطاعون رقم ١٦١٢

(٦) قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز

(٧) بالاصل وم: " ادعوا " والمثبت عن موطأ مالك." [١]

"كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع إلي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعاهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى (١) أن نرجع بالناس ولا نقدمهم على **هذا الوباء فنادى** عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو (٢) عبيدة بن الجراح أفرار من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر (٣) من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كانت لك إبل كثيرة فهبطت واديا له عدوتان (٤) إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقوموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف (٥) أخبرنا أبو القاسم زاهر (٦) بن طاهر أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن أنا محمد بن محمد بن أحمد أنا محمد بن سليمان نا سويد يعني ابن سعيد نا مالك (٧) يعني ابن أنس عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن ابن بشر (٨) أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

---

(١) عن م وبالاصل: ترى

(٢) عن م والموطأ وبالاصل: أبا

(٣) عن م والموطأ وبالاصل: يفر

(٤) عدوتان مثنى عدوة وهي جانب الوادي

(٥) قبله ورد في المطبوعة وقد سقط من الاصل وم وتعميما للفائدة نثبته هنا وروايته: أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد أخبرنا شجاع بن علي الصوفي أخبرنا محمد بن إسحاق بن مندة أخبرنا أحمد بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٨/٣٤

محمد بن إبراهيم نا محمد بن مسلم بن زرارة نا سعيد بن عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب حدثني أبي عبد الكبير عن عمي عمر بن عبد الحميد عن جدي عبد الحميد بن عبد الرحمن قال: أتينا عبد الله بن عباس وهو مسند ظهره إلى سارية من سواري مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وانتسب إليه فقال لي أنت ابن العامرية؟ قلت: نعم فأخذ بيدي وأداني منه حتى لصقت ركبتي بركبته فقلت: يا عم أخبرني عن الوضوء فقبض يده ثم بسطها وقال: سألت عمك عم بن الخطاب عن الوضوء فقبض علي يدي وقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء ففعل مثل ذلك وقال: الوضوء ثلاثا ثلاثا

قال ابن مندة: هذا حديث غريب بهذا الاسناد

(٦) " زاهر بن " استدركت على هامش م

(٧) الحديث في موطأ مالك باب النهي عن القول بالقدر ح رقم ١٦١٨

(٨) عن م والموطأ وبالاصل: بشار." (١)

"علي السمسار قالا أنا ابراهيم بن عبد الله بن محمد نا أبو عبد الله المحاملي نا يوسف بن موسى نا جرير عن عاصم بن سليمان عن أبي منيب الحرشي قال خطبنا معاذ بن جبل حين وقع الطاعون فقال ان هذا الأمر رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم اللهم آت آل معاذ حظهم من هذا الأمر فنزل فوجد ابنه بالموت فقال يا أبت " الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " قال فقال معاذ " ستجدني ان شاء الله من الصابرين " أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر انا أبو بكر البيهقي انا أبو عبد الله الحافظ وأبو زكريا بن أبي اسحاق قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر نا ابن وهب نا عثمان بن عطاء عن أبيه أن معاذ بن جبل قام في الجيش الذي كان عليه حين **وقع الوباء فقال** للناس هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وكمت الصالحين قبلكم فبينا هو كذلك إذ أتي فقيل له قد طعن ابنك عبد الرحمن فلما رأى أباه معاذا قال يقول عبد الرحمن يا أبت " الحق من ربك فلا تكونن (١) من الممترين " قال يقول معاذ " ستجدني ان شاء الله من الصابرين " قال فمات من الجمعة الى الجمعة آل معاذ كلهم ثم كان هو آخرهم أخبرنا أبو محمد بن طاوس انا أبو الغنائم بن أبي عثمان أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه املاء نا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الواعظ المضري نا محمد بن اسماعيل السلمي نا أبو صالح حدثني الليث بن سعد حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن عبد الله بن زياد ان عبد الكريم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٩/٣٤

بن الحارث أخبره عن عبد الرحمن بن معاذ انه لما حضرته الوفاة اتاه معاذ فقال يا بني انه الحق المبين فقال أجل يا أبت " فلا تكن من الممترين " فقال اني لأرجو ان شاء الله أن تكون من الفائزين ثم أقبل معاذ على القوم فقال اني سأخبركم عن شئ سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمعته يقول من شهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مخلصا كانت آخر كلامه عند الموت وجبت له الجنة

[٧٢٤٢]

---

(١) الأصل: تكن." (١)

"قال سألت أبا صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري عن وفاة أبي سعد فقال في سنة ست وأربعمائة

٤٢٥١ - عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي ولي إمرة دمشق للوليد بن يزيد بن عبد الملك وولى الجندلة أيضا وكان قد خرج عن دمشق **لأجل الوباء فلذلك** تم ليزيد بن الوليد الناقص تدبيره في الوثوب بدمشق قرأت علي أبي الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب الميداني أنا أبو سليمان بن زبر أنا عبد الله بن احمد بن جعفر أنا محمد بن جرير (١) حدثني أحمد بن زهير نا علي بن محمد قال وافى يزيد وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف **فخاف الوباء فخرج** فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي فاجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل إن يزيد خارج فلم يصدق قال (٢) وحدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن عمر بن مروان الكلبي حدثني قسيم (٣) بن يعقوب ورزين بن ماجد وغيرهما قالوا وجه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد (٤) في مائتي فارس أو نحوهم ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف وقد تحصن في قطنا فأعطاه الأمان وخرج إليه أخبرنا أبو غالب بن الحسن أنا أبو الحسن السيرافي أنا أحمد بن إسحاق نا أحمد بن عمران نا موسى نا خليفة (٥) قال في تسمية عمال الوليد بن يزيد الخراج والجند عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ثم ولى الحجاج بن عمير

٤٢٥٢ - عبد الملك بن محمد بن صدقة القرشي من اهل دمشق له ذكر في كتاب احمد بن حميد بن ابي العجائز

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٤٠/٣٥

(١) تاريخ الطبري ٧ / ٢٤٠ حوادث سنة ١٢٦

(٢) تاريخ الطبري ٧ / ٢٤٢

(٣) عن تاريخ الطبري وبالاصل وم: قثم

(٤) بياض بالاصل واللفظة استدركت عن م وتاريخ الطبري

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٦٧." [١]

"أحدهما ينال (١) الحق أو بعضه وهو ضعيف والاخر يجوز (٢) الحق ويبعد منه وهو قوي وقوله وإن جرعة شروب أنفع من عذب موب والشروب من الماء هو الملح (٣) الذي يشربه الناس إلا عند الضرورة والموبى (٤) الضار المدخل **في الوباء وهو** المرض والحرف مهموز فترك همزته لتقابل به الحرف الذي قبله وهذا أيضا مثل ضربه لرجلين أحدهما أرفع وأضر والاخر أدون وأنفع وقوله فإن الحيلة بالمنطق أبلغ من السيوف في الكلم يريد أن القليل من القول مع التلطف فيه أبلغ من الهذر وكثرة الكلام بغير رفق ولا تلطف والسيوب ما سيب وخلي أن يساب أي يذهب ومنه سمي الرجل السائب وقوله لا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم أي لا تغلوا حدكم بالاختلاف وضرب المدى مثلا وهي جمع مدية والفلول تكسر يصيب حدها وقوله ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثأركم أي توجدوه الوتر في أنفسكم يقال وترت فلانا أصبته بوتر وأوترته أوجدته ذلك أي أظفرتـه به (٥) والثار العدو لأنه موضع الثار وقوله تولتوا أعمالكم أي تنقصوها يريد إنه كانت لهم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعمال في الجهاد فإذا هم تركوه واختلفوا نقصوها وفيه لغتان يقال لاته يليته ليتا إذا نقصه وبهذه اللغة ورد قول الله " لا يلتكم من أعمالكم شيئا " (٦) وكان من دعاء أم هاشم السلولية الحمد لله الذي لا يلات ولا يعات ولا تشتبه عليه الأصوات واللغة الأخرى ألات يليت وبهذه اللغة ورد قول الله " وما ألتناهم من عملهم من شئ " (٧) والحرف في الحديث تولتوا كأنه من أولت يولت أو الت يؤلت إن كان مهموزا ولم أسمع بهذت اللغة إلا في هذا الحديث وقوله فبنهيه يرعون أيكفون يقال ورعت فلانا عن كذا فتورع وورع إذا كانت كففته فكف ومنه الورع في الدين وقوله قلدوا أمركم رحب الذراع فيما ينزل (٨) أي واسع الذراع عند الشدائد يجود ويعطي ويبسط يديه بالعطاء

---

(١) تقرأ بالاصل وم: يبال: والمثبت عن المختصر والمطبوعة

(٢) رسمها بالاصل وم: (- حور) والمثبت عن المختصر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧/٩٥

(٣) كذا بالاصل وم والمختصر وفي المطبوعة: المالح

(٤) الاصل وم: أو الموبي والمثبت عن المختصر

(٥) ما بين معكوفتين زيادة عن المطبوعة

(٦) سورة الحجرات الآية: ١٤

(٧) سورة الطور الآية: ٢١

(٨) غير واضحة بالاصل وفي م والمختصر: نزل." (١)

"* لبث (١) الصباح وأسلمته ليلة * طالت كأن نجومها لا تبرح موصولة بجناح أخرى مثلها * حتى يرى الدو الفئام النوح عطلن أيديهن ثم تفجعت * ليل (٢) التمام بهن عبرى يصدح وحليلة رزئت وأخت وابنة * كالبدر تنظره عيون لمح لا يبعد ابن يزيد سيد قومه * عند الحفاظ وحاجة تستنجح حامي الحقيقة لا تزال جياده * تغدو مسومة به وتروح (٣) للحرب محتسب القتال مشمر * بالدرع مضطمر الحوامل سرح ساد العراق وكان أول وافد * تأتي الملوك به المهاري الطلح * * **يعطي الغلاء بكل** مجد يشترى * إن المعالي بالمكارم أربح * حدثني أبو محمد بن الأكفاني أن عبد العزيز بن أحمد أجاز له أنا أبو الحسين الميداني أنا أبو سليمان بن زبر أنا أبو محمد الفرغاني نا محمد بن جرير الطبري قال ثم دخلت سنة تسع ومائة فيها قتل عمر بن يزيد الأسيدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود وكان سبب ذلك فيما ذكر أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب مسلمة بن عبد الملك وقال هذا رجل العراق فغاظ ذلك خالدا وأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ولا يعصى له أمرا حتى يعرفه الناس ثم أقبل يعمل (٥) عليه حتى يقتله ففعل ذلك فذكر يوما عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز فافترى عليه مالك فقال له عمر بن يزيد تفتري على عبد الأعلى فأغلظ له مالك وضربه بالسياط حتى قتله وبلغني من وجه آخر أن مالكا أخذ عمر بن يزيد ثم أمر به فلويت عنقه ثم أخرجوه ليلا إلى السجن فجعل رأسه ينقلب والأعوان (٦) يقولون له قوم رأسك فلما أتوا به

---

(١) الاصل وم: ليث وفي الأغاني: لبس والمثبت: لبث عن " ز "

(٢) الأصل وم و " ز ": ليلي والمثبت عن الأغاني

(٣) سقط البيت من الأصل واستدرك عن م و " ز " والأغاني

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣٠/٤٢

(٤) راجع خبر مقتله في تاريخ الطبري ٧ / ٤٦ حوادث سنة ١٠٩
(٥) كذا بالأصل وم و " ز " وفي الطبري: يعتل عليه
(٦) الأصل: والأعواني والمثبت عن م و " ز "." (١)

"يا معشر الناس إنه قد تدلت الجوزاء وركبت (١) الشعرى وأقلعت السماء **وارتفع الوباء** (٢) وطاب (٣) المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السمائم (٤) وعلى الراعي (٥) حسن النظر فحيي بكم على بركة الله على ريفكم فنالوا (٦) من خيره ولبنه وخرافة (٧) وصيده وأربعوا بخيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها حياتكم (٨) من عدوكم وبها تنالوا مغانمكم وأثقالكم واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيرا وإياي والمشمومات المفسدات (٩) فإنه تفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثني عمر أمير المؤمنين عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إن الله سيفتح عليكم بعدي مصرا فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منها صهرا وذمة فكفوا أيديكم وفروجكم وغضوا أبصاركم فلأعلمن ما أتاني رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة للكثرة الأعداء حولكم ولإشراف قلوبكم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة حدثني عمرة أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال له أبو بكر ولم ذاك يا رسول الله قال لأنهم في رباط إلى يوم القيامة فاحمدوا ربكم معشر الناس على ما أولاكم وأقيموا (١٠) في ريفكم ما بدا لكم فإذا يبس العود وسحق (١١) العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد فحي على

---

(١) كذا بالأصل وم وفي فتوح مصر: وذكت
(٢) الأصل وم: الوفاء والمثبت عن فتوح مصر
(٣) قبل: " وطاب المرعى " في فتوح مصر: وقل الندى
(٤) في فتوح مصر: ودرجت السخائل
(٥) في فتوح مصر: وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر
(٦) الأصل وم: فتناولوا والمثبت عن فتوح مصر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٩١/٤٥

(٧) تقرأ بالأصل: " وموافقه " وبدون إعجام في م والمثبت عن فتوح مصر

(٨) في م: " حيتكم " وفي فتوح مصر: جنتكم

(٩) في فتوح مصر: والمعسولات

(١٠) في فتوح مصر: فتمتعوا في ريفكم

(١١) في فتوح مصر: وسخن العمود." (١)

"إياها فأتى ببدرتين فدفعتها إلى الشيخ فأنشأ الشاب يقول ابتعت ظبية بالغلاء وإنما * **يعطي الغلاء بمثلها** أمثالي وتركت أسواق (١) القباح لأهلها * إن القباح وإن رخصن غوالي * أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالا أنا أبو الغنائم محمد بن علي الدجاجي أنا إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل بن محمد نا أبو علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي نا أحمد بن أبي خيثمة أنا أحمد بن إسماعيل أبو حذافة أنا الأصمعي حدثني حسن الوصيف الحاجب حاجب المهدي قال كنا بزبالة إذا أعرابي يقول يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك إني عاشق قال وكان يحب ذكر العشاق والعشق فدعا الأعرابي فلما دخل عليه قال سلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم قعد فقال له ما اسمك قال أبو مياس قال يا أبا مياس من عشيقتك قال ابنة عمي وقد أبى أن يزوجنيها قال لعله أكثر منك مالا قال لا بل أنا أكثر منه مالا قال فما القصة قال ادن مني رأسك قال فجعل المهدي يضحك وأصغى (٢) إليه رأسه فقال إني هجين (٣) قال ليس يضرك ذاك إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن يا غلام علي بعمه قال فأتي به فإذا أشبه خلق الله بأبي مياس كأنهما باقلاة فلقت فقال المهدي ما لك لا تزوج أبا مياس وله هذا اللسان والأدب وقرابته منك قرابته قال إنه هجين قال فإخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن فليس هذا مما ينقصه زوجها منه قد أصدقتها عنه عشرة آلاف درهم قال قد فعلت فأمر له بعشرين ألف درهم فخرج أبو مياس وهو يقول * ابتعت ظبية بالغلاء وإنما * **يعطي الغلاء بمثلها** أمثالي وتركت أسواق القباح لأهلها * إن القباح وإن رخصن غوالي * أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن أحمد المروزي نا أبو بكر بن خلف إملاء نا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي حدثني محمد (٤) بن أحمد بن حماد نا أحمد بن علي نا أبي نا الحسين بن علي الأزدي نا محمد بن عمر الجرجاني عن المفضل بن محمد الضبي

---

(١) كذا بالاصل ود وفي " ز ": أشراف

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦٣/٤٦

(٢) أي أماله

(٣) الهجين: العربي ابن الامة

(راجع اللسان)

(٤) بالاصل: " أحمد بن محمد " وفوق اللفظتين علامتا تقديم وتأخير والمثبت يوافق د و " ز "." [١]

"مأمون بن أحمد السلمي نا مقاتل بن سليمان نا جعفر بن هارون الواسطي عن سمعان بن المهدي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول الله تعالى ما من عبد من عبادي تواضع لي عند خلقي إلا وأنا أدخله جنتي وما من عبد من عبيدي تكبر عند حقي إلا وأنا أدخله ناري

[١١٩٠٣] وبهذا الإسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى (١) ما من عبد من عبادي استحيا من الحلال إلا ابتلاه الله بالحرام

[١١٩٠٤] قال ابن عساكر (٢) هذان الحديثان منكران إسنادا ومتنا وفي إسنادهما غير واحد من المجهولين وأبو العلاء ليس هو ممن الحديث من شأنه أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن محمد الفقيه نا أبو افتح نصر بن إبراهيم أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن داود البابي (٣) حدثني أبي أنا أبو نصر منصور بن الفرج أنا أحمد بن محمد بن حمكان أنا عمر بن يمن نا عبدان بن إبراهيم نا مأمون بن أحمد السلمي نا أحمد بن عبد الله الشيباني نا بشر بن السري عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من تمنى على **أمتي الغلاء ليلة** واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة

[١١٩٠٥] حدثنا خالي أبو المعالي محمد بن يحيى القاضي أنا أبو روح ياسين بن سهل بن محمد بن الحسن الفقيه المعروف بالخشاب قراءة عليه بدمشق قال سمعت أبا منصور محمد بن أحمد بن منصور القاني أنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ثم قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ قال وقيل لمأمون بن أحمد الهروي ألا ترى إلى الشافعي وإلى من تبع له بخراسان فقال حدثنا أحمد بن عبد الله نا عبد الله بن معدان الأودي عن أنس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكر حديثا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٣/٤٤٠

(١) زيادة لازمة اقتضاها المعنى عن مختصر ابن منظور وهي فيه مستدركة أيضا بين معكوفتين

(٢) زيادة منا للإيضاح

(٣) كذا رسمها." (١)

"عبيد الله مصليين وأسرع في الثالث أو ثلاثة وأسرع في الرابع موضع الركبتين والوجه والقدمين (١) لكثرة صلاته وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين وكان يلي ذاك مولى له فلما **اشتد الغلاء أتاه** فقال قد غلا السعر فلو نقصنا من هذا فقال أنت شيطان أو رسول الشيطان صيره كرين فكان له في كل يوم بعد ذلك كران يخبزان للمساكين وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت فلما يعبر عليها إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين ودفن في مقبرة قريش ببغداد وصلى عليه علي بن المهدي أخبرنا أبو القاسم النسيب وأبو الوحش المقرئ إذنا عن رشأ بن نظيف ونقلته من خطه أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيبخت البغدادي نا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي نا أحمد بن إسماعيل الخصيبي نا سويد بن عبد العزيز عن أبيه قال وصف رجل أبا عبيد الله كاتب المهدي فقال ما رأيت أوقر من حلمه ولا أطيش من قلمه (٢) أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالا أنا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر المخلص نا أحمد بن سليمان نا الزبير بن بكار (٣) حدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال بعث أبو عبيد الله إلى عبد الله بن مصعب يعني ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير في أول ما صحب أمير المؤمنين المهدي بألفي دينار فردها وكتب إليه إني لا أقبل صلة إلا من خليفة أو ولي عهده قال الزبير وجدت في كتاب من كتب محمد بن سلام بعث أبو عبيد الله إلى عبد الله بن مصعب بألفي دينار صلة وعشرين ثوبا فلم يقبلها وكتب إليه أن لو كان قابلا من سوى الخليفة قبلها وكتب إليه أصلحك الله وأمتع بك ما لسببك ومناحتك آخيناك ولا لاستقلال ما بعثت به والسخط له كان ردنا إياه عليك ولكنا آخيناك وددناك وشكرناك لفضلك ونبلك وقسم الله لك في رأيك ومعرفتك ورعايتك حق ذوي الحقوق ولقد أصبحت عندنا بالمنزل الذي لا يزيدك فيه صلة وصلتنا بها ولا يضرك ردناها

---

(١) في تاريخ بغداد: واليدين

(٢) الخبر في تاريخ الاسلام

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤/٥٧

(١٦١ - ١٧٠) ص ٥٥١ وفيه: " أوفر
أغزر "
(٣) رواه الذهبي في تاريخ الاسلامي
ص ٥٥١." [١]

"قال معاوية يوما لحاجبه ائذن لناجد بن سمرة أخي بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فقال الآذن لناجد قم فادخل فلما دخل تناول رجل ثوب ناجد فقال لا والله لا تدخل وأنا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولي السن عليه فرجع الحاجب فأخبره فقال ما صفة الذي منعه فوصفه قال ذلك واثلة بن الأسقع أخو بني بكر ائذن لهما فأذن لهما فلما دخلا قال معاوية خل ثوب ابن أخيك قال يا معاوية لم أذنت له قبلي وأنا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولي السن عليه قال معاوية إني وجدت برد أسنانك بين يدي ووجدت يده ترفع ذلك البرد قال فصاح به واثلة واعجباه أتأخذ بإيثار الجاهلية في الإسلام قال لا أخذت الذي يقول * أغرك إن كانت لبطنك عكنة * وإنك مكفي بمكة طاعم * فقال معاوية أرسله * إذا جاءك البكري يحمل قصبه * فقل قصب كلب صدته وهو نائم * فقال واثلة * فما منع العير الضروط ذماره * ولا منعت مخزاه والده ا هند * فقال معاوية * نزلت قديدا فالتوت بذراعها * يكر كل أطلح أفحج * (١) قال وأسفاه قال معاوية واسوأتاه أجهلتنا وأجهلناك وأسأنا إليك ولنا المقدرة عليك ارفع حاجتك
٧٨١١ - نازوك (٢) ولي إمارة دمشق في خلافة المقتدر في سنة سبع وثلاثمائة ودخلها في رجب من هذه السنة فكان واليها إلى سنة تسع وثلاثمائة **فكان الغلاء في** أيامه وكان الولي قبله تكين (٣) الخاصة فعزل بتكين أيضا فمضى إلى بغداد فدخلها يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت

---

(١) الافحج الذي في رجليه اعوجاج وقيل المتباعد ما بين الفخذين وقيل: المتباعد ما بين أوساط الساقين من الانسان والدابة (تاج العروس: فحج)
(٢) ترجمته في تحفة ذوي الالباب ١ / ٣٤٠ وأمراء دمشق ص ٩١
(٣) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٩٥ والوافي بالوفيات ١٠ / ٣٨٦." [٢]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥٣/٥٩
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧٩/٦١

"وأسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها ودعا لها وأسكنها بالحرم فمسح يده وبارك عليها فقال بارك الله فيك وفي سبيلك وجعلك محببة (١) أنيسة فمن ثم أشغف بها الناس ودعا لنسلها فقال جعل الله في نسلك شفاء للمريض وتحفة للصحيح " ثم خرج فنزل قردى (٢) وبازبدى (٣) بأرض الموصل وهي قرية الثمانين لأنه نزل في ثمانين فوقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوح وسام وحام ويافث ونساءهم ستة وسابعهم نوح وطبقت الدنيا منهم وذلك قوله " وجعلنا ذريته هم الباقين (٤) " (٥) أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسن (٦) بن الحسين أنا أبو الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي إجازة حدثني أبو العلاء علي بن أحمد بن موسى الأهوازي نا علي بن إسحاق يعني ابن البختري المادراني نا عمر بن مدرك الرازي نا سهل بن عثمان أبو مسعود نا خالد الزيات قال بلغنا أن نوحا ركب السفينة أول يوم من رجب وقال لمن معه من الجن والإنس صوموا هذا اليوم فإنه من صامه منكم بعدت عليه النار مسيرة سنة ومن صام منكم سبعة ايام أغلقت عنه أبواب النار السبعة ومن صام منكم ثمانية أيام (٧) فتحت له أبواب الجنة الثمانية ومن صام منكم عشرة أيام قال الله له سل تعط ومن صام منكم خمسة عشر يوما قال الله تعالى له استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى ومن زاد زاده الله فصام نوح في السفينة رجب وشعبان ورمضان وشوال وذا القعدة وذا الحجة وعشرا من المحرم فأرست السفينة يوم العاشوراء فقال نوح لمن معه من الجن والإنس صوموا هذه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم وحواء قال خالد الزيات وهو اليوم الذي تاب الله فيه على قوم يونس ورفع عنهم العذاب وهو اليوم الذي فرق الله فيه البحر لبني إسرائيل فنجى الله فيه موسى ومن معه وغرق فرعون وآل فرعون وهو اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم

---

(١) الاصل وم: " نحيبة " والمثبت عن " ز "

(٢) قردى قرية في شرقي دجلة وفي أعمالها (معجم البلدان)

(٣) بازبدي قرية في غربي الجزيرة (معجم البلدان)

(٤) سورة الصافات الاية: ٧٧

(٥) راجع تاريخ الطبري ١ / ١٨٩

(٦) الاصل: الحسين والمثبت عن " ز " وفي م: " أبو الحسن علي بن الحسين "

(٧) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم واستدرك عن " ز "." [1]

---

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٢/٢٦٤

"الروم فأقام بدير سمعان (١) ووجه الجنود وتلك غزوة الطوانة (٢) **فأصابهم الوباء فقال** يزيد ابن معاوية (٣) : أهون علي (٤) بما لاقت جموعهم * يوم الطوانة (٥) من حمى ومن موم إذا اتكأت (٦) على الأنماط مرتفقا * بدير سمعان (٧) عندي أم كلثوم

فبلغ معاوية ما قال فقال أقسم بالله لتلحقن بهم حتى يصيبك ما أصابهم فألحقه بهم قال ونا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن عمر العنبسي عن مفتي بن عبد الله بن عنبسة عن أبيه قال (٨) : تزوج الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية أم عثمان بنت سعيد بن العاص فولدت له أبا سفيان وأبا عتبة وهي أم سعيد ورملة ابني خالد بن عمرو بن عثمان فقيل لسعيد بن خالد: اخطب أمه فأتى أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر يخطبها وهي بادية بظهر ذنبة (٩) عليها قبة نمور قد اشترت غشاءها بألف دينار فأتاها وهو غلام يرعد فقال أحب أن تزوجيني نفسك وهي يومئذ كبيرة قد قيدت فاها بالذهب فقالت مرحبا بابن أخي لو كنت متزوجة أحدا من قريش لتزوجتك إن أمك امرأة شابة وأنا عجوز كبيرة وإن هذا شئ لا يصنعه نساء قريش أبدا قيل لك تزوج أمه كما تزوج أمك انطلق يابن أخي

---

(١) دير سمعان: هو بظاهر أنطاكية وهو غير الدير الذي يقع بنواحي دمشق راجع معجم البلدان ٢ / ٥١٧ و ٥٣٤

(٢) الطوانة: بلد بثغور المصيصة وهي بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس (معجم البلدان)

(٣) البيتان في معجم البلدان (الطوانة) ونسب قريش ص ١٣٠ ومعجم البلدان (دير مران وغذقذونة) والاغاني ١٧ / ٢١٠ والبيت الثاني في أنساب الاشراف ٥ / ٣٠٣

(٤) في الاغاني: فما أبالي بما

(٥) الاغاني: بالقذقذونة

(٦) الاغاني: إذا أرتفعت

(٧) الاغاني وأنساب الاشراف: بدير مران

(٨) الخبر باختلاف الرواية في أنساب الاشراف ٥ / ٣٩٣ طبعة دار الفكر

(٩) ذنبة في أكثر من موضع كما في معجم البلدان والمراد هنا موضع بعينه من أعمال دمشق." (١)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٠/٧٠

"حنبل، قلت: هو إمام؟ قال: إي والله، إن أحمد صبر على الفقر سبعين سنة.

أخبرنا إسماعيل ومحمد، قالا: أخبرنا حمد، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا علي بن أحمد، والحسن بن محمد، قالا: حدثنا محمد ابن إسماعيل، قال: حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي: بلغني أن أحمد الدورقي أعطى ألف دينار، فقال: يا بني (ورزق ربك خير وأبقى). وذكرت له ابن أبي شيبة، وعبد الأعلى النرسي، ومن قدم به إلى العسكر من المحدثين، فقال: إنما كانت أياما قلائل، ثم تلاحقوا، وما نحلوا منها بكثير شيء. وذكر عنده يوما رجل فقال: يا بني، الفائز من فاز غدا ولم يكن لأحد عنده تبعة.

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر، قال: أنبأنا عبد العزيز بن جعفر، قال: أخبرنا أحمد بن محمد الخلال، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبو جعفر القطان – ويعرف بابن أبي القدور – قال: كان **أيام الغلاء يجيئني** أبو عبد الله بغزل ويستره أبيعه له، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف، وربما بعته بدرهمين، فتخلف يوما فلما جاء قلت: يا أبا عبد الله، لم تجئ الأمس، فقال: أم صالح اعتلت. ودفع إلي غزلا بأربعة دراهم، فجئت بها، فأنكر ذلك، وقال: لعلك زدت فيه من عندك؟ قلت: لا، ما زدت فيه من عندي؛ كان غزلا دقيقا.." (١)

"أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا علي بن عبد العزيز بن مردك، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدثنا صالح بن أحمد قال: قال أبي: كانت والدتك **في الغلاء تغزل** غزلا دقيقا، فتبيع الإستار بدرهمين – أقل أو أكثر – فكان ذلك قوتنا.

قال صالح: ودخل أبي يوما إلى منزلي، وقد غيرنا سقفا لنا، فدعاني ثم أملى علي، فقال: حدثني سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يونس، عن الحسن، قال: قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غيروا سقف بيته، حمروا شقاشق وخضروها قال: فقالوا له: أما ترى إلى سقف بيتك؟ فقال: معذرة إليكم إني لم أره، لا أدخله حتى تغيروه.

قال صالح: واشتريت جارية، فشكت إليه أهلي، فقال: قد كنت أكره لهم الدنيا، وكان بلغني عنك الشيء، فقالت له: يا عم، ومن يكره الدنيا غيرك؟ قال لها: فشأنك إذن.

قال صالح: وكنا ربما اشترينا الشيء فنستره عنه كي لا يراه فيوبخنا على ذلك.

---

(١) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/٣٣٠

أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أخبرنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر، قال: أنبأنا عبد العزيز بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد الخلال، قال: أخبرني أبو بكر المروذي، قال: رأيت أحمد بن عيسى." (١)

"٣٦٧- أحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفي المعروف بالخلال: قاضي قضاة الشرق فقيه، محدث من أهل بيت جلالة ورياسة وفضل واشتمال على الغرباء، سمع علي الحافظ أبي علي الصدفي وغيره، وحدث بمرسية وكان كهفا للغرباء في وقته، توفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ومولده عام ثمان وتسعين وأربعمائة.

٣٦٨- أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي

فقيه محدث، يروى عن أبي علي الصدفي.

٣٦٩- أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، أبو القاسم

من أهل بيت فقه وعلم، توفى سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

٣٧٠- أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري، ثم البلنسي، عرف بابن اليتيم

سكن مالقة وحدث بها عن ابن ورد وابن أبي أحد عشر وابن وضاح أبي عبد الله وغيرهم.

٣٧١- أحمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي، أبو بكر

من أهل الجزيرة شقر، زاهد ورع فاضل أديب، من أهل بيت جلالة ورياسة وتقدم، كان ملجأ للفقراء والمساكين، أخبرني ابنه الفقيه قال وقع إلى تسمية الأملاك التي باعها أبي في الفقراء والمساكين فدفعت أثمانها فوجدت أربعة وعشرين ألف دينار سوى ما أغفل منها فلم يكتب. وأخبر بعض أصحابنا عنه أنه رحل إلى قرطبة واستفتى جميع من بها هل يخرج من جميع ماله وينقطع إلى الله عز وجل أم يبقى فيه وكيلا للفقراء والمساكين [...] وكان قد صحب أبا العباس الأقلشي [...] فلما **كان الغلاء المفرط** في سنة أربعين وخمسمائة كان أبو العباس قد أعد ستين دينارا نفقة للحج فقدمها على طعام، ووجه أبو بكر وكيله بعد أن أنفذ ما عدده وقال له: خذ لي دينارا على طعام فأخذ له ستة دنانير على الفقير، فرد أبو بكر القمح

---

(١) مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي ص/٣٣١

وهو يساوي دون الأربعة دنانير وصارت الستون دينارا التي كانت لأبي العباس أربعين وأنفق أبو بكر ما أخذه." (١)

"ضمان على عينيك قتلي وإنما ... ضمان على عيني أن تبكيا دما

ليفدك ما أسأرت مني فإنها ... حشاشة صب أزمعت أن تصرما

قال: ثم قرأت بعد ديوان البحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددة فيه.

قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة ان قوله تعالى:

يريد أن ينقض

(الكهف: ٧٧) لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها ولكن أبي المولدون إلا أنها سرقة.

قلت: لو قال في موضع «أضحي» من البيت الأول «أمسي» كان أجود ليقابل به «أصبح» ، ولو قال في البيت الثاني «وقد يشتفي بالآل من شفه الظما» كان أحسن في الصنعة وأجود.

[٦٩٨] عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي،

أبو الفتح النحوي: هكذا ينسبونه وهو من بلد «١» التي تقارب الموصل. ذكره العماد في «كتاب الخريدة» فقال: انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة يتردد إلى الزبداني للتعليم، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظي بها، ورتب له صلاح الدين يوسف بن أيوب على جامع مصر جاريا يقرىء به النحو والقرآن حتى مات بها لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وهي آخر **سني الغلاء الشديد** بمصر، لأن أولها كان في أواخر سنة ست وأشدها في سنة سبع وأخفها سنة تسع. وبقي البلطي في بيته ميتا ثلاثة أيام لا يعلم به أحد لاشتغالهم بأنفسهم عنه وعن غيره، وكان يحب الانفراد والوحدة، فلم يكن له من يخبر بوفاته، وكان قد أخذ النحو عن أبي نزار وأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان.

قال المؤلف: لم يذكر العماد وفاته، وإنما أخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو

---

[٦٩٨]- ترجمة البلطي في الخريدة (قسم الشام) ٢: ٣٨٥ وانباه الرواة ٢: ٣٤٤ والفوات ٢: ٤٤٣ وبغية الوعاة ٢: ١٣٥ (وهو ينقل عن ياقوت) ، وانظر معجم البلدان «بلط» .." (٢)

---

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/١٦٨

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٦٠١

"بهذا الاسم لأن ثمانين نفرا خرجوا من السفينة وبنوها، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردى وبازبدى بأرض الموصل، وهي قرية الثمانين، ثم وقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوح وسام بن نوح وحام ويافث ونساؤهم وطبقت الدنيا منهم، فذلك قوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين

(الصافات: ٧٧) .

[٨٦٣]

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني أبو القاسم:

يلقب دومى، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وكان في عصره. وله كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة رأيتها بخطه في وقف جامع حلب. وله كتاب القوافي. كتاب اللغات (ذكرهما ابن النديم) .

[٨٦٤]

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن حرنقا:

كان كاتبا مليح الخط محظوظا منه، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك، وخطه مشهور عند كتاب الآفاق معروف، مات في ما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ودفن في داره بدرب الدواب، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحد قبله، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال حدثني أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار إمامية «١» ، من جملة ذلك دواة بازهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بسبعمائة «٢» دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكر وما شاكل ذلك.

---

(٨٦٣) - ترجمة الزعفراني في الفهرست: ٩٢ والوافي ٢٢: ٤٤٥ وبغية الوعاة ٢: ٢١٧.

(٨٦٤) - ترجمة غلام ابن حرنقا في الوافي ٢٢: ٤٥٥.." (١)

"- باب العزيري والعزيزي والغزنوي

-

أما العزيزي بضم العين وفتح الزاي وكسر الراء فهو

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٠٩٢/٥

٤٣٩٥ - محمد بن عزيز السجستاني تقدم ذكره في باب عزير

وأما العزيزي مثله إلا أنه بزاي مكررة فهو

٤٣٩٦ - أبو الخير عمر بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن عزيزة الأصبهاني تقدم ذكره وأخوه

٤٣٩٧ - عبد الله بن محمد بن عزيزة حدث عنهما أبو موسى محمد بن عمر الحافظ في مصنفاته فقال حدثنا العزيزيان

وأما الغزنوي بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون وكسر الواو فهو

٤٣٩٨ - أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الفقيه الحنفي حدث عن القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي وإسماعيل بن السمرقندي وأبي الفضل الأرموي وابي الفتح الكروخي وغيرهم وكان ثقة صحيح السماع توفي بمصر **في الغلاء سنة** سبع وتسعين وخمسمائة." (١)

"٤١٥٠- عياض بن عبد الله المدني

(د ع) عياض بن عبد الله بن أبي ذباب [١] المدني.

روى الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن عمه عياض بن عبد الله بن أبي ذباب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل المسجد يصلي، فقام رجل يصلى بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر الحديث.

أخرجه ابن منده، وأبو نعيم.

٤١٥١- عياض بن عبد الله الضمري

(س) عياض بن عبد الله الضمري.

أورده العسكري علي بن [٢] سعيد في الصحابة.

وروى [٣] يزيد بن أبي حبيب أن الزهري كتب يذكر أن عياض بن عبد الله الضمري أخبره أنهم تذاكروا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطاعون، فقال: أرجو أن لا يطلع علينا من نقبها [٤] . أخرجه أبو موسى.

٤١٥٢- عياض بن عمرو الأشعري

(ب د ع) عياض بن عمرو الأشعري.

سكن الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أبي عبيدة، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي

---

(١) إكمال الإكمال لابن نقطة ابن نقطة ٣١١/٤

سفيان، وشرحبيل بن حسنة. روى عنه الشعبي، وسماك بن حرب، وحصين بن عبد الرحمن السلمي.

---

[١] في المطبوعة، والإصابة ٣/ ٤٩، ٥٠: «ذئاب» بالهمزة مكان الباء الموحدة. والمثبت عن المشتبه ٢٨٣، قال الذهبي:

«وسعد بن أبى ذباب، له صحبة. ومن ذريته: الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب المدني» . وقد تقدمت ترجمة سعد بن أبى ذباب برقم ١٩٨٩: ٢/ ٣٤٧.

[٢] في المطبوعة: «أورده العسكري على أبى سعيد» . وهو خطأ. والعسكري هو: أبو الحسن على بن سعيد الحافظ.

أحد أركان الحديث. روى عن محمد بن بشار وطبقته، وتوفى سنة ٣٠٠ بخراسان. ينظر العبر للذهبى: ٢/ ١١٤.

[٣] في الإصابة ٣/ ٤٥: «ذكره أبو سعيد العسكري في الصحابة، وأخرج من طريق الليث، عن يزيد بن أبى حبيب ... » .

[٤] أخرجه الإمام أحمد عن أبى كامل، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن ابن عم لأسامة بن زيد- يقال له:

عياض، وكانت بنت أسامة تحته- قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل خرج من بعض الأرياف، حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء، قال: فأفزع ذلك الناس، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني لأرجو أن لا يطلع علينا نقابها يعنى المدينة» ، قال عبد الله بن الإمام أحمد: «قال أبى: وحدثناه الهاشمي ويعقوب، وقالا جميعا:

إنه سمع أسامة» . ينظر المسند: ٥/ ٢٠٧.

كذا ورد لفظ المسند: «يطلع علينا نقابها» ومثله في النهاية لابن الأثير، مادة: نقب. وفي الإصابة: «من نقابها» .

وفي النهاية: النقاب: جمع نقب، وهو الطريق بين الجبلين. أراد أنه لا يطلع إلينا من طرق المدينة، فأضمر على غير مذكور.." (١)

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٤/٢٦

"شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات سنة ثلاثين. قاله الواقدي، وكناه أبا سعيد. وكذلك قال أبو معشر، وسماه «معمر بن أبي سرح» . وسماه موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وابن الكلبي: «عمرو بن أبي سرح» ، إلا أن ابن الكلبي قال في نسبه: «هلال بن مالك بن ضبة» . فجعل «مالكا» عوض «أهيب» . وقد ذكرناه في عمرو [١] .

أخرجه أبو عمر، وأبو موسى.

٥٠٤٠- معمر بن عبد الله بن نضلة

(ب د ع) معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي.

وقال ابن المديني: هو معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة.

وهو معمر بن أبي معمر: أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وتأخرت هجرته إلى المدينة، وقدمها مع أصحاب السفينتين من الحبشة [٢] عاش عمرا طويلا. يعد في أهل المدينة. هو الذي حلق شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

روى عنه سعيد بن المسيب، وبسر بن سعيد [٣] .

أخبرنا إسماعيل وإبراهيم بن محمد قالا بإسنادهما إلى أبي عيسى محمد بن عيسى: حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن سعيد بن المسيب، عن معمر بن عبد الله بن نضلة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحتكر إلا خاطئ» [٤] . قلت لسعيد إنك تحتكر قال: ومعمر كان يحتكر [٥] . أخرجه الثلاثة.

---

[١] تقدمت ترجمته برقم ٣٩٢٩: ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩.

[٢] سيرة ابن هشام: ١/ ٣٢٨، ٢٥/ ٣٦١، والطبقات الكبرى لابن سعد: ٤/ ١/ ١٠٢، ١٠٣.

[٣] في المطبوعة: «وبشر بن سعيد» . والصواب «بسر بن سعيد» . ينظر التهذيب: ١/ ٤٠٠.

[٤] أي: الاعاص آثم. والاحتكار: إمساك الطعام عن البيع **وانتظار الغلاء مع** الاستغناء عنه وحاجة الناس إليه.

[٥] تحفة الأحوذي، أبواب البيوع، باب ما جاء في الاحتكار، الحديث ١٢٨٥: ٤/ ٤٨٤- ٤٨٦. وقال الترمذي، «وإنما روى عن سعيد بن المسيب أنه كان يحتكر الزيت، والخبط [أي: علف الدواب] ونحو

هذا. وفي الباب عن عمر، وعلى، وأبى أمامة، وابن عمر. حديث معمر حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا احتكار الطعام، ورخص بعضهم في الاحتكار في غير الطعام» .." [١]

"(١٠٦ - أحمد بن عبد الوهاب [٤٣٦ - ٤٩٣])

ابن موسى الشيرازي، أبو منصور الواعظ الشافعي.

نزيل بغداد.

ذكر ابن الهمذاني في " تاريخه " سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة، وقال: **وقع الوباء بالعراق**، ومات فيه أبو منصور ابن الشيرازي الواعظ، قرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ورزق من العامة القبول ببغداد.

وذكره أبو سعد السمعاني، فذكر أنه حدث عن: أبي الحسن أحمد بن محمد الزعفراني المؤدب، وأبي محمد الجوهري، وغيرهما.

سمع منه: أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ بذات عرق، وأبو محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي الحافظ، وغيرهما.

وحكى عن ابن ناصر أنه أساء الثناء عليه، وقال: كان يغسل الموتى.

ومات سنة الجرف سنة ثلاث وتسعين، طعن من روائح المتى الذين غسلهم.." [٢]

"ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينقلون إلى غيره ففعل سنان ذلك وانتهى أصحاب إلى سورا والغالب على أهلها اليهود فكتب سنان إلى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب أصحابه عليه من السواد بأن اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم وأنه لا يعلم بما يجيبهم به إذ كان لا يعرف رأيه في أهل الذمة وأعلمه أن الرسم في بيمارستان الحضرة قد جرى للملي والذمي فوقع الوزير توقيعا نسخته فهمت ما كتبت به أكرمك الله وليس بيننا خلاف في أن معالجه أهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجيب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل أهل الذمة فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل أكرمك الله على ذلك واكتب إلى أصحابك به ووصى بالتنقل في القرى والمواضع التي **فيءا الوباء الكثيرة** الأمراض الفاشية وإن لم يجدوا بذرقة توقفوا عن المسير

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٤/٤٦٠

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ابن الصلاح ١/٣٤٨

حتى يصح لهم الطريق ويصلح السبيل فإنهم إذا فعلوا هذا وفقوا إن شاء الله تعالى.

وفي سنة ست وثلاثمائة أشار سنان بن ثابت هذا على المقتدر بأن يتخذ بيمارستان ينسب إليه فأمره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام وسماه البيمارستان المقتدري وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار.

وفي أول محرم سنة ست وثلاثمائة فتح سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى وجلس فيه ورتب المتطببين وكانت النفقة عليه في كل شهر ست مائة دينار على يدي يوسف بن يحيى المنجم لأن سنانا لم يدخل يده في شيء من نفقات البيمارستان.

ولسنان تصانيف جيدة وكان قويا في علم الهيئة وله في ذلك أشياء ظاهرة تغني عن الإطالة بذكرها ومن تصانيفه ما نقل من خط المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي.

رسالة في تاريخ ملوك السرياني. رسالة في الاستواء. رسالة إلى بجكم. رسالة إلى ابن رائق. رسالة إلى علي بن عيسى الوزير. الرسائل السلطانيات والإخوانيات. رسالة في النجوم. رسالة في شرح مذهب الصابئين. رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ورجل آخر. رسالة في الفرق بين المترسل." (١)

"القاسم- ونقلته من خطه: وبعض حساد هؤلاء القوم يرميهم بالدعوة، ويقول انهم موالي اسحاق بن أيوب التغلبي وذلك باطل، وأصله أن كثيرا منهم أسلموا على يد اسحاق هذا فتطرق القول عليهم لأجل ذلك، وقد قال الشاعر:

إن العرانيين «١» تلقاها محسدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

قال الوزير: وحدثني أبي قال: سألت الحسين بن بكر الكلابي النسابة- قال:

وكان أحفظ خلق الله لأنساب العرب وأخبارها ومثالبها ومناقبها- عن السبب في استرذال العرب غنيا وباهلة فقال: والله ان فيهما لفضلا غزيرا وفخرا كثيرا، غير أنه غمرهما فضل أخويهما: فزارة وذبيان من غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وكذلك أصغر من في ولد حمدان أكبر من كبراء غيرهم.

قلت: من قال انهم موالي اسحاق بن أيوب فالظاهر أراد أنهم موالي الموالاه لأن الذين أسلموا على يده موالي موالاة لا موالي عتاقة.

قلت: وكان حمدان بن حمدون من الكرماء الأجواد، والشجعان الشداد، وممن له ذكر في الغزو والجهاد،

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/١٥١

وقد بنى سور ملطية وأنفق عليه سبعين ألف دينار، وقد ذكره أبو الحسن محمد بن عبد الملك الهمذاني المؤرخ في «كتاب عنوان السير في محاسن أهل البدو والحضر» فقال: تغلب حمدان بن حمدون بن حارث بن لقمان ابن راشد التغلبي (٢٧٥- و) على دارا «٢» ونصيبين، وتحصن بقلعة ماردين، فخرج اليه المعتضد بالله، ووقف على بابها وقال: يا حمدان افتح الباب ففتحه وجلس المعتضد بالله، فأمر بنقل ما فيها وهدمها، ثم رضي عن حمدان وأمره على ما تغلب عليه، وكان أهل الموصل وديار بكر قد **عمهم الغلاء ثلاثة** أعوام، فحمل اليهم حمدان من الأقوات ما أرخص أسعارهم، وانفق على سور ملطية سبعين ألف دينار ووقف أربعمائة فرس عليهم وتوفي في سنة اثنتين وثمانين ومائتين (٢٧٥- ظ) .." [١]

"متوجه الى بغداد أرجو دنيا ولا تقدما على العساكر، وإنما أريد أن أبذل نفسي في سبيل الله تعالى وأرجو أن أنفع المسلمين وأموت شهيدا فلعل الله أن يكفر عني ما اقترفته فيما مضى من عمري وأقام على هذه النية يقصر الصلاة اعتقادا منه أنه يقيم أياما يسيرة يتجهز فيها، ثم يتوجه الى وجهته، فلما وردت الأخبار بأن التتار قد ضايقوا بغداد أشار عليه جماعة من أصحابه أن يتثبط ريثما يتحقق أمرها فقال: أنا قد بعت (٢٩٤- و) الله نفسي فما أرجع فيما بيني وبين الله تعالى، فلما وصلت الأخبار بأن التتار قد أخذوا بغداد وتواتر ذلك، أظهر بعض الناس أن الخليفة قد نجا بنفسه والتحق بالعرب، فقال لا بد لي من اللحاق به فإن له بيعة في عنقي وقد أمرني بأمر وما يمكنني مخالفته، والذي يخشاه الناس في ذلك هو القتل، وأنا أتمناه فإن الموت لا بد منه وقد حان حينه، فإن هذا الشيب كما تروه فأحسن ما كان الموت بأيدي المشركين في سبيل الله تعالى، فلما تحقق أن الخليفة أخذ فيمن أخذ توجع لفوات ما أمله، وقال: ما كنت أرجو إلا أن أكون بين قتلى المعركة ولكن ما يريده الله هو الكائن.

قال لي ولده الحسن: فجزاه الله بنيته وآتاه الشهادة فانه مات بالطاعون، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الامامان عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الطاعون شهادة لكل مسلم» .

قال لي ولده: وحدثت أنه سأل الله عز وجل ذلك قبل مرضه بيوم أو يومين، فإنه حدثني الحاجي عبد الله بن فضل بن رداد وفارس بن آق سنقر بن عبد الله الأمجدي قالا: كنا جالسين عند والدك رحمه الله أيام **اشتداد الوباء عقب** كائنة بغداد، فتسخطنا بالوباء، وقلنا: هذا سخطة أرسلها الله على الناس، فقال: لا

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٩٢٥/٦

تقولوا هذا فإن الطاعون لما وقع بعمواس «٢» قال بعض الناس هذا رجز، هذا الطوفان الذي بعث على بني اسرائيل، وبلغ ذلك معاذا فقال: يا أيها الناس لم تجعلون دعوة." (١)

"والشام، هذا كله ودبيس «١» مقيم بفم البرية يتواعد بغداد بالخراب، وبلغ أتابك عماد الدين وفاة السلطان محمود بن تبر، وهو على القريتين، فسار نحو الموصل ليلة الخميس سادس عشر شوال ومعه دبيس.

وكان لهذا السلطان عند الأمير ولدان أحدهما الذي كانت أمه عند سنقر البرسقي وماتت، اسمه ألب أرسلان أبو طالب، والآخر الذي كان عند دبيس، فبعث عماد الدين يسوم المسترشد أن يخطب لأبي طالب (٢٠٨- ظ) ولد السلطان، فاعتذر المسترشد إليه بأنه صبي، وأن المنقول رسم لولده داوود وهو بأصبهان، وقد وصلت رسل البلاد كلها تقول: اخطب لداوود فنحن له طائعون، وأنا منتظر جواب كتاب سنجر عم القوم، وكان أتابك عماد الدين قد أخذ خبر عودة ابن الأنباري رسول الخليفة من دمشق، كان المسترشد نفذه في معنى دبيس الى تاج الملوك، فوجده قد صار الى عماد الدين، فعاد وكانت في صحبته قافلة عظيمة فيها أموال، فبعث عماد الدين إليه سرية للقبض عليه، فقبضوا عليه ونهبوا القافلة في كياد الخليفة وفك القيود عن دبيس وخلع عليه، وحمل له من المال والجوهر والخيل والعدد ما لا حد عليه، وخرج من الدار التي كان يشرب فيها وسلمها إليه بآلاتها وكل ما فيها» .

قلت: وبعد ذلك وصل داوود بن محمود بن محمد بن ملكشاه الى زنكي، فأخذه وسار به الى بغداد وأنزله في دار السلطنة ببغداد، وزنكي في الجانب الغربي والخليفة إذ ذاك الراشد بعد قتل المسترشد، فوصل السلطان مسعود الى بغداد فحصرهم بها، فوقع الوباء في عسكره، فسار الى أرض واسط ليعبر الى الجانب الغربي، فاغتنم زنكي غيبته، وسار الى الموصل وسار داوود الى مراغة «٣» ، وبلغ الخبر الى السلطان مسعود، فعاد فهرب الراشد ولحق أتابك زنكي بالموصل، ودخل مسعود بغداد، فبايع محمدا (٢٠٩- و) المقتفي، وخطب له ببغداد وأعمال." (٢)

"وقال ومنها:

أأحبابنا رفقا بنا وتعطفا ... علينا فما من شأن مثلكم القسط

هجرتم على قرب المزار وجرتم ... بلا سبب ما هكذا بيننا الشرط

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٤٦١/٧

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٨٤٨/٨

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي عن أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي منقذ قال: ومن شعره، يعني أبا المعافى سالم (١٩٢- و) بن عبد الجبار:

ومهفهف كالغصن في حركاته ... متهضم في خصره المهضوم

يهتز من نفس المشوق قوامه ... لينا كما هز القضيب نسيم

يحلو ويمرر وصله وصدوده ... وكذا الهوى شقا ونعيم

كن كيف شئت فإن وصلي ثابت ... تتصرم الأيام وهو مقيم

غيري لديك حباله موصولة ... أبدا وحبل مودتي مصروم

قلبي الذي جلب الغرام لنفسه ... فلمن أعاتب غيره وألوم

قال: ومن شعره في والدي على منهاج النسبي:

لأبي سلامة مرشد بين الورى ... خلق يكل الناس عن أوصافه

ملك إذا علق المخوف بحبله ... أمن الخطوب فواله أوصافه

ومما وقع لي من شعره في الخيري:

انظر الى الخيري ما بيننا ... مقمصا بالطل قمصانا

كأنما صاغته أيدي الحيا ... من أحمر الياقوت صلبانا

وله يصف الوباء والأفرنج بالشام:

ولقد حللت من الشآم ببقعة ... أعزز بساكن ربعها المسكين

وبئت وجاورها العدو فأهلها ... شهداء بين الطعن والطاعون «١»

توفي أبو المعافى سالم في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة أو بعدها (١٩٢- ظ) فإن عبد الواحد بن عبد الله ابن عمي عبد الصمد بن أبي جرادة أخبرني أنه نقل من." (١)

"إذا استعفيت لأنه كان قد بلغني عن أحدهما وهو أشبههما بحسن الخلق ولين الجانب وهو الذي كان اسمه بيرس

فلما ملك أنطونينوس من بعد أدريانوس وصير ببرس ولي عهده أشرك في ملكه رجلا يقال له لوقيس وسماه بيرس وسمى هذا الذي كان اسمه بيرس أنطونينوس

فلما صرت إلى بلاد أقوليا عرض فيها من الوباء ما لم يعرض قط فهرب الملكان إلى مدينة رومية مع عدة

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤١٤٩/٩

من أصحابهما وبقي عامة العسكر بأقوليا

فهلك البعض وسلم البعض ونالوا جهدا شديدا ليس من **أجل الوباء فقط** ولكن من جهة أن الأمر فاجأهم في وسط الشتاء

ومات لوقيوس في الطريق فحمل أنطونينوس بدنه إلى رومية فدفنه هناك

وهم بغزو أهل جرمانيا وحرص الحرص كله أن أصحبه فقلت إن الله تعالى لما خلصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي أمرني بالحج إلى بيته المسمى هيكل أسقليبيوس وسألته الإذن في ذلك فشفعني وأمرني بأن أحج

ثم انتظرت إلى وقت انصرافه إلى رومية فإنه قد كان يرجو أن ينقضي حربه سريعا

وخرج وخلف ابنه قومودس صبيا صغيرا وأمر المتوالين لخدمته وتربيته أن يجتهدوا في حفظ صحته فإن مرض دعوني لعلاجه أتولاه

ففي هذا الزمان جمعت كل ما جمعته من المعلمين وما كنت استنبطته وفحصت عن أشياء كثيرة ووضعت كتبا كثيرة لأروض بها نفسي في معان كثيرة من الطب والفلسفة احترق أكثرها في هيكل أريني ومعنى أريني السلامة ولأن أنطونيوس أيضا في سفره أبطأ خلاف ما كان يقدر فكان ذلك الزمان مهلة في رياضة نفسي فهذه الأقاويل وغيرها مما لم نورده لطلبة الاختصار فقد بان أن جالينوس كان في أيام هذا الملك وكان عمره في الوقت الذي قدم فيه رومية القدوم الأول ثلاثين سنة وذلك بدليل قوله في هذا الكتاب المقدم ذكره عند وصفه ما وضعه من الكتب في التشريح قال جالينوس

ووضعت أربع مقالات في الصوت كتبتها إلى رجل من الوزراء اسمه بويئس يتعاطى من الفلسفة مذهب فرقه أرسطوطاليس وإلى هذا الرجل كتبت أيضا خمس مقالات وضعتها في التشريح على رأي أبقراط وثلاث مقالات وضعتها بعدها في التشريح على رأي أرايسطراطس نحوت فيها نحو من يحب الغلبة والظهور على مخاليفه بسب رجل يقال له مرطياليس وضع مقالتين في التشريح هما إلى هذه الغاية موجودتان في أيدي الناس وقد كان الناس بهما في وقت ما وضعت هذا الكتاب معجبين

وكان هذا الرجل حسودا شديد البغي والمراء على كبر سنه فإنه قد كان من أبناء سبعين سنة وأكثر فلما بلغه إني سئلت في مجلس عام عن مسألة في التشريح فاعجب بما أجبت به فيها واستحسنه جميع من سمعه

وكثر مدح الناس لي عليه سأل عني بعض أصدقائنا بقول من أقول من أهل فرق الطب كلها
قال له إني أسمى من ليست نفسه إلى فرقهب من الفرق وقال إنه من أصحاب." (١)

"أبقراط ومن أصحاب بركساغورس وغيرهم وإني اختار من مقالة كل قوم أحسن ما فيها

واتفق يوما إني حضرت مجلسا عاما ليمتحن حذقي بكتب القدماء فأخرج كتاب أرسطراطس في نفث الدم والقيء فيه نامر على العادة الجارية فوقع على الموضع الذي ينهي فيه أرسطراطس عن فصد العرق فزدت في المعاندة لأراسطراطس لغم مرطياليس لأنه ادعى أنه من أصحابه فأعجب ذلك القول من سمعه

وسألني رجل من أوليائي وأعداء مرطياليس أن أملي الكلام الذي قلته في ذلك المجلس على كاتب له بعث به إلي ماهر بالكتاب الذي يكتب بالعلامات سريعا فيه ليقوله لمرطياليس إذا صادفه عند المرضى فلما اشخصني الملك إلى مدينة رومية في المرة الثانية وكان الرجل الذي أخذ مني تلك المقالة قد مات ولا أدري كيف وقعت نسختها إلى كثير من الناس فلم يسرني ذلك لأنه كلام جرى على محبة الغلبة في ذلك الوقت أن لا أخطب في المجالس العامية ولا أباري لأني رزقت من ا لسعادة والنجاح في علاج المرضى أكثر مما كنت أتمنى

وذلك إني لما رأيت غير أهل المهنة إذا مدح أحد الأطباء بحسن العبارة سموه طبيب الكلام أحببت أن اقطع ألسنتهم عني فامسكت عن الكلام سوى ما لا بد منه عند المرضى وعما كنت أفعله من التعليم في المحافل ومن الخطب في المجالس العامية واقتصرت على إظهار مبلغ علمي في الطب على ما كنت أفعله في علاج المرضى

وأقمت برومية ثلاث سنين أخر فلما ابتدأ فيها الوباء خرجت منها مبادرا إلى بلادي وكان رجوعي إلى رومية وقد أتى علي من السنين سبع وثلاثون سنة

قال عبيد الله بن جبرائيل فمن وقت هذا يكون مولد جالينوس في السنة العاشرة من ملك طرينوس الملك لأنه زعم أنه وضعه لكتاب علاج التشريح كان في مقدمه الأول إلى رومية وذلك في ملك أنطونينوس كما ذكرنا وأنه كان له من عمره على ما ذكرنا ثلاثون سنة مضى منها من مدة ملك أدريانوس إحدى وعشرون سنة وكان مدة الملك طرينوس قيصر تسع عشرة سنة

وإذا كان هذا هكذا أصبح أن مولد جالينوس كان في السنة العاشرة من ملك طرينوس فتكون المدة التي من صعود المسيح إلى السماء وهي من سنة تسع عشرة من ملك طيباريوس قيصر إلى السنة العاشرة من ملك

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١١٤

طرينوس التي ولد فيها جالينوس على موجب التاريخ المذكور ثلاثا وسبعين سنة
وعاش جالينوس على ما ذكره إسحاق بن حنين في تاريخه ونسبه إلى يحيى النحوي سبعا وثمانين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة وعالم معلم سبعين سنة
قال إسحق بين وفاة جالينوس إلى سنة تسعين ومائتين للهجرة وهي السنة التي عمل فيها التاريخ ثمانمائة وخمس عشرة سنة
وقال عبد الله بن جبرائيل وينضاف إلى ذلك مما بين هذه السنة التي عملنا فيها هذا الكتاب وهي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة للهجرة الواقعة في سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وأربعين للإسكندر وبين سنة تسعين ومائتين وهو مائة واثنتان وثلاثون سنة فيكون من وفاة جالينوس إلى سنتنا هذه." (١)

"رسالة في الصور
رسالة في أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية
رسالة في المناظر الفلكية
رسالة في امتناع الجرم الأقصى من الاستحالة
رسالة في صناعة بطلميوس الفلكية
رسالة في تناهي جرم العالم
رسالة في ماهية الفلك واللون اللازم اللازوردي المحسوس من جهة السماء
رسالة في ماهية الجرم الحامل بطباعه للألوان من العناصر الأربعة
رسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الأضواء والإظلام
رسالة في المعطيات
رسالة في تركيب الأفلاك
رسالة في الأجرام الهابطة من العلو وسبق بعضها بعضا
رسالة في العمل بالآلة المسماة الجامعة
رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحيرة
رسالة في الطب البقراطي
رسالة في الغذاء والدواء المهلك

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١١٥

رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء

رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية

رسالة في كيفية إسهال الأدوية وانجذاب الأخلاط

رسالة في علة نفث الدم

رسالة في تدبير الأصحاء

رسالة في أشفية السموم رسالة في علة بحارين الأمراض الحادة رسالة في تبيين العضو الرئيس من جسم الإنسان والإبانة عن الألباب

رسالة في كيفية الدماغ رسالة في علة الجذام وأشفيته

رسالة في عضة الكلب الكلب

رسالة في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة رسالة في وجع المعدة والنقرس

رسالة إلى رجل في علة شكاها إليه في بطنه ويده رسالة في أقسام الحميات رسالة في علاج الطحال الجاسي من الأمراض السوداوية

رسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت

رسالة في تدبير الأطعمة رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها رسالة في الحياة

كتاب الأدوية الممتحنة كتاب الأقراباذين

رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبين ما يكون من فساد الأخلاط

رسالة في الفراسة

رسالة في إيضاح العلة في السمائم القاتلة السمائية وهو على المقال **المطلق الوباء رسالة** في الحيلة لدفع الأحزان

جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس

رسالة في الإبانة عن منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها

رسالة في اللثغة للأخرس رسالة في تقدمة المعرفة بالاستلال بالأشخاص العالية على المسائل

رسالة في مدخل الأحكام على المسائل

رسالته الأولى والثانية والثالثة إلى صناعة الأحكام بتقاسيم رسالة في الأخبار عن كمية ملك العرب وهي رسالته في اقتران التحسين في برج السرطان رسالة في قدر منفعة صناعة الأحكام ومن الرجل المسمى منجما

باستحقاق رسالته المختصرة في حدود المواليد رسالة في تحويل سني المواليد
رسالة في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث رسالة في الرد على الثنويه رسالة في نقض مسائل الملحدين
رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام رسالة في الاستطاعة وزمان كونها رسالة في الرد على من زعم أن للإجرام في هويتها في الجو توقفات رسالة في بطلان قول من زعم أن بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون
رسالة في أن الجسم في أول إبداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل
رسالة في التوحيد بتفسيرات رسالة في أوائل الجسم
رسالة في افتراق الملل في التوحيد وأنهم مجمعون على التوحيد وكل قد خالف صاحبه
رسالة في المتجسد رسالة في البرهان." (١)

"المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه
وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم في بعض
وسافر ابن بطلان من بغداد إلى ديار مصر قصدا منه إلى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه إلى حلب أقام بها مدة وأحسن إليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه أكراما كثيرا
وكان دخوله الفسطاط في مستهل جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وأقام بها ثلاث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين
وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة
وقد تضمن كثيرا من هذه الأشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان ولابن رضوان كتاب في الرد عليه
وكان ابن بطلان أعذب ألفاظا وأكثر ظرفا وأميز في الأدب وما يتعلق به
ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها دعوة الأطباء وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها
وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة
وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٢٩١

وقد بين فيها بزعمه أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا

وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها دعوة الأطباء

(فلما تبدى للقوابل وجهه ... نكصن على أعقابهن من الندم)

(وقلن وأخفين الكلام تسترا ... ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم) الطويل

وكان يلقبه بتمساح الجن وسافر ابن بطلان من ديار مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة

ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله قال ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الأثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة فإن في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد أن امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الخريف

فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل فمات في الفسطاط والشام أكثر أهلها وجميع الغرباء إلا من شاء الله

وانتقل الوباء إلى العراق فأتى على أكثر أهله واستولى عليه." (١)

"الخراب بطروق العساكر المتعادية واتصل ذلك بها إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة

وعرض للناس في أكثر البلاد قروح سوداوية وأورام الطحال وتغير ترتيب نوائب الحميات واضطرب نظام البحارين فاختلف علم القضاء في تقدمة المعرفة

وقال أيضا بعد ذلك ولأن هذا الكوكب الأثاري طلع في برج الجوزاء وهو طالع مصر **أوقع الوباء في** الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة

وصح إنذار بطليموس القائل الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب وأنجهم في الجوزاء

ولما نزل زحل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت أحوال ملوك الأرض وكثرت الحروب والغلاء والوباء وصح حكم بطليموس في قوله إن زحل والمريخ متى اقترنا في السرطان زلزل العالم

ونقلت أيضا من خط بن بطلان فيما ذكره من الأوباء العظيمة العارضة للغلم بفقد العلماء في زمانه قال ما عرض في مدة بضع عشرة سنة بوفاة الأجل المرتضى والشيخ أبي الحسن البصري والفقيه أبي الحسن

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٢٦

القدوري وأقضى القضاة الماوردي وابن الطيب الطبري على جماعتهم رضوان الله ومن أصحاب علوم القدماء أبو علي بن الهيثم وأبو سعيد اليمامي وأبو علي بن السمح وصاعد الطبيب وأبو الفرج عبد الله بن الطيب ومن متقدمي علوم الأدب والكتابة علي ابن عيسى الربعي وأبو الفتح النيسابوري ومهيار الشاعر وأبو العلاء بن نزيك وأبو علي ابن موصلايا والرئيس أبو الحسن الصابئ وأبو العلاء المعري

فانطفأت سرج العلم وبقيت." (١)

"واضح العبارة منتخب العلاج

كتاب إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان كتاب في العلم الطبيعي كتاب الطب الكلي مقالتان

مقالة في الجدري

اختصار كتاب المجسطي

كتاب تعبير الرؤيا

كتاب **في الوباء ألفه** للملك العادل خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا وهو أن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر فإنه قد ذكر من أحواله ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه

ولذلك أننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه نقله عنه أبو عبيد الجوجزاني قال قال الشيخ الرئيس

إن أبي كان رجلا من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقربها قرية يقال لها أفشنة وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن وولدت منها بها

ثم ولدت أخي ثم انتقلنا إلى بخارى

وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضى مني العجب

وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٢٧

وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي

وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني أيضا إليه ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه

ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله النائلي وكان يدعى المتفلسف وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه

وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد وكنت من أجود السالكين

وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به

ثم ابتدأت بكتاب أيساغوجي على النائلي

ولما ذكر لي حد الجنس أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من شغلي بغير المعلم

وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيرا منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه

وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة

ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع." (١)

"وكان أبوه فرانا

ولم يزل ملازما للاشتغال والنظر في العلم إلى أن تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة وخدم الحاكم وجعله رئيسا على سائر المتطببين

وكانت دار ابن رضوان بمدينة مصر في قصر الشمع وهي الآن تعرف به وقد تهدمت ولم يتبين إلا بقايا يسيرة من آثارها

وحدث في الزمان الذي كان فيه ابن رضوان بديار **مصر الغلاء العظيم**

والغلاء الفادح الذي هلك به أكثر أهلها

ونقلت من خط المختار ابن الحسن بن بطلان **أن الغلاء عرض** بمصر في سنة خمس وأربعين وأربعمائة قال ونقص النيل في السنة التي تليها **وتزايد الغلاء وتبعه** وباء عظيم واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة

وحكي أن السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس وأنه فقد ثمانمائة قائد وحصل للسلطان من المواريث

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٤٣٧

مال جزيل

وحدثني أبو عبد الله محمد المالقي الناسخ أن ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره وكان السبب في ذلك أنه في **ذلك الغلاء كان** قد أخذ يتيمة رباها وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلا لها الموضع وكان قد أدخر أشياء نفيسة ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت

ولم يظفر منها على خبر ولا عرف أين توجهت فتغيرت أحواله من حينئذ

أقول وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يعاصره من الأطباء وغيرهم وكذلك على كثير ممن تقدمه

وكانت عنده سفاهة في بحثه وتشنيع على من يريد مناقشته

وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن إسحق وعلى أبي الفرج بن الطيب وكذلك أيضا على أبي بكر محمد بن زكريا الرازي

ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطب معلم ينسب إليه وله كتاب في ذلك يتضمن أن تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين

وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد وذكر فصلا في العلل التي لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف إذا كان القول واحدا

وأورد عدة علل

الأولى منها تجري هكذا وصول المعاني من النسيب إلى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب إلى النسيب

والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق وهو المعلم وغير النسيب له جماد وهو الكتاب وبعد الجماد من الناطق مطيل طريق الفهم وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم فالفهم من النسيب وهو المعلم أقرب وأسهل من غير النسيب وهو الكتاب

والثانية هكذا النفس العلامة علامة بالفعل وصورة الفعل عنها يقال له تعليم والتعليم والتعلم من المضاف وكلما هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع

والنفس المتعلمة علامة بالقوة وقبول العلم فيها يقال له تعلم والمضافان معا بالطبع

فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتب

والثالثة على هذه الصورة المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظ نقله إلى لفظ آخر والكتاب لا ينقل من لفظ إلى لفظ

فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصلح للمتعلم." (١)

"وأصحابه أيادي سبأ ومزقوا في البلاد كل ممزق وأكثرهم توجه إلى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها وأقمت بدمشق وملكها الملك الأفضل وهو أكبر الأولاد في السن إلى أن جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق فلم ينل منه بغية

ثم تاخر إلى مرج الصفر لقولنج عرض له فخرجت إليه بعد خلاصه منه فأذن لي في الرحيل معه وأجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة

وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمني صباح مساء إلى أن قضى نحبه

ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه وأشرت عليه بدواء فأنشد

(لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره) المديد

ثم سألته عن ألمه فقال

(ما لجرح بميت إيلام ...) الخفيف

وكان سيرتي في هذه المدة أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة

وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيرهم وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون

وفي الليل اشتغل م ع نفسي

ولم أزل على ذلك إلى أن توفي الملك العزيز وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول لا

وكان مع حداثة سنه وشرخ شبابه كامل العفة عن الأموال والفروج

أقول ثم إن الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الرتب والجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين وأتى إلى مصر **ذلك الغلاء العظيم** والموتان الذي لم يشاهد مثله

وألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتابا ذكر فيه أشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمى ذلك الكتاب كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر

ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق وتفرقت أولاد أخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين إلى القدس وأقام بها مدة

---

(١) عيون الأنب اء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٥٦٣

وكان يتردد إلى الجامع الأقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبا كثيرة
ثم أنه توجه إلى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة أربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال
وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافا من العلوم
وتميز في صناعة الطب بدمشق صنف في هذا الفن كتبا كثيرة وعرف به
وأما قبل ذلك فإنما كانت شهرته بعلم النحو وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به
ثم أنه سافر إلى حلب وقصد بلاد الروم." (١)

"٤٤ - ومن أخبار أبي العالية الشامي

اسمه الحسن بن مالك مولى العمين، نزل البصرة وأقام بها وقدم بغداد، فأدب العباس بن المامون وجالس المأمون، وكان أديبا شاعرا راوية، سمع من الأصمعي. قال أبو العالية لما مات أحمد بن المعذل " منى السريع ":

لو لم يكن جدهم عاثرا ... وحظهم طاح بها طائح
ما مات منهم أحمد المرتضى ... وعاش عبد الصمد الفاضح

وقال في تقارب الخطو " من الطويل ":

أرى بصري في كل يوم وليلة ... يكل وخطوي عن مدى الخطو يقصر
ومن صاحب الأيام سبعين حجة ... يغيرنه والدهر لا يتغير
لعمري لئن أمسيت أمشي مقيدا ... لما كنت أمشي مطلق القيد أكثر

قال أيضا " من الطويل ":

ولو أنني أعطيت من دهري المنى ... وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت ل] ام مضين: ألا ارجعي ... إلينا! وأيام أتين: ألا ابعدي

وقال " من الطويل ":

وما آثر التقصير إلا مذمم ... رأى نفسه حلت محل المقصر
وكل امري يولبك ما هو أهله ... فأهل لمعروف وأهل لمنكر

٤٥ - ومن أخبار أبي محلم السعدي

وهو محمد بن هشام بن عوف التميمي أعرابي. قال مؤرج: أبو محلم أحفظ الناس، أخذ مني كتابا فحبسه

---

(١) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦٨٩

ليلة، ثم جاء به وقد حفظه وأنشد لأبي الأسود الدؤلي " من الطويل ":
إذا قلت: أنصفني ولا تظلمني ... رمى كل حق أدعيه بباطل
فباطلته حتى ارعوى لي كارها ... وقد يرعوي ذو الشغب بعد التجادل
رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنة وأن يتغمده برحمته ولا يهلكه فيما هو فيه، وأن قائلا قال له: لايهلك الله إلا من قلبه مرت. فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك، فلم يعرفوا حقيقته. فوجه إلى أبي محلم فأحضره الباب وسأله عن الرؤيا والمرت، فقال أبو محلم: المرت من الأرض القفر التي لانبت فيها، فالمعنى على هذا: لايهلك على الله إلا من قلبه خال عن الإيمان خلو المرت من النبات. فوجه الواثق إليه: أريد شاهدا من الشعر. فأفكر أبو محلم طويلا، فأنشده بعض من حضر بيتا لبعض بني أسد " من الطويل ":
ومرت مروراة يحار بها القطا ... ويصبح ذو علم بها وهو جاهل
فوجه بالبيت وضحك، ثم قال للذي أنشده: ربما بعد الشيء عن الإنسان وهو أقرب إليه مما في كمه، والله لاتبرح حتى أنشدك! فأنشده للعرب مائة بيت معروف لشاعر معروف، في كل بيت منها ذكر المرت. فبلغ ذلك الواثق، فأمر له بألف دينار. وأراده لمجالسته، فأبى أبو محلم، وقيل للواثق: إنه حلف جاف! فتركه.
وقال في العباس بن الأحنف " من المنسرح ":
إني وإن كنت لأأراك ولا ... أطمع في ذلك آخر الأبد
لقانع بالسلام يبلغني ... عنك فيشفي حرارة الكبد
وأمزج الهم بالسرور اذا ... أيقنت أنا جاران في بلد
وكان يضع من العباس، فلما أنشد هذا قال: وأبيك لقد شكا وقنع، وإن كان له شيء مليح فه١١. - وقال بعض شعراء البصرة فيه " من البسيط ":
وخادعتك تميم فانخدعت لها ... أبا المحلم والمخدوع مخدوع
لو أن م؛تى تميم كلها نشروا ... وثبتوك لقال الناس: مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق ... تبين الناس أن الثوب مرقوع
قال أبو محلم: لما قدمت مكة لزمت مجلس ابن عيينة، فقال لي يوما: لاأراك تحظى بشء مما تسمع. قلت: وكيف؟ قال: لأني لاأراك تكتب. فقلت: أني أحفظ! فاستعاذ مني مجالس، فأعدتها على الوجه. فقال: حدثنا الزهري عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يولد في كل سبعين سنة من يحفز كل شيبء.

قال: وضرب بيده على جنبي وقال: أراك صاحب السبعين.
قيل لأبي محلم: مات الضعفاء، في هذا الغلاء، وسلم الأقوياء. فقال: أما سمعت " من البسيط ":
رأيت جلتها في الجدب باقية ... تنفي الحواشي عنها حين تزدحم
إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجد ولم يعبأ بها السلم." (١)

"وهذا هو الصواب، وتقديره: أحق ما قال العبد لا مانع لما أعطيت إلى آخره، واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد، وهذا الاعتراض كثير في القرآن والسنة وفي كلام العرب، وقد جمعت جملة منه في آخر صفة الوضوء من شرح المهذب، ومنه قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ (الروم:١٧) اعترض قوله: ﴿وله الحمد في السماوات والأرض﴾ (الروم: من الآية١٨) وأمثاله كثيرة، وقولهم فلان أحق بكذا وكذا، وصار المتحجر أحق به وأشباهه، وفي الحديث: "الأيم أحق بنفسها".
قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر: لفظ أحق في كلام العرب له معنيان: أحدهما: استيعاب الحق كله كقولك فلان أحق بماله أي: لا حق لأحد فيه غيره، والثاني: على ترجيح الحق وإن كان للآخر فيه نصيب، كقولك فلان أحسن وجها من فلان لا تريد به نفي الحسن عن الأول بل تريد الترجيح، قال: وهذا معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الأيم أحق بنفسها من وليها" أي: لا يفتات عليها، فيزوجها بغير إذنها، ولم يرد إبطال حق الولي فإنه هو الذي يعقد عليها وينظر لها.
حقل: في حديث جابر رضي الله عنه: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المحاقلة"، وفسره في الحديث في المهذب: "أن يبيع الرجل الزرع بمائة فرق حنطة".
حقن: قال الهروي: الحاقن للبول كالحاقب بالغائط. قال شمر: الحقن والحاقن الذي حقن بوله.
حكر: الاحتكار بكسر التاء، قال الجوهري: احتكار الطعام جمعه وحبسه يتربص به الغلاء، قال: وهو الحكرة بالضم.
حكك: قوله في المهذب في باب طهارة البدن؛ لأن الإنسان لا يخلو من بثرة وحكة، الحكة: بكسر الحاء وهي الجرب، قاله الجوهري.
حكم: قوله نجاسة حكمية وعينية، فالحكمية: هي التي لا يحس لها طعم ولا لون ولا ريح، والعينية نقيضها.
حلب: المحلب المذكور في زكاة الخلطة هو بفتح الميم، وهو موضع المحلب، وهذا يشترط الاتحاد فيه في ثبوت الخلطة بلا خلاف، وأما الحلب بكسر الميم: فهو الإناء الذي يحلب فيه، وفي اشتراط الاتحاد

---

(١) نور القبس اليغموري ص/٧٨

فيه لثبوت الخلطة وجهان، أصحهما لا يشترط، وكذا الوجهان في اشتراط اتحاد الحالب، والأصح أنه لا يشترط أيضا، وهذا الذي ذكرته هنا من النفائس المغتنمة.." (١)

"أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم ... قد ضل من كانت العميان تهديه حتى صار إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا منزله يا أعمى.

ولما سمع بشار قول العباس بن الأحنف:

لما رأيت الليل سد طريقه ... دوني وعذبني الظلام الراكد

والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد قال: قاتل الله هذا الغلام، ما رضي إذ جعله أعمى حتى جعله بلا قائد! ومن شعره، أعني بشارا:

أقول وليلتي تزداد طولا ... أما لليل عندكم نهار

جفت عيني عن التغميض حتى ... كأن جفونها عنها قصار (آيا صوفيا: ٧١ ب ٧٢ أ)

بشر الحافي

(الترجمة رقم: ١١٤، ص: ٢٧٦، س: ٩، بعد قوله: بمرو، رحمه الله تعالى)

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور وكان يقول: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء.

(آيا صوفيا: ٧٢ ب)." (٢)

"الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما كان أفصح قال: الحسن.

ونشأ الحسن بوادي القرى، وكان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث.

وحكى الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت أعرض زندا من الحسن، كان عرضه شبرا.

[وكان الحسن يقص في الحج، فمر به علي بن الحسين عليهما السلام، فقال له: يا شيخ أترضى نفسك للموت قال: لا، قال: فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال: لا، قال: فثم دار للعمل غير هذه الدار قال:

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٦٨/٣

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٦٨/١

لا، قال: فعملك للحساب قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال: فما قص الحسن بعدها.
وقيل إن رجلا أتى الحسن فقال: يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول اقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له: قد كان الحجاج فاجرا فاسقا وما أدري ما أقول لك، إن رحمة الله وسعت كل شيء؛ وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن؛ وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له: أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا، ذكر ذلك المختار في تاريخه.
وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن: يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك.
وقيل له: ألا ترى **كثرة الوباء فقال**: انفق ممسك واقلع مذنب، واتعظ جاحد.
ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال: مالكم تزدحمون ها تلك هي ساريته في المسجد، اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله؛ وحدث الحسن بحديث فقال له رجل: يا أبار سعيد عن من فقال: وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته؛ وقال له رجل: أنا أزهد منك." (١)

"حروب لا توصف، ووقع عسكر **القائم الوباء والغلاء** فمات الناس والخيل، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم (١) ، وكان وصوله إلى المهدية يوم الثلاثاء الثالث من رجب من السنة المذكورة، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كيداد (٢) الخارجي - وقد تقدم ذكره وما جرى له وكيف مات في الأسر في ترجمة المنصور - والشرح في ذلك يطول.
وكانت ولادة القائم بمدينة سليمة - المذكورة في ترجمة والده المهدي - في المحرم سنة ثمانين، وقيل سنة اثنتين وثمانين، وقيل سبع وسبعين ومائتين، واستصحبه والده معه عند توجهه إلى بلاد المغرب؛ وتوفي يوم الأحد ثالث عشر شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، رحمه الله تعالى بالمهدية وأبو يزيد الخارجي محاصر له، فقام بالأمر ولد المنصور إسماعيل، وكتم خبر موته خوفا من الخارجي أن يطلع عليه فيطمع فيه، وكان بالقرب منه على مدينة سوسة، فأبقى الأمور على حالها وأكثر من العطايا والصلات ولم يتسم بالخليفة، وكانت كتبه تنفذ من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين، والله أعلم.

---

(١) بدله في مج: فلقيه بالفيوم فهزمه وقتل عسكره وقيل أن عدد القتلى كان خمسين ألفا، والأرض التي

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٧٠

كانت الوقعة فيها تعرف إلى الآن بأرض الخمسين، فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم.

(٢) بر من: كنداد؛ ر: كيدان؛ ن: كندار.." (١)

"المستنصر المذكور، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وقال في " تاريخ القيروان " (١) : إن ذلك كان في سنة خمس وثلاثين، والله تعالى أعلم بالصواب. وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين الشريفين، وذكر اسم المقتدي خليفة بغداد، والشرح في ذلك يطول.

ومنها أنه حدث في **أيامه الغلاء العظيم** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام، وأقام سبع سنين، وأكل الناس بعضهم بعضا، حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده، وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الإنشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته، وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع، وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا، ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي والد الفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر - حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه - وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت، وشرح ذلك يطول.

وكانت ولادة المستنصر صبيحة يوم الثلاثاء لثلاث عرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة (٢) ، وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الليلة هي ليلة عيد الغدير، أعني ليلة الثامن عشر من ذي الحجة وهو غدير خم - بضم الخاء وتشديد الميم - ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة حتى كانت من ذي الحجة وهذا المكان بين مكة والمدينة، وفيه غدير ماء، ويقال إنه غيضة هناك، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من

---

(١) ر: التاريخ القيرواني.

(٢) علق ابن المؤلف هنا بقوله: " قلت، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به: قد ذكر أنه ودي

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥/٢٠

الأمر وهو ابن سبع سنين وأنه بويع في سنة أربع وعشرين فكيف يستقيم أن يكون مولده سنة عشرين، والله أعلم ".." (١)

"من ميله إلى الأدب وبقية العلوم، وكان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته، وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر، وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك، والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه.

فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها. وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين، فنزل باشبيلية.

(٣٨٦) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وما انضاف إليها، وحمل على قلبه فمرض مرضا شديدا ومات، وقيل إن أمه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه، فعملت عليه فقتلته بالسم. وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية، ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة في قلعة أعمال من طرطوشة يقال لها بنشكله، وهي من الحصون المنيعة. ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده، وقيل إخوته، إلى الأمير يوسف ابن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم وقيل لأخيهم، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم، وأصبحوا عنده في أعز مكان.

ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج، وكانوا قد استولوا عليها، فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم. ثم إنه حاصرها، فاجتمع الفرنج كافة عليه **واشتد الغلاء في** عسكره، فرجع عنها وعاد إلى مراكش.

وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة، ثم دخل جزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثيف، وقصد غربي بلادها." (٢)

"مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غزوة غزاها فأصاب الناس مخمصة فاستأذن الناس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في نحر بعض ظهورهم، فهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يأذن لهم،

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥/٢٣٠

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٧/١٣١

فقال عمر بن الخطاب: أرأيت يا رسول الله إذا نحرنا ظهورنا ثم لقينا عدونا غدا، ونحن جياع رجال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "فما ترى يا عمر؟ " قال: أرى أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة، فإن الله –عز وجل– سيطعمنا بدعوتك إن شاء الله تعالى، قال: فكأنما كان على رسول الله غطاء فكشف، قال: فدعا بثوب ثم أمر به فبسط، ثم دعا بالناس ببقايا زادهم قال: فجاءوا بما كان عندهم قال: من الناس من جاء بالحفنة من الطعام أو الحثية، ومنهم من جاء بمثل البيضة قال: فأمر به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فوضع على ذلك الثوب، ثم دعا فيه بالبركة ثم تكلم بما شاء الله –عز وجل– ثم نادى في الجيش ثم أمرهم فأكلوا وأطعموا وملئوا بنيتهم ومزاودهم، ثم دعا بركوة فوضعت بين يديه ثم دعا بشيء من ماء فصب فيها ثم مج فيها وتكلم بما شاء الله أن يتكلم به وأدخل كفيه فيها، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تتفجر بينابيع الماء، ثم أمر الناس فشربوا وملئوا قربهم وأدواتهم قال: ثم ضحك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه ثم قال: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، لا يلقى الله بها أحد إلا دخل الجنة" متفق على صحته، وهذا السياق لتمام في فوائده.

وعن ابن عباس أن عمر خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه **أن الوباء قد** وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال لي عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم، فاستشارهم وأخبرهم **أن الوباء قد** وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: خرجت لأمر ول ا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل." (١)

"المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله تعالى فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة –وكان عمر يكره خلافه– نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فتهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إذا سمعتم

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٢/٣٣٣

به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه" قال: فحمد الله عمر وانصرف، وفي رواية: فسار حتى أتى المدينة فقال: هذا المحل وهذا المنزل إن شاء الله تعالى، أخرجاه.

"شرح" سرغ بسكون الراء وفتحها: قرية بوادي تبوك من طريق الشام، وقيل: على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة.

وعن أبي موسى قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعي نفر من قومي فقال: "أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا بها، دخل الجنة" فخرجنا من عند النبي -صلى الله عليه وسلم- نبشر الناس، فاستقبلنا عمر بن الخطاب فرجع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال عمر: يا رسول الله، إذن يتكل الناس، فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم، خرجه أحمد.

وعن أبي هريرة قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فأعطاني نعليه وقال: "اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيته من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة" فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت: هاتان نعلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعثني بها، منلقيته يشهد أن." (١)

"أنه غريب وموت الغريب شهادة على ما تضمنه الحديث، فإنه مات بالمدينة -على ما سيأتي بيانه في باب ذكر وفاته- وليس ببلده، أو لعله كان مبطونا أو مطعونا، على أنني لم أقف على ذلك، لكنه يعلم -بالقطع- أن ثم سببا تثبت له به شهادة لسان النبوة له بذلك، والله أعلم.

ذكر تزكية عثمان له:

عن عروة بن الزبير أن الزبير جاء إلى عثمان وقال: إن عبد الرحمن بن عوف زعم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقطعه وعمر بن الخطاب أرض كذا وكذا، وإني اشتريت نصيب آل عمر، فقال عثمان: عبد الرحمن بن عوف جائز الشهادة له وعليه. أخرجه أحمد.

ذكر علمه:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن عمر خرج إلى الشام فلما بلغ سرغ أخبر **أن الوباء قد** نزل بالشام، فجمع أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستشارهم فاختلفوا، فوافق رأيه رأي الرجوع، فرجع فجاء عبد الرحمن بن عوف -وكان متغيبا في بعض حاجته- فقال: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا وقع بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٢/٣٣٤

فرارا منه" أخرجاه، وقد تقدم مستوعبا في نظيره من مناقب عمر.

ذكر رجوع عمر إلى رأيه:

عن أنس –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– جلد في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين، فلما أن ولي عمر قال: إن الناس قد دنوا من الريف، فما ترون في حد الخمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نرى أن نجعله كأخف الحدود؛ فجلد فيه ثمانين. أخرجاه.." (١)

""شرح" آلوت: قصرت عنه.

وعن عمرو بن العاص قال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها وأحسنهم أخلاقا وأشدهم حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح. أخرجه الفضائلي.

ذكر كراهية عمر خلاف أبي عبيدة:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن عمر لما خرج إلى الشام وأخبر **أن الوباء قد** وقع به فجمع أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واستشارهم فاختلفوا، فرأى عمر رأي من رأى الرجوع فرجع، فقال له أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فنزلت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله أخرجاه.

"شرح" العدوة بضم العين وكسرها: شاطئ الوادي أي: جانبه.

ذكر زهده:

عن عروة بن الزبير قال: لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي قالوا: من قال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ صاحبك فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل. أخرجه في الصفوة والفضائلي وزاد بعد قوله "يأتيك الآن": "فجاء على ناقة مخطومة بحبل".

وفي رواية: أن عمر قال له: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما." (٢)

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٤/٣٠٨

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٤/٣٥٢

"تصبح حتى تركب، وإن أتاك نهارا أن لا تمسي حتى تركب إلي. فلما قرأ الكتاب قال: قد عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق، ثم كتب: إني قد عرفت حاجتك التي لك، فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، فإني في جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم. فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة قال: لا. وكان قد كتب إليه عمر أن الأردن أرض غمقة، وأن الجابية أرض نزهة، فاظهر بالمسلمين إلى الجابية. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: هذا نسمع فيه أمير المؤمنين ونطيعه. أخرجه أبو حذيفة والفضائلي.

"شرح" الطاعون: الموت من الوباء وهو المرض العام لفساد الهواء، فتفسد لذلك الأمزجة والأبدان، يقال: طعن الرجل فهو مطعون وطعين. والأردن بضم الهمزة وتشديد النون: نهر وكورة بأعلى الشام والجابية: قرية بدمشق، وغمقة -بالغين المعجمة- أي: قريبة من الماء والنزور والحضر، والغمق: فساد الريح "وغموقها من كثرة الأنداء" فيحصل منها الوباء، والغمق أيضا: ركوب الندى الأرض، وأرض غمقة: ذات ندى، وقال الأصمعي: الغمق: الندى. نزهة أي: بعيدة من الماء فهي أقل وباء، قال ابن السكيت: ومما يضعه الناس في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزه إذا خرجوا إلى البساتين، قال: وأما التنزه التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قولهم: فلان يتنزه عن الأقذار أي: يتباعد عنها.

وعن عروة بن الزبير أن طاعون عمواس كان معافى منه أبو عبيدة بن الجراح وأهله، فقال: اللهم نصيبه في آل أبي عبيدة، فخرجت بثرة في خنصر أبي عبيدة، فجعل ينظر إليها، فقيل له: إنها ليست بشيء، فقال: إني أرجو أن يبارك الله فيها، إنه إذا بارك في القليل كان كثيرا. أخرجه الفضائلي وأبو حذيفة.." (١)

"روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

أخبرنا أحمد بن أبي الخير، قال: أنبأنا مسعود بن أبي منصور قال: أخبرنا أبو علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر بن خلاد غير مرة، قال: حدثنا محمد بن غالب، قال: حدثنا القعنبي.

(ح) قال أبو نعيم: وحدثنا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا الفضل بن العباس، قال: حدثنا يحيى بن بكير، جميعا عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ، لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادعوا لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام،

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٤/٣٥٦

فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم له، فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن نرجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها." [١]

"شهدت جنازة منصور بن زاذان فريت النصارى على حدة، واليهود على حدة. والمجوس على حدة ،كل واحد منهم على حدة، وقد أخذ خالي بيدي من كثرة الزحام وأنا حدث.

وقال يحيى بن إسحاق بن سافري: قال علي بن المديني: سمعت يزيد بن هارون يقول: رأيت أبا العلاء القصاب في النوم، فقلت: يا أبا العلاء ما صنع الله بكم؟ قال: غفر لنا.

قلت: فما فعل منصور بن زاذان؟ قال: هيهات منصور من يراه، يرى قصوره، يرى قهارمته، منصور من يراه؟ ! قال يحيى بن إسحاق بن سافري: وحدثني أبي، قال: سمعت من يحدث هذا الحديث، قال: فقال: ما فعل منصور بن زاذان؟ قال: رفعه إلى مكان لا يراه إلا هو.

قال أبو بكر بن أبي عاصم: مات سنة ثمان وعشرين ومئة.

وقال غيره (١) : مات سنة تسع وعشرين ومئة.

وقال يزيد بن هارون (٢) : مات في الطاعون **سنة الوباء سنة** إحدى وثلاثين ومئة (٣) .

روى له الجماعة.

منهم خليفة بن خياط (طبقاته: ٣٢٥) وابن حبان: ثقاته: ٧ / ٤٧٤) .

(٢) طبقات ابن سعد: ٧ / ٣١١.

(٣) وقال يعقوب بن سفيان: أبو عمرو منصور بن زاذان واسطي،: ثقة ثقة، روى عنه هشيم وشيعبة ولم يسمع منه الثوري. (المعرفة والتاريخ: ٣ / ٧٧) ونقل ابن أبي اتم عن يحيى بن معين إنه قال: لم يسمع منصور من الشعبي شيئا. (المراسيل: ١٩٩) وقال الدارقطني: من الثقات الحفاظ. (علل: ٢ / ٢٣٧) وذكره

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٥/١٧٥

ابن حبان في كتاب "الثقات" وقال: كان من المتقشفين المتجردين للدين (٧ / ٤٧٤ - ٤٧٥) وقال الذهبي في " الكاشف": ثقة كبير الشأن (٣ / الترجمة ٥٧٣٣) وقال ابن حجر في "التقريب": ثقة ثبت عابد.." [١]

"كلاب الأمير أبو إسحاق الزهري هازم جيوش كسرى وفاتح العراق وأول من رمى بسهم في سبيل الله

٨ - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الأعور العدوي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من السابقين الأول أول من ولي نيابة دمشق عند الفتح وإنما لم يعينه عمر في أهل الشورى لكونه من عدي فلا الصديق التيمي آثر بالخلافة ابن عمه طلحة مع جلالته وسابقته ولا الفاروق أدخل في أهل الشورى ابن عمه وختنه سعيدا مع كمال أهليته

٩ - عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة أبو محمد الزهري كبير أهل الشورى وأحد السابقين الأولين أسقط حقه من الأمر وبذل وسعه في النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى برم العقد وجمع الأمة على بيعة عثمان

١٠ - وأبوعبيدة ابن الجراح أمين الأمة وأمير الفتوح الشامي وأحد العشرة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب ابن ضبة ابن الحارث بن فهرالفهري الذي قال فيه ا‌لصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا لما بلغ عمر سرغ وحدث أن **بالشام الوباء فقال** إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي أستخلفته فهؤلاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة ٢ أ." [٢]

"الثقات الذين رآهم ما سمع من هؤلاء الضعفاء عنهم، فكان يقول: قال عبيد الله، وقال مالك، فحملوا عن بقية، عن عبيد الله، وبقية عن مالك، وأسقط الواهي بينهما فالتزق الوضع ببقية، وتخلص الواضع من التوسط.

وكان ابن معين يوثقه /.

وقال مضر بن محمد الأسدي: سألت يحيى بن معين عن بقية، فقال: ثقة إذا حدث عن المعروفين، ولكن له مشايخ لا يدرى من هم، إلى أن قال ابن حبان: حدثنا سليمان بن محمد الخزاعي بدمشق، حدثنا هشام

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٥٢٦/٢٨

(٢) المعين في طبقات المحدثين الذهبي، شمس الدين ص/١٨

بن خالد، حدثنا بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس - مرفوعا: من أد من على حاجبيه بالمشط عوفي من الوباء.

وهذا من نسخة كتبناها بهذا الإسناد، كلها موضوعة، يشبه أن يكون بقية سمعه من إنسان واه عن ابن جريج، فدلس عنه، والتزق به.

وبه - إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إذا جامع أحدكم زوجته فلا ينظر إلى فرجها، فإن ذلك يورث العمى.

وبه - قال عليه الصلاة والسلام: تربوا الكتاب وسحوه (١) من أسفله، فإنه أنجح للحاجة.

وبه: من أصيب بمصيبة فاحتسب ولم يشك إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له.

أحمد بن يونس الحمصي، أنبأنا الوليد بن مسلم، عن بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في دم الحبون (٢) .

هشام بن عبد الملك اليزنى، أنبأنا بقية، حدثني مالك بن أنس، عن عبد الكريم الهمداني، عن أبي حمزة، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل نسى الاذان والاقامة، فقال: إن الله تجاوز عن أمتى السهو في الصلاة.

عبد الكريم هو الجزري، وأبو حمزة هو أنس بن مالك، حدثناه عبدان، وعمر ابن سنان، قالا: حدثنا هشام.

---

(١) هذا في الاصل.

(٢) الحبون: الدماميل (النهاية) .

(*)."[1]

"حدثنا مكحول البيروتى، حدثنا أبو الحسين الرهاوي، قال: سألت عبد الجبار ابن محمد، عن أبي داود النخعي، فقال: كان أطول الناس قياما بليل، وأكثرهم صياما بنهار.

قال ابن حبان: روى سليمان، عن ابن جابر، عن مكحول، عن أبي أمامة - مرفوعا: الحيض عشر، فما زاد فهي مستحاضة.

وقال البخاري - في الضعفاء الكبير: سليمان بن عمرو الكوفي أبو داود النخعي، معروف بالكذب.

قاله قتيبة، وإسحاق.

ثابت بن موسى، حدثنا سليمان بن عمرو، عن خالد بن سلمة، عن أبان بن عثمان، عن عثمان، عن النبي

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٣٣٣/١

صلى الله عليه وسلم: الثابت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب من الامصار.

قال أبو معمر: أخذ بشر المريسى رأى جهم من أبي داود النخعي.

وقال الحاكم: لست أشك في وضعه الحديث على تقشفه (١ [وكثرة عبادته] ١) .

وقال أبو الوليد: سمعت شريكا يقول: ما لقينا من ابن عمنا - يعنى سليمان بن عمرو - يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣٤٩٦ - سليمان بن عيسى بن نجيح السجزى.

عن ابن عون وغيره.

هالك.

قال الجوزجاني: كذاب مصرح.

وقال أبو حاتم: كذاب.

وقال ابن عدي: يضع الحديث، له كتاب تفضيل العقل جزآن.

ومن بلاياه: حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر - مرفوعا: إن الله أمرني بحب أربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

وله: عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر - مرفوعا: من **تمنى الغلاء على** أمتى ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة.

وله: عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله - مرفوعا:

---

(١) ساقط من س.

(*)".[١]

"٤١٥٩ - العباس [بن] (١) الاخنس.

شيخ لبقية.

مجهول.

٤١٦٠ - العباس بن بكار الضبي.

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٢/٢١٨

بصري.

عن خاله (٢) أبي بكر الهذلي.

قال الدارقطني: كذاب.

قلت: اتهم بحديثه عن خالد بن عبد الله، عن بيان، عن شعبة (٣) ، عن أبي جحيفة، عن علي - مرفوعا: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يأهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط إلى (٤) الجنة.

وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير.

حدثنا الغلابى، حدثنا العباس بن بكار، حدثنا عبد الله بن المثنى، حدثني ثمامة ابن عبد الله، عن أنس - **مرفوعا: الغلاء والرخص** جندان من جند الله، أحدهما الرغبة، والآخر الرهبة، فإذا أراد الله أن يغلى قذف في قلوب التجار الرغبة، فحبسوا ما في أيديهم، وإذا أراد أن يرخصه قذف في قلوب التجار الرهبة فأخرجوا ما في أيديهم.

والآخر أيضا باطل.

وقال ابن حبان: العباس بن الوليد بن بكار بصري.

روى أيضا عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غرس يوم الاربعاء فقال: سبحان الباعث الوارث، أتته بأكلها.

ومن أباطيله: عن خالد بن أبي عمرو الأزدي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحدي، محمد عبدى ورسولي، أيدته بعلى.

[٣٦ / ٣] ومن مصائبه: حدثنا عبد الله بن زياد الكلابي (٥) /، عن الأعمش، عن زر، عن حذيفة - مرفوعا - في المهدي، فقال سلمان: يارسول الله، من أي ولدك؟ قال: من ولدى هذا، وضرب بيده على الحسين.

---

(١) ليس في خ.

(٢) ل: خالد بن أبي بكر.

(٣) ل: الشعبي.

(٤) هامش خ: على.

(٥) ل: الكلبي.

(*)."[١]

"بن الحسن، أنبأنا عبد الله بن علي الدقاق، أخبرنا علي بن محمد، أنبأنا محمد (١) بن عمرو، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال:

مرضت عام الفتح مرضا أشفيت منه، فأتاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعودني.

فقلت: يا رسول الله! إن لي مالا كثيرا، وليس يرثني إلا ابنة، أفأوصي بمالي كله؟

قال: (لا) .

قلت: فالشطر؟

قال: (لا) .

قلت: فالثلث؟

قال: (والثلث كثير، إنك أن تترك ورثتك أغنياء، خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، لعلك تؤخر على جميع أصحابك، وإنك لن تنفق نفقة تريد بها وجه الله إلا أجرت فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك) .

قلت: يا رسول الله! إني أرهب أن أموت بأرض هاجرت منها.

قال: (لعلك أن تبقى حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة) .

يرثي له أنه مات بمكة (٢) .

متفق عليه من طرق عن الزهري.

---

(١) سقطت من المطبوع " أنبأنا محمد ".

(٢) أخرجه أحمد ١ / ١٧٩، ومالك في الوصية برقم (٤) : باب الوصية في الثلث لا تتعدى.

والبخاري (١٢٩٥) في الجنائز: باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة، و (٣٩٣٦) في مناقب الانصار و (٦٣٧٣) في الدعوات: باب الدعاء **برفع الوباء والوجع**، و (٦٧٣٣) في الفرائض، باب: ميراث البنات.

---

[١] ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٢/٣٨٢

ومسلم (١٦٢٨) في الوصية: باب الوصية بالثلث.

وأبو داود (٢٨٦٤) في الوصايا: باب ما جاء فيما لا يجوز للموصي في ماله، والترمذي (٢١١٧) في الوصايا: باب ما جاء في الوصية بالثلث، وابن ماجه (٢٧٠٨) في الوصايا: باب الوصية بالثلث.

وأخرجه البخاري (٢٧٤٢) في الوصايا: باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، و (٥٣٥٤) في النفقات: باب فضل النفقة، من طريق سفيان، عن سعد بن إبراهيم، به.

وقوله: " يرثي له أنه مات بمكة " هو من كلام الزهري.

انظر " الفتح " ٣ / ١٦٥ سلفية.." [1]

"ابن علية: عن يونس، عن الحسن:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (بلال سابق الحبشة (١)) .

قالت عائشة: لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء (٢) .

الحسن بن صالح: عن أبي ربيعة، عن الحسن، عن أنس، قال: قال رسول

---

(١) أخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ٥٩ وهو منقطع.

وقد تقدم من طريق آخر قبل قليل.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٩) في فضائل المدينة: باب (١٢) ، (٣٩٢٦) في مناقب الانصار: باب مقدم النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه المدينة، و (٥٦٥٤) في المرضى: باب عيادة الرجال النساء، و (٥٦٧٧) فيه: باب من دعا برفع الوباء والحمى.

وأحمد ٦ / ٢٦٠، وابن سعد ٣ / ١ / ١٦٥ كلهم من طريق: هشام، عن أبيه، عن عائشة ... وتمامه، ثم

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٢١/١

قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا، وفي مدنا، وصححها لنا.

وانقل حماها إلى الجفحة " قالت: وقدمت المدينة وهي أوبأ أرض الله.

قالت: وكان بطحان يجري نجلا - تعني: ماء آجنا ".

ووعك: بضم أوله، أصابه الوعك وهو الحمى.

ومصبح: بوزن محمد: أي مصاب بالموت صباحا.

شراك نعله: اليسر الذي يكون في وجه النعل.

ويرفع عقيرته: أي يرفع صوته بغناء

أو بكاء.

ومجنة: موضع على أميال من مكة وكان به سوق.

شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

وقال الخطابي: كنت أحسبهما جبلين حتى ثبت عندي أنهما عينان.

وقد تحرفت في المطبوع " عنه " في قوله " أقلع عنه " إلى " عن مجنة ".

والابيات في " معجم البلدان " ٣ / ٣١٥ وفيه: " بفخ " بدل " بواد "..." (١)

"قال: وسمعت في هذه السنة من محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ. وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يحكي عن ابن أبي حاتم قال: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا: هو عليل؛ فرأيت سمكا أعجبنا فاشتريناه فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا فلم يزل السمك ثلاثة أيام وكاد أن ينضى فأكلناه نيا لم نتفرغ نشويه؛ ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد.

ثم قال أبو الحسن: رحل مع أبيه وحج مع محمد بن حماد الطهراني سنة ستين ومائتين ثم رحل بنفسه إلى الشام ومصر سنة اثنتين وستين، ثم رحل إلى أصبهان سنة أربع وستين، قال لي أبو عبد الله القزويني: إذا صليت مع ابن حاتم فسلم نفسك إليه يعمل بها ما شاء. قال أبو الوليد الباجي: ابن أبي حاتم ثقة حافظ. عمر بن إبراهيم الهروي الزاهد نا الحسين بن أحمد الصفار سمعت ابن أبي حاتم يقول: وقع **عندنا الغلاء** **فأنفذ** بعض أصدقائي حبوبا من أصبهان فبعته بعشرين ألف أو قال: اشتر لي بها دارا؛ فانفقتها على الفقراء،

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١/٣٥٤

وكتبت إليه: اشتريت لك بها قصرا في الجنة؛ فقال: رضيت إن ضمنت؛ فكتبت على نفسي صكا بالضمان، فأريت في المنام: قد قبلنا ضمانك ولا تعد لمثل هذا.

قلت الحسين ضعيف. قال محمد بن مهرويه سمعت ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة. قال محمد: فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا؛ فبكى وارتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية.

قلت: مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

وفيها مات شيخ القراء أبو بكر أحمد بن محمد الأدمي، وأبو الدنيا الأشج عثمان بن خطاب المغربي الكذاب الذي زعم أنه سمع من علي -رضي الله عنه- والمحدث الثقة أبو بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي مصنف المكارم وغير ذلك، وأبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي، وقاضي مصر أبو عبد الله الحسين بن القاضي أبي زرعة محمد بن عثمان الدمشقي.

أخبرنا يوسف بن أبي نصر والحسن بن علي قالا: أنا محمد بن عبد الكريم القيسي أنا أبو المعالي بن صابر أنا أبو القاسم النسيب أنا سليم بن أيوب أنا أحمد بن محمد البصير نا عبد الرحمن بن أبي حاتم نا أبو سعيد الأشج نا عيسى بن يونس وأبو أسامة عن ابن عون." (١)

"وخمس مئة دينار، وغير ذلك، وشرطه له كل شفاعة يشفعها من حلب، وفي الطريق، ومدة مقامه بدمشق، واقام بها قريبا من ثلاثة اشهر ولم يسأله من عزل وولاية إلا أجابه إلى ذلك. وقدم إليه يوما وهو في سوق الخيل بدمشق نصراني من الزبداني رمى مسلما بسهم، فمات، فأمر بقتله وتفصيله على أعضائه، قطعت يداه من كتفه، ورجلاه من فخذيه، وخر رأسه، وحملت أعضاؤه على أعواد، وطيف به، فارتعب الناس لذلك، فقلت له أنا:

لله أرغون شاه ... كم للمهابة حصل

وكم بسيف سطاه ... من ذي ضلال تنصل

ومجمل الرغب خلى ... بعض النصارى مفصل

واختطف الحرافيش يوما **في الغلاء الخبز** من الجوع، فأمسك جماعة من الحرافيش وقطع أيدي ثمانية عشر رجلا، وأرجلهم، وسمر على الجمال سبعة عشر وهو واقف بسوق الخيل، وذلك في تاسع عشر ذي

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٣/٣٥

القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة، فقلت أنا في ذلك:

كان الغلا يغلو فأما إذا ... أصبح نارا قلت ذا يغلي

وأصبح الحرفوش ذا كسرة ... عن طلب الكسرة في شغل

من يطلب الخبز ومن يشتهي ... وهو بقطع اليد والرجل

ولم ينل أحد من السعادة ما ناله، ولا حصل ما حصله في المد القريبة من المماليك والجواري، والخيل والجوهر والأمتعة والقماش، ولا تمكن أحد بعد الأمير سيف الدين تنكز تمكنه، يكتب إلى مصر بكل ما يريده في حلب وطرابلس وغيرها، وحماة وصفد." (١)

"ابن الأكفاني: شمس الدين الطبيب، محمد بن إبراهيم.

الأكز بضم الكاف وإشباعها لتنشئ واوا، ثم زاي، الأمير سيف الدين الناصري.

كان أولا جمدارا، وأمره أستاذه، وكان يتحقق أمانته، فجعله مشد الدواوين، فعمل الشد أعظم من الوزارة، وتنوع في عذاب المصادرين وغيرهم، وضربهم بالمقارع، وأحمى لهم الطاسات وألبسهم إياها، وأحمى الدسوت، وأجلسهم عليها، وضرب الأوتاد في آذانهم، ودق القصب تحت أظافرهم، وبالغ وشدد.

وجاء لولو فندش الآتي ذكره - إن شاء الله تعالى - في حرف اللام، وأقامه السلطان معه مشد الجهات، واتفقا على عقاب الناس، وجمع الله منهما بين الحجاج والطاعون، واستخرجا الأموال، وأزهقا النفوس، وتضاعف البلاء، وعم الأذى، وزاد الشقاء في أيامهما، وسكنت روعة الأكز في القلوب، وكان الكاتب يدخل إليه ميتا، ويخرج ميتا.

ولم يزل كذلك إلى أن لطف الله بالناس، وقدر أنه غضب على لولو المذكور، فأخذ الع‍صا بيده، وضربه إلى أن هرب قدامه، وهو خلفه إلى أن وصل إلى باب القلعة، ونزل شاشه في رقبته، فراح لولو إلى القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص، ودخل عليه وعلى قوصون، وبذل المال، واتفق أن **كان الغلاء في** سنة ست وثلاثين وسبع مئة، فقال السلطان: يا الأكز لا تدع أحدا يبيع الأردب بأكثر من ثلاثين درهما، وانزل إلى شون الأمراء وألزمهم بذلك.." (٢)

"بيبغاروس

الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤٦٠/١

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥٨٦/١

أول ما ظهر وشاع ذكره في الأيام الصالحية إسماعيل، وهو الذي جاء في أول دولة الكامل يطلب طقزتمر نائب الشام إلى مصر، ثم لما قتل المظفر حاجبي ظهر واشتهر، وباشر النيابة بمصر على أحسن ما يكون وأجمل ما باشره غيره لأنه أحسن إلى الناس وبسط لهم الإيناس، ولم يظلم أحدا ولم يتخذ على من تهتك رصدا، وكان إذا مات أحد أعطى ولده إقطاعه، وكل من طلب منه شيئا قال: سمعا وطاعه، فأحبه الناس ودعوا، وحفظوا عهده ورعوا، ومشوا في ركابه وسعوا، وتباركوا بطلعته، وتقرب كل أحد إليه بنفاق سلعته، وكان الطاعون في أيامه، **وذلك الوباء داخلا** في أقسامه، فيقال: إنه كفن مئة ألف أو يزيدون، وأعطى الإقطاعات للأولاد، أراد الأمراء ذلك أو لا يريدون.

قيل: إنه جاءت إليه امرأة وقالت: مات زوجي وليس له إلا إقطاعه وترك لي هاتين الابنتين، فرق لها، فقال لناظر الجيش: اكشف عبرته. فقال: خمسة عشر ألف، فقال: من يعطي في هذا عشرين ألف درهم فقال واحد: أنا أعطي اثني عشر ألف درهم فقال: هاتها، فوزنها، فقال للمرأة: خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك، وأعطى الإقطاع لذلك الذي سلم الدراهم.

وكان في النيابة فيه خير كثير، وإحسان إلى الناس غزير إلا أنه كان يعكف على حسو السلافه، ويرى أنه بتعاطي كؤوسها قد نال الخلافه، ماله رغبة في غير اجتلاء." (١)

"وكان الشيخ حسن الكبير أولا زوج الخاتون بغداد بنت جوبان، فلم يزل به بوسعيد القان إلى أن أخذها منه بعدما أتت من الشيخ حسن بابنه الأمير إيلكان، ولم يزل الشيخ حسن مبعدا إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى، فملك بغداد ونزل بها، وأقام فيها، وجرت له مع المذكورين حروب كثيرة ونصره الله عليهم، ولم يزل مروعا من أولاد تمرتاش وهو المنصور، ثم إنه تزوج الخاتون دلشاذ بنت دمشق خواجا بن جوبان الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه.

وجرى في أيامه **ببغداد الغلاء العظيم**، حتى أبيع الخبز على ما قيل بصنج الدراهم، ونزح الناس عن بغداد؛ وعدم منها حتى الورق، وكان يجلب منها إلى الشام ومصر وغيرهما، ولما أظهر العدل وأمن الناس تراجع الناس إليها وذلك سنة ثمان وأربعين وسبع مئة.

وفي أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة توجه إلى ششتر ليأخذ من أهلها قطيعة كان قد قررها عليهم، فلما أخذها وعاد وجد نوابه في بغداد قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاث جباب نحاسا مثل جباب الهريسة، طول كل جب ما يقارب الذراعين والنصف، وهي مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا، وفي بعضه سكة

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢/٨٦

الإمام الناصر، وكان زنة ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي، يكون ذلك مثاقيل خمس مئة ألف مثقال.

الحسن بن تمرتاش بن جوبان

المعروف بالشيخ حسن، تقدم ذكر والده وجده في مكانهما.

كان هذا الشيخ حسن داهية ولم يكن ذاهبه، بعيد الغوص في الفكر والغور،." (١)

"كان ذا حلم، وركون إلى السلم، فأهمل أمور الجهاد، فامتلأت عليه بالوبال الربا والوهاد، وامتدت أفنان الفتن، وجرى وبل الوبال وهتن. وعلا في أيامه أمر الغلاء، وكادت سنوه تجري على الولاء. إلا أنه كان له نظر في العلوم، واتصاف يدخل به في ذوي الفهوم.

ولم يزل في إنكاد إلى أن كاد يفارقه الملك، ويقع في ورطات، يرمي بنفسه إلى الهلك، إلى أن جاء الأمر الذي لا يدفع، ولا يرده صاحب ولا يمنع.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة. وله بضع وستون سنة.

كانت دولته اثنتين وعشرين سنة، وملك أخوه يوسف قبله خمسا وعشرين سنة، لكن بينهما الملكان عامر وسليمان، وخالف على عثمان ابنه عمرو، وملك سجلماسة، وجرت في ذلك أمور يطول شرحها.

وملك بعد عثمان ولده الفقيه العالم السلطان العادل أبو الحسن علي، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه.

عثمان بن يوسف

ابن أبي بكر، القاضي المحدث الفقيه الورع الصالح فخر الدين أبو محمد النويري المالكي.

صحب والده القدوة الزاهد علم الدين، وتفقه به وبجماعة، وأفتى ودرس، وكان كثير الحج والمجاورة والتأله والصدق والإخلاص.." (٢)

"ولم يزل معظما يحبه أهل دمشق، ويحسن هو إليهم إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة، وولاه الصعيد، فدخل يوما إلى ديوان الإنشاء بقلعة الجبل لإلفه بأهل دمشق، وقعد عندنا يسيرا يتحدث ويذكر دمشق، فجاء إليه إنسان من عند بعض

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١٩٢/٢

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢٣٣/٣

الخاصية يقول: هذا يكون في خدمتك، يصلي بك ويؤذن ويقرأ. يشير إلى فقيه معه. فقال: سلم على الأمير، وقل له: أنا ما أروح إلى الصعيد مسلما، فضلا عن أني أصلي. فأخذنا منه ذلك على عادة بسطه وتنديبه. فما كان إلا أن راح إلى الصعيد، وحط يده والسيف. فوسط وسمر وشنق، وسفك الدماء، إلى أن نقل إلى ولاية القاهرة في سادس عشري جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة.

وكان الحال في هذه الولاية أشق. أول ولاية بالقاهرة قطع على ما قيل خمسين يدا غير الأرجل، وزاد في ذلك، ودخل مع القاضي شرف الدين النشو وأحبه وأخذا أرواح جماعة من الكتاب.

وولى السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمدا مصر، وأضاف الحسبة في الخبز إلى الأمير علاء الدين في أيام الغلاء، لكنه ساس ذلك سياسة جيدة. وأظنه تولى القاهرة بعد سيف الدين بلبان الحسامي، بعدما نقل إلى نيابة دمياط.

علي بن الحسن بن علي

الشيخ نور الدين أبو الحسن الأرموي الشافعي، شيخ خانقاه القاضي كريم الدين.

سمع من الفخر بن البخاري وغيره.." (١)

"كبيس بن منصور بن جماز

الشريف أمير المدينة الحسيني.

تولى إمرة المدينة لما قتل والده منصور في رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة.

ولم يزل بها إلى أن قتل أيضا في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة.

ابن الكتاني: الشيخ زين الدين عمر بن أبي الحرم.

كتبغا

الملك العادل زين الدين المنصوري المغلي.

كان فيه دين وتعبد، وخير ومزايا له بها تفرد. عديم الشر لا يناوي من ناواه، ولا يقاوي من قاواه، منقادا لأحداث دهره، مرتادا لما يريده من خيره وشره، ولذلك سلمت له العاقبه، وأفادته الإنابة إلى الله والمراقبه. ولكن جاء الغلاء المفرط في أيامه، ونقص النيل زائدا عما عهد في قديم أعوامه، فتشاءم الناس بطلعته،

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣/٣٣٢

ولم ينفق القدر له رديء سلعته، وكان إذا رأى ذلك زاد بكاؤه، وعظم ابتكاؤه، وقال: هذا بحظي وخطيئتي، وهذا جاء في قسمي وقدر في عطيتي:

وغايتي أن ألوم حظي ... وحظي الحائط القصير." (١)

"ومولده سنة ثمان وسبعين وست مئة.

اشتغل بالعلم، وقرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي، وأجازه بالفتوى. وتوجه إلى القاهرة، وسمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحافظ شرف الدين الدمياطي، وقاضي القضاة ابن جماعة، وقرأ على شيخنا أثير الدين " الفصول في النحو "، وعلى الخطيب الجزري " الأصول " وأجازه بالفتوى، وأجازه الشيخ فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد.

وتعدل وجلس بالقاهرة وقوص، وتولى العقود، واستنابه زين الدين إسماعيل السفطي في الحكم بأرمنت، وتولى الخطابة بإسنا، وتولى الحكم بقمولا وقنا وقفط وأصغون، ثم ولي النيابة بقوص ثم إن قاضي القضاة جلال الدين القزويني قسم على قوص بينه وبين شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن حرمي القمولي، فتولى جمال الدين قوص والبر الشرقي وذاك في البر الغربي، وتزوج ببنت ابن حرمي للائتلاف، وأقبل جمال الدين على المتجر بجملته، واستمال ابن حرمي الوالي بالهدايا. فاتفق أن وقع الغلاء في قوص سنة خمس وثلاثين وسبع مئة، وكان عند جمال الدين تقدير ألفي إردب وخمس مئة إردب، فقال الوالي لجمال الدين: إنه يبيع بالسعر المعروف، فأراد التأخير لغلاء السعر، فكتب الوالي إلى السلطان، فبرز مرسومه بالحوطة عليه وإحضاره، وصرف عن القضاء. ثم إن جمال الدين تولى النيابة خارج باب النصر بالقاهرة بعد سنتين وشهرين مديدة لطيفة، فلما تولى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يوله.." (٢)

"الأيام بولده هذا الأمير ناصر الدين، وترقى الى أن تولى الحجبة بصفد، ثم إنه أمسك واعتقل بإسكندرية، في واقعة بيبغاروس لما كان صحبة الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد، ثم إنه أفرج عنه، وأخرج الى طرابلس، ثم طلب الى مصر، وجعل حاجبا صغيرا بحلب، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخو نيابة ديوانه بحلب، فاجتهد في خدمته، وعمر الخان المليح والحمام بجب السقايين بين المعرة وحماة، ثم أضيف إليه شد الخاص وشد الأوقاف بحلب.

ثم إنه رسم له بإمرة الحجبة الكبرى عوضا عن الأمير ناصر الدين بن شهري، وأقام على ذلك الى أن طلب

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١٤٤/٤

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥٥٨/٤

الى مصر صحبة علاء الدين علي البشيري، فأعطاه السلطان بمصر إمرة طبلخاناه، وجعله مشدا في العمائر السلطانية بالقاهرة، ثم إنه جهزه في سنة إحدى وستين وسبع مئة الى منفلوط لقبض مغلها، فقبضه وعاد الى القاهرة على شد العمائر.

ثم إنه مرض مرضة طويلة في **ذلك الوباء العام**، ووصل الخبر الى دمشق بموته رحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله بارا بوالدته وإخوته وأخواته، عفيفا أمينا في مباشراته، عارفا دربا بما يتحدث فيه، فيه كرم ومروءة زائدة.." (١)

"الذين معه واحدا بعد واحد ونزلوا الى كتبغا، فطلب الشجاعي الأمان، فطلبوه الى الست والى لاجين استادار ليستشيروه فيما يفعلونه، فلما توجه إليهم ضربه الآقوش المنصوري بالسيف قطع يده، ثم ضربه أخرى برى رأسه، ونزلوا برأسه الى كتبغا، وجرت أمور، وغلقت أبواب القاهرة خمسة أيام.

ثم طلع كتبغا الى القلعة سابع عشري صفر ودقت البشائر وفتحت الأبواب وجددت الأيمان والعهود للسلطان الملك الناصر، وأمسك جماعة من البرجية كانوا مع الشجاعي، وجاءت الحوطة الى دمشق على ما يتعلق به، وخطب الخطيب في يوم الجمعة حادي عشري شهر ربيع الأول للسلطان الملك الناصر استقلالا، وترحم على والده المنصور وأخيه الأشرف.

وفي عشري شهر رجب ورد البريد بالحلف للناصر وولي عهد كتبغا.

وفي سلخ رجب ورد البريد أن السلطان ركب في شعار الملك وأبهة السلطنة وشق القاهرة، دخل من باب النصر وخرج من باب زويلة عائدا الى القلعة، والأمراء وكتبغا يمشون في ركابه، وفرح الناس بذلك ودقت البشائر.

ولم يزل مستمرا في الملك الى حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وست مئة، فتسلطن كتبغا وتسمى بالعادل، وحلف له الأمراء بمصر والشام، ودقت البشائر وزينت البلاد، وجعل أتابكه الأمير حسام الدين لاجين، وتولى الوزارة الصاحب فخر الدين ابن الخليلي، وصرف تاج الدين بن حنا، **وحصل الغلاء الزائد** المفرط في أيامه حتى بلغ الإردب بمصر الى مئة وعشرين، ورطل اللحم بالدمشقي الى سبعة دراهم، ورطل اللبن بدرهمين، والبيض ستا بدرهم، ورطل الزيت بثمانية." (٢)

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣٩/٥

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٧٨/٥

"ولم يكن الشام مرخصا، وتوقفت الأمطار، وفزع الناس، وذلك في سنة خمس وتسعين وست مئة. وتبع ذلك وباء عظيم، وفناء كثير، ثم **إن الغلاء وقع** بالشام وبلغت الغرارة مئة وثمانين.

وقد كتبغا بالعساكر الى الشام في ذي القعدة سنة خمس وتسعين، ولما عاد الى مصر من نوبة حمص في سلخ المحرم سنة ست وتسعين وست مئة ووصل الى اللجون جرى له ما جرى مما تقدم ذكره في ترجمة كتبغا، وهرب كتبغا الى دمشق، ودخل لاجين بالخزائن وتسلطن بالقاهرة وتسمى بالمنصور، ولم يختلف عليه اثنان، كما تقدم في ترجمة لاجين.

واستناب قراسنقر بمصر مدة، ثم إنه قبض عليه واستناب منكوتمر مملوكه، على ما تقدم، وجعل قبجق نائب دمشق، وجهز الملك الناصر الى الكرك، وقال: لو علمت أنهم يخلون الملك لك والله تركته، ولكنهم ما يخلونه، وأنا مملوكك ومملوك والدك، أحفظ لك الملك، فأنت تروح الى الكرك الى أن تترعرع وترتجل وتتخرج وتدرب الأمور وتعود الى ملكك، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة، فقال له السلطان: فاحلف لي إنك تبقي علي نفسي وأنا أروح، فحلف كل منهما على ذلك، وتوجه السلطان وأقام بالكرك الى أن قتل لاجين، على ما تقدم في ترجمته، في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة، فحلف للسلطان الملك الناصر جميع الأمراء وأحضروه من الكرك وملكوه. وهذه سلطنته الثانية. وجعل سلار نائبا بمصر، وحسام الدين أستادار أتابكا.." (١)

"ودخل شهر جمادى الأولى والناس في أمر مريج، ووصل بكتمر السلاح دار بألف فارس، وعاد السلطان الى مصر، فانجفل الناس غنيهم وفقيرهم، ونودي في الأسواق بالرحيل، وضج النساء والأطفال، وغلقت أبواب دمشق، واقتسم الناس قلعة دمشق بالشبر، ووقع على غيارة التتار عسكر حمص فكسروهم وقتلوا منهم نحو مئة، وصحت الأخبار برجوع غازان نحو حلب، فبلغ الناس ريقهم، وأطفأ السكون حريقهم، وهلك كثير من التتار تحت الثلج بحلب، وعم الغلاء، وعز اللحم بدمشق وبيع الرطل بتسعة دراهم، ثم دخل الأفرم والأمراء من المرج بعدما أقاموا به أربعة أشهر، واستقر حال الناس بعد ذلك.

وفي شهر شعبان ألبس النصارى الأزرق واليهود الأصفر والسامرة الأحمر، وسبب ذلك أن مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند سلار والجاشنكير، فحضر بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء، فقام له المغربي يتوهم أنه مسلم، ثم ظهر له أنه نصراني، فدخل الى السلطان وفاوضه في تغيير زي أهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم. وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي، ومن خطه نقلت:

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥/٧٩

لقد ألزم الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم: ما ألبسوكم عمائما ... ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا
ونقلت منه له:
غيروا زيهم بما غيروه ... من صفات النبي رب المكارم." (١)

"وساد في القاهرة ورأس، وأحبه المصريون لمكارمه ومروته وحلمه، وولاه السلطان الملك الناصر محمد مطابخ السكر وولاه نظر الأهراء مع ما بيده، وتولى نظر البيمارستان المنصوري، فسلك فيه أحسن السلوك، ورافق فيه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك، وبعده الأمير علم الدين الجاولي، وبعده الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، ووقع بينهما، وعزل منه في الأيام الصالحية إسماعيل، ثم تولاه، ورافق فيه الحاج أرقطاي نائب مصر.

وكان قد تولى أيام الملك الناصر محمد حسبة القاهرة ومصر.

وكان قبل ذلك محتسب القاهرة مع البيمارستان، ولما **كان الغلاء في** سنة ست وثلاثين وسبع مئة جمع له السلطان بين الحسبتين.

ولما خرج القاضي جلال الدين من القاهرة الى قضاء الشام تعصب شرف الدين النشو عليه، وساعده عليه غيره، وأخذوا منه الحسبتين والصدقات وأبقوا عليه البيمارستان.

فلما كانت أيام الصالح إسماعيل ولاه نظر الدولة مع البيمارستان، فباشر ذلك مديدة، ولم يتناول معلوما، وطلب الإعفاء، فأعفاه، ثم ولاه الجوالي مع حسبة القاهرة والبيمارستان، ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدين جنكلي، فعزل من الجميع في أواخر دولة الصالح ولزم بيته.." (٢)

"(١) ٣٢٤

أبو الفتح البلطي

عثمان بن عيسى بن هيجون (٢) ، أبو الفتح البلطي الأديب النحوي؛ له شعر ومجاميع في الأدب، وكان طويلا ضخما كبير اللحية، ويلبس عمامة كبيرة وثيابا كثيرة في الحر، تصدر بالجامع العتيق بمصر وروى؛ وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وبلط: بليدة قريبة من الموصل.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٨٣/٥

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٦١٤/٥

وكان قد أقام بدمشق مدة يتردد إلى الزبداني للتعليم، ولما ملك الملك الناصر مصر انتقل إليها وحظي بها، ورتب له صلاح الدين على جامع مصر جاريا يقرئ به النحو والقرآن، ولما كان في آخر **سنة الغلاء توفي**، وبقي في بيته ثلاثة أيام ميتا، لأنه كان يحب الانفراد والخلوة، وكان يتطيلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر، وكانوا يقولون له: أنت في الشتاء من حشرات الأرض، وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن، فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة وصب عليه ا لماء الحار الناضج بيده الأخرى، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه، يفعل ذلك مرارا ويقول: أخاف من الهواء.

وكان إماما نحويا مؤرخا شاعرا. وله العروض الكبير نحو ثلثمائة ورقة، وكتاب العروض الصغير وكتاب العظات الموقظات وكتاب النير في العربية وكتاب أخبار المتنبي وكتاب المستزاد على المستجاد في فعلات

---

(١) معجم الأدباء ١٢: ١٤١ والزركشي: ٢٠٧ وبغية الوعاة: ٣٢٣ ومعجم البلدان (بلط) .

(٢) الزركشي ومعجم البلدان والبغية: منصور." (١)

"سنة اثنتين وسبعمائة.

وكان موصوفا بالديانة والخير والرفق بالرعية، ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق، وجرى في **أيامه الغلاء العظيم** بالديار المصرية، وكان يبكي ويقول: هذا بخطيئتي، وفيه يقول الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق:

إنما العادل سلطان الورى ... عندما جاد بتشريف الجميع

مثل قطر صاب قطرا ماحلا ... فكسا أعطافه زهر الربيع ٤٠٤ (١)

العتابي

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره، وهو أديب مصنف له من الكتب "كتاب المنطق " و " كتاب الآداب " و "كتاب فنون الحكم " و "كتاب الخيل " و "كتاب الألفاظ ". وتوفي في حدود العشرين والمائتين.

وكان تزهد ومدح الرشيد والمأمون، وكان قد نقل إلى الرشيد عنه ما أهدر به دمه، فخلصه جعفر فقال فيه

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢/٤٤٣

شعرا:

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٤٨٨ وطبقات ابن المعتز: ٢٦١ والشعر والشعراء: ٧٤٠ ومروج الذهب ٤: ١٤ والأغاني ١٣: ١٠٧ والفهرست: ١٨١ وكتاب بغداد: ٦٩، ٨٧ - ٨٩ ومعجم المرزباني: ٢٥١ والوزراء والكتاب: ١٨١ والموشح: ٤٤٩ والبيان والتبيين ١: ٥١ ومعجم الأدباء ١٧: ٢٦ واللباب ٢: ١١٨ وابن خلكان ٤: ١٢٢ (وهو مما انفردت به إحدى النسخ وليس من شرط المؤلف) والزركشي: ٢٤٩؛ وبقيت من هذه الترجمة في ر بقية يسيرة.." [١]

"الأسباب على وجوهها وكان حسن النظر لمن أمله وقصده معينا لمن أمه واعتمده وكان مبتلى بالمذهب ولم يكن يصافح أحدا دون كاغذ أو ثوب ومر يوما بنخاس يعالج دابة فتأفف وأبرز يده من كمه وعلقها إلى أن نزل وصب عليها قماقم من الماء تقذرا مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولى ذلك ولم يكن يأذن في أمساك السنانير في دوره فكان الفأر يتعابث فيها وفيه يقول أبو الطيب الطاهري

(رأيت الوزير على بابه ... من المذهب الشايع المنتشر)

(يرى الفأر أنظف شيء يدب ... على ثوبه ويعاف البشر)

(يبيت حفيا بها معجبا ... ويضحي عليها شديد الحذر)

(فإن سعبت فهو في حجرها ... يفت لها يابسات الكسر)

(فلم صار يستقذر المسلمين ... ويألف ما هو عين القذر)

قلت هكذا أثبته ياقوت وجاء في الأحمدين فقال أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وأظنه هذا والله أعلم ولكن هكذا أثبته في المحمدين وفي الأحمدين

٣ - (التميمي الطبيب محمد بن أحمد بن سعيد أبو عبد الله التميمي الطبيب)

كان بالقدس أولا ونواحيه وله معرفة جيدة بالنبات وماهيته وكان متميزا في الطب والإطلاع على دقايقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة واستقصى معرفة الدرياق الكبير الفاروق وركب منه

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢١٩/٣

شيئا كثيرا على أتم ما يكون وانتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي وكان قد أجتمع بالقدس براهب يقال له أنباز خرما بن ثوابة كان يتكلم في أجزاء العلوم)

الحكمية والطب وكان في الماية الرابعة فلازمه وأخذ عنه فوايد واختص التميمي بالحسن بن عبد الله بن طعج المستولي على الرملة ثم أدرك الدولة العلوية بمصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وصنف له كتابا كبيرا عدة مجلدات سماه مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من **ضرر الوباء وصنف** كتابا في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه وكتاب الفحص والأخبار وكان التميمي موجودا بمصر سنة سبعين وثلث ماية

محمد بن أحمد بن الحسين

٣ – (ابن المسند المشهور)

توفي سنة خمسين وأربع ماية

٣ – (أبو عاصم العبادي الهروي الشافعي محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن." (١)

"(الصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم)

روى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط ابن مخنف وروى عنه أبو حاتم السجساتي وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي وقدم بغداد وحدث بها وكان مشتهرا بالشراب وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ومن تصانيفه كتاب الخيل كتاب أشعار الأعاريب وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الذبيح وكتاب الأخلاق وغير ذلك ومن شعره القصيدة التي منها

(رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر)

(وكن متى أبصرنني أو سمعن بي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجر)

توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين وقال أول شعر قلته

(بنفسي شيء لست أعرف قدره ... على أنه ما كان فهو شديد)

(تمر به الأيام تسحب ذيلها ... فتبلى ولا تبليه وهو جديد)

القائم بأمر الله الفاطمي محمد بن عبيد الله ويدعى محمد نزارا ابن المهدي القائم بالمغرب بايع لمحمد والده المذكور بولاية العهد بإفريقية وما معها وكانت الكتب تكتب باسمه والمظلة تحمل على راسه وجهزه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢/٥٩

أبوه إلى مصر مرتين ليأخذها الأولى في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مائة فوصل إلى الإسكندرية وملكها وملك الفيوم وصار في يده أكثر خراج مصر وضيق على أهلها والمرة الثانية وصل إلى الإسكندرية في سنة سبع وثلاث مائة في عسكر عظيم فخرج عامل الإمام المقتدر عنها فدخلها ثم خرج إلى الجيزة في خلق عظيم ووردت الأخبار إلى بغداد فجهز مؤنس الخادم بالرجال والأموال فلما وصل إلى مصر كان القائم قد ملك الجيزة والأشمونين وأكثر بلاد الصعيد فتلاقيا وجرى بينهما حروب عظيمة ووقع في عسكر **القائم** **الوباء والغلاء** فمات الناس والخيل فرجع إلى إفريقية وتبعه عسكر مصر إلى أن تباعد عنهم

وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد الخارجي وكانت المطوعة قد تبعته وقاسى منهم شدائد فأحسن السيرة بنو." (١)

"الوزير الجواد محمد بن علي بن أبي منصور الصاحب جمال الدين أبو جعفر الأصبهاني الملقب بالجواد وزير صاحب الموصل أتابك زنكي بن آقسنقر

كان نبيلا رئيسا دمث الأخلاق حسن المحاضرة محبوب الصورة سمحا كريما مدحه القيسراني بالقصيدة التي أولها

(سقى الله بالزوراء من جانب الغرب ... مها وردت عين الحياة من القلب)

كان جده أبو منصور فهادا للسلطان ملكشاه بن الب رسلان السلجوقي فتأدب ولده وسمت همته وخدم في مناصب علية وصاهر الأكابر فلما ولد له جمال الدين المذكور عني بتأديبه وتهذيبه ثم رتب في ديوان العرض للسلطان محمود بن ملكشاه فظهرت كفايته فلما تولى اتابك زنكي الموصل وما والاها استخدم جمال الدين المذكور وقربه واستصحبه معه إليها وولاه نصيبين فظهرت كفايته وأضاف إليه الرحبة فأبان عن كفاية وعفة فجعله مشرف مملكته وحكمه تحكيما لا مزيد عليه

وكان الوزير يومئذ ضياء الدين الكفرتوثي فلما توفي سنة ست وثلاثين وخمس مائة تولى الوزارة بعده أبو الرضا ابن صدقة وجمال الدين المذكور فخف على قلب زنكي ولم يظهر جمال الدين في حياة زنكي مالا ولا نعمة إلى أن توفي على قلعة جعبر فرتبه سيف الدين غازي ابن اتابك في وزارته فظهر جوده حينئذ بالعطايا وبالغ في الإنفاق حتى عرف بالجواد

وأثر آثارا جميلة وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه وبنى سور مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان خرب من المسجد وكان يحمل في كل سنة إلى

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/٤

مكة وإلى المدينة من الأموال وكسوة الفقراء والمنقطعين ما يقوم بهم مدة سنة كاملة وكان له ديوان مرتب باسم أرباب الرسوم والقصاد وتنوع في فعل الخير وواسى الناس **زمن الغلاء وكان** إقطاعه عشر مغل البلاد على جاري عادة وزراء السلجوقية وأباع يوما بقياره وصرفه للمحاويج وله مكارم جمة كثيرة

وأقام على هذا الحال إلى أن توفي مخدومه غازي وقام بعده قطب الدين مودود فاستكثر إقطاعه وثقل عليه أمره فقبض عليه وحبسه ولم يزل مسجونا حتى توفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمس مائة وصلي عليه وكان يوما مشهودا من بكاء الضعفاء والأرامل)

والأيتام وضجيجهم حول جنازته

ودفن بالموصل إلى بعض سنة ستين ثم نقل إلى مكة وطيف به حول الكعبة وطافوا به مرارا مدة مقامهم وكان يوم دخوله يوما مشهودا وكان معه شخص يذكر مآثره ويعدد محاسنه إذا وصلوا به إلى المزارات فلما انتهى إلى الكعبة وقف وأنشد

(يا كعبة الإسلام هذا الذي ... جاءك يسعى كعبة الجود)

(قصدت في العام وهذا الذي ... لم يخل يوما غير مقصود)

ثم حمل إلى المدينة صلوات الله على ساكنها وسلامه ودفن بالبقيع بعد أن أدخل المدينة وطيف به حول حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشد الشخص المذكور." (١)

"الأمراء الذين اتفقوا على قتلة الشرف وهم الأمير سيف الدين نوغاي وسيف الدين الناق وعلاء الدين الطنبغا الجمدار وشمس الدين آقسنقر مملوك لاجين وحسام الدين طرنطاي الساقي ومحمد خواجا وسيف الدين اروس وكان ذلك في خامس صفر فأمر السلطان الملك الناصر بقطع أيديهم وتسميرهم أجمعين وطيف بهم مع رأس بيدرا ثم ماتوا إلى العشرين من صفر فبلغ كتبغا أن الشجاعي قد عامل الناس في الباطن على قتله

فلما كان خامس عشرين صفر ركب كتبغا في سوق الخيل وقتل بسوق الخيل أمير يقال له البندقداري لأن جاء إلى كتبغا وقال له اين حسام الدينأحضرهفق ال ما هو عندي فقال بل هو عندك ومد يده إلى سيفه ليسله فضربه بلبان الأزرق مملوك كتبغا بالسيف وحل كتفه ونزل مماليك كتبغا فأنزلوه وذبحوه في سوق الخيل

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١١٦/٤

ومال العسكر من الأمراء والمقدمين والتتار والأكراد إلى كتبغا ومال البرجية وبعض الخاصكية إلى الشجاعي لأنه أنفق فيهم في يوم ثمانين ألف دينار وقرر أن كل من أحضر راس أمير كان اقطاعه له

وحاصر كتبغا القلعة وقطع الماء عنها فنزل البرجية ثاني يوم من القلعة على حمية وقاتلوا كتبغا وهزموه إلى بئر البيضاء فركب الأمير بدر الدين البيسري وبدر الدين بكتاش أمير سلاح وبقية العسكر نصرة لكتبغا وردوهم وكسروهم إلى أن أدخلوهم القلعة وجدوا في حصارها فطلعت الست والدة السلطان الملك الناصر إلى أعلى السور وقالت ايش المرادفقالوا ما لنا غرض غير إمساك الشجاعي فاتفقت مع الأمير حسام الدين لاجين الأستاذ دار وأغلقوا باب القلة وبقي الشجاعي في داره محصورا وتسرب الأمراء الذين معه واحدا بعد واحد ونزلوا إلى كتبغا فطلب الشجاعي الأمان فطلبوه إلى الست وإلى حسام الدين لاجين أستاذ الدار ليستشيروه)

فيما يفعلونه فلما توجه إليهم ضربه ألاقوش المنصوري بالسيف قطع يده ثم ضربه أخرى برا رأسه ونزلوا برأسه إلى كتبغا وجرت أمور وأغلقت أبواب القاهرة خمسة أيام ثم طلع كتبغا إلى القلعة سابع عشرين صفر ودقت البشائر وفتحت الأبواب وجددت الأيمان والعهود للسلطان الملك الناصر وأمسك جماعة من البرجية كانوا مع الشجاعي

وجاء الخبر إلى دمشق ثالث شهر ربيع الأول بقتل الشجاعي والحوطة على ما يتعلق به وخطب الخطيب يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الأول للسلطان الملك الناصر استقلالا بالملك وترحم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف

وفي عشرين شهر رجب ورد البريد من مصر بالحلف للسلطان الملك الناصر وأن يقرن معه في الأيمان كتبغا وخطب الخطيب بالدعاء للسلطان ولولي عهده الأمير زين الدين كتبغا

وفي سلخ رجب ورد البريد بأن السلطان الملك الناصر ركب في أبهة الملك وشعار السلطنة ركب وشق القاهرة دخل من باب النصر وخرج من باب زويلة عائدا إلى القلعة وزين الدين كتبغا والأمراء يمشون في ركابه وفرح الناس بذلك ودقت البشائر

ولم يزل مستمرا في الملك إلى حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين فتسلطن زين الدين كتبغا وتسمى الملك العادل وحلف له الأمراء بمصر والشام وزينت له البلاد ودقت البشائر

وجعل أتابكه الأمير حسام الدين لاجين وتولى الوزارة الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي وصرف تاج

الدين ابن حنى

وحصل الغلاء الزائد المفرط في أيامه حتى بلغ الإردب بمصر إلى مائة وعشرين درهما." (١)

"والرطل اللحم بالدمشقي بسبعة دراهم والرطل اللبن بدرهمين والبيض ست بيضات بدرهم ورطل بثمانية دراهم ولم يكن الشام مرخصا وتوقفت الأمطار وفزع الناس

وذلك في سنة خمس وتسعين وست مائة وتبع ذلك وباء عظيم وفناء كبير ثم **أن الغلاء وقع** بالشام وبلغت الغرارة مائة وثمانين درهما

ثم قدم الملك العادل كتبغا إلى دمشق بالعساكر في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ولما عاد العادل إلى مصر من نوبة حمص وكان في سلخ المحرم سنة ست وتعسين فلما كان بوادي فحمة قتل حسام الدين لاجين الأمير سيف الدين بتخاص وبكتوت الأزرق العادليين وكانا عزيزان على العادل فلما رأى العادل الهوشة خاف على نفسه فركب فرس النوبة وساق ومعه)

خمسة مماليك ووصل إلى دمشق العصر ونزل بالقلعة

وساق حسام الدين لاجين بالخزائن وركب في دست الملك وبايعه الجيش ولم يختلف عليه اثنان وتسمى بالمنصور وخطب له بالقدس وغزة وجاء الخبر إلى دمشق بأن صفد زينت وضربت البشائر بها وبالكرك ونابلس

ووصل كجكن والأمراء من الرحبة فلم يدخلوا دمشق ونزلوا بالقرب من مسجد القدم وأظهر كجكن سلطنة المنصور حسام الدين لاجين فتحقق العادل زوال ملكه وأذعن له بالطاعة واجتمع الأمراء وحلفوا للمنصور وفي مستهل ربيع الأول سنة ست وتسعين خطب للمنصور بدمشق واستناب بمصر الأمير شمس الدين قراسنقر ثم قبض عليه واستناب مملوكه منكوتمر وجعل الأمير سيف الدين قبجق نائبا بدمشق

وجهز السلطان الناصر إلى الكرك وقال له المنصور لو علمت أنهم يخلون الملك لك والله لتركته ولكنهم لا يخلونه لك وأنا مملوكك ومملوك والدك أحفظ لك الملك وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتخرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها فقال له السلطان الملك الناصر فاحلف لي أن تبقي علي نفسي وأنا أروح وحلف كل منهما على ما أراده الآخر

ولما توجه إلى الكرك أقام بها إلى أن قتل المنصور حسام الدين لاجين في شهر ربيع الآخر سنة ثمان

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٥٢/٤

وتعسين وست مائة على ما يذكر في ترجمته

وحلف الأمراء للسلطان الملك الناصر وأحضروه من الكرك وملكوه وهذه سلطنته الثانية

واستقر في النيابة بمصر الأمير سيف الدين سلار وفي الأتابكية حسام الدين لاجين استاد دار وفي جمادى الأولى من السنة ركب السلطان الملك الناصر بالقاهرة في دست الملك والتقليد الحاكمي وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ورتب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائبا بدمشق

وفي عود السلطان إلى الملك ثانيا قال علاء الدين الوداعي ومن خطه نقلت

(الملك الناصر قد أقبلت ... دولته مشرقة الشمس)

(عاد إلى كرسيه مثل ما ... عاد سليمان إلى الكرسي)

)

ولما حضر التتار إلى الشام خرج السلطان بالعساكر إلى الشام للقاء العدو في أوائل سنة تسع." (١)

"(الأكوز الأمير سيف الدين الناصري)

كان جمدارا وأمره أستاذه وكان يتحقق أمانته فجعله مشد الدواوين فعمل الشد أعظم من الوزارة وتنوع في عذاب المصادرين من الكتاب وغيرهم وقتل بالمقارع وأحمى الطاسات وألبسها الناس وأحمى الدسوت وأجلسهم عليها وضرب الأوتاد في الآذان ودق القصب تحت الأظافير وبلغ شدد وجاء لولو غلام فندش فأقامه السلطان معه فاتفقا على عقاب الناس وزاد البلاء في أيامهما على الكتاب وعلى الناس وسكنت روعته ومهابته في القلوب وكان الكاتب يدخل إليه وهو ميت وقاسي الناس منه البلاء العظيم ولم يزل كذلك إلى أن غضب يوما على لولو المذكور فأخذ العصا وضربه إلى أن هرب من قدامه وهو خلفه إلى باب القلعة البراني وخرب شاشه في رقبته فدخل لولو على النشو وعلى قوصون وبذل المال فاتفق أن **كان الغلاء سنة** ست وثلاثين وسبعمائة فقال له السلطان يا الأكوز لا تدع أحدا يبيع الإردب بأكثر من ثلاثين درهما وانزل إلى شون الأمراء وألزمهم بذلك فأول ما نزل إلى شونة قوصون وأمسك السمسار الذي له وضربه بالمقارع وأخرق بالأستاذدار فطلع إلى قوصون وشكا حاله إليه فطلبه وأنكر عليه فأساء عليه الرد فدخل إلى السلطان فأخرق السلطان بقوصون فأكمنها له وعمل عليه هو والنشو ولم يزالا عليه إلى أن غضب عليه السلطان ورماه قد امه وضربه بالعصي ورسم عليه أياما ثم أخرجه إلى دمشق أميرا فوصل إليها وأقام بها قليلا

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤/٢٥٣

وتوفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة تقريبا
حكى لي القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الآبار قبل إمساك الأكوز بأربعة أشهر أو ما يقاربها أن بعض المشايخ حدثه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس في صدر الإيوان والسلطان أمامه واقفا على رأس الدرج وهو ينكر عليه ويقول له ما هؤلاء الظلمة الذين أقمتهم فقال يا رسول الله من هم ثم توجه وغاب قليلا وأتى بالأكوز فقال)
اذبحه فاتكاه وأخذ يذبحه فقال له خله الآن فما كان بعد أربعة أشهر حتى غضب عليه وجرى ما جرى
(أكيدر صاحب دومة الجندل)
أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل أتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك فأسلم وقيل بقي على نصرانيته وصالحه النبي صلى الله عليه وسلم ويحنه بن رؤبة على دومة وتبوك وأيلة وقيل أسلم ثم ارتد إلى النصرانية لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناء سماه دومة بدومة الجندل فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وهو بعين التمر يأمره أن يسير إلى أكيدر فسار إليه فقتله وفتح دومة ثم مضى إلى الشام ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق." (١)

"أن يفتح باب البلد ليدخل العسكر يمتارون ويرحلون فأذن لهم فترددوا في الدخول والخروج ثم إن التتار جردوا سيوفهم ودقوا طبولهم وهجموا البلد فقاتلهم أهل البلد ودربوا شوارعهم ودام قتالهم ثلاثة وستين يوما إلى أن فتح لهم بعض مقدمي البلد دربا فملكوه ودخلوا الجامع وصعدوا المنابر ورموا النشاب فضعف أهل البلد واحتموا بالكنائس لباطن كان لأصحابها)
مع التتار وانحاز أكثرهم إلى القلعة فملك التتار البلد ونصبوا المجانيق على القلعة فلم يصل إلى القلعة إلا ثلاثة أحجار واستمر القتال من ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وست مائة إلى أن دخلت سنة تسع وخمسين فتوفي الملك السعيد في سادس عشر صفر وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وست مائة وكان الوباء قد وقع في أهل القلعة فأهلك أكثرهم ورمى أحمد بن الفارس الشافصني بنفسه من القلعة إلى التتار وأخبرهم بموته فبعثوا إلى ولده المظفر وطلبوا منه الدخول في الطاعة وكان قد أقيم مقام أبيه فأجابهم جوابا أرضاهم به وأظهر الدخول في طاعتهم وعمل على مداراتهم
٣ - (السعيد صاحب ماردين الحفيد)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٩/٢٠٢

إيل غازي الملك السعيد نجم الدين ابن الملك المظفر ابن الملك السعيد إيلغازي حفيد المذكور أولا توفي سنة خمس وتسعين وستمائة وتملك بعده ماردين أخوه المنصور نجم الدين غازي

(إيماء بن رحضة)

بفتح الراء والحاء المهملة والضاد المعجمة بن خربة بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء وبعدها باء موحدة الغفاري له ولابنه خفاف صحبة وكانا ينزلان غيقة من بلاد غفار ويأتيان المدينة كثيرا ولابنه خفاف رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أسلم قريبا من الحديبية وكانوا مروا عليه ببدر وهو مشرك

(أيمن)

٣ - (أيمن بن عبيد الحبشي)

وهو ابن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم أسامة ابن." (١)

"الناس ولما كان في **زمن الوباء أعطى** أولاد من يموت إقطاع أبيهم وحضرت إليه امرأة معها بنتان وقالت هؤلاء مات أبوهن ولم يترك لي ولهم شيئا غير إقطاعه فقال لناظر)

الجيش اكشف عبرة هذا الإقطاع فكشفه فقال يعمل خمسة عشر ألفا فقال من يعطي في هذا عشرين ألف درهم ويأخذه فقال واحد أنا أعطي فيه اثني عشر ألفا فقال هاتها فوزنها فقال للمرأة خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك بها وكان فيه خير كثير إلى أن عزم على الحج ولما تعين رواحه حضر إليه أخوه منجك الوزير وقال له بالله لا تروح يتم لنا ما جرى للفخري ولطشتمر فلم يسمع منه وتوجه إلى الحجاز هو وأخوه فاضل ومامور والأمير سيف الدين طاز والأمير سيف الدين بزلار وغيرهم من الأمراء فأمسك بعده الأمير سيف الدين منجك الوزير بأيام قلائل على ما سيأتي في ترجمة منجك وأمسك هو على الينبع في سادس عشرين القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مائة فقال لطاز أنا ميت ل١ محالة فبالله دعني أحج فقيده وأخذه إلى الحج وحج وطاف وهو مقيد وسعى على كديش ولم يسمع بمثل ذلك في وقت ولما عاد من الحجاز تلقاه الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير وأخذه وحضر به إلى الكرك وسلمه إلى النائب بها وتوجهوا بأخيه فاضل إلى القاهرة مقيدا وكان دخوله إلى الكرك في يوم الأحد سابع المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة وقلت أنا فيه

(تعجب لصرف الدهر في أمر بيبغا ... ولا عجب فالشمس في الأفق تكسف)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٠/١٩

(لقد ساس أمر الملك خير سياسة ... ولم يك في بذل الندى يتوقف)

(وأمسك في درب الحجاز فلم يكن ... له في رضى السلطان عن ذاك مصرف)

(وسلم للأقدار طوعا وما عنا ... ولو شاء خلى السيف بالدم يرعف)

(وسار إلى البيت الحرام مقيدا ... وريح الصبا تعتل والورق تهتف)

(فيا عجبا ما كان في الدهر مثله ... يطوف ويسعى وهو في القيد يرسف)

(وعاجوا به من بعد للكرك التي ... على ملكها نفس الملوك تأسف)

(وأودع في حصن بها شامخ الذرى ... تراه بأقرط النجوم يشنف)

(سيؤيه من آوى المسيح بن مريم ... وينجو كما نجى من الجب يوسف)

ولم يزل في الاعتقال بالكرك إلى أن خلع الملك الناصر حسن وتولى الملك السلطان الصالح صلاح الدين فرسم بالإفراج عنه وعن الأمير سيف الدين شيخو وبقية الأمراء المعتقلين بالإسكندرية ووصل إلى القاهرة فوصله وخلع عليه ورسم له بنيابة حلب عوضا عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي لما رسم له بنيابة الشام فحضر إلى دمشق نهار السبت ثالث)

عشرين شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة ومعه الأمير عز الدين طقطاي ليقره في نيابة حلب ويعود ولما." (١)

"بغداد ونزل بها وجرت له حروب وخطوب وكروب بعد موت بو سعيد مع طغاي بن سوتاي وإبراهيم شاه بن سوتاي وأولاد تمرتاش وغيرهم ونصره الله عليهم ثم أنه تزوج بعد موت بو سعيد بالخاتون دلشاذ ابنة دمشق خواجا فهي ابنة أخي بغداد ومال إلى ملوك مصر وهادنهم وانتظمت كلمة الوفاق بينه وبين ملوك

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢٢/١٠

مصر وكان السلطان الملك الناصر محمد بكتب إليه وترد الرسل بينهما والهدايا ومال إلى المسلمين ميلا كثيرا وجرى في أيامه في **بغداد الغلاء العظيم** حتى أبيع الخبر على ما قيل بشح الدراهم ونزح الناس عن بغداد وعدم منها حتى الورق ثم أنه أظهر العدل والأمن فتراجع الناس غليها في سنة ثمان وأربعين وسبعمئة وفي أول سنة تسع وأربعين توجه إلى ششتر ليأخذ من أهلها قطيعة كان قررها عليهم فلما أخذها وعاد وجد نوبه قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاثة أجباب نحاس مثل أجباب الهريسة طول كل جب ما يقارب الذراعين والنصف وهي مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسفيا وفي بعضه سكة الإمام الناصر وكان وزن ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي يكون ذلك مثاقيل خمسمسة ألف مثقال

٣ - (الغياثي البصري)

الحسن بن زدغان بضم الباء الموحدة وسكون الزاي وضم الدال المهملة وفتح الغين المعجمة وبعد الألف نون ابن ايلدكز الغياثي البصري توفي ببغداد في الحادي والعشرين من صفر سو تسع وأربعين وستمئة أنشدني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنا للمذكور الحافظ شرف الدين الدمياطي من البسيط

(يا حبذا ليلة بات الحبيب بها ... يجلو علي كؤوس الراح في الغسق)

فاعجب لبدر دجى يسعى بشمس ضحى وفرعه كالدجا والفرق كالفلق

(جلت معانيه عن وصف يحيط بها ... فلا شبيه لها في الخلق والخلق)

(نادمته وسواد الفرع يسترنا ... لولا بياض ثنايا ثغره اليقق)

(

(يصغي حياء إذا عاتبته خجلا ... حتى تبلل صدغاه من العرق)

(وتغرب الشمس شمس الراح في فمه ... فين جلي فوق خديه سنا الشفق)

قلت شعر متوسط وهذا المعنى متداول وأحسن ما فيه قول القائل من البسيط

(يا صاحبي امزجا كأس المدام لنا ... كيما يضيء لنا من نورها الغسق)

(خمرا إذا ما نديمي هم يشربها ... أخشى عليه من اللألاء يحترق)

(لو رام يحلف أن الشمس ما غربت ... في فيه كذبه في خده الشفق)

٣ – (ابن بشر الآمدي)

الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الآمدي النحوي الكاتب." (١)

"هل ملت من شوقي معي فقلت الحق ما عليه غطاء هذا أولى ولازمته بعد ذلك نحو ثلاث سنين أنشده في أثنائها ما يتزيد لي إلى أن أنشدته قولي من البسيط

(وا طول شوقي إلى ثغور ... ملى من الشهد والرحيق)

(عنها أخذت الذي تراه ... يعذب في شعري الرقيق)

فارتاح وقال سلكت جادة الطريق ما تحتاج إلى دليل انتهى

وكان بهاء الدين زهير كريما فاضلا حسن الأخلاق جميل الأوصاف خدم الصالح أيوب)

وسافر معه إلى الشرق فلما ملك مصر بلغه أرفع المراتب ونفذه رسولا إلى الناصر صاحب حلب يطلب منه أن يسلم إليه عمه الصالح إسماعيل فقال كيف أسيره إليه وقد استجار بي وهو خال أبي ليقتله فرجع البهاء زهير بذلك فعظم على الصالح وسكت على حنق ولما صار مريضا على المنصورة تغير على البهاء زهير وأبعده لأنه كان كثير التخيل والغضب والمعاقبة على الوهم ولا يقبل عثرة والسيئة عنده ما تغفر

واتصل البهاء بعده بخدمة الناصر بالشام وله فيه مدائح ثم رجع إلى القاهرة ولزم بيته يبيع كتبه وموجوده ثم انكشف حله بالكلية ومرض **أيام الوباء ومات** وقيل إنه ترك مكاتبات الديوان في الديوان وفيهما جواب الناصر داود فحضر الدوادار وطلب الكتب للعلامة والبهاء زهير غائب فدفعهما إليه فخر الدين بن لقمان فيما أظن فدخل بها إلى السلطان فتأملها وعلم عليها وكتب بين السطور في جواب الناصر داود يا بهاء الدين هذا ما يكتب إليه بغير هذا وداهنه ولا تبدي له شيئا مما عندنا أو قال كلاما هذا معناه وفعل الصالح ذلك بناء على أن البهاء زهيرا يقف على الكتاب ويقرأ ما كتبه السلطان ويفك الأوصال ويغير الكتب على ما أراده ثم إن الدوادار أحضر الكتب إلى الديوان وسفر فخر الدين لقمان القاصد إلى الناصر بجوابه ولم يقف عليه هذا كله وبهاء الدين زهير غائب فلما وقف الناصر على جواب الصالح ورأى خطه جهز إلى الصالح يقول له هكذا تكون الملوك وأيمانهم و أنت تبطن خلاف ما تظهر وذكر له ما كتبه في جوابه بخطه فلما وقف الصالح على ذلك استشاط غضبا وطلب البهاء زهيرا وقال له أنا أعلم أنك أنت ما فعلت

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣١١/١١

هذا معي ولكن قل لي من هو الذي اعتمد هذا لأقطع يده فقال يا خوند ما فعله إلا أنا فألح عليه فأصر على الإنكار فقال له أنت لك علي حق خدمة وأنا ما آذيك ولكن خل لي هذه البلاد ورح فخرج من مصر وعطل ولم يقل عن فخر الدين بن لقمان ما فعل والله أعلم بصحة غضب الصالح عليه

وكان البهاء زهير فيما يذكر أسود قصيرا شيخا بذقن مقرطمة وكان غريب الشكل فكان." (١)

"في آخر **سني الغلاء بمصر** توفي وبقي في بيته ثلاثة أيام ميتا لأنه كان يحب الانفراد والخلوة وكان يتطلس ولا يدير الطيلسان على عنقه بل يرسله وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى ولم يكد يظهر وكانوا يقولون له أنت في الشتاء من حشرات الأرض وإذا دخل الحمام يدخل وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن فإذا صار عند الحوض كشف رأسه بيده الواحدة وصب الماء الحار الناضح بيده الأخرى على رأسه ثن يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه يفعل ذلك مرارا ويقول أخاف من الهواء وكان إماما نحويا مؤرخا شاعرا وله العرض الكبير نحو ثلاث مائة ورقة وكتاب العروض الصغير وكتاب العظات والموقظات وكتاب النبر في العربية وكتاب أخبار المتنبي وكتاب المستزاد على المستجاد من فعلات الأجواد وكتاب علم أشكال الخط وكتاب التصحيف والتحريف وكتاب تعليل العبادات

وحضر يوما عند البلطي بعض المطربين فغناه صوتا أطربه فبكى البلطي وبكى المطرب فقال البلطي أما أنا فإني طربت فأنت علام تبكي فقال تذكرت والدي فإنه كان إذا سمع هذا الصوت بكى فقال البلطي فأنت إذا والله ابن أخي وخرج فأشهد على نفسه جماعة من عدول)

مصر بأنه ابن أخيه ولا وارث له سواه ولم يزل ذلك المطرب يعرف بابن أخي البلطي وكان البلطي ماجنا خليعا خميرا منهمكا على الشراب واللذات

ومن شعره

(دعوه على ضعفي يجور ويشتط ... فما بيدي حل لذاك ولا ربط)

(ولا تعتبوه فالعتاب يزيده ... ملالا وأني لي اصطبار إذا يسطو)

(تنازعت الآرام والدر والمهى ... له شبها والغصن والبدر والسقط)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/١٥٩

(فللريم منه اللحظ واللون والطلى ... وللدر منه اللفظ واللحظ والخط)

(وللغصن منه القد والبدر وجهه ... وعين المهى عين بها أبدا يسطو)

(وللسقط منه ردفه فإذا مشى ... بدا خلفه كالموج يعلو وينحط)
ومنه على نمط قول الحريري في مقاماته
(محملة العاقل عن ذي الخنا ... توقظه إن كان في محلمه)

(مكلمة الخابط في جهله ... لقلب من يردعه مكلمه)." (١)
"الناصر إلى)
الكرك وتسلطن كتبغا ولقب بالعادل ونهض بأمره لاجين وقراسنقر وطائفة كان قد اصطنعهم في نوبة الأشرف وتمكن وقدم دمشق وصلى بجامعها الأموي غير مرة وسار في الجيش إلى حمص ثم رد فلما كان بأرض بيسان وثب عليه حسام الدين لاجين وشد على بتخاص والأزرق فقتلهما في الحال وكانا عضدي كتبغا واختبط الجيش وفر كتبغا على فرس النوبة وتبعه أربعة من غلمانه في صفر سنة ست وتعين وستمائة فكانت دولته سنتين
وساق كتبغا إلى دمشق فتلقاه مملوكه نائبها في الأمراء وقدم القلعة ففتح له بابها ارجواش ودقت البشائر له ولم ينتظم له الحال
واجتمع كجكن والأمراء وحلفوا لمن هو صاحب مصر وصرحوا لكتبغا بالحال فقال أنا ما مني خلاف وخرج من قصر السلطنة إلى قاعة صغيرة وبذل الطاعة فرسم له أن يقيم بقلعة صرخد وأتاه بعض غلمانه ونسائه وانطوى ذكره إلى بعد نوبة قازان فأحسن السلطان الملك الناصر إليه وأعطاه حماة فمات بها سنة اثنتين وسبعمائة
وكان موصوفا بالديانة والخير والرفق بالرعية
وكانت وفاته يوم الجمعة يوم النحر ونقل تابوته إلى تربته بسفح قاسيون بدمشق
وجرى في أيامه الغلاء العظيم بالديار المصرية وكان إذ طالعوه بخبر المقياس يبكي ويقول هذا بخطيئتي

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٢٧/١٩

وفيه يقول علاء الدين الوداعي لما تسلطن وخلع على أهل دمشق ومن خطه نقلت
(إنما العادل سطان الورى ... عندما جاد بتشريف الجميع)

(مثل قطر صاب قطرا ماحلا ... فكسا أعطافه زهر الربيع)

٣ - (الأمير زين الدين الحاجب)
كتبغا الأمير زين الدين أمير حاجب الشام أظنه تولى نيابة شيزر في وقت
ولما كان بدمشق حاجبا كان الأمير سيف الدين تنكز يعظمه ويجلس قدامه ويرمل على يده في بأيام الخدم وكان يحترمه ويحب حديثه ويصغي غليه ويقبل شفاعاته ويزوره في بيته)
وكان محتشما في نفسه رئيسا يحضر السماعات ويرقص فيها وأظنه لبس في وقت زي الفقراء ومشى معهم إلا أنه كان فيه استحالة وذلك أنه إذا دخل عليه أحد في بيته في أمر قال له السمع والطاعة ومن أحق منك بهذا الذي تطلبه قف غدا لمولانا ملك الأمراء في الخدمة وأنا غدا أساعدك وتبصر ما أقول
فإذا وقف ذلك المسكين قال يا مولانا أي حايك قام أو أي بيطار قام قال يريد يصير جنديا فإذا سمع الأمر سيف الدين ذلك قال نحه فتناول ذلك المسكين العصي من كل جانب
وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة." (١)

"٦٣ - ضياء الدين خطيب بيت الأبار يوسف بن أبي بكر القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الآبار رئيس كبير وجواد مفضال وصدر رحيب الباع في المكارم أخلاقه ترشف سلافا وطباعه تلين كالغصون انعطافا لم أر في عصري ولا عاصرت في عمري من له سيادته ولا فيه مكارمه أعجب ما رأيت فيه بعد المروة الزائدة والجود المفرط أنه يعامل عدوه وصديقه بمعاملة واحدة يملك نفسه ولا يتأثر بحادثة تنزل به وشكله تام ولما توجه إلى مصر لم يجد الشاميون ملجأ غيره ولا كهفا يأوون إليه سواه وكان في ديوان تنكز يباشر وله سيادة وداره مألف الضيفان ومأوى الأصحاب متى جاء الإنسان إلى منزله وجد كل ما يختاره إن كان هو فيه أو لم يكن يجد جميع ما يدعوه إلى أن يروح ولما تولى القاضي جلال الدين رحمه الله قضاء القضاة بالشام ولاه نظر الصدقات فضبطها وأجمل مباشرتها فلما طلب القاضي إلى مصر وتولى قضاء القضاة بالقاهرة طلبه من السلطان فرسم بإحضاره على البريد فتوجه إليها في سنة سبع وعشرين وسبع مائة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤١/٢٤

وولي نظر الصدقات والأوقاف بالقاهرة وساد في مصر ورأس في القاهرة وأحبه المصريون لمكارمه وحلمه وولاه السلطان الملك الناصر مطابخ السكر وولاه نظر الأهراء مع ما بيده من القاضي جلال الدين وتولى نظر البيمارستان المنصوري فسلك فيه أحسن سلوك ورافق فيه الأمير جمال الدين نائب الكرك وبعده الأمير علم الدين الجاولي ثم الأمير بدر الدين جنكلي ابن البابا ووقع بينهما وعزل منه في الأيام الصالحية ثم تولاه ثانيا ورافق فيه الأمير سيف الدين أرقطاي وتولى أيام السلطان الملك الناصر حسبة القاهرة ومصر وكان قبلها محتسب القاهرة مع البيمارستان فلما **كان الغلاء في** سنة ست وثلاثين وسبع مائة جمع له السلطان بين الحسبتين ولما خرج القاضي جلال الدين من القاهرة تعصب عليه النشو وغيره وأخذوا منه الحسبتين ونظر الأوقاف والصدقات وأبقوا علي، البيمارستان فلما كان في أيام الصالح ولاه نظر الدولة مع نظر البيمارستان فباشر ذلك مديدة ثم استعفى فأعفاه ثم ولاه الجوالي مع حسبة القاهرة والبيمارستان ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدين جنكلي فعزل من الجميع في أواخر دولة الصالح ولزم بيته فلما كان في أيام الكامل وخلع الكامل تولى القاضي قضاء الدين نظر البيمارستان والحسبة على عادته ثم إن علاء الدين ابن الأطروش نازعه في وظائفه مرات وتولاها ثم أعيدت إليه ثم إن الأمير سيف الدين صرغتمش اعتمد عليه في الأوقاف بمصر والشام وكان يدخل في كل قليل إلى السلطان ويخرج من عنده بتشريف وزاد عظمة ووجاهة وبالغ في إكرامه وتقديمه." (١)

"قال أبو الحسن وكان عبد الرحمن قد كساه الله بهاء ونورا يسر به من نظر إليه

قال وسمعت أبا عبد الله القزوينى الواعظ يقول إذا صليت مع عبد الرحمن فسلم نفسك إليه يعمل بها ما يشاء

وقال عمر بن إبراهيم الزاهد الهروى حدثنا الحسين بن أحمد الصفار قال سمعت عبد الرحمن بن أبى حاتم يقول وقع **عندنا الغلاء فأنفذ** بعض أصدقائى حبوبا من أصبهان فبعته بعشرين ألف درهم وسألنى أن أشترى له دارا عندنا فإذا نزل علينا نزل فيها فأنفقتها على الفقراء وكتب إلى ما فعلت قلت اشتريت لك بها قصرا فى الجنة قال رضيت إن ضمنت ذلك لى فتكتب على نفسك صكا ففعلت قال فأريت فى المنام قد وفينا بما ضمنت ولا تعد لمثل هذا

وقال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخى سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه الرازى سمعت على بن الحسين بن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة من مائتى

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦٩/٢٩

سنة

قال ابن مهرويه فدخلت على ابن أبى حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب وجعل يستعيدنى الحكاية ويبكى

مات ابن أبى حاتم وهو فى عشر التسعين فى المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة." (١)

"قال عبد الغافر الفارسي لو تتبعنا ما ظهر من آثاره وحسناته لعجزنا

توفي في يوم الجمعة سابع عشرى ذي القعدة سنة ثلاث وستين وأربعمائة

ومن الفوائد عنه رحمه الله تعالى

وهو الذي لقنه القاضي الحسين مسألة ليغالط بها فقهاء مرو إذا قدم عليهم

وصورتها رجل غصب حنطة في **زمن الغلاء وفي** زمن الرخص طالبه المالك فهل يطالب بالمثل أو القيمة

فمن قال إنه يطالب بالمثل فقط غلط

ومن قال يطالب بالقيمة غلط لأن في المسألة تفصيلا إذا تلفت الحنطة في يده كما هي قبل الطحن كما إذا احترقت وجب المثل وإن طحن وعجن وخبز وأكل فعليه القيمة لأن الطحن والعجن والخبز من ذوات القيم

وقد نقل ذلك أبو سعد الهروي في الإشراف والرافعي في الشرح

٣٧٨ - الحسن بن أحمد بن محمد بن الليث الحافظ

أبو علي الكشي ثم الشيرازي

سمع ببغداد من إسماعيل الصفار وعبد الله بن درستويه." (٢)

"٤٦٤ - عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار أبو يوسف القزويني

المعتزلي المفسر

وقيل إنه كان زيدي المذهب في الفروع

مولده سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بقزوين

أخذ عن القاضي عبد الجبار المعتزلي وجالس القاضي أبا القاسم بن كج وسمع منهما الحديث ومن غيرهما وحدث عنه جماعات

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣/٣٢٦

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٤/٣٠٢

وله تفسير كبير قيل إنه في سبعمائة مجلد كبار
وكان قد اجتمع له من الكتب شيء كثير فإنه سكن بغداد ثم سافر إلى الشام ثم إلى مصر وأقام بها مدة ثم عاد إلى بغداد وهو يحصل في ذلك الكتب وقيل إنه حصل غالبها من مصر في **عام الغلاء المفرط** وكان يقول ملكت ستين تفسيرا منها تفسير ابن جرير الطبري في أربعين مجلدا وتفسير أبي القاسم البلخي وأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم وأبي مسلم بن بحر وغيرهم
وأهدى إلى نظام الملك أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلها غريب الحديث لإبراهيم الحربي بخط أبي عمر بن حيويه في عشر مجلدات فوقفه نظام الملك بدار الكتب ببغداد." (١)

"حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم قال سألت أنسا أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال نعم هي حرام حرمها الله ورسوله لا يختلى خلاها فمن لم يعمل بذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
سمعت الشيخ عليا الهجار المكشوف الرأس وهو رجل صالح يقول مر أبو العباس المرسي رضي الله عنه في القاهرة بأناس يزدحمون على دكان الخباز في **سنة الغلاء فرق** عليهم فوقع في نفسه لو كان معي دراهم لآثرت هؤلاء بها فأحس بثقل في جبته فأدخل يديه فواجد دراهم جملة فدفعها إلى الخباز وأخذ بها خبزا فرقه عليهم فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زيوفا فاستغاث به فعاد ووقع في نفسه أن ما وقع في نفسي أولا من الرقة اعتراض على الله وأنا أستغفر الله منه فلما عاد وجد الخباز الدراهم جيدة فانصرف أبو العباس وجاء إلى الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية فقال ابن دقيق العيد له يا أستاذ أنتم إذا رقيتم على أحد تزندقتم ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا
قلت تأمل أيها المسترشد ما تحت هذا الجواب من المعنى الحقيقي فقد أشار الشيخ به والله أعلم إلى أن الفقير يطلع على الأسرار فكيف يرق ولا يقع شيء في الوجود إلا لحكمة اقتضته ومن اطلع على الذنب لم يرق للعقوبة وقد قال تعالى ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ والفقيه لا اطلاع له على ذلك فيرق ديانة ورأفة ولهذا الكلام شرح طويل ليس هذا موضعه فلنمسك العنان." (٢)

"جلاله، على منعة الأسوار وبعد مهاوي الأغوار، وكثرة العد والعدد، وطلبوا الأمان لأنفسهم، وكان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور، السعيد على المسلمين، في العيد والسرور،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٥/١٢١

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٢١٣

برد الدين، ولله الحمد على آلائه، وتوالي نعمه وإرغام أعدائه.

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة، أعمل الحركة إلى أحواز إشبيلية دار الملك، ومحل الشوكة الحادة، وبها نائب سلطان النصارى، في الجمع الخشن من أنجاد فرسانهم، وقد عظم التضييق ببلدة قرمونة، المنفرد بالانتزاء على ملك النصارى، والانحياز إلى خدمة المسلمين، فنازل المسلمون مدينة أشونة «١» ، ودخلوا جفنها عنوة، واعتصم أهلها بالقصبة، فتعاصت، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروي والمحلات، فكان الانتقال قدما إلى مدينة مرشانة وقد أحدقوا بها، وبها العدة والعديد من الفرسان الصناديد، ففتحها الله سبحانه، إلا القصبة، واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها، من الدواب والآلات على ما لا يأخذه الحصر، وقتل الكثير من مقاتلتها، وعم جميعها العدم والإحراق، ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ما تقله أظهر مراكب البحار، ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة، وانحطاط الأسعار، وأوجب الغلاء في أرض الكفار، وقفل، والحمد لله، في عز وظهور، وفرح وسرور.

مولده السعيد النشيئة «٢» ، الميمون الطلوع والجيئة:

المقترن بالعافية، منقولا من تهليل نشأته المباركة، وحرز طفولته السعيدة، في نحو ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. قلت: ووافقه من التاريخ الأعجمي رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين «٣» لتاريخ الصفر. واقتضت صناعة التعديل بحسب قيمودا وبطليموس، أن يكون الطالع ببرج القمر؛ لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة، والطالع من برج السنبلة، خمس عشرة درجة، وثمان وأربعون دقيقة من درجة. كان الله له في الدنيا والآخرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.." (١)

"يسح فيه الغمام بقطرة، ولا لمعت السماء بنزعة، حتى أضرت الأنفس الشح، وحسر العسر عن ساقه، وتوقفت البذور، فساعده الجد بنزول الرحمة عند نزوله من مرقاة المنبر، مجابة دعوة استسقائه، ظاهرة بركة خشوعه، ولذلك ما أنشدته في تلك الحال «١» : [الكامل]

ظمئت إلى السقيا الأباطح والربا ... حتى دعونا العام عاما مجدبا

والغيث مسدول الحجاب وإنما ... علم الغمام قدومكم فتأدبا

وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها، مضطلعا بأصالة النظر، وإرجاء المشبهات، وسلك في الخطابة طريقة مثلى، يفرغ في قوالب البيان أغراضها، ويصرف على الأحكام الكوائن والبساطات أساليبها، من

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/ ٥٠

المحاكاة، باختلاف القبض والبسط، والوعد والوعيد، حظوظها على مقبض العدل، وسبب الصواب يقوم على كثير مما يصدع به، من ذلك شاهد البديهة، ودليل الاستيعاب. قال شيخنا أبو البركات: ثم صرفت عنها للسبب المتقدم، وبقيت مقيما بها، لما اشتهر من **وقوع الوباء بألمرية**، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بألمرية، وكتب بذلك في أوايل رجب عام تسعة وأربعين. وبقيت على ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر. ثم أعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين، عسى أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فأنا الآن أتمثل بما قاله أبو مطرف «٢» بن عميرة رحمه الله: [الخفيف]

قد نسبنا إلى الكتابة يوما ... وأتت «٣» خطة القضاء تليها

وبكل لم نطق للمجد إلا ... منزلا نابيا وعيشا كريها

نسبة بدلت فلم تتغير ... مثل ما يزعم المهندس فيها

بدل من لفظ الكتابة إلى الخطابة. وأغرب ما رأيت ما أحكي لك، وأنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صدر عني في ذلك، الخطة من العمل الذي أخلصت لله فيه، ورجوت منه المثوبة عليه، وفيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر غير ملتفت للدنيا، فعليه عولت سبحانه. انتهى كلامه.

تصانيفه: كتب إلي بخطه ما نصه، وهو فصل من فصول: وأما تواليفي فأكثرها، أو كلها عير متممة، في مبيضات. منها كتاب قد يكبو الجواد في أربعين." (١)

"حاله: قال شيخنا أبو البركات: ناب عني في بعض الأعمال بألمرية، وخطب بنحانس من غربيها، ثم خطب بحمة مرشانة، وهو الآن بها، وعقد الشروط قبل بألمرية. عفيف طاهر الذيل، نبيل الأغراض، مهذب الأخلاق، قيم على القراءات والنحو والأدب، جيد الشعر والكتابة...... «١» من الضبط، وإجادة العبارة عن المعنى المراد.

تواليفه: قال: له رجز في علم الكلام جيد، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب، عري عن الحشو، على تقعير فيه يغتفر لما جمع من اقتصاره، وله تأليف **في الوباء** «٢» سماه بإصلاح النية في المسألة «٣» الطاعونية.

مشيخته: قال: أخذ عني وعن أبيه جملة من الدواوين، وعن غيري من أهل بلده.

شعره: قال: ومما أنشدني من شعره قوله: [الطويل]

هفا بي من بين المغاني عقيقها ... ومن بينه انفضت لعيني عقيقها

ومالت من البيداء عنها قبابه «٤» ... وأشرقني بالدمع منها شروقها

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٨٥

يهيج أنفاسي غراما نسيمها ... وتقدح نار الشوق عندي بروقها

ومن دون واديها ظباء «٥» خوادل «٦» ... حكى لحظها ماضي الشفار رقيقها

فلو برزت للشمس «٧» منهن في الضحى ... مخدرة أضحت كمالا تفوقها

نسيم الصبا، إن سيرت نحو الحمى ... تحيي «٨» الديار النازحات تشوقها

غريب كئيب مستهام متيم ... جريح الجفون الساهرات عريقها

فهل عطفة ترجى وهل أمل يرى ... بعودة أيام تقضى أنيقها؟

سقتنا ومن أدمع الصب جودها «٩» ... ومن «١٠» ديم الغيث الملتات ريقها." (١)

"وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سره، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي، وحقائق الطريق، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل فحج ودخل الشام، وعاش مدة من حراسة البساتين، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان مليا بأخبار من لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى من خف على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم ألمرية، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باق فيه من فرش وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبتها فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلب لست أملكه ... ما لم يرد من سبيل فهو يسلكه

له تعاقب أهواء فيقلقه ... هذا ويأخذه هذا ويتركه

طورا يؤمنه طورا يخوفه ... طورا ييقنه طورا يشككه

حينا يوحشه حينا يؤنسه ... حينا يسكنه حينا يحركه

عسى الذي يمسك السبع الطباق على ... يديك يا مطلع الأنوار يمسكه

فيه سقام من الدنيا وزخرفها ... مهما أبيضه بالذكر تشركه

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢٤٧/٢

عسى الذي شأنه الستر الجميل كما ... غطى عليه زمانا ليس يهتكه

فلما قرأ منها: «فيه سقام من الدنيا وزخرفها» ، قال: هذه علتي.

مولده: سألته عنه، فقال لي: عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيبا بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة، **في الوباء العام**، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.." (١)

"واضطلع بشروط التوبة، فتحلل من أهل بلده، واستفاد واسترحم، واستغفر، ونفض يديه من الدنيا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يشار إليه في الزهد والورع، لا تراه إلا متبسما، ملازما لذكر الله، متواضعا لأصاغر عباده، محبا في الضعفاء والمساكين، جميل التخلق، مغضيا عن الهنات، صابرا على الإفادة. وجلس للجمهور بمجلس مالقة، يتكلم في فنون من العلم، يعظ الناس، ويرشدهم، ويزهدهم، ويحملهم على الإيثار، في أسلوب من الاستنفار والاسترسال والدلالة والفصاحة والحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بإلهام وإعانة، فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتوبة، وبادر مترفوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزلات، ودهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة، ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء، ولولا أن الأجل طرقه، لعظم صيته، وانتشر نفعه.

وفاته: توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمائة، ودفن بجبانة جبل فاره «١» ، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلى عليه خارج باب قنتنالة، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم.

وممن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال: [الطويل]

أبعد ولي الله دمعي يسجم ... وغمار قلبي من كلوم تترجم؟

فؤادي مكلوم بحزني لفقده ... لذاك جفوني دمعها كله دم

وماذا عسى يغني التفجع والبكا ... وماذا عسى يجدي الأسى والتبرم؟

سأصبر للبلوى وإن جل خطبها ... فصبر الفتى عند الشدائد يعلم

كذا العلم بالسيف الصقيل لدى الوغى ... فويق الذي من حسنه لا يوسم «٢»

على قدر صبر المرء تصغر عنده ... خطوب من الدنيا على الناس تعظم

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٧٨/٣

ألا إنها الدنيا تعلة باطل ... ومحمض «٣» أحلام لمن بات يحلم

تجنبها أهل العقول فأقصروا ... وأغرق فيها الجاهلون وأشأموا «٤»." (١)

"اعتقادات الفلاسفة؛ وكتاب البرهان والدليل، في خواص سور التنزيل. وأنشدني لنفسه من لفظه: ما للعطاس ولا للفأل من أثر ... فثق بدينك بالرحمان واصطبر فسلم الأمر فالأحكام ماضية ... تجري على السنن المربوط بالقدر وتوفي ببلده مالقة؛ وقبر بها شهيدا بالطاعون، وذلك منتصف شهر صفر من عام ٧٥٠. وعقبه مستعمل في خطة القضاء على الطريقة المثلى من المبرة وكثرة الحشمة تولاه الله تعالى ﴾

ذكر القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي

ومهم قريبنا وصاحبنا، الخطيب أبو عبد الله محمد بن شيخنا الخطيب أبي جعفر أحمد ابن شيخنا أيضا الولي الكبير الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، أحد أماثل قطره، وذوي الأصالة والجلالة من أهله. تقدم قاضيا ببلده مالقة، وقد نجمت بن **بواكي الوباء الأكبر**، وذلك صدر عام ٧٥٠، بعد تمنع منه وابابة. فلم يوسعه الأصحاب عذرا في التوقف، وشرطوا له عونهم اياه، كالذي جرى للحارث بن مسكين بمصر مع إخوانه في الله تعالى. وما كان إلا أن ولي الطنجالي وحمى وطيس الطاعون الأعظم الذي حسبت ظهوره في زماننا هذا أنه من علامات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم﴾ فقد ثبت عنه في الحديث الصحيح أنه قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتى؛ ثم فتح بيت المقدس؛ ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم؛ ثم استفاضة المال؛ حتى يعطى الرجل مائة دينار، فيظل ساخطا؛ ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية إثنا عشر ألفا! هـ نص. والغاية هي الراية؛ وبنو الأصفر هم الروم. ولا يبعد أن تكون المهادنة المشار إليها هذه التي نحن فيها في الأندلس منذ اثنين وثلاثين." (٢)

"سنة، أولها هلاك ملك النصارى المسمى بالفنش بن هرانده بن شانجه، وهو بظاهر جبل الفتح حاصرا له، وذلك عاشر المحرم من عام ٧٥٠ والى هلم. وقلما يعلم أنه جرى بين الملتين مثلها في طول المدة واستصحاب المسالمة. والله أعلم بالمراد من ذلك كله، في الحديث الذي أوردناه، هل هو ما ذكرناه ونبهنا عليه، أم غيره ﴿وعلى كل تقدير، والله تعالى يلطف بالساكن في هذه الجزيرة المنعطفة من البحر الزاخر، والعدو الكافر، ويجعل عافية من بها إلى خير﴾ والعقاص المذكور في الحديث هو داء يصيب

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٨٣/٣

(٢) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٥٥

الغنم، فتموت بإذن الله. والطاعون سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فقال: رجس أرسل على بني إسرائيل﴾ وقيل إنه أول ما بدأ بهم في الأرض، ومات به منهم عشرون ألفا. وقيل: سبعون ألفا في ساعة واحدة. وقيل إنهم عذبوا به. وفي الحديث أيضا سئل عليه السلام ﴿عن الطاعون؛ فقال: غدة كغدة البعير، تخرج في المراق والآباط. قال أبو عمر: قال غير واحد: وقد تخرج في الأيدي، والأصابع، وحيث ما شاء الله من البدن. وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم﴾ حق وإنه الغالب. وقال **الخليل: الوباء الطاعون**. وقال غيره: كل مرض يشتمل الكثير من الناس في جهة من الجهات، فهو طاعون. وعن عياض: أصله القروح في الجسد؛ والوباء عموم المرض: فسمى لذلك طاعونا، تشبيها بالهلاك. وقيل فيه غير ما ذكر. وقد شاهدنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها. ومنها انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقة إلى ما يزيد في اليوم على الألف، بقي بعد ذلك أشهرا حتى خلت الدور، وعمرت القبور، وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء، وذهب كل من كان قد شرط للقاضي أبي عبد الله إعانته على ما تولاه. وكان من لطف الله تعالى بمن بقي حيا من الضعفاء بمالقة كون القاضي لهم بقيد الحياة، إذ كان قبل ذلك، على تباين طبقاتهم، قد هرعوا إليه بأموالهم، وقلدوه تفريق صدقاتهم؛ فاستقر لنظره من الذهب، والفضة، والحلي، والذخيرة، وغير ذلك، ما تضيق عنه بيوت أموال الملوك؛ فأرفد جملة من الطلبة وفقراء البلدة، وتفقد سائر الغربة، وصار يعد كل يوم تهيئة مائة قبر حفرا، وأكفانهم برسم من يضطر إليها من الضعفاء فشمل النفع به الأحياء والأموات. بقي هو وغيره من أهل القطر على ذلك زمانا." (١)

"مشاركة بالأموال ومساهمة في المصايب والنوازل، إلى أن خف الوباء، وقل عدد الذاهبين به والمسالمين بسببه؛ فأخذ بالجد التام في صرف الأوقات إلى إمكانها، ووضع العهود في مسمياتها؛ فانتشع بذلك الفل، وذهب على أكثرهم القل. والله لطيف بعباده. وكان هذا الرجل المترجم به جلدا، قويا في نفسه، بدنا، طوالا هاشميا خلقا وخلقا، نبيها، نزيها، خطيبا، مهيبا، أصيل الرأي، رصين العقل، قائما على عقد الشروط وعلم الحساب والفرائض على طريقة جده وسميه الولي أبي عبد الله. ولما من الله سبحانه برفع ما كان نزل بالناحية المالقية من الطاعون، واستروح من بقي بها من الخلائق روح الحياة، وكادت النفوس أن ترجع إلى مألوفاتها، وتقوم ببعض معتاداتها، نهض بنفسه القاضي أبو عبد الله إلى أمير المسلمين السلطان المؤيد أبي الحجاج رحمه الله وأرضاه ﴿فورد عليه، وهو بحضرته، وطلب منه الإنعام عليه بالإعفاء من القضاء؛ فأنزله بمنزلة التجلة، وراجعه بعد ذلك بما حاصله: حوائجك كلها مقضية لدينا، إلا ما كان

---

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٥٦

الآن من الإعفاء؛ فارجع إلى بلدك، واكتب إلينا إن شئت من هنالك بما يظهر لك، بعد تقديم الاستخارة. ولعل العمل أن يقع بموافقة إرادتك، إن شاء الله﴾ فارتحل عنه شاكرا فعله، وداعيا بالخير له، هو وكل من بلغه عن السلطان ما قابل به مستعفيه. هذا من التلفظ الجميل، والفضل الجزيل. ثم كتب من بلده مالقة، يخبر باستمرار عزيمته على ما نواه أولا من الخروج عن القضاء، والاقتصار على الخطة. فوصله الجواب بإسعاف غرضه. وتقدم الشيخ أبو القاسم بن سلمون الكناني قاضيا في مكانه. فأظهر السرور بذلك كله. ولما قدم ابن سلمون على مالقة، تلقاه، وحياه، وحضر عن اختياره، تخلقا منه وتواضعا في جملة الفقهاء وعامة أهل المصر بالقبة الكبرى من المسجد الجامع، عند قراءة رسوم الولاية، على العادة المعتادة هنالك. ثم انتقل القاضي الجديد، إثر الفراغ من الغرض المطلوب، بالاجتماع إلى مجلس الحكومة؛ فمال إليه الحاضرون، وتبعوه بجملتهم، وتركوا صاحبهم القديم، كأن لم يشعروا به، كالذي جرى ليحيى بن معمر بقرطبة مع أصحابه، إذ الناس ناس والزمان زمان. ولم يثبت إذ ذاك مع الطنجالي أحد من القوم غيري، وغير الخطيب أبي عبد الله بن حفيد الأمين. فتأملت، أثناء ما دار بيننا من الكلام." (١)

"مجرميها " الأنعام: ١٢٣، إنه على التقديم والتأخير، أي: جعلنا مجرميها أكابر. وقال: البحر محيط بالأرض، وخلجانه تتخلل الأرض. والريح تهب على الماء، وتمر على الأرض، فيعتدل النسيم بالرطوبة. ولو كان ماء البحر عذبا لأنتن لكونه واقفا، فكانت الريح إذا هبت عليه **أوقعت الوباء في** الخلق، ولكنه جعل مالحا، ليحصل منه نفع الرطوبة، ولا يقم به الفساد.

قال: وسمعته يقول: احذروا مصارع العقول، عند التهاب الشهوات.

قال: وسمعته يقول: العجب ممن يخاصم الأقدار ولا يخاصم نفسه، فيقول: قضى علي، وعاقبني! ويحك، قل لنا كيف تحب أن يكون الأمر؟ أتختار أن تخلق أعمى لا تنظر إلى المستحسن. قال: لا. قلنا: أفتحب أن تخلق معدوم الحس؟ قال: لا. قلنا: أتختار أن ترد عن المعاصي قهرا. قال: لا. قلنا: أفتؤثر أن تطلق فيها من غير حجر؟ فلا تغضب إذا إن أطلق غيرك في أخواتك وبناتك. فأما أن تغضب لذلك الفعل من غيرك في حرمك، وتختار أن تفعله في حرم غيرك فهذا في غاية الجور. فإذا جعل لك الطريق إلى مرادك بكلمة هي عقد النكاح، أو عوضت عما منعت عنه من جنسه ووعدت الأجر على الصبر فهذا غاية العدل. فإن زللت في معصية فقد جعل لك طريق النجاة بالتوبة.

---

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٥٧

قال: مصنف سيرة الوزير: سمعته يقول: قفلت في صحبة أمير المؤمنين المقتفي من الكوفة بعد وداع الحاج، فشاهدنا في الطريق بردا كبارا قد." (١)

"ومن الصلة لابن بشكوال:

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس

واسم هذا: سليمان وفطيس: لقب له يكنى أبا المطرف قاضي الجماعة بقرطبة روى عن أبي الحسن الأنطاكي المقري وأبي محمد القلعي وأبي محمد الباجي وأبي محمد الأصيلي وخلق يكثر إيرادهم من أهل المشرق والعراق.

وكان – رحمه الله – من كبار المحدثين وصدور العلماء المسندين حافظا للحديث متقنا لعلومه وله مشاركة في سائر العلوم وجمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما وكان وقد رتب لهم على ذلك راتبا معلوما وكان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه ولما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد وكان ذلك في **وقت الغلاء والفتنة** فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم وتقلد رحمه الله تعالى قضاء قرطبة مقرون، بولاية صلاة الجمعة والخطبة مضافا إلى ذلك الخطة العليا من الوزارة وكان ذا صلابة في الحق ونصرة للمظلوم وقمع للظالم. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره من الكبار كأبي عمر الطلمنكي وابن الحذاء والخولاني وغيرهم.." (٢)

"٢٠٨ – أنس بن حكيم الضبي (د ق)

عن أبي هريرة مرفوعا

أول ما يحاسب به العبد من عمله الصلاة الحديث رواه عنه الحسن

قال ابن القطان مجهول

قلت ذكره حبان في الثقات

وفي كتاب ابن أبي حاتم أنه روى عنه الحسن وعلى بن زيد

٢٠٩ – أنس الثقفي

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ١٥٨/٢

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ابن فرحون ٤٧٨/١

روى عنه ابنه إسحاق تابعي مجهول قاله الذهبي في ذيل الضعفاء

٢١٠ - أنيس بن أبي يحيى سمعان الأسلمي مولاهم (د ت)

روى عن أبيه وعن إسحاق بن سالم

روى عنه حاتم بن إسماعيل ويحيي بن سعيد القطان وغيرهما

قال ابن حزم في المحلى مجهول

قلت وثقه ابن معين وأبو حاتم وابن المديني والنسائي والحاكم وذكره ابن حبان في الثقات وقال توفي سنة ست وأربعين ومائة

٢١١ - إياس بن الحارث بن معيقيب عن جده معيقيب (د س)

قال عبد الحق في الأحكام لا أعلم روى عنه إلا نوح بن ربيعة

٢١٢ - أيمن بن أبي خلف أبو هريرة

قيل إنما هو أبو هريرة مولى ابن خلف ولا يعرف أسمه

روى عن محمد بن المبارك الصوري عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

من احتكر طعاما أربعين صباحا يريد **به الغلاء علي** المسلمين برئ من الله وبرئ الله منه رواه عنه أحمد بن يحيي بن خالد بن حبان الرقي رواه الدارقطني في غرائب مالك وقال هذا باطل

قلت والمتهم به أبو هريرة هذا فإن محمد بن المبارك أحد الثقات الأثبات احتج به." (١)

"وفي سنة خمسين وسبعمائة **وقع الوباء الأول** العام في الأرض وتوفي في هذه السنة الكثير من الفقهاء. وممن توفي في قطرنا في هذه السنة الشيخ الفقيه القاضي بتونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري شارح مختصر ابن الحاجب في الفقه. والشيخ الفقيه المفتي بتونس أبو عبد الله محمد بن هارون شارح." (٢)

"مختصريه.

وفي هذه السنة توفي الخطيب والدي حسن بن علي. ومن أشياخه الشيخ أبو علي ناصر الدين البجائي

---

(١) ذيل ميزان الاعتدال العراقي، زين الدين ص/٦٠

(٢) الوفيات لابن قنفذ ابن قنفذ ص/٣٥٤

وابن غريون وأبو حيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وأبو علي بن حسين البجائي وبسبب فتنة **هذا الوباء واختلاف** طلبته في الفرار ممن." (١)

"[وثمانين] ١: قرية من قرى الجودي؛ لأنه لم يكن في السفينة لما استقرت عليها غير ثمانين نفسا، فسميت البقعة بثمانين٢. قرأ على ابن جني فبرع، وشرح اللمع، والتصريف الملوكي٣.

مات بالموصل سنة اثنتين وأربعين٤ وأربعمائة.

٢٥٣- عمر بن خلف بن مكي الصقلي٥.

الإمام، اللغوي، المحدث، من تصانيفه: تثقيف اللسان٦، دال على غزارة علمه وكثرة حفظه. ولي قضاء تونس وخطابتها، وكان يخطب بالخطب البديعة، كل جمعة خطبة من إنشائه. ومن شعره:

يا حريصا قطع الأيام في ... بؤس عيش وعناء وتعب٧

ليس يعدوك من الرزق الذي ... قسم الله فأجمل في الطلب

٢٥٤- عمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي٨.

---

١ زيادة يقتضيها السياق.

٢ وهي أول قرية بنيت بعد طوفان نوح عليه السلام، وهي بأرض الموصل، من نواحي جزيرة ابن عمر عند جبل الجودي، ثم وقع **فيهم الوباء فماتوا** إلا نوحا عليه السلام.

٣ كلا الكتابين لابن جني.

٤ ساقطة من "ب".

٥ ترجمته في إنباه الرواة ٢/ ٣٢٩ وهدية العارفين ١/ ٧٨٢ وبغية الوعاة ٢/ ٢١٨ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤.

٦ طبع بعنوان: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. وعنوانه في إنباه الرواة: تلقيح الجنان وتثقيف اللسان.

٧ روايته في "أ": "يا حريصا اقطع ... "

٨ ترجمته في طبقات القراء ١/ ٥٩٤ وبغية الوعاة ٢/ ٢٢٠ وتكملة الصلة ص٦٥٧ ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٩٥ وينظر إيضاح المكنون ٢/ ١٥٣.." (٢)

---

(١) الوفيات لابن قنفذ ابن قنفذ ص/٣٥٥

(٢) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادي ص/٢٢٠

"جرير و"ج" محمد بن خلف بن وكيع و"ج" محمد بن أحمد البرمكي و"ج" محمد بن قريش و"ج" محمد بن عبد الرحمن ومحمد بن أحمد بن قطن والمفضل بن محمد و"ك" سعيد بن عبد الرحيم ولم يختم عليه بل وصل إلى التغابن و"س" عبيد الله بن محمد بن أبي محمد اليزيدي فيما أسنده أبو طاهر بن سوار عن الحمامي والمصاحفي وهو وهم والصواب ما أسنده الحافظ **أبو الغلاء الهمذاني** عن الحمامي عن أبي طاهر قال: حدثنا محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي قال: وجدت في كتب أبي رأيناه وكتبنا ما فيه يحدث به عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أبي محمد اليزيدي عن أبي محمد اليزيدي قال: قرأت على أبي عمرو فهذا هو الصحيح والله أعلم، روى عنه القراءة عرضا وسماعا "غ" أحمد بن عبد الله بن الخضر وأبو الفرج أحمد بن موسى و"ت" عبد العزيز بن جعفر بن خواستي و"س" عبيد الله بن عمر المصاحفي و"س غا ف ك" علي بن عمر الحمامي وعلي بن الحسين الذهبي و"س" علي بن العلاف وجعفر بن محمد بن الفضل و"س" علي بن محمد الجوهري والحسين بن علي و"ك" عقيل بن علي محمد بن أحمد بن أبي الجود ومحمد بن صبغون[1] و"س" عبيد الله بن أحمد الصيدلاني و"ك" القاضي أبو العلاء الواسطي فيما ذكره الهذلي ولا يصح لأنه ولد في السنة التي توفي فيها أبو طاهر وإنما قرأ على قيل بن علي بن البصري عنه، قال الحافظ أبو عمرو ولم يكن بعد ابن مجاهد مثل أبي طاهر في علمه وفهمه مع صدق لهجته واستقامة طريقته وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيين وكان حسن الهيئة ضيق[2] الخلق، وكان قد خالف جميع أصحابه في إمالة النون من الناس في موضع الخفض في قراءة أبي عمرو فكانوا ينكرون ذلك عليه، ولما توفي ابن مجاهد -رحمه الله- أجمعوا على أن يقدموه فتصدر للإقراء في مجلسه وقصده الأكابر فتحلقوا[3] عنده كعقيل بن البصري وكان من جلة أصحابه ابن مجاهد وكأبي بكر الجلاء ونظرائهما، قال وسمعت فارس

---

١ ضبعون ع.

٢ صنيق ق ك ضيق ع.

٣ فتحفلوا ك.." (١)

"٣٧١ - عباس بن أحمد الواعظ عن داود بن علي بن خلف إمام أهل الظاهر قال الخطيب ليس بثقة ومن بلاياه أتى بخبر من أذى ذميا فأنا خصمه بإسناد مسلم والبخاري قال الخطيب الحمل فيه على

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري ٤٧٦/١

عباس انتهى

٣٧٢ – العباس بن بكار الضبي بصري قال الذهبي في ميزانه قلت يتهم بحديثه عن خالد بن عبد الله عن بيان عن الشعبي عن أبي جحيفة عن علي مرفوعا إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط إلى الجنة وهذا الحديث ذكره الحاكم في مستدركه في مناقب فاطمة ثم قال خ م قال الذهبي في تلخيصه قلت لا والله بل موضوع والعباس قال الدارقطني كذاب انتهى وقال العقيلي الغالب على حديثه الوهم والمناكير فساق سندا إلى أنس **مرفوعا الغلاء والرخص** جندان من جند الله الحديث قال الذهبي فيما يظهر لي والآخر باطل ثم قال ومن أباطيله عن خالد بن أبي عمرو فساق سندا إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي ثم قال ومن مصائبه حدثنا عبد الله بن زياد الكلابي فساق إلى حذيفة مرفوعا في المهدي فقال سلمان يا رسول الله من أي ولدك قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين انتهى." (١)

"ومات الأمير مالك بن ياروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب محمل إلى حلب ودفن بها. وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين أنار التي تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق وكانت وفاتها يوم الاثنين ثالث ذي القعدة. وفيها خرج المظفر تقي الدين عمر إلى كشف أحوال الإسكندرية وشرع في عمل سور على مدينة مصر بالحجر فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسي واتصلت العمارة في خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين وبجوار جامع ابن طولون والكبش فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع بشقاف القنز والخرشتف وتراب الأرض وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة. وفي شعبان ورمضان: وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة **وكثر الوباء في** الدجاج أيضا.." (٢)

"من شرطها صفو الوداد وصحة النية ولم يوجد ذلك فحنثهم في اليمين قد تحقق وبرئت أنت من العهدة فاقصد البلاد فإنها في يدك قبل أن يحصل في الدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه وبينا هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدمر بن السلار وصل إلى العزيز فساعد الأمر أسامة على قصده ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضي محيي الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بق أبي عصرون فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية وضم إليه نظر الأوقاف. وأقبل الأفضل بدمشق على

---

(١) الكشف الحثيث سبط ابن العجمي، برهان الدين ص/١٤٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٢٠٤

اللعب ليله ونهاره وتظاهر بلذاته وفوض الأمور إلى وزيره ثم ترك اللعب من غير سبب وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمور وأقبل على العبادة ولبس الخشن من الثياب وشرع في نسخ مصحف بخطه واتخذ لنفسه مسجدا يخلو فيه بعبادة ربه وواظب على الصيام وجالس الفقراء وبالغ في التقشف حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل. وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مصر فأفسد جماعة على السلطان وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية فسار إليه العسكر فلم يظفروا به. وقطع العزيز أيضا خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه فساروا من القاهرة إلى دمشق فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات. وفي شهر رمضان: كسر بحر أبي المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام وتجاهر الناس فيه وفيه وقعت الآفة في البقر والجمال والحمير مهلك منها كثير. وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بلاد المغرب **لشدة الغلاء بها** وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم فقصروا في عمارة البلاد. وارتفع السعر بالإسكندرية ونقص ماء النيل بعدما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا فرفعت الأسعار وشرقت البلاد وبلغ القمح كل أردب بدينار وأخذ في الزيادة وتعذر وجود الخبز وضج الناس وكثرت المنكرات وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره. وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية وحميت بيوت المزر وجعل عليها ضرائب فمنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر دينارا ومنع من عمل المزر البيوتي وتجاهر الكافة بكل قبيح فترقب أهل المعرفة حلول البلاء. وفيها قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصلبوت فأحضر من القدس." (١)

"فأمر بنقب الدار وأخرج المرأة وسلمها لأبيها وأعاد بناء النقب فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة وبذل للأمير فخر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية وحمل ذلك بأجمعه إلى فخر الدين جهاركس. فأحضره جهاركس إلى العزيز وهو حينئذ في غاية الضرورة إلى المال وقال: هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب وعرفه الخبر. فأطرق العزيز مليا ثم رفع رأسه وقال: أعد المال إلى صاحبه وقل له إياك والعود إلى مثلها فما كل ملك يكون عادلا وعرفه أني إذا قبلت هذا منه أكون قد بعت به أهل الإسكندرية وهذا لا افعله أبدا. فلما سمع هذا جهاركس وجم وظهر في وجهه التغير. فقال له العزيز: أراك واجما أظنك أخذت على الوساطة شيئا. قال: نعم خمسة آلاف دينار. فأطرق العزيز ثم قال: أعطاك مالا تنتفع به وأنا أعطيك في قبالته ما تنتفع به مرات عديدة ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبدة ومغلها في السنة سبعة آلاف دينار فلامه أصحابه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٣٣/١

وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل فاستدعاه إلى مجلسه بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق فعندما عاين القاضي الفاضل استحيا منه ومضى إلى دار الحرم احتراما له من مخاطبته في القرض فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من عند الحرم. فلما اجتمع بالفاضل قال له بعد أن أطنب في الثناء عليه: قد علمت أن الأمور قد ضاقت علي وقلت الأموال عندي وليس لي إلا حسن نظرك وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك. فقال القاضي الفاضل: جميع ما أنا فيه من نعمتكم ونحن نقدم أولا الرأي والحيلة ومتى احتيج إلى المال فهو في يديك. واتفق أن العادل لما اشتد على **أصحابه الغلاء والضيق** استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز فسيره إليه. وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بلبيس ما جرى خاف ع(ى الملك أن يخرج من يده فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده. فرق له العادل واستدعى القاضي الفاضل فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ومازالا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز من غير أن يؤاخذهم بشيء ويرد عليهم إقطاعاتهم ويحلف العزيز لهم ويحلفون له وأن يكون العادل مقيما بمصر عند العزيز ليقرر قواعد ملكه وأن العزيز والأفضل يصطلحان ويستقر كل منهما على ما بيده. فعاد القاضي الفاضل وقد تقرر الأمر على ما ذكر وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء.." (١)

"الضعفاء وفشا الموت وأكثره في الجياع. وصارت الأقفاص التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات ولا يقدر على النعوش إلا بالنوبة وامتدت الأيدي إلى خطف ألواح الخبز ويضرب من ينهب ويشج رأسه ويسال دمه ولا ينتهي ولا يرمي ما في يده مما خطفه وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه. وورد الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نقل في يوم عاشوراء من قلعة وفي تاسع عشريه: قدم الملك الزاهر داود مجير الدين صاحب البيرة وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب فخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب وقدم العماد الكاتب أيضا. وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة واشتروا القمح كل ويبة بدينار وأن بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة وزاد الجراد بالشام وعظم خطبه وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة وزادت وأفرطت. وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما وصار لفروج لا يقدر عليه وانتهى سعر القمح إلى مائتي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/ ٢٤٠

دينار كل مائة أردب وغلظ الأمر في الغلاء وعدم القوت وكثر السؤال وكثرت الموتى بالجوع. وخطف الخبز متى ظهر وشوهد من يستف التراب ومن يأكل الزبل. وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات وعدمت المواساة وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس وعلى نقاضات الموائد وكناسات الآدر ومن يقفل بابه ويموت ومن عمي من الجوع ويقف على الحوانيت ويقول: أشموني رائحة الخبز. واستخدم رجل في ديوان الزكاة وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي ببهاء الدين قراقوش الشاد في هذا المال وألا يتصرف فيه وأن يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب الشريف الجعفري بخبز مبلغه في السنة ستون ألف دينار ودفع له كوس وعلم وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية عليه من لحم وخبز وإلى أن يتمحل في بعض الأوقات لاكلها لبعض ما يتبلغ به أهلها من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع.." (١)

"وفي شهر ربيع الآخر: صرف صارم الدين خطلج الغزي عن شد الأموال بالدواوين وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش مضافا إلى شد الزكوات فكمل شد المال له. وفيه كثر الموت بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض واشتد الأمر وغلت العقاقير وعدم الطبيب وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء وما ينقضي يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة. وعدم من يحفر وإذا وجد لم يعمق الحفر فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطاع مقالتها ولا زيارة قبورها وأخذت الأسعار في الانحلال. وفي جمادى الأولى: تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق فوقع العزم على المسير إلى الشام ووقع الشروع في الإنفاق في الحاشية فقبضوا شهرا واحدا وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم فأحيل بعضهم على جهات. وامتنع الجاندارية من قبض شهر وأنهى ذلك إلى العزيز فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى المخيم ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش واستخدمه في السور فخرجوا بأنفس غير طيبة وألسنة بالشكوى معلنة وكاد المال الذي أنفق في الحاشية قد افترض من الأمراء وأحيل به على الجوالي لسنة ثلاث وتسعين وخرج العزيز إلى المخيم وحرك الأمراء تحريكا قويا وسير الحجات إلى البلاد تحت الأجناد فتتابع خروج الناس ووقع الرحيل من بركة الجب في ثامنه فرحل السلطان العادل والعزيز وجميع الأسدية والمماليك. وفشت الأمراض الحادة فما ينقضي وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز. وغلت الأدوية وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهما والبطيخة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٢٤٤

إلى مائة درهم. وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية وأموات لا تتلاحق. **وكثر الوباء والموت** بالإسكندرية. وفي آخره: انحلت الأسعار ونزلت الغلة إلى ثمانين دينارا كل مائة أردب وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم. وقل السؤال وارتفع الموتان بعد أن جلب من قو ص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دنانير وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك. وفيه نودي في القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج فليتجهز أرباب النيات.." (١)

"الواصلة من مصر إلى الأفضل فوجدوا يازكج قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل فقاتلوهم وكسروهم وغنموا ما معهم. وصارت أهل دمشق في جهد **من الغلاء واحتاج** العادل إلى القرض فأخذ مالا من التجار. وقوي الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ وهم العادل بالتسليم فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبن أخيه الأفضل.." (٢)

"وفيها تعذرت الأقوات بديار مصر وتزايدت الأسعار **وعظم الغلاء حتى** أكل الناس الميتات وأكل بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء عظيم **وابتدأ الغلاء من** أول العام فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا حتى عدمت الأقوات وخرج من مصر عالم كبير بأهليهم وأولادهم إلى الشام فماتوا في الطرقات جوعا. وشنع الموت في الأغنياء والفقراء فبلغ من كفنه العادل من الأموات – في مدة يسيرة – نحوا من مائتي ألف إنسان وعشرين ألف إنسان وأكلت الكلاب بأسرها وأكل من الأطفال خلق كثير فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته وصار هذا الفعل لكثرته بحيث لا ينكر ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل وإذا غلب القوي ضعيفا ذبحه وأكله وفقد كثير من الأطباء لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله واتفق أن شخصا استدعى طبيبا فخافه الطبيب وسار معه على تخوف فصار ذلك الشخص يكثر فى طريقه من ذكر الله تعالى ولا يكاد يمر بفقير إلا ويتصدق عليه حتى وصلا إلى الدار فإذا هي خربة. فارتاب الطبيب مما رأى وبينا هو يريد الدخول اليها إذ خرج رجل من الخربة وقال للشخص الذي قد أحضر الطيب: مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحدة. فارتاع الطبيب وفر على وجهه هاربا. فلولا عناية الله به وسرعة عدوه لقبض عليه وخلت مدينة القاهرة ومصر أكثر أهلها وصار من يموت لا يجد من يواريه فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين فخاف الناس وقدم

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٢٤٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٢٦١

إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء وكثر الجوع وعدم القوت حتى أكلت صغار بنى آدم فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا وكذلك الأم وظفر الحاكم منهم بجماعة فعاقبوهم حتى أعياهم ذلك وفشا الأمر: فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عبها كتف الصغير أو فخذه وكذلك الرجل وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تنزل ليأكل منها فإذا فيها لحم الأطفال وأكثر ما كان يوجد ذلك فى أكابر البيوت ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات ومعهم لحوم الأطفال واحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة وجد معهن لحوم الأطفال لم فشا ذلك حتى اتخذه الناس غذاء وعشاء وألفوه وقل منعهم منه فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت لا الحبوب ولا الخضروات. فلما كان قبل أيام زيادة النيل – فى سنة ست وتسعين هذه – احترق الماء في." (١)

"وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب وذلك لما ملك اليمن – بعد أبيه – خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى ثم خرج عليه نحو ثمانمائة من مماليكه وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء فكسرهم وجلاهم عنها فادعى الربوبية وأمر أن يكتب عنه ويكاتب بذلك وكتب صدرت هذه المكاتبة من مقر الالهية. ثم خاف المعز إسماعيل من الناس فادعى الخلافة وانتسب إلى بنى أمية وجعل شعاره الخضرة ولبس ثياب الخلافة وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبرا في سعة ستة أشبار وقطع من الخطبة الدعاء لبنى العباس وخطب لنفسه على منابر اليمن وخطب هو بنفسه يوم الجمعة فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه فلم يلتفت إلى قوله وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة فثار عليه مماليك أبيه لهوجه وسفكه الدماء وحاربوه وقتلوه ونصبوا رأسه على رمح وداروا به بلاد اليمن ونهبوا زبيد تسعة أيام وكان قتله في رابع عشر رجب من سنة ثمان وتسعن وقام من بعده أخوه الناصر أيوب – وقيل: محمد – وترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر ثم استقل سنقر بالسلطة. وفيها **كان الغلاء بمصر** فلما طلع النيل رويت البلاد وانحل السعر.." (٢)

"غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي – صاحب الروم – يعزونه في أبيه ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل وشر الكامل أفضل الدين محمد الخونجي يعزي غياث الدين بأبيه ومعه ذهب برسم الصدقة عنه وثياب أطلس برسم أغشية القبر.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٦٩/١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٧٢/١

وفيها **كان الوباء أشد** من السنة الماضية. وفيها ضرب الملك الكامل الفلوس. وفيها بعث الملك الكامل القاضي الأشرف بن القاضي الفاضل إلى الملك الناصر داود – صاحب الكرك – يدعوه إلى موافقته. فرحل الملك الناصر إلى القاهرة مع القاضي الأشرف فسر الكامل بقدومه وركب إلى لقائه وأنزله بحار الوزارة وقدم له أشياء كثيرة وخلع عليه وقلده الكامل دمشق وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل ثم البقية واحدا بعد واحد إلى أن صعد قلعة الجبل وجدد ا لناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل في تاسع عشر ذي الحجة فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس وأخذ ما كاد فيها للناصر داود. وفيها سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا يستأذن أباه في استخدام من خالف السلطان غياث الدين كيخسرو – صاحب الروم – من الخوارزمية فأذن له في ذلك واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية فتقوى بهم. وفيها استولى التتار على إربل وقتلوا كل من فيها وسبوا ونهبوا حتى نتنت من كثرة القتلى ثم رحلوا عنها. وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول فبلغه عنهم أنهم قالوا: إنا اتفقت كلمتنا عليك فلا تخرج من مصر إلى الشام واحلف لنا على ذلك. فاتفق مرض الأشرف بالقرب فكان لا يستقر بباطنه طعام البتة حتى انقضت السنة وهو مريض من شهر رجب. وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة فحاربهم الأمير أسد الدين جغريل وكسرهم فقدم الملك المنصور عمر بن رسول وملك مكة بغير قتال وتصدق بمال وترك بها جماعة فقدم الشريف شيحة بن قاسم – أمير المدينة – وملك مكة منهم ونهبهم ولم يقتل أحدا.." (١)

"من بعلبك وقال: إن معين الدين حلف له وأما أنتم فما خلفتم وأمر الملك الصالح نجم الدين أن يسير ركن الهيجاوي والوزير أمين الدولة السامري تحت الحوطة إلى قلعة الروضة فسيرا من دمشق إلى مصر واعتقلا بقلعة الجبل فاتفق مرض الصاحب معين الدين ووفاته بدمشق في ثاني عشري شهر رمضان فكتب السلطان إلى الأمير حسام بن أبي علي الهذباني وهو بنابلس أن يسير إلى دمشق ويتسلمها فسار إليها وصار نائبا بدمشق والطواشي رشيد بالقلعة وأفرج السلطان عن الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ – وكان قد لزم بيته – وخلع عليه وأمره وقدمه وبالغ في الإحسان إليه وكان لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره. وأما الخوارزمية فإنهم ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد فلما منعوا من دمشق وصاروا في الساحل وغيره من برد الشام تغيرت نياتهم واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان وساروا إلى داريا وانتهبوها وكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس وهو على غزة بعسكر جيد من عساكر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٧٨/١

مصر وحسنوا له أن يكون معهم يدا واحدة ويزوجوه منهم فمال إليهم وكاتبوا الناصر داود صاحب الكرك فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبي علي من نابلس والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار. وخاف الصالح إسماعيل فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم فحلفوا له على القيام بنصرته ونازلوا دمشق فقام الأمير حسام الدين بن أبي علي بحفظ البلد أحسن قيام وألح الخوارزمية – ومعهم الصالح إسماعيل – في القتال ونهب الأعمال وضايقوا دمشق وقطعوا عنها الميرة **فاشتد الغلاء بها** وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة ومات كثير من الناس جوعا وباع شخص دارا قيمتها عشرة آلاف درهم بألف وخمسمائة درهم اشتري بها غرارة قمح فقامت عليه في الحقيقة بعشرة آلاف درهم وأبيع ا لخبز كل أوقية وربع بدرهم واللحم كل رطل بسبعة دراهم ثم عدمت الأقوات بالجملة وأكل الناس القطط والكلاب والميتات ومات شخص بالسجن فأكله أهل السجن وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى لعجز الناس عن مواراة موتاهم ولم تنقطع مع هذا الخمور والفسوق من بين الناس. وأخذ الملك الصالح نجم الدين مع ذلك في أعمال الحيل والتدبير وما زال بالمنصور." (١)

"فتسلم السلطان المعظم مملكة مصر وخلع على الأمير حسام الدين بن أبي علي خلعة سنية ومنطقة وسيفا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية وأنشده الشعراء عدة تهاني وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع من العلوم وكان السلطان المعظم قد مهر في العلوم وعرف الخلاف والفقه والأصول وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه. ولازم المعظم الاشتغال إلى أن برع إلا أنه فيه هوج وخفة مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء. ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تلبانة ثم نزل بعدها منزلة ثالثة وسار منها إلى المنصورة. وقد تلقاه الأمراء المماليك فنزل في قصر أبيه وجده يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة. فأول ما بدأ أن أخذ مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار وكثيرا من مخلفه بدون القيمة ولم يعط ورثته شيئا وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار. وأخذ يسب فخر الدين ويقول: أطلق السكر والكتان وأنفق المال وأطلق المحابيس إيش ترك لي. وكانت الميرة ترد إلى الفرنج في منزلتهم من دمياط في بحر النيل فصنع المسلمون عدة مراكب وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة وكانت أيام زيادة النيل فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة وهذه المراكب مكمنة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٤٢٤

فيه خرجت عليها بغتة وقاتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة فأخذت مراكب الفرنج أخذا وبيلا وكانت اثنتين وخمسين مركبا وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجي وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج **ووقع الغلاء عندهم** وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب واستضرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم. وفي أول ذي الحجة: أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق ونجا من كان فيها من المسلمين. وفي ثاني ذي الحجة تقدم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالسير إلى القاهرة والإقامة بدار الوزارة على عادته في نيابة السلطة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام وبهاء الدين بن الجميزي الشريف عماد الدين والقاضي عماد الدين القاسم." (١)

"ابن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نبهان بن محمد بن المقنشع الحموي - قاضي مصر وكان قد ولي القضاء بعد موت الجمال يحيى في جمادى الأولى - وسراج الدين الأرموي فجلس السلطان المعظم معهم وناظرهم. وفي يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج فالتقت بها شواني المسلمين عند مسجد النصر فأخذت شواني المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركبا منها تسع شواني. **فاشتد الغلاء عند** الفرنج وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري فسألوا أن يسلموا دمياط ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل فلم يجابوا إلى ذلك. وفي يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة: أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط وخرجت السنة وهم في منزلتهم. وفي هذه السنة: قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة فقتلوا ونهبو ا وجفل منهم الناس. وفيها استولى علي بن قتادة على مكة في ذي القعدة. وفيها قتل الشريف شيخة أمير المدينة النبوية وقام من بعده ابنه عيسى. وفيها قتل المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف. وفيها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص في آخر جمادى الآخرة عن تسع وأربعين سنة. وكان أبو زكريا يحيى قد قام وملك تونس واستبد بأمرها ودعا لنفسه وقد ضعف أمر ملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي. فأقام أبو زكريا يحيى على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة وامتدت مملكته إلى." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٤٥٠

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٤٥١

"سنة ست وخمسين وستمائة فيها **وقع الغلاء بسائر** البلاد وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر وأبيع المكوك القمح بحلب بمائة درهم والشجر بستين درهما والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما وبقية الأسعار من هذه النسبة. وفي رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسان فرعون التي بعين شمس فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار. وفيها ملك هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس من بغداد وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة فصح حديث حبيب بن أبي ثابت عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رسول الله قام فقال: يا معشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فالتحوكم كما يلتحي القضيب. وقتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات واستمروا على ذلك أربعين يوما. وأمر هولاكو بعد القتلى فبلغت نحو الألفي ألف قتيل وتلاشت الأحوال بها. وملك التتار أربل ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم. وفيها **كثر الوباء ببلاد** الشام فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما.." (١)

"(سنة تسع وخمسين وستمائة)

فيها عظم الفأر في أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح. وفيها اجتمع من التتار ستة آلاف فارس وقاموا بحمص. فبرز إليهم الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماة واجتمع إليهما قدر ألف وأربعمائة فارس. وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان وواقعوا التتر يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن فأفنوهم قتلا وأسرا ووردت البشارة إلى مصر بذلك. وكانت التتار في ستة آلاف والمسلمون ألف وأربعمائة وحملت رءوس القتلى إلى دمشق وفيها **اشتد الغلاء بدمشق**. وفي يوم الاثنين سابع صفر: ركب الملك الظاهر بيبرس من قلعة الجبل بشعار السلطنة إلى خارج القاهرة ودخل من باب النصر فترجل الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة ثم ركبوا إلى القلعة وقد زينت القاهرة ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان وخلع على الأمراء والمقدمن وسائر أرباب الدولة وكان هذا أول ركوبه ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة. وكتب وفيها بعث السلطان

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٩٩/١

الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفي دينار عينا ليستميل الناس على المجاهد سنجر.." (١)

"وقدمت الإقامات من الفرنج إلى السلطان وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا لم يجيبوا إليها فأهانهم. وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك فسألوا رجوعه. **واتفق الغلاء ببلاد** الشام فتقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية. فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا ومتملك بيروت فكاسر الفرنج في أمر الأسارى فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم في العمائر. فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين فأجيبوا: بأنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية مرج عيون وقايضتم صاحب تبنين والمقايضة في أيديكم. فكيف تطلبون العوض مرتين. فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد. وخرج الأمير جمال الدين المحمدي في عسكر وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانما سالما. وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد لكثرة فسادهم وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين. واحضر السلطان أمراء العربان وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات وسلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الحروب إلى حدود العراق وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا. وفوض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري نيابة دمشق وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – وكان قد خرج معه من مصر – عوضا عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى ابن السني ووكل به وسفره إلى القاهرة. وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع." (٢)

"(سنة ستين وستمائة)

في ثاني المحرم: وصل السلطان من دمشق. **واشتد الغلاء بدمشق** فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهما فضة وهلك خلق كثير من الجوع. وفيه سار قرابغا مقدم التتار من بغداد – وكان قد استخلفه هولاكو عليها عند عوده إلى بلاد الشرق – يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربته فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها وتلاحقت به بقية التتار من بغداد. ولقبهم الخليفة وقد رتب عسكره: فجعل التركمان والعرب جناحي العسكر واختص جماعة جعلهم في القلب وحمل بنفسه على التتار فكسر مقدمتهم وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا وخرج كمين للتتار ففر العرب والتركمان وأحاط التتار بمن بقي معه فلم يفلت منهم

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٢٥/١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٣٨/١

سوى الأمير أبي العباس أحمد الذي قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم بالله والأمير ناصر الدين بن مهنا والأمير ناصر الدين بن صيرم والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفي والأمير أسد الدين محمود في نحو الخمسين من الأجناد. ولم يعرف للخليفة خبر: فيقال قتل بالمعركة في ثالث المحرم ويقال بل نجا مجروحا في طائفة من العرب فمات عندهم. وكانت هذه الواقعة في العشر الأول من المحرم فكانت خلافته دون السنة وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك المواصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا. واستقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ في مملكته بالموصل وسار أخواه إسحاق وعلي إلى الشام خوفا من التتار وقدما على السلطان بقلعة الجبل فأبر مقدمهما وسألاه في تجهيز نجدة لأخيهما فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومي في جماعة من البحرية والحلقة وساروا من القاهرة في رابع جمادى الأولى. وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طيبرس فسار العسكران من دمشق في عاشر جمادى الآخرة. وفوض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة. وتسلم نواب السلطان قلعة البيرة. ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك. وباشر السلطان عرض عساكر مصر بنفسه وحلفهم لولي عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركة خان. وفي يوم الأحد ثاني عشري صفر: وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب." (١)

"القاهرة وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال. وأمر السلطان أكابرهم ونزل باقيهم في جملة البحرية وكانوا مائتي فارس بأهاليهم فحسنت حالهم ودخلوا في الإسلام. وكتب السلطان إلى الملك بركة كتابا وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك. وفيها سار صندغون مقدم التتار إلى الموصل ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء. وحاصرها صندغون حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي في يوم الجمعة النصف من شعبان فقبض عليه وعلى من معه. ووقع التخريب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام ووسطوا علاء الدين ابن الملك الصالح ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية وهدموا المباني وتركوها بلاقع ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاكو. وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البرلي من حلب نجدة للملك الصالح فأدركه التتار بسنجار وواقعوه فانهزم منهم إلى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة. ثم استأذن الأمير شمس الدين السلطان في العبور إلى مصر فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذي القعدة فأنعم عليه السلطان

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٤١/١

وأقطعه إمرة سبعين فارسا. وولى السلطان بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيدمر الشهابي فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة وبعثهم إلى مصر فوسطوا. وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي وشهري بن أحمد الخفاجي ومقبل بن سالم وعياش بن حديثة ووشاح وغيرهم. فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عينا على التتار. الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي قتيلا في المعركة قريبا من هيت. وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن المهذب السلبي الشافعي عن اثنتين وستين سنة في.." (١)

"فرس النوبة بالرقبة الملوكية وركب من دار النيابة قبلي أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقض ثلاثة أيام الأربعاء حادي عشر المحرم ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك وتلقب بالملك العادل فكانت أيامه شر أيام **من الغلاء والوباء** وكثرة الموتان. ومن عجيب الاتفاق أن مشرف المطبخ السلطاني بالقلعة ضرب بعض المرقدارية فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول: يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس فجري هذا الكلام في هذا اليوم على ألسنة جميع الناس. وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر وأسكن هو وأمه في بعض قاعات القلعة. وفي ثاني عشره: مد العادل سماطا عظيما وجلس عليه فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي وجعل أمير جاندار وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر واستقر أمير جاجب. وفي رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصوري فقدم دمشق في سابع عشره وحلف النائب والأمراء ودقت البشائر. وفي يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزارة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة. وفي يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتي على رأسه والتقليد بين يديه وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضي جمال الدين محمد بن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٤٥/١

المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري. وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا وأغرلو." (١)

"وبكتوت الأزرق وقطلو بك فركبوا بالإمرة في يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي على عادته في أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه في الدولة الأشرفية وسار من القاهرة. وفي يرم الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة واستقر بالقاضي فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي الداري وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين في الوزارة. وفي هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث وخرج النائب وسائر الناس مشاة. **وتزايد الغلاء بديار** مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين وكانت التقاوي المخلدة قد أكلت. ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها للأمراء وغيرهم حتى نفد ما في الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم فصار الوزير يشتري الغلال للمئونة بدور السلطان وللعليق **فتزايد الغلاء حتى** بلغ تسعين درهما الأردب. ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء وعظم في القاهرة ومصر وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم. وفي سادس عشري رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى في قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة وأنعم على الملك الأوحد شادي بن الزاهر مجير الدين دوادار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبي بإمرة في دمشق فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها وهو أول من أمر طبلخاناه من بني أيوب في دولة التركية. فقدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبي المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني." (٢)

"صاحب اليمن في شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر ولي عهد هأيون فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود وجمع لقتاله وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملكها وأخذ وفيها استقر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموي بدمشق زيادة على ما بيده من قضائها فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦٠

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦١

سادس شوال وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق. وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصوري نائب البلاد الطرابلسية وحمل إلى القاهرة فقدمها في حادي عشر ذي القعدة واعتقل وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري. وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشر إصبعا ثم هبط من ليلته ولم يعد **فتزايد الغلاء واشتد** البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضا **وعم الغلاء والقحط** ممالك المشرق والمغرب والحجاز وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان في شهر ذي الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرف بموته في كل يوم ألف نفس سوى من لم يثبت اسمه في الديوان. فلما اشتد." (١)

"بباب القلة في الخدمة وعظم على الناس إكرامهم وتزايد بعضهم في السلطان وانطلقت الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد. وأما بقية الأويراتية فإنه كتب إلى سنجر الدواداري أن ينزلهم ببلاد الساحل فمر بهم على مرج دمشق وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج وبمنزلة الصنمين وفي الكسوة ولم يمكن أحد من الأويرايتة أن يدخل مدينة دمشق. وأنزلوا من أراضي عثليث ممتدين في بلاد الساحل وأقام الأمير سنجر عندهم إلى أن حضر السلطان إلى الشام. وقد هلك منهم عالم كبير وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم وتزوج الناس ببناتهم وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم في صبيانهم وبناتهم ثم انغمس من بقي منهم في العساكر فتفرقوا في الممالك ودخلوا في الإسلام واختلطوا بأهل البلاد. وفي يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى: استقر في قضاء القضاة بديار مصر تقي الدين محمد بن مجد الدين عدي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد الشافعي بعد وفاة قاضي القضاة ذي الرياستين تقي الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة ذي الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز. وفي هذه السنة: **اشتد الغلاء وبلغ** سعر الأردب القمح المصري إلى مائة وثمانين درهما والشعير تعدي الأردب منه مائة درهم والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم. وأبيعت سفرجلة بثلاثين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦٢

درهما وكل رطل لحم بسبعة دراهم وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم ولم يزد سعر القمح في بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.." (١)

"وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس وشحت الأنفسي حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزير محتسب القاهرة ومصر لبياعي لحوم الكلاب والميتات ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبني آدم وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأي بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهي تستعطي فرق لها وأدخلها داره فإذا هي جميلة فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءا طعاما أكلته كله ولم تشبع فقدم إلها مثله فأكلته وشكت الجوع فما زال يقدم لها وهي تأكل حتى اكتفت ثم استندت إلى الحائط ونامت فلما حركوها وجدت ميتة فاخذوا من كتفيها جرابا فلفوا فيه يد إنسان صغير ورجله فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء. ثم إن الأسعار انحلت في شهر رجب حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما والشعير بخمسة وعشرين درهما الأردب. وأما النيل فإنه توقف ثم وفي ستة عشر ذراعا وكسر الخليج فنقص في يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس في الأسواق من شدة الغلاء. **وتزايد الوباء بحيث** كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت ويغسل في الميضأة من الغرباء الطرحاء في كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم فيشتغل نهاره. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن فإنه يدفن الواحد في ثوب ثم ساعة ما يوضع في حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات. وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم في الحفر فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما في حفرة أو في النيل إن كان قريبا منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات في شباك على الجمال ويعلقون." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦٧

"الميت بيديه ورحليه من الجانبين ويرمي في الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن ورمي كثير من الأموات في الآبار حتى تملأ ثم تردم. ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب وأكل كثيرا منها بنو آدم أيضا وحصر في شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان وعظم الموتان في أعمال مصر كلها حتى خلت القرى. وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر فتزايدت الأسعار في سائر بلاد الشام. وجفت المياه فكانت الدابة تسقي بدرهم شربة واحدة ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة ولم يبق عشب ولا مرعي. وبلغ القمح كل غرارة في دمشق بمائة وسبعين درهما والخبز كل رطل وأوقتين بدرهم واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري قرأ صحيح البخاري تحت قبة النسر بالجامع الأموي بدمشق في يوم الأحد تاسع صفر فسقط المطر في تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج فسر الناس إلا أن الأسعار تزايدت ثم انحطت **واشتد الغلاء بالحجاز** حتى أبيعت الغرارة القمح في مكة بألف ومائتي درهم. وفي رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة. وفيها قدمت أم الملك العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية إلى دمشق في حادي عشر رمضان وسارت إلى القاهرة في ثامن عشره. وفيها مات الملك السعيد إيلغازي بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان الأرتقي صاحب ماردين فكانت أيامه قريبا من ثلاث سنين وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين عازي. وفي يوم السبت سابع عشر شوال: خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه في نيابة السلطنة وولده الملك المجاهد أنص. فدخل دمشق في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة، وحمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه.." (١)

"ودفع لكل واحد ستمائة درهم فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات وذهب المال ولم يجد نفعا. واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء في الخيم. بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتبر أحوالهم وعرضوا في كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة. بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم ثم أبقوا الجميع لما داجى عليهم المقدمون في أمر الجند حتى اقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض في عشرين يوما ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٢٦٨

البلاد الشامية ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة وتلاحقت به الأمراء والعساكر فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

(فورد الخبر)

بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية وقد جفل الناس بين يديه. وخلت بلاد حلب وفر قرا سنقر نائبها إلى حماة وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها في ثاني عشرى ربيع الأول ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة. وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة فوقع الرحيل إلى العوجاء. وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التي توالت أحدا وأربعين يوما حتى عدم فيها الواصل واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما والعليقة الشعير ثلاثة دراهم والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلف معظم الأثقال ومات جماعة من الغلمان وأربعة من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل في الأوحال العظيمة. فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق وأنه عاد على قرون حماة وشيزر فنهب وسبى عظيما وأخذ مالا كبيرا من." (١)

"الله بذلك فسادا كبيرا ووقع أيضا بسببه من نهب الأموال فساد كبيرة فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه. وفي ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية. وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي في قضاء الحنابلة بالقاهرة بعد موت القاضي شرف الدين عبد الغني بن عبد الله الحراني في ثالث ربيع الآخر. وفيها فشا بالناس أمراض حادة **وعم الوباء وطلبت** الأدوية والأطباء وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم والرطل البطيخ بدرهم وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع في كل يوم بثلاثمائة درهم إلى مائتي درهم. وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما والأردب الشعير والفول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الأستادار فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده مباشرة سنة وباع ما عداه قليلا قليلا. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا وخرج بهم الخطيب نور الدين علي بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني فاستسقى وكان يوما مشهودا فنودي من الغد بثلاثة أصابع ثم توقف. وانتهت زيادة النيل في سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا. واتفق أنه نقص في أيام النسئ وجاء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٣٣٦

النوروز ولم يوف النيل ستة عشر ذراعا وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت وهو ثامن عشرى ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه وهو يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء وغنت عامة مصر: سلطاننا ركين ونائبنا دقين يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج يجي الما ويدحرج.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم سنة ثمان عشرة وسبعمائة في المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة وصحبته المجردون فشكى الصارم أزبك الجرمكي من بهادر الإبراهيمي وأنه منعه من اخذ الشريف حميضة وأنه تعاطى الخمور فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة وسجنوا بالإسكندرية وأنعم على الأمير مغلطاي الجمالي بخبز الإبراهيمي. وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز **وكثرة الوباء والموت** بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن وميافارقين لم يوجد من يخطب بها في جامعها. وفي أول صفر: توجه القاضي كريم الدين الكبير إلى دمشق فدخلها في سابعه وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد وفي سابعه: استقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين. وفي سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامي نائب صفد وأنعم عليه بتقدمة ألف في سادس عشرة. وفي سابع عشرة: سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظرا. وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكري وحط على كريم الكبير وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكري السلطان عنه ما قال فأعلم به كريم الدين فقال هو يا خوند معذور فأنه قد بطل ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان. وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه في الحال بخلعة وبريدي وخرج لوقته. وفي حادي عشريه: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركماني من شد الدواوين ونزل إلى داره. وفيه عوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وركب إلى القلعة وترك معلوم القضاة تنزها عنه فخلع عليه وباشر بغير معلوم.." (٢)

"يغمراسن من عبد الواد الزياني قتيلا في محاربة سلطان المغرب أبي الحسن المريني أخر شهر رمضان بعدما ملك نيفا وعشرين سنة. وفيها **وقع الغلاء في** جمادى الأولى وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما. والشعير بثمانية وعشرين درهما والفول باثنين وثلاثين درهما والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٤٣١

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٣

درهما والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح. وفيها كبست الفيوم في أخريات جمادى الأولى وأحضر منها ألف ومائتان فرس. ثم قدم والي الفيوم وأمراء العربان وأحضروا ستين حمل سلاح ومائة فرس وغير ذلك. وفي سابع ذي الحجة: وردت الفصاد بأن الملك موسى قدم إليه من خراسان طغاي تمر وسارا لمحاربة محمد بن عنبرجي فانكسرا في رابع عشر ذي القعدة واستقل محمد بالملك وكانت الوقعة قريبا من السلطانية بموضع يقال له صولق. وفي رابع عشريه: استقر الجمالي عبد الله أخو ظلظية في ولاية البحيرة عوضا عن الغرس خليل. ومات فيه، من الأعيان قطب الدين إبراهيم بن محمد بن علي بن مطهر بن نوفل التغلبي الأدفوي بعد كف بصره في يوم عرفة بأدفو وله شعر. وتوفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم بدمشق في ثالث عشر المحرم وله شعر ونثر ورحل إلى مصر وغيرها. وتوفي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن الخولي القوصي الشافعي بقوص. ومات الأمير سيف الدين الأكز بدمشق في نصف رمضان. وتوفي الشيخ الإمام القدوة أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج الفاسي." (١)

"من الثياب الصوف ومن النصافي ما لا ينحصر وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا بعدما أخذ. لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير. ووجد لألجيبغا العادلي مبلغ مائة وعشرين ألف درهم وألف ومائتي دينار وأصناف كثيرة فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم وصودر جماعه من ألزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفي ألف درهم. ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق وقدم قلعه الجبل فخلع عليه وأكرم إكراما زائدا. ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخري باستدعاء فخلع عليه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم قدم الأمير وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته وكتب بحضور طرغاي من حلب. وفيها استقر الأمير أرقطاي في نيابة طرابلس عوضا عن طينال وأقام طينال بدمشق. وفيها استقر الأمير أقسنقر السلاري في نيابة صفد عوضا عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا في داره بخط الكافوري وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة ما بين أواني صيني ومسك وعود وغير ذلك أقام في بيعه مدة أربعة أشهر وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفي دينار سوى ما أنعم به على الأمراء. ووجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين ألف دينار وثلاثين حمل سلاح ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٢٢٤

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن في سيره إلى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما في تلك البلاد **من الغلاء وألح** تنكز في الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: والله لقد تغير عقل أستاذنا وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع مني لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده وأقوم أنا بتدبير أمره ويبقى هو واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه ولم يكتب معه كتابا إلى تنكز فخنق تنكز لعدم مكاتبته ورد رسوله من دمشق.." (١)

"وأقام السلطان الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحري رباط الآثار ومروا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق وهدمت عدة بيوت كانت هناك وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهما عظيما. وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعي فركب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام ولم يجتمع بالسلطان. وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده وأخرجه منفيا إلى صرخد وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده فرجع من سرياقوس. وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبي بكر من الكرك فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم فتوجه الأمير طيبغا المجدي إلى الكرك وأحضر طلب أبي بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها. وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني واستقر في نيابة الكرك وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان وأوصاه السلطان ألا يدع لأحد حديثا ولا حكما بين اثنين. وفيه قدم البريد **بأن الغلاء شديد** ببلاد المشرق وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم فملأوا بلاد حلب وغيرها. وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتي نفر فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصا جعل بعضهم في الطباق وأسكن منهم عدة القلعة وأمر منهم جماعة وفرق في الأمراء منهم جماعة. وفيها جدد السلطان جامع راشدة وقد تهدم أكثر جدرانه. وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة وكان سعته نحو عشر فدادين وشرع قوصون في عمارته سبع قاعات لكل قاعة إصطبل. وفيها قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.." (٢)

"والدجاج ونحو ذلك وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بباب القلعة موضع النيابة في موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٩٢/٣

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٩٦/٣

عن الزحمة من كثرة الناس. وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والي قوص بأن المنصور أبا بكر وجد في نفسه تغيرا وفي جسمه توعكا لزم الفراش منه أياما ومات. ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله. وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم وأن التبن بلغ أربعين درهما الحمل. ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخري على الكرك وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال وكان الوقت شتاء فأقام العسكر نحو العشرين يوما في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن وكثرت غاراتهم في الليل عليهم وتقطيع قربهم وروايا‌هم. هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخري بالأموال ويحرضه على لزوم الحصار. وفيه قدم البريد من عند ألطبغا الصالحي نائب دمشق بأن تمر الموساوي قدم من حلب واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب. فكتب قوصون بالقبض عليه وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى ألطبغا الصالحي نائب دمشق أن يطالع بالأخبار وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف وعابه وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان فأجابه بأعذار غير مقبولة. ثم قدم الخبر من شطي بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخري قد خامر بالكرك على قوصون وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل ويعزم عليه أن يدخل في طاعة أحمد ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخري ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك وشدة البرد **وكثرة الغلاء** **فجمع** من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك فأعاد جوابه بالشكر والثناء وأعلمه بان الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد. وكان الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام قد أحس بشيء من هذا فاحترس على." (١)

"بإمرة طبلخاناة ونودي بأن أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء لا يركب أحد منهم فرسا بعد عشاء الآخرة ولا يقعدوا جماعة يتحدثون. وفي يوم الإثنين رابع عشريه: خلع على جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم. وفي يوم الثلاثاء خامس عشريه: قدم علاء الدين علي بن فصل الله كاتب السر ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبي الركب ومن الكرك مفارقين للناصر أحمد. بحيلة دبرها جمال الكفاة. وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفا من حضورهم إلى مصر ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة فبذل جمال الكفاة مالا جزيلا ليوسف بن البصارة حتى مكنهم من الخروج من المدينة. وأسر إليه السلطان

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٣٤٦

الناصر أنه يبعث من يقتلهم ويأخذ ما معهم فعرجوا في مسيرهم عن الطريق صحبة بدوي من عربان شطي إلى أن قدموا غزة فخلصوا ممن خرج في طلبهم. فأقبل عليهم الأمراء والسلطان وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم. وفي يوم الخميس سابع عشريه: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب في الجانبين وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالي فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج فرجموه وردوه ردا قبيحا إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها فخرجوا يحملون المصاحف ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالي على باب الجمالية ونودي من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئا بالشنق. وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع في بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد حتى بلغ الرطل الخبز بالمصري إلى ثمانية دراهم نقرة وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى في العراء عجزا عن مواراته وفنيت الدواب عندهم. ثم عقب **هذا الغلاء جراد** عظيم سد الأفق ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة فاض بما هناك ضررا شديدا بالغا وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات وتحسنت أسعار بلاد الشام. وفي هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقي من." (١)

"على بيوتهم فنهبوها. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير الحاج آل ملك النائب فبعث الحجاب والوالي فقبضوا على جماعة كثيرة وردوا كثيرا مما نهب وحملوا الذين قبض عليهم وفيهم عدة من الأجناد فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم. وأقامت المنية خرابا وبيوتها مهدمة نحو الشهرين حتى عاد أهلها إليها. وفي هذه السنة: نافق عربان الصعيد واقتتلوا وقطعوا الطريق فقتل بينهم نحو الألفي رجل. فركب الأمير علاء الدين علي بن الكوراني وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم فلم يثبتوا له وفروا منه فأخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح. وفيها احتربت الدعاجية والسعديون فقتل بينهم خلق كثير جدا فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحري وقتل منهم أعدادا كثيرة. وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات فلم يطق الأمير سيف بن فضل رده ومنعه لعجزه وفيها اشتد الحصار على الكرك وضاقت على الناصر أحمد ومن معه لقلة القوت عندهم وتخلى عنه أهل الكرك ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم. وفيها **اشتد الغلاء ببغداد** وعامة بلاد العراق وبلغ الرغيف

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٣٧٩

ببغداد دينارا عراقيا عنه ستة دراهم والرطل اللحم بدينار ونصف. وفيها استقر بيبغا ططر في نيابة غزة عوضا عن طرنطاي البشمقدار. وفيها استقر طرنطاي حاجبا بالقاهرة. وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوي نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر فلقيهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة. فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه ففر منه ابن دلغادر إلى جبل وترك أثقاله فنهبها العسكر وقتلوا كثيرا من تركمانه وظفروا ببعض حرمه وتبعوه إلى الجبل وصعدوه. فقاتلهم ابن دلغادر وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله وتقنطر عنه يلبغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب وتعنيفه على ما فعله.." (١)

"وفي هذه السنة: استجد. بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباحي وولي قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى وفيها **كان الغلاء بأرض** مصر والشام حتى بيعت غرارة القمح في دمشق بثلاثمائة درهم ثم أنحط السعر. وفيها توقف النيل في أوائل أيام الزيادة فارتفع سعر الغلال. ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء في رابع جمادى الأولى وهو تاسع مسرى وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهم ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما. ومات فيها من الأعيان تقي الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقي بها في ليلة الجمعة سادس رجب. وقد ولي بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست ثم نظر النظار وقدم القاهرة غير مرة. ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا في يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به وزوجه ابنته وجعله أمير شكار ثم نائب غزة. وأعيد بعده في أيام الصالح إسماعيل في مصر وعمل أمير آخور. ثم استقر في نيابة طرابلس مدة وأحضر إلى مصر في أيام شعبان الكاملي وعظم قدره ودبر الدولة في أيام المظفر حاجي حتى قتله. وكان ومات الأمير بيدمر البدري مقتولا بغزة في أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية وولي نيابة حلب واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريبا من المشهد الحسيني. وتوفي قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسي عن تسع وسبعين سنة بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره. ومات أمير علي بن الأمير قراسنقر.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٤٠٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٦٥

"وفيه وفرت جوامك جماعة ورواتبهم. وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعي في الوظائف. بمال فلم يرد أحدا وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك. وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة وأنعم عليه بألف عليقة. وفيه توجه بيبغا روس النائب إلى العباسة ثم توجه إلى الإسكندرية فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار وأتته تقادم جليلة. وفي هذا الأيام: كثر سقوط الدور التي على النيل وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته في ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره إلى أن كان الوفاء في يوم الجمعة أول جمادى الأولى وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته وتوقف أياما ثم نقص إلى يوم عيد الصليب حمس أصابع فقلق الناس قلقا زائدا. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمان عشرة إصبعا. فشمل الري البلاد وانحط سعر الغلال. فلما أخذ ماء النيل في الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئا بعد شيء ثم سقط أحد عشر بيتا بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة فإن الماء لما عمل الجسر الذي تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها وذهب فيها مال كبير للناس في الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافي وقطعة من ربع الخطيري وعدة دور. وفيه كثرت الأخبار **بوقوع الوباء في** عامة أرض مصر وتحسين جميع الأسعار وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. **فكثر الوباء حتى** بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس. وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بواد في ناحية توريز أفاعي ذات خلق عظيم من الطول والضخامة وقد اجتمع منها عدد كثير جدا. وصارت فرقتين واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا ثم عادوا من الغد بكزة النهار إلى القتال وأقامو ا كذلك ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى وقتلت منها مقتلة عظيمة وانهزم باقيها فلم تدع في هزيمتها حجرا إلا قصمته ولا شجرا إلا قلعته من أصله ولا حيوانا إلا أتلفته فكان منظرا مهولا.." (١)

"وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال والمرتبين في الصدقات والكتاب والموقعين والمماليك السلطانية على قدر ما بأسمائهم. وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودي ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة وبرد الرصاص والنحاس الأصفر فمشت الأحوال. وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة واستقر الأمير أيتمش الناصري عوضا أمير جندار واستقر الأمير قبلاوي حاحب الحجاب عوضا عن أيتمش. وفيه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧٨/٤

استقر ابن الأطروش في قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة ولم يعرف أحدا قبله ولي هذا. بمصر واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي في قضاء العسكر على مذهب الشافعي. وفيه استقر خاص ترك بن طغيه الكاشف في ولاية منفلوط واستقر مجد الدين موسى بن الهذباني والي الأشمونين في كشف الوجه القبلي بعد قتل طغيه بم ونقل محمد ابن أياس الدويداري من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية. وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف في قضاء الشافعية بحلب عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصابغ بعد وفاته. واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبي السفاح كاتب السر بحلب عوضا عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود. وفيها وجد للشيخ حسن متولي بغداد بدار الخلافة دفينا في خربة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهبا. فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام من كثرة النفاق وقطع الطريق وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير دون كل أحد. ومع ذلك فكان **فيها الوباء الذي** لم يعهد في الإسلام مثله فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى **انتشر الوباء في** الإقليم بأسره واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال وارتفع في نصف ذي القعدة. وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين." (١)

"ألف نفس في كل يوم. وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر. وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دما ثم يصيح ويموت وعم مع **ذلك الغلاء الدنيا** جميعها. ولم يكن **هذا الوباء كما** عهد في إقليم دون إقليم بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني أدم وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر. وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول وبعدها من توريز إلى أخرها ستة أشهر وهى بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة في مشاتيهم ومصايفهم وفي مراعيهم وعلى ظهور خيولهم وماتت خيولهم وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك ثم حملت الريح نتنتهم إلى البلاد فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٨٠

زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله ومات القان وأولاده الستة ولم يبق بذاك الإقليم من يحكمه. ثم **اتصل الوباء ببلاد** الشرق جميعها وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت فماتوا بأجمعهم في طريقهم وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم فأخذ بقية من تأخر بها في تتبع آثارهم حتى تعرف خبرهم فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا فأخذهم الموت أيضا في طريقهم ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل فماتوا مع أهاليهم جميعا إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم فأصابهم الوباء. **وعم الوباء بلاد** قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها ففني أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموتى فعادوا إلى أرضهم وماتوا جميعا. وعظم الموتان ببلاد سيس ومات من أهل تكفور في يوم واحد. بموضع واحد مائة وثمانون نفسا وخلت سيس وبلادها.." (١)

"ووقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين ولم يبق منهم إلا القليل وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين. **ووقع الوباء ببغداد** أيضا وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعا فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر. وفي أول جمادى الأولى: **ابتدأ الوباء بأرض** حلب فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد وبلاد القدس ونابلس والكرك وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع. ولم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة. ولم يبق. بمدينة لد أحد ولا بالرملة وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى. ولم **يدخل الوباء معرة** النعمان من بلاد الشام ولا بلد شيزر ولا حارم. وأول ما **بدأ الوباء بدمشق** كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه فلا يلبث ويموت سريعا. ثم خرجت بالناس خيارة فقتلت قتلا كثيرا. وأقاموا على ذلك مدة ثم بصقوا الدم فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة. وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان ومات بغزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر – على ما ورد في كتاب نائبها – زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان حتى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨١/٤

لقت أسواقها. وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده ويوجد أخر قد مات وفي يده ما يبذره وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نفرا لإصلاح أرضه فماتوا واحدا بعد واحد وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش وترك غزة خالية.." (١)

"ومات أهل قطا وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين من أصحابه وجارية عجوز. وبعث الوالي يستعفي فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجى. **وعم الوباء بلاد** الفرنج وابتدأ في الدواب ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من في أيديهم من الأسرى المسلمين وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب خوفا أن يبيد الموت الفرنج فتملك المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة وحدثت زلزلة عظيمة وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون ثم عادوا إلى منازلهم فإذا أهاليهم قد ماتوا وهلك لهم ثلاثة ملوك **واستمر الوباء فيهم** مدة أسبوع فركب فيهم ملكهم الذي ملكوه عليهم رابعا بجماعته في مركب يريدون جزيرة بقرب منهم فلم يمض عليهم في البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم في المركب ووصل باقيهم إلى الجزيرة فماتوا بها عن أخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر فلم يجدوا بها أحدا فساروا إلى طرابلس الغرب وحدثوا بذلك فلم تطل إقامتهم بها وماتوا. وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركابها بها أحدا وإن صدفت أحدا في بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون في البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر فساعة يشمها الإنسان سقط ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت. وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجرا وثلاثون رجل ما بين تجار وعبيد فماتوا كلهم ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد ونحو أربعين من البحارة فماتوا جميعا بالثغر وعم الموت أهل حزيرة الأندلس إلا مدينة غرناطة فإنه لم يصب أهلها منه شيء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها مرت بهم ريح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم فرأوا من الأموات ما هالهم وأموالهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٨٢

ليس لها من يحفظها فأخذوا ما قدروا عليه وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقي منهم بنفسه وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم والموت قد فشا بأرضهم بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.." (١)

"وعم الموتان إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها ومدنها وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود. وتغير أيضا ريح السمن واللبن وماتت المواشي بأسرها. **وشمل الوباء أيضا** أرض برقة إلى الإسكندرية فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار الطراز لعدم الصناع وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها وغلقت الأسواق وديوان الخمس وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى والطير تأكلهم وقد مات من الطير أيضا شيء كثير فتركوهم ومروا فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم. وفشى الموت. بمدينة دمنهور وتروجه والبحيرة كلها حتى عم أهلها وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات والموجبات السلطانية. وكل الموت أهل البرلس ونستراوه وتعطل الصيد من البحرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت فيموت أكثرهم في المراكب ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت. ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري ولا يوجد من يدفنها **وعظم الوباء بالمحلة** حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلتهم وصارت الفنادق تجد من يحفظها. **وعم الوباء جميع** تلك الأراضي ومات الفلاحون بأسرهم فلم يوجد من يضم الزرع وزهد أرباب الأموال في أموالهم وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة فدخلوا سنباط

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨٣/٤

وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد وأخذوا مالا كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.. " (١)

"وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع لكثرة موت الفلاحين. وكان **ابتداء الوباء من** أول فصل الصيف وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقي ألحنا وماتت الدواب والمواشي وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى ولم يجدوا من يدفنهم وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه وخرج من بقي من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن وطرحت الموتى بجامعها وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها وجفت أشجارها لكثرة موت أهلها ودوابهم وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد وغلقت دورها. وبقيت المراكب في البحيرة وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا فكان يوجد في السمكة كبة. وهلكت الأبقار الخيسية والجاموس في المراحات والجزائر ووجد فيها أيضا الكبة. وقدم الخبر من دمشق **بأن الوباء كان** بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح في نصف الليل شديدة جدا واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه ثم انجلت وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان فصارت الأموات مطروحة في البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضي دمشق تقي الدين السبكي رجل من جبال الروم وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه فعرفهم قاضي دمشق ذلك. فاجتمع الناس في المساجد وفعلوا ما ذكر لهم وتضرعوا إلى الله وتابوا من ذنوبهم وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودي في دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي فصاروا إليه جميعا وقرأوا به صحيح البخاري في ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام **فتناقص الوباء حتى** ذهب بالجملة.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٨٤

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٨٥

"**وابتدأ الوباء في** القاهرة ومصر بالنساء والأطفال ثم في الباعة حتى كثر عدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وجبا في يوم أو ليلة فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف في كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس في أقل من أسبوع فشرع الناس في فعل الخير وتوهم كل أحد أنه ميت وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه وشكا إليه ما نزل بالناس **من الوباء فأمره** صلى الله عليه وسلم أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت حتى نتشبث بأذيال لطفك ونعتصم بك عن إنزال قهرك. ياذا القوة والعظمة الشاملة والقدرة الكاملة يا ذا الجلال والإكرام وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق. وفي شعبان: **تزايد الوباء في** القاهرة وعظم في رمضان وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء. وفي يوم الجمعة سادس رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية والمصاحف عند قبة النصر فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة واستمرت قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام والناس يدعون الله تعالى ويقنتون في صلواتهم ثم خرجوا إلى قبة النصر وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه في يوم الأحد ثامنه. وفيه مات الرحل الصالح عبد الله المنوفي فصلى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلى سرياقوس وانفض الجمع. **واشتد الوباء بعد** ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس وحدث في شوال بالناس نفث الدم فكان الإنسان يحس في بدنه بحرارة ويجد في نفسه غثيان فيبصق دما ويموت عقيبه ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا وأكثروا من الصدقات وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.." (١)

"ولم يحتج أحد في **هذا الوباء إلى** أشربة ولا أدوية ولا أطباء لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات وانتدبت جماعة لمواراتهم وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد ووقع العجز عن العدو وهلك أكثر أجناد الحلقة وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم. وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة لا يوجد في

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨٦/٤

شوارعها مار بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات وتنكرت وجوه الناس وامتلأت الأماكن بالصياح فلا تجد بيتا إلا وفيه صبحة ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم والأموات تختلط. وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي من القاهرة فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة والناس خلفه خارج الجامع. وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين دارا خالية. وبقيت الأزقة والدروب. مما فيها من الدور المتعددة خالية وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها وإذا ورث إنسان شيئا انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس. وحصرت عدة من صلى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة وخارج باب المحروق وتحت القلعة ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون في يومين فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة سوى من مات في الأسواق والأحكار وخارج باب البحر وعلى الدكاكين وفي الحسينية وجامع ابن طولون ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد. وطلبت القراء إلى الأموات فأبطل كثير من الناس صناعاتهم وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وعمل جماعة من الناس مدراء وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات وجماعة لحملهم فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما فلم يمتع أكثرهم بذلك وماتوا.." (١)

"ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة فلما جردتها من ثيابها ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته فوجد في بعض أصابعها كبة بقدر الفولة. وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا وإلى الجبل عرضا. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب لعجزهم عن تواريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات فما يوجد لهم سوى نعش واحد ينقلون فيه شيئا بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دورا وأثاثا وأموالا من غير

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨٧/٤

استحقاق لموت مستحقيها فلم يتمل أكثرهم. مما أخذ ومات ومن عاش منهم استغنى به. وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم. وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس فلم يعرف أن أحدا عمل فرحا في **مدة الوباء ولا** سمع صوت غناء. وتعطل الأذان من عدة مواضع وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد. وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء وصار في طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر بعدما كانوا خمسة عشر. وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد في **هذا الوباء إلا** ومات بعد يوم أو يومين ولحقته أمه. وشمل في آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها وتعطلت دواليبها. ولم **يدخل الوباء ثغر** أسوان فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا. وطلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد وخرج من مدينة أخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين لقياس بعض الأراضي فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين فحمله رفيقه إلى البلد فسقط بجنبه ومات وأخذت الشاهد الحمى. واجتمع ثلاثة بناحية أبيار وكتبوا أوراقا بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه فطلعت الأوراق. بموت واحد بعد آخر فمات الثلاثة على ما طلع في الأوراق وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة. وكانت البزداريه إذا رمت طيرا من الجوارح على طائر ليصيده وجد الصيد وفيه كبة كالبندقة ولم تذبح أوزة ولا شيء من الطيور إلا وجد فيه كبة. ووجدت طيور." (١)

"كثيرة في الزروع ميتة ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور فكانت إذا نتفت وجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها. وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة وفيها أثر الكبة. وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة فلم يشاهد منها شيء مدة شهر رمضان والسلطان هناك لفنائها. وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم في أمر الزرع **فإن الوباء ابتدأ** في آخر أيام التخضير فكان الحراث يمر ببقره وهي تحرث في أراضي الرملة وغزة والساحل وإذا به يخر ميتا والمحراث في يده ويبقى بقره بلا صاحب. ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر فما جاء أوان الحصاد حتى فني الفلاحون ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع ودرسوا غلالهم على خيوهم وذروها بأيديهم وعجزوا عن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٨٨/٤

كثير من الزرع فتركوه. وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والإسكافية والمنادمين وركبوا الخيول ولبسوا تكلفتاه والقباء. ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا وكثير منهم لم يحصل له شيء. فلما كان أيام النيل وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال فلم يخضر إلا نصف الأراضي. ولم يوجد أحد يشتري القرط الأخضر ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحي القاهرة مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت. وتركت. ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان فلم يوجد من يشتريها لرعي دوابه ولا من يعملها دريسا.." (١)

"وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها بحيث كانت مكلفة مساحي أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجيء منهم الخراج فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرا ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب. وتعطلت أكثر الصنائع وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال فيباع الحمل منها بأبخس ثمن واتضعت أسعار المبيعات كلها حتى كانت الفضة النقرة التي يقال لها. بمصر الفضة الحجر تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية. وبقي الدينار بخمسة عشر درهما بعدما كان بعشرين. وعدمت جميع الصنائع فلم يوجد سقاء ولا بابا ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما في كل شهر بعد ثلاثين درهما. فنودي بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته. وضرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم لقلة الرحال والجمال وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما. ويقال إن هذا الوباء أقام على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة وقد أكثر الناس من ذكره في أشعارهم فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردي من مقامة عملها: إسكندرية ذا الوبا سبع يمد إليك ضبعه صبرا لقسمتك التي تركت من السبعين سبعه وقال: أصلح الله دمشقا وحماها عن مسبه وقال: إن الوبا قد غلبا وقد بدا في حلبا قالوا له عي الورى كاف ورا قلت وبا وقال: الله أكبر من وباء قد سبا ويصول في العقلاء كالمجنون." (٢)

"(سنة خمسين وسبعمائة)

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء. وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق على إمرة طبلخاناه. وفيه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٨٩

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٩٠

اجتمع رأي كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين بن عثمان التركماني بعد موت والده في تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره فأجيبوا إليه. وطلب جمال الدين وخلع عليه واستقر قاضي القضاة الحنفية ونزل إلى المدرسة الصالحية وعمره دون الثلاثين سنة. وفيه قدم الحاج وفهم قاضي القضاة زين الدين عمر البسطامي. فترك قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن التركماني تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون فشكره الناس على هذا. وفيه وقدم أيضا قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركماني بابنته. وفيه وقدم أيضا الأمير فارس الدين وقد نازعه عرب بني شعبة في عمارة عين جوبان فجمع لهم وقاتلهم وقتل منهم جماعة وجرح كثيرا وهزمهم وقتل له مملوكان وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلة وكان الغلاء. بمكة شديدا بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما فهلك كثير من الجمال ووقع. بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادي. وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي واستقر في قضاء القضاة المالكية عوضا عن عمه تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي بعد موته. وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما وأسماء سكانها وملاكها فكتبوا ذلك. وكان يوجد في الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور." (١)

"الصالح الملك العظيم قدره يطوى له الأرض البعيد النازح لاتعجبوا من طيها لمسيره فالأرض تطوى دائما للصالح وعم الموت أهل جزيرة الأندلس إلا مدينة غرناطة فإنه لم يصب أهلها منه شيء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها مرت بهم ريح فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم فرأوا من الأموات ما هالهم وأموالهم ليس لها من يحفظها فأخذوا ما قدروا عليه وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم والموت قد فشا بأرضهم بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم وماتت مواشيهم وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها ومدنها وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود. وتغير أيضا ريح السمن واللبن وماتت المواشي بأسرها. **وشمل الوباء أيضا** أرض برقة إلى الإسكندرية

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/١٠١

فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الاسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها وغلقت الأسواق وديوان الخمس وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى والطير تأكلهم وقد مات من الطير أيضا شيء كثير فتركوهم ومروا فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم. وفشى الموت. بمدينة دمنهور وتروجة والبحيرة كلها حتى عم أهلها وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس نستراوه وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت فيموت أكثرهم في المركب ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء." (١)

"منتن وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودت ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري لا يوجد من يدفنها. **وعظم الوباء بالمحلة** حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلتهم وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. **وعم الوباء جميع** تلك الأراضي ومات الفلاحون بأسرهم فلم يوجد من يضم الزرع. وزهد أرباب الأموال في أموالهم وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد وأخذوا مالا كثيرا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم. وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضم الزرع لكثرة موت الفلاحين. وكان **ابتداء الوباء عندهم** من أول فصل الصيف وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكوراني والي مصر بتحصيل بنات ابن زنبور فنودي عليهن. ونقل ما في دور صهري ابن زنبور وسلما لشاد الدواوين. وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش وأخاه كريم الدين لنظر البيوت وابن السعيد لنظر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/١٦٧

الدولة وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين. وفي يوم الأحد تاسع عشريه: خلع عليهم. فأقبل الناس إلى طلب الأمير صرغتمش للسعي في الوظائف فولي أسعد حربة استيفاء الدولة وولي كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش. وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين وهم الفخر بن قزوينة ناظر البيوت والفخر بن مليحة ناظر الجيزة والفخر مستوفي الصحبة والفخر ابن الرضي كاتب الإصطبل وابن معتوق كاتب الجهات وأكرم الملكي. وطلب التاج ابن لفيتة ناظر المتجر وناظر المطبخ وهو خال ابن زنبور فلم يوجد وكسبت بسببه عدة بيوت حتى أخذ. وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة فأعياهم كثرة ما وجدوا له. وتتبعت حواشي ابن زنبور وهجمت دور كثيرة بسببهم عدم لأربابها مال عظيم.." (١)

"(سنة أربع وستين وسبعمائة)

في المحرم: عدى السلطان والأمير يلبغا النيل إلى بر الجيزة وخيم قريبا من الأهرام وفي يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكي على البريد من دمشق باستدعاء فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة. وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة ومعه الأمير يلبغا. وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي وأعيد إلى قضاء دمشق وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل وبقية وظائفه. وخلع على الأمير وفي جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة في الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحري وتزايد حتى بلغ في شهر رجب عدة من يموت في اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان. وقدم الخبر **بوقوع الوباء بدمشق** وغزة وحلب وعامة بلاد الشام فهلك فيه خلائق كثيرة جدا وفي يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يلبغا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك فخلعوه من الغد لاختلال عقله وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام لم يكن له سوى الاسم فقط السلطان زين الدين أبو المعالي السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولي السلطنة وعمره عشر سنين ولم يل أحد من بني قلاوون وا بوه لم يل السلطنة." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/١٦٨

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٢٦٧

"وفي يوم السبت عشرينه: تنكر السلطان على الأمير أقتمر الحنبلي لكلام جرى بينه وبين الأمير ألجاي وأمر بنفيه إلى الشام واستقر عوضه دوادار الأمير منكوتمر عبد الغني بإمرة طبلخاناه وخلع عليه في يوم الإثنين ثاني عشرينه وخلع فيه أيضا على الأمير بهادر الجمالي واستقر أستادار وأنعم عليه بتقدمة ألف. وفي أول شوال: قدم البريد من حلب بأن الأمير قشتمر نائب حلب أخذ سيس من الأرمن وعاد إلى حلب فغلب الأرمن عليها بعد عوده. وفي أول شهر ذي القعدة: قبض الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب من أجل أنه بلغه أنه يسعى في الوزارة. وفي رابع عشره: أخذ قاع النيل فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا. وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير بيدمر نايب الشام صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى أمير شكار وقد وكب البريد لإحضاره فأمر به إلى الأمير علاى الدين علي بن محمد بن كلفت فسجنه بقاعة الصاحب وألزمه بحمل ثلاثمائة ألف دينار وعصره في يوم الأربعاء حادي عشرينه فحمل منه مایة ألف دينار وخرج إلى دمشق ليؤدي بقية ما ألزم به ثم ينفى إلى طرسوس. وكان قد استقر عوضه في نيابة الشام الأمير منجك. وفي هذا الشهر: خرج ببلاد الشام جراد مضر وكثر بها الفأر في البيادر فتلفت الغلال وفشا بها الوباء. وكثر الخوف ببلاد الساحل من الفرنج والعشمير. ووصل إلى صيدا عدة من مراكب الفرنج فحاربوا المسلمين ورجعوا خايبين. وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضي اللوق خارج القاهرة للشلاق فقتل بينهم واحد منهم فركب والي القاهرة الشريف بكتمر وأركب معه الأمير علاى الدين على بن كلفت الحاجب والأمير أقبغا." (١)

"دمشق عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري واستقر المعري في قضاء حلب عوضا عن فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعي. واستقر قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة في تدريس الشافعي عوضا عن أبي البقاء. وخلع عليه في يوم الأحد سلخه وحضر الدرس به فكان يوما جليلا جمعه. واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمري في كتابة السر بدمشق عوضا عن شيخنا فتح الدين أبي بكر بن الشهيد واستقر الأمير ككبغا البيبغاوي في نيابة قلعة جعبر. وفيه قدم الأمير آسنقر. وأهل شهر رمضان بيوم الإثنين. وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخاري في كل يوم من أيام شهر رمضان بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم تبركا بقراءته لما نزل بالناس **من الغلاء فاستمر** ذلك وتناوب قراءته شهاب الدين أحمد بن العرياني وزين الدين عبد الرحيم العراقي لمعرفتهما علم الحديث فكان كل واحد يقرأ يوما.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٧/٤

وفي يوم الإثنين حادي عشرينه: خلع على الأمير أشقتمر واستقر في نيابة حلب عوضا عن الأمير بيدمر الخوارزمي واستقر بيدمر في نيابة الشام عوضا عن الأمير منجك وركب الأمير يلبغا الناصري البريد لإحضار الأمير منجك ومملوكه جركتمر المنجكي وصهره أروس المحمودي وخلع على الأمير أقتمر عبد الغني النايب واستقر في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير يعقوب شاه واستقر يعقوب شاه حاجب الحجاب بدمشق وخلع على الأمير طيدمر البالسي واستقر في نيابة الكرك عوضا عن الأمير منكلى بغا البلدي واستقر البلدي في نيابة صفد واستدعى الأمير أحمد بن الحاج آل ملك من القدس فلما قدم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه وأنعم على الأمير جركتمر الأشرفي الخاصكي بتقدمة ألف وعلى الأمير أقتمر الحنبلي بتقدمة ألف واستقر رأس نوبة ثانيا وارتجع عن الأمير آقبغا من مصطفى إقطاعه. وفي خامس شوال: خلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام وأعيد إلى نظر المارستان عوضا عن ابن الخلى. وفي خامس عشرة: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك حاجبا ثالثا.." (١)

"الدين محمد بن محمد بن الأمير تنكز نايب الشام بإمرة عشرة وخلع على الشريف بكتمر بن علي الحسيني واستقر في ولاية منفلوط وعلى الأمير محمد بن بهادر واستقر في ولاية البهنسي وأنعم على الأمير طشتمر الصالحي بإمرة طبلخاناه وخلع على الأمير أحمد بن أرغون الأحمدي بإمرة عشرة. وفي يوم الإثنين ثاني عشرين جمادى الأولى: خلع على شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميري المالكي واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن بهاء الدين محمد ابن المفسر فأمطرت ليلة الثلاثاء مطرا عظيما. وفي يوم الأربعاء: وضع المحتسب الخبز على رؤوس عدة من الحمالين وشق به القاهرة إلى القلعة وصنوج الخليلية تزفه والطبول تضرب ونودي عليه كل ثلاثة أرطال إلا ربع رطل بدرهم وكان كل رطلين وثلث بدرهم فسر الناس بذلك إلا أن الخبز عز وجوده وفقد من الأسواق خمسة أيام والناس تتزاحم على أخذه من الأفران واشتد شره النفوس وكان يخامرها اليأس فنودي بتكثير الخبز وأن يباع بغير تسعير فتزايدت الأسعار في ساير الغلال بعد تناقصها حتى بلغ في أوائل جمادى الآخرة الأردب القمح بماية وعشرة دراهم والأردب الشعير ستين درهما والأردب الفول خمسة وخمسين درهما والقدح الأرز بدرهمين والقدح من العدس والحمص بدرهم وربع وارتفع الزيت والشيرج وأبيع الرطل من حب الرمان بعشرة دراهم ونصف والرطل من لحم الضأن بدرهمين ومن لحم البقر بدرهم وثلث وقلت البهايم من الخيل والبغال والجمال والحمير والأبقار والأغنام لفنائها جوعا وبيع الزوج الأوز بعشرين درهما وكل دجاجة بأربعة دراهم. وفي يوم الخميس ثالث عشره:

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٣٦٦

ركب السلطان من قلعة الجبل وعبر القاهرة من باب زويلة وخرج من باب النصر للسرحة على العادة في كل سنة. وفي نصف جمادى الآخر: هذا **ابتدأ الوباء في** الناس في القاهرة ومصر وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع فكنت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: لله لبابة قدر شحمة أذني أشمها وخذوها فلا يزال كذلك حتى يموت هذا وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب **لشدة الغلاء وعدم** وجود ما يقتات به وشح الأغنياء وقلت رحمتهم ومع ذلك فلم يزداد أجر العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم من أرباب الصنايع شيئا بل استقر على ما كانت عليه **قبل الغلاء فمن** كان يكتسب في اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شيء صار الدرهم لا يجدي شيئا فمات." (١)

"ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء. وفي يوم الجمعة ثالث شهر رجب: عدى السلطان النيل من بر الجيزة عائدا من السرحة فزار الآثار النبوية وصلى الجمعة بجامع عمرو بمدينة مصر وركب إلى القلعة. وفي يوم السبت خامس عشرينه: قبض على الوزير الصاحب تاج الدين النشو المالكي وخلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام وأعيد إلى الوزارة وتسلم المالكي واستخلص منه ثمانين ألف مثقال من الذهب وهدم داره بمدينة مصر إلى الأرض وأخرجه على حمار منفيا إلى الشام. وفيه خلع على الأمير قرطاي الكركي واستقر شاد العماير بإمرة عشرة واستقر الأمير بكتمر العلمي في كشف الوجه البحري عوضا عن قرطاي واستقر محمد بن قرابغا الأناقي في نقابة الجيش عوضا عن بكتمر واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفي كاشفا بالوجه القبلي من حدود الجيزة إلى أسوان. وفي شهري رجب وشعبان: **اشتد الغلاء فبلغ** الأردب القمح ماية وخمسة وعشرين درهما والإردب الشعير تسعين درهما والأردب الفول ثمانين درهما والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعري وهم يستغيثون فلا يغاثون وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال عجزا عن خبز القمح وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم وكثر خطف الفقراء له ما قدروا عليه من أيدي الناس ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به فأكله المسجونون من شدة جوعهم وعز وجود الدواب لموتها جوعا. وفي رابع عشرين شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم فجمع أهل الحاجة والمسكنة وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف ماية فقير وإلى من عدا أمراء الأولوف على قدر حاله وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودي في القاهرة ومصر بألا يتصدق أحد على حرفوش وأي حرفوش شحذ صلب فآوى كل أحد فقراءه في مكان وقام لهم من الغذاء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٣٧٤

بما يمد رمقهم على قدر همته وسماح نفسه ومنعهم من التطواف لسؤال الناس فخفت تلك الشناعات التي كانت بين الناس إلا أن الموات عظم حتى كان يموت في كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر ويطلق من." (١)

"وخلع عليهما. واستقر الأمير منكلى بغا البلدي في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير أقتمر عبد الغني واستقر أقتمر عبد الغني في نيابة صفد وخرج البريد بإحضار يعقوب شاه نايب سيس واستقر عوضه الأمير أقبغا عبد الله. وفي آخره: فشت الأمراض في الناس بالطاعون وقل وجود الأموات الطرحاء وأبيع الأردب الشعير من عشرين درهما إلى ستة وعشرين درهما. وفي رابع ذي الحجة: قطع الدميري المحتسب سعر الخبز ثمانية أرطال بدرهم وقد كان خمسة أرطال وثلث بدرهم فامتنع الطحانون أن يشتروا القمح إلا بثمانية عشر درهما فأبي تجار الغلال الجلابة بيع القمح بهذا وعادوا بمراكب الغلال من حيث أتوا فعز وجود القمح وبلغ أربعة وثلاثين درهما الأردب وتعذر وجود الخبز في الأسواق عدة أيام وأبيع أقل من ستة أرطال وفي يوم الإثنين خامسه: قدم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس فخلع عليه واستقر في نيابة الإسكندرية عوضا عن قطلوبغا الشعباني. وفي يوم النحر: تناقص الوباء. وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم الشيخ شرف الدين أحمد بن منصور الحنفي من دمشق فنزل بمدرسة السلطان حسن. ثم استدعى في يوم الخميس خامس عشره إلى القلعة فأجلس بباب القصر ثم أمر أن يجلس على باب خزانة الخاص بجوار القصر فجلس حتى خرج الأمراء من الخدمة بالقصر وفيهم الأمير طشتمر الدوادار فسلم عليه وسار به إلى منزله وباسطه وأطعمه معه من غذائه. وكان عنده الشيخ سراج الدين عمر البلقيني والشيخ ضياء الدين القرم فتجابذوا أطراف البحث في فنون العلم. ثم أمره الأمير طشتمر أن يستمر حيث نزل إلى أن يطلبه السلطان فمضى وقد عاق القوم أمره. وتحدث الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص في ولاية الجلال رسولا بن أحمد بن." (٢)

"وقدم ابن عرام نائب الإسكندرية باستدعاء وقدم طيدمر البالسي من القدس باستدعاء وظهر الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من اختفائه فخلع عليه واستقر في نظر البيوت. وفي يوم الأحد ثاني عشرين ذي القعدة: عزل الملكي من الوزارة وخلع من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه على أمين الدين أمين واستقر في نظر الدولة بغير وزير فانفرد الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقسي ناظر الخاص بالتدبير وخلع عليه

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٧٥/٤

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٧٨/٤

واستقر مشير الدولة وخلع على أمين الدين جعيص واستقر مستوفي الدولة. وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق وأن الغرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم وأبيع الخبز بحلب كل رطل حلبي بستة دراهم والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف وأكلت الميتات والكلاب والقطاط ومات خلق كثير من المساكين وانكشف عدة من الأغنياء **وعم الغلاء ببلاد** الشام كلها حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها. وفيه استناب قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة صهره سرى الدين محمد ابن قاضي المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المسلاتي في الحكم بالقاهرة بعد ما انتقل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعي واستقر البرهان أبو سالم إيراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي في قضاء المالكية بحلب عوضا عن ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن سرى الدين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هاني الأندلسي واستقر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مزهر في كتابة السر بدمشق عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فضل الله بعد وكان أمير الحاج في هذه السنة الأمير بوري الخاصكي فخرج على الحاج بطريق المدينة النبوية قطاع الطريق وقتلوا منهم طائفة. ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الهذباني الأخناي المالكي في ليلة الثلاثاء ثاني شهر رجب وكانت مدة ولايته قضاء خمس عشرة سنة. وتوفي ناظر بيت المال برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين الحلى في يوم الأربعاء خامس المحرم.." (١)

"أمير مشوى واستقر شاد الشربخاناة، وأنعم على الأمير علم الدين دار بتقدمة ألف، وقد قدم من دمشق باستدعاء. وفي ليلة الإثنين خامس عشره: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التي يعمرها تحت القلعة فتلف بها ماشاء الله من آلات العمارة وتفاءل الناس بذلك على السلطان وكان كذلك وقتل كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ثم تعطلت سنين إلى أن خربها كلها الناصر فرج بن برقوق كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وفي هذا الشهر: **ارتفع الوباء وعوفي** السلطان وركب إلى السرحة بالجيزة وعاد إلى قلعة الجبل وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج وخرجت الإقامات من الشعير والدقيق والبشماط لتوضع في المنازل بطريق مكة. وفي رابع شوال: خلع على الأمير مغلطاي الجمالي واستقر في عوضا عن جرجى البالسي بعد موته وخلع على الشريف عاصم واستقر في حسبة مصر والوجه القبلي بعد وفاة شمس الدين محمد بن أبي رقيبة. وندب الأمير آقتمر الحنبلي أن يخرج إلى بلاد الصعيد ومعه عدة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٩١/٤

من الأمراء والأجناد ويقيم به لحفظه مدة غيبة السلطان بالحجاز وندب إلى الثغور – مثل الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس – جماعة من الأمراء والأجناد يكونوا مركزين بها لدفع العدو من الفرنج وندب عدة أمراء للمبيت كل ليلة في أماكن عينت لهم من خارج القاهرة ومصر ورتب الأمير أيدمر الشمسي للإقامة بقلعة الجبل لحفظها وجعل نائب الغيبة بالقاهرة الأمير آقتمر عبد الغنى ورسم له ولجميع الأمراء المقيمين أن حضروا في أيام المواكب الخدمة عند باب الستارة من القلعة ويقبلوا أيدي ولدى السلطان ويقفوا ساعة لطيفة ثم يقوم أمير على ابن السلطان من مجلسه ويقول للأمراء بيده بسم الله فينصرفوا بعد أن يسقوا مشروبا. ولما قوى العزم على السفر أشار على السلطان جماعة من أهل الصلاح بألا يسافر فلم يقبل وصمم على السفر ليقضى الله أمرا كان مفعولا وخرجت أطلاب الأمراء في يوم السبت ثاني عشره بتجمل عظم إلى الغاية وأناخوا ببركة الحجاج وخرج من الغد يوم الأحد ثالث عشره طلب السلطان وفيه من الحرير والذهب ما لا يقدر على وصفه." (١)

"الجمال إبراهيم بن العديم ثم عزل بعد قليل وأعيد ابن العديم واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر الحنفي. وولى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس مملكة اليمن بعد وفاة أبيه. وفيه كانت النفقة في المماليك وعدتهم ثلاثة ألاف لكل واحد خمسمائة دينار عنها عشرة ألاف درهم فضة حسابا عن كل دينار عشرون درهما ومبلغ ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف دينار صودر فيها عامة كتاب الدولة وأعيان الطواشية وطرح فيها عدة بضائع من أصناف الخاص على التجار وألزموا بحمل أثمانها فنالهم بسبب ذلك عناء شديد ولم يسمع. بمثل هذه النفقة في الدولة التركية. وفي يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة: خلع علي تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش واستقر في الجيش بعد وفاة أبيه. وفي آخره: توجه قاضي القضاة شرف الدين محمد بن منصور الحنفي من القاهرة عائدا إلى مدينة دمشق وهو متضعف منذ رغب عن منصب القضاء. وفي هذه السنة: **ابتدأ الوباء من** ذي القعدة فمات جماعة كثيرة بالطاعون وخرجت السنة والوباء شديد. ومات في هذه السنة من الأعيان السيد الشريف نقيب الأشراف بحلب شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد ابن علي

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٧

بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم الممدوح الحسيني الحلبي وقد أناف على سبعين سنة. وقال العلامة حسن بن زين الدين طاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب." (١)

"(سنة تسع وسبعين وسبعمائة)

أهلت والأمراض في الناس فاشية **فتزايد الوباء في** هذا الشهر ومات جماعة من الناس بالطاعون. وفي خامس المحرم: خلع علي الأمير شهاب الدين قرطاي واستقر أتابك العساكر. وخلع على الأمير زين الدين مبارك الطازي واستقر رأس نوبة كبيرا وخلع على الأمير سودن جركس واستقر أستادار وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرابغا الأناقي أحد العشرات واستقر في ولاية مصر وأفرج عن الأمير قطلو أقتمر الطويل العلاي وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وقبض علي الأمير طولوا الصرغتمشى بقطيا وقد عاد من الشام لما كان من ظلمه وعسفه. وفي تاسعه: وصل أولاد قلاوون من الكرك وهم الملك المنصور محمد بن حاجي ابن محمد بن قلاوون وأولاد الناصر حسن وهم أحمد وقاسم وعلي واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم بن أمير علي بن يوسف فأدخلوا بحريمهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلا وأنزلوا بدورهم منها. وفي تاسع عشره: خلع على الأمير الكبير قرطاي واستقر في نظر المارستان. ونزل إليه بتشريفة فنظر في أحوال المرضى وغيرهم على العادة ثم عاد إلى منزله.." (٢)

"عسكر كثير فاستعد بدر بن سلام للقائه وجمع له جمعا موفورا فعرج قرط عن الطريق حتى قارب دمنهور فلقيه بدر وقاتله أشد قتال حتى احتاج إلى طلب نجدة من القاهرة. وفي سادس عشرينه: خلع أقمغا المارديني واستقر نائب الوجه القبلي بعد موت الركن. وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص منفيا إلى الشام وخلع على الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسي وأعيد إلى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء عوضا عن شمس الدين محمد بن أخي الجار. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بالإسكندرية** فمات في كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا وتمادى إلى أثناء ذي الحجة. وفي يوم الثلاثاء أول ذي الحجة: خلع على شمس الدين محمد الدميري المحتسب وأعيد إلى نظر الأحباس عوضا عن ناصر الدين محمد بن الأسناى واستقر كمال الدين المعري في قضاء الشافعية بحلب. عوضا عن الجمال الزرعي بعد وفاته. وفي ثالثه خلع على سعد الدين نصر الله بن البقري. واستقر في نظر الدخيرة ونظر خاص الخاص.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢١/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٧/٥

وأضيفت إليه الإسكندرية والكارم والأملاك والمستأجرات. وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان واستقر أستادار الدخيرة رفيقا لابن البقري. وفي يوم الثلاثاء ثامنة: قدم البريد بوصول آنص – والد الأمير الكبير برقوق – صحبة الخواجا عثمان بن مسافر فركب الأمير الكبير إلى لقائه وخرج معه عامة العسكر من الأمراء والأجناد وجميع أرباب الدولة من القضاة والوزراء والأعيان فلقي أباه بمنزلة العكرشا وعاد به وقد قدم معه الكمال المعري قاضي حلب وولي الدين عبد الله بن أبي البقاء قاضي دمشق. فنزل بالمخيم من سرياقوس وقد أعد له. وهيأت المطابخ. فمد سماط عظيم إلى الغاية أجلس الأمير الكبير أباه في صدره وأجلس بحانبه الأمير عز الدين أيدمر الشمسي. وجلس الأمير الكبير تحت الأمير أيدمر وجلس بحانب ولد الأمير الكبير من الجهة الأخرى الأمير سيف الدين أقتمر عبد الغني فأكلوا وأكل عامة من حضر حتى اكتفوا ثم رفع فتناهبه الغلمان وسغيرهم حتى عم ذلك الجمع مع." (١)

"(سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة)

في يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام قد فروا يريدون النجاة فوسطوا وأخذت مواشيهم. وفيه **ابتدأ الوباء بالطاعون** في الناس بالقاهرة ومصر وتزايد حتى بلغ عدة من يموت في اليوم ثلاثمائة ميت. وفي خامسه: خلع على قاضي القضاة بدمشق ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء باستقراره على عادته. وخلع على قاضي القضاة بحلب كمال الدين المعري باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما في عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد وإلزام من عبرة إقطاعه ستمائة دينار بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه. وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أيتمش راغبين في الطاعة ومعهم نحو ستمائة فارس وعدة رجالة. قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام من الأمير بلوط أن يسأل له في الأمان فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا إلى الأمير أيتمش فقبض عليهم وقتل أكابرهم. في تاسع عشره: قدم الأمير قطلوبغا الكوكاي ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة فعفي الأمير الكبير عنهم. وفي خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية ثم أحد أجناد الحلقة واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن وفي هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف. بموته ثم عوفي. وفي يوم الأحد ثاني صفر: قدم الأمير أيتمش. بمن معه من تجريدة البحيرة وقد

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٩٥/٥

فر بدر سلام إلى جهة برقة وبعث الأمير قرط برجال كثير قد قبض عليهم وبعدة من رءوس قتلاهم فعلقت على باب زويلة. ونزل قرط دمنهور وبنى عليها سورا أخذ في عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.." (١)

"وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجاب وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفي ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة بتوحيد الله معترفة فامتلأت منهم الغيطان والبلدان ونهب بعضهم العربان وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان فباعوا الغالي بالرخيص وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص ولا أمكنهم ترك القوت **لزيادة الغلاء ولا** رجعوا إلى قول الشاعر في بيته السائر بين الملأ وهو: وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا ثم إنه لما **حصل الغلاء بين** أهل الإسكندرية الذين فروا من الملة النصرانية ومنهم من باع ما عليه من فوطة وفاضل قميص ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص وذلك لخروجهم من بلدهم سرعة وليسمع بعضهم درهم ولا قطعة بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب كسرتها ورتعت فيها الإفرنج الكلاب فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحمير والأيانق ثم قتلوا من اختفي عند مصادفتها له من كبير وصغير وعرقبوا المواشي فمنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات وأفسدوا النسوان والبنات وكسر كل علج مارد قناديل الجوامع والمساجد وعلقوا على السور أعلام الصلبان وأسروا الرجال والنساء والولدن وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى المجانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس في خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج. بمن كان معه ومنهم من ضاع ما معه في تلك الزحمة المفظعة ومنهم من ضاع ماله الذي خرج به بين الأبواب وصار من ضياعه في حسرة واكتئاب قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار فمن قوة الزحمة في الباب سقط من بين يديه بعد أن كان قابضا عليه فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض بل رفعه من كان خلفه فخرج صحيح البدن من الباب مجروح القلب من ضياع الجراب فتفتت أكباده وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده وزال عنه عقله ورشاده وصار يستغيث فلا يغاث ونحل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس لما أحاطت به العكوس والنحوس فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب فأنشد من لوعة الاكتئاب: إذا كنت ألقى البؤس عند أحبتي ترى عند أعدائي يكون دوائي." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠١/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١١٣/٥

"أقيم في السلطنة ثاني يوم مات أخوه المنصور وقد اجتمع الأمير الكبير برقوق والأمراء بالقلعة في يوم الإثنين رابع عشرينه واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجي فوقع الاختيار على حاجي – فإنه أكبرهم – فحلفوا له وبايعه الخليفة. ثم أركب من باب الستارة بشعار السلطنة والأمراء في ركابه مشاه حتى صعد الإيوان فأجلس على تخت الملك ولقب بالملك الصالح ومد السماط بين يديه ثم عبروا به إلى القصر فأجلس به وخلع على الخليفة ونودي في القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح. وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أجلس السلطان بدار العدل وعملت الخدمة على العادة فلما دخل إلى القصر بعد الخدمة حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء وكتب عليه الخليفة خطه وشهد فيه القضاة عليه ثم خلع على القضاة وكاتب السر والوزير وفيه خلع الوزير على يوسف بن المقدم محمد بن يوسف واستقر مقدم الدولة عوضا عن أحمد العظمة باستعفائه. وفي ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: مات المقدم سيف تحت العقوبة ولم يخلف بعده في معناه وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بالقاهرة** ومصر. وفي يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول: خلع على تاج الدين بن وزير بيته مستوفي الخاص واستقر في نظر الإسكندرية عوضا عن مجد الدين بن البرهان. واستقر علم الدين ودينات في استيفاء الخاص. وخلع على ناصر الدين أحمد بن محمد ابن محمد التنسي وأعيد إلى قضاء الإسكندرية عوضا عن تاج الدين بن الربعي.." (١)

"وخلع على جلال الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق واستقر في مشيخة خانكاه سرياقوس عوضا عن والده ونعت بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ. وفي تاسع عشره: ركب الأمير يونس – دوادار الأمير الكبير – البريد إلى حلب لكشف أحوال التركمان – وقد ورد خير خروجهم عن الطاعة – وتجهيز عساكر الشام لقتالهم. وفي سادس عشرينه: أخذ قاع النيل فكان خمسة أذرع وثماني أصابع. وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير تغري برمش من الشام باستدعاء. وفي تاسع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب واستقر في وكالة بيت المال عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدي. بمال. وفي آخر هذا الشهر **ارتفع الوباء وأكثر** من مات فيه الأطفال. وفي يوم الخميس: ثالث شهر ربيع الآخر أنعم على الأمير تغري برمش بتقدمة ألف عوضا عن أمير علي بن قشتمر بعد وفاته. وفيه نودي بسفر الحجاج الرجبية فسر الناس ذلك وكتب بولاية علم الدين أبي عبد الله بن ناصر الدين محمد القفصي قضاء المالكية بدمشق عوضا عن البرهان الصنهاجي. وفي سابع عشرينه: وصلت خيمة جليلة من الشام عملت للأمير الكبير تحمل على مائة وثمانين جملا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١١٨

فضربت بالميدان الكبير. وفي حادي عشرينه: أنعم على الأمير سودن الشيخوني بتقدمة ألف وخلع عليه واستقر حاجبا ثانيا. وفي ثاني عشرينه: ركب الأمير الكبير لرؤية الخيمة بالميدان. ومد للأمراء سماطا جليلا. ومد بعده سماط حلوى ثم سماط فاكهة فكان يوما مذكورا خرج الناس لمشاهدة ذلك فكان جمعا كبيرا. وفي ثامن عشرينه: خلع على علي القرمي واستقر في ولاية الشرقية عوضا عن مبارك شاه. وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى واستقر حاجبا رابعا.." (١)

"حوانيت القيسارية من الأقفال الحديدية بيد ذلك الرجل حتى فتحها كلها وأخذ منها ما يزيد قيمته على عشرة آلاف دينار وهرب في الليل هو وأهله. فأصبح الناس بالقيسارية وهي مفتحة الحوانيت فارتجت القاهرة بأهلها وحضر والي القاهرة واجتمع التجار وغيرهم بها. فقالت امرأة ممن يسكن بالربع علو القيسارية: قد رأينا البارحة ليلا ابن القماح هنا فأخذ الوالي في طلبه فلم يقدر عليه ولا على صدقة الحارس. ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير فاشتد حنقه على والي القاهرة وألزمه بإخراج السارق. فبينا هو في الفحص عن ابن القماح إذ دله شخص على موضعه فركب إليه في يوم الإثنين ثامنه وأحاط بالبيت الذي هو به فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة فانكسرت يده وقبض عليه وعلى ولده أحمد وعلى الأقفالي الذي فتح له الحوانيت. فوجد القماش الذي أخذ والمال بعينه لم يفقد منه شيء فحمل ذلك على عدة حمالين وسار بهم والمغاني تزفهم حتى طلع إلى الأمير الكبير. فأقر ابن القماح. بما تقدم ذكره فأمر الوالي بعقوبة الجميع. فنزل بهم في الحديد والعملة من ورائهم على رءوس الحمالين والمغاني تزفهم في شارع القاهرة فكان يوما مشهودا. ثم أخذ التجار مالهم بتمامه وكماله. وظفر أيضا الوالي بصدقة الحارس فما زال هو والأقفالي تحت العقوبة حتى هلكا. وضرب ابن القماح وولده مرارا وسجن في خزانة شمايل فإنه لم يجب عليه القطع شرعا. لأنه كان يقول عن الأقفال هذا ناولني المتاع من الحوانيت. فأقام عدة سنين في السجن ثم أخرج واتضع حاله حتى مات. في سابع عشره: قدم الأمير كمشبغا الحموي نائب طرابلس باستدعاء فأكرم غاية الإكرام وحمل إليه الأمراء تقادم كبيرة جدا. وفي هذا الواقعة ألزم والي القاهرة عريف قيسارية جهاركس ألا يسكن بها تاجرا حتى يضمن عليه وصار يتهدد التجار بفعلة ابن القماح فتحدث الناس في القاهرة بهذه الواقعة أعواما كثيرة. وقدم البريد **بوقوع الوباء بصفد**. وجاءت الأخبار بغلاء الأسعار. بمكة فلما قدمها الرجبية انحلت قليلا حتى أبيعت الويبة الدقيق درهما والويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين درهما مع غلاء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١١٩

كل ما يؤكل وبلغت الغرارة بالمدينة النبوية أربعمائة درهم. فلما قدم الحاج في الموسم ارتفعت الأسعار وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين درهما وما فوقها والويبة." (١)

"سنه أربع وثمانين وسبعمائة أهل المحرم بيوم الثلاثاء: فيه خلع على الأمير مبارك شاه السيفي واستقر والي الفيوم وكاشف الفيوم وكاشف البهنساوية والأطفيحية عوضا عن أسنبغا المنجكي. وفي ثالثه: خلع على الأمير سودن الشيخوني واستقر حاجب الحجاب على إقطاع تغري برمش. وخلع على الأمير كمشبغا الحموي اليلبغاوي – نائب طرابلس – خلعة الاستمرار على عادته. وخلع على فرج بن أيدمر السيفي واستقر في ولاية الغربية عوضا عن أحمد بن سنقر. وخلع على ألطنبغا الصلاحي واستقر في ولاية الأشمونين عوضا عن مبارك شاة السيفي. وأنعم بإقطاع الأمير سودن الشيخوني على الأمير أيدكار واستقر حاجبا ثالثا. وفي عاشره: قدم الأمير أقبغا الماريني نائب الوجهالقبلي باستدعاء. وفي حادي عشره: توجه الأمير بكلمش العلاي لإحضار الأمير بيدمر الخوارزمي من سجنه في ثغر دمياط. وقدم الأمير جتتمر أخو طاز من دمشق بسؤاله. وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال وفقد الخبز من الأسواق وأبيع كل رطلين بدرهم وأبيع القمح. بمائة وخمسة دراهم الأردب والبطة الدقيق بثلاثين درهما فلما دخل الشعير الجديد وفيه رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجني الديلم والرحبة من المديونين فأفرج عنهم جيعهم وأغلق باب السجنين ومنع القضاة من سجن أحد على دين لما بالناس **من الغلاء ووقوف** الحال فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون وترسيم نقبائهم على من في ذمته دين. وفي ثامن عشرة: قدم ركب الحاج. وفي عشرينه: قدم الأمير بيدمر من دمياط في النيل فركب الأمير الكبير إلى لقائه وحضر من الغد يوم الإثنين حادي عشرينه الخدمة السلطانية وقبل الأرض على العادة." (٢)

"وفي سابع عشره: خرجت تجريدة إلى البحيرة فيها خمسة أمراء ألوف وهم بهادر الجمالي وقطلوبغا الكوكاي وأحمد بن يلبغا الخاصكي وقردم الحسني وآلابغا العثماني وأربعة أمراء طبلخاناة وعشرة أمراء عشرات. فلم يجدوا من أهل البحيرة أحدا فساقوا من مواشيهم ثلاثة آلاف رأس من الضأن وستة آلاف رأس من المعز. وفي آخره: انتهى عمل الجسر الخليلي. وفيه قدم البريد بأن حسين بن أويس – متملك بغداد – قتله أخوه أحمد بن أويس واستقر في المملكة بعده وذلك بإشارة خواجا شيخ الكحجاني. وفي خامس عشر جمادى الأول: استقر الأمير قطلوبغا أبو درقة في ولاية دمياط عوضا عن محمد بن قرابغا. وفي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٣١/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٣٥/٥

عشرينه: استقر فتح الدين صدقة أبو دقن في نظر المواريث عوضا عن ابن عبد المعطي. وفي يوم الأحد أول جمادى الآخرة: – الموافق له من أشهر القبط تاسع عشر مسرى – كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا بعدما توقف عدة أيام وأرجف خزان الغلال **يكون الغلاء فخاب** أملهم. وفي سابع عشره: خلع على جمال الدين محمود المحتسب خلعة الاستمرار وقد أرجف بعزله ونقل قراجا من ولاية قليوب إلى ولاية الجيزة ونقل حسين من ولاية الجيزة إلى ولاية قليوب. وقدمت رسل ألفنس – متملك أشبيلية – بسبب الإفراج عن تكفور حاكم سيس فأجيبوا إلى وفي هذه السنة: ركب السطان إلى الميدان سبتين ولم يركب السبت الثالث لغرق الميدان. بماء النيل. وفي عشرينه: استقر مقبل الطيبي في ولاية قوص عوضا عن ابن المزوق وأعيد علاء الدين الطشلاقي إلى ولاية قطيا. وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير أقبغا الماريديني – نائب الوجه القبلي – فقبض عليه وسجن في الحديد بخزانة شمايل لقبح سيرته وعتوه على الخلق وإسرافه في إراقة الدماء وأخذ الأموال وأحيط بأمواله التي اغتصبها من أهل البلاد. وفيه ضرب الأمير الكبير علي خان بن قرمان – كاشف الوجه البحري – ضربا." (١)

"وقدم الخبر ماردين باستيلاء تيمورلنك على مدينة تبريز وقتل أهلها وتخريبها. وفي ليلة السبت تاسع عشرينه: دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلا يقال أنهم تدلوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم وقتلوا نفرين. فركب الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني – والي القاهرة – وقبض على ثلاثة منهم في بعض الضواحي ومعهم بعض ما نهبوه فعاقبهم حتى دلوه على بقيتهم. وفي يوم الأحد سلخه: وقع حريق بالجسر قريب قنطرة الحاجب تلف فيه عدة بيوت ونزل عدة من الأمراء حتى أطفوه. وفي أول شهر ربيع الأول: أبيع اللحم البقري كل رطلين ونصف بدرهم وأبيع اللحم الضأن وفي يوم الجمعة ثاني عشره: رسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ونقله من سجنه بالإسكندرية إلى إقامته بدمياط. وأذن له أن يركب ويتنزه بها. وفي خامس عشره: سمر من رجال المنسر ثمانية عشرة على جمال وثلاثة سمرت أيديهم في الخشب وألبسوا في أرجلهم قباقيب خشب ثم سمرت أرجلهم فيها. وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمرون كذلك وشهروا جميعا بالقاهرة ثم وسطوا إلا واحد منهم وأبقي عليه ليدل على بقيتهم. وفي يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: أخرق السلطان بالأمير بهادر المنجكي الأستادار وقبض عليه ثم أفرج عنه. وفيه قدم البريد من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر فقبض في الحال على أخيه عثمان بن قراجا وعلى ابن أخيه إبراهيم. وفيه غضب السلطان على موفق الدين أبي الفرج – ناظر الجيش – وضربه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٣٨

نحو مائة وأربعين ضربة بالعصى. وقدم الخبر **بوقوع الوباء بالإسكندرية** وأنه تجاوز عدة من يموت بها في كل يوم مائة إنسان.." (١)

"وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين في أستادارية السلطان بعد موت الأمير بهادر المنجكي واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقري أستادار الأمير سودن باق في شد الدواوين. وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: أنعم على كل من بلوط الصرغتمشى ونوغيه العلاي وناصر الدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخاناة. وعلى كل من داود ابن دلغادر وناصر الدين محمد بن الحسام الصقري الشاد بإمرة عشرة. وفيه استقر الأمير محمود الأستادرار مشير الدولة وخلع عليه فتحدث في الدولة والخاص والديوان المفرد وصار عزيز مصر. وحضر عنده الصاحب علم الدين كاتب سيدي وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص وائتمرا بأمره. وفي ثامنه: **ارتفع الوباء بعدما** تجاوز الثلاثمائة في كل يوم. وفي عاشره: قدم البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب بخبر وقعة سيواس التي ذكرناها وفي ثاني عشره: خلع على الصاحب علم الدين خلعة استمرار بعقب غضب السلطان عليه. وفي رابع عشره – الموافق سادس عشرين بؤونة: – أخذ قاع النيل فجاء ستة أذرع وثمانية أصابع. وفيه قدم الفقيه قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الأشبيلي المغربي من الحجاز إلى القاهرة. وفي تاسع رجب: قدم الأمير تلكتمر الدوادار وأخبر بأن منطاش قد فر من سيواس خوفا من القاضي برهان الدين أحمد صاحبها أن يقبض عليه. وفي خامس عشره: استقر الأمير قطلوبغا الأسنقجاوي أبو درقة كاشف الوجه البحري عوضا عن ركن الدين عمر بن إلياس بن أخلا قرط. وفي خامس عشرينه: استقر مقبل الطيبي والي قوص ملك الأمراء بالوجه القبلي وعزل مبارك. واستقر الصارم إبراهيم الشهابي في ولاية قوص. وفي أول شعبان: أوفي النيل ووافق ثالث عشر مسرى. وفي ثالثه: قدم العسكر المجرد والأمراء من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل فخلع على الأمراء وأركبوا خيولا بقماش ذهب فكانت غيبتهم عن. القاهرة سنة أياما.." (٢)

"وفي هذا الشهر: وقع وباء في البقر حتى أبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن فأبيعت البقرة بخمسة دراهم وترك الناس أكل لحم البقر استقذارا له. **وعم الوباء في** البقر أرض مصر كلها ففنى منها ما لا يقع عليه حصر. وفي يوم الاثنين سادس شوال: استقر ناصر الدين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٨٤

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٢٠٩

محمد الضاني في ولاية منفلوط وعزل على بن غلبك. وفي سابعه: استقر أحمد الأرغوني في ولاية دمياط وعزل أبو بكر بن بدر. وفي ثامن شوال: استقر القاضي بدر الدين الأقفهسي في نظر الدولة وعزل ابن شيخ. واستقر ناصر الدين مؤمن في ولاية قليوب وعزل قطلوبغا الصفوي. واستقر علاء الدين على الطشملاقي والي قطيا. وعزل حسام الدين حسن المؤمني أمير آخور. وفيه أنعم على الشريف علي بن عجلان أمير مكة بأربعين فرسا وعشرة مماليك من الأتراك وثلاثة آلاف أردب قمحا وألف أردب شعيرا وألف أردب فولا وحمل على فرش بقماش ذهب ورسم له أن يستخدم مائة فارس من الترك يسير بهم إلى مكة. وفيه قبض على تاج الدين بن كحل وسلم لشاد الدواوين على مال يحمله. وفي خامس عاشره: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهاني وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتي ألف درهم. وذلك أن السلطان لما اختل أمره بحركة الأمير يلبغا الناصري ومسيره إلى القاهرة هم الملك الظاهر بالهرب وأعطى شيخ الشيوخ هذا خمسة آلاف دينار وواعده أن ينزل إليه ويختفي عنده فلم يف له بذلك وغيب عنه فاختفي السلطان عند أبي يزيد كما ذكر. فلما عاد إلى الملك طلب منه الخمسة آلاف دينار على لسان الدوادار فقال تصدقت بها على الفقراء. فلما ألح الدوادار في مطالبته قال: أعلم السلطان أني أجمع الفقراء من الزوايا والربط وألزمهم بإعادة ما تصدقت به عليهم وأقول لهم إن لسلطان قد عاد في صدقته فإنه لم يدفع هذا المالل إلي إلا لأتصدق به لا أنه وديعة عندي.." (١)

"واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة ووقوع الوباء ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب. وفي خامس عشره: ركب السلطان وعبر إلى القاهرة من باب زويلة وزار أباه بمدرسته بين القصرين. وخرج من باب النصر إلى القلعة. وفي سادسه: عدى إلى بر الجيزة. وأحدث الأمير تمربغا المنجكي شرابا من زبيب يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء ويدفن في جرار بزبل الخيل أياما ثم يشرب فيسكر وصار يقال له التمربغاوي وفي ثامن عشره: عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة. وفي تاسع عشره: أنعم على الأمير فارس من قطلو خجا بتقدمة ألف واستقر حاجب الحجاب عوضا عن بدخاص المتنقل لنيابة الكرك. وفيه استعفى الأمير سودن من نيابة السلطة والإمرة لكبره وعجزه فأعفي ولزم بيته. وفي رابع عشرينه: أنعم على علاء الدين علي بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطلاوي بإمرة طبلخاناه واستقر أخوه ناصر الدين محمد في ولاية القاهرة كأنه ينوب عنه وشرط عليه ألا يستبد بشيء بل يراجعه في الأمور. وأنعم على أرغون شاه البيدمري الأقبغاوي بتقدمة ألف وعلى نوروز الحافظي بتقدمة ألف. وعلى تمربغا المنجكي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٥/٥

بإمرة طبلخاناه وعلى شيخ المحمودي بطبلخاناه وعلى صلاح الدين محمد ابن تنكز بطبلخاناه وعلى صرغتمش المحمدي القزويني بطبلخاناه وعلى سودن الطيار الناصري بطبلخاناه. وأنعم على كل من مقبل الرومي وأقباي بن حسين شاه وآق بلاط الأحمدي ومنكلي بغا الناصري بإمرة عشرة. وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي حاجبا عوضا من ألجبغا الجمالي مع النظر في الولاية على أخيه. وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول: عدى السلطان إلى بر الجيزة وعاد آخر يوم الأربعاء سادسه.." (١)

"وفي سابعه: خلع على الأمراء والأكابر وناظر الجيش وناظر الخاص، أقبية بفرو وسمور. وفيه عمل السلطان المولد النبوي على عادته. وفي تاسعه: عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبي حنيفة يقال له مصطف القرماني وأنه كتب شيئا في الفقه قال فيه: لا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله ونسب إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – إلى ما نزهه الله من عبادتهما. فأراد قاضي المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسي الحكم بقتله فاعتنى به جماعة من الأمراء وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضي القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمي فعزره بأن أقامه وبعث به إلى السجن ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام وضربه ثم خلاه لسبيله. وفي رابع عشره: أنعم على ناصر الدين محمد بن جلبان العلاي بإمرة عشرين عوضا عن قرابغا بعد موته. وفي ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأن تيمور توجه من قراباغ وعدى السلطانية وتوجه ابنه إلى كيلان فإن طقتمش أخذ أكثر بلاده. وقد حدث ببغداد وباء عظيم واشتد **بها الغلاء وانتقل** ابن أويس عنها إلى الحلة. وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلي ومعه أمراء العربان وهم: أبو بكر بن الأحدب أمير عرك وعمر بن عبد العزيز أمير هوارة وعلي بن غريب أمير هوارة أيضا وأحضروا تقادمهم على العادة. وفيه تنكر السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار وكاد يبطش به. فلما نزل إلى داره أتاه الأمير علاء الدين علي بن الطلاري يأمره عن السلطان بحمل خمسمائة ألف دينار وإن امتنع يوقع الحوطة عليه ويضربه بالمقارع فتلطف في السعي بينه وبين السلطان حتى تقرر أنه يحمل مائة ألف وخمسين ألف دينار فلما صعد في يوم الاثنين خامس عشرينه إلى الخدمة بالقلعة صاح به المماليك من الأطباق وسبوه ورجموه.." (٢)

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٦٧/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٦٨/٥

"وفي يوم الخميس ثامن ربيع الآخر: ابتدأ السلطان بعمل الخبز الذي يفرق في الفقراء وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا وتولى ابن الطبلاوي ذلك فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة فكفى الله الناس بهذا الخبز هما عظيما بحيث لم يعرف أن أحدا مات في **هذا الغلاء بالجوع** واغتنى جماعة منه فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه ثم يستجدون الناس أيضا. وفي تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة ونزل بشاطئ النيل تجاه القاهرة. وفي رابع عشره: عاد إلى القلعة. وفي خامس عشره: استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الملكي - ناظر قطا - في ولايتها مع وظيفة النظر والتزم كل شهر بحمل مائة ألف وخمسين ألف درهم. وكان في ابتداء أمره صيرفيا بقطا وترقى حتى باشر بها ثم ولي النظر إلى أن جمع بين النظر والولاية. وفيه ظفر أيضا بديخرة لمحمود عند لاجين أمير سلاحه فكان مبلغها ثلاثين ألف دينار. وفي سابع عشره: استعفي أزدمر من كشف الجيزة فأعفي. واستقر عوضه يلبغا مملوك الوزير مبارك شاه. وفيه ارتجع عن شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب إمرته وهى عشرة وفي تاسع عشره: قدم محمد بن العادلي والي المنوفية في الحديد فتسلمه ابن الطبلاوي واستقر عوضه حسام الدين. وفيه قدم الأمير نوروز الحافظي رأس نوبة ومعه علي بن غريب أمير هوارة وثلاثة وثلاثين رجلا من أهله وأولاده في الحديد فسجن ابن غريب بالبرج في القلعة وأودع أصحابه بخزانة شمايل. وفيه تصدق السلطان بنصب كثير فاجتمع بالإصطبل خمسمائة نفس حصل لكل منهم مبلغ خمسين درهما. وفي رابع عشرين: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضا فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر بحيث مات منهم في الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفسا تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب والوزير مبارك شاه.." (١)

"وقدم الخبر من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بني حسن إلى ينبع وهو في طلبهم ثم عاد إلى خليص ومعه أمير ينبع فكبس عليهم وظفر بهم وأن الأترك الذين استخدمهم أمير ينبع ركبوا عليه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه فظفر بهم وقتل منهم اثني عشر وأخرج باقيهم من بلاده. وفي يوم الخميس سابع جمادى الأولى: أوقعت الحوطة على دار الأمير محمود الأستادار وأخذت مماليكه وترك عنده ثلاثة يخدمونه في مرضه. وفيه فر شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الدزري الدمشقي من ترسيم ابن الطبلاوي. وكان قد تحدث للأمير أيتمش فيما يتعلق به في دمشق وأحضره لعمل حسابه فوقف عليه مال عجز عنه فهرب ولم يوقف له على خبر. وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل في كل يوم طعاما للفقراء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٨٤/٥

يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس. ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهما فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام أخذ عوض الخبز نصف درهم ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف. وكانت الأسعار قد تزايدت لقلة وجود الغلال وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية وازدحم الناس على الأفران وأبيع القمح بمائة وخمسة وسبعين درهما الأردب في غلته فإذا غربل تعدى المائتين. وبلغت البطة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما والخبز كل رطل وربع بدرهم. وفي عاشره: وجدت ذخيرة لمحمود فيها مبلغ سبعين ألف دينار. وفي يوم الجمعة خامس عشره: حضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء **برفع الغلاء ومعه** خلائق فكان وقتا عظيما. فلما كان من الغد قدم إلى ساحل القاهرة ومصر عدة مراكب بها الغلال فانحط سعر الأردب عشرة دراهم وأخذ يتناقص حتى أبيع الأردب بمائة وثلاثين درهما والخبز كل رطلين بدرهم ثم انحط عن ذلك أيضا. وفي عشرينه: وجدت ذخيرة لمحمود أيضا فيها ثلاثة وستون ألف دينار ووجدت أيضا أخرى فيها مبلغ أربعين ألف دينار ووجد له عند شخص مبلغ أربعين ألف دينار وعند آخر عشرين ألف دينار. ووجد في بيت مبلغ مائة دينار وسبعة وثلاثون ألف دينار وفي موضع آخر مائة ألف دينار وثلاث براني في إحداها أحجار البلخش وفي اثنتين اللؤلؤ كبار ووجد أيضا عند شخص حلي ذهب له قدر كبير.." (١)

"وفي ثالث عشره: أحضر طيبغا الزيني والي الفيوم فسلم لابن الطبلاوي ليعاقبه واستقر ألطنبغا عوضه والي البهنسا واستقر عوضه في البهنسا خليل بن الطوخي. وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد في بطن عاش منهم أحدهم. وفيه تنكر السلطان على قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي لحده خلقه. وفي يوم الخميس ثاني جمادى الأولى توجه الحسام حسين شاد الدواوين إلى مساحة البلاد السلطانية بالوجه القبلي. ونقل الأمير محمود إلى خزانة شمايل في ليلة الجمعة ثالثه وهو مريض فسجن بها. وفيه أنعم على أمير خضر بن عمر بن أحمد بن بكتنر الساقي بإمرة عشرة. وفي سادسه: عدى السلطان إلى بر الجيزة وفرق الخيول على الأمراء كما هي العادة في كل سنة وعاد في عشرينه. وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: استدعى تقي الدين عبد الرحمن الزبيري أحد الخلفاء الحكم وفرض إليه قضاء القضاة عوضا عن الصدر محمد المناوي ونزل معه الأمير قلمطاي الدوادار والأمير نوروز الحافظي رأس نوبة والأمير فارس حاجب الحجاب في عدة من الأمراء وكاتب السر والقضاة والأعيان وعليه التشريف. ولم تخطر ولايته ببال أحد بل طلبه السلطان على

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٨٥/٥

وفي سادس عشر جمادى الآخرة: أنعم على بيسق الشيخي بإمرة طبلخاناه. وقدم سري الدين محمد بن المسلاتي من دمشق بعد عزله. وفي هذا الشهر: **اشتد الغلاء بدمشق** فخرج الناس يستسقون وثاروا برجل يعرف بابن النشو كان يحتكر الغلال وقتلوه شر قتلة وأحرقوه بالنار. وفيه استقر ألطنبغا حاجب غزة في نيابة الكرك وعزل ناصر الدين بن مبارك بن المهمندار.." (١)

"وكان ملكا حازما شهما صارما شجاعا مقدما فطنا له خبرة بالأمور ومهابة عظيمة ورأي جيد ومكر شديد وطمع زائد. وكان يحب الاستكثار من المماليك ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم ويشره في جمع المال بحيث لم يشبع منه ويرغب في اقتناء الخيول والجمال وكان كثير التؤدة لا يكاد يجعل في شيء من أموره بل يتروى في الشيء المدد الطويلة ويتصدى للأحكام بنفسه ويباشر أحوال المملكة كلها ويجل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح. وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله. وتنكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم. وكان كثير الصدقات وقف ناحية بهبيت من الجيزة على سحابة تسير مع الركب إلى مكة في كل عام ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أرضا على قبور أخوة يوسف – عليه السلام – بالقرافة. وكان يذبح دائما. طول أيام إمارته وسلطنته في كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة يتصدق بها بعد ما تطبخ ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقي على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقي البر سوى ما كان يفرق في الزوايا من لحم الضأن فيعطى في كل يوم لكل زاوية خمسون رطلا وعدة أرغفة خبز وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة ويفرق كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد إلى مائة دينار ذهبا. ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله ويفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل ويفرق في الخوانك وغيرها كل سنة مالا كثيرا. وكان يفرق في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا على أهل الخير وأرباب الستر. ويبعث في كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحا تفرق بالحرمين. وفرق في **مدة الغلاء كل** يوم أربعين أردبا منها ثمانية آلاف رغيف فلم يمت فيه أحد بالجوع فما علمنا. وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقراء والفقهاء حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهبا على يد الطواشي صندل المنجكي. وأبطل عدة مكوس منها ما كان يؤخذ من أهل شورى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٣٩٨

وبلطيم من البرلس شبه الجمالية وهو في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم وأبطل ما كان يؤخذ على القمح." (١)

"وفي يوم الاثنين ثاني عشره: دار المحمل بالقاهرة ومصر على العادة في ذلك. وفيه قدم الأمير جقمق إلى دمشق وقد أفرج عنه من سجنه بالصبيبة بكتاب سلطان. وفي نصفه: سكن الأمير شيخ نائب الشام بدار السعادة من دمشق بعدما عمرها كانت قد احترقت في نوبة تمرلنك. وفي يوم الجمعة سادس عشره: عقد للأمير سودن الحمزاوي على خوند زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وأخت الملك الناصر وعمرها نحو الثماني سنين. وفي هذا الشهر: ارتفعت الأسعار ارتفاعا لم يعهد مثله بمصر فبلغ القمح إلى سبعين درهما الأردب وزاد سعر الشعير على القمح وبلغ الفول تسعين درهما والحمل التبن إلى سبعين درهما بعد خمسة دراهم والفدان البرسيم الأخضر ستمائة درهم بعد تسعين درهما والقنطار السمن ستمائة درهم بعد مائة وعشرين درهما والسكر إلى ألفي درهم القنطار المكرر بعد ثلاثمائة درهم والقنطار الفستق بأربعة آلاف درهم بعد مائتين وخمسين وا إقنطار الزيت خمسمائة بعد مائة درهم ودونها والدبس أربعمائة درهم بعد أربعين درهما وزيت الزيتون أربعمائة درهم بعد خمسين درهما. والصابون خمسمائة درهم القنطار بعد ما كان بمائة درهم. ولحم الضان ثلاثة دراهم الرطل بعد نصف وربع درهم ولحم البقر درهمين وارتفع أيضا سعر الثياب فبلغ الثوب القطن البعلبكي أربعمائة درهم بعدما كان بستين درهما والثوب القطن البطانة بمائة درهم بعد ثلاثين درهما ودونها والثوب الصوف المربع ألف وخمسمائة درهم بعد ثلاثمائة درهم **وسرى الغلاء في** كل ما يباع. وفي يوم الاثنين سادس عشرينه: استقر كمال الدين عمر بن جمال الدين إبراهيم ابن العديم قاضي حلب الحنفي في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر على مال. وصرف قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسي وكان مشكور السيرة. وفي ليلة الأربعاء سابع عشرينه: سار إلى الإسكندرية أقبردي وتنباك من أمراء العشراوات في ثلاثين من المماليك السلطانية فقدموا إليها في تاسع شعبان وأخرجوا." (٢)

"خمسمائة. وبيع زوج أوز بألف ومائتي درهم. **واشتد الغلاء بالوجه** البحري فبلغ القدح القمح إلى أربعين درهما والقدح الشعير إلى ثلاثين درهما والخبز إلى عشرة دراهم الرطل. وأبيع بالإسكندرية كل قدح من القمح بثلاثين درهما وكل قدح من الشعير بخمسة وعشرين درهما وكل رطل لحم من الضأن بالجروي

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٤٤٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٨٧

بستين درهما وكل طائر من الدجاج المتوسط من خمسين إلى خمسة وخمسين درهما وبيعت البيضة من بيض الدجاج بدرهمين والأوقية من الزيت بأربعة دراهم. وبلغ الدينار إلى ثلاثمائة وعشرة دراهم فخرج منها خلق كثير من الغلاء ركب عدة منهم في خمس مراكب فغرقوا بأجمعهم. وبيعت عجلة بالريف بستة آلاف درهم. وتزايد الموتان في الفقراء بالجوع فقبض على رجل من أهل الجرائم بمدينة بلبيس ووسط ثم علق خارج المدينة فوجد رجل قد أخذ قلبه وكبده ليأكلهما من الجوع فمسك واحضر إلى متولي الحرب – وهما معه – فقال: الجوع حملني على هذا فوصله بمال وخلاه لسبيله. وفيه غلت الملابس من الحرير وغيره حتى تعدت الحد وتجاوزت المقدار فبلغ الذراع الكتان الخام إلى عشرين درهما وأكثر بعد أربعة دراهم. وفيه قبض الأمير شيخ على جماعة بدمشق والزمهم بحمل مال كبير. وفرض على البساتين بالغوطة مبلغا كبيرا من الذهب جبي من الناس وأكثر من المصادرات. شهر شعبان أوله لأحد: فيه سار الأمير جكم من طرابلس على أنه متوجه إلى الأمراء بدمشق. فلما نزل حماة أخذ الأمير علان نائبها ومضى إلى حلب. وقد كتب إليه عدة من أمرائها يستدعونه إليها فقدمها في سابعه ومعه عسكر طرابلس وحماة وطغرول بن سقل سيز – أحد أمراء التركمان – في جمع موفور فقاتله الأمير دمرداش. فلم يشعر إلا بجكم قد فتح له الأمراء أحد أبواب المدينة ودخلها ففر دمرداش ومعه ناصر الدين محمد بن شهري الحاجب وابن عمه نصر الدين محمد بن شهري نائب القلعة وأزدمر الحاجب وشرباش نائب سيس ومضى إلى البياضية والأينالية من التركمان فنزل فيهم قريبا من حلب مدة أيام. ثم توجه إلى مدينة إياس بجماعته وولدي أخيه قرقماس وتغري بردى فدخلها في ثالث عشره فقام له نائبها بما يليق به وأركبه البحر يريد مصر. وأما الأمير جكم فإنه استولى على حلب وأنعم على الأمير علان نائب حماة بموجود دمرداش." (١)

"وفيه سار الأمير سودن الجلب من حلب إلى حريمه بالبيرة فحضر يغمور من الذكرية وكبس البيرة وسبي الحريم وعاد إلى ناحية سروج. فلما بلغ ذلك الأمير جكم سار من حلب في ثاني عشرينه إلى البيرة وسار بسودن الجلب إلى يغمور وقاتله وكسره وأخذ له ستة آلاف جمل وعشرة آلاف رأس من الغنم. وبعث سودن الجلب في أثره فضرب حلقة وأسر سودن الجلب ومن معه. وعاد الأمير جكم إلى حلب ومعه حريم يغمور رهينة على سودن الجلب. فأفرج وفيه ورد الخبر من مكة بأن جميع ما احترق من المسجد الحرام – وهو ما بين الثلث والنصف – قد عمر علوا وسفلا وعملت العمد من حجارة صوان منحوتة وأن الأرضة قد أكلت في سقف مقام إبراهيم عليه السلام. وفيه باع سنقر نائب طرسوس المدينة للأمير ناصر الدين محمد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٢٠/٦

بن قرمان وسلمها له وقد نزل ظاهرها. وفيه سار الأمير المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى الكرك ونزل عليها في سادس عشره. وقد أتهم الأمير عمر بن الهذباني النائب بالخروج عن طاعة السلطان فجمع عبد الرحمن العشير في تاسع عشره وزحف على المدينة وقاتل النائب وهزمه وقتل منه عددا كبيرا وحصر المدينة ومنع الميرة عنها وجمع جمعا آخر وقاتل النائب مرة ثانية. **وكان الغلاء قد** اشتد بتلك البلاد وكثر نهب الدور بالمدينة وأخذ أموال أهلها وتخربت ديارهم وتنوعت عقوبتهم. وأما السلطان فإنه قبض في ثانيه على الصاحب تاج الدين بن البقري وأخذ جميع ما وجد له وأسلمه إلى شاد الدواوين. وفي تاسعه: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله واستقر في الوزارة ونظر الخاص مضافا لما معه من نظر الجيش عوضا عن ابن البقري. وفي حادي عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء المالكية وصرف البساطي. وفي رابع عشره: استقر الأمير بشباي حاجب الحجاب عوضا عن الأمير أقباي الطرنطاي المستقر أمير سلاح.." (١)

"شهر ذي الحجة أوله الأربعاء: في رابعه: كتب إلى الأمير نوروز بأنه تقدمت الكتابة له بأن يتوجه إلى القدس وأنه لم يجب عن ذلك فيتقدم بالحضور إلى مصر. وفي سابعه: أعيد فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي إلى كتابة السر بسفارة الأمير جمال الدين الأستادار وعزل فخر الدين ماجد بن المزوق. وفي ثاني عشره: رضي السلطان على فخر الدين بن غراب واستمر مشيرا وزيرا ناظر الخاص على عادته. وخلع عليه بعدما قام بعشرين ألف دينار. وفي هذا الشهر: انحل سعر القمح وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب وبيع الرغيف زنة نصف رطل بثلث درهم وأبيع ثور بمائة مثقال ذهبا عنها من الفلوس ثلاثة عشر ألف درهم ولم نسمع بمثل ذلك. وفيه أبيع الرطل اللوز العاقد بأربعة عشر درهما يحصل من قلبه أوقيتان وذلك من حساب أربعة وثمانين درهما الرطل وهذا أعجب ما يحكي. وفيه فشى الطاعون بصعيد مصر حتى خلت عدة بلاد وأحصي من مات من سيوط ممن له ذكر فكانوا عشرة آلاف سوى من لم يفطن له. وهم كثير. وأحصي من مات في بوتيج فبلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة وكان الزمان ربيعا فلما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء. وأما الشام فإن في ثالثه كتب باستقرار الأمير زين الدين عجل بن نعير في إمرة آل." (٢)

"وبلاد الشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات فطرق الطاغية تيمورلنك بلاد الشام في سنة ثلاث وثمانمائة وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق وحرقها حتى صارت دمشق كوما ليس بها دار وقتل من أهل الشام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى وقطع أشجارها حتى لم يبق بدمشق حيوان ونقل إليها من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٢٢/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٦٠/٦

مصر حتى الكلاب وخربت أراضي فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلى خلف الإمام سوى رجلين. وطرق ديار **مصر الغلاء من** سنة ست وثمانمائة فبذل أمراء دولته ومدبروها جهدهم في ارتفاع الأسعار بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأراضي وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب والمعاملة بالدنانير المشخصة التي هي ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين كل مثقال بعدما كان بعشرين درهما. وعكسوا الحقائق فصيروا الفلوس – التي لم تكن قط في قديم الدهر ولا حديثه نقدا رابحا – هي التي ينسب إليها ممن المبيعات وقيم الأعمال. وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبى من الفلاحين في كل سنة وأهمل عمل جسور أراضي مصر وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم وتحمل إليه. وأكثر وزرائه من رمي البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان واضطروهم إلى حمل ثمنها فعظمت مغارمهم للرسل التي تستحثهم ولمستخرجي المال منهم مع الخسارة في أثمان ما طرح عليهم من البضائع لا جرم أن خرب إقليم مصر وزالت نعم أهله وقلت أموالهم **وصار الغلاء بينهم** كأنه طبيعي لا يرجى زواله. هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر وتكرار سمره إلى البلاد الشامية مما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجا عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك زيادة على ألف ألف دينار يجبيها من دماء أهل مصر ومهجهم. ثم يقدم إلى الشام فيخرب الديار ويستأصل فخربت الإسكندرية وبلاد البحيرة وأكثر الشرقية ومعظم الغربية والجيزية وتدمرت بلاد الفيوم وعم الخراب بلاد الصعيد بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطة كانت تقام في يوم الجمعة ودثر ثغر أسوان وكان من أعظم ثغور المسلمين فلم يبق به أمير ولا كبير لا سوق ولا بيت وتلاشت مدائن الصعيد كلها وخرب من." (١)

"وفي سادسه: عوقب كاتب السر فتح الله بالضرب على ظهره عقوبة شديدة بالغة وعصر حتى أشفى على الموت وأهين مع هذا إهانة من يطلب منه ثأر. وفي ثامنه: حمل من القلعة إلى بيت تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر ناظر الخاص فسجنه في داره ووكل به وأخذ في حمل المال المقرر عليه. وفي تاسعه: قدم أقبغا الأسندمري إلى حلب من جهة السلطان وعلى يده تقليد الأمير دمرداش المحمدي نيابة حلب وتشريفه وكان دمرداش قد وصل إليها في يوم الجمعة سابعه فخرج من مدينة حلب ولبس تشريف السلطان وسار به في مركب خليل إلى باب القلعة فنزل وصلى هناك ركعتين وقبك الأرض خدمة للسلطان على العادة ودعي باسم السلطان بحلب ومعاملتها وضربت السكة باسمه وحلف الأمراء وأرباب الدولة على الطاعة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٦/٦

للسلطان. وفي ثامن عشرينه: عزل صدر الدين أحمد بن العجمي عن الحسبة بابن شعبان وقد وعد ابن شعبان بخمسمائة دينار يقوم بها والتزم أن يحمل في كل شهر مائة دينار. وعوق ابن العجمي في بيت الأمير جانبك الدوادار وألزم بمال يحمله. وفي هذا الشهر: **اشتد الغلاء بمكة** أيام الموسم فأبيع الشعير كل ويبة بدينارين وكل ويبة فصا - وهو نوي التمر - بدينار ونصف وكل رطل بشماط بعشرة دراهم فضة. ولم يحج أحد من العراق ولا من اليمن. وعز الفلفل بمكة لطلب التجار له فإنه قل بديار مصر حتى بلغ الحمل إلى مائتين وعشرين مثقالا من الذهب بعدما كان بستين مثقالا فاشتري منه بمكة للسلطان من حساب خمسة وعشرين مثقالا الحمل بمبلغ خمسة آلاف دينار. وحملإلى القاهرة فبلغ الحمل بمكة خمسة وثلاثين دينارا هرجة بعدما كان بعشرة مثاقيل. وفي هذه السنة: توغل الأمير موسى بن عثمان في بلاد النصارى يأسر وينهب ويحرق ثم عاد فوجد صاحب الطبول قد عدى بأخيه محمد بن عثمان إليه وقد خامر الأمراء معه فجرت بينهم حروب عظيمة. ومات في هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره جمال الدين عبد الله بن محمد بن طميان المعروف بالطيماني الشافعي قتل." (١)

"وفي عشرينه: سافر الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش من القاهرة يريد أخذ دمشق. وفي رابع عشرينه: قدم الأمير بيبغا المظفري بالمحمل وبقية الحاج. وقدم الخبر بمفارقة الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش لدمشق وقدومه إلى صفد منتميا إلى السلطان فسر بذلك ودقت البشائر بقلعة الجبل واشتد الأمر على صدر الدين أحمد بن العجمي في حمل ما ألزم به وهو خمسمائة دينار وقد تأخرت عليه من ألف دينار فباع وفي هذا الشهر: تزايد الطاعون في الناس بالقاهرة ومصر وكان ابتداؤه من أخريات ذي الحجة الحرم وهب يوم النحر ريح في غاية الشدة من ناحية الجنوب واستمرت أياما ففشا الطاعون والحميات الحادة المحرقة في الناس لاسيما الأطفال والشباب. وأهلت السنة ويموت في كل يوم ممن يرد الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين والوقت ربيع. وقد صار حارا يابسا ورياحه كلها جنوبية وحره خارج عن المعتاد **فكثر الوباء وناف** عدة من يرد الديوان على المائة. وفي سلخه: أفرج عن صدر الدين بن العجمي وخلع عليه وقرر في نظر المواريث وأفردت عن الوزير وألزم أن يحمل ما يتحصل من ذلك إلى خزانة السلطان. وفي هذا الشهر: ثار بالسلطان وجع المفاصل. شهر صفر أوله الاثنين: أهل والوباء يتزايد ثم تناقص من نصفه. وذلك أن الشمس لما نقلت إلى برج الثور رطب الحر المحرق واستمر الوقت رطبا مدة عشرين يوما ثم انقلب الزمان في آخر برج الثور إلى حر مفرط وعوم محرقة فتزايدت الأمراض حتى تجاوز عدد من يرد الديوان من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٥/٦

الأموات مائة وعشرين فعز وجود البطيخ الصيفي من كثرة ما يطلب للمرضى حتى بيعت نصف بطيخة بخمسمائة درهم عنها مثقالان من الذهب وعز أيضا وجود الماء وأقبل الناس في أخذ جمال السقائين فبلغت الراوية خمسة عشر درهما وأبيعت خمس بطيخات بألفي درهم عنها ثمانية مثاقيل ذهبا. وفي تاسعه: سار الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش من غزة وقد وصل إليها يريد صفد ومعه أخوه تغري بردى نائب حماة وقد بعث إليه السلطان بولايتها وخرج الأمير ألطنبغا العثماني في أثرهما من الغد لمساعدتهما فبلغهم عود الأمير نوروز من حلب إلى دمشق فأقاموا على الرملة.." (١)

"حشروا بسبتة من الجبال ونفدت أزوادهم وعادوا إلى جبالهم فطرقها عند ذلك الفرنج وقاتلوا المسلمين وهزموهم وركبوا أقفيتهم وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه ومروا على وجوههم فتملك البرتقال سبتة في سابع شعبان منها. وكان لذلك أسباب منها أن بني مرين – ملوك فاس – لما ملكوها ساءت سيرتهم في أخذ أموال أهلها ثم أن موسى بن أبي عنان لما ملك أعطى سبتة لأبي عبد الله محمد بن الأحمر فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة فلما استرد بنو مرين سبتة ساءت سيرة عمالهم بها وكثر ظلمهم فوقع الوباء العظيم بها حتى باد أعيانها وكان من فساد ملك بني مرين وخراب فاس وأعمالها ما كان فاغتنم الرند ذلك ونزلوا على سبتة فلم يجدوا فيها من يدفعهم ولله عاقبة الأمور. وفيها كانت وقعة بين الأمير محمد بن عثمان وبين الأمير محمد بن قرمان انهزم فيها ابن قرمان ونجا بنفسه. وفيها أحرق قبر الشيخ عدي بجبل هطار من بلاد الأكراد وهذا الشيخ عدي هو عدي بن مسافر الهكاري – بتشديد الكاف – صحب عدة من مشايخ الصوفية وسكن جبل الطائفة الهكارية من مشايخ الصوفية وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد وهو من أعمال الموصل وبني له به زاوية فمال إليه بتلك النواحي من بها واعتقدوا صلاحه وخرجوا في اعتقاده عن الحد في المبالغة حتى مات عن تسعين سنة في سنة سبع – وقيل خمس – وخمسين وخمسمائة فدفن بزاويته وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره وهم عدد كثير وجعلوه قبلتهم التي يصلون إليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها وصار قبره أحد المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة لكثرة أتباعه وشهرته هو في الأقطار وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة فلما تطاولت المدة تزايد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٨/٦

غلو أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدي بن مسافر هذا هو الذي يرزقهم وصرحوا بأن كل رزق لا يأتي من الشيخ عدي لا نرضاه وأن الشيخ عدي جلس مع الله تعالى – عن قولهم – وأكل معه." (١)

"وفي ثاني عشره: عمل مهم عرس الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ألطنبغا القرمشي على ابنة الملك الناصر فرج بن برقوق واعتنى به عناية كبيرة إلى أن بني عليها ليلة الجمعة رابع عشره وفي سادس عشره: نودي في القاهرة بمنع المعاملة بالدنانير الناصرية وأن تقص كلها ويدفع فيها من حساب مائة وثمانين فقصها الصيارفة. وفي حادي عشرينه: قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود الرازي الهروي مدرس الصلاحية بالقدس بعدما خرج الأمير ألطنبغا العثماني فتلقاه وصعد إلى السلطان بقلعة الجبل فأقبل عليه السلطان وأكرمه وأجلسه عن يمينه وحضر مجتمعا كان عند السلطان هو وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني. ثم انصرف إلى دار قد أعدت له ورتب له في كل يوم مبلغ مائتي درهم فلوسا ومن اللحم قدر ثلاثين رطلا وأنعم عليه بفرس قد أسرج برج ذهب وبكثير من الثياب الفاخرة وأهدى إليه كثير من أهل الدولة الهدايا الجليلة. وفي هذا الشهر: **ارتفع الوباء من** القاهرة. وفيه قبض بحلب على الأمير آق بلاط نائب عينتاب وسجن وقبض على الأمير شاهين الزردكاش وسجن بقلعة حلب في ثامنه. وفيه استقر محيي الدين أحمد بن حسين بن إبراهيم المدني الدمشق في كتابة السر بدمشق. شهر ربيع الآخر أوله الأحد: في يوم الاثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه ومماليكه ووجوه دولته وسار إلى حيث العمل في حفر البحر تجاه منشأة المهراني ونزل في خيم قد نصبت له هناك ونودي بخروج الناس للعمل في الحفير وكتبت حوانيت الأسواق كلها فخرج الناس طوائف ومع كل طائفة الطبول والزمور وهم في لهو ولعب وغلقت الأسواق. وأقبلوا إلى العمل ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوقي طاقته. وعمل جميع العسكر أيضا من الأمراء والمماليك وجميع أرباب الدولة وأتباعهم." (٢)

"وتوجه السلطان من حلب عائدا إلى دمشق فنزل حماة وعزم على الإقامة بها مدة الشتاء ليحسم مواد الفتن ويأخذ من فر في وقعة قنباي وهم تنباك البجاسي نائب حماة وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس وطرباي نائب غزة وكزل نائب ملطية وغيرهم فأقام أياما وبلغه عن القاهرة ما اقتضى حركته إليها وقدم الأمير طوغان أمير أخور نائب صفد وقد أنعم عليه بإمرة مائة بديار مصر في آخر شهر رمضان وتوجه إلى الشرقية لأخذ تقادم الولاة والعربان عونا له على تجديد ما نهب له في الوقعة. وفي هذه السنة: حدث غلاء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٣٦٩

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٣٨٤

عظيم بديار مصر وذلك أن هذه السنة لما أهلت كانت الأسعار رخيصة فلا يتجاوز الأردب القمح نصف دينار إلا أن الغيث كان في أوانه قليلا بأرض مصر فلم ينجب الزرع بنواحي الوجه البحري كله من الشرقية والغربية والبحيرة ولا حصل منها وقت الحصاد طائل. وحدث مع هذا في كثير من نواحي أرض مصر فأر أتلف كثيرا من الغلال واتفق مع ذلك وقوع الفتنة بأراضي البحيرة وخروج العسكر إليها فتلف من غلالها شيء كثير فإنها تمزقت تمزيقا فاحشا ثم أن العسكر توجه إلى بلاد الصعيد في وقت قبض المغل فعاثوا وأفسدوا ولم ينالوا من المفسدين الغرض وعادوا عودا رديا فعظم النهب وشن الغارات ببلاد الصعيد وشملت مضرة العربان عامة الناس. **ووقع الغلاء بأرض** الحجاز وبوادي العرب وبلاد الشام فدف إلى أرض مصر من هذه البلاد خلائق كثيرة لشراء القمح فحملوا منه ما لا يقدر قدره وكان مع ذلك كله توجه السلطان من القاهرة إلى الشام بسبب الفتنة التي أثارها قنباي المحمدي فخلا الجو لمن يحكم بالقاهرة وتصرف أقبح تصرف وذلك أنه أخذ عند ابتداء زيادة النيل يستكثر من شراء القمح فأشيع عنه أنه يخزنه لينال فيه ربحا كثيرا فإن النيل يكون في هذه السنة قليلا وكثرت الإشاعة بهذا فتنبه خزان القمح وأمسكوا أيديهم عن بيعه فحدث مع هذا توقف النيل عن الزيادة في جمادى الآخرة كما تقدم ذكره فجزع الناس وأخذ الأغنياء في شراء القمح وخزنه فارتفع سعره وعز وجوده بعد كساده. فلما من الله بزيادة ماء النيل حتى بلغ القدر المحتاج إليه بزيادة اطمأنت قلوب العامة فأرجف خزان القمح بأن الفتن ببلاد الصعيد عظيمة **وأن الغلاء واقع** من عدم الواصل فلطف الله عز وجل وثبت ماء النيل حتى قرب برد." (١)

"وفيه قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحاج وأن القمح أبيع بمكة كل ويبة ونصف بدينار. وفيه قل وجود الخبز في الأفران لعدم القمح بالساحل وبشون الأمراء ومخازن التجار. وحج بالناس من مصر الأمير يشبك الدوادار الصغير. وفيها عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أفلاق فاضطرب الأمير محمد كرشجي. وفيها **اشتد الوباء بمدينة** فاس من بلاد المغرب وأعمالها حتى فني أكثر الناس سوى من مات ومات في هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيري يوم الأربعاء رابع عشر صفر. ومولده ليلة السبت سادس ذي القعدة سنة ست وستين وسبعمائة وبالقاهرة. ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق شمس الدين محمد بن الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف التركماني المعروف لابن التباني يوم الأحد ثامن عشرين رمضان. ومات سعد الدين بن بنت الملكي في ثالث رمضان. ولي نظر الجيش. ومات زين الدين حاجي الرومي شيخ التربة التي أنشأها الملك الناصر فرج على قبر أبيه

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٣٩٥

الملك الظاهر برقوف خارج باب النصر من القاهرة ليلة الخميس رابع عشرين شوال واستقر عوضه في مشيختها الشيخ شمس الدين محمد البساطي المالكي بعناية الأمير ططر نائب الغيبة. ومات الملك سكندر بن ميرز شيخ عمر بن تيمورلنك وكان قد ملك بلاد فارس بعد قتل أخيه يبر محمد عدة سنين ثم خالف على عمه شاه رخ فسار إليه وقاتله." (١)

"مائتي جمال وفيها عدة سروج من عقيق بأطراف ذهب وقطاط يخرج منها الزباد فقبلت هديته وقرئ كتابه وأنزل رسوله وأجرى عليه ما يليق به. وفيه رسم أن يزاد في قطيعة الفدان بأراضي مصر مبلغ مائتي درهم فيصير بستمائة درهم الفدان بعدما كان بأربعمائة درهم وهذا يقتضي استمرار غلاء الأسعار لأن الغلال لا تتحصل إلا وقد استقامت على أربابها بسعر عال والخسارة لا يأتيها أحد طوعا خصوصا ومعظم غلال أرض مصر للسلطان والأمراء. وفيه استدعي تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر وخلع عليه خلع الوزارة كرها وكانت شاغرة منذ عزل بن الهيصم. وفي هذا الشهر: خصب البرسيم الأخضر وكثر وانحط سعره بحيث أنه كان يباع الفدان منه بألف ومائتي درهم فنزل إلى مائتي درهم ولهذا عنت البهائم في **هذا الغلاء لكثرة** اعتلافها من البرسيم الأخضر. وفيه تزايدت أسعار الغلال فبلغت البطة الدقيق إلى مائتين وخمسين درهما ولم يعهد فيما تقدم من الغلوات مثل ذلك. وفي ثالث عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج. وفي سادس عشرينه: ركب السلطان ونزل إلى دار الضيافة بجوار القلعة وقد جمع بها الصناع من الحجارين والبنائين والفعلة وأقام بها صدرا من النهار وقد شرعوا في مرمتها وكانت تشعثت لخلولها في الأيام الظاهرية والناصرية فذبح فيه للصناع بقرة طبخت واستمر العمل في دار الضيافة مدة أيام. وفي ثامن عشرينه: نودي بتأهب أجناد الحلقة للعرض على السلطان في أول ربيع الأول وندب جماعة من البريدية توجهوا إلى جميع أعمال مصر لإحضار من في النواحي من الأجناد. وفي هذا الشهر: قدم الأمير كزل نائب ملطية في جماعة وهجموا على حلب فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها بعدما قتل منهم وأسر طائفة. وفيه استقر الأمير ركن الدين عمر بن الطحان نائب قلعة صفد. وفيه ارتفع السعر بالرملة حتى بلغت العليقة الشعير إلى اثني عشر درهما فضة ثم انحط.." (٢)

"وفيه بطلت تفرقة الأخباز السلطانية على الفقراء لسعة الوقت وذهاب الغلاء. وفي سادس عشره: تجاوز عدد من يرد اسمه الديوان من الأموات مائة نفس في اليوم. وهذا سوى من يموت بالمارستان وفي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٤٠٠

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٤٠٦

عدة مواضع خارج المدينة ويكون ذلك نحو الخمسين نفسا. وفي ثاني عشرينه: كانت عدة من صلي عليه من الأموات - بمصلى باب النصر خاصة - من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتا وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت في الأماكن بحيث مات في أسبوع واحد من درب واحد ثلاثون إنسانا وكثير من الدور يموت منها العشرة فصاعدا وقدم الخبر **بكثرة الوباء أيضا** ببلاد الصعيد وفي طرابلس الشام وأحصي من مات بها في مدة أيام فكانت عدتهم عشرة آلاف إنسان **وكثر الوباء أيضا** بالوجه البحري من أراضي وفي سادس عشرينه: تجاوزت عدة أموات القاهرة المائتين. وفيه قدم الطواشي مرجان الهندي الخازندار من الصعيد بغلال كثيرة وقد انحل السعر فبيع الأردب القمح بمائتين وسبعين درهما وعنها يومئذ مثقال ذهب فإن الناس لم يمتثلوا ما رسم به في سعر الذهب وبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين والأفرنتي إلى مائتين فقط. وقدم الخبر بأن معظم أهل مدينة هو - من صعيد مصر - قد ماتوا بالطاعون. وفي ثامن عشرينه: أنفق من الديوان المفرد على أرباب الجوامك من الأمراء والمماليك وغيرهم ذهب وفضة مؤيدية فحسب عليهم المثقال الذهب بمائتين وسبعين والأفرنتي بمائتين وخمسين. ولم يصرف لأحد منهم فلوس ورسم بأنها تخزن وأن لا يقبض من أحد أبيع عليه شيء من الغلال المحضرة من الصعيد إلا الفلوس لا غير وذلك ليغير ضربها وتعمل فلوس مؤيدية. وفيه خلع على الأمير قطلوبغا واستقر في نيابة الإسكندرية وعزل أقبردي المنقار وكان قطلوبغا هذا ممن أنعم عليه الأمير منطاش بإمرة مائة فطال حموله في الأيام الظاهرية والناصرية حتى تنبه في هذا الوقت وولي بغير سؤال ولا قدرة على ما يتجهز به.." (١)

"وفيه قتل بدمشق يعقوب شاه وشاهين الأجرود وطوغان المجنون. وفيه خرجت عدة من الأمراء لقتال أهل البحيرة فتبعوهم واحتووا لهم على كثير من الجمال والغنم والبقر والخيل حملت إلى السلطان وقتلوا عدة من الناس. وفيه **اشتد الغلاء بنابلس** وكثر فساد محمد بن بشارة بأرض صفد. وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج كاشف الكشاف بطائفة من أهل البحيرة واستاق لهم من الأغنام الشعاري أربعة آلاف وستمائة رأس وأغنام ضأن ثلاثمائة رأس وأبقار مائتي رأس وحمير مائتي رأس بعثها إلى السلطان سوى ما حصل بيده ويد أعوانه ثم جهز أيضا غنما شعاري ثلاثة آلاف رأس وغنم ضأن ألف رأس وخيلا عشرين فرسا ومائتي رأس من البقر ومائة حمار. وفيه كتب إلى عرب لبيد - أهل برقة - بنزولهم على البحيرة واستيطانها وقتال أهلها وأخذهم. شهر ربيع الأول أوله يوم الأربعاء: فيه كثر الموتان بالقاهرة ومصر وتجاوزت عدة من ورد اسمه الديو ا ن من المولي الثلاثمائة وتوهم كل أحد أن الموت أتيه عن قريب لسرعة موت من يطعن وكثرة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٠٨/٦

من يموت في الدار الواحد وتواتر **انتشار الوباء في** جميع أراضي مصر وبلاد الشام والمشرق بحيث ذكر أنه بأصبهان غالب أهلها حتى صار من يمشي بشوارعها لا يرى أحدا يمر إلا في النادر وأن مدينة فاس بالمغرب أحصى من مات بها في مدة ثلاثين يوما ممن ورد الديوان – سوى الغرباء من المساكين – فكانوا ستة وثلاثين ألف وأن المساكن عندهم صارت خالية ينزل بها من قدم إليها من الغرباء وأن هذا عندهم في سنتي سبع عشرة وثمان عشرة وثمانمائة. وفي هذا الشهر: تصدى الأمير بدر الدين الأستادار لمواراة من يموت من المساكين بعد تغسيلهم وتكفينهم فحسن الثناء عليه. وفيه وعك السلطان من عاشره وشنع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان فلا." (١)

"فكثر خوض الناس في حديث الذهب وتوقفوا في أخذه ثم أفرج عنهم من الغد ولم يتقرر شيء يعتمد عليه في أمر الذهب. وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات تسعة وعشرين وقدم الخبر من دمشق بتزايد الموتان عندهم وأنه يموت في اليوم ستون إنسانا وأنه **ابتدأ الوباء عندهم** من أثناء ربيع الأول عندما تناقص من ديار مصر. وفي ثامن عشره: كتب السلطان بطلب الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أسعد العبسي القدسي الديري الحنفي من القدس ليستقر به في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر عوضا عن ابن العديم بعد موته. وفي عشرينه: بعث السلطان تشريفا إلى الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج كاشف الوجه البحري ليستقر أستادارا عوضا عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين وكتب إليه بحضوره. وفيه تقرر على الأمير بدر الدين بحمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار بعد ما عصر في بيت الأمير جقمق عصرا شديدا وضربت الحوطة على موجوده وتتبعت حواشيه وأسبابه وألزامه فقبض عليهم. وفيه قدم الخبر بأن عدد الموتى بدمشق بلغ إلى مائة إنسان في اليوم ممن يرد اسمه للديوان. وفي حادي عشرينه: قبض على كثير من الصيارفة والتجار ورسم عليهم وأخذوا من الغد وأحضروا بالقلعة فلم يتهيأ لهم حضور بين يدي السلطان وتقرر معهم ألا يخالفوا ما يرسم به في الذهب وأفرج عنهم بعدما أرجف بأنهم يشنقوا ونودي أن يكون المثقال الذهب بمائتين وخمسين والدينار الأفرنتي بمائتين وثلاثين وأن لا يتعامل بالناصري بل يقص ويصرف بحساب الذهب الهرجة المصري فشق ذلك على الناس وتلف لهم مال كثير. وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج إلى القاهرة. وفي رابع عشرينه: نودي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٠٩/٦

على النيل أنه زاد ثلاثة أصابع وأن القاع بلغ سبعة أذرع ونصف ذراع. وفي خامس عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبي الفرج واستقر أستادارا مع ما بيده من كشف الوجه البحري.." (١)

"وفيه خلع على زين الدين قاسم قاضي العلايا من بلاد الروم واستقر في قضاء العسكر وإفتاء العدل على مذهب الحنفية وكانتا قد شغرتا من مدة وقاسم هذا قدم إلى القاهرة من نحو سنة وحضر في مجلس السلطان مع من يحضر من الفقهاء في كل أسبوع. وقدم الخبر **بكثرة الوباء بالقدس** وصفد وأنه ابتدأ عندهم من مدة أشهر. وفيه وعك السلطان. وفيه مات أيدغمش بن أوزر من أمراء التركمان في الاعتقال بدمشق. وفيه قدمت هدية سلمان بن أبي يزيد بن عثمان متملك برصا فأنزل قاصده بدار الضيافة وقبلت هديته ورسم أن تجهز له هدية. شهر رمضان المعظم أوله الجمعة: لم يشهد فيه السلطان الجمعة لملازمته الفراش. وفيه فرق الطواشي فيروز في الناس مبلغا من المؤيدية على العادة. وفيه رتب السلطان عدة أبقار تذبح في مواضع متعددة ويفرق لحمها كما كانت عادة الملك الظاهر برقوق في شهر رمضان. وفي يوم الخميس سابعه: خلع على الأمير أقبغا شيطان شاد الدواوين واستقر في ولاية القاهرة وعزل الأمير خرز فصار بيده ولاية القاهرة وشد الدواوين والحجربية وخلع على خرز واستقر في نقابة الجيش. وفي تاسعه: نودي بأن يكون سعر المؤيدي ثمانية دراهم وأن تكون الفلوس بخمسة دراهم ونصف كل رطل ويكون الدينار الأفرنتي بمائتين وثلاثين وهدد من زاد في ذلك أو غيره. وكان الأفرنتي قد بلغ إلى أحد وثلاثين مؤيديا. وفيه قدم الشريف بركات بن الأمير حسن بن الأمير عجلان من مكة المشرفة بخيل وغيرها تقدمة للسلطان فقبلت منه وأنزل وأجرى عليه راتب. وفي حادي عشره: خلع على الأمير خرز واستقر شاد الداوين عوضا عن أقبغا شيطان وجعل من جملة الحجاب فصار شاد الدواوين نقيب الجيش حاجبا.." (٢)

"ويسبي الحريم ويخرب الديار فعليكم بجهاده كلكم بأموالكم وأنفسكم. فدهى الناس عند سماعهم هذا واشتد قلقهم. وكتب إلى ممالك الشام أن ينادي بمثل ذلك في كل مدينة وأن السلطان واصل إليهم بنفسه وعساكره. وكتب إلى الوجه القبلي بإحضار الأمراء. وفيه بلغ ماء النيل في زيادته عشر أصابع من تسعة عشر ذراعا ونقص في يومه إصبعين بعدما نقص خمسا وذلك قبل أوان نقصه فارتفع سعر الغلال وتخوف الناس الغلاء. وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: نودي بين يدي الأمير خرز نقيب الجيش في أجناد الحلقة بتجهيز أمرهم للسفر إلى الشام ومن تأخر حل به كذا وكذا من العقوبة. شهر رمضان أوله الأحد:

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٤١٢

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٤١٨

فيه قدم الخبر بأن قرايلك رحل من حلب وأقام بها الأمير يشبك نازلا بالميدان وعنده نحو مائة وأربعين فارسا وقد خلت حلب من أهلها إلا من التجأ إلى قلعتها. فأتاه النذير ليلا أن عسكرا قرايوسف قد أدركه فركب قبيل الصبح فإذا مقدمته على وطأة بابلا فواقعهم وهزمهم وقتل وأسر جماعة فأخبروه أنهم جاءوا لكشف خبر قرايلك وأن قرايوسف بعين تاب. فعاد وتوجه إلى سرمين فلما بلغ قرايوسف هزيمة عسكره كتب إلى نائب حلب يعتذر عن نزوله بعين تاب وأنه ما قصد إلا قرايلك فإنه أفسد في ماردين فبعث إليه صاروخان – مهمندار حلب – فلقيه على جانب الفرات وقد جازت مجموعة الفرات وهو على نية الجواز فأكرمه واعتذر عن وصوله إلى عين تاب وحلف أنه لم يقصد دخول الشام وأعاده بهدية للنائب فسر السلطان بذلك. وكان سبب حركة قرايوسف أن الأمير فخر الدين عثمان بن طر علي بن محمد – ويقال له قرايلك – صاحب آمد نزل في أوائل شعبان على مدينة ماردين من بلاد قرايوسف فأوقع بأهلها وأسرف في قتلهم وسبي نساءهم وباع الأولاد والنساء حتى أبيع صغير بدرهمين وحرق المدينة ورجع إلى آمد فلما بلغ قرايوسف ذلك اشتد حنقه وسار ومعه الطائفة المخالفة للسلطان يريد أخذ قرايلك ونزل على آمد." (١)

"وفي سادس عشرينه: انتهي عرض أجناد الحلقة. وفي هذا الشهر: تتبع صدر الدين محتسب القاهرة أماكن الفساد بنفسه ومعه والي القاهرة فأراق آلافا من جرار الخمر وكسرها ومنع النساء من النياحة على الأموات ومنع من التظاهر بالحشيش وكف البغايا عن الوقوف لطلب الفاحشة في الأسواق ومواضع الريب وألزم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام الواسعة وتصغير العمائم حتى لا تتجاوز عمامة أحدهم سبعة أذرع وأن يدخلوا الحمامات بجلاجل في أعناقهم وأن تلبس نساوهم أزرا مصبوغة ما بين إزار أصفر لليهودية وإزار أزرق للنصرانية فاشتد قلقهم من ذلك وتعصب لهم قوم فعمل بعض ما ذكر دون باقيه. وبلغت عدة من ورد الديوان من الأموات في هذا الشهر بمدينة بلبيس ألف إنسان وبناحية بردين من الشرقية خمسمائة نفس وبناحية ديروط من الغربية ثلاثة آلاف إنسان سوى بقية القرى وهي كثيرة جدا. شهر ربيع الآخر أوله الخميس: في ثالثة: بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات بالقاهرة إلى مائة وستة وتسعين سوى المارستان ومصر وبقية المواضع التي لا تود الديوان وما تقصر عن مائة أخرى. هذا مع شناعة الموتان بالأرياف وخلو عدة قرى من أهلها. وفي خامسه: خدع قاضي القضاة الهروي الموكلين به من الأجناد حتى مكنوه أن يخرج من داره فالتجأ إلى بيت الأمير قطلوبغا التنمي فطار الخبر في الوقت إلى الأمير مقبل الدوادار وغيره بأن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٧٦/٦

الهروي قد هرب وبلغ السلطان ذلك فبعث الأمير تاج الدين الشويكي أستادار الصحبة إليه فأخذه من بيت التنمي وحمله إلى القلعة فسجنه بها في أحد أبراجها وضرب الدوادار الأجناد الموكلين به ضربا مبرحا. وفي يوم الخميس ثامنه: نودي في الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام أخرها يوم الخميس خامس عشره ليخرجوا مع السلطان فيدعوا الله بالصحراء في **رفع الوباء ثم** أعيد النداء في ثاني عشره أن يصوموا من الغد فتناقص عدد الأموات." (١)

"وبما حولها فهلك خلق كثير لم يسلم منهم أحد. **وأن الوباء عم** أهل إقريطش والبندقية من بلاد الفرنج حتى خلتا وأن الفرنج قد اجتمعوا لحرب ابن عثمان متملك برصا. وفي ثاني عشرينه: أنزل بالهروي مع معتقله بالبرج مع الأمير التاج إلى المدرسة الصالحية بين القصرين وقد اجتمع قضاة القضاة الثلاث عند شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني بقاعته منها فأوقف الهروي تحت حافة الإيوان وادعي الأمير التاج عليه عند الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر - بحضرة القضاة - بما ثبت عليه عنده في مجلس السلطان فأجاب بأن ما ثبت عليه قد أدى بعضه وأنه يحمل باقيه قليلا قليلا فطلب التاج حكم الله فيه فأمر بسجنه حتى يودي ما عليه فأخرج به إلى قبة الصالح فسجن بها ووكل به جماعة يحفظونه. فأقام إلى ثامن عشرينه ونقل من القبة إلى قلعه الجبل من كثرة شكواه بأنه يمر به من سب الناس ولعنهم له ما لا يحتمل مثله وأنه لا يأمن أن يفتك الناس به لكراهتهم فيه فعندما صار بجامع القلعة نقل للتاج أن الهروي ما أراد بتحوله من القبة إلى القلعة إلا القرب من خواص السلطان ليتمكن منهم حتى يشفعوا له عند السلطان في خلاصه فبادر ونقله من جامع القلعة إلى موضع يشرف على المطبخ السلطاني. وقدم الخبر برحيل ابن السلطان من حلب ودخل إلى مدينة قيسارية الروم في يوم الخميس تاسعه فحضر إليه أكابرها من القضاة والمشايخ والصوفية وتلقوه فألبسهم الخلع وطلع قلعتها في يوم الجمعة وخطب في جوامعها للسلطان وضربت السكة باسمه. وأن شيخ جلبي نائب قيسارية تسحب قبل وصوله إليها وأنه خلع على الأمير محمد بك قرمان وأقره في نيابة السلطنة بقيسارية الروم فدقت البشائر بقلعة الجبل وفرح السلطان بأخذ قيسارية فإن هذا شيء لم يتفق لملك من ملوك الترك بمصر سوى للظاهر بيبرس ثم انتقص الصلح بينه وبين أهلها.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٩٥/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٩٨/٦

"شيء مما ينكر كالخمور ونحوها لإعراض السلطان عنها. فلما نزل بالخروبية أرست الحراريق بساحل مصر - كما هي عادتها - إلى أن كان يوم الوفاء في سادس عشره ركب السلطان من الخروبية في الحراقة على النيل إلى المقياس ثم إلى الخليج حتى فتح على العادة. وتوجه على فرسه في الموكب إلى القلعة فكانت غيبته عنها في تنزهه ثلاثين يوما. وبلغ مقدار ما حمله الأمير أبو بكر الأستادار إلى السلطان منذ باشر إلى آخر هذا الشهر مائة ألف دينار وستة وعشرين ألف دينار كلها من مظالم العباد ما منها دينار إلا وتلف بأخذه عشرة وتخرب بجبايته من أرض مصر ما يعجز القوم عن عمارته. ولو شاء ربك ما فعلوه. وقدم الخبر بوصول ابن السلطان إلى حلب في ثالث رجب وأن الأمير تنبك ميق العلائي نائب الشام واقع مصطفى بن محمد بن قرمان وإبراهيم بن رمضان على أذنه فانهزما منه وأن يشبك الدوادار - الفار من المدينة النبوية - أقام ببغداد عند شاه محمد بن قرا يوسف منذ قدم عليه ثم فر منه ولحق بقرا يوسف لما بينه وبين ابنه شاه محمد من التنكر. وقدم الخبر من الإسكندرية بتجمع العامة في سادس عشرينه وأنهم أخذوا السلاح والأحجار وكسروا للفرنج ثلثمائة بنية خمر ثمنها عندهم أربعة آلاف دينار. ثم مالوا على جميع بيوتهم ومخازنهم فأراقوا ما فيها من الخمر ونهبوها. وتعرضوا لنهب بيوت القزازين وأراقوا ما وجدوا فيها من الخمر فكان يوما مشهودا. ولم يعلم لهذه الفتنة سبب. شهر شعبان. أوله الأربعاء. في ثامنه: كان نوروز القبط. والنيل على ثمانية عشر ذراعا تنقص إصبعا فلما فتح بحر أبي المنجا فقص النيل عشر أصابع. وارتفعت الأسعار فبلغ القمح ثلاثمائة درهم الأردب وزاد سعر اللحم وغيره. وسببه قلة الغلال بالوجه القبلي من خسة وقوعها بعد حصادها ثم كثرة قطاع الطريق في النيل وأخذهم المراكب الموسقة بالغلال ونحوها مع كثرة ما حمل من الغلال إلى الحجاز **لشدة الغلاء به** وشره أهل الدولة وأتباعهم في الفوائد واختزانهم الغلال طلبا للزيادة في أسعارها.." (١)

"ناصر الدين محمد بن البارزي على العادة فأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب كما جرت به العادة. وفي عشرينه: برز الأمير التاج بالمحمل إلى الريدانية ظاهر القاهرة بعدما خلع عليه خلعة سنية. وتتابع خروج الحاج. وفي يوم الجمعة حادي عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه وقد هيئت المطاعم والمشارب فمد سماط عظيم وملئت البركة التي بصحنه سكرا قد أذيب بالماء وأحضرت الحلاوات لإجلاس قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي على سجادة مشيخة الصوفية وتدريس الحنفية وخطابة القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر. فعرض السلطان الفقهاء وقرر منهم عند المدرسين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٥٠٥

السبعة من اختار ثم أكل على السماط وتناهبه الناس وشربوا السكر المذاب وأكلوا الحلوى. ثم استدعي الديري وألبس خلعة واستقر في المشيخة وتدريس الحنفية. وجلس بالمحراب والسلطان وولده عن يساره والقضاة عن يمينه ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة فأرقى درسا تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة حتى قرب وقت الصلاة ثم انفضوا. فلما حان وقت الصلاة صعد ابن البارزي المنبر وخطب خطبة من إنشائه بلغ فيها الغاية من البلاغة ثم نزل فصلى. فلما انقضت الصلاة خلع عليه واستقر في الخطابة وخزانة الكتب. ثم ركب السلطان وعدى النيل إلى الجيزة فأقام إلى يوم الأحد ثالث عشرينه وعاد إلى القلعة. وفيه رحل ركب الحاج الأول من بركة الحاج ورحل التاج بالمحمل من الغد. وفيه سرح السلطان إلى ناحية شيبين القصر وعاد إلى القلعة من الغد. وقدم الخبر **أن الغلاء اشتد** بمكة فعدمت بها الأقوات وأكلت القطط والكلاب حتى نفدت فأكل بعض الناس الآدميين وكثر الخوف منهم حتى امتنع الكثير من البروز إلى ظاهر مكة خشية أن يؤكلوا. شهر ذي القعدة أوله الأحد: فيه ركب السلطان للصيد.." (١)

"الأمير دواوين بن دلغادر مع الأمراء وتأخير ابن قرمان. ثم نهض السلطان قائما إلى القصر وأحضر ابن قرمان وأنعم على داود وأركب هو ومملوك أبيه قانباي بالقماش الذهب. ورتب له ما يليق به. ثم أمر بابن قرمان فجلس ولامه السلطان على تعرضه لطرسوس وشرهه لما أوجب وقوعه في الأسر. ووبخه على قبيح سيرته وتعرضه لأخذ أموال رعيته وعلى خيانته لكرشجي بن عثمان متملك برصا وإحراقه بعض بلاده بعد ما من عليه وأطلقه. فسأل العفو. ثم قال: لمن يعطي مولانا السلطان البلاد فضحك منه وقال له: وما أنت والبلاد. ثم أمر به فأخرج إلى الاعتقال فسجن بالقلعة. وأمر السلطان بأن يكتب ابن قرمان إلى نوابه بالبلاد القرمانية أن يسلموا ما بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان وأعلم أنهم متى لم يسلموا ما قد بقي بأيديهم منها إلى نواب السلطان وإلا قتل فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة. وفيه قدم مبشرو الحاج وأخبروا بأن الوقفة بعرفة كانت يوم الأربعاء بخلاف ما كانت بمصر. وأخبروا بأن حاج العراق لم يأتوا. **وأن الغلاء شديد** بمكة وأن الغرارة القمح أبيعت بخمسة وعشرين دينارا وهي سبع ويبات مصرية. ثم انحطت لما قدم الحاج إلى عشر دينارا. وأن السمن والعسل واللحم في غاية القلة لعدم المطر. وأن مسجدي مكة والمدينة قد تشعثا ويخاف خرابهما. وأن الجانب الشامي من الكعبة قد آل إلى السقوط. وفي ثالثه: قدم الأميران ألطنبغا القرمشي وطوغان أمير آخور كبير من الحجاز فكانت مدة غيبتهما تسعة وخمسين يوما. وفي رابعه: ركب السلطان للصيد وعاد من يومه. وقدم على بار – أحد الأمراء الأينالية من التركمان –

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٥٠٩

فأكرمه السلطان وأنعم عليه. وجهز الأمير قجقار القردمي رسولا إلى ابن عثمان متملك برصا وعلى يده كتاب يتضمن القبض على ابن قرمان واعتقاله. وفيه استقر الأمير شاهين الزردكاش نائب حماة في نيابة طرابلس. واستقر في نيابة حماة عوضه الأمير أينال السيفي نائب غزة. واستقر عوضه في نيابة غزة الأمير أركماس الجلباني أحد الأمراء مقدمي الألوف بديار مصر. وأفرج عن الأمير نكباي من سجنه بقلعة دمشق واستقر في نيابة طرسوس وإحضار نائبها الأمير تاني بك إلى حلب.." (١)

"واستقر الأمير خليل الجشاري أحد أمراء الألوف بدمشق في الحجوبية بدمشق عوضا عن نكباي المذكور. واستقر الأمير سنقر المؤيدي نائب قلعة دمشق في الحجوبية بطرابلس عوضا عن الأمير سودن بن علي شاه بعد وفاته. واستقر الأمير كمشبغا التنمي في نيابة قلعة دمشق. واستقر الأمير أقبغا الأسندمري - الذي كان نائب سيس وحمص - حاجبا بحماة وكان بطالا بالقدس عوضا عن الأمير سودن السيفي علان بحكم عزله واعتقاله. وفي سادس عشره: نقل عز الدين عبد العزيز البغدادي من تدريس الحنابلة بالجامع المؤيدي إلى قضاء الحنابلة بدمشق واستقر عوضه في التدريس محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي وخلع عليهما. وفي عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. وقدم الأمير التاج بالمحمل من الغد. وكتب بالإفراج عن الأمير برسباي الدقماقي الظاهري من قلعة المرقب واستقراره في جملة الأمراء الألوف بدمشق. وفي هدا الشهر: أغاث الله الزروع في الوجه البحري وأسقاها فأخصبت بعد ما كانت جافة فانحل السعر قليلا. وفيه عز وجود القمح بالوجه القبلي وبلغ الأردب المصري إلى دينارين واقتاتوا بالذرة وأكثروا من زراعتها لسوء حالهم وبوار أرضهم وخراب قراهم وقلة المواشي عندهم حتى لقد وفيه قدم الخبر بفتنة كانت في شهر رمضان ببلاد اليمن ثار فيها حسين بن الأشرف على أخيه الناصر أحمد وأنه عم بلاد اليمن جراد عظيم أهلك زروعهم **فاشتد الغلاء عندهم**. وفيه انتقض على السلطان ألم رجله وتزايد فلزم فراشه. شهر صفر أوله الخميس: فيه عدى السلطان النيل ونزل بناحية أوسيم على العادة في كل سنة فقدم عليه بها في ثامنه رسول الأمير على باك بن قرمان نائب لارندة ونكدة وقونيا ومعه هدية وكتاب يتضمن أنه أخذ مدينة قونيا وأقام فيها الخطبة باسم السلطان وضرب." (٢)

"القاهرة لينشئ السلطان حولها بستانا جليلا ويجعل ذلك عوضا عن قصور سريا قوس ويسرح إليها كما كانت سرحة سريا قوس. وفي خامسه: سافر قاضي القضاة علاء الدين علي بن مغلي الحنبلي إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٧

مدينته لينظر في أحواله واستخلف على قضاء القضاة بعض ثقاته. وفي ثالث عشره: ابتدأ بالسلطان ألم تجدد له من حبس الإراقة مع ما يعتريه من ألم رجله. وفي سابع عشره: صرف الصاحب بدر الدين بن نصر الله من أستادارية ابن السلطان. وأقيم بدله جمال الدين يوسف بن خضر بن صاروجا المعروف بالحجازي وأصله من الأكراد وقدم القاهرة وترقى حتى عمل أستادارية الأمراء في الأيام الناصرية فرج. وتمكن عند الأمير طوغان الحسني الدوادار تمكنا زائدا فعظم قدره. ثم لما قبض على طوغان فر إلى مكة وأقام بها مدة. ثم حضر إلى القاهرة وباشر الدواليب السلطانية بالوجه القبلي زمانا فنكبه الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج وعاقبه وصادره ثم أفرج عنه فلزم داره حتى الأمير أبو بكر الأستادار سعى جمال الدين يوسف في الأستادارية فأخرق به الصاحب بدر الدين بن نصر الله وأراد القبض عليه فلم يمكنه السلطان منه وعنى به ثم ولاه بعد ذلك أستادارية ولده. وفي ثاني عشرينه: اشتد بالسلطان الألم وتزايد به إلى يوم الأربعاء رابع عشرينه نودي في القاهرة بإبطال مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة وهو في كل سنة نحو ستة آلاف دينار سوى ما يأخذه القبط الكنبة والأعوان – ويقارب ذلك – فبطل ونقش ذلك على باب الجامع المؤيدي. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بالإسكندرية** والبحيرة وكثر الإرجاف بحركة قرا يوسف إلى جهة البلاد الشامية. شهر جمادى الأولى أوله الأربعاء: وفي ثانيه: ركب السلطان – وقد أبل من مرضه – إلى خارج القاهرة وعبر من." (١)

"وفي ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن محمود العجمي وأعيد إلى حسبة القاهرة عوضا عن جمال الدين يوسف البساطي. وفيه نودي بمنع النساء من الخروج إلى الترب وتشدد الأمير جقمق الحاجب في ذلك. وكان قد كثر في هذا الشهر مرض الناس. ومات عدة منهم فصارت النساء يترددن إلى الترب في أيام الجمع ويقمن بها المآتم والعزاء. وقدم الخبر بعظم الفناء ببلاد الفرنج – سيما رودس – **وبشدة الغلاء ببلد** العلايا ونحوها من بر التركية. وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: ابتدأ الأمير نظام الملك برسباي في نفقة المماليك وهو والأمراء على تخوف منهم أن يمتنعوا من أخذها. وذلك أنهم وعدوا في نوبة جانبك الصوفي. بمائة دينار لكل واحد فلم يصرف لكل واحد منهم سوى خمسين دينارا من أجل قلة المال فإن الظاهر ططر أتلف المال الذي كان خلفه المؤيد شيخ حتى لم يبق منه غير ستين ألف دينار. ومع ذلك فإنه زاد في نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما ينيف على عشرة آلاف دينار. فأحسن الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى على أنه قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠/٧

حسن بن نصر الله ناظر الخاص بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية وبعشرين ألف دينار في نفقة المماليك. وتسلم منهما الأمير أرغون شاه عشرين ألف أردب شعيرا. وعندما استقر أرغون شاه أستادارا وهب الناس واشتد عليهم وخشن جانبه حتى غلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفا من بطشه. وكتب يطلب متدركي النواحي ليصادرهم. وقرر على مباشري الدولة بأسرهم أموالا يحملونها إليه فقرر على الوزير الصاحب تاج الدين بن كلاب المناخ ستة آلاف دينار وعلى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص عشرة آلاف دينار وعلى من دونهما بحسب ما سولت له نفسه حتى اجتمع من ذلك نفقة المماليك فأنفق في ثلاثة آلاف ومائتي مملوك مبلغ مائة وستين ألف دينار فأخذوا النفقة وانفضوا بغير شر ولله الحمد. وفي يوم الخميس تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم وأنهم وقفوا بعرفة يوم الجمعة وأنه لم يرد حاج من العراق ولا من اليمن. وفي هذه السنة: كانت حروب مثيرة بين طوائف الفرنج اقتتل فيها طائفة الكتيلان مع الفنش فهزموه وقتل بينهم عشرة آلاف فأقل ما قيل أن عدة قتلاهم ثمانون ألفا.." (١)

"وفيه عمل المارستان المؤيدي الذي بالصوة تحت القلعة جامعا تقام به الجمعة والجماعة ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة. وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدي. وأن المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان ونزل به المرضى. فلما مات لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة تصرف فأخرجت المرضى منه وأغلق وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق فبقي حانة خمار برسم شرب المسكرات وشرب الطنابير وعمل الفواحش. ومع ذلك تربط به الخيول. فكان هذا منذ مات المؤيد إلى هذا الوقت فطهره الله من تلك وفيه وقع الشروع في هدم المنظرة التي استجدها المؤيد فوق الخمس الوجوه. ثم انتفض ذلك فبقي بناؤها مشعثا وسكنها بعض فقراء العجم. شهر جمادى الأول أوله الأربعاء: في سابعه: سارات تجريدة إلى بلاد الصعيد. وفي ثامنه: نودي أن لا يخدم أحد من اليهود والنصارى في ديوان من دواوين السلطان والأمراء فلم يتم ذلك. وفي يوم الجمعة تاسعه: جددت خطبة بمدرسة شمس الدين شاكر بن البقري بالجوانية جددها علم الدين داود بن الكويز كاتب السر لقربها من داره التي يسكنها. وفيه قدم الخبر **بكثرة الوباء ببلاد** حلب وحماة وحمص فهلكت خلائق. وفيه أقيمت الجمعة بالمارستان المؤيدي يوم الجمعة سلخه. وفيه رسم أن لا تباع الثياب التي تجلب من بغداد أو الموصل وبلاد الشام والإسكندرية إلا بالنقد. وكانت العادة إذا ورد التاجر بشيء من القماش تسلمته السماسرة وباعته على التجار إلى أجل ثم جبت الثمن في مدة أشهر فمن أجل بيعها نسيئة يزداد ثمنها عما تباع في النداء الحراج زيادة كبيرة فإذا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٧/٧

باعها التاجر أخذ ربحا آخر فتغبن الناس دائما فيما يشترونه من التجار سيماإذا باعوا ذلك في النداء فإنه ربما ثلث الثمن. فامتنع التجار مدة من الشراء نسيمة ثم عادوا لما نهوا عنه. وقدم الخبر إلى العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرا يوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تيمورلنك فمنع الناس من الزرع وطرد." (١)

"وفي خامس عشره: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبي أهلها كما جبى الوجه البحري. وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة ظهر في السماء صفرة من قبل مغرب الشمس كست الجدران والأرض بالصفرة ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة فكنت أمد يدي فلا أراها لشدة الظلام فما بقي أحد بمصر إلا واشتد فزعه فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلي قليلا قليلا وعقبه ريح عاصف كادت المباني تتساقط وتمادي طول ليلة الأربعاء فرأى الناس أمرا مهولا من شدة هبوب رياح عاصفة وظلمة في النهار والليل لم يعهد مثلها بحيث كان جماعة في هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتاهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحري وبعض بلاد الصعيد ورأى بعض من يظن به الخير في منامه كان قائلا يقول ما معناه: لولا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس لكنه شفع فيهم فحصل اللطف. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمشق**. وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكي وإلى القاهرة. وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجي قاضي القضاة الشافعي بدمشق وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضي القضاة الحنفي بها وعدة من تجارها فصودروا. وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحري من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت. وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلف عامة زروعها وأشجارها حتى أكل الأسابيط من فوق النخل فأمحلت ونزح كثير من أهلها فمات معظم الفقراء النازحين جوعا وعطشا ولا قوة إلا بالله. شهر ربيع الآخر أوله الأحد:." (٢)

"في ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة وأقام بناحية وسيم في أمرائه ومماليكه يتنزه ثم عاد. وفي سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسي نائب حلب فخلع عليه ورتب له ما يليق به وقدم له الأمراء على مقدارهم. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمشق**. وفيه قدم الخبر أن مدينة الكرك تلاشى أمرها وخربت قراها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٧/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧٦/٧

وتشتت أهلها وأنها آيلة إلى الدثور. وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أزنيك وملكها بعد ما حاصرها مدة فسار إليه أخوه مراد بعساكره وقاتله فظفربه وقتله وعاد إلى برصا وقد صفا له الجو. شهر جمادى الأولى أوله الثلاثاء: في ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسي إلى حلب على نيابته. وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس وأبيع الأردب القمح بثمانين درهما فيكون كل ثلاثة أرادب بمثقال ذهب وكل أردب بأربعة دراهم فضة وكل ستين رغيفا بدرهم فضة ولم يعهد مثل هذا الرخاء في هذه الأزمنة ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز فالله يحسن العاقبة. وفي رابع عشره: خلع على الأمير جقمق واستقر أمير أخور عوضا عن قصروه نائب وفي يوم السبت تاسع عشر: أمطرت السماء مطرا كثيرا من أول يوم الجمعة أمسه حتى مضى السبت وكانت عامة في معظم أرض مصر قبليها وبحريها فسألت الأودية وظهرت في النيل زيادة نحو ذراع ودثرت مقابر كثرة وسقط ببلاد البحرة برد كبار جدا يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعا. وفي شهر بشنس وفي نصف نهار السبت هذا: هبت رياح قوية ألقت مباني." (١)

"عديدة وعم هبوبها في أكثر أرض مصر فسقط في ناحية أبيار ألف ومائتا نخلة وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألقتها ببعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة. وفي هذا الشهر: انتشر ببلاد الصعيد من الطير التي يقال لها الزرازير أمة لا يحصى عددها إلا الله خالقها سبحانه فأهلكها هذا الريح حتى صار منها عدة كيمان يمر الفارس فيها بفرسه مدة ثلاثة أيام ولولا هلكت لرعت الزروع. وفيه جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد في الكثرة فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر فهلك عن آخره كفايه من الله. وفيه تلفت زروع عدة بلاد من نواحي أرض مصر لكثرة المطر والبرد بحيث وجد في البرد ما وزن الواحدة منه عدة أواقي وتلفت أشجار كثيرة ونخيل كثير بالقرى من الريح وسقط من طير السماء فيما بين الإسكندرية وبرقة شيء كثير جدا من قوة الريح. شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء: في هذا الشهر: **عظم الوباء بدمشق** وفشا في البلاد إلى غزة. وفيه تحرك سعر الغلال بأرض مصر فارتفع الأردب القمح من مائة إلى مائة وأربعين والشعير من سبعين درهما الأردب إلى مائة درهم. وفي سابع عشره: قدم الأمير أرغون شاه من بلاد الصعيد وقد وصل إلى مدينة هو فجبى الأموال وما عف ولا كف وأحضر معه من الأغنام والأبقار والخيول ومن القند والسكر والعسل شيء كثير فخرب في حركتيه المذكورتين إقليم مصر أعلاه وأسفله ثم شرع في رمى ما أحضره على الناس بأغلى الأثمان والعسف في الطلب. شهر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٧٧

رجب أوله الخميس: فيه كملت الوكالة وعلوها بخط الركتن المخلق على يد عظيم الدولة القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش ولم يعسف العمال فيها ولا بخسوا شيئا من أجرهم فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.." (١)

"وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يحييهم حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب ودعا بذلك وهم يؤمنون على دعائه فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت فغرقوا بأجمعهم إلا قليلا منهم فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه وذهب الغرقى بلا قاتل ولا قود. وفي ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضي القضاة الشافعي إلا عشرة نواب وأن يكون للحنفي ثمانية نواب وللمالكي ستة وللحنبلي أربعة. فعمل ذلك مديدة ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت قالة العامة فيهم وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان في أبوابهم حتى اتضعت نواب القضاة في أعين الكافة وانحطت أقداراهم عند أهل الدولة وجهروا بالسوء من القول فيهم. واتفق في هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس في جميع الجهة الشمالية التي يسميها المصريون وجه بحري وانتشار الحمرة في الجهة الشمالية أيضا بعد غروب الشمس حتى يمضي من الليل ساعة وتصير الأرض والجدران وغير ذلك في هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك. وفيه **تناقص الوباء ببلاد** الشام بعد ما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصي من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفا وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء فخلت الدور منهم إلا قليلا وفيه **وقع الوباء ببلاد** الخليل عليه شهر شعبان أوله السبت: في يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفي فر من السجن بالإسكندرية فلم يقدر عليه فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة. وقدم الخبر **بوقوع الوباء بدمياط**.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٧٨

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٨٠

"بيبرس والظاهرية المستجدة بين القصرين وبخانكاة شيخو وبالجامع المؤيدي أخذوا في النزول عما باسمهم من التصوف بمال حتى يتشفعوا بمن له جاه ويستقروا في عمارة السلطان من جملة صوفيتها كما فعل جماعة عند ما أنشأ الملك المؤيد شيخ الجامع بجوار باب زويلة وجعل فيه صوفية فوشى بذلك للسلطان وفي يوم الجمعة سابعه: أقيمت الخطبة بالجامع الأشرفي ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلي. وفي خامس عشره: قدم قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي من دمشقي وقد طب الحضور. وفي ثامن عشره: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن العطار الحموي الذي كان نائب الإسكندرية واستقر ناظر القدس والخليل عليه السلام عوضا عن الأمير حسام الدين حسن نائب القدس. وفي هذا الشهر: صودر أعيان دمشق وهي ثالث مصادرة. وفي تاسع عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي والي أستادار وعلى ناظر الديوان المفرد كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم وعوقا بالقلعة. شهر جمادى الآخرة أوله الأحد: في ثانيه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله وأعيد أستادارا عوضا عن ابن أبي والي وأضيف إليه كشف الوجه البحري فنزل في موكب جليل ومعه أكثر الأمراء الأكابر وعامة الأعيان. وفيه قدم الخبر بوصول الشريف علي بن عنان إلى ينبع بمن معه من المماليك المجردين. وتوجه الأمير قرقماس معه إلى مكة فدخلوها يوم الخميس سادس جمادى الأولى بغير حرب. وأن الشريف حسن بن عجلان سار إلى حلي بنى يعقوب من بلاد اليمن. وأن الوباء. بمكة ابتدأ من نصف ذي الحجة واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت في اليوم خمسون إنسانا عدة أيام **وأن الوباء تناقص** من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء في ثالث جمادى الأولى سيل عظيم حتى صار المسجد الحرام بحرا ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود وصار." (١)

"مصر والشام نحوا من ثلاثين سنة فإنه فر من ضائقة نزلت به إلى مدينة برصا فأكرمه أبو يزيد بن عثمان ونوه به حتى حاربه تيمورلنك وأسره فتحول ابن الجزري من بلاد الروم إلى سمرقند في خدمة تيمور وأقام ببلادهم حتى قدم في هذه الأيام. وفي رابع عشرينه: نودي على النيل وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين إصبعا. شهر شعبان أوله الأربعاء: فيه تتبعت البغايا وألزمن بالزواج وأن لا يزاد في مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس تعجل منها مائتان وتؤجل مائتان. ونودي بذلك فلم يتم منه شيء. وفيه ابتدئ بقراءة صحيح البخاري بين يدي السلطان وحضرة القضاة ومشايخ العلم والهروي وابن الجزري وكاتب السر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٩٧/٧

نجم الدين بن حجي ونائبه بدر الدين محمد بن مزهر وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش والفقهاء الذين رتبهم المؤيد. فاستجد في هذه السنة حضور كاتب السر ونائبه وحضور ناظر الجيش. وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخاري أول يوم من شهر رمضان ويحضر قاضي القضاة الشافعي والشيخ سراج الدين عمر البلقيني وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط. ويختم في سابع عشرينه ويخلع على قاضي القضاة ويركب بغلة رائعة بزناري تخرج له من الاصطبل السلطاني ولم يزل الأمر على هذا حتى لسلطن المؤيد شيخ فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان. وطلب قضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضا فكانت تقع بينهم بحوث يسيء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة فجرى السلطان الأشرف برسباي على هذا واستجد كما ذكرنا حضور المباشرين وكثر الجمع. وصار المجلس جميعه صياحا ومخاصمات يسخر منها الأمراء وأتباعهم. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمياط** فمات عدد كثير. شهر رمضان أوله الخميس: وفي رابعه: أخرج الأمير أرغون شاه أستادار والأمير ناصر الدين محمد بن أبي وافي من القاهرة إلى دمشق بطالين. وفي تاسعه: سار غائبان من ساحل بولاق خارج القاهرة وقد قدما منذ أيام أحدهما من الإسكندرية والآخر من دمياط وأشحنا بالمقاتلة والأسلحة. وأنزل فيهما ثمانون مملوكا وأمروا أن يشيروا في بحر الملح من جهة طرابلس ويأخذوا من سواحل الشام عدة أغربة عسى أن يجدوا من يتجرم في البحر من الفرنج.." (١)

"وفيها وقع الاجتهاد في عمل الأغربة. ولم تحسن سيرة من ولي عملها فإنه أخذ الأخشاب ظلما وقطع من أشجار الجميز والحور بغير رضاء أربابها وسخر الناس في عملها فأشبه هذا الغزو من صلى لغير القبلة بغير وضوء عمدا. وفي عاشره: أدير محمل الحاج على العادة وعرضت كسوة الكعبة على السلطان. وقد اجتهد القاضي زين الدين عبد الباسط في تأنقها حتى جاءت في غاية من الحسن بحيث لم يعمل فيما أدركناه مثلها. وفي هذا الشهر: كان قطاف عسل النحل فلم يوجد منه كبير شيء فارتفع سعره بلغ سعر الفول مائتي درهم الأردب. وفيه اعتبر متحصل الديوان المفرد ومصروفه فعجز في كل سنة مائة ألف وعشرين ألف دينار يجبيها أستادار من النواحي بعد ما عليها من المستقر والحادث ويتنوع في مظالم العباد ويبالغ في العسف حتى يسدها. ويأخذ المباشرون وأعوانه نحوا منها. فلذلك خرب إقليم مصر وآلت أحوال الناس إلى التلاشي. وفي ثالث عشره: أنفق في الغزاة وهم ستمائة رجل مبلغ عشرين دينارا لكل واحد وجهز الأمراء ثلاثمائة رجل. ونودي من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النفقة. وفي عشرينه: سارت الخيول في البر إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/١٠٠

طرابلس. وعدتها ثلاثمائة فرس لتحمل الغزاة من طرابلس في البحر. وفي هذا الشهر: خرج مركب من اللاذقية قد شحن بمجاديف حتى يحضرها إلى مصر برسم الأغربة التي أنشئت صحبة الريس فاضل. فلما حاذت جزيرة أرواد خرج طائفة من الفرنج يريدون أخذها فقاتلهم المسلمون حتى قتلوا عن آخرهم وعدتهم خمسون رجلا. وأفلت منهم رحل واحد. وأخذ الفرنج المجاديف وغيرها وحرقوا المركب. وفاضل هذا من أهل مدينة أياس فقدم إلى السلطان في السنة الخالية وحسن له غزو الفرنج ووعده بغنيمة أموال عظيمة حتى كان من غزوة اللمسون ما كان فأخذ في التعبئة لغزوهم ثانيا أيده الله تعالى بنصره عليهم. وفي **شنع الوباء بدمياط** وفارسكور وكان ابتداؤه عندهم من جمادى الأولى. وفي حادي عشره: توجه الهروي عائدا إلى القدس على وظيفة التدريس بالصالحية.." (١)

"شهر ربيع الأول أوله الثلاثاء: أهل والأمراض من النزلات والسعال والجدري فاشية في الناس بحيث لا يخلو بيت من عدة مرضى إلا أنها سليمة العاقبة في الغالب يزول بعد أسبوع. هذا والوقت شتاء. وقدم الخبر **بكثرة الوباء ببلاد** صفد. وفي ليلة الجمعة رابعه: كان المولد النبوي بالقصر عند السلطان وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم ومباشروا العلم والدولة على العادة فكان الذي عمل في السماط عشرة كباش ذبحت ثم طبخ لحمها ومد بعد سماط الطعام سماط الحلوى. وفي يوم السبت سادس عشرينه: أفرج عن جينوس بن جاك متملك قبرس من سجنه بقلعة الجبل وخلع عليه وأركب فرسا بقماش ذهب ونزل إلى القاهرة في موكب فأقام في دار أعدت له وصار يمر في الشوارع ويزور كنائس النصارى ومعابدهم ويمض في أحواله بغير حجر عليه وقد أجرى له راتب يقوم به وبمن معه. وفي ها الشهر: كثرت الرياح العاصفة فقدم الخبر بغرق ثلاثة عشر مركبا في بحر الملح قد ملئت ببضائع من ناحية صيدا وبيروت وأقبلت نحو دمياط. وفيه ألقى البحر دابة بشاطئ دمياط أخبرني من لا أتهم أنها ذرعت بحضوره فكان طولها خمسة وخمسين ذراعا وعرضها سبعة أذرع. شهر ربيع الآخر أوله الخميس: فيه قدم الخبر بتشتت أهل المدينة النبوية وانتزاحهم عنها لشدة الخوف وضياع أحوال المسجد النبوي وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه منذ كانت كائنة المدينة فرسم الأمير بكتمر السعدي أحد أمراء العشرات إلى المدينة فأخذ في تجهيز حاله. وقدم الخبر بتجمع التركمان وإفسادهم في المملكة الحلبية فرسم في يوم الاثنين عشرينه بتجريد ثمانية أمراء مقدمي ألوف وعدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات فأخذوا في أهبة السفر ثم بطل ذلك.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/١١٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/١٤٨

"وجود ذلك لشح الأنفس ببيع الغلال مع كثرتها بالقاهرة والأرياف فرسم السلطان للأمير أينال الششماني المحتسب أن لا يمكن أحدا من الناس بيع القمح بأزيد من مائة وخمسين درهما الأردب وأن لا يشتري أحد أكثر من عشرة أرادب وسبب ذلك أن الناس **ترقبوا الغلاء فأخذ** أرباب الأموال في الاستكثار من شراء الغلال ظنا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثمان حتى أن بعض من لم يكن شيئا مذكور اشترى في هذه الأيام ألف أردب من القمح وكم أمثال هذا فالله يحسن العاقبة. وفي سابع عشرينه: كمل نقص النيل مما زاده ستة عشر إصبعا ثم أغاث الله عبادا بعد ما كادوا أن يقنطوا. ونودي في يوم السبت ثامن عشرينه بزيادة إصبعين من النقص. واستمرت الزيادة في يوم الأحد والاثنين فسكن قلق الناس قليلا. وفي يوم الجمعة: هذا قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان أحد أمراء: التركمان ونائب طرسوس وأذنة ونائب الملك ,وقد عزل وفر إلى ابن قرمان ليحميه فأسلمه إلى قصاد السلطان خوفا من معرة العسكر فقيد وحمل من بلاد قرمان حتى قدم به كذلك فسجن. وفي يوم الاثنين سلخه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي. واستقر في قضاء القضاة بدمشق عوضا عن أبيه وهو شاب صغير لم يستتر عذاريه بالشعر لكن قام بمال كبير فلم يلتفت مع ذلك لحداثة سنه ولا لكونه ما قرأ ولا درى وقديما قيل: تعد ذنوبه والذنب جم ولكن الغني رب غفور شهر ذي الحجة. أهل بيوم الثلاثاء ووافقه من شهور القبط خامس عشرين توت. وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعا وإصبعين بعد تراجع نقصه. وهبط شيئا بعد شيء فكثر شراقي الأراضي بالوجه القبلي والوجه البحري لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه. وفي سابع عشره: خلع أياس أحد المماليك واستقر نائب السلطة بالعلايا ورسم أن يجهز معه طائفة من العسكر ليسيروا في البحر وسبب ذلك أن صاحب العلايا ،الأمير قرمان بن صوجي بن شمس الدين ألجأته الضرورة إلى أن قدم منذ شهر بأهله متراميا على السلطان في أخذه بلاد العلايا منه وأن يقيم بخدمة السلطان حتى تدخل في الحوزة السلطانية.." (١)

"أخضر وكانت الشراقي كثيرة فلم يزرع ما شرق من الأراضي وأكلت الدودة مواضع مزروعة ولم **يزل الغلاء يترقب** في هذه السنة منذ هبط النيل سريعا إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفا منه بعباده إن الله بالناس لرءوف رحيم الحج الآية ٦٥ وقدمت الأخبار بأن أراضي حوران بالشام لم تزرع لعدم المطر **وأن الغلاء قد** اشتد بالحجاز لعدم الغيث به. وفيه فشت أمراض حادة في الناس ببلاد الصعيد وكثر الموتان لاسيما بمدينة هو وبوتيج ومنشية أخميم وما حولها. شهر شعبان أوله الأحد: أهل وأسعار الغلال أخذة في

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٥٧/٧

الارتفاع ولم يكد يوجد عند قطاف عسل النحل منه شيء. وهلك النحل من قلة المراعي وعز وجود الفول لقلة ما تحصل منه عند الدراس وقل الحمص أيضا وخس الكنان. وفي سادس عشره: توجهت تجريدة عدتها خمسون مملوكا إلى ينبع. شهر رمضان أوله الاثنين: في ثانيه – الموافق لسابع عشرين بؤونة –: نودي على النيل ثلاثة أصابع بعد م١ أخذ القاع فكان ثلاثة أذرع وعشر أصابع. وفيه عزل سعد الدين إبراهيم بن المرة من نظر الديوان المفرد وولي عوضه زين الدين يحيى قريب الأمير فخر الدين بن أبي الفرج. وفي عشرينه: أخرج قانصوه – أحد أمراء الطبلخاناه – لنيابة طرسوس وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد. وقانصوه هذا أحد مماليك الأمير نوروز الحافظي وصار إلى المؤيد شيخ بعد قتل نوروز فرقاه حتى صار أمير طبلخاناه وهو أحد الفرسان المشهورين وكبير الطائفة النوروزية. وفي هذا الشهر: بلغ القمح إلى مائتين وستين درهما الأردب وأناف الأردب من الشجر والفول على المائتين وبلغت البطة الدقيق – وهي خمسون رطلا – ثمانين درهما.." (١)

"قضاء الحنابلة بدمشق. وكان قد قدم القاهرة وعمل بالجامع الأزهر عدة مواعيد دلت على حفظه وتفننه. وفي سادسه: ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير شارقطلوا فباتوا على تخوف وأصبح الجلب تحت القلعة في جمع كبير وقد امتنع الأمير الكبير منهم بداره – وهي تجاه باب السلسلة – فماج الناس وخشوا من النهب فكانت حركة مزعجة بالقاهرة من تكالب الناس على شراء الخبز والدقيق وانتشار أهل الفساد في الشوارع للنهب ثم سكن الحال وأقام الجلب يومهم لا يقدرون على الأمير الكبير لعجزهم وقلة دريتهم بالحرب وعدم السلاح فطلب السلطان ثلاثة من مماليك الأمير الكبير وضربهم وسجنهم من أجل أنهم أصل هذه الفتنة فخمد الشر ولله الحمد. وفي خامسه: ورد إلى ميناء الإسكندرية خمسة أغربة للفرنج وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ثم واقعوهم من الغد وقد أدركهم الأمير زين الدين ابن أبي الفرج أستادار في سابعه. وكان بتروجة ومعه جمع كبير من العرب فلما اشتد الأمر على الفرنج انهزموا وردوا من حيث أتوا في يوم الأحد حادي عشره ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبي الفرج. وفي ثاني عشره: أنفق السلطان في ثلاثمائة وتسعين من المماليك كل واحد خمسين دينارا وفي أربعة من أمراء الألوف – وهم أركماس الدوادار وقرقماس حاحب الحجاب وتغري بردي ويشبك المشد – كل واحد ألفي دينار وأنفق في عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف دينارا ورسم بسفرهم إلى الشام فتوجهوا في سادس عشرينه. وفيه سقط موضع مبني على كتاب أطفال فمات منهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٧٧/٧

اثني عشر طفلا وأصيب تسعة يخاف عليهم. وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بغزة** والرملة، من أرض فلسطين. شهر رمضان أوله الجمعة:." (١)

"وفي رابع عشرينه: قدم الأمير هابيل بن الأمير قرا يلك ومن معه في الحديد فشهروا بالقاهرة إلى القلعة وسجنوا بها. وفيه قدم مبشرو الحاج. وفيه نودي على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ووافق ذلك ثامن عشرين توت ثم لم يناد عليه فكانت هذه زيادة ماء النيل في هذه السنة. وفي هذا الشهر: كانت حرب بنواحي المدينة النبوية بين بني حسين قتل فيها غير واحد من أعيانهم. وفيه كان خراب مدينة توريز. وسبب ذلك أن متملكها اسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا زحف على مدينة السلطانية وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان في عدة من أعيانها ونهب وأفسد فسار إليه جموع كبيرة فخرج اسكندر من توريز وجمع لحربه ولقيه وقد نزل خارج توريز فانتدب لمحاربته الأمير قرا يلك صاحب آمد وقد لحق بشاه رخ وأمده بعسكر كبير وقاتله خارج توريز في يوم الجمعة سابع عشره قتالا شديدا قتل فيه كثير من الفئتين وانهزم اسكندر وهم في إثره يطلبونه ثلاثة أيام ففاتهم هذا. وقد نهبت جقطاي عامة تلك البلاد وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره. ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بمال كبير احتاجهم فيه أموالهم حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه ورحل بعد مدة يريد بلاده وقد **اشتد الغلاء معه** فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحي تعبث وتفسد ففقدت الأقوات حتى أبيع اللحم الرطل بعده دنانير. وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا وأما اسكندر فإنه جال في بلاد الأكراد وقد رقعت بها الثلوج مدة ثم صار إلى قلعة سلماس فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت في البلاد. ومات في هذه السنة من الأعيان العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفي بعد ما عمي سنين في ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم. ومولده في سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وهو أحد من." (٢)

"وقدم كتاب مراد بن عثمان صاحب برصا بأنه هادن الفرنج ثلاث سنين. وقدم كتاب قرا يلك يسأل العفو عن ولده هابيل وإطلاقه. وفي حادي عشرينه: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبي الفرج وكثير من إلزامه وسلموا إلى الأمير أقبغا أستادار ثم أفرج عنه في رابع عشرينه على مال يحمله. وفي سادس

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٩٢/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٩٧/٧

عشرينه: حضر تجار الإسكندرية وقد طلبوا منها فأوقفوا بين يدي السلطان وألزموا جميعهم أن لا يبع أحد منهم شيئا من أصناف البضائع التي تجلب من الهند كالفلفل ونحوه لأحد من التجار الفرنج وهددوا على ذلك. وسبب هذا أن السلطان أقام طائفة تشتري له البضائع وتبيعها فإذا أخذت بجدة المكوس من التجار التي ترد من الهند حملت فلفلا وغيره في بحر القلزم من جدة إلى الطور ثم حملت من الطور إلى مصر ثم نقلت في النيل إلى الإسكندرية وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين دينارا. هذا وسعره بالقاهرة خمسون دينارا. فبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج بالإسكندرية أن يبتاعوا منه الحمل بأربعة وستين دينارا فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين فأحب السلطان عند ذلك الزيادة في الفوائد وأن يأخذ ما عند التجار من الفلفل بسعر ما دفع لهم فيه الفرنج ليبيعه هو على الفرنج. مما تقدم ذكره فمنعهم من يبيعهم على الفرنج ليبور عندهم فيأخذه حينئذ منهم بما يريد. وفيه أيضا طلب الأمير أقبغا الأستادار الباعة بالقاهرة ومصر ليطرح عليهم السكر فأغلقوا الحوانيت وفروا منه فأعيا الناس شراء الأدوية للمرضى ولم يكادوا أن يجدوا ما يعللوهم به. وفي هذا الشهر: شنع الموتان الوحي السريع بالطاعون والنزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر فيموت الإنسان في أقل من ساعة بغير تقدم مرض. وكان أكثر في الأطفال والشباب ثم في العبيد والإماء وأقله في النساء والرجال. وتجاوز في مدينة مصر الفسطاط المائتين في كل يوم سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز في القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه في مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه في ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية – خاصة – إلى هذا الوقت تسعة آلاف سوى من لم يعرف وهم كثر جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية في كل يوم نحو المائة. **وشمل الوباء عامة** البحيرة الغربية والقليوبية.." (١)

"وفي العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التي بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح قد طفت على وجه الماء ميتة واصطيدت بنية كبيرة فإذا هي كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد في البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر **بوقوع الوباء ببلاد** الفرنج. وفي يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التي صلي عليها فبلغت ألفين ومائة ولم يورد في أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف. وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثني عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادي السمك كانوا في موضع فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر حتى وصل بهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٠٥

إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا في مركب وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهي راكبة على حمار مكاري فماتت وهي راكبة وصارت ملقاة بالطريق يومها كله حتى بدأ تغير ريحها فدفنت ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سريا قوس حتى بلغت العدة في كل يوم نحو المائتين وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية حتى كاد يموت في الكفر الواحد في كل يوم ستمائة إنسان. شهر جمادى الآخرة أوله الجمعة: فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصي في يوم الاثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة فبلغت عدتهم ألفا ومائتي ميت سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يردون الديوان أسماءهم. وفي هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا في ساعة وأقل منها **وعظم الوباء في** المماليك السلطانية - سكان الطباق بالقلعة - الذين كثر فسادهم وشرهم وعظم عتوهم وضرهم بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت في اليوم زيادة على الخمسين مملوكا وشنع الموت. بمدينة فوه ومدينة بلبيس ووقع ببلاد الصعيد الأدنى. **وانقطع الوباء من** البحيرة والنحريرية وكثر بمدينة المحلة.." (١)

"وفي يوم الخميس سابعه: أحصي من صلى عليه من الأموات في المصليات المشهورة خاصة فكانوا نحو الألف ومائتي ميت وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد في ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين وفي ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط في يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة فكانوا ألفا ومائتين وثلاثا وستين لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوف فلم يقدر له على تابوت حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان - مع كثرتهم وشدتهم - على تابوت له حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة وهي من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه في يوم الاثنين حادي عشره في المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٠٦/٧

الذي ضبط الكثير ممن لم يصل عليه فيها وبلغت عدة من صلى عليه فيها وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة في يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت ومثل ذلك في مصلى المؤمني تحت القلعة وكان يصلي على أربعين ميتا معا فما تنقضي الصلاة على الأربعين جميعا حتى يؤتي بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ميت. واتفق في **هذا الوباء غرائب** منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف ما بين رجل وامرأة صغير وكبير ففنوا بالطاعون حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا وأصبحوا فإلى أن يأخذوا في دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعا بالحلقة انتقل في أيام قليلة إلى تسعة نفر وكل منهم يموت ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء وتزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدي وعجز الناس عن دفن أمواتهم فصاروا يبيتون بها في المقابر والحفارون طول ليلتهم يحفرون وعملوا حفائر كثيرة تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسال والحمالين والأكفان وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض فكان هذا من الأهوال التي أدركناها.." (١)

"وفي يوم الجمعة خامس عشره: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفا اسم كل شريف منهم محمد وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم وأجلسهم بالجامع الأزهر فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا - هم والناس - على أرجلهم فدعوا الله تعالى وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر فصعد الأربعون شريفا إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعا ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر وانفضوا وكان هذا مما أشار به بعض العجم وأنه عمل هذا ببلاد المشرق في وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك فلما أصبح الناس يوم السبت **أخذ الوباء يتناقص** في كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد وببوادي العرب وبمدينة حماة ومدينة حمص. ووجد في بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات وجد في كل واحدة منهن كبة في ن١حية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٠٧/٧

وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغذاء وتشرب مرة واحدة في اليوم ثم هلكت بعد ثلاث. وفي ليلة الجمعة التاسع والعشرين: منه خرج بعد غروب الشمس بقليل كوكب في هيئة الكرة بقدر جرم القمر في ليلة البدر فمر بين المشرق والقبلة إلى جهة المغرب وتفرق منه شرر كثير شهر رجب أوله الأحد: أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل في ثامن عشر جمادى الآخرة ودخل فصل الربيع فشا الموت في أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة بعد ما كان في الأطفال والخدم وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت مدتها بعد ما كان الموت وحيا فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع في **هذا الوباء ما** لم يعهد مثله إلا في النادر وهو خلو دور كثيرة جدا من جميع من كان بها حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضا الموت والأمراض في المماليك السلطانية بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن علي بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب الدين وقد عين كتابة السر فأخبرني – رحمه الله – أنه خرج من بين يدي السلطان حتى وجد واحدا من المماليك خارج القصر فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.." (١)

"وفي مدة هذه الحروب ثار أصبهان بن قرا يوسف ونزل على الموصل ونهب تلك الأعمال وقتل وأفسد فسادا كبيرا وكانت بعراقي العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل بحيث أن شاه محمد بن قرا يوسف – متملك بغداد – من عجزه لا يتجاسر على أن يتجاوز سور بغداد وخلا أحد جانبي بغداد من السكان وزال عن بغداد اسم التمدن ورحل عنها حتى الحياك وجف أكثر النخل من أعمالها ومع هذا كله فوضع شاه رخ على أهل توريز مال الأمان حتى ذهبت في جبايته نعمهم ثم جلاهم بأجمعهم إلى بلاده وكثر الإرجاف بقدومه إلى الشام فأوقع الله في **عسكره الغلاء والوباء** حتى عاد إلى جهة بلاده وعاد قرا يلك إلى ماردين فنهبها ونهب ملطية وما حولها إلى عينتاب وحرقها. وكان ببلاد السراي والدشت وصحاري في هذه السنة والتي قبلها قحط شديد ووباء عظيم جدا هلك فيه عالم كبير بحيث لم يبق منهم ولا من أنعامهم إلا أقل من القليل. وكان ببلاد الحبشة بلاء لا يمكن وصفه وذلك أنا أدركنا ملكها داود بن سيف أرعد بن قسطنطين – ويقال له الحطي – ملك أمحرة وهو وهم نصاري يعقوبية. فلما مات في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة قام من بعده ابنه تدرس بن داود فلم تطل مدته ومات. فملك بعده أخوه أبرم ويقال له إسحاق

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٠٨

بن داود بن سيف أرعد وفخم أمره وذلك أن بعض مماليك الأمير بزلار نائب الشام ترقى في الخدم وعرف بألطنبغا مغرق حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد ثم فر إلى الحبشة واتصل بالحطي هذا وعلم أتباعه لعب الرمح ورمي النشاب وغير ذلك من أدوات الحروب ثم لحق بالحطي أيضا بعض المماليك الجراكسة – وكان زرد كاشا – فعل له زرد خاناه ملوكية وتوجه إليه مع ذلك رجل من كتاب مصر الأقباط النصارى – يقال له فخر الدولة – فرتب له مملكته وجبى الأموال وجند له الجنود حتى كثر ترفه بحيث أخبرني من شاهده وقد ركب في موكب جليل وفي يده صليب من ياقوت أحمر وقد قبض عليه ووضع يدهـ على فخذه فصار يبين ويظهر لهذا الصليب الياقوت طرفان كبيران من قبضته فشرهت نفسه إلى أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها فبعث بالتوريزي التاجر ليدعو الفرنج للقيام معه وأوقع في بمن مملكته من المسلمين فقتل منهم وأسر وسبي عالما عظيما. وكان ممن أسر منصورا ومحمدا ولدى سعد الدين محمد بن أحمد علي بن ولصمع الجبرتي – ملك المسلمين بالحبشة فعاجله الله بنقمته وهلك في شهر ذي القعدة فأقيم بعده ابنه اندراس بن إسحاق فهلك لأربعة أشهر فأقيم بعده عمه حزبناي بن داود بن سيف أرعد فهلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين فأقيم بعده." (١)

"الجمعة ثالث عشر رجب ولم يبلغ الأربعين. وكان قد قدم على أخيه السيد شهاب الدين أحمد **فوقع الوباء ومات** أخوه فباشر بعده وتعين لكتابة السر فقافصته المنايا وعاجله ريب المنون ومات رحمه الله. ومات الشيخ زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض القمني في ليلة الجمعة ثالث رجب عن نحو الثمانين وقد صار من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم مع الديانة والنسك رحمه الله. ومات أبو مسلم هابيل بن الأمير عثمان بن طر علي – المعروف بقرا يلك التركماني – في يوم الجمعة ثالث عشر رجب وهو مسجون. ومات صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن محمد بن عبد الله القيصري – المعروف بابن العجمي – في يوم السبت رابع عشر رجب. وقد ولي الحسبة بالقاهرة مرارا وولي نظر الجيش بدمشق وكان من فضلاء الحنفية وله معرفة جيدة بالنحو.." (٢)

"(سنة خمس وثلاثين وثمانمائة)

شهر الله المحرم أوله الأحد: في عاشره – الموافق لعشرين مسرى –: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا واثني عشر إصبعا ثم نقص خمسة عشر إصبعا وزاد ونقص إلى حادي عشرينه وهو أول بابه. ثم لم يناد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢١٤

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٢١

عليه لاستمرار النقص. وفي ثاني عشرة: قدم الأمير طرباي نائب طرابلس فأكرمه السلطان وأعاده إلى محل كفالته فسار بعد خمسة أيام. وفي ثالث عشرينه: قدم القاضي زين الدين عبد الباسط وصحبته خوند جلبان وبقية الركب الأول وقدم بعدهم من الغد محمل الحاج صحبة الأمير قرا سنقر وقدمت معهم وقد عسف الأمير الناس في المسير مع ما أصابهم من العطش في توجههم. شهر صفر أوله الثلاثاء: في خامسه: انتشر بآفاق السماء جراد كثير كفى الله شره. وفي نصفه: خلع على الأمير أقبغا الجمالي وأعيد إلى كشف الوجه القبلي عوضا عن مراد وقدم الخبر بأن الخراب شمل البلاد من توريز إلى بغداد مسيرة خمسة وعشرين يوما بالأثقال وأن الجراد وقع بتلك البلاد حتى لم يدع بها خضرا مع **شدة الوباء وانتهاب** الأكراد ما بقي **وأن الغلاء شنع** عندهم حتى أبيع المن من لحم الضأن – وهو رطلان بالمصري – بدينار ذهب وأبيع لحم الكلب كل من بستة دراهم وقد **كثر الوباء ببغداد** والجزيرة وديار بكر ومع ذلك فقد عظم البلاء بأصبهان بن قرا يوسف بناحية الحلة والمشهد. شهر ربيع الآخر أوله الجمعة: في سابع عشره: نزل عدة من المماليك السلطانية – سكان الطباق – من قلعة الجبل إلى دار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أستادار يريدون الفتك به وكان علم من الليل فتغيب واستعد فلم يظفروا به ولا بداره وعادوا وقد أفسدوا فيما حوله فسأل الإعفاء من الأستادارية فأعفى واستدعى الوزير صاحب بدر الدين." (١)

"نزل عليها وقد خرج عنها عثمان بن ططر علي المعروف بقرا يلك وأشحنها بالمقاتلة فحصرها العسكر. وفي حادي عشرينه: قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد مؤرخ بعشرين شوال بأن قرا يلك عزم تعدية الفرات يريد حلب فأدركته العساكر السلطانية وقد نزل بعض أصحابه الفرات فقاتلوهم وقتلوا منهم وغرق منهم جماعة وأسر جماعة ضربت أعناقهم. وفي رابع عشرينه: دقت البشائر بقلعة الجبل ونودي بأن اسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره نجدة للسلطان ثم تبين كذب هذا الخبر. وفي هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال فأبيع القمح بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد مائة وأبيع الأردب الشعير والفول من ثمانين إلى بضع وتسعين بعد ما كان بستين. وسبب ذلك أن طائفة من الناس قد اعتادت منذ سنين أن ترجف في أيام زيادة النيل بأنه لا يبلغ الوفاء يريدون بذلك غلاء الأسعار فتكف أرباب الغلال أيديها عن البيع ويأخذ آخرون في شراء الغلال وخزنها ليتربص بها **دوائر الغلاء فيتحرق** السعر من أجل ذلك فإذا بلغ النيل القدر المحتاج إليه في ري الأراضي وزرع الناس أيس **طلاب الغلاء فباعوا** ما قد اختزلوه منها فينحل السعر ويتضع. وفي ثامن عشرينه: عزل نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة وأقام عوضه دواداره – أعني

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٣١

دولات حجا – وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف ومع ذلك فأحوال الناس بالقاهرة جميلة لحسن سيرة نائب الغيبة وتثبته وإظهار العدل مع كثرة الأمن ورخاء أسعار عامة المبيعات كلها. شهر ذي الحجة أوله الأحد: في سادسه: قدم الأمير كمشبغا الأحمدي أحد الطبلخاناه بكتاب السلطان من الرها مؤرخ بثامن عشر ذي القعدة يتضمن أنه رجل عن آمد بعد ما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما حتى طلب قرا يلك الصلح فصولح ورحل العسكر في ثالث عشر ذي القعدة فدقت البشائر ونودي بذلك في الناس وقدم الخبر بقدوم السلطان إلى حلب في خامس عشرين ذي القعدة ورحيله منه، في خامس ذي الحجة وقدومه دمشق في تاسع عشره. وفي ثامن عشرينه: نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لتتمة خمسة عشر ذراعا." (١)

"(سنة سبع وثلاثين وثمانمائة)

أهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد بالله داود. وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف برسباي. والأمير الكبير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح أينال الجكمي. وأمير مجلس أقبغا التمرازي. ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشي وأمير أخور جقمق. والدوادار أركماس الظاهري. وحاجب الحجاب قرقماس. والوزير وأستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ. وكاتب السر كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي. وناظر الجيش القاضي زين الدين عبد الباسط وهو عظيم الدولة وصاحب تدبيرها. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم. وقضاة القضاة على حالهم. ونواب السلطنة وملوك الأطراف كما تقدم في السنة الخالية. والنيل قد تأخر وفاءه والناس لذلك في قلق وتخوف وقد كثر تكالبهم على شراء الغلة وبلغ القمح إلى مائة وأربعين درهما الأردب. على أن الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار. شهر الله المحرم أوله الثلاثاء: فيه نودي على النيل برد ما نقص وزيادة ثلاثة أصابع فعظم سرور الناس بذلك وباتوا على ترجي الوفاء فنودي من الغد – يوم الأربعاء ثانيه وسادس عشرين مسرى – بوفاء النيل ستة عشر ذراعا وزيادة إصبعين من سبعة عشر ذراعا فكاد معظم الناس يطير فرحا. وغيظ من عنده غلال يتربص **بها الغلاء ففتح** الخليج على العادة. وفي ثالثه: قدم مبشرو الحاج. وفي ثاني عشره: ورد الخبر بمسير السلطان من دمشق بمن معه في أوله فنودي بالزينة فزين الناس الحوانيت. ووافق هذا اليوم أول توت وهو نوروز أهل القبط بمصر. وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع. وفيه قدمت أثقال

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٥٣

كثير من العسكر. وفي رابع عشره: قدم الأمير أيتمش الخضري من القدس وتتابع مجيء الأثقال من أمتعة العسكر وجمالهم واستعد الناس للملاقاة.." (١)

"جلبان جركسية وختن معه نحو الأربعين صبيا بعد ما كساهم. وقدم له المباشرون ذهبا وحلاوات فعمل مهما للرجال وللنساء أكلوا فيه وشربوا. وكتبت عند ذلك كتابا سميته الأخبار عن الأعذار وما جاء فيه من الأخبار والآثار وما لأئمة الإسلام فيه من الأحكام وما فعله الخلفاء والملوك. وفيه من المآثر الجسام والأمور العظام لم أسبق بمثله فيما علمت. وفي يوم السبت ثالث عشرينه: فقد الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ فخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغني بن الهيصم ناظر الدولة واستقر في الوزارة. وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: ظهر الوزير كريم الدين وصعد إلى القلعة فخلع عليه قباء من أقبية السلطان. ونزل على أنه أستادار. ثم خلع عليه من الغد فكان موكبه جليلا إلى الغاية. وقد ألزم السلطان في غيبة الوزير عظيم الدولة القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بإقامة دواداره جانبك أستادار فلم يرض بذلك خوف العاقبة وأخذ يسعى في دفع ذلك عنه حتى أعفي فعين سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم ناظر الخاص أستادار فما زال يسعى في الإعفاء حتى ظهر الوزير كريم الدين فتنفس خناق الجميع. وفيه قدم الحمل من قبرس على العادة في البحر في كل سنة. وفي هذا الشهر: **اشتد الوباء بمكة** وأوديتها حتى بلغ بمكة في اليوم عدة من يموت خمسين ما بين رجل وامرأة. شهر رمضان أوله السبت: في ثامنه: ورد الخبر من دمياط بأخذ الكيتلان من الفرنج خمس مراكب من ساحل بيروت فيها بضائع كثيرة ورجال عديدة. وبعث ملكهم إلى والي دمياط كتابا ليوصله إلى السلطان يتضمن جفاء ومخاشنة في المخاطبة بسبب إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعد للمتجر السلطاني فغضب السلطان لما قرئ عليه ومزقه. وفي هذه الأيام: قطع عدة مرتبات للناس على الديوان المفرد وعلى الاصطبل السلطاني وعلى ديوان الوزارة. وذلك ما بين نقد ف كل شهر ولحم في كل يوم وقمح في كل سنة. واغتنم لذلك كثير من الناس وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات في شهر رمضان فاقتضى الحال قطع الأرزاق لضيق حال الدولة.." (٢)

"وفيها عينت تجريدة في النيل لتركب بحر الملح من دمياط وتجول فيما هنالك عسى تنكف عادية الفرنج ويقل عبثهم وفسادهم. وفي ثاني عشرينه: دخل الأمير قرقماس إلى حلب. فما كاد أن يستقر بها حتى ورد الخير بوقعة كانت بين الأمير أينال الأجرود نائب الرها وبين أصحاب قرا يلك انهزم فيها. فأخذ

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٥٩

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٦٧

في أهبة السفر إلى الرها. وفي هذا الشهر: **تناقص الوباء بمكة**. شهر شوال أوله الاثنين: وأتفق في الهلال ما لم يذكر مثله وهو أن أرباب تقويم الكواكب اقتضى حسابهم أن هلال شهر رمضان في ليلة السبت يكون مع جرم الشمس فلا يمكن رؤيته. فلما غربت الشمس تراءى السلطان بمماليكه من فوق القلعة الهلال وتراءاه الناس من أعلى الموادن والأسطحة بالقاهرة ومصر وما بينهما وما خرج عنهما وهم ميون ألوف فلم ير أحد منهم الهلال فانفضوا وقد أظلم الليل. وإذا برجل ممن يتكسب في حوانيت الشهود بتحمل الشهادة جاء إلى قاضي القضاة الشافعي وشهد بأنه رأى الهلال فأمر أن يرفع للسلطان. فلما مثل بين يديه ثبت وصمم على رؤيته الهلال. وكان حنبليا وهو من أقارب نديم السلطان ولي الدين بن قاسم فبالغ في الثناء عليه عند السلطان فأمر بإثبات الهلال فأثبت بعض نواب قاضي القضاة الحنبلي بشاهدة هذا الشاهد أول رمضان ونودي في الليل بصوم الناس من الغد بأنه من رمضان. فاصبح الناس صائمين وألسنتهم تلهج بالوقيعة في القضاة والشهود وتمادوا على ذلك فتوالت الكتب من جميع أرض مصر قبليها وبحريها ومن البلاد الشامية وغيرها. بأنهم تراءوا الهلال ليلة السبت فلم يروه وأنهم صاموا يوم الأحد. فلما كان ليلة الاثنين التي يزعم الناس أنها أول ليلة من شوال تراءى الناس الهلال من القلعة وبالقاهرة ومصر وما بينهما وحولهما فلم يزوره فجاء بعض نواب القضاة وزعم أنه رآه وأنه شهد عنده برؤيته من أثبت بشهادته أن هلال شوال غدا يوم الاثنين فكانت حادثة لم ندرك قبلها مثلها وهي أن الهلال بعد الكمال عدة ثلاثين يوما لا يراه الجم الغفير الذي لا يحصى عددهم إلا خالقهم مع توفر دواعيهم على أن يروه وقد خلت السماء من الغيم. وجرت العادة با ن يتساوى الناس في رؤيته وأوجب ذلك تزايد الوقيعة في القضاء بل وفي سائر الفقهاء حتى لقد أنشدني بعضهم لمحمود الوراق:." (١)

"الثلاث قضاة القضاة فأجل في الأمر فلم يعجب السلطان ذلك وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها فروجع في ذلك حتى أقرهم على ما هم عليه. وأبطل الكشف عما رسم به فسر الناس بهذا لأنهم كانوا يتوقعون تغييرات كثيرة. وفيه اشتد قلق الناس لقلة البرد في فصل الشتاء وعدم المطر وهبوب رياح حارة في أوقات شهر رجب أوله الاثنين: في ثامنه: أدير محمل الحاج بمصر والقاهرة وكانت العادة ألا يدار إلا بعد النصف من رجب فأدير في هذه الدولة قبله غير مرة. وفي ثامن عشره: خلع على الأمير تمرباي الدوادار الثاني واستقر أمير الحاج وخلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله محتسب القاهرة ليكون أمير الركب الأول. وفي حادي عشرينه: ورد الخبر بأن العرب - من محارب -

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٦٨/٧

لما علموا نزول الأمير أينال الجكمي على الفيوم ساروا إلى جهة الواحات. ثم بدا لهم فنزلوا بالأشمونين فركب الأمير كريم الدين الكاشف والأمير تغري برمش أمير أخور والأمير تمراز رأس نوبة النوب وقاتلوهم وهزموهم وظفروا منهم بستمائة جمل غير ما نهب لهم وإن ذلك كان في يوم الثلاثاء سادس عشره. وفي حادي عشرينه: قدم الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر تحت الحوطة فسجن بقلعة الجبل. وفي هذا الشهر: بعث الملك شهاب الدين أحمد بدلاي بن سعد الدين سلطان المسلمين بالحبشة أخاه خير الدين لقتال أمحرة الكفرة ففتح عدة بلاد من بلاد الحطي ملك الحبشة وقتل أميرين من أمرائه وحرق البلاد وغنم مالا عظيما وأكثر من القيل في أمحرة النصارى وخرب لهم ست كنائس. هذا وقد شنع بعامة بلاد **الحبشة الوباء العظيم** فمات فيه من المسلمين ومن النصارى عالم لا يحصى حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد.." (١)

"وهلك في **هذا الوباء الحطي** ملك الحبشة الكافر وأقيم بدله صبي صغير. شهر شعبان أوله الأربعاء: وفي سادسه: قدم بقية المماليك والأمراء المجردين إلى العرب بالوجه القبلي. وفى سادس عشره: خلع على الأمير قانباي الحمزاوي أحد الأمراء الألوف. واستقر في نيابة حماه عوضا عن الأمير جلبان. ونقل جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طراباي بعد موته. وأنعم بإقطاع قانباي وإمرته على الأمير خجا سودن أحد أمراء الطبلخاناه. ووفرت امرأة خجا سودن وأضيف إقطاعه إلى الدولة للوزير تقوية للوزير تاج الدين. وفي يوم الجمعة سابع عشره: نودي بمنع الناس من المعاملة بالفلوس وألا يتعامل الناس إلا بالفلوس التي ضربها السلطان. وكان من خبر ذلك أن الفلوس الجدد لما ضرب في سنة تسع وخمسين وسبعمائة عمل زنة كل فلس منها مثقال على أن الدرهم الفضة المعاملة يعد فيه منها أربعة وعشرون فلسا فكانت زنة القفة الفلوس مائة وثمانية عشر رطلا عنها خمسمائة درهم من الفضة الظاهرية معاملة مصر والشام. والمثقال الذهب الهرجة المضروب بسكة الإسلام يصرف بعشرين درهما من هذه الدراهم ويزيد تارة ثمن درهم على العشرين درهما وتارة ربع درهم عليها. ثم تزايد صرف الدينار في آخر الأيام الظاهرية برقوق حتى بلغ نحو خمسة وعشرين درهما. وكان النقد الرائج بديار مصر وأرض الشام الفضة المذكورة ويعمل ثلثها نحاس وثلثاها فضة. ثم يلي الفضة المذكورة في المعاملة الذهب المختوم الإسلامي ولا يعرف دينار غيره. وكانت الفلوس أولا إنما هي برسم شراء المحقرات التي لا تبلغ قيمتها درهم. فلما كانت الأيام الظاهرية برقوق وقام بتدبير الأموال الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه أستادار أكثر من ضرب الفلوس الجدد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٢٨٥

المذكورة حتى صارت هي النقد الرائج بديار مصر وقلت الدراهم. فلما كانت الأيام الناصرية فرج بن برقوق تفاحش في دولته أمر نقود مصر وكادت الدراهم الفضة المعاملة التي تقدم ذكرها أن تعدم وصارت تباع كما تباع البضائع فبلغت كل مائة درهم منها إلى ثلاثمائة وستين درهما من الفلوس التي يعد عن كل درهم منها أربعة وعشرون فلسا. وزاد سعر الذهب وراج منه الدينار الأفرنتي وهو ضرب الفرنج حتى عدمت الدنانير الذهب الهرجه المختومة بسكة الإسلام وبلغ الدينار الأفرنتي المذكور مائتين وستين درهما من الفلوس المذكورة وفسدت مع ذلك هذه الفلوس فعملت كل قنطار مصري – وهو مائة رطل مصرية – بستمائة درهم وصارت معاملة الناس بها في ديار مصر كلها بالوزن لا." (١)

"وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بمدينة** بروسا – التي يقال لها برصا – من مملكة الروم واستمر بها وبأعمالها نحو أربعة أشهر. وفي هذا الشهر: قبض على جانبك الصوفي وكان من خبره أنه ظهر بمدينة توقات في أوائل شوال من السنة الماضية فقام متوليها أركج باشا بمعاونته حتى كتب إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين وإلى أسلماس بن كبك ومحمد ابن قطبكي وعثمان قرا يلوك ونحوهم من أمراء التركمان فانضم إليه جماعة. وخرج من توقات فأتاه الأمير قرمش الأعور وابن أسلماس وابن قطبكي ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرا يلك صاحب قلعة جمركسك فقواهم. وشنوا منها الغارات على قلعة دوركي وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها. فاتفق ورود كتاب القان شاه رخ ملك المشرف على قرا يلك يأمره بالمسير بأولاده وعسكره لقتال إسكندر بن قرا يوسف سريعا عاجلا فكتب إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك فترك محمد جانبك ومن معه على دوركي وعاد إلى أبيه. فسار جانبك بابن أسلماس وابن قطبكي حتى نزلوا على ملطية وحصروها فكادهم سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكتب إلى جانبك بأنه معه فكتب إليه أن يقدم عليه وبعث بكتابه فرمش الأعور فأكرمه وسار معه في مائة وخمسين فارسا. فتلقاه جانبك وعانقه ثم عادا وحصرا ملطية فأظهر سليمان من المناصحة ما أوجب ركون جانبك إليه فأخذ في الحيلة على جانبك وخرج هو وإياه في عدة من أصحابه ليسيرا إلى مكان يتنزهوا به. ورتبا قرمش وبقية العسكر على الحصار فلما نزل سليمان وجانبك للنزهة وثب به أصحاب سليمان وقيدوه وسرى به سليمان على أكديش ليلته ومن الغد حتى وافى به بيوته على أبلستين وكتب يعلم السلطان بذلك. وكان القبض على جانبك في سابع عشر شهر ربيع الأول هذا. شهر ربيع الآخر أوله يوم الاثنين: فيه قدم جمال الدين يوسف

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٨٦/٧

بن الصفي الكركي ناظر الجيش بدمشق مطلوبا وهو مريض بضربان المفاصل ومعه تقدمة حليلة فقبلت تقدمته وأمر بالإقامة في منزله حتى يبرأ.." (١)

"في ثالثه: عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم بالجوع. ثم أعيدوا إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد ورسم لأرباب الديون أن يقوموا. بمؤونة مسجونهم حتى تنقضي **أيام الغلاء هذا** إن كان الدين مبلغا كبيرا فإن كان الدين يسيرا ألزم رب الدين بتقسيطه عن المدين أو الإفراج عن الديون فاتفق أن رجلا ادعى عند بعض نواب القاضي الحنفي على رجل بدين واقتضى الحال أن يسجن فكتب القاضي المدعي عنده على ورقة اعتقال المدين يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة. ثم في ثالث عشره: عرض السلطان جميع من في السجون وأفرج عنهم بأسرهم حتى أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ورسم ألا يسجن القضاة والولاة أحدا وأن من قبض عليه من السراق يقتل ولا تقطع يده فغلقت السجون ولم يبق بها مسجون. ثم نقض ذلك بعد قليل وسجن من استحق السجن. وفي هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها وأبيع الجليد في الأسواق مدة أيام ولم نعهد هذا ولا سمعنا به. وفي ثامنه. كان آخر عرض أجناد الحلقة. وفي حادي عشره: قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية بهدية فخلع عليه من الغد يوم الإثنين ثاني عشره. ونزل من القلعة فأدركه من خلع عنه الخلعة وأعادها إلى ناظر الخاص وذلك أنه بلغ السلطان عنه أنه أفرج للتجار عدة أحمال فلفل حتى باعوها للفرنج بمال أخذه منهم وكان قد تقدم مرسوم السلطان بمنع التجار من بيع الفلفل وأن الفرنج لا تشتريه إلا من الديوان السلطاني. وفي تاسع عشره: خلع على رجل أسود من المغاربة – يقال له سرور – لم يزل يدخل فيما لا يعنيه ويناله سبب ذلك المكروه فاستقر في قضاء الإسكندرية ونظرها على أن يكفي أجناد الثغر معاليمهم ويقوم للمرتبين بمرتباتهم ويقوم بالكسوة السلطانية ويقوم بعد ذلك كله بمائة وثلاثين دينارا في كل يوم. وكتب عليه بذلك تقرير قرره على نفسه. ونزل بالقلعة فلم يقم سوى أياما وطلع في يوم الثلاثاء حادي عشرينه واستعفى من وظيفة النظر فضرب. ورسم بنفيه فأخرج في الترسيم من القاهرة في ثالث عشرينه.." (٢)

"ممن عرف اسمه – سبعة آلاف وثمانمائة. وفي كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس ولم يبق إلا نحو من الناس. وفي كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها **وأن الوباء ارتفع**

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٠٠/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٠٥/٧

منها آخر شهر شعبان وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة. شهر رمضان أوله يوم الثلاثاء: فيه تسلم الشريف أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني امرأة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله. وقد قدم تشريف ولايته وتوقيع استقراره. وفي رابعه: خلع على رسول اسكندر بن قرا يوسف وأعيد إليه بجوابه. وفي سابعه: خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين واستقر في الوزارة عوضا عن تاج الدين بن الخطير وسبب ذلك أن مماليك الطباق بالقلعة رجموا في رابعه الوزير تاج الدين حتى كاد أن يهلك فسأل أن يعفي من المباشرة فرسم بطلب كريم الدين ابن كاتب المناخ من جدة ليلة الوزارة فتهيأت لغرس الدين هذا. وفيه جهز لطوغان حاجب غزة خلعة بنيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس عوضا عن حسن التركماني وعمل حسن حاجبا بحلب عوضا عن الأمير قنصوه. وأنعم على قنصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانبك المؤيدي بحكم وفاته. وفي رابع عشرينه: قدم الأمير أسلماس بن كبك التركماني مفارقا جانبك الصوفي فأكرم وأنعم عليه. وفي هذا الشهر: **وقع الوباء بمدينة** تعز من بلاد اليمن وعم أعمالها. شهر شوال، اوله يوم الخميس:." (١)

"فيه خلع على الأمير أسلماس فيمن خلع عليه ورسم بتجهيزه. وفي ثامنه: عزل الوزير غرس الدين خليل عن الوزارة وألزم الصاحب أمين الصاحب إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة لسد أمور الدولة ومراجعة القاضي زين الدين عبد الباسط في جميع أحوال الدولة فتمشت الأحوال وتوجه النجاب في تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ليلة الوزارة بعد فراغه من أمر جدة. وفي سابع عشرينه: رسم بطلب الأمير أينال الأجرود نائب الرها. واستقر الأمير شاد بك الذي توجه لأخذ الأمير جانبك الصوفي من ابن دلغادر عوضه. وعزل الأمير أينال الششماني من نيابة صفد وإقامته بطالا بالقدس. وأن يستقر عوضه في نيابة صفد الأمير تمراز المؤيدي. وفي هذا الشهر: **شنع الوباء بمدينة** تعز من بلاد اليمن فورد علينا منها كتاب مكة بأنه صلى في يوم واحد بجامع تعز على مائة وخمسين جنازة. وفي كتاب آخر أنه مات بها في ثلاثة أيام ألفان وخلت عدة قرى من سكانها. **فشمل الوباء جميع** بلاد الحبشة كافرها ومسلمها وسائر بلاد الزنج ومقدشوه إلى بربرا وعدن وتعز وصعدة والجبال. وفي هذا الشهر: رحل القان شاه رخ عن مملكة أذربيجان بعدما زوج نساء إسكندر بن قرا في ثاني عشره: رسم باستقرار شمس الدين محمد بن علي بن عمر الصفدي في قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن بدر الدين الجعفري بمال وعد به. وفي رابع عشره: منع الناس بالقاهرة من ضرب أواني الفضة وآلاتها وأن يحمل ذلك إلى دار الضرب ليضرب دراهم. وفي تاسع

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣١٠/٧

عشرينه: قبض بمكة على رسل ملك بنجاله من بلاد الهند وسبب ذلك أن السلطان جهز في سنة خمس وثلاثين هدية من القاهرة إلى السلطان جلال الدين أبي المظفر محمد بن فندوا صحبة بعض الطواشية فوصل بها إلى بنجالة وقدمها إلى السلطان جلال الدين فقبلها وعوض عنها بهدية قيمتها عندهم اثنا عشر ألف تنكة حمراء ومات في أثناء ذلك وقام من بعده ابنه المظفر أحمد فأمضى هدية أبيه وزادها من عنده هدية أخرى فيها ألفا شاش وعدة ثياب بيرم وخدام طواشيه وطرف.." (١)

"ظفر به وقتله وأقام على تلمسان عوضه أحمد هذا في أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وهو أصغر أولاد أبي حمو فلم يزل على تلمسان حتى مات بها وولي بعده أخوه أبو يحيى بن أبي حمو. ومات أحمد جوكي بن القان معين الدين شاه رخ سلطان بن الأمير تيمور كوركان بعد قتل قرا يلوك وعوده من أرزن الروم في شعبان بمرض عدة أيام فاشتد حزن أبيه عليه وعظم مصابه فإنه فقد ثلاثة أولاد في أقل من سنة. ومات ملك بنجالة من بلاد الهند السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبي المظفر أحمد شاه بن فندو كاس في شهر ربيع الآخر ثار عليه مملوك أبيه كالوا الملقب مصباح خان ثم وزير خان. وقتله واستولى على بنجاله. ومات الشيخ الملك زين الدين أبو بكر بن محمد بن علي الخافي ثم الهروي في يوم الخميس ثالث شهر رمضان بهراة **في الوباء الحادث** بها. نادرة قل ما وقع مثلها وهي أن ثماني عشر دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت في مدة بضعة عشر شهرا وأكثر أرباب هذه الدول الزائلة مات وهم الحطي ملك أمحرة وسلطان ومات ملك كلبرجه من بلاد الهند السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه بن أحمد بن حسين شاه بن بهمن. كلاهما مات في شهر رجب سنة ثمان وثلانين وثمانمائة. ومات الأمير سيف الدين طرباي نائب طرابلس في رجب هذا. ومات الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني في رجب أيضا. ومات أمير زاده إبراهيم سلطان بن القان الأعظم معين الدين شاه رخ ابن الأمير الكبير تيمور لنك. صاحب شيراز في شهر رمضان. ومات ملك دله مدينة الهند وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان. ومات صاحب مملكة كرمان باي سنقر سلطان بن القان شاه رخ. ومات ملك تونس وبلاد إفريقية المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس عبد العزيز في حادي عشرين صفر سنة تسع وثلاثين.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣١١/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣١٨/٧

"الأوقاف ومنادمة السلطان فنزل في موكب حليل وقد لبس العمامة المدورة والفرجية هيئة أرباب الأقلام فسر الناس به وكان من خبره أنه نشا من صغره بزى الأجناد وبرع في الحساب وكتب الخط المنسوب وصار أحد الحجاب في الأيام الناصرية فرج بن برقوق. وتقلب مع والده في مباشرة نظر الجيش ونظر الخاص والوزارة. وشكرت مباشرته لذلك. مما طبع عليه من لين الجانب وطيب الكلام وبشاشة الوجه وحسن السياسة فصار في الأيام المؤيدية شيخ من جلة الأمراء وولى أستادارية السلطان فى الأيام الظاهرية ططر وملك الأمراء. ثم عزل عن ذلك وأعيد إليه في الأيام الأشرفية برسباى وكان ما كان من مصادرته ومصادرة والده الصاحب بدر الدين على مال كبير أخذ منهما حتى ذهب مالهما إلا أنه لم يمسهما بحمد الله سوء ولا أهينا فلزما دارهما عدة سنين. ثم شبه لهما الإقبال فولى الحسبة ومازال يترقى حتى عينه السلطان لمنادمته بعد ابن قاسم بن المحلاوى وصار يبيت عنده وشكرت خصاله ولم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره بل عف وكف وأفضل وزاد في الأفضال إلى أن سعى بعض الناس في كتابة السر بمال كبير جدا وأرجف بولايته فاقتضى رأى السلطان ولاية الأمير صلاح الدين وعرض عليه ذلك ليلا وهو مقيم عنده على عادته فاستعفى من ذلك فلم يعفه وصمم عليه ورسم بتجهيز التشريف له ثم أصبح فخلع عليه وأقره على ما بيده. وإستمر به في منادمته والمبيت عنده فضبط أمره وصار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدى السلطان لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها ومعرفة المصطلح والدربة بمعاشرة الملوك وتدبير الدول ومقالبة الأحوال. فتميز بذلك عمن تقدمه من كتاب السر بعد ابن فضل الله فإنهم منذ عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يتولى كتابتها الموقعون بإملاء كاتب السر حتى باشر هو فاستبد بالكتابة وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته وتمام معرفته. . وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج. وفي هذه السنة: شنع الموات بصعدة وصنعاء من بلاد اليمن بحيث ورد إلى مكة كتاب موثوق به أنه مات بصعدة وصنعاء وأعمالهما زيادة على ثمانين ألف إنسان. وفيها أيضا **وقع الوباء بنواحي** ديار بكر وآمد وملك الديار فمات منها بشر كثير. وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر وما يليها ولله عاقبة الأمور.." (١)

"وسمور عشرة أبدان ووشق عشرة أبدان وقاقم عشرة أبدان وسنجاب مائة بدن وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب وأقواس حلقة مائة قوس وجمال بخاتى ثلاث قطر وجمال عراب ثلاثمائة جمل وصوف مربع مائة ثوب ذات ألوان. وفي يوم الإثنين سادس عشرة: خلع على جلال الدين أبى السعادات محمد بن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٣٣٧

ظهيرة قاضى مكة خلعة الإستمرار. وكان قد قدم من مكة صحبة الحاج بطلب. وأرجف بعزله فقام بأمره القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر حتى رضى عنه السلطان وأقره على قضاء مكة على مال قام به للسلطان وهو نحو خمسمائة دينار فكان ذلك من المنكرات التى وفي يوم الخميس سادس عشرينه: كان نوروز القبط. بمصر وهو أول توت رأس سنتهم منودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأصبع من عشرين ذراعا. وهذا في زيادة النيل مما يندر وقوعه ولله الحمد. وفي هذا الشهر: والذى قبله **كثر الوباء بحلب** وأعمالها حتى تجاوزت عدة الأموات. بمدينة حلب في اليوم مائة. شهر ربيع الأول أوله يوم الثلاثاء: فيه إستقر القاضى بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر في نظر الجامع الطولونى ونظر المدرسة بين القصرين نيابة عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى بسؤال القاضى زين الدين عبد الباسط له في ذلك فأذن له حتى إستنابه عنه. وفي خامسه: خلع الأمير غرس الدين خليل الذى ولى الوزارة بعد نيابة الإسكندرية وإستقر في نيابة الكرك وسار بطلبه وأثقاله من ساعته. وفيه توجه قاضى مكة الجلال أبو السعادات يريد مكة. وفي يوم السبت ثاني عشرة: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر نودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة عشرين ذراعا وثمانية أصابع. هذا وقد فتحت السدود الصليبية في يوم الجمعة أمسه. وكان هذا أيضا من نوادر زيادات النيل. ومازال يزيد حتى إنتهت زيادته في سادس عشرة الموافق له حادى عشرين بابه إلى عشرين ذراعا وثلاثة عشر أصبعا.." (١)

"خمسة آلاف دينار فنقل ذلك لجانبك فبادر وخرج ومعه بضعة وعشرون فارسا لينجو بنفسه فأدركوه وقاتلوه فأصابه سهم سقط منه عن فرسه فأخذوه وسجنوه عندهم. وذلك في يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر. فمات من الغد فقطع رأسه وحمل إلى السلطان فكاد يطير فرحا وظن أنه قد أمن فأجرى الله على الألسنة أنه قد إنقضت أيامه وزالت دولته. فكان كذلك كما سيأتى هذا. وقد قابل نعمة الله تعالى عليه في كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه وساءت سيرته فأخذه الله أخذا وبيلا وعاجله بنقمته ولم يهنيه. وفي تاسع عشرة: ركب السلطان إلى الصيد بالقليوبية وعاد من الغد. وفيه ورد كتاب الحطى ملك الحبشة وهو الناصر يعقوب بن داود ابن سيف أرعد ومعه هدية ما بين ذهب وزباد وغير ذلك فتضمن كتابه السلام والتودد والوصية بالنصارى وكنائسهم. وفي هذا الشهر: **شنع الوباء بحماة** حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم في كل يوم ثلاثمائة إنسان ولم يعهدوا مثل ذلك في هذه الأزمنة. شهر جمادى الآخرة أوله الجمعة:

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٢/٧

فيه رسم بنقل جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق إلى نظر الجيش بها عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى على أن يحمل أربعة آلاف دينار. وأن يستقر بن حجى في كتابة السر عوضا عن ابن الصفى على أن يحمل ألف دينار. وفي ثانيه: توجه السلطان إلى الصيد في بركة الحجاج. وقدم الخبر **بوقوع الوباء في** مدينة طرابلس الشام. وفي هذا الشهر: كثر ركوب السلطان إلى الصيد. وفيه **وقع الوباء بدمشق** وفشا الموت بالطاعون الوحى. وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف نزل قريبا من مدينة تبريز فبرز إليه أخوه جهان شاه المقيم بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق." (١)

"وفيه رسم. بمنع المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلى القاهرة وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف طوائف إلى المواضع التى يجتمع بها العامة للنزهة ويتفننوا في العبث والفساد من أخذ عمائهم الرجال وإغتصاب النساء والصبيان وتناول معايش الباعة وغير ذلك فلم يتم منعهم ونزلوا على عادتهم السيئة. وفي عاشرة: حمل إلى الأمراء الثمانية نفقة السفر وهى لكل أمير ألفا دينار أشرفية. وفي يوم الأربعاء ثامن عشرة: ركب السلطان إلى خليج الزعفران من الريدانية خارج القاهرة وفي هذا الشهر: **وقع الوباء ببلاد** الصعيد من أرض مصر وكثر بدمشق وشنع بحلب وأعمالها فأظهر أهلها التوبة وأغلقوا حانات الخمارين ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء والشباب المرصدين لعمل الفاحشة بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت **وخف الوباء حتى** كاد يرتفع. ففرح أهل حلب بذلك وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان. **وإستمر الوباء الشنيع** والموت الذريع فيهم رجب وشعبان وما بعده. شهر شعبان أوله يوم الإثنين: أهل هذا الشهر والسلطان مريض وقد أخرج مالا فرق في جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة فمازال إلى يوم الثلاثاء تاسعه فخلع فيه على الأطباء لعافية السلطان. وركب من الغد فزار القرافة وفرق مالا في الفقراء وعاد والمرض بين في وجهه. وفي هذا اليوم: أعنى يوم الأربعاء عاشره حدثت ريح شديدة في معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها وإستمرت عدة أيام فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر.." (٢)

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٥/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٧/٧

"الشام وصحبته الأمراء من غير أن يرافقهم في سفرهم أحد من الممالك السلطانية لسوء سيرتهم. فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة إلى أن إستقلوا بالمسير في يوم السبت سابع عشرينه. وكتب لنائب الشام الأمير أينال الجكمى أن يتوجه. ممن معه صحبة الأمراء إلى حلب ويستدعوا حمزة باك ابن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان فإن قدم إليهم خلع عليه بنيابة السلطة فيما يليه وإلا مشوا بأجمعهم عليه وقاتلوه وأخذوه. وقدم الخبر بأن محمد بن قرايلك توجه إلى أخيه حمزة بالك باستدعائه وقد حقد عليه قتله جانبك الصوفي فإنه لما بلغه نزول جانبك على أخويه محمد ومحمود كتب إلى أخيه محمد بأن يبعث به إليه ليرهب به السلطان فمال محمد إلى ما وعده به نائب حلب من المال وقتل جانبك فمازال حمزة يعد أخاه ويمنيه حتى سار إليه وفي ظنه أنه يوليه بعض بلاده فما هو إلا أن صار في قبضته قتله وظهر عاجل عقوبة الله له على بغيه. وفي هذا الشهر: وقع في كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا. شهر رمضان أوله يوم الثلاثاء: وفيه كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا وتزايدت عدتهم في كل يوم حتى فشا في الناس الموت بالطاعون في القاهرة ومصر لاسيما في الأطفال والإماء والعبيد فإنهم أكثر من يموت موتا وحيا سريعا. هذا وقد **عم الوباء بالطاعون** بلاد حلب وحماة وطرابلس وحمص ودمشق وصفد والغور والرملة وغزة وما بين ذلك." (١)

"حتى شنعت الأخبار بكثرة من يموت وسرعة موتهم. وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر ووقوعه قليلا بصعيد مصر. وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه: ختمت قراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل وقد حضر قضاة القضاة الأربع وعدة من مشايخ العلم وجماعة من الطلبة كما جرت العادة من الأيام المؤيدية شيخ. وهو منكر في صورة معروف ومعصية في زى طاعة. وذلك أنه يتصدى للقراءة من لا عهد له بمارسة العلم لكنه يصحح ما يقرأه فيكثر مع ذلك لحنه وتصحيفه وخطاه وتحريفه. هذا ومن حضر لا ينصتون لماعه بل دائما دأبهم أن يأخذوا في البحث عن مسأله يطول صياحهم فيها حتى يمضى بهم الحال إلى الإساءات التى تؤول أشد العداوات. وربما كفر بعضهم بعضا وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك. وإتفق في يوم هذا الختم أن السلطان لما **كثر الوباء قلق** من مداخلة الوهم له فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا إرتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون وأن النساء يتزين ويمشين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٩/٧

في الطرقات ليلا ونهارا في الأسواق. فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى في الأسواق. ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها. وجروا في ذلك على عادتهم في معارضة بعضهم بعضا فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا ظنا منه أن بمنعهن يرتفع الوباء. وأمر بإجتماعهم عنده من الغد فاجتمعوا في يوم الخميس وإتفقوا على ما مال إليه السلطان. فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما. بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن وألا تمر إمرأة في شارع ولا سوق ألبتة وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل فامتنع عامة النساء فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذ والى القاهرة وبعض الحجاب في تتبع الطرقات وضرب من وجدوا من النساء وأكدوا من الغد يوم الجمعة في منعهن وتشددوا في الردع والتهديد فلم تر إمرأة في شيء من الطرقات. فنزل بعدة من الأرامل وربات الصنائع ومن لا قيم لها يقوم بشأنها ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس ضيق وضرر شديد. ومع ذلك فتعطل بيع كثير من البضائع والثياب والعطر فإزداد الناس وقوف حال وكساد معايش وتعطل أسواق وقلة مكاسب.." (١)

"بسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار. وفي هذا الشهر: شنع الموت بالطاعون في بلد عانة من بلاد العراق بحيث لم يبق بها أحد. وإستولى أمير الملا عاذر بن نعير على موجودهم جميعه. وشنع الموت أيضا في أهل الرحبة حتى عجزوا عن مواراة الأموات وألقوا منهم عددا كثيرا في الفرات. وشنع الموت أيضا في أزواق التركمان وبيوت العربان بنواحي بلاد الفرات حتى صار الفريق من العرب أو الزوق من التركمان ليس به إنسان. ودوابهم مهملة لا راعى لها. وأحصى من مات بمدينة غزة في هذا الشهر فبلغوا إثني عشر ألفا ونيف ووردت الأخبار بخلو عدة مدن ببلاد المشرق لموت أهلها **وبكثرة الوباء ببلاد** الفرنج. شهر شوال أهل بيوم الخميس: وقد كل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف وذلك من تزايد عدة الأموات في كل يوم فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم وهو يوم العيد من القاهرة مائة إنسان ومن مصر إثنان وعشرون. هذا وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لإمتناعهن من المشي في الطرقات وإستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم وقلق الناس من عسف متولى الحسبة وشدة بطشه ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم خوفا على أولادهم وخدمهم من الموت الوحى السريع بالطاعون ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى بحيث أنى لم أدرك في طول عمرى عيدا كان أنكد على الناس من هذا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/ ٣٥٠

وفي ليلة هذا العيد: إشتد برد الشتاء في بلاد الشام فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر إلى أرزن كان وقد صقعت أشجارهم بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا إسودت ما عدا شجر الصفصاف والجوز فتلفت الباقلاء المزروعة والشعير والبيقياء والهليون وعامة الخضروات فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشى في الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة هلك بعدها من الناس والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار.." (١)

"يقبلون الأرض ومنهم من يقبل رجل السلطان ويضرعون إليه في العفو فلم يقبل وبعث واحدا بعد أخر يستعجل الوالى في توسيطهما وهو يتباطا رجاء أن يقع العفو عنهما. فلما طال الأمر بعث السلطان من أشد أعوانه من يحضر توسيطهما فخرج وأغلظ للوالى في القول. فقدم لعفيف فاستسلم وثبت حتى وسط قطعتين بالسيف. وقدم خضر فجزع جزعا شديدا ودافع عن نفسه وصاح فتكاثروا عليه فوسطوه توسيطا شنيعا لتلويه وإضطرابه. ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة. فساء الناس ذلك ونفرت قلوبهم من السلطان وكثرت قالتهم فكانت حادثة لم ندرك مثلها. ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان إلى يوم الخميس تاسع عشرينه فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق العلاى الأتابك ومن تأخر من الأمراء المقدمين وقال لهم: انظروا في أمركم وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الإختلاف وإ تلاف أمرائه فطال الكلام وإنفضوا عنه على غير شيء عقدوه ولا أمرا أبرموه. شهر ذى القعدة أهل بيوم السبت: والناس في أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعا وهو أن السلطان تزايدت أمراضه وأرجف بموته غير مرة وشنع الموت في مماليكه سكان الطباق حتى لقد مات منهم في **هذا الوباء نحو** آلاف. ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشي ومات من الجوارى بدار السلطان زياده على مائة وستين جارية سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدا ذكورا وإناثا. وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض وكذلك جميع بلاد الشام من الفرات إلى غزة حتى أن قفلا توجه من القاهرة يريد دمشق فما نزل بالعريش حتى مات ممن كان سائرا فيه زيادة على سبعين إنسانا منهم عدة من معارفنا. ومع هذا كساد المبيعات وتعطل الأسواق إلا من بيع الأكفان وما لابد للموتى منه كالقطن ونحوه إلا أنه منذ أهل هذا الشهر أخذت عدة الأموات تتناقص في كل يوم. وفي أوله: وصل العسكر المجرد إلى مدينة أبلستين. وفي يوم الثلاثاء رابعه: عهد السلطان إلى ولده المقام الجمالى يوسف وذلك أنه لما تزايد به المرض حدث عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط الأمير

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٥٢/٧

صفى الدين جوهر الخازندار في أمر المقام الجمالى وأشار له أن يفاوض السلطان في وقت خلوته به أن يعهد إليه بالسلطة من بعد وفاته ويحسن له ذلك فإتفق أن السلطان أمر الأمير." (١)

"وفي هذا الشهر: **وقع الوباء بالوجه** البحري من أرض مصر وقدم الخبر **أن الوباء وقع** في فصل الصيف ببلاد إفريقية كلها. شهر رمضان أوله الأحد: وفي يوم الثلاثاء عاشره: خلع على من قدم من مشايخ بلى الذين أخذوا الحجاج وقد سألوا العفو والتزموا بحفظ الحاج. وفيه قدم الطواشي خشقدم ونائبه فيروز الركني الرومي من دمياط فأمر بالتوجه إلى المدينة صحبة ركب الحاج والإقامة بها. وفي حادي عشره: قدم كتاب الأمير قانبيه الحمزاوى نائب حماة يتضمن ورود الأمير بردبك العجمى حاجب حلب وصحبته من أمراء حلب أميران إلى حماة وذلك أن الأمير تغرى برمش نائب حلب أراد من الأمير حطط نائب القلعة أن يمكنه منها فلم يوافقه ورمى عليه من القلعة فركب وركب عليه الأمراء واقتتلوا فإنهزم الأمير بردبك بمن معه في ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان. ودخلوا حماة في أخر يوم السبت سلخه فكتب بإستقرار بردبك المذكور في نيابة حماة عوضا عن الأمير قانباى الحمزاوى وأن ينتقل قانباى إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير جلبان المؤيدى وأن ينتقل جلبان إلى نيابة حلب عوضا عن تغرى برمش لخروجه عن الطاعة وتوجه الأمير على باى رأس نوبة لنقل الأمير جلبان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريفه وتوجه لتقليد قانباى نيابة طرابلس الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة وكلاهما من أمراء العشرات.

(وفي يوم الإثنين سادس عشره)

ورد الخبر من الأمير طوخ مازى نائب غزة بأن الأمير ناصر الدين محمد بن منجك لما وصل من عند السلطان بما على يده إلى جسر يعقوب بعث ملك الأمراء الأمير أينال الجكمى نائب الشام ساعيا بإستعجاله وأردفه بأخر حتى قدم يوم السبت سابع شهر رمضان فخرج إلى لقائه ولبس التشريف المجهز على يده وركب الفرس المحضر معه وقبل الأرض على العادة ودخل في الموكب جليل حتى نزل دار السعادة فإطمأن الناس بعدما كانت الإشاعة قوية بمخامرته.." (٢)

"وفيه كتب بإستقرار الأمير موسى بن محمد بن حديثة في إمرة الملا عوضا عن الغادر ابن عذراء بن نعير وجهز له تشريف. وقدم الخبر من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الجكمى أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزيز فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم في ركونه وطمأنينته إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٥٦/٧

(٢) االسلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٩٧/٧

الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم. وقد قيل: إذا وترت أمرا فإحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا إن العدو وإن أبدى مسالمة إذا رأى منك يوما فرصة وثبا وكان كذلك. وفيه ورد الخبر بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها وأنه نزل بالرملة في سابع عشره بعدما دعاه أينال الجكمى إلى موافقته وأعلمه أنه ما قام في هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر فلم يدخل في طاعته وخشي أن يكبس بصفد فأنزل حريمه بقلعة صفد ونزل بالرملة مع من بها من نائب القدس وغيره. وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أنفق في العسكر المجرد إلى الشام وعدتهم ما بين خاصكى ومملوك ستمائة وإثنان وخمسون فارسا. كل واحد ثمانون دينارا. وقدم الخبر من مكة **بأن الوباء شنع** بمدينة صنعاء وصعدة من بلاد اليمن حتى خلت من كبير وحاكم لإنقطاع الأئمة الزيدية منها بالفناء فبعث الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب زبيد وتعز وعدن بعض أمرائه فأخذ له صعدة بغير ممانع وإستولى على ما فيهما من أموال من مات. وقدم الخبر بأن الأمير جلبان المستقر في نيابة حلب وصل إلى الرملة في يوم الإثنين." (١)

"وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على الأمير تنبك بن تنبك أحد الأمراء الألوف وإستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير تغرى بردى المؤذى المنتقل إلى الدوادارية الكبرى. وفي هذه الأيام: كبست عدة أماكن في طلب العزيز وقبض على جماعة من الأشرفية لكثرة الإرجاف بخروج من في بلاد الصعيد من المماليك عن الطاعة وأنهم عادوا يريدون القاهرة فمنعت المراكب من التعدية في النيل بكثير من الناس وكثر الفحص والتفتيش حتى كبست البساتين والترب وغلقت بعض أبواب القاهرة نهارا وأخذ أهل الدولة من الأمراء ومن بالقلعة في الاستعداد للحرب هذا مع ما في الوجه البحري **من الوباء الشنيع** في سرعة الموتان الوحي السريع وكثرة عدة الأموات لا سيما في الأطفال والعبيد والإماء بحيث مات من قرية واحدة مائتا صغير من أولاد أهلها وحل بالتجار في الإسكندرية ضيق شديد وبلاء عظيم بسبب رمى الفلفل السلطاني عليهم. ونزل بأهل القاهرة ومصر خوف شديد بسبب إختفاء الأشرفية وتطلبهم فإذا طرقت جهة من الجهات حل بأهلها من أنواع البلاء ما لا يوصف من النهب والهدم والعقوبة والغرامة سواء وجد المطلوب أو لم يوجد فما بقى أحد إلا وخامر قلبه الخوف خشية أن يرميه عدو له أو حاسد لنعمته أنه أخفى أحدا من الأشرفية فلا تتروى المؤيدية في أمره ولا تتمهل بل تطرقه بغتة وتنزل به فجأة وقد تبعها من غوغاء العامة عدد كالجراد المنتشر وتهجم داره ودور من حوله فيكون شيئا مهولا وكثيرا ما فعلوا ذلك فلم يجدوا أحدا وكان من البلاء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٠١/٧

ما كان حتى أنه هجم بعض المدارس ونهبت وكسر أبواب بيوتها ونبش قبر كان بها فلم يوجد بها أحد ومع ذلك كله فالغلال ترمى على الناس من الديوان فلا يقدر على ذي الجاه ويهلك الضعيف من كثرة الغرامة. وفي يوم السبت تاسع عشره: برز المحمل إلى الريدانية خارج القاهرة صحبة الأمير تنبك المستقر حاجب الحجاب في عدة من المماليك السلطانية ثم تبعه الحجاج شيئا بعد شيء. وفيه ورد الخبر بالقبض على طوغان الزردكاش وحمله في الحديد فقدم في آخر النهار وكان من خبره أن الأشرفية من حين كانت وقعة قرقماس لم يزالوا في إدبار وتقدمت المؤيدية عليهم كما تقدم ذكره فأخذوا في التدبير لأنفسهم بغير معرفة ولا حظ يسعدهم فأخرجوا العزيز من موضعه وأضاعوه ثم قاموا مع الأمير أينال ليثوروا." (١)

"حالة ردية وأشار لبعض خواصه بالمضي لما رسم به فأخرج في الحال من المقعد لكن على حالة غير ردية ومضوا به ماشيا حتى سجنوه بالبرج ورسم له أن يدفع إلى المرسمين عليه بالمقعد وهم ثمانية من خاصكية السلطان مبلغ ألفي دينار ومائتي دينار فدفعها إليهم وإذا بوالي القاهرة قد دخل عليه بالبرج وأمره أن يخلع جميع ما عليه من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه الاسم الأعظم ولذلك كلما هم بعقوبته صرفه الله عن ذلك. فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ومضى بها الوالي وبما في أصابع يديه من الخواتيم فواجد في عمامته قطعة أديم ذكر لما سئل أنها من نعل النبي صلى الله عليه وسلم ووجدت فيها أوراق بها أدعية ونحوها. وفي يوم السبت ثالث عشره: وهو أول مسرى نودي على النيل بزيادة خمسين إصبعا لتتمة أربعة عشره ذراعا وإصبعين وهذا المقدار مما يستكثر مثله في أول مسرى ولله الحمده وفي هذا الشهر: إرتفع سعر الغلال فإرتفع سعر القمح من مائة وأربعين درهما الأردب إلى مائة وتسعين والشعير من ثمانين درهما الأردب إلى مائة وخمسين وبلغ القول نحو مائتي درهم الأردب وشره الناس في خزن الغلال ظنا منهم أن أسعارها تعلو من أجل أن أكثر أراضي الزرع كانت شراقي ومع ذلك فتولد من الفأر شيء عظيم أفسد في الزروع فسادا كبيرا ووقعت ببلاد الصعيد فتن كبيرة رعى فيها من الزروع ما شاء الله فلذلك نقص متحصل غلال النواحي حتى أرجف المشنعون **بوقوع الغلاء ولهجوا** بذكره فأغاث الله العباد والبلاد وأجرى النيل سريعا غزيرا فضعفت قلوب خزان الغلال وإطمأنت قلوب الكفاية فإنكفوا عن كثرة وفي هذا اليوم: قدم الأمير أينال الأجرود من صفد والأمير طوغان نائب القدس والأمير طوخ أتابك العسكر بغزة وقد صار من جملة مقدمي الألوف بدمشق على تقدمة مغلبية الجقمقي فخلع عليهم وأركبوا خيولا بقماش ذهب ونزلوا إلى دورهم. وفي هذه الأيام: ندب السلطان من جرف جميع الأتربة التي كانت بالرميلة تحت

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٤١٠

القلعة ونقلها إلى الكيمان وجرف الأتربة التي كانت بالصوة تحت القلعة إلى قريب مدرسة الأمير أيتمش بطرف التبانة. وفي رابع عشره: رسم بإحضار من في سجن الإسكندرية وهم جانم أمير أخور." (١)

"في ضمانه وكتب إلى الشريف بركات أمير مكة بذلك وجهزت الكتب إلى ابن منجك. وفي هذا الشهر والذي قبله: وقع بالطائف ووج ولية وعامة بلاد الحجاز وباء عظيم هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم بحيث صارت أنعامهم هملا وأخذها من ظفر بها. **وإمتد الوباء إلى** نخلة على يوم من مكة. شهر شوال أوله السبت: في هذا الشهر: انحل سعر الغلة وكثر وجودها وأبيع القمح من مائتي درهم إلى مائتين وخمسين درهما الأردب. في هذا الشهر: إنحلت أسعار الغلال ودخلت الغلة الجديدة ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وإرتفع ثم اتضع. وفي يوم الخميس رأبعه: عقد السلطان على الخاتون بنت الأمير ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر بعد أن حمل لها المهر ألف دينار وشقق حرير وغير ذلك وكانت تحت الأمير جانجك الصوفي وأتت منه بإبنة لها من العمر نحو الثلاث سنين. وفيه خلع على الشيخ على بن العجمي أحد خواص السلطان كاملية بفرو سمور وإستقر في حسبة مصر فسار فيها سيرة حسنة بعفة ونهضة. وفيه نودي بعرض أجناد الحلقة فإبتدىء بعرضهم على السلطان في يوم السبت سادسه فإمتحنهم في رمي النشاب وأكد عليهم في تعليمه ولم يبد لهم منه إلا الجميل ثم وإتفق في هذا الشهر حادث شنيع وهو أن السلطان يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى أهل العلم وهو يعلم أن القان معين الدين شاه رخ ملك المشرق كان يعث بالإنكار على الأشرف برسباى لأخذه بجدة ساحل مكة من التجار الواردين إليها من." (٢)

"وهو على ظهر الفرس ... كضيغم إذا افترس

وكان بدر جوادا يسمع المديح ويثيب عليه، حتى قيل إن احتياجه في كل شهر من السكر كان مائة قنطار بالركل الشامي.

وكان من تدبيره أنه عمد إلى مصر **بعد الغلاء المفرط**، فنادى بإباحة الزرع لمن زرع وبذر، بغير خراج، ثلاث سنين، فكثر الزراع لرغبتهم في عدم وزن الخراج. فما مضى الثلاث حتى استغنوا. فوضع الخراج في الرابعة. واقتصر فيما يقال على جباية النصف، وسمح للزراع بالنصف، ثم صار بعد ذلك يستوفي الخراج، بعد أن عمرت الأرض كلها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٣٢/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٤٩/٧

وكان من مكارمه ما ذكره ابن ميسر في ترجمة علقمة بن عبد الرزاق العليمي أنه وفد عليه، فوجد أشراف الناس وأكابرهم على بابه، فلم يتيسر له

الوصول إليه، إلى أن اتفق أنه خرج يوما يريد الصيد، فوقف له على تل. فلما اجتاز به أشار إليه بورقة في يده، وصاح بأعلى صوته:

نحت التجار وهذه أعلاقنا ... در وجود يمينك المبتاع

قلب وفتشها بسمعك إنما ... هي جوهر تختاره الأسماع

كسدت علينا بالشآم وكلما ... قل النفاق تعطل الصناع

فأتاك يحملها إليك تجارها ... ومطيها الآمال والأطماع

حتى أناخوها ببابك والرجا ... من دونك السمسار والبياع

فوهبت ما لم يعطه في دهره ... هرم ولا كعب ولا القعقاع

وسبقت هذا الناس في طلب العلا ... والناس بعدك كلهم أتباع

يا بدر أقسم لو بك اعتصم الورى ... ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

قال: فلما شرع في الإنشاد، أمسك عنان فرسه، فلما فرغ كان في يده بازي، فدفعه لبعض أتباعه وجعل يستعيد الأبيات. فأمر بإحضاره مجلسه. فلما دخل عليه قال من أحبني فليخلع عليه، فما توجه من حضرته إلى بسبعين حملا، وأجازه من ماله بعشرة آلاف درهم.." (١)

"الحسين بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عمر بن شأس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شأس الجذامي، مالكي المذهب من المائة السابعة، يلقب تقي الدين، ويكنى أبا علي ابن شرف الدين أبي الفضل ابن الشيخ الإمام مصنف الجواهر في مذهب مالك، وهي على ترتيب الوجيز للغزالي. ومنها اختصر ابن الحاجب كتابه.

ولد سنة تسع وستمائة في صفر، وسمع من جده لأمة الشيخ بهاء الدين أبي الحسن ابن بنت الجميزي، ومن جعفر بن علي الهمذاني، ومن عوض التونسي وغيرهم، وحدث. روى عنه الحافظ قطب الدين الحبي.

وكانت ولايته القضاء في ذي الحجة سنة ثمان وستين. ثم صرف في شهر رمضان سنة تسع وستين.

ثم أعيد في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين. ودرس بالمنصورية للمالكية، وبالقمحية في نصف شهر رمضان سنة أربع وثمانين. ومات في آخر يوم من ذي القعدة، أول يوم من ذي الحجة سنة خمس وثمانين

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٩٤

وستمائة.

الحسين بن علي بن أحمد المكرمي، إسماعيل من المائة الخامسة. كذا سماه ابن ميسر في تاريخه، وسماه المكرمي، إسماعيلي من المائة الخامسة. كذا سماه ابن ميسر في تاريخه، وسماه الحافظ قطب الدين الحلبي في تاريخه: (الحسن) بفتحتين.

وكانت ولايته عند صرف محمد بن عبد الحاكم، سنة مات المستنصر وهي سنة سبع وثمانين وأربعمائة، فكانت مدته شهرا واحدا وثلاثة أيام.

وكان سبب عزله أنه ظهرت عليه عصابة لها قيمة، كأنها من ذهب. وفيها جوهر نفيس، كان أخذها من القصر **أيام الغلاء والشدة**، ففقدت من صاحبتها وظهرت عليه بعد أن ولي القضاء. فعزل بسببها وصودر. ذكر ذلك ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة نقلا عن الصفي الجوهري هو علي بن منجب ابن الصيرفي.

الحسين بن علي بن النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن." (١)

"إلى الشام وهو شاب فاستوطنها إلى أن عرف بالدمشقي. ثم توجه إلى مصر فأقام بها وولي القضاء بها مرتين، ثم عزل.

وكان شيخا حسن الأخلاق محبا للعلم وأهله، متواضعا لطلابه. كريم الأخلاق كيسا متواضعا. وكانت بضاعته في العلم مزجاة. لقيته بمصر وقرأت عليه مسند الشافعي بمصر، وذكر لي أن خروجه من بغداد سنة سبع وسبعين.

عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة (*) ، وحسنة هي أم شرحبيل، وأبوه عبد الله بن المطاع ولشرحبيل صحبة. وهو كندي حالف بني زهرة، وكان يقال لعمران: الحسني، نسبة إلى حسنة جدته العليا، ويكنى أبا شرحبيل.

قال أبو عمر الكندي: ولي عمران بن عبد الرحمن من قبل عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وجمع له القضاء والشرط. قال: وكان من أهل العلم والفضل. وكان ذلك في سنة ست وثمانين، ثم ولي بحر مصر بعد ذلك بمدة سنة ثلاث ومائة وتوفي بعد ذلك وهو من التابعين.

سمع من أبي خراش المدلى الصحابي وهو من بتي مدل بن زيد بطن من رعين. روى عنه عياش بن عباس

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/١٣٩

القتباني وموسى بن أيوب الغافقي.

وفي ولايته أتى بمولى لعبد الله بن عبد الملك من خواصه وهو سكران فجلده الحد، فقيل لعمران: إنه من خواص الأمير، فقال: لو كان ابنه لحددته وكان الأمير يومئذ بالإسكندرية فبلغه ذلك فكتب بعزله ثم سجنه وضيق عليه.

واتفق أن الغلاء وقع بمصر فتشاءموا بإمرة عبد الله بن عبد الملك وكانت أول سنة حصلت لمصر فهجاه ابن أبي بدر الحسني بأبيات منها:

إذا سار عبد الله عن مصر خارجا ... فلا روجعت تلك البغال الخوارج

أتى مصر والكيال واف مغربل ... فما سار حتى صار والمد فالج." (١)

"دخلت حمص وأكبر همي شأن بقية فتتبعت أحاديثه وكتبت النسخ على الوجه وتتبعت ما لم أجد بعلو يعني بنزول فرأيته ثقة مأمونا ولكنه كان مدلسا دلس عن عبيد الله بن عمر ومالك وشعبة ما أخذه عن مثل المجاشع بن عمرو والسري بن عبد الحميد وعمر بن موسى الميتمي وأشباههم فروى عن أولئك الثقات الذين رآهم ما سمع من هؤلاء عنهم فكان يقول قال عبيد الله وقال مالك فحملوا عن بقية عن عبيد الله وعن بقية عن مالك وأسقط الواهي بينهما فألزق الوضع ببقية وتخلص الواضع من الوسط وامتحن بقية بتلاميذ له كانوا يسقطون الضعفاء من حديثه ويسوونه فالتزق ذلك كله به وأورد ابن حبان له عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أحاديث منها "تربوا الكتاب" ومنها من "أدمن على حاجبيه بالمشط عوفي من الوباء" ومنها "إذا جامع أحدكم فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى" وقال هذه من نسخة موضوعه كتبناها يشبه أن يكون بقية سمعها من إنسان ضعيف عن ابن جريج فدلس عنه فالتزق ذلك به وقال العقيلي: "صدوق اللهجة إلا أنه يأخذ عمن أقبل وأدبر فليس بشيء" وقال أبو أحمد الحاكم: ثقة في حديثه إذا حدث عن الثقات لا يعرف لكنه ربما روى عن أقوام مثل الأوزاعي والزبيدي وعبيد الله العمري أحاديث شبيهة بالموضوعة أخذها عن محمد بن عبد الرحمن ويوسف بن السفر وغيرهما من الضعفاء ويسقطهم من الوسط ويرويها عن من حدثوه بها عنهم وروى ابن عدي عن بقية قال قال لي شعبة: "يا أبا يحمد ما أحسن حديثك ولكن ليس له أركان" وقال بقية." (٢)

---

(١) رفع الإصر عن قضاة مصر ابن حجر العسقلاني ص/٢٨٥

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١

"حديثين عن عبد الله بن جابر بن عتيك فقيل هو هذا فوهم مالك في تسمية جده جابرا وقيل هو آخر وهو الراجح والله أعلم.

٤٧٩ - "خ م د س - عبد الله" بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي أبو يحيى١ المدني وقال أبو حاتم يقال عبيد الله وعبد الله أصح روى عن أبيه وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وعبد الله بن شداد بن الهاد وعبد الله بن خباب بن الأرت وعبد المطلب بن ربيعة بنت الحارث على خلاف فيه وأم هانئ بنت أبي طالب على خلاف فيه وعنه أخوه عون وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعاصم بن عبيد الله والزهري قال النسائي ثقة وقال ابن سعد وعمرو بن علي قتلته السموم بالأبواء وهو مع سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وقال الزبير بن بكار نحو ذلك وكذا أرخه بن المديني له عند خ د في رجوع عمر لما **وقع الوباء بالشام** قلت وقال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وقال العجلي مدني تابعي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وعندي في صحة سماعه من عبد الرحمن بن عوف نظر والصواب أن بينهما بن عباس٢.

٤٨٠ - "عبد الله" بن عبد الله بن سراقة روى عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وعنه الزبير بن عثمان صوابه الزبير بن عثمان بن عبد الله بن سراقة وقد تقدم في الزاي

---

١ أبو أيوب – خلاصة.

٢ عبد الله بن عبد الله بن الحصين بن محصن في عبد الله "عبد الله" بن عبد الله بن رافع في عبيد الله "عبد الله" بن عبد الله بن رافع في عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع ١٢ أبو الحسن.." (١)

"القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين ابن علي بن الحسين بن علي الحسيني الهاشمي من آل بيت أمراء المدينة كان خارجا عنها فأنف من طول الغربة فجمع قوما وهجم المدينة في ربيع الأول سنة ٢٧ بعد أن حاصرها أسبوعا وأحرق الباب ففر طفيل أميرها وصادر الناس حتى **اشتد الغلاء بالمدينة** وافتقر جماعة من المياسير فأخذ طفيل عسكرا من مصر وقدم ففر ودي ثم حضر إلى القاهرة وترافع هو وطفيل إلى الناصر ثم سجن ودي وأعيد طفيل إلى المدينة ومعه بعض الأمراء ثم أفرج عنه في رمضان سنة ٣١ ورتب له راتب ثم أضيف إليه طفيل في أمرة المدينة ثم أفرد بها سنة ٣٦ ثم عزل بسعد بن ثابت في سنة ٥٠ فجمع جموعا وهجم المدينة وأخذ أموال الخدام نهبوا المدينة حتى لم يبق بها

---

(١) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني ٢٨٤/٥

أحد إلا اجتاحه وخرج هاربا ثم قبض عليه وسجن سنة ٧٥٢ فمات بالسجن

٨٥٨ – آدينة الططري شحنة بغداد من قبل التتار كان عادلا صارما ولي بغداد فمهدها من المفسدين وقمع من بها من المعتدين وخفف ظلما كثيرا وحمدت سيرته إلى أن مات في أوائل سنة ٧٠٩ بناحية الكوفة وكان دينا حسن الإسلام يمشي إلى صلاة الجمعة

٨٥٩ – أراي نائب الكرك تنقلت به الأحوال إلى أن صار أمير آخور كبيرا ومات في صفر سنة ٧٥٧." (١)

"كبار الدولة التركية ولم يزل يسعى بماله وهداياه بين الناصر وأبي سعيد حتى عقد الصلح وخطب للناصر على منبر تبريز ثم أفرط في الإنعام على الأمراء والحريم السلطاني والخاصكية فانعكس الأمر عليه وعظم على الناصر ما يعطيه لهم بغير مشورته فقبض عليه في رابع عشر ربيع الآخر سنة ٧٢٣ وأحيط بأمواله فوجد له شيء كثير جدا ثم أفرج عنه بعد عشرة أيام وأمر أن يقيم بالقرافة هو وولده ولا يجتمعان بأحد ووجدت أوقافه وقيمتها ما يزيد على ستة آلاف ألف درهم فأشهد عليه أنه كان اشتراها من مال السلطان ثم نفي هو وولده إلى الشوبك ثم أعيد إلى القدس فسكن مدرسة بها ثم حضر إليه في ربيع الأول سنة ٧٢٤ قطلوبغا المعزي وأوقع الحوطة عليه وأحضره هو وولده إلى مصر فحبسا ببرج القلعة ثم نفي إلى أسوان فوجد مشنوقا في شوال منها

١٠٣٨ – الأكز الناصري كان جمدارا ثم أمره الناصر وولاه شد الدواوين فعمل الشد أعظم من الوزير وبالغ في تنويع عذاب من يصادره حتى كان يحمي الطاسة ويلبسها له ويحمي الدست ويجلسه عليه ويضرب الوتد في الأذن ويدق القصب في الظفر وكان الناصر أقام معه لؤلؤ غلام قندس شاد الجهات فاتفقا على أذى الناس إلى أن لطف الله وأوقع بينهما الشر فسعى لؤلؤ فيه فاتفق أن **وقع الغلاء فقال** للناصر أن الأكز." (٢)

"أرسل إليه يقول له إنني أريد أن أجهز بنتين لي لتتزوجا بابني الأمير تنكز صحبة عشرين خاصكيا من الأمراء وكانت تلك السنة ممحلة فخشي تنكز على الرعايا **من الغلاء فكتب** يسأل أن يؤذن له في الحضور إلى القاهرة بولديه ويكون الدخول هناك فجهز إليه طاجار يقول له أنه ما بقي يطلبك إلى مصر ولا يجهز إليك أميرا كبيرا حتى لا تتوهم فقال أنا أتوجه معك بأولادي فقال لو وصلت إلى بلبيس ردك وأنا

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤١١/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤٨٠/١

أكفيك هذا المهم وأكون عندك بعد ثمانية أيام بنعلين جديد فثبطه بكلامه ويقال لو عصاه وسار إلى السلطان عذره ولم يلق إلا خيرا

ومن أعظم ما وقع له مع السلطان من الإكرام أنه قدم سنة ٧٣٨ فخرج السلطان لملاقاته بسرياقوس وأرسل له قوصون بالإقامة ثم بعث له أولاده لما قرب ثم ركب فلما رآه ترجل فترجل كل من معه من الأمراء وألقى تنكز نفسه عن الفرس إلى الأرض وأسرع وهو يقبل الأرض وقد ذهب حتى انكب على قدمي السلطان فقبلهما فأمسك رأسه بيديه وأمره بالركوب وقدم في سنة ٧٣٩ فكانت قيمة تقادمه للسلطان والأمراء مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وبالغ السلطان." (١)

"في إكرامه حتى أخرج بناته فقبلن يده ثم عين منهن ثنتين لولدي تنكز وكتب له تفويض في جميع مملكة الشام وإن النواب بأسرها تكاتبه بما يكاتبه به السلطان ومن أعماله الجيدة أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يصرف لأحد جامكية حتى يرم شعثها فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة وأمر بكسح الأوساخ التي في مقاسم المياه التي تخلل الدور وفتح منافذها وكانت انسدت **فكان الوباء يحصل** بدمشق كثيرا بسبب العفونات فلما صنع ذلك زال ما كان يعتادهم في كل سنة من كثرة الأمراض فكثر الدعاء له وأجرى العين إلى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلا وأقاموا في عملها سنة وبنى لها مصنعا سعته مائة ذراع وأكثر من فكاك الأسرى وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم وجمع الكلاب فألقاها في الخندق واستراح الناس من أذاهم وهدم أماكن كثيرة استجدت في أسواق دمشق ضيقت الطرقات من باب جسر الحديد إلى باب الفراديس وكان شاع في تلك الأيام أن تنكز عزم على التوجه إلى بلاد التتار فطرقت سمع طاجار فبلغها السلطان مع ما ضم إليها بسبب ما عامله به." (٢)

"العراق وهو والد أويس وكان يقال له حسن الكبير تمييزا له عن حسن بن تمرتاش وكان حسن الكبير زوج خاتون بغداد بنت الجوبان فلم يزل بوسعيد إلى أن طلقها وأخذها منه قهرا وأبعده فلما مات بوسعيد عاد فملك بغداد وأقام بها وجرت له مع التتار حروب كثيرة ومع أولاد تمرتاش النصر فيها ثم أنه تزوج دلشاد بنت دمشق خواجا ابن جوبان وهي ابنة أخي امرأته الأولى ووقع في ولايته على **بغداد الغلاء المفرط** حتى بيع الخبز بصنج الدراهم ونزح الناس عن بغداد وقام هو بالملك أحسن قيام ونشر العدل إلى أن تراجع الناس إليها ولما كان في سنة ٧٤٩ توجه إلى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قررها عليهم فأخذها وعاد فوجد نوابه

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢/٦٩

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢/٧٠

في بغداد قد وجدوا في رواق الغزر ببغداد ثلاثة قدور مثل قدور الهريسة طول كل جب منها نحو ذراعين ونصف والثلاثة مملوءة ذهبا مصريا وصوريا ويوسيفا وفي بعض سكة الناصر البغدادي فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطارا بالبغدادي ومات الشيخ حسن في سنة ٧٥٧." (١)

"مصنفات القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والمطالع والغاية في الفقه والمصباح وسكن سلطانية ثم تبريز وولي قضاءها ذكره الأسنوي في طبقات الشافعية ويقال أنه كان يقرىء المذهبين وكان أولا حنفيا وذكره الذهبي في المشتبه في العبري فقال عالم كبير في وقتنا وتصانيفه سائرة مات في شهر رجب سنة ٧٤٣ قلت رأيت بخط بعض فضلاء العجم أنه مات في غرة ذي الحجة منها وهو اثبت ووصفه فقال هو الشريف المرتضى قاضي القضاة كان مطاعا عند السلاطين مشهورا في الآفاق مشارا إليه في جميع الفنون ملاذا للضعفاء كثير التواضع والانصاف ومال في أواخر عمره إلى الاشتغال في العلوم الدينية وشرح كتاب المصابيح فى المسجد الجامع يحضره الخاص والعام بعبارات عذبة فصيحة قريبة من الافهام وكانت وفاته بتبريز وفيها **كان الغلاء المفرط** بخراسان والعراق وفارس وأذربيجان وديار بكر حتى جاوز الوصف وأكل الرجل أبوه والابن أباه وبيعت لحوم الآدميين في الأسواق جهرا ودام ستة أشهر وكان أخف البلاد في ذلك أهل تبريز

٢٥٦٢ - عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح المحدث تقي الدين أبو بكر القرشي المصري المالكي ولد بعد الثلاثين واشتغل ثم تجرد للطلب." (٢)

"ثم ولي الصعيد ثم أعطي ولاية القاهرة فباشرها بصرامة وشدة حتى صار يضرب بجوره المثل وداخل النشو وقتل بأمره جماعة من الكتاب وأضيفت إليه الحسبة على الخبز في **أيام الغلاء فساس** الناس سياسة جيدة ومات قبل الأربعين

٩٥ - علي بن الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام علاء الدين ابن سلام تفقه ودرس وأفتى قال ابن كثير كان مشكورا في دروسه أثنى عليه ابن كثير وابن رافع وابن حبيب مات في ذي القعدة سنة ٧٥٣ وهو أخو الشيخ كمال الدين بن سلام جد الشيخ علاء الدين ابن سلام الذى أدركناه بدمشق بعد الثمانمائة

- ٩٦ علي بن الحسين بن علي بن بشارة الشبلي الحنفي الدمشقي ولد سنة ٦٩ وسمع من اليونيني وأعاد بالشبلية فنسب إليها وكان متأهلا فاضلا ومات في شعبان سنة ٧٣٤

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ١١٥/٢

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٣

– ٩٧ علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن خلف بن محمد الحسنى الارموي شرف الدين أبو الحسن نقيب الأشراف المعروف بابن قاضي العسكر ولد سنة ٦٩١ وأمه بنت الصاحب فخر الدين الخليلي وقد سمع ومن زينب بنت شكر وابن الشحنة وغيرهم وتفقه للشافعي وقرأ العربية والأصول وسمع من جماعة ودرس بالآقبغاوية والمشهد." (١)

"الاعتناء به وشرع العماد المذكور في شرح على صحيح مسلم ومات في المحرم سنة ٧٣٤

– ٣٩٨ عمر بن عبد الصمد بن محمد الانطاكي زين الدين الحلبي الشهير بالزاهد ذكره ابن حبيب وأثنى عليه بمعرفة الشروط وغيرها وكان عفيفا كتب في الحكم وأذن له في الفتوى ومات بحلب سنة ٧٥٣

– ٣٩٩ عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليلي الداري الصاحب فخر الدين ولد قبل سنة ٤٠ ويقال بعد الأربعين واشتغل بالعلم وسمع الحديث من المرسي وحدث عنه وتعانى الكتابة وكان أبوه مجد الدين من الصلحاء ثم لاذ فخر الدين بالصاحب ابن حنا وولي نظر الصحبة وديوان الصالح علي بن المنصور ثم ولي الوزارة في دولة كتبغا وبعدها وكان أول ما ولي الوزارة نزل بخلعته إلى بيت الصاحب تاج الدين وقبل يده والسبب في ذلك أنه كان ولي ديوان الصالح علي فلما مرض الصالح أوصى أباه بابن الخليلي فولاه بعد موت الصالح ناظر النظار ثم عزله الأشرف فباشر ديوان كتبغا وتاج الدين وزير فلما تسلطن كتبغا فوض الوزارة للخليلي وعزل ابن حنا فانتقل ابن الخليلي إلى وظيفته وكان قبل ذلك في خدمته وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٦٩٤ فباشر وقد توقفت الأحوال **بسبب الغلاء وغيره** وأحدث أخذ مال من يموت وله وارث وتكلف الوارث إثبات ما يدعيه فإلى أن يثبت استهلك ماله فيحال على تركة أخرى فلا يزال أهل المواريث في المطالبة وغالب من يطالبهم لا يحصل على طائل فلما تسلطن." (٢)

"ابن الوردي الفقيه الشافعي الشاعر المشهور نشأ بحلب وتفقه بها ففاق الأقران وأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحماة وعن الفخر خطيب جبرين بحلب ونظم البهجة الوردية في خمسة آلاف بيت وثلاث وستين بيتا أتى على الحاوي الصغير بغالب ألفاظه وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه وله ضوء الدرة على ألفية ابن معطي وشرح الألفية لابن مالك والرسائل المهذبة في المسائل الملقبة وله مقامات ومنطق الطير نظم ونثر وله الكلام على مائة غلام مائة مقطوع لطيفة والدراري السارية في مائة جارية مائة مقطوع كذلك وضمن كثيرا من الملحة للحريرى في أرجوزة غزل واختصر ألفية ابن مالك في مائة

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤/ ٤٨

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٠٠

وخمسين بيتا وشرحها وغير ذلك وكان ينوب في الحكم في كثير من معاملات حلب وولي قضاء منبج فتسخطها وعاتب ابن الزملكاني بقصيدة مشهورة على ذلك ورام العود الى نيابة الحكم بحلب فتعذر ثم أعرض عن ذلك ومات في الطاعون العام آخر سنة ٧٤٩ بعد أن عمل فيه مقامة سماها النبا **في الوباء ملكت** ديوان شعره في مجلد لطيف وذكر الصفدي في أعيان العصر أنه اختلس معاني شعره وأنشد في ذلك شيئا كثيرا ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس بل المتبادر إلى الذهن عكس ذلك نعم استشهد الصفدي على صحة دعواه بقول ابن الوردي." (١)

"لاجين وقراسنقر وطائفة كان اصطنعهم بعد قتل الأشرف ممن كان توثب على الأشرف ووصل الخبر بذلك إلى دمشق في ثامن عشرة ثم دخل كتبغا دمشق في ذي القعدة سنة ٩٥ وتوجه إلى حمص ثم توجه إلى مصر فوثب عليه لاجين فقتل بتخاص والأزرق وكانا ركني كتبغا فهرب كتبغا وذلك في صفر سنة ٩٦ ودخل قلعة دمشق فلم يجمع له أمر وبذل الطاعة للاجين فقال هو خشداشي وما مني له خلاف ودخل لاجين إلى مصر سلطانا فاستقر له الأمر بغير منازع وجلس التخت في عاشر صفر وشق المدينة في سادس عشرة فأمره لاجين أن يقيم بقلعة صرخد واطلق له بعض غلمانه ونسائه فأقام بها إلى أن كان بعد وقعة غازان فأعطاه الناصر النيابة بحماة بعناية بيبرس وسلار فانهما كانا العمدة في تدبير المملكة وليس للناصر حينئذ سوى الاسم وكان بيبرس في خدمة كتبغا فصار كتبغا بعد زمن يسير في خدمة بيبرس فباشر نيابة حماة إلى أن مات وكان قليل الشر يؤثر أمور الديانة شجاعا مقداما سليم الباطن رفيقا بالرعية ووقع في **سلطنته الغلاء الكبير** المشهور فتشاءم الناس به فإن النيل في تلك السنة قصر إلى أن بلغ في آخر السنة مائة وخمسين درهما ثم بلغ إلى مائة وتسعين ولم يمطر." (٢)

"بأرض الشام ثم **تزايد الوباء بالقاهرة** حتى ضبط في اليوم الواحد في ديوان المواريث خاصة سبعة آلاف نفس سوى من لم يضبط ولولا أنه فرق الفقراء على الأمراء كل واحد على قدره وإلا لمات الجميع **من الغلاء وفي** سلطنته قدم الاويراتية من بلاد التتار ومقدمهم طوغان فأكرمهم كتبغا وهم على دين الكفر وصاروا يأكلون جهارا في رمضان ورأيت في رحلة التجيبي أن كتاب المنصور لاجين ورد إلى الإسكندرية في استقراره في السلطنة وفيه أن السبب في القيام على كتبغا أنه مال إلى جنسه من الططر ففطن الأمراء لذلك وأرادوا قتله فهرب في ثلاثين نفسا وذلك بقرب غزة في المحرم سنة ٦٩٦ فاتفقوا على عقد السلطنة

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٢٩/٤

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٣٠٧/٤

للاجين فبايعوه وحلفوا له قال في فصل من فصول الكتاب إنا لو أردنا القبض على كتبغا ما عجز بنا لكنا أبقينا عليه لكونه كان من إخوتنا قال ومن العجائب ان الكتاب قريء على أهل البلد بالجامع فسمعوه وافترقوا ولم يبالوا بشيء مما وقع ولا غلق سوق ولا كان عند أحد من الناس بسبب ذلك حركة ولو اتفق بعض ذلك ببلاد المغرب لاشتعلت البلاد نارا للفتنة وانقطعت المعايش قال وما ذاك إلا لقلة فضولهم واشتغالهم بما يعنيهم وكانت وفاته في يوم النحر من سنة ٧٠٢ وأرخه ابن حبيب سنة ٧٠١ وهو وهم." [١]

"شئ من القذر فتأذى به وبالغ في غسل رجله الرسالة التي أولها والشئ بالشئ يذكر يقول فيها على أنه أكثر محافظة منه وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أحرقته نار وجد من أوطانه وأزعجته من مكانه وهو لا يضمر الأحباء ولا يطلب منك الأقرباء لا شك إذا أبوكما واحد أنكما من طينة واحدة وكتب إليه فخر الدين عبد الوهاب النصري أيضا أبياتا **في الوباء يتلعب** به فيها مات في الطاعون في ذي القعدة سنة ٧٤٩

١٨٥٨ - محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سالم بن عبد القاهرة الدمشقي نجم الدين العسقلاني سمع من ابن خطيب القرافة وابن مضر وعبد الله بن الخشوعي وحدث وعنده عن ابن مضر الموطأ رواية أبي مصعب سمعه منه شيخي بدر الدين ابن قوام مات في ٣ شهر ربيع الآخر سنة ٧٣٠

١٨٥٩ - محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفهري أبو عبد الله الشاطبي قال ابن الخطيب شاعر أكثر الشعر جدا في أعلى درجات الوسط وقفت له على ثلاثة أشعار في مدح الوزير أبي إسحاق بن سهل خاصة ومدح ملوك بني نصر ووزراءهم

١٨٦٠ - محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن حافي رأسه أبو عبد الله الزناتي الإسكندري سمع من منصور بن سليم الجزء الخامس من فضل المحرم من تخريجه وأجاز له الأديب مظفر بن محاسن الذهبي وحدث بالإسكندرية ذكره ابن رافع في معجمه قلت مات في شهر." [٢]

"الكوفي أبو داود النخعي معروف بالكذب قاله قتيبة وإسحاق ثابت بن موسى حدثنا سليمان ابن عمرو عن خالد بن سلمة عن أب أن ابن عثمان عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الثابت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأمصار" قال أبو معمر أخذ بشر المريسي رأي جهم من أبي داود النخعي وقال الحاكم لست أشك في وضعه للحديث على تقشفه وكثرة عبادته وقال أبو الوليد سمعت شريكا يقول ما لقينا من بن عمنا يعنى سليمان ابن عمرو

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤/٣٠٨

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥/٤٥٦

يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى وقال أبو وارة سمعت أبا الوليد الطيالسي يقول اتيته فقال ثنا سليمان التيمي عن أنس رضي الله عنه من قاد أربعين خطوة فقلت قوموا من عند هذا الكذاب وقال ابن المديني كان من الدجالين وقال ابن راهويه لا أدري في الدنيا أكذب منه وقال ابن عبد البر هو عندهم كذاب يضع الحديث وتركوا حديثه قلت الكلام فيه لا يحصر فقد كذبه ونسبه إلى الوضع من المتقدمين والمتأخرين ممن نقل كلامهم في الجرح والعدالة فوق الثلاثين نفسا.

[٣٣٣] "سليمان" ابن عيسى بن نجيح السجزي عن ابن عون وغيره هالك قال الجوزجاني كذاب مصرح وقال أبو حاتم كذاب وقال ابن عدي يضع الحديث له كتاب تفضيل العقل جزءان ومن بلاياه حدثتنا الليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: "ان الله أمرني بحب أربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي" وله عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا "من **تمنى الغلاء على** أمتي ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة" وله عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا "إذا أتت على." (١)

"عتبة بن حميد.

[١٠٤٩] "ز – العباس" بن إسماعيل بن حماد البغدادي مولى بنى هاشم يروى عن أبي الوليد ومسلم بن إبراهيم واقرأنهما قال ابن حبان في الثقات يعتبر به حدثنا عنه بن قتيبة.

[١٠٥٠] "ز – العباس" بن امجور مولى أمير المؤمنين روى عن أبي محمد المراغى عن قتيبة عن أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا "إن الله اختار من الملائكة أربعة من النبيين أربعة ومن المهاجرين أربعة ومن النساء أربعا ومن الأهلة أربعة ومن الأيام أربعة" فذكر حديثا طويلا منكرا ذكره ابن عساكر في مقدمة تاريخه وقال العباس وشيخه مجهولان.

[١٠٥١] "ز – العباس" بن بزيع في ترجمة يحيى بن أحمد.

[١٠٥٢] "العباس" بن بكار الضبي بصري عن خالد بن أبي بكر الهذلي قال الدارقطني كذاب قلت اتهم بحديثه عن خالد بن عبد الله عن بيان عن الشعبي عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه مرفوعا "إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على الصراط إلى الجنة" وقال العقيلي الغالب على حديثه الوهم والمناكير حدثنا الغلابي ثنا العباس بن بكار ثنا عبد الله ابن المثنى حدثني ثمامة بن عبد الله عن أنس رضي الله عنه مرفوعا "الغلاء والرخص جندان من جند الله أحدهما الرغبة

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٩٩/٣

والآخر الرهبة فإذا أراد الله تعالى أن يغلى قذف في قلوب التجار الرغبة فحبسوا ما في أيديهم وإذا أراد أن يرخصه قذف في قلوب التجار الرهبة فاخرجوا ما في أيديهم" والآخر أيضا باطل وقال ابن حبان العباس بن الوليد بن بكار بصري روى أيضا عن حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من غرس يوم الأربعاء." (١)

"[٣٤٩] "عثمان" بن عمارة عن المعافى بن عمران بحديث لله في الخلق أربعون على قلب موسى الحديث وهو كذب [أخبرناه] سفر١ الحلبي أنا ابن الصابوني أنا السلفي أنا ابن اشته ثنا محمد بن علي الحافظ أنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن إبراهيم البزار ثنا أحمد بن بكر بن يونس المؤدب حدثنا عبد الرحيم بن يحيى الآدمي ثنا عثمان بن عمارة ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لله في الأرض ثلاث مائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب إبراهيم وله سبعة قلوبهم على قلب موسى وله ثلاثة قلوبهم على قلب جبرائيل وواحد على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد بدل الله مكانه من السبعة" إلى أن قال "وإذا مات واحد من الثلاثة مائة أبدل الله مكانهم من العامة فيهم يحيي ويميت" فقاتل الله من وضع هذا الإفك ورو١ه أبو أحمد حسينك التميمي عن أحمد بن محمد بن الأزهر ثنا عبد الرحيم بن يحيى فذكره انتهى وسبق في ترجمة عبد الرحيم قوله اتهمه به أو عثمان

[٣٥٠] "عثمان" بن عيسى بن منصور بن محمد البليطي بموحدة مصغر أبو الفتح النحوي ذكره العماد الكاتب في شعراء المصريين وقال تحول إلى دمشق فأقام بها مدة ثم دخل مصر فرتب له صلاح الدين راتبا على إقراء العربية بالجامع فاستمر بها إلى أن مات وقال ياقوت عن الإدريسي أحد تلامذة البليطي كانت وفاته في آخر سني الغلاء في صفر سنة تسع وتسعين وخمس مائة وكان طوالا جسيما أحمر اللون وكان وكان يلبس في الصيف الثياب الكثير حتى يصير كالعدل وفي الشتاء قل أن يظهر وكان ماهرا في العلوم الأدبية وهو صاحب القصيدة الميمية التي تقرأ بالحركات والسكون وأولها "إني امرؤ لا يصطبيني

---

١ سنقر – ميزان.." (٢)

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/٣

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ١٥٠/٤

"روى محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «الوحدان» له عن يحيى بن الحماني، عن عبد الله بن جعفر، عن عبد الحكم بن صهيب، قال: رآني جعفر بن أبي الحكم، وأنا آكل من ها هنا وها هنا، فقال: مه يا بن أخي، هكذا يأكل الشيطان، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم يعد ما بين يديه [(١)] .

ورواه البخاري في «تاريخه» من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر عن عبد الحكم، سمع جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم به، وقال: هذا مرسل.

ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر عن عبد الحكم عن جعفر بن أبي الحكم

قال: رآني الحكم بن رافع بن سنان، فهذا لو صح نفى الصحبة عن جعفر، ولكن راويه النعمان بن شبل، وهو ضعيف، وفي الجملة هو على الاحتمال.

١١٦٨- جعفر بن أبي سفيان [(٢)]

بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم- قال ابن سعد: ذكر أهل بيته أنه شهد حنينا، وأدرك زمن معاوية، وتوفي في وسط أيامه.

وكذا ذكره ابن شاهين عن محمد بن يزيد عن رجاله، وزاد أنه لم يزل ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيه حتى قبض.

وظن أبو نعيم أن ابن مندة انفرد بذلك فتعقبه بأنه وهم وأن الذي شهد حنينا هو أبوه أبو سفيان.

ولا حجة لأبي نعيم في ذلك، فقد جزم ابن حبان بأنه أسلم مع أبيه وأنه شهد حنينا، قال: وأمه حمامة بنت أبي طالب وإنه مات بدمشق سنة خمسين.

وقال الجعابي في كتاب من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، هو وأبوه وجعفر بن أبي سفيان لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه بالأبواء [(٣)] فأسلم.

[(١)] أورده الحسيني في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١١٧. والمتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم ١٨١٧٥ وعزاه للطبراني في الكبير عن الحكم بن عمرو الغفاري والبخاري في التاريخ الكبير عن جعفر بن أبي الحكم مرسلا، وأبو نعيم في المعرفة عنه نافع عن الحكم بن رافع بن يسار.

[(٢)] طبقات ابن سعد ٤/ ١- ٣8- الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٠، العقد الثمين ٣/ ٤٢٣، أسد الغابة ت [٧٥٨] ، الاستيعاب ت [٣٣٢] .

[(٣)] الأبواء: بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة، وقال قوم: سمي بذلك لما فيه من الوباء، ولو كان مقلوبا وقال ثابت بن أبي ثابت اللغوي: سمت الأبواء لتبوئ السيول بها وهذا أحسن. والأبواء قرية من أعمال الفزع في المدينة. (١) الأبواء وهي على خمسة أميال منها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم وأول غزواته عليه الصلاة والسلام غزوة الأبواء بعد اثني عشر شهرا من مقدمة المدينة يريد بني ضمرة وبني بكر بن عبد." (١)

"قليل الحديث. وعن يحيى: ثقة. وكذا قال العجلى وابن خراش. وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات. روى له الجماعة، وأبو جعفر الطحاوى.

٢٣٧٠ - منصور بن حبان بن الحصين الأسدى الكوفى: روى عن الطفيل عامر بن واثلة، وعمرو بن ميمون، والشعبى، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن شداد. روى عنه الثورى، وشعبة، ومروان بن معاوية، وعبد الواحد بن زياد، وأبو خالد الأحمر. وقال يحيى بن معين: كوفى ثقة. وقال أبو حاتم: كان من أثبت الناس. روى له أبو داود، والنسائى، وأبو جعفر الطحاوى.

٢٣٧١ - منصور بن زاذان الواسطى: أبو المغيرة الثقفى، مولى عبد الله بن أبى عقيل الثقفى، أخى المغيرة بن أبى عقيل، ويقال: كنية أبيه زاذان: أبو عقيل. روى عن أنس بن مالك، يقال: مرسل، والحسن البصرى، والحكم بن عتبة، وحميد بن هلال، وعطاء بن أبى رباح، وعمرو بن دينار، وقتادة، ومحمد بن سيرين، وآخرين. روى عنه جرير بن حازم، وحبيب بن الشهيد، وخلف بن خليفة، وشعبة بن الحجاج، وهشيم بن كثير، والوضاح أبو عوام، وآخرون. وقال أحمد: شيخ ثقة. وقال يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائى: ثقة. وقال العجلى: رجل صالح متعبد. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتا، وكان سريع القراءة، وكان يريد يترسل فلا يستطيع. وقال أبو بكر بن أبى عاصم: مات سنة ثمان وعشرين ومائة. وقال يزيد بن هارون: مات فى الطاعون **سنة الوباء سنة** إحدى وثلاثين ومائة. روى له الجماعة، وأبو جعفر الطحاوى.

٢٣٧٢ - منصور بن سعد بن الأصبغ الكلبى: ذكره ابن يونس فى علماء مصر، وقال: يروى عن دحية بن خليفة الكلبى. روى عنه مرثد بن عبد الله اليزنى، وابنه

٢٣٧٠ - فى المختصر: منصور بن حيان: بتحتانية، ابن حصين الأسدى، والد إسحاق، ثقة.

قال فى التقريب: ثقة. انظر: التقريب (٦٩٢٢) ، وتهذيب الكمال (٥٢٠/٢٨) (٦١٩٠) ، والتاريخ الكبير

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٥٩١/١

(٧/ت١٤٩٤) ، والجرح والتعديل (٨/ت٧٥٧) ، و الكاشف (٣/ت٥٧٣٢) .

٢٣٧١ – فى المختصر: منصور بن زاذان: بزاء وذال معجمة، الواسطى، أبو المغيرة الثقفى، ثقة، عابد.

– وفى المختصر أيضا: منصور: غير منسوب، عن عطاء، وعنه هشيم، هو ابن زاذان المذكور.

قال فى التقريب: ثقة، ثبت، عابد. انظر: التقريب (٦٩٢٣) ، وتهذيب الكمال (٥٢٢/٢٨) (٦١٩١) ، والتاريخ الكبير (٧/ت١٤٩٢) ، والجرح والتعديل (٨/ت٧٥٩) .

٢٣٧٢ – فى المختصر: منصور الكلبى: هو ابن سعيد، أو ابن زيد بن الأصبغ المصرى، مستور.

قال فى التقريب: ثقة. انظر: التقريب (٦٩٢٤) ، وتهذيب الكمال (٥٢٧/٢٨) (٦١٩٢) ، والتاريخ الكبير (٧/ت١٤٩٩) ، والجرح والتعديل (٨/ت٧٦٠) ، والكاشف (٣/ت٥٧٣٤) .." [(١)]

"ظاهر المدينة يتصيد فوثب عليه حيدر بن دوغان بن حعفر بن هبة بن جماز بن شيحة فقتله بدم أخيه أمير المدينة خشرم بن دوغان في عاشر من جمادى الآخرة، وفي أخريات هذا الشهر قتل الشريف كبيش بن جماز الحسيني بقرب القاهر، وابن الأمانة القاضي بدر الدين١ محمد بن أحمد بن عبد العزيز القاهري بها في ليلة الثلاثاء سابع عشر من شعبان، وحفيد تيمور أحمد جوكي بن شاه رخ٢، والشيخ أبو بكر بن محمد بن علي الحافي٣ ثم الهروي بالقاهرة في يوم الخميس ثالث من شهر رمضان **في الوباء الحادث** بها، وزوج السلطان الأشرف خوند جلبان الجركسية في يوم الجمعة ثاني شوال، وفيه صاحب مدينة تلمسان والغرب السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى التلمساني.

سبط بن العجمي إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي وجده لأمه هو عمر بن محمد بن الموفق أحمد بن هاشم بن أبي حامد عبد الله بن العجمي الإمام العلامة برهان الدين أبو الوفاء:

ولد بالجلوم من حلب في الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ومات والده وهو طفل جدا وكفلته أمه وتحولت به إلى دمشق فأقام معها وحفظ بعض القرآن العزيز بها ثم رجعت إلى حلب وهو في صحبتها فنشأ بها وأدخلته مكتب الأيتام فحفظ به القرآن العظيم وصلى به بخانقاه جده لأمه الشمس أبو بكر أحمد بن العجمي والد والدته الموفق٤ أحمد السابق ذكره وقرأ من أول القرآن الكريم إلى

---

١ وهو لقب جد أبيه عثمان فإنه بدر الدين أبو محمد محمد بن الشهاب أحمد بن عبد العزيز بن عثمان بن سند الأنصاري الأبياري ثم القاهري الشافعي. ولد بأبيار في سادس من صفر من سنة ٧٦٦ كما وجد

---

(١) مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار بدر الدين العيني ٨١/٣

بخط والده "وتوفي بالقاهرة في التاريخ الذي ذكره المؤلف. وتوفي أبوه سنة ٨٠٢ وجده في سنة ٧٥٥. "الطهطاوي".

٢ هو المذكور في الصفحة قبل فهو مكرر والله أعلم. "الطهطاوي".

٣ وصوابه "الخافي" بالـخاء المعجمة نسبة إلى خاف وهي قرية بالعجم قال الحافظ ابن حجر في تبصير المنتبه: منها الشيخ زين الدين الخافي صوفي من أتباع الشيخ يوسف العجمي كان بالقاهرة ثم نزح عنها ثم قدمها سنة ٨٢٤ ومعه جمع من أتباعه. اهـ. قال شارح القاموس: قلت وهو أبو بكر محمد بن محمد بن علي الخافي ويقال: الخوافي. اهـ. وهو الذي ذكره المؤلف ومنه يعلم أن اسمه محمد وأن أبا بكر كنيته لا اسمه وبذلك صرح صاحب الضوء اللامع في قسم الكنى وقال: إنه ذكره في المحمدين وقال: في المحمدين الزين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن علي الخوافي ثم الهروي الحنفي ورأيت من أسقط محمدا الثالث والصواب إثباته وذكره التقي بن فهد في الكنى من معجمه. ولد في أوائل سنة ٧٥٧ وتوفي في يوم السبت غرة شوال من سنة ٨٣٨ ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث من شهر رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها. اهـ. باختصار كثير والثاني موافـق لما ذكره المؤلف ولكن إذا كانت وفاته بهراة كان في قول المؤلف بالقاهرة تحريف والله أعلم. "الطهطاوي".

٤ وهذه العبارة غير مستقيمة والصواب "والد والدة الموفق ... إلخ" كما هي عبارة الضوء اللامع. "الطهطاوي".." (١)

"قلت: ولما نزل سعد الدين إلى داره لم يركب بالكلفتاه بعد أول مرة، ومرض ولزم الفراش إلى أن توفى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمانمائة، ولم يبلغ الثلاثين سنة.

وكان شابا جميلا كريما جوادا. ممدحا، رئيسا نالته السعادة في مباشرته، وكان يميل إلى فعل الخير والصدقة لا سيما **في الوباء الذي** كان في سنة ستة وثمانمائة، فإنه فعل فيه من الخيرات، ما هو مشهور عنه، قيل أنه منذ ولي الوظائف السنية إلى أن مات ما دخل عليه مملوك من المماليك السلطانية في حاجة - كبيرا كان أو صغيرا - إلا وسقاه السكر المذاب ثم يأخذ في قضاء حاجته، رحمه الله تعالى

ابن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ٦١١ - ٦٨٦هـ، ١٢١٤ - ١٢٨٧م

إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد السلام، الشيخ أبو إسحاق بن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام السلمي

---

(١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ابن فهد ص/٢٠١

الدمشقي.

كان يخطب بجامع العقبة، ويلبس ثيابا قصيرة، وإذا خطب بكى، كان يتعاني الوعظ، فتألم أبوه لذلك وتركه، وكان يتكلم بكلام مسجوع مثل سجع الكهان، ويزعم أنه يلقى إليه من الجن، وكان فيه سلامة باطن. وكان مولده سنة إحدى عشرة وستمائة، وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى." (١)

"عذاب المصادرين، وقتل بالمقارع، وحمى الطاسات وألبسها للناس، وحمى الدسوت وأجلسهم عليها، وضرب الأوتاد في الآذان، ودق القصب تحت الأظفار وبالغ، ثم أضاف إليه السلطان، لؤلؤ غلام فندش، فاتفقا على عقاب الناس، وزاد البلاء في أيامهما، وسكنت رعبة الأكوز في القلوب، ولم يزل كذلك إلى أن غضب يوما على لؤلؤ المذكور، فأخذ العصاة بيده وضربه حتى هرب من قدامه وهو خلفه إلى باب القلعة البراني، وخرق شاشة في رقبته، فدخل لؤلؤ على النشو وعلى قوصون وبذل المال، واتفق أن كان الغلاء بالقاهرة سنة ست وثلاثين وسبعمائة، فقال السلطان لأكوز: انزل ولا تدع أحدا يبيع بأكثر من ثلاثين درهما الأردب.

فأول ما نزل إلى شونة قوصون وأمسك السمسار الذي له وضربه بالمقارع وأخرق بأستاداره، فكلم قوصون الأكوز فأساء عليه الرد، فدخل قوصون إلى السلطان، فأخرق السلطان به، فأكمنها له، وعمل عليه هو والنشو، ولم يزالا به إلى أن غضب عليه السلطان وضربه ورسم عليه أياما، ثم أعطاه إمرة بدمشق، فتوجه إليها وأقام بها مدة يسيرة.

وتوفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. رحمه الله تعالى وعفا عنه.." (٢)

"ولحق الأتابك أيتمش بقلعة دمشق وتحصن بها، وتمزق العسكر السلطاني شذر مذر، ودخل الناصري إلى دمشق من يومه، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال، وأوقع الحوطة على سائر مال العسكر المصري والشامي، وقيد أيتمش والأمير طرنطاي نائب دمشق وحبسهما بقلعة دمشق. ثم قبض من يومه على الأمير بكلمش العلائي في عدة من المماليك السلطانية، واعتقلهم بالقلعة، وانهزم الأمير يونس النوروزي الدوادار يريد القاهرة، فاعترضه عنقاء بن شطي أمير آل مرا قريبا من خربة اللصوص؛ فقتله في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الآخر. وبعث برأسه إلى الأمير يلبغا الناصري. وبلغ السلطان الخبر من غزة في يوم سابع عشرين ربيع الآخر؛ فاضطرب اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وتشغبت

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ١١٢/١

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٦/٣

الزعر.

هذا، مع عظم الوباء بالقاهرة، وترادفت الأهوال على المصريين. ثم خرج السلطان إلى الإيوان من القلعة، وعرض المماليك، وكتب منهم خمسمائة، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضة؛ ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودون الطرنطاي، ثم أنفق في خمسمائة مملوك، ثم في أربعمائة؛ لتتمة ألف وأربعمائة مملوك، ثم أنفق في المماليك الكتابية، لكل واحد مائتي درهم فضة.." (١)

"ويبعث في كل سنة إلى الحجاز الشريف ثلاثة آلاف أردب قمحا، تفرق في الحرمين الشريفين، وفرق في مدة الغلاء كل يوم أربعين أردبا؛ عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع.

وكان يبعث في كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقهاء والفقراء.

حدثني تقي الدين المقريزي من لفظه قال: أخبرني العبد الصالح الطواشي صندل المنجكي أن الملك الظاهر برقوق تصدق على يده في سنة واحدة بخمسين ألف دينار.

قلت: وكان المقريزي ثقة. وأما صندل، فإنه كان من الصالحين الذين يتبرك بهم، انتهى.

وأبطل الملك الظاهر عدة مكوس منها: ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط عما كان يبتاعه الناس. وأبطل مكس شورى وبلطيم من البراس شبه الجالية في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم.

وأبطل مكس معمل الفراريج بالنحريرية وغيرها من الغربية.." (٢)

"وكان في أيامه الغلاء العظيم ببغداد حتى أبيع بها الخبز بصنج الدراهم، ونزح الناس عنها، ثم تراجع الناس إليها قليلا بقليل في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عندما أظهر العدل بها في الرعية.

وكان مشكور السيرة، واستمر على ذلك إلى سنة تسع وأربعين، توجه إلى ششتر، ثم عاد إلى بغداد؛ فوجد نوابه قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاثة أجباب نحاس، طول كل جب ذراعان ونصف، مملوءة ذهبا مصريا، وفي بعضه صكة الإمام الناصر لدين الله، أحد خلفاء بغداد.

وكان وزن ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي، يكون ذلك خمسمائة ألف مثقال. واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة سبع وخمسين وستمائة.

وكانت دولته سبعة عشر سنة، وملك بغداد بعده ابنه أويس. رحمه الله.

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٠١/٣

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٣٣٩/٣

ابن المهمندار

الحسن بن بلبان، الأمير حسام الدين، المعروف بابن المهمندار الحلبي، أخو الأمير بن علاء الدين على حاجب حجاب حلب، والأمير ناصر الدين محمد أحد مقدمي الألوف بحلب، ثم نائب قلعتها.." (١)

"(المستنصر بالله)

أبو تميم، معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز [نزار] بن المعز معد العبيدي، الفاطمي.

بويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر في يوم الأحد نصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة. وعمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يوما.

وبقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر.

ولا نعلم في الإسلام خليفة ولا سلطانا أقام في الملك هذه المدة.

والمستنصر هذا هو الذي خطب له البساسيري على منابر بغداد، وهذا شيء لم يقع لأحد من آبائه – وقد ذكرنا سبب ذلك في كتابنا ((النجوم الزاهرة)) مطولا فلينظر هناك.

وفي أيام المستنصر هذا **كان الغلاء العظيم** بمصر الذي لم يقع مثله من زمان يوسف عليه السلام – في حدود سنين نيف وخمسين وأربعمائة –.." (٢)

"وقيل: إن القمح أبيع بدينار ونصف القدح، وأكل الناس [فيه] بعضهم، وأكلوا الميتة والكلاب، وأبيع فيه الكلاب بخمسة دنانير، والقط بثلاثة دنانير.

واشتد الغلاء، ودام سنين حتى بقي الكلب يدخل بيت الشخص ويأكل ولده وهو قاعد لا يستطيع النهوض لدفعه؛ مما به من شدة الجوع.

وقيل: إنه كان بمصر حارة تعرف بحارة الطبق – وهي معروفة –[كان] فيها عشرون دارا، كل دار تساوي ألف دينار؛ فأبيعت كلها بطبق خبز، كل دار برغيف. **وأقام الغلاء يعاود** الناس سنين.

وقال ابن الجوزي: خرجت إمرأة ومعها قدر ربع جوهر؛ فقالت: من يأخذ مني هذا الجوهر ويعطيني عوضه برا. فلم تجد من يأخذه منها؛ فقالت: إذا لم تنفعني وقت الضائقة فلا حاجة لي بك. وألقته على الأرض وانصرفت. فالعجب ما كان له من يلتقطه! .

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٥/٧١

(٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ١/٢٨٠

وحكى أن المستنصر [هذا] أخرج جميع ما في الذخائر؛ فباعها.

يقال: إنه باع في **[هذا] الغلاء ثمانين** ألف قطعة من أنواع الجوهر المثمنة، وخمسة وسبعين ألف قطعة من أنواع الديباج المذهب، وعشرين ألف سيف، وأحد عشر ألف دار.." (١)

"وافتقر [الخليفة] [المستنصر] [هذا] حتى لم يبق له إلا سجادة تحته وقبقاب في رجله؛ فصار إذا نزل [من القصر] يستعير بغلة الديوان حتى يركبها.

ومات في **هذا الغلاء معظم** الناس جوعا. ثم بعد سنين تراجع حاله إلى ما كان [عليه] وأزيد.

ودام في الخلافة، إلى أن مات [بها - أعني القاهرة -] في يوم الخميس لإثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وكانت مدة خلافته ستون سنة - كما تقدم ذكره - وتخلف [من] بعده ابنه [المستعلي أحمد] .." (٢)

"أنطاكية وأرض حمص في ليلة واحدة. حتى ظن الناس أن الأسد كلها عدت. ووتب شخص فدس أصبعه في عين الأسد فقلعها. وسلم منه. وكان يحدث بذلك فيكذب. فلما قتله الأكراد وجد أعور.

ومنها:

كان الغلاء العظيم بالشام الذي لم يسمع بمثله. وأكلت الحمير والقطاط والصبيان.

ومات خلق عظيم.

[ومنها] :

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة جاء ثلج عظيم لم ير مثله حتى جمد الفرات «١» ومشوا عليه. وكانت القدور على النار تجمد أعلاها. وييس شجر الزيتون بالمعرة (١٦ و) م وكفر طاب «٢» .

ومنها:

قال في تاريخ الإسلام في سنة أربعين وثلاثمائة كثرت الزلازل في حلب والعواصم ودامت أربعين يوما. وهلك خلق كثير تحت الهدم. وتهدم حصن رعبان ودلوك وتل حامد «٣» . وسقط من سور دلوك ثلاثة أبرجة.

عجيبتان:

إحداهما: قرأت في عجائب المخلوقات للقزويني: «حدثني بعض التجار أن بقرب ملطية جبلا فيه عين

---

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ٢٨١/١

(٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ٢٨٢/١

يخرج منها ماء عذب ضارب إلى التثاخن يشرب منه الحيوان ولا يضره فإذا مشى الماء مسافة يسيرة ينعقد حجرا «٤» .." (١)

"الظاهرة. واستغاثوا بصاحب القدرة الكاملة والعظمة الباهرة، وأكثروا من التسبيح والتهليل والتكبير. وابتهلوا بالدعاء إلى من له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

يا ليلة أقبل من آياتها ... ما أوجب السهد وتكرار القلق.

خاف الورى مما جرى وابتهلوا ... لله فيها شفقا من الشفق.

وقد سمعت والدي رحمه الله تعالى؛ قال: خرج نائب حلب مرة إلى ظاهرها فأمسك جماعة من العربان، وقدم بهم إلى حلب، واعتقلهم، وكان السجن إذ ذاك بخندق القلعة، فلما أظلم الليل ظهرت حمرة بالسماء كالدم. وضج الناس من ذلك. ومات العرب الذين بالسجن عن آخرهم. ولم يدر سبب موتهم فالله أعلم أنهم كانوا مظلومين.

ومنها: وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة «١» **رجع الوباء إلى** الشام وبلاده. وأجال في ميدان حلب سوابق جياده، ونصب على أرضها أشراكه، واصطاد عرب محلها ولم يترك «٢» أتراكه. وصال صولة الليث وأكثر من العبث والعيث. وعوض عن الحلاوة (١٦ ظ) ف بالمرارة. وأهلك الناس بالكبة والخيارة. وأثبت الأحزان ونفى السرور. وزادت مدة مقامه على ست شهور. وعظم الخطب. وهصر كل غصن رطب، وفنى كثير من الشباب والنسا [ء] والأطفال، وظفر الفقير من مائدة الوارثين «٣» بجزء من الأنفال، وخلت المعاهد والمعالم، وجرت على نقد السليم عيون السالم، وانتقل إلى أبيات الأموات قوم بعد قوم، حتى بلغ عدة الموتى أكثر من مائتي نفر في اليوم.." (٢)

"وتوفي جماعة من العلما [ء] والأعيان تغمدهم الله بالرحمة والرضوان

وقلت في ذلك:

قلت لقوم عتبوا على الوبا ... حيث غزا فيهم بقلب قاسي

لا يحسن العتب على ذي جنة ... يلعب بالكبة بين الناس

قاله الحسن بن حبيب «١» .

ومنها: في سنة خمس وسبعين وسبعمائة «٢» ورد إلى حلب سيل، وخرب نحو أربعمائة مكان، ما بين

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/١٣٩

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/١٦٢

دار وحانوت وطاحون وبستان.

ومنها:

في سنة سبع وسبعين وسبعمائة «٣» استمر **غول الغلاء مقيما** بالشام نازلا ممن معه من أعوان القحط وأنصار الشام، كاشرا عن أنياب النواب، ناشرا حبائل (٢١ و) ممصايده المصائب خارقا للعوائد. مبديا أنواع الأزمات والشدائد.

ولقد جال بحلبة حلب وصال، وقطع من الرفق والرفد أسباب الوصال. وعظم أمره، وطال عمره، وسطا شجاعه ودمره، واحتدم لهبه، واضطرم جمرة، وأجحف بالناس وخرج عن الحد والقياس، وجعل الغني فقيرا وأهلك من الضعفاء والمساكين خلقا كثيرا.

وزاد إلى أن نقصت الأقوات. وترادفت أمواج الأموات. وارتفعت الأسعار، وقبلت بنية الأعسار وتدرج القمح إلى بيع المكوك بمائتي درهم. وجبر وصول الرطل من الخبز إلى ثلاثة دراهم من يعقل ويفهم. حتى قلت في ذلك:

لا تقم بي على حلب الشهبا [ء] ... وارحل فاحضر العيش أدهم.

كيف لي بالمقام والخبز فيها ... كل رطل بدرهمين ودرهم.." (١)

"فالذنب مفروق باثنين. فكان ذلك من بديع صنع الله؛ قاله شيخنا [ا] بن حجر في تاريخه.

ومنها:

في ثلاث وعشرين وثمانمائة ذبح جمل بغزة فأضا [ء] اللحم كما يضيء الشمع وشاع ذلك حتى بلغ حد التواتر، ورميت من لحمه قطعة إلى كلب فلم يأكلها.

ومنها: في سنة خمس وعشرين وثمانمائة **كان الغلاء بحلب** وأعقبه الطاعون. يقال: مات فيه سبعون ألفا. وخلا أكثر البلد من الناس «١» . قلت:

[محمد بن أحمد بن إبراهيم الممدوح الحسيني] : وفيه «٢» توفي الرئيس الفاضل الشريف بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عز الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبي إبراهيم محمد الممدوح الحسيني الحلبي، نقيب الأشراف بحلب وابن نقيبها، وكاتب السر بها، وهو المذكور مع أسلافه فيمن مضى من ... «٣» .

كان إنسانا حسنا يستحضر طرفا من التاريخ يذاكر به. ولي نقابة الأشراف بحلب بعد موت والده. ثم ولي

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١/١٦٣

كتابة سر حلب من قبل المؤيد في سنة إحدى (٢٢ و) م وعشرين وثمانمائة. ولما جاء هذا الفصل الطاعون إلى حلب في سنة خمس وعشرين وثمانمائة كتب وصيته وتركها معه في جيبه. ولا يزال يذكر الموت. وتحدثه نفسه بأنه يموت في الفصل إلى أن مرض أياما. ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى آخر نهار الخميس حادي عشر جمادى الآخرة." (١)

"الفقراء يتبركون به عند الموت. ودفن خارج الجامع الذي بناه.

ثم في يوم الاثنين ثالث عشري ربيع الأول خرج الكافل والقضاة والمشايخ والعوام ومعهم المصاحف وأعلام الجوامع إلى قرنبيا ورفعوا أصواتهم بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وقرب الكافل قربانا للفقراء ورجعوا **فظهر الوباء ظهورا** لم يكن قبل ذلك. وأذكرني هذا ما قاله شيخنا أبو الفضل بن حجران في سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقع الطاعون بدمشق وخرج الناس إلى الصحراء ومعظم أكابر البلاد ودعوا واستغاثوا فعظم الطاعون بعد ذلك وكثر.

قال ووقع أيضا الطاعون في القاهرة في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين فكان عدد من يموت بها دون الأربعين فخرجوا إلى الصحراء في الرابع من جمادى الأول بعد أن نودي بالصيام ثلاثة أيام كما في الاستسقاء واجتمعوا ودعوا ثم رجعوا ... «١» انسلخ الشهر حتى صار عدد من يموت في كل يوم بالقاهرة فوق الألف ثم تزايد.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الأول ورد كتاب شيخنا زين الدين بن الخرزي باستقراره في قضاء حلب عن صدر الدين بن النويري وأرسل الكافل خلف صدر الدين. ورسم عليه في المدرسة السلطانية، وألزمه أن يعطي الناس ما أخذ منهم.

فأخذ في الوفاء، وحضر الناس على الشكوى عليه من كل فج عميق فأدى نحو سبع مائة أشرفي ووعد الباقين بالوفاء، ثم دخل الكافل وذكر أنه أوفى الناس حقوقهم فأطلقه فذهب إلى بيته وكان أولا نازلا بالبيت الذي لبني العجمي مقابل الشرفية. ثم لما تزوج بنت شيخنا انتقل إلى قرب بيوتهم فلما صار الليل ذهب خفية إلى انطاكية ثم توجه إلى طرابلس.." (٢)

"سنة إحدى وستين [وثمانمائة]

وفي الليلة المسفر صباحها عن نهار الأحد حادي عشري المحرم توفيت الشيخة المسندة حليمة بنت

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ١٦٧/١

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢١٢/٢

السيد عز الدين الإسحاقي «١» نقيب الأشراف وصلى عليها بجامع حلب. ودفنت بالمشهد بسفح الجبل عند أسلافها.

وفي شهر صفر تزايد ارتفاع الأسعار **واشتد الغلاء فشكى** الناس حالهم إلى كافل حلب جانم في يوم الخميس أول ربيع الأول ثم صاحوا عليه يوم الجمعة وجاء أناس من أطراف أهل البلد إلى سوق الصابون ونهبوا حانوتا. وماج الناس كموجات البحر، وصلى الناس الجمعة وهم في وجل كبير وخوف من نهب الأسواق. فقلت الأسواق ولم يدخل أحد إلى الجامع من بابه الشرقي لإغلاق الأسواق ثم بعد صلاة الجمعة رمى الناس بعضهم بعض بالحجارة على سطح الجامع وأصبح الناس وباب المذكور والأسواق مغلقة.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشري صفر توفي الحمصي الشافعي قاضي حلب ودمشق تقدمت ترجمته.

وفي سابع عشر ربيع الأول توفي الرئيس حسام الدين حسن بن الزرخوني رئيس جامع حلب، وكان صيتا، عاقلا، وحصل له جزام قبل وفاته بزمان فلزم بيته وفي العشرين عيرت الدراهم بحلب وصار الأشرفي بخمسين درهما، وكان الأشرفي في أيام الأشرف برسباي بأربعين درهما فتلفت، وصار الأشرفي يترقى لفساد المعاملة حتى صار الأشرفي غاية درهم. وكانت الدراهم غالبها نحاس بسكك مختلفة فيذهب الشخص ليشتري له حاجة فترد عليه ولا تقبضها غالب الناس وغلت الأسعار بسبب." (١)

"إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي ابن أيوب ابن حسام الدين محمود الكمال أبو اسحق بن فتح الدين أبي اليسري الحلبي المالكي ابن أخي المحب أبي الوليد محمد الحنفي ويعرف كسلفه بابن الشحنة واستقر في قضاء المالكية بحلب بعد أبيه في سنة إحدى وثلاثين.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد الاذرعي. يحتمل أن يكون ابن قاضي عجلون الماضي قريبا والأذرعي يحرف من الزرعي.

إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري بن قبقب. مضى فيمن جده أحمد بن محمد بن أحمد بن خليل.

إبراهيم بن عبد الرحمن الشهرزوري المحتد التونسي الفقيه المقرىء المجود ويعرف بزعبوب. مات في أواخر ذي الحجة سنة ثمان أو ثلاث وثمانين.

إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب سعد الدين بن علم الدين بن شمس الدين السكندري الأصل المصري القبطي أخو الفخر ماجد وهو الأكبر ويعرف بابن غراب أصله من أبناء الكتبة الاقباط بالاسكندرية فا تصل

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سبط ابن العجمي، موفق الدين ٢/٢٨١

بخدمة الجمال محمود الاستادار واختص به ورقاه حتى ولاه نظر الخاص قبل استكماله عشرين سنة عوضا عن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ومع ذلك فلما أمسك الجمال المشار إليه كان هو القائم باظهار خباياه ومحافصته بحيث أنه كان إذا رآه يبكي من شدة قهره منه وتزايدت بذلك وجاهته عند الظاهر برقوق وبعده استقر به ابنه الناصر فرج في نظر الجيش مضافا للخاص وغيره بل صار هو الحل والعقد لا سيما وقد استقر بأخيه في الوزارة ولم يلبث أن قبض عليهما وأحيط بموجودهما وخلعا مما كان معهما وتسلمهما أزبك رأس نوبة ثم نقلا إلى قطلوبغا الكركي شادالشر بخاناه إلى أن أفرج عنهما وعادا لوظائفها ثم عزلا ولا زالا كذلك ارتفاعا وانخفاضا إلى أن استقر به الناصر أمير مشورة وأنعم عليه بتقدمة ألف ونزل إلى بيته ولزم الفراش مريضا حتى مات في ليلة الخميس أو ضحوة نهاره تاسع عشر رمضان سنة ثمان ولم يبلغ الثلاثين وكان فيما قيل شابا جميلا كريما جوادا ممدحا رئيسا نالته السعادة في مباشرته مائلا إلى فعل الخير والصدقة سيما **في الوباء الذي** كان في سنة ست فانه فعل فيه من الخيرات ما هو مذكور به مستفيض عنه بل قيل إنه منذ ولي الوظائف وإلى أن مات ما دخل عليه مملوك من." (١)

"بالقولنج الصفراوي إلى أن مات وكانت جنازته مشهودة وبات في قبره ليلة الجمعة وكثر تعجب الناس لذلك ولا عجب فيه فقد مات الحجاج ليلة سبع وعشرين من رمضان ولكن كان ابن غراب محبوبا إلى العامة لما قام به **في الغلاء والفناء** من إطعامه الفقراء وتكفينه للأموات من ماله ولم يوجد له كبير أمر من المال بل مات وعليه من الديون ما لا يدخل تحت الحصر وأعيد فتح الله لكتابة السر.

وكان مليح الشكل معرق الصورة شديد الزهو والعجب يحب الانفراد بالرياسة ويظهر التعفف عارفا باللغة التركية مع الدهاء والمكر والمعرفة التامة بأخلاق أهل الدولة وهابا مفضالا كثير)

البذل وافر الحرمة بلغ في المملكة ما لم يبلغه أحد فانه لم يمت حتى صار أميرا بتقدمه ألف وتنقل في الولايات نظر الخاص والجيش والاستدارية وكتابة السر وغيرها ولقد تلاعب بالدولة ظهرا لبطن وخدم عند الاضداد وعظم قدره حتى شاع أنه لا بد أن يلي السلطنة.

وترجمته في عقود المقريزي مطولة والله يسامحه.

إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم أمين الدين بن مجدالدين القبطي المصري ويعرف بابن الهيصم. ولد تقريبا في أوائل القرن بالقاهرة ونشأ بها في كنف السعادة تحت نظر أبيه ثم عمه التاج عبد الرزاق إلى أن كتب

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١/٦٥

المنسوب وبرع في الحساب فباشر في عدة جهات ثم انتقل إلى نظر الدولة عقب الكريمي عبد الكريم بن كاتب جكم في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين فدام فيها إلى سنة سبع وثلاثين فاستقر حينئذ في الوزارة بالدار المصرية بعد صرف الكريمي بن كاتب المناخات ولم يلبث إلا أشهرا ثم اختفى إلى أن ظهر بشفاعة اينال الا بوبكري الخازندار فيه وولي بعد ذلك نظر المفرد ثم أعيد إلى نظر الدولة ومكث فيها سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين فأعاده الظاهر إلى الوزر عوض ابن كاتب المناخ أيضا فباشره حينئذ مباشرة جيدة لا سيما لما وقع الشراقي والغلاء في سنة أربع وخمسين بحيث ألبس في تلك الأيام عدة خلع شكرا له على سده إياها ثم عجز واستعفى فأعفى واستقر عوضة تغرى بردى القلاوي في شوال سنة ست وخمسين إلى أن أعفي وأعيد الأميني في أيام المنصور تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين ثم بعد أشهر وذلك في مستهل رمضان اختفى لعجزه وقرر عوضه كاتب المماليك فرج بن النجا إلى أن ظهر صاحب الترجمة بأمان فأعيد في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين فما كان بأسرع من عجزه وطلبه للاستعفاء فلم يجب." (١)

"هذا هو الدين الذي لا يجوز غيره وزاد في نحو هذا فسأله عن من معه على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم فأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين واستعملوا مع المقيدين ثم أفرج عنهم في)

ربيع الأول سنة إحدى وتسعين فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة إملاق إلى أن مات لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وحيدا فريدا بحيث لم يحضر في جنازته إلا سبعة أنفس لا غير ورأيته بعد موته فقلت له أنت ميت قال نعم فقلت ما فعل الله بك فتغير تغيرا شديدا حتى ظننت أنه غاب ثم أفاق فقال نحن الآن بخير لكن النبي صلى الله عليه وسلم عتبان عليك فقلت لماذا قال لميلك إلى الحنفية فاستيقظت متعجبا وكنت قلت لكثير من الحنفية إني لأود لو كنت على مذهبكم فيقال لماذا فأقول لكون الفروع مبنية على الأصول فاستغفرت الله من ذلك، قال وقد كنت أنسيت هذا المنام فذكرنيه شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري بعد عشر سنين. وكان ذا مروءة علية ونفس أبية حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار لها ويستحضر أدلتها وما يرد على معارضيها، وأملي وهو في الحبس بغير مطالعة مما يدل على وفور اطلاعه مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ورسالة في الإمامة، قاله شيخنا قال وقد جالسني كثيرا

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦٧/١

وسمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الإنذار لما حدث بعده من الفتن والشرور بما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس ولا سيما ماحدث **من الغلاء والفساد** بسبب رخص الفلوس بالقاهرة بحيث أنه رأى عندي قديما مرة منها جانبا كبيرا فقال لي احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال فكان كذلك لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالا فأكثر وآل الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل ثم صارت تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصار من كان عنده منها شيء اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل رطل لستة إلى اثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم تراجع الحال لما فقدت ثم ضرب فلوس أخرى خفيفة جدا وجعل سعر كل رطل ثلاثين وظهر في الجملة أنها ليست مالا يقتنى لوجود الخلل في قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة. ذكره شيخنا في أنبائه ومعجمه بما تقدم وقال في الثاني وقد سمع ببغداد وحلب ودمشق وغيرها من جماعة من المسندين إذ ذاك ومن مسموعه على الشمس محمد بن أحمد بن الصفي الغزولي منتقي الذهبي من." (١)

"بالمصلى خارج باب النصر ودفن بالقرب من تربة الشيخ جوشن. وقد ذكره شيخنا في معجمه والمقريزي في عقوده كلاهما باختصار.

٣٢١ - أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن الشيخ أبي الحسن علي الشهاب الحسيني العلوي الدهروطي ثم المصري الشافعي ويعرف بابن الدقاق. / ولد بدهروط وتحول منها لمصر وأخذ الفقه عن والعربية عن ابن عمار وناب في القضاء وكان مات في رجوعه من الحج في

المحرم سنة ست وستين ودفن بعجرود وكان قد جاور بمكة وأقرأ.

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد القسطلاني. / مضى فيمن جده أبو بكر بن عبد الملك بن محمد بن أحمد.

٣٢٢ - أحمد بن محمد المدعو مظفر بن أبي بكر بن مظفر بن إبراهيم الشهاب التركماني الأصل القاهري الشافعي شقيق عمر الآتي وأمهما تونسية أقامت في صحبة والدهما خمسين سنة لم يختلفا ويعرف بابن مظفر. / ولد تقريبا سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها فحفظ القرآن وتلاه لأبي عمرو على أبيه والبعض من الشاطبية والمنهاج وقرأ فيه على النور الأدمي واجتمع بالأبناسي الكبير وحضر دروس الأبناسي الصغير وصحب الشهاب أحمد الزاهد ثم الجمال الزيتوني وتكسب في بعض **سني الغلاء بسقي** الماء وإقراء الأطفال وقتا، وممن قرأ عنده الشمس محمد بن الغرزوبة، وانتفع في العزلة والتقلل وكان كثير السياحة

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢/٩٧

يتوجه للقرافة على قدميه لزيارة الشافعي والليث وغيرهما ويتفكر في عجائب المخلوقات متقللا من الدنيا بل متجردا لا يلوي على أهل ولا مال ما علمته تزوج قط إلا قبيل موته فيما قيل لا قصدا للاستمتاع بل للسنة، وعرض عليه بعد أخيه التكلم له في وظائفه فأبى مؤثرا الانفراد وحب الخمول وعدم الشهرة بل ربما فر من بعض من يقصده للدعاء قانعا باليسير حريصا على مواساة قريبة له لانعدام يأخذ مالعله يرد عليه مائلا لمخالطة الفقراء ونحوهم، كل ذلك مع لطف العشرة والتودد والأدب والفصاحة والسمت وحسن التلاوة والصلاة واستحضار أشياء من مقامات الحريري وغيرها من نكت وفوائد، وللناس فيه اعتقاد، ولما قدم العلاء البخاري مصر عرضوا عليه أن يؤم به ففعل ثم أعرض عن ذلك لكثرة القاصدين للعلاء وميله للعزله، وصار بأخرة يبيت بالمنكوتمرية ويؤثرها على غيرها لقلة من يأوي بها فكثرت مجالستي معه بها وصليت خلفه." (١)

"وسمعت قراءته الشجية بل قرأت عليه الفاتحة وسمعت من كلماته النافعة جملة ودعا لي كثيرا وأخبرني بجملة من أحوال أبيه المذكور في سنة تسع وتسعين. مات بالإسهال في يوم السبت ثاني عشر صفر سنة ست وتسعين ودفن من يومه رحمه الله وإيانا.

٣٢٣ – أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى الشهاب القرشي اليماني الحرضي ثم الزبيدي الشافعي نزيل القاهرة ثم مكة ويعرف بالزبيدي. / ولد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة تقريبا وتفقه في بلاده بالفقيه عمر القمني أخذ عنه الإرشاد لشيخه ابن المقري قراءة وسماعا وأجاز له في سنة سبع

وستين، وقدم القاهرة فقرأ القراءات فيما أخبرني به على إمام الأزهر النوري وعبد الدائم والشهاب السكندري وابن كزلبغا ثم على الزين جعفر السنهوري ولازم الزين زكريا وحمل عنه شرحه للبهجة والجوجري وقرأ عليه الإرشاد أيضا ووصفه بالشيخ الفاضل العالم الكامل وقال قرأه بفهم ودراية بحيث اطلع على خباياه وفوائده واتضحت له معانيه مع تقييد شوارده وحصل شرحه له وقرأ عليه وسمع قطعة منه، وقال إنه كان السبب في تأليفه له فطالما سأل فيه ووصفه بالفقيه الفاضل المقرئ المجود المفنن وأذن له في إفادتهما وذلك في سنة ثمان وسبعين وكذا أخذ عن ابن قرقماس وسمع على جماعة من المسندين لازمني بالقاهرة ثم بمكة حتى قرأ علي شرحي على ألفية الحديث وسمع القول البديع وحصلهما مع شرح الهداية وقرأ قطعة منه وغيرها من تصانيفي وغيرها وكتبت لهم إجازة حسنة وتصدى بمكة لإقراء المبتدئين وانتفعوا به في القراءات وفي العربية مع خير وسكون وتقنع وإقبال على شأنه ومحبة في العلم وأهله وإرفاد للفقراء بعيشه في بعض الأوقات

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠٧/٢

ولكنه جامد الحركة، وقد قدم القاهرة في أثناء سنة ثمان وثمانين ثم عاد لمكة وسافر منها إلى اليمن وأخذ منه رأس علمائه الفقيه يوسف المقري شرحي على الألفية ونعم الرجل، ثم لما تزايدت فاقته سيما **حين الغلاء بمكة** في سنة ثمان وتسعين عاد إلى اليمن لطف الله به.

أحمد بن النجم محمد بن أبي بكر الشهاب المرجاني الأصل المكي. / مضى فيمن جده أبو بكر بن علي بن يوسف.

٣٢٤ - أحمد بن محمد بن حاجي بن دانيال الشهاب أبو العباس الكيلاني الشافعي المقرئ ويعرف بالحافظ الأعرج، / برع في فنون وأتقن القراءات مع ابن الجزري وغيره وأقرأها غير واحد، وممن قرأ عليه جعفر السنهوري، وأثبت شيخنا اسمه في القراء بمصر في وسط هذا القرن، ومات في الطاعون بعد الأربعين.." (١)

"عن أزيد من ستين سنة. وكان شجاعا مقداما عاقلا عفيفا عن القاذورات دينا خيرا معظما في الدول رحمه الله.

١١٧ - بيغوت السيفي من برد بك من طبقة المقدم. / ممن سمع مني قريب التسعين.

١١٨ - بيغوت قرا من قبجق السلحدار. / هو الذي طعن برمحه قاصدا قتل أمير سلاح حين الالتقاء في رمضان سنة ثلاث وتسعين فأقلبه ميتا وعد ذلك في فروسيته.

١١٩ - بيغوت اليحياوي. / ممن قتل مع ايتمش في سنة اثنتين.

١٢٠ - بيغوت الأمير الكبير. / ممن أمر الناصر بذبحه في سنة احدى عشرة، ويحرر مع بيبرس الركني الماضي.

(حرف التاء المثناة)

١٢١ - تاج بن سيفا بن عبد الله الفارابي ثم الشويكي بضم المعجمة مصغر نسبة إلى الشويكة مكان ظاهر دمشق ويعرف بالتاج الوالي /، قال شيخنا في أنبائه: كان في ابتدائه يتعاطى خدمة الاكابر في الحاجة، وذكر لي أنه كان يخدم الشهاب بن الجابي بدمشق وما يدل على أن مولده بعد الخمسين، ثم اتصل بالمؤيد قبل سلطنته بعد أن اتصل بطيبغا القرمشي فخدمه وراج عليه فلما استقر في الملك ولاه الشرطة فباشرها وفوض إليه في أثناء ذلك الحسبة فكان في مباشرته لها **ذاك الغلاء المفرط** ثم في أواخر

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠٨/٢

الدولة صرف عنها واستقر أستادار الصحبة ثم أعيد اليها في مرض موت المؤيد، وحصل له في أوائل دولة الاشرف انحطاط مع استمراره على الولاية ثم خدم الاشرف فراج عليه أيضا وأضاف إليه مع الولاية المهمندارية وأستادارية الصحبة وشاد الدواوين والحجوبية ونظر الاوقاف العامة وغيرها وكان المباشر للولاية عنه غالبا أخوه عمر ثم صار بأخرة كالمستبد بها ثم صرف عنها فقط، واستمر فيما عداها حتى مات بعلة حبس البول وقاسى منه شدائد وكان يعتريه قبل هذا بحيث أنه شق عليه مرة فخرجت منه حصاة كبيرة وأفاق دهرا ثم عاوده حتى كانت هذه القاضية، ولم يتعرض السلطان لماله وترافع أخوه عمر وزوجته وقرر عليها خمسة آلاف دينار ثم أعفيت منها باعتناء أهل الدولة، وكان حسن الفكاهة ذرب اللسان لا يبالي بقول وينقل عنه كلمات كفرية مختلطة بمجون لا ينطق بها من في قلبه ذرة من ايمان مع كثرة الصدقة والبر المستمر، وأرخ وفاته في العشرين من صفر والصواب انها كما قال العيني في ليلة الجمعة العشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين، وقال إنه صلى عليه من الغد خارج باب النصر ودفن بحوش له بحذاء تربة صوفية سعيد السعداء وكانت جنازته حافلة جدا." (١)

"الامام البرهاني الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاده من عنده ضعف الأصل وحضر إليه مع العلم سليمان الخليفتي لقبض ذلك فما قال له جزيت خيرا ولا أبدي كلمة مؤذنة بشكره، ونقل له مرة عن السنباطي بعد موته ما يؤذن بجفاء منه فقال فلم لم تعلمني بهذا الا بعد موته فقال لتعلم بواطن الرجال هذا مع مزيد احسانه إليه سيما في **زمن الغلاء وقطع** خبز الشيخونية وطعامها بحيث كان يعطيه في كل أسبوع دينارا حسبما صرح به عن نفسه، وكذا فارقه بعض بني الأتراك ممن شفعه فيه بعد أن كان حنفيا ومع كونه مبتدئا لمزيد احسانه إليه واقباله عليه بل فارق المغربي الذي كان يزعم انه الغاية في الولاية والفتح القربى، ومن هوسه قوله لبعض ملازميه إذا صار الينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل ثم لما كان في سنة ثمان وتسعين قام عليه الشيخ أبو النجا بن الشيخ خلف وأظهر نقصه وخطأه وانقمع منه وذل إلى الغاية ومدح الامام الكركي أبا النجا بأبيات حسبما كتبت ذلك كله في الحوادث وقبل ذلك كتب مؤلفا سماه الكاوي في الرد على السخاوي خالف فيه الثابت في الصحيح مع كوني لم أتكلم في المسئلة إلا قبل بل مذهبي فيه ترك التكلم اثباتا ونفيا فسبحان قاسم العقول.

٢٠٤ – عبد الرحمن بن أبي بكر وهو أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد وجيه الدين ويلقب قديما ناصر الدين أبو الفرج بن المحب ابن شيخنا التقي الهاشمي المكي

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٣/٢٤

الشافعي / ابن أخي صاحبنا النجم عمر ويعرف كسلفه بابن فهد أمه خديجة ابنة أبي بكر التوريزي. ولد في ظهر يوم الجمعة منتصف المحرم سنة احدى وأربعين وثمانمائة بكالكوط من الهند وقدم به أبوه إلى مكة في أول العشر الثاني من المحرم سنة أربع وأربعين فنشأ بها وحفظ القرآن والشاطبية والأربعين والمنهاج كلاهما للنووي وألفية ابن مالك والبردة وبانت سعاد واستمر على حفظهما وغيرها وعرض على جماعة وأحضره عمه على أبي المعالي الصالحي وحسين الأهدل وغيرهما من أهل بلده كجده والقادمين اليها بل أسمعه على جمع من الشيوخ خصوصا في اقامتي عندهم السنة الأولى وأجاز له جماعة منهم الزركشي وابن الطحان وابن بردس وشيخنا المقريزي والجمال الكازروني والمحب المطيري وقدم القاهرة في البحر سنة خمس وستين فأقام بها وتوجه منها إلى الشام غير مرة وزار بيت المقدس مرتين ودخل الصعيد واسكندرية والمحلة وحلب وغيرها، وسمع الحديث واشتغل يسيرا وأكثر عن)
فضلاء أهل بلده القادمين عليها وشارك." (١)

"ومن الغريب قول البرهان الحلبي إنه خرج لنفسه معجما، وما وقف شيخنا عليه وكذا وما قفت عليه وولي التدريس للمحدثين بأماكن منها دار الحديث الكاملية والظاهرية القديمة والقراسنقورية وجامع ابن طولون وللفقهاء بالفاضلية وغيرها لهما، وحج مرارا وجاور بالحرمين وحدث فيهما بالكثير بل وأملى عشارياته بالمدينة وسافر مرة للحج في ربيع الأول سنة ثمان وستين هو وجميع عياله ومنهم)
ولده الولي أبو زرعة وابن عمه البرهان أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن الحسين فرافقهم الشهاب بن النقيب وبدءوا بالمدينة فأقاموا بها عدة أشهر ثم خرجوا إلى مكة وكتب الشهاب حينئذ ألفيته الحديثية بخطه وحضر تدريسها عنده، وولي قضاء المدينة النبوية وخطابتها وإمامتها في ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين بعد صرف المحب أحمد بن أبي الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويري ونقله لقضاء مكة واستقر عوض صاحب الترجمة في تدريس الحديث بالكاملية السراج بن الملقن مع كونه كان قد استناب ولده فيه ولكن قدم المذكور لشيخوخته ونازعه الولي في ذلك وأطال التكلم إلى أن كفه البلقيني والابناسي بتوسل السراج بهما في ذلك ثم صرف الزين عن القضاء وما معه بعد مضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وذلك في ثالث عشر شوال سنة إحدى وتسعين بالشهاب أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي السلاوي، وشرع في الاملاء بالقاهرة من سنة خمس وتسعين فأملى أربعمائة مجلس وستة عشر مجلسا فأولا أشياء نثريات ثم تخريج أربعي النووي ثم مستخرجا على مستدرك الحاكم كتب منه قدر مجيلدة إلى أثناء كتاب

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٧٠/٤

الصلاة في نحو ثلثمائة مجلس أولها السادس عشر بعد المائة ولكن تخللها يسير في غيره ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج لكبير تعب فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر وأنشد في آخره قوله من أبيات تزيد على عشرين بيتا:

(بلغت في ذا اليوم سن الهرم ... تهدم العمر كسيل العرم)

وآخر ما أملاه كان في صفر سنة ست وثمانمائة لما توقف النيل وشرق أكثر بلاد مصر **ووقع الغلاء المفرط** وختم المجلس بقصيدة أولها:

(أقول لم يشكو توقف نيلنا ... سل الله يمدده بفضل وتأييد)

يقول في آخرها:

(وأنت فغفار الذنوب وساتر ال ... عيوب وكشاف الكروب إذا نودي)

وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبة بليغة فرأوا البركة بعد ذلك من كثرة الشيء ووجوده مع غلائه ومع تمشية أحوال الباعة بعد اشتداد الأمر جدا وجاء النيل في." (١)

"ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ست عشرة وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها موجوده وبقي في الترسيم بشباك البرقوقية يستجدى من كل من يمر به من الأعيان حتى حصل مالا له صورة وأفرج عنه وأعيد إلى مباشرة الذخيرة والأملاك ثم قرر في الوزارة بعد صرف التاج بن الهيصم فباشرها مباشرة حسنة وشكره الناس كلهم وحدث في **وزارته الوباء فلم** يشاحح أحدا في وارثه بحيث كثر الدعاء له ولكن لم تطل مدته بل مات بعد تسعة أشهر وذلك يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة تسع عشرة وكان بعيدا من النصارى متزوجا من غيرهم وهي علامة حسن إسلام القبطي سيما مع كثرة فعله الخير والصدقة ومحبته في أهل العلم وأن كان منهمكا في اللذات شديد الوطأة على العامة موصوفا بالدهاء وبالجملة فقد باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله وكان عارفا بالمباشرة جيد الكتابة. ذكره شيخنا في أنبائه وهو صاحب المدرسة التي بين السورين ظاهر القاهرة وقف عليها عدة أوقاف والرباط المقابل لباب جياد من المسجد الحرام ولكنه لم يكمل فكمله الفخر بن أبي الفرج عفا الله عنهما، وطول المقريزي في عقوده ترجمته.

عبد الوهاب بن عبد الله تاج الدين بن كاتب المناخ. في عبد الرزاق.

عبد الوهاب بن عبد المجيد بن قاضي القضاة أبي الحسن علي بن أبي بكر التاج الناشري الزبيدي الشافعي أخو محمد الآتي. ولد في ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وحفظ القرآن والحاوي والألفية والتسهيل

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٧٤/٤

وغيرها وأخذها تفهما عن الشيوخ حتى مهر في الفقه والعربية وغيرهما مع العفة والأدب والعقل والوضاءة وصدق اللهجة والحرص على ضبط أوقاته وقصرها على أنواع العبادات. مات في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين شهيدا بالبطن رحمه الله.

عبد الوهاب بن عبد المؤمن بن عبد العزيز القرشي القاهري البزاز والد عبد القادر الماضي.

كان ممن يكتب في الإملاء عن شيخنا بل كتب عن ابن زقاعة كثيرا من نظمه مع فضل وخير. مات في سنة خمس وأربعين.)

عبد الوهاب بن عبيد الله بن محمد بن أحمد التاج السجيني القاهري الأزهري الشافعي أخو الشهاب أحمد الماضي وهو أصغرهما ووالد علي المرافع.

ولد في سنة عشرين وثمانمائة بسجين من الغربية وتحول منها قريب البلوغ فقطن الجامع الأزهر وجود القرآن وتعلم اللسان التركي وأقرأ في الطبقة عند لاشين اللالا واختص به ثم أعرض عنه لأجل بعض الفقراء وسمع على الزين الزركشي." (١)

"علي بن التاج محمد بن علي بن أحمد القادري. قال أنه سمع على عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله الشيرازي الجرهي وساق سنده إلى البغوي وأنه يروي ألفية ابن مالك قراءة وسماعا عن النور أبي الفضل علي بن الصالح بن أحمد الكيلاني الشافعي القاضي وساق سنده لناظمها كما أثبت ذلك في التاريخ الكبير، أجاز لابن أبي اليمن حين عرض عليه في سنة ثلاثين.

علي بن محمد بن علي بن ذي الاسمين أيوب عثمان بن ذي الاسمين عبد العزيز عبد المجيد الشهير بأبي المجد بن محمد بن عبد العزيز بن قريش نور الدين وربما كني بأكبر أولاده النجم فيقال أبو نجم الدين بن نجم الدين القرشي الأبودري بفتح الهمزة ثم موحدة ودال مهملة ثم راء مشددة نسبة لأبي درة من أعمال البحيرة ثم الدسوقي بضم المهملتين المالكي ويعرف بسنان لسن كانت له بارزة وأيوب في نسبه هو أخو الشيخ إبراهيم الدسوقي صاحب الأحوال.

ولد تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة بأبي درة وانتقل منها وهو صغير بعد موت والده وحفظ القرآن عند الشهاب التروجي وتلاه لأبي عمر وعلي بن عامر بلقانه وحفظ عنده الشاطبيتين ثم قدم القاهرة فحفظ بها أيضا العمدة والرسالة ومختصر ابن الحاجب كلاهما في المذهب والملحة وألفية ابن مالك، وعرض على الزين قاسم السمسطائي النويري ولازمه في بحث الرسالة والمختصر معا بل رافقه في سماع الحديث

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠٣/٥

وبحث العمدة على الزين عبيد البشكالسي ومن شيوخه في السماع الصلاح الزفتاوي والتنوخي وابن الشيخة وابن الفصيح والعراقي والهيثمي والأبناسي والدجوي والغماري والمراغي والنور الهوريني والجمال عبد الله الرشيدي وناصر الدين نصر الله الحنبلي والسويداوي والحلاوي وأكثر من المسموع وكان يخبر أنه أخذ الخرقة الدسوقية عن ابن عمه الجمال عبد الله بن محمد بن موسى المنوفي بدسوق في سنة نيف وثمانمائة عن أبيه عن جده موسى عن شقيقه إبراهيم، وقطن دسوق من سنة اثنتي عشرة إلى أن مات شيخ المقام الإبراهيمي بها وهو ابن عمه الشمس محمد بن)

ناصر الدين محمد بن جلود في سنة أربع وثلاثين فاستقر عوضه في المشيخة فباشرها وصرف عنها مرارا، وحج وزار بيت المقدس ودخل إسكندرية مرارا، وحدث سمع منه الفضلاء حملت عنه الكثير بالقاهرة ثم بدسوق وارتفق بما كان يصله به الطلبة في **سني الغلاء لكونه** كان كثير العيال جدا وكان حينئذ منفصلا عن المشيخة، وكان خيرا ضابطا صدوقا ثقة ثبتا ساكنا وقورا صبورا على إسماع متواضعا سليم الفطرة مستحضر الفوائد. مات في ليلة الجمعة حادي عشر رمضان سنة تسع وخمسين." (١)

"بصالحية دمشق سنة بضع وأربعين وسبعمائة ولازم التاج بن السبكي والتقي بن الشهيد وابن كثير وسمع عليه وعلى العماد الحسباني وصحب الجلال بن خطيب داريا دهرا وكتب عنه، وكان حسن الإدراك كثير الفوائد مع إعجاب بنفسه، وقدم القاهرة في سنة اثنتين وثمانين ولزمته مدة وكنت له محبا ومنه مستفيدا. قاله المقريزي في عقوده وحكى عنه عن التقي عبد الله بن جملة أن شخصا سماه لما **حدث الوباء الكبير** في سنة تسع وأربعين وسبعمائة أمر في الحال ببيع ثيابه وعقاره والتصدق بثمن ذلك ففي تلك الليلة التي تم فيها هذا رأى في منامه قائلا يقول له في هذه الليلة كان انقضاء عمرك إلا أن الله قد زاد في عمرك لما فعلت ست عشرة سنة، إلى غيرها من الأشعار والحكايات.

مات بالقاهرة في ذي القعدة سنة عشرين رحمه الله. محمد بن سليمان بن مسعود الشمس الشبراوي نسبة لشبرا النخلة بالمنوفية القاهري)

الشافعي والد محمد الآتي. ذكره شيخنا في إنبائه مقتصرا على اسمه ونسبته وقال: اشتغل كثيرا وكان مقتدرا على الدرس فدرس كتاب الشفا وعرضه ثم مختصر مسلم للمنذري ولم يكن بالماهر.

مات في سلخ سنة أربع عشرة. قلت وكذا حفظ غير ذلك كالتنبيه والألفيتين، وقد جاور في سنة سبع وتسعين بالمدينة وسمع بها على الزين المراغي والعلم سليمان السقاء، وكان إمام السنقورية بالقاهرة واتفق

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٥/٣١٩

أنه كان جالسا بخلوته منها فلعبت النار من القنديل في عمامته وغيرها من أثوابه فبادر وألقى نفسه في بركة المدرسة. محمد بن سليمان بن وهبان المدني عم سليمان الماضي. سمع على الزين المراغي في سنة خمس عشرة. محمد بن سليمان الحكري. محمد بن سليمان الفيومي بواب الزمامية بمكة، ذكره ابن فهد مجردا. محمد بن سليم بن كامل الشمس الحوراني ثم الدمشقي الشافعي. قال شيخنا في إنبائه: تفقه وتمهر واعتنى بالأصول والعربية وكان من عدول دمشق وقرأ الروضة على العلاء حجي وكتب عليها حواش مفيدة وأذن له في الإفتاء ودرس وأعاد وتصدر وأفاد وكان أسمر شديد السمرة أكثر أقرانه استحضارا للفقه ممن يكتب الحكم وكتب للتاج السبكي كثيرا من مصنفاته. مات في رجب سنة ثلاث بعد أن عوقب بأيدي اللنكية وقد قارب الستين وليس في لحيته شعرة بيضاء رحمه الله.

محمد بن سند. يأتي في ابن علي. محمد بن سنقر أبو السعود الجمالي نزيل مكة وشاد عمارة السلطان مع الحسبة. سمع مني هو وأبوه المسلسل وحديث زهير العشاري وكتبت لهما." (١)

"نزيل هو.

ولد في المحرم سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان أبوه موسرا فمات. بعد الثمانين ونشأ هو يتعانى التجارة والزراعة ويتردد إلى القاهرة، وتقلبت به الأمور وتفقه قليلا وأخذ عن المشايخ، وكان فاضلا مشاركا متدينا بحيث كان. يقول ما عشقت قط ولا طربت قط. مات في الطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وكان يحكى عن ناصر الدين محمد بن محمد بن عطاء الله قاضي هو أنه كانت بجانب داره نخلة جربها بضعا وثلاثين سنة إن قل حملها توقف النيل وإن كثر زاد وإنها سقطت في سنة ست وثمانمائة فقصر النيل في تلك السنة **ووقع الغلاء المفرط**. ذكره شيخنا في إنبائه والمقريزي في عقوده وطوله. محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الكمال بن همام الدين بن حميد الدين بن سعد الدين السيواسي الأصل ثم القاهري الحنفي الماضي أبوه وولي جده كجد أبيه قاضي سيواس ويعرف بابن الهمام. ولد سنة تسعين وسبعمائة ظنا كما قرأته بخطه وقال المقريزي في عقوده سنة ثمان أو تسع وثمانين باسكندرية ومات أبوه وكان قاضي اشكندرية وهو ابن عشر أو نحوها فنشأ في كفالة جدته لأمه وكانت مغربية خيرة تحفظ كثيرا من القرآن وقدم صحبتها القاهرة فأكمل بها القرآن عند الشهاب الهيثمي وكان فقيهه يصفه بالذكاء المفرط والعقل التام والسكون وتلاه تجويدا على الزراتيتي وباسكندرية على الزيدن عبد الرحمن الفكيري وحفظ القدوري والمنار والمفصل للزمخشري وألفية النحو ثم عاد صحبتها أيضا إلى اسكندرية فأخذ بها النحو عن

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٧/٢٦٢

قاضيها الجمال يوسف الحميدي الحنفي وقرأ في الهداية على الزين السكندري وعاد إلى القاهرة أيضا وقرأ على يحيى العجيسي بلدي جدته وكان الكمال يقول إنه لم يكن عنده كبير فائدة بل أنكر أن يكون قرأ وإنما حضر عنده مع رفيق له وبما قال العجيسي له بعد أن كبر ألم نربك فينا وليدا وفي المنطق على العز عبد السلام البغدادي والبساطي وعنه أخذ أصول الدين وقرأ عليه شرح هداية الحكمة لملازادة وكذا أخذ عن همام الدين شيخ الجمالية والكمال الشمني والشمس البوصيري واجتمع بكل من حفيد ابن مرزوق وابن الفنري حين رجوعهما من الحج وبحث مع كل)

منهما بما أبهر به من حضر وربما كان يحضر عند البدر الأقصرائي في التفسير ويدقق المباحث معه بحيث لا يجد البدر له مخلصا وأخذ شرح المطالع عن الجلال الهندي وشرح المواقف عن القطب الأبرقوهي وقال إنه لم يكن في شيوخه أذكى منه وأقليدس عن ابن المجدي والدواوين السبع أشعار العرب عن العيني وكان أحد المقررين عنده في محدثي." (١)

"أن جرت له محنة مع القاضي جلال الدين البلقيني لكونه)

مدح القاضي الذي عزل به فضربه أتباعه وأهانوه فرجع متمرضا فمات وتمزقت أجزاؤه وكتبه شذر مذر فلم ينتفع بها ولم ينتفع. قلت وقد روى لنا عنه غير واحد ورأيت بخطه مما قال أنه من نظمه:

(ذكرتم فطاب الكون من طيب ذكركم ... فيا حبذا وصف لقد نشر النشر)

(وأني لأهواكم على السمع والثنا ... وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى)

وهو في عقود المقريزي وقال أن البشتكي كان يدعي أنه ينظم له رحمه الله وعفا عنه.

١٦٧ - محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر، وربما قدم عبد الله على أبي بكر وحينئذ فهو الشرف بن المعين أو العفيف بن البهاء بن التاج بن المعين المخزومي الدماميني ثم السكندري المالكي، /كان أبوه ناظر الإسكندرية ونشأ هو فتعاني الكتابة وباشر في أعمالها ثم سكن القاهرة وكان حاد الذهن فباشر عند الجمال محمود الاستادار واشتغل بالعلم في غضون ذلك فبرع في الفقه وأصوله والعربية وغلب عليه الحساب وتعاني الديونة ثم قدم القاهرة وخدم الجمال محمود ابن علي الاستادار فاشتهر وأثرى وعرف بالمكارم والسماح وبذل الكثير حتى ولي حسبة القاهرة في رمضان سبع وتسعين عوضا عن البهاء بن البرجي فدام أزيد من أربعة أشهر ثم صرف وأعيد بعد أيام وباشر قليلا في **اشتداد**

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٢٧/٨

الغلاء وتشحط الحوانيت من الخبز ثم صرف ثم ولي وكالة بيت المال ونظر الكسوة في رجب التي تليها ثم أضيفت الحسبة اليهما بل كان سعي بعد موت الكاستاني في كتابة السر بقناطر ذهب وهو عشرة آلاف دينار فلم يسعفه برقوق بذلك، وكذا سعي في القضاء وعين له فقام عليه المالكية حتى انتقض، ثم ولي نظر الجيش في ثامن ربيع الاول سنة تسع وستين بعد موت الجمال محمود القيصري وباشرها مع الوكالة إلى أن صرف عن نظر الجيش في سابع ذي القعدة سنة ثمانمائة بسعد الدين بن غراب رفيقه عند محمود هذا ودام في الوكالة ثم أعيد للجيش ثم استقر فيها وفي نظر الخاص معا هرب إبنا غراب فلما خلصا قبضا عليه أفرجا عنه فولي قضاء اسكندرية حتى مات في سابع عشري المحرم سنة ثلاث. ذكره شيخنا في إبنائه ملخصا والمقريزي مبسوطا، وقال شيخنا: كان فيه مع حدته وذكائه كرم وطيش وخفة وكان يعادي ابن غراب فعمل عليه حتى أخرجه من القاهرة لقضاء اسكندرية ولم يلبث أن مات بها مسموما على ما قيل، وقال المقريزي أيضا أنه صحبه فخبر منه معرفة تامة بصناعة الحساب)

ودربة بالمباشرات وذكاء وحدة وكرما مع طيش وخفة وتهور كثير عفا الله عنه، وأثنى عليه العيني فقال وحصل طرفا من العلوم." (١)

"وبه تفقه وعنه أخذ أصول الفقه وقرأ في المنطق وبعض المطول على ملا زاده. وأكمل المطول على غيره وفي المعاني والبيان على ملا حاجي والعربية والعروض على المحب البصروي بل قرأ عليه بعض شرحه على الإرشاد ومصنفه في الفرائض وشرحه بكمالهما ولازم البقاعي هناك حتى قرأ عليه صحيح مسلم وسمع في غيره بحثا وغيره وفي حلب على قل درويش بعض شرح العقائد وعلى عثمان الطرابلسي في الكشاف وسافر من الشام لمكة فقطنها من سنة اثنتين وتسعين وحضر بها دروس القاضي وربما أقرأ، وذكر لي أنه اختصر المنهاج وله نظم وسمع مني وعلي أشياء وكان يتأسف على عدم تحصيل تصانيفي لمزيد فاقته ولما **اشتد الغلاء بمكة** توجه في أثناء سنة تسع وتسعين بحرا إما للشام أو لمصر أو لهما أنجح الله قصده.

٤٩٦ - محمد بن محمد بن محمد بن أسعد بن عبد الكريم بن سليمان بن يوسف بن علي بن طحا الفخر أبو اليمن بن العلاء أبي بكر بن الكمال الثقفي القاياتي المصري الشافعي. / ولد في رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة قال شيخنا ولم نجد له من المسموع ما هو على قدر سنه مع أن جده كان فاضلا محدثا له عمل قليل في الفن وناب في الحكم ونشأ هذا وهو من بيت حكم وعدالة فحفظ المنهاج وكتبه بخطه بل كتب عليه ودرس بعدة أماكن مع قلة بضاعته في العلم ولكنه كان دربا في الأحكام متوددا متواضعا

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٦٣/٩

محصلا للدنيا باشر التوقيع ثم النيابة في قضاء مصر والجيزة وباشرها مدة طويلة منفردا ثم أشرك معه غيره مع استمراره على أنه الكبير فيهم، وعين للقضاء الأكبر فامتنع بل استمر نائبا حتى مات، وجاور بمكة مرارا وجرد بها القرآت السبع على كبر السن عند بعض المتأخرين بل قرأ بها كثيرا من الحديث يعني على النشاوري والجمال الأميوطي وغيرهما وكذا قرأ بالقاهرة على السويداوي وغيره ونسخ بخطه الكثير وحصل مجاميع حديثية من مسموعاته. قلت رأيتها وحصل لسبطته أم هانئ ابنة الهوريني مسموعا كثيرا بمكة وغيرها قال شيخنا ورأيت سماعه في جامع الترمذي بخط)

المحدث جمال الدين الزيلعي على أبي الحسن العرضي ومظفر الدين بن العطار ولم يحدث بذلك، وكذا سمع على المحدث نور الدين الهمداني وغيره الخلعيات قرأتها بل كان يذكر أنه سمع على أبي الفرج بن عبد الهادي فقرأت عليه أربعين من صحيح مسلم عنه ولم أقف له على سماع على الميدومي مع إمكان ذلك. مات في حادي عشر رجب سنة ثمان وقد جاز الثمانين ودفن بتربته بالقرب من مقام الشافعي وخلف مالا طائلا وأوصى بثياب بدنه لطلبة العلم ففرقت فيهم وحدثنا." (١)

"العربية وأخذها معا عن ابن الفالاتي وتميز ولازمني في الحديث رواية ودراية ومما قرأه علي البخاري وجملة من الكتب الستة، وكتب من تصانيفي القول البديع وغيره وقرأ على عدة منها.

وناب في قضاء المحلة عن ابن العجيمي وغيره بل استقل بها وقتا وخطب بعدة أماكن واستقر به ابن الغمري خطيب جامع التوبة الذي أنشأه وسكنه وقرأ الحديث على العامة وترقى فيه وفي الخطابة ونحوهما مع المشاركة في الفضائل وجودة المباحثة والفصاحة والقدرة على التعبير عن مراده وحسن الكتابة والبراعة في الشروط والأحكام بحيث حسده ابن العجيمي فمن دونه ورموه بالتساهل والجرأة في الأحكام والقضايا وتعب بسبب ذلك خصوصا في أيام الزيني زكريا بحيث عزله وأعاده عن قرب مع اعترافه بتمام فضيلته ولكنه قال لي أنه سوهائي)

المحلة وآل أمره إلى أن صودر ورسم عليه بل سجن بالقلعة وغيرها وما نهض للقدر الذي ألزم به وصار بعد ذلك فقيرا وحيدا حتى أنه جلس مع ابن المدني برأس سوق أمير الجيوش وما أنصفه القاضي وكانت بينه وبين أبي البركات الصالحي مناطحات.

٥١٢ – محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر البهاء بن الشمس بن النظام المقرئ الصوفي والده الماضي ابن أخت الشمس بن قاسم. / سمع مني وقرأ قليلا ثم فسد حاله وأدخل سجن أولى الجرائم حتى مات

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٠١/٩

بعد الثمانين ظنا.

محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشمس الدلجي المقرئ ويدعى قريشا. / سبق هناك ويأتي في ابن أبي يزيد أيضا.

٥١٣ - محمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشمس بن سعد الدين بن نجم الدين البغدادي القاهري الزركشي المقرئ الشاعر والد عبد الصمد. / ذكره شيخنا في معجمه فقال: أصله م نشيراز ثم سكن القاهرة وشذا طرفا من الأدب وأتقن القراآت والعروض وعمل فيه منظومة كان شيخنا المجد إسماعيل الحنفي القاضي يطريها ويقرئها أولاده لإعجابه بها وكذا له قصائد سماها العواطل الخوالي بمدح خير الموالي نبويات أجاد فيها والتزم فيها أشياء مخترعة مع كونها كلها بغير نقط وعمل في الظاهر برقوق مرثية طويلة أنشدها للسالمي فأثابه عليها الإمامة في سعيد السعداء وأنشدني لنفسه مما قاله **في الغلاء الكائن** في سنة سبع وسبعين:

(أيا فادي الضيوف بكل خير ... ويا برا نداه مثل بحر)

(لقد **جار الغلاء على** عدوا ... وها أنا قد شكوت إليك فقري)

وكذا أنشدني مرثية في القاضي كريم الدين بن عبد العزيز صاحبني نحو عشرين سنة ثم أرسلته سفيرا إلى ينبع ففرط في المال ورجع بخفي حنين واعتذر بأنه تزوج وأنفق وأهدى وتصدق وجعل ذلك في صحيفتي فنشأ له مني ما عاتبني من." (١)

"وله بالطريق عن بلاده سنة وأربعة أشهر وهو عالم كبير جليل المقدار ذو علوم كثيرة، وقال العلاء القابوني البخاري أنه سأل عن مسئلة من مشكلات العربية فتكلم فيها أحسن كلام. وقال الجمال يوسف العجمي نزيل دمشق أنه في العلم كالعلاء البخاري ولكنه يميل إلى الدنيا وذكر أن شاه رخ بن تمر قال له حج في البحر أسهل عليك فقال أريد أن أزور بلاد الشام ومن بها من الصالحين والعلماء أحياء وأمواتا فإنه ليس وراء الفرات قبر نبي انتهى. وقوله يميل إلى الدنيا ليس يجيد بل هو بعيد عن ذلك وقد أزال في هذه السفرة ما كان يتوقع من الشر بين إسكندر صاحب تبريز وشاه رخ بن تمر حين دخول الشيخ تبريز في حكاية طويلة فيها له كرامة. وعمر حتى مات في يوم السبت غرة شوال سنة ثمان وثلاثين ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها وأبعد جدا من قال أنه جاء

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٠٨/٩

الخبر لدمشق بوفاته في سنة خمسين رحمه لله ونفعنا به.
٦٨٢ - محمد بن محمد بن محمد بن علي أمين الدين المنصوري نسبة للمنصورية بالبيمارستان الحنبلي ابن ربيب الشمس محمد بن عبد الله الأئميدي الماضي ويعرف بأمين الدين بن الحكاك. /
ولد سنة خمس وثلاثين تقريبا وسمع وهو صغير مع الإئميدي على ابن بردس وابن الطحان بحضرة البدر البغدادي وكذا سمع على المحب بن نصر الله وربما كان يجلسه حين السماع على فخذه أو نحوه، وحفظ المقنع في الفقه ومختصر الطوفي في الأصول وألفية ابن ملك وعرض على جماعة منهم شيخنا وأخذ في الفقه عن ابن الرزاز والبدر البغدادي وزوجه ابنة الجمال بن هشام والعز الكناني واستنابه وذلك بعد أن تكسب بالشهادة والتوقيع وتميز فيها، وتنزل في الجهات ورجحه البدر قاضيهم غير مرة في الفهم والفروع على سائر جماعته مع)
استحضار كتابه وتودد وأدب وهيئة وخبرة بالحشمة وإسراف فيما قيل على نفسه ولكن أخبرني بعضهم بتوبته قبيل موته تعلل مدة ثم مات في حياة أبويه في صفر سنة ست وتسعين بعد أن أنشأ دارا بالدرب المواجه لحمام ابن الكويك بالقرب من رأس حارة زويلة وصلي عليه برحبة مصلى باب النصر ثم دفن بتربة قريبا منها تجاه تربة الرقاقية وتأسف كثيرون عليه رحمه الله وعفا عنه.
محمد بن محمد بن محمد بن العماد. / يأتي فيمن لم يسم أبوه ثالث المحمدين.
٦٨٣ - محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البدر ابن أبي عبد الله بن الإمام أبي عبد الله بن أبي حفص ابن القدوة أبي بكر البالسي الأصل الدمشقي الصالحي ويعرف بابن قوام. / ولد في تاسع عشر جمادى." (١)

"وتأخر علي بن أبي طالب بعدهما بمكة ثلاثة أيام حتى أدى ما كان عند النبي صلى الله عليه وسلم من الودايع لأربابها ثم لحقه بقباء.
واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف ثم انتقل إلى المدينة بعد أن أسس مسجد قباء وصلى الجمعة في طريقه بمسجد بني سالم الذي في الوادي بعد أن خطبهم فيه والقبلة إذ ذاك لبيت المقدس إلى أن حولت.
ونزل بالمدينة حيث بركت ناقته باختيارها قائلا إنها مأمورة عند محل مسجده الشريف الذي أمر ببنائه بعد وهو يومئذ مصلى الرجال من المسلمين ومربد لغلامين من بني مالك بن النجار وحمل أبو أيوب الأنصاري

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٦٢/٩

رحله إلى داره وهو – فيما قيل – من ذرية الحبر الذي أسلمه تبع الأول كتابه الذي فيه أنه بناه لما مر بالمدينة للنبي صلى الله عليه وسلم لينزله إذا قدمها فتداوله الملاك إلى أن صار لأبي أيوب وحينئذ فما نزل صلى الله عليه وسلم إلا في بيت نفسه وكرر قوله اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين وصارت الهدايا من الطعام تحمل إليه.

وكان أول ما سمع منه صلى الله عليه وسلم: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام".

ثم تحول منه وأمر ببناء المسجد ثم بنى مساكنه بجانبه وآخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة.

وقدم عليه ابنتاه: فاطمة وأم كلثوم وزوجته سودة وأسامة بن زيد وأمه بركة أم أيمن مع زيد بن حارثة وأبي رافع وكان أرسل إليهم بهما ومعهما بعيران وخمسمائة درهم.

وقدم على أبي بكر عياله مع ابنه عبد الله ثم المهاجرون إلى المدينة.

ودام بالمدينة التي أضاء منها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم كل شيء وزال **عنها الوباء ونقل** حماها إلى الجحفة وأكرمت بمنع دخول الدجال والطاعنون لها بعد الهجرة عشر سنين.

كان في الأولى التي ابتدأ التاريخ منها وافتتح بالمحرم غزوة الأبواء وهي غزوة ودان وجعلت صلاة الحضر أربع ركعات بعد ركعتين وشرع الأذان وبني بعائشة في شوالها.

وفي الثانية: غزوة بواط ثم بدر الأولى ثم ذي العشيرة ثم بدر الكبرى وهي البطشة التي أعز الله بها الإسلام وأهلك بها رؤوس الكفرة اللئام يوم الجمعة لسبع عشرة خلون من رمضان ثم غزوة بني قينقاع ثم السويتي ثم قرقرة الكدر وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد أن كانت لبيت المقدس وفرض صوم رمضان وزكاة الفطر بل الزكاة وصلى." (١)

"أثناء كتاب الصلاة في نحو ثلاثمائة مجلس أولها: السادس عشر بعد المائة ولكن تخللها يسير في غيره ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج إلى كبير تعب فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر وأنشد في آخره قوله في أبيات تزيد على عشرين بيتا:

بلغت في ذا اليوم سن الهرم ... تهدم العمر كسيل العرم

وآخر ما أملاه كان في صفر سنة ست وثمانمائة لما توقف النيل وشرق أكثر بلاد مصر **ووقع الغلاء المفرط**

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ١/١٥

وختم المجلس بقصيدة أولها:

أقول لمن يشكو توقف نيلنا ... سل الله يمدده بفضل وتأييد

ويقول في آخرها:

وأنت فغفار الذنوب وساتر العيوب ... كشاف الكروب إذا نودي

وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبة بليغة فرأوا البركة بعد ذلك من كثرة الشيء ووجوده مع غلائه ومع تمشية أحوال الباعة بعد اشتداد الأمر جدا وجاء النيل تلك السنة عاليا بحمد الله تعالى وكان المستملي ولده وربما استملى البرهان الحلبي أو شيخنا أو الفخر البرماوي قال شيخنا في معجمه: وكان يمليها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية وحكى رفيقه الحافظ الهيثمي: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وعيسى عليه السلام عن يمينه وصاحب الترجمة عن يساره قال شيخنا: وكان منور الشيبة جميل الصورة كثير الوقار نزر الكلام طارحا للتكلف ضيق العيش شديد التوقي في الطهارة لا يعتمد إلا على نفسه أو على الهيثمي المشار إليه وكان رفيقه وصهره لطيف المزاج سليم الصدر كثير الحياء قل أن يواجه أحدا بما يكرهه ولو آذاه متواضعا منجمعا حسن النادرة والفكاهة قال: وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل بل صار له كالمألوف وإذا صلى الصبح استمر غالبا في مجلسه مستقبل القبلة تاليا ذاكرا إلى أن تطلع الشمس ويتطوع بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وبستة من شوال كثير التلاوة إذا ركب قال: وقد أنجب ولده الولي أحمد ورزق السعادة في رفيقه الهيثمي قال: وليس العيان في ذلك كالخبر وقال في صدر أسئلة له: سألت سيدنا وقدوتنا ومعلمنا ومفيدنا ومخرجنا شيخ الإسلام أوحد الأعلام حسنة الأيام حافظ الوقت فلانا وفي أنبائه: أنه صار المنظور إليه في هذا الفن من زمن الأسنائي وهلم جرا قال: ولم نر في هذا الفن أتقن منه وعليه تخرج غالب أهل عصره ومن أخصهم به: شيخنا صهره الهيثمي وهو الذي دربه وعلمه كيفية التخريج والتصنيف بل كان هو الذي يعمل له خطب كتبه ويسميها له وصال الهيثمي." (١)

"حرف الباء:

١٦٣- البردة والأشربة المعروفة١، ١٦٤- بردة الزبيرة، ١٦٥- البشارة بالخزي والنار، ١٦٦- بعض مسموعاته، ١٦٧- البغية العليا، ١٦٨- بغية الحثيث في فضل أهل الحديث٢، ١٦٩- بلغة الحبيب، ١٧٠- البلاء بحصول الغلاء، ١٧١- بيان الشبه والتزاميك، ١٧٢- بيان فضيلة شهر نيسان.

١٧٣- بلغة الآمال بأدوية قطع الإسهال٣.

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ٢/١٦٥

١٧٤- البيان لبديع خلق الإنسان٤.

١٧٥- بيان القول السديد في أحكام تسري العبيد٥.

حرف التاء:

١٧٦- التاج الملكي والعسس٦، ١٧٧- التبيين وكمال الدين، ١٧٨- التجديد في القضاء، ١٧٩- التجريد، ١٨٠- التحدث والنبأ، ١٨١- التحذير،١٨٢-تحريم الحالف، ١٨٣- تحفة الأخوان، ١٨٤- تحفة المنظر.

---

١ ١٦٣- ١٧٢، ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ٨، ٦، ١٤، الخيمي: يوسف ابن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٨٢/٢، ٧٩١) .

٢ وقد طبع بدار ابن حزم ببيروت عام ١٤١٧هـ.

٣ ابن الغزي: النعت الأكمل (ص ٧١) ،، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (١٨/٣١٦٥) .

٤ ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق٢،، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣١٩٦) .

٥ ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ١٠،، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣/٣١٩٤) .

٦ ١٧٦-١٨٤، ابن عبد الهادي فهرست الكتب ق ١٠، ١٤، ١٧، الخيمي: يوسف ابن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٨٢/٢) .." [١]

"٤٤٠-غرس الآثار وثمارالأخبار في روائع فنون المنون **في الوباء والطاعون**.

حرف الفاء:

٤٤١- فائدة الحكم، ٤٤٢- الفائق في الشعر الرائق.

٤٤٣- فتاوى سنة اثنتين وتسع مئة١.

٤٤٤- فتاوى سنة ثلاث وتسع مئة٢.

٤٤٥- فتاوى سنة خمس وتسع مئة٣.

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٦١/١

٤٤٦- فتاوى وأسئلة فقهية٤.

٤٤٧-فتاوى ابن أبي الفوارس٤٤٨،٥-فتح الرحمن،٤٤٩-فتوح الغيب.

٤٥٠- الفحص والإظهار، ٤٥١- فرائض سفيان الثوري.

٤٥٢- فرض الفطر، ٤٥٣- الفرج بعد الشدة.

٤٥٤- فصل في أدوية البهق وفوائد عامة٦.

٤٥٥- فصل في الأدوية المفردة٧.

---

١ الخيمي: يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٨٥/٢) ، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣٢١٢) .

٢ المصدر السابق (٧٩٧/٢) .

٣ المصدر السابق، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٢/١٩٠٤) .

٤ المصدر السابق، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣٢١٢) .

٥ ٤٤٧-٤٥٣، ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ١٠، الخيمي: يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٨٥/٢) .

٦ الخيمي: يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٩٨/٢) ، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (١٣/٣١٦٥) .

٧ المصدر السابق ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (١/٢٧٠٢) .." [(١)]

"أبي عمر، ٤٧١- فضل السمر والعلالة، ٤٧٢- فضل عاشوراء، ٤٧٣- فضل العالم العفيف،

٤٧٤- فضل العنب، ٤٧٥- فضل قضاء حوائج الناس، ٤٧٦- الفضل المسلم.

٤٧٧- فضل لا حول ولا قوة إلا بالله١.

٤٧٨- فضل يوم عرفة٢.

٤٧٩- فضيلة إنظار المعسر٣.

٤٨٠- فنون المنون **في الوباء والطاعون٤**.

٤٨١- الفنون من أدوية العيون٥.

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٧٦/١

٤٨٢- الفوائد البديعة٦، ٤٨٣- فوائد ابن أبي الفوراس، ٤٨٤- الفوائد الحسان، ٤٨٥- فوائد الرفاق.
٤٨٦- فوائد طبية٧.

---

١ الألباني: فهرس مخطوطات الحديث (ص ٧٥) ، ومنه نسخة في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٤٥٥٨) ، ولها صورة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم: (١٥٨٥) ، وطبع بتحقيق عبد الهادي منصور عام ١٤١٦هـ.
٢ ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ١٤.
٣ الألباني: فهرس مخطوطات الحديث (ص ٧٥) ، المصدر السابق، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣٢١٦) .
٤ ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ٦.
٥ ابن الغزي: النعت الأكمل (ص ٧٠) ، المصدر السابق، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٣١٥٦/٤) .
٦ ٤٨٢-٤٨٥، ابن عبد الهادي: فهرست الكتب ق ٧، ١٢، الخيمي: يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٨٥/٢) .
٧ الخيمي: يوسف بن عبد الهادي حياته وآثاره (٧٩٨/٢) ، المصدر السابق، ومنه نسخة بخط المؤلف في مكتبة الظاهرية تحت رقم: (٩/٣١٦٥، ١١/٣١٦٥) .." (١)

"أريغه١ عن الفطام [فيأبى"، قال: "ولم؟ "، قالت: "لأن عمر لا يفرض إلا للفطم"، قال: "وكم له؟ "، قالت:] ٢ "كذا وكذ شهرا"، قال: "ويحك لا تعجليه"، فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، لما سلم قال: "يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين؟ "، ثم أمر مناديا فنادى: "أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود٣ في الإسلام". وكتب بذلك إلى الآفاق، أن يفرض لكل مولود في الإسلام"٤.

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: "أن عمر خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ٥ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه - رضي الله عنهم - فأخبروه أن الوباء٦ قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: "خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه"، وقال بعضهم: "معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء". قال: "ارتفعوا، ثم قال: ادع لي الأنصار"،

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٧٨/١

فدع وتهم فاستشارهم، فسلكوا

---

١ أريغه عن الفطام: أديره عليه وأريده منه. (لسان العرب ٨/٤٣١) .

٢ سقط من الأصل.

٣ في الأصل: (ملولولد) ، وهو تحريف.

٤ ابن سعد: الطبقات٣/٣٠١، أبو عبيد: الأموال ص٢٤٨، ابن زنجوية: الأموال٢/٥٢٨، البلاذري: أنساب الأشراف (الشيخان: أبو بكر وعمر) ص ٢٤٠، محب الدين الطبري: الرياض النضرة ٢/٣٨٩، ابن الجوزي: مناقب ص ٦٨، كلهم من طريق يحيى بن المتوكل المدني، وعبد الله بن نافع مولى ابن عمر وهما ضعيفان. (التقريب ص ٣٢٦، ٥٩٦) .

٥ سرغ: قرية أول الشام، وآخر الحجاز، في وادي تبوك بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. (معجم البلدان ٣/٢١١) .

٦ أي: الطاعون. (انظر: فتح الباري ١٠/١٧٨) .." [(١)]

"سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: "ارتفعوا، ثم قال: ادع من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح"، فدعوتهم فلم يختلف علي منهم رجلان"، فقالوا: "نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء".

فنادى عمر بالناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا [عليه] ١، فقال أبو عبيدة بن الجراح: "أفرارا من قدر الله تعالى؟ "، فقال عمر: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة!، نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا٢ في بعض حاجته فقال: "إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم٣ به في أرض فلا تقدموا عليها، وإن وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"، فحمد الله عمر ثم انصرف"٤.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه **أن الوباء** [قد وقع] ٥ / [٢٤ / ب] بأرض الشام، فقال ابن عباس قال عمر: "ادع لي المهاجرين الأولين"، فدعاهم، فاستشارهم، وأخبرهم **أن الوباء قد** وقع

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٣٥٧/١

بالشام، فاختلفوا فقال بعضهم: (قد خرجت لأمر لا نرى أن ترجع عنه"،

---

١ سقط من الأصل.
٢ في الأصل: (مغبيا) ، وهو تحريف.
٣ في الأصل: (سمعت) ، وهو تحريف.
٤ تكرر هذا الحديث في هذا الموضع مرتين، وانظر تخريجه في الحديث الآتي بعده.
٥ سقط من الأصل.." (١)

"وقال بعضهم: "معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء".

فقال: "ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا بسبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: "ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: "نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء".

فنادى في الناس: "إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه"، فقال أبو عبيدة: "أفرارا من قدر الله؟ "، قال عمر: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة!. نعم. من قدر الله إلى قدر الله، أريت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهم خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته، فقال: "إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه". قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف"١.

وفي الصحيح عن ابن عباس قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: "لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟، فقال: إنه ممن قد علمتم". قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ [النصر: ١-٢] ، حتى ختم السورة، فقال

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٣٥٨/١

١ البخاري: الصحيح، كتاب الطب ٢١٦٣/٥، رقم: ٥٣٩٧، مسلم: الصحيح، كتاب السلام ١٧٠/٤، رقم: ٢٢١٩.." [(١)]

"وعن جواب [التيمي] ١، ٢ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "يا معشر القراء٣ ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالا على المسلمين"٤.

وعن الحسن٥ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه شيئا فيلتحول إلى غيره"٦.

وعن شيخ من قريش قال: قال عمر رضي الله عنه: "لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر شيئا، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه"٧.

وعن سعيد بن المسيب قال: قال عمر رضي الله عنه: "نعم الرجل فلان لولا بيعته"٨، فقيل: لسعيد بن المسيب: "وما كان يبيع؟ "، قال: "الطعام"، قال: "وببيع الطعام باس؟ "، قال: "قلما باعه رجل إلا وجد للناس"٩"١٠".

---

١ مطموس من الأصل.

٢ جواب بن عبيد الله التيمي الكوفي، صدوق رمي بالإرجاء من السادسة. (التقريب ص ١٤٣) .

٣ في الأصل: (الفقراء) ، والمثبت من الهامش.

٤ ابن أبي الدنيا: إصلاح المال ص ٢٤٨، وابن الجوزي: مناقب ص ١٩٣، والمتقي الهندي: كنز العمال ١٥٨/١٦، وهو ضعيف لانقطاعه، جواب التيمي لم يدرك عمر.

٥ البصري.

٦ ابن أبي الدنيا: إصلاح المال ص ٢٥٤، وإسناده حسن إلى الحسن، وابن قتيبة: عيون الأخبار ٢٥٠/١، وإسناده ضعيف، فيه عون بن عمارة ضعيف. (التقريب رقم: ٥٢٢٤) . وأورده ابن الجوزي: مناقب ص ١٩٣.

٧ ابن أبي الدنيا: إصلاح المال ص ٢٦٢، وابن الجوزي: مناقب ص ١٩٣، وهو ضعيف لجهالة الشيخ من قريش.

٨ في إصلاح المال: (بيعة) .

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٣٥٩/١

٩ في الأصل: (وكذا للناس) ، وفي المناقب: (إلا ورد للناس الغلاء) ، ووجد يجد موجدة، أي: غضب. والمعنى: أنه لبخسة أو غشة، يغضب الناس عليه. (النهاية ٥/١٥٥) .
١٠ ابن أبي الدنيا: إصلاح المال ص ٢٦٤، ٢٦٥، وإسناده صحيح إلى سعيد بن المسيب، وابن الجوزي: مناقب ص ١٩٣، ١٩٤.." (١)

"الإمام الثبت ابن الإمام الثبت، حافظ الري وابن حافظها.

سمع من أبيه، وابن وارة، وأبي زرعة، والحسن بن عرفة، وأبي سعيد الأشج، ويونس بن عبد الأعلى، وخلائق بالحجاز، والشام ومصر، والعراق والجبال، والجزيرة.

روى عنه أبو الشيخ بن حيان، ويوسف الميانجي (١) وخلائق.

قال الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال.

صنف في الفقه، واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، وكان عابدا زاهدا يعد من الأبدال.

ومن تصانيفه: «التفسير المسند» اثنا عشر مجلدا، وكتاب «الجرح والتعديل» يدل على سعة حفظه وإمامته، وكتاب «الرد على الجهمية»، وكتاب «الزهد» وكتاب «الكنى» وكتاب «العلل» المبوب على أبواب الفقه، و «مناقب الشافعي» و «مناقب أحمد» وغير ذلك.

وكان من كبار الصالحين لم [يعرف] (٢) له ذنب قط: ولا جهالة طول عمره.

قال يحيى بن منده: صنف «المسند» في ألف جزء.

قال عمر بن إبراهيم الزاهد الهروي: حدثنا الحسين بن أحمد الصفار، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم، يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوبا من أصبهان، فبعته بعشرين ألف درهم، وسألني أن

---

(١) الميانجي: بفتح الميم والياء وسكون الألف وفتح النون وفي آخرها الجيم نسبة الى ميانج، وهو موضع بالشام (اللباب لابن الأثير ٣/ ١٩٧).
(٢) تكملة عن: طبقات المفسرين للسيوطي.." (٢)

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٢/٧٠٥

(٢) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١/٢٨٦

"الباجي، وأبي محمد الأصيلي، وخلق يكثر إيرادهم من أهل المشرق. ومن أهل بغداد، أبو الحسن الدارقطني. وأبو بكر الأبهري، وغيرهما. ومن أهل القيروان أبو محمد بن أبي زيد الفقيه، وأحمد بن نصر الداودي، وغيرهما.

كان رحمه الله من كبار المحدثين، وصدور العلماء المسندين، حافظا للحديث متقنا لعلومه.

وله مشاركة في سائر العلوم، وجمع من الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس. وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما. وكان قد رتب لهم على ذلك راتبا معلوما. وكان لا يسمع بكتاب حسن إلا اشتراه أو استنسخه. ولما توفي اجتمع أهل قرطبة لبيع كتبه، فأقاموا في بيعها مدة عام كامل في المسجد، وكان ذلك في **وقت الغلاء والفتنة**، فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية، يبلغ صرفها نحو ثلاثمائة ألف درهم، وتقلد رحمه الله قضاء قرطبة مقرونا بولاية صلاة الجمعة والخطبة مضافا إلى ذلك خطته العليا من الوزارة، وكان ذا صلابة في الحق ونصرة للمظلوم، ودفع للظالم. حدث عنه من كبار العلماء أبو عمر بن عبد البر، وأبو عبد الله بن عائذ، والصاحبان، وابن أبيض، وسراج القاضي، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو عمر بن الحذاء، وحاتم بن محمد الخولاني، وأبو حفص الزهراوي وغيرهم، وصنفا كتبا حسانا منها كتاب «القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن» في نحو مائة جزء ونيف، وكتاب «المصابيح في فضائل الصحابة» مائة جزء، و «فضائل التابعين لهم بإحسان» مائة وخمسون جزءا، و «الناسخ والمنسوخ» ثلاثون جزءا، و «كتاب الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين» أربعون جزءا، و «أعلام النبوة»، و «دلالات الرسالة» عشرة أسفار، و «كرامات الصالحين ومعجزاتهم» ثلاثون جزءا، و «مسند حديث محمد بن فطيس» خمسون جزءا، و «مسند قاسم بن أصبغ»، و «العوالي» ستون جزءا." (١)

"أول السادس عشر بعد المائة الى آخر السادس عشر بعد الاربعماء، ولكن الثامن بعد الاربعمائة وكذا الثالث عشر بعد الاربعمائة وما بعدها إلى آخر الامالي ليست من التخريج، أما الثامن بعد الاربعمائة فأملاه فيما يتعلق بغلاء السعر وتغيير السكة وغير ذلك مما كان حدث، وذلك في ربيع الآخر سنة خمس وثمانمائة، وأما الثالث عشر فأملاه فيما يتعلق بطول العمر، وأما الرابع عشر والخامس عشر فأملاهما من الاحاديث الستين العشاريات التي خرجها له أبو الفضل بن حجر صلة للاربعين التي خرجها هو لنفسه، وكان السبب في عدوله اليها كبره، وضعف عليه التخريج فاستروح الى املاء شيء قد خرج، ولم يحتج فيه

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١/٢٩٢

الى تعب المراجعة، وكان ذلك لسؤال ابن حجر له في ذلك، واشارة رفيقه نور الدين وولده الحافظ ولي الدين ففعل ذلك بعد قطع الاملاء مدة.

ثم لما كان في صفر سنة ست وثمانمائة وتوقف النيل **ووقع الغلاء المفرط** أملى مجلسا فيما يتعلق بالاستسقاء وهو المجلس الاخير وهو السادس عشر بعد الاربعمائة، وفي أثناء ذلك استسقى به أهل الديار المصرية وتقدم فصلى بهم اماما وخطب خطبة بليغة، فرأى الناس البركة من كثرة الشيء ووجوده مع غلائه، ورحل اليه الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ عنه الحافظ أبو الوفاء الحلبي وانتفع [ص ١٤٢] به خلق.

وكانت وفاته ليلة الاربعاء ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة بالقاهرة، وصلي عليه بجامع الحاكم، وولي الصلاة عليه شهاب الدين احمد الذهبي الدمشقي، ودفن في تربته خارج باب البرقية، رحمه الله فلقد كان للدنيا به بهجة، ولمصر به مفخر، وللناس به انس، ولهم منه فوائد جمة.

* * *

القلائد الجوهرية م ـ ٢٩." (١)

"القضاء المزبور فلما جاء الكتاب اليه قبل وباشر امر القضاء بسيرة حسنة تغمده الله بغفرانه واسكنه بحبوحة جنانه وكان فاضلا في العلوم كلها وقد اعترف علماء عصره بفضله ولكنه لم يشتغل بالتصنيف ورأيت له رسالة في تجويز الفرار **عن الوباء تنبيء** تلك الرسالة عن فضله وكانت سيرته في القضاء محمودة وطريقته فيه مرضية وكانت الظلمة يخافون منه خوفا عظيما جزاه الله تعالى عن الشريعة خير الجزاء توفي رحمة الله تعالى عليه قاضيا بمدينة قسطنطينية سنة احدى عشرة وتسعمائة ودفن عندمسجده بالمدينة المزبورة نور الله تعالى مرقده وفي غرف جنانه ارقده

ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل المولى يوسف بن حسين الكرماسني

قرأ رحمه الله تعالى على علماء عصره منهم المولى الفاضل خوجه زاده وبرع في العلوم العربية والشرعية وصار مدرسا ببعض المدارس ثم انتقل الى احدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمدينة بروسه ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينية وكان في قضائه مرضي السيرة ومحمود الطريقة وكان سيفا من سيوف الحق ولا يخاف في الله تعالى لومة لائم روي انه ذهب يوما الى المسجد بعمامة صغيرة ولما خرج من المسجد طلبه الوزير

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٤٤٩

إبراهيم باشا لمصلحة اقتضت حضوره فلم يبدل عمامته خوفا من ترجيح جانب الوزير على المسجد فلما رآه الوزير علي تلك الهيئة سأله عنها قال في جوابه حضرت خدمة الخالق بهذه الهيئة ولم أجد في نفسي رخصة في تغيير الهيئة لاجل الوزير فوقع هذا الكلام عند الوزير موقع القبول والرضا وحكاه الى السلطان بايزيدخان فارسل السلطان بايزيدخان الى المولى المذكور جوائز سنية لأجل فعله المذكور وله عدة مصنفات منها حاشية شرح المطول للتلخيص وشرح الوقاية في الفقه وله مختصر في علم اصول الفقه سماه الوجيز وكتاب في علم المعاني توفي في حدود التسعمائة ودفن في جنب مكتبه الذي بناه عند جامع السلطان محمد خان بمدينة قسطنطينية روح الله تعالى روحه ونور ضريحه." (١)

"درهما بطريق التقاعد فلازم بيته بقسطنطينية واشتغل بالتصنيف لكن اخترمته المنية فلم يظهر شيء من ذلك مات رحمه الله تعالى في أوائل سلطنة السلطان سليم خان

ومنهم العالم الفاضل الكامل المولى علاء الدين علي الايديني الملقب باليتيم

انما لقب بذلك لانه وقع في زمن سلطنة السلطان مرادخان وباء عظيم ومات في **ذلك الوباء جميع** اقربائه وبقي هو يتيما وما بقي له الا عمه ورباه الى ان بلغ سن البلوغ ثم ارتحل الى بلده تيره وحصل هناك مبادي العلوم وتعلم الكتاب ثم ارتحل الى بلدة بروسه واشتغل هناك بالعلم والقراءة وقرأ على بعض المدرسين ولما بنى السلطان محمد خان المدارس الثمان بقسطنطينية كان مع الطلبة الذين سكنوا بها ابتداء ثم لما صار ضعف الاشتغال بقسطنطينية ارتحل كثير من الطلبة الى الاطراف وارتحل هو الى بلدة تيره وكان المولى قاضي زاده مدرسا بها وقتئذ واشتغلا عنده اشتغلا عظيما ثم ان السلطان محمد خان لما نقل المولى المذكور الى احدى المدارس الثمان جاء معه الى قسطنطينية وما فارقه الى ان صار المولى المذكور قاضيا بمدينة بروسه واراد المولى قاضي زاده ان يرسله الى عتبة السلطان ليحصل له مرتبة فلم يرض بذلك وقال ان لي مع الله تعالى عهدا ان لا اتولى المناصب وسكن بمدينة بروسه في بيت صغير ولم يكن له اهل واولاد اصلا وبذل نفسه لاقراء العلم وكان يدرس لكل احد ولا يمنع الدرس عن احد وربما يدرس في يوم واحد عشرين درسا ما بين صرف ونحو وحديث وكانت له مشاركة في كل العلوم وبذلك نفسه لله تعالى وابتغاء لمرضاته ولا يأخذ اجرة من احد ولا يقبل الا الهدية فلم يقبل وظيفة اصلا ولم يكن له الا العلم والعبادة وكان مشتغلا بنفسه فارغا عن احوال الدنيا راضيا من العيش بالقليل وانا اقرأ عليه الصرف والنحو سمعت

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/١٢٧

منه ما فاته صلاة ابدا منذ بلوغه ولم يتزوج ولم يقارف الحرام اصلا وقد جاوز عمره التسعين وما سقط منه سن اصلا وكان يقرا الخطوط الدقيقة وكان يكتب خطا حسنا جدا وكان يشتري الكتاب ابتر ويكمله ويعمل له جلدا وكان يعرف تلك الصنعة وقداجتمع له بهذا الطريق كتب كثيرة مات في سنة عشرين وتسعماية وسمعت انه قد رأى السلطان مراد خان وهو شاب نور الله تعالى قبره." (١)

"مع عقل وافر وأدب ظاهر وخفة روح ومجد على سمته يلوح وانه شديد الإنقباض عن الناس غير أصحابه

قال السخاوي ودرس وافتى وحدث ونظم ونثر وذكر من تصانيفه حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي وأخرى على تفسير البيضاوي وشرحا على الأرشاد لابن المقري وفصول ابن الهمام ومختصر الشفاء وغير ذلك قال وبالجملة فهو علامة متين التحقيق حسن الفكر والتأمل وكتابه امتن من تقريره ورويته احسن من بديهته مع صيانة وديانة وقلة كلام وعدم ذكره للناس ولكنه ينسب بمزيد باو وامساك مع الثروة وتجدد الربح من التجارة والكمال لله وعاشر صاحب الترجمة بعد السخاوي أربع سنين وذكره مؤرخ دمشق وذكر بعض أوصافه الحسنة باختصار وقال انه خلف دنيا طائلة رحمه الله تعالى

وفيها حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ومات بسببه خلائق لا يحصون **وكثر الوباء واستمر** الدعاء لذلك في الصلاة والخطب ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة واشتد في آخر شعبان ورمضان فبلغ الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفسا وكان غالبه في النساء والأطفال وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها ولا حول ولا قوة إلا بالله

وفيها قدم قاصد صاحب مصر السلطان حنبلاط بهدية عظيمة إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب من جملتها فانوس بلور قدر قامة الإنسان وصندوقان من بلور وسيوف عظيمة وأشياء نفيسة ويقال انه رأى في منامه منامات صالحة للسلطان المذكور فكتب إليه بذلك

وفيها في سحر ليلة الثلاثاء من رمضان توفي الشيخ أبو بكر المزجاجي ودفن ضحى يومها رحمه الله

وفيها في ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر شوال توفي الشيخ الصالح وجيه الدين بن عبد الرحمن بن محيي الدين الجبرتي ودفن بعد عصر ذلك اليوم رحمه الله

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/٢٠٣

وفيها في يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة توفي نجم الصعدي بقية فقراء الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي." (١)

"توفي الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن علي الواحدي المقري بمدينة زبيد ودفن قبل غروب الشمس من اليوم غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد وكان رجلا مباركا له قرب من السلطان بل كان يؤمه غالب الأوقات رحمه الله

وفيها كثر الموت بمدينة زبيد **وعم الوباء وبلغت** الموتى فيها كل يوم إلى قريب مائة نفس ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون

وفيها توفي الشيخ موسى ابن أبي الغيث الخاص صاحب الموثاه بها يوم الاثنين سلخ شهر رجب

وفيها توفي الفقيه الصالح حسين بن محمد بن نور الدين يوم السبت ثاني عشر شعبان

سنة تسع عشر بعد التسعمائة ٩١٩ هـ

وفي المحرم أول سنة تسع عشرة توفي جد والدي الشيخ الإمام والصديق الهمام الشريف شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس وكان من أعيان الصالحين وعباد الله المقربين حسن الأخلاق والشيم جميل الأوصاف معروف بالمعروف والكرم سليم الصدر رفيع القدر صحب غير واحد من الأكابر كأبيه الشيخ عبد الله العيدروس وعمه الشيخ علي وعمه الشيخ أحمد وأخيه الشيخ أبي بكر ومن في طبقتهم وأخذ عنهم وتخرج بهم وتلقى منهم ودخل من بابهم وصار وحيد عصره ومن المشار إليهم في قطره ومحاسنه كثيرة وبحار فضائله غزيرة ولا سبيل إلى حصرها والأولى الآن طيها دون نشرها رحمه الله وفيه يقول حفيده وسميه سيدي الشيخ الوالد قدس الله روحه شعر ... وفي شيخ بن عبد الله جدي ... معاشرة بحسن الخلق تبدي

له قلب منيب ذو صفاء ... سليم الصدر بالانفاق يسدي

له في الأولياء حسن أعتقاد ... كريم الأصل ذو فخر ومجد

ترابا بالولي القطب حقا ... أبوه العيدروس للخير يهدي ...." (٢)

"الإحماض، ولم يعنوا غالبا إلا إظهار البلاغة والاقتدار، كما فعل الحريري وغير واحد، والأعمال بالنيات.

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيدروس ص/٤٢

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العيدروس ص/٩٥

ومن نظم الفقيه عمر المذكور قوله عفا الله عنه:

إلى الله ربي أشتكي حالتي ... عسى فرج يأتي بأفضل حالي

وما أسفي إلا لمالي أبيعه ... وخائن مالي يشتري بمالي

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء، رأيت أن أثبتها لغرابة منزعها، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب العلماء، ونصها:

إلى حمراء الملك وقلعته، ومقر العز ومنعته، ومطلع كل قمر نصري يخجل الأقمار بطلعته، أبقاها الله على تعاقب الزمان، منزل أمان ودار إيمان، وأمتعها بحياة الملك الخزرجي الإيمان، من موجبة إجلالها كما يجب، المعترفة بفضلها وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب، والواقفة عند إشارتها وطاعتها، فإن تأمر أمتثل وإن تدع أستجب، مالقة، المستمسكة بذمتها الوثيقة، المتشوفة إلى أخبارها تشوف المحبة الشفيقة، إلى ريحانة قلبها في الحقيقة، وإلى هذا يا سيدتي ويا عدتي، ويا ذخيرتي ويا عمدتي، أمتعنا الله وإياك بحياة من استنفذها من الورطات، وردنا إلى الصواب مما كان منا من الغلطات، مولانا الغالب بالله وحده، الموعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسر وعده.

سلام عليك يتعطر بذكر مولانا أمير المسلمين فوحه، وينشق." (١)

"٦٧ - محمد الطرابلسي: محمد بن خليل، الشيخ الإمام العالم شمس الدين ابن الشيخ خليل الطرابلسي الشافعي. خليفة بمدينة طرابلس. دخل إلى دمشق في ضرورة له، فتوفي بها غريبا يوم الأربعاء سابع شعبان سنة عشرة وتسعمائة، ودفن بباب الفراديس - رحمه الله -.

٦٨ - محمد قاضي أدنة: محمد بن خليل، العالم الفاضل المولى، محمد الرومي الحنفي قاضي أدنة. توجه إلى الحج الشريف، فتوفي بالمدينة قبل وصوله إلى مكة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة - رحمه الله تعالى -.

٦٩ - محمد المنزلاوي: محمد بن داود النسيدي المنزلاوي، الشيخ الصالح أحد المتمسكين بالسنة المحمدية في أقوالهم وأفعالهم. ألف رسالة سماها " طريقة الفقر المحمدي " ضبط فيها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وأحواله التي ظهرت لأمته، وكان يقول: ليس لنا شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يضرب به المثل بمصر، وبسيدي محمد بن عنان، والشيخ يوسف الحديدي في اتباع السنة، وكان يقري الضيوف، ويخدم الفقراء والمنقطعين عنده، وينظف ما تحتهم من بول أو غائط، وكان لا

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١/١٢٥

يتخصص عنهم بشيء ربما خصصه أهل بيته بشيء بعد أن ينام الفقراء، فكان يخرج به إليهم ويوقظهم ويتساوى فيه هو وإياهم، وكان ربما طرقه الضيف بعد العشاء، ولم يكن عنده ما يقريه، فيرفع القدر على النار، ويضع فيه الماء، ويوقد عليه، فتارة يرونه أرزا أو لبنا وتارة أرزا وحلوا، وتارة لحما ومرقا، وربما وجدوا فيه لحم الدجاج.

وحكي أن سيدي إبراهيم المبتولي بعث إليه **في الغلاء عشرة** أرادب من القمح، ففرقها على باب داره، وفضل له منها نحو خمسة أقداح. ومناقبه كثيرة مشهورة، وكانت وفاته في أوائل القرن العاشر ببلدة النسيدية، ودفن بجوار زاويته وقبره بها ظاهر يزار – رحمه الله تعالى –.

٧٠ – محمد البازلي: محمد بن داود الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين، شمس الدين أبو عبد الله البازلي الكردي، ثم الحموي، الشافعي، ولد في ضحوة يوم الجمعة سنة خمس وأربعين وثمانمائة في جزيرة ابن عمر، ونشأ بها، وانتقل إلى أذربيجان، فحفظ بها." (١)

"الملك لله من يظفر بنيل غنى ... يسلبه قسرا ومن ذا يضمن الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

ولما استقر على سرير السلطنة أخذ في قهر الملوك والسلاطين، فبدأ بمقاتلة شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر الصوفي لما بلغه أشاعته للرفض، وقتله لعلماء أهل السنة وأكابرها، سافر إليه السلطان سليم إلى بلاد العجم، وتلاقيا بالقرب من تبريز، وتصافا فانكسر عسكر الصوفي، وانهزم، ودخلت عساكر السلطان سليم إلى تبريز، ونفذت فيها أوامره ونواهيه، أراد الإقامة بها ليستولي على إقليم العجم وما فيه، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط **واستيلاء الغلاء حتى** بيع الرغيف بمائة عثماني، والعليقة بمائتين، فرجع إلى الروم، وأخذ من أراد من أكابر العجم وفضلائها وأماثلها، وعظمائها، وساقهم سركنا إلى البلاد الرومية، على قوانين سلاطين العثمانية، ثم سافر بعد أن استقر أمره من الرجوع من الأرض العجمية، وقصد بعساكره البلاد الحلبية، ولما سمع سلطان الجراكسة قانصوه الغوري بخروج السلطان سليم من أرض الروم. خرج بعساكره من أرض مصر، وأشاع في عساكره أنه يريد الإصلاح بين السلطان سليم، والسلطان شاه إسماعيل الصوفي، وسافر من بلاد مصر إلى بلاد الشام، ودخل دمشق، ثم حلب، وكاتب السلطان سليم بما جاء إليه من الإصلاح بينه وبين الصوفي، فارتاب منه سلطان سليم، ويعث إليه أني أبدأ بقتالك قبله لأنك مبتدع، وهو مبتدع، فتحرك الشر بينهما، وقامت الحرب على ساق، والتقيا بعساكرهما في مرج دابق، وانكسر عساكر الجراكسة، ومات الغوري، ثم

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٤٦/١

من شدة ما دخل عليه من القهر والغلبة، وتفرقت عنه العساكر، ثم دخل السلطان سليم إلى حلب وملكها، ثم ملك ما بينها وبين دمشق، ثم ملك دمشق ودخلها يوم السبت مستهل رمضان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، وأقام بدمشق مدة حتى دبر أمورها، وأقام قوانينه فيها، ثم سافر منها قاصدا بلاد مصر، فخرج منها يوم الاثنين عشرين ذي القعدة من السنة المذكورة، وكانت أمراء الجراكسة قد سلطنوا بمصر طومان باي، ولقبوه بالأشرف، فلما سمعوا بخروج السلطان سليم من دمشق إليهم تأهبوا لقتاله والخروج إليه، وبرزوا إلى الريدانية خارج مصر، وقاتلوا عساكر الروم، وثبتوا معهم ساعة، وقتل من أعيان عساكر السلطان سليم وزيره سنان باشا، وكان اسمه يوسف، ثم انكسر عسكر الجراكسة، وتفرقوا شذر مذر، وهرب طومان باي، ثم دخل السلطان سليم إلى مصر، وكان دخوله إليها يوم الثلاثاء خامس المحرم." (١)

"الإرادات " لم يكمله وكان رحمه الله تعالى حسن السمت ساكنا ساكتا عما لا يعنيه خاشعا، سريع الدمعة، لطيف الطباع، حسن المعاشرة وله مع ذلك شهامة، وكان طويل القامة، أبيض اللون، عليه عمامة كبيرة على عادة علماء ذلك العصر، ورأيته بعد موت والدي مرة، وأنا ابن ثماني سنوات داخل الجامع الأموي فتواجهت معه بين البئر، والحنفية فقال له بعض من معه: يا سيدي هذا ولد المرحوم شيخ الإسلام الشيخ بدر الدين الغزي فنظر إلي، وسألني عن اسمي فذكرت له، وسألني عما أقرأ فذكرت له فدعا لي، وترحم على والدي، وحدثني ولده الشيخ يحيى خطيب الجامع الأموي الآن نفع الله تعالى به أن والده كان له نخوة، وشهامة في أول أمره فدخل على شيخه الشيخ أبي الفتح السبستري، فقال له يا شيخ: أريد أن تذهب إلى السوق تشتري لي بهذه القطعة الفضية بطيختين، وتحملها بنفسك من السوق إلى خلوتي، وكان الشيخ أبو الفتح ساكنا بالخانقاه السميصاتية فذهب الشيخ محمد البهنسي، واشترى بطيختين كبيرتين، وأنف من حملهما، وأراد أن ينظر من يحملهما عنه فذكر كلام الشيخ، وخشي أن يكاشفه بما يفعله إذا حملهما لأحد، ولا يرضى بفعله فحملهما إلى منزل الشيخ أبي الفتح، وقد تصبب عرقا، وانكد لمحل نظر الناس إليه فلما دخل على الشيخ قال له: عسى أن تصغر نفسك الآن قال: فمن حينئذ ذهبت عني الأنفة، والكبر وكان الشيخ البهنسي يجمع ما يتحصل له من الغلال في كل سنة، ويتربص به حتى يبيعه آخر السنة، ومثل ذلك لا يعد احتكارا إذ الاحتكار شراء الطعام الذي تمس إليه حاجة العامة في **زمن الغلاء ليبيعه** بأغلى، وكان بعض حساد الشيخ ربما طعنوا عليه ذلك حتى وشي به إلى قاضي القضاة ابن المفتي، في بعض السنين فبعث إلى حاصل الشيخ البهنسي من فتحه، وباع ما فيه، ثم ارتفع السعر بعد ذلك وفات

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١/ ٢١٠

الشيخ منه جملة من المال فانكف البهنسي عن التردد إلى القاضي بسبب ذلك، ووقع بينهما فاتفق أن القاضي حصل له حمى شديدة، ومرض أياما حتى أعياه المرض، فالتمس من الشيخ عمر الرائي، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم، في منامه كثيرا أن يسأل من النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه في منامه أن يشفع إلى الله تعالى في شفائه، فرجع إليه الشيخ عمر الرائي وقال له: يا قاضي القضاة سألت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قل له يلتمس الدعاء من الشيخ محمد البهنسي يحصل له الشفاء، ولم يعلم الشيخ عمر ما كان بينهما فبعث القاضي من تلطف بالشيخ البهنسي، وأتى به إليه فلما اجتمعا تعانقا، وتباكيا، ودعا الشيخ البهنسي له بالشفاء فشفاه الله تعالى بعد ذلك قريبا، وبالجملة فقد كان - رحمه الله تعالى - من أفراد الدهر وأعاجيب العصر، توفي - رحمه الله تعالى - بعد الظهر يوم الأربعاء أو خامس جمادى الآخرة سنة ست، وقرأت بخط منلا أسد سنة سبع ثمانين وتسعمائة، ودفن بمقبرة باب الصغير بعد العصر عند قبر معاوية، ونصر المقدسي." (١)

"(برح العجز فيهم فتراهم ... يبتغون الغداء وقت العشاء)

(قد أراقوا ماء الحيا والمحيا ... ثم حدوا في الكذب والافتراء)

(ربما هجنوا لديك ثنائي ... ربما حسنوا لديك ازدرائي)

(ربما حاولوا حكاية صوتي ... فأخلوا بحسن ذاك الأداء)

(ليس عندي وأنت ذخري منهم ... غير ما بالجوزا من العواء)

(أنا يا سيدي سهيل عليهم ... وطلوعي يضر نسل الزناء)

هذا البيت مأخوذ من قول المتنبي

(وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء)

والعرب تزعم أن سهيلا إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت يقول فأنا سهيل على أولاد الزناء خاصة أي أنهم يموتون حدا لي وبعض الناس يقول إن ولد الزنا اسم لدويبة ترصف إذا طارت بالليل وإنها تموت

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١٣/٣

إذا طلع سهيل ولا أدري صحته والله تعالى أعلم ولم يزل المنطقي على حالته المذكورة حتى صار قاضي قضاة حلب ونقل منها إلى قضاء الشام فوردها وكان سيره بها حسنا ومدحه شعراء ذلك العصر بالقصائد الطنانة وأجود ما مدح به قصيدة الأمير المنجكي التي مطلعها قوله

(ورد الربيع فقم لحث الكاس ... ودع المقام بأربع أدراس)

يقول منها في مديحه

(قاض تود لو انها فرشت له ... عند القدوم كواكب الأغلاس)

(بيديه حل المعضلات وكشفها ... وجلاية الجلى ورفع الباس)

(وله سهام عدالة لو فوقت ... تركت متون الجور كالأقواس)

(لما سهرت على مدائحه التي ... جعلت عداي من الردى حراسي)

(ود الهلال لو استقام وأنه ... أمسى لدي مكانة النبراس)

ووجهت حكومة الشام في أيام قضائه إلى مصاحب السلطان مراد الوزير مصطفى باشا السلاحدار فأرسل من قبله لضبطها رجلا يقال له عثمان الجفتلري وهو الذي صار حاكما مستقلا بالشام في سنة ثمان وأربعين وألف ووقف الوقف الذي له على أجزاء تقرأ في الجامع الأموي بعد صلاة الظهر في المعزية الصغيرة الوسطى قبالة محراب الحنابلة فاتفق أنه وقع بينه وبين صاحب الترجمة لمنعه إياه عن بعض المظالم فعرض فيه بما لا يليق عرضه وأسند إليه أمورا منها هدم قبة المزار المنسوب." (١)

"الامير ابن خبير وذلك يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر فلما علم بورودهم التقى بن ابراهيم انحاز بجنوده الى ربوع أذرع شرقى بيت الفقيه الزيدية وكذلك الشريف هاشم انحاز الى جانب اصاب وكذلك الامير سنبل قام من حيس الى شرقية وكان عزم السيد هاشم ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر منه مر يوسف الكتخذا فى مائتى حصان فى المراوعة الى بيت الفقيه ثم الى زبيد وذلك صبح الثلاثا فتوجه الى المخا عصر ذلك اليوم فورد يوم الاربعاء الى المخا ضحوة فقبض على عابدين باشا وحبسه وقتله صبرا بعد ثلاثة أيام وقبض خزائنه وجعل عياله فى مكان عيال الشريف أبى القاسم الشجر

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١/ ٢٠٠

وسمعوا البكاء عليه كما سمع البكاء منهم على المشار اليه وأما قانصوه فورد بيت الفقيه ابن عجيل صبح الجمعة الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر فقبض على الفقيه أحمد بن محمد بن جعفر العجيل وحبسه وأخذ منه مالا جزيلا وصلبه فى صبح الاثنين الثالث والعشرين وعظم المصاب وأهدم بيت الفقيه ونهبت جملة من بيوت وأموال لانه كان عينا في بيت الفقيه رئيسا مقبولا عند السيد هاشم فحسده أعداؤه ونسبوا اليه المكايد وكان هو السبب فى دخول الوهن على قانصوه لانه لما فعل به ما فعل نفرت قلوب الناس منه وخصوصا حيث انه كره شفاعة السيد الطاهر بن بحر ولم يقبل مشورته فى العفو عن اساءة الناس ووعظه بوصول الوزير سنان وعفوه فأبى واستكبر لامر يريده الله تعالى ثم توجه من بيت الفقيه الى زبيد صبح الثلاثا خامس عشرى الشهر بالجند الموفور فواجهه بها الامراء والكبراء والمشايخ والسادات وورد اليه يوسف الكتخدا فى جملة من عسكر المخا فدخل المحطة دخلة عظيمة ولما استقر بها أمر بتجهيز الوزير حيدر وفكه من الحبس الشديد فجهزوه الى سواكن هو وبعض مماليكه ثم دخل الى مصر فالى الروم وحصل له مقام كامل عند السلطان وأمر الامير موسى بن الخبير بالمسير الى حيس فدخلها بجيش كبير **فشرع الوباء فى** الجنود ومات ابن الخبير المذكور وابن أخيه وأكثر جماعتهم ولم يبق منهم الا اليسير ومات بزبيد الامير أحمد وعالم كثير حتى كل الحفارون عن الحفر والغالون عن التغسيل فأقام نحو أربعين يوما ثم توجه الى حيس وأقام بها **فعظم الوباء ومات** من جماعته عالم كثير وهلكت الجمال التى وصلت من الشام وكانت نحو عشرة آلاف أو أزيد وكان من أراد جملا أخذه لموت الجمالين ومعظم الخيل ثم توجه الى المخا فحط." (١)

"إلى نحوها حملته نسمة الصبا ... لتكسب وصفا من شذا ذلك الوصف

جال الدين محمد بن عبد الله الطبري أحد أولئك الجله. وواحد تلك البدور والأهلة. الضارب في كل فن بسهم. والقارع صفاة كل قريحة وفهم. ضاع نشر ادبه وما ضاع.. ورضع ثدي الفضل فشب على حب ذلك الرضاع. وله قريض يزرى بقراضة الذهب. ثبت في صفحات الصحايف حسنه وما ذهب. وقفت له على كافية هي في الشهادة بفضله كافيه وقافيه. راحت الباب أولى الآداب لاثرها قافيه. وهي

أسير العيون الدعج ليس له فك ... لان سيوف اللحظ من شأنها الفتك

حذار خلي القلب من علق الهوى ... فأولها سقم وآخرها سفك

ورح سالما قبل الغرام ولا تقس ... على فاني هالك فيه لا شك

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣/٢٩٨

ألم ترني ودعت يوم فراقهم ... حشاي لعلمي إن ما دونه الهلك
وكيف خلاصي من يدي شادن إذا ... بدا أبيض في الديجور من نوره الحلك
وهيهات أن ترجي لمثلي سلامة ... وقد سل بيض الهند ألحاظه الترك
يقولون ترك الحب أسلم للفتى ... نعم صدقوا لو كان يمكنه الترك
دعوني وذكرى بين بانات لعلع ... غريبا هواهم في المواقف لي نسك
وإن رمتمو ارشاد قلبي فكرروا ... أحاديث عشق طاب في نظمها السبك
أما والخدود العندميات لم أحل ... وكل الذي عنى روى عاذلي أفك
وما بمصون الثغر من ماء كوثر ... وكأس عقيق ختمه حاله المسك
لقد لذلي خلع العذار وطاب في ... هوي الخرد الغيد الدمي عندي الهتك
تنبيه قد يتوهم إن قوله في البيت الثالث فإني هالك فيه لا شك لحن بناء على أن لا نافية للجنس واسمها في مثل ذلك مبني على الفتح ولا لحن بل فيه وجهان أحدهما منع كونها نافية للجنس بل عاملة عمل ليس والخبر محذوف جوازا كقول الحماسي
والحرب لا يبقى لجا ... حمها التحيل والمراح
إلا الفتى الصبار في النج ... دات والفرس الوقاح
من صد عن نيرانها ... فأنا ابن قيس لا براح
والثاني أن تكون نافية للجنس إلا أنها ملغاة والرفع بالابتداء ولم يجب تكرارها لجواز تركه في الشعر فاعلم

الفضل بن عبد الله الطبري
خلف ذلك السف. والمعيد من عهد مجدهم ما سلف. الفضل اسمه وسمته. النافحة بارجه نسمته. رفع عماد ذلك البيت. فأقر عين الحي منهم والميت. وهو الآن مفتي الشافعية بالبلد الحرام. والمحفوظ بعين الاجلال والاحترام. يشنف السطور بفرائده. ويفوق الطروس بفوائده. مع إنافته في الأدب بمكانه. شيد من ربعها المشيد أركانه. فاجتلى بها نجوم لياليه. واقتنى منها منظوم لآليه. ولا يحضرني الآن من شعره غير قوله في التفضيل بين مسمعين يعرف أحدهما بركن والآخر بالقصبى
تخالف الناس في ركن فقدمه ... قوم وقوم عليه قدموا القصبى
وقائل الحق والانصاف قال متى ... أسمعهما ألق استاذا وألق صبي
وقال مؤرخا السيل الوارد مكة سنة ألف وتسع وثلاثين

سئلت عن سيل أتي ... والبيت منه قد سقط

متى أتي قلت لهم ... مجيئه كان غلط

ولغيره

لله سيل قد أتى ... لطهر بيت مرتضى

من دنس عنه نأي ... تاريخه حل رضا

وكان من خبر هذا السيل إنه لما كان فجر الأربعاء التاسع عشر من شعبان سنة تسع وثلاثين وألف نشأت على مكة وأقطارها شرفها الله تعالى سحابة غربية مدلهمة فلم تزل كذلك إلى وقت الزوال فأرعدت وأبرقت وأتت بمطر كأفواه القرب واستمرت ساعتين ودرجتين ثم أمسكت فأقبل السيل ودخل المسجد الحرام وأعتلي على باب الكعبة ذراعين عمليين وربع فأهلك الأطفال. والنساء والرجال ثم باتت تمطر إلى نصف الليل فلما كان قبل الغروب يوم الخميس العشرين من شعبان سقط من البيت الشريف جانباه الشرقي والشامي فكان الساقط منها قدر نصفها ثم أعقب هذا السيل في أهل مكة من الفناء ما **أشبه الوباء المصري** والله أعلم." (١)

"رأيه من الأمراء فبرأهم فأمر بضربه فضرب هو وأصحابه وحبسوا في الخزانة حبس أهل الجرائم وذلك في ذي الحجة سنة ٧٨٨ ثم أفرج عنهم في ربيع الأول سنة ٧٩١ فاستمر ابن البرهان مقيما بالقاهرة على صورة إملاق إلى أن مات لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وحيدا فريدا بحيث لم يحضر فى جنازته إلا سبعة أنفس لا غير وكان ذا مروءة علية ونفس أبيه حسن المذاكرة والمحاضرة عارفا بأكثر المسائل التى يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور يكثر الانتصار لها ويستحضر أدلتها وأملى وهو في الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة ورسالة في الإمامة وذلك يدل على وفور اطلاعه قال ابن حجر وقد جالسته كثيرا وسمعت من فوائده كثيرا وكان كثير الإنذار بما حدث بعده من الفتن والشرور لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس ولا سيما ما حدث **من الغلاء والفساد** بسبب رخص الفلوس بالقاهرة بحيث أنه رأى عندي قديما مرة منها جانبا كثيرا فقال لي أحذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال فكان كذلك لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالا فأكثر وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل ثم صار تساوى ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شئ منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كل

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٥

رطل إلى اثني عشر ثم إلى أربعة وعشرين ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالا يقتنى لوجود الخلل في قيمتها وعدم ثباتها على قيمة واحدة انتهى." (١)

"مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار وبالغ السلطان في إكرامه حتى أخرج له نساءه فقبلن يده وله محاسن منها أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يصرف لاحد جامكية حتى يلم شعثها فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة وأمر بكسح الأوساخ التى في مقاسم المياه التى تتخلل الدور وفتح منافذها وكانت انسدت **فكان الوباء يحصل** بدمشق كثيرا بسبب العفونات فلما صلح ذلك زال ما كان يعتادهم كل سنة من كثرة الأمراض فكثر الدعاء له وأجرى العين إلى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلا وأقاموا في عملها سنة وأكثر من فكاك الأسرى وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم وجمع الكلاب فألقاها في الخندق واستراح الناس من أذاها ولما انتهى حظه وبلغ الغاية في هذه الدنيا أشهر في الناس أنه عزم على التوجه إلى بلاد التتار حتى بلغ ذلك السلطان وتغير عليه وتنكر لتنكر وجهز العساكر لإمساكه مع جماعة من الأمراء وليس عنده خبر فلما بلغه الخبر بوصول الجند والأمراء لإمساكه بهت لذلك وقال ما العمل قالوا تستسلم فاستسلم وجهز سيفه إلى السلطان وذلك في ذي الحجة سنة ٧٤٠ وتأسف أهل دمشق عليه ثم بعد القبض عليه أحيط بموجوده ووجد له ما يجاوز الوصف فمن الذهب العين ثلاث مائة وثلاثون ألف دينار ومن الدراهم ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم وأما الجواهر والحوايص والأقمشة والخيول ونحو ذلك فشئ كثير جدا ثم لما دخل القاهرة أمر السلطان جميع المماليك والأمراء أن يقعدوا له بالطرقات من حد باب القلعة وأن لا يقوم له أحد وفي بعض الأوقات." (٢)

"(رحمه الله للعراقي تترى ... حافظ الأرض حبرها باتفاق)

(إنني مقسم أليه صدق ... لم يكن في البلاد مثل العراقي)

مات عقيب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء ثامن شعبان سنة ٨٠٦ ست وثمان مائة بالقاهرة ودفن بها وله شعر فمنه

(إذاقرأ الحديث علي شخص ... وأمل ميتتي ليروح بعدي)

(فماذا منه إنصاف لأني ... أريد بقاءه ويريد بعدي)

وأملى في صفر سنة موته مجلسا لما توقف النيل **ووقع الغلاء المفرط** وختمه بقصيدة أولها

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ١٠١/١

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ١٧٢/١

أقول لمن يشكو توقف نيلنا ... سل الله يمدده بفضل وتأييد)
وختمها بقوله
(وأنت فغفار الذنوب وساتر ال ... عيوب وكشاف الكروب إذا نودي)
وصلى بالناس صلاة الاستسقاء وخطب خطبة بليغة فرأ والبركة بعد ذلك وجاء النيل عاليا
٢٣٧ - عبد الرازق بن احمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى المعالي محمد بن محمود بن أحمد بن محمد

ابن أبى المعالى المفضل بن عباس بن عبد الله بن معن بن زايدة الشيباني المعروف بابن القرطي المروزي الأصل البغدادي ولد في المحرم سنة ٦٤٢ اثنتين وأربعين وستمائة وأسر في كائنة بغداد فاتصل بالنصير الطوسي فخدمه واشتغل عليه وسمع من محيي الدين بن الجزري وباشر كتب خزانة مراغة وهو على مانقل أربعمائة ألف مصنف واطلع على نفايس الكتب فعمل تاريخا حافلا جدا ثم اختصره فى آخر سماه مجمع الآداب ومعجم." (١)

"بلاده فقال كان قاضي القضاة عضد السلاطين مشهورا في الآفاق مشارا إليه في جميع الفنون ملاذا للضعفاء كثير التواضع والإنصاف ومال فى آخر عمره إلى الاشتغال بالعلوم الدينية وله من المصنفات عدة منها شروح مصنفات القاضي البيضاوي المنهاج والمطالع والغاية والمصباح وشرح المصابيح وسكن سلطانية ثم تبريز وولى قضاءها وعبارته فصيحة قريبة من الأفهام وكانت وفاته بتبريز في شهر رجب سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة في العام الذي حصل **فيه الغلاء المفرط** بخراسان والعراق وفارس وأذربيجان ودياربكر حتى جاوز الوصف وأكل الأب ابنه والابن أباه وبيعت لحوم الآدميين في الأسواق جهرا ودام ذلك ستة أشهر كذا في الدرر لابن حجر حاكياعن بعض فضلاء العجم
١٩٨ - عثمان بن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن عبد الله الطائي الحلبى

فخر الدين ابن خطيب حبرين الشافعي ولد في ربيع الأول سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة ومهر في الفنون حتى كان يدرس كل من قصده في أي كتاب أراد من أي علم أحضره ولم ير الناس له فى ذلك نظيرا إلا ما حكى عن ابن يونس فكان يقرئ في الحاوي وغيره من الفروع وفي المحصول وغيره من أصول الفقه وفي الشاطبية وغيرها من القراءات وفى الفرايض وأنواع الحساب وفي العربية والتصريف والحكمة والطب وغير

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٣٥٦/١

ذلك وناب الحكم وكان في خلال الدرس وخلال الحكم يلازم السبحة ومن تصانيفه شرح التفجير وشرح الشامل الصغير وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح الحاوي وشرح مختصر مسلم للمنذري ثم طلب إلى القاهرة." (١)

"وجاوز ما قد حل في كل غاية ... وعند التناهي يقصر المتطاول

ودعني أدعو والأنام تجيبني ... بآمين إذ تصغى لما أنا قائل

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

اللهم يا مفرج الكروب، وكاشف الخطوب، ومقلب القلوب، قلب لنا قلب مولانا لإجابة هذا المطلوب، وإنالة هذا المحبوب المرغوب، إنك أكرم من أجاب الدعا، وحقق ظن من توجه إليه وسعى، وأفضل الصلاة والتسليم (وأكمل التبجيل المحفوف بالعظيم) على سيدنا المخصوص بعموم الشفاعة، تلك الساعة، وعلى آله وصحبه الغيوث النافعة، أن تيسر لنا ما نرومه ونرجوه، فأنت أكرم من توجهت إليه الوجوه. أهـ.

وعند ذلك أقاله الأمير من خطة القضاء يوم الأحد الرابع من رجب الأصب عام ٩٣ ثلاثة وتسعين ولازم بث العلوم في صدور الرجال، غير أنه لم تمض عليه العشرة الأشهر حتى استعاده لخطة القضاء فعاد إليها يوم الإثنين السادس والعشرين من ثاني ربيعي سنة 49 أربع وتسعين واستمر على كرهه للخطة قائما بأعبائها، وفي شهر ربيع الأول سنة ٩٧ سبع وتسعين أعاد الكرة إلى طلب الإقامة وكتب في ذلك مكتوبا بديعا أجابه عنه الأمير بما اقتضى إبقاءه بعد المراجعة واستمر على خطته حتى كانت مدة مباشرته نحوا من الاثنين والعشرين سنة.

وقد امتحن في الطاعون الجارف سنة تسع وتسعين ومائة وألف بفقد خمسة أولاده وزوجته وأخته وقد قال في ذلك: [الوافر]

إذا فكرت ما **فعل الوباء** ... بأولادي وضاق بي الفضاء

أقول لئن غدوت الآن فردا ... ففي الله الكفاية والرجاء

وبعد ذلك كاتبه والده في التزوج فأعلمه أنه ترك التزوج حيث أيس من الولد. فكتب إليه والده "لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" (٨٧ يوسف) وزوجه بابنة الفلايح فرزق منها بولده العالم وقد عاش حتى رآه في خطة الفتيا ورأى ولده عالما.

ولما توفي نقيب الأشراف الشيخ عبد الكبير الشريف قدمه الأمير حمودة باشا لنقابة الأشراف سنة ست

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٤١٢/١

ومائتين وألف، وقد علمت مما سبق أن له نسبة في الشرف النسبي زيادة على الشرف العلمي.

ولما توفي شيخ الإسلام والده قدمه الأمير حمودة باشا (لنقابة الأشراف سنة ست ومائتين وألف وقدمه) لخطة الفتيا يوم السبت سابع المحرم من سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف فأولاه مفتيا ثانيا وأقام في الفتيا إلى أن توفي شيخ الإسلام البارودي فقدمه الأمير لخطة مشيخة الإسلام ثاني ربيعي سنة عشر ومائتين وألف، فنهض لها نهوض زعيم، وبذل في خدمة العلم الجهد العظيم، ونظم من مسائل الفتاوي كثيرا وحرر كثيرا من الرسائل، في مهمات المسائل، وله رسالة جليلة في صحة الرجوع عن الوصية الملتزم عدم الرجوع عنها نحا فيها منحى الاجتهاد وجمع بين مذهبه ومذهب المالكية ثم عرضها على علماء عصره المالكية فكتب عليها العالم الشريف الشيخ محمد المحجوب مقرظا بقوله: [الطويل]

إليك فخذها درة في نظامها ... فريدة فذ العصر بل وأفخم

حباك بها فرع العلوم محمد ... كما أصله فرد الكمالات (بيرم)

هما فاضلا عصريهما وكلاهما ... به مذهب النعمان جذلان يبسم

ولما تبدت بان للحق وجهه ... فأصبح منثورا وقد كاد يهدم

ولم لا وقد وافت بجند دلائل ... تلاه من التحقيق جيش عرمرم

تعاضد فيها المذهبان وحبذا ... وفاق بلا خلف بدا فهو أسلم

فجوزي بالحسنى وقوبل بالرضا ... من الله في يوم رضا الله أعظم

وقرظها الشيخ أبو محمد حسن الشريف بتقريظ بديع وهذا نصه: حمدا لمن أقام لتبيان أدلة الشريعة أقواما، ونصب لتوضيح مشكلها أعلاما، وصلاة وسلاما على من قررها أكمل تقرير، ثم على من بلغها لمن جاء في الزمن الأخير.." (١)

"هو الشيخ أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني ولي خطة القضاء بحاضرة تونس بعد وفاة ابن حيدرة واستمر نحو الثلاث سنين ثم استعفى في صفر سنة ٧٨١ إحدى وثمانين وسبعمائة وتنقل إلى بلده قسنطينة قاضيا إلى أن توفي هنالك عليه رحمة الله.

١٨ الشيخ محمد القطان

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن بن القطان البلوي السوسي. ولي قضاء الخاضرة عند

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/١٦٩

استعفاء من قبله أواخر صفر سنة ٧٨١ إحدى وثمانين وسبعمائة ولازمها إلى أن توفي سنة ٧٨٥ خمس وثمانين وسبعمائة عليه رحمة الله آمين.

١٩ الشيخ عبد الرحمن البرشكي العدناني

هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكي التلمساني، كان أبوه إماما بأحد مساجد برشك ومات قتيلا فارتحل عنها ولداه عبد الرحمن وعيسى إلى تونس وكانت وفاة عيسى ٧٥٠ خمسين وسبعمائة وأما عبد الرحمن فقد ولي القضاء بالحاضرة بعد وفاة القطان وأتى عليه مرض منعه من مباشرة الخطة وباشرها من ناب عنه إلى أن توفي سنة ٧٨٧ سبع وثمانين وسبعمائة عليه رحمة الله.

٢٠-الشيخ عيسى الغبريني

هو الشيخ أبو مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغبريني، كان جده أبو العباس ولي خطة القضاء في بجاية وهو مؤلف عنوان الدراية وتوفي سنة أربع وسبعمائة ونشأ أبو مهدي في خدمة العلم. وباشر خطة القضاء بالنيابة عن البرشكي مدة مرضه ولما توفي البرشكي استقل هو بالخطة وكان قاضي الأنكحة على عهد عمر بن البراء ثم لما توفي عام ٩٧ سبعة وتسعين ولي قضاء الأنكحة محمد بن قليل الهم. واجتمع لأبي مهدي الغبريني خطة القضاء وخطبة جامع الزيتونة والإفتاء به بعد صلاة الجمعة وقد لام على الزغبي في تطويل الخصومة على الغرماء وقال له: إن تونس وجهاءها كثيرون فلا تحسن الإطالة فاعتذر إليه بأنه يرد الحكم بين الخصمين ينتظر من ذلك المحق من المبطل فقال له إني نعرف المحق من المبطل بمجرد نظري للخصمين بين يدي قبل أن يتكلما فما اعتذرت به لا يقبل. ولم يزل على خططه إلى أن توفي في يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة٨١٣ ثلاث عشرة وثمانمائة ودفن بالزلاج عليه رحمة الله.

٢١- الشيخ يعقوب بن يوسف الزغبي

ولي قضاء الأنكحة والتدريس بمدرسة عنق الجمل، بعد وفاة القاضي الغبريني تقدم لخطة القضاء بحاضرة تونس وعلى عهده توفي قاضي المحلة وخطيب جامع القصبة الشيخ أحمد الشماع في شوال سنة٨٣٣ ثلاث وثمانين وثمانمائة وتقدم عوضه في الخطتين الشيخ محمد المسراتي وكانت وفاة القاضي الزغبي سادس ذي الحجة الحرام من السنة ٨٣٣ المذكورة عليه رحمة الله آمين.

٢٢- الشيخ محمد الشريف

هو الشيخ محمد بن أحمد الشريف ولي خطة القضاء بتونس وباشر الخطة بعد الزغبي.

٢٣-الشيخ أبو القاسم القسنطيني

هو الشيخ أبو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني، تقدم لخطة قضاء الحاضرة في شهر رمضان سنة ٨٣٤ أربع وثلاثين وثمانمائة فتأخرت ولايته عمن قبله مدة ثلاثة أشهر، ثم ولي خطبة جامع التوفيق والفتيا به بعد صلاة العصر، واجتمع له بعد ذلك خطة القضاء وإمامة جامع الزيتونة والإفتاء به بعد صلاة الجمعة، وتولى بعد ذلك التدريس بمدرسة ابن تافرجين. واستمر على ذلك إلى أن ضربه أحد الأشقياء بمغروس عند سلامه من صلاة الصبح بجامع الزيتونة على سجادته عند باب البهور، وقتل ضاربه تحت الصومعة، ورفع الشيخ إلى داره، فكتب وصيته. وتوفي ليلة الخميس الثامن عشر من صفر الخير سنة٨٤٦ ست وأربعين وثمانمائة ودفن بالزلاج عليه رحمة الله آمين.

٢٤- الشيخ عمر القلشاني

هو الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد اللع القلشاني الباجي كان والده ولي قضاء الأنكحة ومشيخة المدرسة العنقية ولما توفي تقدم ولده عوضه ثم تقدم لوظائف القاضي الوشتاتي بعد وفاته وهي قضاء الحاضرة وخطبة جامع الزيتونة والفتوى به بعد صلاة الجمعة وقضى مدة ثم **أصابه الوباء العام** فطال مرضه إلى أن توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان عام ٨٤٧ سبعة وأربعين وثمانمائة بعد أن بلغ من العمر أربعة وسبعين عاما ودفن قرب والده بالزلاج عليه رحمة الله آمين.

٢٥- الشيخ محمد بن عقاب." (١)

"لما حووا إحراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا

ومن شعره في الهجاء:

إن المرابط باخل بنواله ... لكنه بعياله يتكرم

الوجه منه مخلق بقبيح ما ... يأتيه فهو من أجله يتلثم

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٢٨٧

وقد أتى على البلاد الوباء الذي كان ابتداؤه في القعدة الحرام عام ٨٧٢ اثنين وسبعين وثمانمائة وتزايد إلى أن بلغ الخارج من البلاد ألفا في اليوم الواحد ثم ارتفع في ذي الحجة مكمل العام المذكور، ثم أتبعه الطاعون الجارف أيضا سنة ٨٩٩ تسع وتسعين وثمانمائة، وتتابع بعد ذلك الطاعون الذي جرف علماء البلاد وفضلاءها من الكتاب والمؤرخين، وبقيت بها بقية كان من آخرهم الشيخ محمد الوشتاتي الذي تقلد خطة القضاء سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة فكملت به المائة التاسعة وأتت المائة العاشرة على القاضي البكي وقد أقفرت البلاد من العلماء ثم توالت فيها الحروب بسبب التهيات أمد سلطنة بني أبي حفص واختلافهم عليها حتى أدخلوا لها الإسبانيول.

ثم تلقفتها الدولة العثمانية خلد الله عزها فتم لها افتكاكها سادس جمادى الأولى سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة واستقر بها عمال الترك على حين لم يكن بالبلد من يعد في أفراد العلماء المعدودين وغاية من هم بها أهل الدين عدول ينتصبون للإشهاد في المعاملات بين الناس يفتون على حسب ما عندهم من العلم لكن على كل حال هم من أهل الفضل والدين ذلك من أعظم شروط العدالة المحققة فيهم رحمهم الله ورضي عنهم.

الروضة المرضية، فيمن ولي نيابة القاضوية

قد سبق أن الدولة العثمانية خلد الله عزها فتحت البلاد التونسية وأقامت بها عمالا وقد صار القضاة عند ذلك يأتون من بلاد الترك فيقضي القاضي بتونس ثلاث سنين ويستبدل بغيره بحيث إنه بعد كل ثلاث سنين يقدم قاض من قضاة الترك، غير أنه لما كان على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأهل المملكة التونسية كلهم على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه احتاج القاضي الحنفي الوافد من بلاد الترك إلى إقامة نائب من المالكية يقضي بمحضره، فيكون ذلك النائب من أمثل العدول الموجودين.

ثم لما انتظم أمر الدولة وتراجعت المملكة بتراجع العلم في أهلها في دولة بني مراد أقاموا أربعة من العلماء المالكية للإفتاء بين الناس ومشورة نائب القاضوية مع كون نائب القاضي من أخيار أهل عصره في العلم، وأعادوا اجتماع الفقهاء يوم الخميس فجتمع في يوم الخميس كل من القاضي الحنفي ونائب القاضوية المالكي والأربعة المفتين من المالكية ونقيب الأشراف بدار الخلافة المسماة دار الباشا بمحضر خليفة الباي عامل البلد المسمى الباشا أو نائبه وهنالك يقع فصل النوازل الخلافية التي لم يرتض الحكم فيها أحد الخصمين وطلب تأخيرها إلى المجلس. إلا أنه لما صار الحاكم المعبر عنه بالباشا كبيرا على العساكر وأقيم للحكم عوضه الدولاتي صارت الأحكام تتصرف في المجلس بمحضر الدولاتي في المجلس وبعد نهاية

وقت اجتماع المجلس يخرج القاضي ونائب القاضوية والمفتون ونقيب الأشراف ويحضرون بدار الحاكم نفسه ويعلمونه ما وقع وربما عرض لهم ما يمنعهم من فصل النازلة فيفصلونها بين يديه في داره ولا يمكن لمحكوم عليه بعد ذلك التخلص من الحكم الذي صدر بمحضر الحاكم ولا يقدر أن يحميه أحد في البلاد.

١ – ٢ – ٣ وستمر العمل على ذلك إلى أوائل الدولة الحسينية خلد الله أمرها فكان أول من ولي القاضوية من علماء البلاد الشيخ ساسي نوينة الأنصاري الأندلسي أكرهه علي أفندي لما وفد من دار الخلافة العثمانية إلى الحاضرة التونسية بخطة القضاء، وكان عالما، فطلب نائبا عالما فلم يجد أعلم من الشيخ ساسي المذكور فطلبه للنيابة عنه فامتنع ولما رآه متشددا قال له إنك عن لم تتول النيابة لافتين بقتلك على مذهبك وعند ذلك وليها ولازمها إلى أن توفي.

ووليها من المالكية أيضا الشيخ محمد النفاتي وي أتي ذكره.

ولما عزله أسطى مراد ولي عوضه النيابة الشيخ أحمد الرصاع. ثم عزل ووليها محمد بن موسى وقد سبق ذكره في المفتين ولما ولي هو الفتيا أعيد إلى نيابة القاضوية الشيخ أحمد الرصاع وهو الذي أدرك الدولة الحسينية وها أنا نذكر ترجمته وترجمة من وليها من بعد على مقتضى شرطنا السابق فنقول وبالله نستعين:

٤–الشيخ أحمد الرصاع." (١)

"وقد أدركته بتونس يلبس الصوف وجميع الناس يجله ويعظمه. وقد وقفت على تقييد بخطه على ظهر كتاب عدد فيه بعض آبائه وذلك أنه عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الهذلي بن سليمان بن خليفة بن عمر بن محمد بن خليفة بن أحمد بن محمد ساسي، وبيتهم مشهور بالشرف والعلم وأفراد العلماء منهم كثيرون رضي الله عنهم.

ولما هاجر هذا الشيخ للمدينة المنورة ولي عوضه مدرسا وخطيبا بجامع سبحان الله الشيخ الطيب السبعي.

ولما توفي الشيخ محمد بن مصطفى البارودي ولي عوضه مدرسا الشيخ محمد الأمين بن الخوجة في ذي القعدة الحرام سنة ١٢٦٥ خمس وستين ومائتين وألف، ولما توفي الشيخ محمد بيرم الثالث وتقدم الشيخ محمد بن باكير قاضيا حنفيا ولي عوضه مدرسا العالم المنجم الشيخ محمد بن محمود وحيث انتهى بنا العد إلى ذكر هذا الأستاذ نذكر ترجمته إذ هي ليست أجنبية من غرض هذا الكتاب فنقول:

الشيخ محمد بن محمود

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٢٨٩

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن حمودة بن محمد بن حمودة بن محمد بن محمود الترجمان كان محمود الترجمان على عهد استقلال الدولاتية بتونس مترجم اللغة التركية إلى العرب بين يدي الدولاتي مثل والده، وكان قدومهم من الشام وهو من بني محمود الأعوج أحد ملوك الشام، وقد قتل محمود الترجمان المذكور على عهد مراد باي بوباله قتله هو والدولاتي وباش حانبة في يوم واحد، وفر ولده محمد بفتح أوله إلى الشيخ سيدي علي عزوز بزغوان وأخذ منه مكتوبا وحين وصل به إلى الحاضرة صادف ولاية ابارهيم الشريف باي داي فأحسن قبوله وأذن له بإرجاع جميع أملاك والده من الذين اشتروها بعد بيعها فصالح جميعهم فأخذ بقية قيمة الملك حيث إنهم أخذوه بثمن بخس وتمم بيعه لهم. وسافر إلى مصر وأقام على خدمة العلم الشريف إلى أن خرج الشيخ علي عزوز وعند عوده رجع به إلى الحاضرة ونشأ بعده ولده حمودة في خدمة العلم وأخذ عن شيخ الإسلام محمد بيرم الأول ومن عاصره، وتفقه وطالت يده في الفرائض حتى كان عمدة الفرضيين، وجلس للإشهاد مع إمام المالكية الشيخ محمد المحجوب، وكانت ترد إليه الفتاوي من كل جهة، وربما رجع إليه الخصوم في نوازلهم حتى تشكى منه الشيخ محمد البارودي للأمير وأرسل له في ذلك فأجاب الرسول بقوله أو أن الناس إذا قدموا غلي يسألوني عن أمور دينهم نقول لهم منعني الأمير ولم يمتثل ذلك النهي وتوفي بعد الثمانين والمائة والألف.

وأما ولده محمد سمي جده فكان عدلا فرضياوأقام على الإشهاد هو وأخوه الشيخ محمود وحج بأهله ولما رجع صادف انتشار الوباء فأقام بالكرنتينة بحلق الوادي مع أهله وتوفي هنالك بالوباء منتصف شعبان الأكرم سنة ١٢٣٣ ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بتربة آبائه بالزلاج.

وكان ولده حمودة عدلا وباش خوجة بجامع حمودة باشا كسائر آبائه وتوفي في صفر سنة ١٢٨٩ تسع وثمانين ومائتين وألف.

وولد صاحب الترجمة في المحرم عام ١٢٢٢ اثنين وعشرين ومائتين وألف وبشر به والده وهو يقرأ على الشيخ أحمد بن الخوجة فقال له الشيخ إن ولدك هذا تاريخه "بشرك" فنشأ بين يدي والده وجمع القرآن العظيم وقرأ على الشيخ مجمجد بن ملوكة الأجرومية والأزهرية والدرة وشرحها بطلبه وقرأ عليه رسالته المنطقية، وقرأ على لاشيخ مصطفى بو غازلي مراقي الفلاح في الفقه، وقرأ على لاشيخ محمد بن اسماعيل المكودي، وقرأ على لاشيخ أحمد بن حسين الشذور، وقرأ على لاشيخ عثمان النجار الفلك، وقرأ على لاشيخ محمود بن باكير العيني والواقعات، وجود القرآن على لاشيخ حسين البارودي، وطلب قراءة الخزرجية على لاشيخ محمد الخضار فأجابه لذلك بزاوية سيدي ابن عروس غير أنه اتفق في يوم البداية أن الشيخ عرض له شغل

منعه من الحضور فكتب إلى تلميذه بقوله: [الطويل]

أيا نجل محمود ومن مثل محمود ... إليك اعتذاري أن أخالف موعودي

سأطلب من جدواك تأخير درسنا ... لحين وإني باذل لجهودي

فكتب إليه صاحب الترجمة بقوله: [الطويل]

أيا سيدا بالفضل والرأي يحمد ... لك الهمة العليا ومجد وسؤود

سأصبر للتأخير حينا لدرسنا ... ولكن إلى لقياك شوقي مجدد." (١)

"شجاعة وشهرة لم يسبقها عليها أحد من نساء اليونان، وتقاطرت على بابها العلماء والشعراء والفلاسفة والرياضيون والبلغاء، وكان ناديها أحسن ناد جمع فيه العلم والأدب، ولذلك وصفتها المؤلفة الشهيرة مدام (أون) في كتابها المشتمل على سير أبطال النساء عند ترجمتها إذ قالت: إن بيتها أعظم بيت من بيوت عظماء اللاتينيين فلذلك لو نظرت إلى جدرانه تجدها مرصعة بتماثيل الرجال العظام، وأمام بابه رواق رفيع العماد وعلى الباب أسجاف الأرجوان، وبجانبه أفاريز من المرمر الأصفر وكوى البيت مشكبة كلها بقضبان النحاس على أشكال وضروب شتى، وأرضه مغطاة بالفسيفساء البديعة الأشكال، وعليها أرائك من القرمز والأرجوان، أهدابها مطرزة بالذهب، وفي البيت مكتبة من الخشب الثمين مملوءة بالدروج من الرق والحلفاء فلو نظر القارئ في الصباح إلى هذا البيت يرى (أسباسيا) قد نزلت من غرفتها على درج من المرمر الأبيض ومشت فيا لصحن، وخرجت إلى الرواق الجنوبي الذي يطل على بستان البيت لتستنشق نسيم الصباح مضمخا بأريج الأزهار والرياحين، وخرج (بركليس) وهو ماش بجانبها وتجاذبا أطراف الحديث في السياسة والفلسفة وهي طويلة القامة ممشوقة القد جعدة الشعر شقراؤه، نجلاء العينين حوراؤهما، شماء الأنف صغيرة الأذنين، حمراء الوجنتين والشفتين.

تفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

لابسة رداء أبيض على ردنيه أبازيم من الذهب وفوقه رداء قصير من الأرجوان بل أردان أذياله مطرزة بالذهب وعلى كتفيها رداء ثالث مسدول عليهما سدلا، والنسيم يعث به في ذهابها وإيابها فتخالها ملكا ناشرا جناحيه للطيران وفي أصابعها خواتم الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ولم تكن (أسباسيا) من ربات الغنج والدلال اللواتي يباهين بالحلي والحلل، بل من أهل الحجة المربين مع الفلاسفة والحكماء، وكان بيتها هذا

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٣٤٩

ناديا تتقاطر إليه الفلاسفة ورجال السياسة كسقراط وأفلاطون وغيرهما فتباحثهم في أسماء المواضيع الفلسفية والسياسية حتى إذا كل عصب الدماغ منها ومنهم أدارت أزمة الحديث إلى الفكاهات واللطائف تديرها عليهم صرفا فتسكرهم بعذوبة كلامها كما أسكرتهم بسمو معانيها، وكان سقراط الحكيم يعترف بفضلها عليه ويشهد بأنها هذبت أخلاقه وكملت معارفه و (بركليس) زوجها كان ينسب إليها كل شهرته في الخطابة وقال: إنه تعلم منها البلاغة والسياسة.

وكان نساء أثينا يترددن على بيتها أيضا ويتعلمن منها التهذيب واللباقة، وكانت الفنون الجميلة كالتصوير والبناء والنقش في أوج مجدها فعضدتها (أسباسيا) بيمينها وسعت جهدها في رفع شأن ذويها ولم تكن هذه الفاضلة من الأثينيات، ولذلك لم تحسب زوجة شرعية ل (بركليس) لأن شريعة أثينا كانت تحرم على الأثينيين اتخاذ الزوجات من الأجانب إلا أن جمالها المفرط وسمو عقلها وغزارة معارفها، وكثرة فضائلها ألجمت ألسن الناس عن الطعن عليها زمانا طويلا، والحسد – وقاك الله منه – عدو وألد لا يبهره الجمال، ولا تتغلب عليه الفضائل فنفخ في آذان بعض ذويه فقاموا عليها واتهموها باحتقار الأثينيات وبلغت القحة منهم حتى طعنوا في عرضها واتهموا معها (آتكفوراس) الفيلسوف (وفيدياس) النقاش فقتلوا أحدهما ونفوا الآخر نفيا مؤبدا وحامى (بركليس) عنهما بكل جهده فلم يستطع إنقاذهما.

ولما وصل الدور إلى (أسباسيا) صار كله ألسنة وبلاغة فدافع عنها في مجمع (أرنوس باغوس) ، وكان من أفصح أهل زمانه لسانا، وأثبتهم جنانا، وأقواهم حجة، ولما عجز لسانه عن أقوال إربه دافع عنه بدموع عينيه حتى قيل: إنه أنقذها من الموت بالدمع ولم يكن من ضعاف العزائم الذين تفيض دموعهم عند أخف النكبات ولا كان من المتعلقين بحبال الهوى المنقادين بزمام الشهوات فإنه لما فشا الوباء واختطف ابنته البكر وأخته وكثيرين من أقاربه تحمل هذه النكبة الشديدة بصدر أرحب من البيد، وصبر أغزر من البحر، ولم يسكب عليهم دمعة، ولكنه لما رأى الفضيلة مهانة بإهانة زوجته، والعفة والطهارة مهتوكة أستارها ظلما وعدوانا." (١)

"وعت لها القلوب وتفتحت إليه الآذان. وكان مقربة بين الأنصار محبوبة عند الجميع لتقواها وعفافها وصيانتها مع جمالها الفائق وقد هويها زفر بن الحارث الكلابي وتعلق بها وهي لم تلتفت إليه وقد قال فيها شعرا أوله:

قفي قبل التفرق يا ضباعا ... فلا يك موقف منك الوداعا

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٧

وهي طويلة لم نعثر على باقيها، وتوفيت بين أهلها الأنصار، وهي في عز وإقبال.

ضباعة بنت الزبير

ابن عبد المطلب بن هاشم القرشية ابنة عم النبي صلى الله وسلم. كانت زوجة المقداد بن عمرو الكندي فولدت له عبد الله وكريمة قتل يوم الجمل مع عائشة.

روى عن ضباعة بن عباس وجابر وأنس وعائشة وعروة والأعرج وقيل: إن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله، إني أريد الحج أفأشترط؟ قال: (نعم) . قالت: كيف أقول؟ قال: (قولي لبيك اللهم لبيك لبيك محلي من الأرضي حيث تحسبني) ففعلت كما أمرها وحدثت بهذا الحديث وخلافه. وروى عنها جملة من التابعين أيضا.

ضباعة بنت عامر بن قرظ العامرية

كانت أسلمت بمكة وقد نصرت النبي صلى الله عليه وسلم في جملة مواطن بلسانها وفعلها، وقد أبلت بلاء حسنا أمامه، فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم على بني عامر - وهم بعكاظ - ودعاهم إلى نصرته ومنعه فأجابوه فبينما هم كذلك إذ جاء ثجرة بن فراس القشيري فغمز (شاكلة) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمصت به فألقته وعندهم يومئذ ضباعة بنت قرظ، كانت ممن أسلمن بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: يا آل عامر، ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة من بني عمها إلى ثجرة، فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره، ثم علوا وجهه لطما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله بارك هؤلاء) فأسلموا وقتلوا شهداء. ولها نصرات كثيرة مثل هذه - رحمها الله تعالى.

حرف الطاء

طغاي زوجة الملك الناصر قلاوون

هي الخوندة الكبرى زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأم ابنه الأمير (أنوك) كانت من جملة إمائه فأعتقها وتزوجها. ويقال: إنها أخت الأمير (آقبغا) عبد الواحد، وكانت بديعة الحسن رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها سوى طولباي الناصرية، وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محائر طين على ظهور الجمال

وأخذ لها الأبقار الحالبة فسارت معها طول الطريق لأجل اللبن الطري وعمل الجبن.

وكان يلقى لها الجبن في الغداء والعشاء وإذا كان البقل والجبن بهذه المثابة وهما أحسن ما يؤكل فما عساه يكون بعد ذلك. وكان القاضي وأمير المجلس وعدة من الأمراء يمشون رجالا بين يدي محفتها ويقبلون الأرض لها، ثم حج بها الأمير (بشتاك) سنة ٧٣٩ هجري.

واستمرت عظمتها بعد موت السلطان إلى أن ماتت سنة ٧٤٩ هجري، أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما." (١)

"وراء الحجاب وتنظر في الدعاوى داخل الحجاب، وكان كل من في ديوان الأمير علي بك يعجبون بآرائها وسمو أفكارها لدقائق من الأمور الغامضة من الأحكام الشرعية ولم تزل كذلك إلى سنة ١٢٨١ هجرية وكان البيك المومى إليه قد تأخر عليه شيء من الأموال الأميرية لأن كرمه الحاتمي كان يضطره إلى ذلك حيث إنه كان في دولة عظيمة، وكان إذا ركب يركب معه فوق المائتي فارس من حشمه، وذلك خلاف الخدم والسياس والعمال، والطباخين والفراشين، وما يتبع دائرة الحريم من وكلاء وخدم وطباخين وغير ذلك. وكان في قلعة تبنين محل للضيوف يسع ألفي شخص وفيه من المفروشات والأثاث ما يليق بذلك القصر الفاخر كل غرفة بما يلزم لها الراحة الضيوف وله فراشون مختصون لخدمة الضيوف فقط والطباخون كذلك غير الذين يخدمون المقيمين من العائلة، وكل هؤلاء الأتباع لهم الروات من دائرة الأمير المومى إليه، وكانت تأتي الشعراء والطالبون من كل صوب وهو لا يدر أحدا بدون جائزة ويفد إلهي الزائرون من كل المدن الشهيرة من كبار المتوظفين وغيرهم يمضون عنده فصل الصيف في القلعة لحسن هوائها وطيب مركزها وخصب تربة تلك الأراضي والجبال النضرة. وقد كان له حساد وأعداء من أقرب الناس إليه قد أضمروا له الضغينة وألقوا الدسائس حسدا منهم لما ناله من المجد والرفعة وعملوا على إلقاء القبض عليه ومحاسبته على الأموال الأميرية فحوسب في مدة ثمانية شهور وهو تحت الحجز، وظهر طرفه مبالغ جسيمة.

فقامت السيدة فاطمة في أثناء ذلك بأعباء هذا الحمل الثقيل وتدبرت الأموال المطلوبة من بعلها وقد جمعتها من مالها وأموال عائلتها وباعت حليها وحلي كل امرأة في دائرتها حتى تمكنت من سداد الأموال المطلوبة، وكانت تفعل ذلك بكل حزم يفوق شهامة الرجال وصدر الأمر بخلاصة في أواخر سنة ١٢٨١ هجرية.

وبعد ذلك أراد الرجوع إلى وطنه من محل ما كان محجورا عليه وهي قلعة دمشق الشام، فدخلت سنة

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٧٦

١٢٨٢ هجرية التي جاء فيها الوباء العام المشهور (بالكوليرة) ، وهنالك قبل انتقاله إلى وطنه أصيب بالكوليرة بدمشق الشام ومكث ثلاثة أيام، وتوفاه الله تعالى.

وكان برفقته أخوها الأمير محمد بك الأسعد فأصيب الأمير أيضا بهذا الداء ولحق بابن عمه وكانت وفاتهما في أسبوع واحد تاركين لآلهما الحزن الطويل فكانت نكبة عظيمة على السيدة فاطمة –المذكورة– ونكبت تلك العائلة أيضا بوفاة أميرها فلازمت المترجمة الأحزان والأكدار بسبب فقط بطليها الزوج والأخ في آن واحد وانقطعت إلى (الزريرية) وهي مزرعة من مزارع زوجها فاقتسمت ما يخصها ويخص بناتها الثلاثة لأنها كانت ولدت له جملة أولاد من ذكور وإناث فلم يعش لها إلا هؤلاء الثلاث بنات.

وكان للأمير علي بك أولاد من غيرها ذكور وإناث أيضا فضمتهم جميعا بحسن إدارتها إلى بعضهم، وقسمت عليهم الأرض بحسب الفريضة الشرعية بدون أن تجعل للحكومة مدخلا في ذلك وشرعت في بناء دار لكل من أولادها وأولاد زوجها للسكنى وأرضت الكل بحسن تدبيرها وسداد رأيها وأتمت ذلك البناء على ما أحب الأولاد.

وخصصت من مالها شيئا مخصوصا لتربية اليتامى، وفك كرب المكروب، وقسمت وقتها بين سكناها (بالزريرية) و (الطيبة) عند شقيقها الأصغر الأمير خليل بك الأسعد، ولم تزل –حفظها الله– على هذه السجايا الحسنة إلى الآن يضرب بها المثل في تلك الأصقاع.

ولها في الشعر قليل، وأما في النثر فيشهد لها اليراع، وتنطق لها الطروس.." (١)

"وكثرت القلاقل والإشاعات فأشاع بعضهم أن ألقي القبض عليه وأودع السجن، وألقي القبض على المكلة أيضا لتشيعها له، ولكن البرنس أعرب عن آرائه السياسية في البرلمنت فهدأت أفكار الناس وزال اضطرابهم.

وفي الشهر التالي استعرضت الملكة الجيوش الذاهبة إلى القرم وزارت العمارة البحرية قبل سفرها إلى البلطيك، وهتمت بحوادث هذه الحرب أشد اهتمام وفي نيسان (أبريل) سنة١٨٥٥ م زارهما الإمبراطور نابليون وزوجته فردت لهما الزيارة في شهر آب (أوغسطس) مع زوجها.

ثم جاءتها سنة١٨٦١ م بأشد المصائب فتوفيت أمها في السادس عشر من آذار (مارس) وتوفي زوجها في الرابع عشر من (ديسمبر) وله من العمر اثنتان وأربعون سنة، فحزنت عليهما حزنا مفرطا، ولم تعد ترى في المحافل العمومية، إلا نادرا حتى لما احتفل بزواج ابنها ولي العهد لم تمض إلا إلى الكنيسة.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٢٨

وسنة ١٨٦٧ م زارها جلالة السلطان عبد العزيز خان وملكة بروسيا و إمبراطورة فرنسا وداهمتها مصيبتان أخيريان. الأولى: وفاة ابنتها الأميرة "ليس" سنة ١٨٦٨ م. والثانية وفاة ابنها دوق"الني" سنة ١٨٨٤ م. وأما الملوك بمعزل عن المصائب والنوائب ولا ينجيهم منها حصن ولا معقل.

وقد مر الآن على هذه الملكة السعيدة زيادة عن خمسين سنة وهي مستولية على سدة الملك ولم يملك أحد غيرها من ملوك الإنكليز خمسين سنة فأكثر إلا ثلاثة وهم: الملك هنري الثالث الذي ملك من سنة ١٢١٦ م إلى سنة ١٢٧٢ م، والملك إدوارد الثالث الذي ملك من سنة ١٣٢٧ م إلى سنة ١٣٧٧ م، والملك جورج الثالث الذي ملك من سنة ١٧٦٠ م إلى سنة ١٨٢٠ م.

وقد ارتقى الشعب الإنكليزي مدة ملكها ارتقاء لا مثيل له وامتدت السلطنة الإنكليزية في الأقطار المسكونة حتى يقال: إن الشمس لا تغرب عنها كلها في الأربع والعشرين ساعة.

وحدث في السلطنة الإنكليزية حوادث كثيرة تستحق الذكر غير ما ذكر.

منها: تخفيض أجرة البوسطة وتعديل شريعة المساكن واسكتلندا وإرلندا حتى صاروا ينتفعون نفعا حقيقيا من مساعدة الحكومة، وصارت المساعدة تصل إلى الذين يحتاجونها حقيقة.

ومنها: إلغاء شرائع الحبوب وكانت هذه الشرائع تمنع إدخال الحبوب إلى إنكلترا إلا **عند الغلاء الشديد** بما تفرضه عليها من المكس الفاحش في أوقات الرخص فإذا كان ثمن الكوارتر (نحو ٢٠٠ أقة) من القمح ٦٢ شلنا أخذت الحكومة مكسا عليه ٢٤ شلنا وثلثي الشلن وكلما قل الثمن شلنا زاد المكس شلنا، وإذا زاد الثمن عن ذلك قل المكس كثيرا فإذا بلغ الثمن ٦٩ شلنا صار المكس ١٥ شلنا وثلثين وإذا بلغ الثمن ٧٣ شلنا صار المكس شلنا، فإذا اشترى أحد قمحا حينما كان ثمن الكوارتر ١٨ شلنا، ثم رخص القمح فصار القمح ثمن الكوارتر ٦٩ شلنا بلغت خسارته في كل كوارتر ١٨ شلنا وثلثي الشلن لأنه يلتزم حينئذ أن يدفع عليه مكسا ١٥ شلنا وثلثين بدلا من دفع شلن واحد.

ومنها: انتقال أملاك تركية الهند الشرقية إلى الحكومة الإنكليزية وبالتالي استيلاء الحكومة على كل بلاد الهند وجعلها قسما من السلطنة الإنكليزية مع أن أهاليها يبلغون مائتي مليون وأهالي بريطانيا وإرلندا لا يبلغون الآن ٣٥ مليون.

ومنها: إباحة دخول البرلمنت لليهود ووضع نظام التعليم الجديد ولم يكن في بلاد الإنكليز نظام عام للتعليم

حتى سنة ١٨٧٠ م. وما بعدها فأقرت الحكومة ترتيب المدارس على نظام ثابت وساعدتها بالأموال الوفيرة ففتحت أبواب المعرفة لكل ولد من أولاد الأمة.." (١)

"فدكها دكة أي دكة، وسبب ذلك أن عبد الله باشا وقعت بينه وبين محمد علي باشا عداوة كلية، بسبب أنه خابره بتسليمه بلاد الشام فلم يجبه إلى هذه الأمنية، وكانت وقعة الشام مع سليم باشا آنفة الوقوع، والأفكار تحكم بأن الجزاء مقطوع به لا ممنوع، فلما سمع السلطان بعداوة عبد الله باشا مع محمد علي باشا أشفق من اتحاد الشام مع الخديوي المرقوم، فأرسل للعفو عن الشام أجل مرسوم، ووجه واليا يسمى علي باشا إلى الشام، لمداركة الأمر بغاية الاهتمام، فأرسل محمد علي باشا إلى السلطان شكاية على عبد الله باشا تطعن بعظيم شانه لعله يعزله ويجعله في مكانه، فيصل إلى مطلوبه، ويحصل من غير ضرر على مرغوبه، غير أن السلطان لم يجبه إلى مراده، ولم يوصله إلى ما تأمله في اجتهاده، فجمع إبراهيم باشا الجموع الكثيرة، وتغلب على غالب البلاد الشامية الشهيرة التي تحت ولاية عبد الله باشا كغزة والرملة والقدس والخليل ونابلس وبلاد الساحل، وحصن قلعة طرابلس وساعده أمير جبل الدروز الأمير بشير ورؤساء جبل نابلس، لكون عبد الله باشا في العام الماضي حاصر قلعة سينور وهدمها وحصل منه ضرر لأهل نابلس وكان ذلك من **أسباب الغلاء الذي** وقع في البلاد الشامية، فأرسل حضرة السلطان إلى والي مصر يأمره برفع عساكره عن عكا، فامتنع، فأمر السلطان بجمع العساكر العثمانية وأمر والي حلب بالتوجه إلى مساعدة عبد الله باشا، واستمر العسكر المصري يضارب عكة بحرب لم يسمع بمثله، وقد ورد كتاب من والي عكة إلى بعض أعيان دمشق يقول فيه: إن نارهم بالمدافع والقنابر لا تفتر دقيقة واحدة وإنهم يضربون اثنين وعشرين مدفعا بفتيل واحد، وإنهم في سادس شوال اقتحموا على عكة ودخلوا من الجهات التي خربوها من السور فخرج إليهم عسكر عكة وضاربوهم بالسيوف ومن فوق السور بالمدافع والقنابر حتى أهلكوا غالب من اقتحم وامتلأ وجه الأرض من قتلاهم فانهزموا خائبين؛." (٢)

"وأما قولك لولاي لما عاش إنسان، ولا بقي على أرض حيوان، فجوابه لو شاء الله لعاش العالم بلا هواء، كما عاش عالم الماء في الماء، ولم لا قلت أن غالب هلاك كل ذي روح من الوباء، وأنه لولا الرطوبة التي اكتسبتها أنت مني بالمجاورة، لاحترقت أنت فضلا عن العالم لمجاورتك لطبيعة النار الحارة، فعلم بهذا أن حرارتك عرضية، لا أنها فيك طبيعية، ولو شئت لافتخرت عليك بالحرارة التي تعرض لي من النار

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٤٤

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٦

والارتماض، ولكن لا يليق بالعاقل أن يفتخر بالإعراض، لأن العرض لا يبقى زمانين، كما برهن على أنه لا ينتقل إلى مكانين، وما الافتخار بشيء سريع الزوال، أو بعرض ليس لطبيعة الشخص عليه انجبال، قال الشاعر:

واحق من نكسته ... بالذل من درجاته

من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته

ولذلك قيل:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وأما قولك إن طبيءتي الرطوبة فذلك أعظم فخري، لأن الرطوبة مادة الحياة التي في الأجسام تسري، إذ الحرارة بمنزلة النار في الأبدان، والرطوبة لها بمنزلة الأدهان، فإذا خلص الدهن انطفأ السراج، وزال ما فيه من النور الوهاج، وأما تعييرك لي بأني متلون، فالتلون صفة عارف الزمان، المتخلق بقوله تعالى "كل يوم هو في شأن "، وأما قولك قلبي قد انقلب، فالحمد لله الذي قلبه لأعلى الرتب، لأنه كان آخر الحروف فصار أولها، وكان مفضولها فصار أفضلها، إذ الألف تدل على الذات الأحدية، والباء تشير للحقيقة المحمدية، فكل الأحرف من الباء،." (١)

"والخوف منه ومن جيوشه ومن تعليماتهم الغريبة الأشكال والأوضاع، ولكنه لم تساعده المقادير كما ساعدت محمد علي باشا على ولاية مصر، فإن داود باشا بينما هو في هذه الأبهة والسلطنة والاستقلال، والخروج عن طاعة الدولة العلية، إذ أرسل عليه السلطان محمود خان العثماني جيشا نحو العشرين ألفا، ورئيسهم علي باشا اللاظ، فلما قرب من بغداد ضحك داود باشا واستهزأ بهذا الجيش الضعيف الذي يريد أن يستولي على بغداد، فأخذه الغرور، فقال لو نرسل على هذا الجيش نساء بغداد لما يطيق مقاومتهن، إلا أن الوزير داود باشا لم يعلم ما هو مخبوء له في زوايا

القدر، مما هو عبرة لمن اعتبر. فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ما وراءه، إذ **دهمه الوباء الطاعوني** داخل بغداد الذي أفنى أكثر أهلها، حتى قيل إنه كان يموت في كل يوم أكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد. مما هو عبرة لمن اعتبر. فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ما وراءه، إذ **دهمه**

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢٢٦

الوباء الطاعوني داخل بغداد الذي أفنى أكثر أهلها، حتى قيل إنه كان يموت في كل يوم أكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد.

وأما جيش علي باشا اللاظ فإنه بتقدير الله تعالى لم يصبه شيء من ذلك الطاعون، وذلك تقدير العزيز العليم، وانقلب الفرح حزنا، واشتغل الصراخ في كل بيت من بيوت أهل بغداد إلا ما ندر. وقيل إن الذي مات بهذا الطاعون من أولاد داود باشا لصلبه أكثر من عشرة أولاد الذين يركبون الخيل، فانكسرت شوكته، وانحلت قوته، وداخله الهم، ولازمه الغم، وانحل عضده وانفل جيشه، البعض بالموت والبعض بالهرب والفرار، إلى البوادي والقفار، وذلك سنة ألف ومائتين وسبع وأربعين، فلما طلب علي باشا اللاظ، المحاربة معه لم يسعه إلا المصالحة، على أنه يسلم إلى علي باشا بغداد بما فيها، وداود باشا يرتحل إلى الآستانة ويستقيم بها، فسافر داود باشا إلى الآستانة واستقام بها إلى سنة ستين ومائتين وألف، وكان معظما عند السلطان محمود، ثم عند ابنه السلطان عبد المجيد ورجال دولته لكبر سنه ولطول." (١)

"فنسيت حقهما عشية أسكنا ... دار البلا وسكنت في داريهما

فلتلحقنهما غدا أو بعده ... حتما كما لحقا هما أبويهما

ولتندمن على فعالك مثل ما ... ندما هما حقا على فعليهما

بشراك لو قدمت فعلا صالحا ... وقضيت بعض الحق من حقيهما

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما ... تسطيعه وبعثت ذاك إليهما

فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها ... فعسى تنال الفوز من بريهما

وله نثر بديع وإنشاء قدره رفيع، توفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وستين ومائتين وألف من هجرة سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، مدى الليالي والأيام.

الشيخ يوسف بن محمد البطاح الأهدل الشافعي

العلامة الماجد، والتقي النقي الراكع الساجد، نخبة العلماء وزبدة الفضلاء، ولد سنة ألف ومائة و.....ثم بعد حفظ القرآن وتجويده مع الإتقان أخذ العلوم العقلية، والمعارف النقلية، عن السيد العلامة والسند الفهامة، سليمان بن يحيى الأهدل، ولازمه كثيرا وكان لعمري بالملازمة جديرا، وأخذ عن أهل اليمن والحرمين الشريفين، وكانت له اليد الكولى في كل علم بلا ريب ولا مين. وتفرغ بمكة والمدينة تفرغا عظيما لنشر

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٦٠٤

العلوم، وبرع وفاق على ذوي المنطوق والمفهوم، وألف ودرس ووقع به النفع العام، ومن مؤلفاته: إفهام الأفهام شرح بلوغ المرام في مجلدين، وكان رحب الصدر لين الجانب، له في الدرس صبر عظيم وتقدير يزدري بالدر النظيم، وقد قال فيه صاحب النفس اليماني:

العالم الفاضل النحرير أفضل من ... بث العلوم فأروى كل ظمآن

مات شهيدا **في الوباء العام** الواقع سنة ألف ومائتين وست وأربعين الذي مات فيه خلائق لا يحصون عددا من الحجاج، حيث انتهى الأمر إلى العجز." (١)

"عن دفن الأموات، وخلت في تلك السنة بيوت كثيرة في جدة ومكة من أهاليها بحيث لم يبق فيها أحد، وتركت أموال عظيمة لا يدري من يستحقها من الورثة، وكان ابتداء **هذا الوباء من** أرض الحبشة فكان يموت كل يوم أكثر من ألف، وخلا كثير من القرى بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال، ولا يزال ينتقل **هذا الوباء في** النواحي والأقطار، والقرى والأمصار، حتى عم البلاد الشامية والمصرية، والتركية والعربية، وكان تاريخ هذا العام لنهلكن الظالمين، ومن الذي لم يظلم نفسه، نسأل الله العفو والعافية والسلامة الوافرة السامية، ودفن ذلك المترجم في مكة في مقبرة المعلى رحمه الله تعالى آمين.

الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي رحمه الله تعالى

قد انكب على العلم واجتهد، حتى تميز بين العلماء وانفرد، واقد ترجمه العلامة الشوكاني بقوله: شيخنا المسند الحافظ، ولد تقريبا عام ألف ومائة وأربعة عشر ونشأ بزبيد، وأخذ عن علمائها، ومنهم والده، وبرع في العلوم دراية ورواية إلى أن صار حامل لواء الإسناد في آخر أيامه، ووفد إلى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وسبع، وسمع منه العدد الكثير والجم الغفير. وقد رووا عنه أسانيد الحافظ الشيخ إبراهيم الكردي، وهو يرويها عن أبيه عن جده علاء الدين، عن الشيخ إبراهيم. مات رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة، وكان رحمه الله تعالى له حب لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عند ذكر حبه لهم:

وهل يستوي ود المقلد والذي ... له حجة في حبه ودلائل." (٢)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٦١٠

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٦١١

"برائي رهبري قوم فساق دوباره آمد إسماعيل وإسحاق

انتهى.

توفي بمكة المكرمة **في الوباء العام** - وكان صائما - يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين ومائتين وألف، فدفن بالمعلاة عند قبر سيدتنا خديجة رضي الله عنها.

الشيخ إسحاق بن محمد عرفان البريلوي

الشيخ الفاضل الكبير إسحاق بن محمد عرفان بن محمد نور الشريف الحسني البريلوي أحد العلماء المشهورين، ولد ونشأ في مهد العلم والمشيخة، وسافر إلى لكهنؤ، فاشتغل بالعلم على أساتذتها زمانا، ثم سافر إلى دهلي، وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ عبد القادر بن ولي الله العمري الدهلوي وتفقه عليه وأخذ عنه الحديث، ثم أسند عن الشيخ عبد العزيز بن ولي الله وبايعه وأخذ عنه الطريقة، ثم رجع إلى رائي بريلي وتصدر بها للتدريس.

وكان آية من آيات الله في التقوى والعمل وتأثير الوعظ وقلة الأمل وإيثار القناعة في الملبس والمأكل.

وله مصنفات منها: المائتان في الموارث والحساب منظومة وفيها مائتا بيت، وله شرح بسيط على تلك المنظومة، وله قصائد بالعربية، ومنظومة بالفارسية، جمع فيها أسماء أهل بدر عليهم الرحمة والرضوان، توفي لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، وقبره ببلدة رائي بريلي في زاوية جده لأمه الشيخ الأجل السيد أبي سعيد، كما في سيرة السادات.

الشيخ أسد علي السنديلوي

الشيخ الفاضل أسد علي بن صادق علي الفيض آبادي ثم السنديلوي أحد العلماء المبرزين في النحو والعربية وغيرها، ولد ونشأ بسنديله وقرأ العلم على أساتذة عصره، ثم درس وأفاد، أخذ عنه خلق كثير، مات لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف بسنديله، كما في تذكرة العلماء للناروي.

الحكيم أسد علي السهسواني

الشيخ الفاضل أسد علي بن وجه الله الحسيني النقوي السهسواني أحد كبار الأفاضل، ولد ونشأ بسهسوان وسافر للعلم، فقرأ الكتب الدرسية على الشيخ قدرة علي اللكهنوي، وعلى غيره من العلماء، وأخذ الفنون الرياضية عن الشيخ غلام حسين الجونبوري، والصناعة الطبية عن المرزا حسن علي

بن مرزا علي اللكهنوي، ولازمهم مدة، حتى صار أبدع أبناء العصر، له حاشية على شرح الموجز للنفيسي، ورسائل أخرى.

توفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف، أو مما يقرب ذلك، كما في حياة العلماء.

المفتي أسد الله الإله آبادي

الشيخ الفاضل المفتي أسد الله بن كريم قلي الجونبوري ثم الإله آبادي، كان من نسل الشيخ محمود بن حمزة العثماني، ولد يوم الجمعة لست ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاثين ومائتين وألف، وقرأ النحو والصرف على السيد زين العابدين الكاظمي الكروي، وقرأ بعض الكتب الدرسية من شرح الكافية للجامي إلى هداية الفقه على مولانا عبد الرحيم الشاهجهانبوري، وقرأ شروح السلم وتحرير الأقليدس على الشيخ جلال الدين الرامبوري، ثم ولي الإفتاء ببلدة فتحبور فاستقام عليه ثلاث عشرة سنة، ثم ولي القضاء الأكبر بمدينة آكره وكان مع اشتغاله بمهمات الإفتاء والقضاء يدرس ويفيد، وقد أخذ الطريقة عن السيد ظهور محمد بن خيرات علي الكالبوي سنة ثلاث وستين ومائتين وألف حين كان مفتيا ببلدة فتحبور، وتلقى الذكر منه، حتى استولى عليه، فلما تم موعده ترك الخدمة، وقنع بمعاش تقاعد، وسافر إلى الحرمين." (١)

"غرة شوال من سنه ٨٣٨ ورأيت من أرخه في يوم الخميس ثالث شهر رمضان من التي بعدها بهراة **في الوباء الحادث** بها اه باختصار كثير والثاني موافق لما ذكره المؤلف ولكن إذا كانت وفاته بهراة كان في قول المؤلف بالقاهرة تحريف والله اعلم.

الصفحة (٣٠٩)

(جاء) في السطر الثالث منها في ترجمة البرهان الحلبي سبط ابن العجمي [والد والدته الموفق] وهذه العبارة غير مستقيمة والصواب [والد والدة الموفق الخ] كما هي عبارة الضوء اللامع.

الصفحة (٣١٠)

(جاء) في السطر الحادي عشر منها [جاء على غالب مروياتها] ولعله سقطت منه كلمة حتى والاصل [حتى جاء الخ] كما في عبارة الضوء اللامع.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٩١٢/٧

(وجاء) في السطر الثاني عشر منها [وخاله هاشم بن محمد بن الموفق الخ] هو هاشم بن عمربن محمد بن الموفق الخ كما يعلم من كلام
المؤلف في اول الترجمة.
وقد توفي هاشم هذا في النحرارية من أعمال مصر سنة بضع وسبعين وسبعمائة عن ثمانين سنة كما في الدرر الكامنة.
ووالدة المترجم اخت هاشم هذا هي عائشة بنت عمر بن العجمي الكامنة.
ووالدة المترجم اخت هاشم هذا هي عائشة بنت عمر بن العجمي المذكور [توفيت في شهر رجب من سنة ٧٨٩] سمعت على العز أبي اسحق ابراهيم بن صالح بن العجمي زوج عمتها ووحدثت وسمع منها ولدها.." (١)

"الشيخ الشاذلي بن المؤدب ودفن بزاويته التي بناها له الأمير الباشا حسين باي بربط باب الجزيرة، ولهذا الأمير وأبيه وآله محبة واعتقاد فهي زائد.
١٤٨٥ - أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن محمد بن الولي عبد الكافي بوعتور: الشيخ الفقيه الأريب الكاتب الأديب النبيه البيت في نسبه وحسبه في صميم قريش من بني أمية وزاويتهم بصفاقس مشهورة وتردد بنو هذا البيت في الخطط العلمية والقلمية، وأبو صاحب الترجمة من جهابذة الكتاب بالدولة الحسينية وشعره محفوظ في التاريخ الباشي. توفي سنة ١٢٤٣هـ[١٨٢٧م].
١٤٨٦ - أبو عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب: الإمام الألمعي العلامة المحقق اللوذعي الفهامة المتفنن في العلوم الفقيه الحافظ لمسائل المذهب، تقدم للفتيا مع أبيه أيام الباشا علي بن حسين باي ثم رئيس المفتين. أخذ عن والده والشيخ الشحمي والشيخ الغرياني وغيرهم وعنه الشيخ محمد بن سعيد وغيره. توفي سنة ١٢٤٣هـ[١٨٢٧م].
١٤٨٧ - قاضي الجماعة أبو العباس أحمد زروق السنوسي الكافي التونسي: العلامة المتفنن الفاضل الفقيه العمدة المحقق الكامل، أخذ عن الشيخ الكواش وانتفع به وغيره وعنه أخوه محمد وغيره. توفي سنة١٢٤٦هـ[١٨٣٠م].
١٤٨٨ - أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي: العالم المتبحر في الفقه وأصوله طويل الباع في غيره كثير الاطلاع، أخذ عن الشيخ صالح الكواش والشيخ إسماعيل التميمي والشيخ حسن الشريف وغيرهم

---

(١) التنبيه والإيقاظ أحمد الطهطاوي ص/١٤١

ورحل لفاس وأخذ عن الشيخ التاودي والعارف بالله الشيخ أحمد التجاني وعنه جماعة منهم ابن أبي الضياف والشيخ محمد النيفر له رسالة في الوباء سماها تحفة الموقنين ووقعت بينه وبين مفتي الأنام شيخ الإسلام الثالث محمد بيرم الحنفي في شأن الكرنتينية فصاحب الترجمة يقول بالمنع وشيخ الإسلام بالإباحة وألف كل منهما رسالة في الاستدلال على رأيه بالنصوص الفقهية وسيأتي مزيد بسط في المسأرة في التتمة. توفي صاحب الترجمة سنة ١٢٤٧هـ[١٨٣١م].

١٤٨٩ – أبو الفداء إسماعيل التميمي التونسي: قاضيها ومفتيها ثم رئيس المفتين بها الإمام المثبت العلامة العمدة الفهامة المحقق النظار الآخذ مأخذ." (١)

"في رجب سنة ٧٤٧ هـ ولما توفي تمت البيعة لابنه أبي حفص وعدل عن ولاية ابنه أبي العباس ثم ثار أبو العباس هذا عليه وقدم الحاضرة فملكها سنة ٧٤٧ هـ ثم ظفر به أخوه أبو حفص وقتله وأبو حفص قتله السلطان المريني الآتي ذكره سنة ٧٤٨ هـ وكان قتله بقابس وولايته عشرة أشهر وكان قدوم السلطان أبي الحسن المريني من المغرب إلى الحاضرة في السنة في جند عظيم وصحبته الكثير من علماء المغرب وأدبائه منهم السطي والإبلي وابن الإمام وابن عبد المهيمن وابن الصباغ ودخل تونس في أعظم أبهة وأحسن احتفال وله في إقامته بإفريقية أخبار طوال وأصلح الفساد ومحا دولة بني أبي حفص واستقام له الحال ثم دارت عليه الدوائر من الأعراب وحلت به نوائب وأهوال وآل أمره للرجوع للمغرب في أساطيله سنة ٧٥٠ هـ وقاسى في طريقه الشدائد والمصائب وأحاطت به النوائب وغرق أسطوله وبه الكثير من أفاضل العلماء منهم السطي. وفي مدة إقامته بإفريقية كان الوباء الجارف ضاربا خيامه بها وبأثر خروج هذا السلطان من الحاضرة دخلها وإلى بونة أبو العباس الفضل بن أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي واستقل بالأمر وجدد الرسوم الحفصية ثم قتل في جمادى الأولى سنة ٧٥١ هـ.

تنبيه: من مآثر أبي زكرياء اللحياني المذكور تجديد أبواب جامع الزيتونة الجوفية من عود الساج سنة ٧١٧ هـ ولا زالت على حالها إلى هذا العهد ورحلة التجاني المشهورة كانت صحبته. وكان عالما معظما للشريعة فاضلا أميرا عادلا ومن عدله أنه مكن القاضي ابن عبد الرفيع من ابنه أبي ضربة للقصاص في نفس قتلها وأقر بالقتل وحكم القاضي بالقصاص ولما عفا الأولياء بقي في حبس القاضي على مقتضى المذهب المالكي من سجن القاتل عاما ثم ضربه مائة إن لم يقع القصاص كفارة للقتال إذا كان القتل بإقراره ولبث

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٥٣٠/١

في السجن حتى أخرجه أهل الحل والعقد منه وبايعوه لما نفض أبوه يده من السلطنة وهو من الذين خرجوا على القانون الشرعي فإنه لما أخذ البيعة وثب على القاضي الذي سجنه ونفاه للمهدية واعتقله بها في ماجل بقي فيه ما ينيف عن العامين فانظر إلى الأب كيف سلم ولده للأحكام الشرعية وآدابها وإلى الابن لما قدر كيف عاقب القاضي على فعل يجب عليه فعله وكان قاضيا إلى أربعة من أسلافه وأسلافه لهم أخبار دالة على توطين نفوسهم على الأحكام الشرعية وآدابها مع ملازمة الجماعة في الصلوات في المساجد وفي قصورهم وبساتينهم وقراءة الحديث والميل إلى سماع المواعظ والعمل بها والأخبار الدالة على أن بعضهم ومنهم أبو ضربة المذكور وآخر ملوك دولتهم بعكس ذلك كالجراءة على القتل والعقاب بالسجن لمن فعل ما وجب عليه فعله شرعا. وقد عقد." (١)

"صنفه بدمشق سنة ٣٤١ في ٢٣٠ ورقة (١)

العمي

(٠٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٠٠٠ - ٩٦١ م)

أحمد بن إبراهيم بن أحمد العمي، أبو بشر: مؤرخ، من متكلمي الشيعة وفقهائهم. من أهل البصرة. نسبته إلى (العم) وهو لقب مرة بن مالك بن حنظلة التميمي. من كتبه (التاريخ الكبير) و (التاريخ الصغير) و (أخبار صاحب الزنج) و (محن الأنبياء والأوصياء والأولياء) و (أخبار السيد الحميري) و (شعر السيد الحميري) و (القبائل) (٢) .

ابن الجزار

(٠٠٠ - ٣٦٩ هـ = ٠٠٠ - ٩٨٠ م)

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، أبو جعفر القيرواني، ابن الجزار: طبيب مؤرخ، من أهل القيروان. له (زاد المسافر وقوت الحاضر - خ) في الطب، مجلدان، منه نسخ في مكتبة الشعب بباريس ودرسدن بألمانيا ورنبور بالهند وهافانا بهولندة وشستربتي (٥٢٢٣ / ٦) وخزانة الرباط (١٧١٨ د) وترجم إلى اللاتينية واليونانية والايطالية، ومن هذه الترجمات مخطوطات أقدمها في الفاتيكان. و (الاعتماد - خ) في الأدوية المفردة، في الجزائر وأياصوفيا (١٤٠ ورقة) والمتحف البريطاني، ألفه لأحد ملوك الفاطميين بإفريقية. ومنه مختصر

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ١٦٧/٢

في الرباط (١١٢١١ د) و (البغية) في الأدوية المركبة، و (التعريف بصحيح التاريخ) كبير، و (ذم إخراج الدم) و (رسالة في النفس) و (أسباب الوباء بمصر والحيلة في دفعه) و (سياسة الصبيان وتدبيرهم - ط) بتونس، رسالة، و (طب الفقراء

---

(١) المخطوطات المصورة. الرياضيات ٧٠ و: Broc 387Si..

(٢) ضوء المشكاة - خ - وأعيان الشيعة ٧: ٣٦٥ وفهرست ابن النديم: الفن الخامس من المقالة الخامسة، وفيه: وفاته بعد سنة ٣٥٠.." [1]

"من أهل مرسية. قال ابن الأبار: عني بالآداب، وشعره (مدون) (١) .

طاشكبري زاده

(٩٠١ - ٩٦٨ هـ = ١٤٩٥ - ١٥٦١ م)

أحمد بن مصطفى بن خليل: أبو الخير، عصام الدين طاشكبري زاده: مؤرخ. تركي الأصل، مستعرب. ولد في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرسا للفقه والحديث وعلوم العربية. وولي القضاء بالقسطنطينية سنة ٩٥٨هـ فرمد وكف بصره سنة ٩٦١ قال صاحب العقد المنظوم: إذا جاء (القضاء) عمي البصر! له كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية - ط) انتهى من إملائه سنة ٩٦٥ بالقسطنطينية، و (مفتاح السعادة - ط) و (نوادر الأخبار في مناقب الأخيار - خ) معجم تراجم، و (الشفاء لا دواء الوباء - ط) رسالة، و (الرسالة الجامعة لوصف العلوم النافعة - خ) وغير ذلك. وله نظم (٢) .

لالي شلبي

(٠٠٠ - بعد ١٠٠١ هـ = ٠٠٠ - بعد ١٥٩٣ م)

أحمد بن مصطفى لالي شلبي: متأدب بالعربية. تركي الأصل والنشأة. تنقل في الوظائف إلى أن كان قاضيا في أماسية. له كتب صغيرة، منها (شرح الأمثلة - خ) في مغنيسا (الرقم ٨١٦٣) و (شرح قصيدة البردة - خ) فيها (الرقم ١٦٦٤) قال حاجي خليفة: شرحها أولا بالعربية ثم شرحها بالتركية سنة ١٠٠١ و (الأبحاث

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١/٨٥

والأسئلة - خ) صرف، في دار الكتب (٣) .

(١) تكملة الصلة، القسم المفقود ٤٦.

(٢) الشقائق ٢: ٧٩ - ٩٠ والعقد المنظوم، هامش الجزء الثاني من وفيات الأعيان ٩٥ وتراجم الأعيان للبوريني - خ - وآداب اللغة ٣: ٣١٥.

(٣) مذكراتي عن مخطوطات (سراي كتاب) في مغنيسا. وكشف الظنون ١٣٣٣ ودار الكتب ٧: ٢٣، ٢٦ وهو فيه لالي زاده. وعثمانلي مؤلفلري ٢: ٥١ وسماه (لالي أحمد أفندي) .." [١]

"القرآن الكريم وشئ مما يتعلق بهم - خ " في دار الكتب (١) .

علي المنصور

(٧٧١ - ٧٨٣ هـ = ١٣٦٩ - ١٣٨١ م)

علي (الملك المنصور) ابن شعبان (الملك الأشرف) ابن حسين بن محمد بن قلاوون: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع له بمصر وهو طفل، يوم ثورة المماليك على أبيه في العقبة (وكان أبوه في طريقه إلى الحجاز حاجا) وتمت له البيعة بعد مقتل أبيه (سنة ٧٧٨ هـ وقام مماليكه بتدبير الشؤون، فاختلفوا واقتتلوا وانحصرت الرياسة ب الأمير (أينبك " البدري، وسمي " أتابكا " للعساكر، فلم يرضهم، فقاتلوه وأسروه، وأقيم المقر السيفي " برقوق " العثماني أتابكا، وتتابعت فتن المماليك (أمراء الجيش) بمصر يقتل بعضهم بعضا، وخرج نائب السلطنة في دمشق عن الطاعة، وهجم خمة آلاف من الأعراب على دمنهور فهبوها، **وانتشر الوباء بمصر** فأصيب " علي " المنصور فمات في الثانية عشرة من عمره، ولم يكن في يده من ال أمر شئ، كأكثر ملوك هذه الدولة (٢) .

الشبيني

(٠٠٠ - بعد ١١٩٥ هـ = ٠٠٠ - بعد ١٧٨١ م)

علي بن شلبي الشبيني: مفسر شافعي، له " نور الأنوار - خ " يعرف بتفسير الشبيني. مجلدان بخطه سنة ١١٩٥ قلت: لم أجد له ترجمة. ولفظ " شلبي " يذهب الى أنه عراقي. ولكن فهرس الأزهرية يقول انه

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٥٧/١

مصري. فإن صح هذا فلعل " الشبيني " نسبة الى " شبين الكوم "؟ (٣) .

---

(١) الأزهرية ٥: ١٧١ ودار الكتب ٥: ٣٨٠

(٢) ابن إياس ١: ٢٣٨

(٣) الأزهرية: ٣٠٢." [1]

"المسيحي

(٠٠٠ - ٤٠١ هـ = ٠٠٠ - ١٠١٠ م)

عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني، أبو سهل: حكيم، غلب عليه الطب علما وعملا.
فصيح العبارة، جيد التصنيف، حسن الخط، متقن للعربية. ولد في جرجان، ونشأ وتعلم ببغداد، وسكن خراسان فتقدم عند سلطانها. ومات عن أربعين عاما. وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب، وتفوق ابن سينا بعد ذلك فصنف له كتبا وجعلها باسمه. اطلع ابن أبي أصيبعة على نسخة من كتاب للمسيحي بخطه، في " إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان - خ " وقال: إنه في نهاية الصحة والإتقان. ومن كتبه " الطب الكلي - خ " و "كتاب المئة في الصناعة الطبية - خ " وهو من أجود كتبه وأشهرها، ولأمين الدولة ابن التلميذ حاشية عليه، و " العلم الطبيعي " و " مقالة في الجدري " و " أصول الطب - خ " و " المسائل - خ " و " اختصار المجسطي " وكتاب في " **الوباء** " وآخر في " تعبير الرؤيا " ألفهما للملك العادل خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن محمد (١) .

عيسى بن يزيد

(٠٠٠ - ١٥٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٧٢ م)

عيسى بن يزيد بن سعيد المكناسي المشهور بالأسود الصفري: أول من أسس مدينة " سجلماسة " وملكها. أصله من موالي العرب، تقدم في طائفة الصفرية من بربر مكناسة. واختل أمر العباسيين في المغرب، بعد مقتل عبد الرحمن ابن حبيب الفهري (سنة ١٤٠ هـ فاجتمع صفرية مكناسة ونقضوا مع عيسى طاعة العرب وولوه عليهم. واختط لهم

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٩٣/٤

(١) تاريخ حكماء الإسلام ٩٥ وطبقات الأطباء ١: ٣٢٧

ثم ٢: ١٩ وBrock S 1: 423. وهدية العارفين ١: ٨٠٦.." [١]

"في سيرته وبعض آثاره (١) .

صفي الدين البخاري

(١١٥٤ - ١٢٠٠ هـ = ١٧٤١ - ١٧٨٦ م)

محمد بن أحمد بن محمد بن خير الله، أبو الفضل، صفي الدين الحنفي الأثري الحسيني البخاري: فاضل، من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره. أصله من بخارى. سكن نابلس (بفلسطين) وتوفي فيها بالطاعون له (القول الجلي - ط) في ترجمة ابن تيمية (٢) .

محمد بنيس

(١١٦٠ - ١٢١٣ هـ = ١٧٤٧ - ١٧٩٨ م)

محمد بن أحمد بن محمد بنيس، أبو عبد الله: فرضي، له علم بالأدب. من أهل فاس. من كتبه (لوامع أنوار الكوكب الدري - ط) في شرح همزية البوصيري، و (بهجة البصر - ط) في شرح فرائض المختصر لخليل، و (حاشية على بغية الطلاب - ط) في شرح منية الحساب لابن غازي.

و (تلخيص وتحصيل ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام - خ) رسالة في خزانة الرباط (١٤٤٧ د) وكانت وفاته **في الوباء بفاس** (٣) .

القاضي

(٠٠٠ - ١٢١٤ هـ = ٠٠٠ - ١٨٠٥ م)

محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بالقاضي:

---

(١) عنوان الأريب ٢: ٣٦ - ٣٩ والمنتخب المدرسي ١٢٩ وشجرة النور ٣٤٨ ومجلة الفكر ٥: ٧٢٣ وكتاب (الورغي) المطبوع في تونس سنة ١٩٦١ قلت: ولضبط (ورغة) بالكسر انظر إتحاف أهل الزمان

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٥/١١٠

٢: ١٤١.
(٢) فهرس الفهارس ١: ١٥٢ وفيه أن كتابه (القول الجلي) المطبوع بهامش جلاء العينين (لم ينسبه إليه من ترجمه ولا عرف ترجمته من طبعه وهذا عجيب) وانظر معجم المطبوعات ٥٣٧.
(٣) سلوة الأنفاس ١: ٢٠٤ ومعجم المطبوعات ٥٩٣ وفي مجلة المجمع العلمي العربي ٣٥: ١٢٣ تحقيق لمعنى (البنيس) كتبة الأستاذ عبد الله كنون، وأفاد =." [١]
"وهو جد (ذوي عون) من الأشراف (١) .

محمد بن عبد الملك

(٠٠٠ - ١٣٢ هـ = ٠٠٠ - ٧٥٠ م)

محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي: أمير، من بني أمية في الشام. له رواية للحديث، أخذ عنه الأوزاعي وآخرون. ولي الديار المصرية لأخيه هشام، وقال لهشام: أنا أليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها! فقال: لك ذلك. وأقام فيها شهرا (سنة ١٠٥ هـ فأتاه كتاب لم يعجبه، فرفض العمل، وانصرف إلى (الأردن) وكان منزله بها في قرية يقال لها (ريسون) . ولما قتل الوليد بن معاوية بن (مروان بن) عبد الملك، والي دمشق، من قبل مروان ابن محمد (سنة ١٣٢) استقل محمد بالأردن. وظفر به عبد الله بن علي العباسي (الهاشمي) يوم نهر (أبي فطرس) قرب الرملة بفلسطين، فذبحه صبرا (٢) .

الفقعسي

(٠٠٠ - نحو ٢١٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٨٢٥ م)

محمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي: شاعر، من أهل الكوفة. نزل بغداد. وكان راوية بني أسد، وعنه أخذ العلماء مآثرها وأخبارها. أدرك أيام المنصور العباسي، وله مدائح وأبيات في الرشيد والمأمون وبعض رجالهما (٣) .

---

(١) خلاصة الكلام ٣٠٤ و ٣٢٠ ومرآة الحرمين ١: ٣٦٦ وعقد الدرر ٢٤.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٢٩٧ والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٣ وانظر فهرسته. والولاة والقضاة ٧٢ - ٧٣

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٥/٦

وفيه: وقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد، هاربا من الوباء، أياما، ثم قدم من الصعيد وخرج عن مصر، ولم يلها إلا نحوا من شهر.

واقرأ ما جاء عن وقعة (أبي فطرس) في معجم البلدان ٨: ٣٣٣.

(٣) الورقة لابن الجراح ١٢.." [1]

"عام تسعة وعشرين ومائتين وألف

محمد بن أحمد البوزيدي

في ليلة الأحد تاسع محرم توفي محمد بن أحمد البوزيدي الغماري الحسني. كان صوفيا مطلعا خيرا دينا من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي، له تأليف في علم التصوف وطريق القوم على طريقة الإملاء، لأنه كان أميا لا يحسن الكتابة. دفن ببلده وجعلت عليه قبة.

علي بن محمد ابن ريسون

وفي رابع جمادى الأخيرة توفي علي بن محمد-فتحا-ابن ريسون العلمي الحسني نزيل مدينة تطوان. الولي الصالح العالم العامل الشهير، صاحب المشهد الكبير بمدينة تطوان. كانت ولادته عام ثمانية وخمسين ومائة وألف. وهو الذي أسس الزاوية الريسونية بتطوان.

محمد بن المهدي مرينو

وفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية توفي محمد-فتحا-بن المهدي مرينو الرباطي. تقدمت وفاة والده عام ثمانية وثمانين ومائة وألف. كان عالما مشاركا مطلعا يعد في وقته من أكبر علماء الرباط. توفي ببلده.

الهادي بن عبد الواحد القادري

وفي رمضان توفي الهادي بن عبد الواحد القادري الحسني. كان مشاركا مدرسا فصيحا، دفن بزاويتهم برأس الجنان. ذكر الشيخ أبو الوليد العراقي أنه من أشياخه وأنه انتفع به.

الطيب بن محمد ابن رحمون

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٦/٢٤٨

وفي رمضان أيضا توفي الطيب بن محمد ابن رحمون العلمي الحسني، من علماء مدينة تطوان، وقيل إنه توفي قبل هذا.

العربي بن أحمد ابن سودة

وفي يوم الأحد عاشر شوال توفي العربي بن أحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة في حياة والده. له مشاركة تامة في جل العلوم، وله تآليف، منها شرح على الموطا لم يكمل؛ والمنح القدوسية في شرح الوظيفة الزروقية؛ ونهاية المنى والسول في حب آل الرسول؛ وفتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض الشيخ خليل؛ وتحقيق الأنباء فيما يتعلق بطاعون الوباء؛ والقول الكاشف في التحصيص والتقييد لنية الحالف؛ وتسهيل المطالب للطالب في الرد على من حرم سكر القالب؛ وحاشية على شرح المكودي للألفية، إلى غير ذلك من التآليف. دفن بزاوية جده بزقاق البغل.." (١)

"عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف

محمد مهيرز ابن الأشقر

في آخر ربيع الثاني توفي محمد بن عبد الكريم بن عبد السلام بن أبي جيدة المعروف بمهرز من أولاد ابن الأشقر، الزرهوني أصلا المكناسي مولدا الفاسي دارا وقرارا. علامة مشارك له بغية المرام فمن أخذت عنه من الأعلام، كان موقتا بمسجد الشرفاء.

محمد بن عبد السلام بناني

وفي ثامن عشر رجب توفي محمد–فتحا–بن عبد السلام بناني الآتي الترجمة بعد هذا العام، توفي بالقيروان حاجا. كذا رأيته مقيدا، وهو غير ابن عبد السلام بناني الشهير المتوفى عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

عبد الله بن أحمد العلوي

وفي يوم الأحد أول يوم من رمضان توفي المولى عبد الله بن أحمد بن السلطان المولى إسماعيل العلوي الحسني. كان علامة مشاركا، له تأليف سماه نزهة النفوس فيما يصلح للعريس والعروس، تكلم فيه على عوائد أهل فاس في أعراسهم.

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١١٢/١

محمد بن أحمد اللنجري

وفيه توفي محمد بن أحمد اللنجري الحسني. كان علامة صوفيا محققا.

محمد بن الشريف الواسطي

وفيه أو في الذي بعده توفي محمد بن الشريف الواسطي الجزائري، من أكبر أصحاب المولى العربي الدرقاوي الآتي الوفاة بعد. كان مشاركا مذاكرا قوي الحجة. وقد تدخل في الأمر بين أهل الجزائر. انظر تفصيل ذلك في كتاب تذكرة المحسنين.

حوادث

وفيه أيضا **كان الوباء بجميع** أنحاء المغرب، ويذكر أنه أخذ من مدينة طنجة نحو خمس سكانها.." (١)

"عبد الرحمان برادة

وفيه توفي عبد الرحمان برادة، من أولاد برادة المعروفين بفاس، من أكبر تلامذة الشيخ أحمد التجاني، وله شهرة عند مريدي هذه الطريقة وتعظيم واحترام، ودفن بروضة الشيخ ابن عمرو داخل باب عجيسة.

إبراهيم بن سليمان العلوي

وفيه توفي إبراهيم بن السلطان المولى سليمان العلوي في حياة والده. كان عالما مشاركا له اطلاع تام ووجاهة وخيارة.

عبد الخالق ابن إبراهيم

وفيه توفي عبد الخالق بن إبراهيم الأسفي الفقيه العلامة القاضي. توفي ببلده.

مبارك بن محمد الخميري

توفي مبارك بن محمد الخميري الدرقاوي طريقة، من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي أيضا، يشار إليه بالخير والصلاح، له أتباع وتعظيم واحترام.

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١٢٢/١

أحمد بن الشريف العلوي

وفيه توفي أحمد بن الشريف العلوي الحسني نزيل مراكش، كان وليا صالحا.

حوادث

انتشار الوباء بالمغرب

وفيه **كثر الوباء بالمغرب** حتى عم جميع المحلات ومات به خلق كثير.

انهزام المولى سليمان

وفيه وقعت الهزيمة الكبرى على محلة السلطان المولى سليمان من قبل البربر، وأخذ أسيرا بعد ما نهبوا محلته.." (١)

"عبد الله بن محمد العياشي

وفيه توفي عبد الله بن محمد بن حمزة بن أبي سالم العياشي كان خيرا دينا صالحا علي سنن أسلافه.

محمد بن محمد الفاسي

وفيه توفي محمد-فتحا-بن محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري. كان أستاذا مجودا مشاركا. دفن بالقباب وتقدمت وفاة والده عام أربعة عشر ومائتين وألف. بقى ذكره على صاحب السلوة.

عبد الله بن محمد الخياط

وفيه توفي عبد الله بن محمد الخياط به عرف السوسي التملي الأصل الروداني الدار. كان عالما مدرسا وليا صالحا يحفظ السبع مع توجيهاتها. أخذ عنه تلامذة نجباء، وهو من أكبر تلامذة الشيخ الحضيكي.

عبد الله الطاطائي

وفيه توفي عبد الله الطاطائي الروداني السوسي. كان عالما وجيها مباركا مشاركا، من تلامذة الشيخ الحضيكي.

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١/١٢٥

المكي السرغيني

وفيه توفي المكي السرغيني نزيل مراكش. كان عالما مشاركا كثير التدريس والإفادة والعبادة، وهو أحد تلامذة الشيخ الحضيكي.

علي بن يوسف ابن ناصر

وفيه توفي علي بن يوسف بن محمد الكبير بن الشيخ محمد–فتحا–ابن ناصر، العلامة الجليل. تقدمت وفاة والده عام سبعة وتسعين ومائة وألف. كانت له الرياسة على زواياهم في المغرب من وفاة والده إلى وفاته.

حوادث

شق العبيد والأوداية عصا الطاعة

وفيه شق العبيد والأوداية عصا الطاعة على السلطان المولى سليمان.

الوباء بالمغرب

وفيه كان في **المغرب الوباء المسمى** بالطاعون فمات به خلق كثير.." (١)

"بلعباس ابن صابر

وفيها أو قريب منها توفي بلعباس ابن صابر الفاسي دارا الهزميري أصلا من نسل الولي الشهير أبي يعزى يلنور، وهو جد أولاد ابن العباس المعروفين بفاس. الفقيه العلامة المشارك كان كاتبا مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثم مع ولده السلطان المولى سليمان.، وله في جمهرة التيجان.

محمد بن محمد الحكماوي

وفي هذه العشرة أو بعدها توفي محمد بن محمد الحكماوي الصنهاجي. كان كاتبا مع السلطان سيدي محمد ومع ولده المولى سليمان، وأخيرا قلده خطة إمارة السواحل وقبائلها وثغورها إلى أن توفي بمدينة طنجة وبها دفن.

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١٢٧/١

محمد بن علي الدليمي

وفيها توفي محمد بن علي الدليمي أصلا المراكشي دارا ومنشا، من أخص شيوخ المولى سليمان. كان فقيها نبيها مشاركا توفي بمراكش.

سعيد الواضلي

وفيها توفي سعيد السوسي الواضلي الفاسي دارا ومنشأ، الفقيه الأديب المشارك الحازم، توفي بها ودفن بالقباب، بقى ذكره على صاحب السلوة.

أحمد بن عبد الواحد الكتاني

وفيها توفي أحمد بن عبد الواحد الكتاني الحسني، له تأليف في الشعبة الكتانية، انظر الدليل.

عبد السلام ابن حليمة

وفيها توفي عبد السلام بن حليمة، رجل ظاهر الجذب والصلاح، دفن خارج باب عجيسة.

محمد ابن حماد المكناسي

وفي حدود هذا العام توفي محمد ابن حماد المكناسي الفقيه الأجل العلامة الولي الصالح الخير الذاكر، كان يسكن بواد رشاشة، دفن بباب الحمراء قرب واد الزيتون، بقى ذكره علي صاحب السلوة، أفاد ذلك صاحب الروض الطيب العرف.

حوادث

مطر غزير بفاس هدم الدور وقتل طائفة من السكان

في عشية رابع صفر نزل المطر الغزير وسالت الأودية من كل جانب، وكثر الماء بواد فاس وذلك بعد العشاء، فأغرق ما يليه من الدور وغيرها، وكثر الهدم ومات عدد كثير من الناس وانقطع المطر بعد ذلك، وبسببه **كان الغلاء المفرط**.." (١)

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثـالـث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١٣٨/١

"عبد المالك ابن بيهى الحاحي

وفي هذه العشرة أو قريب منها توفي عبد المالك بن بيهي الحاحي عامل قيادة سوس ومدينة الصويرة، بقى على ذلك مدة إلى أن وقع إعفاؤه عام أحد عشر ومائتين وألف. كان أستاذا في علم القراءات مع الدين المتين والعمل الصالح، بقى على حاله إلى أن توفي عن نحو مائة سنة في بوترارت من بلاد حاحة وأقبر بضريح سيدي أحمد بن حامد، ثم نقل إلى داخل قبة سيدي مكدول بمدينة الصويرة أفاد ذلك في كتاب إيقاظ السريرة (ص.٥٢).

محمد بن إبراهيم الزداعي

وفي هذه العشرة أو قريب منها توفي محمد بن إبراهيم الزداعي المراكشي الفقيه العلامة المشارك، كان متصلا بالمولى سليمان وحج مع ولده المولى إبراهيم، وتذاكر مع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في الحجاز واقتنع بآرائه، ولما أتى إلى المغرب صار ينشر المذهب الوهابي، فكان العلماء ينسبونه إلى الانحراف في الدين. توفي ببلده مراكش.

حوادث

استبدال بعض القضاة بفاس

في رابع صفر عزل الشيخ علي التسولي عن القضاء بفاس وتولى مكانه الشيخ عبد الهادي بن عبد الله العلوي الحسني مرة ثانية وبقى إلى أن توفي عام اثنين وسبعين ومائتين وألف كما ياتي.

ظهور الوباء بالمغرب

وفي يوم الثلاثاء مهل رجب ظهر بجميع أنحاء المغرب المرض المسمى بالوباء–أعاذنا الله منه–، وكان على أنواع منهم من يصيبهم في رجله ثم يصير إلى قلبه يموت، ومنهم من يصيبه في رأسه ثم يصير إلى قلبه فيموت.

منع اليهود من بناء حمام بحارتهم

وفي هذا السنة رام اليهود سكان الملاح بفاس الجديد أن يبنوا حماما بحارتهم ورفعوا طلبهم إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، فأصدر أمره لعلماء الوقت بالإفتاء في ذلك، فأفتوا بأنه لا يمكنهم من ذلك

وأنه لا نص في المسألة ولكن الظواهر والتعليقات تشير إلى المنع. فممن أفتى بذلك القاضي مولاي عبد الهادي العلوي والسيد علي التسولي والسيد محمد السوسي والسيد عبد القادر الكوهن وسيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي وسيدي بدر الدين الحمومي وسيدي عبد السلام بوغالب وسيدي عبد الواحد ابن سودة وأبو عبد الله محمد الشفشاوني وأبو العباس أحمد المريي وأبو زيد عبد الرحمان الحلو وسيدي العربي الزرهوني. وهذا الأخير رجع وكتب أوراقا بالإباحة وبعث بها إلى السلطان فردها إلى العلماء." (١)

"عام أحد وخمسين ومائتين وألف

المختار بن عبد المالك الجامعي

في يوم الخميس ثاني وعشرى محرم توفي محمد المختار بن عبد المالك الجامعي الوزير، من أولاد جامع القبيلة الشهيرة قرب فاس، وهو الجد الجامع للوزراء. كان وزير السلطان المولى عبد الرحمان إلى وفاته، فقيها عالما أديبا مشاركا حازما ضابطا مطلعا شهيرا. واستوزر السلطان المولى عبد الرحمان بعده الفقيه محمد بن علي الحاجي النكنافي مدة يسيره ثم أخر عنها ورجع الوزير ابن إدريس.

توفي الجامعي في هذه السنة. وكان فقيها أديبا شاعرا رأيت له عدة مقطعات في مدح باشا مدينة فاس الطيب البياز.

محمد ابن مرزوق

وفيه توفي محمد بن مرزوق (٩) الولي الصالح العارف الكبير، البركة الشيخ الشهير، لم أقف على نسبه وأصله، له كرامات، وخوارق عادات، دفن بمدينة أصيلة، وبنيت عليه قبة يزار بها.

صالح بن أحمد الحكمي

وفي ربيع الثاني توفي بالوباء صالح بن أحمد الحكمي الرباطي. تقدمت وفاة والده عام ستة وعشرين ومائتين وألف. كان علامة مشاركا شاعرا مجيدا، تولى قضاء مكناس مدة، والرباط مرارا، وكان متوليا القضاء عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف، له مساجلات وأشعار مع أقرانه. توفي ببلده (١٠).

عبد الرحمان ابن مخلوف

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١/١٥٦

وفيه توفي عبد الرحمان ابن مخلوف، من أولاد ابن مخلوف المعروفين بفاس، كان من أصحاب الجد المهدي ابن سودة، ذكره في تقييده ولم أقف له على ترجمة. توفي بالرباط.

---

(٩) في الأصل: محمد زروق، والتصحيح من تذكرة المحسنين لأن مؤلفها معاصر للمترجم ويتحدث عنه بجزم ويقين.

(١٠) تقدمت وفاته في تذكرة المحسنين في العام السابق، ولعله الصحيح، **لأن الوباء كان** في السنة الماضية–كما تقدم–.." (١)

"للمرة الثانية ودفن بجدة. تقدمت وفاة والده عام سبعة وستين ومائتين وألف. له كناشة حافله ذكرها له صاحب مبيضة الروض الطيب العرف.

محمد بن عمر كراشط

وفيه توفي محمد بن عمر كراشط الرباطي، العلامة المشارك، توفي ببلده.

عبد الكريم بن محمد الحاحي التامري

وفيه توفي عبد الكريم بن محمد الحاحي التامري القرقاوي نزيل مدينة الصويرة مطعونا.

العلامة المشارك المدرس. كان خطيبا بجامعها العتيق، وأخيرا ولي قضاء بلاد حاحة إلى أن توفي. له ترجمة في كتاب إيقاظ السريرة.

حوادث

انحباس المطر وارتفاع الأسعار

وفي هذه السنة حبس المطر عن المغرب، وارتفعت الأسعار، وبلغ ثمن المد من القمح أربعة عشر مثقالا، وما زال يضرب المثل بتلك السنة يقال عام أربعة عشر مثقالا، وانتشر من أجل **ذلك الوباء بجميع** أنحاء المغرب من أوائل رجب، إلى أواخر قعدة عامه ومات بسبب ذلك خلق كثير، وحصل للناس شدة.

انعقاد مؤتمر بطنجة في شأن المحميين

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١٦٢/١

وفيه انعقد مؤتمر بمدينة طنجة لجعل حد للمدعين الحماية بالمغرب من طرف بعض دول أوربا، فكان ذلك النواة الأولى للاستيلاء على المغرب.." (١)

"والعلوم الحربية الوقتية. وممن استفاد منه العلامة المولى إدريس بن الطايع العلوي البلغيثي الآتي الوفاة عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف. وكان يسطر الرخامات لأوقات الصلاة. توفي بفاس في التاريخ المذكور، ودفن بمقبرة باب المحروق. له ترجمة في كتاب الإعلام بقى ذكره على صاحب السلوة.

الحسن الشريف المراكشي

وفيه توفي الحسن الشريف المراكشي، الفقيه الفاضل المحب الناسك المتبتل الأستاذ المجود.
قدم إلى فاس عام تسعين ومائتين وألف، وبقى معتكفا بمسجد الأبارين إلى أن توفي به أواسط شعبان عامه، ودفن بالقباب. بقى ذكره أيضا على صاحب السلوة.

محمد بن عبد الرحمان التادلي

وفيه توفي محمد بن عبد الرحمان التادلي الرباطي. كان أستاذا أديبا مشاركا توفي ببلده الرباط.

محمد بن العباس التركي

وفيه توفي محمد بن العباس التركي الرباطي، كان يعد من طلبة أهل الرباط وبه توفي.

حوادث

رجوع القاضي محمد العلوي المدغري إلى عمله بمقصورة السماط بفاس

وفي خامس وعشري محرم المذكور جلس محمد-فتحا-بن عبد الرحمان العلوي المدغري بمقصورة السماط لكونه كان غائبا عن هذه الحضرة وكان ترك نائبا عنه أحمد بن عبد الرحمان السجلماسي.

سفر السلطان الحسن الأول من مراكش إلى دكالة

وفي يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى سافر مولانا الحسن من مراكش على طريق دكالة.

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ١/٢٦٥

الحمى الوبائية بفاس

ومن خط بعض العلماء: في أوائل ربيع الأول كانت الحمى الوبائية بفاس -أمنها الله بمنه- ومات بذلك خلق كثير دون إحصاء.

انتشار الوباء ومسرد بأسماء بعض المتوفين به من علماء الصويرة وحاحة

عم الوباء جميع أنحاء المغرب وذكر صاحب كتاب إيقاظ السريرة (١٠٩:١) أنه توفي في مدينة الصويرة ونواحيها بسبب الوباء المذكور هذه السنة عدد من علماء هذه الناحية قائلا:

"توفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف بثغر الصويرة ونواحيها ومن حاحة ما ياتي:." [1]

"إدريس البدليسي (٠٠٠ - ٩٣٠ هـ (١)) (٠٠٠ - ١٥٢٤ م) ادريس بن حسام الدين علي البدليسي.

عالم مشارك في انواع من العلوم.

توجه من القسطنطينية إلى نحو الاسكندرية بطريق البحر، فحج، ولما دخل الشام، سمع ان بمصر نازلة الوباء، فامتنع من الدخول إليها،

وسافر في البحر إلى القسطنطينية، فأنكر عليه جمع من العلماء بدمشق وحلب، فصنف رسالة في الطاعون وجواز الفرار عنه وسماها الاباء عن مواقع الوباء، وله رسالة في النفس، والحق اليقين في الحق المبين في الكلام.

(ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ٨٤٠، ٨٤١، ٨٧٦، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٤١٠ ، ٦٨٠ ، ٦٧٩ g :, Brockelmann , Catalogue of arabic manus :Mingana 322 :cripts - II

ادريس الموصلي (القرن السادس الهجري) (القرن الثاني عشر الميلادي) ادريس بن سالم بن محمد الموصلي.

من علماء الشيعة.

صنف المنهاج في الامامة، وشرح قصيدة الحميري.

(ط) ابن حجر: لسان الميزان ١: ٣٣٣، العاملي: أعيان الشيعة ١٠: ٤٣٦

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ٢٧٠/١

(١) تقريبا.

وفي الكشف: ٩٢٧ هـ." (١)

"اديب، لغوي.

اخذ عن ابي العلاء المعري الادب واللغة بمعرة النعمان، وكان متصدرا للافادة بالري سنة ٤٤٠ هـ.

صنف كتابين؟ في الرد على ابن جني في شرح شعر المتنبي، أحدهما: الفتح على أبي الفتح، والآخر التجني على ابن جني، وله شعر.

(ط) القفطي: انباه الرواة ١: ٣٣٤، ٣٣٥.

حمد الباسل (١٢٨٨ - ١٣٥٨ هـ) (١٨٧١ - ١٩٤٠ م) حمد بن محمود بن محمد الباسل.

من رجال النفوذ والسياسة.

يحسن الفرنسية والانجليزية اشترك في الحركة الوطنية المصرية، وتولى

وكالة حزب الوفد المصري، وتوفي بالقاهرة ودفن بالفيوم.

من آثاره: نهج البداوة.

(ط) مجاهد: الاعلام الشرقية ١: ١٣٨، ١٣٩، الزركلي: الاعلام ٢: ٣٠٤ حمدان الجزائري (كان حيا ١٢٥٢ هـ) (١٨٣٦ م) حمدان بن عثمان خواجه الجزائري، الحنفي فاضل.

توفي بالقسطنطينية.

من آثاره: حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الامكان ابدع، واتحاف المنصفين والادباء بمباحث الاحتراز **عن الوباء فرغ** منه سنة ١٢٥٢ هـ.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) البغدادي: هدية العارفين ١: ٣٣٥، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٢٠، ٤١٤ حمدان مصطفى (كان حيا قبل ١٣٢٥ هـ) (١٩٠٧ م) حمدان مصطفى.

من متخرجي دار العلوم بالقاهرة.

له جداول البلاغة والتبيان في الفصاحة والبلاغة وعلم البيان طبعت بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ.

(ط) فهرس دار الكتب المصرية ٢: ٢٥٨

حمدان الصبيحي (٠٠٠ - ٢٦٥ هـ) (٠٠٠ - ٨٧٩ م) حمدان بن المعافا الصبيحي، الكوفي، الشيعي (أبو جعفر) له شرائع الايمان.

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢/٢١٧

(ط) البغدادي: ايضاح المكنون ٢: ٤٣ حمدالله شمس الدين (٠٠٠ - ٩٠٩ هـ) (٠٠٠ - ١٥٠٣ م)

حمد الله بن آق شمس الدين محمد.

له نظم القيامة للامام الشافعي.

(ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٣٦٧ حمدالله خير الدين (حوالى ٩٤٨ هـ) (١٥٤١ م) حمد الله بن خير الدين.

عالم.

من آثاره: عمدة العرفان، وسيلة الاتقان في شرح رسوخ اللسان، ومولد النبي.

(ط) ٦٥٠: Brockelmann: s , II." [١]

"(خ) عن حسين علي محفوظ (ط) العاملي: اعيان الشيعة، ٤٢، ٤٠ علي الحكيم (١٢٠٠ - ١٣٠٠ هـ) (١٧٨٦ - ١٨٨٣ م)

علي بن محمد الحسيني، الشهير بالحكيم.

عالم، مشارك في الطب وغيره.

ولد وتوفي بالنجف.

من مؤلفاته الكثيرة (٢) : رسالة **في الوباء والطاعون**، حواش على كليات التفسير، حواش على خلاصة الحساب، شرح على التجريد، وذيل على السلافة لابن معصوم.

(ط) العاملي: اعيان الشيعة ٤٢: ٤٤ علي حناوي (٩١٨ (٣) - ٩٧٩ هـ) (١٥١٢ - ١٥٧١ م) علي بن محمد حناوي زاده (٤) (علاء الدين) عالم مشارك في بعض العلوم.

ولد في اسپارسة من لواء حميد، وولي القضاء بعسكر آنا طولي وتوفي بادرنة.

من تصانيفه: حاشية على شرح

---

(٢) ذكر العاملي له ١٧ مؤلفا (٣) وفي هدية العارفين: ٩١٦ هـ (٤) العقد المنظوم.

وفي كشف الظنون: علي بن امر الله الحنائي.

وفي هدية العارفين: علي جلبي بن امر الله بن عبد القادر الحميدي، الرومي، الشهير بابن الحنائي." [٢]

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤/٧٥

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٧/١٩٣

"كتاب في تراجم من دفن في بغداد وضواحيها من الاولياء والصالحين، الاجوبة البندنيجية على الاسئلة الهندية، وله نظم ونثر.
(ط) الآلوسي: المسك الاذفر ١: ١٣٠ - ١٣٢، شيخو: الآداب العربية ٩٨، الزركلي: الاعلام ٥: ٢٩٧
عيسى الموصلي (القرن الحادي عشر الهجري) (القرن السابع عشر الميلادي) عيسى الموصلي، الهزار، السرياني الكاثوليكي.
فاضل.
من آثاره: مدائح وزجليات وأغاني تقوية وأدبية.
(ط) شيخو: المخطوطات العربية ٢١٠ عيسى الموصلي (..- ١١٥٦ هـ) (..- ١٧٤٣ م) عيسى الموصلي، اليعقوبي.
مطران.
ولد في جرجان، ونشأ وتعلم ببغداد، وسكن خراسان فتقدم عند سلطانها.
من آثاره: جرجس الثاني واسحاق، سيرة البطريركيين، وله بعض الزجليات.
(ط) شيخو: المخطوطات العربية ١٥١ عيسى الناشري (..- ٢٢٠ هـ) (..- ٨٣٥ م) عيسى بن هشام الناشري، الاسدي (أبو الفضل) محدث كثير الرواية.
توفي سنة ٢٢٠ هـ
أو قبلها بسنة.
له كتاب النوادر.
(ط) الطوسي: الفهرست ١٢١ عيسى الاقسرائي (كان حيا ٧٢٧ هـ) (١٣٢٧ م) عيسى بن يحيى الاقسرائي.
فاضل.
من آثاره: فضل الجهاد وتعليم الفروسية.
(ط) ٣٢٧: Brockelmann: s , II عيسى المسيحي (... - ٣٩٠ هـ) (١) (..- ١٠٠٠ م) عيسى بن يحيى الجرجاني، المسيحي (أبو سهل) طبيب، حكيم، حسن الخط، متقن للعربية.
توفي وله من العمر اربعون سنة.
من تصانيفه: اظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان، كتاب في العلم الطبيعي، كفاية الطب الكلي،

كتاب في الوباء، وكتاب تعبير الرؤيا.

(ط) ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء ١: ٣٢٧، ٣٢٨، حاجي خليفة: كشف الظنون ٤١٦، ١٤٩٨، ١٥٧٦، شيخو: المخطوطات العربية ٢١، البغدادي: هدية العارفين ١: ٨٠٦،

---

(١) بروكلمان والمخطوطات لشيخو.

وفي مجلة الحكمة: توفي بين ٩٨٧ و ١٠٠١ م.

وفي

هدية العارفين: توفي ببغداد سنة ٤٠١ هـ." [١]

"رساله في قاعدة الطهارة، ورسالة في قاعدة الضرر والضرار.

(ط) العاملي: اعيان الشيعة ٤٢: ٢٥٧ - ٢٥٩، الزركلي: الاعلام ٥: ٣٣٣، ٣٣٤.

فتح الله الاصبهاني (..- ٩١٠ هـ) (..- ١٥٠٤ م) فتح الله بن محمد بن العباس الاصبهاني، اليمني، نزيل زبيد.

محدث.

توفي في حدود سنة ٩١٠ هـ.

من آثاره: عقد اللآلي في شرح العوالي في الحديث.

(ط) البغدادي: هدية العارفين ١: ٨١٥ فتح الله البيلوني (٩٧٧ - ١٠٤٢ هـ) (١٥٧٠ - ١٦٣٢ م) فتح الله بن محمود بن محمد الحسن الحلبي، العمري، الانصاري، الشافعي، المعروف بالبيلوني.

عالم، اديب، شاعر.

ولد في رمضان، وتوفي بحلب، من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، الفتح المسوي في شرح عقيدة الشيخ علوان الحموي، خلاصة ما يعول عليه السامعون في ادوية **دفع الوباء والطاعون**، التحفة الملتذة في تحقيق الالم واللذة، وديوان شعر (خ) فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) ابن معصوم: سلافة العصر ٩٨3، ٣٩٩، راغب الطباخ: اعلام النبلاء ٦: ٢٣٩ - ٢٤٥، البغدادي: هدية العارفين ١: ٨١٥، فهرست الخديوية ٧ / ١: ٤ فهرس التيمورية ٢: ١٠٥، ٣: ٤٤، فهرس دار الكتب المصرية ٣: ١٢٣، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ١٤٠، ٢: ١٧٣ ٣٨٥: Brockelmann: g , II: 472 , s , II فتح الله المراش

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٣٥/٨

(كان حيا ١٢٦٥ هـ)

(١٨٤٩ م) فتح الله المراش، الحلبي.

اديب، شاعر، مشارك في بعض العلوم.

من آثاره: كتاب في انبثاق الروح القدس فرغ من تأليفه سنة ١٨٤٩ م، ديوان شعر، مشهد الاحوال في الادب المنظوم والمنثور، شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة، وغاية الحق في تفصيل الاخلاق الفاضلة وأضدادها.

(ط) شيخو: الآداب العربية ٢: ٤٠، ٤١، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٤٨١، ٥٥٠، ٢: ٦١، ١٣٩، ٤٥٨، ٤٨٩، فهرس دار الكتب المصرية ٧: ١٨٧، ٢٢٢ فتح الله الشيرازي (..- ١٠٩٨ هـ) (..- ١٦٨٧ م) فتح الله بن هبة الله بن عطاء الله الحسيني، الحسني، الشاهي، الشيرازي (كمال الدين)." (١)

"هداية المسترشدين في الرد على النصارى، وجامع المواعظ.

(ط) آغا بزرك: أعلام الشيعة ١: ٢٥٣، البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٩٢، الزركلي: الاعلام ٦: ٢٨٨، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٣٣٧، ٣٥١، ٥٦٣، ٥٦٥، ٢: ١٨، ٧٢١ محمد الشهرستاني (١٢١٣ - ١٣٠٧ هـ) (١٧٩٩ - ١٨٩٠ م) محمد تقي بن محمد حسين بن محمد اسماعيل الحسيني، المرعشي، الشهير بالشهرستاني.

فقيه، أصولي.

توفي في

٢٨ ذي الحجة.

من تصانيفه: ذخيرة المعاد.

محمد التبريزي (٠٠٠ - ١١٢٠ هـ) (٠٠٠ - ١٧٠٨ م) محمد تقي بن محمد صالح الحسيني، التبريزي، الاصفهاني.

فاضل.

من آثاره: رسالة في محاسبة النفس.

عن حسين علي محفوظ محمد المجلسي (٠٠٠ - ١١٥٩ هـ) (٠٠٠ - ١٧٤٦ م) محمد تقي بن محمد كاظم بن عزيز الله ابن محمد تقي المجلسي، الاصفهاني.

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٥٣/٨

فاضل.

توفي في شعبان.

له عدة رسائل.

(ط) العاملي: أعيان الشيعة ٤٤: ١٣٦، عباس قمي: فوائد الرضوية ٤٣٩ محمد الاحمدي (٥٠٠ - ١٢٥١ هـ) (٠٠٠ - ١٨٣٥ م) محمد تقي بن محمد الشهير بملا كتاب الاحمدي، البياتي، النجفي.

فقيه، اصولي.

توفي قبل سنة ١٢٥١ هـ.

من تصانيفه: الدلائل الباهرة في فقه العترة الطاهرة.

(ط) اغا بزرك: أعلام الشيعة ٢: ٢٢٥، ٢٢٦.

محمد النوري (٠٠٠ - ١٢٧٣ هـ) (٠٠٠ - ١٨٥٧ م) محمد تقي بن محمد هادي النوري.

فاضل.

توفي بعد سنة ١٢٧٣.

من تصانيفه: الرسالة الشهابية في علاج الوباء.

(ط) اغا بزرك: أعلام الشيعة ٢: ٢٣١، ٢٣٢.

محمد الميثمي (٠٠٠ - ١٣٢٥ هـ) (٠٠٠ - ١٩٠٧ م) محمد تقي بن محمود الميثمي، العراقي النجفي، الطهراني.

خطيب، واعظ،." (١)

"اديب.

من آثاره: خلاصة ما يحصل عليه الساعون في ادوية **دفع الوباء والطاعون**، مختصر رحلة ابن بطوطة، وديوان شعر.

(ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ٧١٩، فهرس التيمورية ٣: ٤٤ ٤٦ Arabic manuscripts in the princeton محمد السجلماسي (٠٠٠ - ١١٩٧ هـ) (٠٠٠ - ١٧٨٢ م) محمد فتحا بن احمد بن محمد بن عبد العزيز الحسني، العلوي، السجلماسي (أبو عبد الله) من القضاة.

تولى قضاء مدغرة.

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١٣٦/٩

من آثاره: ثبت، نظم رسالة السمرقندي في الاستعارات، ثم شرحها.

(ط) الكتاني: فهرس الفهارس ٢: ٣٨١، ٣٨٢، ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب ٣٥٩ محمد الفاسي (٠٠٠ - ١١٧٩ هـ) (٠٠٠ - ١٧٦٥ م) محمد فتحا بن احمد بن محمد فتحا بن عبد القادر الفاسي، الفهري (أبو عبد الله) فاضل.

من آثاره: مصنف في اشراف المغرب وغيرهم.

(ط) ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب ٩٦، ٩٧." (١)

"وتحمل دينا آخر تريد أن تبسطه على الجزيرة (١) . وتختلف المصادر في عدد الجيش الذي خرج مع أسد، ولكنها تتفق في أنه كان مكونا من أشرف أفريقية من العرب والجند ؟ ومعظمهم من الفرس الخراسانيين (٢) ؟ وأسد واحد منهم ؟ ومن البربر والأندلسيين وأهل العلم والبصائر (٣) ولم يرتح أسد لاشتراك فيمى وأصحابه معه في القتال، فأمرهم أن يعتزلوا المسلمين (٤) ، واستطاع ؟ في وقت قصير ؟ أن يستولي على عدة حصون بينها مازر، وأن يغنم غنائم كثيرة، غير أنه عاد فوقع في خطأ من جاءوا قبله، حين حاول فتح سرقوسة. حقا إنه استطاع أن يضيق عليها ويحرق مراكبها ويقتل جماعة من أهلها، مستعينا بأمداد من أفريقية والأندلس (٥) ، ولكن اسطولا من القسطنطينية وصل لنجدتها **وكان الوباء قد** تفشى في المسلمين وهلك من جرائه كثيرون فيهم أسد نفسه (٦) . وكان أسد قد ترك في كل حصن استولى عليه حامية تضبطه فقل عدد جيشه. ولما رأى المسلمون **شدة الوباء نزلوا** في مراكبهم فمنعهم الروم من الخروج، وعندئذ أحرق المسلمون مراكبهم، ورحلوا إلى مدينة ميناو mineoفحصروها ثلاثة أيام وتسلموا الحصن (٧) .

ونستطيع أن نجمل القول بأن الفتح العربي كما دون في كتاب التاريخ غير ملطف بجو اسطوري، أو مزوق بشيء من التهويل، ولكنه على واقعيته التي يتسم بها يكاد يبلغ حد المغالاة في تصوير المثابرة والنفور من الاستسلام،

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١١٧/١١

(١) أول من أشار إلى الفكرة المؤرخ grote ثم اعتنقها freeman وأسهب في بيانها. انظر الفصل الأول من كتابه hist المجلد الأول.

(٢) amari، vol. m .d .s، ip394

(٣) ابن عذاري في في المكتبة: ٣٥٥.

(٤) ابن الأثير ١٣٧/٦ والمكتبة:٢٢٢ وأمرهم أسد أن يجعلوا على رءوسهم سيما يعرفون بها ليلا (انظر المكتبة ١٨٥ عن رياض النفوس).

(٥) ابن عذاري في المكتبة: ٣٥٥.

(٦) يقول ابن خلدون إنه دفن في بلرم والنص يفيد أن بلرم كانت قد فتحت وهو نص غريب، إذ يقول بعد قليل أن بلرم فتحت بالأمان سنة ٢١٧ (انظر المكتبة: ٤٦٧).

(٧) ابن الأثير ١٣٨/٦ والمكتبة: ٢٢٣.." [١]

"ولأهمية موقعها، فأعدوا لحصارها خمسين سفينة جمعها جسكارد Guiscard من باري ومدن أبولية وتقدم بها من البحر، بينما سار إليها رجار من البر في جييش عدده ثمانية عشر ألفا. وصب الأسطول على مينائها وأحاط بها الجيش البري إحاطة تامة، وظلت المدينة تقاوم الحصار مدة خمسة أشهر كان السكان في أثنائها شديدي الثقة بأنفسهم، حتى كانوا يأبون أن يغلقوا أبواب مدينتهم (١) . غير أن المؤن قلت فانتشرت بينهم **المجاعة** والوباء لكثرة الجثث التي تركت بالعراء دون دفن (٢) . وشدد الأسطول الحصار وكان معظم السكان لجأوا إلى الميناء وأغلقوه بالسلاسل. غير أن **الجوع الوباء والتعب** جميعا كسرت من شرتهم، فوقعت الخالصة أولا في أيدي الأعداء فدخلوا ينهبون ويذبحون السباب ويفرقون الأطفال فيما بينهم ليبيعوهم عبيدا (٣) . ومع أن البلرميين كانوا يرون قدم المصيبة يطأ رقابهم فإنهم لم يكفوا عن الاختلاف والتناجر، وعجل اختلافهم وتناحرهم بسقوط المدينة القديمة بعد الخالصة، ودخلها رجار ووراءه فرسانه، واستولى على مسجدها وحوله إلى كنيسة.

وسلمت مازر لما رأت ما حل ببلرم، وانتهى الدور الأول من الفتح حين سقطت عاصمة الكلبيين سنة ٤٦٤هـ - ١٠٧٢م وظل النورمان عشرين سنة حتى تم لهم الاستيلاء على الجزيرة كلها، ولم يكونوا قد ملكوا في هذا الدور الأول إلا بلرم ومازر ومسينة وقطانية ولكنهم باستيلائهم على هذه المنطقة أحاطوا بما تبقى للأمراء المسلمين في سرقوسة وطرابنش وجرجنت وقصريانة (٤) .

---

(١) العرب في صقلية، ص/٣٤

أما سرقوسة فقام فيها رجل اسمه Benavert (ابن عباد) (٥) ونظم المقاومة

---

(١) Freeman؛ Hist. Essays، 3rd scries، P. 453

(٢) Amari؛ cp. Cit. P. 124

(٣) Amari؛ S.D.M. VOL، 3 P. 130

(٤) Amari؛ S.D.M. VOL، 3 P. 153

(٥) هذا هو اسمه عند ملاترا ولا تذكره المصادر العربية، وقد كان أماري يظن أنه هو ابن بريده الذي يمدحه ابن حمديس ثم عدل عن رأيه ومن العجيب أن ابن حمديس لا يذكره على شدة العلاقة بين قصائده وأعمال البطولة الأخيرة في سرقوسة.." (١)

"هجرة العلم والشعر إجمالا

في خلال السنوات الثلاثين التي تم فيها الفتح حدث أول أثر مباشر في الحياة العقلية والأدبية بالجزيرة فإن عددا كبيرا من العلماء والأدباء والصالحين غادر الجزيرة على دفعات – بعضهم فر فزعا من أول هجوم، فخرجوا كما خرج ابن الصفار " فارين بمهجهم تاركين لكل ما ملكت أيديهم " ، وبعضهم هاجر حين رجع أسطول ابني تميم ويئسوا من صلاح الأمر بعد فساده، وبعضهم تسلل من بعد، حين سنحت له الفرصة. ولا شك في أن الحرب نفسها قد قضت على بعضهم فقتلوا أو ماتوا وخاصة لما **انتشر الوباء في** بلرم، وفريق منهم آثر الإقامة في بلده (١) .

واختلفت وجهات المهاجرين فذهب جماعة إلى الأندلس ولكن أكثرهم حل في شمال إفريقية ووصل كثيرون إلى مصر. ولا شك في أن كثيرا من الذين توجهوا إلى المشرق كانوا يضعون نصب أعيهم حقيقتين بارزتين، أولهما أن صقلية كانت ذات يوم ولاية تدين بالتبعية لمصر، وثانيهما أن مكة كانت مهوى أفئدتهم، ولا يستغرب أن تكون الدوافع الدينية هي التي دفعت بكثير منهم في ذلك الاتجاه، حتى لقد جاور بعضهم في مكة في ظل الدين الذي كان يفيء على حياة المسلمين جميعا، وتمحي في رحابه الحدود الجغرافية. وعاش الصقليون في خارج بلدهم يتابعون تلك الدراسات التي كانوا قد قطعوا فيها مرحلة طويلة، وأنشأوا لهم مدارس أدبية وفقهية ولغوية أينما حلوا (٢) ، فامتاز الصقليون في مصر بجهودهم في النحو واللغة والقراءات في كل من الإسكندرية والقاهرة، وتمتاز هذه

---

(١) العرب في صقلية، ص/١٣١

(١) Amari: S. D. M. vol، 3، p. 169.

(٢) ليس من منهج البحث أن أتناول بالدرس جهود هذه المدارس الصقلية في الخارج بالتفصيل، وهذا القدر هو الذي يتمشى مع الكيان العام للمنهج.." (١)

"ولما خرب السد وخرج عمرو بن عامر مزيقياء في ولده وولد ولد وعدة من قبائل قومه من مأرب متوجهين إلى البلاد يرتادون أرضا تحملهم أو بلدا يمنعهم فنزلوا بلاد عك مجتازين. وكان رئيس عك يومئذ شملقة بن الجباب. فسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام عنده حتى يأمروا من يرتاد لهم منزلا ينزلونه. ووجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده وهم الحرث بن عمرو بن عامر ومالك بن عمرو وحارثة بن عمرو بأرض عك قبل أن يرجع إليه أحد رواده فاستخلف ابنه ثعلبه العنقاء وهو جد الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر. فتقلد ما كان يتقلده آباؤه من حفظ المملكة وسد الثغور. ولما توفي عمرو بن عامر كما ذكرنا وقع الوباء في قومه بعده واشتد عليهم الأمر فأرسلوا إلى عك وقالوا لهم أن هذا الموضع الذي انتم فيه لمقامنا عندكم ونحن سائرون عنكم عن قريب. فكرهت عك ذلك فهاجت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا واستمر القتل في عك وقتل شملقة ابن الجباب غيلة وكان الذي تولى حربهم وقتالهم جذع بن سنان وكان شجاعا مقداما فتاكا. وكان أعور أصم كثير الكيد عظيم المكر شيطانا من شياطين العرب. وكان ثعلبة العنقاء كارها لذلك من فعله فحلف أن لا يقيم هنالك. فلم يزالوا سائرين حتى صاروا قريبا من مكة. وكان سكان مكة يومئذ جرهم. فأرسل ثعلبة العنقاء رسلا إلى جرهم فسألهم أن يأذنوا لهم في المقام عندهم فأبوا عليهم فاقتتلوا وظفرت بهم الأزد فأجلوهم عن مكة ووليت خزاعة البيت دهرا طويلا نحو من ثلاثمائة سنة.." (٢)

"وفيها توفي الفقيه الصالح أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن سلمة الحبيشي الوصابي. وكان ذا علم وعمل وزهد وله الشهرة في التعبد والصلاح وكان قد تفقه بالفقيه إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل المازني وعلى غيره من العلماء. وتولى القضاء في ناحية وصاب. ولم يزل على الطريقة المثلى إلى أن توفي يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الأخرى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. وفيها توفي الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن علي بن جبير. وكان فقيها عارفا محققا ولد في شهر ربيع

(١) العرب في صقلية، ص/٢٢٧

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ص/٥

الآخر من سنة ثلاث وستين وستمائة وتفقه في بدايته بخاله الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الأصبحي ثم الإمام محمد بن علي ابن أحمد الأصبحي ثم الفقيه صالح بن عمر ثم بفقهاء تعز كابن صفي وابن النحوي ثم ارتحل إلى عدن فأخذ بها عن أبي العباس القزويني وعن أبي العباس بن الحواري. وأخذ صحيح مسلم عن التاجر المعروف بالشهاب صقر البكربتي لعلو سنده فيه. ثم رجع إلى بلده ودرس في المدرسة الجديدة بالحميراء في مدينة تعز. وكانت وفاته في شهر محرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفي سنة اثنتين وسبعمائة جهز السلطان الملك المؤيد رحمه الله الشريف إدريس بن علي فاخرب الجاهلية ورجانة وجهز الأمير شمس الدين عباس بن محمد إلى جبل جشم فأخرب زورعهم. وكان السلطان رحمه الله قد قض رهائن الأشراف حين أراد النهوض من محطة ورور وهم الأميران محمد بن أحمد بن القاسم وأخوه الأمير داود بن أحمد بن القسم والشيخ علي بن دحروج وولده وولد القاضي أحمد الذماري. وجهز الفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجنيد لقبض تلمص. وصدر معه الأشراف رسولا منهم كما ذكرنا. فامتنع أيهل الحصن من تسليمه وسلموه إلى الشريف أبي سلطان فسار الشريف شكر إلى الأشراف بظفار لتمام ما قد قيدوه من تسليم حصن تلمص فأقام عندهم أياما. ثم وصل كتابه بطلب وصول الأمير محمد بن حاتم فسيره السلطان إليهم. وفي خلال ذلك وصل الأمير سيف الدين طغريل من أقطاعه بلحج فاقطعه السلطان صنعاء وذلك في النصف الثاني من صفر. وأقام الأمير شكر والأمير محمد بن حاتم أياما بظفار. ثم عاد إلى السلطان بذمة ستة أشهر على رهائن أخر بذلها الأشراف. وطال الحديث في ذلك فغضب السلطان غضبا شديدا وجهر الأمير سيف الدين طغريل والأمير بن وهاس فحطوا في ورور ومعهم الشيخ محمد بن علي دحروج في الترسيم وقد اظهر الخدمة والنصيحة وتكفل للسلطان بأخذ ظفار في ثمانية أيام. فلما صاروا في ورور صدروا جيشا فلزموا القنة وشرعوا في عمارتها وأقامت المحطة بورور. ووقع في البلاد قحط شديد فبلغ الزيدي في المحطة أربعة دنانير واكثر من ذلك. وخلا كثير من البلاد من أهلها وماتوا جوعا وابتيعت الأطيان بأرخص الأثمان. وعم القحط اليمن جميعه سهلا ووعرا واستمر الشريف أبو سلطان في تلمص وخالف الأمراء إلى عز الدين وعاودوا أهل صعدة من فللة. وجهز السلطان الأمير نجم الدين موسى بن أحمد إلى صعدة لصلاح أمرها. وجهز الأمير عباس بن محمد في عسكر إلى بلاد الأمير تاج الدين لحربه. ولزم الأشراف القاضي محمد الذماري وأخذوا ما وجدوا في بيته.

وفي شهر رجب وقع في مخلاف صنعاء أمطار عظيمة والسع على حاله ودخل ظفار من هذا المطر ما ملأ مواطنه. ولم تزل المحطة على تلمص وظفار **وازداد الغلاء حتى** بلغ الزيدي من الدقيق في المحطة ثلاثين

درهما. وفي بواقي آثام من رجب تداعى الناس إلى الصلح على رد المال المسلم في تلمص فسلموا منه ستة عشر ألفا وحريرا وحليا باثني عشر ألفا وامتهلوا في الباقي إلى عشرة أيام في شوال ورهنوا فيه ولدي الأمير أحمد بن قاسم. وحصن المدارة على يد الأمير وهاس. واخرج بنود حروج حريمهم من ظفار وسكنوا صنعاء. وسلم الأمير تاج الدين الحدود ورهن ولده مه رهينه الأمير سليمان بن قاسم وانعقد الصلح بين السلطان وأصحاب ظفار وتاج الدين على أن السلطان يحارب تلمص ويفعل فيه ما شاء ولا عيب.." (١)

"وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن الفقيه هاشم الحجري. وكان فقيها ماهرا تفقه بالفقيه عمر بن علي الساعي ثم صحب الشيخ عيسى بن حجاج الغيثي والشيخ علي السنيني. ففتح الله عليه في الحكمة فكان يقول أقوالا كثيرة. وفسر أقوال المحققين تفسيرا نافعا. وكان يتكلم بحضرة الشيخين فيقبلان منه ولا ينكران عليه. توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عيسى بن عمر بن عثمان الهرمي الملقب بالصفي وهو أخو الفقيه أبي بكر بن عيسى المعروف بالسراج الحنفي المذكور أولا. وكان الصفي فقيها ويغلب عليه الأدب وله شعر رائق ويتعانى الزراعة توفي في السنة المذكورة. وكان له ولد اسمه يوسف كان من أعيان الرعية خيرا جيدا له مروءة قل أن تلد النساء مثله. توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو الخير أحمد بن إبراهيم بن سالم بن مقبل كان فقيها خيرا محبا لأبناء الجنس توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن شبيل تصغير شبل. قال الجندي نسبه همدان وكان يسكن ريمة الأسابط. وكان فقيها صالحا عارفا بالفقه توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الحكمي. وكان فقيها صالحا عالما درس بالعاصمية في زبيد إلى أن توفي في المحرم أول شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن صالح الحسيني نسبة إلى جد له أسمه حسين. وكان فقيها فاضلا تفقه بتهامة على عمرو بن علي الساعي وعلى عبد الله بن محمد الدياني. وكان فقيها نقالا لفروع المذهب. وكان الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل يراجعه ويثني عليه. وله أجوبة فقهية تدل على تجويده. وكانت وفاته في السنة المذكورة تقريبا والله أعلم.

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ص/١٣٦

وفي سنة أربع وسبعمائة توجه الأمير جمال الدين نور بن حسن من حرض إلى صعدة مددا لعباس بن محمد بن عباس وعلي بن بهرام. فأخرب الأمير عباس بن محمد زرع الأشراف بصعدة ومخاليفها. ودخل علائق ومحريم نيف وثلاثين فارسا في ثغر صعدة وثلاثمائة رجال ونزل الجوف. ثم وصل صنعاء ثم توجه نحو اليمن. فلما خلت صعدة من العسكر جمع آل شمس الدين عسكرهم ونزلوا الجوف فأقاموا بسوق آل دعام ثلاثة أيام وقد جمعت المخاليف السلطانية في الراهز وكانت لهم عمولة في نعمان.

وفي صفر لزم السلطان الأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين وولده والشريف شكر بن علي القاسمي وأمر بلزم أولاده حيث كانوا. وذلك لما وقع في خاطر السلطان من فعلهم في صعدة وتلمص فأدبهم بآداب مثلهم.

وفي هذا التاريخ برز الأمر العالي بتجهيز الأمير أسد الدين محمد ابن نور سفيرا إلى الديار المصرية فاتصل العلم أن الأمراء بمصر عبثوا بالسلطان وإن البلاد على غير وضع فأخر السلطان ذلك العزم وحمل لابن نور أربعة أحمال طبلخانة وأربعة أعلام وعاد إلى أقطاعه.

وفي جمادا الأولي من السنة المذكورة زالت الشدة **وارتفع الغلاء ورخصت** الأسعار في جميع نواحي اليمن ورجع المقدم الذي تقدم لعمارة البرك وهو موسى بن أبي بكر بن علاء الدين وكان الشريف طاهر ابن أبي يمي قد وصله إلى البرك من مكة حرسها الله تعالى قاصدا للباب الشريف السلطاني فسارا معا فلما بلغا قريبا من اللؤلؤة لقيتهم جهينة فانهزم العسكر وتأخر الشريف طاهر على الناس فقتل وأخذت أثقالهم ودوابهم.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة تقدم الركاب العالي من زبيد إلى محروسة تعز فأقام شعبان وحصل عليه توعك عقيب طلوعه فأرجف الناس بذلك وامتلأ اليمن خوفا فمن الله تعالى بعافيته في النصف الأخير من شعبان ولم يزل في ثعبات إلى يوم العاشر من شهر رمضان ثم طلع الحصن وكان يوم طلوعه يوما مشهودا.." (١)

"

قال وحدثنا أحمد بن إسحاق الأشعري قال حدثنا أسد بن الفرات عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن طاووس عن نافع عن خالد الخزاعي عن أبيه وكان من أصحاب الشجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت الله ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يمتحنكم بعذاب أصاب به

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ص/١٤٤

من كان قبلكم فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليكم عدوا فيستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها

وحدثني أحمد بن إسحاق قال حدثنا أسد عن بني بن أبي زائدة عن إسرائيل عن معبد بن مسرور عن عكرمة قال التقى ابن عباس وكعب فقال كعب يا ابن عباس إذا رأيت السيوف قد عريت والدماء قد أهرقت فاعلم أن حكم الله قد ضيع وانتقم الله لبعضكم من بعض وإذا **رأيت الوباء قد** فشي فاعلم أن الزنا قد فشي وإذا رأيت المطر قد حبس فاعلم أن الزكاة قد حبست ومنع الناس ما عندهم ومنع الله ما عنده

(١) ".

"@ ٥١٥ @ ولحقت بنو تميم فقاتلهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بجير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه أسيرا وقتل في المعركة ربعي بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ثم أن عرفجة أطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد # (وجدنا الرفد رفد بني لجيم ٪ إذا ما قلت الارفاد زادا) # (همو ضربوا القباب ببطن فلج ٪ وذادوا عن محارمهم ذيادا) # (وهم منوا علي وأطلقوني ٪ وقد طاوعت في الجنب القيادا) # (أليسوا خير من ركب المطايا ٪ وأعظمهم إذا اجتمعوا رمادا) # (أليس همو عماد الحي بكرا ٪ إذا نزلت مجللة شدادا) # وقال قيس بن عاصم يعير خالدا # (لو كنت حريا يا بن سلمى بن جندل ٪ نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل) # (فما بال أصداء بفلج غريبة ٪ تنادي مع الأطلال يا لابن حنظل) # (صوادي لا مولى عزيز يجيبها ٪ ولا أسرة تستقي صداها بمنهل) # (وغادرت ربعيا ملحبا ٪ وأقبلت في أولى الرعيل المعجل) # (تؤامل من خوف الردي ولا وقيته ٪ كما نالت الكدراء من حين أجدل) # يعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربعي ومن قتل معه يوم فلج ويقول إن أصداءهم تنادي ولا يسقيها أحد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا $ يوم الشيطين $ # قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الإسلام في نجد سارت بكر قبل السواد وبقي مقايس بن عمرو العائذي بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشيطين فلما أقامت بكر في السواد **لحقهم الوباء والطاعون** الذي كان أيام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا لعلع وهي مجدبة وقد أخصب الشيطان فسارت تميم." (٢)

(١) المحن، ص/٦٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٥١٥/١

"@ ٣٩٩ @ $ ذكر طاعون عمواس $ # في هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وعامر بن غيلان الثقفي مات وأبوه حي وتفانى الناس منه # قال طارق بن شهاب أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدث عنده فلما جلسنا فقال لا عليكم أن تخفقوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ولا عليكم أن تنزعوا من هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع **هذا الوباء وسأخبركم** بما يكره ويتقى من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه فإذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه أن يخرج # إني كنت مع أبي عبيدة بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه أن سلام عليك أما بعد فقد عرضت لي حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب إليه يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك إلي وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه فخللني من عزيمتك # فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة فقال لا وكأن قد # وكتب إليه عمر ليرفعن بالمسلمين من تلك الأرض فدعا أبا موسى فقال له ارتد للمسلمين منزلا قال فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت إليه فقلت له والله لقد كان في أهلي حدث # فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم قال فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية." (١)

"@ ٤٠١ @ # فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال إن النبي قال (إذا سمعتم **بهذا الوباء ببلد** فلا تقدموا عليه وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه) # فانصرف عمر بالناس إلى المدينة # وهذه الرواية أصح فإن البخاري ومسلما أخرجاها في صحيحيهما ولأن أبا موسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام لكن هكذا ذكره وإنما أوردناه لننبه عليه # عمواس بفتح العين المهملة والميم والواو بعد الألف سين مهملة # وسرغ بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة وآخره غين معجمة # ومعنى قوله دعوة نبيكم حين جاءه جبريل فقال فناء أمتك بالطعن أو الطاعون فقال رسول الله فبالطاعون # ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها وأصاب الناس من الموت ما لم يروا مثله قط وطمع له العدو في المسلمين

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٢

لطول مكثه مكث شهورا وأصاب ا الناس بالبصرة مثله # وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفا $ ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون $ # لما هلك الناس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال لهم لقد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم فأشيروا علي." (١)

"@ ٢٥٢ @ وعشرين ألف ألف فقال ربحنا ستين ألفا وأدركنا ثارنا ورأس ذاهر ثم مات الحجاج ونذكر أمر محمد عند موت الحجاج أن شاء الله تعالى $ ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية $ # في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية إلى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معي إلى قتال علي ويدي عندك معروفة فقال لا أشركك بكفر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى إلى أفريقية وبها صالح الذي استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه أن باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه إليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره في البحر إلى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها مالا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هارون إلى ط ائفة أخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه إلى طائفة أخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبي ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم من هذا ثم إن افريقية قحطت واشتد **بها الغلاء فاستسقى** بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لأحد ولا يذكر إلا الله عز وجل فسقي الناس ورخصت الأسعار ثم خرج غازيا إلى طنجة يريد من بقي من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربلا اله وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد ويقال أنه صدفي وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد إلى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر إلى الآن وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لأخيه عبد الملك $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من

(١) الكامل في التاريخ، ٤٠١/٢

ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفي." (١)

"@ ٤٨٢ @ # (لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ٪ إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا) # (لا تبقرن بأيديكم بطونكم ٪ فثم لا حسرة تغني ولا جزع) # فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبد أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متنكرا في سبعة نفر على حمير فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق ثم سار فدخل دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سرا وبايع أهل المزة وكان على دمشق عبد الملك محمد بن الحجاج **فخاف الوباء فخرج** منها فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي فأجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل إن يزيد خارج فلم يصدق وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذن العشاء فدخلوا فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس منه بالليل فلما صلى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذ بيده فقال قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وعونه فقام وأقبل في اثني عشر رجلا فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتي رجل فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا رسل الوليد ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران وأخذوا خزائن بيت المال وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وقبض محمد بن عبيدة وهو على بعلبك وأرسل بني عذر إلى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذوه وكان بالمسجد سلاح كثير فأخذوه فلما أصبحوا جاء أهل المزة وتتابع الناس وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريا ويعقوب بن محمد بن هانئ العبسي وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دومة وحرستا وأقبل حميد بن حبيب النخعي في أهل دير مران والأرزة وسطرا وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا وأقبل ربعي بن هاشم الحارثي في ال جماعة من بني عزة." (٢)

"@ ٥٠٠ @ أبوه وكلثوم بن عياض سنة اثنتين وعشرين ومائة وسار إلى الأندلس وقد ذكرناه وأراد أن يتغلب عليها فلم يمكنه ذلك فلما ولي حنظلة بن صفوان افريقية على ما ذكرناه وجه أبا الخطار إلى الأندلس أميرا فايس حينئذ عبد الرحمن مما كان يرجوه فعاد إلى افريقية وهو خائف من أبي الخطار وخرج

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤/٢٥٢

(٢) الكامل في التاريخ، ٤/٤٨٢

بتونس من افريقية في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وقد ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة بالشام فدعا الناس إلى نفسه فأجابوه فسار بهم إلى القيروان فأراد من بها قتاله فمنعهم حنظلة وكان لا يرى القتال إلا لكافر او خارجي وأرسل إليه حنظلة رسالة مع جماعة من أعيان القيروان رؤساء القبائل يدعوه إلى مراجعة الطاعة فقبضهم وأخذهم معه إلى القيروان وقال إن رمى أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندي أجمعين فلم يقاتله أحد فخرج حنظلة إلى الشام واستولى عبد الرحمن على القيروان سنة سبع وعشرين ومائة وسائر افريقية ولما خرج حنظلة إلى الشام دعا على أهل افريقية وعبد الرحمن فاستجيب له فيهم **فوقع الوباء والطاعون** سبع سنين لم يفارقهم إلا في أوقات متفرقة وثار بعبد الرحمن جماعة من العرب والبربر ثم قتل بعد ذلك # فممن خرج عليه عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس وقام أبو عطاف عمران بن عطاف الأزدي فنزل بطيفاس وثارت البربر بالجبال وخرج عليه ثابت الصنهاجي بباجة فأخذها فأحضر عبد الرحمن أخاه الياس وجعل معه ستمائة فارس وقال له سر حتى تجتاز بعسكر أبي عطاف الأزدي فاذا رآك عسكره فارقهم وسر عنهم كأنك تريد تونس إلى قتال عروة بن الوليد بها فاذا أتيت موضع كذا فقف فيه حتى يأتيك فلان بكتابي فافعل بما فيه فسار الياس ودعا عبد الرحمن إنسانا وهو الرجل الذي قال لأخيه الياس عنه وأطاه كتابا وقال له امض حتى تدخل عسكر أبي عطاف فاذا أشرف عليهم الياس ورأيتهم يدعون السلاح والخيل فاذا فارقهم الياس ووضعوا السلاح عنهم وأمنوا فسر اليه وأوصل كتابي اليه فمضى الرجل ودخل عسكر أبي عطاف وقاربهم الياس فتحركوا للركوب ثم فارقهم الياس نحو تونس فسكنوا وقالوا قد دخل بين فكي أسد نحن من ههنا وأهل تونس من هناك وأمنوا وصمموا العزم على المسير خلفه فلما أمنوا سار ذلك الرجل إلى الياس فأوصل إليه كتاب أخيه عبد الرحمن فاذا فيه ان القوم قد أمنوك فسر إليهم وهم في غفلتهم فعاد الياس إليهم وهم غارون فلم يلحقوا يلبسون سلاحهم حتى دهمهم فقتلهم وقتل أبا عطاف أميرهم سنة ثلاثين ومائة." (١)

"@ ١٠١ @ إلى نفسه واجتمع إليه من اليمانية فسار إلى الصميل وهو أمير قرطبة فحصره بها وضيق عليه فاستمد الصميل يوسف الفهري أمير الأندلس فلم يفعل **لتوالي الغلاء والجوع** على الأندلس ولان يوسف قد كره الصميل واختار هلاكه ليستريح منه وثار بها أيضا عامر العبدري وجمع جمعا واجتمع مع الحباب على الصميل وقاما بدعوة بني العباس فلما اشتد الحصار على الصميل كتب إلى قومه ليستمدهم فسارعوا إلى نصرته واجتمعوا وساروا إليه فلما سمع الحباب بقربهم سار الصميل عن سرقسطة وفارقها فعاد

(١) الكامل في التاريخ، ٤/٥٠٠

الحباب إليها وملكها واستعمل يوسف الفهري الصميل على طليطلة $ ذكر عدة حوادث $ # كان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى الشام عبد الله بن علي وعلى مصر صالح بن علي وعلى البصرة سليمان بن علي وعلى المدينة زياد الله بن عبيد الله الحارث وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد # وفيها مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن وهو ربيعة الرأي وقيل مات سنة خمس وثلاثين ومائة وقيل سنة اثنتين وأربعين ومائة # وفيها مات عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفيها توفي عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسي وإنما قيل له الفرسي بالفاء نسبة إلى فرس له وعطاء بن السائب أبو زيد الثقفي وعروة بن رويم # وفي هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين من مكة فدخل الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وسار إلى الأنبار فأقام بها وجمع إليه أطرافه وكان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدواوين حتى قدم عليه أبو جعفر فسلم الأمر إليه." (١)

"@ ١٣١ @ $ ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه $ # في هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان للمنصور وسبب ذلك أن عبد الجبار لما ساتعمله المنصور على خراسان عمد إلى القواد فقتل بعضهم وحبس بعضهم فبلغ ذلك المنصور وأتاه من بعضهم كتاب قد نغل الأديم فقال لأبي أيوب إن عبد الجبار قد افنى شيعتنا وما فعل ذلك الا وهو يريد ان يخلع فقال له اكتب إليه انك تريد غزو الروم فليوجه إليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فاذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فلا تمنع فكتب المنصور إليه بذلك وأجابه أن الترك قد جشات وإن فرقت الجنود ذهب خراسان فالقى الكتاب إلى أبي ايوب وقال له ما ترى قال قد امكنك من قياده اكتب إليه خان خراسان اهم الي من غيرها وانا موجه إليك الجنود من قبلي ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان فان هم بخلع أخذوا بعنقه فلما ورد الكتاب بهذا على عبد الجبار أجابه ان خراسان لم تكن قط اسوا حالا منها في هذا العام وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه **من الغلاء فلما** اتاه الكتاب القاه إلى أبي ايوب فقال له أبو ايوب قد ابدى صفحته وقد خلع فلا تناظره ووجه المنصور ابنه المهدي وأمره بنزول الري فسار إليها المهدي ووجه خازم بن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار وسار المهدي فنزل نيسابور فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا إلى عبد الجبار وحاربوه وقاتلوه قتالا شديدا فانهزم منهم ولجأ إلى معطنة فتوارى فيها فعبر إليه بمحشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فاخذه اسيرا فلما قدن خازم اتاه به فالبسه جبة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلي عجز البعير وحمله إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٠١/٥

منهم الأموال ثم أمر فقطعت يدا عبد الجبار ورجلاه وضرب عنقه وأمر بتسيير ولده إلى دهلك وهي جزيرة باليمن فلم يزالوا بها حتى اغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا ثم فودوا بعد ذلك وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن عبد الجبار صحب الخلفاء ومات أيام الرشيد سنة سبعين ومائة وقيل وكان أمر عبد الجبار سنة اثنتين واربعين في ربيع الأول وقيل سنة اربعين." (١)

"@ ٢٥٥ @ $ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة $ # في هذه السنة سار موسى الهادي إلى جرجان في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد بمثله لمحاربة ونداد هرمز وشروين صاحبي طبرستان # وجعل المهدي على رسائل موسى أبان بن صدقة ومحمد بن جميل على جنده ونفيعا مولى المنصور على حجابته وعلي بن عيسى بن ماهان على حرسه فسير الهادي الجنود إليهما وأمر عليهم يزيد بن مزيد فحاصرهما وفيها توفي عيسى بن موسى بالكوفة فاشهد روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الوجوه ودفن وكان عمره خمسا وستين سنة ومدة ولايته العهد ثلاثا وعشرين سنة وقد تقدم ذكر ولايته وعزله عنه # وفيها جد المهدي ف طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم فأخذ يزيد بن الفيض فأقر فحبس فهرب فلم يقدر عليه وكان المتولي لأمر الزنادقة الكلوذاني # وفيها عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع وفيها **كان الوباء ببغداد** والبصرة وفشا في الناس سعال شديد وفيها توفي أبان بن صدقة كاتب المهدي فوجه المهدي مكانه أبا خالد الأحول وفيها أمر المهدي بالزادة في المسجد الحرام ومسجد النبي فدخلت فيه دور كثيرة وكان المتولي لبنائه يقطين بن موسى فبقي البناء فيه إلى أن توفي المهدي وكذلك أمر بالزيادة في المسجد الجامع بالموصل ورأيت لوحا فيه ذكر ذلك وهو حائط الجامع سنة ثلاث وستمائة وهو باق وفيها عزل يحيى الحرشي عن." (٢)

"@ ٤٣٧ @ بقلعة الكراث وقد اجتمع إليها خلق كثير فخدعوا القاضي أسد بنت الفرات أمير المسلمين وذلوا له فلما رآهم فيمي مال إليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم فبذلوا لأسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم فاجابهم إلى ذلك وتأخر عنهم أياما فاستعدوا للحصار ودفعوا إليهم ما يحتاجون إليه فامتنعوا عليه وناصبهم الحرب وبث السرايا في كل ناحية فغنموا شيئا كثيرا وافتتحوا عمرانا كثيرة حول سرقوسة وحاصروا سرقوسة برا وبحرا ولحقته الأمداد من أفريقية فسار إليهم والي بلرم في عساكر كثيرة فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة فحمل الروم عليهم فسقط في تلك الحفر كثير منهم

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٣١/٥

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٥٥/٥

فقتلوا وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين هلك فيه كثير منهم وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات وولي الأمر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجواري فلما رأى المسلمون **شدة الوباء ووصول** الروم تحملوا في مراكبهم ليسيروا فوقف الروم في مراكبهم على باب المرسى فمنعوا المسلمين من الخروج فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا إلى مدينة ميناو فحصروها ثلاثة إلى وتسلموا الحصن فسار طائفة منهم إلى حصن جرجنت فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا إلى مدينة قصريانة ومعهم فيمي فخرج أهلها إليه فقبلوا الأرض بين يديه فأجابوه إلى أن يملكوه عليهم وخدعوه ثم قتلوه # ووصل جيش كثير من القسطنطينية مددا لمن في الجزيرة فتصافوا هم والمسلمون فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل من سلم قصريانه # وتوفي محمد بن أبي الجواري أمير المسلمين وولي بعده زهير بن غوث # ثم إن سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج عليها طائفة من الروم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وعادوا من الغد ومعهم جمع العسكر فخرج إليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية فانهزم المسلمون أيضا وقتل منهم نحو ألف قتيل وعادوا إلى معسكرهم وخندقوا عليهم فحصرهم الروم ودام القتال بينهم فضاقت الأقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم فعلموا بهم ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها فلما خرج المسلمون لم يرو أحدا وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فأكثروا." (١)

"@ ٢٣٨ @ ذلك علم أن الحزم في المحاجزة فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدة واقتطع الزنج طائفة من أصحابه فقاتلوهم فقتلوا من الزنج خلقا كثيرا ثم قتلوا جميعهم وحملت رؤوسهم إلى قائد الزنج وهي مائة رأس وعشرة أرؤس فزاد ذلك في عتوه ونزل أبو حامد في عسكره بباذاورد فأقام يعبي أصحابه للرجوع على الزنج فوقعت نار في أطراف عسكره في يوم ريح عاصف فاحترق كثير منه فرحل منها إلى واسط فلما نزل واسط تفرق عنه عامة أصحابه فسار منها إلى سامرا واستخلف على واسط لحرب العلوي محمد بن المولد $ ذكر عدة حوادث $ # وفيها **وقع الوباء في** كور دجلة فهلك منها خلق كثير ببغداد وواسط وسامرا وغيرها # وفيها قتل سرسجارس ببلاد الروم مع جماعة كثيرة من أصحابه وفيها كانت هدة عظيمة هائلة بالصيمرة ثم سمع من غد ذلك اليوم هدة أعظم من الأولى فانهدم أكثر المدينة وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها زهاء عشرين ألفا # وفيها مات ياركوج التركي في رمضان وصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل وكان صاحب مصر ومقطعها ويدعى له فيها قبل أحمد بن طولون فلما توفي استقل أحمد

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٣٧/٥

بمصر # وفيها كانت وقعة بين أصحاب موسى بن بغا وأصحاب الحسن بن زيد العلوي فانهزم أصحاب الحسن وفيها أسر مسرور البلخي جماعة من أصحاب مساور الشاري وسار مسرور إلى البوازيج فلقي مسرورا هناك فكان فيهخا بينهما وقعة أسر فيها من أصحاب مسرور جماعة ثم انصرف في ذي الحجة إلى سامرا واستخلف على عسكره بحديثة الموصل جعلان وفيها رجع أكثر الناس من القرعاء خوف العطش وسلم من سار إلى مكة وحج بالناس الفضل بن إسحاق بن الحسن # وفيها أوقع بأعراب بتكريت كانوا أعانوا مساورا الشاري # وفيها أوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزمهم وأصاب فيهم وفيها صار محمد بن واصل في طاعة السلطان." (١)

"@ ٢٤٨ @ البلد وجد في الحرب فانكشف الناس بين يديه فدخل إسحاق ووصل إلى سوق الأربعاء وأحرق سوق الحشيش فخرج بعض العدول اسمه زياد بن عبد الواحد وعلق في عنقه مصحفا واستغاث بالمسلمين فأجابوه وعادوا إلى الحرب وحملوا على إسحاق وأصحابه وأخرجوهم من المدينة وبلغ يحيى بن سليمان الخبر فأمر فحمل في محفة وجعل أمام الصف فلما رآه أهل الموصل قويت نفوسهم واشتد قتالهم ولم يزل الأمر كذلك وإسحاق يراسل أهل الموصل ويعدهم الأمان وحسن السيرة فأجابوه إلى أن يدخل البلد ويقيم بالربض الأعلى فدخل وأقام سبعة أيام ثم وقع بين بعض أصحابه وبين قوم من أهل الموصل شر فرجعوا إلى الحرب وأخرجوه عنها واستقر يحيى بن سليمان الموصل $ ذكر الحرب بين أهل طليطلة وهوارة $ # وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النون الهواري بشنت برية وأغار على أهل طليطلة ودخل حصن وليد من شنت برية فخرج أهل طليطلة إليه في نحو عشرين ألفا فلما التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمد بن طريشة في أصحابه وهو من أهل طليطلة فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة وأنهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن فعمل ذلك محمد مكافأة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي فقتل من أهل طليطلة خلق كثير وقوي موسى بن ذي النون وهابه من حاذره $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة قتل رجل من أصحاب مساور الشاري محمد بن هارون بن المعمر رآه وهو يريد سامرا فقتله وحمل رأسه إلى مساور فطلبت ربيعة بثاره فندب مسرور البخلي وغيره إلى أخذ الطرق على مساور وفيها **اشتد الغلاء في** عامة بلاد الاسلام فانجلى من أهل مكة كثير ورحل عنها عاملها وهو برة وبلغ الكر الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار ودام ذلك شهورا." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦/٢٣٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٦/٢٤٨

"@ ٢٩١ @ حتى تعذرت الأقوات **وعم الغلاء سائر** البلاد من الحجاز والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك إلا أنه لم يبلغ الشدة التي بالمدينة # وفيها كان الناس في البلاد التي تحت حكم الخليفة جميعها في شدة عظيمة بتغلب القواد وأمراء الأجناد على الأمر وقلة المراقبة والأمن من إنكار ما يأتونه ويفعلونه لاشتغال الموفق بقتال صاحب الزنج ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك # وفيها اشتد الحر في تشرين الثاني ثم اشتد فيه البرد حتى جمد الماء # وفيها تقدم محمد بن أبي الساج مكة فحاربه المخزومي فهزمه محمد واستباح ماله وذلك يوم التروية # وفيها سار كيغلغ إلى الجبل وبكتمر راجعا إلى الدينور # وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي # وفيها توفي محمد بن شجاع أبو بكر الثلجي وكان من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة الثلجي بالثاء المعجمة بثلاث والجيم وفيها توفي صالح بن أحمد بن حنبل وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائتين." (١)

"@ ٣١١ @ العباس في بطنه فسقط في الماء فأخذه أصحابه فحملوه إلى عسكر الخبيث فمات قبل وصوله فأراح الله المسلمين من شره وكان قتله من أعظم الفتوح وعظمت الفجيعة على الخبيث وأصحابه واشتد جزعهم عليه # وبلغ الخبر الموفق بقتله فأحضر ذلك الغلام فوصله وكساه وطوقه وزاد في أرزاقه وفعل بكل من كان معه في تلك السميرية بنحو ذلك # ثم ظفر الموفق بالدوابني وكان ممايلا لصاحب الزنج $ ذكر أخبار رافع بن هرثمة $ # لما قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني على ما ذكرناه وكان قتله هذه السنة اتفق أصحابه على رافع بن هرثمة فولوه أمرهم # وكان رافع هذا من أصحاب محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر # فلما استولى يعقوب بن الليث على نيسابور وأزال الطاهرية صار رافع في جملته # فلما عاد يعقوب إلى سجستان صحبه رافع وكان طويل اللحية كريه الوجه قليل الطلاقة # فدخل يوما على يعقوب فلما خرج من عنده قال أنا لا أميل إلى هذا الرجل فليلحق بما شاء من البلاد # فقيل له ذلك ففارقه وعاد إلى منزله بتامين وهي من باذغيس وأقام به إلى أن استقدمه الخجستاني على ما ذكرناه وجعله صاحب جيشه # فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش عليه وهو بهراة فأمروه كما ذكرنا وصار رافع من هراة إلى نيسابور وكان أبو طلحة بن شركب قد وردها من جرجان فحصره فيها رافع وقطع الميرة عنه وعن نيسابور **فاشتد الغلاء بها** ففارقها أبو طلحة ودخلها رافع فأقام بها وذلك سنة تسع وستين ومائتين # فسار أبو طلحة إلى مرو وولى محمد بن مهتدى هراة وخطب لمحمد بن طاهر بمرو وهراة فقصده عمرو

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٩١/٦

بن الليث فحاربه فهزمه واستخلف عمرو بمرو محمد بن سهل بن هاشم وعاد عنها # وخرج شركب إلى بيكند واستعان بإسماعيل بن أحمد الساماني فأمده بعسكره فعاد إلى مرو فأخرج عنها محمد بن سهل وأغار على أهل البلد وخطب لعمرو بن الليث وذلك في شعبان سنة إحدى وسبعين # وقلد الموفق تلك السنة أعمال خراسان محمد بن طاهر وكان ببغداد فاستخلف محمد على أعماله رافع بن هرثمة ما خلا ما وراء النهر فإنه أقر عليه نصر بن أحمد # ووردت كتب الموفق." (١)

"@ ٤٠٧ @ $ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين $ # في هذه السنة **وقع الوباء بأذربيجان** فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به الموتى وكانوا يتركونهم على الطرق غير مكفنين و لا مدفونين # وفيها توفي محمد بن أبي الساج الملقب بأنشين بأذربيجان **في الوباء الكثير** المذكور فاجتمع أصحابه فولوا ابنه ديوداد واعتزلهم عمه يوسف بن أبي الساج مخالفا لهم فاجتمع إليه نفر يسير فأوقع بابن أخيه ديوداد وهو في عسكر أبيه فهزمه # وعرض عليه يوسف المقام معه فأبى وسلك طريق الموصل إلى بغداد وكان ذلك في رمضان # وفيها في صفر دخل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره وأخرجوا عنها عامل الخليفة # فكتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني إلى طاهر يذكر له أن الخليفة المعتضد قد ولاه سجستان وأنه سائر إليها فعاد طاهر لذلك # وفيها ولى المعتضد مولاه بدرا فارس وأمره بالشخوص إليها لما بلغه أن طاهرا تغلب عليها فسار إليها في جيش عظيم في جمادى الآخرة # فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر فدخلها بدر وجبى خراجها # وعاد طاهر إلى سجستان كما ذكرناه من مراسلة إسماعيل الساماني إليه بأنه يريد يقصد سجستان # وفيها تغلب بعض العلويين على صنعاء فقصده بنو يعفر في جمع كثير فقاتلوه فهزموه ونجا هاربا في نحو خمسين فارسا وأسروا ابنا له # ودخلها بنو يعفر وخطبوا فيها للمعتضد." (٢)

"@ ١٥٨ @ استأمن إليه من الديلم فقتلهم عن آخرهم وكانوا نحو أربعمائة فلم يسلم منهم غير رجل واحد اختفى بين القتلى وحمل معهم في الجواليق وألقي في دجلة فسلم وعاش بعد ذلك دهرا وقتل الأسرى من قواد الديلم وكانوا بضعة عشر رجلا وخلع المتقي على ابن رائق وجعله امير الأمراء وأمر أبا جعفر الكرخي بلزوم بيته وكانت وزراته ثلاثة وثلاثين يوما واستولى أحمد الكوفي على الأمر فدبره ثم ظفر ابن رائق بكورتكين فحبس بدار الخليفة $ ذكر عدة حوادث $ # في السنة كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣١١/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٠٧/٦

الناس في ربيع الأول فسقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب ثم **اشتد الغلاء والوباء** وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسلون ولا يصلى عليهم ورخص العقار ببغداد والأثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم وانقضى تشرين الأول وتشرين الثاني والكانونان وشباط ولم يجيء مطر غير المطرة التي عند الاستسقاء ثم ج١ء المطر في آذار ونيسان وفيها في شوال استوزر المتقي لله أبا إسحاق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي بعد عود بني البريدي من بغداد وجعل بدرا الخرشني حاجبه فبقي وزيرا إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة فقبض عليه كورتكين وزارته ثلاثة وأربعين يوما واستوزر بعده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فبقي وزيرا إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة فعزله ابن رائق لما استولى على الأمور ببغداد فكانت وزارته اثنتين وثلاثين يوما ودبر الأمور أبو عبد الله الكوفي كاتب ابن رائق من غير تسمية بوزارة وفيها عاد الحجاج إلى العراق لم يصلوا إلى المدينة بل سلكوا الجادة بسبب طالبي ظهر بتلك الناحية وقوي أمره وفيها كثرت الحميات ووجع المفاصل في الناس ومن عجل الفصاد برأ وإلا طال مرضه وفي أيام الراضي توفي أبو بشر أخو متى بن يونس الحكيم الفيلسوف وله تصانيف في شرح كتاب ارسطاطاليس وفيها في ذي الحجة مات بختيشوع ين يحيى الطبيب وفيها مات." (١)

"@ ١٦٨ @ فولدت له ولده فخر الدولة عليا وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث بعد وفاة السعيد نصر بن أحمد وإنما ذكرناها هنا ليتلو بعضهما بعضا $ ذكر عدة حوادث $ # في السنة صرف بدار الخرشني عن حجبة الخليفة وجعل مكانه سلامة الطولوني وفيها ظهر كوكب في المحرم بذنب عظيم في أول برج القوس وآخر برج العقرب بين الغرب والشمال وكان رأسه في المغرب وذنبه في المشرق وكان عظيما منتشر الذنب وبقي ظاهرا ثلاثة عشر يوما وسار في القوس والجدي ثم اضمحل وفيها **اشتد الغلاء لا** سيما بالعراق وبيع الخبز أربعة أرطال بقيراطين صحيح أميري وأكل الضعفاء الميتة **وكثر الوباء والموت** جدا وفيها في ربيع الآخر وصل الروم إلى قريب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو خمسة عشر ألف إنسان وفيها دخل الثملي من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وعاد سالما وقد أسر عدة من بطارقتهم المشهورين وفيها في ذي القعدة قلد ا\لمتقي لله بدرا الخرشني طريق الفرات فسار إلى الإخشيد مستأمنا فقلده بلدة دمشق فلما كان بعد مدة حم ومات بها # وفيها في جمادى الآخرة ولد أبو منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه وهو مؤيد الدولة وفيها توفي أبو بكر محمد عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي وله تصانيف في أصول الفقه وفيها توفي القاضي أبو عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل المحاملي

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٥٨/٧

الفقيه الشافعي وهو من المكثرين في الحديث وكان مولده سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان على قضاء الكوفة وفارس فاستعفى من القضاء وألح في ذلك فأجيب إليه وفيها توفي أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري المتكلم صاحب المذهب المشهور وكان مولده سنة ستين ومائتين وهو من ولد أبي موسى الأشعري وفيها مات محمد بن محمد الجيهاني وزير السعيد." (١)

"@ ١٨٣ @ $ ذكر مسير المرزبان إليهم والظفر بهم $ # لما فعل الروس بأهل بردعة ما ذكرناه استعظمه المسلمون وتنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم فبلغ عدة من معه ثلاثين ألفا وسار بهم فلم يقاوم الروسية وكان يغاديهم القتال ويراوحهم فلا يعود إلا مفلولا فبقوا كذلك أياما كثيرة وكان الروسية قد توجهوا نحو مراغة فأكثروا من أكل الفواكه **فأصابهم الوباء وكثرت** الأمراض والموت فيهم ولما طال الأمر على المرزبان أعمل الحيلة فرأى أن يكمن كمينا ثم يلقاهم في عسكره ويتطارد لهم فإذا خرج الكمين عاد عليهم فتقدم إلى أصحابه بذلك ورتب الكمين ثم لقيهم واقتتلوا فتطارد لهم المرزبان وأصحابه وتبعهم الروسية حتى جازوا موضع الكمين فاستمر الناس على هزيمتهم لا يلوي أحد على أحد فحكى المرزبان قال صحت بالناس ليرجعوا فلم يفعلوا لما تقدم في قلوبهم من هيبة الروسية فعلمت أنه إن استمر الناس عى الهزيمة قتل الروس أكثرهم ثم عادوا إلى الكمين ففطنوا بهم فقتلوهم عن آخرهم قال فرجعت وحدي وتبعني أخي وصاحبي ووطنت نفسي على الشهادة فحينئذ عاد أكثر الديلم استحياء فرجعوا وقاتلناهم ونادينا بالكمين بالعلامة بيننا فخرجوا من ورائهم وصدقناهم القتال فقتلنا منهم خلقا كثيرا منهم أميرهم والتجأ الباقون إلى حصن البلد وتسمى شهرستان وكانوا قد نقلوا إليه ميرة كثيرة وجعلوا معهم السبي والأموال فحاصرهم المرزبان وصابرهم # فأتاه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان قد سار إلى أذربيجان وأنه واصل إلى سلماس وكان ابن عمه ناصر الدولة قد سيره ليستولي على أذربيجان فلما بلغ الخبر إلى المرزبان ترك على الروسية من يحاصرهم وسار إلى ابن حمدان فأقتتلوا ثم نزل الثلج فتفرق أصحاب ابن حمدان لأن أكثرهم أعراب ثم أتاه كتاب ناصر الدولة يخبره بموت توزون وأنه يريد الانحدار إلى بغداد ويأمره بالعود إليه فرجع وأما أصحاب المرزبان فإنهم أقاموا يقاتلون الروسية **وزاد الوباء على** الروسية فكانوا إذا دفنوا الرجل دفنوا معه سلاحه فاستخرج المسلمون من ذلك شيئا كثيرا بعد انصراف الروس وثم أنهم خرجوا من الحصن." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٦٨/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ١٨٣/٧

"@ ٢١٧ @ واسط وأعمالها منه وفيها **اشتد الغلاء ببغداد** حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنانير وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه ليأكله وأكل الناس خروب الشوك فأكثروا منه وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مدة يسيرة وبيعت الدور والعقار بالخبز فلما دخلت الغلات انحل السعر وفيها توفي علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير وله تسعون سنة وقد تقدم من أخباره ما يدل على دينه وكفايته وفيها توفي أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي الفقيه الحنبلي ببغداد وأبو بكر الشبلي الصوفي توفي في ذي الحجة ومحمد بن عيسى أبو عبد الله ويعرف بابن أبي موسى الفقيه الحنفي في ربيع الأول." (١)

"@ ٢٨٢ @ ذكر حصر الروم المصيصة ووصول الغزاة من خراسان $ # في هذه السنة حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا أهلها ونقبوا سورها واشتد قتال أهلها على النقب حتى دفعهم أهلها بعد قتال عظيم وأحرق الروم رستاقها ورستاق أذنة وطرسوس لمساعدتهما أهلها فقتل من المسلمين خمسة عشر ألف رجل وأقام الروم في بلاد الإسلام خمسة عشر يوما لم يقضدهم من يقاتلهم فعادوا لغلاء الأسعار وقلة الأقوات ثم إن إنسانا وصل إلى الشام من خراسان يريد الغزاة ومعه نحو خمسة آلاف رجل وكان طريقهم على أرمينية وميافارقين فلما وصلوا إلى سيف الدولة في صفر أخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين فوجدوا الروم قد عادوا فتفرق الغزاة الخراسانية في الثغور **لشدة الغلاء وعاد** أكثرهم إلى بغداد ومنها إلى خراسان ولما أراد الدمستق العود إلى بلاد الروم أرسل إلى أهل المصيصة وأذنة وطرسوس أني منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق العلوفة **وشدة الغلاء وأنا** عائد اليكم فمن انتقل منكم فقد نجا ومن وجدته بعد عودتي قتلته $ ذكر ملك معز الدولة الموصل وعوده عنها $ # في هذه السنة في رجب سار معز الدولة من بغداد إلى الموصل وملكها وسبب ذلك أن ناصر الدولة كان قد استقر الصلح بينه وبين معز الدولة على ألف ألف درهم يحملها ناصر الدولة كل سنة فلما حصلت الإجابة من معز الدولة بذل زيادة ليكون اليمين أيضا لولده أبي تغلب فضل الله الغضنفر معه وأن يحلف معز الدولة لهما فلم يجب إلى ذلك وتجهز معز الدولة وسار إلى الموصل في جمادى الآخرة فلما قاربها سار ناصر الدولة إلى نصيبين ووصل معز الدولة إلى الموصل وملكها في رجب وسار يطلب ناصر الدولة حادي عشر شعبان واستخلف على الموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلات ويجبي الخراج وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢١٧/٧

في جيش ليحفظ البلد فلما قارب معز الدولة نصيبين فارقه[١] ناصر الدولة وملك معز الدولة نصيبين ولم يعلم أي جهة قصد ناصر الدولة فخاف أن يخالفه إلى الموصل فعاد عن نصيبين نحو الموصل وتركبها من يحفظها." (١)

"@ ٢٨٤ @ $ ذكر حصر الروم طرسوس والمصيصة $ # وفي هذه السنة أيضا نزل ملك الروم على طرسوس وحصرها وجرى بينهم وبين أهلها حروب كثيرة سقط في بعضها الدمستق بن الشمشقيق إلى الأرض وكاد يؤسر فقاتل الروم وخلصوه وأسر أهل طرسوس بطريقا كبيرا من بطارقة الروم ورحل الروم عنها وتركوا عسكرا على المصيصة مع الدمستق فحصرهل ثلاثة أشهر لم يمنعهم منها أحد **فاشتد الغلاء على** الروم وكان شديدا قبل نزولهم فلها طمعوا في البلاد لعدم الأوات عندهم فلما نزل الروم زاد شدة **وكثر الوباء أيضا** فمات من الروم كثير فاضطروا إلى الرحيل $ ذكر فتح رمطة والحرب بين المسلمين والروم بصقلية $ # قد ذكرنا سنة إحدى وخمسين فتح طبرمين وحصر رمطة والروم فيها فلما رأى الروم ذلك خافوا وأرسلوا إلى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال ويطلبون منه أن ينجدهم بالعساكر فجهز اليهم عسكرا عظيما يزيدون على أربعين ألف مقاتل وسيرهم في البحر فوصلت الأخبار إلى الأمير أحمد أمير صقلية فأرسل إلى المعز بأفريقية يعرفه ذلك ويستمده ويسأل إرسال العساكر إليه سريعا وشرع هو في اصلاح الأسطول والزيادة فيه وجمع الرجال المقاتلة في البر والبحر وأما المعز فإنه جمع الرجال وحشد وفرق فيهم الأموال الجليلة وسيرهم مع الحسن بن علي والد أحمد فوصلوا إلى صقلية في رمضان وسار بعضهم إلى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها فأما الروم فإنهم وصلوا أيضا إلى صقلية ونزلوا عند مدينة مسيني في شوال وزحفوا منها بجموعهم التي لم يدخل صقلية مثلها إلى رمطة فلما سمع الحسن بن عمار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت # ووصل الروم وأحاطوا بالمسلمين ونزل أهل رمطة إلى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم وصدوهم عما أرادوا وتقدم الروم إلى القتال وهم مدلون بكثرتهم وبما معهم من العدد وغيرها والتحم." (٢)

"@ ٢٨٧ @ $ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة $ $ ذكر استيلاء الروم على المصيصة وطرسوس $ # في هذه السنة فتح الروم المصيصة وطرسوس وكان سبب ذلك أن تقفور ملك الروم بنى

(١) الكامل في التاريخ، ٢٨٢/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٨٤/٧

بقيسارية مدينة ليقرب من بلاد الإسلام وأقام بها ونقل أهله إليها فإرسل إليه أهل طرسوس والمصيصة يبذلونه له أتاوة ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم فعزم على إجابتهم إلى ذلك فأتاه الخبر بأنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصر لهم **وأن الغلاء قد** اشتد عليهم وقد عجزوا عن القوت وأكلوا الكلاب والميتة وقد كثر **فيهم الوباء فيموت** منهم في اليوم نحو ثلاثمائة نفس فعاد تفقور عن إجابتهم وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه واحترقت لحيته وقال لهم أنتم كالحية في الشتاء نخدر وتذبل حتى تكاد تموت فإن أخذها انسان وأحسن إليها وادفأها انتعشت ونهشته وأنتم إنما أطعتم لضعفكم وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم وسار إلى المصيصة بنفسه فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب ووضع السيف فيهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف ونقل كل من بها إلى بلد الروم وكانوا نحو مائتي ألف انسان # ثم سار إلى طرسوس فحصرها فاذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الأمان فأجابهم إليه وفتحوا البلد فلقيهم بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك وساروا برا وبحرا وسير معهم من يحميهم حتى بلغوا أنطاكية وجعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لدوابه وأحرق المنبر وعمر طرسوس وحصنها وجلب الميرة إليها حتى رخصت الأسعار وتراجع إليها كثير من أهلها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم وأراد المقام بها ليقرب من بلاد." (١)

"@ ٣١٦ @ $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة عاشر المحرم عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والأاتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما # وفيها أرسل القرامطة رسلا إلى بني نمير وغيرهم من العرب يدعونهم إلى طاعتهم فأجابوا إلى ذلك وأخذت عليهم الأيمان بالطاعة وأرسل أبو تغلب بن حمدان إلى القرامطة بهجر هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم # وفيها طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه أن يسلموا الأمر إليه والجيش وذكر أن أباه عهد إليه بذلك فحبسوه في داره ووكلوا به ثم أخرج ميتا في نصف رمضان فدفن ومنع أهله من البكاء عليه ثم أذن لهم بعد أسبوع أن يعملوا ما يريدون # وفيها ليلة الخميس رابع عشر رجب انخسف القمر جميعه وغاب منخسفا # وفيها في شعبان وقعت حرب بين أبي عبد الله بن الداعي العلوي وبين علوي آخر يعرف بأميرك وهو أبو جعفر الثائر في الله قتل فيها خلق كثير من الديلم والجيل وأسر أبو عبد الله بن الداعي وسجن في قلعة ثم أطلق في المحرم سنة تسع وخمسين وعاد إلى رياسته وصار أبو جعفر

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٨٧/٧

صاحب الجيش # وفيها قبض بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وعلى جميع أصحابه وقبض أموالهم وأملاكهم واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس ثم عزل أبا الفرج واعاد أبا الفضل # وفيها **اشتد الغلاء بالعراق** واضطرب الناس فسعر السلطان الطعام فاشتد البلاء فدعته الضرورة إلى إزالة التسعير فسهل الأمر وخرج الناس من العراق إلى الموصل والشام وخراسان **من الغلاء #** وفيها نفي شيرزاد وكان قد غلب على أمر بختيار وصار يحكم على الوزير والجند وغيرهم فأوحش الأجناد وعزم الأتراك على قتله فمنعهم سبكتكين وقال لهم." (١)

"@ ٣٢١ @ واحتالت على قتله فأرسلت إلى ابن الشمشقيق وهو الدمستق حينئذ ووافقته على أن يصير إليها في زي النساء ومعه جماعة وقالت لزوجها إن نسوة من اهلها قد زاروها فلما صار إليها وهو من معه جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك وكان ابن الشمشقيق شديد الخوف منه لعظم هيبته فاستجاب للمرأة إلى ما دعته إليه فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة نام تقفور واستثقل في نومه ففتحت امرأته الباب ودخلوا إليه فقتلوه وثار بهم جماعة من أهله وخاصته فقتل منهم نيف وسبعون رجلا وأجلس في الملك الأكبر من ولدي الملك المقتول وصار المدبر له ابن الشمشقيق ويقال إن تقفور ما بات قط إلا بسلاح إلا تلك الليلة لما يريده الله تعالى من قتله وفناء أجله $ ذكر ملك أبي تغلب مدينة حران $ # في هذه السنة في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سار أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان إلى حران فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها و امتنعوا منه فنازلهم وحصرهم فرعى أصحابه زروع تلك الأعمال **وكان الغلاء في** العسكر كثيرا فبقي كذلك إلى ثالث عشر جمادى الآخرة فخرج إليه نفران من أعيان أهلها ليلا وصالحاه وأخذا الأمان لاهل البلد وعادا فلما أصبحا أعلما أهل حران ما فعلاه فاضطربوا وحملوا السلاح وأرادوا قتلهما فسكنهم بعض أهلها فسكنوا واتفقوا على إتمام الصلح وخرجوا جميعهم إلى أبي تغلب وفتحوا أبواب البلد ودخله أبو تغلب وإخوته وجماعة من أصحابه وصلوا به الجمعة وخرجوا إلى معسكرهم واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي لأنه طلبه أهله لحسن سيرته وكان إليه أيضا عمل الرقة وهو من أكابر أصحاب بني حمدان وعاد أبو تغلب إلى الموصل ومعه جماعة من أحداث حران وسبب سرعة عوده أن بني نمير عاثوا في بلد الموصل وقتلوا العامل ببرقعيد فعاد إليهم ليكفهم $ ذكر قتل سلميان بن أبي علي بن إلياس $ # في هذه السنة قتل سايمان بن أبي علي بن الياس الذي كان والده صاحب كرمان وسبب ذلك أنه ذكر للأمير منصور

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣١٦/٧

بن نوح صاحب خراسان أن أهل كرمان من القفص والبلوص معه وفي طاعته وأطعمه في كرمان فسير معه عسكرا اليها." (١)

"@ ٤٠٣ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة $ $ ذكر ولاية بكجور دمشق $ قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان فلما وليها عمرها وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد مدة تحكم قسام عليها وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها **ووقع الغلاء والقحط** بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص إليه وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها وكتب إلى العزيز بالله بمصر وتقرب إليه فوعده ولاية دمشق فبقي كذلك إلى هذه السنة ووقعت وحشة بين سعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور فأرسل سعد الدولة يأمره بان يفارق بلده فأرسل بكجور إلى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من امارة دمشق وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته إلى هذه الغاية وكان القائد بلتكين قد ولي دمشق بعد قسام كما ذكرناه وهو مقيم بها فاجتمع المغارب بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله فدعته الضرورة إلى ان يستحضر بلتكين من دمشق فأمره العزيز باحضاره وتسليم دمشق إلى بكجور فقال ان بكجور ان وليها عصا فيها فلم يصغ إلى قوله وأرسل إلى بلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق إلى بكجور ففعل ذلك ودخلها في رجب من هذه السنة واليا عليها فاساء السيرة إلى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به حتى انه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك في أهل البلد وظلم الناس وكان لا يخلو من اخذ مال وقتل وصلب وعقوبة فبقي كذلك إلى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وسنذكر هناك عزله إن شاء الله تعالى." (٢)

"@ ٤٣٥ @ طينا وحجارة وانقطعت الطرق # وفيها عصى نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة واجتاز به أحمد بن سعيد الشبيبي الخراساني مقبلا من الري ومعه عسكر الديلم لمحاربته فلما رأى الجد في أمره راسل فخر الدولة وعاود طاعته فأجابه إلى قبول ذلك منه واقره على حاله وفيها توفي الأمير أبو علي بن فخر الدولة في رجب وفيها **وقع الوباء بالبصرة** والبطائح من شدة الحر فمات خلق كثير حتى امتلات منهم الشوارع # وفي شعبان كثرت الرياح العواصف وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح فهدمت قطعة من الجامع وأهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢١/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٠٣/٧

الكبار المملوءة واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة من السفر والقت الجميع على مسافة من موضعها # وفيها توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد كان محدثا مكثرا ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين وأبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم النيسابوري في ربيع الأول وهو صاحب التصانيف المشهورة." (١)

"@ ٣٣ @ $ ذكر غزوة بهاطية $ # في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء المولتان وصاحبها يعرف ببحيرا وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها بها ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليه وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم # فقتل المقاتلة وسبية الذرية وأخذت الأموال # وأما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤوس تلك الجبال # فسير إليه يمين الدولة سرية فلم يشعر لهم بحيرا إلا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب أخذ خنجرا معه فقتل به نفسه # وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها إلى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقي في عوده شدة شديدة من الأمطار وكثرتها وزيادة الأنهار فغرق منه ومن عسكره شيء عظيم $ ذكر عده حوادث $ # في هذه السنة كان بأفريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز والحمامات وهلكة الناس وذهبت الأموال من الأغنياء وكثر الوباء فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة # وفيها وصل قرواش وأبو جعفر الحجاج إلى الكوفة فقبضا على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ منه قرواش مائة ألف دينار وحمله معه إلى الأنبار # وفيها توفي إسحاق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو إبراهيم المهلبي # وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي إسماعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الهه تعالى." (٢)

"@ ٤٧ @ بدر ودخل البلد وأسر مجد الدولة فقيدته والدته و سجنته بالقلعة وأجلست أخاه شمس الدولة في الملك وصار الأمر اليها # وعاد بدر إلى بلده وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة # فرأت والدته منه تنكرا وتغيرا وأن أخاه مجد الدولة ألين عريكة # وأسلم جانبا فأعادته إلى الملك # وسار شمس الدولة إلى همذان # وكره بدر هذه الحاله إلا أنه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها #

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٣٥/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٣/٨

وصارت هي تدبر الأمر وتسمع رسائل الملوك وتعطي الأجوبة # وأرسل شمس الدولة إلى بدر يستمده # فسير إليه جندا فأخذهم وسار بهم إلى قم فحصروها فمنعها أهلها # ثم ان العساكر دخلوا طرقا منها واشتغلوا بالنهب فأكب عليهم العامة وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل وانهزم الباقون إلى معسكرهم ثم قبض هلال بن بدر على أبيه فتفرق ذلك الجمع كله $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة **اشتد الغلاء بالعراق** فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة # وفيها توفي عبد الصمد الزاهد ودفن عند قبر أحمد وكان غاية في الزهد والورع # وفيها هب على الحجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض ولم ير الناس بعضهم بعضا وأصابهم عطش شديد ومنعهم ابن الجراح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالا فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا # وفيها مات علي بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكي المعروف بابن القصاب." (١)

"@ ٤٩ @ ومن الأواني الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا # وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا إلى غير ذلك من الأمتعة وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فأدخلهم اليه فرأوا مالم يسمعوا بمثله $ ذكر حال أبي جعفر بن كاكويه $ # هو أبو حعفر بن دشمنزيار وإنما قيل كاكوية لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وكاكويه هو الخال بالفارسية وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان # فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة # ثم عادت والدة مجد الدولة إلى ابنها بالري فهرب ابو جعفر وسار إليها فأعادته إلى اصبهان واستقر فيها قدمه وأعظم شأنه # وسيأتي من أخباره ما يعلم به صحة ذلك إن شاء الله تعالى $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة في ربيع الأول وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة والبطائح إلى عبادة وكان ببغداد نحو ذراع وبقي في الطريق نحو عشرين يوما # وفيها وقعت الفتنه ببغداد في رجب # وكان أولها أن بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجد بالكرخ فآذاه ونال منه فثار به اصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا وقصدوا أبا حامد الأسفراييني وابن الأكفاني فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا # وانتقل أبو حامد الأسفراييني إلى دار القطن وعظمت الفتنة ثم إن السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٧/٨

وعاد أبو حامد إلى مسجده وأخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه علي بن مزيد فأعيد # وفيها **وقع الغلاء بمصلا** واشتد وعظم الأمر وعدمت الأقوات ثم تعقبه." (١)

"@ ٦٥ @ الجيوش عظم الأمر عنده فأظهر ذلك فاستحسنه الناس # ولما وصل التاجر إلى مصر أظهر الدعاء له فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه # فبلغه الخبر فسره ذلك $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة **اشتد الغلاء بخراسان** جميعها وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضا # فكان الإنسان يصيح الخبز الخبز ويموت # ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى # وفيها مات أبو الفتح محمد بن عناز بحلوان وكانت إمارته عشرين سنة # وقام بعده ابنه ابو الشوك فسيرت إليه العساكر من بغداد لقتاله ولقيهم أبو الشوك وقاتلهم قتالا شديد وانهزم أبو الشوك إلى حلوان وأقام بها إلى أن صلح حاله مع الوزير أبي." (٢)

"@ ٢٨٢ @ $ ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة $ $ ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهرزور $ # قد ذكرنا في السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعة تيرانشاه ولم يزل يحاصرها إلى الآن فوقع في **عسكره الوباء وكثر** الموت فأرسل إلى صاحبه ينال يستمده ويطلب إنجاده ويعرفه **كثرة الوباء عنده** فأمر بالرحيل عنها فسار إلى مايدشت فلما سمع مهلهل ذلك سير أحد أولاده إلى شهرزور فملكها انزعج الغز الذين بالسيروان وخافوا ثم سار جمع من عسكر بغداد إلى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الأعمال وأتوا على ما تخلف من الغز فخربت الأعمال بالكلية وسار مهلهل ومعه أهله وأمواله إلى بغداد فأنزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفا من الغز وعاد إلى حلله وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد إلى البندنيجين وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأسر جماعة قتلوا أيضا صبرا $ ذكر غزو إبراهيم ينال الروم $ # في هذه السنة غزا إبراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أن خلقا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم # ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا إلى سلاز كرد وأردن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر عظيم للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٩/٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٦٥/٨

القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في." (١)

"@ ٢٨٦ @ # وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش بن المقلد وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل بن المقلد فانضاف قريش بن بدران بن المقلد إلى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه أبا كامل فظفر وانهزم أبو كامل ولم يزل قريش يغري قرواشا بأخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما # وفيها خطب للأمير أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولي عهد المسلمين وفيها في رمضان قتل الأمير أقسنقر بهمذان قتله الباطنية لأنه كان كثير الغزو إليهم والقتل فيهم والنهب لأموالهم والتخريب فلما كان الآن قصد إنسانا من الزهاد ليزوروه فوثب عليه جماعة من الإسماعيلية فقتلوه # وفيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث وأوصى أن يدفن بجوار احمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البز ا ز ومولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة روى عن أبي بكر الشافعي وغيره وتوفي في شوال وهو راوي الآحاديث المعروفة بالغيلانيات التي خرجها الدارقطني وهي من أعلى الحديث وأحسنه وعبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبوالقاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة # وفيها **كان الغلاء والوباء** عاما في البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد # وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان أول أمره يهوديا فأسلم واتصل بالدزبري وخدمه بالشام ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجرائي الوزير ونفق عليه فلما توفي الجرجرائي استوزره المستنصر إلى الآن ثم قتله واستوزر القاضي أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري في ذي القعدة." (٢)

"@ ٣٢٥ @ بالسعي في أرزاق يحصلونها لأنفسهم فتوجه كثير منه إلى البساسيري ولزموه فكثر جمعه ونفق سوقه وأمر طغرلبك بأخذ أموال الأتراك البغداديين وأرسل إلى نور الدولة دبيس يأمره بإبعاد البساسيري عنه ففعل فسار إلى رحبة مالك بالشام على ما نذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول في طاعته وخطب نور الدولة لطغر لبك في بلاده وانتشر الغز السلجوقية في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت إلى النيل ومن الشرقي إلى النهوانت وأسافل الأعمال وأسرفوا في في النهب حتى بلغ ثمن

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٨٢/٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٨٦/٨

الثور خمسة قراريط إلى عشرة والحمار بقراطين إلى خمسة وخرب السواد وأجلى أهله عنه وضمن السلطان طغرلبك البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن بن عياض بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار وأقطعه أرجان وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون الأعمال التى ضمنها وأقطع الأمير أبا علي بن أبي كاليجار الملك قرميسين وأعمالها وأمر أه ل الكرخ أن يؤذنوا في مساجدهم سحرا الصلاة خيرة من النوم وأمر بعمارة دار المملكة وزيد فيها وانتقل إلأيها في شوال $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة أبو علي بن الفراء وابن التميمي وتبعهم من العامة الجم الغفير وأنكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا من الترجيع في الأذان والقنوت في الفجر ووصلوا إلى ديوان الخليفة ولم ينفصل حال وأتى الحنابلة إلى مسجد بباب الشعير فنهوا إمامه عن الجهر بالبسملة فأخرج مصحفا وقال أزيلوها من المصحف حتى لا أتلوها # وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبر عشرة أرطال بدينار مغربي ثم تعذر وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فتعوض الناس به ثم عاد الحاج فسهل الأمر على أهل مكة وكان سبب **هذا الغلاء عدم** زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة # وفيها ظهر باليمن إنسان يعرف بأبي كامل علي بن محمد الصليحي واستولى على اليمن وكان معلما فجمع إلى نفسه جمعا وانتمى إلى صاحب مصروتظاهر بطاعته فكثر جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوي على ابن سادل وابن الكريدي المقيمين بها على طاعة القائم بأمر الله وكان يتظاهر بمذهب الباطنية # وفيها خطب محمود الخفاجي." (١)

"@ ٣٣١ @ # (لما حووا إحراز كل فضيلة ٪ غلب الحياء عليهم فتلثموا) # ونذكر باقي أخبار أمير المسلمين في مواضعها إن شاء الله تعالى $ ذكر تبييض أبي الغنائم بن المحلبان $ # في هذه السنة بيض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط وخطب فيها للعلويين المصريين # وكان سبب ذلك أن رئيس الرءساء سعى له في النظر على واسط وأعمالها فأجيب إلى ذلك فانحدر إليها فصار عنده جماعة من أ يانها وجند جماعة عظيمة وتقوى بالبطائحيين وحفر على الجانب الغربي من واسط خندقا وبنى عليه سورا وأخذ ضريبة من سفن أصعدت للخليفة فسير لحربه عميد العارق أبو نصر فاقتتلوا فانهزم ابن المحلبان وأسر من أصحابه عدد كثير ووصل أبو نصر إلى السور فقاتله العامة من على السور ثم تسلم البلد وأمر أهله بطم الخندق وتخريب السور ثم أصعد إلى بغداد فلما قاربها عاد إليها ابن غسانجس ونهب قرية عبد الله وقتل كل أعمى رآه بواسط وأعاد خطبة المصريين وأمر أهل كل محلة بعمارة ما يليهم من السور ومضى

(١) الكامل في التاريخ، ٨/٣٢٥

منصور بن الحسين إلى المدار وأرسل إلى بغداد يطلب المدد فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمكرانه أن يقصد واسطا هو ابن الهيثم وأن يحاصرانها فأقبلا إليها فيمن معهما وحصروها في الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع وأربعين فاشتد **فيها الغلاء حتى** بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة أرطال بدينار وإذا وجد الخبازي باعوه كل عشرين رطلا بدينار ثم صعفوا وضجروا من الحصار فخرج ابن فسانجس ليقاتل فلم يثبت وقتل جماعة من أصحابه وانهزموا إلى سمر البلد واستأمن جماعة من الواسطيين إلى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضر إلى قصر ابن أخضر وسار إليه طائفة منم العسكر فأدركوزه بقرب النيل فأسر هو وأهله وحمل إلى بغداد فدخلها في صفر سنة تسع وأربعين وشهر على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصلب." (١)

"@ ٣٣٥ @ فأحاطت بهم وصعد أهلها على السور وسبوا وأخرجوا جماجم من كانوا قتلوا وقلانسهم وتركوها على رؤوس القصب ففتحها السلطان عنوة وقتل أميرها مجى بن مرجا وخلقا كثيرا من رجالها وسبى نسائهم وخربت وسأل إبراهيم ينال في الباقين فتركهم فسلمها هي والموصل والبلاد إلى إبراهيم ينال ونادى في عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفوا عنهم وعاد السلطان إلى بغداد على ما نذكره وكان ينبغي أن نذكر هذه الحادثة سنة تسع وأربعين وإنما ذكرناها هذه السنة لأن الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا أنها كانت سنة تسع وأربعين $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الأسعار **وكثر الغلاء وتعذرت** الأقوات وغيرها من كل شيء وأكل الناس الميتتة ولحقهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورطلان شرابا بدينار وسفرجلة بـدينار ورمانة بدينار وكل شيء بدينار # وكان بمصر أيضا وباء شديد فكان يموت في اليوم ألف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد والشام والجزيرة و الموصل والحجاز واليمن وغيرها # وفيها في جمادى الأولى ولدت جارية ذخيرة الدين بن الخليفة الذي ذكرنا وفاته قبل ولدا ذكرا سمي عبد الله وكني أبا القاسم وهو المقتدي # وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر في السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة أذره في رأي العين وعرضها ذراع إلى نصف رجب واضمحلت وفيها أمر الخليفة بأن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وأن يتركوا حي على خير العمل ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوتها $ وفيها توفي علي بن أحمد بن علي أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالي من أهل مدينة فالة بالقرب من أيذج روى الحديث والأدب وله شعر حسن فمنه قوله #

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨/٣٣١

(تصدر للتدريس كل مهوس ٪ بليد تسمى بالفقيد المدرس) # (فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ٪ بيت قديم شاع في كل مجلس) # (لقد هزلت حتى بدا من هزالها ٪ كلاها وحتى سامها كل مفلس)." [1]

"@ ٣٣٩ @ ويحسن إليهم ويجالسهم وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الشهداء والقضاء وكانت سعادتهما متفقه ونهايتهما مقاربة $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة **زاد الغلاء ببغداد** والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق اسميد بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها **وكثر الوباء حتى** عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة # وفهيافي ربيع الأول توفي أو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري الأديب وله نحو ستوثمانين سنة و علمه أشهر من أن يذكر إلاأن أكثر الناس يرموزنه بالزندقة وفي شعره ما يدل على ذلك حكي أنه قال يوما لأبي يوسف القزويني ما هجوت أحدا فقال له القزويني هجوت الأنبياء فتغير وجهه وقال ماأخاف أحدا سواك # وحكى عنه القزويني أنه قال ما رأيت شعرا في مرثية الحسين بن علي يساوي أن يحفظ فقال القزويني بلى قد قال بعض أهل سوادنا # (رأس ابن بنت محمدووصيه ٪ للمسلمين على قناة يرفع) # (والمسلمون بمنظر ومسمع ٪ لا جازع منهم ولا متفجع) # (أيقظت أجفانا وكنت لها ترى ٪ وأنمت عينا لم تكن بك يهجع) # (كحلت بمصرعك العيون عماية ٪ وأصم نعيك كل أذن تسمع) # (ما روضة إلا تمنت أنها ٪ لكمضجع ولخط قبرك موضع) # وفيها أصلح دبيس بن علي بن مزيد ومحمود بن ألخرم الخفاجي حالهما مع السلطان فعاد دبيس إلى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها **من الوباء الجارف** ليس بها أحد # وفيها **كثر الوباء ببخارى** حتى قيل إنه مات في يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان من أعمال بخارى وهلك في هذه الولاية في **مدة الوباء ألف** ألف وستمائة ألف وخمسون ألفا وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركي يأخذ لحافا عليه فمات التركي وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة # وفيها نهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ وهو فقيه الإمامية وأخذ مافيها وكان قد فارقها إلى المشهد الغربي # وفيها في صفر توفي أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني مقدم." [2]

"@ ٤٠٠ @ الدولة فأخذه أسيرا وأكثر القتل في أصحابه وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤوس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٣٥/٨

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٣٩/٨

وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فأقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الأسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل **وعظم الوباء حتى** أن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة **واشتد الغلاء حتى** أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل إنها باعت عروضا قيمتها الف دينار بثلاثمائة دينار واشترت بها حنطة حملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عملته رغيفا واحدا # وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة ويحمل المال إليه ولا يبقى معه لأحد حكم فلما دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ولم يرسل إليه منها شيئا فصار ناصر الدولة إلى الجيزة واستدعى إليه شادي وغيره من مقدمي الأتراك فخرجوا إليه إلا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير إليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالإسكندرية ومياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر إليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئا من آثار المملكة # فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر فأجرى له كل يوم مائة دينار # وعاد إلى لاقاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده زكثير من أهله إلى الغرب." (١)

"@ ٤١١ @ نصر ناظرا في أعمال بغداد # وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهيثم وخالفوا عليه منهم وخرج من ملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدة الطزيلة ولم يصحبه من ذلك جميعهه شيء وصار نزيلا على كوهرائين شجنة العراق # وفيها انفجر البثوق بالفوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجى أهل البلاد **ووقع الوباء فيهم** ولم يزل كذلك

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨/٤٠٠

إلى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين # ة في هذه السنة توفي أبو علي الحسن بن القاسم بن محمد المقري المعروف بغلام الهراس الواسطي بها وكان محدثا علامة في كثير من العلوم # وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوي الفقيه الشافعي وكان يدرس الفقه بدرب السلولي بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيب الطبري وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي راوي صحيح البخاري ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه بالشافعي علي أبي بكر القفال وأبي حامد الإسفرايني وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي وكان عابدا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله إن الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج # وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدي المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في النفسير وهو نيسابوري إمام مشهور # وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفي بالأهواز # ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على أبي محمد الجويني وسمع من الحاكم أبي عبد الله السلمي وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما # وفيها توفي مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله # (يا من لبست لبعده ثوب الضنا ٪ حتى خفيت به عن العواد) # (وأنست بالسهر الطويل فأنسيت ٪ أجفان عيني كيف كان رقادي) # (إن كان يوسف بالجمال مقطع الأيدي ٪ فأنت مفتت الأكباد)." (١)

"@ ٣٢ @ عصيانه والخروج عن طاعته إلى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده وألقي على الأرض عدة أيام حتى سأل الأمير أياز في دفنه فيه فحمل إلى تربة ابيه بأصبهان فدفن معه وكان بخيلا شيء السيرة مع الأمراء إلا أنه كان كثير المكر والحيل في إصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الأعراب أبا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا إلى بغداد وهو أبو إبراهيم الإستراباذي لأخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم إليه محمد الشرابي وهو ابن خاله مؤيد الملك فأخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها أحد وأربعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الرقعة سار إلى الري فوصل إليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور دبيس بن صدقة بن مزيد $ ذكر حال

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤١١/٨

السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سنجر $ # لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان إلى أخيه سنجر وهما لأم واحدة فأقام بجرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير إليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير أميرين في نحو ثلاثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان # وسار منها إلى دمغان فخربها العسكر الخراساني ومضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد **وعم الغلاء تلك** الأصقاع حتى أكل الناس الميتة والكلاب وأكل الناس بعضهم بعضا # وساروا إلى الري فلما وصلوا إليها انضم إليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم $ ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد $ # لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة فارس ثم إنهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة إلى أبيه وخرج الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي بأذربيجان فسير." (١)

"@ ٧٨ @ وانقادوا له أدركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى أنهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد **وقع الغلاء #** ووقفت المعايش والمكاسب وكان أهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تقلب الأحوال به ما وقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق أن أخاه محمودا مات فاضطربوا إلى أن يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة # وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته $ ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق $ # في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد يوم الجمعة وكان سبب ذلك أن أيلغازي شحنة بغداد سار في المحرم إلى السلطان بركيارق وهو بأصبيهان يحثه على الوصول إلى بغداد رحل مع بركيارق فلما مات سار مع ولده ملكشاه والأمير أياز إلى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث أنهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقيهم من ديالي وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر أيلغازي والأمير طغايرك بالديوان وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فأجيب إليها وخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه وهي جلال وغيره من

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢/٩

الألقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له $ ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل $ # لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه في السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان إلى بركيارق وسار إليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره كان في حفظ أصبهان وأقام إلى صفر من هذه السنة وسار إلى مراغة ثم إلى إربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره إليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج إلى إصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لأصحابه في نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل إلى جكرمش يذكر له." (١)

"@ ٢٣٨ @ فيها **وأن الغلاء قد** اشتد بالناس لعدم الغلات والأقوات لهرب الأكرة عن بلادهم ويطلب منه أن يتأخر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوي عنده ما قرره الزكوي أبى أن يجيب إلى التأخر وصم العزم وسار إليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربي في ذي القعدة مظهرا للغضب والانتزاح عن بغداد إن قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فأرسل الخليفة ويسأله العود إلى داره فأعاد الجواب أنه لا بد من عودك هذه الدفعة فإن الناس هلكى **بشدة الغلاء وخراب** البلاد وأنه لا يرى في دينه أمن يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فإن عاد السلطان وإلا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجيء العساكر # فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربي فلما حضر عيد الأضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفا الخادم وهو من خواصه في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة # وقد فارق البرسقي واتصل بالسلطان فأقطعه البصرة فلما وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقي وكان عفيف بالجانب الغربي فأرسل إليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها فأبى ولم يفعل فعبر إليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم إن الخليفة جمع السفن جميعها إليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه # ووصل السلطان إلى بغداد في العشرين من ذي

---

(١) الكامل في التاريخ، ٧٨/٩

الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره إلى بغداد ونزلوا في دور الناس ذلك إلى السلطان فأمر بإخراجهم وبقي فيها من له دار وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجري بين العسكريين مناوشة والعامة من الجانب الغربي يسبون السلطان أفحش سب ثم إن جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة إحدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا." (١)

"@ ٢٣٩ @ ونادوا الغزاة فأقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرداق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته يا لهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الأمراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الأمراء ودار عزيز الدين المستوفي ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير في الدروب ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان **ووقع الغلاء عند** العسكر واشتد الأمر عليهم أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على أن يكسبوا عسكر السلطان فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل وخرج كأنه يريد اىقتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة وإلى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح وإظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤوا الأرض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في أعينهم وملأ صدورهم # وركب السلطان والعسكر إلى لقائهم فنظروا إلى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في أعينهم وعزم على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة وخروج الأمير أبي الهيجاء من عنده أجاب إلى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه بأذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم # وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا # وأقام ببغداد إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين # وحمل الخليفة من المال إليه كل ما استقرت

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٣٨/٩

القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فمرض السلطان ببغداد فأشار عليه الأطباء بمفارقتها فرحل إلى همذان فلما وصلها عوفي." (١)

"@ ٣١٦ @ السكر وبقي السكر في البر لا ينتفع به أحد ولم يتعرض أحد إلى رده إلى مجراه عند السكر إلى وقتنا هذا # وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرة واحدة في أذار ثم انقطع **ووقع الغلاء وعدمت** الأقوات # وفيها في جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها إلى دار الخليفة يوما مشهودا غلقت بغداد عشرة أيام وزينت وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة # وفيها في ربيع الأول توفي القاضي أبو الفضل يحيى ابن قاضي دمشق المعرف بالزكي." (٢)

"@ ٣٢٥ @ الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزيني وشفع أن يعود إلى داره فأذن له في ذلك وأعاد أخاه إلى نقابة النقباء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها إلا إلى الجامع # وفيها أغار عسكر أتابك زنكي من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا وأهرقوا وظفروا بسرية الفرنج فقتلوا فيهم وأكثروا فكان عدد القتلى سبعمائة رجل # وفيها أفسد بنو خفاجة بالعراق فسير السلطان مسعود سرية إليهم من العسكر فنهبوا خلتهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا سالمين # وفيها سير رجار الفرنجي صاحب صقلية أسطولا إلى أطراف أفريقية فأخذوا مراكب سيرت من مصر إلى الحسن صاحب أفريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدد الهدنة لأجل حمل الغلات من صقلية إلى أفريقية **لأن الغلاء كان** فيها شديدا والموت كثير # وفيها توفي أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي الدمشقي وكان عالما # وفيها توفي ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي وزير أتابك زنكي وكان حسن السيرة في وزارته كريما رئيسا # وفيها توفي أبو محمد بن طاوس إمام الجامع بدمشق في المحرم وكان رجلا صالحا فاضلا # وفيها توفي أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث المعروف بابن السمرقندي ولد بدمشق سنة أربع وخمسين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث عالي الرواية." (٣)

"@ ٣٤٩ @ # وفي ربيع الآخر توفيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفي لأمر الله # وفي رجب منها مات أبو الحسن محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده

---

(١) الكامل في التاريخ، ٩/٢٣٩

(٢) الكامل في التاريخ، ٩/٣١٦

(٣) الكامل في التاريخ، ٩/٣٢٥

سنة أربع وثمانين وكان قد تصوف وجعل داره التي في القصر رباطا للصوفية # وفيها سار سيف الدين غازي بن زنكي إلى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثم سار إلى ماردين وحصرها وخرب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك أن أتابك زنكي لما قتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن إلى ما كان قد فتحه من بلادهما فأخذاه فلما ملك سيف الدين وتمكن سار إلى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الأفاعيل العظيمة فلما رأى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل في بلده قال كنا نشكو من أتابك الشهيد وأين أيامه لقد كانت أعيادا قد حصرنا غير مرة فلم يأخذ هو ولا أحد من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدى هو وعسكره حاصل السلطان وأرى هذا ينهب البلاد ويخربها ثم راسله وصالحه وزوجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد إلى الموصل وجهزت ابنة حسام الدين وسيرت إليه فوصلت وهو مريض قد أشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده إلى أن توفي وملك قطب الدين مودود فتزوجها على ما نذكره إن شاء الله تعالى # وفيها اشتد الغلاء بأفريقية ودامت أيامه فإن أوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضا وقصد أهل البوادي المدن من الجوع فأغلقها أهلها دونهم وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد وسار كثير منهم إلى صقلية في طلب القوت ولقوا أمرا عظيما." (١)

"@ ٣٥٠ @ $ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة $ $ ذكر ملك الفرنج مدينة المهدية بإفريقية $ # قد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مسير آهل يوسف صاحب قابس إلى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية صلح وعهود إلى مدة سنتين وعلم أنه فاته فتح البلاد في هذه الشدة التي أصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين إلى هذه السنة وكان أشد ذلك سنة اثنتين وأربعين فإن الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل أكثرهم إلى مدينة صقلية وأكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت في الناس فاغتنم رجار هذه السنة فعمر الأسطول وأكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا وقوتا وسار الأسطول عن صقلية ووصل إلى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية فصدفوا بها مركبا ووصل إلى المهدية فأخذ أهله واحضروا بين يدي جرجي مقدم الأسطول فسألهم عن حال أفريقية ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل أرسلوا منها فحلفوا بالله أنهم لم يرسلوا شيئا فأمر الرجل الذي كان في الحمام صحبته أن يكتب بخطه إننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم

(١) الكامل في التاريخ، ٣٤٩/٩

عن الأسطول المخذول فذكروا أنه أقلع إلى جزائر القسطنطينية وأطلق الحمام فوصل إلى المهدية فسر الأمير الحسن والناس وأراد جرجي بذلك أن يصل بغتة ثم سار وقدر وصولهم إلى المهدية وقت السحر ليحيط بها قبل أن يخرج أهلها فلو تم له ذلك لم يسلم منهم أحد فقدر الله تعالى أن أرسل عليهم ريحا هائلا فلم يقدروا على السير إلا بالمقاذيف فطلع النهار ثاني صفر في هذه." (١)

"@ ٣٥٨ @ السواد إلى بغداد منهزمين قد أخذت أموالهم وهلكوا جوعا وعريا وكذلك أيضا **كان الغلاء في** أكثر بلاد خراسان وبلاد الجبل وأصفهان وديار فارس والجزيرة والشام وأما المغرب فكان أشد غلاء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدو إليها # وفيها توفي إبراهيم بن نبهان الرقي ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصحب الغزالي والشاسي وروى الجمع بين الصحيحين للحميدي عن مصنفه # وفيها في ذي القعدة توفي الإمام أبو الفضل الكرماني الفقيه الحنفي إمام خراسان." (٢)

"@ ٣٧٠ @ وكفر لاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك # من أعماله في مدة يسيرة يرد تفصيلها # وكان نور الدين كلما فتح منها حصنا نقل إليه من كل ما تحتاج إليه الحصون خوفا من نكثة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة إلى ما يمنعها من العدو ومدحه الشعراء فممن قال فيه القيسراني من قصيدة في ذكر جوسلين # (كما أهدت الأقدار للقمص أسره ٪ وأسعد قرن من حواملك الأسر) # (طغى وبغى عدوا على غلوائه ٪ فأوبقه الكفران عدواه والكفر) # (وأمست عزاز كاسمها بك عزة ٪ تشق على النسرين لو أنها وكر) # (فسر واملك الدنيا ضياء وبهجة ٪ فبالأفق الداجي إلى ذا السنا فقر) # (كأبي بهذا العزم لا فل حده ٪ وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر) # (وقد أصبح البيت المقدس طاهرا ٪ وليس سوى جاري الدماء له طهر) $ ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الأندلس $ # في هذه السنة سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين الف فارس إلى الأندلس مع أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وسير معهم نساءهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا إلى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء إليه أحمد بن ملحان صاحب مدينة وادي آش وأعمالها بجماعته ووحدوا وصار معه وأتاه إبراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان وأصحابه ووحدوا وصاروا أيضا معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة إلى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الأندلس ليبغته بالحصار قبل أن

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٥٠/٩

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٥٨/٩

يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فأرسل إلى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويستحثه على الوصول إليه فسار إليه الفرنجي في عشرة لاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصوا إلى حمة بلقوارة وبينها وبين مرسية التي هي مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المرية وهي للفرنج عدة شهور **فاشتد الغلاء في** العسكر وعدمت الأقوات فرحلوا عنها وعادوا إلى أشبيلية فأقاموا بها." (١)

"@ ٤١٩ @ فمات وقيل بل اغتاله الأتراك فقتلوه وتقدم السلطان محمود إلى ولاية هراة في عساكره وجنوده والتحق جماعة من عسكر سنقر بالأمير إيثاق وأغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمت الفتن أطراف خراسان وأصابهم العين فإنهم كانوا أيام السلطان سنجر في أرغد عيش وأمنه وهذا دأب الدنيا لا يصفو نعيمها وخيرها من كدر وشوائب وآفات وقلما يخلص شرها من خير فنسأل الله أن يحسن لنا العون والعقبى بمحمد وآله $ ذكر ملك نور الدين بعلبك $ # في هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبك وقلعتها وكانت بيد إنسان يقال له ضحاك البقاعي منسوب إلى بقاع بعلبك وكان قد ولاه إياها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه إلى الآن فملكها واستولى عليها $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة قلع الخليفة المقتفي لأمر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالنقرة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يدفن فيه إذا مات # وفيها توفي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي رئيس اصحاب الشافعي بأصفهان وسمع الحديث بها من أبي علي الحداد وكان صدرا مقدما عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة بأصفهان وقتل فيها خلق كثير # وفيها كان بخراسان غلاء شديد أكلت فيه سائر الدواب حتى الناس وكان بنيسابور طباخ فذبح إنسانا علويا وطبخه وباعه في الطبيخ ثم ظهر عليه أنه فعل ذلك فقتل **وأسفر الغلاء وصلحت** أحوال الناس # وفيها توفي القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي المايد أي الواسطي قاضيها وكان فقيها عالما # وفيها في ربيع الآخر توفي القاضي برهان الدين ابو القاسم منصور بن أبي سعد محمد بن أبي نصر أحمد الصاعدي قاضي نيسابور وكان من أئمة الفقهاء الحنفية." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٧٠/٩

(٢) الكامل في التاريخ، ٤١٩/٩

"@ ٤٧٩ @ أهلها البلد قال فوالله لما كان الغد إذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرت قول الرجل فخرجت والله وليس لي همة إلا أني أنظر هل يصح ما قال أم لا قال فلم يكن إلا قليل حتى عاد الناس وهو محمول على أيديهم قتيلا بعصابته الحمراء وذكروا أنه لم يقتل بينهم غيره فبقيت متعجبا من قوله كيف صح ولم يتغير منه شيء ومن أين له هذا اليقين ولما حكي لي هذه الحكاية لم أسأله عن تاريخها وإنما كان في هذه المدة في تلك البلاد فلهذا أثبتها هذه السنة على الظن والتخمين # وفيها قبض المؤيد أي أبه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمد بن أبي طالب سعد بن أبي القاسم محمود الرازي وحبسه وابتوزر بعده نصير الدين أبا بكر محمد بن أبي نصر محمد المستوفي وهو من أعيان الدولة السنجرية # وفي هذه السنة وردت الأخبار أن الناس حجوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدة وانقطع منهم خلق كثير في فيدوا الثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج إلى النبي لهذه الأسباب ولشدة الغلاء فيها ووقع الوباء في البادية وهلك منهم عالم لا يحصون وهلكت مواشيهم وكانت الأسعار بمكة غالية # وفيها في صفر قبض المستنجد بالله على الأمير توبة بن العقيلي وكان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه وأحبه المستنجد محبة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبا من العجم مع قوم وأمرهم أن يتعوضوا فيؤخذوا ففعلوا ذلك وأخذوا وأحضروا عند الخليفة فأظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج إلى نهر الملك يتصيد وكانت حلل توبة على الفرات فحضر عنده فأمر بالقبض عليه فقبض وأدخل بغداد ليلا وحبس فكان آخر العهد به فلم يمنح الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة أشهر وكان توبة من أ : مل العرب مروءة وعقلا وسخاء وإجازة واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في الناس # وفيها في ربيع الأول توفي الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامدي الهروي وزير السلطان أرسلان ووزير أتابك شمس الدين أيلدكز." (١)

"@ ٤٧ @ وما والاهما من البلاد وخطب السلطنة لابن امرأته ارسلان شاه بن طغرل وكان عسكره خمسين ألف فارس سوى الأتباع واتسع ملكه من باب تفليس إلى مكران ولم يكن للسلطان أرسلان معه حكم إنما كان له جراية تصل إليه وبلغ من تحكمه عليه أنه شرب ليلة فوهب ما في خزانته وكان كثيرا فلما سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعا وقال له متى أخرجت المال في غير وجهة أخذته أيضا من غير وجهة وظلمت الرعية وكان ايلدكز عاقلا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض $ ذكر وصول الترك إلى إفريقية وملكهم طرابلس وغيرها $ # في هذه السنة سار طائفة من الترك من

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٧٩/٩

ديار مصر مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى جبال نفوسة واجتمع به مسعود بن زمام االمعروف بمسعود البلاط وهو من أعيان الأمراء هناك وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا وكثر جميعهما ونزلا على طرابلس ١لغرب فحاصراها وضيقا على أهلها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش وأسكن أهله قصرها وملك كثيرا من بلاد إفريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والإفساد بقطع الأشجار والثمار وغير ذلك فجمع بها أموالا عظيمة وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحديثه بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعد أبي يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره إن شاء الله $ ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالأندلس $ # في هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من إشبيلية إلى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندي وهي بالقرب من طليطلة شرقا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة في جمع كثير فلم يقدموا على لقاء المسلمين فاتفق **أن الغلاء اشتد** على المسلمين وعدمت الأقوات عندهم وهو في جمع كثير فاضطروا إلى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا إلى أشبيلية وأقام يعقوب بها سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وهو على ذلك يجهز العساكر." (١)

"@ ٩٢ @ الحصار أرسل إلى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلمها إليه فعوضه عنها وسلمها فأقطعها صلاح الدين أخاه شمس الدولة $ **ذكر الغلاء والوباء** العام $ # في هذه السنة انقطعت الأمطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراقية والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغيرذلك **واشتد الغلاء وكان** عاما في سائر البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهي أربعة عشر مكوكا بالموصلي بعشرين دينارا صورية عتق وكان الشعير بالموصل كل ثلاث مكاكي بدينار أميري وفي سائر البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس في أقطار الأرض فلم يسقوا وتعذرت الأقوات وأكلت الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك إلى آخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام أيضا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو السرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى # إلا أن بعض البلاد كان أشد من البعض ثم إن الله تعالى رحم ١لعباد والبلاد والدواب وأرسل الأمطار وأرخص الأسعار # ومن عجيب ما رأيت أنني قصدت رجلا من العلماء الصحالحين الجزيرة لأسمع عليه شيئا من حديث النبي في شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس في أشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الأمطار وقد توسط الربيع ولم تجيء قطرة

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٧/١٠

واحدة من المطر فبينما أنا جالس ومعي جماعة تنتظر الشيخ وإذ قد أقبل إنسان تركماني قد أثر عليه الجوع وكأنه قد أخرج من قبر فبكى وشكى الجوع فأرسلت من يشتري له خبزا فتغيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة فضج الناس واستغاثوا ثم جاء الخبز فأكل التركماني بعضه وأخذ الباقي ومشى واشتد المطر ودام المطر من تلك الليلة $ ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين $ # في هذه السنة في ذي القعدة اجتمع الفرنج وساروا إلى بلد دمشق مع ملكهم فأغاروا على أعمالها فنهبوها وأسروا وقتلوا وسبوا فأرسل صلاح الدين." (١)

"@ ١٠٠ @ $ ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة $ $ ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل $ $ وولاية أخيه عز الدين بعده $ # في هذه السنة ثالث صفر توفي سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السل وطال به ثم أدركه في آخره برسام ومات # ومن عجيب ما يحكى أن الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث **وشدة الغلاء وخرج** سيف الدين في موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه أن يأمر بالمنع من بيع الخمر فأجابهم إلى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين وخربوا أبوابها ودخلوها ونهبوها وأرقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحل فاستغاث أصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له أبو الفرج الدقاق ولم يكن في الذي فعله العامة من النهب وما لا يجوز فعله إنما هو أراق الخمور ونهى العامة عن الذي يفعلونه فلم يسمعوا منه فلما شكى الخمارون منه أحضر بالقلعة وضرب على رأسه فسقطت عمامته فلما أطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الرأس فأرادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيت رأسي حتى ينتقم الله لي ممن ظلمني فلم يمض غير أيام حتى توفي الزردار الذي تولى أذاه ثم بعقبه مرض سيف الدين واستمر إلى أن مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات إذا ركب وإذا جلس عفيفا لم يذكر عنه ما ينافي العفة وكان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فإذا كبر أحدهم منعه وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الأموات على شح فيه وجبن ولما اشتد مرضه أراد أن يعهد." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٩٢/١٠

(٢) الكامل في التاريخ، ١٠٠/١٠

"@ ١١٠ @ $ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة $ $ ذكر مسير صلاح الدين إلى الشام وإغارته على الفرنج $ # في هذه السنة خامس المحرم سار صلاح الدين عن مصر إلى الشام ومن عجيب ما يحكى من التطير أنه لما برز من القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده وأعيان دولته والعلماء وأرباب الأداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل منهم يقول شيئا في الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأنشد # (تمتع من شميم عرار نجد ٪ فما بعد العشية من عرار) # فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطير وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة ثم سار عن مصر وتبعه من التجار وأهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام **بسبب الغلاء بالشام** وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على أيلة فسمع أن الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن الم‍سير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والأثقال مع أخيه تاج الملوك بوري إلى دمشق وبقي هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات بأطراف بلادهم وأكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج إليه منهم أحد ولا أقدم على الدنو منه ثم سار فأتى دمشق فوصلها حادي عشر صفر من السنة $ ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج $ # في هذه السنة أيضا في صفر فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من أعمال طبرية مطل على السواد وسبب فتحه أن الفرنج لما بلغهم مسير صلاح الدين من مصر إلى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا." (١)

"@ ١٣٧ @ المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه الحال # وقصد الملثم جزيرة باشرا وهي بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها وأحاط بها فطلب اهلها منه الأمان فأمنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الأموال والدواب والغلات وسلبوا الناس حتى ثيابهم وامتدت الأيدي إلى النساء والصبيان وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فأما الأقوياء فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوتهم وأما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسألون الناس ودخل عليهم فصل الشتاء فأهلكهم البرد ووقع **فيهم الوباء فأحصي** الموتى منهم فكانوا اثني عشر ألفا هذا من وضع واحد فما الظن بالباقي ولما استولى الملثم على إفريقية قطع خطبة أولاد عبد المؤمن وخطب للإمام الناصر لدين الله الخليفة العباسي وأرسل إليه يطلب الخلع والأعلام السود وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فأخرج أهلها الموحدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلموها إلى الم‍ثم فرتب فيها جندا من الملثمين والأتراك وحصنها بالرجال مع حصانتها في البناء وأما

---

(١) الكامل في التاريخ، ١١٠/١٠

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فإنه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين ألف فارس من الموحدين وقصد قلة العسكر لقلة القوت في البلاد ولما جرى فيها من التخريب والأذى وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل إلى مدينة تونس وأرسل ستة آلاف فارس مع ابن أخيه فساروا إلى علي بن اسحق الملثم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك في ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين فلما بلغ يعقوب الخبر أقام بمدينة تونس إلى نصف رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والأتراك فوصل إليهم فالتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فأكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم إلا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه إلى قابس ففتحها وأخذ منها أهل قراقوش وأولاده وحملهم إلى مراكش وتوجه إلى مدينة الترك الذين فيها يطلبون الأمان لأنفسهم ولأهل البلد فأجابهم إلى ذلك وخرج الأتراك منها سالمين وسير الأتراك." (١)

"@ ١٩٤ @ حتى عبروا خليج القسطنطينية وساروا على أرض بلاد الإسلام وهي مملكة الملك قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن قلمش بن سلجق فلما وصلوا إلى أوائلها ثار بهم التركمان الأرج فما زالو يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقن ما قدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون في تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فأهلكهم البرد والجوع والتركمان فقل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قطب الدين ملك شاه بن قلج أسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد إلى قونية وبها أبوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرق أولاده في بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير في أثره فنازلوا قونية وأرسلوا إلى قلج أرسلان هدية وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا أردناها وإنما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه أن يأذن لرعيته في إخراج ما يحتاجون إليه من قوت وغيره فأذن في ذلك فأتاهم ما يريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين أن يأمر رعيته بالكف عنهم وأن يسلم إليهم جماعة من أمرائه رهائن وكان يخافهم فسلم إليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولو يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض إليهم فقبض ملك الألمان على من منعه من الأمراء وقيدهم فمنهم من هلك في أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الألمان حتى أتى بلاد الأرمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فأمدهم بالأقوات والعلوفات وحكمهم في بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو أنطاكية وكان في طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم إليه ليغتسل فغرق في مكان منه لا يبلغ الماء وسط

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٣٧/١٠

الرجل وكفى الله شره # وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار إلى أنطاكية فاختلف أصحابه عليه فأحب بعضهم العود إلى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال إلى تمليك أخ له فعاد أيضا وأسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا وأربعين ألفا ووقع **فيهم الوباء والموت** فوصلوا إلى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم احبها وحسن لهم المسير إلى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التي ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها إليهم وأخذوا منهم خلقا كثيرا ومات أكثر من أخذ فبلغوا طرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم إلا نحو ألف رجل فركبوا في البحر إلى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ما نالهم في طريقهم وما." (١)

"@ ١٩٨ @ خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخندقهم والجالشية في اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما أصابهم فلولا ذلك الألم الذي حدث بصلاح الدين لكانت هي الفصل وإنما لله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خلقا كثيرا وفي الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج إليهم أربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيئا من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد **واشتد الغلاء على** الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صوري فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون إليهم الطعام من البلدان منهم الأمير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا أيضا إليهم وكذلك من عسقلان وغيرها لولا ذلك لهلكوا جوعا خصوصا في الشتاء عند انقطاع مراكبهم عند تهيج البحر $ ذكي تسيير البدل إلى عكا والتفريط فيه حتى أخذت $ # لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التي عندهم لأنها لم تمكن من المينا فسيروها إلى بلادهم صور والجزائر فانفتح الطريق إلى عكا في البحر فأرسل أهلها إلى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين مقدما على جندها فأمر صلاح الدين بإقامة البدل وإنفاذه إليها وإخراج من فيها وأمر أخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل إلى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني وكلما جاءه جماعة من العسكر سيرهم إليها وأخرج عوضهم فدخل إليها عشرون أميرا وكان بها ستون أميرا فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة إلى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وإنفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٩٤/١٠

وكانوا إذا جاءهم جماعة قد جندوا تعنتوهم بأنواع شتى تارة بإقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وانضاف إلى ذلك تواني صلاح الدين ووثوقه بنوابه وإهمال النواب فانحسر الشتاء والأمر كذلك وعادت مراكب الفرنج إلى عكا وانقطع الطريق إلا من سابح يأتي." (١)

"@ ٢٦٩ @ $ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة $ $ ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الأفضل مدينة دمشق وعودهما عنها $ # قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنه لما فعل ذلك لم يرضه الأمراء المصريون وخبث نياتهم في طاعته فراسلوا أخويه الظاهر بحلب والأفضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما إلى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فإذا خرج إليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فتملكا البلاد وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل وانضاف إلى ذلك أن النيل لم يزد بمصر الزيادة التي تركب الأرض ليزرع الناس **فكثر الغلاء فضعفت** قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر إلى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية لحصار بانياس ليأخذها لنفسه بأمر العادل وكانت ل أمير كبير تركي اسمه بشارة قد اتهمه العادل فأمر جهاركس بذلك وكان أمير من أمراء العادل يعرف بعز الدين اسامة قد حج هذه السنة فلما عاد من الحج وقارب صرخد نزل الملك الأفضل فلقيه وأكرمه ودعاه إلى نفسه فأجابه وحلف له وعرفه الأفضل جلية الحال وكان أسامة من بطانة العادل وإنما حلف لينكشف له الأمر فلما فارق الأفضل أرسل إلى العادل وهو بمصر يعرفه الخبر جميعه فأرسل إلى ولده الذي بدمشق يأمره بحصر الأفضل بصرخد وكتب إلى إياس جركس وميمون القصرى صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يأمرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الأفضل وسمع الأفضل الخبر فسار إلى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الأولى من السنة ووصل إلى حلب عاشر الشهر # وكان الظاهر قد أرسل أميرا كبيرا من أمرائه إلى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول إليه وأمره بأن يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرك الظاهر لذلك وجمع." (٢)

"@ ٢٧٥ @ أهلها فيتعذر عليه ذلك فإن البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند وأكثرهم أهلا فصالح صاحبها على ما يؤديه إليه عاجلا وآجلا وأعاد عساكره عنها وسلمها إلى صاحبها $ ذكر ملك ركن الدين ملطية من أخيه وأرزن الروم $ # في هذه السنة في شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٠/١٩٨

(٢) الكامل في التاريخ، ١٠/٢٦٩

مدينة ملطية وكانت لأخيه معز الدين قيصرشاه فسار إليه وحصره أياما وملكها وسار منها إلى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابن محمد بن صلتق وهم ببيت قد ملكوا أرزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده وأخذ البلد وكان هذا آخر أهل بيته الذين ملكوا فتبارك الله الحي القيوم الذي لا يزول ملكه أبدا سرمدا $ ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك أخيه محمود $ # في هذه السنة توفي قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لأخيه هذا والنفور عنه قد أبعده وأنزله حصن منصور في آخر بلادهم واتخذ مملوكا اسمه إياس فزوجه اخته وأحبه حبا شديدا وجعله ولي عهده فلما توفي ملك بعده عدة أيام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من أمراء الدولة فأرسلوا إلى أخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا فوصل إلى آمد وقد سبقه اليها إياس مملوك أخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقي مدة محبوسا ثم شفع له صاحب بلاد الروم فأطلق من الحبس وسار إلى الروم فصار اميرا من أمراء الدولة $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة **اشتد الغلاء بالبلاد** المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الأقوات حتى أكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير أفنى الناس # وفي شعبان تزلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فأثرت في الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص." (١)

"@ ٢٧٦ @ وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى وأثرت في الساحل الشامي أثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة إلى بلد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا # وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل # وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة # وفيها أيضا توفي عيسى بن نصير النميري الشاعر وكان حسن الشعر وله أدب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفي العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله باللام المشددة المضمومة وهو العماد الكاتب الأصفهاني كتب لنور الدين محمود بن زنكي ولصلاح الدين يوسف بن أيوب رضي الله عنهما وكان كاتبا مفلقا قادرا على

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢٧٥/١٠

القول # وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوي المتغلب على جبال اليمن جموعا كثيرة فيها اثنا عشر ألف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى كثرة وكان قد انضاف إليه من جند المعز بن إسماعيل بن سيف الإسلام طغدكين بن أيوب صاحب اليمن خوفا منه وأيقنوا بملك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الإسلام خوفا عظيما فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة ليلا ليتفقوا على رأي يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثني عشر قائدا فنزلت عليهم صاعقة أهلكتهم جميعهم فأتى الخبر ابن سيف الإسلام في باقي الليلة بذلك فسار اليهم مجدا فأوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل أو اكثر من ذلك وثبت ملكه واستقر أمره # وفيها وقع في بني عنزة بأرض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون في عشرين قرية فوقع الوباء في ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم أحد وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها وأما القريتان الأخريان فلم يمت فيهما أحد ولا احسوا بشيء مما كان فيه أولئك." (١)

"@ ٤٤١ @ للميعاد الذي بينهم فلما وصلت إليه رسالة أخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق واما صاحب إربل فإنه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره إن شاء الله وأما الأشرف فإنه لما اتفق عصيان اخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها خافه اخوه غازي ولم يكن له قوة على ان يلقاه محاربا ففرق عسكره في البلاد ليحصنها وانتظر ان يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وان يسير أخوه صاحب دمشق الى بلاد اى شرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الأشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الأشرف إليه وقصد خلاط وكان أهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازي فلما حصرها سلمها أهلها إليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وبقي غازي في القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل الى أخيه معتذرا ومتنصلا فعاتبه الأشرف وأبقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه وأبقى عليه ميافارقين $ ذكر حصار صاحب إربل الموصل $ # قد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبري بن زين الدين على صاحب إربل وشهاب الدين غازي صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الأشرف فأما صاحب دمشق فإنه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لأن اخاه صاحب مصر أرسل إليه يتهدده ان سار عن دمشق أنه يقصدها ويحصرها فعاد # وأما غازي فإنه استحصر في خلاط وأخذت منه كما ذكرناه وأما صاحب أربل فإنه جمع عسكره وسار إلى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى

(١) الكامل في التاريخ، ٢٧٦/١٠

الآخرة ظنا منه ان الملك الأشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ويخرج غازي في طلبه فتتخبط أحواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجيء إليهم فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد أحكم امورها من استخدام الجند على الأسوار وإظهار آلة الحصار وإخراج الذخائر وإنما قوي طمع صاحب إربل على حصر الموصل لأن اكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الأشرف الى خلاط وقد قل العساكر فيها **وكان الغلاء شديدا** في البلاد جميعها والسعر في الموصل كل ثلاث مكاكي بدينار فلهذا السبب أقدم على حصرها فلما نزل عليها أقام عشرة أيام ثم رحل عنها." (١)

"@ ٤٤٢ @ يم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل إليه خير الملك الأشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق وبقي وحده متلبسا بالأمر فلما وصلت الاخبار اليه بذلك سقط في يده ورأى انه قد اخطأ الصواب فرحل عائدا الى بلده وأقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها إنما كان في بعض الأوتات يجيء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج إليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة فيجري بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون وترجع كل طائفة الى صاحبها $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة أول آب جاء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربية وكذلك بالمحول بحيث أن الناس كانوا يخوضون في الماء والوحل بالمحول # وفيها سار صاحب المخزن الى يقوبا في ذي القعدة فعسف أهل٥١ فنقل إليه عن انسان منها انه يسبه فأحضره وأمر بمعاقبته وقال له تسبني فقال له انتم تسبون أبا بكر وعمر لأجل اخذهما فدك وهي عشر نخلات لفاطمة عليها السلام وانتم تأخذون مني ألف نخلة ولا اتكلم فعفا عنه # وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جاري عادتهم # وفيها قلت الأمطار في البلاد # فلم يجبى منها شيء الى شباط ثم إنها كانت تجيء في الاوقات المتفرقة مجيئا قريبا لا يحصل منه الري للزرع فجاءت الغلات قليلة ثم خرج عليها الجراد ولم يكن في الأرض من النبات ما يشتغل به عنها فأكلها إلا القليل وكان كثيرا خارجا عن الحد فغلت الأسعار في العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الأقوات إلا ان **اكثر الغلاء كان** بالموصل وديار الجزيرة." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٤١/١٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٤٢/١٠

"@ ٤٥٧ @ يفعله أولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخائر إلا انهم لم يكونوا في الكثرة إلى انهم يقهرون أولئك فلما كان الآن واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر أولاد خواجة احدا من جند القلعة في نسخة اليمين بمال ولا غيره من امام واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لأنفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربت بيوتنا لأجلكم فلم تذكرونا فأهانوهم ولم يلتفتوا إليهم فحضر عند أمين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه أن يرسل إليهم جمعا يصعدونهم الى القلعة ويثبتون بأولئك ويأخذونهم فامتنع وقال أخاف أن لا يتم هذا الأمر وينفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدا بكرة وتكون أنت والعسكر على ظهر فإذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون إلينا فأجابهم إلى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة # وأما أولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على أولاد خواجة ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام اذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلم امين الدين أولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض وكان يريد أن يغرم مالا جليلا وأقطاعا كثيرة وحصنا منيعا فتوفر الجميع عليه وأخذ منهم كل ما احتقبوه وادخروه وإذا أراد الله أمرا فلا مرد له $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة ليلة الأحد والعشرين من صفر زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة # وفيها **اشتد الغلاء بالموصل** وديار الجزيرة جميعها فأكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقل الكلاب والسنانير بعد أن كانوا كثيرا ولقد دخلت يوما إلى داري فرأيت الجواري يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانير استكثرتها فعددتها فكانت اثني عشر سنورا ورأيت اللحم في **هذه الغلاء في** الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس بين المرتين كثير وغلا مع الطعام كل شيء فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط **قبل الغلاء وأما** قبل ذلك فكان كل ستين رطلا بدينار ومن العجب ان السلق والجزر والسلجم بيع كل خمسة ارطال بدرهم وبيع البنفسج كل ستة أرطال بدرهم وبيع في بعض الأوقات كل سبعة أرطال بدرهم وهذا." (١)

"@ ٤٥٨ @ ما لم يسمع بمثله ولقد رأينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله فإن الدينار ما زالت قديما وحديثا إذا غلت الأسعار متى جاء المطر رخصت إلا هذه السنة فإن الأمطار ما زالت متتابعة من أول الشتاء إلى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الأسعار وهذا ما لم يسمع بمثله فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة وأربعين رطلا دقيقا بالبغدادي وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٥٧/١٠

بعشرة دراهم وكان الأرز مكوك باثني عشر درهما فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة أرطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط # ومن عجيب ما يحكى أن السكر النادر الأسمر كان كل رطل بدرهم وكان السكر الأبلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين فصار السكر الأسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الأبلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربع وسببه أن الأمراض لما كثرت **واشتد الوباء قال** النساء هذه الأمراض باردة والسكر ال أسمر حار فينفع منها والأبلج بارد يقويها وتبعهن الأطباء استمالة لقلوبهن ولجهلهن فغلا الأسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط وما زالت الأشياء هطذا إلى أول الصيف **واشتد الوباء وكثر** الموت والمرض في الناس فكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى فممن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي خطيب الموصل وكان من صالحي المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور # وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر # وفيها هرب أمير حاج العراق وهو حسام الدين أبو فراس الحلي الكردي الوارمي وهو ابن أخي الشيخ ورام كان عمه من صالحي المسلمين وخيارهم من أهل الحلة السيفية فارق الحاج بين مكة والمدينة وسار إلى مصر حكى لي بعض أصدقائه انه إنما حمله على الهرب كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من الخليفة ولما فارق الحاج خافوا خوفا شديدا من العرب فأمن الله خوفهم ولم يرفعهم ذاعر في جميع الطريق ووصلوا آمنين إلا أن كثيرا من الجمال هلك اصابها غدة عظيمة لم يسلم إلا القليل # وفيها في آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتى جرت الأودية وامتلأت الطرق." (١)

"@ ٤٦٣ @ ماردين وعاد كل منهم إلى بلده وخرجت أعمال الموصل وأعمال ماردين بهذه الحركة فإنها كانت قد أجحف بها **تتابع الغلاء وطول** مدته وجلاء أكثر أهلها فأتتها هذه الحادثة فازدادت خرابا $ ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها $ # في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الى جلال الدين ان نائبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلدان يتملكها ويستبد بها لبعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانه ارسل الى التتر يعرفهم قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وان اخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم وأخذ ما بأيديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان يطوي المراحل أرسل بين يديه رسولا إلى صاحب كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه فلما وصل الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فأخذ ما يعز عليه وصعد الى

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٥٨/١٠

قلعة منيعة فتحصن بها وجعل من يثق اليه من اصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل الى جلال الدين يقول إنني أنا العبد والمملوك ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد اخليتها لك لأنها بلادك ولو علمت انك تبقى علي لحضرت بابك ولكني اخاف وهذا جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين انه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لأنه يحتاج ان يحصرها مدة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وارسل اليه الخلع وأقره على ولايته فبينما الرسل تتردد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرفه ان عسكر الملك الأشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعا $ ذكر الحرب بين عسكر الأشرف وعسكر جلال الدين $ # لما سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك فقلت عليهم الميرة فساروا الى اعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء وأخذوا من الغنائم شيئا كثيرا لا يحصى وعادوا فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط فسمع النائب من الأشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين على الموصل." (١)

"@ ٤٧٤ @ دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منا الفقه على مذهب أبي حنيفة فإنه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو فإنه اشتغل به ايضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهري ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري والجمهرة لابن دويد وغيرهما وكذلك ايضا امر بأن يرتب مسند احمد بن حنبل على الأبواب ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه مثاله ان يجمع احاديث الطهاة وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد سمع المسند من بعض اصحاب ابن الحصين ونفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع احد ممن يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرا إن اعتقادي في الأصول ما سطره أبو جعفر الطحاوي ووصى عند موته بأن يكفن في البياض ولا يجعل في اكفانه ثوب فيه ذهب وأن يدفن في لحد ولا يبنى عليه بناء بل يكون قبره في الصحراء تحت السماء ويقول في مرضه لي عند الله تعالى في أمر دمياط ما ارجو ان يرحمني به ولما توفي ولي بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره قد قارب

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٦٣/١٠

عشرين سنة $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة **دام الغلاء في** ديار الجزيرة ودامت الأسعار تزيد قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر جميع شباط وعشرة ايام من اذار **فازداد الغلاء فبلغت** الحنطة كل مكوكين بالموصلي بديار وقيراطين بالموصل والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلي بدينار وقيراطين أيضا # وكل شيء بهذه النسبة **في الغلاء #** وفيها في الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم بالبغدادي بحبتين بالصنجة وربما زاد في بعض الأيام على هذا الثمن وحكى لي من يتولى بيع الغنم بالموصل انهم باعوا خروفا واحدا لا غير وفي بعضها خمسة رؤوس وفي بعضها ستة وأقل وأكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأيناه في جميع اعمارنا." (١)

"@ ٤٨٠ @ صحراء موش وجبل حور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الأولاد وقتل الرجال وخرب القرى وعاد الى بلاده ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط الى جور وانه قد قرب منهم خاف اهل البلاد ان يجيء اليهم لأن الزمان كان شتاء وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتي بها لأن البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام فأتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فأقاموا وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرا لم يعهد مثله فأسرع العود $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة رخصت الأسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلات لهم من الحنطة والشعير جيدا الا ان الرخص لم يبلغ الأول الذي كان **قبل الغلاء انما** صارت الحنطة كل خمس مكاكيك بدينار والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار." (٢)

"٦٨ – محمد قاضي أدنة: محمد بن خليل، العالم الفاضل المولى، محمد الرومي الحنفي قاضي أدنة. توجه إلى الحج الشريف، فتوفي بالمدينة قبل وصوله إلى مكة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة – رحمه الله تعالى – .

٦٩ – محمد المنزلاوي: محمد بن داود النسيدي المنزلاوي، الشيخ الصالح أحد المتمسكين بالسنة المحمدية في أقوالهم وأفعالهم. ألف رسالة سماها " طريقة الفقر المحمدي " ضبط فيها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وأحواله التي ظهرت لأمته، وكان يقول: ليس لنا شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يضرب به المثل بمصر، وبسيدي محمد بن عنان، والشيخ يوسف الحديدي في اتباع السنة،

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٧٤/١٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٨٠/١٠

وكان يقري الضيوف، ويخدم الفقراء والمنقطعين عنده، وينظف ما تحتهم من بول أو غائط، وكان لا يتخصص عنهم بشيء ربما خصصه أهل بيته بشيء بعد أن ينام الفقراء، فكان يخرج به إليهم ويوقظهم ويتساوى فيه هو وإياهم، وكان ربما طرقه الضيف بعد العشاء، ولم يكن عنده ما يقريه، فيرفع القدر على النار، ويضع فيه الماء، ويوقد عليه، فتارة يرونه أرزا أو لبنا وتارة أرزا وحلوا، وتارة لحما ومرقا، وربما وجدوا فيه لحم الدجاج.

وحكي أن سيدي إبراهيم المبتولي بعث إليه في الغلاء عشرة أرادب من القمح، ففرقها على باب داره، وفضل له منها نحو خمسة أقداح. ومناقبه كثيرة مشهورة، وكانت وفاته في أوائل القرن العاشر ببلدة النسيدية، ودفن بجوار زاويته وقبره بها ظاهر يزار – رحمه الله تعالى – .

٧٠ – محمد البازلي : محمد بن داود الشيخ الإمام العلامة مفتي المسلمين، شمس الدين أبو عبد الله البازلي الكردي، ثم الحموي، الشافعي، ولد في ضحوة يوم الجمعة سنة خمس وأربعين وثمانمائة في جزيرة ابن عمر، ونشأ بها، وانتقل إلى أذربيجان، فحفظ بها كثيرامن الكتب منها " الحاوي الصغير " و " عقائد النسفي " و " عروض الأندلسي " و " الشمسية " في المنطق و " الكافية " في النحو لابن الحاجب و " تصريف العزي " .

وأخذ المعقولات عن منلا ظهير، ومنلا محمد القنجفاني ومولان عثمان الباوي، والمنقولات عن والده ونجم الدين، الأشلوبي، وقدم الشام في المحرم سنة سبعين وثمانمائة، وحج سنة خمس وسبعين، وعاد من الحجاز إلى حماة فقطنها، وكان زاهدا متقشفا، كثير العبادة، يصوم الدهر، ويلازم التدريس، وألف عدة مؤلفات منها: حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي، وكتاب أسماء الرجال سماه " غاية المرام في رجال البخاري إلى سيد الأنام " وكتاب " تقدمة العاجل لذخيرة الآجل " وله أجوبة شافية عن إشكال كانت تورد عليه، وأسئلة كانت ترفع إليه، وكانت وفاته بحماة سنة خمس وعشرين وتسعمائة رحمه الله تعالى.." (١)

"ولما استقر على سرير السلطنة أخذ في قهر الملوك والسلاطين، فبدأ بمقاتلة شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر الصوفي لما بلغه أشاعته للرفض، وقتله لعلماء أهل السنة وأكابرها، سافر إليه السلطان سليم إلى بلاد العجم، وتلاقيا بالقرب من تبريز، وتصافا فانكسر عسكر الصوفي، وانهزم، ودخلت عساكر السلطان سليم إلى تبريز، ونفذت فيها أوامره ونواهيه، أراد الإقامة بها ليستولي على إقليم العجم وما فيه، فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء حتى بيع الرغيف بمائة عثماني، والعليقة بمائتين، فرجع إلى الروم، وأخذ من

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٢٤

أراد من أكابر العجم وفضلائها وأماثلها، وعظمائها، وساقهم سركنا إلى البلاد الرومية، على قوانين سلاطين العثمانية، ثم سافر بعد أن استقر أمره من الرجوع من الأرض العجمية، وقصد بعساكره البلاد الحلبية، ولما سمع سلطان الجراكسة قانصوه الغوري بخروج السلطان سليم من أرض الروم. خرج بعساكره من أرض مصر، وأشاع في عساكره أنه يريد الإصلاح بين السلطان سليم، والسلطان شاه إسماعيل الصوفي، وسافر من بلاد مصر إلى بلاد الشام، ودخل دمشق، ثم حلب، وكاتب السلطان سليم بما جاء إليه من الإصلاح بينه وبين الصوفي، فارتاب منه سلطان سليم، ويعث إليه أني أبدأ بقتالك قبله لأنك مبتدع، وهو مبتدع، فتحرك الشر بينهما، وقامت الحرب على ساق، والتقيا بعساكرهما في مرج دابق، وانكسر عساكر الجراكسة، ومات الغوري، ثم من شدة ما دخل عليه من القهر والغلبة، وتفرقت عنه العساكر، ثم دخل السلطان سليم إلى حلب وملكها، ثم ملك ما بينها وبين دمشق، ثم ملك دمشق ودخلها يوم السبت مستهل رمضان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، وأقام بدمشق مدة حتى دبر أمورها، وأقام قوانينه فيها، ثم سافر منها قاصدا بلاد مصر، فخرج منها يوم الاثنين عشرين ذي القعدة من السنة المذكورة، وكانت أمراء الجراكسة قد سلطنوا بمصر طومان باي، ولقبوه بالأشرف، فلما سمعوا بخروج السلطان سليم من دمشق إليهم تأهبوا لقتاله والخروج إليه، وبرزوا إلى الريدانية خارج مصر، وقاتلوا عساكر الروم، وثبتوا معهم ساعة، وقتل من أعيان عساكر السلطان سليم وزيره سنان باشا، وكان اسمه يوسف، ثم انكسر عسكر الجراكسة، وتفرقوا شذر مذر، وهرب طومان باي، ثم دخل السلطان سليم إلى مصر، وكان دخوله إليها يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، ثم قبض بعد ذلك على طومان باي، وصلبه على باب زويلة، وبقي بمصر مدة حتى مهد أمورها، وسار إلى الإسكندرية، وعاد إلى مصر، ثم إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من أعيان مصر سركنا كما هو قانونهم، وكان دخوله إلى دمشق يوم الأربعاء حادي عشري رمضان سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، ونزل بالقصر الظاهري بالميدان الأخضر، وهو موضع التكية السليمانية الآن، ثم أشار بعمارة على قبر الشيخ محيي الدين بن العربي، وبعث الولوي ابن الفرفور، ومعه معلم السلطان شهاب الدين بن العطار، وجماعة، وهندسوا عمارة جامع بخطبة، وكان ذلك يوم السبت رابع عشري رمضان المذكور، وفي ثانية يوم الأحد طلع ابن الفرفور، وقاضي العسكر المولى ركن الدين زيرك وجماعتهم إلى الصالحية، واشتروا بيت خير بك دوادار منشيء الحاجبية بالصالحية من مالكه يومئذ، وهو رزق الله الحنبلي الصالحي ليوسعوا به الجامع، ثم في يوم الاثنين سادس عشري رمضان المذكور شرعوا في هدم مسجد كان جدده شهاب الدين الصميدي لصيق تربة الشيخ ابن العربي حين كان ناظرا على ذلك، وفي هدم حمام كان لصيق ذلك

يعرف بحمام الجورة، ثم شرعوا في العمارة يوم الأحد ثاني شوال سنة ثلاث وعشرين المذكورة، ثم أمر السلطان ببناء قبة على تربة الشيخ ابن العربي، فأسست جدرانها ليلا، وكان الشروع فيها ليلة الثلاثاء ثالث ذي القعدة، وفي يوم الاثنين العشرين من محرم سنة أربع وعشرين وتسعمائة. وضع منبر الجامع المذكور، وهو المعروف الآن بالسليمية، وفيه رسم السلطان سليم خان – رحمه الله تعالى – ببناء تكية شمالي هذا الجامع، وفي يوم الجمعة رابع عشري المحرم المذكور ركب السلطان إلى الجامع المذكور، وصلى به الجمعة، وخطب به يومئذ قاضي القضاة ولي الدين بن الفرفور، وكان مهيبا عظيما قفلت له غالب أسواق دمشق، وفرق السلطان يومئذ جرابين من الفضة، وعينت خطابة الجامع المذكور لمنلا عثمان بن منلا شمس الحنفي، فباشرها من يوم الجمعة مستهل." (١)

"الإرادات " لم يكمله وكان رحمه الله تعالى حسن السمت ساكنا ساكتا عما لا يعنيه خاشعا، سريع الدمعة، لطيف الطباع، حسن المعاشرة وله مع ذلك شهامة، وكان طويل القامة، أبيض اللون، عليه عمامة كبيرة على عادة علماء ذلك العصر، ورأيته بعد موت والدي مرة، وأنا ابن ثماني سنوات داخل الجامع الأموي فتواجهت معه بين البئر، والحنفية فقال له بعض من معه: يا سيدي هذا ولد المرحوم شيخ الإسلام الشيخ بدر الدين الغزي فنظر إلي، وسألني عن اسمي فذكرت له، وسألني عما أقرأ فذكرت له فدعا لي، وترحم على والدي، وحدثني ولده الشيخ يحيى خطيب الجامع الأموي الآن نفع الله تعالى به أن والده كان له نخوة، وشهامة في أول أمره فدخل على شيخه الشيخ أبي الفتح السبستري، فقال له يا شيخ: أريد أن تذهب إلى السوق تشتري لي بهذه القطعة الفضية بطيختين، وتحملها بنفسك من السوق إلى خلوتي، وكان الشيخ أبو الفتح ساكنا بالخانقاه السميصاتية فذهب الشيخ محمد البهنسي، واشترى بطيختين كبيرتين، وأنف من حملهما، وأراد أن ينظر من يحملهما عنه فذكر كلام الشيخ، وخشي أن يكاشفه بما يفعله إذا حملهما لأحد، ولا يرضى بفعله فحملهما إلى منزل الشيخ أبي الفتح، وقد تصبب عرقا، وانكد لمحل نظر الناس إليه فلما دخل على الشيخ قال له: عسى أن تصغر نفسك الآن قال: فمن حينئذ ذهبت عني الأنفة، والكبر وكان الشيخ البهنسي يجمع ما يتحصل له من الغلال في كل سنة، ويتربص به حتى يبيعه آخر السنة، ومثل ذلك لا يعد احتكارا إذ الاحتكار شراء الطعام الذي تمس إليه حاجة العامة في **زمن الغلاء ليبيعه** بأغلى، وكان بعض حساد الشيخ ربما طعنوا عليه ذلك حتى وشي به إلى قاضي القضاة ابن المفتي، في بعض السنين فبعث إلى حاصل الشيخ البهنسي من فتحه، وباع ما فيه، ثم ارتفع السعر بعد ذلك وفات

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/١٣٢

الشيخ منه جملة من المال فانكف البهنسي عن التردد إلى القاضي بسبب ذلك، ووقع بينهما فاتفق أن القاضي حصل له حمى شديدة، ومرض أياما حتى أعياه المرض، فالتمس من الشيخ عمر الرائي، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم، في منامه كثيرا أن يسأل من النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه في منامه أن يشفع إلى الله تعالى في شفائه، فرجع إليه الشيخ عمر الرائي وقال له: يا قاضي القضاة سألت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قل له يلتمس الدعاء من الشيخ محمد البهنسي يحصل له الشفاء، ولم يعلم الشيخ عمر ما كان بينهما فبعث القاضي من تلطف بالشيخ البهنسي، وأتى به إليه فلما اجتمعا تعانقا، وتباكيا، ودعا الشيخ البهنسي له بالشفاء فشفاه الله تعالى بعد ذلك قريبا، وبالجملة فقد كان – رحمه الله تعالى – من أفراد الدهر وأعاجيب العصر، توفي – رحمه الله تعالى – بعد الظهر يوم الأربعاء أو خامس جمادى الآخرة سنة ست، وقرأت بخط منلا أسد سنة سبع ثمانين وتسعمائة، ودفن بمقبرة باب الصغير بعد العصر عند قبر معاوية، ونصر المقدسي رضي الله تعالى عنهما قال القاضي عز الدين بن أبي بكر بن الموقع في تاريخ موته :ما وجدت له شعرا أحسن من هذه الأبيات الثلاثة :

لما لدار البقا مفتي الأنام مضى ... فالعين تبكي دما من خشية الله

لفقد مولى خطيب الشام سيدنا ... من لم يزل قائما في نصرة الله

وفاته قد أتت فيما أؤرخه ... البهنسي عليه رحمة الله

محمد بن محمد المقدسي

محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ برهان الدين ابن الشيخ أحمد المقدسي المقرىء، كاتب المصاحف جده وأبو جده كان شابا ذكيا فطنا حافظا لكتاب الله تعالى ولي إمامة جامع منجك بمحلة الميدان بعد والده ووالده بعد والده، وانتفع بهم خلق كثير توفي رحمه الله تعالى بحمام شرف بعد أن اغتسل، وخرج ولبس ثيابه واستقبل القبلة، وهو على مسطبة الحمام، وأتى بالشهادتين وخرجت روحه، وحمل إلى بيته ميتا وحمل بجنازته الأمير إبراهيم بن منجك ودفن إلى جانب والديه بمقبرة الجورة بالمحلة المذكورة رحمه الله تعالى.

محمد بن محمد الصالحي." (١)

"إنه ليس سرا أن نقول: إن زعيمي هذا الوفاق كل منهما كان رئيسا للاستخبارات في بلده، ومعلوم حال الاستخبارات سواء في الاتحاد السوفيتي أو في الولايات المتحدة الأمريكية ، تدبير المؤامرات،

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٣٥٧

والانقلابات، وعدم التورع عن أي جريمة مهما كانت، وارتكاب أي فظيعة من الفظائع، والإقدام على أي عمل مهما كان شنيعا وبأي معيار ديني أو خلقي، هذه صفة ووظيفة المخابرات في هذا العالم الطاغي الصليبي الحاقد، وكل من الرجلين كان رئيسا للاستخبارات في بلده أمدا طويلا، ومن هنا فالقرارات المتخذة لا بد أن تنطبع بالصفات الشخصية لكلا الزعيمين.

وإذا وضعنا في الاعتبار من يسير هذين، لعلمنا أنها هي القوى اليهودية الخفية المتسترة لعلمنا إلى أي جحيم يمكن أن تلقى به الإنسانية، ولا سيما العالم الإسلامي في ظل تحكم هذه القوة الصليبية المتحدة.

والكل يخاف من العالم الإسلامي، ويحذر من الصحوة الإسلامية، وينادي بالويل والثبور إذا تمكن المسلمون من تحقيق أدنى شيء وأدنى قدر من الحرية أو من الدعوة إلى دينهم الذي يدينون به، وهذه حقائق وأدلتها كثيرة جدا.

ونستطيع أن نستعرض ونذكر ما صرح به الرئيس ميتران عندما تكلم عن الجهاد الإسلامي في فلسطين ، يقول بالحرف الواحد: "إن الذي يحدث في المناطق المحتلة يهدد بانتشار وباء التطرف الإسلامي في كل المنطقة" فهو يسمي عودة المسلمين إلى دينهم تطرفا إسلاميا، ويعتبره وباء، كما يسمى الطاعون أو الكوليرا أو الإيدز وباء، هذا **هو الوباء الذي** يمكن أن ينتشر.

وأما أمريكا فالعجب العجاب! أنها تخطط منذ أمد بعيد على المستوى الحكومي وعلى مستوى المؤسسات، وأذكر مثالا واحدا:." (١)

"شق ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها وحين وصول الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوة لذلك شديدا ودق بيده على صدره أسفا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله تعالى عز وجل فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة من السنة الآتية بعدها توفي رحمه الله تعالى بقرية عالقين فجاء ولده المعظم إليه مسرعا فجمع حواصله وأرسله في محفة ومعه خادم بصفة أنه مريض وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه منعه عنه الخادم يعني لضعفه عن الرد عليهم فلما انتهى. به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بمدرسة العادلية الكبرى وقد كان من خيارهم وأجودهم سيرة وأحسنهم سريرة دينا عاقلا صبورا وقورا أبطل المحرمات والخمور والمعازف والمكوس من ممالكه كلها وقد كانت مملكته ممتدة

---

(١) العالم الإسلامي في ظل الوفاق الدولي، ص/٤

من أقصى بلاد مصر واليمن والجزيرة والشام إلى همدان كلها أخذها بعد أخيه السلطان صلاح الدين سوى حلب فإنه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي بن صلاح الدين لأنه كان زوج ابنته ضيفة الست خاتون وكان صفوحا صبورا على الأذى كثير الجهاد وحضر مع أخيه مواقعه كلها أو أكثرها وله في تلك الأيام اليد البيضاء والراية العلياء وكان ماسك اليد لكنه أنفق في **عام الغلاء بمصر** أموالا عظيمة جدا وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئا كثيرا ثم في العام بعده في الفناء كفن ثلثمائة ألف إنسان من الغرباء وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان يخلع ما عليه جميعا ويتصدق به وبركوبه وما يحبه من أومواله وكان كثير الأكل ممتعا بصحته وعافيه مع كثير صيامه يأكل في اليوم الواحد أكلات عدة ثم بعد كل هذا ياكل وقت النوم رطلا بالدمشقي من الحلوى السكرية اليابسة وكان يعتريه مرض في أنفه في زمن الورد وكان لأي قدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد وكان لأي قدر على الإقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد وكان يضرب له الوطاق بـمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك وتوفي عن خمس وسبعين سنة وكان له من الأولاد جماعة محمد الكامل صاحب مصر وعيسى المعظم صاحب دمشق وموسى الأشرف صاحب الجزيرة وخلاط وحران وغير ذلك والأوحد." (١)

"١٩٢٣ تاريخ الطبري (٨٢/٦) .

١٩٢٤ خلافة معاوية للعقيلي ص٨٥ .

١٩٢٥ تاريخ الطبري (١٥٠/٦) .

١٩٢٦ تاريخ الطبري (٦ / ١٥٠) .

١٩٢٧ تاريخ الطبري (٦ / ١٥٠) .

١٩٢٨ سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٩٥) .

١٩٢٩ المصدر نفسه (٣ / ٤٩٦) .

١٩٣٠ المصدر نفسه (٤٩٦/٣) .

١٩٣١ المصدر نفسه (٤٩٦/٣) .

١٩٣٢ الطاعون : **الوباء** .

١٩٣٣ شريح الكندي : مختلف في صحبته ولي القضاء من عهد عمر حتى عصر عبد الملك توفي سنة ٧٨هـ .

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس، ٢٠٦/٢

١٩٣٤ الأجذم : المقطوع اليد ، أو الذاهب الأنامل .

١٩٣٥ صحيح الأدب المفرد للألباني ١١٣ .

١٩٣٦ تاريخ الطبري (٦/٢٠٦) .

١٩٣٧ نسب قريش للزبيري صـ١٨٧ .

١٩٣٨ تاريخ الطبري (٦/٢١٨) .

١٩٣٩ المصدر نفسه (٦/٢٢٦) .

١٩٤٠ التاريخ الكبير للبخاري (٦/٥٣٣) ، العلل ومعرفة الرجال (٢/٢٤ ، ٢٥) ، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري صـ٢٢٧ .

١٩٤١ تاريخ الطبري (٦/٢٢٣) .

١٩٤٢ التاريخ الإسلامي ، العهد الأموي ، محمود شاكر صـ٩٠ .

١٩٤٣ البداية والنهاية (١١/٤٣٢) .

١٩٤٤ المدينة في العصر الأموي محمد شراب صـ٧٠ .

١٩٤٥ المصدر نفسه صـ٧١ .

١٩٤٦ المدينة في العصر الأموي صـ٧٣ .

١٩٤٧ سير أعلام النبلاء (٣/١٥٤) .

١٩٤٨ تذكرة الحفاظ ترجمة ١٣ ، سير أعلام النبلاء (٣/١٥٤) .

١٩٤٩ تاريخ الطبري (٦/٨٧) .

١٩٥٠ المصدر نفسه (٦/١٤٨) .

١٩٥١ المصدر نفسه (٦/٢١٠) .

١٩٥٢ المصدر نفسه (٦/٢٢٥) .

١٩٥٣ المصدر نفسه (٦/٢٢٥) .

١٩٥٤ سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٤) .

١٩٥٥ المصدر نفسه (٢/٤٢٥) .

١٩٥٦ حلية الأولياء (١/٣٧٦) السنة قبل التدوين محمد عجاج الخطيب صـ٤١٢ .

١٩٥٧ مسلم رقم ٢٤٩١ ، بر الوالدين ، أم حفص الشويحي صـ٣٥ .

١٩٥٨ سير أعلام النبلاء (٤٣٨/٢) .

١٩٥٩ البداية والنهاية (٣٧٨/١١) .

١٩٦٠ سير أعلام النبلاء (٦٠٩/٢) .

١٩٦١ التاريخ الإسلامي (٢١٥/١٩) للحميدي .

١٩٦٢ السنة قبل التدوين صـ٤١٣ .

١٩٦٣ حلية الأولياء (١٣٣٨/٣) .

١٩٦٤ البداية والنهاية (٣٨٥/١١) .." [١]

"وزاد الأمر سوءا أن بعض الفقهاء أفتوا بجواز بناء القباب على القبور إذا كان الميت فاضلا، واحتجوا بقولهم: إن بعض السلف استحسن ذلك، وزاد الطين بلة أنهم أودعوا تلك الآراء الفاسدة في مصنافتهم التي يعكف على دراستها الطلاب(١).

وأول من أحدث هذه المشاهد الشركية، والمزارات الوثنية في الأمة هم الشيعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن تحدث عن دور اليهود في نشأة التشيع: " فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك، ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد، محتجين بأنه لاتصلى الجمعة والجماعة إلا خلف إمام معصوم، ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب مالم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب من أهل الكتاب حتى صنف كبيرهم ابن النعمان(٢) كتابا في (مناسك حج المشاهد) وكذبوا فيه على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأهل بيته أكاذيب بدلوا بها دينه، وغيروا ملته، وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد"(٣).

وانتقل هذا الوباء العظيم وبدأ في نخر الدولة العثمانية، وتعاظم شره، ووقع ماحذر منه النبي – صلى الله عليه وسلم – من الشرك العظيم.

وقد تجلت مظاهر الشرك ووسائله في تلك الفترة في الصور التالية:

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية (٢٧٢،٢٧٣/١).

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٦٥/٤

(٢) من كبار الشيعة الاسماعيلية في مصر.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦٢/٢٧).." (١)

"منخلع من صالح الخصال، مترد في هوة السفال، لا يتحرز منه في حال من الأحوال، راكب للغي، مستميت على الإمارة، مطرح للنظر في العاقبة، شتيت الشمل، قليل الوفر، نزر العدد، حال البلد حاضر أهله ، إلى من فارقوا من جاليهم، قد وقذه، ورجاله ورعيته طول ما **صحبوا الغلاء وحالفوا المجاعة**، يكاد يأسه يستولي على طعمه فيدفعه بالتوطي عن الكريهة، والتحكيم على متقلد خطة البغي في سوء العاقبة، قد مثل منتصبا لحظته، لابسا فؤاد القاسي فوق درعه، يكاثر بحور الحصى من فرط جهله، قد جمع محاشه عند شمرته لحربه، فما إن تتامت عدتهم مائتي فارس، أكثرهم مسوقون حاقدون معوقون مستقصرون، يشتري لهم القوت من السوق، مضيقا على رعيته، ويزدلف بهم في غد أيامهم، ويعدهم ثواب عاجل الطعن نسيئة على مستأخر النصر؛ قد علم ذلك من اختلال أحواله عدوه المتظاهرة قواه وعدده، فنزل بساحته نزول النظير له، المتكافئ العدة، متسنما هضاب جبل البلد المسامتة لباب المدينة الجوفي، مهتضما وأحبشه اللهام، بإنزاله إياهم ساترات تلك الأهضام، كالمتقدم بالاستظهار على مرهوب بيات الليل ومغافصة النهار، قد اقتصر من اللصوص بأهل البلد والموالاة لقتالهم على قفص يده لزروعهم؛ أطال بذلك حصار قرطبة، وأعداؤه يعجبون من طول كنفه لها، ويرونه لا محالة محروم المصال، مع ما يزجي من كتائب لو قادها." (٢)

"قد حلها كل جود ... وأمها كل مله

بدت لديها بدور ... دارت عليها الأهلة

يمم ذراها لتلقى ... بأفقها المجد كله فاستحسن ذلك فخر الدين، قال: وكان نزولنا في جنوبي نهر معقل وبينه وبين نهر الأبلة في الجنوب فرسخ، ويخرج من أعلى هذا النهر فيض ومن أصل النهر الآخر فيض يختلطان فيصير منهما النهر الذي يمتد مع البصرة في شرقيها، ويجمع ذلك المكان أصناف الزهر وأشتات الرياحين والنخل، فأنشد فخر الدين:

انظر إلى نهرين قد أخرجا ... من دجلة ما لهما من مثيل

وإن تشا قلت أرى دارغا ... في كل كف منه سيف صقيل

والنخل والأدواح قد أحدقت ... تحكي رعيلا قد تلاه رعيل ولما دخل الططر مدينة السلام أبقوه على

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١٦٥/٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٦١٢/٢

جباية البلاد لمعرفته بها ثم قدموه للشنق سنة تسع وخمسين وستمائة لأنهم اتهموه بمواطأة صاحب مصر عليهم.

أبطير (١)

حصن بالأندلس بمقربة من بطليوس من بناء محمد بن أبي عامر، من جليل الصخر داخله عين ماء خوارة، وهو اليوم خال، وعلى مقربة منه بنحو ثلاث غلاء (٢) قبر في نشز من الأرض قد نحت في حجر وقد نضد عليه صفائح الحجارة ويعرف بقبر الشهيد ولا يعلم له وقت لقدمه، يرفع عنه بعض تلك الصفائح فيرى صحيح الجسم لم يتغير، نابت الشعر.

أبركاوان

جزيرة في البحر بينها وبين سيراف مائة وخمسون فرسخا وفيها قلاع شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان.

ابرشهر

هي مدينة نيسابور، وقصدها غازيا الأحنف بن قيس من قبل ابن عامر فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم، ثم أتى ابن عامر نيسابور فافتتح مدينة ابرشهر هذه، قيل صلحا وقيل عنوة، وفتح ما حولها: طوس وبيورد ونسا وسرخس، ولما افتتحها ابن عامر أعطوه جاريتين من آل كسرى.

أبيض المدائن

ويقال له القصر الأبيض، وهو الذي لا يدرى من بناه وهو من المدينة العتيقة من المدائن دار ملك الأكاسرة بالعراق، وهو المشار إليه في حديث النسائي (٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفر الخندق عرض لنا فيه حجر لا يأخذ فيه المعول فاشتكينا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى ثوبه وأخذ المعول بيده وقال: " بسم الله " فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة، قال صلى الله عليه وسلم: " الله أكبر. أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الآن من مكاني هذا " ، قال: ثم ضرب أخرى وقال: " بسم الله " وكسر ثلثا آخر وقال: " الله أكبر. أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأنظر قصر المدائن الأبيض " ، ثم ضرب ثالثة وقال: " بسم الله " فقطع بقية الحجر وقال: " الله أكبر. أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأنظر باب صنعاء " ، وهذا الحديث أوضح في المعنى من حديث سلمان رضي الله عنه الذي في السير (٤) ، وذلك أن المدائن على مسافة يوم من بغداد ويشتمل مجموعها على مدائن متصلة مبنية على جانبي دجلة شرقا وغربا، ودجلة تشق بينها ولذلك

سميت المدائن: الغربية منها تسمى بهرسير، والمدينة الشرقية تسمى العتيقة، وفيها القصر الأبيض الذي لا يدرى من بناه، ويتصل بهذه المدينة العتيقة المدينة الأخرى التي كانت الملوك تنزلها، وفيها إيوان كسرى العجيب الشأن الشاهد بضخامة ملك بني ساسان، ويقال إن سابور ذا الأكتاف منهم هو الذي بناه وهو من أكابر ملوكهم وقد ذكر أبو عبادة البحتري هذا القصر الأبيض وما كان مصورا فيه من الصخور العجيبة والتماثيل البديعة في قصيدته السينية البارعة الفريدة (٥) :

حضرت رحلي الهموم فوجه؟ ... ت إلى أبيض المدائن عنسي

أتسلى عن الحظوظ وآسى ... لمحل من آل ساسان درس

ذكرتنيهم الخطوب التوالي ... ولقد تذكر الخطوب وتنسي

---

(١) برفنسال: ١١ والترجمة: ١٦ ولم يعرف بها.

(٢) الغلاء: جمع غلوة، وهي رمية السهم.

)٣) سنن النسائي؛ باب الجهاد (٦: ٤٣) وليس فيه رواية عن البراء بن عازب، وإنما الرواية عن البراء في مسند احمد ٤: ٣٠٣ قريبة الشبه بما أورده المؤلف.

(٤) انظر ابن هشام ٢: ٢١٩.

(٥) ديوان البحتري: ١١٥٢.." (١)

"على أيديهم، وقيل إن منجمه قال له: لا تتعب نفسك فما لك معهم طالع وهم الغالبون على البلاد لا محالة، فشغل نفسه بالفرار حتى مات، فلما استراح الططر ساروا إلى بخارى فقاتلوها ثلاثة أيام وكان فيها عشرون ألف فارس فهربوا (١) تحت الليل، فخرج إلى الططر أكابر البلد وأخبروهم أن جند السلطان قد فروا وقالوا: نحن رعية من ملكنا فإن حلفتم لنا وأمنتمونا مكناكم من المدينة فحلفوا بأيمانهم وبذلوا لهم الأمان ووصلوا بخارى يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة فقاتلوا القلعة المعروفة بالقهنداز اثني عشر يوما ثم دخلوها عنوة فقتلوا جميع من فيها حتى الكلاب والقطط وضربوا برؤوس الأطفال الحيطان وقالوا: كذا نصنع بكل من امتنع منا وأغلق بابا في وجوهنا، ثم إنهم أمروا أهل بخارى بالخروج إلى ظاهرها بنسائهم وأولادهم بعد ما أخذوا جميع سلاحهم، فلما أخرجوا الجميع قالوا: ميزوا فقراءكم من أغنيائكم، فلما تميزوا اقتسموا الأغنياء وأحالوا على الفقراء السيف وأبقوا على أرباب الصنائع من ينتفعون به وفجروا بالنساء أمام الرجال

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٩

فكان من الناس من ذهب عقله ومنهم من خطف دبوسا أو سيفا وقاتل حتى قتل ثم انهم عذبوا الأغنياء على الأموال حتى ودوا أنهم ماتوا، ودرى (٢) الططر أنهم لم يبق عندهم شيء فقتلوهم عن آخرهم.

بختة (٣)

بلدة في بلاد البجة من أرض الحبشة وهي مسكونة وبها سوق وإليها تنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الأرض جمال أحسن منها ولا أصبر على السير ولا أسرع خطى وهي بديار مصر معروفة بذلك.

البخراء (٤)

منزل من منازل البحرين بين البصرة والاحساء، وقيل هي أرض بالشام سميت بذلك لعفونة تربتها ونتن ريحها. وكان الوليد بن يزيد توجه إليها يغتذي بها ويشرب ألبان اللقاح يتطلب الصحة ويستبعد من الوباء وكان ماجنا سفيها مستخفا بأهل الدين، وأخباره في ذلك مشهورة، فأقبل إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك من دمشق في المعتزلة وصلحاء القدرية منكرين

لفعل الوليد فقتلوه بالبخراء سنة ست وعشرين ومائة، وكان معطلا وله أخبار قبيحة.

بدر (٥)

ماء على ثمانية وعشرين فرسخا من المدينة في طريق مكة، وبين مدينة الجار إلى بدر نحو المشرق إذا أردت المدينة عشرون ميلا وهناك قرية فيها حدائق نخل، وببدر عين فوارة، وموضع القليب الذي كانت بازائه الوقيعة المباركة الإسلامية هو اليوم نخيل وموضع الشهداء خلفه، وببدر عينان جاريتان عليهما الموز والعنب والنخل قيل كان قريش بن بدر بن الحارث بن مخلد (٦) بن النضر بن كنانة وكيل بني كنانة في تجاراتهم وكان يقال قدمت عير قريش فسمت قريش به قال: وهو صاحب بدر الذي لقي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي قريش أنبط هنالك بئرا فنسب إليه، وقيل سميت بدرا لأنه كان ماء لرجل من جهينة اسمه بدر، وهو موضع الوقيعة المباركة التي لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها صناديد قريش وأشرافهم فأوقع بهم فقتل الله تعالى طغاتهم وأكابرهم، وهي أول غزواته صلى الله عليه وسلم التي قاتل فيها وهي بدر الكبرى وفيها قال الله تعالى " لقد نصركم الله ببدر " ، وقال أمية ابن أبي الصلت يرثي من أصيب ببدر من المشركين من قصيدة (٧) :

ماذا ببدر فالعقن ... قل من مرازبة جحاجح (٨) وكانت وقيعة بدر يوم الخميس صبيحة سبع عشرة من رمضان على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة صلى الله عليه وسلم وقيل لسنة ونصف من مقدمه، وقال ابن شهاب: في شهر رمضان من سنة اثنتين.

وبدر موسم من مواسم العرب ومجمع من مجامعهم في الجاهلية وبها قلب ومياه وآبار ورياض يقال لها الأثيل منها ينبع والصفراء والجار والجحفة.
وهذه الوقيعة التي رفع الله بها قوما في الدنيا والآخرة وخفض بها آخرين وأيد الله رسوله والمؤمنين بملائكته فقاتلت معه، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: رأيت ع ن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن

---

(١) ع: فهزموا.

(٢) ص: ورأى.

(٣) الإدريسي (د): ٢٧.

(٤) معجم ما استعجم ١: ٢٣٠، والطبري ٢: ١٧٩٦ - ١٨٠٤، وقال ياقوت: ماء منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز.

(٥) بعضه من معجم ما استعجم ١: ٢٣١؛ رحلة الناصري: ٢١٩.

(٦) البكري وياقوت: يخلد، وأورد ياقوت أيضا ((مخلد)).

(٧) القصيدة في السيرة ٢: ٣٠.

(٨) العقنقل: الكثيب من الرمل، والمرازبة: جمع مرزبان وهو الرئيس، والجحاجح: السادة.." [١]

"من خولان، وبها مسجد جامع بناه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين نزلها، وهو الذي يذكر أن ناقته بركت في موضعه فقال: خلوا سبيلها إنها مأمورة، فأمر ببناء المسجد في ذلك الموضع، وهذا كالذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند احتلاله المدينة. ثم بركت في صنعاء أيضا فبنى المسجد بها. وأهل الجند شيعة كلهم، ومن الجند يجلب إلى مكة وغيرها ملاحف القطن المنسوبة إلى سحول وهو واد بقرب الجند، ومن أهل الجند لطف الله بن الكدرندي كان آباؤه من شرار اليمن، وفيها يقول:

الله جاركم يا ساكني الجند ... هذا على انكم أفنيتم جلدي

جفوتموني بلا ذنب ولا سبب ... إلا مقالة أهل البغي والحسد

ولا أكلفكم ما لا يخف لكم ... منوا علي برد الروح في جسدي

ثم افعلوا بعد ما شئتم فلا حرج ... ولا تخافون من عقل ولا قود

جنبيتة (١) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٨٤

مدينة من أرض الحبشة متحضرة في برية بعيدة عن العمارة وتتصل عمارتها وبواديها إلى النهر الذي يمد النيل ويشق في بلاد الحبشة ؛ ومنبعه من خط الاستواء، وفي آخر نهاية المعمور من جهة الجنوب، فيمر مغربا مع الشمال حتى يصل إلى أرض النوبة فيصب هناك في ذراع النيل الذي يحيط بمدينة بلاق، وهو كبير عريض عليه عمارات للحبشة.

جنابا (٢) :

جزيرة في البحر من جزائر البحرين باليمن، منها أبو سعيد الجنابي القائم بدعوة القرمطي الظاهر في بلاد القطيف من بلاد اليمن، حسبما يأتي ذكر ذلك في حرف القاف والزاي إن شاء الله تعالى، ودخل أبو سعيد هذا مدينة هجر من بلاد اليمن سنة سبع وثمانين ومائتين بعد حصار أربع سنين، فدخل على قوم هلكوا جوعا وهزلا وبعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم خلق، وقتل منهم القرمطي ثلثمائة ألف فطرحهم أحياء في النار، ونجا قليل منهم إلى جزيرة أوال، ولم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا.

جناباذ (٣) :

مدينة على جادة الطريق من نيسابور، وبينهما ثلاثة عشر فرسخا، وبجناباذ سور ومسجد جامع، وبنيت أيام عبد العزيز بن السري بسبب الخوارج، ولها قهندز عظيم عتيق كان لمرزبان صرد كرمان وما حواليها من الضياع والرساتيق.

جنيارة (٤) :

مدينة بين فاس وطنجة، فيها (٥) قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع في جبل سهل أبيض مثل الطيلسان يسمى الجبل الأشهب، وقل ما تخلف أرض جنيارة لا في خصب ولا في جدب. وسأل رجل أراد أن يقتني ضيعة ببلاد المغرب شيخا من العارفين فقال له: عليك ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة إن أصابها ديك أتت بالبيض، وإن لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك في الغبار وتلد.

الجنادل (٦) :

جبل الجنادل في بلاد السودان، بينه وبين بلاق ستة أيام في البر، وفي النيل أربعة أيام انحدارا وإلى جبل الجنادل تصل مراكب السودان ومنه ترجع لأنها لا تقدر على النفوذ في السير إلى بلاد مصر، لأن الله تعالى جعل هذا الجبل قليل العلو من جهة بلاد السودان، وجعل وجهه الثاني مما يلي ديار مصر عاليا جدا، والنيل يمر من جهة أعلاه فيصب إلى أسفل صبا عظيما مهولا، وفي الموضع الذي ينصب إليه الماء أحجار مكدسة وصخور مضرسة، والماء يقع بينها، فإذا وصلت مراكب السودان وجاءت إلى هذا المكان من النيل

لم يمكنها عبوره لما فيه من العطب المهلك، فإذا انتهت المراكب بما فيها من التجار والتجارات تحولوا عن بطون المراكب إلى ظهور الجمال وساروا إلى مدينة أسوان في البرية، وبين هذا الموضع وأسوان نحو من اثنتي عشرة مرحلة بسير الجمال.

الجعرانة (٧) :

بتشديد الراء في قول العراقيين، والحجازيون

---

(١) ص ع: جنسيته، والتصحيح عن الإدريسي (د): ٢٣ OG: 42.

(٢) البكري (مخ): ٦٨، وانظر ياقوت (جنابة) والكرخي: ٩٠؛ وصورة الاسم وردت بالألف في خراج قدامة: ٢٤٢.

(٣) عند ياقوت: حنابذ، بكسر الباء الموحدة.

(٤) ع: جنبارة؛ ص: جلنبارة؛ وانظر البكري: ١١١، ١١٤، والاستبصار: ١٨٨.

(٥) الصواب أن يقول: لها؛ لأن جنيارة ليست مدينة فقط، وإنما هي إقليم.

(٦) الإدريسي (د): ٢٠ (OG: 39) وانظر خطط المقريزي ١: ١٩٠.

(٧) معجم ما استعجم ٢: ٣٨٤، وصبح الأعشى ٤: ٢٥٦.." [١]

"أضحت على فضله الأيام تحسده ... إن النبيه الرفيع القدر محسود وسميت المدينة بالحمة لأن بها حمة عظيمة مشهورة.

حنين (١) :

واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، والأغلب عليه التذكير لأنه اسم ماء وربما أنث حملا على البقعة، قيل سمي بحنين بن قاينة بن مهلائيل.

وفيه كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوقيعة المذكورة في القرآن على هوازن في شوال سنة ثمان، وجال المسلمون جولة ثم هزم الله المشركين ونفل المسلمين أموالهم، وقصة حنين مشروحة في المغازي (٢) .

حصن المنار (٣) :

بالأندلس قريب من مدينة لكة (٤) وهي منتهى الركن الثالث من أركان الأندلس التي هي حدودها، وهو

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/١٧٦

على ضفة البحر المحيط من الغرب والجوف وتتصل به الكنيسة المعظمة عندهم المسماة عندهم بشنت ياقوب، وهذا الموضع أضيق ما بين البحرين في حدود الأندلس، وعرضه من البحر إلى البحر ثمانون ميلا.

حصن الكرس (٥) :

بالأندلس من عمل جيان كان الفنش نزل عليه مدة وفيه القائد أبو جعفر بن فرج فارس مشهور بالشجاعة، فرأى منه ضبطا وصبرا وحسن دفاع، وكان عند الفنش مهندس من المسلمين المعاهدين بطليطلة فصنع له برجا عظيما من خشب ارتفع به على سور الحصن، فلما أكمل المهندس عمله بعث إلى ابن فرج في الباطن: إني صنعت هدا البرج اضطرارا لحفظ دمي وصون من ورائي من الأهل، فاحتل في إحراقه لئلا تكون ذنوب المسلمين في عنقي وعنقك إن تركته وأنت قادر عليه بأنواع الحيل، وقد طليته بدهان خفي يقبل النار بسرعة، فاعرف كيف تكون في الكتم والابقاء علي. فاختار ابن فرج من أنجاد الرجال جماعة ونهض بهم وبأيديهم القطران والكتان والنيران ودفع تحت الظلام بهم نحو البرج فأحرقه حتى صار رمادا ومات من كان فيه ومن حامى عنه ورجع سالما، فاغتم الفنش وقال: هذا كان رجاؤنا في فتح الحصن وقد طالت عليه إقامتنا ولم يبق إلا أن نعلم قدر ما بقي فيه من الطعام والماء لنبني أمرنا على حقيقة في ذلك، فانتدب لهذا الشأن نصراني ماكر أشقر أزرق أنمش تقضي الفراسة بأنه جامع للشر، فأظهر أنه أسلم وأنه هرب من الوباء والغلاء الواقعين في معسكرهم، فقبله المسلمون وخالطهم حتى اطلع على أنه لم يبق عندهم غير زبيب يقتسمونه بالعدد وماء يتوزعونه بالقسط، فسار ونزل من السور ليلا إلى أهل ملته فأعلمهم بحقيقة الأمر، فوجه الفنش إلى ابن الفرج: إنا قد اطلعنا على خبياتكم ولم يبق إلا أن تسلموا الحصن وتستريحوا من التعب المفضي إلى العطب، أو نصبر قليلا حتى نظفر بكم رغما فنقتل جميعكم، فاشترط ابن الفرج عليه أن يقيم لأهل الحصن سوقا حتى يبيعوا ما لا يقدرون على حمله، وأن يدفع لهم دواب (٦) يحملون عليها أسبابهم إلى جيان، فأوفى لهم بذلك. ولما خرج ابن فرج تعجب الفنش من طوله وعظم خلقته وأنكر عليه كونه سلم عليه بالإشارة ولم يقبل يده، وتكلم معه الترجمان في ذلك فقال: لو كنت أخدمه أكان يجوز أن أقبل يد خصمه؟ فذكر ذلك للفنش فقال: لا يجوز، وضحك الفنش وقال: مثل هذا ينبغي أن تكون الرجال، وأحسن إليه وأعطاه فرسه وسلاحه وقال: يعجبني أن يكون مثلك عند مثلي (٧) ، قال: وشغل الله تعالى الفنش مدة طويلة بهذا الحصن عن بلاد الإسلام، وكان الناس يرون ذلك في صحيفة ابن فرج، وكان ذلك في سنة عشر وستمائة.

حصن الكرك (٨) :

هو من أعظم حصون النصارى معترض في طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق في البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهي إلى أربعمائة قرية، ونازله السلطان صلاح

---

(١) معجم ما استعجم ٢: ٤٧٢.

(٢) انظر مغازي الواقدي: ٨٨٥ وما بعدها.

(٣) بروفنسال: ١٨٥، والترجمة: ٢٢٣، ولم يستطع تحديد موقعه.

(٤) لابد أن يكون هنا تحريف، فإن لكه من كورة شذونة في الجنوب، وتحديد المنار أنه متصل بشنت ياقوب وهي في أقصى الشمال، إلا أن يكون ((لكة)) أسما لموضع آخر.

(٥) ع: الكرسي؛ بروفنسال: ١٦٦، والترجمة: ٢٠٠ (Alcaraz) على بعد ١٢٤ كيلومترا إلى الشمال الشرقي من أبذة.

(٦) ص ع: دوابا.

(٧) ص ع: مثله.

(٨) ص ع: حصن الأكراد؛ وقد نقل المؤلف الكلام عن حصن الكرك عن ابن جبير: ٢٨٧ - ٢٨٨، أما حصن الأكراد فإنه غير هذا تماما، وانظر تعريفا مفصلا به في ياقوت (الحصة والأعلاق الخطيرة (الجزء الخاص بلبنان والأردن وفلسطين): ١٥.." [١]

"من لم يكن همه عينا يفجرها ... ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتاني ذكر مهلكه ... لا يبعدن قوام العقل والدين وكان معاوية وجه ابنه يزيد لحرب الروم، فأقام بدير سمعان ووجه الجنود، فأصابهم الوباء، وتلك غزوة الطوانة، فقال يزيد:

أهون علي بما لاقت جموعهم ... يوم الطوانة من حمى ومن موم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا ... بدير سمعان عندي أم كلثوم

دير العذارى (١) :

بسر من رأى بني قديما وسكنه رواهب العذارى وكان كلما وهبت امرأة نفسها للتعبد سكنت معهن ويقال إنه رفع إلى بعض ملوك الفرس أن بذلك الدير من العذارى كل باهرة الجمال فأمر أن يحملن كلهن إليه

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٢٠٢

فبلغهن ذلك، فقمن ليلتهن وأحيينها صلاة ودعاء وبكاء فطرقه طارق في تلك الليلة فأصبح ميتا فأصبحن صياما، والنصارى يصومون ذلك اليوم لهذا السبب وفي هذا الدير يقول جحظة:

ألا هل إلى دير العذارى ونظرة ... إلى الدير من قبل الممات سبيل

وهل لي بسوق القادسية سكرة ... تعلل نفسي والنسيم عليل

وهل لي بحانات المطيرة وقفة ... أراعي خروج الزق وهو عليل

إلى فتية ما شتت الود شملهم ... شعارهم عند الصباح شمول

وقد نطق الناقوس بعد سكوته ... (٢) وشمعل قسيس ولاح قبيل

دير النعمانية (٣) :

بقرب دير العاقول مقابل غربي دجلة، وهي مدينة بها مسجد جامح وأسواق وبها تتخذ الطنافس الجيدة وهي من مدائن الحيرة ومنها إلى مدينة جرجرايا.

دير زكى (٤) :

بالرها (٥) ، فيه بساتين موصوفة بالحسن، مر به عبد الله بن طاهر ومعه أخ له فنزلا فيه وشربا أياما ثم خرجا إلى مصر فمات أخوه بها وعاد هو فنزل بهذا الدير وقال يذكر سروتين قديمتين فيه:

أيا سروتي بستان زكى سلمتما ... وغال ابن أمي نائب الحدثان

ويا سروتي بستان زكى سلمتما ... ومن لكما أن تسلما بضمان

دير حزقيال (٦) :

قال شريح الخزامي (٧) : اجتزت بهذا الدير فبينما أنا أدور فيه إذا بكتابة على اسطوانة فقرأتها فإذا فيها:

رب ليل كأنه نفس العا ... شق طولا قطعته بانتحاب

ونعيم كوصل من بت أهوى ... قد تبدلته ببؤس العتاب

نسبوني إلى الجنون ليخفوا ... ما بقلبي من صبوة واكتئاب

ليت لي ما ادعوه من فقد عقلي ... فهو خير من طول (٨) هذا العذاب

---

(١) معجم ما استعجم ٢: ٥٨٨، والشابشتي: ٦٩، وياقوت والمسالك ١: ٢٥٨، وآثار البلاد: ٣٧٠.

(٢) ياقوت والبكري: فتيل.

(٣) النعمانية عند ياقوت بين واسط وبغداد، وقال المقدسي: ١٢٨ يصنع بها أكسية وثياب صوف عسلية

حسنة؛ ولم أجد من ذكرها تحت اسم ((دير النعمانية)).

(٤) معجم ما استعجم ٢: ٥٨٢، والشابشتي: ١٣٩، والمسالك: ٢٦٥، وعند ياقوت أن هذا الدير الذي مر به عبد الله بن طاهر قرية بغوطة دمشق، وهو غير دير زكي الموجود بالرها أو بالرقة.

(٥) الديارات: بالرقة.

(٦) معجم ما استعجم ٢: ٥٧٤، والمسالك ١: ٢٧٠، وياقوت، وآثار البلاد: ٣٦٩.

(٧) معجم البكري: الخزاعي.

(٨) ص ع: فهو خير لي من هذا.." (١)

"داعيتهم أيضا وجهوه غير مرة إلى ناحية فارس والأهواز لدعاء الناس، وكان قيام القرمطي بالقطيف.

وكان ابتداء أمرهم أن رجلا منهم قدم إلى (١) سواد الكوفة من ناحية خوزستان، فأقام بموضع يعرف بالنهرين يظهر الزهد والتقشف ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة، ويبتاع كل ليلة من عمل يده رطل تمر يفطر عليه، وإذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا، وعلمه أن المفروض على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عنه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام عدل من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يزل على ذلك يقصد إليه الجماعة بعد الجماعة والفوج من الناس بعد الفوج، فيخبرهم بما يعلق بقلوبهم إلى أن أجابه أهل تلك الناحية وما والاها واتخذ منهم اثني عشر نقيبا، أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه، وقال لهم: أنتم كحواريي عيسى، فاشتغل أكثر أهل ذلك الصقع عن أعمالهم بما رسمه لهم من الخمسين صلاة، وكانت للهيصم (٢) في تلك الناحية ضياع أنكر تقصير الأكرة فيها وفي عمارتها فأعلم أن ذلك من أجل اشتغالهم بالصلاة عن أعمالهم، فوجه الهيصم في طلبه حتى أتي به إليه، فسأله عن أمره، فأخبره بمذهبه، فآلى ليقتلنه، ثم أمر بحبسه في بيت من بيوت الدار وأقفل عليه ووضع المفتاح تحت وساده وتشاغل بالشراب عنه، وكانت جارية من جواريه سمعت يمينه ليقتلنه فرقت له، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح ففتحت عنه القفل وأرسلته ثم ردت المفتاح تحت الوسادة: فلما أصبح الهيصم أخذ المفتاح ففتح الباب فلم يجد أحدا، فشاع خبر القرمطي وازداد أهل الناحية به فتنة، وزعموا أنه رفع ثم ظهر في مكان آخر ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم، وزعم أن أحدا لا يقدر عليه بسوء، فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج إلى الشام وتسمى كرميتة.

وذكر أن ابتداء أمرهم أن رجلا كان يعرف بيحيى بن المعلى صدر من ناحية الكوفة إلى القطيف فنزل على

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٢٥٢

رجل يعرف بعلي (٣) بن المعلى بن حمدان كان يترفض وأظهر أنه رسول المهدي المنتظر وذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين، وأنه خرج يتبع شيعته في البلاد ويدعوهم إلى المسارعة في أمره وأن خروجه قد قرب، وأظهر كتابا زعم أنه من المهدي، وكان في من أجابه أبو سعيد الجنابي من جزيرة جنابا، كان يبيع الطعام بالزرادة، كما قلنا، ويحسب لهم حسابهم، ولا يعرف من كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حرفا، وكان قميئا قبيحا، وكان بالزرادة رجل يعرف بإبراهيم الصائغ، كان داعية لهم، وجهزه غير مرة إلى ناحية فارس والأهواز لدعاء الناس، قال ابن أبي الطاهر: فجاءني يوما وقال لي: اعلم أن هؤلاء القوم على ضلال، كنت أمس مع أبي سعيد الجنابي وقد قدم عليه رجل من أهل جنابا فأكلنا عنده، فلما فرغ قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى في بيت وقال لها: إذا أرادك الولي فلا تمنعيه نفسك فإنه أحق بك مني.
قال أبو علي عريب بن سعيد: وكان قيام القرمطي سنة سبع وثمانين ومائتين بدخول أبي سعيد القرمطي هجر بعد حصار أربع سنين، فوصل إلى قوم هلكى ضرا وهزلا بعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم خلق كثير فقتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف وطرحهم أحياء في النار، ونجا قليل منهم إلى جزيرة أوال، ولم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا، وسار جماعة من أصحاب الجنابي إلى حصن يقال له الفلج بينه وبين هجر ستة أيام، وبين هذا الحصن وبين مكة سبعة أيام. وقال قتادة: إن أصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه كانوا أهل فلج.

زرنج (٣) :

هي المدينة العظمى من بلاد سجستان وهي كبيرة عامرة الأسواق وأسواقها دائرة بالمسجد الجامع ولها أرباض عامرة، وفي كل مكان منها أسواق على غاية العمارة. ولها سور حصين وخندق دائر بالحصن الذي بها ولها على أرباضها حصون وخنادق وفي الخندق المستدير بسور الحصن ماء نابع ينبع من مكانه ويقع فيه جمل من فضول المياه التي في المدينة، وللمدينة خمسة أبواب، وللربض ثلاثة عشر بابا وبناؤها بالطين آزاجا معقودة لأن الخشب بها يسوس فلا يقيم، ومسجدها الجامع في المدينة دون الربض، وفي داخل المدينة ثلاثة أنهار تدخل على أبوابها وهي كلها صغار مفرقة في دور المدينة وبساتينها وحماماتها، وأرض زرنج سبخة رملية في سهل متصل لا يرى فيه شيء من الجبال، وهي حارة لا يقع فيها ثلج وأكثر ما بها الرياح العواصف

---

(١) ص ع والبكري: من.

(٢) ص ع: للمعتصم، وترد ((الهيضم)) أحيانا عند البكري.
(٣) زيادة من البكري.
(٣) زيادة من البكري.." [١]

"سقفا دون سقف، ووضعوا ما كان لهم من المال بين السقفين، فنزل رجل من المسلمين يغتسل في ذلك الموضع الذي سكروه فوقعت رجله على شيء فأخرجه فإذا هو صحفة فضة، ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر، فعلم بذلك المسلمون وحبسوا عنه الماء وأخرجوا جميع ما فيه، ونظر رجل من المسلمين في تلك الكنيسة ذات السمكين إلى حمام وكان عنده قوس بندق فرماه فأخطأه وأصاب خشب السمك فكسر منه شيئا فانهار عليهم المال، فغل المسلمون يومئذ غلولا كثيرا، فإن كان الرجل ليأخذ الهر فيذبحه ويرمي بما في جوفه ثم يحشوه مالا ويخيط عليه ويرمي به في الطريق ليوهم من رآه أنه ميتة فإذا خرج أخذه، وكان الرجل ينزع نصل سيفه فيطرحه ويملأ الجفن غلولا ويضع قائم سيفه في الجفن، فلما ركبوا السفن وتوجهوا سمعوا مناديا ينادي: اللهم غرق بهم، فعاذوا بالمصاحف وتقلدوها وغرقوا جميعا إلا أبا عبد الرحمن الحبلي وحنش بن عبد الله فإنهما لم يكونا تدنسا من الغلول بشيء، وما ذكر بعض المؤرخين من أن الذين غرقوا هم الذين غلوا من غنائم الأندلس فإنما هم الذين غلوا من غنائم سردانية.

وفي (١) سنة سبع وثمانين (٢) ، أغزى موسى بن نصير عبد الله ابنه إلى سردانية فافتتح وأصاب سبيا وغنائم، وفي سنة ثلاث ومائة أغزى بشر بن صفوان يزيد بن مسروق اليحصبي سردانية ففتح وسبى وسلم وفي سنة ست ومائة أغزى بشر بن صفوان محمد بن أبي بكير مولى بني جمح فأصاب كرسقة وسردانية، وفي سنة تسع ومائة أغزى بشر بن صفوان من إفريقية حسان بن محمد بن أبي بكير مولى بني جمح سردانية فغنم وسبى، وفي سنة تسع عشرة أغزى ابن الحبحاب قثم بن عوانة فأصاب قلعة سردانية (٣) ، وغرق قثم في منصرفه ومراكب المسلمين وسلم بعضهم.

سرطانية:

هي بلاد البرجان قالوا: فيها جزيرة فيها عين ماء تجري، من شرب منه من الخلق وكان به وجع في عينيه أو غشاوة في بصره أو بياض أو أي ضرر كان فيهما ذهب عنه.

سرغ (٤) :

مدينة بالشام، وهي بالراء المسكنة والغين المعجمة، وهي التي جاءها عمر رضي الله عنه في توجهه إلى

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٢٨٦

الشام وبلغه **أن الوباء قد** وقع بالشام وأخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه، وإن وقع بأرض لستم بها فلا تقدموا عليه " ، فرجع عمر رضي الله عنه من سرغ، والخبر مشهور.

وافتتح أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه سرغ واليرموك والجابية.

سرق (٥) :

بلد من عمل البصرة كان وليه حارثة بن بدر الغداني وكان صاحب خمر فقال له أبو الأسود:

أحار بن بدر قد وليت إمارة ... فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئا أصبته ... فحظك من ملك العراقين سرق وسرق يقال لها الدورق (٦) ، وبينها وبين سوق الأهواز أربعة وعشرون فرسخا في الماء على الظهر، ومن سرق إلى أرجان اثنان وثلاثون فرسخا، وبينهما قنطرة طويلة على وادي ا لملح، وبينها وبين أرجان اثنا عشر فرسخا.

وفتح أبو موسى (٧) رضي الله عنه، سرق على مثال رامهرمز، ثم غدروا، فوجه إليهم حارثة بن بحر الغداني المذكور، في جيش كثيف فلم يفتحها، فلما قدم عبد الله بن عامر فتحها عنوة.

سروج (٨) :

بلد من أرض الجزيرة وبمقربة من ملطية، وهي رستاق كثير القرى والكروم في بطن بين جبال.

قال البلاذري (٩) : سروج ورأس كيفا وأرض البيضاء أتاها عياض بن غنم بعد صلح الرها سنة تسع عشرة.

---

(١) في غزوات المسلمين إلى سردانية انظر المكتبة الصقلية في عدة مواضع.

(٢) ص ع: سبع وثلاثين، وعند ابن الأثير أن ذلك كان بعد فتح الأندلس سنة ٩٢.

(٣) سقط من ع.

(٤) معجم ما استعجم ٢: ٧٣٥، والطبري ١: ٢٥١١، وياقوت (سرغ) وقال: هو بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام.

(٥) معجم ما استعجم ٢: ٧٣٤، وياقوت (سرق).

(٦) الدورق عاصمة مقاطعة سرق.

(٧) فتوح البلدان: ٤٦٧.

(٨) انظر ابن حوقل: ٢٠٧، والكرخي: ٥٥، وياقوت (سروج).
(٩) فتوح البلدان: ٢٠٨.." (١)
"طرسوس (١) :
مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجري الماء حواليها. وفي سنة سبعين ومائة (٢) بني سور طرسوس على يد أبي مسلم فرج الخصي (٣) التركي، وجهه مولاه هارون الرشيد لذلك، وأنزلها الناس عام ولي الخلافة، في جيش كثيف وعسكر ضخم إلى الثغور، وأمره أن يبني مدينة طرسوس في المرج الذي في سفح الجبل، ولم يكن هناك بناء قط، وأن يجعل النهر يشق وسطها، فابتدأ بناءها في جمادى سنة سبعين ومائة، فخط بها سبعة وثمانين برجا مستديرة ومربعة، على كل برج عشرون شرفة، وبين كل برجين ست وخمسون شرفة، عرض الشرفة ذراعان ونصف في ارتفاع مثل ذلك، وحوالي سورها فصيل واسع متقن مرتفع السمك، وخلف الفصيل خندق عريض عميق مبني بالصخر من أعلاه وأسفله مفروش كله بالصخر، ولها خمسة أبواب: باب الجهاد، وهو الباب الذي يخرج منه إلى المرج الذي يعسكر فيه أمراء الطوائف، وباب الصفصاف، وبين هذين البابين مدخل النهر الأعظم، وعلى مدخله شباك حديد وثيق مفرط العظم، و باب الشام ومنه يدخل زقاق أذنة والمصيصة والشام، وباب كذا وباب البحر، وعنده مخرج النهر ومصبه في البحر، وهناك أيضا شباك حديد مثل الذي عند مدخله، وباب يعرف بالباب المسدود ولم يفتح قط وعلى النهر داخل المدينة قنطرتان عظيمتان إحداهما تعرف بباب الصفصاف، وأخرى تعرف بباب البحر، فكمل بناؤها في سنة اثنتين وسبعين ومائة، وسكنها المجاهدون والمرابطون واختطت بها الخطط والمنازل سنة ثلاث وسبعين ومائة، فلم تبن مدينة أعظم غناء عن الإسلام ولا أشد نكاية على الكفرة، ولا أجمع للمجاهدين ولا أبعد صوتا، ولا أجل مرأى، ولا أتقن بناء منها. فلما نزل الرشيد طرسوس أفرد الثغور من الجزيرة والشام، وسمى الثغور الشامية والثغور الجزرية، ونهرها يأتي من جبل الروم حتى يشق وسطها.
ولي قضاءها أبو عبيد القاسم بن سلام وفيها دفن المأمون بن الرشيد وكان خرج غازيا فمرض بعين البذندون فمات هناك، فحمل إلى طرسوس فدفن بها، وفي ذلك يقول أبو سعيد المخزومي (٤) :
ما رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون شيئا وملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثلما خلفوا أباه بطوس وذكر الحسين بن الضحاك قال: استحضر المأمون الجلساء والمغنين آخر جلسة جلسها بدمشق، وقد عزم على الخروج إلى البذندون، وقال لمخارق وعلويه:

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣١٥

غنيا، فسبق مخارق فغنى بشعر جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب إذ جد المسير بنا ... يا بعد يبرين من باب الفراديس فغنى علويه في معنى شعر (٥) :

ألحين ساق إلى دمشق وما ... كانت دمشق لأهلنا بلدا فضرب بالقدح الأرض وقال: مالك فض الله فاك، ودمعت عينه، وقال لأخيه أبي إسحاق: أسمعت، لا أحسبني والله أرى بالعراق أبدا، وقال: خذوا بيد هذا الجاهل أو النذير، واعطوا مخارقا ثلاثة آلاف درهم، وتقوض المجلس ولم يعد بعد. قال علويه: وكدت أحبس لولا كرم المأمون، وصار إلى البذندون على أثر ذلك فهلك في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين.

وطرسوس (٦) مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلا.

وفي سنة اثنتين وخمسين (٧) وثلثمائة تغلب الروم على طرسوس

---

(١) صبح الأعشى ٤: ١٣٣.

(٢) قارن بالبلاذري: ٢٠٠.

(٣) فتوح البلاذري: فرج بن سليم الخادم.

(٤) مروج الذهب ٧: ١٠١ - ١٠٢.

(٥) ذكر أبو الفرج هذا الصوت في قصة أخرى بين المأمون وعلويه (الأغاني ١١: ٣٣٥).

(٦) نزهة المشتاق: ١٩٥، وقارن بياقوت (طرسوس).

(٧) تتفق المصادر (ابن الأثير، تجارب الأمم، ابن العديم، ابن العيري، ياقوت ((طرسوس))) على أن استيلاء نقفور على طرسوس تم سنة ٣٥٤، ويشير كل من العديم (زبدة الحلب ١: ١٤٢) ومسكويه (تجارب الأمم ٢: ٢٠١) إلى وجود غاز خراساني ك١ن معه حسبما يقول مسكويه خمسة آلاف، ذهبوا لمعونة سيف الدولة ضد الروم سنة ٣٥٣، ويقول المؤرخان إن جماعة تفرقت سنة ٣٥٣ لشدة الغلاء، ويضيف مسكويه إن أكثرهم رجع إلى بغداد ومنها إلى خراسان.." [١]

"كلها عليها أسوار وخنادق وحولها أنهار، وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخيل والشجر وجميع الثمار ثم من بنطيوس إلى بسكرة.

الطيب (١) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣٨٨

مدينة بالعراق على مرحلة من قرقوب بين واسط والسوس، وليست بكبيرة إنما هي حسنة الذات جامعة لأشتات البركات، وتصنع بها تكك تشبه التكك الأربسية لا يوجد مثلها بعد تكك أرمينية، ويصنع بها كثير من الصنائع لا يجارى صناعها فيها، ولهم (٢) كيس في الأمور وحذق.

الطينة:

مدينة عند تنيس.

طيلاقة (٣) :

بينها وبين اشبيلية ميلان.

طيبة (٤) :

وطابة، اسمان لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتسمى أيضا: المجبورة والعذراء والمحبة والمحبوبة والقاصمة وجابرة، وسماها الله عز وجل المدينة، وكذلك كان يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها " ، وقال صلى الله عليه وسلم: " إن المدينة تنفي خبثها وتنصع طيبها " ، وقال: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد " وقال صلى الله عليه وسلم: " على أنقاب المدينة ملائكة تحرسها من الطاعون " ، وقال صلى الله عليه وسلم: " المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " . وفي " الموطأ " أنه صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم إني أدعوك للمدينة بما دعاك بمثله إبراهيم لمكة ومثله معه واحتجوا بهذا على فضل المدينة على مكة لدعائه صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة بمثلي ما دعا به إبراهيم عليه السلام لأهل مكة، وهو أن يرزقهم الله الثمرات وأن يجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، يعني يجلبون إليهم الأقوات. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة أن يبارك لهم في طعامهم المكيل بالصاع والمد الذي به قوام الأبدان المفترض عليها الطاعات بمثلي ما دعا به إبراهيم عليه السلام لأهل مكة. وسمى الله تعالى المدينة دار الإيمان في قوله تعالى " والذين تبوءوا الدار والإيمان " يعني الأنصار وسكان المدينة.

وقال صلى الله عليه وسلم: " المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبتدأ الحلال والحرام " ، اختار الله تعالى المدينة لرسوله صلى الله عليه وسلم لمحياه ومماته، وجعلها دار الهجرة، وهي محفوفة بالشهداء، وعلى أنقابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، وبها روضة من رياض الجنة، ولو علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقعة أفضل منها ما دعا الله تعالى أن يموت بها. وقال مالك رحمه الله افتتحت القرى بالسيف، وافتتحت المدينة بالقرآن، وكانت بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قدومه المدينة

ألا يخرج أحد عنها فمن خرج كان عاصيا. وفي جبل أحد يقول صلى الله عليه وسلم: " هذا جبل يحبنا ونحبه " يعني أهله، وهم الأنصار؟ وقال صلى الله عليه وسلم: " ما بين لابتيها حرام، يعني الحرتين، إحداهما التي ينزل بها الحاج إذا رجعوا من مكة وهي بغربي المدينة، والأخرى مما يليها من شرقي المدينة، فما بين هاتين الحرتين حرام أن يصاد فيها حيوان ومن فعل ذلك أثم، ولم يجعل في صيد حرم المدينة جزاء على ما صيد فيه لعظم شأنه، كما لم يجعل في اليمين الغموس كفارة على من حلف بها لعظم إثمها ومن صاد في حرم المدينة صيدا لم يحل له ملكه. وسأل الله تعالى أن يحبب إليهم المدينة كحبهم مكة وأشد وأن يصححها من الوباء وأن ينقل حماها إلى الجحفة، وكان أهل الجحفة يومئذ كفارا وكان السبب في ذلك حنين بلال رضي الله عنه إلى مكة وقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل والإذخر والجليل نباتان طيبان، وشامة وطفيل جبلان من جبال مكة. وسميت في القرآن يثرب حكاية لقول الكفار: يا أهل يثرب، وإنما سميت بيثرب بن فائد بن مهليل بن ارم بن عبيل نزل المدينة هو وولده ومن معه فسميت به، وبنو عبيل ممن درج فلم يتبق لهم باقية.

وفي سنة ثلاث وستين ومائتين بنى إسحاق بن محمد تجعدي سور المدينة المعروف عليها اليوم، ولها أربعة أبواب: باب في المشرق وراء دار عثمان بن عفان رضي الله عنه يخرج منه إلى ببيع الغرد، وهناك مدافن أكثر أهلها وهناك قبر إبراهيم ابن النبي

---

(١) نزهة المشتاق: ١٢٤.

(٢) ص ع: ولها.

(٣) ع ص: طيلانة؛ وعند برفنسال: ١٣٥ طيلاقة، وعدها هي ((طالقة)) التي مر القول فيها.

(٤) في صبح الأعشى ٤: ٢٨٩ نقل عن الروض (المدينة، يثرب).." [١]

"وتحدثت عن سلطنة علي ابن المعز ثم تولي سيف الدين قطز، وترتيبه للأمور الداخلية. وفي الفصل الرابع: كان الحديث عن معركة عين جالوت الخالدة وانكسار المغول، وتتبعت تحرك المغول بعد سقوط بغداد، وبينت كيف تم احتلال المغول لبلاد الشام والجزيرة، ووضحت مشروع الكامل الأيوبي لمواجهة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٤٠١

التتار وكيف استشهد عند دفاعه البطولي عن ميافارقين، فقد صمدت المدينة الباسلة وظهرت فيها مقاومة ضارية بقيادته ونظرا لطول الحصار الذي فرضه المغول على المدينة، نفذت الأرزاق من داخلها وعم القحط **وانتشر الوباء وتهدمت** الأسوار من شدة ضرب المنجنيقات حتى هلك أكثر سكان المدينة، فقد وقعت **المجاعة** فيها بسبب الحصار الطويل وفي عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م سقط آخر معقل للمقاومة في الجزيرة ودخل التتار ميافارقين فوجدوا جميع سكانها موتى، ما عدا سبعين شخصا نصف أحياء وقبضوا على الكامل الأيوبي فعنفه هولاكو وأمر بتقطيعه وأخذوا يقطعون لحمه قطعا صغيرة ويدفعون بها إلى فمه حتى مات ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به في البلاد وذلك سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م إلى أن وصل دمشق، فعلقوه على باب الفراديس، حتى أنزله الأهالي ودفنوه.

وكان السلطان الناصر الأيوبي سلطان بلاد الشام متردد بين المقاومة والاستسلام، وكان متخوفا من المغول، الذين هددوه بالرسائل وذكروه بما حدث لبغداد وخليفتها وجاء في رسائلهم للسلطان الناصر:... واستحضرنا خليفتها وسألناه عن كلمات فكذب فواقعه الندم واستوجب منا العدم وكان قد جمع ذخائر نفيسة وكانت نفسه خسيسة، فجمع المال ولم يعبأ بالرجال وكان قد نمى ذكره وعظم قدره ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال:

... ... إذا تم أمر دنا نقصه

... ... توق زوالا إذا قيل تم

... ... إذا كنت في نعمة فارعها

... ... فإن المعاصي تزيل النعم

... ... وكم من فتى بات في نعمة

... ... .فلم يدر بالموت حتى هجم." (١)

"وليو تشو تساي الخيتائي الصيني، فكان من أهالي الصين الشمالية وقد شغل أبوه منصب الوزارة لأسرة كين، وأشتهر يي ليو تشو تساي بثقافته العالية . يأتي عنه الحديث منفصلا . حيث استفاد جنكيز خان من خبرته وأفكاره في إدارة الدولة، فقد أقام جنكيز خان أصول الإدارة المغولية على أفكار وثقافات الآخرين التي استفادها من الخبراء والمستشارين من الشعوب والأمم الأخرى، كالحضارة الصينية والاويغوريين(١)وغيرها.

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ٨/١

٦ ـ حكيم من الصين:وقع على يلوي شو تسي أن يلعب دورا هاما وصعبا أثناء قيام الإمبراطورية المغولية، فقد حظي بإعجاب جنكيز خان منذ أن وقعت عينه عليه وكان أول فيلسوف صيني يلتحق بالجيش المغولي ولم يجعل المغول الأمور ممهدة أمام هذا الطالب للفلسفة والطب والفلك وحدث مرة أن سخر ضابط معروف بمهاراته في صنع الأقواس بالصيني العالي القامة والطويل اللحية، يقول له: ما هي الفائدة من وجود رجل كتب مع محاربين؟ فرد الصيني: إن صنع أقواس جيدة يحتاج إلى نجار، وأما عند ما يستدعي الأمر إدارة إمبراطورية، فالحاجة تدعو إلى صاحب حكمة، وصار حظيا لدى جنكيز خان وأثناء حروبه الكثيرة والطويلة، بينما كان المغول يجمعون الأسلاب والغنائم، كان هذا الحكيم يجمع الكتب والجداول الفلكية والأعشاب الطبية، وقد سجل جغرافية الحملات والمعارك والمواقع، وعند ما اجتاحت الجيش موجة من الوباء، فقد تأمنت له الفرصة عندئذ للأخذ بثأره من الضباط الذين كانوا يهزأون به وبكتبه لقد سقاهم من ماء أعشابه وجعل الله لهم فيه شفاء.

---

(١) المغول للعريني صـ ١٥٢.." [١]

"وأخيرا بعد أن سفك هولاكو من الدماء ما سفك، وبعد أن خرب ما خرب، أصدر أمره بالكف عن القتل، وبأن ينصرف كل إلى عمله، يقول ابن كثير: ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، ولقد أنكر بعضهم بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، **وأخذهم الوباء الشديد**، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى(١).

---

(١) المغول للصياد صـ٢٦٦، البداية والنهاية (١٣ ـ ٢٠٣).." [٢]

"فكان الضعف القيادي في شخصية المستعصم من الأسباب والمقدمات في زوال الدول العباسية، لم يحسن اختيار الوزراء، وليست له قدرة على المتابعة والمحاسبة وكان يقاد ولا يقود، وكان سلوكه هذا سببا لجرأة بعضهم عليه واستغفاله وتحديه فازدادت الفتن في زمانه وازداد التذمر وازداد تدهور الحياة الاقتصادية **وانتشار الغلاء وسيطر** اللصوص والشطار العيارون ينهبون ويسلبون أمام الشرطة وصاحبها أو بالتواطؤ معه والخليفة لا يحاسب صاحب الشرطة ولا يحاسب الوزير الذي هيمن على حميع الأمور في

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/١٢١

(٢) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/٢٨٩

البلاد وولاياتها التي انفصلت واستقلت، والوزير ابن العلقمي يمهد للانقلاب، حتى يسهل تمرير المؤامرة لازالة السيادة الإسلامية، واسقاط الخلافة(١)، لقد غابت القيادة الحكيمة الربانية والتي تحدث عنها المولى عز وجل في كتابه وبين صفاتها وأخلاقها لكي تعمل الأمة على إيجادها، ولكن الأمة تركت حقها في الاختيار، وتأثرت مع الزمن والوقت بمعاول هدم روح المبادرة، والمحاسبة والمتابعة والوقوف ضد أخطاء الحكام، وأصبح الخليفة محمي بقداسة وهمية صنعت لهذا المنصب مع مرور الزمن، والابتعاد عن روح الشريعة ومقاصدها الغراء وإلا فالمعايير والصفات للقيادة الحكيمة بينها المولى عز وجل في سورة الكهف في قصة ذي القرنين وفي سيرة داود وسليمان عليهما السلام، وغيرها فقد بين المولى عز وجل من خلال الحديث عن ذي القرنين معالم التمكين عنده لكي يقتدي حكام الأمة بهذه النماذج وتحدث عن معالم التمكين والتي من أهمها:

دستوره العادل: قال تعالى: " فأما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا" ((الكهف، آية: ٨٧، ٨٨)).

---

(١) بغداد مدينة السلام غزو المغول صـ١٢٥.." [١]

"٢ . تورانشاه يقود المعركة: وصل تورانشاه إلى المنصورة في ١٧ ذو القعدة ٦٤٧هـ/٢١ شباط ١٢٥٠م بعد أن أعلن سلطانا في دمشق، وهو في طريقه إلى مصر، فأعلنت عندئذ وفاة الصالح أيوب وسلمته شجرة الدر مقاليد الأمور، فأعد خطة عسكرية كفلت له النصر النهائي على الصليبيين(١). وكان وصوله إلى مصر إيذانا بإعادة إرتفاع الروح المعنوية عند المصريين وبين صفوف المماليك وتيمن الناس بطلعته(٢). وأمر بإنشاء اسطول من السفن الخفيفة نقلها إلى فروع النيل السفلى وأنزلها في القنوات المتفرعة، فأخذت تعترض طريق السفن الصليبية التي تجلب المؤن للجنود من دمياط، فقطع بذلك الطريق عليها وحال دون اتصال الصليبيين بقاعدتهم دمياط(٣)، وفقد الصليبيون عددا كبيرا من سفنهم قدرتها المصادر بما يقرب من ثمان وخمسين سفينة، انقطع المدد من دمياط عن الفرنج **ووقع الغلاء عندهم**، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام، ولا يقدرون على الذهاب وتشجع المسلمون وطمعوا فيهم وأدرك لويس التاسع استحالة الزحف نحو القاهرة في ظل هذه الاوضاع وبدأ يفكر في العودة إلى دمياط وفعلا أمر بالإرتداد وأحرق الصليبيون ما عندهم من الخشب وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، كما أدرك أن عملية

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ٣١٤/١

الانسحاب لن تكون سهلة، وأن المماليك سوف يطاردون جيشه لذلك لجأ قبل أن يبدأ بعملية الإنسحاب إلى فتح باب المفاوضات مع تورانشاه على أساس ترك دمياط مقابل أخذ بيت المقدس(٤)،

---

(١) السلوك (١ ـ ٤٤٩)، تاريخ الأيوبيين صـ٣٨٧.

(٢) النجوم الزاهرة (٦ ـ ٣٦٤).

(٣) المصدر نفسه (٦ ـ ٣٦٤).

(٤) تاريخ الأيوبيين صـ ٢٨٨..." (١)

"أقبل المغول على فرض حصار شديد على مدينة ميافارقين، اشتركت فيه فرق أرمينية ومسيحية شرقية وقابله المسلمون داخل المدينة بصمود هائل عجز أمامه المغول على اقتحامها مدة طويلة، وكان في جيش الملك الكامل فارسان بارعان أذهلا قادة المغول ودوخاهم وأوقعاهم في الدهشة والحيرة، إذ كان لبسالتهما وأحكامهما الرماية سببا في إنزال أفدح الخسائر في الجيش المغولي، حتى اضطر هولاكو الذي أدرك عجز قواته عن اقتحام المدينة إلى إرسال مدد جديد بقيادة الأمير أرقتو، وانضم هذا القائد الجديد بجموعه إلى الجهة التي فيها جيش الأمير المغولي إيلكيا نويان، ونظرا لطول الحصار الذي فرضه المغول على المدينة، نفذت الأرزاق من داخلها وعم القحط **وانتشر الوباء وتهدمت** الأسوار من شدة ضرب المنجنيقات، حتى هلك أكثر سكان المدينة(١)، فقد وقعت **المجاعة** فيها بسبب الحصار الطويل وفي عام ٦٥٨هـ ١٢٦٠م سقط آخر معقل للمقاومة في الجزيرة ودخل التتار ميافارقين"فوجدوا جميع سكنها موتى، ما عدا سبعين شخصا نصف أحياء، وقبضوا على الكامل الأيوبي؛ فعنفه هولاكو وأمر بتقطيعه(٢)، وأخذوا يقطعون لحمه قطعا صغيرة ويدفعون بها إلى فمه حتى مات، ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به في البلاد وذلك في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م(٣)، حتى وصل دمشق، فعلقوه على باب الفراديس، حتى أنزله الأهالي ودفنوه وقتل المغول كل من وجدوه في ميافارقين وهدموها، وهذا يدل على شدة حنق المغول من الملك الكامل، ومن مقاومته لهم وربما كان أيسر ما كلفتهم إياه هو الخسائر البشرية والمادية فهي ـ بلا شك ـ ساهمت في تحطيم سمعتهم الحربية المرعبة لأن مقاومة الكامل أصبحت رمزا لإرادة المقاومة ضد التتار، وأصبح الكامل بموته قدوة ومثالا للتضحية والشهادة(٤).

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/٤٠٨

(١) جهاد المماليك صـ٧٦.

(٢) المصدر نفسه صـ٧٦.

(٣) المصدر نفسه صـ٧٦.

(٤) العلاقات الدولية (٢/٥٤).." [١]

"، ولم يكتف ناصر الدولة بن حمدان بحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة بالوجه البحري بل أنفذ كتابا إلى الخليفة القائم بأمر الله يلتمس منه الإمدادات والخلع حتى يظهر الدعوة العباسية بالديار المصرية – ولم ينتظر رد الخلافة العباسية بل سار إلى الفسطاط على رأس قواته واستولى عليها، تولى الحكم فيها، وأنفذ إلى الخليفة المستنصر وأظهر ميله إلى المذهب السني غير أن ناصر الدولة لم تستقر له الأمور بالقاهرة طويلا ، فقد ثار به الأتراك ونجحوا في القضاء عليه (١)، وكان للشدة العظمي التي تعرضت لها مصر مدة سبع سنوات وصفها صاحب النجوم الزاهرة فقال : .. هذا والغلاء بمصر يتزايد، حتى أنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها **من الغلاء الزائد** عن الحد، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، فإنه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضهم بعضا، وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها وأكلت الدواب بأسرها (٢)، كان لهذه الشدة أثر بالغ في شغل الخلافة الفاطمية عن مواصلة إرسال الدعاة وإمدادهم بالأموال فاقتصر اهتمامها على الاحتفاظ بما تبقى لها من نفوذ في الجزيرة العربية، وتأييد دعاة الإسماعيلية في بلاد فارس واليمن (٣).

---

(١) الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق ص ٧٩.

(٢) النجوم الزاهرة(٥/١٦،١٥).

(٣) الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق ص٧٩.." [٢]

"وكان سبب هذا الاضطراب بنيهما أن الخليفة هدد الشحنة(١)، فاضطر إلى مغادرة بغداد خوفا من أن يصيبه أذى فلحق بالسلطان محمود الذي أغراه بالخليفة في رجب سنة ٥٤٠هـ وحذره من الخليفة وأخبره أنه يعد العدة ضده ليمنعه من دخول بغداد، فلما علم الخليفة بذلك أرسل إليه يطلب منه تأجيل خروجه إلى حين إصلاح البلاد على أثر ما سببه دبيس وجيشه من فساد وكثرة الغلاء، ثم استعد الخليفة

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/٤٩٥

(٢) السلاجقة، ١/١٠١

لإرسال المال على شرط أن يتأخر في القدوم إلى بغداد، فما كان جواب السلطان إلا ان نفذ ما قرره له الزكوى، وصمم العزم على التوجه إلى بغداد، ونزل بباب الشماسية (٢)، فلما بلغ الخبر الخليفة العباسي المسترشد بالله عبر مع أهله إلى الجانب الغربي راحلا من بغداد فغضب السلطان لقوله وتوجه إلى بغداد وبقي الخليفة بالجانب الغربي، وكان لخطبته في عيد الأضحى أثر كبير في نفوس الناس طبع عليهم طابع الحزن مما هم فيه، ويبدو أن خطبة الخليفة أو عزت إليهم بالاستعداد لدخول الحرب مع السلطان محمود (٣).

---

(١) الشحنة : مندوب الخليفة أو السلطان ويرأس شرطة المدينة.

(٢) الشماسية : تقع خارج بغداد وينسب إليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد.

(٣) الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ص ١٠٩.." (١)

"٩- مذبحة معرة النعمان : اشتدت المنازعات الداخلية بين الصليبيين حول إمارة أنطاكية، على أن كثرة القتلى والجيف في ساحة المدينة نتج عنه انتشار وباء في معسكر الفرنجة، ذهب ضحيته بضعة آلاف منهم، من بينهم المندوب البابوي (أدهمار) وقد دفع ذلك الوضع الغزاة هؤلاء إلى القيام بغزوات وجولات خارج أنطاكية، حتى يبتعدوا عن منطقة الوباء، فكان غزوهم لمعرة النعمان، فاستغاث أهلها لصاحب حلب (رضوان) وصاحب حمص (جناح الدولة) فلم ينجدهم أحد(١)، ولم يكن لدى أهلها من الامكانات، ما يمكنهم من المقاومة طويلا فاضطروا إلى الاستسلام، إلا أن الصليبيين كعادتهم لم يحترموا الأمان الذي أعطوه لأهل المعرة (٢).

وإنما غدروا بهم، ورفعوا الصلبان فوق البلد .. ونهبوا ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به (٣). وقد قدر عدد القتلى من المسلمين في معركة معرة النعمان، أكثر من عشرين ألف رجل وامرأة وصبي في حين قدرهم ابن الأثير بما يزيد عن مائة ألف، ويصف تلك المذبحة بقوله : سار الفرنج إلى معرة النعمان، فنازلوها وحاصروها، وقاتلهم أهلها قتالا شديدا، ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية في قتالهم .. ثم دخلوا المدينة ووضعوا في أهلها السيف ثلاثة أيام قتلوا فيها ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه، وأقاموا أربعين يوما(٤)، وقد ذكر (رنسيمان) في تاريخه أن الصليبيين عندما دخلوا المدينة. أمعنوا في قتل كل من يصادفهم، واقتحموا الدور ونهبوها وأحرقوها(٥)، وقد رثاها الشاعر وجيه بن عبد الله التنوخي بابيات

---

(١) السلاجقة، ٢٤٣/١

حزينة باكية، تأسف على موت أهلها، وضياع دورها فقال ؟.

هذه بلدة قضى الله يا صاح

عليها كما ترى بالخراب

---

(١) تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ص ٢٠٧.

(٢) زيدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم (١٤١/٢ – ١٤٢).

(٣) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٣٦.

(٤) الكامل في التاريخ نقلا عن الجهاد والتجديد ص ١٠٢.

(٥) تاريخ الحروب الصليبية (٣٦٩/١).." [١]

"غلاء الأسعار وانتشار المجاعات : كثرت الضرائب على المواطنين وتفننت الدولة في طرق الابتزاز حتى أن الحجاج كانوا يدفعون الكثير من الضرائب للبلد الذي يمرون فيه، كما كان يفعل الفاطميون مع حجاج المغرب في مصر : ومن عجز عن الأداء حبس، وربما فاته الوقوف بعرفة، حتى أسقط السلطان صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة (١)، وغلت الأسعار بشكل مذهل، فقد روى ابن تغري بردي : أن رجلا باع دارا بالقاهرة، كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار، بعشرين رطل دقيق، وبيعت البيضة بدينار وذلك عام ٤٢٨هـ. **وعم الوباء والقحط** بالعراق والشام كذلك وسائر أرجاء العالم الإسلامي، فكان الناس يأكلون الميتة من الحيوانات وينبشون قبور الموتى من البشر، أما الأغنياء، فكانوا يشترون الرمانة والسفرجلة بدينار، كان ذلك ما بين ٤٨٤ – ٤٨٩هـ (٢) ويصف ابن كثير الحالة العامة من غلاء الأسعار والمجاعات لعام ويصف ابن كثير الحالة العامة من غلاء الأسعار والمجاعات لعام ٤٦٢هـ ومن غرائب ذلك قوله : بأنه قد نزل الوزير في مصر يوما عن بغلته، فغفل عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها، فأخذوا وصلبوا، وما أصبحوا إلا وعظامهم بادية، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهارا، وإنما يدفنه ليلا خفية، لئلا ينبش فيؤكل (٣).

---

(١) البداية والنهاية نقلا عن الجهاد والتجديد ص ٧٤.

---

(١) السلاجقة، ٢٣٠/٢

(٢) النجوم الزاهرة (٥/١٥ – ١٧).

(٣) البداية والنهاية نقلا عن الجهاد والتجديد ص ٧٥.." (١)

"وجندها – على حد قول ابن العديم – مما اضطره إلى مغادرتها إلى ماردين بعد أن استخلف في بالس موجة الغلاء التي مروا بها في نفس السنة ٥١١هـ/١١١٧م، فأرسلوا إلى الصليبيين يسلموها إليهم فاضطر إيلغازي إلى العودة على رأس قوة من التركمان إلى حلب، فلما شعر الصليبيون بالخطر، انسحبوا عنها فتسلمها ايلغازي للمرة الثانية، وعاد إلى ما ردين بعد أن عقد معهم هدنة بعدم اعتداء أي منهما على ممتلكات الطرف الآخر (١).

نقض الصليبين للهدنة : ولكن الصليبيين وجدوا الفرصة سانحة بعد خروج إيلغازي وأغاروا على عزاز وشددوا الحصار عليها حتى اضطر من بها من المسلمين إلى التسليم، واضطر أهل حلب إلى مراسلة الصليبيين وطلبوا منهم التمسك بالهدنة التي كان قد عقدها معهم إيلغازي وأن يسلموهم أي أهل حلب تل هراق ويؤدون لهم القطيعة المقررة على حلب عن أربعة أشهر ومقدارها ألف دينار ويكون لهم من حلب شمالا وغربا (2) وغضب نجم الدين إيلغازي لما وصلت إليه أخبار حلب، ولكنه لم يستطع العودة إليها وانقاذها مما هي فيه لقلة عساكرها فاتجه إلى شرق منطقة الجزيرة بقصد جمع المعساكر في الوقت الذي أبلغ فيه ظهير الدين طغتكين عن رغبته في الاجتماع به سنة ٥١٢هـ/١١١٨م واجتمعا على قلعة دوسر بهدف القيام بدفع الصليبيين عن حلب ولكن ذلك لم يتيسر لهما، الأمر الذي دفع الصليبيين إلى إحكام السيطرة على مداخل حلب بعد أن استولوا على بزاغة فتردت الأحوال بحلب حتى بلغت حد التلف على حد قول ابن العديم (٣)، ولم يجد أهل حلب بدا من الاستعانة بالخلافة العباسية والدولة السلجوقية في بغداد، إلا أنهم لم يغاثوا نظرا لإنشغال السلاجقة بالمنازعات الأسرية فيما بينهم من جهة وضعف الخلافة العباسية من جهة أخرى.

---

(١) زيدة الحلب (٢/١٨٠) الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ص ١٥٢.

(٢) زيدة حلب (٢/١٨٥ – ١٨٦).

(٣) الـمصدر نفسه (٢/١٨٦).." (٢)

---

(١) السلاجقة، ٢/٢٩٤

(٢) السلاجقة، ٢/٣٨٦

"على الطريق إلى أنطاكية، وهكذا غدوا في حالة الدفاع بعد أن كانوا مهاجمين، وخرج الحلبيون إلى خيامهم فنالوا منها ما أرادوا، بنيما اتجه قسم آخر منهم لاستقبال البرسقي والاحتفاء به لدى وصوله، وقد أدرك الرجل ما يرمي إليه الصليبيون بانسحابهم واتخاذهم موقفا دفاعيا، فلم يتسرع بمهاجمتهم قبل أن يعيد تنظيم قواته من جديد، خوفا من نزول هزيمة فادحة بعساكره قد تعرض حلب للسقوط، وأرسل طلائعه الكشفية لرد القوات المتقدمة إلى معسكراتها في حلب وقال موضحا خطته هذه : ما يؤمننا أن يرجعوا علينا ويهلك المسلمون؟ ولكن قد كفى الله شرهم، فلندخل إلى البلد ونقويه وننظر إلى مصالحه، ونجمع لهم إن شاء الله، ثم نخرج بعد ذلك إليهم. ومن ثم دخل البرسقي حلب، وبدأ بحل مشاكلها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي، فنشر العدل وأصدر مرسوما برفع المكوس والمظالم المالية وإلغاء الصادرات، وعمت عدالته الحلبيين جميعا بعدما منوا به من الظلم والمصادرات وتحكم المتسلطين طيلة فترة الحصار الصليبي(١)، ولم يكتف البرسقي بذلك، بل قام بنشاط واسع بجلب المؤن والغلال إلى المدينة كي يخفف من حدة الغلاء، ويقضي على الضائقة التي يعانيها الحلبيون، وما لبث النشاط الزراعي في منطقة حلب أن عاد إلى حالته الطبيعية، حيث أستأنف المزارعون العمل في الأراضي التي شردوا عنها، كما عاد النشاط التجاري إلى سابق عهده اعتمادا على ما تمتعت به المنطقة من أمن واستقرار (٢)، وهكذا استطاع البرسقي أن يحطم الطوق الذي أحاط به الصليبيون حلب، وأن يخلص هذا الموقع الهام من أخطر محنة جابهته طيلة الحروب الصليبية ويوحده مع الموصل لأول مرة منذ بدء هذه الحروب، الأمر الذي أتاح لهذا القائد ولعماد الدين زنكي من بعده أن يفيد من هذه الوحدة لتحقيق انتصارات عديدة ضد الغزاة (٣)يقول

---

(١) زبدة حلب (٢/٢٢٩ – ٢٣٠) دراسات تاريخية ص ١٩.
(٢) دراسات تاريخية ص ١٩.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠.." [١]

"وأهلت سنة إحدى وثمانين فسار السلطان وبلغ حران ، في يوم الجمعة ثامن عشري صفر فقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبري، واستولى عليها. ورحل عنها في ثاني ربيع الأول فوافته رسل الملك قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي صاحب الروم باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده، إن لم يعد عن الموصل وماردين ، فسار يريد الموصل ، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل ، ونزل عليها

---

(١) السلاجقة، ٤٠٨/٢

وحاصر أهلها وقاتلهم. فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقمان الثاني ناصر الدين محمد بن إبراهيم صاحب خلاط في تاسع ربيع الأول ، فرحل صلاح الدين في آخره يريد خلاط ، ثم عاد و لم يملكها، وسار إلى ميافارقين فتسلمها، ثم عاد إلى الموصل ، ونزل على دجلة في شعبان ، وأقام إلى رمضان ، فمرض مرضا مخوفا، فرحل في آخر رمضان ، وهو لما به وقد أيس منه ، فنزل بحران ، فتقرر فيها الصلح بينه وبين المواصلة في يوم عرفة، وخطب له بجميع بلاد الموصل ، وقطعت خطبة السلجوقية، وخطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية، وضربت السكة باسمه ، وأمر بالصدقات في جميع ممالكه .

وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول : حدثت بمصر زلزلة، وفي مثل تلك الساعة كانت زلزلة في بعلبك أيضا.

وفيه كانت بالاسكندرية فتنة بين العوام ، نهبوا فيها المراكب الرومية، فقبض على عدة منهم ومثل بهم .

ومات في هده السنة

الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، ليلة عيد الأضحى . واتهم السلطان بأنه سمه فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده.

ومات فخر الدولة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسواني ابن أخت الرشيد والمهذب ابني الزبير فيها. وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان ، ثم كتب لأخيه العاد ل .

ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد.

ومات الأمير مالك بن ياروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب ، محمل إلى حلب ودفن به١.

وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين أنار التي تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق ، وكانت وفاتها يوم الاثنين ثالث ذي القعدة.

وفيها خرج المظفر تقي الدين عمر إلى كشف أحوال الإسكندرية، وشرع في عمل سور على مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسي، واتصلت العمارة في خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين وبجوار جامع ابن طولون والكبش، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع بشقاف القنز والخرشتف وتراب الأرض ، وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة .

وفي شعبان ورمضان : وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة، وكثر الوباء في الدجاج أيضا.

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

وأهلت سنة اثنتين وثمانين : وقد أبل السلطان من مرضه ،فرحل من حران ، و نزل حلب في رابع عشر

المحرم ،ومر من حلب إلى حمص ، فرتب أمورها واسقط المكوس منها. ودخل إلى دمشق في ثاني ربيع الأول ، واستدعى ابنه الأفضل عليا من مصر، لمنافرة كانت بينه وبن ابن عمه المظفر تقي الدين ، فقدم عليه بأهله وحشمه ، لسبع بقين من جمادى الأولى، وصرف العادل عن حلب ، ولقرر عوضه بها الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان ، وعوض العادل الشرقية بديار مصر.

وصرف المظفر تقي الدين عمر من ديار مصر ونيابتها، فغضب لذلك ، وعبر بأصحابه إلى الجيزة يريد اللحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى، وأخذ بلاد المغرب ، وجعل مملوكه بوري في مقدمته ، فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فقبح الأكابرعليه مشاقته السلطان وحذروه ، فأجاب وتوجه إلى دمشق ، فوصلها ثالث عشري شعبان ، واستمر على ما بيده من حماة والمعرة ومنبج وأضيف إليه ميافارقين، وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه من مصر، ماخلا زين الدين بوري مملوكه ، فإنه سار إلى المغرب ، وملك هناك مواضع كنيرة. ثم قصده صاحب المغرب وأسره ، ثم أطلقه وقدمه .

ووصل الأفضل على ابن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى، وهو أول قدومه إليها، وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر، ومعه عمه العادل أتابكا.

وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشري صفر، فدخلا إلى القاهرة في خامس رمضان .." (١)

"وقدم العزيز إلى القاهرة في يوم وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح ، فأماله عن ذلك خواصه ، وأغروه بأخيه ، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكاتبون العزيز، فاستوحش منهم ، وفطنوا بذلك فتفرقوا عنه . وسار الأمير عز الدين أسامة صاحب كوكب وعجلون عن الأفضل ، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام ، وأخذ يحرضه على الفضل ، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه ، ويقول له : إن الأفضل قد غلب على اختياره ، وحكم عليه وزيره الضياء ابن الأثير الجزري، وقد افسد أحوال دولته برأيه الفاسد، ويحمل أخاك على مقاطعتك ، ويحسن له نقض اليمن ، فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية، ولم يوجد ذلك ، فحنثهم في اليمين قد تحقق، وبرئت أنت من العهدة، فاقصد البلاد فإنها في يدك ، قبل أن يحصل في الدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه " ، وبينا هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدمر بن السلار، وصل إلى العزيز، فساعد الأمر أسامة على قصده ، ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضي محيي الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بق أبي عصرون ، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية، وضم إليه نظر الأوقاف .

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٧

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره ، وتظاهر بلذاته، وفوض الأمور إلى وزيره ، ثم ترك اللعب من غير سبب ، وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمور، وأقبل على العبادة، ولبس الخشن من الثياب ، وشرع في نسخ مصحف بخطه ، واتخذ لنفسه مسجدا يخلو فيه بعبادة ربه ، وواظب على الصيام ، وجالس الفقراء، وبالغ في التقشف ، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل .

وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مصر، فأفسد جماعة على السلطان ، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية ، فسار إليه العسكر فلم يظفروا به . وقطع العزيز أيضا خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه ، فساروا من القاهرة إلى دمشق ، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات .

وفي شهر رمضان : كسر بحر أبي المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام ، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم .

وفيه وقعت الآفة في البقر والجمال والحمير، مهلك منها كثير.

وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بلاد المغرب ، **لشدة الغلاء بها**، وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم ، فقصروا في عمارة البلاد. وارتفع السعر بالإسكندرية، ونقص ماء النيل بعدما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا، فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد، وبلغ القمح كل أردب بدينار، وأخذ في الزيادة وتعذر وجود الخبز، وضج الناس ، وكثرت المنكرات ، وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره . وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وحميت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب ، فمنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر دينارا، ومنع من عمل المزر البيوتي، وتجاهر الكافة بكل قبيح ، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

وفيها قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصلبوت، فأحضر من القدس، وكان مرصعا بالجوهر، وسلم إليه على أن يعاد ثغر جبيل من الفرنج . وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك .

تتمة سنة تسعين وخمسمائة

في يوم الخميس رابع محرم : عقد مجلس بحضرة السلطان ، حضره أصحاب الدواوين.

وفي عاشره : قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاه السلطان والأمراء، وحمل إليه سماط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل .

وفي سادس عشره : ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر بباب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الحوانيت في الأسواق ، ورسم بهدمها، فهدمت بمباشرة محتسب القاهرة . ومر بصناعة العمائر، فرسم بسد طلقات

الدور المجاورة للنيل فسدت .
وفي صفر: غيرت ولاة الأعمال .
وفي عاشره : حلف العزيز لعمه العادل .
وفي ثالث عشريه :عاد العزيز من الصيد بالجيزة .
وفي هذا الشهر: غلت الأسعار، فبلغ كل مائة أردب ثمانين دينارا.
وفي خامس عشره : قدم فارس الدين ميمون القصري مقطع صيداء، وسيف الدين سنقر المشطوب ، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف ، مفارقين الملك الأفضل ، فدفع العزيز لميمون خمسمائة دينار، ولسنقر أربعمائة دينار، وللمشطوب ثلاثمائة دينار .." (١)

"وكانت أيام زيادة ماء النيل ، والأسعار غالية والعلف متعذر، فبلغ العسكر الواصل الجهد، وندم أكابرهم على ما كان منهم ، هذا والعزيز يمد أهل بلبيس بالمراكب المشحونة بالرجال والعدد، فبلغ ذلك الأسدية، فركبوا إلى المراكب ، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها، وأسروا خلقا، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة، واشتد الحصارعلى بلبيس حتى كادت تؤخذ، وضاق العزيز بالقاهرة، وقلت الأموال عنده ، وكان محببا إلى الرعية، لما فيه من حسن السيرة، وكثرة الكرم والرفق ، فلما نازل العادل والأفضل بلبيس احتاج إلى استخدام الرجال ، فلم يجد عنده مالا، فبذل له الأغنياء جملة أموال ، فلم يقبلها، وكان القاضي قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال ، وكان عبد الكريم بن علي البيساني يتولى الحكم والإشراف في البحيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جما. ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضي الفاضل مشاجرة اقتضت اتضاع حاله عند الناس بعد احترامهم إياه ، فصرف عن عمله . وكان متزوجا بامرأة موسرة من بنى ميسر، فسكن بها في ثغر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه ، فسار أبرها إلى الإسكندرية، وأثبت عند قاضيها ضرر ابنته ، فمضى القاضي بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذي من داخله المرأة، فأمر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها وأعاد بناء النقب ، فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمير فخر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية، وحمل ذلك بأجمعه إلى فخر الدين جهاركس . فأحضره جهاركس إلى العزيز، وهو حينئذ في غاية الضرورة إلى المال ، وقال: " هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب " ، وعرفه الخبر. فأطرق العزيز مليا، ثم رفع رأسه وقال : " أعد المال

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨/١

إلى صاحبه ، وقل له إياك والعود إلى مثلها، فما كل ملك يكون عادلا، وعرفه أني إذا قبلت هذا منه أكون قد بعث به أهل الإسكندرية، وهذا لا افعله أبدا " . فلما سمع هذا جهاركس وجم ، وظهر في وجهه التغير. فقال له العزيز: " أراك واجما، أظنك أخذت على الوساطة شيئا " . قال : " نعم خمسة آلاف دينار " . فأطرق العزيز، ثم قال : " أعطاك مالا تنتفع به ، وأنا أعطيك في قبالته ما تنتفع به مرات عديدة " ، ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبدة، ومغلها في السنة سبعة آلاف دينار، فلامه أصحابه وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل ، فاستدعاه إلى مجلسه ، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق ، فعندما عاين القاضي الفاضل استحيا منه ، ومضى إلى دار الحرم ، احتراما له من مخاطبته في القرض ، فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من عند الحرم . فلما اجتمع بالفاضل قال له ، بعد أن أطنب في الثناء عليه : " قد علمت أن الأمور قد ضاقت علي، وقلت الأموال عندي، وليس لي إلا حسن نظرك ، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك " . فقال القاضي الفاضل : " جميع ما أنا فيه من نعمتكم ، ونحن نقدم أولا الرأي والحيلة، ومتى احتيج إلى المال فهو في يديك " .

واتفق أن العادل " لما اشتد على **أصحابه الغلاء والضيق** " استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه . وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بلبيس ما جرى، خاف على الملك أن يخرج من يده ، فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب ، ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده . فرق له العادل ، واستدعى القاضي الفاضل ، فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ، ومازالا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز، من غير أن يؤاخذهم بشيء، ويرد عليهم إقطاعاتهم ، ويحلف العزيز لهم ويحلفون له ، وأن يكون العادل مقيما بمصر عند العزيز، ليقرر قواعد ملكه ، وأن العزيز والأفضل يصطلحان ، ويستقر كل منهما على ما بيده. فعاد القاضي الفاضل ، وقد تقرر الأمر على ما ذكر، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء.." (١)

"وفي تاسع عشريه : قدم الملك الزاهر داود مجير الدين صاحب البيرة، وسابق الدين عثمان صاحب شيزر، وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب ، فخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب ، وقدم العماد الكاتب أيضا. وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة، واشتروا القمح كل ويبة بدينار، وأن بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة، وزاد الجراد بالشام ، وعظم خطبه ، وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة ، وزادت وأفرطت . وغلت الأشربة والسكر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣١/١

وعقاقير العطار، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما، وصار لفروج لا يقدر عليه ، وانتهى سعر القمح إلى مائتي دينار كل مائة أردب ، وغلظ الأمر في الغلاء، وعدم القوت ، وكثر السؤال ، وكثرت الموتى بالجوع . وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب ، ومن يأكل الزبل .

وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات ، وعدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس ، وعلى نقاضات الموائد وكناسات الآدر، ومن يقفل بابه ويموت ، ومن عمي من الجوع ويقف على الحوانيت ويقول : أشموني رائحة الخبز. واستخدم رجل في ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة، وجعل الطواشي ببهاء الدين قراقوش الشاد في هذا المال ، وألا يتصرف فيه ، وأن يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب الشريف الجعفري بخبز مبلغه في السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس وعلم . وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية عليه من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل في بعض الأوقات لا كلها، لبعض ما يتبلغ به أهلها من خبز، وكثر ضجيجهم وشكواهم ، فلم يسمع .

وفي شهر ربيع الآخر : صرف صارم الدين خطلج الغزي عن شد الأموال بالدواوين ، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش ، مضافا إلى شد الزكوات ، فكمل شد المال له .

وفيه كثر الموت ، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض ، واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب ، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام ، وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضي يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطاع مقالتها، ولا زيارة قبورها، وأخذت الأسعار في الانحلال .

وفي جمادى الأولى : تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق ، فوقع العزم على المسير إلى الشام ، ووقع الشروع في الإنفاق في الحاشية، فقبضوا شهرا واحدا، وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا، فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم ، فأحيل بعضهم على جهات . وامتنع الجاندارية من قبض شهر، وأنهى ذلك إلى العزيز، فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى المخيم ، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش، واستخدمه في السور، فخرجوا بأنفس غير طيبة، وألسنة بالشكوى معلنة، وكاد المال الذي أنفق في الحاشية قد افترض من الأمراء، وأحيل به على الجوالي لسنة ثلاث وتسعين ، وخرج العزيز إلى المخيم ، وحرك الأمراء

تحريكا قويا، وسير الحجات إلى البلاد تحت الأجناد، فتتابع خروج الناس ، ووقع الرحيل من بركة الجب في ثامنه ، فرحل السلطان العادل والعزيز، وجميع الأسدية والمماليك . وفشت الأمراض الحادة، فما ينقضي وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز. وغلت الأدوية، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهما، والبطيخة إلى مائة درهم . وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية، وأموات لا تتلاحق . **وكثر الوباء والموت** بالإسكندرية .

وفي آخره : انحلت الأسعار، ونزلت الغلة إلى ثمانين دينار ا كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم . وقل السؤال ، وارتفع الموتان ، بعد أن جلب من قو ص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دنانير، وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك . وفيه نودي في القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج ، فليتجهز أرباب النيات .." (١)

"وبعث الملك الظاهر غازي صاحب حلب إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعة القدوم من مصر إلى دمشق، واغتنام الفرصة في أمرها والملك العادل غائب عنها في حصار ماردين. فقبض الصلاحية بالشام على القاصد، وأهانوه ثم أطلقوه، فسار إلى الأفضل، وبلغه رسالة أخيه الظاهر. فرحل الأفضل من بركة الجب ثالث شهر رجب، ومعه الملك المنصور، فأقام بالعباسة خمسة أيام. واستخلف على القاهرة سيف الدين يازكج الأسدي ثم سار إلى دمشق، فنزل عليها في ثالث عشر شعبان، وقد بلغ العادل خروجه من مصر، وهو على حصار ماردين، فرتب ابنه الكامل محمدا على حصارها، وسار في مائتي فارس إلى دمشق فقدمها في ثمانية أنفس، لكثرة ما أسرع في السير، قبل منازلة الأفضل لها بيومين وتلاحق به أصحابه وقدم الأفضل منزل الشرفين والميدان الأخضر، وهجم بعض أصحابه على البلد وأحرقوا، وصاحوا : يا أفضل يا منصور. فصاحت العامة معهم بذلك، لميلهم إلى ال أفضل، فبرز إليهم العادل، وأخرجهم من البلد، وامتنع بها، ففر من أمراء الأفضل عدة، فتأخر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة. فدس العادل إلى جماعة ممن في صحبة الأفضل بكلام منه. إني أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أخي، ففندوا الأفضل عن الحرب. وبذل العادل لهم مالا، فمشى ذلك من مكره عليهم، وخذلوا الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم أخوه الظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مدة، والعادل يكاتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شيء، وهم يأتونه فيبذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان، فقوى به الأفضل، ورحلا إلى مسجد القدم، وحاربا العادل وحاصراه، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٣/١

الحصار. فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل، فاشتد عضد العادل بقدومهم، وجهز إلى القدس من يمنع الميرة الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا يازكج قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل، فقاتلوهم وكسروهم وغنموا ما معهم. وصارت أهل دمشق في جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالا من التجار. وقوي الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبن أخيه الأفضل.

سنة ست وتسعين وخمسمائة

وأهلت سنة ست وتسعين والأخوان على حصار عمهما العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت الغلال، وقلت الأقوات. وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه من المال، وكانت أموال العادل بها، فسار إليه الكامل في العسكر الذي معه، وأخذ من قلعة جعبر أربعمائة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوي بقدومه قوة عظيمة، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهرة لكثرة من خامر منهم، ودس العادل مكيدة بين الأخوين، وهي أن الظاهر كان له مملوك يقال له أيبك وقد شغفه حبا، ففقده وظن أنه دخل دمشق فعلق، وبلغ ذلك العادل، فبعث إليه بكلام فيه : أن محمود بن الشكري أفسد مملوكك، وحمله إلى الفضل، فقبض الظاهر حينئذ على ابن الشكري، وظهر المملوك عنده، فما شك في صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وأمتنع من لقائه، وكان البرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسار إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء، فغلت الأسعار، وقوي البرد، فرحل الظاهر على القريتن، ورحل الأفضل بعساكره يريد مصر، وتركوا من أثقالهم ما عجزوا عن حمله فأحرقوه، وهلك لهم عدة مماليك ودواب، ودخل الأفضل إلى بلبيس في خامس عشرى شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها.

وورد الخبر بأن العادل خرج من دمشق، ونزل تل العجول، وأنه كتب الإقامات للعربان، واستدعى الكنانية، فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بلبيس، وأمر قراقوش بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقي من سور مصر والقاهرة، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويجعل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون مثل الباشورة، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقس، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٩/١

"وقدم العادل طائفة من العسكر، فساروا إلى دمشق، واستولوا عليها قبل نزول الأفضل والظاهر عليها، فقدما بعد ذلك، وضايقا دمشق فى رابع عشر ذي القعدة، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد، فوقع بينهما الاختلاف. بمكيدة دبرها العادل، ففترت الهمة عن القتال، وذلك أن العادل كتب إلى كل من الأفضل وإلى الظاهر سرا، بأن : أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على ذلك فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منها من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع، فبعث العادل فى السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهى رأس عين والخابور وميافارقن، وغير ذلك، وبذل له مع ذلك مالا من مصر فى كل سنة.بمبلغ خمسين ألف دينار، فانخدع الأفضل وقال للأمراء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد: لا إن كنتم جئتم إذ فقد أذنت لكم فى العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أخي فأنتم به أخبر. وكانوا يحبون الفضل من أجل أنه لين العريكة، فقالوا كلهم : لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك. فأذن لهم في العود إلى العادل، فسار إليه الأمير فخر الدين جهاركس، والأمير زين الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر، فوقع الوهن والتقصير فى القتال بعدما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق.

وفيها تعذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، **وعظم الغلاء حتى** أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم، **وابتدأ الغلاء من** أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير، وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا، حتى عدمت الأقوات، وخرج من مصر عالم كبير بأهليهم وأولادهم إلى الشام، فماتوا في الطرقات جوعا. وشنع الموت في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفنه العادل من الأموات – في مدة يسيرة – نحوا من مائتي ألف إنسان وعشرين ألف إنسان، وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرته بحيث لا ينكر، ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض، ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوي ضعيفا ذبحه وأكله، وفقد كثير من الأطباء لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله، واتفق أن شخصا استدعى طبيبا، فخافه الطبيب وسار معه على تخوف، فصار ذلك الشخص يكثر فى طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقير إلا ويتصدق عليه، حتى وصلا إلى الدار، فإذا هي خربة. فارتاب الطبيب مما رأى، وبينا هو يريد الدخول اليها إذ خرج رجل من الخربة، وقال للشخص الذي قد أحضر الطيب: مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحدة " . فارتاع الطبيب، وفر على وجهه هاربا. فلولا عناية الله به، وسرعة عدوه، لقبض عليه، وخلت مدينة القاهرة ومصر أكثر أهلها، وصار

من يموت لا يجد من يواريه، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى، واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين، فخاف الناس، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء، وكثر الجوع، وعدم القوت حتى أكلت صغار بنى آدم، فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا، وكذلك الأم، وظفر الحاكم منهم بجماعة، فعاقبوهم حتى أعياهم ذلك، وفشا الأمر: فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عبها كتف الصغير أو فخذه، وكذلك الرجل، وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار، فينتظرها حتى تنزل ليأكل منها، فإذا فيها لحم الأطفال، وأكثر ما كان يوجد ذلك فى أكابر البيوت، ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات، ومعهم لحوم الأطفال، واحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة وجد معهن لحوم الأطفال، لم فشا ذلك حتى اتخذه الناس غذاء وعشاء وألفوه، وقل منعهم منه، فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت، لا الحبوب ولا الخضروات.." (١)

"وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب، وذلك لما ملك اليمن – بعد أبيه – خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى، ثم خرج عليه نحو ثمانمائة من مماليكه، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء، فكسرهم وجلاهم عنها، فادعى الربوبية، وأمر أن يكتب عنه ويكاتب بذلك، وكتب صدرت هذه المكاتبة من مقر الالهية. ثم خاف المعز إسماعيل من الناس، فادعى الخلافة وانتسب إلى بنى أمية، وجعل شعاره الخضرة، ولبس ثياب الخلافة، وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبرا في سعة ستة أشبار، وقطع من الخطبة الدعاء لبنى العباس، وخطب لنفسه على منابر اليمن، وخطب هو بنفسه يوم الجمعة، فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه، فلم يلتفت إلى قوله، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة، فثار عليه مماليك أبيه لهوجه وسفكه الدماء وحاربوه وقتلوه، ونصبوا رأسه على رمح، وداروا به بلاد اليمن، ونهبوا زبيد تسعة أيام، وكان قتله في رابع عشر رجب، من سنة ثمان وتسعن، وقام من بعده أخوه الناصر أيوب – وقيل : محمد – ، وترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر، ثم استقل سنقر بالسلطة.

وفيها **كان الغلاء بمصر**، فلما طلع النيل رويت البلاد، وانحل السعر.

سنة تسع وتسعين وخمسمائة

فيها وصل الفرنج إلى عكا، وتحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر، فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل نجدة إلى العادل وهو بدمشق، فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن خمارتكن، صاحب صهيون،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٢/١

يخبر بنزول صاحب الأرمن على جسر الحديد لحرب أنطاكية، وأن أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر، و لم يبق بها إلا من عجزعن السفر، وأن بها غلاء عظيما.

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة، ومعه الأفضل، ثم تقرر الصلح على أن يحمل ناصر الدين أرسلان الأرتقي صاحب ماردين للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه، فع اد الأشرف إلى حران.

وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز عثمان من صمر إلى الرها بأمه وإخوته، خوفا من شيعته.

وفيها شرع العادل فى بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير، وفى تعميق، الخندق وإجراء الماء إليه، وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج. وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة، فركب إليهم المنصور في ثالث رمضان، وقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وغنم، وعاد مظفرا، فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر فى نحو سبعين ألفا، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين، وخرج جمع من الاسبتار من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضا، وخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهزم من بقي.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل على ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف موسى أن ينتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إ ى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا ذلك، ولم يبق معه سوى سميساط لا غير، فسير الأفضل أمه إلى العادل لتشفع فيه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها وأعادها خائبة، وكان هذا عبرة، فإن صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكيات، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن زنكى، يستغثن إليه فى أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات، فعوقب صلاح الدين فى ولده الأفضل على بمثل ذلك، وعادت أمه خائبة من عند العادل، ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه تطع خطبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان السلجوقي، صاحب الروم.

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار.

وفيها انقضت دولة الهواشم بمكة، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع، فخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة، ثم وصل محمد بن مكثر إلى مكة، فحاربوه وهزموه، ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة.

سنة ستمائة

فيها تقرر الصلح بين العادل وبين الفرنج، وانعقدت الهدنة بينهما، وتفرقت العساكر.
وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس بقلعتها، فخرج الظاهر من حلب نجدة له، ففر ابن لاون.." (١)

"وفيها تنكر الأشرف – صاحب دمشق – على الملك الكامل، وراسل أهل حلب، فوافقوه على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبة السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون معهم، فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعز ذلك عليه، وكان حيي بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلا، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع في تدبير أمره، فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان – ملك الروم – وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد من بعده، في سابع شوال، قبل اجتماعه بالحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري رسول السلطان فبعث ملوك الشام رسلهم إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي – صاحب الروم – يعزونه في أبيه، ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل، وشر الكامل أفضل الدين محمد الـخونجي يعزي غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه، وثياب أطلس برسم أغشية القبر.
وفيها **كان الوباء أشد** من السنة الماضية. وفيها ضرب الملك الكامل الفلوس.
وفيها بعث الملك الكامل القاضي الأشرف بن القاضي الفاضل إلى الملك الناصر داود – صاحب الكرك – يدعوه إلى موافقته. فرحل الملك الناصر إلى القاهرة مع القاضي الأشرف، فسر الكامل بقدومه، وركب إلى لقائه، وأنزله بحار الوزارة، وقدم له أشياء كثيرة، وخلع عليه، وقلده الكامل دمشق، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية، فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحدا بعد واحد، إلى أن صعد قلعة الجبل، وجدد الناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل، في تاسع عشر ذي الحجة، فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس، وأخذ ما كاد فيها للناصر داود.
وفيها سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيفا، يستأذن أباه في استخدام من خالف السلطان غياث الدين كيخسرو – صاحب الروم – من الخوارزمية، فأذن له في ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٤/١

وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى نتنت من كثرة القتلى، ثم رحلوا عنها. وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: إنا اتفقت كلمتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك. فاتفق مرض الأشرف بالقرب، فكان لا يستقر بباطنه طعام البتة، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب. وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فحاربهم الأمير أسد الدين جغريل، وكسرهم، فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بغير قتال، وتصدق بمال، وترك بها جماعة، فقدم الشريف شيحة بن قاسم – أمير المدينة – وملك مكة منهم ونهبهم، ولم يقتل أحدا.

سنة خمس وثلاثين وستمائة." (١)

"وخاف الصالح إسماعيل، فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم، فحلفوا له على القيام بنصرته، ونازلوا دمشق، فقام الأمير حسام الدين بن أبي علي بحفظ البلد أحسن قيام، وألح الخوارزمية – ومعهم الصالح إسماعيل – في القتال ونهب الأعمال، وضايقوا دمشق، وقطعوا عنها الميرة، **فاشتد الغلاء بها**، وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة، ومات كثير من الناس جوعا، وباع شخص دارا قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسمائة درهم اشتري بها غرارة قمح، فقامت عليه في الحقيقة بعشرة آلاف درهم، وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، واللحم كل رطل بسبعة دراهم، ثم عدمت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطط والكلاب والميتات، ومات شخص بالسجن، فأكله أهل السجن، وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى، لعجز الناس عن مواراة موتاهم، ولم تنقطع مع هذا الخمور والفسوق من بين الناس.

وأخذ الملك الصالح نجم الدين مع ذلك في أعمال الحيل والتدبير، وما زال بالمنصور إبراهيم صاحب حمص حتى مال إليه، واتفق أيضا مع الحلبيين على محاربة الخوارزمية، فخرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بعساكر مصر، ونزل العباسة، فوافاه بها رسل الخليفة، وهما الملك محمد ابن وجه السبع، وجمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن الجوزي في آخر شوال، ومعهما التقليد والتشريف الأسود: وهو عمامة سوداء وجبة وطوق ذهب، وفرس بمركوب بحلية ذهب، فنصب المنبر، وصعد عليه جمال الدين عبد الرحمن محيي الدين بن الجوزي الرسول، وقرأ التقليد بالدهليز السلطاني، والسلطان قائم على قدميه، حتى فرغ من القراءة، ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتي، فكان يوما مشهودا.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٨٠

وكان قد حضر أيضا من عند الخليفة تشريف باسم الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، فوجد أنه قد مات، فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلبسه.

فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر، ومسير الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص بعساكر حلب، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور. فوجد أهل دمشق برحيلهم فرجا، ووصلت إليهم الميرة، وانحل السعر.

سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضي نجم الدين محمد بن سالم النابلسي، المعروف بابن قاضي نابلس – وكان متقدما عنده – إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس، فما زال يخدعه ويمنيه، حتى فارق الخوارزمية، وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، وكان آخر العهد به.

وفيها عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام، وكثر نهبهم للبلاد، وسفكهم للدماء وانتهاكهم للحرمات، والتقوا مع الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وعساكر حلب، وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان، نصرة للملك الصالح نجم الدين، وذلك بظاهر حمص أول يوم من المحرم، وقيل ثانيه فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة، تبدد منها شملهم، ولم يقم لهم بعدها قائمة وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران، وأسر كثير منهم واتصل من فر منهم بالتتار، وفيهم من مضى إلى البلقاي وخدم الملك الناصر داود صاحب الكرك، فتزوج الناصر منهم، واختص بهم، وقويت شوكته وسار بعضهم إلى نابلس، فاستولوا عليها، ووصل بعض من كان معهم ممن انهزم إلى حران، ولحق أيبك المعظمي بقلعة صرخد وامتنع بها، وسار الصالح إسماعيل إلى حلب في عدة من الخوارزمية، فأنزله الملك الناصر صاحب حلب وأكرمه، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية ووردت البشرى بهذه الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في المحرم، فزينت القاهرة ومصر والقلعتان.." (١)

"ودخل المعظم تورانشاه من الغد – وهو يوم السبت سلخه – إلى دمشق، ونزل بقلعتها، فكان يوما مشهودا وقام الأمير جمال الدين بخدمته، وحلف له الأمراء، وتسلطن في يومئذ. وخلع المعظم على الأمراء وأعطاهم أموالا جزيلة، بحيث أنه أنفق ما كان في قلعة دمشق، وهو ثلاثمائة ألف دينار. واستدعى من الكرك مالا آخر حتى أنفقه، وأفرج عمن كان بدمشق في حبس أبيه، وأتته الرسل من حماة وحلب تهنئه بالقدوم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٠٥

ولأربع مضين من شوال: سقطت البطائق إلى العسكر والقاهرة، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطته بها فضربت البشائر بالمعسكر وبالقاهرة.

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشريه يريد مصر، بعدما خلع علي الأمير جمال الدين، وأقره على نيابة السلطة بدمشق. وقدم معه القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، وكان مقيما بدمشق عند الأمير جمال الدين. وقدم معه أيضا هبة الله بن أبي الزهر بن حشيش الكاتب النصراني وقد وعده السلطان بوزارة مصر، فأسلم وتلقب بالقاضي معين الدين. وسيره السلطان أول يوم من ذي القعدة إلى قلعة الكرك ليحتاط على خزائنها، فأنهى أشغاله بها ولحقه في الرمل، وأسلم على يده هناك.

وعندما تواترت الأخبار في القاهرة بقدوم السلطان، خرج قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فلقيه بغزة وقدم معه وخرج الأمير حسام الدين بن أبي علي نائب السلطان إلى الصالحية، فلقيه بها يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، ونزل السلطان المعظم تورانشاه في قصر أبيه، ومنه يومئذ أعلن بموت الملك الصالح نجم الدين أيوب ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته، بل كانت الأمور على حالها - والدهليز الصالحي والسماط ومجيء الأمراء للخدمة، على ما كان عليه الحال في أيام حياته، وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها، وتقول: السلطان مريض، ما إليه وصول - فلم يتغير عليها شيء، إلى أن استقر الملك المعظم بالصالحية.

فتسلم السلطان المعظم مملكة مصر، وخلع على الأمير حسام الدين بن أبي علي خلعة سنية، ومنطقة وسيفا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية، وأنشده الشعراء عدة تهاني، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع من العلوم وكان السلطان المعظم قد مهر في العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم، ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه. ولازم المعظم الاشتغال إلى أن برع، إلا أنه فيه هوج وخفة، مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء.

ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تلبانة، ثم نزل بعدها منزلة ثالثة، وسار منها إلى المنصورة. وقد تلقاه الأمراء المماليك، فنزل في قصر أبيه وجده يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة. فأول ما بدأ أن أخذ مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار، وكثيرا من مخلفه، بدون القيمة، ولم يعط ورثته شيئا، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار. وأخذ يسب فخر الدين ويقول: أطلق السكر والكتان، وأنفق المال وأطلق المحابيس إيش ترك لي.

وكانت الميرة ترد إلى الفرنج في منزلتهم من دمياط في بحر النيل، فصنع المسلمون عدة مراكب، وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة، وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة، وكانت أيام زيادة النيل، فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة، وهذه المراكب مكمنة فيه، خرجت عليها بغتة وقاتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة، فأخذت مراكب الفرنج أخذا وبيلا، وكانت اثنتين وخمسين مركبا، وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجي، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات، وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج، **ووقع الغلاء عندهم**، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب، واستضرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم.." (١)

"وفي أول ذي الحجة: أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق، ونجا من كان فيها من المسلمين. وفي ثاني ذي الحجة تقدم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته في نيابة السلطة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين بن الجميزي، الشريف عماد الدين، والقاضي عماد الدين القاسم ابن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نبهان بن محمد بن المقنشع الحموي - قاضي مصر، وكان قد ولي القضاء بعد موت الجمال يحيى، في جمادى الأولى - ، وسراج الدين الأرموي فجلس السلطان المعظم معهم وناظرهم.

وفي يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، فالتقت بها شواني المسلمين عند مسجد النصر، فأخذت شواني المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركبا، منها تسع شواني. **فاشتد الغلاء عند** الفرنج، وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة، فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار، وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فسألوا أن يسلموا دمياط، ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك.

وفي يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذي الحجة: أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، وخرجت السنة وهم في منزلتهم.

وفي هذه السنة: قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس.

وفيها استولى علي بن قتادة على مكة، في ذي القعدة.

وفيها قتل الشريف شيخة أمير المدينة النبوية، وقام من بعده ابنه عيسى.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١١٥

وفيها قتل المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف.

وفيها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، في آخر جمادى الآخرة، عن تسع وأربعين سنة. وكان أبو زكريا يحيى قد قام وملك تونس، واستبد بأمرها ودعا لنفسه، وقد ضعف أمر ملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي. فأقام أبو زكريا يحيى على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة، وامتدت مملكته إلى تلمسان وسجلمامة وسبته، وبايعه أهل إشبيلية وشاطبة والمرية ومالقة وغرناطة، وخلف مالا جما، فبويع بعده ابنه محمد المستنصر. وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين، وأما من كان قبله منهم فإنما كانوا عمالا لبني عبد المؤمن.

وفيها قبض الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة على الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة في آخر شوال، كما تقدم في السنة الخالية، وقام هو بإمرة مكة.

سنة ثمان وأربعين وستمائة

في ليلة الأربعاء ثالث المحرم: رحل الفرنج بأسرهم من منزلتهم يريدون مدينة دمياط، وانحدرت مراكبهم في البحر قبالتهم. فركب المسلمون أقفيتهم، بعد أن عدوا برهم واتبعوهم. فطلع صباح نهار يوم الأربعاء وقد أحاط بهم المسلمون، وبذلوا فيهم سيوفهم، واستولوا عليهم قتلا وأسرا، وكان معظم الحرب في فارسكور، فبلغت عدة القتلى عشرة آلاف في قول المقل، وثلاثين ألفا في قول المكثر. وأسر من خيالة الفرنج ورجالتهم المقاتلة، وصناعهم وسوقتهم، ما يناهز مائة ألف إنسان، وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة، واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل، وأبلت الطائفة البحرية – لاسيما بيبرس البندقداري – في هذه النوبة بلاء حسنا، وبان لهم أثر جميل.

والتجأ الملك ريدافرنس – وعدة من أكابر قومه – إلى تل المنية، وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي، ونزلوا على أمانه. وأخذوا إلى المنصورة، فقيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد واعتقل في دار القاضي فخر الدين إبراهيم ابن لقمان كاتب الإنشاء، التي كان ينزل بها من المنصورة ووكل بحفظه الطواشي صبيح المعظمي واعتقل معه أخوه، وأجرى عليه راتب في كل يوم. وتقدم أمر الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطودي – أحد من وصل معه من بلاد الشرق – بقتل الأسرى من الفرنج،

وكان سيف الدين يخرج كل ليلة منهم ما بين الثلاثمائة والأربعمائة ويضرب أعناقهم ويرميهم في البحر، حتى فنوا بأجمعهم.." (١)

"وأقيم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحي أتابك العساكر، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الحلبي واستمر الوزرة شرف الدين الفائزي على عادته فنقل عنه الأمير سابق الدين بوزيا الصيرفي، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردي أمير جاندار، أنه قال: المملكة ما تمشى بالصبيان، والرأي أن يكون الملك الناصر. فتوهمت أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور، وأخذ خطة بمائة ألف دينار. واستقر في الوزارة بعده قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري، مضافا إلى القضاء وقد أعيد إليه. وأحيط بأموال الفائزي، وقبض على جماعة بسببه. ثم إن السنجاري استعفى من الوزارة وتركها في ربيع الآخر، فتقلد الوزارة قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلائي، المعروف بابن بنت الأعز، بعد السنجاري.

وفي ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة: خسف القمر بحمرة شديدة، وأصبحت الشمس حمراء، فأقامت كذلك أياما وهي ضعيفة اللون متغيرة.

وفيها بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد السلاجقة الروم موت الملك المعز، فساروا في البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة. فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرته بالديوك ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير الفرء في القلعة، ومناطحته بالكباش.وفيها دخل الصارم أحمد عينه الصالحي بجماعة، فقتلوا الوزير الفائزي في جمادى الأولى. وأخرج في نخ قال ابن واصل: حكي القاضي برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حنا قال: دخلت على شرف الدين الفائزي وهو معتقل، فسألني أن أتحدث في إطلاقه، بحكم أنه يحمل في كل يوم ألف دينار علينا. فقلت له: وكيف تقدر على ذلك. فقال: أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضي سنة يفرج الله تعالى. فلم يلتفت مماليك الملك المعز إلى ذلك وعجلوا بهلاكه وخنقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها.

وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه في شوال، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك. فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر الصالحية، فواقعوهم في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، وقتل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفي. وانهزم عسكر الكرك وفيهم بيبرس البندقداري الذي ملك مصر. وعاد العسكر إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١١٦

القاهرة، فضمن الأمير شرف الدين قيران – المعزي وهو أستادار السلطان – الأمير قلاوون وأطلقه. فأقام قلاوون بالقاهرة قليلا، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومي، فزوده وسار إلى الكرك.

وفيها بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خلعة وتقليدا وطوقا، وفيها حسن البحرية للملك المغيث أخذ ملك مصر، فكاتب عدة من الأمراء ووعدهم. وفيها قوي هولاكو بن طولو بن جنكزخان، وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة فكثر الإرتجاف ببغداد، وخرج الناس منها إلى الأقطار. ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر بغداد، وقتل من الناس عالما كبيرا.

وفيها قدم إلى دمشق الفقراء الحيدرية، وعلى رءوسهم طراطير، ولحاهم مقصوصة وشواربهم بغير قص. وذلك أن شيخهم حيدر، لما أسره الملاحدة قصوا لحيته وتركوا شاربه. فاقتدوا به في ذلك وبنوا لهم زاوية خارج دمشق، ومنها وصلوا إلى مصر.

ومات في هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن أبي سعد البادرائي البغدادي الشافعي، رسول الخلافة وقاضي بغداد، عن إحدى وستين سنة.

وتوفي الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزي.

وتوفي عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، مؤلف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر.

ومات متملك الروم علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان. وقام بعده أخوه عز الدين كيكاوس ابن غياث كيخسرو، فملك الططر قونية منه، ففز منها إلى العلايا.

سنة ست وخمسين وستمائة

فيها **وقع الغلاء بسائر** البلاد، وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر، وأبيع المكوك القمح بحلب بمائة درهم، والشجر بستين درهما، والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما، وبقية الأسعار من هذه النسبة.." (١)

"وفي رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسان فرعون التي بعين شمس، فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار.

وفيها ملك هولاكو بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر، فكانت خلافته خمس

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٣٤/١

عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس من بغداد، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة، فصح حديث حبيب بن أبي ثابت، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن رسول الله قام فقال: " يا معشر قريش، إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحي القضيب " .

وقتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات، واستمروا على ذلك أربعين يوما. وأمر هولاكو بعد القتلى، فبلغت نحو الألفي ألف قتيل، وتل، شت الأحوال بها. وملك التتار أربل، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم.

وفيها **كثر الوباء ببلاد** الشام، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما.

وفيها أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو، ومعه تقادم وعدة من الأمراء فلما وصل الملك العزيز إلى هولاكو قدم إليه ما معه، وسأله على لسان أبيه في نجدة ليأخذ مصر من المماليك، فأمر هولاكو أن يتوجه إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس. فطار هذا الخبر إلى دمشق، فرحل من كان بها من المماليك البحرية، وصاروا إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على أخذ مصر، فجمع الملك المغيث وسار.

فتجهز الأمير قطز، وخرج من القلعة بالعساكر في..، فلما وصل الصالحية تسلل إلى الملك المغيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه، فلقيهم قطز وقاتلهم. فانهزم الملك المغيث في شرذمة إلى الكرك، ومضى البحرية نحو الطور، واتفقوا مع الشهرزورية من الشرق. واستولى المصريون على من بقي من عساكر المغيث وأثقاله، وأسروا جماعة، وعادوا إلى قلعة الجبل. وقد تغير قطز على عدة من الأمراء، لميلهم إلى الملك المغيث: فقبض على الأمير عز الدين أيبك الرومي الصالحي، والأمير سيف الدين بلبان الكافوري الصالحي الأشرفي، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفي، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفي، وجماعة غيرهم، وضرب أعناقهم في سادس عشري ربيع الأول، وأخذ أموالهم كلها.

وفيها فر طائفة حمن الأكراد من وجه عسكر هولاكو، يقال لهم الشهرزورية، وقدموا دمشق وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أولادهم ونساؤهم. فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم، فزاد عنتهم وكثر طلبهم حتى خافهم، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردا عليه، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المغيث بالكرك، فسر بهم وتاقت نفسه إلى أخذ دمشق، فخاف الناصر وتخيل من الأمراء القيمرية اللذين في دمشق

فاضطرب وتحير.

وفمها مات أمير بني مرين أبو محيى بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، في رجب. وقام من بعده ابنه عمر، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق وأبو محيى هو الذي فتح الأمصار، وأقام رسوم المملكة، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بني مرين، وقام بدعوة الأمير أبي زكريا بن أبي حفص صاحب تونس. وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكي منهم، وملك مدينة فاس. وقد استبد أبو يحيى بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص بإفريقية. وهذا وقد أشرفت دولة الموحدين بني عبد المؤمن على الزوال.

وفي سنة ست خمسين هذه: قدم أولاد حسن مكة، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام، فجاء أبو نمى وأخرجهم ولم يقتل بينهم أحد.

ومات في هذه السنة من الأعيان." (١)

"وتوفي الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، صاحب قلعة الصبيبة وبانياس، بعد ما أخذتا منه وسار إلى البيرة، فأعاده التتار إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت، فأسر وضرب عنقه.

ومات الملك السعيد إيلغازي بن المنصور أرتق بن إبلغازي بن ألبي بن تمرقاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين بها، وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان.

وتوفي قاضي القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سني الدولة التغلبي الدمشقي الشافعي ببعلبك، عن ثمان وستين سنة.

وتوفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله ابن عيسى اليونيني الحنبلي، عن ست وثمانين سنة ببعلبك.

وتوفي الصاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطي الشيباني، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة.

وتوفي الأديب مخلص الدين أبو عبد الله المبارك يحيى بن المبارك بن فضيل الغساني الحمصي، بها في الجفلة.

وتوفي الأديب جلال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصفار الماrديني الشاعر،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٣٥/١

بها قتيلا عن ثلاث وثمانين سنة.

وتوفي الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي الصالحي الزاهد، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة.

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها عظم الفأر في أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح.

وفيها اجتمع من التتار ستة آلاف فارس، وقاموا بحمص. فبرز إليهم الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة، واجتمع إليهما قدر ألف وأربعمائة فارس. وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان وواقعوا التتر يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن، فأفنوهم قتلا وأسرا، ووردت البشارة إلى مصر بذلك. وكانت التتار في ستة آلاف، والمسلمون ألف وأربعمائة، وحملت رءوس القتلى إلى دمشق وفيها **اشتد الغلاء بدمشق**.

وفي يوم الاثنين سابع صفر: ركب الملك الظاهر بيبرس من قلعة الجبل بشعار السلطنة إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر، فترجل الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة، ثم ركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة، ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان، وخلع على الأمراء والمقدمن وسائر أرباب الدولة، وكان هذا أول ركوبه، ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة. وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والثغور بقيامه في سلطة مصر والشام.

وفيها بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق، ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفي دينار عينا، ليستميل الناس على المجاهد سنجر.

فقدم دمشق ثالث صفر وعمل ما أمر به، فأجابه الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق: ومعهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحي، والأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي، والأمير قراسنقر الوزيري، وعدة من الأمراء. ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس، فارتجت دمشق.

وبعث المجاهد سنجر إليهم بعسكر فانهزم، فخرج بنفسه وحمل بأصحابه، ففروا عنه ثم عادوا عليه، فخرج وقتل عدة من جماعته، والتجأ هو إلى القلعة فامتنع بها يوم السبت حادي عشر صفر. فدخل الأمير أيدكين البندقدار - أستاذ الملك الظاهر - إلى المدينة وملكها، وحلف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها. وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظا به. فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس ذلك قرر الأمير علاء الدين طيبرس الحاج الوزيري في القلعة، وجعل إليه التحدث

في الأموال، واستدعى الأمير سنجر الحلبي، وأقام إيدكين مدة شهر في نيابة دمشق، ثم صرفه عنها بالأمير طيبرس الوزيري، وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين ابن رحال، وأحضر في سادس عشر صفر وهو مقيد إلى مصر. فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسري، وأدخله ليلا من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة، من غير أن يعلم به أحد من الناس.." (١)

"وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ويكون أولاد صاحب الموصل في خدمته. فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل: فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر. فرجع إليه الوسواس، ولم يبعث مع الخليفة سوي ثلاثمائة فارس. وجرد السلطان الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، والأمير شمس الدين سنقر الرومي إلى حلب، وأمرهما بالمسير إلى الفرات، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار.

وركب السلطان لوداع الخليفة، وسافر الخليفة في ثالث عشر ذي القعدة، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة ففارقوه في أثناء الطريق وتوجه كل منهم إلى مملكته فوصل الخليفة إلى الرحبة، وأتاه الأمير علي بن حذيفة من آل فضل بأربعمائة فارس من العرب، وانضاف إليه من مماليك المواصلة نحو الستين مملوكا، ولحق به الأمير عز الدين بركة من حماة في ثلاثين فارسا ورحل الخليفة من الرحبة إلى مشهد علي، فوجد رجلا ادعى أنه من بني العباس قد اجتمع إليه سبعمائة فارس من التركمان، كان الأمير شمس الدين أقومش البرلي قد جهزهم من حلب. فبعث الخليفة إلى التركمان واستمالهم ففارقوه وأتوا الخليفة، فبعث إليه الخليفة يستدعيه وأمنه ورغبه في اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية، ولاطفه حتى أجاب وقدم إليه، فوفى له وأنزله معه. وسار الخليفة إلى عانة ثم إلى الحنيشة، وخرج يريد هيت، وكتب إلى الملك الظاهر بيبرس بذلك.

وأما حلب فإن الأمير سنجر الحلبي فارقها وسار إلى دمشق، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أقوش البرلي وبعث بالطاعة إلى السلطان، فأبى إلا حضوره، فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدي والأمير سنقر الرومي من دمشق رحل أقوش عن حلب، فدخلاها، وسارا منها إلى الفرات، وأغارا على بلاد أنطاكية، وكسب العسكر وغنم، وحرق غلال الفرنج ومراكبهم وعاد. فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقدار نيابة حلب، فأقام بها في شدة من غلاء الأسعار وعدم القوت، ثم رحل عنها.

وقدمت الإقامات من الفرنج إلى السلطان، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا لم يجيبوا إليها، فأهانهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٤٧/١

وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك، فسألوا رجوعه. **واتفق الغلاء ببلاد** الشام، فتقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية. فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا ومتملك بيروت، فكاسر الفرنج في أمر الأسارى، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم في العمائر. فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين، فأجيبوا: بأنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية مرج عيون، وقايضتم صاحب تبنين والمقايضة في أيديكم. فكيف تطلبون العوض مرتين. فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد. وخرج ا لأمير جمال الدين المحمدي في عسكر، وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانما سالما.

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد لكثرة فسادهم، وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين. واحضر السلطان أمراء العربان، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات، وسلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الحروب إلى حدود العراق، وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وفوض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري نيابة دمشق، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - وكان قد خرج معه من مصر - عوضا عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى ابن السني، ووكل به وسفره إلى القاهرة. وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة، وفوض إليه الحكم من العريش إلى الفرات، والنظر في جميع أوقاف الشام من الجامع والمارستان والمحارس والأحباس وتدريس سبع مدارس.

وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر. وصرف قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز في سلخ شوال عن قضاء مصر والوجه القبلي، واستقر مكانه قاضي القضاة برهان الدين السنجاري، وبقي قضاء القاهرة والوجه البحري بيد ابن بنت الأعز. وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت.

وفيها كتب السلطان إلى الملك بركة خان يغريه بقتال هولاكو ويرغبه في ذلك، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة.." (١)

"وفيها أغار التتار الذين تحلفوا على أعمال حلب وعاثوا، ونزل مقدمهم بيدرا على حلب، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعتر وجود القوت، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا.

وفيها استولى الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي على حلب، وجمع معه التركمان والعرب، فأقام نحو أربعة أشهر. ثم توجه إلى البيرة وأخذها ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٥٤١

من السلطان وفيها عدى بنو مرين العدوة لقتال الفرنج فظفروا. وفيها حج الملك المظفر يوسف بن عمر رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، صاحب حلب ودمشق - وهو آخر ملوك بني أيوب - ، بعد أربعة وعشرين عاما من ملكه، واثنتين وثلاثين سنة من عمره، مقتولا بأمر هولاكو.

ومات الملك الصالح إسماعيل بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي، صاحب حمص، مقتولا بأمر هولاكو أيضا.

وتوفي الأديب مخلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الحموي.

سنة ستين وستمائة

في ثاني المحرم: وصل السلطان من دمشق. **واشتد الغلاء بدمشق**، فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهما فضة، وهلك خلق كثير من الجوع.

وفيه سار قرابغا مقدم التتار من بغداد - وكان قد استخلفه هولاكو عليها عند عوده إلى بلاد الشرق - يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربته، فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها، وتلاحقت به بقية التتار من بغداد. ولقبهم الخليفة وقد رتب عسكره: فجعل التركمان والعرب جناحي العسكر، واختص جماعة جعلهم في القلب، وحمل بنفسه على التتار فكسر مقدمتهم، وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا، وخرج كمين للتتار ففر العرب والتركمان، وأحاط التتار بمن بقي معه فلم يفلت منهم سوى الأمير أبي العباس أحمد الذي قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم بالله، والأمير ناصر الدين بن مهنا، والأمير ناصر الدين بن صيرم، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفي، والأمير أسد الدين محمود، في نحو الخمسين من الأجناد. ولم يعرف للخليفة خبر: فيقال قتل بالمعركة في ثالث المحرم، ويقال بل نجا مجروحا في طائفة من العرب فمات عندهم. وكانت هذه الواقعة في العشر الأول من المحرم، فكانت خلافته دون السنة، وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك المواصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا. واستقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ في مملكته بالموصل، وسار أخواه إسحاق وعلي إلى الشام خوفا من التتار، وقدما على السلطان بقلعة الجبل فأبر مقدمهما، وسألاه في تجهيز نجدة لأخيهما، فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومي في جماعة من البحرية والحلقة، وساروا من القاهرة في رابع جمادى

الأولى. وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طيبرس، فسار العسكران من دمشق في عاشر جمادى الآخرة.

وفوض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة. وتسلم نواب السلطان قلعة البيرة. ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك. وباشر السلطان عرض عساكر مصر بنفسه، وحلفهم لولي عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركة خان.

وفي يوم الأحد ثاني عشري صفر: وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب بالحاكم بأمر الله إلى دمشق، وخرج يريد مصر يوم الخميس سادس عشريه فوصل إلى ظاهر القاهرة في سابع عشري شهر ربيع الأول، فاحتفل السلطان للقائه، وأنزله في البرج الكبير داخل قلعة الجبل، ورتب له ما يحتاج إليه.

وفي نصف رجب: قدم جماعة من البغاددة مماليك الخليفة المستعصم، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة، ومقدمهم الأمير سيف الدين سلار. فأكرمهم السلطان، وأعطى الأمير سلار إمرة خمسين في الشام ونصف مدينة نابلس، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر. وفيها أطلق السلطان الأمير سيف الدين قلج البغدادي المستنصري من الاعتقال، وكان قد اعتقله، فمن عليه وأذن له في لعب الكرة معه.." (١)

"وفيها كثر الإرجاف في دمشق بحركة التتار، فكتب السلطان برحيل أهل الشام بأهليهم إلى مصر. فحضر من تلك البلاد خلق كثير، بعدما كتب السلطان إلى الولاة بتخميرهم، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة، ولا يتعرض لما معهم من متجر ولا غيره، ولا تغش تجارة، فاعتمد ذلك. وكتب السلطان إلى حلب بتحريق الأعشاب، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرقت الأعشاب التي كانت بالمروج التي جرت عادة هولاكو أن ينزلها. فعمت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رمادا، وهم الحريق بلاد خلاط، وقطع السنبل وهو أخضر.

وفيها خرجت الكشافة من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين. وقد كان الملك بركة بعثهم نجدة إلى هولاكو، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم أن تعذر عليهم اللحاق به أن يصيروا إلى عساكر مصر. وكان سبب عداوة بركة وهولاكو أن وقعه كانت بينهما، قتل فيها ولد هولاكو وكسر عسكره وتمزقوا في البلاد، وصار هولاكو إلى قلعة بوسط بحيرة أذربيجان محصورا بها. فلما بلغ ذلك السلطان سر به، وفرح الناس باشتغال هولاكو عن قصد بلاد الشام. وكتب السلطان إلى النواب بإكرام الوافدية من التتار، والإقامة لهم ما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره، وسيرت إليهم الخلع

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٥٥

والإنعامات والسكر ونحوه. وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم في سادس عشري ذي الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فتلقاهم وأنزلهم في دور بنت لهم في اللوق ظاهر القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال. وأمر السلطان أكابرهم، ونزل باقيهم في جملة البحرية، وكانوا مائتي فارس بأهاليهم، فحسنت حالهم، ودخلوا في الإسلام. وكتب السلطان إلى الملك بركة كتابا، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك.

وفيها سار صندغون مقدم التتار إلى الموصل، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء. وحاصرها صندغون حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي، في يوم الجمعة النصف من شعبان، فقبض عليه وعلى من معه. ووقع التخريب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها، ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام، ووسطوا علاء الدين ابن الملك الصالح، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية، وهدموا المباني وتركوها بلاقع، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل، ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاكو. وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البرلي من حلب نجدة للملك الصالح، فأدركه التتار بسنجار وواقعوه، فانهزم منهم إلى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة. ثم استأذن الأمير شمس الدين السلطان في العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذي القعدة، فأنعم عليه السلطان وأقطعه إمرة سبعين فارسا. وولى السلطان بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيدمر الشهابي، فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة، وبعثهم إلى مصر فوسطوا.

وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة، وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي، وشهري بن أحمد الخفاجي، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديثة، ووشاح وغيرهم. فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عينا على التتار.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي، قتيلا في المعركة قريبا من هيت.

وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن المهذب السلبي الشافعي، عن اثنتين وستين سنة في ......،.

وتوفي الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفي بالقاهرة. عن نيف وستين سنة.

وتوفي الأديب محيى الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن يوسف بن شبرمة بن زبلاق الهاشمي الموصلي الأديب الشاعر الكاتب، قتيلا بالموصل، عن سبع وخمسين سنة.

سنة إحدى وستين وستمائة." (١)

"وفي ليلة الأربعاء حادي عشره: اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التي تحت القلعة، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليه. وداروا على خوشداشيتهم فأركبوهم ومضوا إلى باب سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من المماليك، فلم يوافقوهم على ذلك فتركوهم، وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من المماليك، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة. فركب الأمراء الذين بالقلعة وقاتلوهم، فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا. فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها و لم يفلت منهم أحد، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة، وقطعت أيدي جماعة وأرجلهم، وغرق غير منهم، وفيهم من أكحل، وفيهم من قطعت ألسنتهم، ومنهم من صلب على باب زويلة، ومنهم من بقي، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره: خلع الملك الناصر ابن قلاوون، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام، لم يكن لي فيها أمر ولا نهي.

السلطان زين الدين كتبغا المنصوري

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري كان في مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للناصر معه تصرف ألبتة. ثم إنه أخذ في أسباب السلطة بعد قتل الشجاعي. ولما دخل المحرم انقطع في دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن، وباطن أمره إنه يريد أن يقرر أموره في السلطنة فخرج إليه الناصر وعاده. فلما كانت فتنة المماليك جلس في صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم: قد انخرق ناموس المملكة، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه. فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه، وحلفوا له على ذلك، وقدم إليه فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وركب من دار النيابة قبلي أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقض ثلاثة أيام الأربعاء حادي عشر المحرم، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك، وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام **من الغلاء والوباء** وكثرة الموتان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٧/١

ومن عجيب الاتفاق أن مشرف المطبخ السلطاني بالقلعة ضرب بعض المرقدارية فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول: يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس فجري هذا الكلام في هذا اليوم على ألسنة جميع الناس.

وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر، وأسكن هو وأمه في بعض قاعات القلعة.

وفي ثاني عشره: مد العادل سماطا عظيما وجلس عليه، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير، واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر، وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، وجعل أمير جاندار، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر، واستقر أمير جاجب.

وفي رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا، وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصوري، فقدم دمشق في سابع عشره وحلف النائب والأمراء، ودقت البشائر.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزراة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة.

وفي يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتي على رأسه والتقليد بين يديه، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضي جمال الدين محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري.

وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا، وأغرلو وبكتوت الأزرق وقطلو بك، فركبوا بالإمرة في يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي على عادته في أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه في الدولة الأشرفية، وسار من القاهرة.

وفي يرم الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة، واستقر بالقاضي فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي الداري وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين في الوزارة.." (١)

"وفي هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث، وخرج النائب وسائر الناس مشاة. **وتزايد الغلاء بديار** مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين، وكانت التقاوي المخلدة قد أكلت. و لم يكن بالأهراء السلطانية غلال، فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٢٧٧

للأمراء وغيرهم حتى نفد ما في الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم، فصار الوزير يشتري الغلال للمئونة بدور السلطان وللعليق، **فتزايد الغلاء حتى** بلغ تسعين درهما الأردب.

ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم في القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

وفي سادس عشري رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى في قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة، وأنعم على الملك الأوحد شادي بن الزاهر مجير الدين دوادار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبي بإمرة في دمشق، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها، وهو أول من أمر طبلخاناه من بني أيوب في دولة التركية. فقدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبي المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني صاحب اليمن في شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر ولي عهد هأيون، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود وجمع لقتاله، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملكها وأخذ الأموال بغير حق، وسار يريد تعز فبعث إليه الأشرف جيشا قاتله وأسره وحمله إليه، فاعتقله.

وفيها استقر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموي بدمشق، زيادة على ما بيده من قضائه، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال، وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصوري نائب البلاد الطرابلسية، وحمل إلى القاهرة، فقدمها في حادي عشر ذي القعدة واعتقل، وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري.

وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشر إصبعا، ثم هبط من ليلته ولم يعد، **فتزايد الغلاء واشتد** البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضا، **وعم الغلاء والقحط** ممالك المشرق والمغرب والحجاز، وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان في شهر ذي الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرف بموته في كل يوم ألف نفس، سوى من لم يثبت اسمه في الديوان. فلما اشتد الأمر فرق السلطان الفقراء على

أرباب الأموال بحسب حالهم.

وفيها كثرت الفلوس، فعلمت كل أوقية بسدس درهم.

وفيها مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد لهن أبي حفص ليلة الجمعة رابع عشري ذي الحجة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر. وبويع أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد.

ومات في هذه السنة من الأعيان

القان كيختو بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ملك التتار قتيلا، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين. ومات القان بيدو بن طرغاي، بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر، وقام بعده عازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بقلعة تعز وقد تجاوز ثمانين سنة، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة.

ومات الملك السعيد داود بن المظفر قر ا أرسلان بن السعيد غازي بن المنصور أرتق ابن إيلغازي بن ألبى تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين، وقام بعده أخوه المنصور غازي.." (١)

"وفي هذه السنة: اشتد الغلاء، وبلغ سعر الأردب القمح المصري إلى مائة وثمانين درهما، والشعير تعدي الأردب منه مائة درهم، والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم، وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة، وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة، وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم. وأبيعت سفرجلة بثلاثين درهما، وكل رطل لحم بسبعة دراهم، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم، و لم يزد سعر القمح في بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس، وشحت الأنفسي حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزيr محتسب القاهرة ومصر لبياعي لحوم الكلاب والميتات، ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبني آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأي بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهي تستعطي، فرق لها وأدخلها داره فإذا هي جميلة، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٨/١

طعاما أكلته كله ولم تشبع، فقدم إليها مثله فأكلته وشكت الجوع، فما زال يقدم لها وهي تأكل حتى اكتفت، ثم استندت إلى الحائط ونامت، فلما حركوها وجدت ميتة، فاخذوا من كتفيها جرابا فلفوا فيه يد إنسان صغير ورجله، فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء.

ثم إن الأسعار انحلت في شهر رجب، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما، والشعير بخمسة وعشرين درهما الأردب.

وأما النيل فإنه توقف، ثم وفي ستة عشر ذراعا وكسر الخليج، فنقص في يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس في الأسواق من شدة الغلاء.

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل في الميضأة من الغرباء الطرحاء في كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم، فيشتغل نهاره. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد في ثوب ثم ساعة ما يوضع في حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات.

وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم في الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما في حفرة أو في النيل إن كان قريبا منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات في شباك على الجمال، ويعلقون الميت بيديه ورجليه من الجانبين، ويرمي في الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن، ورمي كثير من الأموات في الآبار حتى تملأ ثم تردم.

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب، وأكل كثيرا منها بنو آدم أيضا وحصر في شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم الموتان في أعمال مصر كلها حتى خلت القرى.

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر، فتزايدت الأسعار في سائر بلاد الشام. وجفت المياه، فكانت الدابة تسقي بدرهم شربة واحدة، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة، و لم يبق عشب ولا مرعي. وبلغ القمح كل غرارة في دمشق

بمائة وسبعين درهما، والخبز كل رطل وأوقتين بدرهم، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري قرأ صحيح البخاري تحت قبة النسر بالجامع الأموي بدمشق في يوم الأحد تاسع صفر، فسقط المطر في تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج، فسر الناس، إلا أن الأسعار تزايدت، ثم انحطت. **واشتد الغلاء بالحجاز**، حتى أبيعت الغرارة القمح في مكة بألف ومائتي درهم.." (١)

"أهلت هذه السنة وقد ورد الخبر بحركة غازان إلى بلاد الشام، فوقع الاهتمام بالسفر. واستدعى السلطان الوزير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير ناصر الدين محمد ابن الشيخي والى القاهرة وأمرا باستخراج الأموال من الناس، وكتب إلى الشام بذلك. فشرعا في الاستخراج، وألزم أرباب العقارات، والأغنياء. بمال تقرر على كل منهم، وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن، والناس تحمل المال أولا بأول، حتى أخذا مائة ألف دينار جبيت من القاهرة ومصر والوجهين القبلي والبحري، فنزل بالناس ضرر عظيم. وطلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالحوانيت مبلغ أربعين دينارا من كل عائد، وعشرين دينارا من كل شاهد، فقام في أمرهم قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي حتى أعفوا منه. وانطلقت الألسن بالشام ومصر في حق أهل الدولة، واستخف العامة بالأجناد، وأكثروا من قولهم للجند: بالأمس كنتم هاربين واليوم تريدون أخذ أموالنا، فإن أجابهم الجندي قالوا له: لم لا كانت هذه الحرمة في المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت، وهربتم منهم فلما فحش أمر العامة في تجرئهم على الأجناد، نودي في القاهرة ومصر: أي عامي تكلم مع جندي كانت روحه وماله للسلطان.

واستخرج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر، فأخذ ذلك من سائر ما في المدينة وضواحيها، وأخذ من الضياع عن كل مدى ستة دراهم وثلثا درهم، والمد أربعون ذراعا في مثلها، وتكسيره ألف وستمائة ذراع بذراع العمل، وطلب من الفلاحين نظير مغل سنة ثمان وتسعين، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم.

فنزلت بالناس شدائد، وقطعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطبا، حتى أبيع القنطار الحطب الدمشقي بثلاثة دراهم، يخرج منها في أجرة قطعه درهم ونصف. فخربت الغوطة من ذلك، وفر كثير من الناس إلى مصر.

فلما جبيت الأموال بدمشق استخدم السلطان عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد، ودفع لكل واحد ستمائة درهم، فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات، وذهب المال ولم يجد نفعا.

واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء في الخيم. بميدان القبق لعرض

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/ ٢٨٠

العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتبر أحوالهم، وعرضوا في كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة. بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم، ثم أبقوا الجميع لما داجى عليهم المقدمون في أمر الجند حتى اقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض في عشرين يوما، ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من البلاد الشامية، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهما الإردب بخمسة عشر.

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت به الأمراء والعساكر، فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

فورد الخبر. بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية، وقد جفل الناس بين يديه. وخلت بلاد حلب وفر قرا سنقر نائبها إلى حماة، وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها في ثاني عشرى ربيع الأول، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة. وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة، فوقع الرحيل إلى العوجاء . وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التي توالت أحدا وأربعين يوما حتى عدم فيها الواصل واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان، وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما والعليقة الشعير ثلاثة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلف معظم الأثقال، ومات جماعة من الغلمان وأربعة من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل في الأوحال العظيمة.

فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق وأنه عاد على قرون حماة وشيزر، فنهب وسبى عظيما، وأخذ مالا كبيرا من المواشي وغيرها، وأنه قصد التوجه إلى دمشق، فأرسل الله عليه ثلوجا و أمطارا لم يعهد مثلها، ووقع في خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس، وبقي معظم عساكره بغير خيول، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا، وأن غازان خاض الفرات في حادي عشر جمادى الأولى، فسر الناس سرورا عظيما.

وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا." (١)

"وفيها تفاوض كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة: وسبب ذلك أن التاج تزايد تحكمه في الدولة، بحيث انه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدم في وظيفة حتى يكتب عليه، ثم شارك كاتب السر في معرفة أجوبة النواب وغيرهم، فامتنع ابن فضل الله من ذلك، ورد عليه الجواب، وفيه ولا كرامة أن يكون مطلعا على أسرار المملكة. ثم حدث ابن فضل الله الأمير سلار النائب في ذلك، وقبح عنده أن يطلع رجل قبطي على أسرار المملكة وأخبار العدو وأنه لا يوافق على

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣١٥/١

ذلك بوجه. فشق على سلار ما قصد التاج، وقام في مساعدة ابن فضل الله، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الإطلاع على شيء من أمر ديوان الإنشاء، فاشتد غضبه وباين ابن فضل الله.

وقد قام البريد بإبطال سائر الخمارات، فسر السلطان بهذا، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر. وندب لذلك الأمير سيف الدين الشيخي أحد البرجية، وتقدم إليه ألا يراعي أحدا من خشداشيته، ولا يدع بيتا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمرا إلا ويكبسه ويكسر ما فيه. وكان الشيخي فيه شدة وقوة نفس، فطلب والي القاهرة ومقدميها وأصحاب الأرباع، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه، أخفوا سائر المواضع، وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على عصر العنب أو من عنده خمر، وكتب أسمائهم، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وأخذ في كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به في مماليكه، وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناءون لتفقد مطامير الخمر وإخراجها، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها. فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد، وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء، لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفا على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم. وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض، وتشفي جماعة من أعاديهم بنلك. وكبست أيضا دور اليهود والنصارى، وأريق ما فيها من الخمور وتعدي الأمر دون الأمراء، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي أحد أمراء الألوف من البرجية. فأزال الله بذلك فسادا كبيرا، ووقع أيضا بسببه من نهب الأموال فساد كبيرة فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه.

وفي ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية.

وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي في قضاء الحنابلة بالقاهرة، بعد موت القاضي شرف الدين عبد الغني بن عبد الله الحراني، في ثالث ربيع الآخر.

وفيها فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء، وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم، والرطل البطيخ بدرهم، وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع في كل يوم بثلاثمائة درهم إلى مائتي درهم.

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما، والأردب الشعير والفول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيري

الأستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده مباشرة سنة، وباع ما عداه قليلا قليلا. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا، وخرج بهم الخطيب نور الدين علي بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني فاستسقى، وكان يوما مشهودا، فنودي من الغد بثلاثة أصابع، ثم توقف. وانتهت زيادة النيل في سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا. واتفق أنه نقص في أيام النسئ، وجاء النوروز و لم يوف النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت، وهو ثامن عشرى ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء، وغنت عامة مصر: سلطاننا ركين، ونائبنا دقين ، يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج، يجي الما ويدحرج " .." (١)

"وفيها أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، في العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها في أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن حتى التقوا بطائفة يقال لها حي الهلبكسة، وهم نحو الألفي راكب على الهجن بحراب ومزاريق، في خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب، وانهزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة في صفر سنة سبع عشرة.

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، **ودب الوباء إلى** الأشمونين.

وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب. وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد وانعم عليه بمائتي ألف درهم، فسار على البريد ودخلها في آخر ذي الحجة. وكان بكتمر في مدة اعتقاله

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥٧/١

مكرما لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه في الاعتقال، وولدت ولدا سماه ناصر الدين محمدا، فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياما.

وفيها ولي الأمير سيف الدين أرقطاي نيابة حمص في تاسع رجب، عوضا عن شهاب الدين قرطاي بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة.

رفيها أخرجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهات في القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.

وفيها أفرج عن الأمير كراي المنصوري والأمير سنقر الكمالي من سجن الكرك، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.

وفيها قدمت رسل أزبك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاي قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبي سعيد، وأزبك، وطغاي، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج، وكلهم يبذل الطاعة، و لم يتفق في الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع في الأيام الظاهرية خمسة رسل.

وفيها سافر في الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدعدي الخوارزمي مملوك يازي، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمي الحلقة، بالهدية في آخر المحرم وهي مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتاني أطلس أحمر مزركش، وشاش كافوري وبلغطاق فوقاني مفرج مقصب محقق بطرز ذهب، وكلفتاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف بحلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.

وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقي.

وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاي، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضي عنه وخلع عليه.

وفيها صرف بهادر الإبراهيمي من نقابة المماليك، وبقي على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.

وفيها مرضت زوجة الأمير طغاي، فعادها السلطان مرارا، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهما عظيما.

وفيها سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل

يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستورا، ونزل تحت الأهرام.

وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادي عشرى جمادى الأولى - في ثامن عشر مسري." (١)

"ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان، فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهبا، وأربعون كلفتاه زركش، ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهراني.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري كاتب السر، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق، ومولده سابع ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة، حدث عن ابن عبد السلام، وبرع في الأدب، وكان دينا عاقلا وقورا، ناهضا ثقة أمينا مشكورا. مليح الخط جيد الإنشاء، فولي بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي أحد كتاب الدرج بديار مصر، نقل إليها من القاهرة، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال.

ومات فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل معيد المدرسة المنصورية بين القصرين، وكان فاضلا، حدث وروى وحصل وكتب وخرج، ومات عن اثنتين وخمسين سنة. ومات علاء الدين على ن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدي، أحد أعيان كتاب الإنشاء، يوم الخميس رابع رمضان، وكان عالي الهمة صاحب مكارم، وتمكن من الأمير سلار أيام نيابته، فإنه كان موقعه.

ومات زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف الصنهاجي المراكشي الإسكندارني، في أول يوم من ذي الحجة.

ومات جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان بن سومر الزواوي المالكي قاضي دمشق، في تاسع جمادى الأولى بها، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة، وقدم الإسكندرية وهو شاب، وتفقه بها حتى برع في مذهب مالك، وأكثر من سماع الحديث، فسمع من ابن رواج والسبط وأبي عبد الله المريني وأبي العباس القرطبي وابن عبد السلام وأبي محمد بن برطلة، وولي قضاء المالكية بدمشق ثلاثين سنة، بصرامة وقوة في الأحكام وشدة في إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين، إلى أن اعتل بالرعشة نحو عشرين سنة، ومازال إلى يعلته أن عجز عن الكلام ، فصرف. ومات بعد عزله بعشرين يوما، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٦/١

ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصري الدمشقي، يوم الجمعة سابع ذي الحجة بمكة، وعمره خمس وثلاثون سنة، فدفن بالمعلاة، وكان حسن الأخلاق.

ومات بطرابلس عماد الدين محمد بن صفي الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويري، صاحب ديوان طرابلس.

ومات الأمير سيف الدين قلني السلاح دار.

ومات الأمير شمس الدين الذكر السلاح دار - صهر علم الدين سنجر الشجاعي - وهو في الحبس.

ومات الأمير سيف الدين ألكتمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضا.

ومات الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص، في حادي عشرى المحرم.

ومات قاضي القضاة نجم الدين الحنفي الملطي، يوم الإثنين رابع ربيع الأول.

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحياني بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك تونس، وولى ابنه أبا عبد الله محمد المعروف بأبي ضربة في آخر ربيع الآخر، وكانت مدته ست سنين.

//سنة ثمان عشرة وسبعمائة في المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة، وصحبته المجردون، فشكى الصارم أزبك الجرمكي من بهادر الإبراهيمي، وأنه منعه من اخذ الشريف حميضة، وأنه تعاطى الخمور، فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة، وسجنوا بالإسكندرية، وأنعم على الأمير مغلطاي الجمالي بخبز الإبراهيمي.

وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز، **وكثرة الوباء والموت** بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن، وميافارقين لم يوجد من يخطب بها في جامعها.

وفي أول صفر: توجه القاضي كريم الدين الكبير إلى دمشق، فدخلها في سابعه، وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد البقية، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا، وعاد إلى القاهرة بعد أربعه أيام.

وفي سابعه: استقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين.

وفي سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامي نائب صفد، وأنعم عليه بتقدمة ألف في سادس عشرة.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١٢/١

"وفي يوم الإثنين ثاني عشر رمضان: ركب النشو على عادته في السحر، فاعترضه في طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي الذي ولي قوص وقيل أبو بكر بن الناصري محمد وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو، وسقطت عمامة النشو عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خر إلى الأرض ونجا الفارس، وفي ظنه أن رأس النشو قد سقطت عن بدنه. فغضب السلطان من ذلك، ولم يحضر السماط، وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائحية، فقطب ذراعه بست إبر وجبينه باثنتي عشرة إبرة. وألزم السلطان والي القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو، وأغلظ على الأمراء بالكلام، ومازال يشتد ويحتد حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به، ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ، فطلب السلطان ابن المرواني والي القاهرة، ورسم بمعاقبة الكتاب الذين في المصادرة على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضرب لؤلؤ ضربا مبرحا، وعوقب العلم أبو شاكر وعلق والمقايرات في يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتاب، وحرثت بيوتهم وأخذ رخامها، وخرجت بالمحاريث لإظهار ما فيها من الخبايا. ثم أن النشو عوفي من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخلع عليه ونزل وقد رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبي بكر شداد بن صابر أن يمشي في ركابه، ومعه عشرة من رجاله، وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا في ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل النشو إلى القاهرة كان أول ما بدأ به أن عاقب المقدمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

وفي حادي عشرى ذي الحجة: سافر خواجا عمر وسرطقطاي مقدم البريدية بهدية إلى أزبك، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجواري من بلاد الترك. وفيها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيري على شاطئ النيل بمنية بولاق، وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور. وأصل بناء هذا الجامع أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكوره دارا على النيل، ثم انتقلت تلك الدار بعد موته إلى ابن الأزرق، فعرفت بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى الله، فلما صادره النشو باعها فيما باعه. فاشتراها الأمير أيدمر الخطيري بثمانية آلاف درهم، وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعا أنفق فيه مالا جزيلا، وأخذ أراضي حوله من بيت المال، وأنشأ عليها الحوانيت والرباع والفنادق، وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره. فلما تم بناء الجامع قوي عليه النيل، فهدم جانبا منه، فأنشأ الخطيري تجاهه زريبة رمى بها ألف مركب موسوقة بالحجارة، وسماه جامع النوبة، فجاء من أحسن مباني مصر وأبدعها وأنزهها. فلما أفرج عن ابن الأزرق ادعي أنه كان مكرها في بيعه، فأعطاه الخطيري ثمانية آلاف درهم أخرى ، فمازال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية،

وحبسه، فمات بعد قليل في حبسه.

وفيها فرغ بناء جامع الأمير سيف الدين بشتاك، بخلاف قبو الكرماني على بركة الفيل خارج القاهرة، وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتاب. وعمر بشتاك تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج، ورتب فيها شيخا وصوفية، وقرر لهن المعاليم الجارية، ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط على الطريق المسلوك، فجاء من أحسن شيء بنى، وتحول كثير من النصارى من هناك.

وفيها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاتها التي أقطعت للأمراء.

وفيها خلع علي عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين الأسعردي مضافا لما بيده من وكالة الخاص.

وفيه استقر جمال الدين بن العديم في قضاء الحنفية بحماة، عوضا عن التقي محمود ابن محمد بن الحكيم.

وفيها مات متملك تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن من عبد الواد الزياني قتيلا في محاربة سلطان المغرب أبي الحسن المريني أخر شهر رمضان، بعدما ملك نيفا وعشرين سنة.

وفيها وقع الغلاء في جمادى الأولى، وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما . والشعير بثمانية وعشرين درهما ، والفول باثنين وثلاثين درهما، والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين درهما، والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح.." (١)

"فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقي، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة. فأمر السلطان في الليل فأخرج مع ابن صابر المقدم وأمير جندار، وحمل في حراقة بالنيل إلى الإسكندرية، فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدم، في يوم الثلاثاء خامس عشره.

وفي يوم الإثنين سادسه: قدم الأمير بشتاك والأمير ألطنبغا الصالحي إلى دمشق فيمن معهما من الأمراء وقد خرج الناس إلى لقائهم، فكان يوما مشهودا. ونزل الأمير ألطنبغا بدار السعادة، ونزل الأمير بشتاك بالميدان. ثم قبض على الأمير صاروجا المظفري ألجيبغا العادلي، وطلب من ألزام تنكز مملوكاه جنغيه وطغيه، وسلما للأمير برسبغا، فعاقبهما أشد عقوبة على المال، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وألجيبغا، ثم وسط جنغيه وطغيه بسوق الخيل، وأكحل صاروجا.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨/٢

وتتبعت أموال تنكز، فوجد له ما يجل وصفه، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق، تولى البيع فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاي، وهما أعدى عدو له، وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر.

وظهر له من التحف السنيه ما يعز وجود مثله. منها مائتا منديل زركش، ومائة حياصة مرصعة بالجوهر، وأربعمائة حياصة ذهب، وستمائة كلفتاه، وثمانية وستون بقجه بها بدلات ثياب زركش، وألفا ثوب أطلس ومائتا تخفيفة زركش وذهب مختوم أربعمائة ألف مثقال. واشتملت جملة ما أبيع له على مائتي ألف دينار، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار.

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتي وغيرها نحو أربعة ألاف ومائتي رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبا. ووجد له من الثياب الصوف ومن النصافي ما لا ينحصر، وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعدما أخذ. لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير.

ووجد لألجيبغا العادلي مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، وألف ومائتي دينار وأصناف كثيرة، فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم، وصودر جماعه من ألزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفي ألف درهم.

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق، وقدم قلعه الجبل، فخلع عليه وأكرم إكراما زائدا.

ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخري باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد، فخلع عليه بنيابة حلب، عوضا عن طرغاي الجاشنكير.

وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته، وكتب بحضور طرغاي من حلب.

وفيها استقر الأمير أرقطاي في نيابة طرابلس عوضا عن طينال، وأقام طينال بدمشق.

وفيها استقر الأمير أقسنقر السلاري في نيابة صفد، عوضا عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا في داره بخط الكافوري، وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة، ما بين أواني صيني ومسك وعود وغير ذلك، أقام في بيعه مدة أربعة أشهر، وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفي دينار، سوى ما أنعم به على الأمراء.

ووجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين ألف دينار، وثلاثين حمل سلاح، ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار، وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف

دينار.

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن في سيره إلى ناحية جعبر، فمنعه السلطان من ذلك، لما في تلك البلاد من الغلاء، وألح تنكز في الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: والله لقد تغير عقل أستاذنا، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع مني لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده، وأقوم أنا بتدبير أمره، ويبقى هو مستريحا. فكتب بذلك جركتمر للسلطان، وكان يتخيل بدون هذا، فأسر في نفسه منه شيئا.

واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتابا إلى تنكز، فخنق تنكز لعدم مكاتبته، ورد رسوله من دمشق.." (١)

"وأخرجت له بغلة النشو التي كان يركبها، وجهز من الخزانة حتى سافر، فباشر الجيش بعفة زائدة، وأبطل ما كان يستهديه من قبله.

وفيه قبض على الأمير مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش، وسلم للأمير برسبغا الحاجب، وطلب جمال الكفاة ناظر الخاص، وخلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص، ولم يجمعهما أحد قبله، ثم أفرج عن ابن قروينة بعدما حمل مائة وثلاثين ألف درهم، بشفاعة الأمير بشناك.

وفيه قبض على الصاحب أمين الدين أبي سعيد عبدالله بن تاج الرياسة بن الغنام وسلم إلى الأمير برسبغا، ورسم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز فعاقبه برسبغا، وعاقب ولده تاج الدين أحمد ناظر الدولة، وأخاه كريم الدين أبا شاكر مستوفي الصحبة، وأخذ أموالهم، ثم خنق أمين الدين.

وفي يوم الجمعة حادي عشرى ربيع الآخر: مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين، وكان ي؁ما مهولا، نزل في جنازته جميع الأمراء. وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء، ورتبت القراء على قبره بجار لهم في كل شهر من وقف وقفته على قبره، وأقامت سنة تعمل في كل ليلة جمعة على قبر مجتمعا يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة، وتمد لهم الأسمطة الجليلة.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا بإقطاع آنوك.

وفي هذه السنة: كثر وقوع الحريق بالنواحي في أجران الغلال بنواحي قليوب وسنديون وبلاد الغربية والبحيرة ولم يعلم من أين هو. ثم وقع بالقاهرة في أماكن منها ربع طقزدمر بدار التفاح، فاستعد الناس لذلك.

وفي أخريات جمادى الآخرة: هبت ريح شديدة من بحر الإسكندرية، فاقتلعت نخلا كثيرا، وهدمت دورا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١/٢

عديدة، ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركبا، وصار يقذف المركب إلى البر حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء. وكل ذلك جميع أراضي مصر قبليها وبحريها وأرض برقة.

وفيه نقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحري إلى كشف الوجه القبلي، وفيه نقل علاء الدين علي بن الكوراني إلى ولاية الغربية.

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش، وصحبته عدة من المهندسين، وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد، ويحفر في وسط الشرق المعروف بالرصد عشرة أبار عمق كل بئر نحو أربعين ذراعا يركب عليها السواقي حتى يجري الماء من النيل إلى القناطر التي تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء.

وأقام السلطان الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحري رباط الآثار، ومروا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهدمت عدة بيوت كانت هناك، وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهما عظيما.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعي، فركب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام، ولم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده، وأخرجه منفيا إلى صرخد وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده، فرجع من سرياقوس.

وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبي بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم، فتوجه الأمير طيبغا المجدي إلى الكرك، وأحضر طلب أبي بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني، واستقر في نيابة الكرك، وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثا ولا حكما بين اثنين. وفيه قدم البريد **بأن الغلاء شديد** ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب، فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها.

وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتي نفر، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصا، جعل بعضهم في الطباق، وأسكن منهم عدة القلعة، وأمر منهم جماعة وفرق في الأمراء منهم جماعة.

وفيها جدد السلطان جامع راشدة، وقد تهدم أكثر جدرانه.

وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وكان سعته نحو عشر فدادين، وشرع قوصون في عمارته سبع قاعات، لكل قاعة إصطبل. وفيها قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.." (١)

"وفيه أيضا تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير أخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض مماليك أمير علي بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس في عدة من مماليك قوصون على أيدغمش. فأخذ أيدغمش في الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا سير قوصون في سوق الخيل يغلق أيدغمش باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ قوصون تغير أيدغمش عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سببا، فمازالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعه، وعرف قوصون بحضرتهم ما بلغه، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر، وتصالحا. فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بحبسه، فاتهم قوصون بقتله.

وفيه قدم الخبر من جركتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبي بكر، وشكى من ترفعه وتعاظمه عليه، فكتب بطلب عبد المؤمن والي قوص على البريد، فلما قدم خلع عليه قوصون، وأكثر من الإنعام عليه، وقرر معه ما يعمله، وأعاده على البريد وكتب إلى جركتمر بن بهاد بمساعدته على ما هو بصدده.

وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح إلا شباكا يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد. وزاد قوصون في راتب سماطه كثيرا من الحلوى والدجاج ونحو ذلك، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية، بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بباب القلعة موضع النيابة، في موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس.

وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والي قوص بأن المنصور أبا بكر وجد في نفسه تغيرا، وفي جسمه توعكا، لزم الفراش منه أياما، ومات. ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله.

وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم، وأن التبن بلغ أربعين درهما الحمل. ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخري على الكرك، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال، وكان الوقت

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٣/٢

شتاء، فأقام العسكر نحو العشرين يوما في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن، وكثرت غاراتهم في الليل عليهم، وتقطيع قربهم ورواياهم.
هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخري بالأموال، ويحرضه على لزوم الحصار.
وفيه قدم البريد من عند ألطبغا الصالحي نائب دمشق بأن تمر الموساوي قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب.
فكتب قوصون بالقبض عليه، وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى ألطبغا الصالحي نائب دمشق أن يطالع بالأخبار، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف، وعابه، وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان، فأجابه بأعذار غير مقبولة.
ثم قدم الخبر من شطي بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخري قد خامر بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر، وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل في طاعة أحمد، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخري ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بان الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد.." (١)

"وفي يوم الخميس سابع عشريه: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب في الجانبين، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالي، فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج، فرجموه وردوه ردا قبيحا إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالي على باب الجمالية، ونودي من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئا بالشنق.
وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع في بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصري إلى ثمانية دراهم نقرة، وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى في العراء عجزا عن مواراته، وفنيت الدواب عندهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٩/٢

ثم عقب **هذا الغلاء جراد** عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة، فاض بما هناك ضررا شديدا بالغا، وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات، وتحسنت أسعار بلاد الشام.

وفي هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقي من بنت تنكز، وأصدقها عشرة ألاف دينار. وخلع السلطان على الأمير قماري وجميع أقاربها، وعمل مهما عظيما، ورسم أن يعمل لها بشخاناه وداير بيت زركش بثمانين ألف دينار.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرقطاي بتقدمة ألف، فطلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطاي أيام نيابته، فذكر أنه نهب له شيء كثير، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقا، وفيها نحو اثني عشر جوشنا، وفيها بركصطوانات حرير قيمة الواحدة منها زيادة على عشرين ألف درهم، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شيء كثير. فكتب إلى نواب الشام يتتبع من معه شيء من ذلك، وحمله إليه. وفيه أخرج الأمير قرمجي الحاجب إلى صفد حاجبا، بسؤاله.

وفيه خلع علي قراجا وأخيه أولاجا، واستقرا حاجبين.

وفيه سأل الأمير آقسنقر السلاري الإعفاء من النيابة، فلم يعف.

وفي يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول: قدم الأمير الحاج آل ملك، من حماة.

وفيه قبض على فياض بن مهنا، لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه، وسجن بالقلعة.

وفيه رسم للأمير طقتمر الأحمدي بنيابة طرابلس، بحكم وفاة الأمير طينال.

وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلي بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبي بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله في مصرف المارستان. فلم يوافقه الضياء، واحتج بأن لهذا مصرفا عينه واقفه لقراء وخدام، ووافقه القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبي بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفر بمعاليم ما بين خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفي.

وفيه وشى الخدام للسلطان بقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم. فرسم للطواشي محسن الشهابي والطواشي كافور الهندي بأن يتحدثا في المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسي، وكتب لهما توقيع بذلك، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة الناصرية بين القصرين، وبنظر جامع القلعة. فشق ذلك على ابن جماعة، وسعى عند الأمير أرغون

العلائي، فلم ينجح سعيه.

وفيه استقر سيمف الدين وأخوه، من آل فضل على أخباز آل مهنا، لسليمان بن مهنا وأخوته، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه: رسم للأمير ألطنبغا المارداني بنيابة حماة، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وخلع عليه وركب البريد من يومه، وسار في خمسة من مماليكه، وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلائي.

وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولي إلى نيابة غزة، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناة بدمشق.

وفيه قدم خبر من شطي بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.." (١)

"وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفا من الفتنة. ولهجت العامة بقولهم: يا ولد خرا للعيد وغنوا به في الأسواق. فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلي يوم العيد خوفا من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

وفي هذه الأيام: أعيد ضمان الملعوب من العلاج والصراع واللكلم والسعاة، ونحو ذلك. وأعيد ضمان ابن البطوني، وضمن بزيادة عشرة ألاف درهم.

وفيها قبض بدمشق على الأمير آقبغا عبد الواحد في عدة من الأمراء وسجنوا، لميلهم إلى الناصر أحمد.

وفيها اختلت مراكز البريد، فجمع لها ثمانمائة فرس، بعث السلطان منها مائتي فرس، وأخذ من كل أمير مائة أربعة أرؤس، ومن كل أمير طبلخاناة فرسين، ومن كل أمير عشرة فرسا واحدا، وأخذ من الموقعين عدة أفراس.

وفيها نهبت منية السيرج، وذلك أن جماعة من الفقراء المتعبدين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر، وهم معظم أهل المنية، وبالغوا في الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانيا أسال دمه، ودخل إلى صلاة الجمعة بالجامع. فتجمع النصارى، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة، وضربوهم، فثار المسلمون بهم، فأثخنهم ضربا، ومالوا على بيوتهم فنهبوها. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٨٨

الحاج آل ملك النائب، فبعث الحجاب والوالي، فقبضوا على جماعة كثيرة، وردوا كثيرا مما نهب، وحملوا الذين قبض عليهم، وفيهم عدة من الأجناد، فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم. وأقامت المنية خرابا وبيوتها مهدمة نحو الشهرين، حتى عاد أهلها إليها.

وفي هذه السنة: نافق عربان الصعيد، واقتتلوا وقطعوا الطريق، فقتل بينهم نحو الألفي رجل. فركب الأمير علاء الدين علي بن الكوراني، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم، فلم يثبتو ا له وفروا منه، فأخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح. وفيها احتربت الدعاجية والسعديون، فقتل بينهم خلق كثير جدا، فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحري، وقتل منهم أعدادا كثيرة.

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات، فلم يطق الأمير سيف بن فضل رده ومنعه، لعجزه عن آل مهنا.

وفيها اشتد الحصار على الكرك، وضاقت على الناصر أحمد ومن معه لقلة القوت عندهم وتخلى عنه أهل الكرك، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

وفيها **اشتد الغلاء ببغداد** وعامة بلاد العراق، وبلغ الرغيف ببغداد دينارا عراقيا، عنه ستة دراهم، والرطل اللحم بدينار ونصف.

وفيها استقر بيبغا ططر في نيابة غزة، عوضا عن طرنطاي البشمقدار.

وفيها استقر طرنطاي حاجبا بالقاهرة.

وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوي نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر، فلقيهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة. فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه، ففر منه ابن دلغادر إلى جبل، وترك أثقاله فنهبها العسكر، وقتلوا كثيرا من تركمانه، وظفروا ببعض حرمه، وتبعوه إلى الجبل، وصعدوه. فقاتلهم ابن دلغادر، وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله، وتقنطر عنه يلبغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له، وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب، وتعنيفه على ما فعله.

وفيها استقر المكين إبراهيم بن مزونية في نظر دمشق، عوضا عن التاج ابن الصاحب أمين الملك. واستقر موسى بن التاج إسحاق في نظر حلب، وأستقر زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلة بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصاري الدمشقي، في قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن بدر الدين بن الخشاب، وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة.

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها، لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحي الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التي فسد بها

الأقصاب والزراعات الصيفية. فلما أدرك الشعير هاف من السموم، وهاف كثير من الفول أيضا وبعض القمح، وتحسن السعر حتى بلغ الأردب درهما، بعد ما كان بعشرة دراهم.

وفيها بلغت زيادة النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

ومات فيها من الأعيان." (١)

"وفي هذه السنة: استجد.بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباحي، وولي قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض ولم يكن بها قبل ذلك مالكي ولا حنبلي، فاكتمل بها أربعة قضاة.

وفيها **كان الغلاء بأرض** مصر والشام، حتى بيعت غرارة القمح في دمشق بثلاثمائة درهم؛ ثم أنحط السعر.

وفيها توقف النيل في أوائل أيام الزيادة، فارتفع سعر الغلال. ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء في رابع جمادى الأولى، وهو تاسع مسرى، وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب، فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهم، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما.

ومات فيها من الأعيان تقي الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقي، بها في ليلة الـجمعة سادس رجب. وقد ولي بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست، ثم نظر النظار؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا، في يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به، وزوجه ابنته، وجعله أمير شكار، ثم نائب غزة.وأعيد بعده في أيام الصالح إسماعيل في مصر، وعمل أمير آخور. ثم استقر في نيابة طرابلس مدة، وأحضر إلى مصر في أيام شعبان الكاملي، وعظم قدره ودبر الدولة في أيام المظفر حاجي حتى قتله. وكان كريما شجاعا، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريبا مكن القلعة.

ومات الأمير بيدمر البدري مقتولا بغزة، في أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية، وولي نيابة حلب، واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريبا من المشهد الحسيني.

وتوفي قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الـطرسوسي، عن تسع وسبعين سنة، بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠١/٢

ومات أمير علي بن الأمير قراسنقر.

وتوفي قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبي بكر بن ظافر عبد الوهاب الهمداني، في ثالث الحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفي الحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث والتاريخ وغير ذلك، في ثالث ذي القعدة ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومات الأمير الوزير نجم الدين بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، مقتولا بغزة في أوائل جمادى الآخر. قدم من بغداد إلى القاهرة، وولي الوزارة ثلاث مرات فشكرت سيرته، وعرف بالمكارم. وله خانكاه بالقرافة، بجوار تربة كافور الهندي.

ومات قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل، الكرماني الحنفي بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان بارعا في الفقه والنحو والأصول، وله شعر.

ومات الأمير نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزيبق، بدمشق في سادس رجب؛ وتنقل في ولايات مصر والشام.

ومات أمير بني عقبة بدر الدين شطي بن عبية، ليلة عيد الأضحى؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته.

ومات الأمير طرنطاى البشمقدار، في شعبان.

ومات الأمير ملكتمر الحجازي مقتولا، في تاسع عشر ربيع الآخر. وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزوري، فبذل له فيه السلطان الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامي.بمكة، لما حج ابن الشهرزورى. وقدم به المجد السلامي إلى السلطان الناصر محمد فلم ير.بمصر أحسن منه ولا أظرف، فعرف بالحجازي، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته، وكان مدمن الخمر مرتبه منه في كل يوم زنة خمسين رطلا. لم تسمع منه كلمة فحش قط،، ولا توسط بسوء أبدا، مع سخاء النفس وعدم الشر.

ومات الأمير طغيتمر النجمي الدوادار، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق.

ومات الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام قتلا، بقاقون وهو من المماليك الناصرية الذين شغف بهم السلطان الناصر محمد، وعمر له الدار العظيمة التي موضعها الآن مدرسة السلطان حسن، وولي نيابة حلب، ثم نيابة

دمشق، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، و لم يكمله، فكمل بعد موته. وكان كريما، يبلغ إنعامه في كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب." (١)

"وفيه قدم الخبر بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش، وانتصر فيها أولاد دمرادش، وقتلوا كثيرا من عسكر الشيخ حسن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا، فخلع عليه، واستقر في إمرة العرب، وتوجه إلى بلاده وهو مريض وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمري بإمرة كوكاى المنصوري، بعد موته؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير نوروز.

وفيه أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك، وعوض عنها ناحية برما، وهي مثلا بوصير.

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتي، بعد موته.

وفيه ولي الوزير مازان الغربيه، وولي ابن سلمان منوف عوضا عن مازان وولي صلاح الدين بن العنتابي البهنساوية، وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار.

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة.

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة.

وفيه وفر إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين، وأقطع المماليك، وأنعم عليه باقطاع الأمير جركتمر.

وفيه وفرت جوامك جماعة ورواتبهم.

وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعي في الوظائف.بمال، فلم يرد أحدا؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بألف عليقة.

وفيه توجه ببيغا روس النائب إلى العباسة، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار، وأتته تقادم جليلة.

وفي هذا الأيام: كثر سقوط الدور التي على النيل، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته في ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره، إلى أن كان الوفاء في يوم الجمعة أول جمادى الأولى، وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته، وتوقف أياما؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب حمس أصابع، فقلق الناس قلقا زائدا. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه؛ وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمان عشرة إصبعا. فشمل الري البلاد وانحط سعر الغلال. فلما أخذ ماء النيل في الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئا بعد شيء، ثم سقط أحد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٤٥/٢

عشر بيتا بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة، فإن الماء لما عمل الجسر الذي تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق، وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها، وذهب فيها مال كبير للناس في الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافي، وقطعة من ربع الخطيرى، وعدة دور.

وفيه كثرت الأخبار **بوقوع الوباء في** عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. **فكثر الوباء حتى** بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس.

وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بواد في ناحية توريز أفاعي ذات خلق عظيم من الطول والضخامة، وقد اجتمع منها عدد كثير جدا. وصارت فرقتين، واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا، ثم عادوا من الغد بكرة النهار إلى القتال، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى، وقتلت منها مقتلة عظيمة، وانهزم باقيها، فلم تدع في هزيمتها حجرا إلا قصمته، ولا شجرا إلا قلعته من أصله، ولا حيوانا إلا أتلفته؛ فكان منظرا مهولا.

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده، وفيه اثنان وسبعون فرسا، أقلها بعشرة آلاف درهم، وأوسطها بعشرين ألفا، وأغلاها بثلاثين ألفا، سوى الهجن وغيرها. وقدم صحبته أحمد طظر أمير بني كلاب، وندا أمير آل مرا؛ فأكرم ندا وأحمد طظر، وأعيدا إلى بلادهما؛ وقبض على فياض، وأخذت خيوله وما معه، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه قدم الخبر بقتل الأمير صعبه كاشف الوجه القبلي، فيما بين عرك وبني هلال، وقتل كثير من أصحابه، وأخذ ما معهم. وشن العرب بعد قتله الغارات على البلاد، وأمعنوا في نهب الغلال وقطع الطرقات، وذلك بعد دخولهم سيوط ونهبها. فعين عشرة أمراء للتجريدة، ثم تأخر سفرهم خوفا على الزرع وفي ثالث ذي الحجة: أخرج الأمير طشبغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت له مع علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر؛ أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر، ودخلا على الأمير شيخو كذلك. فأنكر شيخو عليه ذلك، وبقى بطالا، وعمل قطليجا الأرغوني دوادارا عوضه.

وفيه أنعم على جاورجي مملوك قوصون بإمرة عشرة، وعلى عرب بن ناصر الدين الشيخي بإمرة طبلخاناه.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥١/٢

"وفيه قدم محمل سيس بحق النصف، لخراب البلاد من كثرة الفناء بها.

وفيه كتب بولاية حياد بن مهنا إمرة العرب.

وفيه قدم الخبر بخروج عشير الشام عن الطاعة، وكثرة الحروب بينهم، وقتل بعضهم بعضا، ونهب الغرد ونابلس، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك.

وفيه أخرج يلجك قريب لنيابة غزة عوضا عن أحمد الساقي؛ وقدم أحمد الساقي إلى مصر.

وفيه انحلت إقطاعيات كثيرة لموت الناس، فوفر الوزير جوازك الحاشية ورواتبها؛ وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال، والمرتبين في الصدقات، والكتاب والموقعين، والمماليك السلطانية، على قدر ما بأسمائهم.

وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودي ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة، وبرد الرصاص والنحاس الأصفر، فمشت الأحوال.

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصري عوضا أمير جندار، واستقر الأمير قبلاوي حاجب الحجاب عوضا عن أيتمش. وفيه استقر ابن الأطروش في قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة، ولم يعرف أحدا قبله ولي هذا.بمصر؛ واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي في قضاء العسكر على مذهب الشافعي.

وفيه استقر خاص ترك بن طغيه الكاشف في ولاية منفلوط، واستقر مجد الدين موسى بن الهذباني والي الأشمونين في كشف الوجه القبلي، بعد قتل طغيه بم ونقل محمد ابن أياس الدويداري من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية.

وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف في قضاء الشافعية بحلب عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصابغ، بعد وفاته. واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبي السفاح كاتب السر بحلب، عوضا عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

وفيها وجد للشيخ حسن متولي بغداد بدار الخلافة دفينا في خربة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهبا.

فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام، من كثرة النفاق، وقطع الطريق، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير، دون كل أحد.

ومع ذلك فكان **فيها الوباء الذي** لم يعهد في الإسلام مثله، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى **انتشر الوباء في**

الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة.
وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف نفس في كل يوم.
وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر.
وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دما، ثم يصيح ويموت؛ وعم مع **ذلك الغلاء الدنيا** جميعها.
ولم يكن **هذا الوباء كما** عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني أدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.
وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى أخرها ستة أشهر، وهى بلاد الخطا والمغل، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، في مشاتيهم ومصايفهم، وفي مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك ثم حملت الريح نتنتهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، و لم يبق بذاك الإقليم من يحكمه.." (١)
"ثم **اتصل الوباء ببلاد** الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم في طريقهم؛ وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم، فأخذ بقية من تأخر بها في تتبع آثارهم حتى تعرف خبرهم، فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا، فأخذهم الموت أيضا في طريقهم، ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل، فماتوا مع أهاليهم جميعا إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم، فأصابهم الوباء.
وعم الوباء بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففني أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعا.
وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور في يوم واحد.بموضع واحد مائة وثمانون نفسا؛ وخلت سيس وبلادها.
ووقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٢/٢

فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، و لم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين.

ووقع الوباء ببغداد أيضا، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعا، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر.

وفي أول جمادى الأولى: **ابتدأ الوباء بأرض** حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع. و لم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منه ا فارة. ولم يبق.بمدينة لد أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى. ولم **يدخل الوباء معرة** النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم. وأول ما **بدأ الوباء بدمشق** كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعا. ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيرا. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة.

وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر – على ما ورد في كتاب نائبها – زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده، ويوجد أخر قد مات وفي يده ما يبذره، وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نفرا لإصلاح أ أرضه، فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية. ومات أهل قطا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين من أصحابه وحاربة عجوز. وبعث الوالي يستعفي، فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجي.." (١)

"**وعم الوباء بلاد** الفرنج، وابتدأ في الدواب، ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من في أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفا أن يبيد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٣/٢

الموت الفرنج، فتملك المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا، وهلك لهم ثلاثة ملوك **واستمر الوباء فيهم** مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذي ملكوه عليهم رابعا بجماعته في مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم في البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم في المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن أخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجل ا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركابها بها أحدا، وإن صدفت أحدا في بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون في البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت.

وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجرا وثلاثون رجل، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، و لم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعا بالثغر، وعم الموت أهل حزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا علىى نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقي منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود. وتغير أيضا ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها. **وشمل الوباء أيضا** أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار

الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت.بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية.

وكل الموت أهل البرلس ونستراوه، وتعطل الصيد من البحرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المراكب ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت. ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم.

وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، ولا يوجد من يدفنها **وعظم الوباء بالمحلة** حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلتهم؛ وصارت الفنادق تجد من يحفظها.." (١)

"**وعم الوباء جميع** تلك الأراضي، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضم الزرع وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين. وكان **ابتداء الوباء من** أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقي ألحنا، وماتت الدواب والمواشي وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقي من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها، وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/١٥٤

وبقيت المراكب في البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا، فكان يوجد في السمكة كبة. وهلكت الأبقار الخيسية والجاموس في المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضا الكبة.

وقدم الخبر من دمشق **بأن الوباء كان** بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح في نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة في البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضي دمشق تقي الدين السبكي رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: " اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه " ؛ فعرفهم قاضي دمشق ذلك. فاجتمع الناس في المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودي في دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخاري في ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، **فتناقص الوباء حتى** ذهب بالجملة.

وابتدأ الوباء في القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم في الباعة، حتى كثر عدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وجبا في يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف في كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس في أقل من أسبوع؛ فشرع الناس في فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: " اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك. ياذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام " ، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفي شعبان: تزايد الوباء في القاهرة، وعظم في رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء.." (١)

"وفي يوم الجمعة سادس رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويقنتون في صلواتهم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه، في يوم الأحد ثامنه.

وفيه مات الرحل الصالح عبد الله المنوفي، فصلى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلسرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس، وحدث في شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس في بدنه بحرارة، ويجد في نفسه غثيان، فيبصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صبحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.

وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي من القاهرة، فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين دارا خالية. وبقيت الأزقة والدروب.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٥/٢

مما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس. وحصرت عدة من صلى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد.

وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وعمل جماعة من الناس مدراء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما؛ فلم يمتع أكثرهم بذلك، وماتوا. ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته؛ فوجد في بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.." (١)

"وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضا. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تواريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئا بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دورا وأثاثا وأموالا من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم.مما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحدا عمل فرحا في مدة الوباء، ولا سمع صوت غناء. وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٦/٢

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار في طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد في **هذا الوباء إلا** ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

وشمل في آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها. ولم **يدخل الوباء ثغر** أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا. وطلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد، وخرج من مدينة أخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين، لقياس بعض الأراضي؛ فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين فحمله رفيقه إلى البلد، فسقط بجنبه ومات؛ وأخذت الشاهد الحمى.

واجتمع ثلاثة بناحية أبيار، وكتبوا أوراقا بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه؛ فطلعت الأوراق.بموت واحد بعد آخر، فمات الثلاثة على ما طلع في الأوراق، وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة.

وكانت البزداريه إذا رمت طيرا من الجوارح على طائر ليصيده، وجد الصيد وفيه كبة كالبندقة؛ ولم تذبح أوزة ولا شيء من الطيور إلا وجد فيه كبة. ووجدت طيور كثيرة في الزروع م يتة، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا نتفت وجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة.وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شيء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها.

وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم في أمر الزرع، **فإن الوباء ابتدأ** في آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث في أراضي الرملة وغزة والساحل، وإذا به يخر ميتا والمحراث في يده، ويبقى بقره بلا صاحب.

ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فني الفلاحون، ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيوهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه.

وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والإسكافية

والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا تكلفتاه والقباء.

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شيء. فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضي. و لم يوجد أحد يشتري القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحي القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت. وتركت.ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعي دوابه، ولا من يعملها دريسا.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحي أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجيء منهم الخراج، فصارت في **سنة الوباء هذه** تشتمل على مائة وستة عشر نفرا، ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب.." (١)

"وتعطلت أكثر الصنائع، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل و لم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن، واتضعت أسعار المبيعات كلها، حتى كانت الفضة النقرة التي يقال لها.بمصر الفضة الحجر، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية. وبقي الدينار بخمسة عشر درهما، بعدما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما في كل شهر، بعد ثلاثين درهما. فنودي بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم، لقلة الرحال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما.

ويقال إن **هذا الوباء أقام** على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة، وقد أكثر الناس من ذكره في أشعارهم، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردي من مقامة عملها:

إسكندرية ذا الوبا ... سبع يمد إليك ضبعه

صبرا لقسمتك التي تركت ... من السبعين سبعه

وقال:

أصلح الله دمشقا ... وحماها عن مسبه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/١٥٧

نفسها خست إلى أن ... تقتل النفس بحبه

وقال:

إن الوبا قد غلبا ... وقد بدا في حلبا

قالوا له عي الورى ... كاف ورا قلت وبا

وقال:

الله أكبر من وباء قد سبا ... ويصول في العقلاء كالمجنون

سنت أسنته لكل مدينة ... فعجبت للمكروه في المسنون.

وقال:

حلب والله يكفي ... شرها أرض مشقه

أصبحت حبة سوء ... تقتل الناس ببزقه

وقال:

قالوا فساد الهواء يردى ... فقلت يردى هوى الفساد

كم سيئات وكم خطايا ... نادى عليكم بها المنادي

وقال:

فهذا يوصى بأولاده ... وهذا يودع إخوانه

وهذا يهيئ أشغاله ... وهذا يجهز أكفانه

وهذا يصالح أعداءه ... وهذا يلاطف جيرانه

وهذا يوسع إنفاقه ... وهذا يخالل من خانه

وهذا يحبس أملاكه ... وهذا يحرر غلمانه

وهذا يغير أخلافه ... وهذا يغير ميزانه

ألا إن هذا الوبا قد سبا ... وقد كاد يرسل طوفانه

ولا عاصم اليوم من أمره ... سوى رحمة الله عبدانه

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدي:

قد قلت الطاعون وهو بغزة ... قد جال من قطيا إلى بيروت

أخليت أرض الشام من سكانها ... وحكمت يا طاعون بالطاغوت

وقال:

لما افترست صحابي ... يا عام تسع وأربعينا

ما كنت والله تسعا ... بل كنت سبعا يقينا

وقال:

دارت من الطاعون كاس الفنا ... فالنفس من سكرته طافحة

قد خالف الشرع وأحكامه ... لأنه يثبت بالرائحة

وقال:

أسفي على أكناف جلق إذ غدا ... الطاعون فيها ذا زناد وارى

الموت أرخص ما يكون بحبة ... والظلم زاد فصار بالقنطار

وقال:

أما دمشق فإنها قد أوحشت ... من بعد ما شهد البرية أنسها

تاهت بعجب زائد حتى لقد ... ضربت بطاعون عظيم نفسها

وقال:

تعجبت من طاعون جلق إذ غدا ... وما فاتت الآذان وقعة طعنه

فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعا ... على أنه قد مات من خلف أذنه

وقال:

رعى الرحمن دهرا قد تولى ... يحاذي بالسلامة كل شرط

وكان الناس في غفلات أمر ... فجا طاعونهم من تحت إبط

وقال:

يا رحمتا لدمشق من طاعونها ... فالكل مغتبق به أو مصطبح

كم هالك نفث الدما من حلقه ... أو ما تراه بغير سكين ذبح

وقال:

مصيبة الطاعون قد أصبحت ... لم يخل منها في الورى بقعه

يدخل في المنزل لو أنه ... مدينة أخلاه في جمعه." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٨/٢

"وتوفي زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامري الغري الشافعي،. بمدينة بلبيس، عن إحدى وسبعين، باشر بالكرك وعجلون وقوص وبلبيس، وبرع في الفقه.

وتوفي زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلقيائي الشافعي، قاضي حلب وصفد، وبها مات عن نحو سبعين سنة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن طقصو؛ وكان فاضلا، صنف في الموسيقا وغيره. ومات الطواشي عنبر السحرتي اللالا مقدم المماليك، منفيا بالقدس.

ومات الأمير قطز أمير آخور ونائب صفد، وهو من جملة الأمراء بدمشق، يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة ومات الأمير قرونه من الأويراتية.

ومات الأمير قطليجا السيفي البكتمري، متولي الإسكندرية، ووالي القاهرة.

ومات الأمير كوكاي السلاح دار المنصوري؛ وترك زيادة على أربعمائة ألف دينار.

وتوفي قاضي الشافعية بحلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصاري، وقد أناف على السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الفقيه الشافعي عن ست وثمانين سنة، بالقاهرة.

وتوفي شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردي الفقيه الشافعي، عن تسع وستين سنة.

وتوفي شمس الدين محمد المعروف بابن الكتاني الشافعي.

وتوفي عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البلبيسي الشافعي، قاضي الإسكندرية في الأيام الناصرية، وهو معزول، في يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان.

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس.

ومات شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطي، وناظر بيت المال، وهو باني جامع الأسيوطي بخط جزيرة الفيل.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد الأكفاني الحكيم، صاحب التصانيف، في يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال.

وتوفي شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطيب؛ وله شعر جيد.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأصفهاني، الفقيه الشافعي ذو الفنون، بالقاهرة، في ذي القعدة؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة.

ومات الأمير شرف الدين محمود بن خطير، أخو أمير مسعود.

ومات نكباي البريدي أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ ولي قطيا وإسكندرية، ثم أنعم عليه بطبلخاناه، واستقر مهمندارا، وإليه تنسب دار نكباي خارج مدينة مصر على النيل، وعني بعمارتها، فلم يمتع بها.

وتوفي الشيخ المعتقد يوسف المرحلي.

ومات نور الدين الفرج.

وتوفي نور الدين الفرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشافعي: شارح منهاج البيضاوي، في ثالث عشر جمادى الآخرة، بدمشق.

سنة خمسين وسبعمائة

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء.

وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق، على إمرة طبلخاناه.

وفيه اجتمع رأي كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين بن عثمان التركماني، بعد موت والده في تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره، فأجيبوا إليه. وطلب جمال الدين، وخلع عليه، واستقر قاضي القضاة الحنفية، ونزل إلى المدرسة الصالحية؛ وعمره دون الثلاثين سنة.

وفيه قدم الحاج، وفهم قاضي القضاة زين الدين عمر البسطامي. فترك قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن التركماني تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون، فشكره الناس على هذا.

وفيه وقدم أيضا قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركماني بابنته.

وفيه وقدم أيضا الأمير فارس الدين، وقد نازعه عرب بني شعبة في عمارة عين جوبان، فجمع لهم وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرا وهزمهم؛ وقتل له مملوكان؛ وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلة وكان الغلاء بمكة شديدا بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما، فهلك كثير من الجمال؛ ووقع بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادي.

وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي واستقر في قضاء القضاة المالكية، عوضا عن عمه تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي، بعد موته.." (١)

"الصالح الملك العظيم قدره ... يطوى له الأرض البعيد النازح

لاتعجبوا من طيها لمسيره ... فالأرض تطوى دائما للصالح

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء، وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود. وتغير أيضا ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها.

وشمل الوباء أيضا أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الاسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عم أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس نستراوه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المركب، ويعود من بقي منهم، فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٦١/٢

وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودت ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، لا يوجد من يدفنها. **وعظم الوباء بالمحلة** حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه، وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدا إلا بعد عناء لقلتهم، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. **وعم الوباء جميع** تلك الأراضي، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضم الزرع.

وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضم الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين. وكان **ابتداء الوباء عندهم** من أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكوراني والي مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودي عليهن. ونقل ما في دور صهري ابن زنبور، وسلما لشاد الدواوين. وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت، وابن السعيد لنظر الدولة، وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين.." (١)

"وفي جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة في الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحري، وتزايد حتى بلغ في شهر رجب عدة من يموت في اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان.

وقدم الخبر **بوقوع الوباء بدمشق** وغزة وحلب، وعامة بلاد الشام، فهلك فيه خلائق كثيرة جدا وفي يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يلبغا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، لم يكن له سوى الاسم فقط

السلطان زين الدين أبو المعالي

السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالي شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/١٩٥

السلطنة وعمره عشر سنين، ولم يل أحد من بني قلاوون وابوه لم يل السلطنة سواه. وكان من خبره أن الأمير يلبغا جمع الأمراء بقلعة الجبل كما تقدم، حتى اتفقوا على خلع السلطان المنصور. ثم بكروا في يوم الثلاثاء النصف من شعبان إلى القلعة وأحضروا الخليفة أبا عبد الله محمد المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع، وأعلموهم باختلال عقل المنصور وعدم أهليته للقيام بأمور المملكة، وأن الاتفاق وقع على خلعه فخلعوه، وأحضروا شعبان بن حسين وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبي المعالي، وأركبوه بشعار السلطة، حتى جلس على تخت الملك وحلفوا له، وقبلوا الأرض على العادة. وكتب إلى الأعمال بذلك فسارت البرد في أقطار المملكة، وخلع على أرباب الوظائف.

وفي يوم الخميس ثالث عشرين رمضان: عزل قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يلبغا استدعاه، فوافاه القاصد وهو نايم، فلم يتمهل عليه حتى ينتبه، بل أمر به فأيقظ وقد انزعج، فغضب لذلك، وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يلبغا. ومازال يرسل إليه ويترضاه حتى رضي. ثم استدعى في يوم الإثنين سابع عشرينه إلى مجلس السلطان، وخلع عليه وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته. واستقر الأمير منكلى بغا الشمسي في نيابة الشام، عوضا عن الأمير قشتمر. واستقر الأمير أشقتمر المارديني في نيابة حلب، عوضا عن الأمير سيف الدولة قطلوبغا الأحمدي بعد موته.

واستقر الأمير أزدمر الخازندار في نيابة طرابلس، واستقر عوضه في نيابة صفد الأمير قشتمر المنصوري نائب الشام ومصر. واستقر الأمير عمر شاه في نيابة حماة. واستقر الأمير أحمد بن القشتمري في نيابة الكرك، والأمير أرنبغا في نيابة غزة. واستقر الأمير أرغون الأحمدي الخازندار لالا السلطان واستقر عوضه خازندار الأمير يعقوب شاه. واستقر الشريف بكتمر بن علي الحسني والي قطا في ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير علاء الدين علي بن الكوراني بحكم استعفائه. وولي الأمير علاء الدين علي بن الطشلاقي والي دمياط ولاية قطيا. واستقر خليل بن الزيني في ولاية الغربية، عوضا عن عمر بن الكركند، وهي ولايته الثالثة. واستقر قشتمر أستادار طقزدمر في ولاية الجيزة، ثم عزل عن قريب بموسى بن الديناري. واستقر أحمد بن جميل والي الأشمونين ومقبل السيفي والي منوف عوضا عن محمد بن عقيل، ومحمد بن السميساطي والي دمياط. واستقر الحسام المعروف بالدم الأسود أستادار أيتمش في ولاية الفيوم عوضا عن محمد بن طغاى. واستقر فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبي الكرم محمد بن الشهيد في كتابة السر بدمشق، عوضا عن الجمال عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير.

وفي هده السنة: توقفت زيادة ماء النيل في أيام زيادته مدة أيام، ثم نودي عليه في يوم السبت سابع ذي القعدة وسادس عشرين مسرى زيادة إصبع لتتمة سبعة عشر إصبعا من ستة عشر ذراعا. ثم نقص ثلث ذراع، وتوقفت الزيادة حتى انقضت أيام مسرى وبعدها أيام النسيء. ثم زاد في آخر أيام النسيء إصبعا واحدا، واستمر حتى كان الوفاء في يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي القعدة. وفتح الخليج، فتمادت زيادته حتى انتهت إلى أربعة أصابع من ثمانية عشر ذراعا، ثم انهبط فتحرك سعر الغلال.." (١)

"وفي أول شهر ذي القعدة: قبض الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، من أجل أنه بلغه أنه يسعى في الوزارة.

وفي رابع عشره: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير بيدمر نايب الشام، صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى أمير شكار، وقد وكب البريد لإحضاره، فأمر به إلى الأمير علاى الدين علي بن محمد بن كلفت، فسجنه بقاعة الصاحب، وألزمه بحمل ثلاثمائة ألف دينار وعصره، في يوم الأربعاء حادي عشرينه، فحمل منهماية ألف دينار، و خرج إلى دمشق ليؤدي بقية ما ألزم به، ثم ينفى إلى طرسوس،. وكان قد استقر عوضه في نيابة الشام الأمير منجك.

وفي هذا الشهر: خرج ببلاد الشام جراد مضر، وكثر بها الفأر في البيادر، فتلفت الغلال، وفشا بها الوباء. وكثر الخوف ببلاد الساحل من الفرنج والعشمير. ووصل إلى صيدا عدة من مراكب الفرنج فحاربوا المسلمين، ورجعوا خايبين.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضي اللوق خارج القاهرة للشلاق، فقتل بينهم واحد منهم، فركب والي القاهرة الشريف بكتمر، وأركب معه الأمير علاى الدين على بن كلفت الحاجب، والأمير أقبغا اليوسفي الحاجب، وقصد المشالقين، ففروا منهم، وبقى من هناك من النظارة، فضرب عدة منهم بالمقارع. فتعصبت العامة، ووقفوا تحت القلعة في يوم الثلاثاء، وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن عشرينه كذلك، وهم يستغيثون ويضجون بالشكوى من الوالي، فأجيبوا بأن السلطان يعزل عنكم هذا الوالي فأبوا إلا أن يسلمه إليهم هو والحاجبين. وكان الوالي قد ركب على عادته بكرة النهار يريد القلعة، فرجمته العامة حتى كاد يهلك فالتجأ منهم بالإصطبل، وظل نهاره فيه، والعامة وقوف تحت القلعة إلى قريب العصر، وكلما أمروا بأن يمضوا أبوا ولجوا، فركب إليهم الوالي في جمع موفور من مماليك الأمير بكتمر المومني،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٢٤٠

أمير آخور، ومن الأوجاقية، فثارت العامة ورجمتهم رجما متداركا حتى كسروهم كسرة قبيحة، فركبت المماليك السلطانية، والأوجاقية وحملوا على العامة، وقتلوا منهم جماعة، وقبضوا على خلائق منهم، وركب الأمير ألجاي اليوسفي، وقسم الخطط والحارات على الأمراء والمماليك، وأمرهم بوضع السيف في الناس، فجرت خطوب شنيعة، قتل فيها خلائق ذهبت دماؤهم هدرا، وأودعت السجون منهم طوائف، وامتدت أيدي الأجناد إلى العامة، حتى أنه كان الجندي يدخل إلى حانوت البياع من المتعيشين ويذبحه ويمضي. وحكى بعضهم أنه قتل بيده في هذه الواقعة من العامة سبعة عشر رجلا.

وكانت ليلة الخميس تاسع عشرينه: من ليالي السوء، وأصبح الناس وقد بلغ السلطان الخبر، فشق عليه وأنكره، وقال للأمير بكتمر المومني عجلت بالأضحية على الناس وتوعده، فرجف فؤاده ونحب قلبه، وقام فلم يزل صاحب فراش حتى مات، وأمر السلطان بالإفراج عن المسجونين، ونودي بالأمان، وفتح الأسواق، ففتحت، وقد كان الناس قد أصبحوا على تخوف شديد لما مر بهم في الليل.

وفيه خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني والي مصر، واستقر في ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكتمر.

وأتفق في هذا الشهر: أيضا أن ناصر الدين محمد بن مسلم - كبير تجار مصر - سافر للقاء بضائع قدمت له من الهند بقوص، فأشاع ولده في الناس موت أبيه، وعمل عزاه، واجتمع بالسلطان وسأله أن يقوم عوض أبيه في المتجر، ووعد بحمل خمسين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل فأخذ في حمل ما وعد به حتى أتى على مبلغ كبير منه. فبينما هو في ذلك إذ قدم كتاب أبيه في بعض حاجاته، فسر أهله بحياته، وبعث إليه بما كان من مولده، فبادر إلى المجيء واجتمع بأهل الدولة، وبالسلطان، فاعتذروا إليه بما كان من ولده ورسم له أن يعتد له بما حمل ولده في نظير ما يرد له من البضائع، ويحاسب به مما عليه للديوان، وخلع عليه، فكان ذلك أيضا من شنيع ما وقع.." (١)

"وقدم الأمير بيدمر، ومعه تقادم جليلة، فأكرم وخلع عليه، في يوم الخميس أول جمادى الآخرة، واستقر في نيابة حلب، عوضا عن الأمير أشقتمر، وركب السلطان - وهو معه - فعدى النيل إلى الجيزة، وهو بتشريف النيابة، ثم عاد وتوجه إلى حلب، واستقر الأمير أشقتمر في نيابة صفد، عوضا عن قطلوبغا المنصوري، واستقر المنصوري في نيابة غزة، عوضا عن الأمير أحمد بن آل ملك، واستقر ابن آل ملك في نظر القدس، والخليل.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٦٨/٢

وفي ثامنه: خلع على علاى الدين على بن عرب وأعيد إلى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ابن المفسر.

وفي خامس عشره: خلع على الطواشي جوهر الصلاحي - مقدم القصر - واستقر نائب مقدم المماليك، عوضا عن نحتار الدمنهوري، وخلع على نحتار المذكور، ويعرف بشاذروان، واستقر مقدم مماليك ولدي السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: خلع على تاج الدين النشو المالكي، واستقر في الوزارة، عوضا عن كريم الدين شاكر بن غنام، وخلع على ابن غنام، واستقر في نظر البيوت ونظر المارستان، ونظر دار الطراز، وأنعم على ناصر الدين محمد بن أقبغا آص بتقدمة ألف، عوضا عن منكلى بغا البلدي، واستقر أستادار السلطان، وأنعم على الأمير ألطبغا العثماني ططق بتقدمة ألف، واستقر أمير سلاح، عوضا عن طيدمر البالسي.

وفيه قدم شرف الدين حسين الفارقي وزير صاحب اليمن بكتابه وصحبته أمير آخوره ناصر الدين محمد، ومعهما هدية سنية.

وخلع على الأمير طغاى تمر دوادار الأمير يلبغا، واستقر دوادارا ثانيا بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير قرطاي الكركي، واستقر في كشف الوجه البحري، عوضا عن الأمير آل ملك الصرغتمشي.

وفيه شنقت المرأة الخناقة وزوجها جمعة الخناق، وكانا في تربة من ترب القاهرة، فيدوران بالقاهرة ومصر وظواهرهما، ويأخذان من أطفال الناس وأولادهم من قدروا عليه، ويخنقاه لأخذ ما عليه من ثياب الجميلة، ففقد الناس عدة أولاد، واشتد حزنهم عليهم، وكثر ذلك في الناس حتى ذعروا منه، ففضح الله جمعة هذا وامرأته، وقبض عليهما، وعوقبا، وأخذ ما وجد عندهما من على الأولاد وثيابهم، ثم شنقا، وكان يوما مجموع له الناس بالقاهرة، خارج باب النصر منها.

وتقدم مرسوم السلطان بإقامة الأمير جاورجي القوصوني، والأمير أقبغا بن مصطفى، والأمير أسنبغا القوصوني، والأمير قرابغا الأحمدي، والأمير نصرات أخي بكتمر الساقي، في ثغر الإسكندرية، فساروا.

وفي يوم الخميس عشرين شهر رجب: خلع على الأمير قطلوبغا الكوكاي واستقر أستادارا، عوضا عن الأمير نصرات، واستقر الأمير أسنبغا البهادري شاد العماير على عادته، واستقر الأمير آل ملك الصرغتمشي نقيب الجيش، وخلع على برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين بن الحلى ناظر بيت المال، واستقر في نظر المارستان مضافا لما بيده.

وفي سابع عشر شعبان: خلع على الأمير أرغون الأحمدي اللالا، واستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن

الأمير كجك، واستقر كجك في نيابة غزة.
وفي يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بهاء الدين أبي البقاء، واستقر في قضاء دمشق، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري، واستقر المعري في قضاء حلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعي. واستقر قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة في تدريس الشافعي، عوضا عن أبي البقاء. وخلع عليه في يوم الأحد سلخه، وحضر الدرس به، فكان يوما جليلا جمعه.
واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمري في كتابة السر بدمشق، عوضا عن شيخنا فتح الدين أبي بكر بن الشهيد، واستقر الأمير ككبغا البيبغاوي في نيابة قلعة جعبر.
وفيه قدم الأمير آسنقر.
وأهل شهر رمضان بيوم الإثنين.
وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخاري في كل يوم من أيام شهر رمضان، بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم، تبركا بقراءته، لما نزل بالناس من الغلاء، فاستمر ذلك، وتناوب قراءته شهاب الدين أحمد بن العرياني، وزين الدين عبد الرحيم العراقي، لمعرفتهما علم الحديث، فكان كل واحد يقرأ يوما.." (١)

"في أول المحرم: اتفق أمر غريب، قد وقع مثله فيما تقدم، وهو أن الأمير شرف الدين عيسى بن باب جك - والي الأشمونين - كان له ابنة، فلما أن تم لها من العمر خمس عشرة سنة، استد فرجها، وتدلى لها ذكر وأنثيان، واحتملت كما تحتلم الرجال، واشتهر ذلك بالحسينية - حيث سكنه - وبالقاهرة، حتى بلغ منجك، فاستدعى بها، ووقف على حقيقة خبرها، فأمر بنزع ثياب النسوان عنها، وألبسها ثياب الرجال من الأجناد، وسماها محمدا، وجعله من حملة مشاة خدمته، وأنعم عليه بإقطاع، فشاهده كل أحد.
وفي ثامنه: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع واثني عشر إصبعا.
وفي أول شهر ربيع الأول: شرع السلطان في التجهيز إلى الحج، وتقدم إلى الأمراء بتجهيز أمورهم أيضا.
وفي تاسعه: كان وفاء ماء النيل ستة عشر ذراعا، ويوافقه رابع عشرين مسرى، ففتح الخليج على العادة، واستمرت الزيادة حتى بلغت سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع، وثبت أوان ثباته، ثم انحط وقت الحاجة

---
(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٢/٢

إلى هبوطه، فعم النفع والحمد لله به، إلا أن الأسعار تزايدت، فبلغ القمح مناية درهم الأردب، والشعير ستين درهما الأردب، والفول خمسين درهما الأردب.

وفي أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصري بشاطىء النيل، للعب بالكرة على العادة في كل سنة، وركب ولده أمير على قدامه بين يديه، وجعل على رأسه شطفة كما يجعل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشي في ركابه، وخلع عليهم أقبية حرير بطرز زركش، وأركبهم الخيول المسومة بالسروج الذهب، وكنابيش زركش، وألبس أكابر مماليكه ومقدم مماليكه الطواشي شاذروان أيضا الأقبية الحرير بالطرز.

وفيه أنعم على الأمير علاء الدين على بن كلفت بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن الأمير تنكز نايب الشام بإمرة عشرة، وخلع على الشريف بكتمر بن علي الحسيني، واستقر في ولاية منفلوط، وعلى الأمير محمد بن بهادر، واستقر في ولاية البهنسي، وأنعم على الأمير طشتمر الصالحي بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير أحمد بن أرغون الأحمدي بإمرة عشرة.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرين جمادى الأولى: خلع على شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميري المالكي، واستقر في حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد ابن المفسر، فأمطرت ليلة الثلاثاء مطرا عظيما.

وفي يوم الأربعاء: وضع المحتسب الخبز على رؤوس عدة من الحمالين، وشق به القاهرة إلى القلعة وصنوج الخليلية تزفه، والطبول تضرب، ونودي عليه كل ثلاثة أرطال إلا ربع رطل بدرهم، وكان كل رطلين وثلث بدرهم، فسر الناس بذلك، إلا أن الخبز عز وجوده، وفقد من الأسواق خمسة أيام، والناس تتزاحم على أخذه من الأفران، واشتد شره النفوس، وكان يخامرها اليأس، فنودي بتكثير الخبز، وأن يباع بغير تسعير، فتزايدت الأسعار في ساير الغلال بعد تناقصها، حتى بلغ في أوائل جمادى الآخرة الأردب القمح بماية وعشرة دراهم، والأردب الشعير ستين درهما، والأردب الفول خمسة وخمسين درهما، والقدح الأرز بدرهمين، والقدح من العدس والحمص بدرهم وربع، وارتفع الزيت والشيرج، وأبيع الرطل من حب الرمان بعشرة دراهم ونصف، والرطل من لحم الضأن بدرهمين، ومن لحم البقر بدرهم وثلث، وقلت البهايم من الخيل والبغال والجمال والحمير والأبقار والأغنام لفنائها جوعا، وبيع الزوج الأوز بعشرين درهما، وكل دجاجة بأربعة دراهم.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعبر القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر للسرحة على العادة في كل سنة.

وفي نصف جمادى الآخر: هذا **ابتدأ الوباء في** الناس في القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع، فكنت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: لله، لبابة قدر شحمة أذني، أشمها وخذوها فلا يزال كذلك حتى يموت هذا، وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب، لشدة الغلاء، وعدم وجود ما يقتات به، وشح الأغنياء وقلت رحمتهم، ومع ذلك فلم يزداد أجر العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم من أرباب الصنايع شيئا، بل استقر على ما كانت عليه قبل الغلاء، فمن كان يكتسب في اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شيء، صار الدرهم لا يجدي شيئا، فمات ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء.." (١)

"وفي يوم الجمعة ثالث شهر رجب: عدى السلطان النيل من بر الجيزة، عائدا من السرحة، فزار الآثار النبوية، وصلى الجمعة بجامع عمرو بمدينة مصر، وركب إلى القلعة.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: قبض على الوزير الصاحب تاج الدين النشو المالكي، وخلع على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وأعيد إلى الوزارة، وتسلم المالكي، واستخلص منه، ثمانين ألف مثقال من الذهب، وهدم داره بمدينة مصر إلى الأرض، وأخرجه على حمار منفيا إلى الشام.

وفيه خلع على الأمير قرطاي الكركي، واستقر شاد العماير بإمرة عشرة، واستقر الأمير بكتمر العلمي في كشف الوجه البحري، عوضا عن قرطاي، واستقر محمد بن قرابغا الأناقي في نقابة الجيش، عوضا عن بكتمر، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفي كاشفا بالوجه القبلي من حدود الجيزة إلى أسوان.

وفي شهري رجب وشعبان: اشتد الغلاء، فبلغ الأردب القمح مابة وخمسة وعشرين درهما، والإردب الشعير تسعين درهما، والأردب الفول ثمانين درهما، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعري، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدي الناس، ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا.

وفي رابع عشرين شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم، فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف مابة فقير، وإلى من عدا أمراء الأولوف على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودي في القاهرة ومصر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٢٨٥

بألا يتصدق أحد على حرفوش، وأي حرفوش شحذ صلب، فآوى كل أحد فقراءه في مكان، وقام لهم من الغذاء بما يمد رمقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنعهم من التطواف لسؤال الناس، فخفت تلك الشناعات التي كانت بين الناس، إلا أن الموات عظم، حتى كان يموت في كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر، ويطلق من ديوان المواريث ما ينيف على مائتي نفس، وتزايد في شهر رمضان مرض الناس وموتهم، ونفدت الأقوات، واشتد الأمر، فبلغت عدة من يرد اسمه للديوان في كل يوم خمسمائة، وبلغت عدة الطرحاء زيادة على خمسمائة طريح، فقام بموارة الطرحاء الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أقبغا آص، والأمير سودن الشيخوني، وغيرهما، وكان من أتى بميت طريح أعطوه درهما، فأتاهم الناس بالأموات، فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم أحسن قيام، بعد ما شاهد الناس الكلاب تأكل الموتى من الطرحاء.

فلما فني معظم الفقراء، وخلت دور كثيرة خارج القاهرة ومصر لموت أهلها، فشمت الأمراض من أخريات شهر رمضان في الأغنياء، ووقع الموت فيهم، فازداد سعر الأدوية، وبلغ الفروج خمسة وأربعين درهما، ثم فقدت الفراريج حتى خرج البريد في الأعمال بطلبها للسلطان، وبلغت الحبة الواحدة من السفرجل خمسين درهما، والحبة من الرمان الحامض عشرة دراهم، والرمانة الواحدة من الحلو بستة عشر درهما، والبطيخة الواحدة من البطيخ الصيفي تسعين درهما، وكل رطل منه بثلاثة دراهم، واشتد الأمر في شوال إلى الغاية.

وفي خامس عشر شوال: قدمت أم سالم الدكري أمير التركمان بنواحي الأبلستين، ومعها أحمد بن همز التركماني أحد الأبطال، وكان قد أقام دهرا يقطع الطريق على قوافل العراق يأخذ أموالهم ويقتل رجالهم، وأعيا النواب بالممالك أمره، وهدروا دمه، فتشتت شمله، وضاقت عليه تلك البلاد، حتى اضطره الحال إلى الدخول في الطاعة، وقدم بأم سالم لتشفع فيه، فقبل السلطان شفاعتها، وأنعم عليه بإقطاع، وجعله من جملة من مقدمي المماليك، وأنعم على أم سالم وردها إلى بلادها مكرمة.

وفيه استقر الأمير أحمد الطرخاني في ولاية الأشمونين، عوضا عن الأمير شرف الدين يحيى بن قرمان.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه: استقر في قضاء الحنابلة بدمشق شمس الدين محمد بن تقي الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله المقدسي، المعروف بابن تقي المرداوي، عوضا عن علاء الدين علي بن محمد بن علي العسقلاني.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٦/٢

"وفي أول ذي القعدة: وصلت تراويج القمح الجديد، فانحل السعر، حتى أبيع الأردب بستين درهما بعد مائة وثلاثين، وأبيع الأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بدون العشرين درهما، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، ثم تناقصت الأسعار، واتفق أنه أبيع في بعض الأيام الأردب القمح بماية وعشرين درهما، ثم أبيع في أثناء النهار بتسعين، ثم أبيع بستين، ثم أبيع من آخر النهار بثلاثين درهما.

وفي الخميس ثالثه: أنعم على الأمير بيبغا السابقي الخاصكي بتقدمة ألف.

وفي تاسع عشره: سقط الطائر بالبشارة بفتح سيس بعث به الأمير بيدمر نائب الشام، ثم قدم من الغد البريد من النواب بذلك، فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام، وحمل إلى الأمير أشقتمر نائب حلب تشريف جليل، وذلك أنه توجه بعساكر حلب إليها فنازلها، وحصر التكفور متملكها مدة شهرين حتى طلب الأمان، من فناء أزودتهم، وعجزهم عن العسكر، فتسلم الأمير أشقتمر قلعتها، وأعلن في مدينة سيس بكلمة التوحيد، ورتب بها عسكرا، وأخذ التكفور وأمراءه، من أجناد وعاد إلى حلب، وجهزهم إلى القاهرة، فبعث السلطان الأمير يعقوب شاه لنيابة سيس، وأزال الله منها دولة الأرمن عباد الصليب، وقال الأدباء في ذلك شعرا كثيرا، ذكرنا بعضه في ترجمة الأمير أشقتمر من تاريخنا الكبير المقفا.

واستقر الأمير صرغتمش الخاصكي في نظر المارستان، بعد وفاة الأمير أيدمر الدوادار.

وفيه عين قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، لقضاء الحنفية بديار مصر، بعد وفاة صدر الدين محمد بن التركماني شرف الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد أبي العز الدمشقي، فسار البريد لإحضاره.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بحلب، حتى أبيع المكوك القمح بمائة وخمسين درهما، وأن الشيخ أويس بن الشيخ حسن متملك بغداد مات، واستقر في السلطنة بعده ابنه حسين بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن إيلكين.

واستقر في قضاء القضاة بحلب فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعي الشافعي، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري، واستقر سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هاني الأندلسي في قضاء المالكية بحلب، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجي الشاذلي، واستقر الطواشي ياقوت الشيخي زمام الدور في تقدمة المماليك، بعد وفاة الأمير سابق الدين مثقال الآنوكي، واستقر الطواشي سابق الدين مثقال الجمالي الساقي شاد الحوش زمام الدور، وخلع عليهما. واستقر الأمير منكلى بغا البلدي في نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير أقتمر عبد الغني، واستقر أقتمر عبد

الغني في نيابة صفد، وخرج البريد بإحضار يعقوب شاه نايب سيس، واستقر عوضه الأمير أقبغا عبد الله.
وفي آخره: فشت الأمراض في الناس بالطاعون، وقل وجود الأموات الطرحاء، وأبيع الأردب الشعير من عشرين درهما إلى ستة وعشرين درهما.
وفي رابع ذي الحجة: قطع الدميري المحتسب سعر الخبز ثمانية أرطال بدرهم، وقد كان خمسة أرطال وثلث بدرهم، فامتنع الطحانون أن يشتروا القمح إلا بثمانية عشر درهما، فأبي تجار الغلال الجلابة بيع القمح بهذا، وعادوا بمراكب الغلال من حيث أتوا، فعز وجود القمح وبلغ أربعة وثلاثين درهما الأردب، وتعذر وجود الخبز في الأسواق عدة أيام، وأبيع أقل من ستة أرطال بدرهم.
وفي يوم الإثنين خامسه: قدم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس، فخلع عليه واستقر في نيابة الإسكندرية، عوضا عن قطلوبغا الشعباني.
وفي يوم النحر: تناقص الوباء.
وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم الشيخ شرف الدين أحمد بن منصور الحنفي من دمشق، فنزل بمدرسة السلطان حسن. ثم استدعى في يوم الخميس خامس عشره إلى القلعة، فأجلس بباب القصر، ثم أمر أن يجلس على باب خزانة الخاص بجوار القصر، فجلس حتى خرج الأمراء من الخدمة بالقصر. وفيهم الأمير طشتمر الدوادار، فسلم عليه وسار به إلى منزله، وباسطه، وأطعمه معه من غذائه. وكان عنده الشيخ سراج الدين عمر البلقيني، والشيخ ضياء الدين القرم، فتجابذوا أطراف البحث في فنون العلم. ثم أمره الأمير طشتمر أن يستمر حيث نزل إلى أن يطلبه السلطان، فمضى وقد عاق القوم أمره.." (١)

"وفي خامس عشره: سافر الأمير أشقتمر على نيابة حلب بعد ما خلع عليه، وقدم صاحب سنجار بعد ما سلمها لنواب السلطان، فخلع عليه وأكرم، وخرج الأمير أرغون العثماني لإحضار الأمير بيدمر نائب الشام.
وفي خامس عشرينه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن علي بن الطواشي، واستقر في توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن القرشي بعد وفاته، وخلع على علم الدين يحيى كاتب الأمير شرف الدين موسى بن الديناري بعد ما أسلم، واستقر في نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن القرشي، وخلع على شمس الدين محمد الدميري المحتسب، واستقر في نظر الأحباس، عوضا عن القاضي القرشي.
وفي تاسع عشرينه: خلع على الأمير طيبغا الصفوي، وأستقر لالا إخوة السلطان، وعلى الأمير ناصر الدين

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٧/٢

محمد بن قرطاي الكركي، واستقر في ولاية قوص، عوضا عن ركن الدين عمر بن المعين.

وفي تاسع شهر رمضان: خلع على شرف الدين أحمد بن علي، ابن منصور، واستقر في قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين علي بن أبي العز، وسافر ابن أبي العز إلى دمشق، وخلع على مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم التركماني الحنفي، واستقر في قضاء العسكر، عوضا عن شرف الدين أحمد بن منصور.

وفي تاسع عشرينه: قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه هدية للسلطان لم يعهد مثلها للنائب قبله، منها مائتان وخمسون فرسا، وأهدى لجميع الأمراء والأعيان عدة هدايا، ونزل بالميدان الكبير على النيل، حتى سافر في ثالث عشر شوال بعد ما خلع عليه.

وفي ليلة السبت ثالث عشرينه: طلق السلطان نساءه الثلاث، وهن خوند صاحبة القاعة ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكزبغا، وابنة الأمير طغاى تمر النظامي.

وقدم ابن عرام نائب الإسكندرية باستدعاء، وقدم طيدمر البالسي من القدس باستدعاء، وظهر الصاحب كريم الدين شاكر بن غنام من اختفائه، فخلع عليه، واستقر في نظر البيوت.

وفي يوم الأحد ثاني عشرين ذي القعدة: عزل الملكي من الوزارة، وخلع من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه على أمين الدين أمين، واستقر في نظر الدولة، بغير وزير، فانفرد الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقسي ناظر الخاص بالتدبير، وخلع عليه، واستقر مشير الدولة، وخلع على أمين الدين جعيص، واستقر مستوفي الدولة.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وأن الغرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم، وأبيع الخبز بحلب كل رطل حلبي بستة دراهم، والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، **وعم الغلاء ببلاد** الشام كلها، حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها.

وفيه استناب قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، صهره سرى الدين محمد ابن قاضي المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المسلاتي في الحكم بالقاهرة، بعد ما انتقل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعي، واستقر البرهان أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي، في قضاء المالكية بحلب، عوضا عن ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن سرى الدين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هاني الأندلسي، واستقر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مزهر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فضل الله بعد وفاته.

وكان أمير الحاج في هذه السنة الأمير بوري الخاصكي، فخرج على الحاج بطريق المدينة النبوية قطاع الطريق، وقتلوا منهم طائفة.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الهذباني الأخناي المالكي، في ليلة الثلاثاء ثاني شهر رجب، وكانت مدة ولايته قضاء خمس عشرة سنة.

وتوفي ناظر بيت المال برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين الحلى، في يوم الأربعاء خامس المحرم.

وتوفي الفقير المجذوب المعتمد أحمد بن عبد الله، ويسمى مسعود، بخط المريس فيما بين القاهرة ومصر، يوم الخميس تاسع شهر رمضان، كان أسود اللون، ويؤثر عنه كرامات، وربما غاب عقله مدة ثم حضر.

وتوفي كاتب السر بدمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمري، وقد أناف على الثلاثين.

ومات الأمير أرغون المحمدي الآنوكي، أحد الطبلخاناه.." (١)

"وفي يوم الخميس سادسه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، و لم يعهد دورانه فيما سلف قبل النصف من رجب، وكان الناس في شغل عنه بكثرة الأمراض، وفيه رسم السلطان بتجهيزه للسفر إلى الحجاز، فبينما هم في عمل أهبة السفر إذ مرض السلطان مرضا شديدا حتى أرجف. بموته غير مرة ونكس عدة نكسات، اتهم فيها أطباؤه بموافقتهم بعض الأمراء على هلاكه، فقام بعلاجه شيخنا زكى الدين أبو البركات محمد الفقيه لمالكي، وشيخنا جلال الدين جار الله، وهو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ قطب الدين أبى عبد الله محمد بن شرف الدين أبى البقاء محمود النيسابوري الحنفي، حتى تم برؤه.وفي أثناء ذلك ألزم بعض أمراء الدولة قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحنفي أن يحكم له باستبدال بعض الدور الموقوفة. بملك أحسن منه، على مقتضى مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وكان الاستبدال بالأوقاف حينئذ غير معمول به في مصر والشام، يتركه قضاة الحنفية تنزها وتحرجا، لما فيه من الخلاف، فامتنع ابن منصور من الاستبدال للأمير، فلما ألح عليه في ذلك عزل نفسه في يوم الأحد تاسعه، فتحدث لجار الله بعض من يعنى به مع السلطان في ولاية القضاء، وهو إذ ذاك مقيم عند السلطان ليعالج مرضه، فأجاب إلى ولايته، وخلع عليه في يوم الثلاثاء خامس عشرينه، واستقر عوضا عن شرف الدين بن منصور.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٩٢/٢

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه: عوفي السلطان من مرضه وعبر الحمام، وصلى بجامع القلعة على العادة، فدقت البشائر ثلاثة أيام، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فزينتا زينة عظيمة، ونثر على السلطان لما خرج إلى الجمعة ذهب كثير، فانتكس بعد يومين.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان: أخرج السلطان إخوته وبنى أعمامه ذرية قلاوون بأجمعهم، ومعهم حرمهم إلى مدينة الكرك، وكان الوقت شتاء باردا، فتألم الناس لذلك، وسار بهم الأمير سودن الشيخوني، هذا والسلطان مريض وحركة السفر مستمرة.

وفي سادس عشرينه: أنعم على كل من الأمير يلبغا المنجكي والأمير مغلطاي البدري بإمرة طبلخاناة، وعلى كل من قطلوبغا البزلارى وطشتمر المحمدي اللفاف وألطنبغا العلائي بإمرة عشرة.

وفي سابع عشرينه: خلع على الطواشي ظهير الدين مختار الحسامي، واستقر منهم المماليك، عوضا عن مختار شاذروان بعد موته، وأنعم على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى بإمرة طبلخاناة، واستقر أستادارا ثانيا.

وفي يوم الخميس حادي عشر شهر رمضان:عزل الأمير أقتمر الحنبلي من نيابة السلطنة، واستقر أميرا كبيرا يجلس بالإيوان وقت الخدمة، وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى، واستقر حاجب الحجاب، وأبطلت النيابة، وخلع على الأمير بلوط الصرغتمشى أمير مشوى، واستقر شاد الشرابخاناة، وأنعم على الأمير علم دار بتقدمة ألف، وقد قدم من دمشق باستدعاء.

وفي ليلة الإثنين خامس عشره: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التي يعمرها تحت القلعة، فتلف بها ماشاء الله من آلات العمارة، وتفاءل الناس بذلك على السلطان، وكان كذلك وقتل كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، ثم تعطلت سنين، إلى أن خربها كلها الناصر فرج بن برقوق، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر: ارتفع الوباء، وعوفي السلطان وركب إلى السرحة بالجيزة وعاد إلى قلعة الجبل، وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج، وخرجت الإقامات من الشعير والدقيق والبشماط لتوضع في المنازل بطريق مكة.." (١)

"وفيه خلع على جمال الدين محمود القيصري العجمي، خطيب مدرسة ألحاي واستقر في حسبة القاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى فسخر العامة منه واستهزءوا به، لعهدهم به أمس – وهو

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٩٦/٢

من فقراء العجم، يجلس تجاه باب المارستان بالقاهرة، ويبيع التمر – فلم يجد له بيتا ينزل فيه، حتى نزل في بيت تاج الدين أحمد بن علي بن الظريف، إلى أن وجد دارا سكنها.

وفي يوم السبت رابع عشرينه: أفرج عن الصاحب شمس الدين المقسي ناظر الخاص، بعد ما حمل مالا عظيما، وخلع عليه، واستقر في نظر الخاص ووكالة الخاص، على عادته.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفي، ومن رافقهما من الحجاج، بعد ما زاروا بيت المقدس، وعافاهم الله مما ابتلى به وقدم من العقبة من النهب والخوف الشديد والشنعة القبيحة، فعد هذا من سعادة قاضي القضاة برهان الدين.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه: خلع على علم الدين سليمان بن خالد بن نعيم البساطي – أحد نواب الحكم – واستقر قاضي القضاة المالكية، عوضا عن بدر الدين عبد الوهاب الأخناى، بواسطة برهان الدين إبراهيم بن اللبان له، الأمير قرطاي. وكان إبراهيم هذا أبوه لبانا، يبيع اللبن خارج القاهرة، فنشأ في صغره مع الفقهاء المالكية، وتفقه على مذهب مالك، وخدم الأتراك، ومنهم قرطاي، فلما صار قرطاي من الأمراء في هذه النوبة، جعل إبراهيم شاهد ديوانه، ومن جملة موقعي الدست، فهرع الناس لبابه في طلب شفاعاته لهم، وتحدث للبساطي في ولاية القضاء مع مخدومه الأمير قرطاي وكان الوقت قابلا، فولاه وظيفة القضاء، فاستناب عنه في الحكم ابن اللبان، وقدم جماعة من المالكية كانوا في الأعين محتقرين وعند الناس غير وجيهين، ولا معتبرين فناسب الحال في الدولة.

وفي هذا الشهر: استقر في سلطنة ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى بن المظفر فخر الدين داود بن الصالح صالح بن منصور غازي بن المظفر قرا أرسلان بن أرتق أرسلان بن إيلغازي بن ألبى بن تمر تاش بن إبلغازي بن أرتق الأرتقى، بعد موت أبيه، وكتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فأجيب بتعزيته وتهنأته.وولي الأمير أرغون الأسعردي نيابة طرابلس عوضا عن منكلي بغا البلدي الأحمدي. واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاجي قاضي المالكية بحلب في قضاء المالكية بدمشق،عوضا عن زين الدين أبي بكر المازوني. واستقر جلال الدين أبو المعالي محمد بن قاضي القضاة نجم الدين محمد بن فخر الدين عثمان الزرعي، في قضاء القضاة الشافعية بحلب بعد وفاة ابن عمه فخر الدين عثمان الزرعي، واستقر محب الدين أبو المعالي محمد بن الشيخ كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشحنة في قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن الجمال إبراهيم بن العديم، ثم عزل

بعد قليل، وأعيد ابن العديم، واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر الحنفي. وولى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس مملكة اليمن بعد وفاة أبيه.وفيه كانت النفقة في المماليك، وعدتهم ثلاثة آلاف، لكل واحد خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم فضة، حسابا عن كل دينار عشرون درهما، ومبلغ ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، صودر فيها عامة كتاب الدولة، وأعيان الطواشية، وطرح فيها عدة بضائع من أصناف الخاص على التجار، وألزموا بحمل أثمانها، فنالهم بسبب ذلك عناء شديد، ولم يسمع. بمثل هذه النفقة في الدولة التركية.

وفي يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة: خلع علي تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش واستقر في الجيش بعد وفاة أبيه.

وفي آخره: توجه قاضي القضاة شرف الديِن محمد بن منصور الحنفي من القاهرة، عائدا إلى مدينة دمشق، وهو متضعف منذ رغب عن منصب القضاء.

وفي هذه السنة: **ابتدأ الوباء من** ذي القعدة، فمات جماعة كثيرة بالطاعون، وخرجت السنة والوباء شديد. ومات في هذه السنة من الأعيان." (١)

"أهلت والأمراض في الناس فاشية، **فتزايد الوباء في** هذا الشهر، ومات جماعة من الناس بالطاعون.

وفي خامس المحرم: خلع علي الأمير شهاب الدين قرطاي، واستقر أتابك العساكر. وخلع على الأمير زين الدين مبارك الطازي، واستقر رأس نوبة كبيرا، وخلع على الأمير سودن جركس، واستقر أستادار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرابغا الأناقي، أحد العشرات، واستقر في ولاية مصر، وأفرج عن الأمير قطلو أقتمر الطويل العلاي، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وقبض علي الأمير طولوا الصرغتمشى بقطيا وقد عاد من الشام، لما كان من ظلمه وعسفه.

وفي تاسعه: وصل أولاد قلاوون من الكرك وهم الملك المنصور محمد بن حاجي ابن محمد بن قلاوون، وأولاد الناصر حسن وهم أحمد وقاسم وعلي واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد، وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون، وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم بن أمير علي بن يوسف، فأدخلوا بحريمهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلا، وأنزلوا بدورهم منها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٠٥/٢

وفي عاشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد آقبغا آص، فأمر أن يقيم بداره.
وفي تاسع عشره: خلع على الأمير الكبير قرطاي، واستقر في نظر المارستان. ونزل إليه بتشريفة، فنظر في أحوال المرضى وغيرهم على العادة، ثم عاد إلى منزله.
وفيه قبض على الأمير يلبغا النظامي – أحد الأمراء الآلوف – وعلى أستبغا النظامي، أحد أمراء الطبلخاناه.
وفي عشرينه: خلع على الأمير سودن الشيخوني، وعلى الأمير بلوط الصرغتمشى، واستقرا حاجبين، يحكمان بين الناس.
وفي رابع عشرينه: عزل الأمير منكلي بغا البلدي من نيابة طرابلس، والأمير تمرباى من نيابة صفد.وفيه قدم محمل الحاج صحبة الأمير بهادر الجمالي، وقدم الخبر بأن أهل البحيرة قد عصوا، وفي أخره خلع على الأمير عز الدين أينبك البدري، واستقر ناظر المارستان، عوضا عن الأمير الكبير قرطاي.
وفي خامس صفر: قدم البريد بسيف منكلي بغا البلدي من طرابلس وأنه سجن بالكرك.
وفي تاسعه: قدم الأمير. يلبغا الناصري من الشام باستدعاء، بعد ما نفي إليها، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.." (١)

"وفي يوم الأحد رابعه: قدم صدر الدين محمد بن علي بن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، ونزل بصهريج منجك تحت القلعة وأتاه الناس على اختلاف طبقاتهم للسلام عليه ثم طلب في يوم الخميس ثامنه بعد العصر. إلى بين يدي السلطان، فخلع عليه واستقر قاضي القضاة الحنفية، عوضا عن جلال الدين جار الله بعد وفاته. ونزل ومعه قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، والأمير قرابغا الحاجب.
وفي عاشره: خلع على أحمد بن سنقر البريدي. واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن بيرم. وخلع على فرج بن أيدمر المرزوق واستقر في ولاية أشموم الرمان.
وفي تاسع عشره: كتب مرسوم سلطاني ثان يستقر لكل من القضاة الأربع أربعة نواب. فاستقر لقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعي أربعة نواب بالقاهرة، وهم: جمال الدين محمد بن محمد الخطيب الأسناي. وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي وصدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين. وسرى الدين محمد بن المسلاتي. واستقر فخر الدين محمد بن محمد القاياتي نائبه بمصر. واستقر لقاضي القضاة صدر الدين محمد بن منصور الحنفي أربعة نواب، وهم: مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم. وشمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي. وشهاب الدين أحمد الشنشي. وجمال الدين محمود

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٠٨/٢

المحتسب. واستقر لقاضي القضاة علم الدين سليمان اليساطي المالكي أربعة نواب. وهم: جمال الدين عبد الله بن عمر الفيشي، وتاج الدين بهرام، وشهاب الدين أحمد الدفري، وعبيد البشكالسي. و لم يستنب قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلي عنه أحدا. فاستراح الناس من نواب المجالس ؛ وهم قوم يتكسبون من الحكم بين الناس، ويجلسون لذلك في مجالس من الجوامع أو المدارس أو حوانيت الشهود، ويقاسمون الشهود فيما يتكسبونه من تحملهم الشهادات للناس وعليهم، فبطل ذلك بسفارة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم " بن جماعة، و لله الحمد.

وفي رابع عشرينه: خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين – موقع الأمير الكبير – كاملية حرير أخضر كمخا سكندري بفرو قاقم ولم يعهد قبله متعمم يلبس مثل ذلك.

وفي ثالث شوال: أخرج الأمير طغاي تمر القبلاوي منفيا إلى طرابلس.

وفي رابعه خلع على عبيد بن البازدار، واستقر مقدم الدولة. وخلع على قطلوبغا الأسن قجاوي أبو درقة، واستقر في ولاية قوص. وخلع على الأمير قرط بن عمر التركماني، واستقر نائب البحيرة والوه البحري. عوضا عن الشريف بكتمر، وأنعم عليه بعدد حربية، وأسلحة كثيرة، سومال جزيل، فأكثر من استخدام التراكمين، وسارقي عسكر كثير، فاستعد بدر بن سلام للقائه، وجمع له جمعا موفورا، فعرج قرط عن الطريق، حتى قارب دمنهور، فلقيه بدر وقاتله أشد قتال حتى احتاج إلى طلب نجدة من القاهرة.

وفي سادس عشرينه: خلع أقمغا المارديني، واستقر نائب الوجه القبلي، بعد موت الركن.

وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص منفيا إلى الشام، وخلع على الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسي، وأعيد إلى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، عوضا عن شمس الدين محمد بن أخي الجار.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بالإسكندرية**، فمات في كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا، وتمادى إلى أثناء ذي الحجة.

وفي يوم الثلاثاء أول ذي الحجة: خلع على شمس الدين محمد الدميري المحتسب، وأعيد إلى نظر الأحباس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الأسناى، واستقر كمال الدين المعري في قضاء الشافعية بحلب. عوضا عن الجمال الزرعي بعد وفاته.

وفي ثالثه خلع على سعد الدين نصر الله بن البقري. واستقر في نظر الدخيرة، ونظر خاص الخاص،.

وأضيفت إليه الإسكندرية والكارم، والأملاك والمستأجرات. وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان، واستقر أستادار الدخيرة، رفيقا لابن البقري.." (١)

"شرف الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين أبي الحسن علي ابن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، قاضي القضاة بديار مصر، بعد ما عزل نفسه، وأقام بدمشق، في ليلة الإثنين عشرين شعبان.

وتوفي الشريف شرف الدين عاصم بن محمد الحسني نقيب الأشراف، في عاشر المحرم.

وتوفي الشيخ عباس بن حسن التميمي الشافعي، المقرئ، خطيب جامع أصلم خارج القاهرة، في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة. تصدى لتدريس الفقه وإقراء القراءات عدة سنين.

وتوفي نور الدين علي عبد الصمد الجلاوي - بالجيم - أحد فقهاء المالكية، في رابع عشرين ذي الحجة.

ومات الأمير منكلي بغا الأحمدي، الشهير بالبلدي، نائب حلب، وقد تجاوز نحو أربعين سنة.

ومات الركن عمر نائب الوجه القبلي.

ومات الأمير فطلوبغا البزلاري، أحد العشرات.

وتوفي قاضي الفضاة جلال الدين أبو عبد الله ويعرف بجار الله، بن قطب الدين محمد بن محمود النيسابوري، الحنفي،يوم الإثنين رابع عشر شهر رحب.

وتوفي قاضي القضاة بحلب جلال الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن عثمان بن أحمد ابن عمرو بن محمد الزرعي الشافعي، قاضي حلب.

وتوفي الفقير المعتقد زين الدين محمد بن المواز، في ثاني عشرين ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفي شمس الدين محمد الحكري في ذي الحجة، بالرملة وكان فقيها شافعيا، عارفا بالقراءات. قرأ على البرهان الحكري، ناب في الحكم ثم ولي قضاء القدس وصيدا بيروت.

توفي الوزير الصاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكي الأسلمي، تحت العقوبة، مستهل شهر جمادى الآخرة.

وتوفي أحد فقهاء الشافعية بدمشق، شمس الدين محمد بن نجم الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي الدمشقي، المعروف بابن قاضي شهبة. في ثامن المحرم،. ومولده في يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، بدمشق.

وتوفي أبو محمد حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي الحسباني، الشافعي، بدمشق، في ليلة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤١/٢

الأربعاء سابع عشر صفر، وقد صار من أعيان فقهائها، مع اقتصاد وانجماع.

ومات قتيلا الأمير صلاح الدين خليل بن علي بن أحمد بن عرام في رابع عشرين شهر رجب.

سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

في يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة، نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام، قد فروا يريدون النجاة، فوسطوا، وأخذت مواشيهم.

وفيه **ابتدأ الوباء بالطاعون** في الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت في اليوم ثلاثمائة ميت.

وفي خامسه: خلع على قاضي القضاة بدمشق ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء، باستقراره على عادته. وخلع على قاضي القضاة بحلب كمال الدين المعري باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما في عاشره: ابتدأ الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد، وإلزام من عبرة إقطاعه ستمائة دينار، بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه.

وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أيتمش، راغبين في الطاعة، ومعهم نحو ستمائة فارس، وعدة رجالة.

قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام، من الأمير بلوط أن يسأل له في الأمان، فلم يجبه الأمير الكبير برقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا إلى الأمير أيتمش، فقبض عليهم، وقتل أكابرهم.

في تاسع عشره: قدم الأمير قطلوبغا الكوكاي، ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة، فعفي الأمير الكبير عنهم.

وفي خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية ثم أحد أجناد الحلقة، واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن قرطاي الكركي وفي هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف.بموته، ثم عوفي.

وفي يوم الأحد ثاني صفر: قدم الأمير أيتمش. بمن معه من تجريدة البحيرة، وقد فر بدر سلام إلى جهة برقة وبعث الأمير قرط برجال كثير قد قبض عليهم، وبعدة من رءوس قتلاهم، فعلقت على باب زويلة.ونزل قرط دمنهور، وبنى عليها سورا،أخذ في عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.

وفي تاسعه خلع على آلطنبغا الصلاحي، واستقر في ولاية الأشمونين، عوضا عن محمد بن العادلي.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٣/٢

"وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجاب، وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفي ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة، فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة، بتوحيد الله معترفة، فامتلأت منهم الغيطان والبلدان، ونهب بعضهم العربان، وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان، فباعوا الغالي بالرخيص، وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص، ولا أمكنهم ترك القوت **لزيادة الغلاء ولا** رجعوا إلى قول الشاعر في بيته السائر بين الملأ وهو:

وإذا غلا شيء على تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

ثم إنه لما **حصل الغلاء بين** أهل الإسكندرية، الذين فروا من الملة النصرانية، ومنهم من باع ما عليه من فوطة وفاضل قميص، ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص، وذلك لخروجهم من بلدهم سرعة، وليسمع بعضهم درهم ولا قطعة، بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب، كسرتها ورتعت فيها الإفرنج الكلاب، فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحمير والأيانق، ثم قتلوا من اختفي عند مصادفتها له من كبير وصغير، وعرقبوا المواشي، فمنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات، وأفسدوا النسوان والبنات، وكسر كل علج مارد قناديل الجوامع والمساجد، وعلقوا على السور أعلام الصلبان، وأسروا الرجال والنساء والولدن، وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى المجانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس في خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج. بمن كان معه، ومنهم من ضاع ما معه في تلك الزحمة المفظعة ومنهم من ضاع ماله الذي خرج به بين الأبواب، وصار من ضياعه في حسرة واكتئاب، قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار، فمن قوة الزحمة في الباب سقط من بين يديه، بعد أن كان قابضا عليه، فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض، بل رفعه من كان خلفه، فخرج صحيح البدن من الباب، مجروح القلب من ضياع الجراب، فتفتت أكباده، وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده، وزال عنه عقله ورشاده، وصار يستغيث فلا يغاث، ونحل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات، ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس، لما أحاطت به العكوس والنحوس، فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب، فأنشد من لوعة الاكتئاب:

إذا كنت ألقى البؤس عند أحبتي ... ترى عند أعدائي يكون دوائي

ثم إن الفرنج فعلوا بالإسكندرية ما تقدم ذكره من نهب بعد كسر وقتل وإحراق، من عصر يوم الجمعة إلى أخر يوم السبت ثانيه. وكان مما أحرقوه حوانيت الحرف بكمالها، وسوق القشاشين بالمعاريج، والحوانيت

الملاصقة لقيسارية الأعاجم من خارجها من الجهة الشرقية، وحوانيت شارع المرجانيين وبعض فنادقه، وفندق الطبيبة مع فندق الجوكندار. وفندق الدماميني الذي يسوق الجوار، ووكالة الكتان المقابلة لجامع الجيوشي بالقرب من العطارين مع سوق الخشابين. وأحرقوا أيضا درابزي مدرسة ابن حباشة مع سقف الإيوان، وعبثوا بكل ناحية ومكان، وأحرقوا باب مدرسة الفخر القريبة من باب رشيد، وعبث بإحراق بعض حوانيت المحجة كل علج مريد. ذكر لي شيخ يسكن بالحجة قال: "كنت مختفيا بأعلى داري في مكان أنظر من كوة صغيرة، فرأيت الفرنج يأتون إلى الحانوت المغلق الباب، فيمد أحدهم على بابه خطة سوداء، ويخط من فوقها خطة حمراء، ويلقم الخط النار فيلتهب الباب بسرعة " قيل إن الفرنج يستصحبون معهم حلق الحراقات المغموسة بالزيت والقطران والزفت والنفط، فيضع أحدهم الحلقة الواحدة في نصل السهم الموضوع على متن قوس الركاب، ويلقم الحلقة النار، ويفك الوتر من الحوزة، فيخرج السهم صاعدا إلى السقف يوكز فيه، فليتهب الخشب بسرعة، فينزل إلى الأرض يحرق كل ما في البيت، مما ليس تحملهم به حاجة. يفعلون ذلك نكاية للمسلمين. لعنة الله على الفرنج أجمعين.." (١)

"أقيم في السلطنة ثاني يوم مات أخوه المنصور وقد اجتمع الأمير الكبير برقوق والأمراء بالقلعة في يوم الإثنين رابع عشرينه، واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان، وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجي، فوقع الاختيار على حاجي - فإنه أكبرهم - فحلفوا له، وبايعه الخليفة. ثم أركب من باب الستارة بشعار السلطنة، والأمراء في ركابه مشاه، حتى صعد الإيوان فأجلس على تخت الملك، ولقب بالملك الصالح، ومد السماط بين يديه، ثم عبروا به إلى القصر، فأجلس به، وخلع على الخليفة، ونودي في القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أجلس السلطان بدار العدل، وعملت الخدمة على العادة، فلما دخل إلى القصر بعد الخدمة، حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم، وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، وكتب عليه الخليفة خطه، وشهد فيه القضاة عليه، ثم خلع على القضاة وكاتب السر والوزير وفيه خلع الوزير على يوسف بن المقدم محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن أحمد العظمة، باستعفائه.

وفي ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: مات المقدم سيف تحت العقوبة، ولم يخلف بعده في معناه مثله، سعة مال وكثرة أفضال، وفي هذا الشهر : كثر الوباء بالقاهرة ومصر.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول: خلع على تاج الدين بن وزير بيته مستوفي الخاص، واستقر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥٠/٢

في نظر الإسكندرية، عوضا عن مجد الدين بن البرهان. واستقر علم الدين ودينات في استيفاء الخاص.
وخلع على ناصر الدين أحمد بن محمد ابن محمد التنسي وأعيد إلى قضاء الإسكندرية، عوضا عن تاج الدين بن الربعي..
وخلع على جلال الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق، واستقر في مشيخة خانكاه سرياقوس ، عوضا عن والده، ونعت بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ.
وفي تاسع عشره: ركب الأمير يونس – دوادار الأمير الكبير – البريد إلى حلب، لكشف أحوال التركمان – وقد ورد خير خروجهم عن الطاعة – وتجهيز عساكر الشام لقتالهم.
وفي سادس عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وثماني أصابع.
وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير تغري برمش من الشام باستدعاء.
وفي تاسع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدي،. بمال.
وفي آخر هذا الشهر ارتفع الوباء، وأكثر من مات فيه الأطفال.
وفي يوم الخميس: ثالث شهر ربيع الآخر، أنعم على الأمير تغري برمش بتقدمة ألف، عوضا عن أمير علي بن قشتمر بعد وفاته.
وفيه نودي بسفر الحجاج الرجبية، فسر الناس ذلك، وكتب بولاية علم الدين أبي عبد الله بن ناصر الدين محمد القفصي، قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان الصنهاجي.
وفي سابع عشرينه: وصلت خيمة جليلة من الشام، عملت للأمير الكبير، تحمل على مائة وثمانين جملا، فضربت بالميدان الكبير.
وفي حادي عشرينه : أنعم على الأمير سودن الشيخوني بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر حاجبا ثانيا.
وفي ثاني عشرينه: ركب الأمير الكبير لرؤية الخيمة بالميدان. ومد للأمراء سماطا جليلا. ومد بعده سماط حلوى، ثم سماط فاكهة، فكان يوما مذكورا خرج الناس لمشاهدة ذلك، فكان جمعا كبيرا.
وفي ثامن عشرينه: خلع على علي القرمي، واستقر في ولاية الشرقية، عوضا عن مبارك شاه. وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى، واستقر حاجبا رابعا.
وهذا أيضا مما تجدد، وكانت العادة أولا أن يكون حاجب واحد، ثم استقر حاجب الحجاب، وحاجب ثاني، ثم زيد بعد ذلك في الأيام الأشرفية حاجب ثالث.

وفي أول جمادى الأولى ذكر بعض العجم للأمير الكبير أن النيل لا يزيد في هذه السنة شيئا، وأرجف بذلك، فزاد في هذا اليوم خمس عشرة أصبعا، وفي غده ست عشرة أصبعا، فضربه الأمير الكبير وشهره..
وفي يوم السبت حادي عشره: - وعاشر مسرى - وفي النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير الكبير حتى خلق المقياس، وفتح الخليج من يومه.
وفيه قطعت أخبار الطواشين: شاهين دست، وشاهين الجلالي، وأمرا بلزوم بيتهما.
وفيه هبت ريح شديدة بدمشق، اقتلعت أشجارا كثيرة بعروشها، واستمرت عدة أيام، فهال الناس أمرها." (١)

"وفي هذه الأيام: اتفقت حادثة مستغربة، وهي أن بعض تجار قيسارية جهاركس - يعرف بابن القماح - أخلى حماما بالقرب منها في ليلة الجمعة خامسه، وأطمع صدقه - حارس القيسارية - بأن في البئر التي بها كنزا، ففتح له القيسارية ليستخرج الكنز من البئر. فلما صار بها هو وولده والحارس أوهمه أنه يحتاج إلى قراءة عزيمة ، وإلى تبخير البئر، حتى يتيسر أخذ الكنز بإبطال موانعه، وأمره أن ينصرف عنه - هو والولد - إلى الحمام ة ليخلو.بما ذكر. وترك عنده رجلا في صورة أنه يعينه على ذلك، وكان صانع أقفال، فمضى الحارس وولد ابن القماح " فأخذ ابن القماح " ، في فتح ما على حوانيت القيسارية من الأقفال الحديدية بيد ذلك الرجل، حتى فتحها كلها، وأخذ منها ما يزيد قيمته على عشرة آلاف دينار، وهرب في الليل هو وأهله. فأصبح الناس بالقيسارية وهي مفتحة الحوانيت، فارتجت القاهرة بأهلها، وحضر والي القاهرة، واجتمع التجار وغيرهم بها. فقالت امرأة ممن يسكن بالربع علو القيسارية: " قد رأينا البارحة ليلا ابن القماح هنا،، فأخذ الوالي في طلبه فلم يقدر عليه، ولا على صدقة الحارس. ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتد حنقه على والي القاهرة، وألزمه بإخراج السارق. فبينا هو في الفحص عن ابن القماح، إذ دله شخص على موضعه، فركب إليه في يوم الإثنين ثامنه، وأحاط بالبيت الذي هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة، فانكسرت يده، وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وعلى الأقفالي الذي فتح له الحوانيت. فوجد القماش الذي أخذ،، والمال بعينه، لم يفقد منه شيء، فحمل ذلك على عدة حمالين، وسار بهم والمغاني تزفهم، حتى طلع إلى الأمير الكبير. فأقر ابن القماح. بما تقدم ذكره، فأمر الوالي بعقوبة الجميع. فنزل بهم في الحديد والعملة من ورائهم على رءوس الحمالين، والمغاني تزفهم في شارع القاهرة، فكان يوما مشهودا. ثم أخذ التجار مالهم بتمامه وكماله. وظفر أيضا الوالي بصدقة الحارس، فما زال هو والأقفالي تحت العقوبة حتى هلكا. وضرب ابن القماح وولده مرارا، وسجن في خزانة شمايل، فإنه لم يجب

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥٣/٢

عليه القطع شرعا. لأنه كان يقول عن الأقفال هذا ناولني المتاع من الحوانيت. فأقام عدة سنين في السجن ثم أخرج واتضع حاله حتى مات.

في سابع عشره: قدم الأمير كمشبغا الحموي نائب طرابلس باستدعاء، فأكرم غاية الإكرام، وحمل إليه الأمراء تقادم كبيرة جدا. وفي هذا الواقعة، ألزم والي القاهرة عريف قيسارية جهاركس ألا يسكن بها تاجرا حتى يضمن عليه، وصار يتهدد التجار بفعلة ابن القماح، فتحدث الناس في القاهرة بهذه الواقعة أعواما كثيرة. وقدم البريد **بوقوع الوباء بصفد**.

وجاءت الأخبار بغلاء الأسعار. بمكة، فلما قدمها الرجبية انحلت قليلا، حتى أبيعت الويبة الدقيق درهما، والويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين " درهما " ،، مع غلاء كل ما يؤكل، وبلغت الغرارة بالمدينة النبوية أربعمائة درهم. فلما قدم الحاج في الموسم، ارتفعت الأسعار، وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين درهما وما فوقها، والويبة الشعير إلى أربعين درهما، وعظمت المشقة في الرجعة إلى القاهرة من غلاء الأسعار.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم بن حسن بن الناصر محمد بن قلاون، في عاشر جمادى الآخرة.

وتوفي مفتى دار العدل، ركن الدين أحمد بن محمد، المعروف بقاضي قرم الحنفي، في عاشر رجب.

وتوفي فقيه حلب، شهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف الأذرعي الشافعي، في خامس عشرين جمادى الآخرة، بحلب. ومولده سنة تسع وسبعمائة، وله مصنفات في الفقه.

وتوفي شيخ الشيوخ، نظام الدين إسحاق بن عاصم بن سعد الدين محمد بن الأصفهاني شيخ خانكاة سرياقوس في ليلة الأحد ثالث ربيع الآخر. ودفن. بمدرسته فوق الشرف، بجوار الضيافة رحمه الله تعالى.

وتوفي عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين أبي البركات محمد بن أبي العز بن صالح الدمشقي الحنفي، بدمشق، وقد أناف على التسعين. ومات أمير أحمد بن الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاون، في سادس صفر.

ومات الأمير أقتمر عبد الغني، نائب طرابلس، ونائب الشام ونائب السلطان بديار مصر، وأمير كبير، في تاسع عشرين جمادى الآخرة.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥٩/٢

"ومات الأمير آنص – والد الأمير الكبير برقوق – في يوم السبت ثامن عشر شوال. ومات الأمير أيدمر الشمسي، أحد أمراء الألوف، في ثالث عشر صفر. ومات الأمير آلان الشعباني، أمير سلاح، في ثامن عشر ربيع الآخر.

ومات الحاج سيف بن علي مقدم الدولة، تحت العقوبة، في ليلة الأحد ثالث عشرين صفر، ولم يخلف في معناه مثله.

ومات الأمير طشتمر الشعباني اليلبغاوي، نائب حماة في رجب، بعين تاب. صحبة العسكر.

وتوفي الشيخ المسند جمال الدين عبد الله محمد بن علي بن حديدة الأنصاري في خامس عشرين شعبان. ومولده سنة عشر وسبعمائة.

وتوفي جمال الدين عبد الله بن الرقيق الأسملمي، أحد أعيان الكتاب، في ثالث عشر صفر.

وتوفي قاضي قضاة حلب، كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري الشافعي،في شهر رجب بحلب.

ومات خواجا فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأمير الكبير برقوق.

وإليه ينسب فيقال برقوق العثماني، في سادس عشر رجب بالقاهرة، وشهد الأمير الكبير جنازته.

وتوفي الفقير المعتقد، أبو لحاف علي الشامي بالقاهرة، في خامس صفر.

وتوفي نور الدين علي بن قشتمر المنصوري الشافعي في ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات أمير على بن قشتمر الحاجب، أحد أمراء الألوف، الشهير بالوزير، في تاسع عشرين ربيع الآخر. كان يشارك في عدة علوم مشاركة جيدة، وسيرة جميلة.

ومات غلام الله مهتار الطشت خاناه ؛ في ثالث عشرين ربيع الآخره وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن الكومي الشافعي، الأعمى، في تاسع عشرين ربيع الأول.

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن السيوري العماري ، نسبة إلى عمار بن ياسر – رضى الله عنه – الموصلي، إمام أهل الموسيقا في زمنه، يوم العشرين من صفر.

وتوفيت المسندة جويرة بنت الشهاب أبي الحسن أحمد بن أحمد الهكاري، في يوم السبت ثاني عشرين صفر. وقد انفردت برواية النسائي وغيره.

والله تعالى أعلم بالصواب.

سنه أربع وثمانين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الثلاثاء: فيه خلع على الأمير مبارك شاه السيفي، واستقر والي الفيوم، وكاشف الفيوم،

وكاشف البهنساوية والأطفيحية عوضا عن أسنبغا المنجكي.

وفي ثالثه: خلع على الأمير سودن الشيخوني، واستقر حاجب الحجاب على إقطاع تغري برمش. وخلع على الأمير كمشبغا الحموي اليلبغاوي – نائب طرابلس – خلعة الاستمرار على عادته. وخلع على فرج بن أيدمر السيفي، واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن سنقر. وخلع على ألطنبغا الصلاحي واستقر في ولاية الأشمونين، عوضا عن مبارك شاة السيفي.

وأنعم بإقطاع الأمير سودن الشيخوني، على الأمير أيدكار واستقر حاجبا ثالثا.

وفي عاشره: قدم الأمير أقبغا المارديني، نائب الوجهالقبلي، باستدعاء.

وفي حادي عشره: توجه الأمير بكلمش العلاي، لإحضار الأمير بيدمر الخوارزمي من سجنه في ثغر دمياط.

وقدم الأمير جتتمر أخو طاز من دمشق. بسؤاله.

وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، وفقد الخبز من الأسواق، وأبيع كل رطلين بدرهم، وأبيع القمح. بمائة وخمسة دراهم الأردب، والبطة الدقيق بثلاثين درهما، فلما دخل الشعير الجديد، أبيع الأردب منه بخمسين درهما.

وفيه رسم الأمير الكبير بإطلاق من في سجني الديلم والرحبة من المديونين، فأفرج عنهم جيعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، لما بالناس **من الغلاء ووقوف** الحال، فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون، وترسيم نقبائهم على من في ذمته دين.

وفي ثامن عشرة: قدم ركب الحاج.

وفي عشرينه: قدم الأمير بيدمر من دمياط في النيل، فركب الأمير الكبير إلى لقائه، وحضر من الغد يوم الإثنين حادي عشرينه الخدمة السلطانية، وقبل الأرض على العادة،فخلع عليه، واستقر في نيابة الشام على عادته عوضا عن الأمير أشقتمر، وهذه ولايته السادسة. وكتب بتوجه الأمير أشقتمر إلى الqدس بطالا.

وفيه خلع على الأمير أقبغا المارديني نائب الوجه القبلي، خلعة الاستمرار.

وفي آخره: انحط السعر إلى أربعين درهما الأردب القمح، والشعير والفول إلى اثنين وعشرين درهما الأردب، والبطة الدقيق إلى أحد عشر درهما.." (١)

"وفي سابع عشره: خرجت تجريدة إلى البحيرة، فيها خمسة أمراء ألوف، وهم بهادر الجمالي، وقطلوبغا الكوكاي، وأحمد بن يلبغا الخاصكي، وقردم الحسني، وآلابغا العثماني وأربعة أمراء طبلخاناة،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦٠/٢

وعشرة أمراء عشرات. فلم يجدوا من أهل البحيرة أحدا، فساقوا من مواشيهم ثلاثة آلاف رأس من الضأن، وستة آلاف رأس من المعز.

وفي آخره: انتهى عمل الجسر الخليلي.وفيه قدم البريد بأن حسين بن أويس – متملك بغداد – قتله أخوه أحمد بن أويس، واستقر في المملكة بعده، وذلك بإشارة خواجا شيخ الكحجاني.

وفي خامس عشر جمادى الأول: استقر الأمير قطلوبغا أبو درقة في ولاية دمياط، عوضا عن محمد بن قرابغا.

وفي عشرينه: استقر فتح الدين صدقة أبو دقن في نظر المواريث، عوضا عن ابن عبد المعطي.

وفي يوم الأحد أول جمادى الآخرة: – الموافق له من أشهر القبط تاسع عشر مسرى – كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، بعدما توقف عدة أيام، وأرجف خزان الغلال يكون الغلاء، فخاب أملهم.

وفي سابع عشره: خلع على جمال الدين محمود المحتسب خلعة الاستمرار وقد أرجف بعزله، ونقل قراجا من ولاية قليوب إلى ولاية الجيزة، ونقل حسين من ولاية الجيزة إلى ولاية قليوب.

وقدمت رسل ألفنس – متملك أشبيلية – بسبب الإفراج عن تكفور حاكم سيس، فأجيبوا إلى ذلك.

وفي هذه السنة: ركب السطان إلى الميدان سبتين، و لم يركب السبت الثالث لغرق الميدان. بماء النيل.

وفي عشرينه: استقر مقبل الطيبي في ولاية قوص، عوضا عن ابن المزوق وأعيد علاء الدين الطشلاقي إلى ولاية قطيا.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير أقبغا المارديني – نائب الوجه القبلي – فقبض عليه، وسجن في الحديد بخزانة شمايل لقبح سيرته، وعتوه على الخلق، وإسرافه في إراقة الدماء، وأخذ الأموال، وأحيط بأمواله التي اغتصبها من أهل البلاد.

وفيه ضرب الأمير الكبير علي خان بن قرمان – كاشف الوجه البحري – ضربا م برحا وأسلمه إلى حاجب الحجاب. وقدم نصارى مدينة سيس في طلب من يقوم بأمرهم، وقد مات حاكمهم، فاختير لهم بعض الأسرى المقيمين بالكوم فيما بين جامع ابن طولون ومدينة مصر. وخلع عليه وعلى القادمين من سيس، وكتب تقليده، فأصبح خمارا يبيع الخمر، وأمسى ملك الأرمن ينفذ حكمه في خلق كثير.

وفي سلخه: استقر الأمير أرسبغا المنجكي ملك الأمراء بالوجه القبلي عوضا عن أقبغا الماريني.

وفي ثالث شعبان: استقر بهادر طبج – كاشف الوجه البحري – عوضا عن ابن قرمان.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاث أصابع من عشرين ذراعا، فعد ذلك طوفانا.وفيه عمل الأمير جركس

الخليلي طاحونا في مركب عند بسطة المقياس، يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقا فأتى الناس من كل جهة لرؤيتها، وقال فيها أدباء الزمان شعرا كثيرا.
وفيه نقل الأمير مأمور من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس، ونقل كمشبغا الحموي من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، وأنعم عليه بإمرة جنتمر أخي طاز، وقبض على جنتمر وسجن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى قلعة المرقب ، واستقر الأمير يلو الحاجب بدمشق، في نيابة حماة. ونقل الأمير طرنطاي الكاملي من نيابة سيس إلى حجوبية دمشق، واستقر تمراز العلاي في ولاية البهنسي، عوضا عن طاجار.
وفيه نقل عن مماليك الأسياد الذين في خدمة الأمير الكبير برقوق، أنهم قد اتفقوا مع طائفة من مماليكه على أن يفتكوا به وكبيرهم في ذلك أيتمش الخاصكي. فعندما بلغه ذلك، بادر بالقبض على المذكور، وعلى بطا الخاصطي واستدعى من في خدمته من مماليك الأسياد أولاد الأشرف، وقبض على سبعة عشر من أعيانهم، وسجنهم في البرج من القلعة. وأصبح فقبض منهم على تكملة خمسة وستين، وسجنهم بخزانة شمايل، مقيدين، فهرب من بقي من مماليك الأسياد، فنودي في القاهرة عليهم، وهدد من أخفاهم. وقبض على الأمير ألابغا العثماني الدوادار في تاسع عشرينه، وأخرج على إمرة بالشام. وأخرج أيضا أيضا بأميرين من العشرات منفيين. واستقر الأمير بيرم في ولاية أشموم الرمان.." (١)
"وتوفي الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن سيف الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني.
ومات السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد ابن النقيب شهاب الدين أحمد ابن النقيب شمي الدين محمد بن أحمد الحسيني الحراني الحلبي، عن تسع وأربعين سنة، بحلب،ولم يل وظيفة.
مات شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين عبد اللطيف بن محمد بن موسى بن أبي الفتوح بن أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الخراساني ثم الحلبي، عن بضع وسبعين سنة، بحلب.
وتوفي شرف الدين أبو بكر بن زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، ابن الوردي، المعرى الحلبي، الفقيه الأديب، عن بضع وسبعين سنة ؛ بحلب. والله أعلم.
سنة ثمان وثمانين وسبعمائة
أهلت بيوم الجمعة.
في سادسه: قدم مبشرو الحاج، وقد تأخروا عن عادتهم.وفيه أخرج الأمير جوبان العمري، منفيا إلى صفد.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦٢/٢

وأنعم بإمرته على أرسبغا السيفي.

وفي تاسعه: عقد السلطان على هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسي، وأمها أخت الملك أشرف شعبان.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير أحمد بن يلبغا العمري الخاصكي من الحجاز، ومعه الركب الأول.

وفي حادي عشرينه: قدم الأمير أبو بكر بن سنقر. بمحمل الحاج.

وفيه قبض على عدة من المماليك، وضربوا ضربا مبرحا بالمقارع، لكلام بلغ السلطان عنهم من الفتك به.

وقبض على الأمير تمربغا الحاجب، وسمر ومعه عشرة مماليك، وأركب كل مملوكين على جمل، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر، وسمرا بالحديد وأفرد تمربغا على جمل. وشهروا ونساؤهم حاسرات، يصحن ويلطمن خدودهن، ثم وسطوا، فكان أمرا شنيعا.

وفي خامس عشرينه: قبض على ستة عشر من مماليك الأمير الكبير أيتمش ونفوا إلى الشام، وتتبع من بقي من المماليك الأشرفية، فقبض على كثير منهم، ونفوا من مصر.

وفي سلخه: قدم الأمير إبراهيم بن قراجا بن دلغادر طائعا، فخلع عليه، ورسم له بإمرة طبلخاناة بديار مصر.

وفي يوم الإثنين ثالث صفر: نقل الشريف هيازع بن هبة الله الحسيني، أخو جماز أمير المدينة النبوية، من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وكان قد قبض عليه، وسجن نحو سنة و نصف، ثم أفرج عنه في ذي، الحجة من السنة الماضية ، ثم قبض عليه في هذه السنة وسجن..

وقدم الخبر ماردين باستيلاء تيمورلنك على مدينة تبريز ، وقتل أهلها وتخريبها.

وفي ليلة السبت تاسع عشرينه: دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلا، يقال أنهم تدلوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم، وقتلوا نفرين. فركب الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني – والي القاهرة – وقبض على ثلاثة منهم في بعض الضواحي ومعهم بعض ما نهبوه، فعاقبهم حتى دلوه على بقيتهم.

وفي يوم الأحد سلخه: وقع حريق بالجسر، قريب قنطرة الحاجب ، تلف فيه عدة بيوت، ونزل عدة من الأمراء حتى أطفوه.

وفي أول شهر ربيع الأول: أبيع اللحم البقري كل رطلين ونصف بدرهم وأبيع اللحم الضأن السميط كل رطلين بدرهم.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره: رسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، ونقله من سجنه

بالإسكندرية إلى إقامته بدمياط. وأذن له أن يركب ويتنزه بها.

وفي خامس عشره: سمر من رجال المنسر ثمانية عشرة على جمال، وثلاثة سمرت أيديهم في الخشب، وألبسوا في أرجلهم قباقيب خشب، ثم سمرت أرجلهم فيها. وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمرون كذلك، وشهروا جميعا بالقاهرة، ثم وسطوا إلا واحد منهم، وأبقي عليه ليدل على بقيتهم.

وفي يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: أخرق السلطان بالأمير بهادر المنجكي الأستادار، وقبض عليه ثم أفرج عنه.

وفيه قدم البريد من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، فقبض في الحال على أخيه عثمان بن قراجا، وعلى ابن أخيه إبراهيم.

وفيه غضب السلطان على موفق الدين أبي الفرج - ناظر الجيش - ، وضربه نحو مائة وأربعين ضربة بالعصى.

وقدم الخبر **بوقوع الوباء بالإسكندرية**، وأنه تجاوز عدة من يموت بها في كل يوم مائة إنسان.

وفيه استقر محمد بن عيسى - شيخ عرب العائد بالشرقية - كاشف الحسور بإمرة طبلخاناة. واستقر أخوه مهنا في مشيخة العائد.

وفي تاسع عشرينه: ماتت للسلطان ابنة، فأدفنت بالعمارة بين القصرين قبل أن تكمل، وكانت جنازتها حفلة.." (١)

"وفي تاسع عشرينه: مات الأمير سبرج والي باب قلعة الجبل. وكثر الموت في المماليك بالقلعة، فكان يموت منهم في كل يوم زيادة على عشرين نفسا.

وفي أول جمادى الأولى: بلغت عدة الأموات الواردين على الديوان إلى مائتين وخمسة وثلاثين، سوى من يموت بالمارستان، وسوى الطرحاء على الطرقات.

وفي رابعه: استقر بحاس النوروزي نائب باب القلعة، وتزايدت عدة الموتى.

وفي رابع عشره: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس في نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله بن ريشة بعد موته.

وفي حادي عشرينه: ورد صراي تمر - دوادار الأمير يونس الدوادار، ومملوك نائب حلب - على البريد بأن العسكر توجه إلى سيواس، وقاتل عسكرها، وقد استنجدوا بالتتر، فأتاهم منهم نحو الستين ألفا، فحاربوهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٢/٢

يوما كاملا، وهزموهم، وحصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين، وجرح معظمهم، وأن الأقوات عندهم عزيزة فجهز السلطان إلى العسكر مبلغ خمسين ألف دينار مصرية، وسار بها تلكتمر الدوادار في سابع عشرينه.

ثم أن العسكر تحركوا للرحيل عن سيواس، فهجم عليهم التتار من ورائهم فبرز إليهم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، وقتل منهم خلقا كثير، وأسر نحو الألف، وأخذ منهم العسكر نحو عشرة آلاف فرس، وعادوا سالمين إلى جهة حلب.

وفي حادي عشرينه: استقر كل من جركس وقطلوبك السيفي أمير جاندار عوضا عن يلبغا المحمدي وألطنبغا عبد الملك بعد موتهما. وقدم البريد بقتل الصارم إبراهيم بن شهري نائب دوركي على سيواس.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين في أستادارية السلطان، بعد موت الأمير بهادر المنجكي، واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقري أستادار الأمير سودن باق في شد الدواوين.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: أنعم على كل من بلوط الصرغتمشى ونوغيه العلاي، وناصر الدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخاناة. وعلى كل من داود ابن دلغادر، وناصر الدين محمد بن الحسام الصقري الشاد بإمرة عشرة.

وفيه استقر الأمير محمود الأستادرار مشير الدولة، وخلع عليه، فتحدث في الدولة، والخاص، والديوان المفرد، وصار عزيز مصر. وحضر عنده الصاحب علم الدين كاتب سيدي، وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، وائتمرا بأمره.

وفي ثامنه: **ارتفع الوباء بعدما** تجاوز الثلاثمائة في كل يوم.

وفي عاشره: قدم البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب بخبر وقعة سيواس التي ذكرناها، وعود العسكر إلى ملطية، فكتب بإحضار الأمير يونس الدوادار على البريد.

وفي ثاني عشره: خلع على الصاحب علم الدين خلعة استمرار، بعقب غضب السلطان عليه.

وفي رابع عشره – الموافق سادس عشرين بؤونة: – أخذ قاع النيل فجاء ستة أذرع وثمانية أصابع.

وفيه قدم الفقيه قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الأشبيلي المغربي من الحجاز إلى القاهرة.

وفي تاسع رجب: قدم الأمير تلكتمر الدوادار، وأخبر بأن منطاش قد فر من سيواس خوفا من القاضي برهان

الدين أحمد صاحبها أن يقبض عليه.

وفي خامس عشره: استقر الأمير قطلوبغا الأسنقجاوي أبو درقة كاشف الوجه البحري، عوضا عن ركن الدين عمر بن إلياس بن أخلا قرط.

وفي خامس عشرينه: استقر مقبل الطيبي والي قوص ملك الأمراء بالوجه القبلي، وعزل مبارك. واستقر الصارم إبراهيم الشهابي في ولاية قوص.

وفي أول شعبان: أوفي النيل، ووافق ثالث عشر مسرى.

وفي ثالثه: قدم العسكر المجرد والأمراء من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل، فخلع على الأمراء وأركبوا خيولا بقماش ذهب، فكانت غيبتهم عن. القاهرة سنة، أياما.

وفي عاشره: استقر بتخاص السودوني – حاجب طرابلس – في نيابة صفد بعد موت أركماس .

وفي خامس عشره: طلب السلطان الطواشي بهادر مقدم المماليك، فلم يوجد بالقلعة، فأحضره سكرانا من بيت على البحر، فاشتد حنق السلطان عليه، ونفاه إلى صفد، وأعطى بها إمرة عشرة. واستقر عوضه الطواشي شمس الدين صواب السعدي – المعروف بشنكل الأسود – مقدم المماليك في سابع عشره. واستقر الطواشي سعد الدين بشير الشرفي عوضا عن شنكل في نيابة المقدم.." (١)

"وفي يوم الخميس رابع عشره: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاكر في الوزارة، عوضا عن الركن عمر بن قايماز. واستقر ابن قايماز أستادارا، عوضا عن الأمير محمود، بعدما أنفق من ماله ستمائة ألف درهم في تكفية ديوان الوزارة، ذهبت عليه ولم يتعوض عنها، واستقر الأمير محمود على إمرته، وخلع على الثلاثة.

وفي ثامن عشره: أعيد الشهاب الفرجوطي إلى ولاية قوص، وعزل محمد بن العادلي.

وفي ثالث عشرينه: استقر كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم أفسح في نظر الإسطبلات، بعد أن تعطلت مدة من ناظر.

وفي خامس عشرينه: استقبل الصارم إبراهيم الباشقردي في ولاية منوف.

وفي تاسع عشرينه: بشر بزيادة النيل، وأن القاع سبعة أذرع، وعشرون إصبعا.

وفيه حضر الشريفان عنان بن مغامس وعلي بن جلان – أميرا مكة – باستدعاء، ودخلا على السلطان في يوم الاثنين ثالث شعبان. فأجلس السلطان ابن عجلان – مع صغر سنه – فوق عنان، مع شيخوخته.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٩٢/٢

وفي ثاني عشره: قبض على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من داره بدلالة بعض النصارى عليه، وسلم لوالي القاهرة، فوكل به من يحفظه في داره.

وفي ثالث عشره: استقر الغرس خليل الشرفي والي أشموم الرمان، وصرف منجك.

وفي ثامن عشرينه: ابتدأ بالسلطان مرض لزم منه الفراش.

وفي يوم الاثنين أول شهر رمضان: استقر الأمير كمشبغا الخاصكي الأشرفي نائبا بدمشق، بعد موت سودن الطرنطاي.

وفي خامسه: نودي بزينة القاهرة لعافية السلطان من مرضه، فزينت.

وفي سادسه – وهو ثالث مسري: – أوفي النيل ستة عشر ذراعا، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفي عاشره ورد البريد بمحاربة عسكر حلب لمنطاش، وفراره، وأنه عدى الفرات، وقبض على عدة من أصحابه.

وفي حادي عشره: خلع على الشريف علي بن عجلان، واستقر أميرا بمكة وحده من غير شريك له، وخلع على الشريف عنان والشريف علي بن مبارك، خلعتي إنعام. ولبس كمشبغا نائب دمشق قباء السفر، وسار وطلبه بتجمل عظيم، قاد فيه سبعين جنيبا من الخيل.

وفي ثالث عشره: قلعت الزينة.

وفي خامس عشره: نزل السلطان من القلعة إلى القاهرة، وصعد إلى مدرسته بخط بين القصرين، وزار أباه، وعاد.

وفيه أنعم على الأمير تغري بردى من كشمبغا بتقدمة ألف، وأنعم بطبلخاناته على الأمير قلمطاي العثماني. وأنعم على حادي خجا بإمرة عشرين.

وفيه أعيد الأمير محمود إلى الأستادارية، عوضا عن الركن عمر بن قايماز.

واستقر ابن قايماز هن جملة أمراء الطبلخاناه.

وفي سادس عشره: استقر بدر الدين محمد بن الطوخي في الوزارة بدمشق، عوضا عن الفخر عبد الرحمن بن مكانس. وخرج البريد بإحضاره من دمشق في الترسيم، هو وابنه مجد الدين فضل الله وأخوه نصر الله.

وفي ثاني عشرينه: قدم البريد بوقوع الحريق في دمشق، يوم السبت حادي عشرين شعبان، بجوار جامع بنى أمية، تلف فيه شيء كثير جدا.

وفي هذا الشهر: وقع وباء في البقر، حتى أبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذارا له. **وعم الوباء في** البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر.

وفي يوم الاثنين سادس شوال: استقر ناصر الدين محمد الضاني في ولاية منفلوط وعزل على بن غلبك.

وفي سابعه: استقر أحمد الأرغوني في ولاية دمياط وعزل أبو بكر بن بدر.

وفي ثامن شوال: استقر القاضي بدر الدين الأقفهسي في نظر الدولة، وعزل ابن شيخ. واستقر ناصر الدين مؤمن في ولاية قليوب، وعزل قطلوبغا الصفوي. واستقر علاء الدين على الطشملاقي والي قطيا. وعزل حسام الدين حسن المؤمني أمير آخور.

وفيه أنعم على الشريف علي بن عجلان أمير مكة بأربعين فرسا، وعشرة مماليك من الأتراك، وثلاثة آلاف أردب قمحا، وألف أردب شعيرا، وألف أردب فولا، وحمل على فرش بقماش ذهب، ورسم له أن يستخدم مائة فارس من الترك، يسير بهم إلى مكة.

وفيه قبض على تاج الدين بن كحل، وسلم لشاد الدواوين على مال يحمله.

وفي خامس عاشره: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهاني، وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتي ألف درهم.." (١)

"وقدم البريد بأن السلطان توجه من الرملة لزيارة القدس، جريدة.

وفي يوم الخميس أول صفر: قدم شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني من الشام.

وفي خامسه: قدم الحريم السلطاني مع الطواشي بهادر المقدم، وفيهن عدة من حرائر دمشق وأبكارها، ليختار منهن من يعقد عليها.

وفي سابعه: قدم الأمير محمود الأستادار، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وقد فرشت له شقاق الحرير من باب زويلة إلى داره، فمشى عليها بفرسه، ومعه من الخلائق عدد لا يقع عليه حصر، وأوقدت له البلد.

وفيه نودي بالخروج إلى لقاء السلطان.

وفي تاسعه: قدم بالبريد بأن السلطان قبض على جلبان الكمشبغاوي نائب حلب بقطيا، وبعثه من الطينة في البحر إلى دمياط.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٤٧/٢

وفي ثاني عشره: قدم السلطان وصعد إلى القلعة، فكان يوما مشهودا وكان الشيطان قد أجرى على ألسنة العامة كلمة سوء، وهي: لو جاء السلطان لوقع الرخاء وصاروا يتناجون بذلك في كل موضع، فأخلف الله ظنهم، وتزايدت الأسعار من يوم دخوله، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام: " من تعلق بشيء وكل إليه " . وأبيع القمح بسبعين بعد أربعين، والفول والشعير بأربعين كل أردب، والحمل من التبن بعشرة دراهم بعد خمسة، وكل حملة دقيق - وهي ست بطط - بمائة وعشرة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم، والأرز كل قدح بدرهمين، والسكر كل رطل بستة دراهم، بعد ثلاثة، والجبن المقلو بنحو درهمين، بعد ثلثي درهم، والرطل اللحم البقري بدرهم، بعد نصف درهم، والرطل اللحم من الضأن بدرهم ونصف، بعد نصف وربع درهم كل رطل.

واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الوباء، ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب.

وفي خامس عشره: ركب السلطان وعبر إلى القاهرة من باب زويلة، وزار أباه بمدرسته بين القصرين. وخرج من باب النصر إلى القلعة.

وفي سادسه: عدى إلى بر الجيزة.

وأحدث الأمير تمربغا المنجكي شرابا من زبيب يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء ويدفن في جرار بزبل الخيل أياما، ثم يشرب فيسكر، وصار يقال له التمربغاوي، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، و لم يكن يعرف عنه أنه يتعاطى المسكر قبل ذلك.

وفي ثامن عشره: عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة.

وفي تاسع عشره: أنعم على الأمير فارس من قطلو خجا بتقدمة ألف، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن بدخاص المتنقل لنيابة الكرك.

وفيه استعفى الأمير سودن من نيابة السلطة والإمرة، لكبره وعجزه، فأعفي ولزم بيته.

وفي رابع عشرينه: أنعم على علاء الدين علي بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطلاوي بإمرة طبلخاناه، واستقر أخوه ناصر الدين محمد في ولاية القاهرة، كأنه ينوب عنه، وشرط عليه ألا يستبد بشيء، بل يراجعه في الأمور. وأنعم على أرغون شاه البيدمري الأقبغاوي بتقدمة ألف، وعلى نوروز الحافظي بتقدمة ألف. وعلى تمربغا المنجكي بإمرة طبلخاناه، وعلى شيخ المحمودي بطبلخاناه، وعلى صلاح الدين محمد ابن تنكز بطبلخاناه، وعلى صرغتمش المحمدي القزويني بطبلخاناه، وعلى سودن الطيار الناصري بطبلخاناه. وأنعم على كل من مقبل الرومي، وأقباي بن حسين شاه، وآق بلاط الأحمدي، ومنكلي بغا الناصري بإمرة

عشرة.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين علي بن الطبلاوي حاجبا عوضا من ألجبغا الجمالي، مع النظر في الولاية على أخيه.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد آخر يوم الأربعاء سادسه.

وفي سابعه: خلع على الأمراء والأكابر وناظر الجيش وناظر الخاص، أقبية بفرو سور.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على عادته.

وفي تاسعه: عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبي حنيفة، يقال له مصطف القرماني، وأنه كتب شيئا في الفقه، قال فيه: لا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله، ونسب إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - إلى ما نزهه الله من عبادتهما. فأراد قاضي المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسي الحكم بقتله، فاعتنى به جماعة من الأمراء، وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضي القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمي، فعزره بأن أقامه وبعث به إلى السجن، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، وضربه ثم خلاه لسبيله.." (١)

"وفي رابع عشره: أنعم على ناصر الدين محمد بن جلبان العلاي بإمرة عشرين، عوضا عن قرابغا بعد موته.

وفي ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأن تيمور توجه من قراباغ، وعدى السلطانية، وتوجه ابنه إلى كيلان، فإن طقتمش أخذ أكثر بلاده. وقد حدث ببغداد وباء عظيم، واشتد بها الغلاء، وانتقل ابن أويس عنها إلى الحلة.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلي، ومعه أمراء العربان، وهم: أبو بكر بن الأحدب أمير عرك، وعمر بن عبد العزيز أمير هوارة، وعلي بن غريب أمير هوارة أيضا، وأحضروا تقادمهم على العادة. وفيه تنكر السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وكاد يبطش به. فلما نزل إلى داره أتاه الأمير علاء الدين علي بن الطلاري يأمره عن السلطان بحمل خمسمائة ألف دينار، وإن امتنع يوقع الحوطة عليه، ويضربه بالمقارع، فتلطف في السعي بينه وبين السلطان، حتى تقرر أنه يحمل مائة ألف وخمسين ألف دينار، فلما صعد في يوم الاثنين خامس عشرينه إلى الخدمة بالقلعة، صاح به المماليك من الأطباق، وسبوه ورجموه.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٦٥/٢

وفي سابع عشرينه: قبض على يلبغا الزيني والي الأشمونين، وضرب بالمقارع بين يدي السلطان، لكثرة ما شكا منه أهل البلاد، وتسلمه ابن الطلاوي، ليخلص منه حقوق الناس.

وفيه أحضر مبارك شاه تقدمته، وهي مائة وستونفرسا، ومائة وخمسون جملا، وسبع، وعشر نعامات، وعدة أبقار، وأنواع من الحلاوات، وأحضر أبو بكر بن الأحدب مائة فرس. وأحضر كل من عمر بن عبد العزيز وعلي بن غريب خمسين فرسا. وفيه ادعى نصراني على شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد الحفري - أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة - بين يدي السلطان، فاقتضى الحال أنه ضرب القاضي وهو مبطوح على الأرض، ورسم عليه حتى يخلص منه النصراني.

وفي ثامنه عشرينه: استقر منجك السيفي في ولاية أطفيح.

وفي يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر: استقر قرط التاجي في ولاية الأشمونين، عوضا عن يلبغا الزيني.

وفيه اشتد حنق السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وضربه لتأخره كسوة المماليك عن وقتها الذي تفرق فيه.

وفي رابعه: استقر علي بن أبي بكر القرمانة في ولاية الجيزة، وعزل علي بن قراجا.

وفي خامسه: هرب مبارك شاه نائب الوجه القبلي لكثرة شكوى أهل النواحي من ظلمه، و طلب فلم يقدر عليه.

وفي سادسه: أنعم على أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بإمرة عشرين، عوضا عن تمان تمر الأشرفي الموسوي.

وفيه بلغ الأردب من القمح إلى ستة وستين درهما، والأردب من الفول والشعير إلى ثلاثة وثلاثين درهما.

وفي سابعه: ظهر أن مبارك شاه لبس زي الفقراء، وأخذ بيده إبريقا، ومضى نحو الجبل، فلم يعرف أين قصد.

وفي حادي عشره: استقر الشريف علاء الدين علي بن البغدادي الأصل، الصعيدي الدار، في ولاية منفلوط، عوضا عن آقبغا الزيني.

وفي ثالث عشره: استقر أمير فرج بن أيدمر نائب الوجه البحري في نيابة الوجه القبلي، عوضا عن مبارك شاه. واستقر عوضه في الوجه البحري أوناط السيفي.

وفي رابع عشره: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، ونزل بناحية صقيل وأقبل على اللهو.

وفي حادي عشرينه: ترامى مبارك شاه على الأمير تاني بك اليحياوي أمير أخور، فشفع فيه حتى عفا

السلطان عنه.

وفي رابع عشرينه: رجع السلطان إلى القلعة.

وفيه حضر مبارك شاه بين يدي السلطان، فألبسه قباء مطرزا.

وفي خامس عشرينه: قدم السلطان ولد بن علي شاه زاده بن شيخ أويس بن حسن، وكان ولد قد قدم مع عمه القان مغيث الدين أحمد بن أويس، وأقام حتى خرج صحبة حريمه، فالتحق بالقدس لتخوفه من عمه، وعاد إلى القاهرة – بعد أن استأذن – ومعه عياله، فأنزله السلطان في دار من الأمراء وأجرى عليه ما يقوم به، ووعده بإمرة.

وفيه قدم مسعود بن الشيخ محمد الكجاني من تبريز، فارا من تيمور.

وفي سادس عشرينه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستادار نائب الإسكندرية بتقدمته، وهي مائة فرس، وثلاثمائة قطعة من ثياب الإسكندرية، وعشرة آلاف دينار.

وفيه أفرج عن قطلوبك السيفي، وكمشبغا اليوسفي، وقدما من دمياط.

وفيه تزوج سلطان ولد بانية عمه تندى بعد انقضاء عمتها من السلطان، وأنعم عليه لإمرة عشرة، وترك زي البغاددة، ولبس القباء والكلفتة كهيئة أمراء مصر.." (١)

"وفي رابع عشرينه: أعيد ابن محمود إلى ابن الطبلاوي.

وفي خامس عشرينه: أحضرت أمه إلى السلطان.

وفي ثامن عشرينه: ظفر أيضا بمبلغ ثمانية وثلاثين ألف ومائتين وثلاثين دينارا في مخزن حمار بثغر الإسكندرية، حملت إلى السلطان.

وفي يوم الخميس ثامن ربيع الآخر: ابتدأ السلطان بعمل الخبز الذي يفرق في الفقراء، وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا، وتولى ابن الطبلاوي ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذا الخبز هما عظيما، بحيث لم يعرف أن أحدا مات في **هذا الغلاء بالجوع**، واغتنى جماعة منه، فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضا.

وفي تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، ونزل بشاطئ النيل، تجاه القاهرة.

وفي رابع عشره: عاد إلى القلعة.

وفي خامس عشره: استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج الملكي – ناظر قطا – في ولايتها مع وظيفة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٦٦/٢

النظر، والتزم كل شهر بحمل مائة ألف وخمسين ألف درهم. وكان في ابتداء أمره صيرفيا بقطا، وترقى حتى باشر بها، ثم ولي النظر إلى أن جمع بين النظر والولاية.

وفيه ظفر أيضا بديخرة لمحمود عند لاجين أمير سلاحه، فكان مبلغها ثلاثين ألف دينار.

وفي سابع عشره: استعفي أزدمر من كشف الجيزة، فأعفي. واستقر عوضه يلبغا مملوك الوزير مبارك شاه.

وفيه ارتجع عن شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب إمرته، وهى عشرة، وعوضه عنها إقطاعا برمح واحد.

وفي تاسع عشره: قدم محمد بن العادلي والي المنوفية في الحديد فتسلمه ابن الطبلاوي، واستقر عوضه حسام الدين.

وفيه قدم الأمير نوروز الحافظي رأس نوبة، ومعه علي بن غريب أمير هوارة، وثلاثة وثلاثين رجلا من أهله وأولاده في الحديد، فسجن ابن غريب بالبرج في القلعة، وأودع أصحابه بخزانة شمايل.

وفيه تصدق السلطان بنصب كثير، فاجتمع بالإصطبل خمسمائة نفس، حصل لكل منهم مبلغ خمسين درهما.

وفي رابع عشرين: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضا، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، بحيث مات منهم في الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفسا، تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب، والوزير مبارك شاه.

وقدم الخبر من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بني حسن إلى ينبع، وهو في طلبهم، ثم عاد إلى خليص، ومعه أمير ينبع، فكبس عليهم وظفر بهم، وأن الأترك الذين استخدمهم أمير ينبع ركبوا عليه وقاتلوه، وقتلوا جماعة من أصحابه، فظفر بهم، وقتل منهم اثني عشر، وأخرج باقيهم من بلاده.

وفي يوم الخميس سابع جمادى الأولى: أوقعت الحوطة على دار الأمير محمود الأستادار، وأخذت مماليكه، وترك عنده ثلاثة يخدمونه في مرضه.

وفيه فر شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الدزري الدمشقي، من ترسيم ابن الطبلاوي. وكان قد تحدث للأمير أيتمش فيما يتعلق به في دمشق وأحضره لعمل حسابه، فوقف عليه مال عجز عنه فهرب، ولم يوقف له على خبر.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعمل في كل يوم طعاما للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس. ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهما،

فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف.

وكانت الأسعار قد تزايدت لقلة وجود الغلال، وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية، وازدحم الناس على الأفران، وأبيع القمح بمائة وخمسة وسبعين درهما الأردب في غلته، فإذا غربل تعدى المائتين.

وبلغت البطة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما، والخبز كل رطل وربع، بدرهم.

وفي عاشره: وجدت دخيرة لمحمود، فيها مبلغ سبعين ألف دينار.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: حضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء برفع الغلاء، ومعه خلائق، فكان وقتا عظيما. فلما كان من الغد قدم إلى ساحل القاهرة ومصر عدة مراكب بها الغلال، فانحط سعر الأردب عشرة دراهم، وأخذ يتناقص حتى أبيع الأردب بمائة وثلاثين درهما، والخبز كل رطلين بدرهم، ثم انحط عن ذلك أيضا.." (١)

"وفي حادي عشرينه: قدمت هدية الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول، متملك اليمن، صحبة برهان الدين إبراهيم المحلى للتاجي، والطواشي افتخار الدين فاخر، وهي عشرة خدام طواشية، وأربعة عبيد وست جواري، وسيف بحلية ذهب، مرصع بعقيق، وحياصة، بعواميد عقيق مكلل بلؤلؤ كبار، ووجه فرس مرآة هندية، محلاة بفضة قد رصعت بعقيق وبراشيم وحشية برسم الخيول عشرة، ورماح عدة مائتين، وشطرنج عقيق أبيض وأحمر، وأربع مراوح مطرطقة بذهب، ومسك ألف مثقال، وعنبر خام ألف مثقال، وزباد سبعون أوقية، ومائة مضرب غالية، ومائتي وستة عشر رطلا من العود، وثلاثمائة واثنتين وأربعين رطلا من اللبان الجاوي، وثلاثمائة وأربعة وستون رطلا من الصندل، وأربع براني من الشند وسبعمائة رطل من الحرير الخام، ومن البهار والأنطاع والصيني، وغير ذلك من تحف اليمن والهند.

وفي ثاني عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد في يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر، فصاح العوام، وشكوا من ابن البرجي المحتسب، وسألوا عزله.

وفي ثالثه: وقف أوباش العامة تحت القلعة، ورصدوا ابن البرجي حتى نزل، ورجموه بالحجارة حتى كاد يهلك، لولا امتنع ببيت بعض الأمراء. وكان ذلك بإغراء المخانسي وتفرقته مبلغ مائتي درهم في عدة من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٧٣/٢

أوباش العامة ليرجموا ابن البرجي، ويسألوا عزله وعود المخانسي، فتم له ذلك واشتد صراخ العامة بعد رجم البرجي، وهو يسألون عزله وولاية المخانسي فاستدعى وخلع عليه من يومه.

وفي خامسه: استقر محمد بن عمر بن عبد العزيز أميرا على هوارة، بعد موت أبيه.

وفي ثامنه: ركب شرف الدين محمد بن الدماميني بفوقانية من صوف أخضر وعذبته مسبلة عليها من وراء ظهره. ولم يعهد قبله أحد من القضاة الذين يلبسون الجبة، ويلبسون العذبة، يلبس جبة ملونة، بل دائما لا يلبسون شتاء ولا صيفا إلا الجبة البيضاء، ففي الصيف من القطن، وفي الشتاء من الصوف، وكذلك كان الوزراء وأكابر الفقهاء، وأعيان الكتاب، لا يلبسون في الخدمة السلطانية وأوقات الركوب وعند لقاء بعضهم بعضا إلا البياض دائما، فغير الناس ذلك، وصاروا يلبسون الملونات من الصوف بأمر السلطان لهم على لسان كاتب السر.

وفي ثالث عشره: أحضر طيبغا الزيني والي الفيوم، فسلم لابن الطبلاوي ليعاقبه واستقر ألطنبغا عوضه والي البهنسا، واستقر عوضه في البهنسا خليل بن الطوخي. وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد في بطن، عاش منهم أحدهم.

وفيه تنكر السلطان على قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي، لحده خلقه.

وفي يوم الخميس ثاني جمادى الأولى توجه الحسام حسين شاد الدواوين إلى مساحة البلاد السلطانية بالوجه القبلي. ونقل الأمير محمود إلى خزانة شمايل في ليلة الجمعة ثالثه وهو مريض، فسجن بها.

وفيه أنعم على أمير خضر بن عمر بن أحمد بن بكتنر الساقي بإمرة عشرة.

وفي سادسه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وفرق الخيول على الأمراء، كما هي العادة في كل سنة، وعاد في عشرينه.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: استدعى تقي الدين عبد الرحمن الزبيري، أحد الخلفاء الحكم، وفرض إليه قضاء القضاة، عوضا عن الصدر محمد المناوي، ونزل معه الأمير قلمطاي الدوادار، والأمير نوروز الحافظي رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب في عدة من الأمراء، وكاتب السر، والقضاة، والأعيان، وعليه التشريف. ولم تخطر ولايته ببال أحد، بل طلبه السلطان على بغتة، فشق ذلك على المناوي، وعظم عليه أن عزل بنائبه.

وفي سادس عشر جمادى الآخرة: أنعم على بيسق الشيخي بإمرة طبلخاناه. وقدم سري الدين محمد بن المسلاتي من دمشق بعد عزله.

وفي هذا الشهر: **اشتد الغلاء بدمشق**، فخرج الناس يستسقون، وثاروا برجل يعرف بابن النشو، كان يحتكر الغلال، وقتلوه شر قتلة، وأحرقوه بالنار.

وفيه استقر ألطنبغا حاجب غزة في نيابة الكرك، وعزل ناصر الدين بن مبارك بن المهمندار.." (١)

"وكان برقوق جركسي الجنس، قدم إلى مصر مع خواجا عثمان، فاشتراه الأمير يلبغا، وحماه برقوق، بعد أن كان اسمه من بلاد القرم سودن، وأعتقه. فلما قتل يلبغا وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه، فسار إلى دمشق، وخدم عند نائبها الأمير منجك، ثم استدعي إلى مصر واستخدم عند الأمير علي بن الأشرف إلى أن قتل الأشرف.

وكانت أيام الأمير أينبك، استقر من جملة أمراء الطبلخاناه، ثم ركب في أخواته، وملك باب السلسة، وصار أمير أخور، وأقام بالإصطبل السلطاني. ثم صار أميرا كبيرا، وترقى حتى ملك تخت مصر، وتلقب بالملك الظاهر، ثم خلع ونفي إلى الكرك فسجن بها، ثم أخرجه عوام الكرك، وسار إلى دمشق، وجمع الناس وعاد إلى مصر، فملك التخت ثانيا. وقد تقدم جميع ذلك في تواريخه.

وكان ملكا حازما، شهما، صارما، شجاعا، مقدما، فطنا، له خبرة بالأمور ومهابة عظيمة، ورأي جيد ومكر شديد، وطمع زائد. وكان يحب الاستكثار من المماليك، ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم، ويشره في جمع المال، بحيث لم يشبع منه، ويرغب في اقتناء الخيول والجمال وكان كثير التؤدة، لا يكاد يجعل في شيء من أموره، بل يتروى في الشيء المدد الطويلة، ويتصدى للأحكام بنفسه، ويباشر أحوال المملكة كلها، ويجل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح. وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله. وتنكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم.

وكان كثير الصدقات وقف ناحية بهبيت من الجيزة على سحابة تسير مع الركب إلى مكة في كل عام، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أرضا على قبور أخوة يوسف – عليه السلام – بالقرافة. وكان يذبح دائما. طول أيام إمارته وسلطنته في كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد ما تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقي، على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقي البر، سوى ما كان يفرق في الزوايا من لحم الضأن، فيعطى في كل يوم لكل زاوية خمسون

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٧٩/٢

رطلا وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم، ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة، ويفرق كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد، إلى مائة دينار ذهبا. ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله، ويفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، ويفرق في الخوانك وغيرها كل سنة مالا كثيرا. وكان يفرق في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا على أهل الخير وأرباب الستر. ويبعث في كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحا تفرق بالحرمين. وفرق في مدة الغلاء كل يوم أربعين أردبا، منها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع، فما علمنا. وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقراء والفقهاء، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهبا على يد الطواشي صندل المنجكي.

وأبطل عدة مكوس، منها ما كان يؤخذ من أهل شورى، وبلطيم من البرلس شبه الجمالية، وهو في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم، وأبطل ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط غما يبتاعه الفقراء وغيرهم من أردبين إلى ما دون ذلك. وأبطل مكس معمل الفراريج بالنحريرية وما معها من الغربية، وأبطل مكس الملح بعين تاب من عمل حلب، ومكس الدقيق بالبيرة. وأبطل من طرابلس ما كان مقررا على قضاة البر وولاة الأعمال، عند قدوم النائب، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كل منهم، أو بغلة بدل تلك. وأبطل ما كان يقدم لمن يسرح إلى العباسة خارج القاهرة في كل سنة من الخيل والجمال، والغنم. وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة. وأبطل ضمان المغاني بمدينة الكرك والشوبك وبمدينة بني خصيب وأعمال الأشمونين وزفتا ومنية غمر من أعمال مصر. وأبطل رمي الأبقار – بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر – على البطالين بالوجه البحري.." (١)

"وفيه ورد الخبر بأن سودن طاز خرج من ثغر دمياط يوم الخميس رابع عشرينه في طائفة، فخرج إليه في يوم الاثنين تاسع عشرينه الأمير تغري بردى، والأمير تمراز، والأمير يلبغا الناصري، والأمير سودن الحمزاوي في عدة أمراء، فبلغهم أنه نزل عند الأمير علم الدين سليمان بن بقر بالشرقية، ليساعده على غرضه، فعندما أتاه أرسل يعلم به، فطرقه الأمراء وقبضوا عليه، وأحضروه إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء سلخه.

وفي يوم الخميس أول شهر وجب: سمر خمسة من المماليك السلطانية، ممن كان مع سودن طاز، أحدهم سودن الجلب، فاجتمع المماليك لإقامة الفتنة بسبب ذلك، فخلى عنهم، وقيدوا، وسجنوا بخزانة شمايل، ونفي سودن الجلب إلى بلاد الفرنج من الإسكندرية.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٥٠٠

وفي ثالثه: حمل سودن طاز مقيدا في الحراقة إلى الإسكندرية، وسجن بها. وفيه خلع على القضاة الأربع خلع الاستمرار.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره: دار المحمل بالقاهرة ومصر، على العادة في ذلك. وفيه قدم الأمير جقمق إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بالصبيبة، بكتاب سلطان.

وفي نصفه: سكن الأمير شيخ نائب الشام بدار السعادة من دمشق، بعدما عمرها، كانت قد احترقت في نوبة تمرلنك.

وفي يوم الجمعة سادس عشره: عقد للأمير سودن الحمزاوي على خوند زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وأخت الملك الناصر، وعمرها نحو الثماني سنين.

وفي هذا الشهر: ارتفعت الأسعار ارتفاعا لم يعهد مثله بمصر، فبلغ القمح إلى سبعين درهما الأردب، وزاد سعر الشعير على القمح، وبلغ الفول تسعين درهما، والحمل التبن إلى سبعين درهما بعد خمسة دراهم، والفدان البرسيم الأخضر ستمائة درهم بعد تسعين درهما، والقنطار السمن ستمائة درهم بعد مائة وعشرين درهما، والسكر إلى ألفي درهم القنطار المكرر بعد ثلاثمائة درهم، والقنطار الفستق بأربعة آلاف درهم بعد مائتين وخمسين، والقنطار الزيت خمسمائة بعد مائة درهم ودونها، والدبس أربعمائة درهم بعد أربعين درهما، وزيت الزيتون أربعمائة درهم بعد خمسين درهما. والصابون خمسمائة درهم القنطار، بعد ما كان بمائة درهم. ولحم الضان ثلاثة دراهم الرطل، بعد نصف وربع درهم، ولحم البقر درهمين، بعدما كان بنصف درهم الرطل.

وارتفع أيضا سعر الثياب، فبلغ الثوب القطن البعلبكي أربعمائة درهم، بعدما كان بستين درهما، والثوب القطن البطانة بمائة درهم بعد ثلاثين درهما ودونها، والثوب الصوف المربع ألف وخمسمائة درهم بعد ثلاثمائة درهم **وسرى الغلاء في** كل ما يباع.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه: استقر كمال الدين عمر بن جمال الدين إبراهيم ابن العديم قاضي حلب الحنفي في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، على مال. وصرف قاضي القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسي، وكان مشكور السيرة.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشرينه: سار إلى الإسكندرية أقبردي وتنباك من أمراء العشراوات في ثلاثين من المماليك السلطانية، فقدموا إليها في تاسع شعبان، وأخرجوا الأمير نوروز الحافظي، والأمير جكم، والأمير قنباي، والأمير سودن طاز، وأنزلوهم في البحر الملح وساروا بهم إلى البلاد الشامية، فحبس نوروز وقنباي

في قلعة الصبيبة من عمل دمشق، وحبس جكم في حصن الأكراد من عمل طرابلس. وحبس سودن طاز في قلعة المرقب من عمل طرابلس أيضا. ولم يبق بسجن الإسكندرية من الأمراء غير تمربغا المشطوب وسودن من زاده، ثم حول جكم إلى قلعة المرقب فاستمر بها هو وسودن طاز في الاعتقال.

وأهل شعبان بيوم الأحد: ففي تاسعه: استقر شهاب الدين الأموي في قضاء المالكية بدمشق.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان: استقر شمس الدين محمد بن شعبان الجابي في حسبة القاهرة، وعزل الهوى.

وفي حادي عشرينه: تفاوض الأمير سودن الحمزاوي مع القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب في مجلس السلطان، وأغلظ كل منهما على صاحبه وقام. فعندما نزل ابن غراب من القلعة، تجمع عليه عدة من المماليك السلطانية ضربوه بالدبابيس، حتى سقطت عمامته عن رأسه، وسقط على الأرض، فحمله مماليكه إلى باب السلسلة، واحتمي منهم بالأمير إينال باي أمير أخور حتى تفرقوا، ثم صار إلى داره، فانقطع عن الخدمة السلطانية أياما لما به.." (١)

"وقدم الخبر على السلطان بإفراج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير نوروز من سجن قلعة الصبيبة، وأنه جهز له فرسا بسرج ذهب، وكنفوش مطرز بذهب، وأحضر الأمير قانباي، وبعث إلى الأمير عمر بن فضل الحرمي خلعة بطراز عريض. وقدمت كتب نواب الشام إلى الأمير يشبك، تعده بالأمداد، وتقويته بما يريد وقدم عليهم الأمير نوروز والأمير دقماق، فبعث الأميران شيخ ويشبك بيشبك العثماني إلى الأمير جكم، يستدعيه من أنطاكية إلى دمشق. وأفرج الأمير شيخ أيضا عن قرا يوسف ابن قرا محمد التركماني، في يوم الاثنين سابع عشره، وخلع عليه وحلفه على موافقته والقيام معه.

وفيه سار الأمير جكم من أنطاكية يريد طرابلس، فلما نزل عليها واطأه الأمير تنكزبغا الحاجب، وأقجبا أمير أخور، وكز السيفي أسندمر، ومكنوه من البلد، وقد أقامهم النائب على بعض جهاتها، فدخل إليها، فلم يثبت عسكر طرابلس، وفر الأمراء والأجناد. وبقي الأمير شيخ السليماني نائب طرابلس في طائفة من ألزامه، فقاتل جكم من بكرة يوم الأحد عاشره إلى وقت الظهر، فأحيط به، وقبض عليه وعلى مماليكه، ونهبت داره وحواصله، ثم حمل إلى قلعة صهيون فسجن بها عند نائبها الأمير بيازير - من إخوة الأمير نوروز - ثم كتب الأمير جكم بقتله، فامتنع بيازير من ذلك، واتفق معه على مخالفة جكم. وعندما تمكن جكم من طرابلس، قطع اسم السلطان من الخطبة، وكتب إلى نائب غزة، وإلى عمر بن فضل أمير جرم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٤٩

يأمرهما بتجهيز الإقامات، ويعلمهما بأنه قد عزم على التوجه إلى مصر، وأخذها صحبة الأمير نائب شيخ نائب الشام وكان الأمير نائب الشام لما بلغه استيلاء جكم على طرابلس، بعث إليه الأمير قانباي يدعوه إلى الاجتماع معهم، والحضور إليهم بدمشق، فعوق عنده قانباي، واستماله إليه، فصار من جماعته.

وفي هذا الشهر: أبيع عجل مخصي بالقاهرة بسبعة آلاف درهم كانت قيمته خمسمائة. وبيع زوج أوز بألف ومائتي درهم. **واشتد الغلاء بالوجه** البحري، فبلغ القدح القمح إلى أربعين درهما، والقدح الشعير إلى ثلاثين درهما، والخبز إلى عشرة دراهم الرطل. وأبيع بالإسكندرية كل قدح من القمح بثلاثين درهما، وكل قدح من الشعير بخمسة وعشرين درهما، وكل رطل لحم من الضأن بالجروي بستين درهما، وكل طائر من الدجاج المتوسط من خمسين إلى خمسة وخمسين درهما، وبيعت البيضة من بيض الدجاج بدرهمين، والأوقية من الزيت بأربعة دراهم. وبلغ الدينار إلى ثلاثمائة وعشرة دراهم، فخرج منها خلق كثير من الغلاء، ركب عدة منهم في خمس مراكب، فغرقوا بأجمعهم. وبيعت عجلة بالريف بستة آلاف درهم. وتزايد الموتان في الفقراء بالجوع، فقبض على رجل من أهل الجرائم بمدينة بلبيس ووسط، ثم علق خارج المدينة، فوجد رجل قد أخذ قلبه وكبده ليأكلهما من الجوع، فمسك واحضر إلى متولي الحرب – وهما معه – فقال: الجوع حملني على هذا فوصله بمال، وخلاه لسبيله.

وفيه غلت الملابس من الحرير وغيره حتى تعدت الحد وتجاوزت المقدار، فبلغ الذراع الكتان الخام إلى عشرين درهما وأكثر بعد أربعة دراهم.

وفيه قبض الأمير شيخ على جماعة بدمشق، والزمهم بحمل مال كبير. وفرض على البساتين بالغوطة مبلغا كبيرا من الذهب، جبي من الناس، وأكثر من المصادرات.

شهر شعبان، أوله لأحد:." (١)

"وفيه ورد الخبر من مكة بأن جميع ما احترق من المسجد الحرام – وهو ما بين الثلث والنصف – قد عمر علوا وسفلا، وعملت العمد من حجارة صوان منحوتة، وأن الأرضة قد أكلت في سقف مقام إبراهيم عليه السلام. وفيه باع سنقر نائب طرسوس المدينة للأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، وسلمها له، وقد نزل ظاهرها.

وفيه سار الأمير المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى الكرك، ونزل عليها في سادس عشره. وقد أتهم الأمير عمر بن الهذباني النائب بالخروج عن طاعة السلطان، فجمع عبد الرحمن العشير في تاسع عشره، وزحف

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٤/٣

على المدينة وقاتل النائب، وهزمه، وقتل منه عددا كبيرا وحصر المدينة، ومنع الميرة عنها، وجمع جمعا آخر وقاتل النائب مرة ثانية. **وكان الغلاء قد** اشتد بتلك البلاد، وكثر نهب الدور بالمدينة، وأخذ أموال أهلها، وتخربت ديارهم وتنوعت عقوبتهم. وأما السلطان فإنه قبض في ثانيه على الصاحب تاج الدين بن البقري، وأخذ جميع ما وجد له، وأسلمه إلى شاد الدواوين.

وفي تاسعه: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر في الوزارة ونظر الخاص، مضافا لما معه من نظر الجيش، عوضا عن ابن البقري.

وفي حادي عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء المالكية، وصرف البساطي.

وفي رابع عشره: استقر الأمير بشباي حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير أقباي الطرنطاي، المستقر أمير سلاح.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء: في عاشره: قدم الأمير يلبغا السالمي من ثغر الإسكندرية، وقد أفرج عنه واستدعي فأكرم، ونزل إلى داره، ثم طلب إلى قلعة الجبل وخلع عليه، واستقر مشير الدولة. وخلع معه على الأمير جمال الدين الأستادار خلعة استمرار. وخلع علي ناصر الدين محمد بن الطلاوي خلعة الوزارة، نقل إليها من شد الدواوين. واستقر أقتمر شاد الدواوين عوضه. وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر في نظر الجيش ونظر الخاص على عادته.

وفيه قدم سل؛مش حاجب غزة يخبر بوصول الأمير نوروز إلى غزة طائعا. وذلك أنه خرج من دمشق للدورة بأرض حوران والرملة فلما قارب غزة كتب إلى السلطان بأنه قد أناب ودخل في طاعته، فكتب إليه بما يرضيه، ورسم للأمير خاير بك نائب غزة أن يتلقاه ويكرمه، فقدم به إلى غزة، وتوجه منها يريد القاهرة، فقدمها في رابع عشر رمضان، فخلع عليه، وأعلى خبز الأمير يلبغا السالمي، وزيد عليه.

وأما أمر الشام، فإن الأمير جكم خرج من حلب في حادي عشره يريد دمشق، وقد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه. وكان جكم قد سلم القلعة إلى شرف الدين موسى بن يلدق، وعمل حجابا وأرباب وظائف، وعزم على أن يتسلطن ويتلقب بالملك العادل. ثم أخر ذلك وقدم دمشق في ثالث عشرينه، ومعه الأمير قانباي، والأمير تغري بردى القجقاري وجماعة. وقد خرج الأمير شيخ والأمراء إلى لقائه، وأنزله في الميدان، فترفع على الأمراء ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه في الباطن، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الإغضاء فأكرموه، وأنزلوه، وحلفوه على القيام معهم على السلطان، وموافقتهم. وأخذ في إظهار شعار السلطة، فشق عليهم ذلك، ومازالوا به حتى تركه. وأقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرينه، فتوجه منها مخفا إلى

طرابلس، وترك أثقاله بدمشق، ليجمع عساكر طرابلس وغيرها ممن انضم إليه.
وأما الأمير دمرداش نائب حلب، فإنه قدم على ظهر البحر إلى دمياط في سابع عشره، وبعث يستأذن في الحضور فإذن له، وقدم إلى قلعة الجبل.
وفيه قبض بدمشق على الأمير جركس الحاجب في رابع عشرينه، وأنعم بموجوده على الأمير قرا يوسف بن قرا محمد.." (١)

"وفيه قدم الأمير دمرداش إلى دمشق بعدما وصل إلى الرملة فأتته ولايته بنيابة طرابلس، فبعث الأمير شيخ يستدعيه لينظرا ما بينه وبين الأمير جكم، فأكرمه الأمير شيخ وأنزله.
وفيه قدم الخبر بتغلب الأمير جكم على البلاد الحلبية، وأنه حارب الأمير نعير بن مهنا أمير آل فضل، وكسره، وقبض عليه.
شهر ذي الحجة، أوله الأربعاء: في رابعه: كتب إلى الأمير نوروز بأنه تقدمت الكتابة له بأن يتوجه إلى القدس، وأنه لم يجب عن ذلك، فيتقدم بالحضور إلى مصر.
وفي سابعه: أعيد فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي إلى كتابة السر، بسفارة الأمير جمال الدين الأستادار، وعزل فخر الدين ماجد بن المزوق.
وفي ثاني عشره: رضي السلطان على فخر الدين بن غراب، واستمر مشيرا، وزيرا، ناظر الخاص، على عادته. وخلع عليه بعدما قام بعشرين ألف دينار.
وفي هذا الشهر: انحل سعر القمح، وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب، وبيع الرغيف زنة نصف رطل بثلث درهم، وأبيع ثور بمائة مثقال ذهبا، عنها من الفلوس ثلاثة عشر ألف درهم، و لم نسمع بمثل ذلك. وفيه أبيع الرطل اللوز العاقد بأربعة عشر درهما، يحصل من قلبه أوقيتان وذلك من حساب أربعة وثمانين درهما الرطل، وهذا أعجب ما يحكي.
وفيه فشى الطاعون بصعيد مصر، حتى خلت عدة بلاد، وأحصي من مات من سيوط ممن له ذكر، فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفطن له. وهم كثير. وأحصي من مات في بوتيج، فبلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة، وكان الزمان ربيعا، فلما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء.
وأما الشام، فإن في ثالثه كتب باستقرار الأمير زين الدين عجل بن نعير في إمرة آل فضل، عوضا عن والده، وكتب بعزل الأمير جكم عن نيابة حلب وطرابلس، وولاية الأمير دمرداش المحمدي في نيابة حلب، والأمير

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٦/٣

عمر بن الهيدباني في نيابة حماة، والأمير علان اليحياوي: في نيابة طرابلس، وتوجه بتقاليدهم ألطنبغا شقل ال أينالي مملوك الأمير شيخ نائب الشام في رابعه.

وفي خامسه: اقتتل الأمير جكم، والأمير شيخ المحمودي نائب الشام، بأرض الرستن – فيما بين حماة وحمص – ، قتل فيها الأمير طولو نائب صفد، والأمير علاق نائب حماة، وجماعة كثيرة من الفريقين، وانهزم الأمير شيخ ومعه الأمير دمرداش المحمدي إلى دمشق. ومضى منها إلى الرملة يريد القاهرة.

وقدم الأمير نوروز إلى دمشق من قبل الأمير جكم في يوم الاثنين سابع عشرين ذي الحجة.

وكان من خبر الأمير شيخ، والأميرين جكم ونوروز، أن الأمير شيخ توجه من دمشق بعد عيد الأضحى، ومعه الأمير دمرداش، فنزل مرج عذراء في عسكره يريد حمص، وقد نزل بها عسكر جكم عليهم الأمير، ونزل جكم على سلمية، فلبس الأمير دمرداش خلعة نيابة حلب الواصلة إليه مع تقليده وهو بالمرج. وقدم إليهم الأمير عجل ابن نعير بعربه طالبا أخذ ثأره من جكم.

ووصل أيضا ابن صاحب الباز يريد أيضا أخذ ثأر أخيه من حكم، ومعه جع من التركمان، فسار بهم الأمير شيخ من المرج في ليلة الاثنين ثالث عشره إلى أن نزل قارا ليلة الثلاثاء، فوصل تقليد العجل بن نعير بإمرة العرب.

وقدم الأمير علان نائب حماة وحلب – كان – من مصر، وقد استقر أتابك دمشق. ونزل الأمير شيخ حمص يوم الخميس سادس عشره، فكاتب الفريقان في الصلح فلم يتم، واقتتلا في يوم الخميس ثالث عشرينه بالرستن، فوقف الأمير شيخ والأمراء في الميمنة، ووقف العرب في الميسرة، فحمل جكم بمن معه على جهة الأمير شيخ فكسره، وتحول إلى جهة العرب – وقد صار شيخ إليها وقاتلوا قتالا كبيرا ثبتوا فيه، فلم يطيقوا جموع جكم وانهزموا، وسار شيخ بمن معه – من دمرداش وغيره – إلى دمشق، فدخلوها يوم السبت خامس عشرينه، وجمعوا الخيول والبغال، وأصحابهم متلاحقيين بها. ثم مضوا من دمشق بكرة الأحد.." (١)

"وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته ومدبروها جهدهم في ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير، ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر، حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأراضي، وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب، والمعاملة بالدنانير المشخصة، التي هي ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين كل مثقال، بعدما

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٨٢

كان بعشرين درهما. وعكسوا الحقائق، فصيروا الفلوس – التي لم تكن قط في قديم الدهر ولا حديثه نقدا رابحا – هي التي ينسب إليها ممن المبيعات، وقيم الأعمال. وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبى من الفلاحين في كل سنة، وأهمل عمل جسور أراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه.

وأكثر وزرائه من رمي البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان، واضطروهم إلى حمل ثمنها، فعظمت مغارمهم للرسل التي تستحثهم، ولمستخرجي المال منهم مع الخسارة في أثمان ما طرح عليهم من البضائع، لا جرم أن خرب إقليم مصر، وزالت نعم أهله، وقلت أموالهم، **وصار الغلاء بينهم** كأنه طبيعي، لا يرجى زواله.

هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سمره إلى البلاد الشامية، مما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجا عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك، زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر، ومهجهم. ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى. ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت أعظم ما كانت.

فخربت الإسكندرية، وبلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية، والجيزية، وتدمرت بلاد الفيوم، وعم الخراب بلاد الصعيد، بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطة كانت تقام في يوم الجمعة، ودثر ثغر أسوان، وكان من أعظم ثغور المسلمين، فلم يبق به أمير ولا كبير لا سوق ولا بيت، وتلاشت مدائن الصعيد كلها، وخرب من القاهرة وظواهرها زيادة على نصف أملاكها. ومات من أهل إقليم مصر بالجوع والوباء نحو ثلثي الناس. وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع تجاهره بالفسوق من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله – جلت قدرته – ، والتلفظ من الاستخفاف بالله تعالى ورسله ما لا تكاد الألسنة تنطق بحكايته لقبيح شناعته.

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل الأمير يلبغا الناصري بعساكر الشام لينزع أباه الملك الظاهر من الملك، وهو في غاية الاضطراب من ذلك، فعندما بشر به، قيل له: ما نسميه فقال: بلغاق يعني فتنة، وهي كلمة تركية، فقبض على أبيه وسجن بالكرك – كما تقدم ذكره – وهو لم يسم. فلما عاد برقوق إلى الملك عرض عليه، فسماه فرج، فما كان في الحقيقة إلا فتنة. أقامه الله سبحانه نقمة على الناس لذيقهم بعض الذي عملوا. ومن عجيب الاتفاق أن حرف اسمه فرج وعدده ثلاثة وثلاثون ومائتان، وهي عدد جركس، فكان فناء طائفة الجركس على يديه، فإن حروفها يعني إذا أسقطت بحروف اسمه. وكانت وفاته عن أربع

وعشرين سنة، وثمانية أشهر، وأيام.

وفي يوم الأحد عاشر صفر هذا: قبض على الأخناي قاضي دمشق، وعلى رزق الله ناظر جيشها، وعلى الأمير غرس الدين خليل الأستادار، وعلى فخر الدين بن المزوق كاتب سر الناصر، وعلى يحيى بن لاقي، وسلموا للأمير نوروز. ثم شفع فيهم فأطلقوا بعد أيام، ما عدا غرس الدين، فإنه استمر في قبضة الأمير نوروز، وصادره.

وفي ثامن عشره: خلع على صدر الدين علي بن الآدمي، واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن محيي الدين يحيي بن زكريا البهنسي، وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الأموي، واستقر في قضاء المالكية بدمشق.." (١)

"وفي تاسعه: قدم أقبغا الأسندمري إلى حلب من جهة السلطان، وعلى يده تقليد الأمير دمرداش المحمدي نيابة حلب، وتشريفه، وكان دمرداش قد وصل إليها في يوم الجمعة سابعه، فخرج من مدينة حلب، ولبس تشريف السلطان، وسار به في مركب خليل إلى باب القلعة، فنزل، وصلى هناك ركعتين، وقبك الأرض خدمة للسلطان على العادة، ودعي باسم السلطان بحلب ومعاملتها وضربت السكة باسمه، وحلف الأمراء وأرباب الدولة على الطاعة للسلطان.

وفي ثامن عشرينه: عزل صدر الدين أحمد بن العجمي عن الحسبة بابن شعبان وقد وعد ابن شعبان بخمسمائة دينار يقوم بها، والتزم أن يحمل في كل شهر مائة دينار. وعوق ابن العجمي في بيت الأمير جانبك الدوادار، وألزم بمال يحمله.

وفي هذا الشهر: **اشتد الغلاء بمكة** أيام الموسم، فأبيع الشعير كل ويبة بدينارين، وكل ويبة فصا - وهو نوي التمر - بدينار ونصف، وكل رطل بشماط بعشرة دراهم فضة. ولم يحج أحد من العراق ولا من اليمن. وعز الفلفل بمكة، لطلب التجار له، فإنه قل بديار مصر، حتى بلغ الحمل إلى مائتين وعشرين مثقالا من الذهب، بعدما كان بستين مثقالا، فاشتري منه بمكة للسلطان من حساب خمسة وعشرين مثقالا الحمل، بمبلغ خمسة آلاف دينار. وحملإلى القاهرة فبلغ الحمل بمكة خمسة وثلاثين دينارا هرجة، بعدما كان بعشرة مثاقيل.

وفي هذه السنة: توغل الأمير موسى بن عثمان في بلاد النصارى، يأسر وينهب ويحرق، ثم عاد فوجد صاحب الطبول قد عدى بأخيه محمد بن عثمان إليه، وقد خامر الأمراء معه، فجرت بينهم حروب عظيمة.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥١/٣

ومات في هذه السنة

ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره

جمال الدين عبد الله بن محمد بن طميان، المعروف بالطيماني الشافعي، قتل بدمشق في الفتنة ليلة الجمعة ثاني صفر، وكان من الفضلاء، وانتقل من القاهرة إلى دمشق وسكنها.

ومات قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن خليفة ابن عبد العال الدمشقي، المعروف بابن الحسباني، في يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر، بدمشق، عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام. أفتى، ودرس، وبرع في العربية والفقه والحديث، وولي قضاء دمشق وخطابتها غير مرة، وقدم إلى القاهرة مرارا.

ومات قاضي القضاة محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر، بحلب، عن ست وستين سنة. أفتى ودرس بحلب ودمشق والقاهرة وولي القضاء بحلب ودمشق، وبرع في العربية والأدب وغيره.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن علي بن الهايم المصري الشافعي، بالقدس، في جمادى الآخرة، عن سبع وخمسين سنة، درس بالقدس، وكان قد تحول إليه من القاهرة، وبرع في الحساب والفرائض.

سنة ست عشرة وثمانمائة

أهلت هذه السنة، وسلطان مصر والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي، والخليفة المستعين بالله، ممنوع من التصرف، موكل به، وأتابك العسكر الأمير يلبغا الناصري. والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسني. وأمير أخور الأمير قنباي المحمدي. وكاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزي الحموي، وقضاة القضاة على ما كانوا عليه في السنة التي قبلها، ما عدا الحنفي، فإنه قاضي القضاة صدر الدين علي بن الآدمي الدمشقي. والمباشرون على ما كانوا عليه، ما عدا الأستادار، فإنه الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسي، وحاجب الحجاب الأمير أينال الصصلاني، ووالي القاهرة الأمير تاج الدين تاج بن سيفا الشويكي، ونائب الإسكندرية الأمير غرس الدين خليل الجشاري، ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثماني، والشام كله بيد الأمير نوروز الحافظي، وهو يدعو على المنابر بها لأمير المؤمنين المستعين بالله، ويضرب السكة باسمه، ويفتتح كتبه التي يبعثها إلى البلاد ومراسيمه التي تصدر عنه، بالإمامي المستعيني. ما خلا حلب،

فإنها بيد السلطان، ونائبه بها الأمير دمرداش المحمدي.

شهر الله المحرم أوله الأحد:." (١)

"يوافقه اليوم الثالث من نيسان، واليوم الخامس من برمودة: وسعر الذهب بالقاهرة، ما كان من الهرجة فبمائتين وخمسين درهما كل مثقال، وما كان من الإفرنتي فكل دينار بمائتين وثلاثين درهما، وما كان من الناصري فبمائتين وعشرة دراهم الدينار، والقمح من مائة وثمانين الأردب إلى ما دونها، وبلغ الكتان كل رطل إلى ثلاثين درهما. وهذا شيء لم نعهده قط بمصر، فغلا لغلائه جميع أصناف الثياب، حتى أبيع الثوب القطن البعلبكي بعشرين مثقالا.

وفي رابع عشره: نقل فتح الله محمولا من بيت ابن أبي شاكر، ولعجزه عن الحركة، وسلم إلى الأمير تاج الدين والي القاهرة، فأنزله بدار أقام بها وحيدا فريدا، يقاسي ألم العقوبة، ويترقب الموت، وخرج من القاهرة جماعة لضبط ما يصل من أصناف المتجر، صحبة الحاج، فساروا إلى عقبة أيلة، ففر كثير من التجار، وتوجهوا نحو الشام، ففات أهل الدولة منهم مال كبير.

وفي عشرينه: سافر الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش من القاهرة يريد أخذ دمشق.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير بيبغا المظفري بالمحمل وبقية الحاج.

وقدم الخبر بمفارقة الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش لدمشق، وقدومه إلى صفد منتميا إلى السلطان، فسر بذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل، واشتد الأمر على صدر الدين أحمد بن العجمي في حمل ما ألزم به، وهو خمسمائة دينار، وقد تأخرت عليه من ألف دينار، فباع موجوده، وأورد نحو ثلاثمائة دينار.

وفي هذا الشهر: تزايد الطاعون في الناس بالقاهرة ومصر، وكان ابتداؤه من أخريات ذي الحجة الحرم، وهب يوم النحر ريح في غاية الشدة من ناحية الجنوب، واستمرت أياما، ففشا الطاعون والحميات الحادة المحرقة في الناس، لاسيما الأطفال والشباب.

وأهلت السنة، ويموت في كل يوم ممن يرد الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين، والوقت ربيع. وقد صار حارا يابسا، ورياحه كلها جنوبية، وحره خارج عن المعتاد، فكثر الوباء، وناف عدة من يرد الديوان على المائة.

وفي سلخه: أفرج عن صدر الدين بن العجمي، وخلع عليه، وقرر في نظر المواريث، وأفردت عن الوزير، وألزم أن يحمل ما يتحصل من ذلك إلى خزانة السلطان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٦٠/٣

وفي هذا الشهر: ثار بالسلطان وجع المفاصل.
شهر صفر، أوله الاثنين: أهل والوباء يتزايد، ثم تناقص من نصفه. وذلك أن الشمس لما نقلت إلى برج الثور رطب الحر المحرق، واستمر الوقت رطبا مدة عشرين يوما، ثم انقلب الزمان في آخر برج الثور إلى حر مفرط، وعوم محرقة، فتزايدت الأمراض، حتى تجاوز عدد من يرد الديوان من الأموات مائة وعشرين، فعز وجود البطيخ الصيفي من كثرة ما يطلب للمرضى، حتى بيعت نصف بطيخة بخمسمائة درهم، عنها مثقالان من الذهب، وعز أيضا وجود الماء وأقبل الناس في أخذ جمال السقائين، فبلغت الراوية خمسة عشر درهما، وأبيعت خمس بطيخات بألفي درهم، عنها ثمانية مثاقيل ذهبا.
وفي تاسعه: سار الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش من غزة، وقد وصل إليها يريد صفد، ومعه أخوه تغري بردى نائب حماة، وقد بعث إليه السلطان بولايتها، وخرج الأمير ألطنبغا العثماني في أثرهما من الغد، لمساعدتهما، فبلغهم عود الأمير نوروز من حلب إلى دمشق، فأقاموا على الرملة.
وفي ثامن عشرينه: قدم أقبغا الأسندمري بجواب الأمير دمرداش ونواب القلاع بطاعتهم، وصحبته قاصد عثمان بن طر علي وغيره من أمراء التركمان، ودمرداش، والفضة المضروبة بالصكة المؤيدية.
شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء، ثم استقر الأربعاء: وفي ثانيه: منع خدم فتح الله من الدخول إليه، فأقام إلى ليلة الأحد سادسه، فخنق وأخرج به من الغد، فدفن بتربته خارج باب المحروق. ولم يشيع جنازته أحد من الناس. وفيه وقع حريق في الدور بقلعة الجبل عظم أمره، واستمر إلى يوم الأربعاء تاسعه، وهم في إطفائه فاحترق فيه رجل ومات.
وفي سابعه: سمر الأمير فارس المحمودي، ثم وسط تحت القلعة، وهو أحد أمراء الطبلخاناه من الأيام الناصرية، وسبب ذلك أنه وشي للأمير طوغان الدوادار، وللأمير شاهين الأفرم بأن السلطان الملك المؤيد عزم على قبضهما، فاجتمعا بالسلطان وأعلماه بذلك، فقبض عليه وقتله.
شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة: في أوله حمل الأمير قصروه إلى ثغر الإسكندرية، فسجن بها.." (١)

"وفيها نزل ملك البرتقال من الفرنج على مدينة سبتة في ثلاثمائة مركب، وأقام بجزيرة فيما بينها وبين جبل الفتح - يقال لها طرف القنديل - مدة، حتى مل المسلمون الذين حشروا بسبتة من الجبال، ونفدت أزوادهم، وعادوا إلى حبالهم، فطرقها عند ذلك الفرنج، وقاتلوا المسلمين، وهزموهم، وركبوا أقفيتهم، وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه، ومروا على وجوههم، فتملك البرتقال سبتة في سابع شعبان

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٦١/٣

منها. وكان لذلك أسباب، منها أن بني مرين – ملوك فاس – لما ملكوها ساءت سيرتهم في أخذ أموال أهلها، ثم أن موسى بن أبي عنان، لما ملك، أعطى سبتة لأبي عبد الله محمد بن الأحمر، فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة، فلما استرد بنو مرين سبتة ساءت سيرة عمالهم بها، وكثر ظلمهم، **فوقع الوباء العظيم** بها، حتى باد أعيانها، وكان من فساد ملك بني مرين وخراب فاس وأعمالها ما كان، فاغتنم الرند ذلك، ونزلوا على سبتة، فلم يجدوا فيها من يدفعهم، ولله عاقبة الأمور. وفيها كانت وقعة بين الأمير محمد بن عثمان وبين الأمير محمد بن قرمان، انهزم فيها ابن قرمان، ونجا بنفسه.

وفيها أحرق قبر الشيخ عدي بجبل هطار من بلاد الأكراد، وهذا الشيخ عدي هو عدي بن مسافر الهكاري – بتشديد الكاف – صحب عدة من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد، وهو من أعمال الموصل، وبني له به زاوية، فمال إليه بتلك النواحي من بها، واعتقدوا صلاحه، وخرجوا في اعتقاده عن الحد في المبالغة، حتى مات عن تسعين سنة، في سنة سبع – وقيل خمس – وخمسين وخمسمائة، فدفن بزاويته، وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره، وهم عدد كثير، وجعلوه قبلتهم التي يصلون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، وصار قبره أحد المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، لكثرة أتباعه، وشهرته هو في الأقطار، وصار أتباعه يقيمون بزاويته عند قبره شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة، فلما تطاولت المدة، تزايد غلو أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدي بن مسافر هذا هو الذي يرزقهم، وصرحوا بأن كل رزق لا يأتي من الشيخ عدي لا نرضاه، وأن الشيخ عدي جلس مع الله تعالى – عن قولهم – وأكل معه خبزا وبصلا، وتركوا الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، وقالوا الشيخ عدي صلى عنا، واستباحوا الفروج المحرمة، وكان للشيخ عدي خادم، يقال له حسن البواب، فزعموا أن الشيخ لما حضرته الوفاة، أمر حسن هذا أن يلصق ظهره، فلما فعل ذلك قال له الشيخ: انتقل نسلي إلى صلبك، فلما مات الشيخ عدي ولم يعقب ولدا، صارت ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد العدوية فيها أنها ذرية الشيخ عدي، وتبالغ في إكرامهم، حتى أنهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن، فيخلو بهن، ويقضي منهن الوطر، ويري أبوها وأمها أن ذلك قربة من القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، فلما شنع ذلك من فعلهم انتدب لهم رجل من فقهاء العجم يتمذهب بمذهب الشافعي – رحمه الله – ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف الحلواني، ودعا لحربهم، فاستجاب له الأمير عز الدين البختي صاحب جزيرة ابن عمر والأمير توكل الكردي – صاحب شرانس – وجمعوا عليهم كثيرا من الأكراد

السندية – وأمدهم صاحب حصن كيفا بعسكر، وأتاهم الأمير شمس الدين محمد الجردقيلي، وساروا في جمع كبير جدا إلى جبل هكار، فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع الشيخ عدي – وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبتية، وأسروا منهم خلائق حتى أتوا الشرالق – وهي القرية التي فيها ضريح الشيخ عدي – فهدموا القبة المبنية عليه، ونبشوا ضريحه وأخرجوا عظامه، فأحرقوها بحضرة من أسروه من الصحبتية، وقالوا لهم: انظروا كيف أحرقنا عظام من ادعيتم فيه ما ادعيتم، ولم يقدر أن يدفعنا عنه. ثم عادوا بنهب كثير، فاجتمعت الصحبتية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة، وأقاموا بها على عادتهم، وصاروا عدوا لكل من قيل له فقيه، يقتلونه حيث قد قدروا عليه، ولو شاء ربك ما فعلوه.

ممن مات في هذه السنة

ممن له ذكر الأمير نوروز الحافظي.

ومات الأمير طوخ نائب حلب.

ومات الأمير يشبك بن أزدمر.

ومات الأمير قمش.." (١)

"وفي سادس عشره: نودي في القاهرة بمنع المعاملة بالدنانير الناصرية، وأن تقص كلها، ويدفع فيها من حساب مائة وثمانين، فقصها الصيارفة.

وفي حادي عشرينه: قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود الرازي الهروي، مدرس الصلاحية بالقدس، بعدما خرج الأمير ألطنبغا العثماني، فتلقاه وصعد إلى السلطان بقلعة الجبل، فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وأجلسه عن يمينه، وحضر مجتمعا كان عند السلطان، هو وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني. ثم انصرف إلى دار قد أعدت له، ورتب له في كل يوم مبلغ مائتي درهم فلوسا، ومن اللحم قدر ثلاثين رطلا، وأنعم عليه بفرس قد أسرج برج ذهب، وبكثير من الثياب الفاخرة، وأهدى إليه كثير من أهل الدولة الهدايا الجليلة.

وفي هذا الشهر: **ارتفع الوباء من** القاهرة. وفيه قبض بحلب على الأمير آق بلاط نائب عينتاب، وسجن، وقبض على الأمير شاهين الزردكاش، وسجن بقلعة حلب في ثامنه. وفيه استقر محيي الدين أحمد بن حسين بن إبراهيم المدني الدمشق في كتابة السر بدمشق.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد: في يوم الاثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه ومماليكه ووجوه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٧١/٣

دولته، وسار إلى حيث العمل في حفر البحر تجاه منشأة المهراني، ونزل في خيم قد نصبت له هناك، ونودي بخروج الناس للعمل في الحفير، وكتبت حوانيت الأسواق كلها، فخرج الناس طوائف، ومع كل طائفة الطبول والزمور، وهم في لهو ولعب، وغلقت الأسواق. وأقبلوا إلى العمل ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوقي طاقته. وعمل جميع العسكر أيضا من الأمراء والمماليك، وجميع أرباب الدولة وأتباعهم، ثم ركب السلطان بعد العصر وقد مدت أسمطة جليلة، فكان يوما بالهزل واللهو أشبه منه بالجد ووقف السلطان حتى فرض على كل من الأمراء حفر قطعة عينها له، وعاد إلى القلعة، واستمر العمل والنداء في كل يوم بالقاهرة، أن يخرج أهل الأسواق وغيرهم للعمل في الحفر.

وفي تاسعه: ركب الأمير ألطنبغا القرمشي أمير أخور ومعه جميع مماليكه وأتباعه وعامة غلمان الإصطبل السلطاني، والركابة من عرب آل يسار، والأوحاقية، والبياطرة، وصوفية المدرسة الظاهرية برقوق بخط بين القصرين وأرباب وظائفها، من أجل أنهم تحت نظره، فمضوا بأجمعهم إلى باب السلسلة، وتوجهوا معه للعمل، وخرج معهم الفيل والزرافة، بعدة طبول وزمور، فحفروا فيه ونقلوا، وقد اجتمع هناك معظم الناس من الرجال والنساء للفرجة، فكثرت سخريتهم، وتضاحك بعضهم على بعض، فأعفى القرمشي فقهاء الظاهرية من العمل، وردهم، وتولى القيام بحفر ما وظف عليه، ومعه عالم كبير، طول نهاره.

وفي عاشره: جمع الأمير الكبير ألطنبغا العثماني أتابك العساكر جميع من يلوذ به، وألزم كل من هو ساكن في شيء من البيوت والحوانيت الجارية في وقف المارستان المنصوري أن يخرج معه من أجل أنه يلي نظر المارستان، وأخرج أيضا جميع أرباب وظائفه من الأطباء والجرائحية، والكحالين والفراشين والقراء والمباشرين والمؤذنين، وأخرج سكان جزيرة الفيل لأنها من وقف المارستان. وتتابع الأمراء في العمل، وخرج علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، والأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، في حادي عشره، ومع كل منهم طائفة من أهل القاهرة، وجمع غلمانه وأتباعه ومن يلوذ به وينسب إليه، وأخرج والي القاهرة جميع اليهود والنصارى، وكثر النداء في كل يوم بالقاهرة على أصناف الناس بخروجهم للعمل، وخرج كل أمير، وأخذ معه جيرانه ومن يقرب سكنه من داره، فلم يبق عنبري ولا فراء ولا تاجر ولا بزاز ولا قزاز ولا طباخ ولا جبان ولا سقاء ولا مناد، إلا وخرج للعمل، وأخرج كاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن البازري معه جميع البريدية والموقعين، بأتباعهم، فعملوا.

وفي رابع عشره: خلت أسواق القاهرة وظواهرها من الباعة، وغلقت القياسر، وخرج الناس للعمل وجدوا في

الحفر نهارهم مع ليلهم، بحيث لم يعف أحد من العمل، وكثرت حركات الناس وخروجهم إلى العمل طوائف طوائف، وتكرر النداء في الناس بالخروج للحفير، وتهديد من تأخر عنه.." (١)

"وخلع السلطان بحلب على الأمير أقباي الدوادار، واستقر به. في نيابة حلب، وعلى الأمير جرقطلو، واستقر به في نيابة حماة، عوضا عن الأمير تنبك البجاسي، وخلع على الأمير يشبك شاد الشربخاناه، واستقر به في نيابة طرابلس، فقدم أبو يزيد بن قرا يلوك على السلطان بحلب، يهنئه بالنصر، ومعه هدية سنية، فخلع عليه وأكرمه، ثم بعثه إلى أبيه في رابع عشرين رمضان، ومعه هدية جليلة.

وفيه توجه الأمير يشبك نائب طرابلس من حلب إلى محل كفالته، ثم قدمت رسل قرا يوسف وغيره. وورد الخبر بخروج كزل نائب ملطية عن الطاعة، ومسيره منها إلى جهة التركمان.

وتوجه السلطان من حلب عائدا إلى دمشق، فنزل حماة، وعزم على الإقامة بها مدة الشتاء، ليحسم مواد الفتن، ويأخذ من فر في وقعة قنباي، وهم تنباك البجاسي نائب حماة، وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، وطرباي نائب غزة، وكزل نائب ملطية وغيرهم، فأقام أياما، وبلغه عن القاهرة ما اقتضى حركته إليها، وقدم الأمير طوغان أمير أخور نائب صفد، وقد أنعم عليه بإمرة مائة بديار مصر، في آخر شهر رمضان، وتوجه إلى الشرقية لأخذ تقادم الولاة والعربان، عونا له على تجديد ما نهب له في الوقعة.

وفي هذه السنة: حدث غلاء عظيم بديار مصر، وذلك أن هذه السنة لما أهلت كانت الأسعار رخيصة، فلا يتجاوز الأردب القمح نصف دينار، إلا أن الغيث كان في أوانه قليلا بأرض مصر، فلم ينجب الزرع بنواحي الوجه البحري كله من الشرقية والغربية والبحيرة، ولا حصل منها وقت الحصاد طائل.

وحدث مع هذا في كثير من نواحي أرض مصر فأر أتلف كثيرا من الغلال، واتفق مع ذلك وقوع الفتنة بأراضي البحيرة وخروج العسكر إليها، فتلف من غلالها شيء كثير، فإنها تمزقت تمزيقا فاحشا، ثم أن العسكر توجه إلى بلاد الصعيد في وقت قبض المغل، فعاثوا وأفسدوا ولم ينالوا من المفسدين الغرض، وعادوا عودا رديا، فعظم النهب وشن الغارات ببلاد الصعيد، وشملت مضرة العربان عامة الناس.

ووقع الغلاء بأرض الحجاز وبوادي العرب، وبلاد الشام، فدف إلى أرض مصر من هذه البلاد خلائق كثيرة لشراء القمح، فحملوا منه ما لا يقدر قدره، وكان مع ذلك كله توجه السلطان من القاهرة إلى الشام، بسبب الفتنة التي أثارها قنباي المحمدي، فخلا الجو لمن يحكم بالقاهرة، وتصرف أقبح تصرف وذلك أنه أخذ عند ابتداء زيادة النيل يستكثر من شراء القمح، فأشيع عنه أنه يخزنه لينال فيه ربحا كثيرا، فإن النيل يكون

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/١٧٧

في هذه السنة قليلا، وكثرت الإشاعة بهذا، فتنبه خزان القمح وأمسكوا أيديهم عن بيعه، فحدث مع هذا توقف النيل عن الزيادة في جمادى الآخرة، كما تقدم ذكره، فجزع الناس، وأخذ الأغنياء في شراء القمح وخزنه، فارتفع سعره، وعز وجوده بعد كساده. فلما من الله بزيادة ماء النيل، حتى بلغ القدر المحتاج إليه بزيادة، اطمأنت قلوب العامة، فأرجف خزان القمح بأن الفتن ببلاد الصعيد عظيمة، **وأن الغلاء واقع** من عدم الواصل، فلطف الله عز وجل، وثبت ماء النيل حتى قرب برد الخريف، ثم نزل نزولا حسنا، وزرع الناس الأراضي، وقد أمنوا حدوث الدودة، حتى كمل الزرع، ودخل شهر رمضان، ومع ذلك القمح أخذ في الزيادة في الثمن إلى أن بلغ الأردب إلى مائة وستين درهما، وعز وجوده، وتعذر وجود التبن أيضا، بحيث علفت الدواب بالنخال، ومن الناس من علفها عوضا عن التبن قشور القصب، وبلغ كل حمل من التبن إلى ثلاثمائة درهم، بعد ما كان بدون الأربعين درهما، فلم يهل شوال حتى زاد الأردب القمح على مائتي درهم، وقل الواصل منه من أجل أن المتولي حجر على من يجلب القمح، وجدد على كل أردب مبلغا يؤخذ من بائعه، فعز وجود الخبز بالأسواق، وتزاحم الناس في الأفران على شرائه منها، وشنعت القالة في متولي القاهرة. وفحش الإرجاف به، فخاف على نفسه، واستعفى نائب الغيبة، فأعفاه من التحدث في الحسبة، واستدعى رجلا من الشاميين يعرف بشمس الدين محمد الحلاوي، وولاه الحسبة في العشرين منه بسفارة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، فباشر بعفة عن تناول ما لا يستحقه، إلا أنه منع من الزيادة في السعر، وتشدد فيه، فقل الواصل حتى فقد القمح وبلغ الناس الجهد.." (١)

"وفيها عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أفلاق، فاضطرب الأمير محمد كرشجي.

وفيها **اشتد الوباء بمدينة** فاس من بلاد المغرب وأعمالها، حتى فني أكثر الناس سوى من مات من الجوع في سني الغلاء.

ومات في هذه السنة

ممن له ذكر سوى من تقدم

الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيري، يوم الأربعاء رابع عشر صفر. ومولده ليلة السبت سادس ذي القعدة، سنة ست وستين وسبعمائة، وبالقاهرة.

ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد بن الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف التركماني، المعروف لابن التباني، يوم الأحد ثامن عشرين رمضان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٨٢/٣

ومات سعد الدين بن بنت الملكي، في ثالث رمضان. ولي نظر الجيش.
ومات زين الدين حاجي الرومي، شيخ التربة التي أنشأها الملك الناصر فرج، على قبر أبيه الملك الظاهر برقوف، خارج باب النصر من القاهرة، ليلة الخميس رابع عشرين شوال، واستقر عوضه في مشيختها الشيخ شمس الدين محمد البساطي المالكي، بعناية الأمير ططر نائب الغيبة.
ومات الملك سكندر بن ميرز شيخ عمر بن تيمورلنك، وكان قد ملك بلاد فارس بعد قتل أخيه يبر محمد عدة سنين، ثم خالف على عمه شاه رخ، فسار إليه وقاتله، وأسره، وسمل عينيه، وأقام عوضه أخاه رستم، وخلاه لسبيله، وعاد فجمع سكندر جمعا قليلا، وقدم عليهم ابنه، فقاتلهم رستم وهزمهم، وأخذ سكندر، وقتله بأمر عمه شاه رخ.
ومات الفقير المعتقد الشيخ محمد الديلمي، في رابع ذي القعدة، ودفن بالقرافة.
سنة تسع عشرة وثمانمائة
أهلت، وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز، الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود، وأتابك العساكر الأمير ألطنبغا القرمشي، وأمير أخور كبير تنبك ميق ورأس نوبة النوب الأمير بردباك. والدوادار الكبير الأمير جقمق، وحاجب الحجاب الأمير سودن قرا صقل، وقضاة القضاة على ما تقدم في السنة الماضية، ما عدا الحنبلي، فإنه قاضي القضاة علاء الدين علي بن محمود بن أبي بكر بن مغلي الحمري، ومباشري الدولة على ما مر في السنة الماضية، ما خلا الوزارة، فإنها شاغرة، ونائب الإسكندرية الأمير أقبردي المنقار، ونائب غزة الأمير مشترك، ونائب صفد الأمير خليل الجشاري، ونائب الشام الأمير ألطنبغا العثماني، ونائب طرابلس الأمير ونائب حماة الأمير جرقطلو، ونائب حلب الأمير أقباي.
وأما مكة فإن الشريف حسن بن عجلان عزل عن نيابة السلطنة ببلاد الحجاز، وعزل ابناه الشريف بركات والشريف أحمد عن إمرة مكة، في صفر من السنة الماضية، واستقر الشريف رميثة بن محمد بن عجلان في إمرة مكة. ودخل إليها بعد ما فارقها المذكورون في مستهل ذي الحجة منها، وأقام بها، فأهلت هذه السنة والأمر على هذا.
شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد: في ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر النيل في الحراقة إلى البر الغربي للصيد، وأقام هناك، فتلاحقت به أهل الدولة. وقدم كتاب الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج من الوجه البحري أن القمح بلغ عنده إلى تسعمائة درهم الأردب.

وفيه نزل الطواشي زين الدين فارس بمبلغ كبير من الفضة المؤيدية، وطاف في الجوامع والمدارس، والخانكاهات، وفرق في أرباب وظائفها، الفقهاء والقراء والأئمة والمؤذنين والخطباء والقومة والمترددين، مبلغا كبيرا فحصل في الأكثر لكل واحد أربعة عشر مؤيديا، وفيهم من تكرر اسمه في خمسة مواضع وأكثر، فأخذ في كل مكان نصيبا، فتوسع الناس بذلك، وحسن موقعه، وفرق أيضا مبلغا في السؤال، فأقل ما كان نصيب الواحد من المساكين خمسة مؤيدية، عنها مبلغ خمسة وأربعين فلوس، فعم النفع، وكل البر عدة طوائف، وكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار.

وفيه بيعت ويبة قمح بمائة وثلاثين درهما من الفلوس، من حساب كل أردب بثلاثة مثاقيل ذهبا، وبيعت ويبة شعير بثمانين درهما فلوسا، من حساب الأردب بدينارين.." (١)

"وفي خامسه: خلع السلطان – وهو بناحية أوسيم من الجيزية – على بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينتابي الحنفي، واستقر به في حسبة القاهرة، وكانت شاغرة منذ قدم السلطان، وإنما كان قد تقدم للطواشي مرجان الهندي الخازندار أن يتحدث فيها من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له توقيع، متحدث أياما، ثم بعثه السلطان إلى الوجه القبلي بمال ليشتري القمح، ويسيره إلى القاهرة توسعة على الناس، وتقدم بعد سفر مرجان إلى الأمير أينال الأزعري أن يتحدث فيها، فنظم العينتابي في الحسبة، والخبز لا يكاد يوجد.

وفي يوم الجمعة سادسه: وردت عدة مراكب من الوجه القبلي تحمل نحو الألفي أردب قمحا، فتباشر الناس بها.

وفي يوم السبت سابعه: ركب المحتسب، والأمير أينال الأزعري إلى ساحل بولاق، لتفرقة القمح وتوزيعه على الطحانين، فاجتمع عالم لا يحصيهم إلا الله لشراء القمح، فركب الأمير أينال الأزعري في أجناده، طرد الناس عن القمح، خوفا من النهب، فلم ينتهبوا وتكاثروا عليه، فغضب منهم، وحمل عليهم بمن معه يضربهم، فشنع الحال، وغرقت امرأة، فلم يوقف لها على خبر، وصلب الأمير أينال الأزعري أربعة رجال طول نهارهم وضرب رجلين على ظهورهما عريا ضربا وجال في القوم جولة هو ومماليكه، ذهب فيها من العمائم ونحوها ما شاء الله، وعطب عدة أناس، وضرب بدبوسه رجلا كسر لوح كتفه، وسالت دماء جماعة متعددة، فكان من الأيام الشنيعة، بات الناس بالقاهرة ومصر ليلة الأحد والخبز عندهم أعز ما يذكر، وأشهى شيء به ينظر، وأفخر ما يتحف به من الطرف، وأجل ما يتهادى به من التحف، فلا قوة إلا بالله.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٨٥/٣

وفي ليلة الخميس: نقلت الشمس إلى برج الحمل، ودخل فصل الربيع، وقد فشا في الناس الموت بالطاعون.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: عبر السلطان النيل بمن معه، وصعد قلعة الجبل، بخير.

وفي ثامن عشره: وردت عدة مراكب فيها غلال، بعث بها الأمير فخر الدين بن أبي الفرج مما اشتراه، الأردب بمبلغ ثمانمائة درهم بكيل الريف، وهو أردب ونصف بكيل القاهرة، فرسم السلطان أن يباع كل أردب منه على الطحانين بستمائة درهم، فاشتروه منه على هذا السعر، وقبض منهم في ثمنه الذهب خاصة، دون غيره من النقود، ولم يعد لهم في الدينار الأفرنتي إلا بمائتين وثلاثين درهما، ولا في الناصري إلا بمائة وستين، فتضرروا بذلك من أجل أن الذهب يخرج بالأكثر، فالأفرنتي بمائتين وخمسين، والناصري بمائتين وقد كانوا في سادسه اشتروا القمح الذي ورد بأربعمائة وعشرين الأردب فشملتهم الخسارة من الوجهين، واقتضى هذا أن عز وجود الخبز، وأبيع الرغيف الذي زنته نصف رطل بدرهمين بعد ما كان بدرهم.

وفي تاسع عشره: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وأحضر زين الدين مفلح رسول الملك الناصر أحمد بن الشرف إسماعيل متملك اليمن، ومعه هدية جليلة من شاشات وأزر، وتفاصيل من حرير، وصيني، وعود، ولبان، وصندل، وغير ذلك على مائتي جمال، وفيها عدة سروج من عقيق بأطراف ذهب، وقطاط يخرج منها الزباد فقبلت هديته، وقرئ كتابه، وأنزل رسوله، وأجرى عليه ما يليق به.

وفيه رسم أن يزاد في قطيعة الفدان بأراضي مصر مبلغ مائتي درهم، فيصير بستمائة درهم الفدان، بعدما كان بأربعمائة درهم، وهذا يقتضي استمرار غلاء الأسعار، لأن الغلال لا تتحصل إلا وقد استقامت على أربابها بسعر عال والخسارة لا يأتيها أحد طوعا، خصوصا ومعظم غلال أرض مصر للسلطان والأمراء.

وفيه استدعي تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر، وخلع عليه خلع الوزارة كرها، وكانت شاغرة منذ عزل بن الهيصم.

وفي هذا الشهر: خصب البرسيم الأخضر، وكثر، وانحط سعره، بحيث أنه كان يباع الفدان منه بألف ومائتي درهم، فنزل إلى مائتي درهم، ولهذا عنت البهائم في **هذا الغلاء لكثرة** اعتلافها من البرسيم الأخضر. وفيه تزايدت أسعار الغلال، فبلغت البطة الدقيق إلى مائتين وخمسين درهما، ولم يعهد فيما تقدم من الغلوات مثل ذلك.

وفي حادي عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج.

وفي ثالث عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٨٦/٣

"وفي سادس عشرينه: ركب السلطان ونزل إلى دار الضيافة بجوار القلعة، وقد جمع بها الصناع من الحجارين والبنائين والفعلة، وأقام بها صدرا من النهار، وقد شرعوا في مرمتها، وكانت تشعثت لخلولها في الأيام الظاهرية والناصرية، فذبح فيه للصناع بقرة طبخت واستمر العمل في دار الضيافة مدة أيام.

وفي ثامن عشرينه: نودي بتأهب أجناد الحلقة للعرض على السلطان في أول ربيع الأول، وندب جماعة من البريدية، توجهوا إلى جميع أعمال مصر، لإحضار من في النواحي من الأجناد.

وفي هذا الشهر: قدم الأمير كزل نائب ملطية في جماعة، وهجموا على حلب، فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها، بعدما قتل منهم وأسر طائفة. وفيه استقر الأمير ركن الدين عمر بن الطحان نائب قلعة صفد.

وفيه ارتفع السعر بالرملة حتى بلغت العليقة الشعير إلى اثني عشر درهما فضة، ثم انحط.

وفيه كثرت الفتن بين عرب جرم وعرب العايد، بأرض القدس وغزة والرملة.

وفيه رغب الأمير أحمد بن أبي بكر بن نعير في الطاعة، ثم نفر لما قبض على أخيه.

وفيه قبض على أينال الجركسي - أحد أمراء دمشق - وسجن بقلعتها.

شهر صفر، أوله الثلاثاء: فيه عزل السلطان جميع نواب القضاة الأربع، وكانت عدتهم مائة وستة وثمانين قاضي بالقاهرة ومصر، سوى من بالوجه القبلي والوجه البحري، وشنعت القالة عنهم. وفيه تيسر وجود الخبز بحوانيت الباعة من أسواق القاهرة، فتباشر الناس بذلك، وابتهجوا برؤيته لبعد عهدهم برويته في الحوانيت، وأخذه من غير ازدحام مدة ثلاثة أشهر، أولها مستهل ذي القعدة من السنة الماضية. واستقرت زنة الأخباز التي يفرقها السلطان في كل يوم على الفقراء ستة آلاف رطل، عنها نحو اثني عشر ألف رغيف. وفيه خرج عسكر نجدة للأمير فخر الدين بن أبي الفرج بالبحيرة، وتزايد موت الناس بالطاعون.

وفي خامسه: وقع الاهتمام في عمارة الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة، وأقيم بها مائة فاعل، وبضع وثلاثون بناء، ووفيت لهم أجرهم من غير أن يكلفوا فيه أكثر من طائفتهم، ولا سخر أحد من الناس بالقهر.

وفي عاشره: أحصي من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة في مدة شهر أوله عاشر المحرم، فكان ثلاثة آلاف إنسان.

وفي ثاني عشره: استدعى السلطان قضاة القضاة الثلاث، سوى الحنبلي، فإنه سافر إلى بلدة حماة، فحضر الثلاثة بنوابهم، واستقر الحال بين يديه على أن يكون نواب القاضي الشافعي عشرة، ونواب الحنفي خمسة، ونواب المالكي أربعة، وانفضوا على هذا، فتصدى النواب المذكورون للحكم بين يدي، بعدما امتنع نواب الحكم من أول الشهر.

وفي رابع عشره: زيد في عدة نواب القضاة، ثم رد من منع شيئا بعد شيء، حتى زادت عدتهم عما كانت عليه قبل المنع.

وفي خامس عشره: نودي أن لا يزوج أحد من الشهود مملوكا من مماليك السلطان، وهدد من عقد نكاح أحد منهم. وفيه بطلت تفرقة الأخباز السلطانية على الفقراء، لسعة الوقت، وذهاب الغلاء.

وفي سادس عشره: تجاوز عدد من يرد اسمه الديوان من الأموات مائة نفس في اليوم. وهذا سوى من يموت بالمارستان، وفي عدة مواضع خارج المدينة، ويكون ذلك نحو الخمسين نفسا.

وفي ثاني عشرينه: كانت عدة من صلي عليه من الأموات – بمصلى باب النصر خاصة – من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتا، وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت في الأماكن، بحيث مات في أسبوع واحد من درب واحد ثلاثون إنسانا، وكثير من الدور يموت منها العشرة فصاعدا، وقدم الخبر **بكثرة الوباء أيضا** ببلاد الصعيد، وفي طرابلس الشام، وأحصي من مات بها في مدة أيام، فكانت عدتهم عشرة آلاف إنسان، **وكثر الوباء أيضا** بالوجه البحري من أراضي مصر.

وفي سادس عشرينه: تجاوزت عدة أموات القاهرة المائتين. وفيه قدم الطواشي مرجان الهندي الخازندار من الصعيد بغلال كثيرة وقد انحل السعر، فبيع الأردب القمح بمائتين وسبعين درهما، وعنها يومئذ مثقال ذهب، فإن الناس لم يمتثلوا ما رسم به في سعر الذهب، وبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين، والأفرنتي إلى مائتين فقط. وقدم الخبر بأن معظم أهل مدينة هو – من صعيد مصر – قد ماتوا بالطاعون.." (١)

"وفي ثامن عشرينه: أنفق من الديوان المفرد على أرباب الجوامك من الأمراء، والمماليك وغيرهم، ذهب وفضة مؤيدية، فحسب عليهم المثقال الذهب بمائتين وسبعين، والأفرنتي بمائتين وخمسين. ولم يصرف لأحد منهم فلوس، ورسم بأنها تخزن، وأن لا يقبض من أحد أبيع عليه شيء من الغلال المحضرة من الصعيد إلا الفلوس لا غير، وذلك ليغير ضربها وتعمل فلوس مؤيدية.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا، واستقر في نيابة الإسكندرية، وعزل أقبردي المنقار، وكان قطلوبغا هذا ممن أنعم عليه الأمير منطاش بإمرة مائة، فطال خموله في الأيام الظاهرية والناصرية، حتى تنبه في هذا الوقت، وولي بغير سؤال ولا قدرة على ما يتجهز به. وفيه قتل بدمشق يعقوب شاه، وشاهين الأجرود، وطوغان المجنون.

وفيه خرجت عدة من الأمراء لقتال أهل البحيرة، فتبعوهم واحتووا لهم على كثير من الجمال والغنم والبقر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/١٨٧

والخيل، حملت إلى السلطان، وقتلوا عدة من الناس. وفيه **اشتد الغلاء بنابلس**، وكثر فساد محمد بن بشارة بأرض صفد.

وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج كاشف الكشاف، بطائفة من أهل البحيرة، واستاق لهم من الأغنام الشعاري أربعة آلاف وستمائة رأس، وأغنام ضأن ثلاثمائة رأس، وأبقار مائتي رأس، وحمير مائتي رأس، بعثها إلى السلطان، سوى ما حصل بيده ويد أعوانه، ثم جهز أيضا غنما شعاري ثلاثة آلاف رأس، وغنم ضأن ألف رأس، وخيلا عشرين فرسا، ومائتي رأس من البقر، ومائة حمار. وفيه كتب إلى عرب لبيد - أهل برقة - بنزولهم على البحيرة، واستيطانها وقتال أهلها، وأخذهم.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء: فيه كثر الموتان بالقاهرة ومصر، وتجاوزت عدة من ورد اسمه الديوان من المولي الثلاثمائة، وتوهم كل أحد أن الموت أتيه عن قريب، لسرعة موت من يطعن، وكثرة من يموت في الدار الواحد، وتواتر **انتشار الوباء في** جميع أراضي مصر، وبلاد الشام، والمشرق، بحيث ذكر أنه بأصبهان غالب أهلها، حتى صار من يمشي بشوارعها لا يرى أحدا يمر إلا في النادر، وأن مدينة فاس بالمغرب أحصى من مات بها في مدة ثلاثين يوما ممن ورد الديوان - سوى الغرباء من المساكين - فكانوا ستة وثلاثين ألف، وأن المساكن عندهم صارت خالية، ينزل بها من قدم إليها من الغرباء، وأن هذا عندهم في سنتي سبع عشرة، وثمان عشرة وثمانمائة.

وفي هذا الشهر: تصدى الأمير بدر الدين الأستادار لمواراة من يموت من المساكين، بعد تغسيلهم وتكفينهم، فحسن الثناء عليه. وفيه وعك السلطان من عاشره، وشنع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان، فلا تجد إلا باكيا على ميت، أو مشغولا بمريض، وبلغت عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات في ثالث عشرينه ما ينيف على خمسمائة، بما فيهم من موتى المارستان والطرحاء، ومع ذلك والأخبار متواترة بأنه صلى في هذا اليوم بمصليات الجنائز على ما ينيف على ألف ميت، وأن الكتاب يخفون كثيرا ممن يرد اسمه إليهم.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابي، واستقر في وظيفة الحسبة، وعزل بدر الدين محمود العينتابي.

وفي سابع عشره: أشهد عليه السلطان بوقف الجامع الذي أنشأه بجوار باب زويلة، ووقف عليه عدة أماكن بالشام ومصر. وفيه تزايد بالسلطان ألم رجله، وتمادى به أياما.

وفي عشرينه: خرج عدة من الأمراء إلى الصعيد، لقتال المفسدين، والوقت حينئذ أيام قبض الغلال، فيخشى

منه تمزقها. وفيه نقص عدد الموتى من خامس عشره.

وفي سابع عشرينه: خلع علي بدر الدين محمود العينتابي، واستقر ناظر الأحباس بعد موت شهاب الدين أحمد الصفدي. وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرنج من الوجه البحري إلى القاهرة وأقام بها.

وفي تاسع عشرينه: قدم الخبر بنزول الفرنج على ثغر نستراوه، ونهبهم وتحريقهم الثغر. فيه استقر الشيخ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي في مشيخة المدرسة الجمالية برحبة باب العيد، بعد موت الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمي. وانقضي هذا الشهر، وقل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما لم يكن بها حزن على ميت وأقل ما قيل أنه مات من عاشر المحرم إلى آخر هذا الشهر عشرون ألفا والمكثر يبالغ في العدد.." (١)

"وفيه كانت وقعة في عاشره، بين نائب حلب وبين كزل، قريبا من دربساك، انهزم فيها كزل، وقتل وجرح منه جماعة، وأخذ كردي باك وقتل، وحمل رأسه إلى مصر. وفيه أخذ حسين بن كبك ملطية، وأساء السيرة في أهلها. وفيه حارب نائب حلب حميد بن نعير وهزمه، وغنم له كثيرا من الجمال.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة: بلغت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات - سوى المارستان والطرحاء - إلى مائة وعشرين.

وفي خامسه: سفر الأمير جانبك الصوفي من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نيفا وستين، وفي تاسعه كانت عدتهم ثلاثة وعشرين.

وفي ثاني عشره: قبض على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، بعد ما أوسعه السلطان سبا، وهم بقتله، ثم عوق نهاره بالقلعة، فشفع فيه الأمير جقمق الدوادار، فأسلم له على أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار، ونزل معه آخر النهار، وسبب قبضه تأخر جوامك المماليك وعليق خيولهم من عجزه، مع كثرة دالته على السلطان، وبسط لسانه المانه عليه.

هذا والأمير فخر الدين بن أبي الفرج يواصل حمل المال من الوجه البحري، حتى أناف ما حمله على مائة ألف دينار، سوى الخيول وغيرها.

وفيه قبض على كثير من التجار والصيارفة، وجمعوا في بيت الأمير جقمق الدوادار، واشتد الإنكار عليهم، بسبب غلاء سعر الذهب، ومخالفتهم ما رسم لهم به فيه غير مرة، حتى بلغ المثقال إلى مائتين وثمانين، والدينار الأفرنتي إلى مائتين وستين، والناصري إلى مائتين وعشرة دراهم، وباتوا في داره، محتفظا بهم، وموكلا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٨٨/٣

عليهم، حتى تراجع السلطان في أمرهم.

فكثر خوض الناس في حديث الذهب، وتوقفوا في أخذه، ثم أفرج عنهم من الغد، ولم يتقرر شيء يعتمد عليه في أمر الذهب.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات تسعة وعشرين، وقدم الخبر من دمشق بتزايد الموتان عندهم، وأنه يموت في اليوم ستون إنسانا وأنه **ابتدأ الوباء عندهم** من أثناء ربيع الأول، عندما تناقص من ديار مصر.

وفي ثامن عشره: كتب السلطان بطلب الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أسعد العبسي القدسي الديري الحنفي من القدس، ليستقر به في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن ابن العديم بعد موته.

وفي عشرينه: بعث السلطان تشريفا إلى الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج كاشف الوجه البحري، ليستقر أستادارا، عوضا عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وكتب إليه بحضوره. وفيه تقرر على الأمير بدر الدين بحمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، بعد ما عصر في بيت الأمير جقمق عصرا شديدا وضربت الحوطة على موجوده، وتتبعت حواشيه وأسبابه وألزامه، فقبض عليهم. وفيه قدم الخبر بأن عدد الموتى بدمشق بلغ إلى مائة إنسان في اليوم، ممن يرد اسمه للديوان.

وفي حادي عشرينه: قبض على كثير من الصيارفة والتجار، ورسم عليهم وأخذوا من الغد، وأحضروا بالقلعة، فلم يتهيأ لهم حضور بين يدي السلطان، وتقرر معهم ألا يخالفوا ما يرسم به في الذهب، وأفرج عنهم بعدما أرجف بأنهم يشنقوا، ونودي أن يكون المثقال الذهب بمائتين وخمسين، والدينار الأفرنتي بمائتين وثلاثين، وأن لا يتعامل بالناصري، بل يقص ويصرف بحساب الذهب الهرجة المصري، فشق ذلك على الناس وتلف لهم مال كثير.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج إلى القاهرة.

وفي رابع عشرينه: نودي على النيل أنه زاد ثلاثة أصابع، وأن القاع بلغ سبعة أذرع ونصف ذراع.

وفي خامس عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبي الفرج، واستقر أستادارا، مع ما بيده من كشف الوجه البحري.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشرينه: نقل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من بيت الأمير جقمق الدوادار إلى بيت الأمير فخر الدين الأستادار، وقد أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات كثيرة متعددة، وقبض

على امرأته وعوقبت حتى أظهرت مالا كثيرا، فاصبحوا مرحومين بعدما كانوا محسودين، نكالا من الله بما قدمت أيديهم، فإنهم كانوا قوم سوء فاسقين، لم يعفوا عن قبيح، ولا كفوا يدا عن ظلم.." (١)

"وفي هذا الشهر: رسم بدمشق على قاضي نجم الدين عمر بن حجي الشافعي، ونودي بعزله والكشف عليه، وأن من له عليه حق يحضر إلى بيت الحاجب الدعوى عليه، واستمر النداء مدة أيام، فلم يظهر عليه شيء ثم نفل إلى المدرسة اليونسية، بالشرف الأعلى، ورسم عليه، ونصب للحكم بين الناس نائبان من نوابه، وكتبت أوراق بوظائفه، وأشهد عليه أنه إن كان له غير ذلك يكون عنده عشرة آلاف دينار لعمارة الأسوار، وحملت الأوراق إلى السلطان.

وفيه نزل قرا يلوك على أرزنجان، وأفسد بلادها، فكتب نائبها بير عمر إلى قرا يوسف، فأمده بابنه اسكندر، ففر منه قرا يلوك، وأخذ ما كان معه. وفيه مات الأمير ناصر الدين محمد إلياس حاجب غزة وقد كان قدم إلى القاهرة غير مرة، وكان من الظلمة الكبار.

شهر شعبان المكرم، أوله الأربعاء: فيه انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء، وثبت إلى وقت انحطاطه، فنزل نزولا حسنا.

وفيه تردد السلطان إلى العمارة بجوار باب زويلة، غير مرة.

وفيه كثر طلب مباشري الدولة للرخام - من العمد والألواح - برسم الجامع المؤيدي، فأخذ ذلك من عدة بيوت في القاهرة ومصر.

وفيه كثر غبن الناس لانحطاط النقود بديار مصر، مع ثبات أسعار المبيعات وأجر الأعمال.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه: وسط بمدينة المحلة شمس الدين محمد بن مريجينة - قاضي ناحية جوجر من الغربية ومتدركها - وأحيط بموجوده، وهو نحو خمسة وأربعين ألف دينار، فدخل ديوان السلطان، ولم يترك منه لأولاده شيء.

وفي سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين خلعة السفر، فتوجه إلى الوجه القبلي من غده. وفيه خلع على زين الدين قاسم قاضي العلايا من بلاد الروم، واستقر في قضاء العسكر وإفتاء العدل، على مذهب الحنفية، وكانتا قد شغرتا من مدة، وقاسم هذا قدم إلى القاهرة من نحو سنة، وحضر في مجلس السلطان مع من يحضر من الفقهاء في كل أسبوع.

وقدم الخبر **بكثرة الوباء بالقدس** وصفد، وأنه ابتدأ عندهم من مدة أشهر. وفيه وعك السلطان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/١٨٩

وفيه مات أيدغمش بن أوزر من أمراء التركمان، في الاعتقال بدمشق.
وفيه قبض على محمد عبد القادر وأخيه عمر بغزة، وحملا إلى القاهرة.
وفيه قدمت هدية سلمان بن أبي يزيد بن عثمان، متملك برصا، فأنزل قاصده بدار الضيافة، وقبلت هديته، ورسم أن تجهز له هدية.
شهر رمضان المعظم، أوله الجمعة: لم يشهد فيه السلطان الجمعة، لملازمته الفراش. وفيه فرق الطواشي فيروز في الناس مبلغا من المؤيدية، على العادة. وفيه رتب السلطان عدة أبقار تذبح في مواضع متعددة، ويفرق لحمها كما كانت عادة الملك الظاهر برقوق في شهر رمضان.
وفي يوم الخميس سابعه: خلع على الأمير أقبغا شيطان، شاد الدواوين، واستقر في ولاية القاهرة، وعزل الأمير خرز، فصار بيده ولاية القاهرة وشد الدواوين والحجربية، وخلع على خرز واستقر في نقابة الجيش.
وفي تاسعه: نودي بأن يكون سعر المؤيدي ثمانية دراهم، وأن تكون الفلوس بخمسة دراهم ونصف كل رطل، ويكون الدينار الأفرنتي بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد في ذلك أو غيره. وكان الأفرنتي قد بلغ إلى أحد وثلاثين مؤيديا.
وفيه قدم الشريف بركات بن الأمير حسن بن الأمير عجلان من مكة المشرفة بخيل وغيرها، تقدمة للسلطان، فقبلت منه، وأنزل وأجرى عليه راتب.
وفي حادي عشره: خلع على الأمير خرز، واستقر شاد الداوين، عوضا عن أقبغا شيطان، وجعل من جملة الحجاب، فصار شاد الدواوين، نقيب الجيش، حاجبا.
وفي خامس عشره: كتب تقليد الشريف حسن بن عجلان بإعادته إلى إمرة مكة، وعزل الشريف رميثة.
وفي عشرينه: أحضر إلى السلطان برجل عجمي، ادعى أنه صعد إلى السماء السابعة، ورأى الله سبحانه، وأنه تعالى صرفه في الملك، فسجن بالمارستان عند الممرودين.
وفيه أعيد رسول ملك اليمن، ورسول الفرنج البندقية، ورسول قرا يوسف، ومع كل منهم هدية.
وفي آخره: قدم قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي من دمشق، وقد عزل عن قضاء دمشق بجمال الدين عبد الله بن نور الدين محمد بن صدر الدين محمد بن محمد ابن زيد، قاضي بعلبك.." (١)

"وفي يوم الاثنين خامس عشرينه شعبان: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى ظاهر القاهرة، وعبر من باب النصر ومر في شارع المدينة إلى القلعة، وبين يديه الهجن التي عينها للسفر معه إلى الحجاز، وعليها

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٩٢/٣

حلي الذهب والفضة، فكان يوما عظيما، فما هو إلا أن استقر بالقلعة قدم الأمير بردبك الحمزاوي - أحد أمراء الألوف بحلب - ومعه نائب كختا - الأمير منكلي بغا - بكتاب نائب حلب والأمير عثمان بن طرعلي، المعروف بقرايلك، بأن قرايلك عدى الفرات من مكان يقال له زغموا ونزل على نهر المرزبان وذلك أنه بلغه أن قرايوسف قصد كبسه مما أحسن قرايلك إلا وقد هجمت فرقة من عسكر قرايوسف عليه من شميصات دخل بهم خليل نائب كركر، فأدركوا قرايلك عند رحيله من نهر المرزبان إلى مرج دابق، فقاتلهم في يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان هذا، وأخذوا بعض أثقاله، فنزل مرج دابق، ثم قدم حلب في نحو ألف فارس، باستدعاء الأمير يشبك له، فجفل من كان خارج سور مدينة حلب، ورحلوا ليلا عن آخرهم. واضطرب من بداخل السور، وألقوا بأنفسهم من السور ورحل أجناد الحلقة ومماليك النائب المستخدمين، بحرمهم وأولادهم، فانثنى عزم السلطان عن السفر إلى الحجاز، وكتب إلى العساكر الشامية في المسير إلى حلب، والأخذ في تهيئة الإقامات. وأصبح يوم الثلاثاء سادس عشرينه وقد جمع الأمراء والخليفة وقضاة القضاة، وطلب شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، وقص عليهم خبر قرايوسف، وما حصل لأهل حلب من الخوف والفزع، وجفلتهم - هم وأهل حماة - وأن الحمار بلغ ثمنه خمسمائة درهم فضة، والأكديش إلى خمسين دينارا، وأن قرايوسف في عصمته أربعون امرأة، وأنه لأيدين بدين الإسلام، وكتب صورة فتوى في المجلس فيها كثير من قبائحه، وأنه قد هجم على ثغور المسلمين، ونحو هذا من الكلام. فكتب شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني وقضاة القضاة بجوار قتاله. وكتب الخليفة خطه ب٥١ أيضا. وانصرفوا ومعهم الأمير مقبل الداودار فنادوا في الناس بالقاهرة بين يدي الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة الأربع، بأن قرايوسف يستحل الدماء، ويسبي الحريم، ويخرب الديار، فعليكم بجهاده كلكم، بأموالكم وأنفسكم. فدهى الناس عند سماعهم هذا، واشتد قلقهم. وكتب إلى ممالك الشام أن ينادي بمثل ذلك في كل مدينة، وأن السلطان واصل إليهم بنفسه وعساكره. وكتب إلى الوجه القبلي بإحضار الأمراء.

وفيه بلغ ماء النيل في زيادته عشر أصابع، من تسعة عشر ذراعا، ونقص في يومه إصبعين، بعدما نقص خمسا، وذلك قبل أوان نقصه فارتفع سعر الغلال، وتخوف الناس الغلاء.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: نودي بين يدي الأمير خرز نقيب الجيش في أجناد الحلقة بتجهيز أمرهم للسفر إلى الشام، ومن تأخر حل به كذا وكذا من العقوبة.

شهر رمضان، أوله الأحد: فيه قدم الخبر بأن قرايلك رحل من حلب، وأقام بها الأمير يشبك نازلا بالميدان، وعنده نحو مائة وأربعين فارسا، وقد خلت حلب من أهلها، إلا من التجأ إلى قلعتها. فأتاه النذير ليلا أن

عسكرا قرايوسف قد أدركه، فركب قبيل الصبح فإذا مقدمته معلى وطأة بابلا فواقعهم وهزمهم، وقتل وأسر جماعة، فأخبروه أنهم جاءوا لكشف خبر قرايلك، وأن قرايوسف بعين تاب. فعاد وتوجه إلى سرمين، فلما بلغ قرايوسف هزيمة عسكره، كتب إلى نائب حلب يعتذر عن نزوله بعين تاب، وأنه ما قصد إلا قرايلك، فإنه أفسد في ماردين، فبعث إليه صاروخان - مهمندار حلب - فلقيه على جانب الفرات، وقد جازت مجموعة الفرات وهو على نية الجواز، فأكرمه واعتذر عن وصوله إلى عين تاب، وحلف أنه لم يقصد دخول الشام، وأعاده بهدية للنائب، فسر السلطان بذلك.

وكان سبب حركة قرايوسف، أن الأمير فخر الدين عثمان بن طر علي بن محمد - ويقال له قرايلك - صاحب آمد، نزل في أوائل شعبان على مدينة ماردين من بلاد قرايوسف، فأوقع ب أهلها، وأسرف في قتلهم، وسبي نساءهم، وباع الأولاد والنساء، حتى أبيع صغير بدرهمين، وحرق المدينة، ورجع إلى آمد، فلما بلغ قرايوسف ذلك، اشتد حنقه وسار، ومعه الطائفة المخالفة للسلطان، يريد أخذ قرايلك، ونزل على آمد، ثم رحل عنها في ثامن شعبان جريدة خلف قرايلك، وقطع الفرات من شميصات في عاشره ولحق قرايلك، وضربه على نهر المرزبان ففر منه إلى حلب، وهو في أثره، فتوجه قرايلك من حلب، وكان من مواقعة نائب حلب لعسكر قرايوسف ما ذكر.." (١)

"وفي رابع عشره: نزل مرسوم السلطان إلى الهروي أن يخرج مما ثبت عليه، ويدفع إلى مستحقي وقف الخليل مصالحة عما ثبت في جهته، لو عمل حسابه، لمدة مباشرته مبلغ ثلاثة آلاف دينار، فشرع في بيع موجوده إلى يوم الثلاثاء نصفه، بعث السلطان من ثقاته أميرا إلى بيت الهروي، فأخذ منه ما تحت يده من المال المأخوذ من أجناد الحلقة، وهو ألف ألف وستمائة ألف درهم فلوسا، فلم يوجد سوى ألف ألف درهم، وقد تصرف في ستمائة ألف درهم عنها نحو ثلاثة آلاف دينار، فشنعت القالة عليه، واشتد غضب السلطان منه، وبعث قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي إلى نواب الهروي، فمنعهم من الحكم بين الناس، بمقتضي أنه ثبت فسقه، وحكم الفاسق لا ينفذ وولايته لا تصح عند الإمام الشافعي، وهددهم متى حكموا بين الناس، فانكفوا عن الحكم.

وفي يوم الأربعاء غده: صعد بعض الرسل المرسمين على الهروي إلى السلطان، وبلغه - على لسان بعض خواصه - أنه تبين له ولرفقائه أن الهروي تهيأ ليهرب، فبعث عدة من الأجناد وكلهم به في داره.

وفي يوم الخميس سابع عشره: نزل السلطان إلى جامعه بجوار باب زويلة، واستدعى شيخ الإسلام قاضي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٢١/٣

القضاة جلال الدين البلقيني، فارتجت القاهرة، وخرج الناس من الرجال والنساء على اختلاف طبقاتهم لرؤيته، فرحا به، حتى غصت الشوارع، فعندما رآه السلطان، قام له وأجله، وبالغ في إكرامه وأفاض عليه التشريف، وشافهه بولاية القضاة، وتوجه جلال الدين البلقيني من الجامع إلى المدرسة الصالحية، فمر من تحت الربع، وعبر من باب زويلة، وسلك تحت شبابيك الجامع، وقد قام السلطان في الشباك ليراه، فأبصر من كثرة الخلق، وشدة فرحهم، وعظيم ما بذلوه، وسمحوا به من الزعفران للخلوق، والشموع للوقود، مع مجامر العود والعنبر، ورش ماء الورد، وضجيجهم بالدعاء للسلطان، ما أذهله، وقوي رغبته فيه، وسار كذلك حتى أن بغلته لا تكاد أن تجد موضعا لحوافرها، حتى نزل بالمدرسة الصالحية، ومعه أهل الدولة عن آخرهم، لم توجه إلى داره، فكان يوما مشهودا، واجتماعا لم يعهد لقاض، مثله.

وفي سادس عشرينه: انتهي عرض أجناد الحلقة.

وفي هذا الشهر: تتبع صدر الدين محتسب القاهرة أماكن الفساد بنفسه، ومعه والي القاهرة، فأراق آلافا من جرار الخمر وكسرها، ومنع النساء من النياحة على الأموات، ومنع من التظاهر بالحشيش، وكف البغايا عن الوقوف لطلب الفاحشة في الأسواق، ومواضع الريب، وألزم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام الواسعة وتصغير العمائم، حتى لا تتجاوز عمامة أحدهم سبعة أذرع، وأن يدخلوا الحمامات بجلاجل في أعناقهم، وأن تلبس نساوهم أزرا مصبوغة، ما بين إزار أصفر لليهودية، وإزار أزرق للنصرانية، فاشتد قلقهم من ذلك، وتعصب لهم قوم، فعمل بعض ما ذكر دون باقيه. وبلغت عدة من ورد الديوان من الأموات في هذا الشهر بمدينة بلبيس ألف إنسان، وبناحية بردين من الشرقية خمسمائة نفس، وبناحية ديروط من الغربية ثلاثة آلاف إنسان، سوى بقية القرى، وهي كثيرة جدا.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس: في ثالثة: بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات بالقاهرة إلى مائة وستة وتسعين، سوى المارستان، ومصر، وبقية المواضع التي لا تود الديوان، وما تقصر عن مائة أخرى. هذا مع شناعة الموتان بالأرياف، وخلو عدة قرى من أهلها.

وفي خامسه: خدع قاضي القضاة الهروي الموكلين به من الأجناد، حتى مكنوه أن يخرج من داره، فالتجأ إلى بيت الأمير قطلوبغا التنمي، فطار الخبر في الوقت إلى الأمير مقبل الدوادار وغيره، بأن الهروي قد هرب، وبلغ السلطان ذلك، فبعث الأمير تاج الدين الشويكي أستادار الصحبة إليه، فأخذه من بيت التنمي، وحمله إلى القلعة، فسجنه بها في أحد أبراجها، وضرب الدوادار الأجناد الموكلين به ضربا مبرحا.

وفي يوم الخميس ثامنه: نودي في الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام أخرها يوم الخميس

خامس عشره، ليخرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحراء في رفع الوباء، ثم أعيد النداء في ثاني عشره أن يصوموا من الغد فتناقص عدد الأموات فيه، وأصبح كثير من الناس صياما، فصاموا يوم الثلاثاء، ويوم الخميس، وبطل كثير من الباعة بيع الأقوات في أول النهار، كما هي العادة في أول شهر رمضان.." [١]

"وقدم الخبر بحدوث زلزلة عظيمة ببلاد الروم، حدثت يوم كسف الشمس. خسف منها قدر نصف مدينة أرزنكان، هلك فيها عالم كثير، وانهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير، وكان ابن عثمان قد بني في برصا قيسارية وعدة حوانيت، خسف بها وبما حولها، فهلك خلق كثير، لم يسلم منهم أحد. **وأن الوباء عم** أهل إقريطش والبندقية من بلاد الفرنج، حتى خلتا، وأن الفرنج قد اجتمعوا لحرب ابن عثمان متملك برصا.

وفي ثاني عشرينه: أنزل بالهروي مع معتقله بالبرج، مع الأمير التاج إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، وقد اجتمع قضاة القضاة الثلاث عند شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني بقاعته منها، فأوقف الهروي تحت حافة الإيوان، وادعي الأمير التاج عليه عند الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر – بحضرة القضاة – بما ثبت عليه عنده في مجلس السلطان، فأجاب بأن ما ثبت عليه قد أدى بعضه، وأنه يحمل باقيه قليلا قليلا، فطلب التا ج حكم الله فيه، فأمر بسجنه، حتى يودي ما عليه، فأخرج به إلى قبة الصالح فسجن بها، ووكل به جماعة يحفظونه. فأقام إلى ثامن عشرينه، ونقل من القبة إلى قلعه الجبل من كثرة شكواه، بأنه يمر به من سب الناس ولعنهم له، ما لا يحتمل مثله، وأنه لا يأمن أن يفتك الناس به لكراهتهم فيه، فعندما صار بجامع القلعة، نقل للتاج أن الهروي ما أراد بتحوله من القبة إلى القلعة إلا القرب من خواص السلطان، ليتمكن منهم، حتى يشفعوا له عند السلطان في خلاصه، فبادر ونقله من جامع القلعة إلى موضع يشرف على المطبخ السلطاني.

وقدم الخبر برحيل ابن السلطان من حلب، ودخل إلى مدينة قيسارية الروم، في يوم الخميس تاسعه، فحضر إليه أكابرها من القضاة والمشايخ، والصوفية، وتلقوه، فألبسهم الخلع، وطلع قلعتها في يوم الجمعة، وخطب في جوامعها للسلطان، وضربت السكة باسمه. وأن شيخ جلبي نائب قيسارية تسحب قبل وصوله إليها، وأنه خلع على الأمير محمد بك قرمان، وأقره في نيابة السلطنة بقيسارية الروم فدقت البشائر بقلعة الجبل، وفرح السلطان بأخذ قيسارية، فإن هذا شيء لم يتفق لملك من ملوك الترك بمصر، سوى للظاهر بيبرس، ثم انتقص الصلح بينه وبين أهلها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٢٩/٣

شهر جمادى الأولى، أوله السبت: فيه بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات سبعة وسبعين، وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر – أمسه – سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلا، والنساء ستمائة وتسعة وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيرا، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وسوى ديوان مصر، وسوى من لا يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقصر ذلك عن تتمة العشرة آلاف. ومات بقري الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد.

وفي يوم الأحد ثانيه: ولد الأمير أحمد ابن السلطان من زوجته سعادات.

وفيه رسم بإخلاء حوش العرب تحت القلعة، مما يلي باب القرافة، فأخرج منه عرب آل يسار بحرمهم وأولادهم، ووقع الشروع في عمارته.

وفي ثالثه: خلع على الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر، واستقر مدرس الشافعية بالجامع المؤيدي، واستقر الشيخ يحيي بن محمد بن أحمد العجيسي البجائي المغربي النحوي في تدريس المالكية، واستقر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادي في تدريس الحنابلة، وخلع عليهم بحضرة السلطان، ونزلوا ثلاثتهم.

وفي سادسه: استدعى السلطان الأطباء، وأوقفهم بين يديه، ليختار منهم من يوليه رئاسة الأطباء، فتكلم سراج الدين عمر بن منصور بن عبد الله البهادري الحنفي، ونظام الدين أبو بكر محمد بن عمر بن أبي بكر، الهمداني الأصل، البغدادي المولد، ومولده بها في شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وقد استدعاه السلطان من دمشق، فقدم إلى القاهرة في شهر ربيع الآخر، وادعي دعوى عريضة في علم الطب، والنجامة، فظهر البهادري عليه بكثرة حفظه واستحضاره، وكاد يروج، لولا ما رمي به عند السلطان من أنه لا يحسن العلاج، وأنه مع علمه، يده غير مباركة، ما عالج مريضا إلا مات من مرضه، فانحل السلاح عنه، وصرفهم من غير أن يختار منهم أحدا.." (١)

"في ثامنه: كان نوروز القبط. والنيل على ثمانية عشر ذراعا تنقص إصبعا، فلما فتح بحر أبي المنجا، فقص النيل عشر أصابع. وارتفعت الأسعار فبلغ القمح ثلاثمائة درهم الأردب، وزاد سعر اللحم وغيره. وسببه قلة الغلال بالوجه القبلي من خسة وقوعها بعد حصادها، ثم كثرة قطاع الطريق في النيل وأخذهم المراكب

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٢٣١

الموسقة بالغلال ونحوها، مع كثرة ما حمل من الغلال إلى الحجاز، **لشدة الغلاء به**، وشره أهل الدولة وأتباعهم في الفوائد، واختزانهم الغلال طلبا للزيادة في أسعارها.

فلما كان يوم الخميس سادس عشره: نودي على النيل بزيادة إصبعين بعد رد النقص، فسكن بعض قلق الناس، وتيسر وجود الأخباز بالأسواق.

وفي عشرينه: قدم الأمير التاج الشويكي من الشام. وفيه تزايد ألم السلطان، ولم يحمل إلى القصر، واستمر به المرض واشتد.

وفي ثالث عشرينه: خلع على الأمير التاج، واستقر أمير الحاج.

وفي خامس عشرينه: برز مرسوم السلطان ألا يصرف لأحد من غلمان البيوتات السلطانية، ولا غلمان الأمراء جراية من الخبز. ورسم لجميع مباشري الأمراء بذلك، فألتزموه. وكان يصرف قديما مستمرا عادة لكل غلام رغيفان في اليوم. ورسم أيضا أن تكون جامكية السايس على الفرسين ثلاثمائة درهم في الشهر، وجامكية على الفرسين والبغل ثلاثمائة وخمسين، من غير جراية خبز. وفيه ابتدأ نقص النيل، وهو ثامن عشر توت، وقد انتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا ونصف.

وفي سابع عشرينه: ركب السلطان سحرا ومعه الأمراء والمماليك، ووقف بهم تحت قبة النصر. وقد بعث أربعين فرسا إلى بركة الحجاج فأجريت منها، وأتته ضحى النهار، فعاد من موقفه بقبة النصر إلى تربة الظاهر برقوق، ووقف قريبا منها دون ساعة. ثم بعث المماليك والجنائب والشطفة إلى القلعة، وتوجه إلى خليج الزعفران، فنزل بخاصته، ثم عاد من آخر النهار إلى القلعة.

وفي سلخه: ركب أيضا إلى بركة الحبش، وسابق بالهجن. ونظر في عليق الجمال، واستكثره، فرسم أن يصرف نصف عليقة لكل جمل.

وفي هذا الشهر: سرق الفرنج البنادقة من الإسكندرية رأس مرقص الإنجيلي - أحد من كتب الإنجيل - فغضب اليعاقبة من النصارى وأكبروا ذلك، وعدوه وهنا في دينهم. وذلك أنهم لا يولون بطركا إلا ويمضي إلى الإسكندرية، وتوضع هذه الرأس في حجره، زعما منهم أن البطركية لا تتم بدون ذلك، وقد اقتصصت في تاريخ مصر الكبير المقفي أخبار المرقص هذا، فانظره في حرف الميم، تجده.

شهر رمضان، أوله الخميس.

أهل هذا الشهر والناس في قلق، لنقص النيل قبل أوانه. وأسعار الغلال مرتفعة. والسلطان بحاله من المرض، إلا أنه تناقص. وقدم الخبر بأن ابن السلطان رحل من حلب في رابع عشرين شهر شعبان. وأن محمد بن

قرمان، وولده مصطفى، وإبراهيم بن رمضان، وصلوا إلى قيسارية، في سادس عشر شعبان، وحصروا الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائبها، فقاتلهم، وكسرهم، ونهب ما معهم. وقتل مصطفى، وحملت رأسه، وقبض على أبيه محمد بن قرمان، فسجن. وقدم رأس مصطفى بن محمد بك بن قرمان إلى القاهرة في يوم الجمعة، سادس عشر شهر رمضان، وطيف به ثم علق على باب النصر. وكانت العادة أن تعلق الرءوس على باب زويلة. فلما أنشأ السلطان الملك المؤيد الجامع بجوار باب زويلة، منع من تعليق الرءوس هناك، فعلقت على باب النصر. ودقت البشائر عند قدوم الرأس. وكان من خبره أن الأمير ناصر الدين محمد بك بن علي بك بن قرمان، اقتتل مع الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب مدينة أبلستين، فكاده ابن دلغادر بأن تأخر عن بيوته، فنهبها أبن قرمان. فرد عليه ابن دلغادر، وقتل ابنه الأمير مصطفى، بعدما عورت عينه، ففر ناصر الدين إلى مغارة، ومعه بعض من يثق به، فدل عليه رجل نصراني. فأخذه ابن دلغادر وبعث به، وبرأس ابنه مصطفى. ومر إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن قرمان، إلى بلاده.

وفيه قدم الخبر بمسير ابن السلطان من حلب، وقدومه دمشق في خامسه.." (١)

"وفي سابع عشرينه: ركب السلطان إلى لقاء ولده، وقد وصل قطيا. فاصطاد ببركة الحاج، ومضى إلى بلبيس. فقدم الخبر بنزول الابن الصالحية. فتقدم الأمراء وأهل الدولة، فوافوه بالخطارة. فلما عاين ابن البارزي كاتب السر، نزل له، وتعانقا. ولم ينزل لأحد من الأمراء غيره، لما يعلم من تمكنه عند أبيه. ثم عادوا معه إلى العكرشة، والسلطان على فرسه. فنزل الأمراء وقبلوا الأرض. ثم نزل المقام الصارمي، وقبل الأرض. ثم قام ومشى حتى قبل الركاب، فبكي السلطان من فرحه به، وبكي الناس لبكائه، فكانت ساعة عظيمة. ثم ساروا بموكبيهما إلى المنزلة من سرياقوس وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشرينه. وتقدمت الآطلاب، والأثقال، وزين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي، ناظر الخزانة. ودخلوا القاهرة. وركب السلطان آخر الليل، ورمي الطير بالبركة. فقدم الخبر بكرة يوم الخميس بوصول الأمير تنبك ميق نائب الشام. وكان قد طلب، فوافى ضحى، فركب في الموكب. ودخل السلطان من باب النصر، وشق القاهرة، وقد زينت، والأمراء قد لبسوا التشاريف الجليلة. وأركبوا الخيول المسومة بقماش الذهب والمقام الصارمي بتشريف عظيم، وخلفه الأسرى الذين أخذوا من قلعة نكدة وغيرها في الأغلال والقيود، وهم نحو المائتين، كلهم مشاة، إلا أربعة، فإنهم على خيول، منهم نائب نكدة، وثلاثة من أمراء ابن قرمان، وكلهم في الحديد. ومضى حتى صعد القلعة، فكان يوما مشهودا، أذن بانقضاء الأمر فإنها غاية لم ينلها أحد من ملوك مصر،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٣٥/٣

وعند التناهي يقصر المتطلول.

شهر شوال، أوله السبت.

فيه صلى السلطان العيد بالقصر، لعجزه عن المضي إلى الجامع من شدة ألم رجله، وامتناعه من النهوض على قدميه. وصلى به وخطب قاضي القضاة جلال الدين البلقيني على عادته، ثم أنشد تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي – على عادته – قصيدا، أبدع فيها ما شاء.

وفي ثالثه: خلع ع‍لى الأمير جقمق الدوادار، واستقر في نيابة الشام، عوضا عن الأمير تنبك ميق. وخلع الأمير مقبل الدوادار الثاني، واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن جقمق. وأنعم بإقطاع جقمق وإمرته على الأمير تنبك ميق العلاي.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير قطلوبغا التنمي، أحد أمراء الألوف، واستقر في نيابة صفد، عوضا عن الأمير مراد خجا. ورسم بنفي مراد خجا إلى القدس. وأنعم بإقطاع التنمي على الأمير جلبان أمير أخور ثاني.

وفي سابع عشره: رحل الأمير جقمق سائرا إلى دمشق، بعدما خلفه كاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزي على العادة، فأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب، كما جرت به العادة.

وفي عشرينه: برز الأمير التاج بالمحمل إلى الريدانية ظاهر القاهرة، بعدما خلع عليه خلعة سنية. وتتابع خروج الحاج.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه: نزل السلطان إلى جامعه، وقد هيئت المطاعم والمشارب، فمد سماط عظيم، وملئت البركة التي بصحنه سكرا قد أذيب بالماء، وأحضرت الحلاوات، لإجلاس قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي على سجادة مشيخة الصوفية، وتدريس الحنفية، وخطابة القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر. فعرض السلطان الفقهاء، وقرر منهم عند المدرسين السبعة من اختار، ثم أكل على السماط، وتناهبه الناس، وشربوا السكر المذاب، وأكلوا الحلوى. ثم استدعي الديري وألبس خلعة، واستقر في المشيخة وتدريس الحنفية. وجلس بالمحراب، والسلطان وولده عن يساره، والقضاة عن يمينه، ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة، فألقى درسا تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة، حتى قرب وقت الصلاة، ثم انفضوا. فلما حان وقت الصلاة صعد ابن البارزي المنبر، وخطب خطبة من إنشائه، بلغ فيها الغاية من البلاغة، ثم نزل فصلى. فلما انقضت الصلاة، خلع عليه، واستقر في الخطابة، وخزانة الكتب. ثم ركب السلطان، وعدى النيل إلى الجيزة، فأقام إلى يوم الأحد ثالث عشرينه، وعاد إلى القلعة.

وفيه رحل ركب الحاج الأول من بركة الحاج، ورحل التاج بالمحمل من الغد.

وفيه سرح السلطان إلى ناحية شيبين القصر، وعاد إلى القلعة من الغد.

وقدم الخبر **أن الغلاء اشتد** بمكة، فعدمت بها الأقوات، وأكلت القطط والكلاب، حتى نفدت، فأكل بعض الناس الآدميين، وكثر الخوف منهم، حتى امتنع الكثير من البروز إلى ظاهر مكة خشية أن يؤكلوا.." (١)

"أهلت وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد. وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز والروم، السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري، والأمير الكبير ألطنبغا القرمشي. وأتابك العساكر المقام الصارمي إبراهيم ابن السلطان. وأمير أخور الأمير طوغان. والدوادار الأمير مقبل، من أمراء الطبلخاناه. وأمير سلاح الأمير قجقار القردمي. وأمير مجلس الأمير ططر. ورأس نوبة الأمير ألطنبغا من عبد الواحد، المعروف بالصغير، وحاجب الحجاب الأمير ألطنبغا المرقبي. ونائب الشام الأمير جقمق. ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفي. ونائب حماة الأمير شاهين الزرد كاش. ونائب صفد الأمير قطلوبغا التنمي. ونائب غزة الأمير أينال السيفي نوروز. ونائب الأبلستين وقيسارية الروم ونكدة ولارندة ولؤلؤة الأمير على باك بن قرمان. ونائب سيس الأمير بردبك العجمي.

ونائب طرسوس الأمير بيكي باك التركماني، ونائب أياس الأمير في درمش. ونائب دوركي ناصر الدين محمد بن شهري. ونائب مالطية الأمير منكلى بغا الأرغن شاوي. ونائب كختا الأمير أكزل بغا. ونائب قلعة الروم الأمير أق فجا. ونائب البيرة الأمير ألطنبغا الصفوي. ونائب الرها الأمير طور علي ابن الأمير عثمان بن طور علي، المعروف بقرايلك. ونائب جعبر الأمير عمر الجعبري. ونائب الرحبة الأمير أرغون شاه الشرفي. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هيازع. وأمير ينبع الشريف مقبل بن نخبار الحسني. ونائب الإسكندرية الأمير ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء: أهل والسلطان في الصيد، فقدم إلى القلعة. وجلس من الغد – يوم الخميس – بالإيوان المعروف بدار العدل. وحضر الأمراء والقضاة وسائر أرباب الدولة. وأوقفت العساكر من المماليك السلطانية. وأجناد الحلقة، والنقباء، والأوجاقية، صفوفا من تحت القلعة إلى باب الإيوان. وأحضر بالأمير محمد بن قرمان – وهو مقيد – ومعه داود بن دلغادر، فمرا في العساكر، ثم في الطبردارية، والسلاح دارية، وبأيديهم السلاح، حتى دخلا، فمثلا قائمين بين يدي السلطان، وقد جلس على تخت الملك. فأمر بإيقاف الأمير دواوين بن دلغادر مع الأمراء، وتأخير ابن قرمان. ثم نهض السلطان قائما إلى القصر، وأحضر ابن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٢٣٦

قرمان وأنعم على داود، وأركب هو ومملوك أبيه قانباي بالقماش الذهب. ورتب له ما يليق به. ثم أمر بابن قرمان فجلس، ولامه السلطان على تعرضه لطرسوس، وشرهه لما أوجب وقوعه في الأسر. ووبخه على قبيح سيرته، وتعرضه لأخذ أموال رعيته، وعلى خيانته لكرشجي بن عثمان متملك برصا، وإحراقه بعض بلاده، بعد ما من عليه وأطلقه. فسأل العفو. ثم قال: لمن يعطي مولانا السلطان البلاد؟ فضحك منه، وقال له: وما أنت والبلاد؟. ثم أمر به فأخرج إلى الاعتقال، فسجن بالقلعة. وأمر السلطان بأن يكتب ابن قرمان إلى نوابه بالبلاد القرمانية أن يسلموا ما بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان، وأعلم أنهم متى لم يسلموا ما قد بقي بأيديهم منها إلى نواب السلطان وإلا قتل، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة بعرفة كانت يوم الأربعاء بخلاف ما كانت بمصر. وأخبروا بأن حاج العراق لم يأتوا. **وأن الغلاء شديد** بمكة، وأن الغرارة القمح أبيعت بخمسة وعشرين دينارا، وهي سبع ويبات مصرية. ثم انحطت لما قدم الحاج إلى عشر دينارا. وأن السمن والعسل واللحم في غاية القلة، لعدم المطر. وأن مسجدي مكة والمدينة قد تشعثا، ويخاف خرابهما. وأن الجانب الشامي من الكعبة قد آل إلى السقوط.

وفي ثالثه: قدم الأميران ألطنبغا القرمشي وطوغان أمير أخور كبير من الحجاز، فكانت مدة غيبتهما تسعة وخمسين يوما.

وفي رابعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وقدم على بار - أحد الأمراء الأينالية من التركمان - فأكرمه السلطان، وأنعم عليه. وجهز الأمير قجقار القردمي رسولا إلى ابن عثمان متملك برصا، وعلى يده كتاب يتضمن القبض على ابن قرمان واعتقاله.." (١)

"وفيه استقر الأمير شاهين الزردكاش نائب حماة في نيابة طرابلس. واستقر في نيابة حماة عوضه الأمير أينال السيفي نائب غزة. واستقر عوضه في نيابة غزة الأمير أركماس الجلباني أحد الأمراء مقدمي الألوف بديار مصر. وأفرج عن الأمير نكباي من سجنه بقلعة دمشق، واستقر في نيابة طرسوس، وإحضار نائبها الأمير تاني بك إلى حلب.

واستقر الأمير خليل الجشاري أحد أمراء الألوف بدمشق في الحجوبية بدمشق، عوضا عن نكباي المذكور. واستقر الأمير سنقر المؤيدي نائب قلعة دمشق في الحجوبية بطرابلس، عوضا عن الأمير سودن بن علي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٣٩/٣

شاه بعد وفاته. واستقر الأمير كمشبغا التنمي في نيابة قلعة دمشق. واستقر الأمير أقبغا الأسندمري – الذي كان نائب سيس وحمص – حاجبا بحماة، وكان بطالا بالقدس، عوضا عن الأمير سودن السيفي علان، بحكم عزله واعتقاله .

وفي سادس عشره: نقل عز الدين عبد العزيز البغدادي من تدريس الحنابلة بالجامع المؤيدي إلى قضاء الحنابلة بدمشق، واستقر عوضه في التدريس محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي، وخلع عليهما.

وفي عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. وقدم الأمير التاج بالمحمل من الغد. وكتب بالإفراج عن الأمير برسباي الدقماقي الظاهري من قلعة المرقب، واستقراره في جملة الأمراء الألوف بدمشق.

وفي هدا الشهر: أغاث الله الزروع في الوجه البحري، وأسقاها، فأخصبت بعد ما كانت جافة، فانحل السعر قليلا.

وفيه عز وجود القمح بالوجه القبلي، وبلغ الأردب المصري إلى دينارين، واقتاتوا بالذرة، وأكثروا من زراعتها، لسوء حالهم، وبوار أرضهم، وخراب قراهم، وقلة المواشي عندهم، حتى لقد صار اللبن عندهم طرفة من الطرف، فسبحان مزيل النعم.

وفيه قدم الخبر بفتنة كانت في شهر رمضان ببلاد اليمن، ثار فيها حسين بن الأشرف على أخيه الناصر أحمد، وأنه عم بلاد اليمن جراد عظيم، أهلك زروعهم، **فاشتد الغلاء عندهم**.

وفيه انتقض على السلطان ألم رجله، وتزايد، فلزم فراشه.

شهر صفر، أوله الخميس: فيه عدى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم على العادة في كل سنة، فقدم عليه بها في ثامنه رسول الأمير على باك بن قرمان، نائب لارندة، ونكدة، وقوينا، ومعه هدية وكتاب، يتضمن أنه أخذ مدينة قونيا، وأقام فيها الخطبة باسم السلطان، وضرب الصكة المؤيدية، وأنه محاصر قلعتها.

وفي عشرينه: عدى السلطان النيل عائدا من سرحة أوسيم، فنزل في بيت كاتب السر على النيل، وبات به، وعمل الوقيد في ليلة الخميس ثاني عشرينه على ما تقدم. وأكثر فيه من النفط وإشعال النيران، فكانت ليلة مشهودة. وركب بكرة الخميس إلى القلعة. فقدم بالخبر بأن عذرا بن علي بن نعير بن حيار احتال حتى قبض الأمير أرغون شاه نائب الرحبة، وحمل إلى عانة. وأن قرا يوسف نادى في عسكره بالتأهب إلى المسير للشام.

وفي سادس عشرينه: نزل السلطان إلى بيت الأمير أبو بكر الأستادار، يعوده وقد مرض، فقدم له تقدمة سنية.

وفي ثامن عشرينه: عملت خدمة الإيوان بدار العدل، وأحضر برسل الأمير محمد كرجي بن عثمان صاحب برصا وهديته.

وفيه سخط السلطان على صدر الدين بن العجمي المحتسب، لكلام نقل له عنه، فأخرجه من القاهرة إلى صفد، وكتب لوقيعه بكتابة السر بها، فخرج بعد الظهر، ونزل بتربة خارج باب النصر، ثم سار في يوم الجمعة آخره، وقد أزعج إزعاجا غير لائق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:." (١)

"وفي سابع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعة بجوار باب زويلة، وحضر دروس المشياخ كلهم، فكان يجلس في كل حلقة قليلا، والمدرس يلقى درسه. ثم يقوم إلى الحلقة الأخرى، حتى طاف الحلق السبع، وعاد إلى القلعة.

وفي هذا الشهر: عزم السلطان على السفر لقتال قرا يوسف. وأخذ في الأهبة لذلك، وأمر الأمراء به فشرعوا في ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الاثنين: فيه وقع الشروع في بناء منظرة على الخمس وجوه بجوار التاج خارج القاهرة ، لينشئ السلطان حولها بستانا جليلا، ويجعل ذلك عوضا عن قصور سريا قوس، ويسرح إليها كما كانت سرحة سريا قوس.

وفي خامسه: سافر قاضي القضاة علاء الدين علي بن مغلي الحنبلي إلى مدينته لينظر في أحواله، واستخلف على قضاء القضاة بعض ثقاته.

وفي ثالث عشره: ابتدأ بالسلطان ألم تجدد له من حبس الإراقة، مع ما يعتريه من ألم رجله.

وفي سابع عشره: صرف الصاحب بدر الدين بن نصر الله من أستاداريۃ ابن السلطان. وأقيم بدله جمال الدين يوسف بن خضر بن صاروجا المعروف بالحجازي، وأصله من الأكراد، وقدم القاهرة، وترقى حتى عمل أستادارية الأمراء في الأيام الناصرية فرج. وتمكن عند الأمير طوغان الحسني الدوادار تمكنا زائدا، فعظم قدره. ثم لما قبض على طوغان فر إلى مكة، وأقام بها مدة. ثم حضر إلى القاهرة وباشر الدواليب السلطانية بالوجه القبلي زمانا، فنكبه الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج، وعاقبه وصادره، ثم أفرج عنه فلزم داره حتى الأمير أبو بكر الأستادار، سعى جمال الدين يوسف في الأستادارية، فأخرق به الصاحب بدر الدين بن نصر الله، وأراد القبض عليه، فلم يمكنه السلطان منه، وعنى به، ثم ولاه بعد ذلك أستادارية

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٤٠/٣

ولده.

وفي ثاني عشرينه: اشتد بالسلطان الألم وتزايد به إلى يوم الأربعاء رابع عشرينه، نودي في القاهرة بإبطال مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة، وهو في كل سنة نحو ستة آلاف دينار سوى ما يأخذه القبط الكتبة والأعوان – ويقارب ذلك – فبطل، ونقش ذلك على باب الجامع المؤيدي.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بالإسكندرية** والبحيرة، وكثر الإرجاف بحركة قرا يوسف إلى جهة البلاد الشامية.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء: وفي ثانيه: ركب السلطان – وقد أبل من مرضه – إلى خارج القاهرة وعبر من باب النصر، وقد زينت المدينة فرحا بعافيته، وأشعلت الشموع والقناديل، فمر إلى القلعة.

وفي هذه الأيام: مرض المقام الصارمي إبراهيم ابن السلطان، فركب في يوم الثلاثاء رابع عشره من القلعة في محفة، لعجزه عن ركوب الفرس، ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطل على البحر، وأقام به. ثم ركب النيل في غده إلى الخروبية بالجيزة وأقام بها: وقد تزايد مرضه.

وفي ثان عشرينه: ركب السلطان إلى الخمس وجوه، فشاهد ما عمل هناك ورتب ما اقتضاه نظره من كيفية البناء، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكوب ناظر الديوان المفرد، المطل على بركة الرطلي خارج باب الشعرية، فأقام عنده نهاره وعاد من آخره إلى القلعة، وقدم له ابن الكويز تقدمة تليق به سوى ما أعده له من المآكل والمشارب.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطي شيخ الخانكاة الناصرية فرج، بتربة أبيه الظاهر برقوق خارج باب النصر، واستقر قاضي القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسي، فاقتصر من نواب الحكم على أربعة، ثم زادهم بعد ذلك.

وفي يوم الأربعاء آخره: نزل السلطان إلى الميدان الكبير الناصري. بموردة الجبس. وكان قد خرب وأهمل أمره، منذ أبطل السلطان الملك الظاهر برقوق الركوب إلي ولعب الكرة فيه، وتشعثت قصوره وجدرانه، وصار منزلا لركب المغاربة الحجاج فرسم السلطان لصاحب بدر الدين بن نصر الله بعمارته في هذا الشهر، فعمره أحسن عمارة. فعندما شاهده السلطان أعجب به، ومضى منه إلى بيت ابن البارزي كاتب السر المطل على النيل، ونزل به، وقد تحول المقام الصارمي من الحروبية بالجيزة إلى المنظرة الحجازية، وهو بحاله من

المرض، فزاره السلطان غير مرة، وأنزل بالحريم إلى بيت كاتب السر، فأقاموا به عنده.
شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:." (١)

"وفي يوم الخميس سادس عشره: اجتمع الأمراء بالخدمة في القصر. وقد أخرج السلطان من عند أمه وأجلس ثم خلع على الأمير برسباي الدقماقي الدوادار، واستقر نظام الملك، كما كان الظاهر ططر قبل أن يتسلطن. وكان الأمير برسباي منذ اشتد مرض الظاهر مقيما بالقلعة، لم ينزل منها طول هذه المدة.
وفيه فوض الخليفة إلى الأمير الكبير نظام الملك برسباي أمور المملكة بأسرها، ليقوم بها إلى أن يبلغ السلطان رشده. وحكم بصحة ذلك قاضي القضاة الحنفي.
وفيه خلع على الأمير سودن من عبد الرحمن، واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير الكبير نظام الملك برسباي. وخلع على الأمير طرباي حاجب الحجاب. واستقر أميرا كبيرا عن جانبك الصوفي. وتقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بيد الأمير برسباي والأمير طرباي شركة. وأن يسكن طرباي بداره تحت القلعة تجاه باب السلسلة، ويحضر الخدمة عند الأمير برسباي بالأشرفية. وخلع على الأمير جقمق نائب القلعة، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير طرباي. وخلع على الأمير قصروه رأس نوبة، واستقر أمير أخور، عوضا عن يشبك. وخلع على الأمير أزبك، واستمر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن قصروه. وخرج جميع الأمراء وسائر أهل الدولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة في خدمة الأمير نظام الملك برسباي، حتى دخل الأشرفية التي هي سكنه، وعملت بها الخدمة بين يديه. وصرف أمور الدولة على حسب أخياره، ومقتضى رأيه، واستمر الأمر على هذا.
وفي السبت ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير تغري بردي من قصروه نائب حلب استدعى جمائع التركمان إلى حلب، وقبض على الأمراء الحلبيين، وخرج عن الطاعة. وسبب ذلك أن الظاهر ططر كان قد كتب بولاية الأمير تنبك البجاسي نائب طرابلس في نيابة حلب، وعزل تغري بردي. فلما بلغه ذلك كان منه ما ذكر.
وفي ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن محمود العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين يوسف البساطي.
وفيه نودي بمنع النساء من الخروج إلى الترب، وتشدد الأمير جقمق الحاجب في ذلك. وكان قد كثر في هذا الشهر مرض الناس. ومات عدة منهم، فصارت النساء يترددن إلى الترب في أيام الجمع، ويقمن بها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٤٢/٣

المآتم والعزاء.

وقدم الخبر بعظم الفناء ببلاد الفرنج – سيما رودس – **وبشدة الغلاء ببلد** العلايا، ونحوها من بر التركية.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: ابتدأ الأمير نظام الملك برسباي في نفقة المماليك، وهو والأمراء على تخوف منهم أن يمتنعوا من أخذها. وذلك أنهم وعدوا في نوبة جانبك الصوفي. بمائة دينار لكل واحد، فلم يصرف لكل واحد منهم سوى خمسين دينارا من أجل قلة المال، فإن الظاهر ططر أتلف المال الذي كان خلفه المؤيد شيخ حتى لم يبق منه غير ستين ألف دينار. ومع ذلك فإنه زاد في نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما ينيف على عشرة آلاف دينار. فأحسن الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى؛ على أنه قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار في نفقة المماليك. وتسلم منهما الأمير أرغون شاه عشرين ألف أردب شعيرا. وعندما استقر أرغون شاه أستادارا، وهب الناس واشتد عليهم، وخشن جانبه، حتى غلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفا من بطشه. وكتب يطلب متدركي النواحي ليصادرهم. وقرر على مباشري الدولة بأسرهم أموالا يحملونها إليه، فقرر على الوزير الصاحب تاج الدين بن كلاب المناخ ستة آلاف دينار، وعلى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص عشرة آلاف دينار، وعلى من دونهما بحسب ما سولت له نفسه، حتى اجتمع من ذلك نفقة المماليك، فأنفق في ثلاثة آلاف ومائتي مملوك مبلغ مائة وستين ألف دينار، فأخذوا النفقة، وانفضوا بغير شر، ولله الحمد.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، وأنهم وقفوا بعرفة يوم الجمعة، وأنه لم يرد حاج من العراق ولا من اليمن.

وفي هذه السنة: كانت حروب مثيرة بين طوائف الفرنج، اقتتل فيها طائفة الكتيلان مع الفنش، فهزموه، وقتل بينهم عشرة آلاف فأقل ما قيل أن عدة قتلاهم ثمانون ألفا.." (١)

"وفيه عمل المارستان المؤيدي الذي بالصوة تحت القلعة جامعا، تقام به الجمعة والجماعة، ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة. وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدي. وأن المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان، ونزل به المرضى. فلما مات لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة تصرف، فأخرجت المرضى منه، وأغلق، وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق، فبقي حانة خمار برسم شرب المسكرات، وشرب الطنابير، وعمل الفواحش. ومع ذلك تربط به الخيول. فكان هذا منذ مات

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٦٠/٣

المؤيد إلى هذا الوقت، فطهره الله من تلك الأرجاس، وجعله محل عبادة.

وفيه وقع الشروع في هدم المنظرة التي استجدها المؤيد فوق الخمس الوجوه. ثم انتفض ذلك، فبقي بناؤها مشعثا، وسكنها بعض فقراء العجم.

شهر جمادى الأول، أوله الأربعاء: في سابعه: سارات تجريدة إلى بلاد الصعيد.

وفي ثامنه: نودي أن لا يخدم أحد من اليهود والنصارى في ديوان من دواوين السلطان والأمراء، فلم يتم ذلك.

وفي يوم الجمعة تاسعه: جددت خطبة بمدرسة شمس الدين شاكر بن البقري بالجوانية، جددها علم الدين داود بن الكويز كاتب السر، لقربها من داره التي يسكنها.

وفيه قدم الخبر بكثرة الوباء ببلاد حلب وحماة وحمص، فهلكت خلائق.

وفيه أقيمت الجمعة بالمارستان المؤيدي، يوم الجمعة سلخه.

وفيه رسم أن لا تباع الثياب التي تجلب من بغداد أو الموصل وبلاد الشام والإسكندرية إلا بالنقد. وكانت العادة إذا ورد التاجر بشيء من القماش، تسلمته السماسرة وباعته على التجار إلى أجل، ثم جبت الثمن في مدة أشهر، فمن أجل بيعها نسيئة يزداد ثمنها عما تباع في النداء الحراج زيادة كبيرة، فإذا باعها التاجر أخذ ربحا آخر، فتغبن الناس دائما فيما يشتروه من التجار، سيماإذا باعوا ذلك في النداء فإنه ربما ثلث الثمن. فامتنع التجار مدة من الشراء نسيمة، ثم عادوا لما نهوا عنه.

وقدم الخبر إلى العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرا يوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تيمورلنك، فمنع الناس من الزرع، وطرد ضعفاء الناس، فنزحوا عن العراق، وقدم منهم كثير إلى بلاد الشام. وجمع أهل القوة عنده ببغداد، فكان القحط والغلاء عقوبة من الله لهم مما هم عليه من القبيح.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت: في تاسعه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن البرهان إبراهيم بن عدنان الحسيني كاتب السر بدمشق ونقيب الأشراف إلى بلده. وكان قد طلب من دمشق، مقدم القاهرة في ثالث عشر جمادى الأولى، وسجن في بعض المدارس، وألزم بحمل عشرين ألف دينار. وكتب باستقرار بعض مسالمة السمرة – ويقال له حسين عوضه – في كتابة السر بدمشق. وكان حسين هذا قد قدم إلى القاهرة في الأيام الناصرية فرج، وخدم من حملة كتاب الأمير بكتمر شلق، ثم عاد إلى دمشق. واتفق أنه تزوج مملوك يقال له أزبك بابنة امرأة حسين. وكان أزبك هذا ممن أنشأه ططر،

وصار أمير مائة مقدم ألف، فتحدث لحسين هذا في استقراره ناظر الجيش بدمشق، فأجيب إلى ذلك. واستقر حسين في نظر الجيش، عوضا عن قاضي القضاة الحنفية شهاب الدين أحمد من الكشك. ثم أضيف إليه كتابة السر، مع نظر الجيش ولم يتفق مثل ذلك في هذه الدول. وما زال السيد محبوسا حتى تقرر عليه عشرة آلاف دينار، فخلع عليه في رابع جمادى الآخرة، هذا وتوجه إلى بلده لحمل ما ألزم به. وسبب ذلك تنكر السلطان عليه لأمور بدت منه في حقه، وهو أمير بدمشق والسيد كاتب السر.

وفي يوم الاثنين حادي عشره: قدم قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي من القدس.

وفي رابع عشره: نودي بسفر الناس في رجب إلى مكة، فكثرت المسرات بذلك، لبعد العهد بسفر الرجبية. ثم انتقض ذلك.

ونودي في سابع عشرينه لا يسافر أحد الرجبية.

وفي هذا الشهر: قدم الخبر بغلاء مدينة توريز، وأن المطر تأخر نزوله ببلاد إفريقية.

وفيه عزم تغري بردي الجكمي – الذي قتل ابن كبك – على الفتك بالأمير تنبك ميق نائب الشام، ففطن به وقتله.

وفيه جلس السلطان للحكم بين الناس، كما كان المؤيد ومن قبله، وصار يحكم يومي الثلاثاء والسبت بالمقعد من الاصطبل السلطاني.

شهر رجب، أوله الأحد:." (١)

"وفي ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد السلطاني على العادة، في كل سنة وحضر الأمراء وقضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وجمع كبير من القراء والمنشدين، فاستدعى قاضي القضاة ولي الدين أحمد بن العراقي ليحضر، فامتنع من الحضور، فتكرر استدعاؤه حتى جاء فأجلس عن يسار السلطان حيث كان قاضي القضاة زين الدين التفهني جالسا، وقام التفهني فجلس عن يمين السلطان، فيما يلي قاضي القضاة علم الدين صالح ابن البلقيني.

وفي ثاني عشره: توجه الأمير قصروه نائب طرابلس إلى محل كفالته.

وفي هذه الأيام: وجدت ورقة بالقصر، فيها شناعات علي علم الدين بن الكويز كاتب السر، منها أنه يريد إقامة ابن الملك المؤيد شيخ في السلطنة، فعرف من ألقاها، فدل على الذي كتبها، وهو رجل من الفقراء يقال له حسن العليمي، يخدم قبر الشيخ علي بن عليم بالساحل، فاعترف أنه كتبها نصيحة للسلطان،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٢٦٥

فبعث به السلطان إلى ابن الكويز، فثبت على قوله وفاجأه بما لا يحب، فنفاه إلى بلاد الصعيد.

وفي خامس عشره: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبي أهلها، كما جبى الوجه البحري.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة، ظهر في السماء صفرة من قبل مغرب الشمس، كست الجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فكنت أمد يدي فلا أراها لشدة الظلام، فما بقي أحد بمصر إلا واشتد فزعه، فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلي قليلا قليلا، وعقبه ريح عاصف كادت المباني تتساقط وتمادي طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمرا مهولا من شدة هبوب رياح عاصفة، وظلمة في النهار والليل لم يعهد مثلها، بحيث كان جماعة في هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتاهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر، وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحري وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير في منامه كان قائلا يقول ما معناه: لو لا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس، لكنه شفع فيهم، فحصل اللطف.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمشق**.

وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكي وإلى القاهرة.

وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجي قاضي القضاة الشافعي بدمشق، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضي القضاة الحنفي بها، وعدة من تجارها، فصودروا.

وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحري من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت.

وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلف عامة زروعها وأشجارها، حتى أكل الأسابيط من فوق النخل فأمحلت ونزح كثير من أهلها، فمات معظم الفقراء النازحين جوعا وعطشا، ولا قوة إلا بالله.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد: في ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بناحية وسيم في أمرائه ومماليكه يتنزه، ثم عاد.

وفي سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسي نائب حلب، فخلع عليه، ورتب له ما يليق به، وقدم له الأمراء على مقدارهم.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمشق**.

وفيه قدم الخبر أن مدينة الكرك تلاشى أمرها، وخربت قراها وتشتت أهلها، وأنها آيلة إلى الدثور.

وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أزنيك وملكها بعد ما حاصرها مدة، فسار إليه أخوه مراد

بعساكره وقاتله، فظفربه وقتله، وعاد إلى برصا، وقد صفا له الجو.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء: في ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسي إلى حلب على نيابته.

وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس، وأبيع الأردب القمح بثمانين درهما، فيكون كل ثلاثة أرادب بمثقال ذهب، وكل أردب بأربعة دراهم فضة، وكل ستين رغيفا بدرهم فضة، ولم يعهد مثل هذا الرخاء في هذه الأزمنة، ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز، فالله يحسن العاقبة.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير جقمق، واستقر أمير أخور، عوضا عن قصروه نائب طرابلس، وكانت في هذه المدة شاغرة.." (١)

"وفي يوم السبت تاسع عشر: أمطرت السماء مطرا كثيرا من أول يوم الجمعة أمسه، حتى مضى السبت، وكانت عامة في معظم أرض مصر قبليها وبحريها، فسألت الأودية، وظهرت في النيل زيادة نحو ذراع، ودثرت مقابر كثرة وسقط ببلاد البحرة برد كبار جدا، يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعا.

وفي شهر بشنس، وفي نصف نهار السبت هذا: هبت رياح قوية ألقت مباني عديدة وعم هبوبها في أكثر أرض مصر، فسقط في ناحية أبيار ألف ومائتا نخلة، وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألقتها ببعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة.

وفي هذا الشهر: انتشر ببلاد الصعيد من الطير التي يقال لها الزرازير أمة لا يحصى عددها إلا الله خالقها سبحانه، فأهلكها هذا الريح، حتى صار منها عدة كيمان يمر الفارس فيها بفرسه مدة ثلاثة أيام، ولو لا هلكت لرعت الزروع.

وفيه جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد في الكثرة، فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر، فهلك عن آخره، كفايه من الله.

وفيه تلفت زروع عدة بلاد من نواحي أرض مصر لكثرة المطر والبرد بحيث وجد في البرد ما وزن الواحدة منه عدة أواقي، وتلفت أشجار كثيرة ونخيل كثير بالقرى من الريح، وسقط من طير السماء فيما بين الإسكندرية وبرقة شيء كثير جدا من قوة الريح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء: في هذا الشهر: **عظم الوباء بدمشق**، وفشا في البلاد إلى غزة.

وفيه تحرك سعر الغلال بأرض مصر، فارتفع الأردب القمح من مائة إلى مائة وأربعين، والشعير من سبعين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٢/٣

درهما الأردب إلى مائة درهم.

وفي سابع عشره: قدم الأمير أرغون شاه من بلاد الصعيد، وقد وصل إلى مدينة هو، فجبى الأموال، وما عف ولا كف، وأحضر معه من الأغنام والأبقار والخيول ومن القند والسكر والعسل شيء كثير، فخرب في حركتيه المذكورتين إقليم مصر، أعلاه وأسفله، ثم شرع في رمى ما أحضره على الناس بأغلى الأثمان والعسف في الطلب.

شهر رجب، أوله الخميس: فيه كملت الوكالة وعلوها بخط الركتن المخلق على يد عظيم الدولة القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش، ولم يعسف العمال فيها، ولا بخسوا شيئا من أجرهم، فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.

وفيه ابتدئ بهدم الحوانيت والفنادق، التي فيما بين المدرسة السيوفية وسوق العنبريين لعمل موضعها مدرسة للسلطان، وكانت موقوفة على المدرسة القطبية وغيرها، فاستبدل بها أملاك أخر من غير إجبار المستحقين. وجعل الاختبار لهم فيما يستبدل به حتى تراضوا، و لم يشق عليهم. وتولى ذلك زين الدين عبد الباسط.

وفيه انحل سعر الغلال ومد أبيعت الغلال الجديدة.

وفيه قدم عدة من الفرنج الكيتلان، لزيارة القدس مستخفين، فعسر على نحو المائة منهم، وسجنوا.

وفي ثاني عشره: ابتدأت المناداة بزيادة النيل، وقد جاءت القاعدة ثمانية أذرع وعشر أصابع. وهذا مما يندر مثله.

وفيه أدير محمل الحاج على العادة.

وفيه كتب بعزل قاضي القضاة الشافعي بدمشق، نجم الدين عمر بن حجي وسجنه، والكشف عنه، واستقرار شمس الدين محمد بن زيد قاضي بعلبك عوضه في قضاء دمشق. وسبب ذلك تنكر الأمير تنبك ميق نائب الشام عليه، وتغير كاتب السر علم الدين داود بن الكويز وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وبدر الدين محمد بن مزهر ناظر الاصطبل ونائب كاتب السر، فإنه أطرح جانبهم، وصار يبلغهم عنه ما يوغر صدورهم، من استخفافه بهم لمعرفته إياهم قبل ارتفاعهم في الأيام المؤيدية. واغتر بكثرة من يساعده من الأمراء لما له عليهم من الأفضال المستمر، فأخذ الجماعة في مكايدته، حتى أوقعوا بينه وبين السلطان، فلم يفده مساعدة الأمراء له.

وفي يوم السبت سابع عشره: اتفقت حادثة فيها موعظة، وهي أن الأمير أرغون شاه جمع الجزارين لأخذ شيء من الأبقار التي أحضرها، ورسم على كل منهم رسولا من الأعوان الظلمة، حتى يمضي إلى بر منبابة

حيث الأبقار، ويأخذ منهم ما ألزم به منها، فوافوا ساحل بولاق بكره، ونزلوا في مركب، ونزل معهم أناس آخرون.." (١)

"وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يحييهم حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب، ودعا بذلك، وهم يؤمنون على دعائه، فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت، فغرقوا بأجمعهم، إلا قليلا منهم، فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة، فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن، وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه، وذهب الغرقى بلا قاتل ولا قود.

وفي ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضي القضاة الشافعي إلا عشرة نواب، وأن يكون للحنفي ثمانية نواب وللمالكي ستة وللحنبلي أربعة. فعمل ذلك مديدة، ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت قالة العامة فيهم، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان في أبوابهم، حتى اتضعت نواب القضاة في أعين الكافة، وانحطت أقداراهم عند أهل الدولة، وجهروا بالسوء من القول فيهم.

واتفق في هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس في جميع الجهة الشمالية، التي يسميها المصريون وجه بحري؛ وانتشار الحمرة في الجهة الشمالية أيضا بعد غروب الشمس حتى يمضي من الليل ساعة، وتصير الأرض والجدران وغير ذلك في هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر، وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك.

وفيه **تناقص الوباء ببلاد** الشام، بعد ما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصي من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفا، وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا وفيه **وقع الوباء ببلاد** الخليل عليه السلام.

شهر شعبان، أوله السبت: في يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفي فر من السجن بالإسكندرية، فلم يقدر عليه، فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة.

وقدم الخبر **بوقوع الوباء بدمياط**.

وفي يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر حاجب الحجاب. وكانت شاغرة منذ

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٣/٣

انتقل جقمق عنها، وصار أمير أخور.

وفيه كتب باستقرار الأمير تنبك البجاسي نائب حلب، في نيابة الشام، بعد موت تنبك ميق. واستقر شارقطلوا نائب حماة في نيابة حلب، عوضا عن تنبك البجاسي، واستقر جلبان – أمير أخور الملك المؤيد شيخ – في نيابة حماة. وقد كان من جملة أمراء دمشق. وتوجه الأمير جانبك الخازندار في ثامن عشرينه بتقاليد المذكورين وتشاريفهم. وفيه رسم بإعادة نجم الدين عمر بن حجي إلى قضاء القضاة بدمشق، وحمل تقليده وتشريفه.

وفيه جرى الماء في خليج الإسكندرية، وعبرت فيه السفن، وذلك أنه غلب الرمل على أشتوم بحيرة الإسكندرية حتى جف ماؤها، وصارت الريح تسفي الرمال على الخليج، إلى أن علت أرضه، وجف ماؤه من بعد سنة سبعين وسبعمائة، وصار الماء لا يدخل إليه إلا أيام الزيادة، فإذا نقص ماء النيل جف الخليج. ولذلك خرجت أكثر بساتين الإسكندرية وضياعها التي على الخليج. وصار شرب أهلها من الماء المخزون بالصهاريج. وحاول السلاطين حفر هذا الخليج مرارا، فلم ينجح عملهم، لقلة المعرفة بأمره، ثم إن السلطان ندب الأمير جرباش قاشق – أحد مقدمي الأولوف – لعمل هذا الخليج، فجمع من النواحي ثمانمائة، وخمسة وسبعين رجلا، وابتدأ في حفره من حادي عشر جمادى الأولى من حنى فم النيل. وصار كلما حفر منه شيئا أرسل الماء عليه من الفم، حتى انتهى حفره في حادي عشر شعبان هذا لتمام تسعين يوما، وعبر الماء في اليوم المذكور إلى الإسكندرية، وقد خرج الناس لرؤيته، وسروا به سرورا كبيرا. وكانت كلفة الحفر مما جبى من النواحي التي تسقى من الخليج، ومن بساتين الإسكندرية.

شهر رمضان، أوله الأحد: في ثانيه – الموافق له سادس مسرى – : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فنزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان، حتى خلق عمود المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفيه قبض على الأمير سودن الأشقر أحد مقدمي الألوف، ونفي بطالا إلى القدس. ثم أنعم عليه بإمرة في دمشق، فتوجه إليها.." (١)

"وفي هذه الأيام: عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بني أدم شيئا كثيرا، فحملوا إلى الوالي، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت في الماء بنار شديدة، حتى ينهري لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونسي خبرهم بعد ما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأواني التي بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٤/٣

وشق بها القاهرة.

وفي خامس عشرينه: حضر السلطان نفقة جامكية المماليك، وقطع عدة ممن له إقطاع بالحلقة.

شهر جمادى الأول، أوله السبت: في ثالثه: خلع على زين الدين عبد الرحيم الحموي الواعظ، واستقر خطيبا بالجامع الأشرفي.

وفي رابعه: نودي من نزل عن وظيفة تصوف بخانكاة أو غير تصوف ضرب بالمقارع. وسبب ذلك أن جماعة ممن له تصوف بخانكاة سعيد السعداء، وخانكاة بيبرس والظاهرية المستجدة بين القصرين، وبخانكاة شيخو، وبالجامع المؤيدي، أخذوا في النزول عما باسمهم من التصوف بمال حتى يتشفعوا بمن له جاه، ويستقروا في عمارة السلطان من جملة صوفيتها، كما فعل جماعة عند ما أنشأ الملك المؤيد شيخ الجامع بجوار باب زويلة، وجعل فيه صوفية، فوشى بذلك للسلطان، فمنع من ذلك ليستقر في جامعه من ليس له وظيفة من فقراء أهل العلم.

وفي يوم الجمعة سابعه: أقيمت الخطبة بالجامع الأشرفي، و لم يكمل منه سوى الإيوان القبلي.

وفي خامس عشره: قدم قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي من دمشقي، وقد طب الحضور.

وفي ثامن عشره: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن العطار الحموي الذي كان نائب الإسكندرية، واستقر ناظر القدس والخليل عليه السلام، عوضا عن الأمير حسام الدين حسن نائب القدس.

وفي هذا الشهر: صودر أعيان دمشق، وهي ثالث مصادرة.

وفي تاسع عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أبي والي أستادار، وعلى ناظر الديوان المفرد كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم، وعوقا بالقلعة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد: في ثانيه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد أستادارا عوضا عن ابن أبي والي، وأضيف إليه كشف الوجه البحري، فنزل في موكب جليل، ومعه أكثر الأمراء الأكابر، وعامة الأعيان.

وفيه قدم الخبر بوصول الشريف علي بن عنان إلى ينبع بمن معه من المماليك المجردين. وتوجه الأمير قرقماس معه إلى مكة، فدخلوها يوم الخميس سادس جمادى الأولى، بغير حرب. وأن الشريف حسن بن عجلان سار إلى حلي بنى يعقوب من بلاد اليمن. وأن الوباء. بمكة ابتدأ من نصف ذي الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت في اليوم خمسون إنسانا عدة أيام، **وأن الوباء تناقص** من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء في ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى

صار المسجد الحرام بحرا، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار في المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن في سابع جمادى الأولى، بعد ما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم.

وفي يوم الأربعاء رابعه: جمع القضاة وأهل العلم، وقد رسم بأخذ زكوات أموال الناس للسلطان، فاتفقوا على أنه ليس له أخذها في هذا الزمان، فإن النقود من الذهب والفضة، والناس مأمونون فيها على إخراج زكاتها. وأما العروض من القماش ونحوه مما هو بأيدي التجار، فإن المكوس أخذت منهم في الأصل على أنها زكاة، ثم تضاعفت المكوس المأخوذة منهم، حتى جرى فيها ما جرى. وأما البهائم من الإبل والغنم، فإن أرض مصر لا ترعى فيها سائما، وإنما هي تعلف بالمال، فلا زكاة فيها. وأما الخضروات والزروع، فإن الفلاحين في حال من المغارم معروفة. وانفضوا على ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفي ثاني عشره: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وأضيف إليه نظر الديوان المفرد، رفيقا للأمير صلاح الدين أستادار، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب جكم واستقر ابن كاتب جكم على ما بيده من أستادار ابن السلطان.

وفي تاسع عشره: توجه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك عائدا إلى دمشق على قضاء الحنفية بها، بعد ما أخذ منه نحو عشرة آلاف دينار.." (١)

"وفيه قدم الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن برهان الدين إبراهيم، نقيب الأشراف بدمشق، وقد طلب الحضور.

وفيه اتفقت نادرة، وهي أن زوجة السلطان لما ماتت، عمل لها ختم عند قبرها في الجامع الأشرفي، ونزل ابنها الأمير ناصر الدين محمد من القلعة لحضور الختم، وقد ركب في خدمته الملك الصالح محمد بن ططر، فشق القاهرة من باب زويلة وهو في خدمة ابن السلطان، بعد ما كان في الأمس سلطانا. وصار جالسا بجانبه في ذلك الجامع، وقائما في خدمته إذا قام، فكان في ذلك موعظة لمن اتعظ.

وفي يوم السبت المبارك حادي عشرينه: خلع على قاضي القضاة نجم الدين عمر ابن حجي، واستقر كاتب السر، عوضا عن شمس الدين محمد الهروي. ونزل على فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، في موكب جليل إلى الغاية، فكان يوما مشهودا. وقد ظهر نقص الهروي وعجزه، فإنه باشر بتعاظم زائد، مع طمع شديد وجهل. مما وسد إليه، حيث كان لا يحسن قراءة القصص ولا الكتب الواردة فتولى قراءة ذلك بدر الدين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨١/٣

محمد بن مزهر نائب كاتب السر وصار يحضر الخدمة، ويقف على قدميه، وابن مزهر هو الذي يتولى القراءة على السلطان.

وفي رابع عشرينه: ابتدئ بهدم ربع الحلزون تجاه قبو الخرنفش. وكان وقفا على فكاك الأسرى ببلاد الفرنج، وعلى الحرمين. وقد خلق من قدم السنين، فعوض بدله مسمط تجاه مصبغة الأزرق، وصار من حملة الأملاك السلطانية.

وفي سلخه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد نقيب الأشراف بدمشق، واستقر قاضي القضاة بدمشق، عوضا عن القاضي نجم الدين عمر بن حجي كاتب السر، على مال كبير. شهر رجب، أوله الاثنين: في رابعه: خلع على شخص قدم من بلاد الروم عن قرب، يقال له علاء الدين علي، واستقر في مشيخة التصوف، وتدريس الفقه، على مذهب الحنفية بالجامع الأشرفي.

وقدم الخير بأخذ الفرنج مركبين قريبا من دمياط، فيها بضائع كثيرة، وعدة أناس، يزيدون على مائة رجل، فكتب بإيقاع الحوطة على أموال التجار التي ببلاد الشام والإسكندرية ودمياط، والختم عليها، وتعويقهم عن السفر إلى بلادهم.

وفي عشرينه: توجه قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري – شيخ المؤيدية لزيارة القدس.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه: نزل السلطان إلى الجامع الذي أنشأه، وجلس به قليلا. ثم ركب عائدا إلى القلعة.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي ، وقد غاب عن مصر والشام نحوا من ثلاثين سنة، فإنه فر من ضائقة نزلت به إلى مدينة برصا، فأكرمه أبو يزيد بن عثمان ونوه به، حتى حاربه تيمورلنك وأسره، فتحول ابن الجزري من بلاد الروم إلى سمرقند في خدمة تيمور، وأقام ببلادهم حتى قدم في هذه الأيام.

وفي رابع عشرينه: نودي على النيل، وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين إصبعا.

شهر شعبان، أوله الأربعاء: فيه تتبعت البغايا وألزمن بالزواج، وأن لا يزاد في مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس، تعجل منها مائتان وتؤجل مائتان. ونودي بذلك، فلم يتم منه شيء.

وفيه ابتدئ بقراءة صحيح البخاري بين يدي السلطان، وحضرة القضاة، ومشايخ العلم، والهروي، وابن الجزري، وكاتب السر نجم الدين بن حجي، ونائبه بدر الدين محمد بن مزهر، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، والفقهاء الذين رتبهم المؤيد. فاستجد في هذه السنة حضور كاتب السر ونائبه وحضور ناظر

الجيش. وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخاري أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضي القضاة الشافعي، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط. ويختم في سابع عشرينه، ويخلع على قاضي القضاة، ويركب بغلة رائعة بزناري تخرج له من الاصطبل السلطاني ولم يزل الأمر على هذا حتى لسلطن المؤيد شيخ، فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان. وطلب قضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم، وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضا، فكانت تقع بينهم بحوث يسيء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة، فجرى السلطان الأشرف برسباي على هذا، واستجد كما ذكرنا حضور المباشرين، وكثر الجمع. وصار المجلس جميعه صياحا ومخاصمات، يسخر منها الأمراء وأتباعهم.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بدمياط**، فمات عدد كثير.

شهر رمضان، أوله الخميس:." (١)

"وفي ثالث عشره: أنفق في الغزاة، وهم ستمائة رجل، مبلغ عشرين دينارا لكل واحد، وجهز الأمراء ثلاثمائة رجل. ونودي من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النفقة.

وفي عشرينه: سارت الخيول في البر إلى طرابلس. وعدتها ثلاثمائة فرس، لتحمل الغزاة من طرابلس في البحر.

وفي هذا الشهر: خرج مركب من اللاذقية، قد شحن بمجاديف، حتى يحضرها إلى مصر برسم الأغربة التي أنشئت صحبة الريس فاضل. فلما حاذت جزيرة أرواد خرج طائفة من الفرنج يريدون أخذها، فقاتلهم المسلمون حتى قتلوا عن آخرهم وعدتهم خمسون رجلا. وأفلت منهم رحل واحد. وأخذ الفرنج المجاديف وغيرها، وحرقوا المركب. وفاضل هذا من أهل مدينة أياس، فقدم إلى السلطان في السنة الخالية، وحسن له غزو الفرنج، ووعده بغنيمة أموال عظيمة، حتى كان من غزوة اللمسون ما كان، فأخذ في التعبئة لغزوهم ثانيا، أيده الله تعالى بنصره عليهم.

وفي **شنع الوباء بدمياط** وفارسكور، وكان ابتداؤه عندهم من جمادى الأولى.

وفي حادي عشره: توجه الهروي عائدا إلى القدس على وظيفة التدريس بالصالحية.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة بثياب جلوسه كما هي عادته، حتى شاهد الأغربة بساحل بولاق، وعاد.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٢/٣

وفي ثالث عشرينه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان والأمير جانبك، حتى شاهد توجه الأغربة. وقد أقام في دار القاضي زين الدين عبد الباسط المطلة على النيل، فانحدر في النيل أربعة أغربة بكل غراب أمير، ومقدم الجميع الأمير جرباش حاجب الحجاب، فكان يوما مشهودا، حشر فيه الناس من كل جهة لمشاهدة ذلك. ثم انحدر في يوم الاثنين غراب واحد، وانحدر في يوم الثلاثاء غرابان، وفي يوم الخميس سادس عشرينه غراب.

وفي هذا الشهر: قطع السلطان جرايات المباشرين من القمح، وهي خمسة آلاف أردب، فتوفرت للسلطان.

شهر شعبان، أوله الاثنين: في ثالثه: أنحدر غراب ثامن. وفيه جاء قاع النيل خمسة أذرع وعشر أصابع، ونودي علمه من الغد خمسة أصابع. وهي ابتداء النداء على النيل.

وفي يوم السبت سادسه: حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانيا مثل ذلك، ثم زلزلت مرة ثالثة، فلو لا أن الله لطف بسكونها، لسقطت الدور، فإن الأرض مادت، وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج عن مكانه ثم عاد. وأخبرني من لا أتهم أنه كان وقت الزلزلة راكبا فرسه فخرع عن السرج حتى كاد يسقط.

وفي غده: نودي - عن أمر السلطان - بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سعوا.

وفي ثامنه: نودي بأن لا يباع السكر إلا للسلطان ولا يشترى إلا منه، فعاد الأمر كما كان.

وفي ليلة الخميس ثامن عشره: وقع الحريق بثلاثة أماكن فما طفئ إلا بعد جهد.

وفي هذا الشهر: بلغ الفول دينارا لكل أردب، بعد ما كان كل ثلاثة أرادب ونصف بدينار. وتجاوز القمح المائتين بعد مائة وخمسين. وقل وجود الغلال، وطلبها الناس، فشحت أنفس أربابها وخزنتها، هذا مع توالي زيادة النيل.

وفي هذا الشهر: اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر في سفره ببلاد الغربية على أتان له، وتحته خرج فيه قماش، فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألف إلى الأرض ليذبحه، فقال له: بالله اسقني شربة ماء قبل أن تذبحني فألقى الله تعالى في قلبه عليه رحمة، لما يريده به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر في الماء حتى يغترف في الإناء منه، فاختطفه تمساح، وذهب في الماء فكسره، وأكله، والرجل يراه وهو مكتوف، وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق، قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد، فصاح بهم إلى أن أتوه، فأعلمهم بما جرى له، وما كان من هلاك عدوه، فحلوا أكتافه وأتوا به وبالفرس

والأتان، والخرج، إلى الوالي، فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخرجه، فكان في هذا موعظة لمن اتعظ وكفي بالله نصيرا.." (١)

"وفي ثامنه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، فخلع عليه، وقدم للسلطان مبلغ خمسة عشر ألف دينار أفرنتية، وقماشا وفروا بثلاثة آلاف دينار، وتوجه عائدا إلى محل كفالته على عادته، في ثالث عشرينه.

وفيه قدم الطواشي افتخار الدين ياقوت – مقدم المماليك – من مكة بمبلغ ثلاثة عشر ألف دينار، مما ألزم به الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وكان قد تأخر بعد الحج بمكة حتى استخرج ذلك منه.

وفي هذه الأيام: عز وجود اللحم بالأسواق، وفقد أياما، وقل وجود اللبن والجبن، وغلا سعر الحطب حتى أبيع بمثلي ثمنه منذ شهر. هذا والوقت شتاء والبهائم مرتبطة على الربيع، وعادة مصر في زمن ربيعها أن يكثر وجود اللبن والجبن، ويرخص ثمنها. غير أن سيرة ولاة الأمور، وقلة معرفتهم بما ولوه، وفساد الرعية اقتضى ذلك.

وفي يوم الاثنين سلخه: جاء جراد سد الأفق لكثرته، وانتشر إلى ناحية طرا، وقد أضر ببعض الزروع، فأرسل الله عليه ريحا مريسية ألقته في النيل ومزقته حتى هلك عن آخره، ولله الحمد.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء: أهل والأمراض من النزلات والسعال والجدري فاشية في الناس، بحيث لا يخلو بيت من عدة مرضى، إلا أنها سليمة العاقبة في الغالب، يزول بعد أسبوع. هذا والوقت شتاء. وقدم الخبر **بكثرة الوباء ببلاد** صفد.

وفي ليلة الجمعة رابعه: كان المولد النبوي بالقصر عند السلطان، وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم ومباشروا العلم والدولة على العادة، فكان الذي عمل في السماط عشرة كباش، ذبحت ثم طبخ لحمها، ومد بعد سماط الطعام سماط الحلوى.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: أفرج عن جينوس بن جاك متملك قبرس من سجنه بقلعة الجبل، وخلع عليه، وأركب فرسا بقماش ذهب، ونزل إلى القاهرة في موكب، فأقام في دار أعدت له، وصار يمر في الشوارع ويزور كنائس النصارى ومعابدهم، ويمض في أحواله بغير حجر عليه، وقد أجرى له راتب يقوم به وبمن معه.

وفي ها الشهر: كثرت الرياح العاصفة، فقدم الخبر بغرق ثلاثة عشر مركبا في بحر الملح، قد ملئت ببضائع،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٩/٣

من ناحية صيدا وبيروت، وأقبلت نحو دمياط.
وفيه ألقى البحر دابة بشاطئ دمياط، أخبرني من لا أتهم، أنها ذرعت بحضوره فكان طولها خمسة وخمسين ذراعا، وعرضها سبعة أذرع.
شهر ربيع الآخر، أوله الخميس: فيه قدم الخبر بتشتت أهل المدينة النبوية، وانتزاحهم عنها، لشدة الخوف وضياع أحوال المسجد النبوي، وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه، منذ كانت كائنة المدينة، فرسم الأمير بكتمر السعدي أحد أمراء العشرات إلى المدينة فأخذ في تجهيز حاله.
وقدم الخبر بتجمع التركمان وإفسادهم في المملكة الحلبية، فرسم في يوم الاثنين عشرينه بتجريد ثمانية أمراء مقدمي ألوف، وعدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فأخذوا في أهبة السفر، ثم بطل ذلك.." (١)

"وفي يوم الجمعة حادي عشرينه – الموافق له ثاني مسرى – : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان حتى خلق عمود بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، و لم تزين الحراريق في هذه السنة، ولا كان للناس من الاجتماعات بمدينه مصر والروضة على شاطئ النيل ما جرت به عادتهم في ليالي الوفاء، وذلك أن النيل توقفت زيادته من أوائل مسرى، وأقام أياما عديدة لا ينادي عليه في كل يوم سوى إصبع أو إصبعين، وأجرى الله العادة في الغالب من السنين أن تكون زيادة النيل المبارك منذ يدخل شهر مسرى في كل يوم عدة أصابع، فيقال: في أبيب يدب الماء في دبيب، وفي مسرى تكون الدفوع الكبرى. فجاء الأمر في نيل هذه السنة بخلاف ذلك، حتى ظن الناس الظنون، وتوقف خزان الغلال عن بيعها، وأخذ غالب الناس في شراء الغلال خوفا من ألا يطلع النيل، فمنع السلطان من تزيين الحراريق، ومن اجتماع الناس بشاطئ النيل لانتظار الوفاء، فانكف عن منكرات قبيحة، كانت تكون هناك ولله الحمد، فإنه تعالى أغاث عباده وأجرى النيل بعد ما كادوا يقنطوا.
وفي هذا الشهر – والذي قبله – : كثر عبث المماليك الجلب الذين استجدهم السلطان، وتعدى فسادهم إلى الحرم. وهذا أمر له ما بعده.
وفي سادس عشرينه: نودي على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ستة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا، فما أصبح يوم الخميس إلا وقد نقص.
شهر ذي القعدة، أوله الأحد: وكان النيل قد توقف عن الزيادة من يوم الخميس، والناس على ترقب مكروه، وإن لم يتدارك الله بلطفه فإنه نقص ثلاثة أصابع، وجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده، وقرئت سورة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٥٣/٣

الأنعام أربعين مرة في ليلة الأحد.

هذا ودعوا الله أن يجري النيل، ثم ركب السلطان من يوم الثلاثاء ثالثه إلى الجرف الذي يقال له الرصد ووقف بفرسه ساعة، وهو يدعو، ثم عاد إلى القلعة. فلما كان يوم الخميس خامسه، نودي بزيادة إصبع بعد رد الثلاثة الأصابع اللاتي نقصت، فسر الناس ذلك، لأن الغلال ارتفع سعرها، وشره كل أحد في طلبها، وشحت أنفس خزانها ببيعها.

وفي عاشره: قدم الخبر بأن قاضي دمشق – نجم الدين عمر بن حجي – وجد مدبوحا في بستانه بالنيرب خارج دمشق، ولم يعرف قاتله.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير قاني باي البهلوان – أحد مقدمي الألوف – واستقر في نيابة ملطية، عوضا عن الأمير أزدمر شاية وعين معه عدة من المماليك، وأن يتوفر له إقطاعه بديار مصر، عونا له على قتال التركمان، وأن يستقر أزدمر شاية أميرا بحلب. وقانباي هذا أحد المماليك الناصرية فرج، وخدم بعد قتل الناصر عند أمراء دمشق، ثم اتصل بخدمة الأمير ططر فلما تسلطن بدمشق أنعم على قاني باي هذا بإمرة طبلخاناه بمصر، وقدم معه، ثم نقل إلى إمرة مائة حتى ولي نيابة ملطية.

وفي هذا اليوم: أخذ النيل في النقصان، بعد ما انتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعا، وستة أصابع، ويوافق هذا اليوم ثامن توت، وهذا هبوط في غير أوانه، فما لم يقع اللطف الإلهي بعباد الله، وإلا عظم الخطب.

وفي العشر الأخير: من هذا الشهر تكالب الناس على شراء القمح ونحوه من الغلال، وارتفع الأردب إلى مائتي درهم، والشعير والفول إلى مائة وخمسين، وتعذر وجود ذلك لشح الأنفس ببيع الغلال، مع كثرتها بالقاهرة والأرياف، فرسم السلطان للأمير أينال الششماني المحتسب أن لا يمكن أحدا من الناس بيع القمح بأزيد من مائة وخمسين درهما الأردب، وأن لا يشتري أحد أكثر من عشرة أرادب، وسبب ذلك أن الناس ترقبوا الغلاء، فأخذ أرباب الأموال في الاستكثار من شراء الغلال ظنا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأغلى الأثمان، حتى أن بعض من لم يكن شيئا مذكور اشترى في هذه الأيام ألف أردب من القمح، وكم أمثال هذا، فالله يحسن العاقبة.

وفي سابع عشرينه: كمل نقص النيل مما زاده ستة عشر إصبعا، ثم أغاث الله عبادا بعد ما كادوا أن يقنطوا. ونودي في يوم السبت ثامن عشرينه بزيادة إصبعين من النقص. واستمرت الزيادة في يوم الأحد والاثنين، فسكن قلق الناس قليلا.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣١٠

"وفيه أخذ السلطان خان مسرور والرباع التي تعلوه، وذلك أنه قومت أنقاضه باثني عشر ألف دينارا، رصد منها تحت يد مباشري السلطان تسعة آلاف دينار لعمارة الربع، فصار النصف والربع للسلطان، وأقبض قاضي القضاة عن ثمن أنقاض الربع ثلاثة آلاف دينار، على أنه إذا كملت يكون ريعه جاريا تحت نظر الحكم العزيز الشافعي، يصرف ريعه فيما كان يصرف فيه ريع الأصل.

شهر رجب، أوله السبت: فيه عملت الخدمة بالإيوان من دار العدل من القلعة، وأحضرت رسل مراد بن عثمان ملك الروم بيرصا. وكان موكبا جليلا أركب فيه الأمراء ومماليك السلطان، وأجناد الحلقة.

وفيه ابتدئ بهدم خان مسرور.

وفي سابعه: خلع علي القاضي كمال الدين محمد ابن القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي، واستقر في كتابة السر بدمشق عوضا عن بدر الدين حسين بحكم وفاته. وكان القاضي كمال الدين منذ من عزل من نظر الجيش بعد كتابة السر ملازما لداره على أجمل حارة وأمثل طريقة، من الصيانة والديانة والوقار والسكينة، وتردد الأكابر والأعيان إلى بابه، وكثرت مداراته، وبسط يده بالإحسان.

وفي عاشره: خلع علي عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان العجلوني القدسي أحد خلفاء الحكم الشافعية، واستقر في تدريس الصلاحية بالقدس، عوضا عن شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوي. وعز الدين هذا قدم القاهرة بعد كائنة تيمور، فبلونا منه فضيلة ومعرفة بالحديث وغيره، وصحب كاتب السر فتح الله، وناب في الحكم فاشتهر، ثم نوه به ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر، وصار يزاحم الأكابر في المحافل، ويناطح الفحول بقوة بحثه وشهامته وغزارة علمه، ونعم الرجل هو. وفي حادي عشره: أدير محمل الحاج على العادة في كل سنة.

وفي تاسع عشره: كتب باستقرار السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان في نظر الجيش بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسين، وحملت إليه الخلعة والتوقيع على يد نجاب.

وفي ثاني عشرينه: سار القاضي كمال الدين محمد بن البارزي إلى محل ولايته. ولقد استوحشنا لغيبته، فالله يمن علينا بجميل عودته.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من طرابلس، واستقر أمير مجلس.

وفي سابع عشرينه: استدعى السلطان من في سجن القضاة، وأفرج عن عدة من ا لمديونين.

وفي هذا الشهر: تحرك سعر الغلال فأبيع الشعير كل أردب بمائة وخمسة وعشرين بعد تسعين وأبيع الفول بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين بعد مائة وأربعين. هذا مع دخول الغلات

الجديدة، إلا أن الفأر كثر عبثه في الغلال، ووقعت صقعة في عاشر طوبة من أشهر القبط ببلاد الصعيد، تلف بها أكثر الفول وهو أخضر، وكانت الشراقي كثيرة، فلم يزرع ما شرق من الأراضي وأكلت الدودة مواضع مزروعة و لم **يزل الغلاء يترقب** في هذه السنة منذ هبط النيل سريعا، إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفا منه بعباده " إن الله بالناس لرءوف رحيم " " الحج، الآية ٦٥ " وقدمت الأخبار بأن أراضي حوران بالشام لم تزرع لعدم المطر، **وأن الغلاء قد** اشتد بالحجاز لعدم الغيث به. وفيه فشت أمراض حادة في الناس ببلاد الصعيد، وكثر الموتان، لاسيما بمدينة هو، وبوتيج، ومنشية أخميم وما حولها.

شهر شعبان، أوله الأحد: أهل وأسعار الغلال أخذة في الارتفاع، ولم يكد يوجد عند قطاف عسل النحل منه شيء. وهلك النحل من قلة المراعي، وعز وجود الفول لقلة ما تحصل منه عند الدراس، وقل الحمص أيضا، وخس الكنان.

وفي سادس عشره: توجهت تجريدة عدتها خمسون مملوكا إلى ينبع.

وكثر الوباء في هذا الشهر بصعيد مصر، فمات بشر كثير.

شهر رمضان، أوله الاثنين: في ثانيه – الموافق لسابع عشرين بؤونة – : نودي على النيل ثلاثة أصابع بعد ما أخذ القاع فكان ثلاثة أذرع وعشر أصابع.

وفيه عزل سعد الدين إبراهيم بن المرة من نظر الديوان المفرد، وولي عوضه زين الدين يحيى، قريب الأمير فخر الدين بن أبي الفرج.

وفي عشرينه: أخرج قانصوه – أحد أمراء الطبلخاناه – لنيابة طرسوس، وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد. وقانصوه هذا أحد مماليك الأمير نوروز الحافظي، وصار إلى المؤيد شيخ بعد قتل نوروز، فرقاه حتى صار أمير طبلخاناه، وهو أحد الفرسان المشهورين، وكبير الطائفة النوروزية.." (١)

"وفي ثامنه: خلع على جلال الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن مزهر بكتابة السر، عوضا عن أبيه. وله من العمر نحو خمس عشرة سنة، وخلع على شرف الدين أبي بكر ابن سليمان الأشقر الحلبي، واستقر نائب كاتب السر، وألزم ابن مزهر بحمل تسعين ألف دينار من تركة أبيه، فشرع في بيع موجوده وهو أصناف كثيرة ما بين بضائع للمتجر، وكتب علمية، وثياب بدنه وخيول وجمال ورقيق، وحمل ما ألزم به.

وفي تاسعه: أدير محمل الحج، فكان فيه من نهب المماليك السلطانية لمآكل الباعة، والتعرض للنساء والشباب في ليالي الزينة شناعات، اقتضت تجمع السودان وقتالهم المماليك عدة مرار، فقتل بينهم رجلان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٢٠

وفي هذه الأيام: قدم عدة تجار من الموصل، فأخذ منهم ما معهم من الثياب الموصلية، وقومت بما لم يرضيهم، ورسم أن يكون صنف البعلبكي والعاتكي والموصلي للسلطان، لا يشتريه ممن يجلبه إلى القاهرة ويبيعه في الناس إلا هو.

وفيه حكر بيع الحطب من بلاد الصعيد، وجعل من أصناف المتجر السلطاني، وحكر بيع غلات النواحي بأسرها، وجعلت أيضا من جملة المتجر السلطاني ثم بطل ذلك كله، ولله الحمد.

وفيه طرحت بضائع من المتجر السلطاني على الناس، ولم يعف أحد من التجار عن أخذها فارتفعت الغلة من مائتين وعشرين درهما الأردب، إلى ثلاثمائة.

وفي ثامنه: أيضا خلع على شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلاوي الدمشقي، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نور الدين علي الصفدي وكان قد وليها في الأيام الناصريه فرج، مع نظر الكسوة.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وصحبته القاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر بدمشق، فحمل النائب تقدمته في ثالث عشرينه، وفيها مبلغ خمسة عشر ألف دينار، وخيل وثياب حرير، وفرو سمور، وغيره، فأخذ السلطان الذهب، وأعاد ما عداه إعانة له على تقادمه للأمراء. وقدم الكمال ثياب حرير وفرو سمور بنحو خمسمائة دينار.

شهر شعبان المكرم، أوله الخميس: في يوم الجمعة ثانيه: نزل من مماليك السلطان سكان الطباق بالقلعة جماعة إلى بيت الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونهبوه لتأخر لحمهم المرتب لهم كل يوم.

وفيه توجه نائب الشام ومن معه إلى دمشق على حالهم، بعد ما ألزم النائب بحمل خمسين ألف دينار، حمل منها خمسة وعشرين، ووعد أن يرسل من دمشق خمسة وعشرين.

وفي ثالثه: خلع على نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح واستقر في قضاء الحنابلة بدمشق. وكان قد قدم القاهرة، وعمل بالجامع الأزهر عدة مواعيد، دلت على حفظه وتفننه.

وفي سادسه: ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير شارقطلوا، فباتوا على تخوف وأصبح الجلب تحت القلعة في جمع كبير، وقد امتنع الأمير الكبير منهم بداره – وهي تجاه باب السلسلة – فماج الناس، وخشوا من النهب، فكانت حركة مزعجة بالقاهرة، من تكالب الناس على شراء الخبز والدقيق، وانتشار أهل الفساد في الشوارع للنهب، ثم سكن الحال، وأقام الجلب يومهم لا يقدرون على الأمير الكبير، لعجزهم وقلة دريتهم بالحرب، وعدم السلاح، فطلب السلطان ثلاثة من مماليك الأمير الكبير وضربهم وسجنهم من أجل أنهم أصل هذه الفتنة، فخمد الشر، ولله الحمد.

وفي خامسه: ورد إلى ميناء الإسكندرية خمسة أغربة للفرنج، وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ثم واقعوهم من الغد، وقد أدركهم الأمير زين الدين ابن أبي الفرج أستادار في سابعه. وكان بتروجة ومعه جمع كبير من العرب، فلما اشتد الأمر على الفرنج، انهزموا وردوا من حيث أتوا، في يوم الأحد حادي عشره، ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبي الفرج.

وفي ثاني عشره: أنفق السلطان في ثلاثمائة وتسعين من المماليك، كل واحد خمسين دينارا، وفي أربعة من أمراء الألوف – وهم أركماس الدوادار، وقرقماس حاجب الحجاب، وتغري بردي، ويشبك المشد – كل واحد ألفي دينار، وأنفق في عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف دينارا، ورسم بسفرهم إلى الشام، فتوجهوا في سادس عشرينه.

وفيه سقط موضع مبني على كتاب أطفال، فمات منهم اثني عشر طفلا، وأصيب تسعة يخاف عليهم.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بغزة والرملة، من أرض فلسطين.

شهر رمضان، أوله الجمعة:." (١)

"وفي ليلة الخميس ثامنه: قدم السيد الشريف شهاب الدين أحمد من دمشق وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وهو موعوك فلزم الفراش.

وفي ثاني عشره – الموافق لخامس عشر توت – : نودي بزيادة إصبعين لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا ثم نقص من الغد لقطع الصليبيات.

وفي يوم الخميس نصفه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان، واستقر في كتابة السر عوضا عن الجلال محمد بن مزهر، وعملت للطرحة الخضراء برقمات ذهب، فكان موكبا جليلا إلى الغاية، ركب بين يديه الأمراء والوزراء وقضاة القضاة الأربع، والأعيان، فابتهج الناس به، وسروا بقدومه.

وفي يوم الجمعة سادس عشره: نودي على النيل برد النقص وزيادة إصبع.

وفيه خلع على الجلال محمد بن مزهر، واستقر في توقيع المقام الناصري محمد ابن السلطان، كما كان في أيام أبيه.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير هابيل بن الأمير قرا يلك ومن معه في الحديد فشهروا، بالقاهرة إلى القلعة، وسجنوا بها. وفيه قدم مبشرو الحاج.

وفيه نودي على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا ووافق ذلك ثامن عشرين توت،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٢٧/٣

ثم لم يناد عليه، فكانت هذه زيادة ماء النيل في هذه السنة. وفي هذا الشهر: كانت حرب بنواحي المدينة النبوية بين بني حسين، قتل فيها غير واحد من أعيانهم.

وفيه كان خراب مدينة توريز. وسبب ذلك أن متملكها اسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا، زحف على مدينة السلطانية، وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان في عدة من أعيانها، ونهب وأفسد، فسار إليه جموع كبيرة فخرج اسكندر من توريز، وجمع لحربه، ولقيه وقد نزل خارج توريز، فانتدب لمحاربته الأمير قرا يلك صاحب آمد، وقد لحق بشاه رخ، وأمده بعسكر كبير، وقاتله خارج توريز في يوم الجمعة سابع عشره، قتالا شديدا، قتل فيه كثير من الفئتين، وانهزم اسكندر وهم في إثره يطلبونه ثلاثة أيام، ففاتهم هذا. وقد نهبت جقطاي عامة تلك البلاد، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره. ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بمال كبير احتاجهم فيه أموالهم، حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند، فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه، ورحل بعد مدة يريد بلاده، وقد **اشتد الغلاء معه**، فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم، لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحي تعبث وتفسد، ففقدت الأقوات، حتى أبيع اللحم الرطل بعده دنانير. وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا وأما اسكندر فإنه جال في بلاد الأكراد، وقد رقعت بها الثلوج مدة، ثم صار إلى قلعة سلماس فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت في البلاد.

ومات في هذه السنة من الأعيان

العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفي، بعد ما عمي سنين، في ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم. ومولده في سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وهو أحد من صحبته من أهل العبادة والنسك. ورأس مدة. واتصل بالظاهر برقوق وولي نظر المارستان المنصوري. وجال في الأقطار، فدخل بغداد والحجاز واليمن والهند، رحمه الله.

ومات شمس الدين محمد بن سعيد المعروف بسويدان أحد أئمة السلطان، في يوم الاثنين سابع صفر. كان أبوه عبدا أسودا يسكن القرافة. وحفظ هو القرآنمع الأجواق، فأعجب الظاهر برقوق صوته، فجعله أحد أئمته، واستمر، فولاه الناصر فرج حسبة القاهرة. ثم عزل فعاد كما كان يقرأ في الأجواق عند الناس، ويأخذ الأجرة على ذلك، وصار رئيس جوقة حتى مات على ذلك. وكان أسود اللون.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارنباي الشافعي، في ليلة الأحد حادي عشر شهر

ربيع الأول، وقد أناف على الستين. وقد برع في الفقه وأصوله وفي العربية، والحساب، ودرس وخطب عدة سنين بدمياط، والقاهرة.." (١)

"لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وفي يوم الأحد رابعه: خرج قاضي القضاة علم الدين صالح في جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برقوق فوعظ الناس على عادته في عمل الميعاد، فكثر ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاؤهم في دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت.

وفي ثامنه: ورد كتاب اسكندر بن قرا يوسف، بأن شاه رخ عاد إلى بلاده وأنه هو رجع إلى توريز، وقصده أن يمشي بعد انقضاء الشتاء لمحاربة قرا يلك صاحب آمد.

وقدم كتاب مراد بن عثمان صاحب برصا بأنه هادن الفرنج ثلاث سنين. وقدم كتاب قرا يلك يسأل العفو عن ولده هابيل وإطلاقه.

وفي حادي عشرينه: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبي الفرج وكثير من إلزامه، وسلموا إلى الأمير أقبغا أستادار، ثم أفرج عنه في رابع عشرينه على مال يحمله.

وفي سادس عشرينه: حضر تجار الإسكندرية وقد طلبوا منها، فأوقفوا بين يدي السلطان، وألزموا جميعهم أن لا يبع أحد منهم شيئا من أصناف البضائع التي تجلب من الهند، كالفلفل ونحوه، لأحد من التجار الفرنج، وهددوا على ذلك. وسبب هذا أن السلطان أقام طائفة تشتري له البضائع وتبيعها، فإذا أخذت بجدة المكوس من التجار التي ترد من الهند، حملت فلفلا وغيره في بحر القلزم من جدة إلى الطور، ثم حملت من الطور إلى مصر، ثم نقلت في النيل إلى الإسكندرية، وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين دينارا. هذا وسعره بالقاهرة خمسون دينارا. فبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج بالإسكندرية أن يبتاعوا منه الحمل بأربعة وستين دينارا، فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين، فأحب السلطان عند ذلك الزيادة في الفوائد، وأن يأخذ ما عند التجار من الفلفل بسعر ما دفع لهم فيه الفرنج، ليبيعه هو على الفرنج. مما تقدم ذكره، فمنعهم من يبيعهم على الفرنج ليبور عندهم، فيأخذه حينئذ منهم بما يريد.

وفيه أيضا طلب الأمير أقبغا الأستادار الباعة بالقاهرة ومصر ليطرح عليهم السكر فأغلقوا الحوانيت، وفروا منه فأعيا الناس شراء الأدوية للمرضى ولم يكادوا أن يجدوا ما يعللوهم به.

وفي هذا الشهر: شنع الموتان الوحي السريع بالطاعون، والنزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٣٠/٣

الإنسان في أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر في الأطفال والشباب، ثم في العبيد والإماء، وأقله في النساء والرجال. وتجاوز في مدينة مصر الفسطاط المائتين في كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز في القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه في مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه في ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالنحريرية – خاصة – إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثر جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية في كل يوم نحو المائة. **وشمل الوباء عامة** البحيرة الغربية والقليوبية.

وفي العشر الأخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التي بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بنية كبيرة، فإذا هي كإنما صبغت بدم من شدة حمرتها. ووجد في البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الظباء والدياب موتى. وقدم الخبر **بوقوع الوباء ببلاد** الفرنج.

وفي يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التي صلي عليها، فبلغت ألفين ومائة، ولم يورد في أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف.." (١)

"وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثني عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادي السمك كانوا في موضع فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزوهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر، حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا في مركب، وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهي راكبة على حمار مكاري، فماتت وهي راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله، حتى بدأ تغير ريحها، فدفنت، ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا، مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سريا قوس، حتى بلغت العدة في كل يوم نحو المائتين، وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية، حتى كاد يموت في الكفر الواحد في كل يوم ستمائة إنسان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة: فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصي في يوم الاثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة، فبلغت عدتهم ألفا ومائتي ميت، سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبة ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان المواريث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٣٤

عليها، ولا يردون الديوان أسماءهم.

وفي هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرجلة والكمثرى، على أن القليل من المرضى هو الذي يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا في ساعة وأقل منها **وعظم الوباء في** المماليك السلطانية – سكان الطباق بالقلعة – الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت في اليوم زيادة على الخمسين مملوكا، وشنع الموت. بمدينة فوه ومدينة بلبيس، ووقع ببلاد الصعيد الأدنى. **وانقطع الوباء من** البحيرة والنحريرية، وكثر بمدينة المحلة.." (١)

"وفي يوم الخميس سابعه: أحصي من صلى عليه من الأموات في المصليات المشهورة خاصة، فكانوا نحو الألف ومائتي ميت، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد في ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين، وفي ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط في يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة، فكانوا ألفا ومائتين وثلاثا وستين، لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة، فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوف، فلم يقدر له على تابوت، حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان – مع كثرتهم وشدتهم – على تابوت له، حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة، وهي من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه في يوم الاثنين حادي عشره في المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن الذي ضبط الكثير، ممن لم يصل عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة في يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت، ومثل ذلك في مصلى المؤمني تحت القلعة، وكان يصلي على أربعين ميتا معا، فما تنقضي الصلاة على الأربعين جميعا، حتى يؤتي بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ميت. واتفق في **هذا الوباء غرائب** منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف، ما بين رجل وامرأة، صغير وكبير، ففنوا بالطاعون، حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل، وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا، وأصبحوا، فإلى أن يأخذوا في دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعا بالحلقة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٣٥

انتقل في أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات، تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء، وتزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش، فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدي وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها في المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها في إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التي أدركناها.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفا، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا – هم والناس – على أرجلهم، فدعوا الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفا إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعا، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا، وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وأنه عمل هذا ببلاد المشرق في وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت **أخذ الوباء يتناقص** في كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد، وببوادي العرب، وبمدينة حماة، ومدينة حمص. ووجد في بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات، وجد في كل واحدة منهن كبة في ناحية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغداء وتشرب مرة واحدة في اليوم، ثم هلكت بعد ثلاث.

وفي ليلة الجمعة التاسع والعشرين: منه خرج بعد غروب الشمس بقليل كوكب في هيئة الكرة، بقدر جرم القمر في ليلة البدر، فمر بين المشرق والقبلة إلى جهة المغرب، وتفرق منه شرر كثير من ورائه.

شهر رجب، أوله الأحد:." (١)

"أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة، إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل في ثامن عشر جمادى الآخرة، ودخل فصل الربيع، فشا الموت في أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة، بعد ما كان في الأطفال والخدم، وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٣٦/٣

مدتها، بعد ما كان الموت وحيا فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع في **هذا الوباء ما** لم يعهد مثله إلا في النادر، وهو خلو دور كثيرة جدا من جميع من كان بها، حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضا الموت والأمراض في المماليك السلطانية، بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن علي بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب الدين، وقد عين كتابة السر، فأخبرني – رحمه الله – أنه خرج من بين يدي السلطان حتى وجد واحدا من المماليك خارج القصر، فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.

وفي يوم الاثنين تاسعه: خلع على الطواشي زين الدين خشقدم، واستقر مقدم المماليك بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت. وخشقدم هذا رومي الجنس، رباه الأمير يشبك وأعتقه، واشتهر في الأيام المؤيدية شيخ، وترقى حتى عمل نائب المقدم، وعرف بالمهابة والحرمة الوافرة.

وفي سادس عشره: قدم الأمير تغري بردي المحمودي من سجنه بدمياط، فرسم أن يتوجه من قليوب إلى دمشق، ليكون أتابك العساكر بها، فتوجه إليها.

وفي ثالث عشرينه: خلع على بدر الدين حسن بن القدسي، واستقر في مشيخة الشيخونية بعد موت صدر الدين أحمد بن محمود العجمي.

وفي هذه الأيام: انحل سعر الغلال وقد دخلت سعر الغلة الجديدة، فأبيع الشعير بتسعين درهما الأردب، والقمح بمائتين وما دونها، وكثر الإرجاف بحركة قرا يلك على البلاد الفراتية وأن شاه رخ بن تيمور شتا على قرا باغ، فأخذ السلطان في تجهيز العسكر للسفر.

شهر شعبان، أوله الأربعاء: في ثالثه: منع نواب القضاة من الحكم، ورسم أن يقتصر الشافعي على أربعة نواب، والحنفي على ثلاثة، والمالكي والحنبلي كل منهما على نائبين، فما أحسن هذا إن تم.

وفي يوم الاثنين ثامنه: أدير محمل الحاج على العادة، و لم نعهده أدير قط في شعبان، وإنما يدار دائما في نحو نصف من شهر رجب، غير أن الضرورة بموت المماليك الرماحة اقتضت تأخير ذلك، حتى أن معلمي اللعب بالرماح أخذوا في تعليم من بقي من المماليك ما عرفوا منه كيف يمسك الرمح، فكان الجمع فيه دون العادة.

وفي ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين يوسف بن أحمد التزمنتي – المعروف بابن المجير – أحد فضلاء الشافعية، واستقر في مشيخة الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء. وكان قاضي القضاة شهاب الدين

أحمد بن المحمرة قد استنابه فيها. واستقر أيضا بدر الدين محمد بن عبد العزيز – المعروف بابن الأمانة – أحد خلفاء الحكم الشافعي في تدريس الشافعية بالشيخونية، وكان ابن المحمرة قد استنابه عنه، فاستقل كل منهما بالوظيفة عوضا عن مستنيبه بحكم إقامته على قضاء دمشق. وخلع أيضا على أمين الدين يحيى بن محمد الأقصراي، واستقر في مشيخة الأشرفية المستجدة، وتدريس الحنفية بها، عوضا عن كمال الدين محمد بن الهمام لرغبته عنها، تعففا وزهادة.

وفي هذا الشهر: انحطت الأسعار فأبيع القمح. بمائة وخمسين درهما الأردب فما دونها، والشعير بتسعين فما دونها، والفول بسبعين درهما فما دونها. وبلغ الدينار الأشرفي إلى مائتين وثمانين درهما، والأفرنتي إلى مائتين وستين.

وفيه كثر الإستعداد لسفر السلطان.

شهر رمضان، أوله الأربعاء: في تاسعه: قرر السلطان في جامعه المستجد بجوار قيسارية العنبر من القاهرة دروسا ثلاثة، فجعل مدرس الشافعية شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتي. وقرر عنده عشرين طالبا، وجعل مدرس المالكية عبادة بن علي بن صالح الزرزاري، مولده سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وعنده عشرة من الطلبة وجعل مدرس الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشي، ومعه عشرة من الطلبة. ومولد عبد الرحمن الزركشي في تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة.." (١)

"فكانت هذه السنة ذات مكاره عديدة من أوبئة شنعة، وحروب وفتن، فكان بأرض مصر – بحريها وقبليها – وبالقاهرة ومصر وظواهرهما، وباء مات فيه – على أقل ما قيل – مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلي والوجه البحري، وهم مثل ذلك، وغرق ببحر القلزم في شهر ذي القعدة مركب فيه حجاج وتجار يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاث رجال، وهلك باقيهم، وهلك في ذي القعدة أيضا بطريق مكة – فيما بين الأزلم وينبع – بالحر والعطش ثلاثة آلاف ويقول المكثر خمسة آلاف، وغرق بالنيل في مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء، هلك فيه خلائق لا يحصى عددها إلا الله تعالى. وكان ببلاد المشرق بلاء عظيم، وهو أن شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، قدم إلى توريز في عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف. فأقام

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٣٧

على خوي نحو شهرين، وقد فر منه اسكندر بن قرا يوسف، فقدم عليه الأمير عثمان بن طر علي – المعروف بقرا يلك التركماني – صاحب آمد في ألف فارس، فبعثه على عسكر لمحاربة اسكندر، وسار في إثره، وقد جمع اسكندر جمعا يقول المجازف إنهم سبعون ألفا، فاقتتل الفريقان خارج توريز، فقتل بينهما آلاف من الناس، وانهزم اسكندر وهم في أثره يقتلون ويأسرون وينهبون فأقام اسكندر ببلاد الكرج، ثم نزل بقلعة سلماس، وحصرته العساكر مدة، فنجا منهم، وجمع نحو الأربعة آلاف، فبعث إليه شاه رخ عسكرا أوقعوا به وقتلوا من معه، فنجا بنفسه جريجا.

وفي مدة هذه الحروب ثار أصبهان بن قرا يوسف، ونزل على الموصل ونهب تلك الأعمال، وقتل وأفسد فسادا كبيرا، وكانت بعراقي العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل، بحيث أن شاه محمد بن قرا يوسف – متملك بغداد – من عجزه لا يتجاسر على أن يتجاوز سور بغداد، وخلا أحد جانبي بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك، وجف أكثر النخل من أعمالها، ومع هذا كله، فوضع شاه رخ على أهل توريز مال الأمان، حتى ذهبت في جبايته نعمهم، ثم جلاهم بأجمعهم إلى بلاده، وكثر الإرجاف بقدومه إلى الشام، فأوقع الله في **عسكره الغلاء والوباء** حتى عاد إلى جهة بلاده، وعاد قرا يلك إلى ماردين فنهبها، ونهب ملطية وما حولها إلى عينتاب وحرقها.." (١)

"ومات السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين علي بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني كاتب السر، في ليلة الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة. ومولده في سابع شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق. ونشأ بها، وولي كتابة السر، وقضاء القضاة الشافعية، ونظر الجيش بها، ثم طلب وولي كتابة السر بديار مصر، فسار فيها أجمل سيرة، رحمه الله.

ومات تقي الدين يحيى بن العلامة شمس الدين محمد الكرماني الشافعي، في يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة، وكان فاضلا في عدة فنون، قدم من بغداد قبل سنة ثمانمائة، وأشهر شرح أبيه على البخاري، وصحب الأمير شيخ المحمودي، وسافر معه إلى طرابلس لما ولي نيابتها، وتقلب معه في أطوار تلك الفتن، وقدم معه القاهرة، فلما تسلطن، عمله ناظر المارستان المنصوري. وكان ثقيل السمع.

ومات الشريف سرداح بن مقبل بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبي عزيزة قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٣٩

جمادى الآخرة، وولي أبوه مقبل ابن نخبار إمرة ينبع مدة، ثم وثب عليه ابن أخيه عقيل بن وبير بن نخيار وحاربه بأهل الدولة في سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ثم قبض عليه وحمل إلى سجن الإسكندرية، فمات به، وكحل ابنه سرداح هذا حتى تفقأت حدقتاه وسالتا، وورم دماغه، نتن.

فتوجه بعد مدة من عماه إلى المدينة النبوية، ووقف عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشكا ما به، وبات تلك الليلة، وأصبح وعيناه أحسن ما كانتا. وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح عينيه بيده المقدسة، فانتبه وهو يبصر، واشتهر ذلك عند أهل المدينة، ثم قدم القاهرة، فشق ذلك على السلطان وأغضبه، واستدعى الذين تولوا كحله، وسمل عينيه، وضربهما. فأقاما عنده من أخبره. بمشاهدة الميل وقد أحمي في النار ثم كحل به فسألت حدقتاه بحضورهم، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم رأوه ذاهب الحدقتين، وأنه أصبح عندهم وهو يبصر، وقص عليهم رؤياه، فترك حاله حتى مات بالطاعون، فضم - أعزك الله - هذه إلى قضية عجلان بن نعير وأخواتها، وتنبه بها لإكرام الله تعالى لآل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم عساك تقوم لهم ببعض ما يجب من حقوقهم، إن وفقك الله لذلك.

ومات الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن البرهان إبراهيم بن عبد الله بن داود ابن أبي الفضل بن أبي المني بن أبي البيان الدواداري الإسرائيلي في أول شهر رجب، وقد أناف على التسعين.

ومات الأمير الطواشي فخر الدين ياقوت مقدم المماليك، في يوم الاثنين ثاني شهر رجب. وكان حبشي الجنس، وشهرته جميلة.

ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان، في رابع رجب، وهو أحد الأمراء الألوف وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلي بغا الشمسي، في رابع رجب، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وتزوجها الظاهر برقوق بكرا، وحظيت عنده حتى مات. وهي آخر نسائه موتا، و لم تعقب.

ومات الشيخ نصر الله بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمي، في ليلة الجمعة سادس رجب. وكان قدم القاهرة بعد الثمانمائة على قدم التجريد، فصحب الأمراء حتى كثر ماله، وعين لكتابة السر، وكان يكتب الخط المنسوب، ويتكلم في علم التصوف على طريقة ابن العربي، وله مشاركة في فنون وعدة مصنفات.

ومات فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن السديد، أبي الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق في ليلة الخميس ثاني عشر رجب. وولي كتابة السر ونظر الجيش في الأيام الناصرية، ثم ولي نظر الإصطبل، وتعطل بعد ذلك مدة.

ومات الشريف عماد الدين أبو بكر بن إبراهيم بن عدنان الحسيني في ليلة الجمعة ثالث عشر رجب، و لم يبلغ الأربعين. وكان قد قدم على أخيه السيد شهاب الدين أحمد، **فوقع الوباء ومات** أخوه، فباشر بعده، وتعين لكتابة السر، فقافصته المنايا، وعاجله ريب المنون، ومات رحمه الله.

ومات الشيخ زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض القمني، في ليلة الجمعة ثالث رجب، عن نحو الثمانين، وقد صار من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم، مع الديانة والنسك، رحمه الله.." (١)

"ومات برهان الدين إبراهيم بن علي بن إسماعيل بن الظريف أمين الحكم، في يوم السبت خامس عشر شوال، عن نحو ستين سنة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور البهادري في يوم السبت ثاني عشر شوال وقد برع في الفقه والنحو، وناب في الحكم عن القضاة الحنفية، وانفرد بالتقدم في علم الطب، فلم يخلف بعده مثله.

ومات الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، في يوم الخميس العشرين من ذي الحجة. وقد ولي أستادار وولي الوزارة، ونكب غير مرة.

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الأحد: في عاشره - الموافق لعشرين مسرى - : انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا واثني عشر إصبعا، ثم نقص خمسة عشر إصبعا، وزاد ونقص إلى حادي عشرينه، وهو أول بابه. ثم لم يناد عليه لاستمرار النقص.

وفي ثاني عشرة: قدم الأمير طرباي نائب طرابلس، فأكرمه السلطان وأعاده إلى محل كفالته، فسار بعد خمسة أيام.

وفي ثالث عشرينه: قدم القاضي زين الدين عبد الباسط، وصحبته خوند جلبان، وبقية الركب الأول، وقدم بعدهم من الغد محمل الحاج صحبة الأمير قرا سنقر، وقدمت معهم، وقد عسف الأمير الناس في المسير، مع ما أصابهم من العطش في توجههم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء: في خامسه: انتشر بآفاق السماء جراد كثير، كفى الله شره.

وفي نصفه: خلع على الأمير أقبغا الجمالي، وأعيد إلى كشف الوجه القبلي، عوضا عن مراد خجا، وقد ساءت سيرته، ومبالغته في ظلم الناس.

وقدم الخبر بأن الخراب شمل البلاد من توريز إلى بغداد، مسيرة خمسة وعشرين يوما بالأثقال، وأن الجراد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٤٣

وقع بتلك البلاد حتى لم يدع بها خضرا، مع **شدة الوباء وانتهاب** الأكراد ما بقي، **وأن الغلاء شنع** عندهم حتى أبيع المن من لحم الضأن - وهو رطلان بالمصري - بدينار ذهب، وأبيع لحم الكلب كل من بستة دراهم، وقد **كثر الوباء ببغداد** والجزيرة وديار بكر، ومع ذلك فقد عظم البلاء بأصبهان بن قرا يوسف بناحية الحلة والمشهد.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة: في سابع عشره: نزل عدة من المماليك السلطانية - سكان الطباق - من قلعة الجبل، إلى دار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أستادار، يريدون الفتك به، وكان علم من الليل، فتغيب واستعد، فلم يظفروا به ولا بداره، وعادوا، وقد أفسدوا فيما حوله فسأل الإعفاء من الأستادارية، فأعفي واستدعى الوزير صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في يوم السبت ثالث عشرينه، وخلع عليه، وأعيد إلى الأستادارية. فكان في ذلك موعظة، وهي أن المماليك كانت جراياتهم ولحومهم وجوامكهم وعليقهم مصروفة، ولا يخطر ببال أحد عزل ابن كاتب المناخ لثباته وسداد أمور الديوان في مباشرته، وانقطاع ابن نصر الله في بيته منذ نكب عدة سنين، فألقى الله في نفس ابن كاتب المناخ الخوف من المماليك، حتى طالب الإعفاء، وألهم الله السلطان ذكر ابن نصر الله، فبعث إليه بالقاضي زين الدين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص في يوم الأربعاء يسلمون عليه من قبل السلطان، ويعلموه بأنه عينه أستادارا، فاعتذر بقلة ماله، وتغير أحواله، وهم يرددون سؤاله في القبول، ويشيرون عليه بذلك، ويحذرونه من المخالفة، فاستمهلهم حتى يستخير الله، فتركوه وانصرفوا، فأشار عليه من يثق به أن يقبل فأجاب، وأرسلوا إليه، فوافقهم على رأيهم.

وفي سابع عشرينه: نودي بأن لا يسافر أحد صحبة ابن المرة إلى مكة، فشق ذلك على الناس لتجهز كثير منهم للسفر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت: في ثامنه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة خلعة السفر إلى جدة وحذر من أخذ أحد معه، خوفا عليهم من العرب.

وفي ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جرم القمر جميعه مدة ثلاث ساعات من أول الليل.

وفي سادس عشره: ابتدئ بهدم قصر بيسري بين القصرين، وكان قد أخذ رخامه وعمل في داير الأشرفية المستجدة.

وفي خامس عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وعبر القاهرة من باب زويلة، ونزل في بيت عظيم الدولة القاضي زين الدين عبد الباسط، ثم ركب منه بعد ساعة إلى بيت سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص، فجلس

عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، وأكثر في هذا الشهر - بل في هذه السنة - من الركوب وعبور القاهرة، وإلى الصيد والنزهة، بخلاف ما كان عليه أولا.." (١)

"وفيه قدم الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر، ونودي بإعلام الناس، فنزل السلطان إلى البيرة في سادس عشرينه، وكتب منها إلى القاهرة على يد نجاب.

شهر شوال، أوله الخميس: في تاسعه: قدم النجاب برحيل السلطان من البيرة، بعد تعدية الفرات في سادس عشرين رمضان.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير أينال الششماني إلى الريدانية خارج القاهرة، ورفع منها إلى بركة الحجاج، ثم استقل بالمسير من البركة في ثالث عشرينه، والحاج ركب واحد لقلتهم، و لم نعهد الحاج فيما سلف بهذه القلة.

وفي هذا الشهر: تعدد وقوع الحريق في أماكن، فظهرت نار في الجرون بناحية شيبين القصر، وأحرقت غلات كثيرة، وكان وقت الدراس، واجترت فارة فتيلة سراج في خن مركب قد أوسق بثياب وسيرج وغير ذلك، ووقف بساحل مدينة مصر ليسير إلى الصعيد، فأحرقت النار جميع ما كان في الركب، وسرت إليها فاحترقت بأجمعها، وهي في الماء حتى صارت فحما، ووقعت النار في دور متعددة بالقاهرة ومصر.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه. كسف من جرم الشمس نحو الثلثين في برج السرطان، بعد العصر بزيادة على ساعة، فما غربت حتى بدأ الكسوف ينجلي، وفي مدة الكسوف اعتمت الآفاق، وظهر بعض الكواكب.

شهر ذي القعدة، أوله السبت: فيه أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودي من الغد بزيادة خمسة أصابع، واستمر النداء بزيادة ماء النيل.

وفي ليلة الجمعة رابع عشره: خسف أكثر جرم القمر، فطلع من الأفق الشرقي منخسفا، وانجلى الخسوف وقت العشاء. وهذا من النوادر، وقوع الخسوف القمري بعد كسوف الشمس بخمسة عشر يوما.

وفي خامس عشره: قدم ساع على قدميه من حلب بكتاب السلطان من آمد بأنه نزل عليها وقد خرج عنها عثمان بن ططر علي المعروف بقرا يلك، وأشحنها بالمقاتلة، فحصرها العسكر.

وفي حادي عشرينه: قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد مؤرخ بعشرين شوال، بأن قرا يلك عزم تعدية الفرات يريد حلب، فأدركته العساكر السلطانية، وقد نزل بعض أصحابه الفرات، فقاتلوهم، وقتلوا منهم،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٩/٣

وغرق منهم جماعة، وأسر جماعة، ضربت أعناقهم.

وفي رابع عشرينه: دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودي بأن اسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره نجدة للسلطان، ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفي هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال فأبيع القمح بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد مائة، وأبيع الأردب الشعير والفول من ثمانين إلى بضع وتسعين بعد ما كان بستين. وسبب ذلك أن طائفة من الناس قد اعتادت منذ سنين أن ترجف في أيام زيادة النيل بأنه لا يبلغ الوفاء، يريدون بذلك غلاء الأسعار، فتكف أرباب الغلال أيديها عن البيع، ويأخذ آخرون في شراء الغلال وخزنها، ليتربص بها دوائر الغلاء، فيتحرق السعر من أجل ذلك، فإذا بلغ النيل القدر المحتاج إليه في ري الأراضي، وزرع الناس، أيس **طلاب الغلاء فباعوا** م ا قد اختزلوه منها، فينحل السعر، ويتضع.

وفي ثامن عشرينه: عزل نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة، وأقام عوضه دواداره – أعني دولات حجا – وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف، ومع ذلك فأحوال الناس بالقاهرة جميلة لحسن سيرة نائب الغيبة، وتثبته وإظهار العدل، مع كثرة الأمن ورخاء أسعار عامة المبيعات كلها.

شهر ذي الحجة، أوله الأحد: في سادسه: قدم الأمير كمشبغا الأحمدي أحد الطبلخاناه بكتاب السلطان من الرها، مؤرخ بثامن عشر ذي القعدة، يتضمن أنه رجل عن آمد بعد ما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما، حتى طلب قرا يلك الصلح، فصولح، ورحل العسكر في ثالث عشر ذي القعدة، فدقت البشائر، ونودي بذلك في الناس، وقدم الخبر بقدوم السلطان إلى حلب في خامس عشرين ذي القعدة، ورحيله منها في خامس ذي الحجة، وقدومه دمشق في تاسع عشره.

وفي ثامن عشرينه: نودي على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة خمسة عشر ذراعا، وثمانية عشر إصبعا. وأصبح الناس يوم الأحد عشرينه – وهو ثالث عشرين مسرى – وقد نقص ستة أصابع، فازدحم الناس على شراء القمح، وقد بلغ إلى مائة وأربعين درهما الأردب، فتعدى مائة وخمسين.

وفيه خرج الأمير الوزير كريم الدين أستادار إلى لقاء السلطان.." (١)

"ومات الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازي بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن الأوحد عبد الله بن المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب بن شادي، صاحب حصن كيفا. وقد سار من بلده يريد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥٨/٣

لقاء السلطان على آمد، فاغتيل في ذي القعدة. وكان قد أقيم في سلطنة الحصن بعد أبيه في سنة سبع وعشرين. وكان فاضلا بارعا أديبا، له ديوان شعر. وكان جوادا محبا في العلماء. وولي بعده ابنه الكامل أبو المكارم خليل.

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد بالله داود. وسلطان الإسلام بمصر والشام، والحجاز وقبرس الملك الأشرف برسباي. والأمير الكبير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح أينال الجكمي. وأمير مجلس أقبغا التمرازي. ورأس نوبة الأمير تمراز القرمشي، وأمير أخور جقمق. والدوادار أركماس الظاهري. وحاجب الحجاب قرقماس. والوزير وأستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ. وكاتب السر كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي. وناظر الجيش القاضي زين الدين عبد الباسط، وهو عظيم الدولة وصاحب تدبيرها. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم. وقضاة القضاة على حالهم. ونواب السلطنة وملوك الأطراف كما تقدم في السنة الخالية.

والنيل قد تأخر وفاءه، والناس لذلك في قلق وتخوف، وقد كثر تكالبهم على شراء الغلة، وبلغ القمح إلى مائة وأربعين درهما الأردب. على أن الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار.

شهر الله المحرم، أوله الثلاثاء: فيه نودي على النيل برد ما نقص، وزيادة ثلاثة أصابع، فعظم سرور الناس بذلك، وباتوا على ترجي الوفاء، فنودي من الغد - يوم الأربعاء ثانيه، وسادس عشرين مسرى - بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وزيادة إصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكاد معظم الناس يطير فرحا. وغيظ من عنده غلال يتربص بها الغلاء، ففتح الخليج على العادة.

وفي ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفي ثاني عشره: ورد الخبر بمسير السلطان من دمشق، بمن معه في أوله فنودي بالزينة، فزين الناس الحوانيت. ووافق هذا اليوم أول توت، وهو نوروز أهل القبط بمصر. وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

وفيه قدمت أثقال كثير من العسكر.

وفي رابع عشره: قدم الأمير أيتمش الخضري من القدس، وتتابع مجيء الأثقال من أمتعة العسكر وجمالهم، واستعد الناس للملاقاة.

وفيه خرج المقام الجمالى يوسف ابن السلطان، لملاقاة أبيه.

وفيه أمطرت السماء، و لم نعهد قبله مطرا في فصل الصيف، فأشفق أهل المعرفة على النيل أن ينقص، فإن العادة جرت بأن المطر إذا نزل في أيام الزيادة هبط ماء النيل، فكان كذلك، ونقص في يوم الجمعة ثامن عشره، وقد بلغت زيادته سبعة عشر ذراعا، وثمانية عشر إصبعا. وكان نقصه في هذا اليوم ستة وعشرين إصبعا، فشرق من أجل هذا كثير من أراضي مصر، لفساد الجسور، وإهمال حفر الترع.

وفي يوم الأحد عشرينه: قدم السلطان بمن معه من سفره، ومر من باب النصر في القاهرة، وقد زينت لقدومه، فنزل بمدرسته، وصلى بها ركعتين، ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة. وخلع على أرباب الدولة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير تاج الدين الشويكي، وأعيد إلى ولاية القاهرة على عادته، مع ما بيده من شد الدواوين وغيره.

وفي ثاني عشرينه: قدم سوابق الحاج. ونزل المحمل ببركة الحاج في غده، وقد مات من الحاج بطريق المدينة من شدة الحر عدة كثيرة.

شهر صفر: أهل بيوم الخميس، وقلق الناس متزايد، فإن النيل تراجع نقصه، حتى صار على سبعة عشر ذراعا. ثم نقص تسعة أصابع، فشره الناس في ابتياع الغلال، وشح أربابها بها. فبلغ الأردب القمح مائة وثمانين درهما، والشعير مائة وأربعين. وفقد الخبز من الأسواق عدة ليالي وفيه ألزم السلطان الوزير الصاحب كريم الدين أستادار بحمل ما توفر من العليق بالديوان المفرد في مدة السفر، وهو خمسون ألف أردب، وما توفر من العليق بديوان الوزارة، وهو عشرون ألف أردب، وبعث إلى النواحي من يتسلمها منه.

وفي ثاني عشرينه: عزل داود التركماني من كشف الوجه القبلي، وسلم إلى الأمير أقبغا الجمالي أستادار – كان – وقد أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، عوضا عن تنبك المصارع.." (١)

"فيه نودي ألا يتعامل الناس بالدراهم القرمانية ونحوها بما يجلب من البلاد، وأن تكون المعاملة بالدراهم الأشرفية فقط، وأن يكون الذهب والفلوس على ما هما عليه. وذلك أنه كان قد عزم السلطان على تجديد ذهب ودراهم وفلوس، وإبطال المعاملة. مما بأيدي الناس من ذلك، فكثر اختلاف أهل الدولة عليه بحسب أغراضهم. ولم يعزم على أمر، فأقر النقود على حالها، وجمع الصيارفة، وضرب عدة منهم وشهرهم من أجل الدراهم القرمانية وإخراجها في المعاملة، وقد نهوا عن ذلك مرارا فلم ينتهوا.

وفي سابعه: خلع على الأمير الكبير أينال الجكمي، واستقر في نظر المارستان المنصوري على عادة من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦١/٣

تقدمه.

وفى تاسعه: رزت المماليك المتوجهة إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا، ورافقهم عدة كبيرة من الرجال والنساء يريدون الحج والعمرة.

وفي هذا الشهر: – والذي قبله – فرض السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة وسائر الوجه البحري خيولا تؤخذ من أهل النواحي.

وكان يؤخذ من كل قرية خمسة آلاف درهم فلوسا عن ثمن فرس، ويؤخذ من بعض النواح عشرة آلاف عن ثمن فرسين. ويحتاج أهل الناحية مع ذلك إلى مغرم لمن يتولى أخذ ذلك منهم. وأحصي كتاب ديوان الجيش قرى أرض مصر كلها – قبليها وبحريها – فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية. وقد ذكر المسبحي أنها عشرة آلاف قرية فانظر تفاوت ما بين الزمنين.

وفي رابع عشره: برز الأمير قرقماس نائب حلب، في تجمل حسن بالنسبة إلى الوقت؛ ليسير إلى محل كفالته. وخلع عليه خلعة السفر ططري بفرو سمور ومن فوقه قباء نخ بفرو قاقم.

وفي تاسع عشره: ختن السلطان ولده، المقام الجمالي يوسف، وأمه أم ولد اسمها جلبان، جركسية وختن معه نحو الأربعين صبيا، بعد ما كساهم. وقدم له المباشرون ذهبا وحلاوات، فعمل مهما للرجال وللنساء، أكلوا فيه وشربوا.

وكتبت عند ذلك كتابا سميته الأخبار عن الأعذار، وما جاء فيه من الأخبار والآثار، وما لأئمة الإسلام فيه من الأحكام، وما فعله الخلفاء والملوك. وفيه من المآثر الجسام، والأمور العظام، لم أسبق بمثله فيما علمت.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه: فقد الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، فخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغني بن الهيصم ناظر الدولة، واستقر في الوزارة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: ظهر الوزير كريم الدين، وصعد إلى القلعة، فخلع عليه قباء من أقبية السلطان. ونزل على أنه أستادار. ثم خلع عليه من الغد، فكان موكبه جليلا إلى الغاية. وقد ألزم السلطان في غيبة الوزير عظيم الدولة، القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بإقامة دواداره جانبك أستادار، فلم يرض بذلك خوف العاقبة، وأخذ يسعى في دفع ذلك عنه حتى أعفي، فعين سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم ناظر الخاص أستادار، فما زال يسعى في الإعفاء، حتى ظهر الوزير كريم الدين، فتنفس خناق الجميع. وفيه قدم الحمل من قبرس على العادة في البحر في كل سنة.

وفي هذا الشهر: **اشتد الوباء بمكة** وأوديتها، حتى بلغ بمكة في اليوم عدة من يموت خمسين، ما بين رجل وامرأة.

شهر رمضان، أوله السبت: في ثامنه: ورد الخبر من دمياط بأخذ الكيتلان من الفرنج خمس مراكب من ساحل بيروت، فيها بضائع كثيرة ورجال عديدة. وبعث ملكهم إلى والي دمياط كتابا ليوصله إلى السلطان، يتضمن جفاء ومخاشنة في المخاطبة؛ بسبب إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعد للمتجر السلطاني، فغضب السلطان لما قرئ عليه، ومزقه.

وفي هذه الأيام: قطع عدة مرتبات للناس على الديوان المفرد، وعلى الاصطبل السلطاني، وعلى ديوان الوزارة. وذلك ما بين نقد ف كل شهر، ولحم في كل يوم، وقمح في كل سنة. واغتنم لذلك كثير من الناس وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات في شهر رمضان، فاقتضى الحال قطع الأرزاق لضيق حال الدولة.

وفيها عينت تجريدة في النيل لتركب بحر الملح من دمياط، وتجول فيما هنالك، عسى تنكف عادية الفرنج ويقل عبثهم وفسادهم.

وفي ثاني عشرينه: دخل الأمير قرقماس إلى حلب. فما كاد أن يستقر بها حتى ورد الخير بوقعة كانت بين الأمير أينال الأجرود نائب الرها وبين أصحاب قرا يلك، انهزم فيها. فأخذ في أهبة السفر إلى الرها.

وفي هذا الشهر: **تناقص الوباء بمكة**.

شهر شوال، أوله الاثنين:." (١)

"وفي هذا الشهر: رسم أن يكشف عن شروط واقفي المدارس والخوانك، ويعمل بها. وندب لذلك قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي، فبدأ أولا بمدرسة الأمير صرغتمش بخط الصليبة وقرأ كتاب وقفها. وقد حضر معه رفقاؤه الثلاث قضاة القضاة، فأجل في الأمر، فلم يعجب السلطان ذلك، وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها، فروجع في ذلك حتى أقرهم على ما هم عليه. وأبطل الكشف عما رسم به، فسر الناس بهذا لأنهم كانوا يتوقعون تغييرات كثيرة.

وفيه اشتد قلق الناس لقلة البرد في فصل الشتاء، وعدم المطر، وهبوب رياح حارة في أوقات عديدة، خوفا على الزرع. ولله الأمر.

شهر رجب، أوله الاثنين: في ثامنه: أدير محمل الحاج بمصر والقاهرة، وكانت العادة ألا يدار إلا بعد النصف من رجب، فأدير في هذه الدولة قبله غير مرة.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦٤/٣

وفي ثامن عشره: خلع على الأمير تمرباي الدوادار الثاني، واستقر أمير الحاج، وخلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله محتسب القاهرة، ليكون أمير الركب الأول.

وفي حادي عشرينه: ورد الخبر بأن العرب – من محارب – لما علموا نزول الأمير أينال الجكمي على الفيوم، ساروا إلى جهة الواحات. ثم بدا لهم فنزلوا بالأشمونين فركب الأمير كريم الدين الكاشف، والأمير تغري برمش أمير أخور، والأمير تمراز رأس نوبة النوب، وقاتلوهم وهزموهم، وظفروا منهم بستمائة جمل، غير ما نهب لهم وإن ذلك كان في يوم الثلاثاء سادس عشره.

وفي حادي عشرينه: قدم الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر تحت الحوطة، فسجن بقلعة الجبل.

وفي هذا الشهر: بعث الملك شهاب الدين أحمد بدلاي بن سعد الدين سلطان المسلمين بالحبشة، أخاه خير الدين لقتال أمحرة الكفرة، ففتح عدة بلاد من بلاد الحطي ملك الحبشة، وقتل أميرين من أمرائه، وحرق البلاد، وغنم مالا عظيما، وأكثر من القيل في أمحرة النصارى، وخرب لهم ست كنائس.

هذا وقد شنع بعامة بلاد **الحبشة الوباء العظيم**، فمات فيه من المسلمين ومن النصارى عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد.

وهلك في **هذا الوباء الحطي** ملك الحبشة الكافر، وأقيم بدله صبي صغير.

شهر شعبان، أوله الأربعاء: وفي سادسه: قدم بقية المماليك والأمراء المجردين إلى العرب بالوجه القبلي.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير قانباي الحمزاوي أحد الأمراء الألوف. واستقر في نيابة حماه عوضا عن الأمير جلبان. ونقل جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طراباي بعد موته. وأنعم بإقطاع قانباي وإمرته على الأمير خجا سودن أحد أمراء الطبلخاناه. ووفرت امرأة خجا سودن وأضيف إقطاعه إلى الدولة للوزير؛ تقوية للوزير تاج الدين.." (١)

"وفيه برز الأمير أينال الجمكي نائب حلب ليتوجه إلى محل كفالته، وصحبته القاضي شرف الدين كاتب السر بحلب.

وفي سابع عشره: خلع على الأمير الكبير جقمق بنظر المارستان المنصوري، على العادة في ذلك.

وفي رابع عشرينه: خلع على الأمير عمر، واستقر في ولاية القاهرة بعد موت أخيه التاج.

وفي هذا الشهر: **كثر الوباء بمدينة** بروسا – التي يقال لها برصا – من مملكة الروم، واستمر بها وبأعمالها

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٧٣/٣

نحو أربعة أشهر.

وفي هذا الشهر: قبض على جانبك الصوفي، وكان من خبره أنه ظهر بمدينة توقات في أوائل شوال من السنة الماضية، فقام متوليها أركج باشا بمعاونته، حتى كتب إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى أسلماس بن كبك، ومحمد ابن قطبكي، وعثمان قرا يلوك، ونحوهم من أمراء التركمان، فانضم إليه جماعة. وخرج من توقات، فأتاه الأمير قرمش الأعور وابن أسلماس وابن قطبكي، ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرا يلك صاحب قلعة جمركسك فقواهم. وشنوا منها الغارات على قلعة دوركي، وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها.

فاتفق ورود كتاب القان شاه رخ ملك المشرف على قرا يلك، يأمره بالمسير بأولاده وعسكره لقتال إسكندر بن قرا يوسف سريعا عاجلا، فكتب إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك، فترك محمد جانبك ومن معه على دوركي، وعاد إلى أبيه. فسار جانبك بابن أسلماس وابن قطبكي حتى نزلوا على ملطية وحصروها، فكادهم سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكتب إلى جانبك بأنه معه فكتب إليه أن يقدم عليه، وبعث بكتابه فرمش الأعور، فأكرمه وسار معه في مائة وخمسين فارسا. فتلقاه جانبك وعانقه، ثم عادا، وحصرا ملطية، فأظهر سليمان من المناصحة ما أوجب ركون جانبك إليه، فأخذ في الحيلة على جانبك، وخرج هو وإياه في عدة من أصحابه ليسيرا إلى مكان يتنزهوا به. ورتبا قرمش وبقية العسكر على الحصار، فلما نزل سليمان وجانبك للنزهة، وثب به أصحاب سليمان، وقيدوه، وسرى به سليمان على أكديش ليلته ومن الغد، حتى وافى به بيوته على أبلستين، وكتب يعلم السلطان بذلك. وكان القبض على جانبك في سابع عشر شهر ربيع الأول هذا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الاثنين: فيه قدم جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي ناظر الجيش بدمشق مطلوبا، وهو مريض بضربان المفاصل، ومعه تقدمة حليلة، فقبلت تقدمته، وأمر بالإقامة في منزله حتى يبرأ.

وفيه ورد إلى السلطان كتاب شاه رخ إلى جانبك الصوفي وقد قبض على حامله وحبس بحلب، فتضمن الكتاب تحريضه على أخذ البلاد الشامية، وأنه سيقدم عليه أحمد جوكي وبابا حاجي، نجدة له. فكتب إلى نواب الشام بالتأهب والاستعداد، لنجدة نائب حلب، إذا أستدعاهم.

وفي ثالثه: ورد الخبر بالقبض على جانبك الصوفي، كما تقدم.

وفي يوم السبت سادسه: خلع على ولي الدين أبي اليمن محمد بن تقي الدين قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشيني ثم المحلي، مضحك السلطان ونديمه وجليسه، واستقر في

نظر الحرم الشريف بمكة، عوضا عن سودن المحمدي، وفي مشيخة الخدام الطواشية بالمسجد النبوي، عوضا عن الطواشي بشير التنمي. ولم نعهد مشيخة المسجد النبوي يليها دائما – منذ عهد السلطان صلاح الدين في يوسف بن أيوب – إلا الخدام الطواشية. فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثا من الأحداث، وبلية تساق إلى أهل الحرمين.

وفي حادى عشره: قدم سيف الأمير قصروه نائب الشام بعد موته، على يد أمير علي بن أينال باي، أحد الحجاب بدمشق.

وفي ثاني عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن قصروه، وقراجا دواداره، فقرر عليهما مالا يحملاه من تركة قصروه، وهو من النقد مائة ألف دينار، وغلال، وبضائع، وخيل، وغير ذلك ما قيمته نحو مائة ألف دينار، وعاد إلى دمشق.

وفي ثالث عشره: نودي بعرض أجناد الحلقة، ليستعدوا للسفر إلى الشام، ولا يعفي أحد منهم.

وفيه جمع قضاة القضاة بين يدي السلطان وسئلوا في أخذ أموال الناس للنفقة على العساكر المتوجهة لقتال شاه رخ، فكثر الكلام، وانفضوا. هذا، وقد تزايد اضطراب الناس وقلقهم.." (١)

"وفي خامسه: خلع على الجمال يوسف بن الصفي واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن يحيى بن المدني، ورسم لقاضي القضاة بهاء الدين محمد بن حجي بنظر الجيش بدمشق، عوضا عن الجمال المذكور، وجهز له التشريف والتوقيع في يوم الإثنين سابعه.

وفيه رسم باستقرار السيد الشريف بدر الدين محمد بن علي بن أحمد الجعفري في قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضا عن الشريف ركن الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بالدخان، وكان قد شغر قضاء الحنفية بدمشق من حين توفي الدخان في سابع عشر المحرم مدة ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وكانت ولايته بغير مال.

وفي خامس عشره: خلع على الطواشي جوهر اللالا واستقر زمام الدار عوضا عن الأمير زين الدين خشقدم بعد موته، وكانت شاغرة منذ مات.

وفي تاسع عشرينه: استعفى الوزير الصاحب تاج الدين الخطير على عادته، وقوي بمال إعانة له.

وفي هذه الأيام: رسم بإخراج الفرنج المقيمين بالإسكندرية ودمياط وسواحل الشام، فأخرجوا بأجمعهم.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأربعاء: في ثالثه: عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٠/٣

بالجوع.
ثم أعيدوا إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد، ورسم لأرباب الديون أن يقوموا. بمؤونة مسجونهم، حتى تنقضي أيام الغلاء، هذا إن كان الدين مبلغا كبيرا فإن كان الدين يسيرا ألزم رب الدين بتقسيطه عن المدين أو الإفراج عن الديون، فاتفق أن رجلا ادعى عند بعض نواب القاضي الحنفي على رجل بدين، واقتضى الحال أن يسجن، فكتب القاضي المدعي عنده، على ورقة اعتقال المدين، يعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة.
ثم في ثالث عشره: عرض السلطان جميع من في السجون، وأفرج عنهم بأسرهم حتى أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ورسم ألا يسجن القضاة والولاة أحدا وأن من قبض عليه من السراق يقتل ولا تقطع يده، فغلقت السجون، و لم يبق بها مسجون. ثم نقض ذلك بعد قليل، وسجن من استحق السجن.
وفي هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها، حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها، وأبيع الجليد في الأسواق مدة أيام، ولم نعهد هذا، ولا سمعنا به.
وفي ثامنه. كان آخر عرض أجناد الحلقة.
وفي حادي عشره: قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية بهدية، فخلع عليه من الغد يوم الإثنين ثاني عشره. ونزل من القلعة، فأدركه من خلع عنه الخلعة، وأعادها إلى ناظر الخاص، وذلك أنه بلغ السلطان عنه أنه أفرج للتجار عدة أحمال فلفل، حتى باعوها للفرنج بمال أخذه منهم، وكان قد تقدم مرسوم السلطان بمنع التجار من بيع الفلفل، وأن الفرنج لا تشتريه إلا من الديوان السلطاني.
وفي تاسع عشره: خلع على رجل أسود من المغاربة - يقال له سرور - لم يزل يدخل فيما لا يعنيه، ويناله سبب ذلك المكروه، فاستقر في قضاء الإسكندرية ونظرها على أن يكفي أجناد الثغر معاليمهم، ويقوم للمرتبين بمرتباتهم، ويقوم بالكسوة السلطانية، ويقوم بعد ذلك كله بمائة وثلاثين دينارا في كل يوم. وكتب عليه بذلك تقرير قرره على نفسه. ونزل بالقلعة، فلم يقم سوى أياما، وطلع في يوم الثلاثاء حادي عشرينه، واستعفى من وظيفة النظر، فضرب. ورسم بنفيه، فأخرج في الترسيم من القاهرة في ثالث عشرينه.
وفي يوم السبت ثامن عشره: برز الصاحب كريم الدين والأمير يلخجا بمن معهم من المعتمرين إلى ظاهر القاهرة، ثم ساروا في تاسع عشره إلى مكة.
وفيه فتحت السجون، وسجن بها.
وفي عشرينه: خلع على أقباي البشتكي أحد الدوادارية، واستقر في نيابة الإسكندرية، عوضا عن خليل

وجهزت خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدماميني، باستقراره على عادته في قضاء الإسكندرية. وخلع على شرف الدين بن مفضل، واستقر في نظر الإسكندرية، عوضا عن خليل المذكور.

وفي ثامن عشرينه: وصل الأمير أقطوة المتوجه في الرسالة إلى شاه رخ. وقدم من الغد شيخ صفا رسول شاه رخ بكتابه فأنزل، وأجرى له ما يليق به.

وفيه ورد الخبر بأن جانبك الصوفي قد أفرج عنه ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وصار في جمع، بعد ما أخذ من شاد بك ما على يده من المال وغيره، فكثر القلق بسبب ذلك.." (١)

"وفي هذا الشهر: طرح على التجار بالقاهرة ودمشق ألف حمل فلفل بماشة ألف دينار، حسابا عن كل حمل مائة دينار، نزل بهم منها بلاء لا يوصف.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه: أدير محمل الحاج. ورسم أنه إذا وصل إلى الجامع الجديد خارج مدينة مصر، يرجع به والقضاة أمامه، إلى الخانكاه الشيخونية بالصليبة خارج القاهرة فقط، ويمضي الفقراء معه إلى تحت قلعة الجبل، ثم منها إلى الجامع الحاكمي، وأبطلت الرماحة من الركوب مع المحمل في هذه السنة.

وفي هذا الشهر: كملت عمارة القان شاه رخ لمدينة تبريز. وقد تقدم لأهل البلاد بزراعة أراضيها، فتراجع الناس إليها. وولي شاه رخ على تبريز شاه جهان بن قرا يوسف، عوضا عن اسكندر.

شهر شعبان، أوله يوم الأحد: في أوله: قدم ركب العمار إلى مكة - شرفها الله تعالى - وفيهم ولي الدين محمد ابن قاسم، مضحك السلطان، والصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ والأمير يلخجا ومعه عدة مماليك، بدل من بمكة من المماليك الذين صحبة أرنبغا وبلغ ركبهم نحو ستمائة جمل.

وفي ثالثه: أنفق السلطان في الأمراء المجردين من القاهرة إلى الشام ومن معهم سبعة عشر ألف دينار.

وفي يوم الخميس خامسه: قدم الشريف بركات إلى مكة، فقرئ بحضوره في الحجر الأسود توقيع ابن قاسم باستقراره في نظر الحرم الشريف وعمارته، وتوقيع باستقرار الصاحب كريم الدين في نظر جدة، وأن إليه أمر قضائها وحسبتها. وتوقيع باستقرار الأمير يلخجا في شد جدة.

وفي سابعه: رسم بفتح سجن الرحبة بالقاهرة، فصار يسجن فيه وفي المقشرة فقط.

وفي ليلة الأربعاء حادي عشره: توجه الصاحب كريم الدين من مكة إلى جدة ومعه الأمير يلخجا. ومضى الشريف بركات لمحاربة حرب. ثم خرج الأمير أرنبغا بمن بقي من المماليك المركزين معه من مكة يريد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٢/٣

القاهرة، وقد تأخر منهم – سوى من قتل أربعة؛ لعجزهم من شدة جراحاتهم عن الحركة. فنزل جدة، ثم مضي منها على الساحل، خوفا من العرب.

وفي سابع عشرينه: سار الأمراء المجردون إلى الشام، بمن معهم. وقد كانوا برزوا خارج القاهرة في خامس عشرينه. وهم الأمير جقمق الأتابك، والأمير أركماس الدوادار الكبير، والأمير يشبك حاجب الحجاب، والأمير تنبك نائب القلعة، والأمير قراجا، والأمير تغري بردي المؤذي، والأمير خجا سودن.

وكان قد وقع بعدن – من بلاد اليمن وباء استمر أربعة أشهر، آخرها شعبان. هذا بعد ما طبق بلاد الحبشة بأسرها، وامتد إلى بربرة.

وقد شنع ببلاد الزنج. ثم كان بعدن فمات بها – أعني عدن – عالم عظيم قدم علينا منها بمكة كتاب موثوق به يخبر أنه مات بعدن في هذه الأربعة أشهر – خاصة ممن عرف اسمه – سبعة آلاف وثمانمائة. وفي كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس، ولم يبق إلا نحو من الناس. وفي كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها، **وأن الوباء ارتفع** منها آخر شهر شعبان، وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة.

وفي سابع عشرينه: ورد كتاب اسكندر بن قرا يوسف يستأذن في القدوم، فوعد بخير.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء: فيه تسلم الشريف أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني امرأة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله. وقد قدم تشريف ولايته، وتوقيع استقراره.

وفي رابعه: خلع على رسول اسكندر بن قرا يوسف، وأعيد إليه بجوابه.

وفي سابعه: خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، واستقر في الوزارة، عوضا عن تاج الدين بن الخطير؛ وسبب ذلك أن ممالك الطباق بالقلعة رجموا في رابعه الوزير تاج الدين حتى كاد أن يهلك، فسأل أن يعفي من المباشرة، فرسم بطلب كريم الدين ابن كاتب المناخ من جدة ليلة الوزارة، فتهيأت لغرس الدين هذا.

وفيه جهز لطوغان حاجب غزة خلعة بنيابة القدس، ونظر الخليل، وكشف الرملة ونابلس، عوضا عن حسن التركماني، وعمل حسن حاجبا بحلب عوضا عن الأمير قنصوه. وأنعم على قنصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانبك المؤيدي، بحكم وفاته.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير أسلماس بن كبك التركماني مفارقا جانبك الصوفي، فأكرم وأنعم عليه.

وفي هذا الشهر: **وقع الوباء بمدينة** تعز من بلاد اليمن، وعم أعمالها.

شهر شوال، أوله يوم الخميس: فيه خلع على الأمير أسلماس فيمن خلع عليه، ورسم بتجهيزه.." [١]

"وفي ثامنه: عزل الوزير غرس الدين خليل عن الوزارة، وألزم الصاحب أمين الصاحب إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة لسد أمور الدولة، ومراجعة القاضي زين الدين عبد الباسط في جميع أحوال الدولة، فتمشت الأحوال، وتوجه النجاب في تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ ليلة الوزارة بعد فراغه من أمر جدة.

وفي سابع عشرينه: رسم بطلب الأمير أينال الأجرود نائب الرها. واستقر الأمير شاد بك الذي توجه لأخذ الأمير جانبك الصوفي من ابن دلغادر عوضه.

وعزل الأمير أينال الششماني من نيابة صفد، وإقامته بطالا بالقدس. وأن يستقر عوضه في نيابة صفد الأمير تمراز المؤيدي.

وفي هذا الشهر: **شنع الوباء بمدينة** تعز من بلاد اليمن، فورد علينا منها كتاب مكة بأنه صلى في يوم واحد بجامع تعز على مائة وخمسين جنازة. وفي كتاب آخر أنه مات بها في ثلاثة أيام ألفان، وخلت عدة قرى من سكانها. **فشمل الوباء جميع** بلاد الحبشة، كافرها ومسلمها، وسائر بلاد الزنج، ومقدشوه إلى بربرا وعدن وتعز وصعدة والجبال.

وفي هذا الشهر: رحل القان شاه رخ عن مملكة أذربيجان، بعدما زوج نساء إسكندر بن قرا يوسف لشاه جهان الذي استنابه على تبريز في شهر رمضان شهر ذي القعدة، أوله يوم الجمعة.

في ثاني عشره: رسم باستقرار شمس الدين محمد بن علي بن عمر الصفدي في قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن بدر الدين الجعفري، بمال وعد به.

وفي رابع عشره: منع الناس بالقاهرة من ضرب أواني الفضة وآلاتها، وأن يحمل ذلك إلى دار الضرب ليضرب دراهم.

وفي تاسع عشرينه: قبض بمكة على رسل ملك بنجاله من بلاد الهند، وسبب ذلك أن السلطان جهز في سنة خمس وثلاثين هدية من القاهرة إلى السلطان جلال الدين أبي المظفر محمد بن فندوا صحبة بعض الطواشية، فوصل بها إلى بنجالة، وقدمها إلى السلطان جلال الدين فقبلها، وعوض عنها بهدية قيمتها عندهم اثنا عشر ألف تنكة حمراء. ومات في أثناء ذلك، وقام من بعده ابنه المظفر أحمد، فأمضى هدية

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٤/٣

أبيه، وزادها من عنده هدية أخرى، فيها ألفا شاش، وعدة ثياب بيرم، وخدام طواشيه، وطرف. وجهز الجميع، وبعث معهم عدة من خدامه الطواشية، وعلى أيديهم خمسة آلاف شاش ليبيعوها ويشتروا له بها أمتعة. فركبوا في البحر، فحيرهم الريح وألقاهم إلى بعض جزائر ذيبة، بها الطواشي المجهز من مصر. وبلغ صاحب ذيبة أنه عتيق غير السلطان، فأخذ ما تركه، ولم يتعرض لشيء من الهدية فاتفق مع ذلك قتل ملك بنجالة أحمد الذي جهز الهدية الثانية، وقام آخر بعده. فلما اعتدل الريح، ساروا عن ذيبة إلى أن قاربوا جدة، غرق مركبهم بما فيه عن آخره. فنهض الصاحب كريم الدين من مكة، وقد بلغه الخبر، حتى نزل جدة، وندب الناس، فأخرج من تحت الماء الشاشات والثياب البيرم، بعد مكثها في الماء ستة أيام. وتلفت المراطبينات التي بها الزنجبيل المربا والكابلي المربا، ونحو ذلك. فسلم الشاشات والبيارم إلى القصارين حتى أعادوا جدتها. وكتب إلى السلطان بذلك. فكتب بالقبض على طواشية ملك بنجالة، وأخذ الخمسة آلاف شاش منهم، ومنعهم من المجيء إلى القاهرة. وأن من ورد ببضاعة إلى جدة من ذيبة أخذت للديوان بأسرها، فندب أبو السعادات ابن ظهيرة قاضي مكة الشافعي، معه أبو البقاء بن الضياء قاضي الحنفية لإيقاع الحوطة على الشاشات. ورسم على الطواشية، حتى أخذت منهم بأسرها، بعضها صنفا، وثمن ما باعوه منها، وضمت إلى مال الديوان.

وفي هذا الشهر: نزل القان شاه رخ على سلطانية، وعزم على أنه لا يرحل عنها إلى هراة دار ملكه، حتى يبلغ غرضه من اسكندر بن قرا يوسف.

شهر ذي الحجة، أوله يوم السبت: في يوم الخميس سادسه وسابع عشرين بؤونة: نودي على النيل بزيادة خمسة أصابع. وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية عشر إصبعا، واستمرت الزيادة. ولله الحمد.

وفي سابع عشرينه: وصل الأمير حمزه بك بن علي بك بن دلغادر، فأنزل. ثم وقف بين يدي السلطان في تاسع عشرينه، فقبض عليه، وسجن في البرج بالقلعة.." (١)

"ومات بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز، عرف بابن الأمانة، أحد نواب القضاة بالقاهرة، في ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان، ومولده في سنة اثنتين وستين وسبعمائة تخمينا. وكان فقيها شافعيا بارعا في الفقه والأصول والعربية، وغير ذلك، ذكيا متقنا لما يعرف، عارفا بالقضاء، كثير الاستحضار. ناب في الحكم وأفنى عدة سنين. رحمه الله.

ومات الشريف كبش بن جماز من بني حسين. وكان قد مالأ حيدر بن دوغان على قتل أمير المدينة مانع

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٣٨٥

بن علي، ومضى يريد القاهرة ليلة إمرة بالمدينة حتى لم يبق بينه وبين القاهرة إلا نحو يوم واحد، صدفه جماعة من بني حسين، لهم عليه دم، فقتلوه في أخريات جمادى الآخرة.

وماتت خوند جلبان الجركسية، زوجة السلطان، وأم ولده المقام الجمالي يوسف، في يوم الجمعة ثاني شوال. ودفنت بتربة السلطان التي أنشأها بالصحراء خارج باب المحروق. وكانت قد تصدت لقضاء الحوائج، فقصدها أرباب الدولة لذلك وكثر مالها، فأبيعت تركتها بمال كبير.

ومات السلطان أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر أسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكداز بن بيدوكس بن طاع الله بن علي بن القاسم. وهو عبد الواد متملك مدينة تلمسان والمغرب الأوسط، في يوم شوال. وكان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد الحفضي صاحب تونس وبلاد إفريقية – رحمه الله – وقد سار إلى تلمسان مرة ثالثة، وبها محمد بن أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو المعروف بابن الزكاغية ففر منه، فما زال حتى ظفر به، وقتله، وأقام على تلمسان عوضه أحمد هذا في أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وهو أصغر أولاد أبي حمو، فلم يزل على تلمسان حتى مات بها، وولي بعده أخوه أبو يحيى بن أبي حمو.

ومات أحمد جوكي بن القان معين الدين شاه رخ سلطان بن الأمير تيمور كوركان، بعد قتل قرا يلوك وعوده من أرزن الروم، في شعبان، بمرض عدة أيام، فاشتد حزن أبيه عليه، وعظم مصابه، فإنه فقد ثلاثة أولاد في أقل من سنة.

ومات ملك بنجالة من بلاد الهند، السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبي المظفر أحمد شاه بن فندو كاس، في شهر ربيع الآخر، ثار عليه مملوك أبيه كالوا الملقب مصباح خان، ثم وزير خان. وقتله واستولى على بنجاله. ومات الشيخ الملك زين الدين أبو بكر بن محمد بن علي الخافي ثم الهروي، في يوم الخميس ثالث شهر رمضان، بهراة **في الوباء الحادث** بها.

نادرة قل ما وقع مثلها، وهي أن ثماني عشر دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت في مدة بضعة عشر شهرا، وأكثر أرباب هذه الدول الزائلة مات، وهم الحطي ملك أمحرة، وسلطان الحبشة.

ومات ملك كلبرجه من بلاد الهند السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه بن أحمد بن حسين شاه بن بهمن. كلاهما مات في شهر رجب سنة ثمان وثلانين وثمانمائة. ومات الأمير سيف الدين طرباي نائب طرابلس، في رجب هذا.

ومات الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني، في رجب أيضا.

ومات أمير زاده إبراهيم سلطان بن القان الأعظم معين الدين شاه رخ ابن الأمير الكبير تيمور لنك. صاحب شيراز، في شهر رمضان.

ومات ملك دله مدينة الهند، وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان.

ومات صاحب مملكة كرمان، باي سنقر سلطان بن القان شاه رخ.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية، المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي فارس عبد العزيز، في حادي عشرين صفر سنة تسع وثلاثين.

ومات الأمير قصروه نائب الشام، في ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر، وهو أعظم مملكة من كثير من ملوك الأطراف.

ومات الأمير عثمان قرايلوك بن الحاج قطلوبك بن طر على صاحب مدينة آمد ومدينة ماردين وأرزن الروم وغير ذلك، في صفر.

وقتل أمير المدينة النبوية ،لشريف مانع بن على بن عطة بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى، في جمادى الآخرة، و لم تطل مدته بعد قتل ابن عمه زهير بن سليمان، وكان ينازعه في الإمرة.

ومات متملك مدينة تلمسان وصاحب المغرب الأوسط أحمد بن أبى حمو العبد وادى، في شوال ومات أحمد جوكى سلطان بن القان شاه رخ.." (١)

"وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وإستقر كاتب السر عوضا عن شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن شرف الدين الأشقر، مضافا لما بيده من حسبة القاهرة ونظر دار الضرب ونظر الأوقاف ومنادمة السلطان، فنزل في موكب حليل، وقد لبس العمامة المدورة، والفرجية، هيئة أرباب الأقلام، فسر الناس به، وكان من خبره أنه نشا من صغره بزى الأجناد، وبرع في الحساب، وكتب الخط المنسوب، وصار أحد الحجاب في الأيام الناصرية فرج بن برقوق. وتقلب مع والده في مباشرة نظر الجيش، ونظر الخاص، والوزارة . وشكرت مباشرته لذلك،. مما طبع عليه من لين الجانب، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وحسن السياسة، فصار في الأيام المؤيدية شيخ من جلة الأمراء، وولى أستادارية السلطان فى الأيام الظاهرية ططر، وملك الأمراء. ثم عزل عن ذلك، وأعيد إليه في الأيام الأشرفية برسباى، وكان ما كان من مصادرته ومصادرة والده الصاحب بدر الدين، على مال كبير، أخذ منهما حتى ذهب مالهما، إلا أنه لم يمسهما بحمد الله سوء، ولا أهينا، فلزما دارهما عدة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٨/٣

سنين. ثم شبه لهما الإقبال، فولى الحسبة، ومازال يترقى حتى عينه السلطان لمنادمته بعد ابن قاسم بن المحلاوى، وصار يبيت عنده، وشكرت خصاله، و لم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره، بل عف وكف، وأفضل وزاد في الأفضال، إلى أن سعى بعض الناس في كتابة السر بمال كبير جدا، وأرجف بولايته، فاقتضى رأى السلطان ولاية الأمير صلاح الدين، وعرض عليه ذلك ليلا، وهو مقيم عنده على عادته، فاستعفى من ذلك، فلم يعفه، وصمم عليه، ورسم بتجهيز التشريف له، ثم أصبح فخلع عليه، وأقره على ما بيده. وإستمر به في منادمته، والمبيت عنده، فضبط أمره، وصار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدى السلطان، لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها، ومعرفة المصطلح، والدربة بمعاشرة الملوك، وتدبير الدول، ومقالبة الأحوال. فتميز بذلك عمن تقدمه من كتاب السر، بعد ابن فضل الله، فإنهم منذ عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يتولى كتابتها الموقعون بإملاء كاتب السر، حتى باشر هو، فاستبد بالكتابة، وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته، وتمام معرفته..

وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفي هذه السنة: شنع الموات بصعدة وصنعاء من بلاد اليمن، بحيث ورد إلى مكة كتاب موثوق به أنه مات بصعدة وصنعاء وأعمالهما زيادة على ثمانين ألف إنسان. وفيها أيضا **وقع الوباء بنواحي** ديار بكر وآمد، وملك الديار، فمات منها بشر كثير. وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر وما يليها ولله عاقبة الأمور.

ومات فيها ممن له ذكر

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله المعروف بابن الخراط المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، أحد موقعى السلطان، في ليلة الإثنين أول المحرم، عن نحو ستين سنة، بالقاهرة، ودفن من الغد. ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر الكنانى. شهاب الدين البوصيرى الشافعى، أحد مشايخ الحديث، في ليلة الأحد ثامن عشرين المحرم.

ومات الأمير قرمش الأعور أحد المماليك الظاهرية برقوق، ترقى في الخدم حتى صار أحد الأمراء، وأخرج بعد قتل الناصر فرج بن برقوق إلى الشام. فلما خرج الأمير تنبك البجاسى على السلطان ثار معه، حتى قتل تنبك ففر وتشتت مدة، حتى ظهر الأمير جانبك الصوفى إنضم إليه، فقوى به وسار في جماعة يريد عنتاب، وبها من أمراء السلطان الأمير خجا سودن، فقاتله بمن معه وأخذه، وأخذ معه من أمراء حلب المخامرين كمشبغا في طائفة ممن معهم. وحمل هو وكمشبغا إلى حلب، فقتلا بها. وحملت رؤوسهما إلى قلعة

الجبل، فألقتا في قناة ، بعد إشهارهما. وكان قتلهما في المحرم.
ومات بدمشق قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن محمود، المعروف بابن الكشك، الحنفى، بدمشق، في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة، وهو معزول.." (١)

"في ليلة الأحد تاسعه: بلغ القاضى زين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص، أن المماليك السلطانية على عزم نهب دورهم، فوزعوا ما عندهم، واختفوا. ثم صعدوا إلى الخدمة السلطانية على تخوف، وعادوا إلى دورهم، والإرجاف مستمر إلى يوم الأحد سادس عشرة، فنزل عدة من المماليك، فاقتحموا دار عبد الباسط ودار الأمير جانبك أستادار ودار الوزير، ونهبوا ما وجدوا فيها .
وفي ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج.
وقدم الخبر بأن نائب دوركى توجه في خامس عشرة في عدة من نواب تلك الجهات وغيرهم، وعدتهم نحو الألفى فارس، حتى طرقوا بيوت الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادره وقد نزل هو والأمير جانبك الصوفى على نحو يومين من مرعش، فنهبوا ما هنالك، وحرقوا. ففر ابن دلغادر وجانبك الصوفى في نفر قليل. وذلك أن جموعهما كانت مع الأمير سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر على حصار قيصرية الروم .
شهر صفر، أوله يوم الأحد: فيه توجه الأمير أينال الجكمى نائب الشام من دمشق يريد حلب. وقد سارت نواب الشام حتى يوافوا قيصرية، مددا لإبن قرمان على سليمان بن دلغادر.
وفي رابعة الموافق له رابع عشرى مسرى: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح خليج القاهرة على العادة، وعاد إلى القلعة.
وفي سابعه: قدمت تقدمة الأمير أينال الجكمى نائب الشام، وهى ذهب عشرة آلاف دينار، وخيول مائتا فرس، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنابيش ذهب، وسمور عشرة أبدان، ووشق عشرة أبدان، وقاقم عشرة أبدان، وسنجاب مائة بدن، وثياب بعلبكى خمسمائة ثوب، وأقواس حلقة مائة قوس، وجمال بخاتى ثلاث قطر، وجمال عراب ثلاثمائة جمل، وصوف مربع مائة ثوب، ذات ألوان.
وفي يوم الإثنين سادس عشرة: خلع على جلال الدين أبى السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة خلعة الإستمرار. وكان قد قدم من مكة صحبة الحاج بطلب. وأرجف بعزله، فقام بأمره القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، حتى رضى عنه السلطان، وأقره على قضاء مكة، على مال قام به للسلطان،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٩٧/٣

وهو نحو خمسمائة دينار، فكان ذلك من المنكرات التى لم ندرك مثلها قبل هذه الدولة.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه: كان نوروز القبط. بمصر، وهو أول توت رأس سنتهم، منودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأصبع من عشرين ذراعا. وهذا في زيادة النيل مما يندر وقوعه، و لله الحمد.

وفي هذا الشهر: والذى قبله **كثر الوباء بحلب** وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات. بمدينة حلب في اليوم مائة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الثلاثاء: فيه إستقر القاضى بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر في نظر الجامع الطولونى ونظر المدرسة بين القصرين، نيابة عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى، بسؤال القاضى زين الدين عبد الباسط له في ذلك، فأذن له حتى إستنابه عنه .

وفي خامسه: خلع الأمير غرس الدين خليل الذى ولى الوزارة بعد نيابة الإسكندرية، وإستقر في نيابة الكرك وسار بطلبه وأثقاله من ساعته . وفيه توجه قاضى مكة الجلال أبو السعادات يريد مكة.

وفي يوم السبت ثاني عشرة: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر نودى على النيل بزيادة أصبعين لتتمة عشرين ذراعا وثمانية أصابع. هذا وقد فتحت السدود الصليبية في يوم الجمعة أمسه. وكان هذا أيضا من نوادر زيادات النيل. ومازال يزيد حتى إنتهت زيادته في سادس عشرة، الموافق له حادى عشرين بابه، إلى عشرين ذراعا وثلاثة عشر أصبعا.

وفي يوم السبت تاسع عشرة : خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن بركة المعروف بإبن كاتب حكم وإستقر في نظر الخاص، بعد موت أخيه سعد الدين إبراهيم .

وفي سادس عشرينه وهو أول بابة: بلغ ماء النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا شهر ربيع الآخر، أوله يوم الأربعاء:." (١)

"في هذا الشهر: ثبت ماء النيل إلى نحو النصف من شهر بابة فكمل رى الأراضى والحمد لله. ثم إنحط ، فضرع الناس في الزرع. وفيه كملت عمارة الجامع الذى أنشأه السلطان بناحية خانكاة سرياقوس على الدرب المسلوك، وذرعه خمسون ذراعا في خمسين ذراعا. ورتب فيه إماما للصلوات الخمس، وخطيبا وقراء يتناوبون القراءة في مصاحف .

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٩٩/٣

وفي هذا الشهر: والذى قبله فشا الموت في الناس. بمدينة حماة وأعمالها، حتى تجاوز عدة من يموت في كل يوم مائة وخمسين إنسانا. وقدم الخبر بأن عدن من بلاد اليمن إحترقت بأجمعها، وأحرقت دار الملك بزبيد مع جانب من المدينة، وأن الملك الظاهر يحيى ملك اليمن كانت بينه وبين المعازبة من عرب اليمن وقعة، وقتل فيها عدة من عسكره، ونجا بنفسه إلى تعز. وأن العرب اليمانية إنتقضت عليه من باب عدن إلى الشحر، وأنه قبض على كبير دولته الأمير سيف الدين برقوق وسلبه ماله وسجنه، ثم أفرج عنه. وفيه أيضا كانت بين المسلمين وبين ملك البرتغال وقعة على مدينة طنجة من أعمال المغرب.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الخميس: في ثالثه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة، فمضى إلى القليوبية لصيد الكراكى وهذه أول ركبة ركبها في هذه السنة للصيد .

وفيه قدم الأمير تمراز المؤيدى نائب غزة.

وفي خامسه: قدم السلطان من الصيد، وعبر من باب القنطرة، وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة إلى القلعة، ولم يقع له صيد ألبتة.

وفي سادسه: قبض على الأمير تمراز نائب غزة، وحمل مقيدا إلى الإسكندرية فسجن بها. وإستدعى الأمير جرباش قاشق من دمياط، وهو مسجون بها ليلى نيابة غزة، فلم يتم له ذلك. ورجع إلى دمياط.

وفي ثامنه: ركب السلطان ليصطاد من بركة الحجاج ومضى إلى جامعه بخانكاة سرياقوس، وعاد من يومه. ثم ركب في ليلة السبت عاشرة يريد أطفيح. فاصطاد، وعاد في يوم الإثنين ثانى عشرة.

وفي سابع عشرة: خلع على الأمير آقبردى القجماسى ، وإستقر في نيابة غزة. وفيه قدم مملوك نائب حلب برأس الأمير جانبك الصوفى ويده، فطيف بالرأس على رمح شارع القاهرة، ثم ألقيت في قناة، وكان من خبره أنه لما كبسه نائب دوركى في شهر الله المحرم كما تقدم ذكره فر هو وابن دلغادر، فمضى ابن دلغادر على وجهه يريد بلاد الروم، وقصد الأمير جانبك الصوفى أولاد قرايلك ونزل على محمد ومحمود ابنى قرايلك، وأقام عندهم، فأخذ الأمير تغرى برمش نائب حلب في إستمالة محمد ومحمود حتى مالا إليه، وواعداه أن يقبضا على جانبك على أن يحمل إليهما خمسة آلاف دينار، فنقل ذلك لجانبك، فبادر، وخرج ومعه بضعة وعشرون فارسا لينجو بنفسه، فأدركوه، وقاتلوه، فأصابه سهم، سقط منه عن فرسه، فأخذوه وسجنوه عندهم. وذلك في يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر. فمات من الغد، فقطع رأسه، وحمل إلى السلطان، فكاد يطير فرحا، وظن أنه قد أمن، فأجرى الله على الألسنة أنه قد إنقضت أيامه، وزالت دولته.

فكان كذلك كما سيأتي هذا. وقد قابل نعمة الله تعالى عليه في كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه، وساءت سيرته، فأخذه الله أخذا وبيلا، وعاجله بنقمته ولم يهنيه.

وفي تاسع عشرة: ركب السلطان إلى الصيد بالقليوبية، وعاد من الغد. وفيه ورد كتاب الحطى ملك الحبشة، وهو الناصر يعقوب بن داود ابن سيف أرعد، ومعه هدية، ما بين ذهب وزباد وغير ذلك، فتضمن كتابه السلام والتودد، والوصية بالنصارى وكنائسهم.

وفي هذا الشهر: **شنع الوباء بحماة**، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم في كل يوم ثلاثمائة إنسان، و لم يعهدوا مثل ذلك في هذه الأزمنة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة: فيه رسم بنقل جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق إلى نظر الجيش بها، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى، على أن يحمل أربعة آلاف دينار. وأن يستقر بن حجى في كتابة السر، عوضا عن ابن الصفى، على أن يحمل ألف دينار.

وفي ثانيه: توجه السلطان إلى الصيد في بركة الحجاج. وقدم الخبر **بوقوع الوباء في** مدينة طرابلس الشام.." (١)

"وفي هذا الشهر: كثر ركوب السلطان إلى الصيد. وفيه **وقع الوباء بدمشق**، وفشا الموت بالطاعون الوحى. وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف نزل قريبا من مدينة تبريز فبرز إليه أخوه جهان شاه، المقيم بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق، فكانت بينهما وقعة إنهزم فيها إسكندر إلى قلعة يلنجا من عمل تبريز، فنازله جهان شاه، وحصره بها. وأن الأمير حمزة بن قرايلك متملك ماردين وأرزنكان أخرج أخاه ناصر الدين على باك من مدينة آمد، وملكها منه. فقلق السلطان من ذلك. وعزم على أن يسافر بنفسه إلى بلاد الشام، وكتب بتجهيز الإقامات بالشام ثم أبطل ذلك.

شهر رجب، أوله الأحد: في خامسه: أدير محمل الحاج. وقد تقدم أنه إنما كاد يدار بعد النصف من شهر رجب، وأنه أدير في هذه الدولة قبل النصف، فجرت في ليلة الإثنين ويوم الإثنين خامسه شنائع. وذلك أن مماليك السلطان سكان الطباق بالقلعة نشأوا على مقت السلطان لرعيته، مع ما عندهم من بغض الناس، فنزل كثير منهم في أول الليل، وأخذوا في نهب الناس، وخطف النساء والصبيان للفساد. وإجتمع عدد كثير من العبيد السود، وقاتلوا المماليك فقتل من العبيد خمسة نفر، وجرح عدة من المماليك، وخطف من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٠/٣

العمائم وأخذ من الأمتعة شيء كثير، فكان ذلك من أقبح ما سمعنا به. وفيه قدم ولد محمود بن قرايلك بسيف الأمير جانبك الصوفي، الذى قتل.

وفي يوم السبت سابعه: رسم بخروج تجريدة إلى بلاد الشام، وعين من الأمراء المقدمين ثمانية، وهم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز الدقماقى رأس نوبة النوب، والأمير يشبك حاجب الحجاب، والأمير جانم أمير أخور، والأمير خجا سودن، والأمير قراجا الأشرفي.

وفي تاسعه: نودى بألا يحمل أحد من العبيد السلاح، ولا سيفا ولا عصى، ولا يمشي بعد المغرب. وأن المماليك لا تتعرض لأحد من العبيد. وذلك أنه لما وقع بين المماليك والعبيد في ليلة المحمل ما وقع، أخذ المماليك في تتبع العبيد، فقتلوا منهم جماعة، ففر كثير منهم من القاهرة، وإختفى كثير منهم. فلما نودى بذلك سكن ذلك الشر، وأمن الناس على عبيدهم، بعد خوف شديد. وفيه رسم. بمنع المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلى القاهرة، وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف طوائف إلى المواضع التى يجتمع بها العامة للنزهة، ويتفننوا في العبث والفساد، من أخذ عمائهم الرجال وإغتصاب النساء والصبيان، وتناول معايش الباعة، وغير ذلك، فلم يتم منعهم، ونزلوا على عادتهم السيئة.

وفي عاشرة: حمل إلى الأمراء الثمانية نفقة السفر، وهى لكل أمير ألفا دينار أشرفية .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرة: ركب السلطان إلى خليج الزعفران من الريدانية خارج القاهرة وعاد من يومه. فأصبح موعك البدن، ساقط الشهوة للغذاء، ولزم الفراش .

وفي هذا الشهر: **وقع الوباء ببلاد** الصعيد من أرض مصر وكثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقوا حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع. ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان. **وإستمر الوباء الشنيع**، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده.

شهر شعبان أوله، يوم الإثنين: أهل هذا الشهر والسلطان مريض، وقد أخرج مالا فرق في جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة، فمازال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، فخلع فيه على الأطباء لعافية السلطان. وركب من الغد، فزار القرافة، وفرق مالا في الفقراء، وعاد والمرض بين في وجهه .

وفي هذا اليوم: أعنى يوم الأربعاء عاشره حدثت ريح شديدة في معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها، وإستمرت عدة أيام، فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر.." (١)

"وفي يوم السبت ثالث عشرة : برز سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى ظاهر القاهرة ليسير إلى الطور ويركب البحر إلى حدة، وكان قدم من مكة، وصادره السلطان على مال حمله، ثم خلع عليه، وإستقر في نظرالخاص بجدة على عادته. وخلع معه على التاجر بدر الدين حسين بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى، ليكون عوضا عن الأمير المجرد إلى جدة.

وفيه ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ثم نزل بالجامع الحاكمى، وقد ذكر له أن بهذا الجامع دعامة قد ملئت ذهبا، فشره لذلك، وطمع في أخذه. فقيل له. " إنك تحتاج إلى هدم جميع هذه الدعائم حتى تظفر بها، ثم لابد لك من إعادة عمارتها " . فعلم عجزه عن ذلك، وخرج، فركب عائدا إلى القلعة .

وفيه قدم الخبر بأن الرباء شنع بدمشق، وأنه مات من الغرباء الذين قدموا من بغداد وتبريز والحلة والمشهد وتلك الديار فرارا من الجور والظلم الذى هنالك وسكنوا حلب وحماة ودمشق عالم عظيم، لا يحصرهم العاد لكثرتهم.

وفي سابع عشرة: خلع على الأمير أركماس الجاموس أمير شكار ، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، وإستقر ملك الأمراء ليحكم من الجيزة إلى أسوان.

وفيه أيضا حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر، إهتز بى البيت مرتين، إلا أنها كانت خفيفة جدا و لله الحمد.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرة: هبت بدمشق ريح شديدة في غاية من القوة. وإستمرت يوم الجمعة ويوم السبت، فاقتلعت من شجر الجوز الكبار ما لا يمكن حصره لكثرته. وألقت أعالى دور عديدة، وألقت بعض المنارة الشرقية بالجامع الأموى، فكان أمرا مهولا، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور، وأتلفت شيئا كثيرا.

وفي عشرينه: إستقل ابن المزلق وابن المرة بالمسير إلى الطور ليركبوا البحر من هناك إلى جدة. وبعث السلطان على يد ابن المزلق خمسة آلاف دينار، بسبب عمارة عين عرفة.

وفي يوم الخميس: خرج الأمير قرقماس أمير سلاح مقدم العسكر المجرد إلى الشام، وصحبته الأمراء، من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠١/٣

غير أن يرافقهم في سفرهم أحد من المماليك السلطانية، لسوء سيرتهم. فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، إلى أن إستقلوا بالمسير في يوم السبت سابع عشرينه. وكتب لنائب الشام الأمير أينال الجكمى، أن يتوجه. ممن معه صحبة الأمراء إلى حلب، ويستدعوا حمزة باك ابن قرايلك صاحب ماردين وأرزن كان، فإن قدم إليهم خلع عليه بنيابة السلطة فيما يليه، وإلا مشوا بأجمعهم عليه وقاتلوه وأخذوه .

وقدم الخبر بأن محمد بن قرايلك توجه إلى أخيه حمزة بالك باستدعائه، وقد حقد عليه قتله جانبك الصوفي، فإنه لما بلغه نزول جانبك على أخويه محمد ومحمود، كتب إلى أخيه محمد بأن يبعث به إليه ليرهب به السلطان، فمال محمد إلى ما وعده به نائب حلب من المال، وقتل جانبك، فمازال حمزة يعد أخاه ويمنيه، حتى سار إليه، وفي ظنه أنه يوليه بعض بلاده، فما هو إلا أن صار في قبضته، قتله وظهر عاجل عقوبة الله له على بغيه .

وفي هذا الشهر: وقع في كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون، وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء: وفيه كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا، وتزايدت عدتهم في كل يوم حتى فشا في الناس الموت بالطاعون في القاهرة ومصر، لاسيما في الأطفال والإماء والعبيد، فإنهم أكثر من يموت موتا وحيا سريعا. هذا وقد **عم الوباء بالطاعون** بلاد حلب ، وحماة ، وطرابلس ، وحمص ، ودمشق، وصفد ، والغور ، والرملة وغزة ، وما بين ذلك، حتى شنعت الأخبار بكثرة من يموت، وسرعة موتهم. وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر، ووقوعه قليلا بصعيد مصر .." (١)

"وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه: ختمت قراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل ، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، وعدة من مشايخ العلم وجماعة من الطلبة، كما جرت العادة من الأيام المؤيدية شيخ. وهو منكر في صورة معروف، ومعصية في زى طاعة. وذلك أنه يتصدى للقراءة من لا عهد له بممارسة العلم، لكنه يصحح ما يقرأه، فيكثر مع ذلك لحنه وتصحيفه وخطاه وتحريفه. هذا، ومن حضر لا ينصتون لماعه، بل دائما دأبهم أن يأخذوا في البحث عن مسأله يطول صياحهم فيها، حتى يمضى بهم الحال إلى الإساءات التى تؤول أشد العداوات. وربما كفر بعضهم بعضا، وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك. وإتفق في يوم هذا الختم أن السلطان لما **كثر الوباء قلق** من مداخلة الوهم له، فسأل

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٢/٣

من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا إرتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين في الطرقات ليلا ونهارا في الأسواق. فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى في الأسواق. ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات، وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها. وجروا في ذلك على عادتهم في معارضة بعضهم بعضا، فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا، ظنا منه أن بمنعهن يرتفع الوباء. وأمر بإجتماعهم عنده من الغد، فاجتمعوا في يوم الخميس، وإتفقوا على ما مال إليه السلطان. فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما. بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن، وألا تمر إمرأة في شارع ولا سوق ألبتة، وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، فامتنع عامة النساء، فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذ والى القاهرة وبعض الحجاب في تتبع الطرقات، وضرب من وجدوا من النساء، وأكدوا من الغد يوم الجمعة في منعهن، وتشددوا في الردع والتهديد، فلم تر إمرأة في شيء من الطرقات. فنزل بعدة من الأرامل وربات الصنائع، ومن لا قيم لها يقوم بشأنها، ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس، ضيق وضرر شديد. ومع ذلك فتعطل بيع كثير من البضائع والثياب والعطر، فإزداد الناس وقوف حال، وكساد معايش، وتعطل أسواق، وقلة مكاسب.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: أمر السلطان بإخراج أهل السجون من أرباب الجرائم، ومن عليه دين، فاخرجوا بأجمعهم، وأطلقوا بأسرهم. ورسم بغلق السجون كلها، وألا يسجن أحد، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر. وأنتشرت السراق والمفسدون في البلد. وإمتنع من له مال على أخر أن يطالبه به .

وفي سابع عشرينه: عزم السلطان على ولاية الحسبة لرجل ناهض، فذكر له جماعة، فلم يرضهم. ثم قال: عندى واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله وأمر فأحضر إليه الأمير دولت خجا، فخلع عليه وإستقر به محتسب القاهرة، عوضا عن المقر الصلاحى محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، رغبة من السلطان في جبروته، وقسوته، وشدة عقوبته وقلة رحمته وفيه نودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن من الأسواق، وألا تنتقب واحدة منهن، بل يكن سافرات عن وجوههن، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن، وأن تخرج النساء إلى الحمامات، ولا يقمن بها إلى الليل، فكان في ذلك نوع من أنواع الفرج. وفيه قدم الأمراء المجردون إلى البحيرة بغير طائل، وقد أتلفوا كثيرا من زروع النواحي. وفيه إبتدأ إنتشار الجراد الكثير بالقاهرة وضواحيها، وإستمر عدة أيام. وفيه أقيم بعض سفلة العامة الأشرار في التحدث على مواريث اليهود والنصارى، وخلع عليه، وكانت العادة أن بطرك النصارى ورئيس اليهود يتولى كل منهما أمر مواريث طائفته،

فتوصل هذا السفلة إلى السلطان، والتزم له أن يحصل من هذه الطائفتين مالا كبيرا، فجرى السلطان على عادته في الشره في جمع المال، وولاه. وفيه كشف عن بيوت اليهود والنصارى، وأحضروا ما فيها من جرار الخمر لتراق.

وفي هذا الشهر: هدم للنصارى دير المغطس عند الملاحات، قريب من بحيرة البرلس وكانت نصارى الإقليم قبليا وبحريا تحج إلى هذا الدير كما يحجون إلى كنيسة القيامة بالقدس، وذلك في عيده من شهر بشنس، ويسمونه عيد الظهور، وقد بسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار .." (١)

"وفي هذا الشهر: شنع الموت بالطاعون في بلد عانة من بلاد العراق، بحيث لم يبق بها أحد. وإستولى أمير الملا عاذر بن نعير على موجودهم جميعه. وشنع الموت أيضا في أهل الرحبة، حتى عجزوا عن مواراة الأموات، وألقوا منهم عددا كثيرا في الفرات. وشنع الموت أيضا في أزواق التركمان، وبيوت العربان بنواحي بلاد الفرات، حتى صار الفريق من العرب، أو الزوق من التركمان، ليس به إنسان. ودوابهم مهملة، لا راعى لها. وأحصى من مات بمدينة غزة في هذا الشهر، فبلغوا إثني عشر ألفا ونيف، ووردت الأخبار بخلو عدة مدن ببلاد المشرق لموت أهلها، **وبكثرة الوباء ببلاد** الفرنج.

شهر شوال، أهل بيوم الخميس: وقد كل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدة الأموات في كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم وهو يوم العيد من القاهرة مائة إنسان، ومن مصر إثنان وعشرون. هذا، وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لإمتناعهن من المشي في الطرقات وإستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم، وقلق الناس من عسف متولى الحسبة، وشدة بطشه، ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم خوفا على أولادهم وخدمهم من الموت الوحى السريع بالطاعون، ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى، بحيث أنى لم أدرك في طول عمرى عيدا كان أنكد على الناس من هذا العيد .

وفي ليلة هذا العيد: إشتد برد الشتاء في بلاد الشام، فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر، إلى أرزن كان، وقد صقعت أشجارهم، بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا إسودت، ما عدا شجر الصفصاف، والجوز فتلفت الباقلاء المزروعة، والشعير والبيقياء والهليون وعامة الخضروات، فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشى في الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة، هلك بعدها من الناس

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٣/٣

والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار. وإتفق أيضا في ليلة عيد الفطر أن هجم على مدينة فاس من بلاد المغرب الأقصى، سيل عظيم جدا، فأخذ خلائق وهدم عدة مساكن، فكان أمرا مهولا وحادثا شنيعا. وفي رابعه: قدم الأمراء المجردون إلى حلب. وفيه خلع السلطان على الأمور أسنبغا الطيارى، وإستقر حاجب ميسرة، عوضا عن جانبك الناصرى المتوفى بمكة، فأراق الخمور من دور النصارى وغيرهم.

وفي يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الإمام الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أسد ابن على بن حجر، وأعيد إلى قضاء الشافعية بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صاع البلقينى. وألزم أن يقوم لعلم الدين صالح بما حمله إلى الخزانة. هذا، وقد أظهر السلطان أنه لا يولى أحدا من القضاة بمال، فإنه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت الوحى السريع في الناس، وموت كثر من المماليك السلطانية سكان الطباق من القلعة، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية، ومن جواريه وحظاياه وأولاده، فحمل إلى البلقينى من مال شهاب الدين بن حجر، لا من مال السلطان.

وفيه ركب السلطان من القلعة، وأقام يومه بخليج الزعفران خارج القاهرة. وعاد من آخره بعد أن فرق مالا في الفقراء، فتكاثروا على متولى تفرقة ذلك، حتى سقط عن فرسه، فغضب السلطان من ذلك، وطلب سلطان الحرافيش، وشيخ الطوائف، وألزمهما بمنع الجعيدية أجمعين من السؤال في الطرقات، وإلزامهم بالتكسب، وأن من شحذ منهم يقبض الوالى عليه، وأخرج ليعمل في الحفير. فإمتنعوا من الشحاذة، وخلت الطرقات منهم، و لم يبق من السؤال إلا العميان والزمناء وأرباب العاهات، و لم نسمع بمثل ذلك. فعم الضيق كل أحد، وإنطلقت الألسنة بالدعاء على السلطان، وتمنى زواله، فأصبح في يوم الأربعاء سابعه مريضا قد إنتكس، ولزم الفراش.

وفي هذه الأيام: إشتد البلاء بأهل الذمة من اليهود والنصارى ، وألزمهم الذى ولى أمر مواريثهم أن يعملوا له حساب من مات منهم من أول هذه الدولة الأشرفية، وإلى يوم ولايته. وأخرق بهم وأهانهم. وألزمهم أيضا أن يوقفوه على مستنداتهم في الأملاك التى بأيديهم، فكثرت الشناعة عليه، وساءت القالة في الدولة.." (١)

"وفي يوم السبت رابع عشرينه: وسط السلطان طبيبيه اللذين خلع عليهما بالأمس، وهما العفيف وزين خضر، وذلك أنه حرص على الحياة، وصار يستعجل في طلب العافية، فلما لم تحصل له العافية ساءت أخلاقه، وتوهم أن الأطباء مقصرون في مداواته، وأنهم أخطأوا التدبير في علاجه، فطلب عمر بن سيفا والى القاهرة، فلما مثل بين يديه، وهو جالس وبين يديه جماعة من خواصه، منهم صلاح الدين محمد بن نصر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٤/٣

الله كاتب السر، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار في خرف، وفيهم العفيف وخضر أمره أن يأخذ العفيف ويوسطه بالقلعة. فأقامه ليمضي فيه ما أمر به، وإذا الخضر فأمره أن يوسط خضر أيضا، فأخذ الآخر وهو يصيح. فقام أهل المجلس يقبلون الأرض، ومنهم من يقبل رجل السلطان، ويضرعون إليه في العفو، فلم يقبل، وبعث واحدا بعد أخر يستعجل الوالى في توسيطهما وهو يتباطا، رجاء أن يقع العفو عنهما. فلما طال الأمر بعث السلطان من أشد أعوانه من يحضر توسيطهما فخرج وأغلظ للوالى في القول. فقدم لعفيف فاستسلم، وثبت حتى وسط قطعتين بالسيف. وقدم خضر، فجزع جزعا شديدا، ودافع عن نفسه، وصاح، فتكاثروا عليه فوسطوه توسيطا شنيعا، لتلويه وإضطرابه. ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة. فساء الناس ذلك، ونفرت قلوبهم من السلطان، وكثرت قالتهم، فكانت حادثة لم ندرك مثلها. ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان إلى يوم الخميس تاسع عشرينه، فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق العلاى الأتابك ومن تأخر من الأمراء المقدمين، وقال لهم: " انظروا في أمركم " ، وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الإختلاف وإ تلاف أمرائه، فطال الكلام، وإنفضوا عنه، على غير شيء عقدوه، ولا أمرا أبرموه.

شهر ذى القعدة، أهل بيوم السبت: والناس في أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعا، وهو أن السلطان تزايدت أمراضه، وأرجف بموته غير مرة، وشنع الموت في مماليكه سكان الطباق، حتى لقد مات منهم في هذا الوباء نحو آلاف. ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشي، ومات من الجوارى بدار السلطان زياده على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدا، ذكورا وإناثا.

وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض، وكذلك جميع بلاد الشام من الفرات إلى غزة، حتى أن قفلا توجه من القاهرة يريد دمشق، فما نزل بالعريش حتى مات ممن كان سائرا فيه زيادة على سبعين إنسانا، منهم عدة من معارفنا. ومع هذا كساد المبيعات وتعطل الأسواق، إلا من بيع الأكفان وما لابد للموتى منه، كالقطن ونحوه، إلا أنه منذ أهل هذا الشهر أخذت عدة الأموات تتناقص في كل يوم.

وفي أوله: وصل العسكر المجرد إلى مدينة أبلستين.." (١)

"وفي هذا الشهر: وقع الوباء بالوجه البحري من أرض مصر، وقدم الخبر أن الوباء وقع في فصل الصيف ببلاد إفريقية كلها.

شهر رمضان، أوله الأحد: في ثانيه: توجه الأمير يشبك أمير سلاح على عسكر، نجدة لقتال هوارة، بعدما أنفق فيهم وفيه.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٦/٣

وفي يوم الثلاثاء عاشره: خلع على من قدم من مشايخ بلى الذين أخذوا الحجاج، وقد سألوا العفو، والتزموا بحفظ الحاج. وفيه قدم الطواشي خشقدم ونائبه فيروز الركني الرومي من دمياط، فأمر بالتوجه إلى المدينة صحبة ركب الحاج، والإقامة بها.

وفي حادي عشره: قدم كتاب الأمير قانبيه الحمزاوى نائب حماة، يتضمن ورود الأمير بردبك العجمى حاجب حلب، وصحبته من أمراء حلب أميران إلى حماة، وذلك أن الأمير تغرى برمش نائب حلب، أراد من الأمير حطط نائب القلعة أن يمكنه منها، فلم يوافقه، ورمى عليه من القلعة، فركب وركب عليه الأمراء واقتتلوا، فإنهزم الأمير بردبك بمن معه في ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان. ودخلوا حماة، في أخر يوم السبت سلخه، فكتب بإستقرار بردبك المذكور في نيابة حماة، عوضا عن الأمير قانباى الحمزاوى، وأن ينتقل قانباى إلى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير جلبان المؤيدى، وأن ينتقل جلبان إلى نيابة حلب، عوضا عن تغرى برمش، لخروجه عن الطاعة، وتوجه الأمير على باى رأس نوبة لنقل الأمير جلبان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريفه، وتوجه لتقليد قانباى نيابة طرابلس الأمير جانبك المحمودى رأس نوبة، وكلاهما من أمراء العشرات.

وفي يوم الإثنين سادس عشره: ورد الخبر من الأمير طوخ مازى نائب غزة بأن الأمير ناصر الدين محمد بن منجك لما وصل من عند السلطان بما على يده إلى جسر يعقوب، بعث ملك الأمراء الأمير أينال الجكمى نائب الشام ساعيا بإستعجاله، وأردفه بأخر، حتى قدم يوم السبت سابع شهر رمضان، فخرج إلى لقائه، ولبس التشريف المجهز على يده، وركب الفرس المحضر معه، وقبل الأرض على العادة، ودخل في الموكب جليل حتى نزل دار السعادة، فإطمأن الناس، بعدما كانت الإشاعة قوية بمخامرته .

فلما كان يوم الإثنين تاسعه: ركب ملك الأمراء في الموكب على العادة، ودخل دار السعادة وجميع الأمراء وسائر المباشرين بين يديه، فما هو إلا أن إستقر في مجلسه، وإذا به قد قبض على الأمير برسباى حاجب الحجاب، وأغلق الباب، وقبض على الأمراء والمباشرين بأجمعهم، وأن جلبان وجانبك المتوجهين لتقليد نائب حلب ونائب طرابلس وصلا إلى غزة، وأقاما بها، فاضطرب السلطان لهذا الخبر وكثر قلقه، وجمع الأمراء، فأشاروا بسفره .

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير قطج أتابك حلب قدم إلى حماة، فارا من تغرى برمش، وأن تغرى برمش أخذ عنتاب وقلعتها، وأن عدة من قبض عليه أينال الجكمى بدمشق تسعة عشر أميرا، وقبض أيضا على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش، وعلى بهاء الدين محمد بن حجى

كاتب السر، وأن جانبك وجلبان توجها من غزة إلى نحو صفد .
وفي يوم الخميس عشرينه: ورد كتاب الأمير تغرى برمش، مورخ بثاني شهر رمضان، يتضمن أنه في يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان لبس الأمير حطط نائب قلعة حلب ومن معه بالقلعة السلاح، وقاموا على سور القلعة، ونصبوا المكاحل وغيرها، وأمروا من تحت القلعة من أرباب المعايش وسكان الحوانيت بالنقلة من هناك وأنه لما رأى ذلك بعث يسأل حطط عن سبب هذا، فلم يجبه. إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه، ركب الأمير قطج الأتابك والأمير بردبك الحاجب في عدة من الأمراء لابسين السلاح، ووقفوا تحت القلعة، فبعث إليهم جماعة من عسكره، فكانت بين الفريقين وقعة إنهزم فيها قطج، وأنه باق على طاعة السلطان .." (١)

"وأنه بعث يسأل نائب القلعة عن سبب هذه الحركة، فأجاب بأن الأمير بردبك الحاجب ورد عليه مرسوم السلطان " بالركوب عليك وأخذك ، وجهز أيضا محضرا ثابتا على قضاة حلب بمعنى ما ذكر وأنه باق على طاعة السلطان، ولم يتعرض إلى القلعة، فلم يعول على ذلك لما تقرر من خروجه عن الطاعة، وورد أيضا الخبر من الأمير فارس نائب قلعة دمشق بأن الأمير أينال الجكمى أجهر النداء بدمشق وأعمالها بالأمان والإطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى، وأن تقي الدين أبا بكر ابن قاضي شهبة قاضي القضاة دعا للعزيز على منبر جامع بنى أمية في يوم الجمعة، وأن الخطة بقلعة دمشق للسلطان الملك الظاهر جقمق.

وفي يوم السبت حادي عشرينه: خلع على القاضي بدر الدين محمد ابن شيخنا قاضي القضاة ناصر الدين أحمد التنسى أحد خلفاء الحكم، وإستقر في قضاء القضاة المالكية، عوضا عن شمس الدين محمد البساطى، وقد مات .

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه: نودي بعرض المماليك على السلطان.

وفيه عرضت الخاصكية على السلطان، فعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وعشرين خاصكيا.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير الكبير الأتابك أقبغا التمرازى، وإستقر في نيابة الشام، عوضا عن أينال الجكمى لخروجه عن الطاعة .

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بأن طائفة القطلان عمروا إثني عشر غرابا لتسير في البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم، وأن مراد بن عثمان ملك الروم عمر مائة غراب، وأن متملك انكرس من الفرنج مات.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٢٩/٣

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه: عرض السلطان المماليك، وعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وثلاثين مملوكا لتتمة ستمائة وخمسة وخمسين.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه. عين للسفر من الأمراء الألوف قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، وتمر باى الظاهري ططر، ومن الطبلخاناه طوخ التمرازى رأس نوبة ثاني، ومن أمراء العشرات عشرة، وهم أقطوه الموسوى ، وتنم بن عبد الرازق المحتسب بالقاهرة ورأس نوبة، ثم أعفى بعد ذلك من السفر، ويشبك بن أزوباى رأس نوبة وبايزير بن صفر خجا رأس نوبة، وأقبردى الأشرفى أمير أخور ثالث، وطوغان السيفى ألان، وسودون قرقاش الأينالى رأس نوبة، وسودون النوروزى السلاح دار رأس نوبة، وجانبك السيفى نوروز رأس نوبة، وخشكلدى الناصرى وفيه كتب بإستقرار الأمير موسى بن محمد بن حديثة في إمرة الملا، عوضا عن الغادر ابن عذراء بن نعير وجهز له تشريف.

وقدم الخبر من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الجكمى أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزيز، فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم في ركونه، وطمأنينته إلى الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم. وقد قيل:

إذا وترت أمرا فإحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

إن العدو وإن أبدى مسالمة ... إذا رأى منك يوما فرصة وثبا

وكان كذلك.

وفيه ورد الخبر بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها، وأنه نزل بالرملة في سابع عشره، بعدما دعاه أينال الجكمى إلى موافقته، وأعلمه أنه ما قام في هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر، فلم يدخل في طاعته، وخشي أن يكبس بصفد فأنزل حريمه بقلعة صفد، ونزل بالرملة مع من بها من نائب القدس وغيره.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أنفق في العسكر المجرد إلى الشام، وعدتهم ما بين خاصكى ومملوك ستمائة وإثنان وخمسون فارسا. كل واحد ثمانون دينارا .

وقدم الخبر من مكة **بأن الوباء شنع** بمدينة صنعاء وصعدة من بلاد اليمن، حتى خلت من كبير وحاكم، لإنقطاع الأئمة الزيدية منها بالفناء فبعث الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب زبيد وتعز

وعدن بعض أمرائه، فأخذ له صعدة بغير ممانع، وإستولى على ما فيهما من أموال من مات.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان المستقر في نيابة حلب وصل إلى الرملة، في يوم الإثنين." (١)

"وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: ورد الخبر من الأمير يشبك بأنه نازل على مدينة أسيوط وأن يونس الخاصكى ورد عليه بمرسوم شريف يتضمن القبض على طوغان قاصد العزيز، وأن المماليك لم يمكنوه من ذلك، فكثر القلق لورود هذا الخبر، وخشي الناس وقوع الفتنة، ظنا بالأشرفية أنهم رجال وإذا هم أشبه بربات الحجال .

وفيه قدم قود الشريف بركان بن حسن بن عجلان أمير مكة شرفها الله وهو خمسة أفراس وطواشيان، وجاريتان، ومائتا شاش، وقطعتا ياقوت أحمر زنتهما خمسة عشر قيراطا، وقطعة ماس زنتها تسعة عشر قيراطا ونصف. وفيه قدم الشريف عقيل بن وبير بن نخبار أمير ينبع المعزول بصحرة يسعى في الإمرة، فوعد بخير.

وفيه قبض على الأمير أركماس الظاهري المعزول عن الدوادارية الكبرى، وأخرج منفيا إلى دمياط.

وفي هذا الشهر: وقع في الناس بالقاهرة الموت بالطاعون، وبلغت عدة من رفع اسمه من ديوان المواريث بالقاهرة في هذا اليوم أحد وعشرون إنسانا.

وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على الأمير تنبك بن تنبك أحد الأمراء الألوف، وإستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير تغرى بردى المؤذى المنتقل إلى الدوادارية الكبرى.

وفي هذه الأيام: كبست عدة أماكن في طلب العزيز، وقبض على جماعة من الأشرفية، لكثرة الإرجاف بخروج من في بلاد الصعيد من المماليك عن الطاعة، وأنهم عادوا يريدون القاهرة، فمنعت المراكب من التعدية في النيل بكثير من الناس، وكثر الفحص والتفتيش، حتى كبست البساتين والترب، وغلقت بعض أبواب القاهرة نهارا، وأخذ أهل الدولة من الأمراء ومن بالقلعة في الاستعداد للحرب هذا مع ما في الوجه البحري **من الوباء الشنيع** في سرعة الموتان الوحي السريع، وكثرة عدة الأموات لا سيما في الأطفال والعبيد والإماء، بحيث مات من قرية واحدة مائتا صغير من أولاد أهلها، وحل بالتجار في الإسكندرية ضيق شديد وبلاء عظيم، بسبب رمى الفلفل السلطاني عليهم. ونزل بأهل القاهرة ومصر خوف شديد بسبب إختفاء الأشرفية وتطلبهم، فإذا طرقت جهة من الجهات حل بأهلها من أنواع البلاء ما لا يوصف من النهب والهدم والعقوبة والغرامة، سواء وجد المطلوب أو لم يوجد، فما بقى أحد إلا وخامر قلبه الخوف خشية أن يرميه عدو له أو حاسد لنعمته أنه أخفى أحدا من الأشرفية، فلا تتروى المؤيدية في أمره، ولا تتمهل، بل تطرقه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٣٠/٣

بغتة وتنزل به فجأة، وقد تبعها من غوغاء العامة عدد كالجراد المنتشر، وتهجم داره ودور من حوله، فيكون شيئا مهولا، وكثيرا ما فعلوا ذلك فلم يجدوا أحدا، وكان من البلاء ما كان، حتى أنه هجم بعض المدارس، ونهبت، وكسر أبواب بيوتها، ونبش قبر كان بها، فلم يوجد بها أحد، ومع ذلك كله فالغلال ترمى على الناس من الديوان، فلا يقدر على ذي الجاه، ويهلك الضعيف من كثرة الغرامة .

وفي يوم السبت تاسع عشره: برز المحمل إلى الريدانية خارج القاهرة صحبة الأمير تنبك المستقر حاجب الحجاب في عدة من المماليك السلطانية، ثم تبعه الحجاج شيئا بعد شيء .

وفيه ورد الخبر بالقبض على طوغان الزردكاش وحمله في الحديد، فقدم في آخر النهار، وكان من خبره أن الأشرفية من حين كانت وقعة قرقماس لم يزالوا في إدبار، وتقدمت المؤيدية عليهم كما تقدم ذكره فأخذوا في التدبير لأنفسهم بغير معرفة ولا حظ يسعدهم، فأخرجوا العزيز من موضعه، وأضاعوه، ثم قاموا مع الأمير أينال ليثوروا ليلا، فلما فطن بهم لعدم تحفظهم وقلة دربتهم، تسللوا من دار أينال وقد كاد يدركهم الطلب من السلطان، فلما وصل طوغان من عند العزيز لم يحسن التصرف فيما إنتدب له، فإنه إشتهر في مسيره، ثم لما وصل إلى من قصدهم، أعلم المماليك بأن العزيز خرج من سجنه ونزل من القلعة، فإجتمع عليه القوم وأنه محاصر للقلعة فأدركوه، فهيج هذا القول منه حفائظهم وحرك كوامنهم، هذا وقد ضيع نفسه بشهرته في مدة توجهه من عند العزيز إلي أن وصل إلى المماليك.." (١)

"وفي هذا الشهر: إرتفع سعر الغلال، فإرتفع سعر القمح من مائة وأربعين درهما الأردب إلى مائة وتسعين، والشعير من ثمانين درهما الأردب إلى مائة وخمسين، وبلغ القول نحو مائتي درهم الأردب، وشره الناس في خزن الغلال، ظنا منهم أن أسعارها تعلو من أجل أن أكثر أراضي الزرع كانت شراقي، ومع ذلك فتولد من الفأر شيء عظيم أفسد في الزروع فسادا كبيرا، ووقعت ببلاد الصعيد فتن كبيرة، رعى فيها من الزروع ما شاء الله، فلذلك نقص متحصل غلال النواحي حتى أرجف المشنعون بوقوع الغلاء، ولهجوا بذكره، فأغاث الله العباد والبلاد، وأجرى النيل سريعا غزيرا، فضعفت قلوب خزان الغلال، وإطمأنت قلوب الكفاية، فإنكفوا عن كثرة الطلب لها " إن الله بالناس لرؤوف رحيم " .

وفي هذا اليوم: قدم الأمير أينال الأجرود من صفد، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ أتابك العسكر بغزة، وقد صار من جملة مقدمي الألوف بدمشق على تقدمة مغلبية الجقمقي، فخلع عليهم وأركبوا خيولا بقماش ذهب، ونزلوا إلى دورهم. وفي هذه الأيام: ندب السلطان من جرف جميع الأتربة التي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٣٥/٣

كانت بالرميلة تحت القلعة، ونقلها إلى الكيمان، وجرف الأتربة التي كانت بالصوة تحت القلعة إلى قريب مدرسة الأمير أيتمش بطرف التبانة.

وفي رابع عشره: رسم بإحضار من في سجن الإسكندرية، وهم جانم أمير أخور، وأينال البوبكرى ، وعلى باى الدوادار، وحكم، وبيبرس خالي العزيز وتنم ويشبك الدواداران، وتنبك القيسي، ويشبك الخاصكيان، وبيرم خجا أمير مشوي، وأزبك خجا رأس نوبة، وأن يترك الأمير قراجا بالسجن، فسار الأمير أسنبغا الطيارى لذلك. وفيه توجه الأمير قانبيه البهلوان إلى محل كفالته بصفد بعد ما أنعم عليه بمال جزيل .

وفي يوم الخميس ثامن عشره: الموافق له سادس مسرى: نودي على النيل بزيادة عشر أصابع، فوفاه الله تعالى ستة عشر ذراعا وإصبعين من سبعة عشره ذراعا، وهذا أيضا من النوادر في وقت الوفاء، فركب الأمير الكبير يشبك الأتابك حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة.

وفي ثاني عشرينه: قدم الأمير أسنبغا الطيارى بمن معه من المسجونين بالإسكندرية إلى بلبيس، وكلهم في الحديد، وعدتهم أربعة عشر، فأفرج منهم عن بيرم خجا أمير مشوى، ونفي إلى طرابلس، وأخرج من البرج بقلعة الجبل رجلان أضيفا مع الثلاثة عشر، فصاروا خمسة عشر، فرسم أن يتوجه منهم سبعة نفر إلى قلعة صفد ليسجنوا بها، وهم: أينال، وعلى بيه، وتنبك القيسي، وأزبك حجا، وجرباش، وحزمان، وقانبيه اليوسفي، ومتسفرهم الأمير سمام ، وأن يتوجه ثلاثة منهم إلى قلعة الصبيبة ليسجنوا بها، وهم جانم أمير أخور، وبيبرس خال العزيز، ويشبك بشقشي ومتسفرهم، هم ومن يمضي إلى المرقب، وهم خمسة نفر: أزبك البواب، وجكم خال العزيز، وتنم الساقي، ويشبك الفقيه، وجانبك قلقسيز، والأمير أينال أخو قشتمر، فساروا في حالة سيئة " ولا يظلم ربك أحدا " .

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير طوخ مازى نائب غزة فخلع عليه، وأنزل في بيته.

وفي تاسع عشرينه: نقل زين الدين عبد الباسط من البرج إلى موضع يشرف على باب القلعة، ووعد بخير بعد ما كان يوعد بالعقوبة.

وفي سلخه وهو ثامن عشر مسرى: نودي بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة عشرة ذراعا وإصبعين من عشرين، وهذا مقدار يندر وقوع مثله في ثامن عشر مسرى ولله الحمد.

شهر ربيع الأول ، أوله يوم الأربعاء: في سادسه: خلع على الأمير طوخ مازى، وتوجه عائدا إلى محل كفالته بغزة. وقد أنعم عليه، وأكرم.

وفي عاشره: نودي بتجهيز الناس للسفر إلى مكة شرفها الله في شهر رجب، فسر النار بذلك وأخذوا في أسباب السفر. وفيه توجه الكاشف عمد الصغير ومعه جماعة لأخذ سواكن بعد ما أنفق فيهم.." (١)

"وفي ثامن عشره: رسم لوالى القاهرة أن يستخدم مائة ماش يسعون في ركابه، وبين يديه إذا ركب، ونودي بألا يخرج أحد من المماليك السلطانية بالليل، وكانت الإشاعة بين الناس قد قويت بإختلاف أهل الدولة. وقدم الخبر بأن الأمير جلبان نائب الشام ركب في الموكب يوم السبت تاسعه على العاده، فوقفت العامة له تستغيث من غلاء اللحم، فإنه بلغ الرطل سبعة دراهم بعد ثلاثة دراهم، فلم يلتفت لهم، بل أمر مماليكه بضربهم، وكان جمع العامة كثيرا فما هو إلا أن ضرب بعضهم إذا هم قد رجموا النائب ومن معه رجما متتابعا، فإنهزم منهم من باب الجابية وقد ركبوا قفاه، وأقفية أصحابه، حتى عبروا من باب النصر إلى دار السعادة، وأغلق أبوابها، فتسوروا الحيطان، وعبثوا بطلخاناته يدقوها، وجمعوا الأحطاب وألقوها ليضرموا النار فيها، فأدركه الأمراء والقضاة، وكتبوا محضرا بصورة الحال، وبعثوا به إلى السلطان، وتلطفوا بالعامة حتى تفرقوا، فورد المحضر في يوم الجمعة ثاني عشرينه، فإشتد غضب السلطان على عامة دمشق، وجمع في يوم الأحد رابع عشرينه أمراء الدولة، واستدعي بالقضاة الأربع فحضر قاضي القضاة سعد الدين سعد الديري الحنفي، وقاضي القضاة بدر الدين محمد التنسي المالكي، وتأخر حضور قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر الشافعي، وقاضي القضاة محب الدين أحمد الحنبلي، حتى حنق السلطان، وأمر فقرىء المحضر الوارد من دمشق، وأخذ يعدد لعامة دمشق ذنوبا، منها قيامهم مع أينال الجكمى مدة عصيانه، ونهبهم بيوت الأمراء، وقتلهم جلبان شيخ كرك نوح، وصمم على وضع السيف فيهم، وإستلحامهم عن آخرهم، فكثرت مراجعة الأمراء في طلب العفو عنهم، والتأني بهم، إلى أن تقررت الحال على أن يجهز للنائب تشريف وفرس بقماش ذهب، وتقوى يده، وأن يكتب بالإنكار على العامة وتهديدهم، وبينما هم في ذلك إذ إستوذن على القاضيىن أحمد بن حجر ومحب الدين البغدادي، فلم يؤذن لهما، وأظهر السلطان الغضب لبطئهما، وإنفض الجمع.

وفيه رسم بعزل الونائى، وإستقرار ابن قاضي شهبة في قضاء دمشق عوضه، ورسم بحضور الأمير أينال الششماني والأمير ألطنبغا الشريفي، وجهزت المراسيم بذلك، وأن يقرأ كتاب العامة في يوم الجمعة بجامع بنى أمية.

وفي هذا الشهر: ختمت قراءة صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل بحضرة السلطان، وخلع على قضاة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٤٧/٣

القضاة الأربع، ومشايخ العلم الحاضرين، وفرقت صرر الدراهم في جميع من حضر، وزادت عدتهم في هذه السنة عن عدة الحاضرين عن السنين الماضية زيادة كبيره وفي ثامن عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين على بن محمد بن الطبلاوي والي القاهرة كان وإستقر نقيب الجيش، بعد موت ناصر الدين محمد أمير طبر. وفيه ورد كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن منجك من دمشق، يخبر بورود كتاب القاضي زين الدين عبد الباسط إليه من مكة يشكو من ثقل الإقامة عليه بمكة، وأنها لم توافقه ولا أهله، وأنه يرغب في النقلة من مكة إلى القدس، فمازال القاضي كمال الدين محمد بن البارزي يتلطف بالسلطان حتى سمح بذلك، فكتب لابن منجك بأنه إذا توجه للحج في الموسم ينقله بأهله وولده ومملوكه الأمير جانبك إلى القدس، على أنه يكون في ضمانه، وكتب إلى الشريف بركات أمير مكة بذلك، وجهزت الكتب إلى ابن منجك.

وفي هذا الشهر والذي قبله: وقع بالطائف ووج ولية وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم، هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، بحيث صارت أنعامهم هملا، وأخذها من ظفر بها. **وإمتد الوباء إلى** نخلة على يوم من مكة.

شهر شوال، أوله السبت: في هذا الشهر: انحل سعر الغلة، وكثر وجودها، وأبيع القمح من مائتي درهم إلى مائتين وخمسين درهما الأردب.

في هذا الشهر: إنحلت أسعار الغلال، ودخلت الغلة الجديدة، ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وإرتفع ثم اتضع.." (١)

"، فلقد حرص عبد القادر على أن يبقى بعيدا عن مواطن الشبهات أو التقرب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألم بباب حاكم قط وأنه تتناولها يده (١).

ج – انتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية في عهده :

نظر الشيخ عبد القادر إلى المجتمع المعاصر له على أنه مجتمع : الرياء والنفاق والظلم وكثرة الشبهة والحرام. وهذه صفات أحالت كل شيء فيه إلى مظاهر خاوية فيها ولا معنى (٢)، يستوي في ذلك المتدينون وغيرهم. يقول في إحدى مواعظه : هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق. قد كثر من يصلى ويصوم ويحج ويزكي، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق، فقد صار معظم الناس بلا خالق. كلكم موتى القلوب أحياء النفوس والأهوية طالبون للدنيا (٣) وقال في إحدى المواعظ : ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم، تتعجب من كذبكم في توحيدكم، كل حديثكم **في الغلاء**

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٤٥٤

والرخص، وأحوال السلاطين والأغنياء. أكل فلان، واستغنى فلان، افتقر فلان كل هذا هوس ومقت وعقوبة، وتوبوا واتركوا ذنوبكم وأرجعوا إلى ربكم دون غيره، أذكروه وانسوا غيره (٤).

---

(١) قلائد الجوهر ص ١٩-٣٠ هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٣.

(٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠٣.." [١]

"ولا تكاد تجد كنيسة مشهورة أو قس مشهور، لا يدعو إلى دعم قيام دولة اليهود في فلسطين، هذا في المجتمع الغربي خاصة، وليس في المجتمع النصراني الشرقي، الذي خبر اليهود وأصر على موقفه منهم. **وانتشر الوباء اليهودي** في الغرب، حتى تحول الغرب نفسه إلى مؤسسات تخدم مصالح اليهود، وتزعم اليهود فيها معظم الاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام، وإن لم يكن السياسيون بالضرورة جميعهم يهودا.

وقد حذر بنجامين فرانكلين من فتح باب الهجرة لليهود إلى أمريكا الشمالية، وأكد على أن الأمريكيين النصارى سيكونون عمالا لليهود، إذا ما حل اليهود بأرض القوم. وهذه وثيقة محفوظة في قاعة الاستقلال، في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا.(١)

ومما يشاؤون في ذلك سحب العالم الغربي لتأييد اليهود في كل مكان، بما في ذلك تأييده ودعمه لوطن اليهود القومي في فلسطين المحتلة، حتى وصل الأمر الآن إلى ترسيخ الاسم الذي اختاره اليهود لدولتهم، حتى ليكاد يطغى على الاسم الأصلي الذي عرفه النصارى والمسلمون من قبل، بل وعرفه اليهود قبل ذلك.

---

(١) ... يشكك عبد الوهاب المؤدب في صحة الوثيقة، ويرى أن اليمين الأمريكي المتطرف قد زورها في العشرينات من القرن العشرين الميلادي المنصرم، ونسبها إلى مدبج الدستور الفدرالي. انظر: عبدالوهاب المؤدب. أوهام الإسلام السياسي. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٣٦.." [٢]

"فوقف عماد الدين عليها وانقطعت مراجعة بالكلية .

ذكر خروج العدو إلى رأس الماء:

---

(١) السيرة الزنكية، ٢/١١٥

(٢) الشرق والغرب، ص/٥٩

وتواترت الأخبار بضعف العدو **ووقوع الغلاء في** بلادهم وعسكرهم حتى أن الغرارة من القمح بلغت في أنطاكية ستة وتسعين دياوا صورية ولا يزيدهم ذلك إلا صبرا وإصرارا وعنادا .

ولما ضاق بهم الأمر **وعظم الغلاء وخرج** منهم خلق عظيم مستأمنين من شدة الجوع عزموا على الخروج إلينا وكان طمعهم بسبب مرض السلطان فظنوا أنه لا يستطيع النهوض وكان خروجهم يوم الإثنين حادي عشر شوال بخيلهم ورجلهم حاملين أزوادا وخياما إلى الآبار التي استحدثها المسلمون تحت تل الحجل لما كانوا نزولا عليه وأخذوا عليق أربعة أيام فأخبر رحمه الله بخروجهم على هذا الوجه فأمر اليزك أن يتراجع من بين أيديهم إلى تل كيسان وكان اليزك على العياضية وكان نزول العدو على الآبار بعد صلاة العصر من اليوم المذكور وباتوا تلك الليلة واليزك حولهم جميع الليل فلما طلع الصبح جاء من اليزك من أخبره بأنهم قد تحركوا للركوب وكان قد أمر الثقل في أول الليل أن يسيروا إلى الناصرة والقيمون فرحل الثقل وبقي الناس وكنت في جملة من أقام في خدمته وأمر العسكر أن يركب يمنة ويسرة وقلبا تعبية القتال وركب هو وصاح الجاويش بالناس فركبوا وسار حتى وقف على تل من جبال الخروبة وابتدأت الميمنة بالمسير فسارت حتى بلغ آخرها الجبل وسارت الميسرة حتى بلغ آخرها النهر بقرب البحر فكان في الميمنة ولده الملك الأفضل صاحب دمشق وولده الملك الظاهر صاحب حلب وولده الملك الظافر صاحب بصرى وولد عز الدين صاحب الموصل علاء الدين خرم شاه ثم أخوه في طرفها ويليه قريبا منه حسام الدين لاجين والطواشي قايماز النجمي وعز الدين جرديك النوري وحسام الدين بشاره صاحب بانياس وبدر الدين دلدرم وجمع كثير من الأمراء وكان في الميسرة عماد الدين زنكي صاحب سنجار وابن أخيه معز الدين صاحب الجزيرة وفي طرفها الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه وكان عماد." (١)

"وكان قد استأمن من الفرنج خلق عظيم أخرجهم الجوع إلينا وقالوا للسلطان نحن نخوض البحر في براكيس وبطس إلى العدو ويكون الكسب بيننا وبين المسلمين فأذن لهم في ذلك وأعطاهم بركوسا وهو المركب الصغير فركبوا فيه وظفروا بمراكب للتجار من العدو وهي قاصدة إلى عسكرهم وبضائعهم معظمها فضة مصوغة وغير مصوغة فوقع عليها البركوس وقابلوهم حتى أخذوهم واكتسبوا منهم مالا عظيما وأسروهم وأحضروهم بين يدي السلطان وذلك في ثالث عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ولقد كنت حاضرا ذلك المجلس وكان من جملة ما أحضروه مائدة فضة وعليها مكبة مخرمة من فضة فأعطاهم السلطان الجميع ولم يأخذ منهم شيئا وفرح المسلمون بنصر الله عليهم بأيديهم .

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/١٢٧

ذكر موت ابن ملك الألمان:

وذلك أن العدو لما دخل الشتاء عليهم وتواترت الأنداء واختلفت الأهواء وخم المرج وخما عظيما وقع معه موتا عظيما وانضم إلى **ذلك الغلاء الزائد** وان سد عليهم البحر الذي كان يجيئهم منه الميرة من كل جانب وكان يموت منهم كل يوم المائة والمائتان على ما قيل وقيل أكثر من ذلك ومرض ابن ملك الألمان مرضا عظيما وعرض له مع ذلك مرض الجوف فهلك به في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ست وثمانين وحزن الإفرنج عليه حزنا عظيما وأشعلت له نيران هائلة بحيث لم يبق له خيمة إلا وأشعلت فيها الناران والثلاثة بحيث بقي عسكرهم كله نار وفرح المسلمون بذلك بمثل ما حزن الكفار بفقده وهلك منهم كبير يقال له الكندبالياط ومرض الكندهري وأشرف على الهلاك وفي الرابع والعشرين منه أخذ منهم بركوسان فيها نيف وخمسون نفرا وفي الخامس والعشرين منه أخذ منهم أيضا بركوس وجميع ما فيه وكان من جملة ما فيه ملوطة مكللة باللؤلؤ وهي من تفاصيل الملك وقيل كلن في البركوس ابن أخيه وأخذ أيضا .

ذكر غارة أسد الدين :

وهذا أسد الدين هو شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير وهو صاحب حمص .." (١)

"بل إن اليهود أنفسهم خانوا بعضهم بعضا كما أوضحنا ذلك في نقطة سابقة شرحنا فيها كيف قام ذلك اليهودي بكشف جميع أسرار اليهود من تحركاتهم ونقاط ضعفهم ومخزونهم من السلاح والعتاد ، كل ذلك في مقابل الحصول على الأمان له ولزوجه .

لهذا فليس غريبا أن تزلزل ضربات مجاهدي كتائب القسام دولة الكيان الصهيوني على قلة عددهم وعتادهم كما لم يكن غريبا أن ترغم حركة المقاومة الإسلامية " حماس " أمريكا وربيبتها دولة العدو على الرضوخ والتنازل عن جميع مطالبهم ومن ثم الإفراج عن د . موسى أبو مرزوق . . وهم صاغرون، وأن يفشل الله مؤامراتهم وينجي خالد مشعل ويخرج الشيخ أحمد ياسين من بين براثنهم . كما أن المقاومة اللبنانية في الجنوب اللبناني استطاعت أن تطور من نفسها وتعزز من إمكاناتها حتى أجبرت جيش العدو وأعوانه من العملاء على التقهقر والانسحاب مجرجرين أذيال الخزي والخيبة والمذلة .

http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp BID=265&CID=1 - TOP قتال اليهود

يتطلب استنفار كافة طاقات الأمة وفي جميع الظروف

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/١٣٦

لم يكن مسير الجيش الإسلامي من المدينة إلى خيبر نزهة ممتعة أو رحلة شيقة، بل كان محفوفا بالمكاره والمخاطر . . فقد خرج الجيش كما أسلفنا في شهر يونيو (حزيران) ، في وقت اشتد فيه الحر **وأصاب الوباء ثمار** خيبر وتسبب في إصابة الصحابة بالحمى حتى أنهم شكوا ذلك إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأمرهم بصب الماء في الشنان وتبريدها ثم صبها عليهم بين الأذانين من الأعلى للأسفل مع ذكر اسم الله ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقال .." (١)

"وأما سابعهم عمري : فإنه بعد موت تبني استقل بالملك بمفرده .

وعمري المذكور هو الذي بني صبصطية وجعلها دار ملكه .

وأما ثامنهم أحؤب : فهو ابن عمري وقتل في حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق .

وأما تاسعهم أحزبو : فهو ابن أحؤب المذكور وكان موته بأن سقط من روشن له فات .

وأما عاشرهم ياهورام : فهو وأخو أحزيو المذكور وكان في **أيامه الغلاء** .

وأما حادي عشرهم ياهو : فهو ابن نمشي .

وأما ثاني عشرهم يهوياحاز : فهو ابن ياهو المذكور .

وأما : ثالث عشرهم يؤاش : فهو ابن يهوياحاز .

وأما رابع عشرهم يربعم الثاني : فهو ابن يؤاش وقوي في مدة ملكه وارتجع عدة من قرى بني إسرائيل كانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنسر وعلى عهده كان يونس النبي عليه السلام .

وأما خامس عشرهم يقحيوء فإن مدته لم تطل وأما سادس عشرهم باقح فعلى أيامه حضر ملك الجزيرة وغزا الأسباط المذكورين وأخذ منهم جماعة إلى بلده وأجلى بعضهم إلى خراسان وأما سابع عشرهم هو شاع فهو ابن إيلا ولما تولى أطاع صاحب الجزيرة واسمه سلمناصر وقيل فلنصر وبقي هو شاع في طاعته تسع سنين ثم عصاه فأرسل صاحب الجزيرة المذكور وحاصره ثلاث سنين وفتح بلده صبصطية وأجلاه وقوه إلى بلد خراسان وأسكن موضعهم السامرة وكان ذلك في السنة السادسة من ملك حزقيا فانضم من سلم من الأسباط إلى حزقيا ودخلوا تحت طاعته .

سنحاريب وملك حزقيا تسعا وعشرين سنة وكان عمره لما ملك عشرين سنة وكان من الصلحاء الكبار وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة فزاده الله تعالى في عمره خمس عشرة سنة وأمره أن يتزوج وأخبره

---

(١) الوعد من خيبر إلى القدس، ص/١٧

بذلك نبي كان في زمانه .

". (١)

"بن عبد الملك في هذه السنة قتل الوليد قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له يزيد الناقص وكان مقتله في جمادى الآخرة سنه ست وعشرين ومائة بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه الخمر ومنادمة الفساق فثقل ذلك على الرعية والجند وأذى بني عميه هشام والوليد فرموه بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه ودعا يزيد إلى نفسه واجتمعت عليه اليمانية ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك عن ذلك وتهدده فأخفى يزيد الأمر عن أخيه وكان يزيد مقيما بالبادية لوخم دمشق فلما اجتمع له أمره قصد دمشق متخفيا في سبعة نفر وكان بينه وبينها مسيرة أربعة أيام ونزل بجيرود على مرحلة من دمشق ثم دخل دمشق ليلا وقد بايع له أكثر أهلها وكان عامل الوليد على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج **وجاء الوباء بدمشق** فخرج منها ونزل قرية قطنا وظهر يزيد في دمشق واجتمعت عليه الجند وغيرهم وأرسل إلى قطنا مائتي فارس فأخذوا عبد الملك المذكور عامل الوليد على دمشق بالأمان ثم جهز يزيد جيشا إلى الوليد بن زيد بن عبد الملك ومقدمهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ولما ظهر يزيد بن الوليد بدمشق سار بعض موالي الوليد إليه وأعلمه وهو بالأغذف من عمان فسار الوليد حتى أتى البحرة إلى قصر النعمان بن بشير ونازله عبد العزيز وجرى بينه وبين الوليد قتال كثير وقصد العباس بن الوليد بن عبد الملك أخوه يزيد المذكور اللحوق بالوليد ونصرته على أخيه فأرسل عبد العزيز منصور بن جمهور إلى العباس فأخذه قهرا وأتى به إلى عبد العزيز فقال له : بايع لأخيك فبايع ونصب عبد العزيز راية وقال : هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد فتفرق الناس عن الوليد فركب الوليد بمن بقي معه وقاتل قتالا شديدا ثم انهزم عنه أصحابه فدخل القصر وأغلقه وحاصروه ودخلوا إليه وقتلوه واحتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد بن الوليد فسجد يزيد شكرا لله ووضع الرأس على رمح وطيف به في دمشق وكان قتله لليلتين." (٢)

"غير ذلك من الحوادث فيها **اشتد الغلاء وعدم** القوت ببغداد حتى وجد مع إنسان صبي قد شواه ليأكله وكثر في الناس الموت وفيها توفي علي بن عيسى بن الجراح الوزير وله تسعون سنة .

وفيها توفي عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي وأبو بكر الشبلي الصوفي وكان أبو الشبلي حاجبا للموفق أخي المعتمد وحجب الشبلي أيضا للموفق ثم تاب وصحب الفقراء حتى صار واحد زمانه في الدين والورع وكان

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٣٣/١

(٢) تاريخ أبي الفداء، ٣٢٠/١

الشبلي المذكور مالكي المذهب حفظ الموطأ وقرأ كتب الحديث وقال الجنيد عنه : لكل قوم تاج وتاج القوم الشبلي .

وفيها توفي محمد بن عيسى ويعرف بأبي موسى الفقية الحنفي .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

فيها توفي أبو بكر الصولي وكان عالما بفنون الأدب والأخبار روى عن أبي العباس ثعلب وغيره وروى عنه الدار قطني وغيره وللصولي التصانيف المشهورة .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فيها عقد المنصور العلوي ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي من تاريخ جزيرة صقلية تأليف صاحب تاريخ القيروان واستمر الحسن بن علي يغزو ويفتح في جزيرة صقلية حتى مات المنصور وتولى المعز فاستخلف الحسن على صقلية ولده أبا الحسين أحمد ابن الحسن فكانت ولاية الحسن بن علي على صقلية خمس سنين ونحو شهرين وسار الحسن عن صقلية إلى إفريقية في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ولما وصل الحسن إلى إفريقية كتب المعز بولاية ابنه أحمد بن الحسن على صقلية فاستقر أحمد واليا عليها .

". (١)

"وفيها قتل عيسى بن موسى الهمذاني صاحب أربل قتله ابنا أخ له وملكا قلعة أربل وكان لعيسى أخ آخر اسمه سلار بن موسى قد نزل على قرواش صاحب الموصل لوحشة كانت بين سلار وأخيه عيسى فلما بلغه قتل أخيه سار قرواش إلى أربل ومعه سلار فملكها وتسلمها سلار وعاد قرواش إلى الموصل .

وفيها وقع الوباء في الخيل وعم البلاد .

وفيها توفي أحمد بن يوسف المنازي وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر وترسل إلى القسطنطينية وكان من أعيان الفضلاء والشعراء وجمع المنازي المذكور كتبا كثيرة وأوقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد وهي إلى قريب كانت موجودة بخزائن الجامعين وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا فأعجبه حسنه فقال فيه : وقانا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم وأرشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم تروع حصاه حالية العذارى فيلمس جانب العقد النظيم والمنازي منسوب إلى مناز جهر مدينة عند خرتبرت وهي غير مناز كرد التي من عمال

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٤٨٣/١

خلاط .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

فيها ملك مهلهل بن محمد عنان أخو أبي الشوك قرميسين والدينور بعد ما كان قد استولى عليهما أخو طغرلبك على ما تقدم ذكره .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين وكان الجويني إماما في الشافعية تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي وهو صاحب وجه في المذهب وكان عالما أيضا بالأدب وغيره من العلوم وهو من بني ستبس بطن من طي .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

في هذه السنة استولى عسكر الملك أبي كاليجار على البطيحة وأخذوها من صاحبها أبي نصر بن الهيثم وهرب ابن الهيثم إلى زبرب .

وفيها كان بالعراق غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وببغداد حتى خلت الأسواق .

وفيها توفي عبد الواحد بن محمد المعروف بالمطرز الشاعر وأبو الخطاب الشبلي الشاعر .

" (١).

"تاريخ أبى الفداء

(٤٦ من ٨٧)

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة بركيارق في هذه السنة ثاني ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشماه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق وكان مرضه السل والبواسير وكان بأصفهان فسار طالبا بغداد فقوي به المرض في بروجرد فجمع العسكر وحلفهم لولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وجعل الأمير أياز أتابكه فحلف العسكر له وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتوفي بركيارق ببروجرد ونقل إلى أصفهان فدفن بها في تربة عملتها له سريته ثم ماتت عن قريب فدفنت بإزإئه .

وكان عمر بركيارق خمسا وعشرين سنة وكانت مدة وقوع السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله

---

(١) تاريخ أبى الفداء، ٩٦/٢

وأشرف عدة مرات على ذهاب مهجته في الأمور التي تقلبت به ولما استقام أمره وأطاعه المخالفون أدركته منيته واتفق أنه كلما خطب له ببغداد وقع **فيها الغلاء وقاسى** من طمع أمرائه فيه شدائد حتى إنهم كانوا يحضرون نوابه ليقتلوهم وكان صابرا حليما كريما حسن المداراة كثير التجاوز ولما مات بركيارق سار أياز بالعسكر ومعه ملكشاه بن بركيارق ودخلوا بغداد سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة وخطب لملكشاه بجوامع بغداد على قاعدة أبيه بركيارق .

". (١)

"وكانت ولايتهم في سنة إحدى وستين وثلاث مائة وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم إن جرج بذل الأمان لأهل المهدية وأرسل وراءهم بذلك وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجعوا إلى المهدية .

حصر الفرنج لدمشق في هذه السنة سار ملك الألمان والألمان بلادهم وراء القسطنطينية حتى وصل إلى الشام في جمع عظيم ونزل على دمشق وحصرها وصاحبها مجير الدين أتق بن محمد بن توري بن طغتكين .

والحكم وتدبير المملكة إنما هو لمعين الدين أتز مملوك جده طغتكين .

وفي سادس ربيع الأول زحفوا على مدينة دمشق ونزل ملك الألمان بالميدان الأخضر وأرسل أتز إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فسار بعسكره من الموصل إلى الشام وسار معه أخوه نور الدين محمود بعسكره ونزلوا على حمص ففت ذلك في أعضاد الفرنج وأرسل أتز إلى فرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلوا عن ملك الألمان وأشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من إمداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد إلى بلاده وسلم أتز قلعة بانياس إلى الفرنج حسبما شرطه لهم .

ذكر غير ذلك من الحوادث :

في هذه السنة كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بأرض يغرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة وأرسل من الأسرى والغنيمة إلى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل .

وفيها ملك الفرنج من الأندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها وحصون لارده وفيها **كان الغلاء العام** من خراسان إلى العراق إلى الشام إلى بلاد المغرب .

وفي ربيع الأول من هذه السنة أعني سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٧١/٢

السلطان صلاح الدين قتله الفرنج لما كانوا منازلين دمشق فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه المذكور وهو أبو الملك المظفر عمر صاحب حماة وأبو فرخشاه صاحب بعلبك وكان شاهنشاه أكبر من صلاح الدين وكانا شقيقين .

". (١)

"في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الخروبة وعاد إلى قتال الفرنج على عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبرجة طول البرج ستون ذراعا جاؤوا بخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالخل لئلا يعمل فيها النار فتحايل المسلمون وأحرقوا البرج الأول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم أحرقوا الثاني والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة ووصل إلى السلطان العساكر من البلاد وبلغ المسلمين وصول ملك الألمان وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وآيسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على **الألمان الغلاء والوباء** فهلك أكثرهم في الطريق ولما وصل ملكهم إلى بلاد الأرمن نزل في نهر هناك يغتسل فغرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طائفة إلى بلادهم وطائفة خامرت ابن الملك المذكور فرجعوا أيضا ولم يصل مع ابن ملك الألمان إلى الفرنج الذين على عكا غير تقدير ألف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم وبقي السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال إلى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وأزالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مصر فعطفت عليه المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فعادوا إلى خنادقهم وحصل للسلطان مغص فانقطع في خيمة صغيرة ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن إذا أراد الله أمرا فلا مرد له .

ذكر غير ذلك من الحوادث : في هذه السنة لما قوي الشتاء واشتدت الرياح أرسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم إلى صور خوفا عليها أن تنكسر فانفتحت الطريق إلى عكا في البحر وأرسل البدل إليها فكان العسكر الذين خرجوا منها أضعاف الواصلين إليها .

فحصل التفريط بذلك لضعف البدل .

". (٢)

---

(١) تاريخ أبى الفداء، ٢/٢٣٠

(٢) تاريخ أبى الفداء، ٢/٣٢٤

"ذكر غير ذلك من الحوادث في هذه السنة قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميافارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة وصبر أهل ميافارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد ودام ذلك حتى كان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها **اشتد الوباء بالشام** خصوصا بدمشق حتى لم يوجد مغسل للموتى .

وفيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ولده الملك العزيز محمد وصحبته زين الدين محمد المعروف بالحافظي وهو من أهل قرية عقربا من بلد دمشق بتحف وتقادم إلى هولاكو ملك التتر وصانعه لعلمه بعجزه عن ملتقى التتر .

وفيها توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب وم‍ولد البهاء زهير بوادي نخلة من مكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه وأقام في بيته في القاهرة حتى أدركته وفاته **بسبب الوباء العام** في يوم الأحد رابع ذي القعدة من هذه السنة أعني سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلا حسن النظم وشعره مشهور كثير فمن شعره وهو وزن مخترع لبس بخرجة العروض أبيات ومنها : يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل ها عبدك واقفا ذليلا بالباب يمد كف سائل من وصلك بالقليل يرضى والطل من الحبيب وابل وفي هذه السنة توفي بمصر الشيخ ركن الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث وكان من أئمة الحديث المشهورين .

(١) ".

"ذكر تجريد العسكر إلى حلب ووصول العدو ومنازلة الرحبة وفي هذه السنة في يوم السبت سابع عشر رجب خرجت من حماة بعساكر حماة ودخلت حلب في يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب المذكور وأقمت بها وكان النائب بها الأمير سيف الدين سودي ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادراص وقويت أخبار التتر وجفل أهل حلب وبلادها ثم وصلت التتر إلى بلاد سيس وكذلك وصلوا إلى الفرات فعندها رحل الأمير سيف الدين سودي وجميع العساكر المجردة من حلب في يوم الخميس ثامن رمضان في هذه السنة ووصلنا إلى حماة في يوم السبت سابع عشر رمضان المذكور وكان خربندا نازل

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٩/٣

الرحبة بجموع المغل في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لأواخر كانون الأول وأقام سيف الدين سودي بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملأه المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل إلى ءرض والسخنة وتعود إلينا بأخبار المخذول واستمر خربندا محاصرا للرحبة وأقام عليها المجانيق وأخذ فيها النقوب ومعه قراسنقر والأفرم ومن معهما وكانا قد أطمعا خربندا أنه ربما يسلم إليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين بن أركشي الكردي لأن الأفرم هو الذي كان قد سعى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة وأخذ له إمرة الطبلخاناه فطمع الأفرم بسبب تقدم إحسانه إلى المذكور أن يسلم إليه الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الإيمان للسلطان وقام بحفظ القلعة أحسن قيام وصبر على الحصار وقاتل أشد قتال ولما طال مقام خربندا على الرحبة بجموعه وقع في **عسكره الغلاء والفناء** وتعذرت عليه الأقوات وكثرت منه المقفزون إلى الطاعة الشريفة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئا ولا وجد خربندا لما أطمعه به قراسنقر والأفرم صحة فرحل خربندا عن الرحبة راجعا على عقبه في السادس والعشرين من رمضان من هذه الـسنة بعد حصار نحو شهر وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها." (١)

"وفيها في جمادى الأولى بلغنا أن نائب الشام يلبغا خرج إلى ظاهر دمشق خوفا من القبض عليه وشق العصا وعاضد أمراء مصر حتى خلع السلطان الملك الكامل شعبان وأجلسوا مكانه أخاه السلطان الملك المظفر أمير حاج وسلموا إليه أخاه الكامل فكان آخر العهد به وناب عن المظفر بمصر الحاج أرقطاي المنصور ولما تم هذا الأمر تصدق يلبغا في المملكة الحلبية وغيرها بمال كثير ذهب وفضة شكرا لله تعالى وكان هذا الملك الكامل سيء التصرف يولي المناصب غير أهلها بالبذل ويعزلهم عن قريب ببذل غيرهم وكان يقول عن نفسه أنا ثعبان لا شعبان .

وفيها في رجب توفي بحلب الأمير شهاب الدين قرطاي الأسندمري من مقدمي الألوف أمير عفيف الذيل متصون .

وفيها في مستهل رجب سافر طقتمر الأحمدي نائب حلب إلى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام فإنه ما ساعده على خلع الكامل وحفظ أيمانه .

وفيها **وقع الوباء ببلاد** أزبك وخلت قرى ومدن من الناس ثم **اتصل الوباء بالقرم** حتى صار يخرج منها في اليوم ألف جنازة أو نحو ذلك حكى لي ذلك من أثق به من التجار ثم **اتصل الوباء بالروم** وهلك منهم

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٦٢/٣

خلق وأخبرني تاجر من أهل بلدنا قدم من تلك البلاد أن قاضي القرم قال : أحصينا من مات بالوباء فكانوا خمسة وثمانين ألف غير من لا نعرفه والوباء اليوم بقبرس والغلاء العظيم أيضا .
وفيها في شعبان وصل إلى حلب الأمير سيف الدين بيدمر البدري نقل إليها من طرابلس وولي طرابلس مكانه وهذا البدري عنده حدة وفيه بدرة ويكتب على كثير من القصص وفيها توفي بطرابلس قاضيها شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي وتولى مكانه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الحموي .
". (١)

"ومنها وأمر بترتيب خزنة وقراء على مطالع أفقها ووقف أوقافها تجري أقلام الحسنات في أطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الشمس إلى مشرقها ورغب في المسامحة على تلك الأملاك من أحكار ومؤونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المسامحة في دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه وقوبل بالإسعاف والإسعاد وقفه ومساعيه وختمها بقوله : والله تعالى يمتع من وقف هذه الجهات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقف .
وفيه صلي بحلب صلاة الغائب على الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال محدث كبير مؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الإسلام وكتاب الموت وما بعده وكف بصره في آخر عمره ومولده سنه ثلاث وسبعين وستمائة واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها واعتمد في ذكر سير الناس على أحداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين .
وفيها **كان الغلاء بمصر** ودمشق وحلب وبلادهن والأمر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال خلق وجلا كثيرون منها إلى حلب وغيرها وأخبرني بعض بني تيمية أن الغرارة وصلت بدمشق إلى ثلاثمائة وبيع البيض كل خمسة بيضات بدرهم واللحم رطل بخمسة وأكثر والزيت رطل بستة أو سبعة .
وفيها في ذي الحجة قيد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الحاج مغلطاي القره سنقري وحمل إلى دمشق فسجن بالقلعة وكان مشد الوقف بحلب وحاجبا وكان قبل هذه الحادثة قد سعى في بعض القضاة وقصد له إهانة بدار العدل فسلم الله القاضي وأصيب الساعي المذكور وربما كان طلبه من مصر يوم سعيد في

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٢٧٧/٣

القاضي ثم خلص بعد ذلك وأعيد إلى حلب وصلح حاله .

". (١)

"وفيها في شهر رجب **وصل الوباء إلى** حلب كفانا الله شره **وهذا الوباء قيل** لنا إنه ابتدأ من الظلمات من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها النبا عن الوبا .

فمنها : اللهم صل على سيدنا محمد وسلم ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون وسلم طاعون روع وأمات وابتدأ خبره من الظلمات فواها له من زائر من خمس عشرة سنة دائر ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين سل هنديا في الهند واشتد على السند وقبض بكفيه وشبك على بلاد أزبك وكم قصم من ظهر فيما وراء النهر ثم ارتفع ونجم وهجم على العجم وأوسع الخطا إلى أرض الخطا وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم وجر الجرائر إلى قبرس والجزائر ثم قهر خلقا بالقاهرة وتنبهت عينه لمصر فإذا هم بالساهرة وأسكن حركة الإسكندرية فعمل شغل الفقراء مع الحريرية .

ومنها : إسكندرية **ذا الوباء سبع** يمد إليك ضبعه صبرا لقسمته التي تركت من السبعين سبعه ثم تيمم الصعيد الطيب وأبرق على برقة منه صيب ثم غزا غزة وهز عسقلان هزة وعك إلى عكا واستشهد بالقدس وزكى فلحق من النهار بين الأقصى بقلب كالصخرة ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مرة ثم طوى المراحل ونوى أن يحلق الساحل فصاد صيدا وبغت بيروت كيدا ثم صدد الرشق إلى جهة دمشق فتربع ثم وتميد وفتك كل يوم بألف وأزيد فأقل الكثرة وقتل خلقا ببثرة .

". (٢)

"قلت : أخ أبقي ببذل المال ذكرا وإن لاموه فيه ووبخوه أزال فراقه لذات عبشى وكل أخ مفارقه أخوه وفيه توفي الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن القدوة نبهان الجبريني بجبرين وجلس على السجادة ابنه الشيخ محمد الصوفي كان الشيخ علي بحرا في الكرم رحمه الله ورحمنا بهم آمين .

وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة ورد البريد من مصر بتولية قاضي القضاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح قضاء الشافعية بالمملكة الحلبية وسررنا بذلك ولله الحمد .

وفيه ظهر بمنبج على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد أخي خديجة رضى الله عنها وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ ينبوب وهما داخل منبج وعلى

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٢٨٤/٣

(٢) تاريخ أبي الفداء، ٢٨٦/٣

قبر الشيخ علي وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج أنوار عظيمة وصارت الأنوار تنتقل من قبر بعضهم إلى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك إلى ربع الليل حتى انبهر لذلك أهل منبج وكتب م١ضيهم بذلك محضرا وجهزه إلى دار العدل بحلب ثم أخبرني القاضي بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من أهل منبج أيضا وهؤلاء السادة هم خفراء الشام ونرجوا من الله تعالى ارتفاع **هذا الوباء الذي** كاد يفني العالم ببركتهم إن شاء الله تعالى .

قلت : اشفعوا يا رجال منبج فينا **لارتفاع الوباء عن** البلدان نزل النور في الظلام عليكم إن هذا يزيد في الأيمان وفيها في ذي الحجة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون منزلته في الإنشاء معروفه وفضيلته في النظم والنثر موصوفه كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محي الدين ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التي أنشأتها ففرح لي بها وأنشد فيها ببيتين أرسلهما إلي بخطه وهما :

وفي بلد ا لمعرة دار علم ** بني الوردي منها كل مجد

". (١)

"هي الوردية الحلواء حسنا ** وماء البئر منها ماء ورد

فأجبته بقولي :

أخبرني القاضي بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من أهل منبج أيضا وهؤلاء السادة هم خفراء الشام ونرجوا من الله تعالى ارتفاع **هذا الوباء الذي** كاد يفني العالم ببركتهم إن شاء الله تعالى .

قلت :

اشفعوا يا رجال منبج فينا ** **لارتفاع الوباء عن** البلدان

نزل النور في الظلام عليكم ** إن هذا يزيد في الإيمان

وفيها في ذي الحجة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون منزلته في الإنشاء معروفه وفضيلته في النظم والنثر موصوفه كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محي الدين ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التي

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٣/٢٩٠

أنشأتها ففرح لي بها وأنشد فيها ببتين أرسلهما إلى بخطه وهما :

وفي بلد المعرة دار علم ** بني الوردي منها كل مجد

هي الوردية الحلواء حسنا ** وماء البئر منها ماء ورد

فأجبته بقولي :

جميع الناس عندكم نزول ** وأنت جبرتني ونزلت عندي .

قد تم بعون الله تعالى تاريخ العلامة الملك المؤيد إسماعيل أبي الفداء .

". (١)

"يتمكن من الاتمام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من أصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرض حاد فتوفيت وتفرق عسكرها إلى جهة السلطان بركيارق وإلى غيره وحين عرف بركيارق ذاك سار في الحال إلى أصفهان فدخلها وملكها وقد كان أهلها أشرفوا على الهلاك **لفرط الغلاء بها** وعدم الأقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون إلى تاج الدولة خلق كثير وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدته وقويت شكوته ودعي له على منابر بغداد ووصل إلى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير إليه في من بقي من الأجناد في الشام فسار إلى حلب ومن حلب إلى العراق ومعه الأمير نجم الدين ايل غازي بن أرتق والأمير وثاب بن محمود بن صالح وجماعة من أمراء العرب وأتراك حلب القسيمية وتوجه صوب بغداد على الرحبة في أول سنة ٤٨٧ من الاتمام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من أصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرض حاد فتوفيت وتفرق عسكرها إلى جهة السلطان بركيارق وإلى غيره وحين عرف بركيارق ذاك سار في الحال إلى أصفهان فدخلها وملكها وقد كان أهلها أشرفوا على الهلاك **لفرط الغلاء بها** وعدم الأقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون إلى تاج الدولة خلق كثير وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدته وقويت شكوته ودعي له على منابر بغداد ووصل إلى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير إليه في من بقي من الأجناد في الشام فسار إلى حلب ومن حلب إلى العراق ومعه الأمير نجم الدين ايل غازي بن أرتق والأمير وثاب بن محمود بن صالح وجماعة من أمراء العرب وأتراك حلب القسيمية وتوجه صوب بغداد على الرحبة في أول سنة ٤٨٧." (٢)

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٣/٢٩١

(٢) تاريخ أبي يعلى، ص/٧٥

"فعند ذلك وقع يأس الافرنج منه وشرعوا في الرحيل عنه وأحرقوا البيوت التي كانوا قد عمروها في المنزل لسكناهم وأحرقوا كثيرا من المراكب التي كانت لهم على الساحل لأنهم كانوا أخذوا صواريها وأرجلها وآلاتها للأبراج وكانت عدتهم تقدير مائتي مركب كبارا وصغارا منها تقدير ثلاثين مركبا حربية وحملوا في بعضها ما خف من أثقالهم ورحلوا في العاشر من شوال من السنة وكانت مدة إقامتهم على محاصرة صور أربعة أشهر ونصف شهر وقصدوا عكا وتفرقوا إلى أعمالهم. وخرج أهل صور وغنموا ما ظفروا به منهم وعادت الأتراك المندوبون لاسعادهم إلى دمشق وقد فقد منهم في الحرب نحو عشرين رجلا وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر. ولم يتم على برج من أبراج الافرنج في القديم والحديث مثل ما تم على هذا البرج من إحراقه من رأسه إلى أسفله والذي أعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ولو طال أحدهما على الآخر رهلك أقصرهما. وكان عدد المفقودين من أهل صور أربعمائة نفس ومن الافرنج في الحرب أيضا على ما حكى الحاكي العارف تقدير ألفي نفس. ولم يف أهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين أتابك من تسليم البلد إليه ولم يظهر لهم في ذلك قولا وقال: إنما فعلت ما فعلت لله تعالى وللمسلمين لا لرغبة في مال ولا مملكة. فكثر الدعاء له والشكر بحسن فعله ووعدهم أنه متى دهمهم خطب مثل هذا سارع إليه وبالغ في المعونة عليه وعاد إلى دمشق بعد مكابدة المشقة في مقابلة الافرنج إلى أن فرج الله عن أهل صور. وشرع أهل صور في ترميم ما شعثه الافرنج من سورها وأعادوا الخنادق إلى حالها ورسمها بعد طمتها وحصنوا البلد وتفرق من كان فيه من الرجالة وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل صاحب طرابلس بعلة لحقته وأقام ابنه في الأمر من بعده وهو طفل صغير كفله أصحابه ودبروا أمره مع طنكري صاحب أنطاكية وجعلوه من خيله وأقطعه انطرطوس وصافيثا ومرقية وحصن الأكراد وفي هذه السنة حدث **بمصر الوباء المفرط** بحيث هلك به خلق كثير يقال تقدير ستين ألف نفس. وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بوصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن البي كذا إلى بغداد في جمادى الأولى منها وأقام بها مدة ثقل فيها على أهلها وارتفع معها السعر إلى أن رحل عنها فصلحت الحال ورخص السعر. وفيها وردت الأخبار بوصول الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها وأقام عليها إلى المحرم سنة ٥٠٦ ورحل عنها إلى سروج ورعى زرعها وهو في غفلة غير متحفظ من عدو يطرق ومسلم يرهق ولم يشعر إلا وجوسلين صاحب تل باشر في خيله من الافرنج ودواب العسكر منتشرة في المرعى هجم عليها من ناحية سروج على حين غفلة من مودود وأصحابه فقتلوا منهم جماعة فاستاقوا أكثر كراعهم وقتل بعض المقدمين واستيقظ من كان من المسلمين

غافلا وتأهبوا للقائه فعاد إلى حصن سروج وفي هذه السنة انتقل تاج الملوك بوري بن أتابك إلى دار الملك شمس الملوك دقاق في قلعة دمشق في المحرم منها. وفيها ورد الخبر بوفاة قراجه الوالي بحمص بعلة طالت به وكان فيها هلاكه وقد كان مؤثرا للظلم مشاركا للحرامية وقطاع الطريق وأقيم في مكانه ولده خيرخان بن قراجه تابعا في الظلم لأفعاله ناسجا في العدوان والجور على منواله

سنة ست وخمسمائة." (١)

"فيها ورد الخبر من ناحية الشمال باغارة الأمير لجه التركي النازح عن دمشق إلى خدمة الأمير عماد الدين أتابك على بلد الافرنج وظفره بخيلهم وفتكه بهم بحيث ذكر أن عدة المقتولين منهم تقدير سبعمائة رجل. وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بايقاع عسكر السلطان غياث الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين مسعود بن محمد بحلة بني خفاجة ونهبها وقتل من ظفر به لكثرة فسادهم وتزايد عنادهم واخافتهم السابلة وأخذهم كل رفقة من التجار الصادرة والقافلة وعوده إلى بغداد ظافرا غانما وفيا توفي النقيب الامام أبو القسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي رحمه الله في..... بمرض حاد عرض له فأضعفه وقضى فيه نحبه وكان على الطريقة المرضية والخلال الرضية ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين والتنزه مما يقدح في أفعال غيره من المتفقهين وكان يوم دفنه يوما مشهورا من كثرة المشيعين له والباكين حوله والمؤبنين ل أفعاله والمتأسفين عليه وفي هذه السنة وردت الأخبار من ناحية العراق بالوقعة الهائلة بين السلطان المعظم ناصر لدين الله كذا سنجر بن ملك شاه سلطان الشرق وبين كافر ترك الواصل من ناحية الصين عندما وراء النهر وكان في عسكر لا يحصى عددا وقصده السلطان سنجر في عسكر يناهزه والتقى الجمعان فظهر عسكر كافرترك على عسكر السلطان سنجر فكسره وخزمه وقتل أكثره إلا اليسير ممن حماه أجله واشتمل على ما حواه من الأمال والحرم والكراع والسواد وهو شيء لا يحيط به وصف فيوصف ويحصر ولا يدركه نعت فيذكر وعاد السلطان منهزما إلى بلخ وفيها ورد الخبر بوفاة ضياء الدين أبي سعيد بن الكفرتوثي وزير الأمير عماد الدين أتابك في خامس شعبان وكان على ما حكي عنه حسن الطريقة جميل الفعل كريم النفس مرضي السياسة مشهور النفاسة والرئاسة. وفيها ورد الخبر بوفاة الأمير سعد الدولة صاحب آمد وجلوس ولده محمود في منصبه من بعده فانتظم له الأمر من بعد فقده. وفيها ورد الخبر بوفاة الأمير ولد الدانشمند رحمه الله وانتصاب ولده في منصبه من بعده واستقام له الأمر. وفيها توفي الشيخ أبو محمد بن طاووس امام المسجد الجامع بدمشق في يوم الجمعة سابع عشر من المحرم من السنة

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١١٠

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيما وردت الأخبار من ناحية مصر **بعظم الوباء في** الاسكندرية والديار المصرية بحيث هلك هناك الخلق العظيم والجم الغفير. وفي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ربيع الأول توفي القاضي بهجة الملك أبو طالب علي بن عبد الرحمن بن أبي عقيل بمرض صعب كان فيه قضاء نحبه وانتقاله إلى رحمه ربه وهو من جلالة القدر وجميل الذكر على الطريقة المرضية المشهورة والسجية المستحسنة المشكورة وفيها ورد الخبر بظهور صاحب أنطاكية إلى ناحية بزاعة وأن الأمير سوار النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال بينه وبينها. وفيها وردت الأخبار بظهور متملك الروم إلى الثغور دفعة ثانية بعد أوله وبرز إليه صاحب أنطاكية وخدمه وأصلح أمره معه وطيب نفسه وعاد عنه إلى أنطاكية وفيها وردت الأخبار بأن الأمير عماد الدين أتابك استوزر الأجل أبا الرضا ولد أخي جلال الدين بن صدقة وزير الخليفة. وفيها ورد الخبر بأن الأمير عماد الدين أتابك افتح قلعة اشب المشهورة بالمنعة والحصانة. وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملك الروم. وفيها توفي القاضي المنتجب أبو المعالي محمد بن يحيى في يوم الأربعاء النصف من شهر ربيع الأول منها ودفن بمسجد القدم رحمه الله وتولى بعده القضاء ولده القاضي أبو الحسن علي بن محمد القرشي وكتب له منشور القضاء من قاضي القضاة ببغداد

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة." (١)

" فسار سيف الدولة إلى دمشق وملكها وأقام بها ، واتفق أنه ركب يوما ومعه الشريف العقيقي فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال العقيقي : هي لأقوام كثيرة فقال سيف الدولة : لو أخذتها القوانين السلطانية تبرؤوا منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فاستدعوا كافورا فجاءهم وأخرجوا سيف الدولة عنهم ، ورجع كافور إلى مصر بعد أن ولى على دمشق بدر الأخشيدي فأقام سنة ، ثم وليها أبو المظفر بن طغج ، ولسيف الدولة حلب حسب . وفيها : **اشتد الغلاء وعدم** القوت ببغداد حتى وجد صبي مشوي ، وكثر الموت . وفيها : توفي علي بن عيسى بن الجراح الوزير وله تسعون سنة . وفيها : توفي عمر بن الحسين الحرقي الحنبلي ، وأبو بكر الشبلي الصوفي كان والد الشبلي حاجبا للموفق والشبلي أيضا ، ثم تاب وصار أوحد زمانه دينا وورعا ، وكان مالكيا حفظ الموطأ وقرأ الحديث ، وقال الجنيد عنه : لكل قوم تاج وتاج القوم الشبلي . قلت : واسمه : دلف بن حجر ، وعلى قبره ببغداد أنه جعفر بن يونس ، ومن شعره رحمه الله : (مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى ** دمعان في الأجفان يزدحمان

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١٦٨

) (ما أنصفتني الحاثات رمينني ** بمودعين وليس لي قلبان) وقال الشبلي : رأيت يوم الجمعة معتوها عريانا يقول : أنا مجنون الله أنا مجنون الله ، فقلت : لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي ، فأنشد : (يقولون زرنا واقض واجب حقنا ** وقد أسقطت حالي حقوقهم عني) (إذا أبصروا حالي فلم يأنفوا لها ** ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني) والله أعلم . وفيها : توفي محمد بن عيسى ويعرف بابي موسى الفقيه الحنفي . ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة : فيها توفي أبو بكر الصولي العالم بفنون الأدب والأخبار روى عن ثعلب وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره ، وتصانيفه مشهورة . قلت : واسمه محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صولتكين ومع آدابه يضرب به في الشطرنج المثل ، ومن اعتقد أنه واضع الشطرنج فقد غلط بل وضعه صصه بن ذاهر الهندي للملك شهرام ، وكان كسرى أردشير قد وضع النرد ولذلك قيل له : النردشير ، جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعدد الشهور والقطع ثلاثين بعدد أيام الشهر والفصوص مثل القدر وتقلبه بالناس فافتخرت به الفرس ، فوضع صصه الشطرنج فرجح على النرد ففرح به الملك تلهيت ومناه ، فتمنى أن يضع حبة قمح في البيت الأول ولا يزال يضعفها حتى ينتهي إلى آخرها فمهما بلغ يعطيه ، فاحتقر الملك ذلك فحسب فلم يكن في خزانته قمح يبلغ هذا القدر .

". (١)

" وطريقة : أن تضع في البيت الأول حبة وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربعا وفي الرابع ثمانيا وكذا إلى آخره كلما انتقلت إلى بيته ضاعفت ما قبله وأثبته فيه ، فإذا ضاعفت الأعداد إلى البيت السادس عشر أثبت فيه اثنتين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانيا وستين حبة فتقول هذه قدر قدح ، وتضاعف القدح في البيت السابع عشر وكذا حتى تبلغ وبية في البيت العشرين . ثم انتقل إلى الوبيات ومنها إلى الأرداب وتضاعفها فتنتهي في بيت الأربعين إلى مائة ألف أدرب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنيتن وستين أردبا وثلثين فتجعل هذه الجملة شونة وتضاعف الشونة إلى بيت الخمسين فتكون الجملة ألفا وأربعا وعشرين شونة فتجعل هذه مدينة وأي مدينة بقدر هذه ، وتضاعف المدن حتى تنتهي في بيت الرابع والستين آخرها إلى ست عشرة ألف مدينة وثلثمائة وأربع وثمانين مدينة . وليست مدن الدنيا أكثر من هذا العدد فدورة كرة الأرض بطريق الهندسة ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضعنا طرف حبل على أي

(١) تاريخ ابن الوردي، ١/٢٧٠

موضع كان من الأرض وأدرنا طرف الحبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقى طرفا الحبل ، فإذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله اربعة وعشرين ألف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وهو قطعي ، وتقدم في ترجمة بني موسى وبعض الحذاق في لعب الشطرنج يفتخر بأن ينقل الفرس في بيوت الرقعة فيعم به جميع بيوت الرقعة من غير تكرير . وقد نظمت أربعة أبيات ضابطا لذلك بحساب الجمل ، فإذا أردت ذلك فضع الفرس في البيت الثاني مثلا من الصف الأول الذي رمزه في النظم با بمعنى ثاني الأول فإن الباء باثنيتن وألف بواحد ، ثم تضع الفرس في البييت الأول من الصف الثالث الذي رمزه في النظم أج بمعنى أول الثالث فإن الألف بواحد والجيم بثلاثة ، ثم تضعه في ثاني الخامس الذي رمزه في النظم به الباء باثنين والهاء بخمسة ثم في أول السابع الذي رمزه أز وهكذا تجعل الأول من كل حرفين من النظم للبيت والحرف الثاني للصف ومن حيث ابتدأت من الأبيات الأربعة حصل العمل إذا أكملت ذلك فيما بعد من الأول إلى حيث بدأت فإذا عرفت ذلك أمرت من ينقل الفرس في الرقعة وأنت مولى ظهرك أو وراء حجاب إن شئت ، وهذه الأبيات والعين حشو : (يا أج أزاح هزجز جوزد ** حب وأدب جدد دووه دج حب أاع) (بجاه بزدح وزاح زو حدزب ** هاوج هه جود دهب زاحج وبع) (حازج هدو وهج ززحه ود ** هوزه حزوح دزبح أو جزع) (أحبوده أب جادج بدجه اد ** ببد أجح فرس في كلها يقع) وهذه فوائد وإن أخرجت عن المقصود ، والله أعلم . ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة : فيها **كان الغلاء العظيم** بالشام الذي لم يسمع بمثله وأكلت الحمير والقطط والصبيان ومات خلق عظيم والله أعلم .

".(١)

" وفيها : توفي أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان ، فغدر الأكراد بابنه سعدي وصاروا مع مهلهل بن محمد أخي أبي الشوك . وفيها : قتل عيسى بن موسى الهذباني صاحب إربل قتله ابنا أخيه وملكا قلعلة إربل ، وبلغ أخاه سلار وهو نازل عند قرواش صاحب الموصل لوحشة كانت بينه وبين أخيه عيسى ، فسار به قرواش وملكه إربل وعاد قرواش إلى الموصل . وفيها : **عم الوباء في** الخيل . وفيها : توفي أحمد بن يوسف المنازي وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر وترسل إلى القسطنطينية وكان من أعيان الفضلاء ووقف كتبا كثيرة على جامع ميافارقين وجامع آمد ، واجتاز

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢٧١/١

مرة بوادي بزاعا فأعجبه فقال فيه : (وقانا لفحة الرمضاء واد ** سقاه مضاعف الغيث العميم) (نزلنا دوحه فحنا علينا ** حنو المرضعات على الفطيم) (وأرشفنا على طما زلالا ** أرق من المدامة للنديم) (يراعي الشمس أنى قابلتنا ** فيحجبها ويأذن للنسيم) (يروع حصاه حالية العذارى ** فتلمس جانب العقد النظيم) قلت : ولي فيه : (إن وادي الباب قد أذكرني ** جنة المأوى فلله العجب) (فيه دوح يحجب الشمس إذا ** قال للنسمة جوزي بأدب) (فهي تغوي عذب البان أما ** تعذب الغي كما تغوي العذب) (طيره معربة في لحنها ** تطرب الحي كما تحيي الطرب) (مرجه مبتسم مما بكت ** سحب في ذيلها الطيب انسحب) (فيه روضات أنا صب بها ** مثلما أصبح فيه الماء صب) (نهره إن قابل الشمس ترى ** فضة بيضاء في نهر ذهب) وبين القولين بون بعيد وقد يقابل الذهب بالحديد والله أعلم . والمنازي – بفتح الميم – نسبة إلى منازجرد بزيادة جيم مكسورة عند خرت برت غير مناز كرد من عمل خلاط ، والوادي المذكور بين بزاعا والباب . ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة : فيها ملك مهلهل بن محمد بن عناز أخو أبي الشوك قرميسين والدينور . وفيها : توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني والد إمام الحرمين تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصلعوكي وله في المذهب وجه وله علم بالأدب وغيره ، وهو من بني سنبس بطن من طيء .

". (١)

" وفيه برد فقلع الشجر وجرى منه سيل في وادي شنان الذي فيه العين فكانت من الجبل القبلي إلى الجبل الشمالي وغطى شجر الجوز وأخذ صخرة يعجز عن قلبها خمسون رجلا ومضى بها فلم يعرف لها ذلك الوقت موضع ، والله أعلم . وفيها : توفي الشيخ ابو منصور عبد الملك بن يوسف من أعيان الزهاد . ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة : فيها وقعت فتنة بين المغاربة و المشارقة بدمشق فضربت دار جوار الجامع بالنار فاتصلت النار بالجامع وعظمت فدثرت محاسنه وزالت اعماله النفيسة . قلت : وفيها أخذ ملك الروم حصن منبج وشحنة رجالا وعدة ، ثم وقف على عزاز ساعة ثم رحل عنها ، وسلط الله عليه وعلى من **معه الغلاء والقلة** ومات منهم خلق كثير فرجع حافلا . وفيها : جمع قطبان أنطاكيا وقسها المعروف بالبخت جموعا وطلع إلى حصن أشعوبا من قرى المعرة بعمله عملها لهم قوم يعرفون ببني ربيع من أهل جوزف ففتحوه وقتلوا وأسروا رجاله وواليه بنادرا التركي ، فبلغ الخبر الأمير عز

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٣٣٩/١

الدولة محمود بن ناصر بن صالح وهو يسير في ميدان حلب ، فسار إليه ولم يدخل البلد ومعه نحو خمسين ألفا من الترك والعرب وأخذه من النصارى وقتل منهم ألفين و سبعمائة نفس ، وهذا الحصن كان قد عمره حسين بن كامل بن حسين بن سليمان بن الدوح العمري المرثدي الكلابي ومعه جماعة من المعرة وكفر طالب و ضياعهما في سنة ست وخمسين وأربعمائة وأكمل عمارته في مدة يسيرة فتعجب الناس لسرعة عمارته . ثم في سنة إحدى وستين وأربعمائة اقترض عز الدولة محمود من الروم أربعة عشر ألف دينار ورهن ولده نصرا عليها وعلى هدم الحصن المذكور ، فجمع الناس من المعرة وكفر طالب على هدمه ، ولله قول من قال : (وهدوا بأيديهم حصنهم ** وأعينهم حزنا تدمع) (عجبت لسرعة بنيانه ** ولكن تخريبه أسرع) والله اعلم . ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة : فيها غلت مصر حتى أكل بعض الناس بعضا ونزح من القدر ، واحتاج المستنصر فباغ ثمانين ألف قطعة بلور كبار وخمسا وسبعين ألف قطعة من الديباج وأحد عشر ألف قزاغند وعشرين ألف سيف محلى ووصل من ذلك مع التجار إلى بغداد . ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة : فيها قطع محمود بن نصر بن صالح بن مرداس بحلب خطبة المستنصر وخطب للقائم العباسي .

ـــــــــــــــــــــ

." (١)

" وفيها : في رمضان توفي دقاق بن تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب دمشق فخطب طغتكين الأتابك بدمشق لابن دقاق طفل عمره سنة ثم قطع خطبته وخطب ليلتاش بن تتش عم الطفل في ذي الحجة ثم أعاد خطبة الطفل واستقر طغتكين في دمشق . وفيها : سار صدقة بن مزيد صاحب الحلة فاستولى على واسط وضمن البطيحة لمهذب الدولة بن أبي الخير بخمسين ألف دينار . وفيها : توفي أمير الدولة أبو سعد بن موصلايا فجأة وقد أضر ، وكان بليغا خدم الخلفاء خمسا وستين سنة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وأربعمائة ترقى حتى ناب عن الوزارة وكان يتصدق ووقف ملكه على وجوه البر . ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة : فيها في ربيع الأول توفي السلطان بركيا روق بن ملكشاه بالسل والبواسير ، سار من أصفهان إلى بغداد فقوي مرضه في يزدجرد ، فخلف العسكر لابنه ملكشاه وعمره أربع سنين وثمانية أشهر ، وجعل أياز أتابكه وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتوفي بيزدجرد ونقل فدفن بأصبهان في تربته وعمره خمس وعشرون سنة وتسمى بالسلطنة اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر

ـــــــــــــــــــــ

(١) تاريخ ابن الوردي، ٣٦١/١

، وقاسى حروبا وخلافا ورخاء وشدة ، وملكا وزواله ، ولما صفى ملكه كدره الموت ، وكان كلما خطب له ببغداد وقع فيها الغلاء ، وكان كثير التجاوز ، ودخل أياز ومعه ملكشاه بن بركيا روق بغداد سابع عشر ربيع الآخر منها ، وخطب لملكشاه بجوامع بغداد . ولما بلغ محمدا موت أخيه بركيا روق قصد بغداد ونزل بالجانب الغربي ، وبقي ملكشاه وأياز بالشرقي ، وجمع أياز العسكر لقتال محمد ، ثم أشار على أياز وزيره بالصلح ومشى بينهما وحضر الكيا الهراس مدرس النظامية والفقهاء وحلفوا محمدا لاياز والأمراء الذين معه ، وحضر أياز بملكشاه عند محمد فأكرمه وصارت السلطنة لمحمد في جمادي الأولى منها وعمل أياز دعوة عظيمة في ثامن جمادي الآخرة للسلطان محمد في داره ببغداد فحضر إليه وقدم له أياز أموالا ، وفي ثالث عشر جمادي الأخرة طلب السلطان أيازا ورتب له في الدهليز جماعة فقتلوه وعمره فوق أربعين وهو من مماليك ملكشاه ، وكان شجاعا ذا مروءة وأمسك الصفي وزيره ، وقتل في رمضان وعمره ست وثلاثون وكان من بيت رياسة بهمدان . ' وفيها توفي سقمان ' بن أرتق بن أكسك بالخوانيق في القرينين وحمل في تابوت فدفن بحصن كيفا كان متوجها إلى دمشق باستدعاء طغتكين ليجعله مقابل الفرنج بحكم مرض طغتكين وقام ابنه إبراهيم موضعه ، كان له حصن كيفا وماردين أما ملكه لحصن كيفا فتقدم ، وأما ملكه لماردين فهو أنه وهب ماردين وأعمالها السلطان بركيا روق لإنسان مغن ، ووقع حرب بين كربوغا وسقمان وكان مع سقمان ابن أخيه ياقوتي وعماد الدين زنكي وهو

---

(١) ".

" دولة زنكي إلى سيف الدين غازي بن زنكي يعلمونه بالحال وهو بشهرزور ، فسار وملك الموصل وبلادها ، ثم تحرك ألب أرسلان فحبسه غازي بالموصل . قلت : كان أبو الحسين بن منير يعير ابن القيسراني بأنه ما صحب أحد إلا نكب فغنى مغن عند زنكي وهو على قلعة جعبر قول الشاعر : (ويلي في المعرض الغضبان إذ نقل ** الواشي إليه حديثا كله زور) (سلمت فازور يزوي قوس حاجبه ** كأنني كأس خمر وهو مخمور) فاستحسنها زنكي ، وسأل لمن هي ، فقيل : لابن منير ، فطلب من حلب ، فليلة وصل ابن منير قتل زنكي ، فقال ابن القيسراني : هذا بجميع ما كنت تبكتني به ، والله أعلم . وفيها : أرسل عبد المؤمن بن علي جيشا فملك من جزيرة الأندلس ما فيها من بلاد المسلمين . وفيها : بعد قتل زنكي قصد صاحب دمشق مجير الدين أبق حصن بعلبك وحصره وبه نجم الدين أيوب بن ساري

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١٥/٢

مستخفيا ، فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم سرعة إنجاده ، فسلم القلعة إليه على أقطاع ومال وقرى ، وانتقل أيوب فسكن دمشق . ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة : فيها دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها ارتاح بالسيف وحصن ماموله وكفرفوث وكفرلاثا . ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة : فيها جهز رجاز الفرنجي صاحب صقلية مائتين وخمسين شينيا رجالا وسلاحا مقدمهم جرجي فأشرفوا على المهدية وبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز باديس صاحب إفريقية ، **وكان الغلاء عظيما** ، وقد أكل بعض الناس بعضا من سنة سبع وثلاثين ، فاتفق الحسن بن علي وأكابر البلد على أن يرحلوا من المهدية بما خف حمله والريح يمنع الأسطول من الوصول . ثم دخل الفرنج المهدية ثلثي النهار بلا مانع وليس بها ممن عزم على الخروج أحد ، ودخل جرجي قصر الإمارة فوجده مملوء الخزائن ذخائر وغرائب وحظايا الحسن بن علي ، وسار الأمير حسن بأهله فأقام عند بعض أمراء العرب ، كان يحسن إليه وخاف من الطريق فانقبض عن المسير إلى الخليفة بمصر ، وسار إلى ملك بجاية يحيى بن العزيز فوكل يحيى به وبأولاده من يمنعهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وأنزلهم في جزائر بني مزغنان إلى أن ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع وأربعين وخمسمائة وجميع ممالك بني حماد فأحسن إلى الأمير حسن إلى أن فتح المهدية فأقام فيها واليا من جهته وأمره أن يرجع إلى رأى الأمير حسن ، وكان عدة من ملك من بني باديس من أريزي إلى الحسن تسعة ملوك ، ثم بذل جرجي الأمان لأهل المهدية فتراجعوا من شدة الجوع . وفيها : سار ملك الألمان من وراء القسطنطينية وحصر دمشق في جمع عظيم

(١) ".

" وصاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين والحكم إنما هو لمعين الدين أنز مملوك جده طغتكين . وفي سادس ربيع الأول زحفوا على دمشق ونزل ملك الألمان بالميدان الأخضر ، وسار سيف الدين غازي صاحب الموصل لينجد دمشق ومعه أخوه نور الدين بعسكره فلما وصلوا حمص فت ذلك في أعضاد الفرنج وأرسل أنز إلى فرنج الشام يبذل لهم قلعة بانياس فتخلوا عن الألمان فخافت الألمان فرحلوا عن دمشق إلى بلادهم وسلم أنز قلعة بانياس إلى الفرنج حسبما شرط . وفيها : هزم العادل نور الدين محمود الفرنج عند يغري فقتل وأسر وأرسل من الأسرى إلى أخيه سيف الدين صاحب

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٤٦/٢

الموصل . وفيها : ملك الفرنج طرطوشة وقلاعها وحصون لارده من الأندلس . وفيها : عم الغلاء المشارق والمغرب . وفيها : في ربيع الأول قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين لأبويه قتله الفرنج في المصاف في منازلتهم لدمشق وهو أبو المظفر عمر صاحب حماة وأبو فرخ شاه صاحب بعلبك . ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة : فيها توفي سيف الدين غازي ابن زنكي صاحب الموصل وولايته ثلاث سنين وشهر وعشرون يوما ، ولد سنة خمسمائة ، وخلف ابنا أحسن نور الدين تربيته ، وتوفي شابا ، وانقرض بموته عقب غازي ، وكان غازي حسن الصورة كريما يصنع لعسكره كل يوم طعاما بكرة وعشيا . وهو أول من حمل على رأسه السنجق في ركوبه ، وأمر الجند أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم ، والدبوس تحت ركبهم . ولما توفي غازي كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكي مقيما بالموصل ، فاتفق الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين على تمليكه فحلفاه وحلفا له ، واطاعته بلاد أخيه غازي . ثم تزوج الخاتون بنت تمرتاش صاحب ماردين ، مات عنها أخوه غازي قبل الدخول وهي أم أولاد قطب الدين . وفيها : في جمادى الآخرة (توفي الحافظ) الدين الله بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر العلوي صاحب مصر وخلافته عشرون سنة إلا خمسة أشهر ، وعمره نحو سبع وسبعين ، وما ولي منهم من ليس أبوه خليفة غير الحافظ والعاضد . وبويع بعده ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، واستوزر ابن مصال وبقي أربعين يوما ، وحضر من الإسكندرية العادل بن السلار فأرسل العادل ربيبه بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس إلى ابن مصال وقد خرج في

".(١)

" (رب دار بالحمى طال بلادها ** عكف الركب عليها فبكاها) (كان لي فيها زمان وانقضى ** فسقى الله زماني وسقاها) (قل لجيران مواثيقهم **كلما احكمتها رثت قواها) (كنت مشغوفا بكم إذ كنتم ** شجرا لا يبلغ الطير ذراها) (فإذا ما طمع أغري بكم ** عرض اليأس لنفسي فثناها) (فصبابات الهوى أولها ** طمع النفس وهذا منتهاها) (لا تظنوا لي إليكم رجعة **كشف التجريب عن عيني غطاها) (إن زين الدين أولاني يدا ** لم تدع لي رغبة فيما سواها) وكان أبوه يتجر في اللآلىء من مغاص البحرين . وفيها : توفي محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالقاضي صاحب الطريقة في الخلاف له التعليقة في الخلاف عمدة ومن لم يدرس منها فلقصوره عنها ،

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٤٧/٢

وكان متفننا واعظا حسنا . ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة : فيها في صفر عاد السلطان عن الخروبة إلى قتال الفرنج على عكا ، وقد عملوا قرب سورها ثلاثة أبرجة طولها ستون ذراعا ، خشبها من جزائر البحر عملوها طبقات مشحونة رجالا وسلاحا ، ولبسوها الجلود والطين وبالخل خوف النار فأحرق المسلمون البرج الأول بمن فيه ثم الثاني والثالث ، فانبسطت نفوس المسلمين بعد الكآبة وجاءت العساكر الإسلامية من البلاد ، وخرج الملك الألمان من وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل فأيس المسلمون من الشام فسلط على **الألمان الغلاء والوباء** فهلك أكثرهم في الطريق ، ونزل ملكهم يغتسل في نهر ببلد الأرمن فعرق وأقاموا ابنه مقامه فرجه منهم طائفة وطائفة اختارت أخا الملك ورجعوا أيضا ، ووصل مع ابن ملك الألمان إلى عكا تقديرا ألف فارس وكفى الله شرهم ، وبقي السلطان والفرنج يتناوشون القتال إلى العشرين من جمادى الآخرة ، فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل ، وأزالوا العادل عن موضعه ، ومعه عسكر مصر ، فعطف المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا ، فعادوا إلى خنادقهم ، وانقطع السلطان لغص حصل له ، ولولاه لكانت الفيصلة . وفيها : لما قوي الشتاء والريح أرسلت الفرنج المحاصرة لعكا مراكبهم إلى صور خوف الريح ، فانفتحت الطريق إلى عكا في البحر ، وأرسل السلطان البدل إليها لكن الخارجون منها أضعاف الداخلين فوقع تفريط . وفيها : في ثامن شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب إربل ، وكان مع السلطان بعسكره ، فأقطع أخاه مظفر الدين كوك بوري إربل ، وأضاف إليه شهرزور وأعمالها ، وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها ، وسار مظفر الدين إلى إربل وملكها .

(١) ".

" وساروا وحصروا دمشق فقاسى أهلها **من الغلاء ما** لم يسمع بمثله وحفظها حسام الدين بن أبي علي أتم حفظ وخرجت السنة والأمر كذلك . وفيها : قصد التتر بغداد فخرجت عساكر بغداد للقائهم ، فانهزم التتر ليلا . وفيها : توفيت ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين بدار العقيقي بدمشق جاوزت الثمانين ، وبنت مدرسة حنبلية بجبل الصالحية . وفيها : توفي الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ' ابن الصلاح ' الفقيه المحدث . قلت : وكان رحمه الله مسدد الفتاوى ، وكرر على المهذب كله وهو أمرد وتولى الإعادة لعماد الدين بن يونس بالموصل . ثم حصل علم الحديث بخراسان ثم تولى

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢/١٠٠

تدريس الناصرية بالقدس ، ثم تولى الرواحية بدمشق ، وبنى الأشرف بن العادل بن أيوب دار الحديث بدمشق وولاه تدريسها ، ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب داخل البلد قبلي البيمارستان النوري ، وهي التي بنت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق وبها قبرها وقبر أخيها المذكور وزوجها ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص . وله : مناسك الحج وإشكالات على الوسيط ، وجمع بعض أصحابه فتاويه ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر بدمشق . وتوفي أبوه صلاح الدين ، وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم في ذي القعدة سنة ثمان عشر وستمائة بحلب ودفن بالجبيل ، وتولى بحلب تدريس الأسدية المنسوبة إلى أسد الدين شيركوه بن شاذي ، واشتغل ببغداد على شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون ، والله أعلم . وفيها : توفي علم الدين علي بن محمد بن عبد الله السخاوي له المفضل في شرح المفصل وسفر السعادة وسفير الإفادة فيه مشكلات نحوية وأبيات معاني ولغة وعربية ، وله شرح الشاطبية . قلت : قرأ الشاطبية على ناظمها ، قال القاضي شمس الدين بن خلكان : وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، قال : ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع للقراءة ولا يصح لواحد نوبة إلا بعد زمان ، ورأيته مرارا وهو راكب بهيمة يصعد إلى جبل الصالحية وحوله إثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر والكل في دفعة واحدة وهو يرد على الجميع ، وتوفي بدمشق وقد نيف على التسعين ولما احتضر أنشد لنفسه : (قالوا غدا نأتي ديار الحمى ** ونترك الركب بمغناهم)

". (١)

" (عيون عن السحر المبين تبين ** لها عند تحريك القلوب سكون) (تصول ببيض وهي سود فرندها ** ذبول فتور والجفون جفون) (إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ** تقول له كن مغرما فيكون) ومنه : (ومن العجائب أن قلبك لم يلن ** لي والحديد ألانه داود) وكتب إلى ابن عبد السلام وقد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر : (أيا ليت أمي أيم طول عمرها ** فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل) (ويا ليتها لما قضاها لسيد ** لبيب أريب طيب الفرع والأصل) (قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ** فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل) (ويا ليتها لما غدت بي حاملا ** أصيبت بما اجتنت عليه من الحمل) (ويا ليتني لما ولدت وأصبحت ** تشد إلي الشذقميات بالرحل) (

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١٧١/٢

لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ** ولم أر في الإسلام ما فيه من خل) قلت : وذكرت بهذا قولي وقد رأيت دار والدي رحمه الله تعالى بالمعرة بعد وفاته وهو : (ترى عدوا دعا علينا ** بدعوة صادفت نفاذا) (خلت ديار الحبيب منه ** يا ليتني مت قبل هذا) وقولي : (دهرنا أضحى ضنينا ** باللقا حتى ضنينا) (يا ديار الخير عودي ** واجمعينا اجمعينا) والله أعلم . وفيها : في ذي القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة حماه . ولدت من المظفر محمود ثلاث بنين ، مات عمر منهم صغيرا وبقي المنصور محمد والأفضل علي والد المؤلف رحمهما الله تعالى وثلاث بنات ، توفيت الكبرى منهن ملكة خاتون قبل والدتها بقليل ، وتوفيت الصغرى دنيا خاتون بعد أخيها المنصور ، وكان عند الصاحبة زهد وعبادة ، وحفظت الملك لابنها المنصور حتى كبر . وفيها : بعد بغداد قصد التتر ميافارقين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب ، فصبر أهل ميافارقين مع الكامل على الجوع حتى كان ما سيذكر ، الكامل وهذا ملكها بعد أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة . وفيها : **اشتد الوباء بالشام** وخصوصا بدمشق حتى عز مغسلو الموتى .

" (١).

" وفيها : رسم السلطان أن يعمر ببلاد النصيرية في كل قرية مسجدا ويمنعوا من الخطاب . وفيها : اجتمع إلى ماردين قفل كبير تجار وجفال من الغلا وقصدوا الشام فلما وصلوا إلى خان التاجر أدركتهم فرقة من التتر من أمراء سوتاي النائب بديار بكر إلى حدود العراق واحتجوا عليهم بحجج وصاروا كلما أمسكوا منهم جماعة أبعدوا بهم وقتلوهم فأكثر الباقون الصراخ فمال التتر عليهم بالنشاب حتى قتلوا الجميع وبقي من أولاد الجفال نحو سبعين صبيا فقالوا : من يقتل هؤلاء منا فقتلهم تترى وأعطوه عن كل صبي دينارا وبلغ القتلى تسعمائة رجال ونساء وصبيان وتألم الناس لذلك ، ثم أن سوتاي أمسك من الحرامية وحبسهم وأوصل بعض المال إلى مستحقيه بعد غرامة ما بين النصف إلى الثلث . وفيها : خرج جماعة من النصيرية عن الطاعة وأقاموا شخصا زعموا أنه المهدي وقاتلوا المسلمين وادعوا أنهم كفرة فكسرهم عسكر المسلمين وقتل مقدمهم وخلقا منهم ومزقهم الله كل ممزق فلله الحمد . ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة : فيها كان بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميافارقين غلاء وجلاء حتى بيعت

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١٩٣/٢

الأولاد وأكلت الميتة ، وكان الشخص إذا امتنع من شراء أولاد المسلمين تجعل المرأة نفسها نصرانية ليرغب في الشراء نسأل الله العافية ونعوذ بالله من الجوع فإنه بئس الضجيع ونزح من إربل جماعة إلى جهة مراغة فأهلكهم الثلج في الطريق وكان **سبب الغلاء جرادا** وعدم المطر سنتين وجور التتر لموت خربنده وتغير الدول والغارات ، فسبحان الفعال لما يريد . وفيها : في صفر وصل كريم الدين إلى دمشق وأمر ببناء جامع بالقبيبات وتوجه إلى القدس وعاد إلى القاهرة وشرع في بناء الجامع . فيه : ثارت ريح عاصفة من جهة البحر على بيوت التركمان عند قرية المعيصرة من الجون من عمر طرابلس فتكونت عمودا أغبر صورة تنين متصل بالسحاب فما تركت شيئا من البيوت والأثاث وأهلكت جماعة وخطفت جملين وارتفعت بهما في الجو مقدار عشرة أرماح وطوت الريح قدور النحاس والصاجات وصارت قطعا ، وكان إلى جانبهم عرب فخطفت لهم أربعة أجمال إلى الجو فتقطعت الجمال قطعا ، وأهلكت دواب كثيرة ، ووقع بعدها مطر برد كبار البردة ثلاث أواق ودونها كأشطاف الحجارة منها مثلث ومربع وأصاب ذلك أربعا وعشرين قوية ، وكتب بذلك محضر وثبت عند قاضي طرابلس فنسأل الله العافية . وفيه : توفي الشيخ القدوة العالم بقية السلف محمد بن أبي بكر بن قوام البالسي بزاويته بالصالحية . قلت : ومن الله علي بزيارته حيا ثم بعد وفاته أخبرني الشيخ المقري الصالح محمد بن شامة الساكن بالباب قال : صحبت الشيخ محمد المذكور من دمشق قاصدين باب

(١) ".

" وفيها : في رجب توفي بحلب الأمير شهاب الدين قرطاي الأسندمري من مقدمي الألوف أمير عفيف الذيل متصون . وفيها : في مستهل رجب سافر طقتمر الأحمدي نائب حلب إلى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام فإنه ما ساعده على خلع الكامل وحفظ أيمانه . وفيها : **وقع الوباء ببلاد** أزبك وخلت قرى ومدن من الناس ، ثم **اتصل الوباء بالقرم** حتى صار يخرج منها في اليوم ألف جنازة أو نحو ذلك حكى لي ذلك من أثق به من التجار ، ثم **اتصل الوباء بالروم** وهلك منهم خلق وأخبرني تاجر من أهل بلدنا قدم من تلك البلاد أن قاضي القرم قال : أحصينا من مات بالوباء فكانوا خمسة وثمانين ألفا غير من لا نعرفه ، والوباء اليوم بقبرس والغلاء العظيم أيضا . وفيها : في شعبان وصل إلى حلب الأمير سيف الدين (بيدمر البدري) نقل إليها من طرابلس وولي طرابلس مكانه ، والبدري هذا

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢/٢٥٨

عنده حدة وفيه بدرة ويكتب على كثير من القصص بخطه وهو خط قوي . وفيها : توفي بطرابلس قاضيها شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي ، وتولى مكانه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الحموي . وفيها : في ذي الحجة صدرت بحلب واقعة غريبة وهي أن بنتا بكرا من أولاد أولاد عمرو التيزيني كرهت زوجها ابن المقصوص فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهي لا تعلم معناها فأحضرها البدري بدار العدل بحلب وأمر فقطعت أذناها وشعرها وعلق ذلك في عنقها وشق أنفها وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين وهي من أجمل البنات وأحياهن فشق ذلك على الناس وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود وأنكرت القلوب قبح ذلك ، وما أفلح البدري بعدها . قلت : (وضج الناس من بدر منير ** يطوف مشرعا بين الرجال) (ذكرت ولا سواء بها السبايا ** وقد طافوا بهن على الجمال) وفيه : ورد البريد بتوليه السيد علاء الدين علي بن زهرة الحسيني نقابة الأشراف بحلب مكان ابن عمه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة وأعطي هذا إمارة طلخانات بحلب . ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة : والتتر مختلفون . وفيها : في ثالث المحرم وصل إلى حلب القاضي شهاب الدين بن أحمد بن الرياحي على قضاء المالكية بحلب ، وهو أول مالكي استقضى بحلب ولا بد لها من قاض حنبلي

." (١)

" حتى كان البعد قربا ، وكان القلبان قلبا وأيد بولاء هذا البيت الناصري ملوك الأرض وعبيد الحق سلما وحربا وعضد ببقائه كل ملك إذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلا ويوم السماح عشبا وإذا ركب البحر لنهب الأعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وإذا بعث هداياه المتنوعة كانت عرابا تصحب عربا ورياضا تسحب سحبا . وإذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآنا عجبا واهتزت بذكراه عجبا . وفيها : وذو الولاء قريب وإن نأت داره ودان بالمحبة وإن شط شط بحره ومزاره وهو بأخباره النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد وإن حالت عن الأكتحال بطلعته أميال السرى ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الإسلام والمسلمين ، وسره بما كتب من اسمه في أصحاب اليمين (وما أدراك ما أصحاب اليمين) هو الذي مد اليمين بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر اللہ حزبه بما سطر من أحزابها ومد الرماح أرشية فاشتقت من قلوب

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٣٣٣/٢

الأعداء قليبا والأقلام أروية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طبيبا . وفيها : ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الأعداء بالهندي . وفيها : وأمر بترتيب خزنة وقراء على مطالع أفقها ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسنات في إطلاقها وطلقها ، وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الشمس إلى مشرقها ، ورغب في المسامحة على تلك الأملاك من أحكار ومؤونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المسامحة في دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه وقوبل بالإسعاف والإسعاد وقفه ومساعيه ، وختمها بقوله : والله تعالى يمتع من وقف هذه الجهات بما سطر له في أكرم الصحائف ، وينفع الجالس مكن ولاة الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقف . وفيه : صليت بحلب صلاة الغائب عںى الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال محدث كبير ومؤرخ من مصنفاته كتاب تاريخ الإسلام وكتاب الموت وما بعده وغير ذلك ، وكف بصره في آخر عمره . ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها ، واعتمد في ذكر سير الناس على أحدث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين . وفيها : **كان الغلاء بمصر** ودمشق وحلب وبلادهن ، والأمر بدمشق أشد حتى انكشفت فيه أحوال خلق ، وجلى كثيرون منها إلى حلب وغيرها . وأخبرني بعض بني تيمية أن الغرارة وصلت بدمشق إلى ثلاثمائة ، وبيع البيض كل خمس بيضات بدرهم ، واللحم رطل بخمسة وأكثر ، والزيت رطل بستة أو سبعة .

(١) ".

" الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذي يحمل إلى السلطان . وفيها : في شهر رجب **وصل الوباء إلى** حلب كفانا الله شره ، **وهذا الوباء قيل** لنا أنه ابتدأ من الظلمات من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه وعملت فيه رسالة سميتها النبأ **عن الوباء** . فمنها : اللهم صل على سيدنا محمد وسلم ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون وسلم الطاعون روع وأمات وابتدأ خبره من الظلمات فواها له من زائر من خمس عشرة سنة دائر ما صين عنه الصين ولا منع منه حصن حصين سل هنديا في الهند واشتد على السند وقبض بكفيه وشبك على بلاد أزبك وكم قصم من ظهر فيما وراء النهر ، ثم ارتفع ونجم وهجم

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٣٣٧/٢

على العجم وأوسع الخطا إلى أرض الخطا وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم وجر الجرائر إلى قبرص والجزائر ثم قهر خلقا بالقاهرة وتنبهت عينه لمصر فأذاهم بالساهرة وأسكن حركة الإسكندرية فعمل شغل الفقراء مع الحريرية . (إسكندرية ذا الوبا ** سبع يمد إليك ضبعه) (صبرا لقسمته التي ** تركت من السبعين سبعه) ثم تيمم الصعيد الطيب وأبرق على برقة منه صيب ، ثم غزى غزة وهز عسقلان هزة ، وعك إلى عكا ، واستشهد بالقدس ، وزكى فلحق من الهاربين الأقصى بقلب كالصخرة ، ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مرة ، ثم طوى المراحل ونوى أن يلحق الساحل ، فصاد صيدا ، وبغت بيروت كيدا ، ثم سدد الرشق إلى جهة دمشق ، فتربع ثم وتميد وفتك كل يوم بألف وأزيد فأقل الكثرة وقتل خلقا ببثرة . ومنها : (أصلح الله دمشقا ** وحماها عن مسبه) (نفسها خست إلى أن ** تقتل النفس بحبه) ثم أمر المزة وبرز إلى برزة وركب تركيب مزج على بعلبك وأنشد في قارة قفانبك ورمى حمص بجلل وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل ثم طلق الكنه في حماه فبردت أطراف عاصيها من حماه : (يا أيها الطاعون أن حماه من ** خير البلاد ومن أعز حصونها) (لا كنت حين شممتها فسممتها ** ولثمت فاها آخذا بقرونها) ثم دخل معرة النعمان فقال لها : أنت مني في أمان ، حماه تكفيك فلا حاجة لي فيك . (رأى المعرة عينا زانها حور ** لكن حاجبها بالجور مقرون) (ماذا الذي يصنع الطاعون في بلد ** في كل يوم له بالظلم طاعون) ثم سرى إلى سرمين والفوعة فشعث على السنة والشيعة ، فسن للسنة اسنته شرعا

." (١)

" قلت : (أخ أبقى ببذل المال ذكرا ** وإن لاموه فيه ووبخوه) (أزال فراقه لذات عيشي ** وكل أخ مفارقه أخوه) وفيه : توفي الشيخ علي بن الشيخ محمد بن القدوة نبهان الجبريني ، بجبرين ، وجلس على السجادة ابنه الشيخ محمد الصوفي ، كان الشيخ علي بحرا في الكرم رحمه الله ورحمنا بهم آمين . وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة ورد البريد من مصر بتوليه قاضي القضاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح قضاء الشافعية بالمملكة الحلبية وسررنا بذلك ولله الحمد . وفيه : ظهر بمنبج على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد أخي خديجة رضي الله عنها وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ ينبوب وهما داخل منبج ، وعلى قبر الشيخ علي

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢/٣٣٩

وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج أنوار عظيمة ، وصارت الأنوار تنتقل من قبر بعضهم وتجتمع وتتراكم ودام ذلك إلى ربع الليل حتى انبهر لذلك أهل منبج وكتب قاضيهم بذلك محضرا وجهزه إلى دار العدل بحلب ، ثم أخبرني القاضي بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من أهل منبج أيضا ، وهؤلاء السادة هم خفراء الشام ونرجو من الله تعالى ارتفاع هذا **الوباء الذي** كاد يفني العالم ببركتهم إن شاء الله تعالى . قلت : (إشفعوا يا رجال منبج فينا ** لارتفاع الوبا عن البلدان) (نزل النور في الظلام عليكم ** إن هذا يزيد في الإيمان) وفيها : في ذي الحجة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون منزلته في الإنشاء معروفة وفضيلته في النظم والنثر موصوفة كتب السير للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محيي الدين ، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين ، وكتب السر بدمشق ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف حتى مات عن نعمة وافرة دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل بالمدرسة التي أنشأتها ففرح لي بها وأنشد فيه بيتين أرسلهما إلي بخطه وهما : (وفي بلد المعرة دار علم ** بني الوردي منها كل مجد) (هي الوردية الحلواء حسنا ** وماء البئر منها ماء ورد) فأجبته بقولي : (أمولانا شهاب الدين إني ** حمدت الله إذ بك تم مجدي) (جميع الناس عندكم نزول ** وأنت جبرتني ونزلت عندي) هذا آخر ما وجد من التاريخ لمؤلفه الشيخ زين الدين عمر ابن الوردي رحمه الله تعالى .

(١) ".

"في الامور الطبيعية ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات الاحتكار مفقودا

فشمل الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢/٣٤٢

الدولة فيكثر الهرج والقتل أو **وقوع الوباء وسببه** في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد إلى مزاجه فإن كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامزجة وتمرض الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة أن تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا أيضا فإن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء الفصل الحادي والخمسون في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره إعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون." (١)

"من الحنطة وما في معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الادم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فإذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري من القوت وما في معناه وغلت أسعار الكمالي من الادم والفواكه وما يتبعها وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس.

والسبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها إذ كل أحد لا يهمل قوت نفسه ولاقوت منزله لشهره أو سنته فيعم اتخاذها أهل المصر أجمع أو الاكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فتفضل عنه وعن أهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثيرين من أهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن أهل المصر من غير شك فترخص أسعارها في الغالب إلاما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران.

وأما سائر المرافق من الادم والفواكه وما إليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها أعمال أهل المصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم إن المصر إذا كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٠٢/١

على طلب تلك المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم أهل الاغراض ويبذل أهل الرفه والترف أثمانها باسراف **في الغلاء لحاجتهم** إليها أكثر من غيرهم فيقع **فيها الغلاء كما** تراه.

وأما الصنائع والاعمال أيضا في الامصار الموفورة العمران **فسبب الغلاء فيها** أمور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز أهل الاعمال لخدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتهان غيرهم وإلى استعمال الصناع في مهنهم فيبذلون في ذلك لاهل الاعمال أكثر من قيمة أعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاسئثار بها فيعتز العمال والصناع وأهل الحرف وتغلو أعمالهم وتكثر نفقات أهل المصر في ذلك.

وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت." (١)

"حاجات ساكنه من أجل الترف وتعتاد تلك الحاجات لما يدعو إليها فتنقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالبة بازدحام الاغراض عليها من أجل الترف وبالمغارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم **فيها الغلاء في** المرافق والاوقات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حنئذ إلى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤونتهم والبدوي لم

يكن دخله كثيرا ساكنا بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثل كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه وعزة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته بأقل الاعمال لانه قلل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤونته فلا يضطر إلى المال وكل من يتشوف إلى المصر وسكناه من البادية فسريعا ما يظهر عجزه ويفتضح في استيطانه إلا من يقدم منهم تأثل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري إلى الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فحينئذ ينتقل إلى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم وترفهم وهكذا شأن بداءة عمران الامصار والله بكل شئ محيط الفصل الرابع عشر في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقر مثل الامصار إعلم أن ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سيأتي ذكره من أنها سبب للثروة بما يفضل

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٦٣/١

عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثلونه حسبما نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيتزيد الرفه لذلك وتتسع الاحوال ويجئ الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتتفنن في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتشييد الامصار.

واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها." (١)

"بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت فيه أرزاق القضاة والائمة والمؤذنين فوقفته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع إليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لا رب سواه الفصل الثامن في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو وذلك لانه أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاه ولذلك لا تجده ينتحله أحد من

أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة إلى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق الفصل التاسع في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها إعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالمحاول لذلك الربح إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الاسواق من الرخص **إلى الغلاء فيعظم** ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه." (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٦٥/١

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٣٩٤/١

"سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا إلى المشرق لبعد الشقة أيضا وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها والله هو الرزاق ذو القوة المتين الفصل الثالث عشر في الاحتكار ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤم وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أن الناس لحاجتهم إلى الاقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في وباله على من يأخذه مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل وهذا وإن لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها وإنما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى أعلم. وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض
مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن المليلي وقد عرض عليه أن يختار بعض الالقاب المخزنية لجرايته قال فأطرق مليا ثم قال من مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك فقال إذا كانت الجبايات كلها حراما فأختار منها ما لا تتابعه نفس معطيه والخمر قل أن يبذل فيها أحد ماله إلا وهو طرب مسرور بوجوداته غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور." (١)

"الفصل الرابع عشر في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص وذلك أن الكسب والمعاش كما قدمناه إنما هو بالصنائع أو التجارة والتجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فإذا استديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والنساء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس أموالهم واعتبر ذلك أولا بالزرع فإنه إذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره من الفلح

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١/٣٩٧

والزراعة لقلة الربح فيه وندارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤوس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث إلى صيرورته مأكولا وكذا يفسد حال الجند إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلح زرعا فإنها تقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن
إقامة الجندية التي هي بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا إذا استديم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات إذا استديم فيها الرخص فإذا الرخص المفرط يجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخبص **وكذا الغلاء المفرط** أيضا وإنما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع إلى العوائد المتقررة بين أهل العمران وإنما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه واضطرار الناس إلى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم." (١)

"* (**مجاعة** عام الرمادة وطاعون عمواس) * وأصاب الناس سنة ثمان عشرة قحط شديد وجدب أعقب جوعا بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس وكتب إلى الامراء بالامصار يستمدهم لاهل المدينة فجاء أبو عبيدة باربعة آلاف راحلة من الطعام وأصلح عمرو بن العاصى بحر القلزم وراسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر واستقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعوا لى أن مطر الناس وهلك بالطاعون أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابنه عتبة في آخرين أمثالهم وتفانى الناس بالشأم وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتفع بالمسلمين من الارض التى هو بها فدعا أبا موسى يرتاد له منزلا ومات قبل رحيله وسار عمر بالناس إلى الشام وانتهى إلى سرغ ولقيه أمراء الاجناد وأخبروه **بشدة الوباء واختلف** الناس عليه في قدومه فقبل اشارة العود ورجع وأخبر عبد الرحمن بن عوف بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في **أمر الوباء فقال** إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه أخرجاه في الصحيحين (ولما) هلك يزيد ولى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان وعلى الارض شرحبيل بن حسنة ولما فحش أثر الطاعون بالشأم

(١) تاريخ ابن خلدون، ١/٣٩٨

أجمع عمر على المسير إليه ليقسم مواريث المسلمين ويتطوف على الثغور ففعل ذلك ورجع واستقضى في سنة ثمان عشرة على الكوفة شريح بن الحرث الكندى وعلى البصرة كعب بن سوار الازدي وحج في هذه السنة ويقال أن فتح جلولا والمدائن والجزيرة كان في هذه السنة وقد تقدم ذكر ذلك وكذلك فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين (فتح مصر)

ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاصى في فتح مصر فأغزاه ثم اتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين أو احدى أو اثنين أو خمس فاقتحموا باب اليون ثم ساروا في قرى الريف إلى مصر ولقيهم الجاثليق أبو مريم والاسقف قد بعثه المقوقس وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم وأجلهم ثلاثا ورجعوا إلى المقوقس وارطبون أمير الروم فأبى من ذلك ارطبون وعزم على الحرب وبيت المسلمين فهزموه وجنده ونازلوا عين شمس وهى المطرية وبعثوا لحصار الفرما أبرهه بن الصباح ولحصار الاسكندرية عوف." (١)

"أرستبلوس وأصحابه وامتنع فقتلوه ووقع **فيهم الوباء فمات** منهم أمم قال ابن كريون وكان الارمن ببلاد دمشق وحمص وحلب وكانوا في طاعة الروم فانتقضوا عليهم في هذه المدة

وحدثت عندهم صاغية إلى الفرس فبعث الروم قائدهم فمقيوس فخرج لذلك من رومية وقدم بين يديه قائده سكانوس فطوع الارمن ولحق دمشق ثم لحقه فمقيوس ونزل بها وتوجهت إليه وجوه اليهود في أثرهم وبعث إليه ارستبلوس من القدس وهرقانوس من مكان حصاره كل واحد منهما يستنجده على أخيه وبعثوا إليه بالاموال والهدايا فأعرض عنها وبعث إلى هرثمة ينهاه عن الدخول بينهما فرحل عن القدس ورحل معه هرقانوس وانظفتر وأعاد ارستبلوس رسله وهداياه من بيت المقدس وألح في الطلب وجاء انظفتر إلى فمقيوس بغير مال ولا هدية فنكث عنه فمقيوس فرجع إلى رغبته ومسح أعطافه وضمن له طاعة هرقانوس الذى هو الكهنوت الاعظم ويحصل بعد ذلك إضعاف ارستبلوس فأجابه فمقيوس على أن يتحيل له في الباطن ويكون ظاهره مع ارستبلوس حتى يتم الامر وعلى أن يحملوا الخراج عند حصول أمرهم فضمن انظفتر ذلك وحضر هرقانوس وارستبلوس عند فمقيوس القائد يتظلم كل واحد من صاحبه فوعدهم بالنظر بينهم إذا حل بالقدس وبعث انظفتر في جميع الرعايا فجاؤا شاكين من ارستبلوس فأمره فمقيوس من انصافهم فغضب لذلك واستوحش وهرب من معسكر فمقيوس وتحصن في القدس وسار فمقيوس في أثره فنزل اريحا ثم القدس وخرج ارستبلوس واستقال فأقاله وبذل له الاموال على أن يعينه على أخيه ويحمل له ما في الهيكل من

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١١٤/٢

الاموال والجواهر وبعث معه قائده لذلك فمنعهم الكهنونية وثارت بهم العامة وقتلوا بعض أصحاب القائد وأخرجوه فغضب فمقيوس وتقبض لحيته على ارستبلوس وركب ليقتحم البلد فامتنعت عليه وقتل جماعة من أصحابه فرجع وأقام عليهم ووقعت الحرب بالمدينة بين شيع ارستبلوس وهرقانوس وفتح بعض اليهود الباب لفمقيوس فدخل البلد وملك القصر وامتنع الهيكل عليه فأقام يحاصره أياما وصنع آلة الحصار فهدم بعض أبراجه واقتحمه عنوة ووجد الكهنونية على عبادتهم وقرباتهم مع تلك الحرب ووقف على الهيكل فاستعظمه ولم يمد يده إلى شئ من ذخائره وملك عليهم هرقانوس وضرب عليهم الخراج

يحمله كل سنة ورفع يد اليهود عن جميع الامم الذين كانوا في طاعتهم ورد عليهم البلدان التى ملكها بنو حشمناى ورجع إلى رومة واستخلف هرقانوس وانظفتر على المقدس وأنزل معهما قائده سكانوس الذى قدمه لفتح دمشق وبلاد الارمن عندما خرج من رومية وحمل ارستبلوس وابنيه مقيدين معه وهرب الثالث من بنيه وكان يسمى الاسكندر ولحقه فلم يظفر به ولما بعد فمقيوس عن الشأم ذاهبا إلى مكانه خرج هرقانوس وانظفتر إلى." (١)

"اوراليانوس بعده وكان محبوبا وقال بطليموس صاحب المجسطى انه رصد الاعتدال الخريفى في ثالثة ملك انطونيوس فكان لاربعمائة وثلاث وستين بعد الاسكندر ثم هلك انطونيوس لثنتين وعشرين كما مر فملك من بعده اوراليانس قال هروشيوش وهو أخو انطونيوس وسماه اورالش وانطونيوس الاصغر وقال كانت له حروب مع أهل فارس وبعد أن غلبوا على ارمينية وسورية من ممالكه فدفعهم عنهما وغلبهم في حروب طويلة وأصاب الارض على عهده وباء عظيم وقحط الناس سنتين واستسقى لهم النصارى فأمطروا **وارتفع الوباء والقحط** بعد ان كان اشتد على النصارى وقتل منهم خلقا وهى الشدة الرابعة من بعد نيرون (قال ابن العميد) وفي السابعة من ملكه قدم على الاسكندرية البطرك اغريبوس فلبث اثنى عشر سنة ومات في تاسعة عشر من ملك انطونيوس الاصغر قال وفي أيامه ظهرت مبتدعة من النصارى واختلفت أقوالهم وكان منهم ابن ديصان وغيره فجاهدهم أهل الحق من الاساقفة وأبطلوا بدعتهم وهلك انطونيوس هذا لتسع عشرة من ملكه وفي عاشرة ملكه ظهر اردشير بن بابك أول ملوك الساسانية واستولى على ملك الفرس وكان صاحب الحضر متملكا على السواد فغلبه وملك السواد وقتله وقصته معروفة وكان لعهده جالينوس المشهور بالطب وكان ربى معه فلما بلغه أنه ملك على الروم قدم عليه من بلاد اليونان وأقام عنده وكان لعهده أيضا ديمقراطس الحكيم ولاول سنة من ملكه قدم بليانس بطركا على اسكندرية وهو الحادى عشر من بطاركتها

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٢٥/٢

فلبث فيهم عشر سنين ومات وولى مكانه ديمتويوس فلبث فيهم ثلاثا وثلاثين سنة ومات كمودة قيصر لثلاثة عشر كما قلناه فولى من بعده ورمتيلوش ثلاثة أشهر قال ابن العميد وسماه ابن بطريق فرطنوش وقال وملك ثلاثة أشهر وسماه غيره فرطيخوس وسماه الصعيديون برطانوس ومدة ملكه باتفاقهم شهران وقال هروشيوش اسمه اللبيس بن طيجليس وهو عم كمودة قيصر قال وولى سنة واحدة وقتله بعض قواده وأقام في الملك ستة أشهر وقتل (قال ابن العميد) وملك بعده يوليانس قيصر شهرين ومات ثم ولى سوريانوس قيصر وسماه بعضهم سورس وسماه هروشيوش طباريش بن أرنت بن انطونيش واختلفوا في مدته فقال ابن العميد عن ابن بطريق سبع عشرة سنة وقال المسبحى ثمان عشرة وعن أبى فانيوس ستة وعشرة وعن ابن الراهب ثلاث عشرة وعن الصعيديين سنتين قال وملك في رابعة من ملك اردشير واشتد على النصارى وفتك فيهم وسار إلى مصر والاسكندرية فقتلهم وهدم كنائسهم وشردهم كل مشرد وبنى بالاسكندرية هيكلا سماه هيكل الاله قال هروشيوش وهى الشدة الخامسة من بعد شدة نيرون قال ثم انتقض عليه اللطينيون ولم يزل محصورا إلى ان هلك وملك من." (١)

"عند استيحاشه من ابن الفرات فاستقدمه من واسط وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن وأتباعهما واستوزر حامدا فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها وتحاشى عليه الدواوين فأطلق المقتدر على بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد فكان يزاحمه واستبد بالامور دونه ولم يبق لحامد أمر عليه فأجابه ابن الفرات بأسفه منه وقال لشفيع اللؤلؤي قل لامير المؤمنين حامد انما حمله على طلب الوزارة أنى طالبته بأكثر من ألفى ألف دينار من فضل ضمانه فاستشاط حامد وزاد في السفه فأنفذ المقتدر من رد ابن الفرات إلى محبسه ثم صودر وضرب ابنه المحسن وأصحابه وأخذت منهم الاموال ثم ان حامدا لما رأى استطالة على بن عيسى عليه وكثرة تصرفه في الوزارة دونه ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز واصبهان واستأذنه في الانحدار إلى واسط لاستخراج ذلك فانحدر واسم الوزارة له وأقام على بن عيسى يدبر الامور فأظهر حامد في الاموال وبسط المقتدر يده حتى خافه على بن عيسى ثم تحرك السعر ببغداد فشغبت العامة نهبوا الغلال لان حامدا وغيره من القواد كانوا يخزنون الغلال

وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه وفتقوا السجون ونهبوا دار الشرطة وأنفذ المقتدر غريب الحال في العسكر فسكن الفتنة وعاقب المتصدين للشر وأمر بفتح المخازن التى للحنطة وببيعها فرخص السعر وسكن

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢/٢٠٥

إلى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخزنها فرفع الضمان عن حامد وصرف عماله عن السواد ورد ذلك لعلى بن عيسى وسكن الناس * (وصول ابن المهدى وهو أبو القاسم إلى ابنه) * وفى سنة سبع وثلثمائة بعث المهدى صاحب افريقية أبا القاسم في العساكر إلى مصر فوصل إلى الاسكندرية في ربيع الآخر وملكها ثم سار إلى مصر ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد وكتب إلى أهل مكة في طاعته فلم يجيبوا وبعث المقتدر مؤنسا الخادم إلى مصر لمدافعته فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين وكان الظهور لمؤنس ولقب يومئذ بالمظفر ووصل من افريقية اسطول من ثمانين مركبا مددا للقائهم وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وأمر المقتدر بأن يسير إليهم اسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركبا وعليهم أبو اليمن ومعهم العدد والانفاط فغلبوا اسطول افريقية وأحرقوا أكثر مراكبه وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامى في جماعة قتل أكثرهم وحبس سليمان بمصر وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب وعاد إلى افريقية وانقطع المدد عن عسكر المغاربة **فوقع الغلاء عندهم** وكثر الموتان في الناس والخيل." (١)

"إلى داره فاعتقله بها واضطرب الناس وعظم النهب ونهب دار الخلافة وقبض على أبى أحمد الشيرازي كاتب المستكفى وكان ذلك في جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته ثم بويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر وقد كان المستكفى طلبه حين ولى

لاطلاقه على شأنه في طلب الخلافة فلم يظفر به واختفى فلما جاء معز الدولة تحول إلى داره واختفى عنده فلما قبض على المستكفى بويع له ولقب المطيع لله ثم أحضر المستكفى عنده فأشهد على نفسه بالخلع وسلم عليه بالخلافة ولم يبق للخليفة من الامر شئ البتة منذ أيام معز الدولة ونظر وزير الخليفة مقصور على اقطاعه ونفقات داره والوزارة منسوبة إلى معز الدولة وقومه من الديلم شيعة للعلوية منذ اسلامهم على يد الاطروش فلم يكونوا من شيعة العباسية في شئ ولقد يقال بأن معز الدولة اعتزم على نقل الخلافة منهم إلى العلوية فقال له بعض أصحابه لا تول أحدا يشركك قومك كلهم في محبته والاشتمال عليه وربما يصير لهم دونك فأعرض عن ذلك وسلبهم الامر والنهى وتسلم عماله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه وصار الخليفة انما يتناول منه ما يقطعه معز الدولة ومن بعده فما يسد بعض حاجاته نعم انهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك ولجلوس للوفد واجلالهم في التحية والخطاب وكل ذلك طوع القائم على الدولة وكان يفرد في كل دولة بنى بويه والسلجوقية بلقب السلطان مما لا يشاركه فيه أحد ومعنى الملك من تصريف القدرة واظهار الابهة والعز حاصل له دون

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٧١/٣

الخليفة وغيره وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظا مسلوبة معنى والله المدبر للامور لا اله غيره * (انقلاب حال الدولة بما تجدد في الجباية والاقطاع) * لما استولى معز الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدد من الاستيلاء الذى لم يكن له فاضطر إلى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها وأقطع قواده وأصحابه من أهل عصبيته وغير المساهمين له في الامر جميع القرى التى بجانب السلطان فارتفعت عنها أيدى العمال وبطلت الدواوين واختلف حال القرى في العمارة عما كان في أيدى القواد والرؤساء حصل بهم لاهلها الرفق فزادت عمارتها وتوفر دخلها ولم تكن مناظرتهم في ذلك ولا تقديره عليهم وما كان

بأيدى العامة والاتباع عظم خرابه لما كان يعدم **من الغلاء والنهب** واختلاف الايدى وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعايا والحيف في الجباية واهمال النظر في تعديل القناطر والمشارب وقسم المياه على الارضين فإذا خرجت قراهم ردوها وطلبوا العوض عنها فيصير الآخر منها لما صار إليه الاول ثم أمر معز الدولة قواده وأصحابه." (١)

"فنزل الخالص وعدل طغرل إلى طريق خراسان وأكثرت عساكره النهب ونزل رباط جلولاء وسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة في العساكر فنزل الدسكرة وجاء المسترشد فنزل معه وتوجه طغرل ودبيس فنزلا الهارونية واتفقا أن يقطعا جسر النهروان فيقيم دبيس عل المعابر ويخالفهم طغرل إلى بغداد ثم عاقتهم جميعا عوائق المطر وأصابت طغرل الحمى وجاء دبيس إلى النهروان ليعبر وقد لحقهم الجوع فصادف احمالا من البر والاطعمة جاءت من بغداد للمسترشد فنهبها وأرجف في معسكر المسترشد ان دبيس ملك بغداد فأجفلوا من الدسكرة إلى النهروان وتركوا أثقالهم ولما حلوا بالنهروان وجدوا دبيس وأصحابه نياما فاستيقظ وقبل الارض بين يدى المسترشد وتذلل فهم بصلحه ووصل الوزير ابن صدقة فثناه عن ذلك ثم مد المسترشد الجسر وعبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوما وسار دبيس إلى طغرل ثم اعتزموا على المسير إلى السلطان سنجر ومروا بهمذان فعاثوا في أعمالها وصادروا واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المشترشد والشحنة برتقش * (الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود) * ثم وقعت بين برتقش الزكوى وبين نواب المسترشد نبوة فبعث إليه المسترشد يتهدده فخافه على نفسه وسار إلى السلطان محمود في رجب سنة عشرين فحذر منه وانه ثاور العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه وأشار بمعاجلته قبل أن يستفحل أمره ويمتنع عليه فسار السلطان نحو العراق فبعث إليه المسترشد بالرجوع عن البلاد لما

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤٢١/٣

فيها من الغلاء من فتنة دبيس وبذل له المال وأن يسير إلى العراق مرة أخرى فارتاب السلطان وصدق ما ظنه برتقش وأغذ السير فعبر المسترشد إلى الجانب الغربي مغضبا يظهر الرحيل عن بغداد إذ قصدها السلطان وصانعه السلطان بالاستعطاف وسؤاله في العود فأبى فغضب السلطان ودخل نحو بغداد وأقام المسترشد بالجانب الغربي وبعث عفيفا الخادم من خواصه في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكى بن اقنسقر وكان على البصرة كما ذكرناه فسار إليه وهزمه وقتل من عسكره ونجا عفيف إلى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسد أبواب دار الخلافة الا باب النوبى ووصل السلطان في عشر ذى الحجة من سنة عشرين ونزل باب الشماسية ومنع العسكر عن دور الناس وراسل المسترشد في العود والصلح فأبى ونجا جماعة من عسكر السلطان فنهبوا التاج في أول المحرم سنة احدى وعشرين فضج العامة لذلك واجتمعوا وخرج المسترشد والشمسية على رأسه والوزير من يديه وأمر بضرب الطبول ونفخ الابواق ونادى بأعلى صوته يا لهاشم ونصب الجسر." (١)

"في العساكر وكانت بينه وبين أبى القاسم عدة وقعات ظهر فيما مؤنس وأصاب عسكر أبى القاسم الجهد من الغلاء والوباء فرجع إلى افريقية وكانت مراكبهم قد وصلت من المهدية إلى الاسكندرية في ثمانين اصطولا مددا لابي القاسم وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وكانا شجاعين وسار الاصطول من طرسوس للقائهم في خمسة وعشرين مركبا والتقوا على رشيد وظفرت مراكب طرسوس وأحرقوا وأسروا سليمان ويعقوب فمات سليمان في حبس مصر وهرب يعقوب من حبس بغداد إلى افريقية ثم اغزى المهدى سنة ثمان مضالة بن حبوس في رجالات مكناسة إلى بلاد المغرب فأوقع بملك فاس من الادارسة وهو يحيى بن ادريس بن ادريس بن عمرو واستنزله عن سلطانه إلى طاعة المهدى فأعطى بها صفقته وعقد لموسى بن أبى العافية المكناسى من رجالات قومه على أعمال المغرب ورجع ثم عاود غزو المغرب سنة تسع فدوخه ومهد جوانبه وأغراه قريبه عامل المغرب موسى بن أبى العافية بيحيى بن ادريس صاحب فاس فتقبض عليه وضم فاس إلى اعمال موسى ومحا دعوة الادريسية من المغرب وأجهضهم عن اعماله فتحيزوا إلى بلاد الريف وغمارة واستجدوا بها ولاية كما نذكره في أخبار غمارة ومنهم كان بنو حمود العلويون المستولون على قرطبة عند انقراض ملك الامويين في سنة ثلاث وأربعمائة كما نذكر هنالك ثم صمد مضالة إلى بلاد سجلماسة فقتل أميرها من آل مدرار المكناسيين المنحرف عن طاعة الشيعة وعقد لابن عمه كما نذكر في أخبارهم وسار في أتباعه زناتة في نواحى المغرب فكانت بينه وبينهم حروب هلك مضالة في

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥٠٤/٣

بعضها على يد محمد بن خزر واضطرب المغرب فبعث المهدى ابنه أبا القاسم غازيا إلى المغرب في عساكر كتامة وأولياء الشيعة سنة خمس عشرة وثلثمائة ففر محمد بن خزر واصحابه إلى الرمال وفتح أبو القاسم بلد مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الا باضية والصفرية ونواحى تاهرت قاعدة المغرب الاوسط إلى ما وراءها ثم عاج إلى الريف فافتتح بلد لكور من ساحل المغرب الاوسط ونازل صاحب جراوة من آل ادريس وهو الحسن بن أبى العيش وضيق عليه ودوخ أقطار المغرب ورجع

ولم يلق كيدا ومر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القيروان وقضى الله أن يكونوا أولياء لصاحب الحمار عند خروجه ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة في بلدهم وسماها المحمدية ودفع على بن حمدون الاندلسي من صنائع دولتهم إلى بنائها وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اختطاطها فبناها وحصنها وشحنها با لاقوات فكانت مددا للمنصور في حصار صاحب الحمار كما يذكر ثم انتقض موسى بن أبى العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة وانحرف." (١)

"**فيها الغلاء وكثرت** الفتن وشغل بغداد عنهم بما كان من الفتن بين تختيار بن معز الدولة وعضد الدولة ابن عمه فاعتزم العز على المسير إلى مصر وأخرج جوهر الكاتب إلى المغرب لحشد كتامة وأوغر إلى أعمال برقة لحفر الابار في طريقها وذلك سنة خمس وخمسين فسيره إلى مصر وخرج لتوديعه وأقام أياما في معسكره وسار جوهر وبلغ خبره إلى عساكر الاخشيدية بمصر فافترقوا وكان ما يذكر في أخبارهم وقدم جوهر منتصف شعبان من سنة ثمان وخمسين فدخلها وخطب في الجامع العتيق منه باسم المعتز وأقيمت الدعوة العلوية وفى جمادى من سنة تسع وخمسين دخل جوهر جامع ابن طولون فصلى فيه وأمر بزيادة حى على خير العمل في الاذان فكان أول أذان أذن به في مصر ثم بعث إلى المعز بالهدايا وباعيان دولة الاخشيدية فحبسهم المعز بالمهدية وأحسن إلى القضاة والعلماء من وفدهم وردهم إلى مصر وشرع جوهر في بناء القاهرة واستحث المعز للقدوم على مصر * (فتح دمشق) * ولما فتحت مصر وأخذ بنو طفج هرب منهم الحسن بن عبد الله بن طفج إلى مكة ومعه جماعة من قوادهم فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامى في العساكر إليه فقاتله مرارا ثم أسره ومن كان معه من القواد وبعث بهم إلى جوهر فبعث بهم جوهر إلى المعز بافريقية ودخل جعفر الرملة عنوة فاستباحها ثم أمن من بقى وجبى الخراج وسار إلى طبرية وبها ابن ملهم وقد أقام الدعوة للمعز فتجا في عنه وسار إلى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لايام من المحرم سنة تسع وخمسين وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٩/٤

وكان مطاعا فيهم فجمع الاوباش والذعارو ثار بهم في الجمعة الثانية ولبس السواد وأعاد الخطبة للمطيع فقاتلهم جعفر بن فلاح أياما

وأولى عليهم الهزائم وعاثت جيوش المغاربة في أهل دمشق فهرب ابن أبى يعلى ليلا من البلد وأصبحوا حيارى وكانوا قد بعثوا الشريف الجعفري إلى جعفر في الصلح فأعاده إليهم بتسكين الناس والوعد الجميل وان يدخل البلد فيطوف فيه ويرجع إلى معسكره فدخل وعاث المغاربة في البلد بالنهب فثار ال ناس بهم وحملوا عليهم وقتلوا منهم وشرعوا في حفر الخنادق وتحصين البلد ومشى الشريف أبو القاسم في الصلح بينهم وبين جعفر ابن فلاح فتم ذلك منتصف ذى الحجة من سنة تسع وخمسين ودخل صاحب شرطة جعفر فسكن الناس وقبض على جماعة من الاحداث وقتل منهم وحبس ثم قبض على الشريف أبى القاسم بن أبى يعلى في المحرم من سنة ستين وبعث به إلى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح وكان خرج با فريقية في سنة ثمان وخمسين أبو جعفر الزناتى." (١)

"* (وصول الغزالي الشأم واستيلاؤهم عليه وحصارهم مصر) *كان السلجوقية وعساكرهم من العز قد استولوا في هذا العصر على خراسان والعراقين وبغداد وملكهم طغر لبك وانتشرت عساكرهم في سائر الاقطار وزحف اتسز بن افق من أمراء السلطان ملك شاه وسموه الشاميون أفسفس والصحيح هذا وهو اسم تركي هكذا قال ابن الاثير فزحف سنة ثلاث وثلاثين بل وستين ففتح الرملة ثم بيت المقدس وحصر دمشق وعاث في نواحيها وبها المعلى بن حيدرة ولم يزل يوالى عليها البعوث إلى سنة ثمان وستين وكثر عسف المعلى بأهلها مع ما هم فيه من شدة الحصار فثاروا به وهرب إلى بلسيس ثم لحق بمصر فحبس إلى أن مات ولما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولو عليهم انتصار بن يحيى منهم ولقبوه وزير الدولة ثم اضطربوا مما هم فيه من الغلاء وجاء أمير من القدس فحاصرهم حتى نزلوا على أمانه وأنزل وزير الدولة بقلعة بانياس ودخل دمشق في ذى القعدة وخطب فيها للمقتدى العباسي ثم سار إلى مصر سنة تسع وستين فحاصرها وجمع بدر الجمالى العساكر من العرب وغيرهم وقاتله فهزمه وقتل أكثر أصحابه ورجع اتسز منهزما إلى الشأم فأتى دمشق وقد صانوا مخلفه فشكرهم ورفع عنهم خراج سنة تسع وستين وجاء إلى بيت المقدس فوجدهم قد عاثوا في مخلفه وحصروا أهله وأصحابه في مسجد داود عليه السلام فحاصرهم ودخل البلد عنوة وقتل أكثر أهله حتى قتل كثيرا في المسجد الاقصى ثم جهز أمير الجيوش بذر الجمالى العساكر من مصر مع قائده نصير الدولة فحاصر دمشق وضيق عليها وكان ملك السلجوقية السلطان ملك شاه قد أقطع

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/٤٨

أخاه تتش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشأم وما يفتحه منها فزحف إلى حلب وحاصرها وضيق عليها ومعه جموع كثيرة تمن التركمان فبعث إليه اتسز من دمشق يستصرخه فسار إليه وأجفلت عساكر مصر عن دمشق وخرج اتسز من دمشق للقائه فقتله وملك البلد وذلك سنة احدى وسبعين وملك ملك شاه بعد ذلك حلب واستولى السلجوقية على الشأم أجمع وزحف أمير الجيوش بدر الجمالى من مصر

في العساكر إلى دمشق وبها تاج الدولة تتش فحاصره وضيق عليه وامتنع عليه ورجع وزحفت عساكر مصر سنة ثنتين وثمانين إلى الشأم فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضى عين الدولة بن أبى عقيل كان أبوهم قد انتزى عليها ثم فتحوا مدينة صيدا ثم مدينة جميل وضبط أمير الجيوش البلاد وولى عليها العمال وفى سنة أربع وثمانين استولى الفرنج على جزيرة صقلية وكان أمير الجيوش قد ولى على مدينة صور منير الدولة الجيوشى من طائفته فانتقض سنة ست وثمانين وبعث إليه أمير الجيوش العساكر فثار به أهل المدينة واقتحمت عليهم العساكر وبعث منير الدولة إلى مصر." (١)

"بهم ورجع إلى حلب وقد كان ولى على هذه البلاد قبله أبا بكر محمد بن على بن مقاتل * (استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص) * ولما ارتحل المتقى من الرقة وانصرف الاخشيذ إلى الشأم بقى يأنس المؤنسى بحلب فقصده سيف الدولة وملكها من يده ثم سار إلى حمص فلقيه بها كافور مولى الاخشيذ فهزمه سيف الدولة وسار إلى دمشق فامتنعوا عليه فرجع وجاء الاخشيذ من مصر إلى الشأم وسار في اتباع سيف الدولة فاصطفا بقنسرين ثم تحاجزوا ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة والاخشيذ إلى دمشق ثم سار سيف الدولة إلى حلب فملكها وسارت عساكر

الروم إليها فقاتلهم وظفر بهم ثم بلغ ناصر الدولة بن حمدان ما فعله تورون من سمل المتقى وبيعة المستكفى فامتنع من حمل المال وهرب إليه غلمان تورون فاستخدمهم ونقض الشرط في ذلك وخرج تورون والمستكفى قاصدين الموصل وتردد الرسل بينهما في الصلح فتم ذلك آخر سنة ثلاث وثلاثين وعاد المستكفى وتورون إلى بغداد فتوفى تورون اثر عوده وولى الامور بعده ابن شير زاده واستعمل على واسط قائدا وعلى تكريت آخر فأما الذى على واسط فكاتب معز الدولة ابن بويه واستقدمه فقدم بغداد واستولى على الدولة فخل المستكفى وبايع للمطيع وأما الذى على تكريت فسار إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وسار معه وولاه عليها من قبله * (الفتنة بين ابن حمدان وابن بويه) * ولما خلع معز الدولة بن بويه المستكفى عند استيلائه على بغداد امتعض ناصر الدولة ابن حمدان لذلك وسار من الموصل إلى العراق وبعث معز الدولة

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٦٥/٤

بن بويه قواده فالتقى الجمعان بعكبرا واقتتلوا وخرج معز الدولة مع المطيع إلى عكبرا وكان ابن شير زاده ببغداد وأقام بها ولحق بناصر الدولة بن حمدان وجاء بعساكره إلى بغداد فنزلوا بالجانب الغربي وناصر الدولة بالجانب الشرقي ووقع الغلاء في معسكر معز الدولة والخليفة لانقطاع الميرة وبقى عسكر ابن حمدان في رخاء من العيش الاتصال الميرة من الموصل واستعان ابن شير زاده بالعامة والعمارين على حرب معز الدولة والديلم وضاق الامر بمعز الدولة حتى اعتزم على الرجوع إلى الاهواز ثم أمر أصحابه بالعبور من قطر بال بأعلى دجلة وتسابق أصحاب ناصر الدولة إلى مدافعتهم ومنعهم وبقى في خف من الناس فأجاز إليه شجعان الديلم من أقرب الاماكن فهزموه وملك معز الدولة الجانب الشرقي وأعاد المطيع إلى داره في محرم سنة خمس وثلاثين ورجع ناصر الدولة إلى عكبرا وأرسل في الصلح فوقف الاتراك التورونية الذين معه على خبر رسالته فهموا بقتله فأغذ السير." (١)

"وفي سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة خرج الدمشق في جموع الروم فنازل المصيصة وشد حصارها وأحرق رساتيقها وبلغ إلى نقب السور فدافعه أهلها أشد مدافعتهم ثم رحل إلى اذنة وطرسوس وطال عيثه في نواحيها وأكثر القتل في المسلمين وغلت الاسعار في البلاد وقلت الاقوات وعاود مرض سيف الدولة فمنعه من النهوض إليهم وجاء من خراسان خمسة آلاف رجل غزاة فبلغوا إلى سيف الدولة فارتحل بسببهم للمدافعة فوبد الروم انصرفوا ففرق هؤلاء الغزاة في الثغور من أجل الغلاء وكان الروم قد انصرفوا بعد خمسة عشر يوما وبعث الدمشق إلى أهل المصيصة واذنة وطرسوس يتهددهم بالعود ويأمرهم بالرحيل من البلاد ثم عاد إليهم وحاصر طرسوس فقاتلهم أشد قتال وأسروا بطريقا من بطارقته وسقط الدمشق إلى أهل المصيصة ورجعوا إلى

بلادهم ثم سار يعفور ملك الروم من القسطنطينية سنة أربع وخمسين إلى الثغور وبنى بقيسارية مدينة ونزلها وجهز عليها العساكر وبعث أهل المصيصة وطرسوس في الصلح فامتنع وسار بنفسه إلى المصيصة فدخلها عنوة واستباحها ونقل أهلها إلى بلاد الروم وكانوا نحوا من مائتي ألف ثم سار إلى طرسوس واستنزل أهلها على الامان وعلى أن يحملوا من أموالهم وسلاحهم ما قدروا عليه وبعث معهم حامية من الروم يبلغونهم انطاكية وأخذ في عمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة إليها ثم عاد إلى القسطنطينية وأراد الدمشق بن شمسيق ان يقصد سيف الدولة في ميافارقين ومنعه الملك من ذلك * (انتقاض أهل انطاكية وحمص) * ولما استولى الروم على طرسوس لحق الرشيق النعيمي من قوادهم وأولى الرأى فيهم بانطاكية في عدد وقوة

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٣٥/٤

فاتصل به ابن أبى الاهوازي من الجباة بانطاكية وحسن له العصيان وأراه أن سيف الدولة بميافارقين عاجز عن العود إلى الشأم بما هو فيه من الزمانة وأعانه بما كان عنده من مال الجباة فأجمع رشيق الانتقاض وملك انطاكية وسار إلى حلب وبها عرق‍وبة وجاء الخبر إلى سيف الدولة بأن رشيقا جمع الانتقاض ونجا ابن الاهواز إلى انطاكية فأقام في امارتها رجلا من الديلم اسمه وزير ولقبه الامير وأوهم أنه علوى وتسمى هو با لاشاد واساء السيرة في أهل انطاكية وقصدهم عرقوبة من حلب فهزموه ثم جاء سيف الدولة من ميافارقين إلى حلب وخرج إلى انطاكية وقاتل وزيرا وابن الاهوازي أياما وجئ بهما إليه أسيرين فقتل وزير أو حبس ابن الاهوازي أياما وقتله وصلح أمر انطاكية ثم ثار بحمص مروان القرمطى كان من متابعة القرامطة وكان يتقلد السواهل لسيف الدولة فلما تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها في غيبة سيف الدولة بميافارقين وبعث إليه عرقوبة مولاه بدرا بالعساكر." (١)

"ابن الشميشق من سقاه السم وأحس به من نفسه فأغذ السير إلى القسطنطينية فمات في طريقه وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة في الامر وصاهر أبا ثعلب بن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور وقصد الروم ووالى عليهم الهزائم فخافه الملكان وأطلقا ورديس بن لاوون وبعثاه على الجيوش لقتال الورد فقاتله فانهزم ورد إلى ديار بكر سنة تسع وستين وثلثمائة ونزل بظاهر ميافارقين وبعث أخاه إلى عضد الدولة مستنصرا به وبعث ملكا الروم بالقسطنطينية إلى عضد الدولة فاستمالاه فرجح جانبهما وأمر بالقبض على ورد وأصحابه فقبض عليه أبو على التميمي عامل ديار بكر وعلى ولده وأخيه وأصحابه وأودعهم السجن بميافارقين ثم بعثهم إلى بغداد فحبسوا بها إلى أن أطلقهم بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة خمس وسبعين وشرط عليه اطلاق عدد من المسلمين واسلام سبعة من الحصون برساتيقها وأن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما عاش وجهزه فسار ‍وملك في طريقه ملطية وقوى بما فيه وصالحه ورديس بن لاوون على أن يكون قسطنطينية

وجانب الشمال من الخليج له وحاصر قسطنطينية وبها الملكان ابنا أرمانوس وهما بسيل وقسطنطين في ملكها وأقرا وردا على ما بيده قليلا ثم مات وتقدم بسيل في الملك ودام عليه ملكه وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة وظفر بهم وأجلاهم عن بلادهم وأسكنها الروم * (ولاية بكجور على دمشق) * قد قدمنا ولاية بكجور على حمص لابي المعالى بن سيف الدولة وأنه عمرها وكان أهل دمشق ينتقلون إليها لما نالهم من جور قسام وما وقع بها **من الغلاء والوباء** وكان بكجور يحمل الاقوات من حمص تقربا إلى العزيز صاحب

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/٢٤١

مصر وكاتبه في ولايتها فوعده بذلك ثم استوحش من أبى المعالى سنة ثلاث وسبعين وأرسل إلى العزيز يستنجز وعده في ولاية دمشق فمنع الوزير بن كلس من ولايته ريبة به وكان بدمشق من قبل العزيز القائد بلكين بعثه فمنع الوزير بعد قسام وساء أثر ابن كلس في الدولة واجتمع الكتاميون بمصر على التوثب بابن كلس ودعته الضرورة لاستقدام بلكين من دمشق فأمر العزيز باستقدامه وولى بكجور مكانه فدخلها في رجب سنة ثلاث وسبعين وأساء السيرة فيها وعاث في أصحاب الوزير بن كلس وأقام على ذلك ستا وعجز أهل دمشق منه وجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم وكوتب نزال والى طرابلس بمعاضدته فسار في العساكر وجمع بكجور عسكرا من العرب وغيرهم وخرج للقائه فهزمه منير واستأمن إليه بكجور على أن يرحل عن دمشق فأمنه ورحل إلى الرقة واستولى عليها وتسلم منير دمشق وأقام بكجور بالرقة واستولى على الرحبة ما بجاور الرقة وراسل بهاء الدولة." (١)

"لما صرف المقتدر ذكاء ولى مكانه أبا منصور تكين الخزرى ولاية ثانية فقدم في شعبان سنة سبع وكان عبيد الله المهدى قد جهز العساكر مع ابنه أبى القاسم ووصل إلى الاسكندرية في بيع من سنة سبع وملكها ثم سار إلى مصر وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما إليه وكتب أهل مكة بطاعته وبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم في العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات وجاء الاسطول من افريقية إلى الاسكندرية في ثمانين مركبا مددا لابي القاسم وعليه سليمان بن الخادم ويعقوب الكتامى فسار إليهم في اسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركبا وفيها النفط والمدد وعليها أبو اليمن فالتقت العساكر في الاساطيل في مرسى رشيد فظفر اسطول طرسوس باسطول افريقية وأسر كثير منهم وقتل بعضهم وأطلق البعض وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر وأسر يعقوب الكتامى وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى افريقية واتصل الحرب بين أبى القاسم ومؤنس وكان الظفر لمؤنس **ووقع الغلاء والوباء** في عسكر أبى القاسم ففنى كثير منهم بالموت ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر إلى المغرب واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم ووصل أبو القاسم إلى القيروان منتصف السنة ورجع مؤنس إلى بغداد وقدم تكين إلى مصر كما مرو لم يزل واليا عليها إلى أن صرف في ربيع من سنة تسع * (ولاية أحمد بن كيغلغ) * ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر فقدم في جمادى وصرف لخمسة أشهر من ولايته وأعيد تكين المرة الثالثة فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة وأقام واليا عليها تسع سنين إلى أن توفى في منتصف ربيع الاول سنة احدى وعشرين وفى أيامه جدد المقتدر عهده لابنه

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/ ٢٥٠

أبى العباس على بلاد المغرب ومصر والشأم واستخلف له مؤنسا وذلك سنة ثمان عشرة وقال ابن الاثير وفى سنة احدى وعشرين توفى تكين الخزرى بمصر فولى عليها مكانه ابنه محمد وبعث له القاهر بالخلع وثار به الجند فظفر بهم انتهى * (ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية) * ولاه القاهر في شوال سنة احدى وعشرين بعد أن كان ولى محمد بن طغج وهو عامل دمشق وصرفه لشهر من ولايته قبل ان يتسلم العمل ورده إلى أحمد بن كيغلغ كما قلناه فقدم مصر في رجب سنة ثنتين وعشرين ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وولى الراضي الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد في ألقابه الاخشيذ فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر." (١)

"لمصادرتهم فوثبوا بمن معه من الديلم وقتلوهم واستدعوا دسيم بن ابراهيم فجاء إلى تبريز وملكوه ولحق به الاكراد الذين استأمنوا إلى المرزبان فسار المرزبان في عساكره وحاصرهم دسيم بتبريز وكاتب على بن جعفر وحلف له على الوفاء بما يرومه منه فطلب منه السلامة وترك العمل فاجابه واشتد الحصار على دسيم فهرب من تبريز إلى أردبيل

وخرج الوزير إليه فوفى له المرزبان ثم طلب دسيم أن ينزله بأهله بقلعة من قلاع الطرم ففعل وأقام المرزبان فيها * (استيلاء الروس على مدينة بردعة وظفر المرزبان بهم) * هؤلاء الروس من طوائف الترك ويجاورون الروم في مواطنهم وأخذوا بدين النصرانية معهم منذ أزمان متطاولة وبلادهم تجاور بلاد أذربيجان فركبت طائفة منهم البحر سنة ثنتين وثلاثين ثم صعدوا من البحر في نهر اللكن هر وانتهوا إلى مدينة بردعة من بلاد اذربيجان وبها نائب المرزبان فخرج إليهم في نحو خمسة آلاف مقاتله من الديلم وغيرهم فهزمهم الروس وقتلوا الديلم وتبعوهم إلى البلد فملكوه ونادوا بالامان وأحسنوا السيرة وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية فلم يقدروا عليهم وظاهرهم العوام والرعاع فلما انصرفت العساكر غدرت الروسية بهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم واستعبدوهم وأحزن المسلمين ذلك واستنفر المرزبان الناس وسار لهم وأكمن لهم كمينا وزحف إليهم وخرجوا إليه واستطرد لهم حتى جاوزوا موضع الكمين فاستمر أصحابه على الهزيمة ورجع هو مع أخيه وصاحب له مستميتين وخرج الكمين من ورائهم واستلحم الروسية وأميرهم ونجا فلهم إلى البلد فاعتصموا بحصنه وكانوا قد نقلوا إليه السبى والاموال وحاصرهم المرزبان وصابروه ثم ان ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل بعث إلى ابن عمه الحسين بن سعد بن حمدان في هذه السنة إلى اذربيجان ليملكها فبلغ الخبر إلى المرزبان بأنه انتهى إلى سلماس فجهز عسكرا إلى الروس وسار لقتال ابن حمدان فقاتله أياما ثم

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣١٢/٤

استدعاه ابن عمه ناصر الدولة من الموصل وأخبره بموت تورون وأنه سائر إلى بغداد وأمره بالرجوع فرجع وأما الروس فحاصرهم العسكر أياما واشتد **فيهم الوباء فانقضوا** من الحصن ليلا وحملوا ما قدروا عليه من الاموال ولحقوا باللكن فركبوا سفنهم ومضوا إلى بلادهم وطهر الله البلاد منهم * (مسير المرزبان إلى الرى وهزيمته وحبسه) *

ولما سارت عساكر خراسان إلى الرى وظن المرزبان أن ذلك يشغل ركن الدولة بن بويه عنه وكان قد بعث رسوله إلى معز الدولة ببغداد قصرفه مذموما مدحورا فاعتزم على غزو الرى وطمع في ملكه واستأمن إليه بعض قواد الرى وأغراه بذلك وراسله ناصر." (١)

"في القتل والسبي والنهب ونجا كثير من أهلها إلى البربر والعرب في نواحيها ثم رفعوا السيف ونادوا بالامان فتراجع المسلمون إلى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ونادوا في صقلبة بالمسير إلى طرابلس فسار إليها الناس وحسنت عمارتها * (استيلاء الافرنج على المهدية) *كانت قابس عندما اختل نظام الدولة الصنهاجية واستبد بها ابن كامل بن جامع من قبائل رياح احدى بطون هلال الذين بعثهم الجرجرائى وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس وقومه فأضرعوا الدولة وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها واستبد آخرون من أهل البلاد بمواضعهم فكانت قابس هذه في قسمة بنى دهمان هؤلاء وكان لهذا العهد رشيد أميرا بها كما ذكرنا ذلك في أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر وتوفى رشيد سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ونصب مولاه يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمرا واستبد على محمد وتعرض لحرمه سرا وكان فيهن امرأة رشيد وساروا إلى التمحض بصاحب المهدية يشكون فعله وكاتبه الحسن في ذلك فلم يجبه وتهدده بادخال الافرنج إلى قابس فجهز إليه العساكر وبعث يوسف إلى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قابس كما ولى ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بمداخلته للافرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فملكوه عنوة وأخذ يوسف أسيرا وملك معمر قابس مكان أخيه محمد وامتحن يوسف بأنواع العذاب إلى أن هلك وأخذ

بنو قرة أختهم ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به **وكان الغلاء قد** اشتد بافريقية سنة سبع وثلاثين ولحق أكثر أهلها بصقلية وأكل بعضهم بعضا وكثر الموتان فاغتنم رجار الفرصة ونقض الصلح الذى كان بينه وبين الحسن بن على صاحب المهدية لسنين وجهز أسطوله مائتين

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥٠١/٤

وخمسين من الشوانى وشحنها بالمقاتلة والسلاح ومقدم الاسطول جرجى بن ميخاييل أصله من المتنصرة وقد ذكرنا خبره في أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة وصادف بها مركبا من المهدية فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر إلى المهدية على أجنحتها بأن أسطول الافرنج أقلع إلى القسطنطينية ثم أقلع فأصبح قريبا من المرسى في ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه وكتب إلى الحسن بأنه باق على الصلح وانما جاء طالبا بثار محمد بن رشيد ورده إلى بلده قابس فجمع." (١)

"وأرسل صلاح الدين إلى الاسكندرية ببعث الاقوات في المراكب إلى عكا وبعث إلى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون انه للافرنج حتى دخلوا إلى المرسى وجاءت بعد الميرة من الاسكندرية ثم جاءت مكلة من الافرنج من وراء البحر في نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها فأخذت ببحر الاسكندرية هي وجميع ما معها ثم كتب البابا كبير الملة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ويخبرهم بوصول الامداد وأنه راسل ملوك الافرنج يحثهم على امدادهم فازدادوا بذلك قوة واعتزموا على مناجزة المسلمين وجمروا عسكرا لحصار وعكا وارتحلوا حادى عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين اثقال العسكر إلى على ثلاثة فراسخ من عكا ولقى الافرنج على التعبية وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر في القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة بعساكر مصر ومن انضم إليهم وعماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر في الميسرة وصلاح الدين في خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الافرنج وعاينوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد إلى معسكرهم فاتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية وأحجروهم وراء خنادقهم ثم ناوشوهم القتال في الثالث والعشرين من شوال بعد ان أكمنوا لهم عسكرا فخرج لهم الافرنج في نحو أربعمائة فارس واستطرد لهم المسلمون إلى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد **واشتد الغلاء على** الافرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صوري مع ما كان يحمل إليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبها سيف الدين على ابن أحمد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم اشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب في فصل الشتاء ثم هجم الشتاء وأرسى الافرنج مراكبهم بصور خوفا عليها على عادتهم في صور في فصل الشتاء ووجد الطريق إلى عكا في البحر فأرسل أهلها إلى صلاح الدين

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢٠٣/٥

يشكون ما نزل بهم وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء
السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر إليها بدلا منهم وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل إلى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وبعث العساكر إليها شيأ فشيأ كلما دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميرا بدلا من ستين كانوا وأهملوا أهل الرجل وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين وكانوا نصارى على الجند في اثباتهم واطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا وضعفت وعادت مراكب الافرنج بعد انحسار الشتاء فانقطعت." (١)

"الطاغية تسمى الرينة وصاحب البر الكبير وتسميهم العامة من أهل الاخبار ملوكا ويعنون انهم متباينون ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وانما كان واحدا وهو طاغية الفرنجة واخوته وبطارقته عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة بأسه فأنزلوا عساكرهم في المدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائلة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم في تخريبها أو دفاعهم عن نزلها وأقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونس ستة أشهر والمدد ياتيه في أساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجل والاسلحة والاقوات وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واتبعه العرب فأصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشوانى بالرماة ومنعوا الطريق إليهم وبعث السلطان في ممالكه حاشدا فوافته الامداد من كل ناحية ووصل أبو هلال صاحب بجاية وجاءت جموع العرب وسد ويكش وولهاصة وهوارة حتى أمده ملوك المغرب من زناتة وسرح إليه محمد بن عبد القوى عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان
وأخرج السلطان ابنيته وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة والمطوعة وهم اسمعيل بن أبى كلداسن وعيسى بن داود ويحيى بن أبى بكر ويحيى بن صالح وأبو هلال عياد صاحب بجاية ومحمد بن عبو وأمرهم كلهم راجع ليحيى بن صالح ويحيى ابن أبى بكر منهم واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم والتزم السلطان القعود بايوانه مع بطانته وأهل اختصاصه وهم الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود وابن أبى الحسين وقاضيه أبو القاسم بن البراء وأخو العيش واتصلت الحرب والتقوا في منتصف محرم سنة تسع بالمنصف فزحف يومئذ يحيى بن صالح وجرون فمات من الفريقين خلق وهجموا على المعسكر بعد العشاء وتدامر المسلمون عنده ثم غلبوا عليه بعد ان قتل

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٢٣/٥

من النصارى زهاء خمسمائة فأصبحت ابنيته مضروبة كما كانت وأمر بالخندق على المعسكر فتعاورته الايدى واحتفر فيه الشيخ أبو سعيد بنفسه وابتلى المسلمون بتونس وظنوا الظنون واتهم السلطان بالتحول عن تونس إلى القيروان ثم ان الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتا يقال حتف أنفه ويقال أصابه سهم غرب في بعض المواقف فأبته ويقال أصابه **مرض الوباء ويقال** وهو بعيد ان السلطان بعث إليه مع ابن جرام الدلاصى بسيف مسموم وكان فيه مهلكه ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياط سمى بذلك لميلاده بها فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وكان أمرهم راجعا إلى العلجة فراسلت المستنصر أن يبذل لها ما خسروه." (١)

"وكان في حمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات، فدخل سيف الدولة فقال له كلاما معناه: أن الروم تحتوي على دارك. فأمر به فدفع، واخرج بعنف، فقضى الله سبحانه أن الروم خرجوا ففتحوا حلب واستولوا على دار سيف الدولة فذكر معبر المنام أنه دخل على سيف الدولة بعدما كان من أمر الروم، فقال له ما كان من أمر ذلك المنام.

وكان المعتصمون بالقلعة والروم بالمدينة تحت السماء ليس لهم ما يظلهم من الهواء والمطر، ويتسللون في الليل إلى منازلهم، فإن وجدوا شيئا من قوت أو غيره، أخذوه وانصرفوا.

ثم إن نقفور أحرق المسجد الجامع وأكثر الأسواق والدار التي لسيف الدولة، وأكثر دور المدينة، وخرج منها سائرا إلى القسطنطينية بعد أن ضرب أعناق الأساري من الرجال، حين قتل ابن أخت الملك؛ وكانوا ألفا ومائتي رجل.

وسار بما معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها. وقال: هذا البلد قد صار لنا، فلا تقصروا في عمارته؛ فإنا بعد قليل نعود إليكم.

وكان عدة من سبي من الصبيان والصبايا بضعة عشر ألف صبي وصبية، وأخذهم معه.

و قيل: إن جامع حلب كان يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وهي الفص المذهب إلى أن أحرقه الدمستق لعنه الله . وإن سليمان بن عبد الملك اعتنى به. كما اعتنى أخوه الوليد بجامع دمشق.

وسار الدمستق عنها يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة من سنة ٣٥١.

واختلف في السبب الذي أوجب رحيل نقفور عن حلب. فقيل: إنه ورد إليه الخبر أن رومانوس الملك وقع من ظهر فرسه في الصيد بالقسطنطينية، وأنهم يطلبونه؛ ليملكوه عليهم.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٦/٢٩٣

وقيل: سبب رحيله أن نجا عاد بجمهور العسكر إلى الأمير سيف الدولة فاجتمع به. وجعل يواصل الغارات على عسكر الروم، وتبلغ غاراته إلى السعدي، وأنه أخذ جماعة من متعلفة الروم، واستنجد سيف الدولة باهل الشام فسار نحوه ظالم بن السلال العقيلي في أهل دمشق، وكان يليها من قبل الإخشيدية، وكان ذلك سبب الرحيل عن حلب.

وكان هذا نقفور بن الفقاس الدمستق، وقد دوخ بلاد الإسلام، وانتزع من أيدي المسلمين جملة من المدن والحصون والمعاقل، فانتزع الهارونية، وعين زربة كما ذكرناه وكذلك دلوك وأذنة، وغير ذلك من الثغور.

ونزل على أذنة في ذي الحجة من سنة ٣٥٢ ولقيه نفير طرسوس فهزمهم وقتل منهم مقدار أربعة آلاف وانهزم الباقون إلى تل بالقرب من أذنة، فأحاط الروم بهم وقاتلوهم وقتلوهم بأسرهم.

وهرب أهل أذنة إلى المصيصة وحاصرها نقفور مدة فلم يقدر عليها بعد أن نقب في سورها نقوبا عدة. وقلت الميرة عندهم فانصرف، بعد أن أحرق ما حولها.

وورد في هذا الوقت إلى حب إنسان من أهل خراسان ومعه عسكر لغزو الروم، فاتفق مع سيف الدولة على ان يقصدا نقفور وكان سيف الدولة عليلا فحمل في قبة، فألفياه وقد رحل عن المصيصة وتفرقت جموع الخراسان **بشدة الغلاء في** هذه السنة بحلب والثغور، **وعظم الغلاء والوباء** في المصيصة وطرسوس حتى أكلوا الميتة.

وعاد نقفور إلى المصيصة، وفتحها بالسيف في رجب سنة ٣٥٤. وفتح أيضا كفربيا في هذه السنة ومرعش. وفتح طرسوس من أيدي المسلمين في شعبان سنة ٣٥٤.

وكان المسلمون يخرجون في كل سنة ويزرعون الزرع فيأتي بعسكره فيفسده فضعفت، وتخلى ملوك الإسلام عن أهل الرباط بها، وكان فيها فيما ذكر أربعون ألف فارس، وفي عتبة بابها أثر الأسنة إلى اليوم. فلما رأى أهلها ذلك، راسلوا نقفو المذكور، فوصل إليهم، وأجابوه إلى التسليم. وقال لهم: إن كافورا الخادم قد أرسل إليكم غلة عظيمة في المراكب، فإن اخترتم أن تأخذوها وانصرف عنكم في هذه السنة فعلت. فقالوا: لا. واشترطوا عليه أن يأخذوا أموالهم فأجابهم إلى ذلك، إلا السلاح.

ونصب رمحين جعل على أحدهما مصحفا، وعلى الآخر صليبا، ثم قال لهم: من اختار بلد الإسلام فليقف تحت المصحف؛ ومن اختار بلاد النصرانية فليقف تحت الصليب. فخرج المسلمون فحرزوا بمائة ألف ما بين رجل وامرأة وصبي، وانحازوا إلى أنطاكية.

ودخل نقفور إلى طرسوس، وصعد منبرها، وقال لمن حوله: أين أنا. قالوا: على منبر طرسوس. فقال: لا ولكني على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم عن ذلك.." (١)

"٦٣٨ قال عبد الله بن أبي الطاهر: ورد الخبر في سنة سبع و ثمانين و مائتين بدخول أبي سعيد القرمطي هجر، و ذلك بعد حصار «٦» أربع سنين، فوصلوا إلى قوم هلكوا جوعا و هزلا و بعد أن **كان الوباء قد** نزل «٧» فيهم، فمات منهم خلق كثير. فقتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف و طرحهم أحياء في النار، فنجا منهم خلق قليل «٨» إلى جزيرة أوال. قال: و بلغني أنه لم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا. فسار جماعة من أصحاب الجنابي إلى حصن يقال له الفلج بينه و بين هجر ستة أيام، و بين هذا الحصن و بين مكة تسعة أيام. و قال قتادة إن أصحاب الرس الذين ذكرهم الله عز و جل في كتابه «٩» كانوا أهل فلج.

٦٣٩ فأما الطريق من البحرين إلى عمان فقد كان في البر، ثم ركبه الرمل، فالطريق بينهما اليوم في البحر بين جبلين يسميان كسير و عوير، و هو موضع

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٣٧٨

كثيرا ما تعطب فيه السفن، حتى تنتهي إلى موضع من البحر يسمى دردور، ثم إلى موضع يقال له حرثان من ساحل عمان.

الطريق من مكة إلى عمان

٦٤٠ يخرج من مكة نحوا من عشرين يوما في «١» طريق معتدل الهواء بري ذي رمل و حصى ينبط فيه كله المياه بأدنى شي ء و بالبحث عليه «٢» باليد، و مراحل الناس في (المنازل التي بها) «٣» الغنم و البقر حتى يفضي إلى مدينة نجران، و هي من بلاد همدان. (ثم تسير في بلاد همدان) «٤» بين قرى و مدائن و عمائر (حتى تفضي إلى قرى صنعاء، و هذا الطريق أبعد الطرق إلا أنها أعدلها هواء و أقلها وباء) «٥».." (٢)

"المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٠١

٨٤٠ و النيل (إذا زاد غاضت «١» الأنهار و العيون و الآبار) «٢»، و إذا غاض زادت و زيادتها «٣» من غيضه و غيضها من زيادته، و هذا عجيب «٤».

---

(١) اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، ص/٢٤

(٢) المسالك والممالك . البكري، ١/٣١٥

و ليس في الدنيا نهر يسمى بحرا و يما غيره. قال الله «٥» تعالى: فاقذفيه في اليم «٦». و سمته العرب بحرا، و ليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل و لا نهر يجنى منه إلا جزء مما يجنى من النيل. و ابتداؤه بالتنفس (في بقية) «٧» حزيران، فإذا انتهت الزيادة ست عشرة ذراعا ففي ذلك تمام خراج السلطان و خصب الناس الكافي، و كان المرعى ناقصا قاصرا «٨» بالبهائم، فإذا بلغ سبع عشرة ذراعا «٩» فذلك الخصب العام و الصلاح التام، فإن زاد إلى ثماني عشرة ذراعا استبحر من مصر الربع و أضر بالضياع و **أعقب الوباء بمصر**، و قد بلغ تسع عشرة ذراعا سنة تسع و تسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز.

٨٤١ قال عبد الملك بن حبيب: خروج النيل و جريته من أول ما يبدأ إلى توقفه و رجوعه سبعة و ثمانون يوما، أول ذلك لخمس بقين «١٠» من حزيران- و هو «١١» بونه. و ذكر أن الله تعالى «١٢» جعل نيل مصر معادلا لأنهار الدنيا في «١٣» المادة و مياهها الجارية، فحين يبتدئ في الزيادة تنقص كلها و حين يبتدئ بالنقصان تزيد كلها بمدة لها «١٤» كما نقصت بجزره منها «١٥».

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٠٢

٨٤٢ و مساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنتي عشرة ذراعا «١» ثمانية و عشرون إصبعا، و ما زاد على الاثني عشر مساحة الذراع أربعة و عشرون إصبعا. و إذا انصرف الماء عن ثلاث عشرة ذراعا إلى أربع عشرة استسقى الناس بمصر و كان الضرر الشديد. و هم يسمون هذين الذراعين منكرا و نكيرا. و في خمس عشرة ذراعا «٢» لا يستسقى و كان نقصا من خراج السلطان و الغلات.." (١)

"و الموز بها كثير، و هي تمير القيروان بأصناف الفواكه، و بها شجر التوت الكثير و يقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات «١» من غيرها، و حريرها أطيب الحرير و أرقه و ليس في عمل إفريقية حرير إلا في قابس، و اتصال بساتين ثمارها مقدار أربعة أميال و مياهها سائحة مطردة يسقى بها جميع أشجارها، و أصل هذا الماء من عين خرارة «٢» في جبل بين القبلة و الغرب منها يصب في بحرها. و بها قصب السكر كثير. و بقابس منار منيف، و يحدو الحادي عند قدومه من مصر إلى إفريقية فيقول [رجز]:

لا نوم لا نوم «٣» و لا قرارا حتى أرى قابس و المنارا

١١١٣ و ساحل مدينة قابس مرفأ «٤» للسفن من كل مكان، و حوالي قابس قبائل من البربر لواتة و لماية

---

(١) المسالك والممالك . البكري، ٤١٢/١

و نفوسة و مزانة و زواغة «٥» و زواوة و قبائل شتى أهل أخصاص. و كانت ولايتها منذ دخل عبيدالله «٦» إفريقية تتردد في بني لقمان الكتامي. قال الشاعر [سريع]:

لولا ابن لقمان حليف الندى سل على قابس سيف الردى

١١١٤ و تجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازو «٧» بينهما مسيرة أكثر من يوم عامرة آهلة و كثيرا ما يمتنع أهلها على السلاطين «٨»، و بين مدينة قابس و البحر ثلاثة أميال. و مما يذكرون من معائبها أن أكثر دورهم لا

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٦٦٧

مذاهب فيها «١» و إنما يتبرزون في الأفنية و لا يكاد أحد منهم يفرغ من قضاء حاجته إلا و قد وقف عليه من يبتدر أخذ ما يكون منه لتدمين البساتين، و ربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاجرون «٢» فيه فيخص به من أراد منهم، و كذلك نساؤها لا يرين «٣» في ذلك عليهن حرجا إذا سترت إحداهن وجهها و لم يعلم من هي. و يذكر أهل قابس أنها كانت أصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا أن تحته مالا، فحفروا موضعه فأخرجوا منه تربة غبراء، فحدث **عندهم الوباء من** حينئذ بزعمهم.." (١)

"وخامسهم: زمري المذكور، أحرق في قصره. وأما سادسهم تبني: فإنه ولي الملك خمس سنين بشركة عمري. وأما سابعهم عمري: فإنه بعد موت تبني استقل بالملك بمفرده. وعمري المذكور هو الذي بني صبصطية، وجعلها دار ملكه. وأما ثامنهم أحؤب: فهو ابن عمري، وقتل في حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق. وأما تاسعهم أحزيو: فهو ابن أحؤب المذكور، وكان موته بأن سقط من روشن له فات. وأما عاشرهم ياهورام: فهو وأخو أحزيو المذكور، وكان في أيامه الغلاء. وأما حادي عشرهم ياهو: فهو ابن نمشي. وأما ثاني عشرهم يهوياحاز: فهو ابن ياهو المذكور. وأما: ثالث عشرهم يؤاش: فهو ابن يهوياحاز. وأما رابع عشرهم يربعم الثاني: فهو ابن يؤاش، وقوي في مدة ملكه، وارتجع عدة من قرى بني إسرائيل، كانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنسر، وعلى عهده كان يونس النبي عليه السلام. وأما خامس عشرهم يقحيوء فإن مدته لم تطل، وأما سادس عشرهم باقح، فـءلى أيامه حضر ملك الجزيرة وغزا الأسباط المذكورين، وأخذ منهم جماعة إلى بلده، وأجلى بعضهم إلى خراسان، وأما سابع عشرهم هو شاع، فهو ابن إيلا، ولما تولى أطاع صاحب الجزيرة، واسمه سلمناصر وقيل فلنصر، وبقي هو شاع في طاعته تسع سنين، ثم عصاه، فأرسل صاحب الجزيرة المذكور، وحاصره ثلاث سنين، وفتح بلده صبصطية، وأجلاه وقوه إلى بلد خراسان،

---

(١) المسالك والممالك . البكري، ٢/ ٥٠

وأسكن موضعهم السامرة وكان ذلك في السنة السادسة من ملك حزقيا، فانضم من سلم من الأسباط إلى حزقيا، ودخلوا تحت طاعته.

سنحاريب

وملك حزقيا تسعا وعشرين سنة، وكان عمره لما ملك عشرين سنة، وكان من الصلحاء الكبار، وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة، فزاده الله تعالى في عمره خمس عشرة سنة، وأمره أن يتزوج وأخبره بذلك نبي كان في زمانه. وفي أيام ملك حزقيا، قصده سنحاريب ملك الجزيرة، فخذله الله تعالى، ووقعت الفتنة في عسكره فولى راجعا، ثم قتله اثنان من أولاده في نينوى، وكان أشعيا النبي قد أخبر بني إسرائيل أن الله تعالى يكفيهم شر سنحاريب بغير قتال، ثم إن ولديه اللذين قتلاه في نينوى، هربا إلى جبال الموصل، ثم سار إلى القدس، فأمنا بحزقيا، وكان اسمهما اذرمالخ وشراصر.

أسرحدون

وملك بعد سنحاريب ابنه الآخر، واسمه اسرحدون، وعظم بذلك أمر حزقيا، وهادنته الملوك، وملك حسبما ذكرنا تسعا وعشرين سنة، وتوفي، فيكون وفاة حزقيا في أواخر سنة ستين وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام – حزقيا بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر القاف وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف – .

منشا

ثم ملك بعده ابنه منشا، وكان عمره لما ملك اثنتي عشرة سنة، فعصى لما تملك، وأظهر العصيان والفسق والطغيان مدة اثنتين وعشرين سنة من ملكه، غزاه صاحب الجزيرة.

ثم إن منشا أقلع عما كان منه، وتاب إلى الله توبة نصوحا حتى مات، وكانت مدة ملكه خمسا وخمسين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة تسعمائة وخمس عشرة – منشا بميم لم يتحقق حركتها ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف – ثم ملك بعده ابنه آمون سنتين، فيكون وفاته في أواخر سنة سبع عشرة وتسع مائة لوفاة موسى – آمون بهمزة ممالة وميم مضمومة ثم واو ونون – ثم ملك بعده ابنه يوشيا، ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة، وجدد عمارة بيت المقدس، وأصلحه. وملك يوشيا المذكور إحدى وثلاثين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة ثمان وأربعين وتسعمائة – يوشيا بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم ألف.

ثم ملك بعده ابنه

يهوياحوز

ولما ملك يهوياحوز، غزاه فرعون مصر وأظنه فرعون الأعرج، وأخذ يهوياحوز أسيرا إلى مصر فمات بها، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر، فيكون انقضاء مدة ملكه في السنة المذكورة - أعني سنة ثمان وأربعين وتسعمائة أو بعدها بقليل - .

يهوياقيم." (١)

"وهو حادي عشر خلفاء بني أمية، لما مات هشام، نفذت الكتب إلى الوليد، وكان الوليد مقيما في البرية بالأزرق خوفا من هشام، وكان الوليد وأصحابه في ذلك الموضع في أسوأ حال، ولما اشتد به الضيق، أتاه الفرج بموت هشام، وكانت البيعة للوليد يوم الأربعاء، لثلاث خلون من ربيع الآخر، من هذه السنة أعني سنة خمس وعشرين ومائة، وعكف الوليد على شرب الخمر، وسماع الغناء ومعاشرة النساء، وزاد الناس في أعطيتهم عشرات، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة أخرى، ولم يقل في شيء سئله لا.

انتهى النقل من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل، وابتدأت من هنا من تاريخ ابن الأثير الكامل، وفي هذه السنة أعني سنة خمس وعشرين ومائة، توفي القاسم بن أبي برة، وهو من المشهورين بالقراءة.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة، فيها سلم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، خالد بن عبد الله القسري. إلى يوسف بن عمر، عامله على العراق، فعذبه وقتله.

قتل الوليد بن يزيد

بن عبد الملك

في هذه السنة، قتل الوليد، قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي يقال له يزيد الناقص، وكان مقتله في جمادى الآخرة، سنه ست وعشرين ومائة، بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه الخمر، ومنادمة الفساق، فثقل ذلك على الرعية والجند، وأذى بني عميه هشام والوليد، فرمره بالكفر، وغشيان أمهات أولاد أبيه، ودعا يزيد إلى نفسه، واجتمعت عليه اليمانية، ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك عن ذلك، وتهدده، فأخفى يزيد الأمر عن أخيه، وكان يزيد مقيما بالبادية، لوخم دمشق، فلما، اجتمع له أمره، قصد دمشق متخفيا في سبعة نفر، وكان بينه وبينها مسيرة أربعة أيام، ونزل بجيرود على مرحلة من دمشق، ثم دخل دمشق ليلا، وقد بايع له أكثر أهلها، وكان عامل الوليد على دمشق، عبد الملك بن محمد بن الحجاج، **وجاء الوباء بدمشق** فخرج منها، ونزل قرية قطنا، وظهر يزيد في دمشق، واجتمعت عليه الجند وغيرهم، وأرسل إلى قطنا مائتي

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ١٥/١

فارس، فأخذوا عبد الملك المذكور، عامل الوليد على دمشق بالأمان، ثم جهز يزيد جيشا إلى الوليد بن زيد بن عبد الملك، ومقدمهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ولما ظهر يزيد بن الوليد بدمشق، سار بعض موالي الوليد إليه، وأعلمه، وهو بالأغذف من عمان، فسار الوليد حتى أتى البحرة، إلى قصر النعمان بن بشير، ونازله عبد العزيز، وجرى بينه وبين الوليد قتال كثير، وقصد العباس بن الوليد بن عبد الملك، أخوه يزيد المذكور، اللحوق بالوليد ونصرته على أخيه، فأرسل عبد العزيز، منصور بن جمهور، إلى العباس، فأخذه قهرا، وأتى به إلى عبد العزيز، فقال له: بايع لأخيك، فبايع، ونصب عبد العزيز راية وقال: هذه راية العباس، قد بايع لأمير المؤمنين يزيد، فتفرق الناس عن الوليد، فركب الوليد بمن بقي معه، وقاتل قتالا شديدا، ثم انهزم عنه أصحابه، فدخل القصر وأغلقه، وحاصروه ودخلوا إليه وقتلوه، واحتزوا رأسه، وسيروه إلى يزيد بن الوليد، فسجد يزيد شكرا لله، ووضع الرأس على رمح، وطيف به في دمشق، وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين ومائة، فكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وقيل غير ذلك، وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم، منهمكا في اللهو والشرب وسماع الغناء.

أخبار يزيد بن الوليد

بن عبد الملك

وهو ثاني عشر خلفائهم، استقر يزيد الناقص في الخلافة، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين ومائة، وسمي يزيد الناقص، لأنه نقص الناس العشرات التي زادها الوليد، وقررهم على ما كانوا عليه أيام هشام، ولما قتل الوليد وتولى يزيد الخلافة خالفه أهل حمص، وهجموا دار أخيه العباس بحمص، ونهبوا ما بها، وسلبوا حرمه، وأجمعوا على المسير إلى دمشق لحرب يزيد، فأرسل إليهم يزيد عسكرا، والتقوا قرب ثنية العقاب، فاقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم أهل حمص، واستولى عليها يزيد، وأخذ البيعة عليهم.." (١)

"فقال له العقيقي: هي لأقوام كثيرة: فقال سيف الدولة: لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرؤا منها، فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك، فكاتبوا كافورا يستدعونه، فجاءهم، فأخرجوا سيف الدولة عنهم. ثم استقر سيف الدولة بحلب، ورجع كافور إلى مصر وولى على دمشق بدرا الإخشيدي فأقام سنة ثم وليها أبو المظفر بن طغج.

غير ذلك من الحوادث فيها **اشتد الغلاء وعدم** القوت، ببغداد، حتى وجد مع إنسان صبي قد شواه ليأكله،

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ١٤٢/١

وكثر في الناس الموت، وفيها توفي علي بن عيسى بن الجراح الوزير، وله تسعون سنة. وفيها توفي عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي، وأبو بكر الشبلي الصوفي، وكان أبو الشبلي حاجبا للموفق أخي المعتمد، وحجب الشبلي أيضا للموفق، ثم تاب وصحب الفقراء، حتى صار واحد زمانه في الدين والورع، وكان الشبلي المذكور مالكي المذهب، حفظ الموطأ، وقرأ كتب الحديث، وقال الجنيد عنه: لكل قوم تاج، وتاج القوم الشبلي. وفيه ا توفي محمد بن عيسى، ويعرف بأبي موسى الفقية الحنفي.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة فيها توفي أبو بكر الصولي وكان عالما بفنون الأدب والأخبار، روى عن أبي العباس ثعلب وغيره، وروى عنه الدار قطني وغيره وللصولي التصانيف المشهورة.." (١)

"ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة. فيها أرسل السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بن ميكائيل، فاستولى على همذان وأخذها من كرشاسف بن علاء الدولة ابن كاكويه، واستولى على الدينور وأخذها من أبي الشوك، ثم استولى على الصيمرة.

وفي هذه السنة توفي أبو الشوك، واسمه فارس بن محمد بن عنان، بقلعة السيروان، ولما توفي غدر الأكراد بابنه سعدي، وصاروا مع مهلهل بن محمد أخي أبي الشوك. وفيها قتل عيسى بن موسى الهمذاني صاحب أربل، قتله ابنا أخ له وملكا قلعة أربل، وكان لعيسى أخ آخر اسمه سلار بن موسى قد نزل على قرواش صاحب الموصل لوحشة كانت بين سلار وأخيه عيسى، فلما بلغه قتل أخيه سار قرواش إلى أربل ومعه سلار فملكها وتسلمها سلار، وعاد قرواش إلى الموصل.

وفيها وقع الوباء في الخيل وعم البلاد. وفيها توفي أحمد بن يوسف المنازي وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، وترسل إلى القسطنطينية، وكان من أعيان الفضلاء والشعراء، وجمع المنازي المذكور، كتبا كثيرة وأوقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد، وهي إلى قريب كانت موجودة بخزائن الجامعين، وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا، فأعجبه حسنه فقال فيه:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... وقاه مضاعف النبت العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا ... ألذ من المدامة للنديم

تروع حصاه حالية العذارى ... فيلمس جانب العقد النظيم

والمنازي منسوب إلى مناز جهر، مدينة عند خرتبرت، وهي غير مناز كرد التي من عمال خلاط.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٢١٤/١

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة فيها ملك مهلهل بن محمد عنان أخو أبي الشوك قرميسين والدينور بعد ما كان قد استولى عليهما أخو طغرلبك على ما تقدم ذكره. وفي هذه السنة توفي عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين، وكان الجويني إماما في الشافعية، تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، وهو صاحب وجه في المذهب، وكان عالما أيضا بالأدب وغيره من العلوم، وهو من بني ستبس، بطن من طي.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة في هذه السنة استولى عسكر الملك أبي كاليجار على البطيحة، وأخذوها من صاحبها أبي نصر بن الهيثم، وهرب ابن الهيثم إلى زبرب. وفيها كان بالعراق غلاء عظيم، حتى أكل الناس الميتة، وببغداد حتى خلت الأسواق. وفيها توفي عبد الواحد بن محمد المعروف بالمطرز الشاعر، وأبو الخطاب الشبلي الشاعر. وفيها مات بغراخان محمد بن قدرخان يوسف، وقبض على أخيه عمر بن قدرخان يوسف، وماتا جميعا مسمومين في هذه السنة، وكان قد ملك عمر المذكور في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة حسبما تقدم، فسار شمس الملك طفقاج خان أبو إسحاق إبراهيم بن نصر أيلك خان من سمرقند، وملك بلادهما. وتوفي طفقاج سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة.

موت أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، في رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان، وكان قد سار إلى بلاد كرمان، لخروج عامله بهرام الديلمي عن طاعته، ومرض من قصر مجاشع، وتم سايرا، وقويت به الحمى وضعف عن الركوب، فركب في محفة، فتوفي في جناب، وكان عمره أربعين سنة وشهورا، وكان ملكه العراق أربع سنين وشهرين، ولما توفي نهبت الأتراك الخزائن والسلاح والدواب من العسكر. وكان معه ولده أبو منصور فلاستون بن أبي كاليجار فعاد إلى شيراز وملكها. ولما وصل خبر وفاة أبي كاليجار إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز بن أبي كاليجار، جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد، ثم أرسل الملك الرحيم عسكرا إلى شيراز، فقبضوا على أخيه أبي منصور فلا ستون، وعلى والدته في شوال هذه السنة، وخطب للملك الرحيم بشيراز، ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان، فلقيه من بها من الجند وأطاعوه، ومن جملتهم كرشاسف بن علاء الدولة صاحب

همذان، فإنه كان قد قدم إلى الملك أبي كاليجار لما أخذ منه إبراهيم ينال أخو طغريل بك همذان. غير ذلك من الحوادث." (١)

"في هذه السنة في ربيع الأول وقع الصلح بين بركيارق ومحمد، وكان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وفارس وديار بكر وبالجزيرة والحرمين الشريفين، وكان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد سنجر، فإنه كان يخطب لشقيقه محمد إلى ما وراء النهر، ثم إن بركيارق ومحمدا تراسلا في الصلح واستقر بينهما، وحلفا على ذلك في التاريخ المذكور، وكان الصلح على أن لا يذكر بركيارق في البلاد التي استقرت لمحمد، وأن لا يتكاتبا بل تكون المكاتبة بين وزيريهما، وأن لا يعارض العسكر في قصد أيهما شاء، وأما البلاد التي استقرت لمحمد، ووقع عليها الصلح فهي: من النهر المعروف باسبيدز إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له من العراق بلاد صدقة بن مزيد، ولما وصلت الرسل إلى المستظهر الخليفة بالصلح وما استقر عليه الحال، خطب لبركيارق ببغداد وكان شحنة بركيارق ببغداد أيلغازي بن أرتق.

ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام في هذه السنة سار صنجيل وقد وصله مدد الفرنج من البحر إلى طرابلس وحاصرها برا وبحرا، فلم يجد فيها مطمعا، فعاد عنها إلى جبيل وحاصرها وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى عكا، ووصل إليه من الفرنج جمع آخر من القدس، وحصروا عكا في البر والبحر، وكان الوالي بعكا من جهة خليفة مصر، اسمه بنا ولقبه زهر الدولة الجيوشي، نسبة إلى أمير الجيوش، وجرى بينهم قتال طويل حتى ملك الفرنج عكا بالسيف وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة، وهرب من عكا بنا المذكور إلى الشام ثم سار إلى مصر، وملوك الإسلام إذ ذاك مشتغلون بقتال بعضهم بعضا، وقد تفرقت الآراء واختلفت الأهواء وتمزقت الأموال، ثم إن الفرنج قصدوا حران فاتفق جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق ومعه التركمان فتحالفا واتفقا وقصدا الفرنج واجتمعا على الخابور، والتقيا مع الفرنج على نهر البليخ، فنصر الله تعالى المسلمين وانهزمت الفرنج، وقتل منهم خلق كثير وأسر ملكهم القومص.

ذكر وفاة دقاق في هذه السنة في رمضان توفي الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب دمشق، فخطب طغتكين الأتابك بدمشق لابن دقاق وكان طفلا له سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبلتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة، ثم قطع خطبة بلتاش وأعاد خطبة الطفل، واستقر طغتكين في ملك دمشق.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٢٦٤/١

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة سار صدقة بن مزيد صاحب الحلة إلى واسط واستولى عليها، وضمن البطيحة لمهذب الدولة بن أبي الخير بخمسين ألف دينار. وفيها توفي أمين الدولة أبو سعد الحسن بن موصلايا فجأة، وكان قد أضر، وكان بليغا فصيحا، خدم الخلفاء خمسا وستين سنة، لأنه خدم القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وكان كل يوم تزداد منزلته حتى تاب عن الوزارة، وكان كثير الصدقة جميل السيرة ووقف أملاكه على وجوه البر.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ذكر وفاة بركيارق في هذه السنة ثاني ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشماه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق، وكان مرضه السل والبواسير، وكان بأصفهان، فسار طالبا بغداد، فقوي به المرض في بروجرد، فجمع العسكر وحلفهم لولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر، وجعل الأمير أياز أتابكه فحلف العسكر له، وأمرهم بالمسير إلى بغداد وتوفي بركيارق ببروجرد ونقل إلى أصفهان فدفن بها في تربة عملتها له سريته، ثم ماتت عن قريب فدفنت بإزائه. وكان عمر بركيارق خمسا وعشرين سنة، وكانت مدة وقوع السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسه أحد، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدة، وملك وزواله، وأشرف عدة مرات على ذهاب مهجته في الأمور التي تقلبت به، ولما استقام أمره وأطاعه المخالفون أدركته منيته، واتفق أنه كلما خطب له ببغداد وقع **فيها الغلاء وقاسى** من طمع أمرائه فيه شدائد، حتى إنهم كانوا يحضرون نوابه ليقتلوهم، وكان صابرا حليما كريما حسن المداراة كثير التجاوز، ولما مات بركيارق سار أياز بالعسكر ومعه ملكشاه بن بركيارق، ودخلوا بغداد سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة وخطب لملكشاه بجوامع بغداد على قاعدة أبيه بركيارق.." (١)

"كان قد حصل بإفريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا، ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة إلى هذه السنة، ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم إلى جزيرة صقلية. فاغتنم رجار الفرنجي صاحب صقلية هذه الفرصة، وجهز أسطولا نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا، واسم مقدمهم جرج، وساروا من صقلية إلى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية، وساروا منها وأشرفوا على المهدية ثاني صفر من هذه السنة. وكان في المهدية الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية. فجمع كبراء البلد واستشارهم، فرأوا ضعف حالهم وقلة المؤنة عندهم، فاتفق

(١) المختصر في أخبار البشر، ٢٩٧/١

رأي الأمير حسن ابن علي على إخلاء المهدية، فخرج منها وأخذ معه ما خف حمله، وخرج أهل المهدية على وجوههم بأهليهم وأولادهم، وبقي الأسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول إلى المهدية.
ثم دخلوا المهدية بعد مضي ثلثي النهار المذكور بغير ممانع ولا مدافع، ولم يكن قد بقي من المسلمين بالمهدية ممن عزم على الخروج أحد، ودخل جرج مقدم الفرنج إلى قصر الأمير حسن بن علي، فوجده على حاله لم يعدم منه إلا ما خف حمله، ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن علي، ووجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء غريب، يقل وجود مثله، وسار الأمير حسن بأهله وأولاده إلى بعض أمراء العرب، ممن كان يحسن إليه وأقام عنده، وأراد الحسن المسير إلى الخليفة العلوي الحافظ صاحب مصر، فلم يقدر على المسير لخوف الطرق، فسار إلى ملك بجاية يحيى بن العزيز من بني حماد، فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى أولاده من يمنعهم من التصرف، ولم يجتمع يحيى بهم، وأنزلهم في جزائر بني مزغنان، وبقي الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن علي بجاية في سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وأخذها هي وجميع ممالك بني حماد، فحضر الأمير الحسن عنده، فأحسن إليه عبد المؤمن وأكرمه، واستمر على ذلك في خدمة عبد المؤمن إلى أن فتح المهدية، فأقام فيها واليا من جهته وأمره أن يقتدي برأي الأمير حسن ويرجع إلى قوله، وكان عدة من ملك من بني باديس بن مناذ إلى الحسن، تسعة ملوك. وكانت ولايتهم في سنج إحدى وستين وثلاث مائة، وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم إن جرج بذل الأمان لأهل المهدية وأرسل وراءهم بذلك، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجعوا إلى المهدية.
حصر الفرنج لدمشق في هذه السنة سار ملك الألمان، والألمان بلادهم وراء القسطنطينية، حتى وصل إلى الشام في جمع عظيم، ونزل على دمشق وحصرها، وصاحبها مجير الدين أتق بن محمد بن توري بن طغتكين. والحكم وتدبير المملكة إنما هو لمعين الدين أتز مملوك جده طغتكين. وفي سادس ربيع الأول زحفوا على مدينة دمشق، ونزل ملك الألمان بالميدان الأخضر، وأرسل أتز إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده، فسار بعسكره من الموصل إلى الشام، وسار معه أخوه نور الدين محمود بعسكره، ونزلوا على حمص ففت ذلك في أعضاد الفرنج وأرسل أتز إلى فرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس، فتخلوا عن ملك الألمان وأشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من إمداد المسلمين، فرحل عن دمشق وعاد إلى بلاده، وسلم أتز قلعة بانياس إلى الفرنج حسبما شرطه لهم.
ذكر غير ذلك من الحوادث:

في هذه السنة كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بأرض يغرى من العمق، فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة، وأرسل من الأسرى والغنيمة إلى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل.

وفيها ملك الفرنج من الأندلس مدينة طرطوشة، وجميع قلاعها، وحصون لارده وفيها **كان الغلاء العام** من خراسان إلى العراق إلى الشام إلى بلاد المغرب. وفي ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين قتله الفرنج لما كانوا منازلين دمشق، فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف، قتل فيه شاهنشاه المذكور، وهو أبو الملك المظفر عمر صاحب حماة، وأبو فرخشاه صاحب بعلبك، وكان شاهنشاه أكبر من صلاح الدين، وكانا شقيقين.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وفاة غازي بن زنكي." (١)

"رب دار بالحمى طال بلاها ... عكف الركب عليها فبكاها

كان لي فيها زمان وانقضى ... فسقى الله زماني وسقاها

قل لجيران مواثيقهم ... كلما أحكمنها رثت قواها

كنت مشغوفا بكم إذ كنتم ... شجرا لا يبلغ الطير ذراها

وإذا ما طمع أغرى بكم ... عرض اليأس لنفسي فثناها

فصبابات الهوى أولها ... طمع النفس وهذا منتهاها

لا تظنوا لي إليكم رجعة ... كشف التجريب عن عيني عماها

إن زين الدين أولاني يدا ... لم تدع لي رغبة فيما سواها

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر، وكان أبوه محمد تاجرا يتردد إلى البحرين لتحصيل اللآلئ من المغاصات.

وفيها توفي محمود بن علي بن أبي طالب بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالقاضي، صاحب الطريقة في الخلاف، وصنف فيه التعليقة، وهي عمدة المدرسين في إلقاء الدروس، ومن لم يذكرها فإنما هو لقصور فهمه عن إدراك دقائقها، وكان متفننا في العلوم، وله في الوعظ اليد الطولى.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الخروبة، وعاد إلى قتال الفرنج على عكا، وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبرجة، طول البرج

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٣٢٣/١

ستون ذراعا، جاؤوا بخشبها من جزائر البحر، وعملوها طبقات، وشحنوها بالسلاح والمقاتلة، ولبسوها جلود البقر، والطين بالخل، لئلا يعمل فيها النار، فتحايل المسلمون وأحرقوا البرج الأول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح، ثم أحرقوا الثاني والثالث، وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة، ووصل إلى السلطان العساكر من البلاد، وبلغ المسلمين وصول ملك الألمان، وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل، واهتم المسلمون لذلك، وآيسوا من الشام بالكلية، فسلط الله تعالى على **الألمان الغلاء والوباء** فهلك أكثرهم في الطريق، ولما وصل ملكهم إلى بلاد الأرمن نزل في نهر هناك يغتسل فغرق، وأقاموا ابنه مقامه، فرجع من عسكره طائفة إلى بلادهم، وطائفة خامرت ابن الملك المذكور فرجعوا أيضا ولم يصل مع ابن ملك الألمان إلى الفرنج الذين على عكا غير تقدير ألف مقاتل، وكفى الله المسلمين شرهم، وبقي السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال إلى العشرين من جمادى الآخرة، فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل، وأزالوا الملك العادل عن موضعه، وكان معه عسكر مصر، فعطفت عليه المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا، فعادوا إلى خنادقهم، وحصل للسلطان مغص فانقطع في خيمة صغيرة، ولولا ذلك لكانت الفيصلة، ولكن إذا أراد الله أمرا فلا مرد له.

ذكر غير ذلك من الحوادث في هذه السنة، لما قوي الشتاء واشتدت الرياح، أرسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم إلى صور، خوفا عليها أن تنكسر، فانفتحت الطريق إلى عكا في البحر، وأرسل البدل إليها، فكان العسكر الذين خرجوا منها أضعاف الواصلين إليها. فحصل التفريط بذلك لضعف البدل.

وفيه، في ثامن شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل وكان مع السلطان في عسكره، ولما توفي أقطع السلطان صلاح الدين أربل أخاه مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك، وأضاف إليه شهرزور وأعمالها، وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها، وسار مظفر الدين إلى أربل وملكها.

وفيها استولى الخليفة الناصر لدين الله على حديثة عانة بعد حصرها مدة. وفيها أقطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسمساط والموزر، الملك المظفر تقي الدين عمر، زيادة على ما بيده، وهو ميافارقين، ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس ومكرابيك.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

ذكر استيلاء الفرنج على عكا:." (١)

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٣٦٣/١

"في هذه السنة، قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد، وكان صاحب ميافارقين حينئذ، الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة، فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة، وصبر أهل ميافارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد، ودام ذلك حتى كان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها **اشتد الوباء بالشام**، خصوصا بدمشق، حتى لم يوجد مغسل للموتى.

وفيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق، ولده الملك العزيز محمد، وصحبته زين الدين محمد، المعروف بالحافظي، وهو من أهل قرية عقربا من بلد دمشق، بتحف وتقادم إلى هولاكو ملك التتر، وصانعه لعلمه بعجزه عن ملتقى التتر.

وفيها توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي، كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب، ومولد البهاء زهير بوادي نخلة من مكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده، وكتبه، وأقام في بيته في القاهرة حتى أدركته وفاته، **بسبب الوباء العام**، في يوم الأحد رابع ذي القعدة من هذه السنة، أعني سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن بالقرافة الصغرى، وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلا، حسن النظم، وشعره مشهور كثير، فمن شعره وهو وزن مخترع لبس بخرجة العروض، أبيات ومنها:

يا من لعبت به شمول ... ما ألطف هذه الشمائل

مولاي يحق لي بأني ... عن حبك في الهوى أقاتل

ها عبدك واقفا ذليلا ... بالباب يمد كف سائل

من وصلك بالقليل يرضى ... والطل من الحبيب وابل

وفي هذه السنة توفي بمصر الشيخ ركن الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث، وكان من أئمة الحديث المشهورين.

وفيها توفي الشيخ شمس الدين يوسف، سبط جمال الدين ابن الجوزي، كان من الوعاظ الفضلاء، ألف تاريخا جامعا سماه مرآة الزمان، وفيها توفي سيف الدين علي بن سابق الدين قزل، المعروف بابن المشد وكان أميرا مقدما في دولة الملك الناصر يوسف صاحب الشام، وله شعر حسن، منه:

باكر كؤوس المدام واشرب ... واستجل وجه الحبيب واطرب

ولا تخف للهموم داء ... فهي دواء له مجرب
من يد ساق له رضاب ... كشهد لكن جناه أعذب
وفيها كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين، وبين عسكر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق، ومقدمهم الأمير مجير الدين بن أبي زكري، مصاف بظاهر غزة، انهزم فيه عسكر الناصر يوسف وأسر مجير الدين المذكور، وقوي أمر حرية بعد هذه الكسرة، وأكثروا العبث والفساد.
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة فيها سار عز الدين كيكاؤوس، وركن الدين قليج أرسلان، ابنا كيخسرو بن كيقباذ، إلى خدمة هولاكو، وأقاما معه مدة ثم عادا إلى بلادهما.
ذكر وفاة بدر الدين صاحب الموصل
في هذه السنة توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان لقب الملك الرحيم، وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة، ولما مات ملك بعده الموصل ولده الملك الصالح بن لؤلؤ، وملك سنجار ولده الآخر علاء الدين بن لؤلؤ، وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل في طاعته، وحمل إليه الأموال، ووصل إلى خدمة هولاكو بعد أخذ بغداد ببلاد أذربيجان، وكان صحبة لؤلؤ، الشريف العلوي بن صلايا، فقيل إن لؤلؤ سعى به إلى هولاكو، فقتل الشريف المذكور، ولما عاد لؤلؤ إلى الموصل لم يطل مقامه بها، حتى مات، وطالت أيام بدر الدين لؤلؤ في ملك الموصل، فإنه كان القائم بأمور أستاذه أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر، وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن أرسلان شاه، ولما توفي الملك القاهر بن أرسلان شاه، في سنة خمس عشرة وستمائة، انفرد لؤلؤ بتدبير المملكة، وأقام ولدي القاهر الصغيرين، واحد بعد واحد، واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاثا وأربعين سنة تقريبا، ولم يزل في ملكه سعيدا، لم تطرقه آفة ولم يختل لملكه نظام.
منازلة الملك الناصر يوسف صاحب الشام والكرك." (١)

"ثم رسم لي بالعود إلى بلدي، فخرجت من القاهرة يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى من هذه السنة، وسرت إلى دمشق، وكان قد وصل إليها الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائبا، واستقر في نيابة السلطنة بها، بعد جمال الدين أقوش الذي كان نائبا بالكرك، وأحسن الأمير المذكور إلي وتلقاني بالإكرام، ووصلت إلى حماة، واجتمع الناس، وقرئ التقليد الشريف عليهم، في يوم الاثنين، الثاني والعشرين من جمادى الأولى، الموافق للخامس والعشرين من أيلول.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٤٤٦/١

ولما وصلت إلى حماة، كان قد سافر الأمراء الغرباء إلى حلب، فإني لما كنت بالأبواب الشريفة، استخبرني مولانا السلطان عن أحوالي وما أشكو منه فلم أفصح له بشيء، فاطلع بعلمه الشريف، وحدة ذهنه، وقوة فراسته، على تقلقي من الأمراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة، فإنهم استجدوا بحماة لما خرجت من البيت التقوي الأيوبي، فاطلع السلطان على تعبي معهم وأنهم ربما لا يكونون وفق غرضي، فاقتضى مرسومه الشريف نقلهم إلى حلب، واستمرار إقطاعاتهم التي كانت لهم بحماة عليهم، إلى أن يتجلى ما يعوضهم به، فتقدم مرسومه إليهم بذلك، ووصل إليهم المرسوم على البريد بتوجههم إلى حلب، قبل وصولي إلى حماة بأيام يسيرة، فحال وصول المرسوم خرجوا من حماة عن آخرهم، ولم يبيتوا بها، وانتقلوا بأهلهم وجندهم، وكانوا نحو أربعة عشر أميرا، بعضهم بطبلخاناه، وبعضم أمراء عشرات، ووصلت إلى حماة ولم يبق غير من اخترت مقامه عندي، وكان هذا من أعظم النفقة والصدقة.

ذكر تجريد العسكر إلى حلب

ووصول العدو ومنازلة الرحبة

وفي هذه السنة، في يوم السبت سابع عشر رجب، خرجت من حماة بعساكر حماة، ودخلت حلب في يوم السبت الآخر، الرابع والعشرين من رجب المذكور، وأقمت بها، وكان النائب بها الأمير سيف الدين سودي، ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادراص، وقويت أخبار التتر، وجفل أهل حلب وبلادها، ثم وصلت التتر إلى بلاد سيس، وكذلك وصلوا إلى الفرات، فعندها رحل الأمير سيف الدين سودي وجميع العساكر المجردة من حلب، في يوم الخميس ثامن رمضان، في هذه السنة، ووصلنا إلى حماة في يوم السبت سابع عشر رمضان المذكور، وكان خربندا نازل الرحبة بجموع المغل، في آخر شعبان من هذه السنة، الموافق لأواخر كانون الأول، وأقام سيف الدين سودي بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب، ونزل بعضهم في الخانات، وكان البرد شديدا والجفال قد ملأه المدينة، واستمرينا مقيمين بحماة، وكشافتنا تصل إلى عرض والسخنة، وتعود إلينا بأخبار المخذول، واستمر خربندا محاصرا للرحبة، وأقام عليها المجانيق، وأخذ فيها النقوب، ومعه قراسنقر والأفرم، ومن معهما، وكانا قد أطمعا خربندا أنه ربما يسلم إليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة، وهو بدر الدين بن أركشي الكردي، لأن الأفرم هو الذي كان قد سعى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة، وأخذ له إمرة الطبلخاناه، فطمع الأفرم بسبب تقدم إحسانه إلى المذكور أن يسلم إليه الرحبة، وحفظ المذكور دينه، وما في عنقه من الإيمان للسلطان، وقام بحفظ القلعة أحسن قيام، وصبر على الحصار، وقاتل أشد قتال، ولما طال مقام خربندا على الرحبة بجموعه، وقع

في عسكره الغلاء والفناء، وتعذرت عليه الأقوات، وكثرت منه المقفزون إلى الطاعة الشريفة، وضجروا من الحصار، ولم ينالوا شيئا، ولا وجد خربندا لما أطمعه به قراسنقر والأفرم صحة، فرحل خربندا عن الرحبة راجعا على عقبه، في السادس والعشرين من رمضان من هذه السنة، بعد حصار نحو شهر، وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها، فنزلت أهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها إلى الرحبة، ولما جرى ذلك، رحل سودي وعسكر حلب من حماة وعادوا إلى حلب، واستمر بهادراص ومن معه من عسكر دمشق مقيما بحماة مدة، ثم ورد لهم الدستور، فساروا إلى دمشق.

ذكر مسير السلطان بالعساكر الإسلامية إلى الشام

ثم توجهه إلى الحجاز:." (١)

"وفيها في جمادى الأولى، بلغنا أن نائب الشام يلبغا خرج إلى ظاهر دمشق، خوفا من القبض عليه، وشق العصا وعاضد أمراء مصر، حتى خلع السلطان الملك الكامل شعبان، وأجلسوا مكانه أخاه السلطان الملك المظفر أمير حاج، وسلموا إليه أخاه الكامل، فكان آخر العهد به، وناب عن المظفر بمصر الحاج أرقطاي المنصور، ولما تم هذا الأمر تصدق يلبغا في المملكة الحلبية وغيرها بمال كثير ذهب وفضة، شكرا لله تعالى، وكان هذا الملك الكامل سيء التصرف، يولي المناصب غير أهلها بالبذل، ويعزلهم عن قريب ببذل غيرهم، وكان يقول عن نفسه أنا ثعبان لا شعبان.

وفيها في رجب، توفي بحلب الأمير شهاب الدين قرطاي الأسندمري، من مقدمي الألوف، أمير عفيف الذيل متصون.

وفيها في مستهل رجب، سافر طقتمر الأحمدي نائب حلب إلى الديار المصرية، وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام، فإنه ما ساعده على خلع الكامل وحفظ أيمانه.

وفيها وقع الوباء ببلاد أزبك، وخلت قرى ومدن من الناس، ثم اتصل الوباء بالقرم، حتى صار يخرج منها في اليوم ألف جنازة، أو نحو ذلك، حكى لي ذلك من أثق به من التجار، ثم اتصل الوباء بالروم، وهلك منهم خلق، وأخبرني تاجر من أهل بلدنا قدم من تلك البلاد، أن قاضي القرم قال: أحصينا من مات بالوباء، فكانوا خمسة وثمانين ألف، غير من لا نعرفه، والوباء اليوم بقبرس، والغلاء العظيم أيضا.

وفيها في شعبان، وصل إلى حلب الأمير سيف الدين بيدمر البدري، نقل إليها من طرابلس، وولي طرابلس مكانه، وهذا البدري عنده حدة، وفيه بدرة، ويكتب على كثير من القصص بخطه، وهو خط قوي.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٢/٩

وفيها توفي بطرابلس قاضيها شهاب الدين أحمد بن شرف الزرعي، وتولى مكانه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الحموي.

وفيها في ذي الحجة، صدرت بحلب واقعة غريبة، وهي أن بنتا بكرا من أولاد أولاد عمرو التيزيني، كرهت زوجها ابن المقصوص، فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول، فقالتها وهي لا تعلم معناها، فأحضرها البدري بدار العدل بحلب، وأمر فقطعت أذناها وشعرها، علق ذلك في عنقها، وشق أنفها، وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين، وهي من أجمل البنات وأحياهن، فشق ذلك على الناس، وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب، حتى نساء اليهود، وأنكرت القلوب قبح ذلك، وما أفلح البدري بعدها. قلت:

وضج الناس من بدر منير ... يطوف مشرعا بين الرجال

ذكرت ولا سواء بها السبايا ... وقد طافوا بهن على الجمال

وفيه ورد البريد بتوليه السيد علاء الدين علي بن زهرة الحسيني نقابة الأشراف بحلب، مكان ابن عمه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة، وأعطي هذا إمارة طبلخانات بحلب.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

والتتار مختلفون.

وفيها في ثالث المحرم، وصل إلى حلب القاضي شهاب الدين بن أحمد بن الرياحي على قضاء المالكية بحلب، وهو أول مالكي استقضى بحلب، ولا بد لها من قاض حنبلي بعد مدة، لتكمل به العدة، إسوة مصر ودمشق. وفي السنة التي قبلها تجدد بطرابلس قاض حنفي مع الشافعي.

وفيها في المحرم، صلي بحلب صلاة الغائب على القاضي شرف الدين محمد بن أبي بكر بن ظافر الهمذاني المالكي، قاضي المالكية بدمشق، وقد أناف على الثمانين، كان دينا خيرا متجملا في الملبس، وهو الذي عاضد تنكز على نكبة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن جملة، وها هم قد التقوا عند الله تعالى.

وفيه ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير، من بزر السنة الماضية، فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحي النواحي الحلبية، نحو أربعة آلاف نفس، لقتله ودفنه، وقامت عندهم أسواق، وصرفت عليهم من الرعية أموال، وهذه سنة ابتدأ بها الطنبغا الحاجب من قبلهم. قلت:

قصد الشام جراد ... سن للغلات سنا

فتصالحنا عليه ... وحفرنا ودفنا

وفيها في المحرم، سافر الأمير ناصر الدين بن المحسني بعسكر من حلب، لتسكين فتنة ببلد شيزر بين العرب والأكراد، قتل فيها من الأكراد نحو خمسمائة نفس، ونهبت أموال، ودواب.

وفيها في المحرم، عزمت الأرمن على نكبة لا بأس، فأوقع بهم أمير إياس، حسام الدين محمود بن داود الشيباني، وقتل من الأرمن خلقا، وأسر خلقا، وأحضرت الرؤوس والأسرى إلى حلب في يوم مشهود، فلله الحمد.." (١)

"وفيه صلي بحلب صلاة الغائب على الشيخ شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي، منقطع القرين في معرفة أسماء الرجال، محدث كبير، مؤرخ، من مصنفاته كتاب تاريخ الإسلام، وكتاب الموت وما بعده، وكف بصره في آخر عمره، ومولده سنه ثلاث وسبعين وستمائة، واستعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها، واعتمد في ذكر سير الناس على أحداث يجتمعون به، وكان في أنفسهم من الناس، فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين.

وفيها **كان الغلاء بمصر** ودمشق وحلب وبلادهن، والأمر بدمشق أشد، حتى انكشفت فيه أحوال خلق، وجلا كثيرون منها إلى حلب وغيرها، وأخبرني بعض بني تيمية، أن الغرارة وصلت بدمشق إلى ثلاثمائة، وبيع البيض كل خمسة بيضات بدرهم، واللحم رطل بخمسة وأكثر، والزيت رطل بستة أو سبعة.

وفيها في ذي الحجة، قيد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الحاج مغلطاي القره سنقري، وحمل إلى دمشق، فسجن بالقلعة، وكان مشد الوقف بحلب، وحاجبا، وكان قبل هذه الحادثة، قد سعى في بعض القضاة، وقصد له إهانة بدار العدل، فسلم الله القاضي، وأصيب الساعي المذكور، وربما كان طلبه من مصر يوم سعيد في القاضي، ثم خلص بعد ذلك وأعيد إلى حلب، وصلح حاله.

وفيها توفي بدمشق ابن علوي، أوصى بثلاثين ألف درهم، تفرق صدقة، وبمائتي ألف وخمسين ألفا تشترى بها أملاك وتوقف على البر، فاجتمع خلق من الحرافيش والضعفاء لتفريق الثلاثين ألفا، ونهبوا خبزا من قدام الخبازين، فقطع أرغون شاه نائب دمشق منهم أيدي خلق، وسمر خلقا بسبب ذلك، فخرج منهم خلق من دمشق وتفرقوا ببلاد الشمال.

وفيها في ذي الحجة، ضرب نيرون – بالنون – نائب قلعة المسلمين، قاضيها برهان الدين إبراهيم بن محمد بن ممدود، واعتقله ظلما وتجبرا، فبعد أيام قليلة طلب النائب إلى مصر معزولا، ويغلب على ظني أنه طلب يوم تعرضه للقاضي، فسبحان رب الأرض والسماء الذي لا يمهل من استطال على العلماء. قلت:

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٦٠/٢

قل لأهل الحياة مهما ... رمتم عزا وطاعه

لا تهينوا أهل علم ... فإذا هم سم ساعه

وفيه في العشر الأوسط من آذار، وقع بحلب وبلادها ثلج عظيم، وتكرر، أغاث الله به البلاد، واطمأنت به قلوب العباد، وجاء عقيب غلاء أسعار، وقلة أمطار. قلت:

ثلج بآذار أم الكافور في ... مزاجه ولونه والمطعم

لولاه سالت بالغلاء دماؤنا ... من عادة الكافور إمساك الدم

وفيها جاءت ريح عظيمة قلعت أشجارا كثيرة، وكانت مراكب للفرنج قد لججت للوثوب على سواحل المسلمين، فغرقت بهذه الريح، وكفى الله المؤمنين القتال. قلت:

قل للفرنج تأدبوا وتجنبوا ... فالريح جند نبينا اجماعا

إن قلعت في البر أشجارا فكم ... في البحر يوما شجرت أقلاعا

وفيها توفي الحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازي بعزاز، كان له منزلة عند الطنبغا الحاجب نائب حلب، وبنى بعزاز مدرسة حسنة، وساق إليها القناة الحلوة، وانتفع الجامع وكثير من المساجد بهذه القناة، وله آثار حسنة غير ذلك، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

وقراجا بن دلغادر التركماني وجمائعه قد شغبوا، واستطالوا ونهبوا، وتسمى بالملك القاهر، وأبان عن فجور وحمق ظاهر، ودلاه بغروره الشيطان، حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذي يحمل إلى السلطان.

وفيها في شهر رجب، **وصل الوباء إلى** حلب، كفانا الله شره، **وهذا الوباء قيل** لنا إنه ابتدأ من الظلمات، من خمس عشرة سنة متقدمة، على تاريخه، وعملت فيه رسالة سميتها، النبا عن الوبا.

فمنها: اللهم صل على سيدنا محمد وسلم، ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون وسلم، طاعون روع وأمات، وابتدأ خبره من الظلمات، فواها له من زائر، من خمس عشرة سنة دائر، ما صين عنه الصين، ولا منع منه حصن حصين، سل هنديا في الهند، واشتد على السند، وقبض بكفيه وشبك، على بلاد أزبك، وكم قصم من ظهر، فيما وراء النهر، ثم ارتفع ونجم، وهجم على العجم، وأوسع الخطا، إلى أرض الخطا، وقرم القرم، ورمى الروم بجمر مضطرم، وجر الجرائر، إلى قبرس والجزائر، ثم قهر خلقا بالقاهرة، وتنبهت عينه لمصر فإذا

هم بالساهرة، وأسكن حركة الإسكندرية، فعمل شغل الفقراء مع الحريرية.

ومنها:." (١)

"إسكندرية **ذا الوباء ...** سبع يمد إليك ضبعه

صبرا لقسمته التي ... تركت من السبعين سبعه

ثم تيمم الصعيد الطيب، وأبرق على برقة منه صيب، ثم غزا غزة، وهز عسقلان هزة، وعك إلى عكا، واستشهد بالقدس وزكى، فلحق من النهار بين الأقصى بقلب كالصخرة، ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مرة، ثم طوى المراحل، ونوى أن يحلق الساحل، فصاد صيدا، وبغت بيروت كيدا، ثم صدد الرشق، إلى جهة دمشق، فتربع ثم وتميد، وفتك كل يوم بألف وأزيد، فأقل الكثرة، وقتل خلقا ببثرة. ومنها:

أصلح الله دمشقا ... وحماها من مسبه

نفسها خست إلى أن ... تقتل النفس بحبه

ثم أمر المزه، وبرز إلى برزة، وركب تركيب مزج على بعلبك، وأنضد في قارة قفا نبك، ورمى حمص بجلل، وصرفها مع علمه أن فيها ثلاث علل، ثم طلق الكنة في حماة، فبردت أطراف عاصيها من حماة:

يا أيها الطاعون إن حماة من ... خير البلاد ومن أعز حصونها

لا كنت حين شممتها فسممتها ... ولثمت فاها آخذا بقرونها

ثم دخل معرة النعمان، فقال لها أنت مني في أمان، حماة تكفيك، فلا حاجة لي فيك:

رأى المعرة عينا زانها حور ... لكن حاجبها بالجور مقرون

ماذا الذي يصنع الطاعون في بلد ... في كل يوم له بالظلم طاعون

ثم سرى إلى سرمين والفوعة، فشعث عن السنة والشيعة، فسن للسنة أسنته شرعا، وشيع في منازل الشيعة مصرعا، ثم أنطى أنطاكية بعض نصيب، ورحل عنه حياء من نسيانه ذكرى حبيب، ثم قال لشيزر وحارم لا تخافا مني، فأنتما من قبل ومن بعد في غنى عني، فالأمكنة الردية، تصح في الأزمنة الردية، ثم أذل عزاز وكلزه، وأصبح في بيوتها الحارث ولا أغنى ابن حلزة، وأخذ من أهل الباب، أهل الألباب، وباشر تل باشر، ودلك دلوك وحاشر، وقصد الوهاد والتلاع، وقلع خلقا من القلاع، ثم طلب حلب، ولكنه ما غلب.

ومنها ومن الأقدار، أنه يتتبع أهل الدار، فمتى بصق أحد منهم دما، تحققوا كلهم عدما، ثم يسكن الباصق الأجداث، بعد ليلتين أو ثلاث.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٦٣/٢

سألت بارئ النسم، في دفع طاعون صدم، فمن أحس بلع دم، فقد أحس بالعدم، ومنها:
حلب والله يكفي ... شرها أرض مشقه
أصبحت حية سوء ... تقتل الناس ببزقه
فلقد كثرت فيها أرزاق الجنائزية فلا رزقوا، وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا، من الحمل فلا عاشوا ولا عرفوا، فهم يلهون ويلعبون، ويتقاعدون على الزبون:
اسودت الشهباء في ... عيني من وهم وغش
كادت بنو نعش بها ... أن يلحقوا ببنات نعش
ومما أغضب الإسلام، وأوجب الآلام، أن أهل سيس الملاعين، مسرورون لبلادنا بالطواعين:
سكان سيس يسرهم ما ساءنا ... وكذا العوائد من عدو الدين
فالله ينقله إليهم عاجلا ... ليمزق الطاغوت بالطاعون
ومنها فإن قال قائل هو يعدي ويبيد، قلت بل الله يبدي ويعيد، فإن جادل الكاذب في دعوى العدوى وتأول، قلنا فقد قال الصادق صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول، استرسل ثعبانه وانساب، وسمى طاعون الأنساب، وهو سادس طاعون وقع في الإسلام، وعندي أنه الموتان الذي أنذر به نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام.
كان وكان:
أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب ... باروده المستعلي قد طار في الأقطار
دولاب دهاشانه ساعي لصارخ ما رثى ... ولا فدا بذخيره فناشه الطيار
يدخل إلى الدار يحلف ما أخرج إلا بأهلها ... معي كتاب القاضي بكل من في الدار
وفي هذا كفاية، ففي الرسالة طول.
وفيها أسقط القاضي المالكي الرياحي بحلب تسعة من الشهود ضربة وحدة، فاستهجن منه ذلك، وأعيدوا إلى عدالتهم ووظائفهم.
وفيها قتل بحلب زنديقان أعجميان، كانا مقيمين بدلوك.
وفيها بلغنا وفاة القاضي زين الدين عمر البلقيائي بصفد بالوباء، والشيخ ناصر الدين العطار بطرابلس بالوباء، وهو واقف الجامع المعروف به، بها وفيها توفي القاضي جمال الدين سليمان بن ريان الطائي بحلب،

منقطعا تاركا للخدم، ملازما للتلاوة.

وفيها بلغنا أن أرغون شاه، وسط بدمشق كثيرا من الكلاب.." (١)

"وفيها توفي الأمير أحمد بن مهنا أمير العرب، وفت ذلك في أعضاد آل مهنا، وتوجه أخوه فياض الغشوم القاطع للطرق، الظالم للرعية إلى مصر، ليتولى الإمارة على العرب، مكان أخيه أحمد، فأجيب إلى ذلك، فشكا عليه رجل شريف، أنه قطع عليه الطريق، وأخذ ماله، وتعرض إلى حريمه، فرسم السلطان بإنصافه منه، فأغلظ فياض في القول طمعا بصغر سن السلطان، فقبضوا عليه قبضا شنيعا.

وفيها في سلخ شوال، توفي قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ بحلب، وكان صالحا عفيفا دينا، لم يكسر قلب أحد، ولكنه لخيريته طمع قضاة السوء في المناصب، وصار المناحيس يطلعون إلى مصر ويتولون القضاء في النواحي بالبذل، وحصل بذلك وهن في الأحكام الشرعية. قلت:

مريد قضا بلدة ... له حلب قاعده

فيطلع في ألفه ... وينزل في واحده

وكان رحمه الله من أكبر أصحاب ابن تيمية، وكان حامل رايته في وقعة الكسروان المشهورة.

وفيها في عاشر ذي القعدة، توفي بحلب صاحبنا الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعري، المعروف بإمام الزجاجية، من أهل القرآن والفقه والحديث، عزب منقطع عن الناس، كان له بحلب دويرات، وقفهن على بني عمه، وظهر له بعد موته كرامات، منها أنه لما وضع في الجامع ليصلى عليه بعد العصر، ظهر من جنازته نور، شاهده الحاضرون، ولما حمل لم يجد حاملوه عليهم منه ثقلا، حتى كأنه محمول عنهم، فتعجبوا لذلك، ولما دفن وجلسنا نقرأ عنده سورة الأنعام، شممنا من قبره رائحة طيبة، تغلب رائحة المسك والعنبر، وتكرر ذلك، فتواجد الناس وبكوا، وغلبتهم العبرة، وله محاسن كثيرة رحمه الله، ورحمنا به آمين، ومكاشفاته معروفة عند أصحابه.

وفي العشر الأوسط منه، توفي أخي الشقيق وشيخي الشفيق، القاضي جمال الدين يوسف، ترك في آخر عمره الحكم، وأقبل على التدريس والإفتاء، وكان من كثرة الفقه والكرم وسعة النفس وسلامة الصدر بالمحل الرفيع، رحمة الله تعالى، ودفن بمقابر الصالحين قبلي المقام بحلب. قلت:

أخ أبقي ببذل المال ذكرا ... وإن لاموه فيه ووبخوه

أزال فراقه لذات عيشى ... وكل أخ مفارقه أخوه

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٦٤/٢

وفيه توفي الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن القدوة نبهان الجبريني بجبرين، وجلس على السجادة ابنه الشيخ محمد الصوفي، كان الشيخ علي بحرا في الكرم، رحمه الله ورحمنا بهم آمين.

وفي الثامن والعشرين من ذي القعدة، ورد البريد من مصر بتولية قاضي القضاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح، قضاء الشافعية بالمملكة الحلبية، وسررنا بذلك ولله الحمد.

وفيه ظهر بمنبج على قبر النبي متى، وقبر حنظلة بن خويلد أخي خديجة، رضى الله عنها، وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج، وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي، وعلى قبر الشيخ ينبوب، وهما داخل منبج، وعلى قبر الشيخ علي، وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج، أنوار عظيمة، وصارت الأنوار تنتقل من قبر بعضهم إلى قبر بعض، وتجتمع وتتراكم، ودام ذلك إلى ربع الليل، حتى انبهر لذلك أهل منبج، وكتب ماضيهم بذلك محضرا وجهزه إلى دار العدل بحلب، ثم أخبرني القاضي بمشاهدة ذلك أكابر وأعيان من أهل منبج أيضا، وهؤلاء السادة هم خفراء الشام، ونرجوا من الله تعالى ارتفاع **هذا الوباء الذي** كاد يفني العالم ببركتهم، إن شاء الله تعالى. قلت:

اشفعوا يا رجال منبج فينا ... **لارتفاع الوباء عن** البلدان

نزل النور في الظلام عليكم ... إن هذا يزيد في الأيمان

وفيها في ذي الحجة، بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق، بالطاعون، منزلته في الإنشاء معروفه، وفضيلته في النظم والنثر موصوفه، كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة، بعد أبيه محي الدين، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين، وكتب السر بدمشق، ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف، حتى مات عن نعمة وافرة، دخل رحمه الله قبل وفاته بـمدة معرة النعمان، فنزل بالمدرسة التي أنشأتها، ففرح لي بها، وأنشد فيها ببتين أرسلهما إلى بخطه وهما:

وفي بلد المعرة دار علم ... بني الوردي منها كل مجد

هي الوردية الحلواء حسنا ... وماء البئر منها ماء ورد

فأجبته بقولي:." (١)

"وجعل "فون وزمن" زمان حكم الملك "ربشمس نمران" فيما بين السنة "١٦٠" والسنة "١٧٠" أو "٨٠ ا" بعد الميلاد. وجعله من المعاصرين للملك "يدع أب غيلان" ملك حضرموت. وممن أدرك أيام حكم "علهان نهفان" ملك همدان.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٦٥/٢

وورد اسم "رب شمس نمران" في النص: REP. EPIG. 41388 وهو نص مهم وردت فيه أخبار حروب وغزوات قام بها "عبد عثتر" وأخوه "سعد ثون" ابنا "جدنم" "جدن" أو من آل "جدن"، بأمر من سيدهم "رب شمس نمران ملك سبأ وذي ريدان". فلما عادا إلى مواطنها سالمين، دونا شكرهما وحمدهما للإله "المقه" الذي من عليهما بالعافية وحفظهما وأعادهما بصحة جيدة، وأنقذهما "المقه بعل حروان" من الوباء الذي عم كل الأرض، وبارك عليهما في مدينة "نعض"، إذ أنعم عليها لمجدهما "رب شمس نمران". وقد دعوا في هذه الكتابة ل "المقه ثهوان" و "ثور بعلم بعل حروان" بأن يبارك عليها ويحفظها ويمن عليهما بالعافية وبأولاد ذكور، وبثمار كثيرة وجني جيد، وذلك بحق الإلهة: "عثتر وهوبس والمقة وذات حميم وذات بعدان وشمس".

ويظهر من هذا النص أن وباء كان قد عم البلاد في عهد هذا الملك فأهلك خلقا كثيرا. وقد حمدا الآلهة التي جعلتهما من الناجين. ويظهر أنهما كانا من قواد جيش هذا الملك الذي كلفهما غزو أعدائه ومحاربتهم. وورد في النص اسم قبيلة "جرش"، ولعل لاسم "جرش"– وهو اسم موضع في اليمن–علاقة باسم هذه القبيلة.." (١)

"ويظهر أن الوباء الذي أشار إليه "عبد عثتر" هو الوباء الذي أشير إليه في النص الموسوم ب Jamme 645. وصاحبه رجل اسمه "وهب ايل" من "يهعن" "يهعان" ومن "قرضنن" "قرضان". وقد دون هذا الرجل نصه حمدا للإله "المقه ثهوان" "بعل أوام"، وشكرا له على نعمه عليه بأن حفظه وسلمه وصانه من الوباء "بن خوم" والطاعون "وعوس" ومن الموت "موتت" الذي عم البلاد، وذلك في سنة "حيم" "حي" "حيي" "حيوم" "حيو" ابن "ابكرب" "أبو كرب" من "كبر خلل ثكمتن" كبراء "خليل ثكمتان". فصانه وحفظه من هذا الوباء العام الذي انتشر في الأرض "وموتت كون بارضن"، فأهلك خلقا من الناس. وليمن عليه ويبارك فيه وفي أرضه وزرعه، ويعطيه أثمارا كثيرة وغلة وافرة من جميع مزارعه في "مأرب" و "نشق" و "رحبتن" "رحبتان". ولينال حظوة ورفعة عند سيده "رب شمس نمران، ملك سبأ وذي ريدان".

وليس هذا الوباء الفتاك الذي انتشر في الأرض في أيام هذا الملك، هو أول وباء نسمع به ففي الكتابات إشارات إلى أوبئة عديدة أخرى، كانت تعم البلاد بين الحين والحين ولا سيما بعد الحروب التي لا تكاد تنقطع، وبعد الحروب الكبيرة الماحقة التي قام بها الملوك فخربوا المدن ودمروا مجاري المياه، وأباحوا مواضع السكنى، والبشر، وتركوا جيف القتلى في مواضعها لتنتشر الأوبئة والأمراض.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣/١٥٤

وقد ذب "ريكمنس" إلى أن الوباء المذكور هو جزء من وباء عام كان قد انتشر من الهند نحو الخارج، فجاء إلى جزيرة العرب ووصل حوض البحر الأبيض وطفح في "سلوقية" Seleucia وقد وقع ذلك سنة "١٦٥" للميلاد.

وورد اسم "رب شمس نمران" "ربشمس نمران" في نصوص أخرى وسمت ب CIH 164، ب Geukens 10، وب Jamme 496. و"رب شمس نمران"، معروف لدينا معرفة حسنة، وهو من "بتع"، ومن "ملوك سبأ وذي ريدان"، لورود ذلك صرحا في بضعة نصوص أحدها عثر عليه في مأرب، وعثر على البقية في "حاز" أي في ة إلى همدان.." (١)

"فصيروا القائل جد ثقيف، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله. وقد اشار "جرير بن الخطفي" في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس قبر أبي رغال، إذ قال: إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال

وذكر "المسعودي"، أن العرب ترجم قبرا آخر، يعرف بينهم بقبر العبادي في طريق العراق إلى مكة. بين الثعلبية والهبير نحو البطان. ولم يذكر شيئا عن سببه، إذ أحال القارىء على مؤلفاته الأخرى.

وذكر "الهمداني" إن قبر أبي رغال عند "الزيمة". و "الزيمة" موضع صروف حتى هذا اليوم. ولما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة: فساق إليه اموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا انه لا طاقه لهم به. فتركوا ذلك. ثم قرروا على أن يرسلوا سيدهم "عبد المطلب" لمواجهة أبرهة والتحدث إليه، فذهب وقابله، وتذكر رواية أهل الأخبار إن أبرهة لما ساله عن حاجته وعما معه من أنباء، قال له: حاجتي إلى الملك أن يرد علي مئتي بعير أصابها لي، فعجب ابرهة من هذا القول وقال له: اتكلمني في مئتي بعير قد اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب: اني انا رب الابل، وان للبيت ربا سيمنعه.

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة رد على عبد المطلب ابله، فرجع إلى قومه، وأمرهم بالخروج من مكة وللتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش. فلما وصل جيش الحبش، لم يجد أحدا

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٥٥/٣

بمكة،وتفشى الوباء فيه، واضطر إلى التراجع بسرعة. فلما وصل أبرهة "إلى اليمن، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث.." (١)

"إن عدو البيت من عاداكا أمنعهم أن يخربوا قراكا

وقال: لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقد بلغ أبرهة مكة، غير انه لم يتمكن من دكها ومن هدمها، وخاب ظنه، إذ تفشى المرض بجيشه **وفتك الوباء به**، فهلك أكثره، واضطر إلى الإسراع في العودة، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق، وهم في عودتهم إلى اليمن. وذكرت بعض الروايات إن أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض. ولم يبلغ صنعاء الا بعد جهد جهيد. فلما بلغها، مات إثر وصوله اليها.

وعلى هذه الصورة أنهى اهل الأخبار أخبار حملة ابرهة، فقالوا انها انتهت باخفاق ذريع، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه: مرض جلدي، أصاب جلود أكثر جيشه، فمزقها، وأصابها بقروح وقيوح في الأيدي خاصة، وفي الأفخاذ. أو بمرض وبائي هو الحصبة والجدري، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملة وبعد شرحهم لمعنى "طير آبابيل": مباشرة، هذين المرضين ويقولون: "إن أول ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام". وتفسير ذلك بعبارة أخرى إن ما اصاب الحبش، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيما مضى، فلا تشهب حتى تكون قد أكلت آلافا من الرؤوس.

وكان لرجوع الأحباش إلى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم، وتعب ألم بهم، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش، ثم ما لبث ابرهة إن مات بعد مده غير طويلة، فازداد اعتقاد قريش ب "رب البيت" وبأصنامها، وهابت العرب مكة، فكانت نكسة الحبش نصرا لقريش ولأهل مكة قوى من معنوياتها. ويتجلى ذلك في القرآن الكرم في سورة الفيل، وهي من السور المكية القديمة:)ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول(.. "(٢)

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥/٦٩

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥/٧١

"ولأهل الجاهلية عادات وأساطير كثيرة، وقد اختص العرب بقسم منها، أما القسم الثاني فهو عام معروف، عرف عند الساميين والعجم، وهي مما يقل له " الشعيبات" أو "الفولكلوريات" في مصطلح الافرنج لهذا العهد.

فمن ذلك ما كانوا يفعلونه في أسفارهم إذ كان أحدهم اذا خرج إلى سفر عمد إلى ضخرة من "الرتم"، فعقد غصنا منها، فاذا عاد من سفره ووجده قد. انحل، قال: قد خانتني امرأتي، وإن وجده على حاله قال لم تخني. ويقال لذلك العقد "الرتم" و "الرتمة". وذكر ان الرجل منهم كان اذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها، فاذا عاد نظر إلى ذلك الخيط، فان وجده.بحاله علم ان زوجته لم تخنه، وإن لم يجده أو وجده محلولا قال: قد خانتني. ويقال: بل كانوا يعقدون طرفا من غصن الشجر بطرف غصن آخر.

وتستعمل "الرتمة" لتذكير الإنسان بشيء، يستعملها من يكثر نسيانه. وهي خيط يعقد في الاصبع للتذكير. وقد يعقد عرى الخاتم.

ومن اعتقادهم في السفر ان من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره. فان التفت تطير، وفسره بالعودة. فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود، ومنها التصفيق: كانوا اذا ضل الرجل منهم في الفلاة، قلب ثيابه، وحبس ناقته، وصاح في أذنها كأنه يومىء إلى انسان، وصفق بيديه: الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، إلي إلي"، عجل، ثم يحرك الناقة فيهتدي. قال الشاعر: وأذن بالتصفيق من ساء ظنه فلم يدر من أي اليدين جوابها

وذكر انه كان يقلب قميصه ويصفق بيديه كأنه يومىء بهما إلى انسان فيهتدي.

وكان أحدهم اذا أراد دخول قرية، فخاف وباءها أو جنها، وقف على بابها قبل ان يدخلها، فنهق نهيق الحمار، ثم علق عليه كعب أرنب، كأن ذلك عوذة له ورقية **من الوباء والجن**. ويسمون هذا النهيق التعشير.." (١)

"ويقال للسنة وللأرض التي لم يصبها المطر: "الجماد". وسنة جامدة لا كلأ فيها ولا خصب ولا مطر. وأرض جماد، يابسة لم يصبها مطر ولا شيء فيها. وهي من السنين الحرجة في حياة العرب، المؤذية المهلكة للانفس وللمال. ويقال للمحل "الجدب". والجدب نقيض الخصب. و "المحل" الجدب وانقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ. وتعد أيام المحل من شر الأيام، يقال: "زمان ماحل"، و "مكان ماحل"، و

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢١١/١٠

"بلد ماحل"، و "أرض محل"، وأرض محالة ومحول. يريدون بالمحل الشدة والجوع الشديد وإن لم يكن جدب، على سبيل المجاز، لأن المحل الجدب ويبس الأرض وانقطاع المطرة فتشتد حالة الناس، ويظهر الجوع ويعيش الناس في ضنك شديد.

ويقال لمثل هذه السنين الشديدة، التي تجف فيها المراعي، ويصاب الناس فيها بأزمة شديدة،سنة جرداء " وسنة الجمود لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار وذهاب الماشية وهزالها وثبات الغلاء. ويقال لها الحطمة والأزمة واللزبة **والمجاعة** والرمد، وكحل والقصر والشدة والحاجر، وما شاكل ذلك من ألفاظ فيها معاني الشدة والفقر والجوع. .

وكان منهم من يتصور أن نجوم الشتاء هي سبب نزول الغيث. ولذلك كانوا إذا لم يمطروا، وانحبست السماء عندهم يقولون: "أجحرت النجوم". قال الراجز: إذا الشتاء أجحرت نجومه واشتد في غير ثرى أزومه

ومن المجاز أجحر القوم، إذا دخلوا في القحط. والجحرمة الضيق. ولبس أشد على العرب وأضيق في انحباس المطر عنهم.

واذا أمطرت السماء، استبشر الناس خيرا، فالمطر خير وبركة ونعمة. يعقبه ربيع مفرح مبهج، تسمن فيه إبلهم ومواشيهم، ويكث ولدها، فتنمو أموالهم، وكانوا يقولون إذا ألبنوا وسمنت إبلهم: "كان ربيعنا مملوحا".." (١)

"وقد تهب بعض الرياح فتنكب الناس بأنفسهم وبأموالهم وتؤذيهم،لذلك يسمونها "النكباء". و "النكباء" ريح انحرفت ووقعت بين ريحين. وهي تهلك المال وتحبس القطر. ذكر إنها تهب بين الصبا والشمال، والجربياء التي بين الجنوب والصبا. وذكر بعضهم إن نكب الرياح أربع: الأزيب، وهي نكباء الصبا والجنوب، مهياف ملواج ميباس للبقل، وهي التي تجيء بين الريحين. وذكر بعض آخر إن الأزيب، هو الجنوب لا نكباؤها. والثانية الصابية، وتسمى النكيباء أيضا، وهي نكباء الصبا والشمال، معجاج مصراد لا مطر فيها ولاخير عندها. والثالثة الجربياء، وهي نكباء الشمال والدبور، وهي قرة وربما كان فيها مطر قليل، وهي نيحة الأزيب. والرابعة الهيف، وهي نكباء الجنوب والدبور، وهي نيحة النكيباء.

وقد تأتي السماء بسحب كثيفة من جراد، فلا تهبط مكانا إلا جردته. والجراد من شر الآفات والنوازل التي تنزل بالزرع، يجرده جردا وينزل الخسائر بأصحابه، أضف إلى ذلك الأوبئة والأمراض التي كانت تهب بين الحين والحين، فتصيب الإنسان أو الحيوان أو الزرع، وهو عاجز إذ ذاك عن مقاومتها وعن التغلب عليها،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٣١/١٠

نضيف إليها الحميات التي كانت قد عششت في مواضع المياه،كالعيون، فكانت تصيب الناس، ولا يكاد يسلم منها انسان، فقد عرفت "خيبر" بالحمى، حتى قيل لها "حمى خيبرية"أو "خيبرية" وعرفت يثرب بالحمى أيضا، وعرفت مواضع من وادي القرى، بالحمى كذلك، كما عرفت "هجر"في العربية الشرقية **بهذا الوباء كذلك**.." (١)

"الحكرة وتعرف أيضا باللأحتكار، ويراد بها حبس الطعام ليتربص به الغلاء.

وذلك للحصول على كسب زائد. وقد كان أهل المال من الجاهليين يقصدون الأسواق، فيشترون ما يرون فيه ربحا في المستقبل من طعام أو ما شابه ذلك من مواد ضرورية، ثم بختزنونها، ويبيعونها عند حلول الموسم أو وقوع **مجاعة** أو فرص مؤاتية بسعر مرتفع، غير مبالين بما في ذلك من ضرر ومن استغلال لأحوال الناس، وقد ورد النهي عن هذا البيع في الإسلام.

ومن التجار المتمكنين من كان يشتري حمولة قافلة كاملة، ثم يحتكرها ليبيعها وقت الحاجة، أو يسخرها ويبيع منها على التفريق بغية الربح، فلا ينافسه على ربحها أحد. ويجعل لما اشتراه السعر الذي يشاء.

ومن التجار من كان يتلقى "الركبان" ليشتروا ما معهم من طعام، وذلك قبل وصولهم السوق. فيتضرر بذلك تجار الأسواق، والمستهلكون، أي المشترون، ومن هذا القبيل، خروج الحضر"،لاستقبال البدو، أي الأعراب، الذين يقصدون الحواضر، لبيع ما عندهم من سلع، فكان أصحاب المال يستقبلونهم قبل وصولهم السوق، وقبل اتصالهم بالتجار، ووقوفهم على السعر، نيشترون منهم ما يحملونه من سلع، لبيعها في السوق.

شهود البيع

وقد كان من الجاهليين من يشهد "شهودا" على التبايع، أي جعل له شهودا يشهدون على صحة المعاملة، ومنهم من كان يكتب التبايع وشروطه بكتاب، حتى لا ينكل أحد المتبايعين عن البيع، ويلحق الضرر بالطرف الآخر. إذ يكون الكتاب حجة وشاهدا والى ذلك أشير في القرآن الكريم: "وأشهدوا إذا تبايعتم. ولا يضار كاتب ولا شهيد"، وذلك منعا لما قد يحدث من خلاف ونزاع بين المتكاتبين، فيرجع عندئذ إلى ما هو مكتوب ويعمل بموجبه.

فسخ البيع." (٢)

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٣٢/١٠

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢٧/١١

"والطاعون المرض العام والوباء، وقد أشير إليه في كتب الحديث. ويظهر انه كان منتشرا معروفا في الحجاز وفي سائر أنحاء جزيرة العرب آنئذ. وقد جعل بعض العلماء الطاعون نوعا من أنواع الوباء، وفرق بينهما بعض علماء اللغة، **وجعلوا الوباء المرض** العام عامة، مهما كان، مثل انتشار الحمى والجدري والطاعون والنزلات والحكه والأورام. وقد ذكرت الأوبئة في كتب الحديث. و "الدبل" الطاعون.

ونسب الجاهليون حدوث الطاعون إلى "وخز الجن"، فهو يقع لأن الجن تطعن الشخص وتخزه فيصاب بالطاعون. وقد اشار إلى هذا الرأي "حسان بن ثابت"، أشار إليه في أثناء حديثه عن أعاصير نزلت ب "بصرى" وب "رمح" وعن "دخان نار"، حتى أثرت في كل قصر ومنزل في ذينك المكانين، ثم أعقب ذلك "وخز جن بأرض الروم"، اي بلاد الشام وفيها المكانان المذكوران إذ كانت تحت حكم الروم، كما أشار إلى هذه الفكرة شاعر آخر اسمه "الغساني".

ونجد في كتا بات المسند إشارات إلى أوبئة تكتسح البلاد فتفني عددا كبيرا من الناس. فنجد فيها أن فلانا يحمد آلهته لأنها منت عليه بالعافية وأنقذته **من الوباء الذي** تفشى في أيامه فأهلك الناس. وقد كان القدراء من الناس يهربون من الأرضين الموبوءة إلى أرضين أخرى بعيدة سالمة ليتخلصوا من الوباء. ونجد في الكتابة الموسومة ب "CIH 343" رجلا اسمه "يحمد" يشكر إلهه "تألب ريام"، لأنه من عليه بالعافية وشفاه من المرض الذي نزل به في وباء انتشر فيما بين "هوزن" "هوازن" "هوزان" و "سهرتن" "سهرت". وقد كانت الأوبئة تكتسح المناطق الواقعة عند قواعد الجبال وفي المناطق الحارة الرطبة، ولا سيما التهائم. وتقع "هوزن" "هوزان" "هوازن" عند مرتفعات "حراز".." (١)

"وليس في الموارد المتوفرة لدينا ما يدل على إقدام الأطباء الجاهليين على التشريح، للاستفادة منه في زيادة علمهم بالطب. وقد كانت شعوب الشرق الأدنى تنفر من تشريح الإنسان، وتعده مثلة واهانة للمتوفى، وعملا مخالفا لأحكام الدين، ولذلك نهت عنه. والجاهليون لا يختلفون من هذه الناحية عن غيرهم إن لم يزيدوا عليهم في هذه الأمور التي يعدونها حرمة وكرامة للإنسان. وتشريح الميت وتقطيع بعض أجزاء جسمه، اعتداء على حرمة الميت، واهانة له ولأهله الأحياء، ولهذا لا نطمع في الحصول على موارد قد تفيد بوجود خبرة علمية عند الأطباء الجاهلين ناتجة من تجاربهم وبحوثهم التي حصلوا عليها من التشريح.

ولم يرد الينا أي شيء مفيد في الكتابات الجاهلية عن الطب والأطباء، وإن أملنا الوحيد في الحصول على

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٤٠/١٢

معارف عن الطب، متوقف على المستقبل يوم يقوم علماء الآثار بالتنقيب تنقيبا علميا عميقا في باطن الأطلال الأثرية، للكشف عن تأريخ الماضين. وعندئذ يكون من الممكن العثور على نصوص قد تكشف النقاب عن الطب الجاهلي وعن العلوم الأخرى وعن مختلف نواحي الثقافة عند الجاهليين.

ويقال للمرض "مرضم" أي مرض في الكتابات الجاهلية. وتؤدي لفظة "حلصم" "حلظم" "حلظ" معنى مرض ووباء. ويتبين من بعض الكتابات إن أوبئة شديدة وأمراضا مهلكة كانت تقع في بعض الأحيان، فتفتك بالناس. وقد كانوا يتجنبونها بالتضرع إلى الآلهة للرحمة بهم وتخليص من الضر، كما كانوا يتركون المدن والأماكن المزدحمة إلى محلات بعيدة مكشوفة غير موبوءة حتى ينكشف الوباء. وفي جملة هذه الأوبئة الطاعون.." (١)

" محمد بن الحسن بن سعيد

أبو جعفر الأصبهاني سكن بغداد وحدث بها عن بكر بن بكار وغيره روى عنه ابن صاعد وأبو الحسين إبن المنادي وغيرهما وكان ثقة

محمد بن الحسن

إبن نافع أبو عروبة الباهلي البصري قدم بغداد وحدث بها عن سلم بن سليمان الضبي وغيره روى عنه إبن مخلد وإسماعيل الصفار أحاديث مستقيمة

محمد بن قيم

إبن واتد العنبري الإفريقي يروى عن أنس بن عياض توفي بعقصة في هذه السنة

قال أبو سعيد بن يونس ويقال ان هذه المدينة لا تمطر اصلا وإنما تجيئها الميرة من غيرها وفي أهلها جفاء عظيم

سنة

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

فمن الحوادث فيها أن قائد الزنج قتل على بن زيد العلوي صاحب الكوفة

وفيها **إشتد الغلاء في** علية بلاد الإسلام ناجلى عن مكة من كان مجاورا بها من **شدة الغلاء إلى** المدينة وغيرها من البلدان ورحل عنها العامل الذي كان بها وبلغ كرا لحنطة ببغداد خمسين ومائة دينار ودام ذلك شهورا

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٤٧/١٢

وفيها أمر مفلح التركي أن تزداد في جامع المنصور الدار المسماة بدار القطان وكان تديما دوانا للمنصور فتقدم مفلح الى صاحبه االقطان ببنائها وجعلها في الجامع ليصلي فيها ننسبت الى القطان وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد الذي حج بهم في التي قبلها

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٤ – إبراهيم بن عيسى ." (١)

" شك جعفر توفى المطوعى فى رجب هذه السنة ودفن بباب البردان

٣٣ – يوسف بن يزيد ابن كامل بن حكيم ابو يزيد القراطيسى روى عن اسد بن موسى ورأى الشافعى وكان ثقة صدوقا وبلغ مائة سنة الا اربعة اشهر وتوفى فى ربيع الاول من هذه السنة رحمه الله

سنة ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

فمن الحوادث فيها ورود الخبر **بوقوع الوباء بآذربيجان** فمات به خلق كثير إلى ان نقد الناس ما يكفنون به الموتى وكفنوا فى الأكسية والنبوذ ثم صاروا الى ان لم يجدوا من يدفن الموتى فكانوا يتركونهم فى الطرق على حالهم وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن على على كوره الصائفة ففتح حصونا كثيرة للروم وادخل طرسوس مائة علج ونيفا وستين علجا من الشمامسة وصلبانا كثيرة واعلاما

ولاثنتى عشرة دخلت من ذى الحجة وردت كتب التجار من الرقة ان الروم قد وافوا فى مراكب كثيرة وجاء قوم منهم على الظهر الى ناحية كيسوم فاستاقوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الف انسان ما بين رجل وصبى فمضوا بهم وأخذوا فيهم قوما من اهل الذمة

وفى هذه السنة كسفت الشمس فظهرت الظلمة ساعات ثم هبت وقت العصر ريح بناحية دبيل سوداء الى ثلث الليل ثم زلزلوا وخسف بهم فلم ينج الا اليسير وورد الخبر بأنه قد مات تحت الهدم فى يوم واحد اكثر من ثلاثين الف انسان ودام هذا عليهم اياما فبلغ من هلك خمسين ومائة الف انسان وحج بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد ." (٢)

" وسمع الربيع بن سليمان روى عنه الدارقطنى وكان ثقة وتوفى فى ذى القعدة من هذه السنة

سنة ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلثمائة

---

(١) المنتظم، ٢١/٥

(٢) المنتظم، ٢٧/٦

فمن الحوادث فيها انه خرج الراضى متنزها الى ان حادى بزوعى فاقام يومين ثم رجع وفيها ورد كتاب من ملك الروم الى الراضى وكانت الكتابة بالرومة بالذهب والترجمة بالعربية بالفضة يطلب منه الهدنة وفيه ولما بلغنا ما رزقته ايها الاخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الادب واجتماع الفضائل اكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله تعالى اذ جعل فى كل امة من يمتثل امره وقد وجهنا شيئا من الالطاف وهى اقداح وجرار من فضة وذهب وجوهر وقضبان فضة وسقور وثياب سقلاطون ونسيج ومناديل واشياء كثيرة فاخرة فكتب اليهم الجواب بقبول الهدية والاذن فى الفداء وهدنة سنة

وتحدث الناس فى شوال هذه السنة ان رقعة جاءت من ابن مقلة الى الراضى يضمن فيها ابن رائق وابنى مقاتل بالفى الف دينار وانه يقبض عليهم بحيلة لطيفة فقال الراضى صر الى حتى تعرفنى وجه هذا فجاء فعلم ابن رائق فركب فى جيشه الى الدار وقال لا ابرح الا بتسليم ابن مقلة فاخرج فأمر بقطع يده اليمنى وقيل هذا سعى فى الارض بالفساد

ووجد يهودى مع مسلمة وكان اليهودى غلاما لجهبذ يهودى لابن خلف فضربه صاحب الشرطة فلم يرض ابن خلف حتى ضرب صاحب الشرطة بحضرة اليهود فى يوم جمعة فافتتن الناس لذلك وكان امرا قبيحا

وفى هذه السنة **وقع الوباء فى** البقر وظهر فى الناس جرب وبثور ." (١)

" مخلد اخبرنا اسماعيل بن على الخطبى قال سقط رأس القبة الخضراء التى فى قصر ابى جعفر المنصور لتسع خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان تلك الليلة مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد وكانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة بنيت اول ملكهم وكان بين بنائها وسقوطها مائة وسبع وثمانون سنة

اخبرنا القزاز اخبرنا الخطيب اخبرنا على بن ابى على البصرى قال حدثنى ابى قال قال لى ابو الحسين بن عياش اجتمعت فى ايام المتقى بالله اسحاقات كثيرة فانسحقت خلافة بني العباس فى ايامه وانهدمت قبة المنصور الخضراء التى كان بها فخرهم فقلت له ما كانت الا سحاقات قال كان يكنى ابا اسحاق وكان وزيره القراريطى يكنى ابا اسحاق وكان قاضيه ابن اسحاق الخرقى وكان محتسبه ابو اسحاق ابن بطحاء وكان صاحب شرطته ابو اسحاق بن احمد وكانت داره القديمة دار اسحاق بن ابراهيم المصعبى وكانت الدار نفسها دار اسحاق بن كنداج **واشتد الغلاء فى** جمادى الاولى وزاد وبلغ الكر الدقيق مائة

---

(١) المنتظم، ٢٩٣/٦

وثلاثين دينارا واكل الناس النخالة والحشيش وكثر الموت حتى دفن جماعة فى قبر واحد بلا صلاة ولا غسل ورخص العقار والقماش حتى بيع ما ثمنه دنانير بعددها دراهم

وقطع الاكراد على قافلة خرجت الى خراسان فأخذوا منها ما مبلغه ثلاثة آلاف دينار وكان اكثر المال لبجكم وزادت الفرات زيادة لم يعهد مثلها وغرقت العباسية ودخل الماء شوارع بغداد فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة

وفى شوال اجتمعت العامة فى جامع دار السلطان وتظلمت من الديلم ونزولهم فى دورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم فى معاملاتهم فلم يقع انكار لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبرين وشعث المسجد ومنعهم الديلم من ذلك فقتل من الديلم جماعة

وفى هذا الشهر تقلد ابو اسحاق محمد بن احمد الاسكافى وزارة المتقى وخلع عليه ." (١)

" الى المشرق وكان عظيما جدا منتشر الذنب وبقى ثلاثة عشر يوما الى ان اضمحل وفى نصف ربيع الاول بلغ الكر الحنطة مائتين وعشرة دنانير والكر الشعير مائة وعشرين دينارا ثم بلغ الكر الحنطة ثلثمائة وستة عشر دينارا وأكل الضعفاء الميتة ودام الغلاء وكثر الموت وشغل الناس بالمرض والفقر وتقطعت السبل وترك التدافن للموتى واشتغل الناس عن الملاهى واللعب وفى يوم الجمعة لأربع خلون من شهر ربيع الآخر قام رجل من العامة فى الجامع بالرضافة والامام يخطب فلما دعا للمتقى لله قال له العامة كذبت ما هو بالمتقى فأخذ وحمل الى دار السلطان وخرج المتقى فلقى ناصر الدولة ابا محمد بن حمدان حين دخل بغداد وجاء مطر كأفواه القرب وامتلات البلاليع وفاضت ودخل دور الناس وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعا وثلث

ووقعت حرب بين الاتراك والقرامطة بناحية باب حرب وقتل فيها جماعة فانهزم القرامطة وخرجوا عن بغداد وزاد البلاء على الناس ببغداد وكبست منازلهم ليلا ونهارا واحتقر النساء واستتر اكثر العمال لأجل ما طولبوا به مما ليس فى السواد

وخرج اصحاب السلطان الى ما قرب من بغداد فأغارو على ماastحصد من الزرع حتى اضطر ارباب الضياع الى حمل ما حصدوه بسنبله ووقع بين توزون ونوزتكين التركيين فاصعد توزون الى الموصل وانفذ فى طلبه فلم يلحق ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٥٣٢ - اسحاق بن محمد

---

(١) المنتظم، ٣١٨/٦

ابو يعقوب النهر جورى صحب الجنيد وغيره وجاور بالحرم سنين وبه مات فى هذه السنة

اخبرنا ابن ناصر اخبرنا ابو بكر بن خلف اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمى قال سمعت ." (١)

" وفى اذار من هذه السنة غلت الاسعار حتى اكلوا الكلاب **ووقع الوباء ووافى** من الجراد الاعرابى الاسود امر عظيم حتى بيع كل خمسين رطلا بدرهم فكان ذلك معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز

وفى ذى القعدة خرج المتقى الى الشماسية لصيد السباع وفيها خرج خلق كثير من تجار بغداد مع الحاج للانتقال الى الشام ومصر لاتصال الفتن ببغداد وتواتر المحن عليهم من السلطان

وفيها ورد كتاب من ملك الروم يلتمس منديلا كان لعيسى عليه السلام مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وذلك المنديل فى بيعة الرها وانه ان انفذ اليه اطلق من اسارى المسلمين عدد كثيرا فاستؤمر المتقى لله فأمر باجضار الفقهاء والقضاة فقال بعض من حضر هذا المنديل منذ زمان طويل فى هذه البيعة لم يلتمسه ملك من ملوك الروم وفى دفعة الى هذا غضاضة على الاسلام والمسلمون احق بمنديل عيسى عليه السلام فقال على بن عيسى خلاص المسلمين من الاسر أحق فأمر المتقى بتسليم المنديل وتخليص الاسارى قال الصولى ووصل الخبر بأن القرمطى ولد له مولود فأهدى اليه ابو عبد الله البريدي هدايا عظيمة فيها مهد ذهب مرصع بالجوهر وكثر الرفض فنودى ببراءة الذمة ممن ذكر احدا من الصحابة بسوء وورد الخبر بقبول على بن بويه خلع السلطان بفارس ولبسه اياها وحضره حينئذ الشهود والقضاة ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٥٤٠ – ابراهيم بن احمد بن سهل ابن احمد بن سهل بن الربيع بن سليمان ابو اسحاق مولى جهينة سمع بكار بن قتيبة وغيره وتوفى فى رجب هذه السنة

٥٤١ – حبشون بن موسى ابن ايوب ابو نصر الخلال ولد سنة اربع وثلاثين ومائتين وسمع الحسن بن ." (٢)

" وكان فقيه على مذهب أبى حنيفة فرضيا عاقلا ثقة وتوفى فى جمادى الاولى من هذه السنة

٥٤٩ – المجنون البغدادى اخبرنا ابراهيم بن دينار الفقيه عن ابى الوفاء بن عقيل قال سمعت الحسن بن غالب المقرىء يقول سمعت ابا الحسين بن سمعون يقول سمعت ابا بكر الشبلى يقول رايت يوم الجمعة معتوها عند جامع الرصافة قائما عريانا وهو يقول انا مجنون الله انا مجنون الله فقلت له لم لا

---

(١) المنتظم، ٣٢٦/٦

(٢) المنتظم، ٣٣١/٦

تدخل الجامع وتتوارى وتصلى فنظر الى وانشد ... يقولون زرنا واقض واجب حقنا ... وقد اسقطت حالى حقوقهم عنى ... اذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى ... سنة ٣٣٢ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها انه فى ربيع الاول دخل الروم راس العين وسبوا من اهلها ثلاثة آلاف انسان ونهبوا البلاد وكان الذى قصدها الدمستق فى ثمانين الفا

وفى جمادى الاولى كثرت الامطار فتساقطت منازل الناس ومات خلق كثير تحت الهدم وما زالت قيمة العقار ببغداد تنقص وزاد الأمر **بسبب الغلاء وبلغ** الخبز الخشكار ثلاثة ارطال بدرهم والتمر رطلين بدرهم واغلقت عدة حمامات وتعطلت اسواق ومساجد حتى صار يطلب من يسكن الدور بأجرة يعطاها ليحفظها وكثرت الكبسات بالليل من اللصوص بالسلاح والشمع وتحارس الناس بالليل بالبوقات وجاء فى شباط مطر عظيم سبل وبرد كبار وجمعه الثلاجون ." (١)

" عبد الباقى عن على بن المحسن عن ابيه قال حدثنى ابو الحسين بن عباس القاضى قال حدثنى ابو عبد الله الموسوى العلوى انه باع فى سنة اربع وثلاثين وثلثمائة عند **اشتداد الغلاء على** معز الدولة وهو مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربى كر حنطة بعشرة آلاف درهم قال ولم اخرج الغلة حتى تسلمت المال

وكانت بين اصحاب معز الدولة ابى الحسين وبين اصحاب ناصر الدولة ابى محمد ابن حمدان حرب بعكبر فخرج معز الدولة ومعه الخليفة المطيع الى عكبرا وذلك فى رابع رمضان ثم حضر معز الدولة المطيع ووكل به فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان وافى ناصر الدولة الى بغداد فنزل فى الجانب الغربى فعبر اصحاب معز الدولة اليهم فعبر ناصر الدولة الى الجانب الشرقى ودخل بغداد وجاء معز الدولة فاحتربوا فملك الجانب الغربى باسره الا انه ضاق عليهم العيش فاشترى لمعز الدولة كرا بعشرين الفا ولحق الناس من السواد من جانبى بغداد ضر عظيم ثم ملك معز الدولة الجانب الشرقى فانهوم ناصر الدولة

وفى هذه السنة كثر القمل برستاق التيمرة الكبرى حتى يئس الناس من غلاتهم وانحط من نوع الطير الصفر يزيد على جرم العصفور وكان الطائر يعلق على شجرة فيصفر فيصير الطير حينئذ افواجا فينحط كل فوج منها على ضيعة فيلقط القمل حتى فنى ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٥٥٨ – توزون قد ذكرنا اخباره وما صنع بالمتقى توفى لثمان بقين من المحرم ولم يتم له حول بعد فعله القبيح واهماله ما عقد من الايمان

---

(١) المنتظم، ٣٣٥/٦

٥٥٩ – سليمان بن اسحاق ابن ابراهيم بن الخليل ابو ايوب الجلاب سمع ابراهيم الحربى روى عنه ابن حيويه وكان ثقة توفى فى هذه السنة ." (١)

" وتوفى فى هذه السنة

محمد بن احمد بن يوسف

ابن جعفر ابو الطيب المغزىء يعرف بغلام ابن شنبوذ خرج من بغداد وتغرب وحدث بجرجان واصبهان عن ادريس بن عبد الكريم وابن شنبوذ وغيرهما وتوفى فى هذه السنة

سنة

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها انه فى عاشوراء مثل ما عمل فى السنة الماضية من تعطيل الاسواق واقامة النوح فلما اضحى النهار يومئذ وقعت فتنة عظيمة فى قطيعة ام جعفر وطريق مقابر قريش بين السنة والشيعة ونهب الناس بعضهم بعضا ووقعت بينهم جراحات

وورد الخبر بنزول جيش ضخم من الروم على المصيصة وفيه الدمستق واقام عليها سبعة ايام ونقب فى سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل ودافعه اهلها وانصرف اذ قصرت به الميرة بعد أن اقام ببلاد الاسلام خمسة عشر يوما واحرق الدمستق المصيصة واذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم اهل مصيصة على الروم فظفر بهم الروم فقتلوا منهم نحو خمسة آلاف رجل وقتل اهل أذنة وطرسوس من الروم عددا كثيرا وقال الدمستق قبل انصرافه عن المصيصة يا اهل المصيصة انى منصرف عنكم لا لعجز عن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن اراد منكم الهرب فليهرب قبل رجوعى فمن وجدته قتلته

وورد الخبر فى ربيع الاول **ان الغلاء بانطاكية** وسائر الثغور اشتد حتى لم يقدر على الخبز وانتقل من الثغور الى دمشق وغيرها خمسون الفا هربا **من الغلاء وفى** جمادى الاولى ورد الخبر بأن الهجر يين انفذوا سرية الى طبرية واستهدوا ." (٢)

" سنة

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلثمائة

---

(١) المنتظم، ٦/٣٤٥

(٢) المنتظم، ٧/١٩

فمن الحوادث فيها انه جرى يوم عاشوراء ما جرت به عادة الشيعة من تعطيل الاسواق واقامة النوح وكذلك فعلوا فى يوم غدير خم

وفى هذه السنة **وقع الغلاء وبيع** الكر بتسعين دينارا وكان الخبر يعدم وورد الخبر بأن الروم دخلوا كفر توثا فسبوا وقتلوا ثمانمائة انسان ومضوا الى حمص فوجدوا اهلها قد انتقلوا عنها فأحرقوها ونكسوا فى الثغور وسبى نحو من مائة الف انسان فارسي

وفى جمادى الاولى خرج ابو عبد الله بن أبى بكر الآدمى القارى من منزله وأخذ من بعض الصيارف فوق الألف درهم وفقد اربعة ايام لم يعرف له خبر فلما كان يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وجد ميتا مطروحا فى الصراة بسرا ويله وخاتمه على اصبعه وليس به جراحة ولا أثر خنق ولا غرق وانما طرح فى الماء بعد أن مات

ودخل جوهر الى مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وخطب لبنى عبيد فى الجانبين بفسطاط مصر وسائر اعمالها يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شعبان هذه السنة وكان الخاطب فى هذا اليوم عبد السميع بن عمر العباسى ." (١)

" لأربع خلون من الشهر وعليه الخلع وبين يديه لواء ان مركوزان ابيض واسود ووصل اليه العامة والخاصة ورد شرف الدولة على الشريف ابى الحسن محمد بن عمر جميع املاكه وخراج املاكه فى كل سنة الفى الف وخمسمائة الف درهم ورد على الشريف ابى احمد الموسوى جميع املاكه ورفع امر المصادرات وسد طرق السعايات

وفى شهر ربيع الاول بيعت الكارة من الدقيق الخشكار بمائة وخمسة وستين درهما وجلا الناس عن بغداد ثم زاد السعر فى ربيع الآخر فبلغ ثمن الكارة الخشكار مائتين واربعين درهما

وفى يوم السبت لليلتين بقيتا من ربيع الآخر توفيت والدة شرف الدولة وكانت امرأة تركية ام ولد فركب اليه الطائع لله فى الماء معزيا بها

وفى شعبان ولد لشرف الدولة ولدان ذكران توأمان كنى احدهما ابا حرب وسماه سلاروكنى الآخر ابا منصور وسماه فناخسرو

---

(١) المنتظم، ٤٧/٧

وفى هذه السنة بعث شرف الدولة العسكر لقتال بدر بن حسنويه فظفر بهم بدر وانهزموا واستولى بدر بعد ذلك على الجبل واعماله وفى ذى الحجة وقع **مع الغلاء وباء** عظيم ذكر من توفى فى هذه السنة من الاكابر

٢٠٤ – احمد بن يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن البهلول التنوخى الازرق الانبارى الكاتب توفى يوم الجمعة لأربع بقين من المحرم

٢٠٥ – احمد بن محمد ابن بشر الشاهد توفى فى يوم الجمعة تاسع عشر المحرم والاصح سابع عشر ." (١)

" حسنويه قتله قوم من العيارين ليلة سبع وعشرين من رمضان هذه السنة

سنة

ثم دخلت سنة ست واربعمائة

فمن الحوادث فيها انه وقع فى يوم الثلاثاء غرة المحرم فتنة بين العوام كان سببها ان اهل الكرخ جازوا بباب الشعير فتولع بهم اهله فاقتتلوا وتعدى القتال الى القلائين فأنفذ فخر الملك الشريف المرتضى وغيره فأنكروا على اهل الكرخ ما يجرى من سفهائهم واستقر الامر على كفهم وشرط عليهم ان لا يعلقوا فى عاشوراء مسوحا ولا يقيموا نوحا

وفى هذا الشهر ورد الخبر **بوقوع الوباء فى** البصرة حتى عجز الحفارون عن حفر القبور وانه أظلت البلد سحابة فى حزيران فأمطرت مطرا كثيرا

وفى يوم السبت الثالث من صفر قلد الشريف المرتضى ابو القاسم الموسوى الحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبيين وجميع ما كان الى اخيه الرضى وجمع الناس لقراءة عهده فى الدار الملكية وحضر فخر الملك والاشراف والقضاة والفقهاء وكان فى العهد هذا ما عاهد عبد الله ابو العباس احمد الامام القادر بالله امير المؤمنين الى على بن موسى العلوى حين قربته اليه الانساب الزكية وقدمته لديه الاسباب القوية واستظل معه باغصان الدوحة الكريمة واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة فقلد الحج والنقابة وامره بتقوى الله وذكر كلاما فيه طول من ايصائه بالخير واللطف فيما استرعى

---

(١) المنتظم، ١٣٦/٧

وفى آخر صفر ورد خبر الحاج بعد تأخره بهلاك الكثير منهم وكانوا عشرين الفا فسلم ستة آلاف وان الأمر اشتد بهم حتى شربوا ابوال الجمال وأكلوا لحومها وفى ذى القعدة ورد الحاج الخراسانية ووقف امر الحاج لضيق الوقت وانه لم يرتب مع العرب ما يقع الى مثله سكون

وفيها ورد الخبر ان محمودا غزا الهند وغره ادلاؤه واضلوه الطريق فحصل فى مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن كان معه وخاض الماء بنفسه اياما ." (١)

" مشرعة باب الطاق على اعناق الرجال الى التربة والجماعة مشاة بين يديه وصح عند الناس عدم المياه في طريق مكة والعلونة فتأخروا وحضر الناس يوم الموكب لخمس بقين من هذا الشهر فاظهر ان ابا الحسن على بن ميكائيل الوارد من خراسان قد بذل اطلاق الفي دينار تنفق على طريق مكة فرد الخليفة ذلك واطلقه من خزانته وخلع علي ابن الاقساسي لتقلده النيابة عن المرتضى في الحج

وورد الكتاب من البصرة بما جرى على حاج البصرة من اخذ العرب لهم على ثلاثة ايام من البصرة وانهم نهبوا وجاعوا فبعث اليهم الوزير ابو الفرج ابن فسانجس جمالا وتمرا لحملهم ومعاونتهم وحج الناس من الامصار الا من بغداد وخراسان وورد مع المصرية كسوة للكعبة ومال للصدقة وصلات لأمير مكة

وووردت الأخبار بما كان **من الوباء والموت** في بلاد الهند وغزنة وكثير من اعمال خراسان وجرجان والرى واصبهان ونواحي الجبل والموصل وان ذلك زاد على مجاري العادة وخرج من اصبهان في مدة قريبة اربعون الف جنازة وكان ببغداد من ذلك طرف قوى ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجدري ما زاد علي حد الاحصاء حتى لم تخل دار من مصاب واستمر هذا الجدري في حزيران وتموز وآب وايلول وتشرين الاول والثاني وكان في الصيف اكثر منه في الخريف وجاء كتاب من الموصل انه مات بالجدري اربعة آلاف صبي

وخرجت هذه السنة ومملكة جلال الدولة مشتملة علي ما بين الحضرة وواسط والبطيحة وليس له من ذلك الا اقامة الخطبة والوزارة خالية عن ناظر فيها ورأى رجل من اصبهان في النوم ان شخصا صعد منارة مسجد اصبهان وكان اهل اصبهان اذ ذلك في خفض من العيش والراحة والا من وقال بصوت جهورى رفيع الى ان اسمع اهل اصبهان سكت نطق سكت نطق ثلاث مرات ." (٢)

---

(١) المنتظم، ٢٧٦/٧

(٢) المنتظم، ٦٩/٨

" وفيها وقع الوباء في الخيل فهلك من معسكر ابي كاليجار اثنا عشر الف رأس وعم ذلك في البلاد وامتلأت حافات دجلة من جيف الخيل

وورد الخبر بمجيء ابراهيم ينال اخي طغرل بك الى قرميسين وأخذها من يد ابي الشوك فارس بن محمد وتلا ذلك مجيئه الى حلوان فانه عمرها في مدة

ومات ابو الحسين العلاء ابن ابي علي الحسين بن سهل النصراني بواسط فجلس قوم من اقاربه في مسجد على بابه للعزاء به واخرج تابوته نهارا ومعه قوم من الاتراك فثار العوام فاعروا الميت من اكفانه واحرقوه ورموا بقيته في دجلة ومضوا الى الدير فنهبوه وعجز الاتراك عن دفعهم

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

١٦٧ – الحسين بن محمد بن الحسن

ابن بيان ابو عبدالله المؤذن في جامع المنصور ويعرف بابن مجوجا ولد في رجب سنة سبع واربعين وثلثمائة وروى عن جماعة كتب عنه ابو بكر الخطيب وقال كان صدوقا وكان يسكن في جوار الصيمري بدرب الزرادين وتوفي في جمادي الآخرة من هذه السنة ودفن في مقبرة باب الكناس

١٦٨ – خديجة بنت موسى

ابن عبدالله الواعظة المعروفة ببنت البقال وتكنى ام سلمة

اخبرنا القزاز اخبرنا ابو بكر الخطيب قال سمعت خديجة بنت موسى ابا حفص ابن شاهين كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة تنزل ناحية التوثة وتوفيت في جمادي الآخرة من سنة سبع وثلاثية واربعمائة ودفنت في مقبرة الشونيزي

١٦٩ – عبد الصمد بن محمد

ابن عبدالله ابو الفضل الفقاعي ولد سنة ثلاث وستين وثلثمائة سمع ابن مالك القطيعي وابا علي بن حمكان ." (١)

" عليه الى ابراهيم ينال فقلع احدى عينيه وظفر بنو نمير باصفر الغازي وكان قد اوغل في بلاد الروم فسلم الى ابن مروان فسد عليه برجا من ابراج آمد وعاد القتال بين اهل الكرخ وباب البصرة حتى ان صاحب المعونة فارق موضعه ومضى الى باب الازج

---

(١) المنتظم، ١٢٨/٨

وفي رمضان غلا السفر ببغداد وورد كتاب من الوصل **ان الغلاء اشتد** بها حتى أكلوا الميتة وكثر الموت حتى انه احصى جميع من صلى الجمعة فكانوا اربعمائة وعد اهل الذمة في البلد فكانوا نحو مائة وعشرين

وفي شوال قبض على الوزير ذي السعادات ابي الفرج محمد بن جعفر فسانجس وفي ذي القعدة **كثر الوباء ببغداد** وبيعت رمانة بقيراطين ونيلوفرة بقيراطين وفروج بقيراطين وخيارة بقيراط ومائة منا سكر بتسعين دينارا وطباشير درهم بدرهم فضة وزاد الامر في ذي الحجة وكثرت الامراض

ذكر من توفى في هذه السنة من الاكابر

١٧٨ - احمد بن محمد

ابن عبدالله بن احمد ابو الفضل القاضي الهاشمي الرشيدي من ولد الرشيد مرورذي الاصل ولي القضاء بسجستان وسمع من ابي احمد الغطريفي وغيره

اخبرنا القزاز اخبرنا احمد بن علي قال انشدنا ابو الفضل الرشيدي لنفسه

... قالوا اقتصد في الجود انك منصف ... عدل وذو الانصاف ليس يجور ... فاجبتهم اني سلالة معشر ... لهم لواء في الندى منثور ... تالله اني شائد ما قد بنى ... جدي الرشيد وقبله المنصور

١٧٩ - الحسن بن محمد

ابن الحسن بن علي ابو محمد بن أبي طالب الخلال ولد سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وسمع القطيعي والخرقي وابن المظفر وابن حيويه وغيرهم وكان يسكن بنهر القلائين ثم انتقل الى باب البصرة وكان ثقة له معرفة وتنبه وجمع وخرج ." (١)

" بنت اخي السلطان طغرلبك على صداق مبلغه مائة الف دينار وحضر قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني واقضى القضاة ابو الحسن الماوردى ورئيس الرؤساء ابو القاسم ابن المسلمة وهو الذي خطب ثم قال ان رأى سيدنا ومولانا امير المؤمنين ان ينعم بالقبول فعل فقال قد قبلنا هذا النكاح بهذا الصداق فلما دخل شهر شعبان مضى ابن المسلمة الى السلطان وقال له امير المؤمنين يقول لك ان الله تعالى يأمركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها وقد اذن في نقل الوديعة الكريمة الى العزيزة فقال السمع والطاعة ومضت والدة الخليفة الي دار المملكة وارسلت خاتون بورودها فانحدرت بها ودخلا باب الغربة وقت العتمة ودخل معها عميد الملك فقبل الارض وقال الخادم ركن الدين قد امتثل المراسم العالية في حمل الوديعة وسأل فيها كرم

---

(١) المنتظم، ١٣٢/٨

الملاحظة واجتناب الضيعة ثم انصرفوا فقبلت الجهة الارض دفعات عدة فادناها اليه وقربها منه واجلسها الي جنبه وطرح عليها فرجية منظومة بالذهب وتاجا مرصعا بالجوهر واعطاها من غدمائة ثوب ديباجا وقضبا مذهبا وطاسة من ذهب ق نبت فيها الياقوت والفيروزج وافرد لها من اقطاع دجلة اثنى عشر الف دينار

وفي هذا الوقت غلت الاسعار فبلغ الكر الحنطة وقد كان يساوي نيفا وعشرين دينارا بتسعين دينارا وتعذر التبن حتى كان يباع الكساء من التبن بعشرة قراريط وانقطعت الطريق من القوافل للنهب المتدارك وكان اهل النواحي يجيؤن بأموالهم مع الحفر فيبيعونها ببغداد مخافة النهب ولحق الفقراء والمتجملين من **معاناة الغلاء ما** كان سببا للوباء والموت حتى دفنوا بغير غسل ولاتكفين وكان الناس يأكلون الميتة وبيع اللحم رطلا بقيراط واربع دجاجات بدينار ونصف قفيز أرز بدينار ومائة كراثة بدينار ومائة اصل خس بدينار وعدمت الأشربة فبلغ المن من الشراب دينارا والمكوك من بزر البقلة سبعة دنانير والسفرجلة والرمانة دينار والخيارة واللينوفرة دينارا واغبر الجو وفسد الهواء وكثر الذباب **ووقع الغلاء والموت** بمصر ايضا وكان يموت في اليوم ." (١)

" الف نفس وعظم ذلك في رجب وشعبان حتى كفن السلطان من ماله ثمانية عشر الف انسان وحمل كل اربعة وخمسة في تابوت وباع عطار في يوم الف قارورة فيها شراب **وعم الوباء والغلاء** مكة والحجاز وديار بكر والموصل وخراسان والجبال والدنيا كلها وورد كتاب من مصر ان ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى احدهم على باب النقب والثاني على رأس الدرجة والثالث علي الثياب المكورة

وفي هذه السنة تقدم رئيس الرؤساء ابو القاسم على بن الحسن ابن المسلمة بان تنصب اعلام سود في الكرخ فانزعج لذلك اهلها وكان يجتهد في اذاهم وانما كان يدفع منهم عميد الملك الكندري

وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت معها سحابة ترابية فاظلمت الدنيا فاحتاج الناس في الاسواق الى السرج

وفيها احتسب ابو منصور ابن ناصر السياري علي اهل الذمة والزمهم لبس الغيارات والعمائم المصبوغات وذلك عن أمر السلطان فصرفت ذلك عنهم خاتون ومنعت المحتسب

---

(١) المنتظم، ٨/ ١٧٠

وفي العشر الثاني من جمادي الآخرة ظهر في وقت السحر ذؤابة بيضاء طولها في رأي العين نحو عشرة اذرع في عرض نحو الذراع ومكثت علي هذه الحال الي النصف من رجب ثم اضمحلت وكانوا يقولون انه طلع مثل هذه بمصر فملكت وكذلك بغداد لما طلع هذا ملكت وخطب فيها للمصريين

وفي عشية يوم الثلاثاء سلخ رمضان خرج الناس لترأى هلال شوال فلم يروه وصلى الناس التراويح علي عادتهم ونووا صوم غدهم فلما كان بكرة يوم الاربعاء جاء الشريف ابو الحسن بن المهتدى المعروف بالغريق الخطيب وقد لبس سواده وسيفه ومنطقته ووراءه المكبرون لا بسين السواد علي هيئته الى جامع دار الخلافة فرآه مغلقا ففتحه ودخل وقال اليوم يوم العيد وقد روئى الهلال البارحة بباب البصرة ورام الصلاة فيه وجمع الناس به وعرف رئيس ." (١)

" وصلب علي باب دكانه وهرب ابوجعفر الطوسي ونهبت داره

وتزايد الغلاء فبيع الكر الحنطة بمائة وثمانين دينارا والكارة والخشكار الرديئة بسبعة دنانير واتى البساسيرى الموصل فخطب بها للمصري فاستدعى عميد الملك محمد بن النسوى وتقدم اليه باخراج ابي الحسن بن عبيد كاتب البساسيرى وقتله وكان قد اسلم في الحبس ظنا ان ذلك ينجيه فقتل

وفي هذه السنة سار طغرلبك من بغداد يطلب الموصل وقد استصحب النجارين وعمل العرادات والمجانيق وكانت مدة مقامة ببغداد ثلاثة عشر شهرا وثلاثة عشر يوما واجتهد به الخليفة ان يقيم فلم يقم وخرج بعسكره فنهبوا أو انا وعكبرا وجميع البلاد وسبوا نساءها ونهبت تكريت وحوصرت القلعة **وعم الغلاء جميع** الآفاق حتى بلغ الكر الحنطة مائة وتسعين دينار وزاد ذلك في المعسكر فبيع الخبز رطل بنصف دانق وعاد ابن فسانجس الى واسط ومعه الديلم وخطب للمصري وورد محمود بن الاخرم الخفاجي من مصر ومعه مال فخطب بشفاتا وعين التمر وبالكوفة للمصري وكذلك فعل شداد بن اسد في النيل وسورا

ذكر من توفى في هذه السنة من الاكابر

٢٣٦ - الحسن بن عبد الواحد

ابن سهل بن خلف ابو محمد ولد في سنة ثمان وسبعين وثلثمائة سمع من ابن حبابة والدارقطني والمخلص وغيرهم وكان صدوقا توفي في ربيع الآخر من هذه السنة

٢٣٧ - الحسين بن جريش

(١) المنتظم، ١٧١/٨

ابن احمد بن علي بن يعقوب ابو عبد الله الكاتب ولد سنة تسع وستين وثلثمائة وكان يذكر ان اصله من الكرخ وانه من ولد ابي دلف العجلي سمع المخلص ويوسف بن عمر القواس وغيرهما وكان سماعه صحيحا وتوفى في هذه السنة

٢٣٨ – بدر بن جعفر

ابن الحسين بن علي ابو الحسن العلوى من ساكني الكوفة كتب عنه ابو بكر ." (١)

" نواحيها كذلك واقطاعها ثم استظهر عليها

وفي ذي الحجة كانت زلزلة بأرض واسط لبثت طويلا

وفي هذه السنة وقع موتان بالجدري والفجاءة ونقص في هذا الوقت الدور الباقية بمشرعة الزاويا والفرضة ومن بقايا المسنيات والدور الشاطية وغيرها شيء كبير واخذت اخشاب الدور وحملت الانقاض الى دار الخليفة فكانت عدة الدور ذوات المسنيات في الماء في سنة سبع واربعين واربعمائة عند دخول طغرلبك الى بغداد مائة ونيف وسبعين دارا

ووقع الوباء بمصر وكان يخرج منها في اليوم الواحد نحو الف جنازة وقبض على ابي الفرج المغربي وزير مصر ونظر ابو الفرج عبد الله بن محمد البابلي مدة ثم عزل

وفيها دخل صاحب اليمن مكة فأحسن السيرة وجلب اليها الاقوات وفعل الجميل

ذكر من توفى في هذه السنة من الاكابر

٢٨٤ – الحسن بن علي

ابن علي بن حرام ابو النصر الجذامي ورد بغداد وتفقه على ابي حامد الاسفرائيني وسمع المخلص وانحدر الى البصرة فسمع سنن ابي داود من القاضي ابي عمر الهاشمي وحدث بالكثير وكان يرجع اليه في الفتاوى والمشكلات وتوفى بسرخس

٢٨٥ – سعيد بن مروان

صاحب آمد توفى هذه السنة وقيل ان ابا الفرج الخازن سقاه السم باتفاق من نصر بن سعيد صاحب ميا فارقين فاحس سعيد وأمر بقتل ابي الفرج فقطع قطعا

٢٨٦ – محمد بن احمد

---

(١) المنتظم، ١٧٣/٨

ابن محمد بن حسنون ابو الحسين القرشي ولد في صفر سنة سبع وستين وتوفى ." (١)

" بيع سامرا فما عند هؤلاء من الدين خبر

اخبرنا محمد بن ناصر الحافظ انبأنا ابو الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي قال سمعت ابا الحسين ابن المهتدى يقول لا يصح أن قبر ابي حنيفة في هذا الموضع الذي بنوا عليه القبة وكان الحجيج قبل ذلك يردون ويطوفون حول المقبرة فيزورون ابا حنيفة لا يعينون موضعا

وفي شعبان هبت ريح حارة فقتلت بضعة عشر نفسا كانوا مصعدين من واسط وخيلا كثيرة واهلكت ببغداد شجر الاترج والليمون

وفي ليلة الاحد سلخ شعبان ان احترقت تربة معروف الكرخي وكان السبب ان القيم بها كان مريضا فطبخ له شعير فبعدت النار الى خشب وبواري هناك وارتفعت الى السقوف فأتت على الكل فاحترقت القبة والساباط وجميع ما كان ثم أمر القائم بأمر الله بعمارة المكان

وفي شوال لحق الدواب موتان وانتفخت رؤوسها واعينها حتى كانوا يصيدون حمر الوحش بأيديهم فيعافبون اكلها ووقع عقيب ذلك بنيسابور واعمال **خراسان الغلاء الشديد** والوباء المفرط وكذلك بدمشق وحلب وحران

وفي هذه السنة قبل قاضي القضاة ابو عبدالله الدامغاني شهادة الشريف ابي الحسن محمد بن علي بن المهتدي وابي طاهر عبد الباقي ابن محمد البزار وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد ابو سعد القاشي الناس على طبقاتهم الى المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك ببغداد للشافعية وجعلها برسم ابي اسحاق الشيرازي بعد أن وافقه على ذلك فلما كان يوم اجتماع الناس فيها وتوقعوا مجيء ابي اسحاق فلم يحضر فطلب فلم يظهر وكان السبب ان شابا لقيه فقال يا سيدنا تريد تدرس في المدرسة فقال نعم فقال وكيف تدرس في مكان مغصوب فغير نيته فلم يحضر فوقع العدول الى ابي نصر بن الصباغ فجعل مكانه وضمن له ابو منصور بن يوسف ان لا يعدل عنه ولا يمكن ابو اسحاق من الافساد عليه فركن الى قوله فجلس وجرت مناظرة وتفرقوا واجرى للتفقهة لكل واحد ." (٢)

" توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان وصلى عليه بجامعي القصر والمنصور وتبعه الخلق العظيم ودفن بمقبرة باب حرب

---

(١) المنتظم، ٢٣٢/٨

(٢) المنتظم، ٢٤٦/٨

٣٥١ – محمد بن علي

ابن محمد بن موسى بن جعفر وابو بكر الخياط المقرىء ولد سنة ست وسبعين وثلثمائة وقرأ القرآن على ابي حامد الفرضي وابي بكر بن شاذان وابن السوسنجردي وابي الحسن الحمامي وتوحد في عصره في القراآت وسمع الحديث الكثير وحدث بالكثير وكان ثقة صالحا حدثنا عنه اشياخنا توفي ليلة الخميس ثالث جمادى الاولى ودفن في مقبرة جامع المدينة

٣٥٢ – منصور بن احمد بن دار ست ابو الفتح

وزر القائم ثم وتوفي بالاهوا وفي هذه السنة

سنة ٤٦٨

ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة

فمن الحوادث فيها انه جاء جراد في شعبان كعدد الرمل والحصى فأكل الغلات فكدى اكثر الناس وجاعوا وطحن السوادية الخرنوب مخلوطا بدقيق الدخن **ووقع الوباء ثم** منع الله سبحانه الجراد من الفساد وكان يمر بالقراح فلا يقع منه عليه واحدة ورخصت لذلك الاسعار

وفي شوال خلع الخليفة على الوزير ابي منصور وولد الوزير فخر الدولة ابي نصر بعد أن استدعاهما الى حضرته وخاطبهما بما طيب نفوسهما ورد الامور الى عميد الدولة

وفي ذي الحجة وصل الخبر بالغلاء في دمشق بأن الكارة بلغت نيفا وثمانين دينارا وبقيت على هذا ثلاث سنين

وكان غلام يعرف بابن الرواس من اهل الكرخ يحب امرأة فماتت فحزن عليها فبقي لا يطعم الطعام وانتهى به الامر الى ان خنق نفسه ." (١)

" نية سلطاننا قد تغيرت علينا فقال لها من اين علمت قالت كنت آخذ من هذا الماء ما اريد من غير تعسف والآن فقد اجتهدت في العصر فلم يسمح ببعض ما كان يخرج عفوا فعلم صدقها فقال ارجعي الآن فانك تلقين الغرض ونوى ان لا يفعل ما عزم عليه فخرجت ومعها ما شاءت وهي مستبشرة فلما حكى الواعظ هذا قال له السلطان انت تحكي لي مثل هذا فلم لا تحكي للرعية ان كسرى اجتاز وحده على بستان فقال للناطور ناولني عنقودا من الحصرم فقد كظني العطش واستولت على الصفراء فقال له ما يمكنني فان السلطان لم يأخذ حقه منه فما يمكنني جنايته فعجب من حضر وكان فيهم نظام الملك من مقابلة

---

(١) المنتظم، ٢٩٧/٨

السلطان تلك الحكاية بهذه واستدلوا على قوة فطتنه وقد سار هذا السلطان من اصبهان الى انطاكية وعاد الى بغداد فما نقل ان احدا من عسكره اخذ شيئا بغير حق ودخل الى بغداد ثلاث مرات وكان الناس **يخافون الغلاء فيظهر** الامر بخلاف ما ظنوا وكانت السوقة تخترق عسكره ليلا ونهارا والسوادي يطوف بالتين والدجاج في وسط العسكر ولا يخافون ولا يبيعون الا بما يريدون وتقدم بترك المكوس فقال له احد المستوفين يا سلطان العام قد اسقطت من خزائن اموالك ستمائة الف ونيفا فيما هذا سبيله فقال المال مال الله والعبيد عبيده والبلاد بدلاه وانما يبقى في ذلك فمتى راجعني احد في ذلك تقدمت بضرب عنقه وذكر هبة الله بن المبارك بن يوسف السقطى في تاريخه قال حدثني عبد السميع بن داود العباسي قال قصد ملك شاه رجلان من اهل البلاد السفلي من ارض العراق يعرفان بابني غزال من قرية تعرف بالحدادية فتعلقا بركابه وقالا نحن من اسفل واسط من قرية مقطعة لخمارتكين الحلبي صادرنا على الف وستمائة دينار وكسر ثنيتي احدنا والثنيتان بيده وقد قصدناك ايها الملك لتقتص لنا منه فقد شاع من عدلك ما حملنا على قصدك فان اخذت بحقنا كما اوجب الله عليك والا فالله الحاكم بالعدل بيننا وفسر على السلطان ما قالاه قال عبد السميع فشاهدت السلطان وقد نزل عن فرسه وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى دار حسن هو نظام الملك ." (١)

" ويترك مكانه طبقا آخر مثله وستأتي اخبار ابن الشبشاش فيما بعد إن شاء الله تعالى وفى هذه السنة قصد بركياروق خوزستان وانضم اليه اولاد برسق وكان امير آخر قد مات وصار عسكره مع أياز فتوجه اياز من همذان بعسكره واتصل بيركياروق وسار طالبا لاخيه محمد فالتقيا وعلى ميمنة بركياروق اياز وعلى الميسرة اولاد برسق فانهزمت طلائع محمد وهرب مؤيد الملك فادركة غلممان بركياروق فأسروه فقتل وخرج الزعيم ابن جهير متنكرا فقصد حلة سيف الدولة وفي رمضان هذه السنة تقدم الخليفة بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن العادة جاريه بذلك ورتب فيه للامامة ابو الفضل محمد بن ابى جعفر عبد الله بن احمد بن المهتدى وامر بالجهر بالبسملة والقنوت على مذهب الشافعي وبيض الجامع وعمرو كسى وحملت اليه الاضواء وامر المحتسب ان ينهى النساء عن الخروج ليلا للتفرج

وفي هذه السنة ارسل السلطان محمد الى اخيه سنجر يلتمس منه مالا وكسوة فوقع التقسيط بذلك على اهل نيسابور الكبار والضعفاء حتى جبيت الحمامات والخانات ورددت الرسل بينهما فوقع الصلح وسارا وقد بلغهما تفرق العساكر عن بركياروق فلما وصلا الى دامغان اخربوها فعفت واخربوا ما أتوا عليه من

---

(١) المنتظم، ٧٢/٩

البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى شوهد رجل يأكل كلبا مشويا فى الجامع وانسان يطاف به فى الاسواق وفى عنقه يد صبى قد ذبحه واكله

ومضى بركياروق الى بغداد ومعه الامير اياز فوصل الى بغداد فى خمسة آلاف فارس وخرج الموكب لتلقبه ثم دخل بعده ولده ملك شاه بن بركياروق فاستقبله اهل المناصب من النهروان وحمل اليه من دار الخلافة تعويذ من ذهب فيه مصحف جامع فعلق عليه وكان عمره سنة وشهورا

وفى عيد الفطر خطب الشريف ابو تمام ابن المهتدى بجامع القصر فاراد أن يدعو لبركياروق فدعا للسلطان محمد غلطا لا عن قصد فاتى اصحاب بركياروق الى الديوان انه قد تدولف علينا فعزل ثم اعيد بعد جمعتين ." (١)

" غزير الادب مليح الصورة توفي في هذه السنة وعمره ثمان وثلاثون سنة ومدة ولايته النقابة اثنتا عشرة سنة وثلاثة اشهر وولى بعده اخوه ابو الحسن علي

٢٥٥ – صدقة بن منصور

ابن دبيس بن علي بن مزيد ابو الحسن الاسدي الملقب بسيف الدولة كان كريما ذا ذمام عفيفا من الزناء والفواحش كأن عليه رقيبا من الصيانة ولم يتزوج على زوجته قط ولا تسرى وقيل انه لم يشرب مسكرا ولا سمع غناء ولا قصد التسوق في طعام ولا صادر احدا من اصحابه وكان تاريخ العرب والأ ماجد كرما ووفاء وكانت داره ببغداد حرم الخائفين فلما خرج سرخاب الحاجب عن طاعة السلطان محمد التجأ اليه فأجاره ثم طلبه السلطان منه فلم يسلمه فجاء السلطان محاربا له على ما سبق ذكره في هذه السنة وهو ابن خمس وخمسين سنة وكانت امارته اثنتين وعشرين سنة غير ايام وحمل فدفن في مشهد الحسين عليه السلام سنة

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها انه شرع في عمارة جامع السلطان واتمه بهروز الخادم وفوض اليه السلطان محمد عمارة دار المملكة وملاحظة الاعمال بالعراق فحفر السواني وعمر فرخصت الاسعار وبنى رباطا للصوفية قريبا من النظامية ومنع النساء ان يعبرن مع الرجال في السميريات ثم وقع الغلاء فبيعت الكارة بثمانية دنانير

وفي هذه السنة عزل الوزير ابن المطلب في حادي عشرين رجب وكان ابو القاسم علي بن جهير باصفهان فاستدعى للوزارة باذن السلطان وجلس في وزارة المستظهر في شوال

---

(١) المنتظم، ٩/١٢٣

وفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج المستظهر بخاتون بنت ملك ." (١)

" للسلطان متى مضى هذا الى سنجر لم نأمنه والصواب قتله ها هنا وانفاذ رأسه فبعث السلطان محمود الى الخليفة ليعزل اخا عثمان وهو احمد بن نظام الملك فبلغ ذلك احمد فانقطع في داره وبعث الى الخليفة يسأله ان يعفى من الحضور بالديوان لئلا يعزل من هناك فاجابه ولم يؤذ بشيء

وناب ابو القاسم ابن طراد في الوزارة ثم بعث الى عميد الدولة ابن صدقة وهو بالحديثة فاستحضر فأقام بالحريم الطاهرى اياما ثم نفذ له الزبزب وجميع ارباب الدولة ومع سديد الدولة خط الخليفة فقرأه عليه وهو اجب ياجلال الدين داعى التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود فى هذه الساعة الى مستقر عزك مكرما فاقبل معهم من الحريم الطاهرى وجلس فى الوزارة يوم الاثنين سادس ربيع الآخر

وفى جمادى الآخرة وصل ابن الباقرحى ومعه كتب من سنحر ومحمود بتسليم النظامية اليه ليدرس فيها فمنعه الفقهاء فالزمهم الديوان متابعتة

وفى آخر شعبان وصل اسعد الميهنى بأخذ المدرسة والنظر فيها وفى نواحيها وازاله ابن الباقرحى عنها ففعل واتفق الميهنى والوزير احمد على ان دخل المدرسة قليل لا يمكن اجراء الامر على النظام المتقدم وانهم يقنعون المتفقه ويقطعون من بقي فاقتل بذلك الأمر المدرس فدرس يوما واحدا ببعض ب وامتنع الفقهاء من الحضور وترك التدريس ثم مضى الى المعسكر ليصلح حاله فاقام خواجا احمد ابا الفتح بن برهان ليدرس نائباالى ان يأتى اسعد الميهنى فألقى الدرس يوما فأحضره الوزير ابن صدقة واسمعة المكروه قال كيف اقدمت علمكان فدرتب فيه مدرس ثم الزمه بينه وتقدم الى قاضى القضاة فصرفه عن الشهادة وامر ابا منصور ابن الر زاز بالنيابة فى المدرسة **واشتد الغلاء فبلغت** كارة الدقيق الخشكار ستة دنانير ونصف ." (٢)

" وقتلت من كان سببا لقتالنا واعدتك الى السلطنة وجعلتك ولي عهدي وزوجتك ابنتي فلما مضت الى الله تعالى زوجتك الاخرى ورأي فيك رأي الوالد فالله الله ان تعول على ما قال لك ويجب بعد هذا ان تمضي الى بغداد ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة وتقتل الاكراد الذين قد دونهم وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر وتقول انا سيفك وخادمك وانت تعود الى دارك على ما جرت به عادة آبائك وانا لا احوجك الى تعسف فان فعل والا اخذته بالشدة والا لم يبق لك ولا لي معه حكم ونفذ

---

(١) المنتظم، ١٥٩/٩

(٢) المنتظم، ٢٤٦/٩

اليه رجلا وقال هذا يكون وزيرك فلما وصل الرجل والرسالة انثنى عزمه عما كان عول عليه والتفت الى قول عمه وكتب صاحب الخبر الى الخليفة بذلك فنفذ الخليفة اليه سديد الدولة ابن الانبارى يقول له تقنع ان تتأخر في هذه السنة عن بغداد لقلة الميرة والناس في **عقب الغلاء فقال** لابد لي من المجيء واتفق انه خرج شحنة بغداد برنقش الخادم الى السلطان محمود يشكو من استيلاء الخليفة على ما ذكرنا في السنة قبلها فاوغر صدره على دخول بغداد وحقق في نفسه ان الخليفة مع خروجه ومباشرته الحرب بنفسه لا يقعد ولا يمكن احدا من دخول بغداد من اصحاب السلطان من شحنته وعميد فتوجه السلطان الى بغداد فلما سمع الخليفة نفذ اليه رسولا وكتابا الى الوزيره يأمربرد السلطان عن التوجه فأبى واجاب بجواب ثقل سماعة على الخليفة فشرع الخليفة فى عمل المضارب واعتداد السلاح وجمع العساكر ونودى ببغداد يوم السبت عاشر ذى القعدة بعبور الناس الى الجانب الغربى وتقدم باخراج سرادقة الى ظاهر الحلبة انزعج الناس وعبروا الى الجانب الغربى فكثر الزحام على المعابروالسفن وبلغ اجرة الدار بالجانب الغربى سته دنانير وخمسة وتأذوا غاية التأذى فلما اطمأن الناس وسكنوا بدار الخليفة من القتال وقال اخلى البلد عليه واخرج واحقن دماء المسلمين فنودى بالعبور الى الجانب الشرقى فعبروا وحمل سرادق الخليفة النالجانب الغربى فضرب تحت الرقة وتواتر مجئ الامطار ودام الرعد والبرق وثلاثة ايام وكادت الدور وتغرق انهدم ." (١)

" وشكا العمال انهم يخسرون فنهض ابن حريقا وكذبهم وقال بل يربحون كثيرا وعرض هذا الكلام على صاحب المخزن ابن طلحة فلولاه عن ذلك ومنعه من الكلام فيه فبلغ الخبر الى المسترشد فأمر بحسابهم فاذا ربحهم كثير فظهر ان صاحب المخزن يعاونهم وذكر أنه كان يأخذ منهم كل شهر سبعين دينارا فثبت ذلك عليه فأمر المسترشد بنقل النظر في ذلك الى الديوان فانكسر صاحب المخزن بذلك كسرة عظيمة وكان تمام ذلك في اول المحرم هذه السنة فصار صاحب المخزن يجلس ساعة في المخزن بعد أن كان يكون فيه معظم النهار ولا يحضر باب الحجرة لما ظهر من ذلك عليه

وخرج التوقيع الى شرف الدين الوزير بأنك المعتمد عليه والأمر ما تأمر به فقوي جاشه بذلك

وفي المحرم تقدم الخليفة بحراسة الغلات واوجب **ذلك الغلاء فصار** كر الشعير باثني عشر دينارا

ووصل مسعود بن محمود الى بغداد في عشرة آلاف وورد قراجا الساقي ومعه سلجوق شاه بن محمد وكلاهما يطلب السلطنة وانحدر زنكي بن آق سنقر الموصلي لينضم الى مسعود فلما بلغ تكريت خلف قراجا الملك سلجوق شاه في عدد يسير وامرهم بمدافعة مسعود الى أن يعود وأسرى في يوم وليلة الى

---

(١) المنتظم، ٢٥٥/٩

تكريت فواقع زنكي فهزمه واسر جماعة من اصحابه وعاد بهم ثم دخل السفراء بينهم فوقع الاتفاق واجتمع مسعود وسلجوق وقراجا واحلفهم المسترشد على التوافق والطاعة والاجتماع وكان قراجا يتحكم على مسعود وسلجوق جميعا

وارجف الناس بمجيء سنجر فعمل السور وجبي العقار وظهر على كتاب كتبه الغزنوي الى وزير سنجر فأهين وخرجوا متوجهين لحرب السلطان سنجر بعد أن أفرد العراق جميعه للوكلاء ووقع الاتفاق واستظهر بالأيمان وألزم ." (١)

" وفي رجب **وقع الغلاء والقحط** ودخل اهل القرى والرساتيق الى بغداد لكونهم نهبوا فهلكوا عريا وجوعا

وتوفي قاضي القضاة الزينبي وتقلد القضاء ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن محمد الدامغاني وخرج له التوقيع بالتقليد وخلع عليه فركب الى جامع القصر فجلس فيه وقرأ ابن عبد العزيز الهاشمي عهده على كرسي نصب له

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٢٠٠ - ابراهيم بن محمد

ابن نبهان بن محرز الغنوي الرقي ابو اسحاق ولد في سنة تسع وخمسين واربعمائة سمع ابا بكر الشاشي وابا محمد التميمي وابا محمد السراج وغيرهم وتفقه على ابي بكر الشامي وابي حامد الغزالي وكتب كثيرا من مصنفات الغزالي وقرأها عليه وصحبه كثيرا قال المصنف ورأيته وله سمت وصمت ووقار وخشوع وروى كثيرا وتوفي ليلة الخميس رابع ذي الحجة من هذه السنة ودفن بمقبرة السونيزية في تربة تلي التوثة

٢٠١ - احمد بن محمد

ابن المختار بن محمد بن عبد الواحد بن المؤيد بالله ابو تمام ابن ابي العز المعروف بابن الخضر اخو ابي الفضل المختار البغدادي خرج من بغداد للتجارة ودخل ما وراء النهر وركب البحر الى الهند وكثر ماله وهو حريص على الزيادة وقد سمع ابا جعفر ابن المسلمة وابا نصر الزينبي وغيرهما وتوفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة من هذه السنة بنيسابور ودفن بمقبره الغرباء خلف الجامع وكان ولده نصر الله اذا سئل عن سن ابيه يقول كان له مائة وثلاث سنين

---

(١) المنتظم، ١٠/٢٥

٢٠٢ – صالح بن شافع

ابن حاتم ابو المعالي صحب ابن عقيل وغيره وسمع ابا الحسين ابن الطيوري وابا منصور الخراط وغيرهما وكان من المعدلين فجرت حالة اوجبت عزله ." (١)

" سنة

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

فمن الحوداث فيها انه وصل الى بغداد في المحرم صاحب المخزن ابو جعفر وقد فارق الحاج بالرحبة فأخبر أنهم لقوا شدة وأخبر أن جماعة انقطعوا في فيدو الثعلبية وواقصة وهلك خلق كثير في البرية لتعذر الظهر ولم يصح للحاج المضي الى المدينة لهذه الأسباب وللقحط الذي بنا **وان الوباء وقع** في البادية فهلك منهم خلق كثير وهلكت مواشيهم وان الاسعار بمكة ضيقة جدا وقدم مع الحاج فخر الدين بن المطلب فمنع من دخول الحريم وذكر أن السبب انه طلب موضع له يشتري للخليفة فتكلم بكلام لا يصلح فقبض على عقاراته وغضب عليه فأقام في رباط الزوزني اياما ثم مضى الى الدور مستجيرا بالوزير ليصلح حاله مع الخليفة قال المصنف فحدثني اخو الوزير قال كتب الى الوزير أن أحسن ضيافته ثلاثا ثم آمره أن يخرج ففعلت فخرج فأقام بمشهد علي عليه السلام

وفي صفر خرج المستنجد بالله الى نهر الملك للتصيد وقبض في طريقه على توبة البدوي ويقال له واطأ عسكر همذان على الخروج والعصيان وكان ضاربا بحلته على الفرات وقيد وادخل بغداد في الليل وحبس ثم ذكر انه قتل وكان الناس يشيرون الى بعض الاكابر أنه اشار بالقبض عليه وبقتله فما عاش ذلك المشار اليه بعده أكثر من اربعة أشهر

وفي عيد الاضحى ولدت امرأة من درب بهروز يقال لها بنت ابي الاعز الاهوازي الجوهري اربع بنات وماتت معها بنت اخرى وماتت المرأة ولم يسمع بمثل هذا وحكى ابو الفرج بن الحسين الحداد أن ابن البراج وكان ناظرا في وقف النظامية وكان ابن الزميلي مشرفا عليه والمدرس يوسف الدمشقي فاتفق ابن البراج وابن الزميلي على أن يكتبا كتابا على لسان ألدكز الى يوسف الدمشقي يتضمن انه من بطانتهم وانه يشعرهم بما يتجدد في بغداد من الامور ." (٢)

" ابن المهتدي الخطيب وانشد ابن شبيب

---

(١) المنتظم، ١٠/١٣٤

(٢) المنتظم، ١٠/٢١٠

وتكلمت يوم الخميس بعد العصر تاسع رجب تحت المنظرة وامير المؤمنين حاضر والزحام شديد وبالغت في وعظ امير المؤمنين فمما حكيت له ان الرشيد قال لشيبان عظني فقال يا امير المؤمنين لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الامن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدر لك الخوف قال فسر لي هذا قال من يقول لك انت مسؤول عن الرعية فاتق الله انصح لك ممن يقول انتم اهل بيت مغفور لكم وانتم قرابة نبيكم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله وقلت له في كلامي يا امير المؤمنين ان تكلمت خفت منك وان سكت خفت عليك فانا اقدم خوفي عليك لمحبتي لك على خوفي منك وتكلمت يوم السبت مفتتح رمضان في مدرستي بدرب دينار فكان الزحام خارجا عن الحد حتى غلق الابواب وقصت ثلاثون طائلة وتاب خلق من المفسدين

وخرج كانون ولم يأت فيه الا شيء يسير من المطر وخرج كانون الثاني خاليا عن مطر وكذلك خرج شباط وآذار وجاء نيسان مرة شيء يسير وشاع في الناس ان في **الموصل الغلاء وفي** ما حولها وانهم استسقوا فلم يسقوا واما دجلة فما رأيت فيها زيادة ولا انقطع الجسر طول السنة وهلك من الزرع ما كان سقيه بالمطر واجدبت واسط فكانوا ينقلون الطعام من بغداد اليها فمنع ذلك وصار الخبز الحواري كل ستة ارطال بقيراط والشعير كل اربعة ارطال بحبة وهم على حذر **من الغلاء الشديد** هذا والناس يحصدون

وجاء رجل الى بغداد في رمضان فذكر انه يضرب بالسيف والسكين فلا يعمل فيه ولكن ذكروا ان ذلك سيفه وسكينه خاصة وكان يقول لهم انا مشعبذ

وفي ليلة الجمعة رابع عشرين رمضان كبس بالكرخ على رجل يقال له ابو السعادات ابن قرايا كان ينشد على الدكاكين ويقال انه كان يذكر على العوني وغيره من الرفض فوجدوا عنده كتبا كثيرة فيها سب الصحابة وتلقيفهم فأخذ فقطع لسانه بكرة الجمعة وقطعت يده ثم حط الى الشط ليحمل ." (١)

"قلت: ولما نزل سعد الدين إلى داره لم يركب بالكلفتاه بعد أول مرة، ومرض ولزم الفراش إلى أن توفى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمانمائة، ولم يبلغ الثلاثين سنة.

وكان شابا جميلا كريما جوادا. ممدحا، رئيسا نالته السعادة في مباشرته، وكان يميل إلى فعل الخير والصدقة لا سيما **في الوباء الذي** كان في سنة ستة وثمانمائة، فإنه فعل فيه من الخيرات، ما هو مشهور عنه، قيل أنه منذ ولي الوظائف السنية إلى أن مات ما دخل عليه مملوك من المماليك السلطانية في حاجة - كبيرا كان أو صغيرا - إلا وسقاه السكر المذاب ثم يأخذ في قضاء حاجته، رحمه الله تعالى

---

(١) المنتظم، ١٠/٢٨٥

ابن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ٦١١ - ٦٨٦هـ،١٢١٤ - ١٢٨٧م

إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد السلام، الشيخ أبو إسحاق بن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام السلمي الدمشقي.

كان يخطب بجامع العقبة، ويلبس ثيابا قصيرة، وإذا خطب بكى، كان يتعانى الوعظ، فتألم أبوه لذلك وتركه، وكان يتكلم بكلام مسجوع مثل سجع الكهان، ويزعم أنه يلقى إليه من الجن، وكان فيه سلامة باطن. وكان مولده سنة إحدى عشرة وستمائة، وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى

الوزير أمين الدين بن الهيصم ٨٠٠ - ٨٥٩هـ، ١٣٩٧ - ١٤٥٤م

إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم، الوزير الصاحب أمين الدين بن القاضي مجد الدين وناظر الخواص، الشهير بابن الهيصم، وزير الديار المصرية.

مولده بها في أوائل القرن تخمينا، ونشأ تحت كنف والده ثم عمه الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، ومهر في الكتابة والحساب، وباشر في جهات إلى أن خلع عليه الملك الأشرف برسباي باستقراره في وظيفة نظر الدولة عوضا عن القاضي كريم الدين عبد الكريم الشهير بابن كاتب جكم بحكم انتقاله إلى نظر الخاص عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله المستقر استادارا عوضا عن ولده صلاح الدين محمد وذلك في يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، فاستقر الصاحب أمين الدين هذا في وظيفة نظر الدولة إلى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة استقل بوظيفة الوزر بعد عزل الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ واستقلاله بوظيفة الاستادارية فقط، فانه كان جمع بينهما مدة سنين،وباشر الصاحب أمين الدين الوزر مدة أشهر فلم ينتج أمره وضعف حاله عن القيام بكلف الدولة فاستعفى ثم تسحب، واختفى أشهرا إلى أن ولي مكانه الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكم الوزر، فتكلم الأمير إينال الأبو بكري في أمره، ولا زال بالسلطان إلى أن ظهر ولزم داره مدة، ووقع له أمور إلى أن آل الأمر إلى إعادته في وظيفة نظر الدولة ثانيا، ودام فيها أيضا عدة سنين إلى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة خلع عليه باستقراره في الوزر ثانيا عوضا عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ بحكم تعلله ولزومه الفراش أشهرا، فباشر المذكور الوزر في هذه المدة مباشرة جيدة، وضبط جهات الوزر، وقام بالكلف السلطانية أحسن قيام، واستفحل أمره ونتج، واستمر على

ذلك إلى أن وقع الشراقي العظيم بالديار المصرية في سنة أربع وخمسين وثمانمائة، وغلت الأسعار فلم يكترث المذكور بذلك، وفرق إطلاق المماليك السلطانية على العادة." (١)

"وقال: حكى لي أنه جاء إليه الأمير بكتمر الحاجب، فقام لتلقيه وجلس بين يديه، وقال: ارسم يا خوند فقال: هذا الكاتب تشفعني فيه وتستخدمه في الجهة الفلانية؟ فقال: السمع والطاعة، كم في هذه الوظيفة معلوم؟ فقال الكاتب: مائة وخمسون درهما وثلاثة أرادب قمحا. فقال للصيرفي: اصرف إلى هذا في كل شهر هذا المبلغ. فقال الكاتب: ما أريد إلا هذه الوظيفة، فقال كريم الدين لبكتمر: حتى تعرف يا خوند أنه لص وما يريد المعلوم، وما يريد إلا أن يسرق فاستحى بكتمر ومضى، انتهى.

ثم أمسكه السلطان مع كريم الدين الكبير وصادره، فطلب العوام قتله، وأثبت القضاة عليه محاضر بالكفر وغير ذلك، فخاف السلطان أنه إذا قتل يروح عليه المال فسلمه إلى بيبرس الأحمدي، ثم أرسله إلى صفد ناظرا، فأقام بها مدة، ثم نقل إلى الشام، فكرهه الأمير تنكز في أول حضوره. فلما رأى حسن مباشرته وعفته وتبعده أحبه، ثم طلب إلى الديار المصرية، فخافه أعداؤه وعملوا عليه حتى أقام بداره بطالا، ثم تكلموا فيه وأمعنوا حتى رسم بنفيه إلى أسوان، فجهز في البحر، فغرق في النيل في سنة ست وعشرين وسبعمائة.

قيل إنه كان غزير المروءة، إذا قام مع أحد تعصبا ما يرجع عنه. وكانت أطعمته فاخرة، ونفسه على الطعام واسعة. عفى الله عنه.

مشد الدواوين

الأكوز بن عبد الله الناصري، الأمير سيف الدين.

أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، كان جمدارا، فرقاه وأمره، ثم جعله شاد الدواوين، فعمل الشد أعظم من الوزارة، وتنوع في عذاب المصادرين، وقتل بالمقارع، وحمى الطاسات وألبسها للناس، وحمى الدسوت وأجلسهم عليها، وضرب الأوتاد في الآذان، ودق القصب تحت الأظفار وبالغ، ثم أضاف إليه السلطان، لؤلؤ غلام فندش، فاتفقا على عقاب الناس، وزاد البلاء في أيامهما، وسكنت رعبة الأكوز في القلوب، ولم يزل كذلك إلى أن غضب يوما على لؤلؤ المذكور، فأخذ العصاة بيده وضربه حتى هرب من قدامه وهو خلفه إلى باب القلعة البراني، وخرق شاشة في رقبته، فدخل لؤلؤ على النشو وعلى قوصون وبذل المال، واتفق أن **كان الغلاء بالقاهرة** سنة ست وثلاثين وسبعمائة، فقال السلطان لأكوز: انزل ولا تدع أحدا يبيع بأكثر من ثلاثين درهما الأردب.

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/ ٢٠

فأول ما نزل إلى شونة قوصون وأمسك السمسار الذي له وضربه بالمقارع وأخرق بأستاداره، فكلم قوصون الأكوز فأساء عليه الرد، فدخل قوصون إلى السلطان، فأخرق السلطان به، فأكمنها له، وعمل عليه هو والنشو، ولم يزالا به إلى أن غضب عليه السلطان وضربه ورسم عليه أياما، ثم أعطاه إمرة بدمشق، فتوجه إليها وأقام بها مدة يسيرة.

وتوفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة. رحمه الله تعالى وعفا عنه.

باب الألف واللام

الابن الطشتمري

ألبكي بن عبد الله الظاهري، الأمير فارس الدين.

تأمر في دولة أستاذه الملك الظاهر بيبرس، وصار من أعيان الأمراء إلى أن قبض عليه، وحبس مدة طويلة إلى أن أخرجه الملك المنصور قلاوون من الحبس وولاه نيابة صفد، فأقام بها عشر سنين، وكان كلما ركب ونزل حل جمداره شاشه وجعله في الكلفته، فإذا أراد الركوب لفه بيده مرة واحدة.

قال الشيخ نجم الدين الصفدي: كان ليس بخده نبات، كثير الأدب، وكان رئيسا عفيفا.

وقال: كنت أنادمه فلم أره بلا خف قط، ولم يمد رجله ولا يكشفها، انتهى.

ولما نفى الأشرف خليل بن قلاوون حسام الدين لاجين إلى صفد ضربه الأمير ألبكي هذا على كتفه بالمقرعة، وقال له: ما تمشي إلا خواتيني، وأخذت جوخة كانت معه وطرطور ضمن بقجة.

فلما تسلطن لاجين أرسل يقول له: احتفظ بالبقجة، فعند ذلك أخذ حذره وفر من حمص هو والأمير بكتمر السلاح دار وقبجق وتوجهوا إلى غازان، فبالغ في إكرامهم، وزوج الأمير فارس الدين ألبكي هذا بأخته، ثم جاءوا مع غازان إلى الشام. ولما توجه تأخروا عنه، فأعطى ألبكي نيابة حمص، فأقام بها إلى أن توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعمائة. رحمه الله تعالى.

الأبو بكري

ألتمر بن عبد الله الأبو بكري، الأمير سيف الدين.

أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق.

كان تركي الجنس، مشكور السيرة، دام بدمشق إلى أن مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبعمائة. رحمه الله تعالى.

الناصري الدوادار

ألجاي بن عبد الله الناصري الدوادار، الأمير سيف الدين.." (١)

"ثم انهزموا؛ فهجم مملوك من عسكر الناصري يقال له يلبغا الزيني الأعور، وضرب الأمير جركس الخليلي بالسيف؛ فقتله، وأخذ سلبه، وترك رمته بالعراء مدة إلى أن كفنته امرأة ودفنته. ثم مدت التراكمين أيديهم ينهبون ويأسرون. ولحق الأتابك أيتمش بقلعة دمشق وتحصن بها، وتمزق العسكر السلطاني شذر مذر، ودخل الناصري إلى دمشق من يومه، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال، وأوقع الحوطة على سائر مال العسكر المصري والشامي، وقيد أيتمش والأمير طرنطاي نائب دمشق وحبسهما بقلعة دمشق. ثم قبض من يومه على الأمير بكلمش العلائي في عدة من المماليك السلطانية، واعتقلهم بالقلعة، وانهزم الأمير يونس النوروزي الدوادار يريد القاهرة، فاعترضه عنقاء بن شطي أمير آل مرا قريبا من خربة اللصوص؛ فقتله في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الآخر. وبعث برأسه إلى الأمير يلبغا الناصري. وبلغ السلطان الخبر من غزة في يوم سابع عشرين ربيع الآخر؛ فاضطرب اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وتشغبت الزعر.

هذا، مع عظم الوباء بالقاهرة، وترادفت الأهوال على المصريين. ثم خرج السلطان إلى الإيوان من القلعة، وعرض المماليك، وكتب منهم خمسمائة، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضة؛ ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودون الطرنطاي، ثم أنفق في خمسمائة مملوك، ثم في أربعمائة؛ لتتمة ألف وأربعمائة مملوك، ثم أنفق في المماليك الكتابية، لكل واحد مائتي درهم فضة.

وفي يوم الأربعاء أول جمادى الأولى من السنة أنعم على كل من قرابغا الأبو بكري، وبجاس النوروزي نائب القلعة، وشيخ الصفوي، وقرقماش الطشتمري بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، وأنعم على كل من ألجبغا الجمالي الخازندار، وألطنبغا العثماني رأس نوبة، ويونس الأسعردي الرماح، وقنق باي الألجاوي اللالا، وأسنبغا الأرغون شاوي، وبغداد الأحمدي، وأرسلان اللفاف، وأحمد الأرغوني، وجرباش الشيخي، وأرسبغا المنجكي، وإبراهيم بن طشتمر، وقراكسك السيفي بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسني والي القاهرة، وقنق باي الأحمدي بإمرة عشرين، وأنعم على كل من بطا الطولوتمري، ويلبغا السودوني، وسودون اليحياوي، وتنبك اليحياوي وأرغون شاه البيدمري، وآقبغا الجمالي الهذباني، وتغري بردى من يشبغا - أعني والدي - وقوزي الشعباني، وبكبلاط السونجي، وأردبغا العثماني، وشكزباي

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١/٢٠٨

العثماني، وأسنبغا السيفي بإمرة عشرة.

ثم رسم فنودي بالقاهرة بإبطال المكوس، وأخذ في تحصين القاهرة، واستجلاب خواطر الرعية إلى أن ورد الخبر بقدوم الناصري نحو الديار المصرية. ثم انقطعت الأخبار عن السلطان؛ لأن ابن باكيش نائب غزة وغيره دخلوا في طاعة الناصري، فهم السلطان أن يخرج إلى السفر؛ لقتال الناصري في أثناء الطريق – وكان هو الرأي – فخذله الأمير دمرداش وغيره، وحسنوا له القتال من القلعة. ووقع الشروع في حفر خندق القلعة، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر بنزول الناصري إلى الصالحية؛ فأرسل السلطان الأمير قجماق بجماعة لكشف خبر الناصري فتوجه إلى المرج والزيات، وعاد ولم يقف على خبره، ثم أرسل في يوم الخميس أول جمادى الآخرة الأمير قرابغا الأبو بكري إلى قبة النصر، فعاد ولم يقف على خبر.

هذا والسلطان قد اجتمع عنده من الرماة، والمقاتلة، وآلات القتال أنواع، ثم ورد عليه الخبر بنزول الناصري إلى البئر البيضاء في يوم الجمعة ثانيه؛ فتوجه إليه أمراء الظاهر أولا بأول.

وركب السلطان والخليفة بعد العصر، ودقت، الكوسات الحربية، ووقف عند دار الضيافة، وجميع من بقي عنده من العسكر ملبسة. واجتمع حوله من العامة خلائق، وقد ظهر زوال ملكه من عظم خوفه وكثرة بكائه حتى أبكى الناس، ثم عاد إلى الإصطبل السلطاني؛ فجلس فيه، وصعد الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل. ثم لا زال الناصري بمن معه يتقدم، وأمر الظاهر برقوق وسعده يتأخر، إلى أن فر من عنده من الأمراء إلى الناصري الأمير آقبغا الماردينى حاجب الحجاب، والأمير جقمق بن الأتابك أيتمش، والأمير صارم الدين إبراهيم بن طشتمر الدوادار.." (١)

"وكان يفرق في كل سنة مائة ألف درهم فضة على نحو عشرين زاوية، ويفرق في كل سنة على أهل العلم والصلاح ما بين الألف درهم الواحد إلى المائة دينار، وكان يفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل. وكان يفرق في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا على أهل الخير وأرباب البيوت.

ويبعث في كل سنة إلى الحجاز الشريف ثلاثة آلاف أردب قمحا، تفرق في الحرمين الشريفين، وفرق في **مدة الغلاء كل** يوم أربعين أردبا؛ عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع.

وكان يبعث في كل قليل بجملة من الذهب تفرق في الفقهاء والفقراء.

حدثني تقي الدين المقريزي من لفظه قال: أخبرني العبد الصالح الطواشي صندل المنجكي أن الملك الظاهر برقوق تصدق على يده في سنة واحدة بخمسين ألف دينار.

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢٦٢/١

قلت: وكان المقريزي ثقة. وأما صندل، فإنه كان من الصالحين الذين يتبرك بهم، انتهى.
وأبطل الملك الظاهر عدة مكوس منها: م ا كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط عما كان يبتاعه الناس. وأبطل مكس شورى وبلطيم من البراس شبه الجالية في كل سنة مبلغ ستين ألف درهم.
وأبطل مكس معمل الفراريج بالنحريرية وغيرها من الغربية.
وأبطل مكس الملح بعينتاب. وأبطل مكس الدقيق بالبيرة. وأبطل بطرابلس ما كان مقررا على قضاة البر وولاة الأعمال عند قدوم النائب، وهو مبلغ ستمائة درهم، أو بغلة بدل ذلك.
وأبطل ما كان يؤخذ على الحلفاء والدريس بباب النصر خارج القاهرة.
وأبطل رمي الأبقار بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر على الفلاحين البطالين بالوجه البحري.
وأبطل ضمان المغاني بمدينة الكرك وبمنية بني خصيب وغيرها بجميع الأقاليم.
وأنشأ مدرسته ببين القصرين - وقد تقدم ذكرها - وعمر الجسر بالغور - وتقدم ذكره أيضا، طوله مائة وعشرون ذراعا - .
وجدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية، وسور دمنهور، وعمر زاوية البرزخ بدمياط، وقناة العروب بالقدس، وبنى بركة أكره بطريق الحجاز، وبركة أخرى برأس وادي بني سالم بطريق المدينة المنورة، ورم القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، وجدد عمارة الميدان تحت قلعة الجبل بعد ما كان قد تخرب غالبه، وسقاه وغرس به النخل، وزرع به القرط، وعمر صهريجا، ومكتبا تقرأ فيه الأيتام بقلعة الجبل، وعمر أيضا سبيلا تجاه دار الضيافة من تحت القلعة.
وخطب له على منابر توريز فند ما أخذها قرا محمد، وضرب الدنانير والدراهم فيها باسمه. وخطب له على مآذن ماردين والموصل وسنجار.
وملكت عساكره دور كي وأرزنكان من أرض الروم وغير ذلك.
وهو أعظم ملوك الجراكسة بلا مدافعة، بل المتعصب يقول: إنه هو أعظم ملوك الترك قاطبة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.
وتسلطن من بعده ولده الملك الناصر فرج - وستأتي ترجمته في محلها إن شاء الله تعالى - .
؟؟أمير مكة المشرفة
بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة. واسم رميثه: منجد بن أبي نمى محمد ابن أبي سعيد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن

محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المكي الحسني، أمير مكة زين الدين أبو زهير، وابن أميرها بدر الدين.

مولده بمكة سنة إحدى وثمانمائة، وأمه أم كامل بنت النصيح من ذوي عمر.." (١)

"توفي سنة عشرة وسبعمائة. رحمه الله تعالى.

ابن درباس

٠٠ - ٠ - ٦٧٦هـ - ٠٠٠ - ١٢٧٧م الحسن بن إسماعيل بن عبد الملك بن درباس، الشيخ الإمام نصر الدين ابن القاضي صدر الدين، الشهير بابن درباس.

كان إماما، عالما، فقيها، أديبا وهو مدرس مدرسة سيف الإسلام بالبندقانيين من القاهرة وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة.

صاحب بغداد

٠٠ - ٠ - ٦٥٧هـ - ٠٠٠ - ١٢٥٨م الحسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان النوين، الأمير الكبير المعروف بالشيخ حسن، صاحب بغداد وما والاها. وهو سبط أرغون ابن أبغا بن هولاكو.

كان في ابتداء أمره في خدمة القان بو سعيد. وكان الشيخ حسن هذا متزوجا ببغداد، خاتون ابنة جوبان؛ فأحبها القان بو سعيد، وأخذها منه بعد ما ولدت منه ابنه أيلكان، ثم أبعد بو سعيد الشيخ حسن المذكور. فلما خرج من بلده عصى عليه وخالفه، ولم يزل على ذلك حتى ملك مدينة بغداد، وجرى له حروب وخطوب بعد موت بو سعيد مع طغاي بن سوتاي، ومع إبراهيم بن سوتاي أيضا، ومع أولاد تمرتاش وغيرهم، وتداولوه بالحروب إلى أن نصره الله عليهم.

و تزوج بعد موت بو سعيد بالخاتون دلشاد ابنة الأمير دمشق خجا، وهي ابنة أخي زوجته الأولى بغداد خاتون.

و لما ملك بغداد واستقر بها مال إلى ملوك مصر وهادنهم، وانتظمت كلمة الوفاق بينهم، ومال إلى المسلمين ميلا كثيرا.

و كان في **أيامه الغلاء العظيم** ببغداد حتى أبيع بها الخبز بصنج الدراهم، ونزح الناس عنها، ثم تراجع الناس إليها قليلا بقليل في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عندما أظهر العدل بها في الرعية.

و كان مشكور السيرة، واستمر على ذلك إلى سنة تسع وأربعين، توجه إلى ششتر، ثم عاد إلى بغداد؛فوجد

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٢٧١/١

نوابه قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاثة أجباب نحاس، طول كل جب ذراعان ونصف، مملوءة ذهبا مصريا، وفي بعضه صكة الإمام الناصر لدين الله، أحد خلفاء بغداد.

و كان وزن ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي، يكون ذلك خمسمائة ألف مثقال. واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة سبع وخمسين وستمائة.

و كانت دولته سبعة عشر سنة، وملك بغداد بعده ابنه أويس. رحمه الله.

ابن المهمندار

الحسن بن بلبان، الأمير حسام الدين، المعروف بابن المهمندار الحلبي، أخو الأمير بن علاء الدين على حاجب حجاب حلب، والأمير ناصر الدين محمد أحد مقدمي الألوف بحلب، ثم نائب قلعتها.

كان الأمير حسام الدين هذا أحد أمراء حلب، وبنى بها جامعا مليحا داخل باب اليهود، المعروف الآن بباب النصر، وكان رئيسا عريقا. وبيت المهندار بيت كبير بحلب، رحمه الله تعالى.

المغلي

٠٠ - ٠ - ٧٧٤هـ - ٠٠٠ - ١٣٧٢م الحسن بن تمرتاش بن جوبان التركي المغلي، الأمير بدر الدين، المعروف بالشيخ حسن ملك التتار.

كان عارفا مقداما داهية صاحب رأي وخديعة. وكان مجتهدا في القدوم إلى البلاد الشامية، إلا أنه كان يخشى من الأمير تنكز نائب الشام. وقيل إنه كان يقول: دبرت في أمر تنكز أحد عشر حيلة، إن لم يرح بواحدة راح بأخرى، ثم أرسل رسوله إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بأول حيله التي دبرها على تنكز؛ فكان مما قاله: إن تنكز كتب إلي في الباطن يريد الحضور إلى عندي؛ فاستوحش الملك الناصر من تنكز، وقبض عليه حسبما ذكره في ترجمته.

فلما بلغ الشيخ حسن إمساك تنكز فرح بذلك، ثم قال: أنا كنت أظن أن إزالة تنكز صعب، وقد راح بأهون حيلة. وكان لما يريد يتفكر في أمر يفعله مع تنكز يدخل الحمام، ويخلو بنفسه فيها اليومين والثلاثة حتى يتيقن ما يريد يفعله، ولما أمسك تنكز قوي عزمه على المجيء إلى البلاد الشامية؛ فوقع بينه وبين زوجته وحشة؛ فهددها بالقتل؛ فبادرته بأن خبأت له عندها خمسة من المغل؛ فخنقوه، وأصبح ميتا، ودفن بمدرسته التي أنشأها بتبريز.

و لم يأخذ له أحد بثأر؛ وذلك لبغض الناس فيه، وحصل للمسلمين وللترك بموته فرج كبير. وكانت وفاته في شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ولله الحمد.

ابن خاص بك العلامة

.. - ٠ - ٨١٣هـ - ... - ١٤١٠م الحسن بن خاص بك، العلامة بدر الدين، أحد أعيان فقهاء السادة الحنفية، وأحد مقدمي المماليك السلطانية.." (١)

"وخم. موضع تصب فيه عين، الغدير والعين وبينهما مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .وقال عرام ودون الجحفة على ميل غدير خم وواديه يصب في البحر لا نبت فيه غير المرخ والثمام والإراك والعشر.. وغديرخم هذا من نحومطلع الشمس لايفارقه ماء المطر أبدا وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير. وقال الحازمي خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة. وخم أيضا ورم بئران حفرهما عبد بن عبد مناف وقال:

حفرت خما وحفرت رما ... حتى ترى المجد لنا قد تما

وهما بمكة.. وقال محمد بن إسحاق الفاكهي في كتاب مكة بئر خم قريبة من الميثب حفرها مرة بن كعب بن لؤي قال وكان الناس يأتون خما في الجاهلية والإسلام في الدهر الأول يتنزهون به ويكونون فيه.. حدثنا محمد بن منصور حدثنا سفيان عن عمروبن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو بخم يقول بكاء الحي على الميت عذاب للميت وقال:

لا نستقي إلا بخم والحفر

قال السمهودي:

خم بالضم اسم رجل شجاع أضيف إليه الغدير الذي بقرب الجحفة أو اسم واد هناك وقال النووي اسم غيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إليها قال الحافظ المنذري لا يولد بهذه الغيضة أحد فيعيش إلى أن يحتلم إلا أن يرحل عنها لشدة ما بها **من الوباء والحمى** بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في نقل حمى المدينة إليها وقال عرام دون الجحفة على ميل من غدير خم من نحو نطلع الشمس لا يفارقه ماء من ماء المطر يصب واديه في البحر.

دهماء مرضوض

قال معن بن أوس المزني:

تأبد لأي منهم فعتائده ... فذو سلم أنشاجه فسواعده

فذات الحماط خرجها فطلولها ... فبطن البقيع قاعه فمرابده

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٤١٢/١

فدهماء مرضوض كأن عراضها ... بها نضو محذوف جميل محافده

دهماء مرضوض: موضع في بلاد مزينة من نواحي المدينة.

وقال الفيروز آبادي في المغانم المطابة في معالم طابة:." (١)

"ولم يبق إلا يلمع وموضع بلقع بما حل بمصر من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين وأربعمائة **من الغلاء والوباء**، فمات أهلها وخربت ديارها وتغيرت أحوالها، واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانبي الفسطاط الغربي والشرقي . فأما الغربي فمن قنطرة بني وائل حيث الوراقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر إلى الشرف المعروف الآن بالرصد، وأنت مار إلى القرافة الكبرى. وأما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي تلي القرافة إلى نحو جامع أحمد بن طولون، ثم دخل أمير الجيوش بحر الجمالي مصر في سنة ست وستين وأربعمائة، وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأنيسها قد **أبادهم الوباء والتباب**، وشتتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر إلا بقايا من الناس كأنهم أموات قد اصفرت وجوهم وتغيرت سحنهم من غلاء الأسعار، وكثرة الخوف من العسكرية، وفساد طوائف العبيد والملحية، ولم يجد من يزرع الأراضي. هذا والطرقات قد انقطعت بحرا وبرا إلا بخفارة وكلفة كثيرة، وصارت القاهرة أيضا يبابا داثرة، فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرض، وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر، وعمروا بها في القاهرة، وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة.

ثم كان المنبه بعد القضاعي على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تأليف لطيف نبه فيه الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعدما كانت أحباسا ثم كتب الشريف محمد بن أسعد الجواني كتاب النقط بعجم ما أشكل من الخطط نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت، وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب إيعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل في الخطط بين فيه جملا من أحوال مصر وخططها إلى أعوام بضع وعشرين وسبعمائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم في وباء سنة إحدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة. وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه باباً كانت الحاجة داعية إليه، ثم تزايدت العمارة من بعده في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها إلى أن كادت تضيق

---

(١) المواضع والديار والأمكنة في شعر معن بن أوس المزني، ص/٢٠

على أهلها حتى حل بها وباء سنة تسع وأربعين وسنة إحدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين فخربت بها عدة أماكن فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الإقليم، وسأورد من ذكر الخطط ما تصل إليه قدرتي إن شاء الله تعالى.

ذكر طرف من هيئة الأفلاك

اعلم أنه لما كانت مصر قطعة من الأرض تعين قبل التعريف بموقعها من الأرض وتبيين موضع الأرض من الفلك أن أذكر طرفا من هيئة الأفلاك، ثم أذكر صورة الأرض وموضع الأقاليم منها، وأذكر محل مصر من الأرض، وموضعها من الأقاليم وأذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجائبها وكنوزها وأخلاق أهلها، وأذكر نيلها وخلجانها وكورها ومبلغ خراجها، وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول: علم النجوم ثلاثة أقسام: الأول: معرفة تركيب الأفلاك، وكمية الكواكب، وأقسام البروج، وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم: علم الهيئة. والقسم الثاني: علم الزيج، وعلم التقويم. والقسم الثالث: معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الأحكام، والغرض هنا إيراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتي ذكره. اعلم أن الكواكب أجسام كريات والذي أدرك منها الحكماء بالرصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا، وهي على قسمين سيارة، وثابتة. فالسيارة سبعة وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطا رد، والقمر، وقد نظمت في بيت واحد وهو:

زحل شرى مريخه من شمسه ... فتزاهرت بعطارد الأقمار." (١)

"فإذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد، وكذا إذا كان القمر في وتد الأرض فإذا بزغ القمر طالعا من الشرق أو غرب كان الجزر. والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر، ويقال له : الامتلاء أيضا عند الاجتماع، ويقال له: السرار. والجزر يكون أيضا في وقتين عند تربيع القمر للشمس في سابع الشهر، وفي ثاني عشريه. والمد السنوي يكون أيضا في وقتين: أحدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة، والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت، فإن اتفق أن يكون ذلك في وقت الامتلاء أو الاجتماع، فإنه حينئذ يجتمع الامتلاءان الشهري والسنوي، ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لا سيما إن وقع الاجتماع أو الامتلاء في وسط السماء، ووقع مع النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فإنه يعظم الفيض. فإن وقع كوكب فصاعدا مع أحد النيرين، تزايد عظم الفيض، وكانت

(١) المواعظ والاعتبار، ٤/١

زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا، وزاد أيضا نهر مهران. فإن كان الاجتماع أو الامتلاء زائلا عن وسط السماء، وليس مع أحد النيرين كوكب فإن النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الأنوار التي تثير المياه.

ويكون بمصر في **السنة الغلاء والجزء** السنوي يكون عند حلول الشمس برأسي الجدي والسرطان. فأما المد اليومي الدافع من البحر المحيط فإنه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط أكثر من درجة واحدة فلكية، ومساحتها من الأرض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف، وانصرافه هو الجزر وكذلك الأودية إذا كانت الأرض وهدة، والمد الشهري ينتهي إلى أقاصي البحار، وهو يمسكها حتى لا تنصب في البحر المحيط، وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه. وأما المد السنوي فإنه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة، ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه، وامتلاء نهر مهران، والديتلو الذي ببلاد السند. قال: ولما جاء أرسطو إلى مصر مع الإسكندر ورأى مصب النيل، وعلم أن من المحال أن يكون النيل في أسوان واد من الأودية. وكلما استحل اتسع حتى أن عرضه في أسفل ديار مصر لينتهي إلى مائة ميل عند غاية الفيض، وله أفواه كثيرة شارعه في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع، فرأى محالا أن يكون الوادي بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتي به أعلاه مع ضيق أعلاه وسعة أسفله. فلما رأى ذلك قال: إن رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه، فيفيض لذلك. وقال الإسكندر : إن من المحال أن يكون الريح يرح الماء السائل في الوادي حتى يفيض أكثر من مائة ميل، ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من أسفل الوادي، ويسيل إلى البحر، لأن البحر لا يمسك إلا أعلاه، ولكن الرياح تقذف الرمل في أفواه تلك الشوارع التي تفضي إلى البحر، فيعثر بها شبه الردم فيفيض. قال : وأغفل أن الرمل جسم متخلخل، فالماء يتخلله وينفذه سائلا إلى البحر، مع أن الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحس، والماء سائل في كل حين على حلق تنيس ودمياط وحلق رشيد وحلق الإسكندرية، ففطنوا لاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه إلى الريح والرمل. وهم استقصوا الهواء واستقصوا الأرض وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذي هو الماء لأنهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لأنها لا تبلغ الغاية إلا في ثلاثة أشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحس. ولذلك وضع أمير مصر المقياس بديار مصر.." (١)

"وذكر بعضهم: أن جاحلا الصدفي هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه إلى النيل حين توقف، فجرى بإذن الله تعالى. وقال يزيد بن أبي حبيب: أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فحبس الله

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٨/١

عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فطلبوا إلى موسى أن يدعو الله، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا، وذلك ليلة الصليب، فأصبحوا، وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا، فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام. قال القضاعي: ووجدت في رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم، قال : لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يلقي أهلها **من الغلاء عند** وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره، وإن فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، وأن الاحتكار يدعو إلى تصاعد الأسعار بغير قحط، فكتب عمر إلى عمرو يسأله عن شرح الحال، فأجابه: إني وجدت ما تروي به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا، والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستئجار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر ذراعا في الزيادة هذا، والبلد في ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط، وخميرة العمارة فيه.

فاستشار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، عليا رضي الله عنه في ذلك فأمره أن يكتب إليه أن يبني مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا، وأن يمر ما بعدها على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين، ففعل ذلك، وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الإرجاف، وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الإثني عشر ذراعا أربع عشرة لأن كل ذراع أربع وعشرون إصبعا، فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها إلى الإثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الإثني عشر ثمانيا وأربعين إصبعا وهي الذراعان، وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثماني عشرة والثماني عشرة عشرين.

قال القضاعي: وفي هذا الحساب نظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار وانتقاض الأحوال وشاهد ذلك: أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربع وعشرون إصبعا، كل ذراع، والمقاييس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذي بناه أسامة بن زيد التنوخي بالجزيرة، وهو الذي هدمه الماء وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبروذات وبنى المتوكل آخر بالجزيرة، وهو الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره.

قال ابن عفير عن القبط المتقدمين إذا كان الماء في اثني عشر يوما من مسرى اثنتي عشرة ذراعا فهي سنة ماء وإلا فالماء ناقص، وإذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك. وقال أبو الصلت: وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدئ في التزايد في شهر أبيب، والمصريون يقولون: إذا دخل أبيب كان للماء لحبيب، وعند ابتدائه في التزايد يتغير جميع كيفياته، ويفسد. والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله فإذا بلغ

الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر إصبعا واحدا كسر الخليج، ولكسره يوم معدود، ومقام مشهود، ومجتمع خاص يحضره العام والخاص، فإذا كسر فتحت الترع وهي فوهات الخلجان ففاض الماء، وساح وغمر القيعان والبطاح، وانضم الناس إلى أعالي مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على آكام وربا لا ينتهي الماء إليها ولا يتسلط السيل عليها، فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له، وأكثر ذلك يحوم حول ثماني عشرة ذراعا، ثم يأخذ عائدا في صبه إلى مجرى النيل ومسربه، فينضب أولا عما كان من الأرض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا، فيترك كل قرارة كالمرهم، ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم.

وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية: وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي إصبع، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه قائما، وهي التي تتعامل الناس بها في ذرع البز والتجارة والأبنية، وقياس نيل مصر.." (١)

"وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة. وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى: إن يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى: " قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى " طه٥٩.

وقد جرت العادة أن اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت. ومن أحسن السياسات في أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله قال : وفي هذا الشهر، يعني شوال، سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل، وأن لا يكتب بذلك إلا إليه، وإلى القائد جوهر، فلما تم أباح النداء، يعني لما تم ست عشرة ذراعا، وكسر الخليج فتأمل ما أبدع هذه السياسة، فإن الناس دائما إذا توقف النيل في أيام زيادته، أو زاد قليلا يقلقون، ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل، فيقبضون أيديهم على الغلال، ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة، إما لطلب السعر، أو لطلب ادخار قوت عياله، فيحدث بهذا الغلاء. فإن زاد الماء انحل السعر وإلا كان الجدب والقحط ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة، وأجل عائدة.

وقال المسبحي في تاريخ مصر : وخرج أمر صاحب القصر إلى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم إذا نادوا على النيل، فقال: نعم لا تحصى من خزائن الله لا تفنى زاد الله في النيل المبارك كذا،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٤/١

ومن عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه، فتقول عامة أهل مصر: قد توحم النيل، ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر. ويقال في سبب اخضراره: إن الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التي في أعالي النيل، وتستنقع فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك، فيتغير ماء تلك البطيحات، فإذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات، فخرج ما ك١ن فيها من الماء الذي قد تغير، ومر إلى مصر، وجاء عقيبه الماء الجديد، وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الذي تأتي به السيول فإذا تناهت زيادته غشي أرض مصر، فتصير القرى التي في الأقاليم فوق التلال والروابي، وقد أحاط بها الماء، فلا يتوصل إليها إلا في المراكب، أو من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها إذا عملت كما ينبغي ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي ري كل مكان إلى الحد المحتاج إليه، فإذا تكامل ري ناحية من النواحي قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد، ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم، ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحي، فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص، ولولا إتقان ما هنالك من الجسور، وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد ج٫ى في زماننا هذا. وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها ري البلاد الذي به مصالح العباد، وستقف إن شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من أعمال القدماء، ومن بعدهم في ذلك، وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكنس مجاري الماء خمسون دينارا في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد،

ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم أنه كان في النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة التي تعرف اليوم: بالروضة، وكان فيما بين الجزيرة، والجيزة أيضا جسر في كل جسر منهما ثلاثون سفينة.

ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم." (١)

"وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد ألفي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكا له والإخشيد أول من عمر الرواتب بمصر، وكان كاتبه، ابن كلا، قد عمل تقديرا عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار، فقال له الإخشيد: كيف نعمل. قال: حط من الجرايات والأرزاق فليس هؤلاء أولى من الواجب، فقال: غدا تجيئني، وتدبر هذا، فلما أتاه من الغد قال له الإخشيد: قد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٧/١

فكرت فيما قلت فإذا أصحاب الرواتب الضعفاء، وفيهم المستورون وأبناء النعم، ولست آخذ هذا النقص إلا منك، فقال ابن كلا: سبحان الله فقال: تسبيحا، وما زال به الإخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك، فعوتب على ما صنعه، فقال: يا قوم اسمعوا إيش كان يعمل؟ جاءه أحمد بن محمد بن الماردانى فقال له: ما بيني وبين السلطان معاملة، ولا للإخشيد علي طريق، وهذه هدية عشرة آلاف دينار للإخشيد وألف دينار لك، فجاءني، وقال لك قبل ابن الماردانى مطالبة، فقلت: لا، فقال: هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء، فأعطاني ألفا وأخذ عشرة آلاف دينار، وأهدى إلي محمد بن علي الماردانى في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقللتها، فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي: أرسلت إليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار، فأخذ المائة وأعطاني العشرين ألفا، فذكرت قول محمد بن علي له، فقال: ما أبرد هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها، وأنا أعلم أنك تتلفها.

وبلغت الرواتب في أيام كافور الإخشيدي، خمسمائة ألف دينار في السنة لأرباب النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش، ولا من الحاشية، ولا من المتصرفين في الأعمال، فحسن له علي بن صالح الروذبادي الكاتب، أن يوفر من مال الرواتب شيئا ينتقصه من أرزاق الناس، فساعة جلس يعمل حكه جبينه، فحكه بقلمه والحكاك يزيد به إلى أن قطع العمل، وقام لما به، فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء، قال تعالى: " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " فاطر٤٣.

ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر **من الغلاء والفناء** والفتن، فاتضع خراجها إلى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه، المعز لدين الله أبي تميم معد، فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفا، وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازوري وزير مصر، في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر أن يعمل قدر ارتفاع الدولة، وما عليها من النفقات، فعمل أرباب كل ديوان ارتفاعه، وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان المجلس، وهو زمام الدواوين، فنظم عليه عملا جامعا وأتاه به، فوجد ارتفاع الدولة الذي ألف دينار منها، الشام ألف ألف دينار، ونفقاته بإزاء ارتفاعه، والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار. قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج: وقفت على مقايسة عملت لأمير الجيوش، بدر الجمالي حين قدم مصر في أيام الخليفة المستنصر وغلب على أمرها، وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها أن الذي اشتمل عليه الارتفاع في الهلالي لسنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وفي الخراجي على ما يقتضيه الديوان فيه، مما كان

جاريا في الأعمال المصرية من الخراج، وما يجري معه، والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل الأرض، وأعمالها وتنيس ودمياط وأعمالهما والإسكندرية والبحيرة والأعمال الصعيدية العالية، والدانية وواحات، وعيذاب لسنة ثمانين وأربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية، وما كان من الأعمال الشامية التي أولها من حد الشجرتين، وهو أول الأعمال الفلسطينية والأعمال الطرابلسية ولسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار، وإن الذي استقر عليه جملة ما كان يتأس في سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين وأربعمائة الخراجية، فكان مبلغها الذي ألف وثمانمائة ألف دينار، وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار، مما أعرب عنه حسن العمارة، وشمول العدل، وكان نظم هذه المقايسة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.." (١)

"ذكر أرض الجفار

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن، وهي: الفرما، والبقارة، والورادة، والعريش، ورفج، والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المشي فيه على الناس، والدواب من كثرة رمله، وبعد مراحله، والجفار تجفر فيه الإبل، فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للحبل الذي يهجر به البعير، هجار، وللذي يحجر به حجار، وللذي يعقل به عقال، وللذي يبطن به بطان، وللذي يخطم به خطام، وللذي يزم به زمام، واشتقت البقارة من البقر، والورادة من الوريد، والعريش أخذ من العرش، وقيل: إن رفج اسم جبل. وكان يسكن الجفار في القديم خذام بن العريان.

ويقال: إن أرض الجفار كانت في الدهر الأول والزمن الغابر متصلة العمارة، كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر، وكان ماؤها غزيرا عذبا، ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي إلى أن دمرها الله تدميرا، فصارت إلى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه إلى العريش، وإلى رفج كله قفر تعرف بقعته برمل الغرابي قليل الماء عديم المرعى، لا أنيس به، فسبحان محيل الأحوال.

ذكر صعيد مصر

الصعيد: المرتفع من الأرض، وقيل: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة، وقيل: ما لم يخالطه رمل ولا سبخة، وقيل: هو وجه الأرض، وقيل: الأرض الطيبة، وقيل: هو كل تراب طيب، وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم إنما حدث في الإسلام، سماها العرب بذلك لأنها جهة مرتفعة عما دونها من أرض

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٢٦

مصر، ولذلك يقال فيها: أعلى الأرض، ولأنها أرض ليس فيها رمل ولا سباخ، بل كلها أرض طيبة مباركة، ويقال للصعيد أيضا: الوجه القبلي.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه: ولما حضرت مصرايم الوفاة، عهد إلى ابنه قبطيم، وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه.

فجعل لقبطيم من بلد إلى أسوان، ولأشمون، من بلد أشمون إلى منف، ولأتريب، الحوف كله، ولصا من ناحية صا البحيرة إلى قرب برقة، وقال لأخيه فارق لك من برقة إلى الغرب، فهو صاحب إفريقية وولده الأفارق، وأمر كل واحد من بنيه أن يبني لنفسه مدينة في موضعه.

وقال ابن عبد الحكم: فلما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم، قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده، وقسم لهم هذا النيل، فقطع لابنه قفط، موضع قفط فسكنها، وبه سميت: قفط قفطا، وما فوقها إلى أسوان، وما دونها إلى أشمون في الشرق والغرب، وقطع لأشمون من أشمون فما دونها في الشرق والغرب إلى منف، فسكن أشمون أشمون، فسميت به، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صا فسكن أتريب فسميت به، وقطع لصا ما بين صا إلى البحر، فسكن صا فسميت به، فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء: جزأين بالصعيد، وجزأين بأسفل الأرض.

وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد: مسافة إقليم الصعيد الأعلى مسيرة اثني عشر يوما بسير الجمال، وعرضه ثلاث ساعات، وأكثر بحسب الأماكن العامرة، ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضي البجة، وفي الغربية، بألواح وهي كورتان: شرقية، وغربية، والنيل بينهما فاصل، وأول الشرقية من مرج بني هميم المتصلة أرضها بأراضي جرجا من عمل أخميم، وآخرها من قبلي الهو ويليها أول أراضي النوبة، وفي هذه الكورة تيج، وقفط وقوص، وأول الكورة الغربية، برديس تتصل أرضها بأرض جرجا، وفي هذه الكورة الغربية سمهود، وآخر الكورة الغربية أسوان وبحافته أكثر النخل من الجانبين، تكون مساحة الأراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان، والمستولي على إقليم الصعيد المشتري.

ويقال: كان بصعيد مصر، نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا، فغصبها بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة، وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي، وبيع منها في الغلاء كل ويبة بدينار.

ويقال: لما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هارون بن محمد الرشيد لم يستحسن إلا كورة سيوط من صعيد مصر، فإنها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها.." (١)

"قال: ومن عجائب ما حدثني به متملك المقرة للنوبة، أنهم يمطرون في الجبال، ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الأرض، وسألتهم عن جنسه، فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حمر، قال: وقد رأيت جماعة وأجناسا ممن تقدم ذكر أكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى، ويتقربون إليه بالشمس والقمر والكواكب، ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار، ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة، وذكر أنه رأى رجلا في مجلس عظيم المقرة سأله عن بلده؟ فقال: مسافته إلى النيل ثلاثة أهلة، وسأله عن دينه؟ فقال: ربي وربك الله، ورب الملك، ورب الناس كلهم واحد، وإنه قال له: فأين يكون. قال: في السماء وحده، وقال: إنه إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء، أو وقع بدوابهم آفة صعدوا الجبل، ودعوا الله، فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوه، وسأله هل أرسل فيكم رسول. قال: لا، فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وما أبدوا به من المعجزات، فقال: إذا كانوا فعلوا هذا، فقد صدقوا، ثم قال: قد صدقتهم إن كانوا فعلوا.

قال مؤلفه رحمه الله: وقد غلب أولاد، كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبنى بدنقلة جامع يأوي إليه الغرباء، واعلم أن على ضفة النيل أيضا، الكانم، وملكها مسلم، وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدا، وقاعدة ملكه بلدة اسمها حميمي، وأول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا، وآخرها طولا بلدة يقال لها: كاكا، وبينهما نحو ثلاثة أشهر، وهم يتلثمون، وملكهم متحجب لا يرى إلا يومي العيدين بكرة، وعند العصر، وطول السنة لا يكلمه أحد إلا من وراء حجاب، وغالب عيشهم الأرز، وهو ينبت من غير بذر، وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان واللفت والرطب، ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه: دندي طول كل ثوب، عشرة أذرع، يشترون به من ربع ذراع فأكثر، ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق، وجميع ذلك بسعر ذلك القماش، وفي جنوبها شعارى وصحارى، فيها أشخاص متوحشة كالفيول قريبة من شكل الآدمي لا يلحقها الفارس تؤذي الناس، ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء، فإذا مشى أحد ليلحقها بعدت عنه، ولو جرى إليها لا يصل إليها بل لا تزال أمامه فإذا رماها بحجر، فأصابها تشظى منها شرر، وتعظم عندهم اليقطينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها في النيل.

وهذه البلاد بين إفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط، وهي بلاد قحطان وشطن وسوء

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٣٧

مزاج، وأول من بث بها الإسلام، الهادي العثماني، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصارت بعده، لليزنيين من بني سيف بن في يزن، وهم على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله، والعدل قائم بينهم، وهم يابسون في الدين لا يلينون، وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق في سني أربعين وستمائة، وصارت وفودهم تنزل بها، وسيرد ذكرها في المدارس إن شاء الله تعالى.

ذكر البجة

ويقال إنهم من البربر

اعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالحزبة معدن الزمرذ في صحراء قوص، وبين هذا الموضع، وبين قوص نحو من ثلاث مراحل، وذكر الجاحظ أنه ليس في الدنيا معدن للزمرذ غير هذا الموضع، وهو يوجد في مغاير بعيدة مظلمة يدخل إليها بالمصابيح، وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال، ويحفر عليه بالمعاول، فيوجد في وسط الحجارة، وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر، وآخر بلاد البجة، أول بلاد الحبشة، وهم في بطن هذه الجزيرة أعني جزيرة مصر إلى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن، وباضع، ودهلك، وهم بادية يتبعون الكلأ، حيثما كان الرعي بأخبية من جلود.." (١)

"أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الشرفي بالشرف قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد، وكان قد هلكت أخته، وورث منها مورثا وكنا نسمع عليه دائما، وكان لسجن يوسف وقت يمضي الناس إليه يتفرجون، فقال لنا يوما: يا أصحابنا هذا أوان السجن، ونريد أن نذهب إليه، وأخرج عشرة دنانير، فناولها لأصحابه وقال لهم: ما اشتهيتموه، فاشتروه، فمضى أصحاب الحديث، واشتروا ما أرادوا وعدينا يوم أحد الجيزة كلنا، وبتنا في مسجد همدان، فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا إلى مسجد موسى، وهو الذي في السهل، ومنه يطلع إلى السجن، وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل، فقال الشيخ: من يحملني ويطلع بي إلى هذا السجن حتى أحدثه بحديث لا أحدثه لأحد بعده، حتى تفارق روحي الدنيا.

قال الشرفي: فأخذت الشيخ، وحملته حتى صرت في أعلاه، فنزل وقال: معك ورقة. قلت: لا، قال: أبصر لي بلاطة، فأخذ فحمة وكتب: حدثني يحيى بن أيوب، عن يحيى بن بكير، عن زيد بن أسلم بن يسار، عن ابن عباس قال: إن جبريل أتى إلى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم، فقال له يوسف: من أنت الذي مذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجها منك؟ فقال له: أنا جبريل، فبكى يوسف، فقال: ما يبكيك يا نبي الله، فقال: إيش يعمل جبريل في مقام المذنبين. فقال: أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٤٣/١

بالأنبياء، والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله، فما أقام إلى آخر النهار، حتى أخرج من السجن.
قال القضاعي: سقط بين يحيى وزيد رجل، وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه، وينظر إليه لما عنفته في سفره.
وذكر المسبحي: في حوادث شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة، أن العامة والسوقة طافت بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار، وأرباب الأسواق ما ينفقونه في مضيهم إلى سجن يوسف، فقال لهم التجار: شغلنا بعدم الأقوات يمنعنا من هذا، وكان قد اشتد الغلاء، وأنهوا حالهم إلى الحضرة المطهرة، يعني أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بأمر الله، فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولي الشرطة السفلي: الترسيم على التجار، حتى يدفعوا إليهم ما جرت به رسومهم، ورسم لهم بالخروج إلى سجن يوسف، ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة، فخرجوا، وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى ركب القائد الأجل عز الدولة، وسناها معضاد الخادم الأسود، في سائر الأتراك ووجوه القواد، وشق البلد، ونزل إلى الصناعة التي بالجسر بمن معه، ثم خرج من هناك، وعدى في سائر عساكره إلى الجيزة، حتى رتب لأمير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه، لأنه عدى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات، وأربع عشرة بغلة من بغال النقل، وفي جميع من معه من خاصته وحرمه إلى سجن يوسف عليه السلام، وأقام هناك يومين وليلتين، إلى أن عاد الرمادية الخارجون إلى السجن بالتماثيل، والمضاحك والحكايات والسماجات، فضحك منهم واستظرفهم، وعاد إلى قصره بكرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه، وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل، ويطلعون إلى القاهرة بذلك ليشاهدهم أمير المؤمنين، ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم أن لا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده، وأن يعتمد إكرامهم وصيانتهم، ولم يزالوا على ذلك إلى أن تكامل جميعهم، وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لأربع عشرة بقيت من جمادى الأولى، وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم، واجتمع في الأسواق خلق كثير لنظرهم، وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك، وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم، وكانوا اثني عشر سوقا ونزلوا مسرورين، وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبي هريرة، فيظن من لا علم له أنه أبو هريرة الصحابي، وليس كذلك، بل هو منسوب إلى ابن ابنته.
ذكر قرية ترسا

قال القضاعي: وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب، عامل هشام بن عبد الملك لمى خراج مصر، بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا.." (١)

"وسار المعظم، توران شاه إلى دمشق، فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان، واستولى على من بها، ولأربع مضين من شوال، سقط الطائر بوصوله إلى دمشق، فضربت البشائر في العسكر بالمنصورة، وفي قلعة الجبل، وسار من دمشق لثلاث بقين منه، فتواترت الأخبار بقدومه، وخرج الأمير حسام الدين بن أبي علي إلى لقائه، فوافاه بالصالحية لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح، بعدما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة، بل الأمور على حالها، والدهليز السلطاني بحاله والسماط على العادة، وشجرة الدر، أم خليل زوجة السلطان تدبر الأمور، وتقول: السلطان مريض ما إليه وصول، ثم سار من الصالحية، فتلقاه الأمراء والمماليك، واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر في القعدة، وفي أثناء هذه المدة، عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال إلى بحلة المحلة، وألقوها فيه وشحنوها بالمقاتلة، فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة، وتلك المراكب فيه مكمنة، خرجت عليهم ووقع الحرب بينهما، وقدم الأسطول الإسلامي من جهة المنصورة، وأحاط بالفرنج، فظفر باثنين وخمسين مركبا للفرنج، وقتل وأسر منهم نحو ألف رجل، فانقطعت الميرة عن الفرنج، واشتد عندهم الغلاء، وصاروا محصورين.

فلما كان أول يوم من في الحجة، أخذ الفرنج من المراكب في بحر المحلة سبع حراريق، وفر من كان فيها من المسلمين، وفي يوم عرفة برزت الشواني الإسلامية إلى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة، فأخذت منها اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شواني، فوهنت قوة الفرنج، **وتزايد الغلاء عندهم**، وشرعوا في طلب الهدنة من المسلمين، على أن يسلموا دمياط، ويأخذوا بدلا منها القدس، وبعض بلاد الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك، فلما كان اليوم السابع والعشرون من في الحجة، أحرق الفرنج أخشابهم كلها، وأتلفوا مراكبهم، يريدون التحصن بدمياط، ورحلوا في ليلة الأربعاء لثلاث مضين من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة إلى دمياط، وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم، فركب المسلمون أقفيتهم بعدما عدوا إلى برهم وطلع الفجر من يوم الأربعاء، وقد أحاط المسلمون بالفرنج، وقتلوا وأسروا منهم كثيرا، حتى قيل: إن عدد من قتل من الفرسان على فارسكور، يزيد على عشرة آلاف، وأسر من الخيالة والرجال والصناع والسوقة، ما يناهز مائة ألف، ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال، ما لا يحصى، وانحاز الملك رواد فرنس، وأكابر الفرنج إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٦١

تل، ووقفوا مستسلمين، وسألوا الأمان، فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي، ونزلوا على أمانة.
وأحيط بهم وسيقوا إلى المنصورة، فقيد روادفرنس، واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي، فخر الدين إبراهيم بن لقمان، كاتب الإنشاء، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي، واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل إليه في كل يوم، ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطوري أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الأسرى، فكان يخرج منهم كل ليلة، ثلثمائة رجل ويقتلهم، ويلقيهم في البحر حتى فنوا. ولما قبض على الملك روادفرنس، رحل الملك المعظم من المنصورة، ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخى في قصد دمياط، وكتب بخطه إلى الأمير جمال الدين بن يغمور، نائبه بدمشق وولده توران شاه.
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر إلا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وأما بنعمة ربك فحدث، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين، من الظفر بعدو الدين فإنه كان قد استكمل أمره، واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد، والأهل والأولاد فنودوا ألا تيأسوا من روح الله.." (١)

"وفي هذا الشهر يلبس أهل مصر الصوف من سابعه، وفيه يكسر ما يحتاج إليه من قصب السكر برسم المعاصر، وبراح الغلة في جميع ما يحتاج إليه فيها، ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها، والتعويض عنه بغيره، وأفراد الأتبان برسم وقود القنود، وترتيب القوامصة لعمل الأباليح والقواديس، والأمطار برسم القنود، والأعسال، وفيه يدرك البنفسج، والنيلوفر، والمنثور، ومن البقولات الإسباناخ والبلسان، واختار قدماء المصريين في هاتور نصب الأساسات، وزرع القمح، وأطيب حملان السنة حمله، وفيه يكثر العنب الذي كان يحمل من قوص.
كهيك: أوله الأربعينات بمصر، ويدخل الطير وكره، وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام، وفي سابعه أول كانون الأول، وفي عاشره آخر الليالي البلق، وأولها أول هاتور، وفي حادي عشره أول الليالي السود، ويدخل النمل الأحجرة، وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة ، وتظهر البراغيث، ويسخن باطن الأرض، وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر، وفي سابع عشرة تنقل الشمس إلى برج الجدي، فيدخل فصل الشتاء، ويزرع الهليون، في حادي عشريه يكون آخر الليالي البلق، وفي ثاني عشريه عيد البشارة، وفي ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس، وفي سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم ، وفي ثامن عشريه يبيض النعام،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٨٠

وفي تاسع عشريه الميلاد.

وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد إغراق أرضه، وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي، وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي، وفيه ترتب حراس الطير، وفيه كسر قصر السكر واعتصاره، واستخدام الطباخين لطبخ القنود، وفيه يكون إدراك النرجس، والمحمضات، والفول الأخضر، والكرنب والجزر والكراث الأبيض واللفت، وفيه يقل هبوب ريح الشمال، ويكثر هبوب ريح الجنوب، وفيه يجود الجدا، ويكون أطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها، وفيه نزرع أكثر حبوب الحرث، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم، والمقاثي والقطن.

طوبه: في ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس، وفي سادسه أول كانون الثاني، وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلد ، وعاشره صوم الغطاس، وحادي عشره الغطاس، وفي ثاني عشره يشتد البرد، وفي رابع عشره **يرتفع الوباء بمصر**، ويغرس النخل، وفي سابع عشره تحل الشمس أول برج الدلو، ويكثر الندى، ويكون ابتداء غرس الأشجار، وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود، وحادي عشريه الليالي البلق الثانية، وفي ثاني عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح . وفي ثالث عشريه تهب الرياح الباردة، وفي رابع عشريه تفرخ جوارح الطير، وفي خامس عشريه يكون نتاج الإبل المحمودة، وفي سابع عشريه يصفو ماء النيل، وفي ثامن عشريه يتكامل إدراك القرط.

وفي هذا الشهر تقلم الكروم، وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره، وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره، وفيه تبرش ا؟لأراضي أول سكة برسم الصيافي والمقاثي والقطن والسمسم، وينتهي برشها في أول أمشير، وفيه تسقى أرض القلقاس والقصب، وتشق الجسور في آخره، وفيه تستخرج أراضي الخرس، ويكسر القصب الراس بعد إفراز ما يحتاج إليه من الزريعة، وهو لكل فان طين قيراط طيب قصب راس، وفيه يهتم بعمارة السواقي وحفر الآبار، وابتياع الأبقار، وفيه يظهر اللوز الأخضر والنبق والهليون، وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب أكثر من هبوب الشمال، وهبوب الصبا أكثر من هبوب الدبور، وفيه يكون الباقلا الأخضر والجزر أطيب منهما في غيره، وفيه يتناهي ماء النيل في صفائه، ويخزن فلا يتغير في أوانيه، ولو طال لبثه فيها، وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها في سائر الشهور، وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها، و بطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج، ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود.

أمشير: في أوله تختلف الرياح، وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع ، وفي سادسه يكون أول شباط، وفي

تاسعه يجري الماء في العود، وحادي عشره أول جمرة باردة، وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت، وفي سابع عشره يخرج النمل من الأحجرة، وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود ، وفي العشرين منه ثاني جمرة فاترة، وفي ثالث عشريه تقلم الكروم، وخامس عشريه يفرخ النحل، وسابع عشريه ثالث جمرة حامية، ويورق الشجر، وهو آخر غرسها، وفي آخره يكون آخر الليالي البلق.." (١)

"فولي: بشر بن صفوان الكلبي: من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى ومائة، وفي إمرته نزل الروم تنيس، ثم ولاه يزيد على إفريقية، فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة، واستخلف أخاه حنظلة.

فولي: حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه، فأقره يزيد بن عبد الملك، وخرج إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومائة، واستخلف عتبة بن مسلمة التجيبي، وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة بكسر الأصنام والتماثيل، فكسرت كلها، ومحيت التماثيل، ومات يزيد بن عبد الملك، بويع هشام بن عبد الملك، فصرف حنظلة في شوال سنة خمس ومائة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

وولي: محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات، فدخل مصر لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة، ووقع وباء شديد بمصر، فترفع محمد إلى الصعيد هاربا من الوباء أياما، ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها إلا نحوا من شهر، وانصرف إلى الأردن.

فولي: الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها، فدخل لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة، وفي إمرته كان أول انتفاض القبط في سنة سبع ومائة، ورابط بدمياط ثلاثة أشهر، ثم وفد إلى هشام بن عبد الملك، فاستخلف حفص بن الوليد، وقدم في ذي القعدة من سنة سبع، وانكشف النيل عن الأرض فبنى فيها، وصرف في ذي القعدة سنة ثمان ومائة، باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله بن الحبحاب متولي خراج مصر، فكانت ولايته ثلاث سنين سواء.

وولي: حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك، ثم صرف بعد جمعتين يوم الأضحى بشكوى ابن الحبحاب منه، وقيل: صرف سلخ ثمان ومائة.

فولي: عبد الملك بن رفاعة ثانيا على الصلات، فقدم من الشام عليلا لثنتي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة، وكان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم، وقيل: بل ولي أول المحرم، ومات للنصف منه، وكانت ولايته خمس عشرة ليلة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٣٩/١

ثم ولي أخوه: الوليد بن رفاعة باستخلاف أخيه، فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات، وفي ولايته نقلت قيس إلى مصر، ولم يكن بها أحد منهم، وخرج وهيب اليحصبي شاردا في سنة سبع عشرة ومائة من أجل أن الوليد أذن للنصارى في ابتناء كنيسة يوحنا بالحمراء، وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، واستخلف عبد الرحمن بن خالد، فكانت إمرته تسع سنين وخمسة أشهر.

فولي: عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أبو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها، وفي إمرته نزل الروم على تروجة ، فحاصروها، ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام، فكانت ولايته سبعة أشهر.

وولي: حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة، فانتفض القبط، وحاربهم في سنة إحدى وعشرين ومائة، وقدم رأس زيد بن علي إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة، ثم ولاه هشام إفريقية، فاستخلف حفص بن الوليد بإمرة هشام، وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر.

وولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها، فأقره هشام بن عبد الملك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين، فجمع له الصلات والخراج جميعا، واستسقى بالناس، وخطب ودعا، ثم صلى بهم، ومات هشام بن عبد الملك، واستخلف من بعده: الوليد بن يزيد، فأقر حفصا على الصلات والخراج، ثم صرف عن الخراج بعيسى بن أبي عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة، وانفرد بالصلات، ووفد على الوليد بن يزيد، واستخلف عقبة بن نيم الرعيني، وقتل الوليد بن يزيد، وحفص بالشام، وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فأمر حفصا باللحاق بجنده، وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض، وبعث بيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد، ثم توفي يزيد وبويع إبراهيم بن الوليد، وخلعه مروان بن محمد الجعدي، فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر، فأعفاه مروان، فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين إلا شهرا.." (١)

"فلما كان في خلافة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطائحي، فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر، بأن من كان له دار في الخراب، أو مكان فليعمره، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك، فلا حق له ولا حكر يلزمه، وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق، وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في آخر الشدة العظمى، وقام بعمارة إقليم مصر، أخذ الناس

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٨٠

في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم، فصار موحشا، وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين، فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ما كان من ذلك، مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسي إلى ظاهر باب زويلة، كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم، فصار هذا الفضاء الذي يتوصل إليه من مشهد السيدة نفيسة، ومن الجامع الطولوني، ومن قنطرة السد، ومن باب المجدم في سور القرافة، ويسلك في هذا الفضاء إلى كوم الجارح، ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون، وما حوله من الكبش، وحدرة ابن قميحة إلى خط السبع سقايات، وخط قناطر السباع إلى جامع ابن طولون، وأما سوق الجامع من قبليه، وما وراء ذلك إلى المشهد النفيسي، وإلى القبيبات، والرميلة تحت القلعة، فإنما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر هذه الخطط، إن شاء الله تعالى، وطالما سلكت هذا الفضاء الذي بين جامع ابن طولون، وكوم الجارح، حيث كان العسكر، وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة، والمساجد والأسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة، والمارستان العجيب، وكيف بادت حتى لم يبق لشيء منها أثر البتة فأنشدت أقول:

وبادوا فلا مخبر عنهم ... وماتوا جميعا وهذا الخبر

فمن كان ذا عبرة فليكن ... فطينا ففي من مضى معتبر

وكان لهم أثر صالح ... فأين هم ثم أين الأثر

وسيأتي لذلك مزيد عند ذكر القطائع، وعند ذكر خط قناطر السباع، وغيره من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

العسكر من أمراء مصر

من حين بني إلى أن بنيت القطائع

ذكر من نزل العسكر من أمراء مصر من حين بني إلى أن بنيت القطائع اعلم: أن أمراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح إلى أن بنى أب عون العسكر، فضارت أمراء مصر من عهد أبي عون إنما ينزلون بالعسكر، وما برحوا على ذلك إلى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والميدان والقطائع، فتحول من العسكر إلى القصر، وسكن فيه وسكنه الأمراء من أولاده بعده إلى أن زالت دولتهم، فسكن الأمراء بعد ذلك العسكر إلى أن زالت دولة الإخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب.

وأول من سكن العسكر من أمراء مصر: أبو عون: عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلاة مصر وخراجها، باستخلاف صالح بن علي له، في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة، **ووقع الوباء بمصر**، فهرب أبو عون إلى يشكر، واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم، وخرج إلى دمياط في سنة خمس وثلاثين وومائة، واستخلف عكرمة، وجعل على الخراج: عطاء بن شرحبيل، وخرج القبط بسمنود، فبعث إليهم وقتلهم، وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين والمغرب، جمعت له، ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب.." (١)

"ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين، واستخلف أخاه الحسن، فلقي علي بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه، ومضى فأخذ من حلب، وخلع المستكفي، ودعي للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة أربع وثلاثين، وفأقر الإخشيد إلى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة.

فولي بعده ابنه " أونوجور " أبو القاسم باستخلافه إياه، وقبض على أبي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين، وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي المادراني، وقدم العسكر من الشام أول صفر، فلم يزل أونوجور واليا إلى أن مات لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وحمل إلى القدس، فدفن عند أبيه، وكان كافور متحكما في أيامه، ويطلق له في السنة أربعمائة ألف دينار، فلما مات، قوي كافور، وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر.

فأقام كافو أخاه علي بن الإخشيد أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة، فأقر المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين، وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه، وأطلق له ما كان يطلق لأخيه في كل سنة، وفي سنة إحدى وخمسين ترفع السعر، واضطربت الإسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين إليها، وتزايد الغلاء، وعز وجود القمح، وقدم القرمطي إلى الشام في سنة ثلاث وخمسين، وقل ماء النيل، ونهبت ضياع مصر، وتزايد الغلاء، وسار ملك النوبة إلى أسوان، ووصل إلى إخميم، فقتل ونهب وأحرق، واشتد اضطراب الأعمال، وفسد ما بين كافور وبين علي بن الأخشيد، فمنع كافور من الاجتماع به، واعتل علي بعد ذلك علة أخيه، ومات لإحدى عشر خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة، فحمل إلى القدس، وبقيت مصر بغير أمير أياما، ولم يدع بها إلا للمطيع لله وحده، وكافور يدبر أمورها، ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨٤/١

ثم ولي كافور الخصي الأسود مولى الإخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج، وجميع أمور مصر والشام والحرمين، فلم يغير لقبه، وإنما يدعى ويخاطب بالأستاذ ، وأخرج كتاب المطيع بولايته لأربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين، فلم يزل إلى أن توفي لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة.

فولي أحمد بن علي الإخشيد أبو الفوارس وسنة إحدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور، وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه، وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الأمور وسمول الإخشيدي العساكر إلى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ففر الحسين بن عبيد الله، وتسلم جوهر البلاد، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، فكانت مدةالدعاء لبني العباس بمصر، منذ ابتدئت دولتهم إلى أن قدم القائد جوهر إلى مصر: مائتي سنة، وخمسا وعشرين سنة، ومدة الدولة الإخشيدية بها أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر، وأربعة وعشرين يوما، ومنذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كرسي الإمارة منها إلى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر، والله تعالى أعلم.

ما كانت عليه مدينة الفسطاط

من كثرة العمارة

قال ابن يونس عن الليث بن سعد: أن حكيم بن أبي راشد حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنه وقف على جزار، فسأله عن السعر؟ فقال: بأربعة أفلس الرطل، فقال له أبو سلمة: هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا وبدا لك؟ قال: نعم، فأخذ منه أبو سلمة، ومر في القصبة، حتى إذا أراد أن يوفيه، قال: بعثني بدينار، ثم قال: اصرفه فلوسا، ثم وفه.

وقال الشريف أبو عبد الله محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط: سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروق بالضمام يقول: في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وجدثني القاضي أبو الحسين علي بن الحسين الخلعي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال: كان في مصر الفسطاط من المساجد، ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع مسلوك، وألف ومائة، وسبعون حماما، وإن حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل إليها إلا بعد عناء من الزحام، وإن قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم.." (١)

(١) المواعظ والاعتبار، ٤١٣/١

"فأما الشدة العظمى: فإن سببها أن السعر ارتفع بمصر في سنة ست وأربعين وأرعمائة، وتبع الغلاء، وباء، فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي إلى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربعمائة ألف أردب، وعزم على حملها إلى مصر، فأدركه أجله ومات قبل ذلك، فقام في الملك بعده امرأة، وكتبت إلى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها، ويمدها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد، فأبى أن يسعفها في طلبتها، فجردت لذلك، وعاقت الغلال عن المسير إلى مصر، فخنق المستنصر، وجهز العساكر، وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، وسارت إلى اللاذقية، فحاربتها بسبب نقض الهدنة وإمساك الغلال عن الوصول إلى مصر، وأمدها بالعساكر الكثيرة، ونودي في بلاد الشام بالغزو، فنزل ابن ملهم قريبا من فامية ، وضايق أهلها، وجال في أعمال أنطاكية، فسبى ونهب، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر، فحاربها ابن ملهم عدة مرار، وكانت عليه، وأسر هو وجماعة كثيرة في شهر ربيع الأول منها، فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين: أبا عبد الله القضاعي برسالة إلى القسطنطينية فوافى إليها رسول طغربل السلجوقي من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنيطينة، فأذن له في ذلك، فدخل إليه وصلى فيه صلاة الجمعة.

وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي، فبعث القاضي القضاعي إلأى المستنصر يخبره بذلك، فأرسل إلى كنيسة قمامة بيت المقدس، وقبض على جميع ما فيها، وكان شيئا كثيرا من أموال النصارى، ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين، حتى استولوا على بلاد الساحل كلها، وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه إن شاء الله تعالى، واشتد في هذه السنة الغلاء، **وكثر الوباء بمصر** والقاهرة، وأعمالها إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة، فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي خرب بسببها إقليم مصر كله، وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجب مع النساء، والحشم إلى أرض الجب خارج القاهرة، وجرد بعض الأتراك سيفا، وهو سكران على أحد عبيد الشراء، فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه، فحنق لقتله الأتراك، وساروا بجميعهم إلى المستنصر.

وقالوا: إن كان هذا عن رضاك، فالسمع والطاعة، وإن كان من غير رضى أمير المؤمنين، فلا نرضى بذلك، فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره، فتجمع الأتراك لمحاربة العبيد، وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٢٠

"وتجهز ابن حمدان، وسار إلى الصعيد يريد قتال العبيد، وكانت شرورهم قد كثرت، وضررهم وفسادهم قد تزايدت، فلقيهم وواقعهم غير مرة، والأتراك تنكسر منهم، وتعود إلى محاربتهم إلى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها إلى الجيزة، فأفحشوا عند ذلك في أمر المستنصر، ونسبوه إلى مباطنة العبيد، وتقويتهم، فأنكر ذلك، وحلف عليه، فأخذوا في إصلاح شأنهم، ولم شعثهم وساروا لقتال العبيد، وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة، وقتل منهم خلق كثير، وفر من بقي، فذهبت شوكته، وزالت دولتهم، ورجع ابن حمدان، وقد كشف قناع الحياء، وجهر بالسوء للمستنصر، واستبد بسلطنة البلاد، ودخلت سنة إحدى وستين وابن حمدان مستبد بالأمر مجاف للمستنصر، فنقل مكانه على الأتراك، وتفرغوا من العبيد، والتفتوا إليه، وقد استبد بالأمور دونهم، واستأثر بالأموال عليهم، ففسد ما بينهم وبينه، وشكوا منه إلى الوزير خطير الملك، فأغراهم به، ولامهم على ما كان تقويته، وحسن لهم الثورة به، فصاروا إلى المستنصر، ووافقوه على ذلك، فبعث إلى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصرن ويهدده إن امتنع، فلم يقدر على المتناع منه، لفساد الأتراك عليه، وميلهم مع المستنصر، فخرج إلى الجيزة، وانتهب الناس دوره ودور حواشيه، فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا إلى دار القائد تاج الملوك شادي، وترامى عليه، وقبل رجليه، وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير، فإنهما قاما بهذه الفتنة، فأجابه إلى ذلك، ووعدهبقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان، فلما كان من الغد ركب شادي في أصحابه، وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة، وأقبل الوزير الخطير في موكبه، فبادره شادي على حين غفلة وقتله، ففر الذكر إلى القصر، والتجأ بالمستنصر، فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان، وقد استعد للحرب، فيمن معه فركب المستنصر بلأمة الحرب، واجتمع إليه الأجناد والعامة، وصار في عدد لا ينحصر، وبرزت الفرسان، فكانت بين الخليفة، وابن حمدان حروب آلت إلى هزيمة ابن حمدان، وقتل كثير من أصحابه، فمضى في طائفة إلى البحيرة، وترامى على بني سيس، وتزوج منها، فعظم الأمر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء، وقلة الأقوات لما فسد من الأعمال بكثرة النهب، وقطع الطريق حتى أكل الناس الجيف والميتات، ووقف أرباب الفساد في الطريق، فصاروا يقتلون من ظفروا به في أزقة مصر، فهلك من أهل مصر في هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره، وامتد ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وستين، فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة، فسارت إليه ولم يوفق في محاربته، فكسرها كلها، واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال، فتقوى به، وقطع الميرة عن البلد، ونهب أكثر الوجه البحري، وقطع منه الخطبة للمستنصر، ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي بالأسكندرية ودمياط، وعامة الوجه البحري، فاشتد الجوع، وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر حتى أنه كان

يموت الواحد من أهل البيت، فلا يمضي يوم وليلة من موته، حتى يموت سائر من في ذلك البيت، ولا يوجد من يستولي عليه، ومدت الأجناد ايديها إلى النهب، فخرج الأمر عن الحد، ونجا أهل القوة بأنفسهم من مصرن وساروا إلى الشام والعراق، وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه، وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر حزائن القصر، فاضطر الأجناد ما هم فيه من شدة الجوع إلى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه، ويحمل إليه مال مقرر، وينوب عنه شادي بالقاهرة، فرضي بذلك، وسير الغلال إلى القاهرة ومصر، فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا، ولم يكن ذلك إلا نحو شهر، ووقع الاختلاف عليه، فقدم من البحيرة إلى مصر، وحاصرها وانتهبها، وأحرق دورا عديدة بالساحل، ورجع إلى البحيرة، فدخلت سنه أربع وستين، والحال على ذلك، وشادي قد استبد بأمر الدولة، وفسد ما بينه وبين ابن حمدان، ومنعه من المال الذي تقرر له وشح به عليه، فلم يوصله إلى القليل، فجرد من ذلك ابن حمدان، وجمع العربان، وسار إلى الجيزة، وخادع شادي حتى صار إليه ليلا في عدة من الأكابر، فقبض عليه وعليهم، وبعث أصحابه فنهبوا مصر، وأطلقوا فيها النار، فخرج إليهم عسكر المستنصر من القاهرة، وهزموهم، فعاد إلى البحيرة، وبعث رسولا إلى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد بإقامة الخطبة له، وسأله الخلع والتشاريف فاضمحل أمر." (١)

"المستنصر، وتلاشى ذكره، وتفاقم الأمر في الشدة من الغلاء، حتى هلكوا فسار ابن حمدان إلى البلد، وليس في أحد قوة يمنعه بها، فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر، فسير إليه رسولا يطلب منه المال، فوجده، وقد ذهب سائر ما كان يعهده من أبهة الخلافة، حتى جلس على حصير، ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم، فبلغه رسالة ابن حمدان، فقال المستنصر للرسول: ما يكفي ناصر الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال؟ فبكى الرسول رقة له، وعاد إلى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر، وسوء حاله، فكف عنه، وأطلق له في كل شهر مائة دينار، وامتدت يده وتحكم وبالغ في إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، وقبض على أمه وعاقبها أشد العقوبة، واستصفى أموالها، فحاز منها شيئا كثيرا، فتفرق حينئذ عن المستنصر جميع أقاربه، وأولاده من الجوع فمنهم من سار إلى المغرب، ومنهم من سار إلى الشام والعراق.، وتلاشى ذكره، وتفاقم الأمر في الشدة من الغلاء، حتى هلكوا فسار ابن حمدان إلى البلد، وليس في أحد قوة يمنعه بها، فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر، فسير إليه رسولا يطلب منه المال، فوجده، وقد ذهب سائر ما كان يعهده من أبهة الخلافة، حتى جلس على حصير، ولم

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٢/١

يبق معه سوى ثلاثة من الخدم، فبلغه رسالة ابن حمدان، فقال المستنصر للرسول: ما يكفي ناصر الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال؟ فبكى الرسول رقة له، وعاد إلى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر، وسوء حاله، فكف عنه، وأطلق له في كل شهر مائة دينار، وامتدت يده وتحكم وبالغ في إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، وقبض على أمه وعاقبها أشد العقوبة، واستصفى أموالها، فحاز منها شيئا كثيرا، فتفرق حينئذ عن المستنصر جميع أقاربه، وأولاده من الجوع فمنهم من سار إلى المغرب، ومنهم من سار إلى الشام والعراق.

قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط: حل بمصر غلاء شديد، في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وأقام إلى سنة أربع وستين وأربعمائة، وعم **مع الغلاء وباء** شديد، فأقام ذلك سبع سنين، والنيل يمد وينزل، فلا يجد من يزرع، وشمل الخوف من العسكرية، وفساد العبيد، فانقطعت الطرقات برا وبحرا إلا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر، ونزا المارقون بعضهم على بعض، واستولى الجوع لعدم القوت، وصار الحال إلى أن بيع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل بزقاق القناديل: كبيع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما، وبيع أردب من القمح بثمانين دينارا، ثم عدم ذلك، وأكلت الكلاب والقطاط، ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا، وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى في الطرقات ويطوف، وقد أعدوا سلبا، وخطاطيف فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت، ثم ضربوه بالأخشاب، وشرحوا لحمه وأكلوه.

قال: وحدثني بعض نسائنا الصالحات قالت: كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها، وفيها كالحفر، فكنا نسألها، فتقول: أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة، فأخذني إنسان، وكنت ذات جسم وسمن، فأدخلني إلى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء، وزفرة القتلى، فأضجعني على وجهي، وربط في يدي ورجلي سلبا إلى أوتاد حديد عريانة، ثم شرح من أفخاذي شرائح وأنا أستغيث، ولا أحد يجيبني، ثم أضرم الفحم وشوي من لحمي، وأكل أكلا كثيرا، ثم سكر حتى وقع على جنبه لايعرف أين هو، فأخذت في الحركة إلى أن انحل أحد الأوتاط، وأعان الله على الخلاص، وتخلصت وحللت الرباط، وأخذت خرقا من داره، ولففت بها أفخاذي، وزحفت إلى باب الدار، وخرجت أزحف إلى أن وقعت إلى المأمن، وجئت إلى بيتي، وعرفتهم بموضعه، فمضوا إلى الوالي، فكبس عليه وضرب عنقه، وأقا الدواء في أفخاذي سنة إلى أن ختم الجرح، وبقي كذا حفرا، وبسبب **هذا الغلاء خرب** الفسطاط، وخلا موضع العسكر والقطائع، وظاهر مصر، مما يلي القرافة حيث الكيمان الآن إلى بركة الحبش، فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر،

وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع، وصار قضاء وكيمانا، فيما بين مصر والقاهرة، وفيما بين مصر والقرافة، وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة.." (١)

"أموالهم، وزالت نعمهم، فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد، أمر بإحضار إعيان أهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة، وصاروا بالقاهرة، وتغمم لمصابهم وسفه رأي شاور في إحراق المدينة، وأمرهم بالعود إليها، فشكوا إليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي مكن نرجع؟ وفي أي مكان ننزل ونأوي؟ وقد صارت كما ترى، وبكوا وأبكوا، فوعدهم جميلا، وترفق بهم وأمر ، فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجع إليها الناس قليلا وعمروا ما حول الجامع إلى أن كانت المحنة **من الغلاء والوباء** العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لسنتي خمس وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير، ثم تحايا الناس بها، وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل، لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، وصار بمصر عدة آدار جلية، وأسواق ضخمة، فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل: كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر، وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فحدث الفناء الكبير الذي أقفر منه معظم دور مصر، وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء، وصار ما يحيط بالجامع العتيق، وما على شط النيل عامرا إلى سنة ست وسبعين وسبعمائة، فشرقت بلاد مصر، **وحدث الوباء بعد** الغلاء، فخرب كثير من عامر مصر، ولم يزل يخرب شيئا بعد شيء إلى سنة تسعين وسبعمائة، فعظم الخراب في خط زقاق القناديل، وخط النحاسين، وشرع الناس في هدم دور مصرن وبيع أنقاضها، حتى صارت على ما هي عليه الآن، وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا.والهم، وزالت نعمهم، فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد، أمر بإحضار إعيان أهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة، وصاروا بالقاهرة، وتغمم لمصابهم وسفه رأي شاور في إحراق المدينة، وأمرهم بالعود إليها، فشكوا إليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي مكن نرجع؟ وفي أي مكان ننزل ونأوي؟ وقد صارت كما ترى، وبكوا وأبكوا، فوعدهم جميلا، وترفق بهم وأمر ، فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجع إليها الناس قليلا وعمروا ما حول الجامع إلى أن كانت المحنة **من الغلاء والوباء** العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لسنتي خمس وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير، ثم تحايا الناس بها، وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٣/١

النيل، لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، وصار بمصر عدة آدار جلية، وأسواق ضخمة، فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل: كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر، وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فحدث الفناء الكبير الذي أقفر منه معظم دور مصر، وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء، وصار ما يحيط بالجامع العتيق، وما على شط النيل عامرا إلى سنة ست وسبعين وسبعمائة، فشرقت بلاد مصر، **وحدث الوباء بعد** الغلاء، فخرب كثير من عامر مصر، ولم يزل يخرب شيئا بعد شيء إلى سنة تسعين وسبعمائة، فعظم الخراب في خط زقاق القناديل، وخط النحاسين، وشرع الناس في هدم دور مصرن وبيع أنقاضها، حتى صارت على ما هي عليه الآن، وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا.

ما قيل في مدينة فسطاط مصر

قال ابن رضوان: والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء: الفسطاط، والقاهرة، والجزيرة، والجيزة، وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة، والجبل المقطم في شرقيها، وبينها وبين مقابر المدينة.." (١)

"وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجزيرة، فسار عليه، وقد زينت له مدينة الفسطاط، فلم يشقها ودخل إلى القاهرة بجميع أولاده وإخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدي، وبتوابيت آبائه، وذلك لسبع خلون من رمضان سنة أثنتين وستين وثلثمائة، فعندما دخل القصر صلى ركعتين، فاقتدى بهمن حضر، وبات به ثم أصبح فجلس للهناء، وأمر فكتب في سائر مدينة مصر: خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأثتب اسم المعز لدين الله، واسم أبيه المصلى، فسبح في كل ركعة، وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة، ثم خطب بعد الصلاة، وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء، وعمل عيد غدير خم، ومات بعض بني عمه، فصلى عليه، وكبر سبعا، وكبر على ميت آخر خمسا، وقدمت القرامطة إلى مصر، فسير إليهم الجلوس وهزموهم، وما زال إلى أن توفي من علة اعتلها بعد دخوله إلى القاهرة بسنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام، وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبا، فإن مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة، ووفاته بالقاهرة لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة، وكانت مدة خلافته بالمغرب، وديار مصر، ثلاثا وعشرون سنة وعشرة أيام، وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر، وإليه تنسب القاهرة المعزية لأن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٦/١

عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها.

وكان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفا للرعية مغرما بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام، والحرمين، وبعض أعمال العراق.

وقام من بعده ابنه: العزيز بالله أبو منصور نزار، فأقام في الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانيةأشهر وأربعة عشر يوما في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة بمدينة بلبيس، وحمل إلى القاهرة. وقام من بعده ابنه: الحاكم بأمر الله أبو علي منصور، وكانت مدة خلافته إلى أن فقد خمسا وعشرين سنة وشهرا، وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب. وقام من بعده ابنه: الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسين علي بن الحاكم، بأمر الله، ولد بالقاهرة يوم الأربعاء، لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة،وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر، سنة إحدى عشرة وأربعمائة،وعمره ست عشرة سنة، فخرج إلى صلاة العيد، وعلى رأسه المظلة، وحوله العساكر، وصلى بالناس في المصلى،وعاد فكتب بخلافته إلى الأعمال، وشرب الخمر ورخص فيه للناس، وفي سماع الغناء، وشرب الفقاع، وأكل الملوخيا وجميع الأسماك، فأقبل الناس على اللهو، ووزر له الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد، وكان يلي ديوان الإنشاء وغيره، واستوزره بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين، وكان يتولى الشرطة، ثم ولي ديوان الإنشاء بعد ابن حيران، وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة، وقبض عليه في شوال، وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار، وولي بعده الأزارة الأمير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر.

وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدريزي متولي قيساورية ولاية فلسطين، فكانت له مع حسان بن مفرح بن جراح الطائي حروب، وفيها نزع السعر بمصر، وتعذر وجود الخبز، وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الأسود معضاد ، بالقائد عز الدولة وسنائها أبي الفوارس معضاد الظاهر، وخلع عليه، وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد، فقبض عليه، وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله، ووجد معه قطعة من جلد رأسهن وقطعة من الفوطة التي كانت عليه، فسئل عن سبب قتله إياه؟ فقال: غرت لله وللإسلام، ثم قتل نفسه بسكين كانت معه، فقطعت رأسه، وسيرت إلى القاهرة، وفيها **اشتد الغلاء بمصر**،وكثر نقص النيل.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٤٧

"وفيها قرر الشريف الكبير العجمي، والشيخ نجيب الدولة الجرجراي ، والشيخ العميد محسن بن بدوس،مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم، وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون، فيتصرفون في سائر أمور الدولة، والظاهر مشغول بلذاته، وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلمة، وابن حيران صاحب الإنشاء، وداعي الدعاة، ونقيب نقباء الطالبيين، وقاضي القضاة، ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة، ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر ألبتة، والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال، ويمضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد، ومنع الناس من ذبح الأبقار لقلتها، وعزت الأقوات بمصر، وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا، وكثر الخوف في ظواهر البلد، وكثر اضطرات الناس، وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض، وكثر ضجيج العسكر من الفقر والحاجة، فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة، فقبض على العميد محسن، وضرب عنقه واشتد الغلاء،وفشت الأمراض، وكثر الموت في الناس، وفقد الحيوان، فلم يقدر علىدجاجة، ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر، فعم البلاء من كل جهة، وعرض الناس أمتعتهم للبيع،فلم يوجد من يشتريها، وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب، وأخذت أموالهم، وقتل منهم كثير وعاد من بقي، فلم يحج أحد من أهل مصر، وتفاقم الأمر في شدة الغلاء، فصاح الناس بالظاهر: الجوع الجوع يا أمير المؤمنين؟ لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك، فالله الله في أمرنا، وطرقت عساكر ابن جراح الفرما، ففر أهلها إلى القاهرة، وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الأمراض والموتان، وشدة الغلاء، وعدم الأقواتن وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى أنه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط، وهم يصيحون: الجوع، ونهبوا سائ ما كان عليه، ونهبت الأرياف وكثر طمع العبيد ون، بهم، وجرت أمور من العامة قبيحة، واحتاج الظاهر إلى القرض، فحمل بعض أهل الدولة إليه مالا، وامتنع آخرون، واجتمع نحو الألف عبد لتنهب البلد من الجوع، فنودي بأن من تعرض أحد من العبيد، فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد، واستعد الناس، فكانت نهبات بالساحل، ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها إلى أن خندقوا عليهم خنادق، وعملوا الدروب على الأزقة والشوارع، وخرج معضاد في عسكر، فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم، وأخذ العبيد في طلب الحرحراي وغيره من وجوه الدولة، فحرسوا أنفسهم، وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة، والناس في أنواع من البلاء.

وفي سنة ست عشرة أمر الظاهر، فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم، وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام، ومختصر الوزير، وجعل لمن حفظ ذلك مالا.

وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس، وكثرت زيادة النيل عن العادة، وتصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم.

وفي سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم، وخطب للظاهر في بلاده، وأعاد الجامع بقسطنطينية، وعمل فيه مؤذنا، فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس، وأذن لمن أظهر الإسلام في أيام الحاكم أن يعود إلى النصرانية، فرجع إليها كثير منهم، وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة، وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادي، وأقام بدله أبا القاسم علي بن أحمد الحرحراي.

وفي سنة عشرين كانتفتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير.

وفي سنة إحدى وعشرين بويع لابنالظاهر بولاية العهد، وعمره ثمانية أشهر، وأنفق على ذلك في خلع لأهل الدولة، وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه.

وفي سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل، ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر.

وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة، فاضطربت الرعية والجند، وتحدث الناس بخلعه، ثم سكنت الفتنة بعد إنفاق مال جزيل.

وفي سنة أربع وعشرين ركب ولي العهد من القاهرة إلمصر، وقد زينت الطرقات، فكان إذا مر بقوم قبلوا له الأرض، ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار، فكان يوما عظيما.." (١)

"وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الأتراك بها، فكثرت دعاته هناك، واستجاب لهم خلق كثير، فلما كان في سنة ست وعشرين **كثر الوباء بمصر**، ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأرعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة إلا أياما، فكانت حدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما، وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء، فتأنق الناس في أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما، واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم أنواع العلوم، وسائر فنوي الحرب، واتخذ خزانة البنود، وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع، وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر، وكانت مملكته بإفريقية ومصر والشام والحجاز، وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه، واستولى على مل يليها، وتغلب حسان جراح على أكثر بلاد الشام، فتضعضعت الدولة. وقام من بعده ابنه ولي العهد، وبويع له وهو: المتنصر بالله أبو تميم معد، ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة، وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين، وعمره يومئذ سبع سنين، فأقام ستين سنة وأشهرا في

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٤٨

الخلافة كانت فيها أنباء، وقصص شنيعة بديار مصر منها: أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له: أبو سعد سهل بن هارون التستري، فابتاعها منه الظاهر، واستولدها المستنصر، فلما أفضت الخلافة إليه استدنت أمه أبا سعد، ورقته درجة علية، وكان الوزير يومئذ أبا القاسم الجرجراي، فلم يتمكن أبو سعد من إظهار ما في نفسه حتى مات الجرجراي، وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف العلاجي الوزارة، فانبسطت يد أبي سعد، وصار العلاجي يأتمر بأمر، فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البنود، فحقدت أم المتنصر على العلاجي، وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفي الدين الحسين بن محمد بن أحمد الجرجراي في الوزارة.

وفي سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولي دمشق بالعساكر إلى حلب، وحارب متوليها: ثمال بن صالح بن مرداس، ثم رجع بغير طائل، فقلد مظفر الصقلبي دمشق، وقبض على ابن حمدان، وصادره واعتقله بصور، ثم بالرملة، وخرج أمير الأمراء: رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين ألفا بلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار يريد الشام، ومحاربة بني مرداس.

وفي المحرم سنة إحدى وأربعين صرف قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة وشهر أو أربعة أيام، وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضي الأجل خطير الملك أبو محمد البازوري.

وفيها حارب رفق بني حرداس، فظفروا به وأسروه، فمات بقلعة حلب، فأفرج عن ابن حمدان، وبقي بالحضرة، وقبض على الوزير أبي البركات الجرجراي، ونفي إلى الشام، وعمل أبو المفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا، ثم قلد القضاة أبو محمد البازوري الوزارة مع وظيفة القضاء، ولقب بسيد الوزراء.

وفي سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة، وإخراج بني قرة منها، وإنزال بني سنبس بعدهم بها، وفيها دعا علي بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر، وبعث إليه بمال النجوة والهدن.

وفي سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين، ونفيهم من الانتساب إلى علي بن أبي طالب، وسيرت إلى الآفاق وقصر مد النيل، فتحرك السعر بمصر، ثم قصر أيضا مد النيل في سنة ست وأربعين، فقوي الغلاء، وكثر الموت في الناس.

وفي سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيري من بغداد منتميا للمستنصر، فسيرت إليه الأموال والخلع.

وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب إلى مملكة المستنصر.

وفي سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبي محمد البازوري، وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد، وولي القضاء بعد البازوري أبو علي أحمد بن عبد الحكم، ثم صرف بعبد الحاكم المليحي، وفيها أخذ البساسيري بغداد، وأقام فيها الخطبة للمستنصر، وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى قريش بن بدران، فبعث به إلى غانة، وسيرت ثياب القائم، وعمامته وغير ذلك من الأموال إلى مصر، وفيها سار ناصر الدولة إلى دمشق أميرا عليها.." (١)

"وفي سنة إحدى وخمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الأعمال، فقدم طغريل إلى بغداد، وأعاد الخليفة القائم بعدما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة، وقتل البساسيري، وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب، فسار إليها ابن حمدان، وحارب أهلها، فانكسر كسرة شديدة شنيعة، وعاد إلى دمشق، وفيها صرف أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة، وعبد الحاكم عن القضاء، وأعيد إلى الوزارة أبو الفرج البابلي، واستقر في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري.

وفي سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة، وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة، وتقدم الأرذال بحيث كان يصل إليه في كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات، فاشتبهت عليه الأمور، وتناقضت الأحوال، ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم، وخربت الأعمال، وقل ارتفاعها، وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالأمور، وطغيان الأكابر إلى أن آل الأمر إلى حدوث الشدة العظمى، كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب، وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ست وستين وأربعمائة، وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة، فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف إلى أن مات في سنة سبع وثمانين، فأقام العسكر من بعده في الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه، فباشر الأمور يسيرا، ومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع، وستين سنة وخمسة أشهر منها في الخلافة ستون سنة، وأربعة أشهر وثلاثة أيام مرت فيها أهوال عظيمة، وشدائد آلت به إلى أن جلس على نخ، وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الأشراف تتصدق عليه في كل يوم بقعب فيه فتيت، فلا يأكل سواه مرة في كل يوم، وقد مر في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره، فلما مات المستنصر أقام الأفضل بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه: المستعلي بالله أبا القاسم أحمد، وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة، فحالف عليه أخوه نزار، وفر إلى الإسكندرية وكان القائم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٤٩/١

بالأمور كلها الأفضل، فحاربه حتى ظفر به،وقتله كما تقدم في خبر أفتكين عند خزائن القصر.

وفي سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلي، وخطب بها للعباسي، وخرج الفرنج من قسطنطينية لأخذ سواحل الشام، وغيرها من أيدي المسلمين فملكوا أنطاكية.

وفي سنة إحدى وتسعين خرج الأفضل بعسكر عظيم من القاهرة، فأخذ بيت المقدس من الأرمن، وعاد إلى القاهرة.

وفي سنة اثنتين وتسعين، ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس، فخرج الأفضل بالعساكر، وسار إلى عسقلان، فسار إليه الفرنج وقاتلوه، وقتلوا كثيرا من أصحابه، وغنموا منه شيئا كثيرا وحصروه، فنجا بنفسه في البحر، وصار إلى القاهرة وفي سنة ثلاث وتسعين **عم الوباء أكثر** البلاد، فهلك بمصر عالم عظيم.

وفي سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج، وكانت بينهما حروب كثيرة.

وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلي بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر، وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما، ومدة خلافته سبع سنين وشهران، وفي أيامه اختلت الدولة، وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام، فإنها صارت بين الأتراك والفرنج، وصارت الإسماعيلية فرقتين: فرقة نزارية تطعن في إمامة المستعلي،وفرقة ترى صحة خلافته، ولم يكن للمستعلي مع الأفضل أمر ولا نهي، ولا نفوذ كلمة، وقيل: إنه سم، وقيل: بل قتل سرا.

فلما مات أقام الأفضل من بعده في الخلافة ابنه: الآمر بأحكام الله أبا علي منصورا، وعمره خمس سنين وشهر وأيام، فقتل الأفضل في أيامه، وأقام في الخلافة تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا، وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الأقمر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب، ولما قتل الآمر بأحكام الله.

أقيم من بعده: الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله، وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع، وقيل: في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة، فلذلك كان يقال له في أيام الآمر بأحكام الله الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا.." (١)

"ولما قتل النزارية: الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الأمير عبد المجيد في دست الخلافة، ولقباه بالحافظ لدين الله، وأنه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الآمر، واستقر هزاز الملوك وزيرا، فثار العسكر، وأقاموا أبا علي بن الأفضل وزيرا، وقتل هزار الملوك، ونهب شارع القاهرة، وذلك كله في يوم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٥٠/١

واحد، فاستبد أبو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وقبض على الحافظ، وسجنه مقيدا، فاستمر إلى أن قتل أبو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين، فأخرج من معتقله، وأخذ له العهد على أنه ولي عهد كفيل لمن يذكر اسمه، فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر، وصار يعمل كل سنة، ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة إلى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر، فلم يستوزر الحافظ بعده أحدا، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمان وعشرين، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير، فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات، فجعل مكانه ابن حيدرة، فخنق ابنه حسن، وثار بالفتنة، وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب، فلما قتل حسن قام بهرام الأرمني، وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين، وكان نصرانيا، فاشتد ضرر المسلمين من النصارة، وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشي، وهو يومئذ متولي الغربية، وجمع الناس لحرب بهرام، وسار إلى القاهرة، فانهزم بهرام، ودخل رضوان القاهرة، واستولى على الوزارة في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين، فأوقع بالنصارى وأذلهم، فشكره الناس إلا أنه كان خفيفا عجولا، فأخذ في إهانة حواشي الخليفة، وهم بخلع، وقال: ما هو بإمام، وإنما هو كفيل لغيره، وذلك الغير لم يصح، فتوحش الحافظ منه، وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان، وخرج إلى الشام، فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين، فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته، فقاتلهم وانهزم منهم إلى الصعيد فقبض عليه، واعتقل، فلم يستوزر الحافظ أحدا بعده إلى أن كانت سنة ست وثلاثين، فغلت الأسعار بمصر وكثر الوباء، وامتد إلى سنة سبع وثلاثين، فعظم الوباء.

وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر، وخرج من نقب، وثار بجماعة، وكانت فتنة آلت إلى قتله.

وفي سنة أربع وأربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر، فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة يوما، أصابته فيها شدائد كثيرة، وكان حازما سيوسا كثير المداراة عارفا جماعا للمال مغرى بعلم النجوم يغلب عليه الحلم.

فلما مات والفتنة قائمة أقيم ابنه: الظاهر بأمر الله أبو منصور إسماعيل، ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فأقام في الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام، وكان محكوما عليه من الوزارة، وفي أيامه أخذت عسقلان، فظهر الخلل في الدولة، وقد ذكرت أخباره في خط الخشيبة عند ذكر الخطط من هذا الكتاب.

فلما قتل أقيم من بعده أبنه: الفائز بنصر الله أبو القاسم، أقامه في الخلافة بعد مقتل أبيه الوزير عباس، وعمره خمس سنين، فقدم طلائع بن رزيك والي الأشمونين بجموعه إلى القاهرة، ففر عباس، واستولى طلائع على الوزارة، وتلقب بالصالح، وقام بأمر الدولة إلى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن إحدى عشرة سنة، وستة أشهر ويومين منها في الخلافة ست وستين وخمسة أشهر وأيام، لي ير فيها خيرا فإنه لما أخرج ليقام خليفة رأى أعمامه قتلى، وسمع الصراخ، فاختل عقله، وصار يصرخ حتى مات.." (١)

"قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات، وكان قبل ذلك من المجنونة إلى مشهد السيد رقية عرضا، اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير إلى باب الفتوح وباب النصر، وعرضه من باب سعادة، وباب الخوخة إلى باب البرقية والباب المحروق، ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر، وبنوا خارج باب الفتوح، وباب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانية، وبنوا خارج باب القنطرة إلى حيث الموضع الذي يقال له بولاق حيث شاطئ النيل، وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ إلى أن اتصلت بمنشأة المهراني، وبنوا خارج باب البرقية، والباب المحروق إلى سفح الجبل بطول السور، فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين: أحدهما يقال له: القاهرة، والآخر يقال له: مصر. فأما مصر: فإن حدها ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحنفيه من حد أول قناطر السباع إلى طرف بركة الحبش القبلي، مما يلي بساتين الوزير، وهذا هو طول حد مصر، وحدها في العرض من شاطئ النيل الذي يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير، وقنطرة السد إلى أول القرافة الكبرى.

وأما حد القاهرة، فإن طولها من قناطر السباع إلى الريدانية، وعرضه من شاطئ النيل ببولاق إلى الجبل الأحمر، ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة، وفي الحقيقة قاهرة المعز التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد إلى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إنما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جوهر تغير، وعمل منذ بنيت إلى زمننا هذا ثلاث مرات، ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة، فصار يقال لداخل السور: القاهرة، ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة، وظاهر القاهرة أربع جهات: الجهة القبلية، وفيها الآن معظم العمارة، وحد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٥١/١

هذه الجهة طولا من عتبة باب زويلة إلى الجامع الطولوني، وما بعد الجامع الطولوني، فإنه من حد مصر، وحدها عرضا من الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل غربي المريس إلى قلعة الجبل، وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر، والجهة البحرية، وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة، وبعدها إلى **قبيل الوباء الكبير** فيها أكثر العمائر والمساكن، ثم تلاشت من بعد ذلك، وطول هذه الجهة من باب الفتوح، وباب النصر إلى الريدانية، وعرضها من منية الأمراء المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشيرج إلى الجبل الأحمر، ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية، والجهة الشرقية إنها حيث ترب أهل القاهرة، ولم تحدث بها العمر من التربة إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وحد هذه الجهة طولا من باب القلعة المعروف بباب السلسلة إلى ما يحاذي مسجد تبر في سفح الجبل، وحدها عرضا فيما بين سور القاهرة، والجبل والجهة الغربية، فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وإنما كانت بساتين وبحرا، وحد هذه الجهة طولا من منية الشيرج إلى منشأة المهراني بحافة بحر النيل، وحدها عرضا من باب القنطرة، وباب الخوخة وباب سعادة إلى ساحة النيل، وهذه الأربع جهات من خارج السور يطلق عليها: ظاهر القاهرة.." (١)

"فنقلها عما كانت عليه من الصيانة، وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور، وحط من مقدار قصور الخلافة، وأسكن في بعضها، وتهدم البعض، وأزيلت معالمه، وتغيرت معاهده، فصارت خططا وحارات، وشوارع ومسارك، وأزقة، ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل، فكان السلطان صلاح الدين يتردد إليها، ويقيم بها، وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان، وأخوه الملك العادل، أبو بكر، فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب تحول من دار الوزارة إلى القلعة، وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير إلى الرميلة تحت القلعة، وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير إلى الرميلة تحت القلعة، فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكيزخان في أعوام بضع عشرة وستمائة إلى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست وخمسين وستمائة، كثر قدوم المشارقة إلى مصر، وعمرت حافتي الخليج الكبير، وما دار على بركة الفيل، وعظمت عمارة الحسينية، فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة بعد سنة إحدى عشرة وسبعمائة، واستجد بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها، حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعدما كان ذلك المكان فضاء يعرف: بالميدان الأسود وميدان القبق، وتزايدت العمائر بالحسينية، حتى صارت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٥٥

من الريدانية إلى باب الفتوح، وعمر جميع ما حول بركة الفيل، والصليبة إلى جامع ابن طولون، وما جاوره إلى المشهد النفيسي، وحكر الناس أرض الزهري، وما قرب منها، وهو من قناطر السباع إلى منشأة المهراني، ومن قناطر السباع إلى البركة الناصرية إلى اللوق إلى المقس، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري اتسعت الخطة فيما بين المقس، والدكة إلى ساحل النيل، وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة، والمساكن الكثيرة، والأسواق والجامع والمساجد، والحمامات الشون، وهي من المواضع التي من باب البحر خارج المقس إلى ساحل النيل المسمى ببولاق، ومن بولاق إلى منية الشيرج، ومنه في القبلة إلى منشأة المهراني، وعمر ما خرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق إلى الخليج، ومن باب زويلة إلى المشهد النفيسي، وعمرت القرافة من باب القرافة إلى بركة الحبش طولا، ومن القرافة الكبرى إلى الجبل عرضا، حتى أنه استجد في أيام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا، ولم يبق مكان يحكر، واتصلت عمائر مصر والقاهرة، فصارا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور، والدور والرباع، والقياسر، والأسواق، والفنادق، والخانات، والحمامات، والشوارع، والأزقة، والدروب، والخطط والحارات، والأحكار والمساجد، والجوامع، والزوايا والربط، والمشاهد والمدارس، والترب والحوانيت، والمطابخ والشون، والبرك والخلجان والجزائر والرياض، والمنتزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، ومن شاطئ النيل بالجيزة إلى الجبل المقطم، وما زالت هذه الأماكن في كثرة العمارة، وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتها، وتختال عجبا بهم لما بالغوا في تحسينها، وتأنقوا في جودتها، وتنميقها إلى أن حدث الفناء الكبير في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فخلا كثير من هذه المواضع، وبقي كثير أدركناه، فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة، وقصر جري النيل في مده، وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك، وتحريقها، وقتل أهلها وارتفاع أسعار الديار المصرية، **وكثرة الغلاء فيها**، وطول مدته، وتلاف النقود المتعامل بها، وفسادها، وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة، وخراب الصعيد، وجلاء أهله عنه، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية إلى الخراب، واتضاع أمور ملوك مصر، وسوء حال الرعية، واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور، وتتبع أرباب الأموال، واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان، وأصحابه على التجار والباعة بأغلى الأثمان إلى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه، ولا تسع الأوراق حكايته، كثر الخراب بالأماكن التي تقدم ذكرها، وعم سائرها، وصارت

كيمانا، وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم أو مستهدمة واقعة، أو آيلة إلى السقوط والدثور، سنة." (١)

"وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه: الرمان والموز والتفاح، وأما الإجاص فقليل غال، وكذلك الخوخ، وفيها الورد والنرجس والنسرين والليتوفر والبنفسج والياسمين والليمون الأخضر والأصفر، وأما العنب والتين فقيل غال ولكثرة ما يعصرون العنب في أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل، ومع هذا فشراؤه عندهم في نهاية الغلاء، وعامتها يشربون المزر الأبيض المتخذ من القمح، حتى أن القمح يطلع عندهم سعره بسببه، فينادي المنادي من قبل الوالي بقطعه، وكسر أوانيه، ولا ينكر فيها إظهار أواني الخمر، ولا آلات الطرب ذوات الأوتار، ولا تبرج النساء العواهر، ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب، وقد دخلت في الخليج الذي بين القاهرة ومصر، ومعظم عمارته فيما يلي القاهرة، فرأيت فيه من ذلك العجائب، وربما وقع فيه قتل بسبب السكر، فيمنع فيه الشرب، وذلك في بعض الأحيان، وهو ضيق عليه في الجهتين مناظر كثي رة العمارة بعالم الطرب والتهكم، والمخالفة حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به في مركب، وللسرج في جانبيه الليل منظر فتان، وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر بالليل، وفي ذلك أقول:

لا تركبن في خلج مصر ... إلا إذا أسدل الظلام

فقد علمت الذي عليه ... من عالم كلهم طغام

صفان للحرب قد أظلا ... سلاح ما بينهم كلام

يا سيدي لا تسر إليه ... إلا إذا هوم النيام

والليل ستر على التصابي ... عليه من فضله لثام

والسرج قد بددت عليه ... منها دنانير لا ترام

وهو قد امتد والمباني ... عليه في خدمة قيام

لله كم دوحا جنينا ... هناك أثمارها الآثام

انتهى. وفيه تحامل كثير. وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة إلى أخيه، وهو بدمشق يتشوق إليها، ويذكر ما فيها من المواضع، والمنتزهات، ويذم من مصر بقوله: فكيف يبقى لمن حل في جنة النعيم ورياضها، ويرتع في ميادين المسرات، وغياضها تلفت إلى من سلمته يد الأقدار إلى أرض ليست بذات قرار، وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح، والورق المتصادح،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٢/١

والنشر المتقادح، والماء المطلق المسلسل، والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتي أكل خمط ، وأثل وشيء من سدر قليل، وتقصدتهم يد القضاء، فأخذتهم بالبأساء والضراء، وأوقعتهم بمصر وشموسها، وحميمها وغمومها، وحزونها، ووعورها، وحرورها، وزفيرها، وسعيرها، وكيمانها، ونيرانها، وسودانها، وفلاحيها، وملاحيها، ومشاربها، ومساربها، ومسالكها، ومهالكها، وصحناتها، وعصفورها، وبوريها، وصقورها، ومخاوف نوروها، وحرارة تموزها، ودارس طلولها، ورائس أسطولها، وتعكر مائها، وتكدر هوائها، فلو تراهم في أرجائها القصوى كالأباعر الهمل، وهم يصطخرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل.." (١)

"حاشاي أن أنقض عهدا لها ... حاشاي أن أصبح خوانها

حاشا أن أهجرها قاليا ... حاشاي أن أحدث سلوانها

حاشاي أن أرضى بديلا بها ... روابي الشام وقيعانها

وماءها الثج وحصباءها ... وصخرها الصلد وصوانها

قد تاقت النفس إلى الفها ... وحثت الأشواق أظعانها

وادكرت في البعد أحبابها ... فهيج التبريح أشجانها

وما لها غيرك من ملتجا ... يا أوحد الدنيا وإنسانها

مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها

قال العارف محيي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة إليه قاهرة تعمر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، وتخرب سنة ثمانين وسبعين، ووقفت لها على شرح لم أعرف تصنيف من هو، فإنه لم يسم في النسخة التي وقفت عليها، وهو شرح لطيف قليل الفائدة، فإنه ترك كلام المصنف فيما مضى على ما هو معروف في كتب التاريخ، ولم يبين مراده، فيما يستقبل، وكانت الحاجة ماسة إلى معرفة ما يستقبل أكثر من المعرفة بحال ما مضى، لكن أخبرني غير واحد من الثقات، أنه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير في مجلدين، قال هذا الشارح: كانت بداية عمارة القاهرة والنيارن في شرفهما: الشمس في برج الحمل، والقمر في برج الثور، وهو برج ثابت. قال: فعمر القاهرة، ومدتها أربعمائة، وإحدى وستون سنة، قال في الأصل:وإذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الأقوات بمصر، وقل أغنياؤهم، وكثر فقراءهم ويكون الموت فيهم ويخرج أهل برقة عن أوطانهم، لا سيما إذا قارن زحل الجور زهر، فإن الحال يكون أشد وأقوى.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٦/١

قال الشارح: كان ذلك في سنة أربع وستين وستمائة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فإنه نزل زحل برج الجوزاء، فوقع الغلاء، وفي آخر سنة أربع، وأول سنة خمس وتسعين وستمائة، في أيام الملك العادل: كتبغا حل زحل في برج الجوزاء، وكان معه الجوزهر، فكانت أشد وأقوى **وكثر الغلاء والوباء**.

قال: سئل المعز عن الترك ما هم؟ فقال: قوم مسلمون يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الحدود والواجبات، ويقاتلون في سبل الله أعداء الله، فقيل له: أتطول مدتهم؟ قال: لا تطول مدتهم، قيل: فكيف يكون زوالهم؟ قال: يكون هكذا، وكان إلى جانبه طبق كيزان، فحركه حركة شديدة، فتكسرت الكيزان، فقال: هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا، قال:

احذر بني من القران العاشر ... وارحل بأهلك قبل نقر الناقر

قال الشارح: أول القران العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وفيه تكون حالات رديئة بأرض مصر، وهذا يوافق ما في القول عن القاهرة، وتخرب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة، يعني بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القران العاشر، ويثبت في عشرين سنة التي هي أيام القران، وقد ذكر في الربع الآخر أربعمائة، وإحدى وستين سنة، وقد تخيلت أنها مدة عمر القاهرة، فإذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة، وفي ذلك الوقت يكون زوالها، وهو ما بين سنة ثمانين، وسبعمائة إلى سنة تسع عشرة وثمانمائة، ويكون ذلك سببه قحط عظيم، وقلة خير، وكثرة شر حتى تتخرب ويضعف أهلها.

قال: قران زحل والمريخ في برج الجدي يكون في سنة سبعين وسبعمائة، فتعد لكل مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين، فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة، وثلاثا وتسعين سنة، ففي مثلها من سني الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة، انتهى.." (١)

"وتهذيب هذا القول: أن زحل كلما حل برج الجوزاء، اتضعت أحوال مصر، وقلت أموالهم، **وكثر الغلاء والفناء** عندهم، بحسب الأوضاع الفلكية، وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية، فيقيم فيه نحوا من ثلاثين شهرا، وأنت إذا اعتبرت أمور العالم وجدت الحال كما ذكرنا، فإنه كلما حل زحل برج الجوزاء **وقع الغلاء بمصر**، وذكر أن القران العاشر تتضع فيه أحوال القاهرة، ورأينا الأمر كما ذكرنا، فإن القران العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبعمائة، ومدة سنينه عشرون سنة شمسية، آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة، وفي هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها، اتضاعا قبيحا، ومن الأوقات المحذورة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٧١

لها أيضا اقتران زحل والمريخ في برج السرطان، ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية، ويقترنان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وفي مدته تنقضي الأربعمائة والإحدى والستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة، وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة، وقلة المال وخراب الضياع والقرى، وتداعى الدور للسقوط، وشمول الخراب أكثر معمور القاهرة، واختلاف أهل الدولة، وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الأسعار.

ولقد سمعت عمن يرجع إليه في مثل ذلك: أن العمارة تنتقل من القاهرة إلى بركة الحبش، فيصير هناك مدينة، والله تعالى أعلم.

مسالك القاهرة وشوارعها

لى ما هي عليه الآن

وقبل أن نذكر خطط القاهرة، فلنبتدئ بذكر شوارعها، ومسالكها: المسلوك منها إلى الأزقة، والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والأزقة والدروب، وغير ذلك مما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.." (١)

"أمير الجيوش: أبو النجم بدر الجمالي كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار، فلذلك عرف: بالجمال، وما زال يأخذ بالجد من زمن سببه فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم، وينتقل في الخدم، حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشري ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة، ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين، ثم وليها ثانيا يوم الأحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين، فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان، فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة، فثار العسكر وأخربوا قصره، وتقلد نيابة عكا، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء، وكثرة الفتن، والأحوال بالحضرة قد فسدت، والأمور قد تغيرت، وطوائف العسكر قد شغبت، والوزراء ينعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي، والرخاء قد أيس منه، والصلاح لا مطمع فيه، ولواته قد ملكت الريف، والصعيد بأيدي العبيد، والطرقات قد انقطعت برا وبحرا إلا بالخفارة الثقيلة، فلما قتل بلدكوش : ناصر الدولة حسين بن حمدان، كتب المستنصر إليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته، فاشترك أن يحضر معه من يختاره معه عسكرا، وركب البحر من عكا في أول كانون، وسار بمائة مركب بعد أن قيل له: إن العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه، وخوف التلف، فأبى عليهم، وأقلع فتمادى الصحو، والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما، حتى كثر التعجب من ذلك، وعد من سعادته، فوصل إلى تنيس

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٢/١

ودمياط، واقترض المال من تجارها ومياسيرها، وقام بأمر ضيافته، وما يحتاج إليه من الغلال: سليمان اللواتي كبير أهل البحيرة، وسار إلى قليوب، فنزل بها وأرسل إلى المستنصر يقول: لا أدخل إلى مصر حتى تقبض على بلدكوش، وكان أحد الأمراء، وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان، فبادر المستنصر، وقبض عليه، واعتقله بخزانة البنود، فقدم بدر عشية الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة خمس وستين وأربعمائة، فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة، وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الأمراء علم من استدعائه، فما منهم إلا من أضافه، وقدم إليه، فلما انقضت نوبهم في ضيافته استدعاهم إلى منزله في دعوة صنعها لهم، وبيت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل، فإنهم لا بد يحتاجون إلى الخلاء، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك، ووكل بكل واحدا واحدا من أصحابه، وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال، وإقطاع وغيره، فصار الأمراء إليه وظلوا نهارهم عنده، وباتوا مطمئنين، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء، وصارت رؤوسهم بين يديه، فقويت شوكته، وعظم أمره، وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور، وقلده وزارة السيف والقلم، فصارت القضاة والدعاة، وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين، وتتبع المفسدين، فلم يبق منهم أحدا حتى قتله، وقتل من أماثل المصريين، وقضاتهم ووزرائهم جماعة، ثم خرج إلى الوجه البحري، فأسرف في قتل من هنالك من لواتة، واستصفى أموالهم، وأزاح المفسدين وأفناهم بأنواع القتل، وصار إلى البر الشرقي، فقتل منه كثيرا من المفسدين، ونزل إلى الإسكندرية، وقد ثار بها جماعة مع ابنه الأوحد، فحاصرها أياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربعمائة، إلى أن أخذها عنوة، وقتل جماعة ممن كان بها، وعمر جامع العطارين من مال المصادرات، وفرغ من بنائه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم سار إلى الصعيد، فحارب جهينة والثعالبة، وأفنى أكثرهم بالقتل، وغنم من الأموال، ما لا يعرف قدره كثرة، فصلح به حال الإقليم بعد فساده، ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية، فصارت إليها غير مرة، وحاربت أهلها، ولم يظفر منها بطائل، واستناب ولده شاهنشاه. وجعله ولي عهده.." (١)

"قال ابن الطوير: إذا كان اليوم العاشر من المحرم: احتجب الخليفة عن الناس فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة، والشهود، وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسيني، وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه، ومن معهم من قراء الحضرة، والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير، فجلس صدرا، والقاضي والداعي من جانبيه، والقراء يقرؤون نوبة بنوبة، وينشد قوم من الشعراء غير

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٨٥

شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام، فإن كان الوزير فضيا تغالوا، وإن كان سنيا اقتصدوا، ولا يزالون كذلك إلى أن تمضي ثلاث ساعات، فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل، فيركب الوزير، وهو بمنديل صغير إلى داره، ويدخل قاضي القضاة والداعي، ومن معهما إلى باب الذهب، فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط، وينصب في الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش، ويجدون صاحب الباب جالسا هناك، فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه، والناس على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليهم سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس، والملوحات، والمخللات، والأجبان والألبان الساذجة والأعسال النحل، والفطير والخبز المغير لونه، فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب، وصاحب المائدة، وأدخل الناس للأكل منه، فيدخل القاضي والداعي، ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير، والمذكوران إلى جانبه، وفي الناس من لا يدخل، ولا يلزم أحد بذلك، فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه، وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم، وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر، فيفتح الناس بعد ذلك أو يتصرفون.

أبواب القصر الكبير الشرقي

وكان لهذا القصر الكبير الشرقي تسعة أبواب أكبرها وأجلها: باب الذهب، ثم باب البحر، ثم باب الريح، ثم باب الزمرذ، ثم باب العيد. ثم باب قصر الشوك، ثم باب الديلم، ثم باب تربة الزعفران، ثم باب الزهومة.

باب الذهب : وهو باب القصر الذي تدخل منه العساكر، وجميع أهل الدولة في يومي الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب.

قال ابن أبي طيء عن المعز لدين الله: أنه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب، وأمر بسبكها أرحية كأرحية الطواحين، وأمر بها حين دخل إلى مصر فألقيت على باب قصره، وهي التي كان الناس يسمونها: الحشرات، ولم تزل على باب القصر إلى أن كان **زمن الغلاء في** أيام الخليفة المستنصر بالله، فلما ضاق بالناس الأمر أذن لهم أن يبردوا منها بمبارد، فاتخذ الناس مبارد حادة وغرهم الطمع، حتى ذهبوا بأكثرها، فأمر بحمل الباقي إلى القصر فلم تر بعد ذلك.

وقال ابن ميسر: إن المعز لما قدم إلى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب، وقال غيره: كانت خمسمائة جمل على كل جمل: ثلاثة أرحية ذهبا، وإن عمل عضادتي الباب من تلك الأرحية واحدة فوق أخرى، فسمي: باب الذهب.

جلوس الخليفة في الموالد بالمنظر علو باب الذهب: قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة:

وفي الثاني عشر من المحرم، كان المولد الآمري، واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس، وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج، وحلوى وكعك، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج، وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى، وتفرق على المتصدرين، والقراء والفقراء للمتصدرين، ومن معهم في صحون، وللفقراء على أرغفة السميد، ثم حضر في الليل المذكورة القاضي والداعي، والشهود، وجميع المتصدرين وقراء الحضرة، وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب، وجلس الخليفة وسلموا عليه، ثم خرج متولي بيت المال بصندوق مختوم، ضمنه عينا مائة دينار، وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة، وساكنيها وغيرهم، وفرقت الصواني بعدما حمل منها للخاص، وزمام القصر ومتولي الدفتر خاصة وإلى دار الوزارة، والأجلاء الأخوة، والأولاد، وكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب، والقاضي والداعي، ومفتي الدولة ومتولي دار العلم، والمقرئين الخاص، وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر، وبقية الأشراف.." (١)

"ولما مات الأخشيد بدمشق، ضبط كافور الأمور ودارى الناس ووعدهم إلى أن سكنت الدهماء، بعد أن اضطرب الناس، وجهزة أستاذه وحمله إلى بيت المقدس، وسار إلى مصر فدخلها، وقد انعقد الأمر بعد الإخشيد لابنه أبي القاسم أونوجور، فلم يكن بأسرع من ورود الخبر مندمشق بأن سيف الدولة علي بن حمدان أخذها وسار إلى الرملة، فخرج كافور بالعساكر وضرب الدباديب، وهي الطبول، على باب مضربه في وقت كل صلاة، وسار فظفر وغنم ثم قدم إلى مصر وقد عظم أمره، فقام بخلافة أونوجور، فخاطبه القواد بالأستاذ، وصار القواد يجتمعون عنده في دار فيخلع عليهم ويحملهم ويعطيهم، حتى أنه وقع لجانك أحد القواد الإخشيدية في يوم بأربعة عشر ألف دينار، فما زال عبدا له حتى مات، وانبسطت يده في الدولة، فعزل وولى وأعطى وحرم، ودعي له على المنابر كلها إلا منبر مصر والرملة وطبرية، ثم دعي له بها في سنة أربعين وثلثمائة، وصار يجلس للمظالم في كل سبت، ويحضر مجلسه القضاة والوزراء والشهود ووجوه البلد، فوقع بينه وبين الأمير أونوجور، وتحرر كل منهما من الآخر، وقويت الوحشة بينهما، وافترق الجند، فصار مع كل واحد طائفة، واتفق موت أونوجور في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة، ويقال أنه سمه. فأقام أخاه أبو الحسن علي بن الإخشيد من بعده، واستبد بالأمر دونه، وأطلق له في كل سنة أربعمائة ألف دينار، واستقل بسائر أحوال مصر والشام، ففسد ما بينه وبين الأمير أبي الحسن علي، فضيق عليه كافور ومنع أن يدخل عليه أحد، فاعتل بعلة أخيه ومات، وقد طالت به في محرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٨/٢

فبقيت مصر بغير أمير أياما لا يدعى فيها سوى للخليفة المطيع فقط، وكافور يدبر أمر مصر والشام في الخراج والرجال، فلما كان لأربع بقين من المحرم المذكور، أخرج كافور كتابا من الخليفة المطيع بتقليده بعد علي بن الأخشيد، فلم يغير لقبه بالأستاذ، ودعي له على المنبر بعد الخليفة، وكان له في أيامه قصص عظام، وقدم عسكر من المعز لدين الله أبي تميم معد من المغرب إلى الواحات، فجهز إليه جيشا أخرجوا العسكر وقتلوا منهم، وصارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات في اليوم والليلة، وعدتها مائة طبلة من نحاس. وقمت عليه دعاة المعز لدين الله من بلاد المغرب يدعونه إلى طاعته، فلاطفهم، وكان أكثر الإخشيدية والكافورية وسائر الأولياء والكتاب قد أخذت عليهم البيعة للمعز، وقصر مد النيل في أيامه. فلم يبلغ تلك السنة سوى أثني عشر ذراعا وأصابع، **فاشتد الغلاء وفحش** الموت في الناس، حتى عجزوا عن تكفينهم ومواراتهم، وأرجف بمسير القرامطة إلى الشام،وبدت غلمانه تتنكر له، وكانوا ألفا وسبعين غلاما تركيا سوى الروم والمولدين، فمات لعشر بقين من جمادى الأول سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، عن ستين سنة، فوجد له من العين سبعمائة ألف دينار، ومن الورق والحلي والجوهر والعنبر والطيب والثياب والآلات والفرش والخيام والعبيد والجواري والدواب ما قوم بستمائة ألف ألف دينار، وكانت مدة تدبيره أمر مصر والشام والحرمين إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوما، منها منفردا بالولاية بعد أولاد أستاذه سنتان وأربعة أشهر وتسعة أيام، ومات عن غير وصية ولا صدقة ولا مأثرة يذكر بها، ودعي له على المنابر بالكنية التي كناه بها الخليفة، وهي ألو المسك، أربع عشرة جمعة، وبعده اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر، فصارت مصر دار خلافة، ووجد على قبره مكتوب:

ما بال قبرك يا كافور منفردا ... بصائح الموت بعد العسكر اللجب

يدوس قبرك من أدنى الرجال وقد ... كانت أسود الشرى تخشاك في الكثب

ووجد أيضا مكتوب:

انظر إلى غير الأيام ما صنعت ... أفنت أناسا بها كانوا ومات فنيت

دنياهم أضحكت أيام دولتهم ... حتى إذا فنيت ناحت لهم وبكت

خط الخرشتف." (١)

"ثم إن الأمراء كلموا الوزير في أمرهم، فأمر بإطلاقهم، ونودي في البلد أن لا يقيم فيها غريب، وطلبواالخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس، وأخذ منن تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشيء من أمر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٦١/٢

هذا، والحريق أمره في تزايد، وصاروا إلى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينام هو ولا أعوانه في الليل ألبتة لكثرة الضجات في الليل، ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية، فركب القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في جماعة، وخرج عامة أهل مصر، وتكاثروا على الشونة حتى طفئت، ووقع الحريق في عدة أماكن بمصر، واستمر كثر خط البندقانيين خرابا إلأن عمر الأمير يونس النوروزي، دوادار الملك الظاهر برقوق، الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة، وأنشأ بجوار درب الأندب الحوانيت والرباع والقياسرية، في سنة تسع وثمانين وسبعمائة.

ثم أنشأ الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، داره بجوار حمام ابن عبود، فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين، فصار فيها ما كان من خراب الحريق هناك، حيث الحوض الذي أنشأه تجاه دار بيبرس. ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع، تبلغ نحو العشرين حانوتا، وكانت من أنزه ما يرى فإنها، كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون، وبها مصانع من ماء تجري إلى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام، حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها إلى الغاية، لأنها من الجانبين، والناس يمرون بينهما، وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسي البندق، وعدة حوانيت لرسم إشكال ما يطرز بالذهب والحرير، وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة، وهو من اخطاط القاهرة الجسيمة.

خط دار الديباج

هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية، وكان أولا يعرف بخط دار الديباج، لأن دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريري والمدرسة السيفية، عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين، وصارت تعرف بدار الديباج، فنسب إليها الخط إلى ان سكن هناك الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، في أيام العادل أبي بكر بن أيوب، فصار يعرف بخط سويقة الصاحب، وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة.

خط المحليين

هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج، وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللم وقبل الحاء المهملة، وهو تحريف، وإنما هو خط الملوحيين، عرف بطائفة من طوائف العسكر في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية، وهم الذي قاموا بالفتنة في أيام المستنصر إلى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر، فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي

إلى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر،وتردد ﻟإصلاح إقليم مصر، وتتبع المفسدين وقتلهم وسار في سنة سبع وستين وأربعمائة إلى الوجه البحري وقتل لواته، وقتل مقدمهم سليمان اللواتي وولده، واستصفى أموالهم ثم توجه إلى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين، فلما أصلح جميع البرج الشرقي عدى إلى البر الغربي، وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الإسكندرية بعدما أقام أياما محاصر البلد وهم يمتنعون عليه وقاتلونه إلى أن أخذها عنوة، فقتل منهم عدة كثيرة، وكان بهذا الخط عدة من الطواحين، فسمي بخط طواحين الملحيين، وبه إلى الآن يسير من الطواحين.

خط المسطاح

هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب، وفيه اليوم سوق الرقيق الذي يعرف بسوق الحوار والمدرسة الحسامية وما دار به، ويعرف بالمسطاح، وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضا خط يعرف بالمسطاح.

خط قصر أمير سلاح." (١)

"سويقة طغلق: هذه السويقة على رأس الحارة الصالحية مما يلي الجامع الأزهر، عرفت بالأمير سيف الدين طغلق السلاح دار، صاحب حمام طغلق التي بالقرب من الجامع الأزهر على باب درب المنصوري، وصاحب دار طغلق التي عرفت اليوم بدار المنصوري في الدرب المكذور، وأول ما عمرت هذه السويقة لم يكن فيها غير أربع حوانيت، ثم عمرت عمارة كبيرة لما خربت سويقة الصالحية التي كانت مما يلي باب البرقية في حدود سنة ثمانين وسبعمائة، ثم تلاشت من سنة ست وثمانمائة كما تلاشى غيرها من الأسواق، وبقي فيها يسير جدا.

سويقة الصواني: هذه السويقة خارج باب النصر وباب الفتوح، بخط بستان ابن صيرم، عرفت بالأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن مسعود الصواني، مشد الدواوين في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وقيل بل قراجا الصواني، أحد مقدمي الحلقة في أيام الملك المنصور قلاوون، وكان في حدود سنة إحدى وثمانين وستمائة موجودا، وكانت داره هناك، وكان أيضا في أيام الملك المنصور قلاون، الأمير زين الدين أبو المعالي أحمد بن شرف الدين أبي المفاخر محمد الصواني شاد الدواوين، وكان يسكن بمدينة مصر، والأمير علم الدين سنجر الصواني أحد الأمراء المقدمين الألوف في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، والملك المظفر بيبرس، وهو صاحب البئر التي بالباطلية المعروفة ببئر الدرابزين، وعز الدين أيبك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٦٨/٢

الصواني.

سويقة البلشون: هذه السويقة خارج باب الفتوح، عرفت بسابق الدين سنقر البلشون، أحد مماليك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وسلاح درايته، وكانله أيضا بستان بالمقس خارج القاهرة من جوار الدكة يعرف ببستان البلشون.

سويقة اللفت: هذه السويقة كانت خارج باب النصر من ظاهر القاهرة، حيث البئر التي فس شمال مصلى الأموات، المعروف ببئر اللفت. تجاه دار ابن الحاجب، كانت تشتمل على عدة حوانيت يباع فيها اللفت والكرنب، ويحمل منها إلى سائر أسواق القاهرة، ويباع اليوم في بعض هذه الحوانيت الدريس لعلف الدواب.

سويقة زاوية الخدام: هذه السويقة خارج باب النصر بحريذ سويقة اللفت، كان فيها عدة حوانيت يباع فيها أنواع المآكل، فلما كانت سن ست وثمانمائة خربت، ولم يبق فيها سوى حوانيت لا طائل بها.

سويقة الرملة: هذه السويقة كانت فيما بين سويقة زاوية الخدام وجامع آل ملك حيث مصلى الأموات، التي هناك كان فيها عدة حوانيت مملوءة بأصناف المآكل، قد خرب سائرها ولم يبق لها أثر البتة.

سويقة جامع آل ملك: أدركتها إلى سنة ست وثمانمائة، وهي من الأسواق الكبار، فيها غالب ما يحتاج إليه من الأدام، وقد خربت لخراب ما يجاورها.

سويقة أبي ظهير: كانت تلي سويقة جامع آل ملك أدركتها عامرة.

سويقة السنابطة: كانت هناك، عرفت بقوم من أهل سنباط سكنوا بها، أدركتها أيضا عامرة.

سويقة العرب: هذه السويقة كانت تتصل بالريدانية، خربت **في الغلاء الكائن** في سنة ست وسبعين وسبعمائة، وأدركت حوانيت هذه السويقة، وهي خالية من السكان إلا يسيرا، وعقودها من اللبن، ويقال له وما وراء خراب الحسينية، وكانت في غاية العمارة، وكان بأولها مما يلي الحسينية فرن، أدركته عامر إلى ما بعد سنة تسعين وسبعمائة، بلغني أنه كان قبل ذلك في أعوام ستين وسبعمائة يخبز فيه كل يوم نحو سبعة آلاف رغيف، لكثرة من حوله من السكان، وتلك الأماكن اليوم لا ساكن فيها إلا اليوم، ولا يسمع بها إلا الصدى.

سويقى العزي: هذه السويقة خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل، كانت من جملة المقابر التي خارج القاهرة، فيما بين الباب الحديد والحارات وبركة الفيل، وبين الجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل، فلما اختطت هذه الجهة كما تقدم ذكره عند ذكر ظواهر القاهرة، عرفت هذه السويقة بالأمير عز الدين أيبك العزي نقيب

الجيوش، واستشهد على عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة، وهذه السويقة عامرة بعمارة ما حولها.." (١)

"قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الإسلام بدهر، وأن عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره في عام الرمادة، بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى صب ماء النيل في بحر القلزم، وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه إلى البحر الملح، وأنه ما برح على ذلك إلى سنة خمسين ومائة، فطم ولم يبق منه إلا ما هو موجود الآن، إلا أن فم هذا الخليج الذي يصب فيه الماء من بحر النيل، لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن، ولست أدري أين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية، فإن مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر، وجميع من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر إلى تجاه الكبش من غربيه، وجميع ما هو الآن موجود من الأرض التي فيما بين خط السبع سقايات إلى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيئا بعد شيء، وغرس بساتين، فعمل عبد العزيز بن مروان أمير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله، عند ساحل الحمراء، ليتوصل من فوق هذه القنطرة إلى جنان الزهري الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وموضع هذه القنطرة بداخل حرك أقبغا المجاور لخط السبع سقايات، وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء إلى ما بعد الخمسمائة من الهجرة، فانحسر ماء النيل عن الأرض، وغرست بساتين، فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد، خارج مصر، ليتوصل من فوقها إلى بستان الخشاب، وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة، وصار ما في شرقيه مما انحصر عنه الماء بستانا عرف ببستان الحارة، وما في غربيه يعرف ببستان المحليذ، وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الحمراء، وعدة كنائس أخر، بعضها الآن بحر أقبغا، تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي، لسكناه بها عندما هدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة، وما برحت هذه البساتين موجودة إلى أن استولى عليها الأمير أقبغا عبد الواحد استدار الملك الناصر محمد بن قلاون، وقلع أخشابها وأذن للناس في عمارتها، فحركها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها، فعرفت بحرك أقبغا.

وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشأة المهراني، وقد تقدم خبرها في هذا الكتاب عند ذكر مدينة مصر، ويجاور منشأة المهراني بستان الخشاب، وبعضه الآن يعرف بالمريس، وبعضه عمله الملك الناصر محمد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٦٥

بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه، ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس، كما ذكر الميادين من هذا الكتاب، ويجاور بستان الخشاب جنان الزهري، وهذه المواضع التي ذكرت كلها ما انحسر عنه النيل، ما خلا جنان الزهريذ، فإنها من قبل ذلك، وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الأحكار إن شاء الله تعالى.

الأحكار التي في غربي الخليج

قاب ابن سيده: الاحتكار، جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار **وقت الغلاء به**. والحكرة والحكر جميعا: ما احتكر وحكره حكرا ظلمه وتنقضه وأساء معاشرته. انتهى.

فالتحكير على هذا: المنع. فقول أهل مصر: حكر فلان أرض فلان، يعنون منع غيره من البناء عليها.

حكر الزهري

هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وشق الثعبان، وبطن البقرة، وسويقة القيمري، وسويقة صفية، وبركة الشقاف، وبركة السباعين، وقنطرة الخرق، وحدرة المرادنيين، وحرك الحلبي، وحكر البواشقي، وحكر كرجي وما بجانبه إلى قناطر السباع، وميدان المهاري إلى الميدان الكبير السلطاني بموردة الجبس. وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهري، ثم عرف ببستان الزهري.." (١)

"وابن ثعلب هذا هو الشريف الأمير الكبير فخر الدين إسماعيل بن ثعلب الجعفري الزينبي، أحد أمراء مصر في أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب وغيره، وصاحب المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة، على رأس حارة الجودرية من القاهرة، وانتقل من بعده لى ابنه الأمير حصن الدين ثعلب، فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بثلاثة آلاف دينار مصرية، في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وكان باب هذا البستان في الموضع الذي يقال له اليوم باب اللوق، وكان هذا البستان ينتهي إلى خليج الخور، وآخر من المشرق ينتهي إلى الدكة بجوار المقس، ثم انقسم بعد ذلك قطعا وحكرة أكثر أرضه، وبنى الناس عليها الدور وغيرها، وبقيت منه إلى الآن قطعة عرفت ببستان الأمير أرغون، النائب بديار مصر أيام الملك الناصر، ثم عرف بعد ذلك ببستان ابن غراب، وهو الآن على شاطىء الخليج الناصري، على يمنة من سلك من قنطرة قدادار بشاطىء الخليج من جانبه الشرقي، إلى بركة قرموط، وبقيت من بستان ابن ثعلب قطعة تعرف ببستان بنت الأمير بيبرس إلى الآن، وهو وقف، ومن جملة بستان ابن ثعلب أيضا الموضع الذي يعرف ببركة قرموط، والموضع

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٥/٢

المعروف بفم الخور.

وأما منشأة ابن ثعلب: فإنها بالقرب من باب اللوق، وحكرت في أيام الشريف فخر الدين بن ثعلب المذكور، فعرفت به وهي تعرف اليوم بمنشأة الجوانية، لأن جوانية الفم. كانوا يسكنون فيها، فعرفت بهم، وأدركتها في غاية العمارة بالناس والمساكن والحوانيت وغيرها، وقد اختلت بعد سنة ست وثمانمائة، وأكثرها الآن زرائب للبقر.

وأما باب اللوق: فإنه كان ناك إلى ما بعد سنة أربعين وسبعمائة بمدة، باب كبير عليه طوارق حربية مدهونة، على ما كانت العادة في أبواب القاهرة وأبواب القلعة وأبواب بيوت الأمراء، وكان يقال له باب اللوق، فلما أنشأ القاضي صلاح الدين بن المغربي قيساريته التي بباب اللوق، وجعلها البيع غزل الكتان، هدم هذا الباب وجعله في الركن من جدار القيسارية القبلي، مما يلي الغربي، وهذا هو باب الميدان الذي أنشأه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل لم اشترى بستان ابن ثعلب، وقد ذكر خبر هذا الميدان عند ذكر الميادين من هذا الكتاب.

وأما حكر قردمية: فإنه على يمنة من سلك ن باب اللوق المذكور إلى قنطرة قدادار، وكان من جملة بستان ابن ثعلبة، فحكر وصار أخيرا بيد ورثة الأمير قوصون، وكان حكرا عامرا إلى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فخرب عند وقوع الوباء الكبير بمصر، وحفرت أراضيه وأخذ طينها، فصارت بركة ماء عليها كيمان، خلف الدور التي على الشارع المسلوك فيه إلى قنطرة قدادار.

وأما حكر كريم الدين: فإنه على يسرة من سلك من باب اللوق إلى رحبة التبن، وإلى الدكة، وكان يعرف قبل كريم الدين بحكر الصهيوني، وهذا الحكر الآن آيل إلى الدثور.

وأما رحبة التبن: فإنها في بحري منشأة الجوانية، شاعرة في الطريق العظمى التي يسلك فيها إلى قنطرة الدكة من رحبة باب اللوق، عرفت بذلك لأنه كانت أحمال التبن تقف بها لتباع هناك، فإن القاهرة كانت توقر من مرور أحمال التبن والحطب ونحوهما بها. ثم اختطت من جملة ما اختط في غربي الخليج، وصار بها عدة مساكن سوق كبير، وقد أدركته غاصا بالعمارة، وإنما اختل هذا الخط من سنة ست وثمانمائة.

وأما بستان السعيدي: فإنه يشرف على الخليج الناصري في هذا الوقت، وأدركنا ما حوله عامرا، وقد خربت الدور التي كانت هناك من جهة الطريق الشارع من باب اللوق إلى الدكة، وبها بقية آيلة إلى الدثور.

وأما بركة قرموط: فإنها من حقوق بستان ابن ثعلب، ولما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج

الناصري، رمى فيها ما خرج عند حفره من الطين، وأدركناها من أعمر بقعة في أرض مصر، وهي الآن خراب، كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب.." (١)

"وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رحمه الله في تعليق المتجددات لسنة سبع وسبعين وخمسمائة، وفيه يعني يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم، ركب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أعز الله نصره لمشاهدة ساحل النيل، وكان قد انحسر وتشمر عن المقس وما يليه، وبعد عن السور والقلعة المستجدين بالمقس، وأحضر أرباب الخبرة واستشارهم، فأشير عليه بإقامة الجراريف لرفع الرمال التي قد عارضت جزائرها طريق الماء وسدته ووقفت فيه، وكان الأفضل بن أمير الجيوش لما تربى قدام دار الملك جزيرة رمل كما هي اليوم، أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة، فأشير عليه بأن يبني مما يلي الجزيرة أنفا خارجا في البحر ليلقى التيار وينقل الرمل، فعسر هذا وعظمت غرامته، فأشار عليه ابن سيد بأن يأخذ قصاري فخار تثقب ويعمل تحتها رؤوس برابخ وتلطخ بالزفت وتكب القصاري عليها وتدفن في الرمل، فإذا أراد النيل وركبها، نزل من خروق القصاري إلى الرؤوس، فأدارها الماء ومنعتها القاصري أن تنحدر، ودامت حركة الرمل بتحريك الماء للرؤوس، فانتقل الرمل، وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل قال: وفي هذا الوقت احترق النيل وصار البحر مخايض يقطعها الراجل وتوحل فيه المراكب، وتشمر الماء على ساحل المقس ومصر، وربى جزائر رملية أشفق منها على المقياس لئلا يتقلص النيل عنه، ويحتاج إلى عمل غيره، وخشي منها أيضا على ساحل المقس لكون بنيان السور كان اتصل بالماء، وقد تباعد الآن عن السور، وصار المدقوتة من بر الغرب، ووقع النظر في إقامة جراريف لقطع الجزائر التي رباها البحر، وعمر أنوف خارجة في بر الجيزة ليميل بها الماء إلى هذا الجانب، ولم يتم شيء من ذلك.

وقال ابن المتوج في سنة خمسين وستمائة: انتهى النيل في احتراق إلى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبعا، وانتهى في زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا، وكان مثل ذلك في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاون، وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس، يعني الباب الذي يعرف اليوم بباب البحر عند المقس، وفي سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر إلى الملك الأشرف خليل بن قلاون، وكان نيلا عظيما سد فيه باب المقس، يعني الباب الذي يعرف اليوم بباب البحر عند المقس، وفي سنة اثنتين وستين وستمائة أحضر إلى الملك الظاهر بيبرس طفل وجد ميتا بساحل المقس، له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة أيد، وأخبرني وكيل أبي الشيخ المعمر حسام الدين حسن بن عمر السهرودي رحمه الله، ومولده سنة اثنتين وسبعمائة بالمقس، أنه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٨١/٢

يعرف باب البحر هذا، إذا خرج منه الإنسان فأنه يرى بر الجيزة، لا يحول بينه وبينها حال، فإذا زاد ماء النيل صار الماء عند الوكالة التي هي الآن خارج باب البحر المعروفة بوكالة الجبن، وإذا كان أيام احتراق النيل بقيت الرمال تجاه باب البحر، وذلك قبل أن يحفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري، فلما حفر الخليج المذكور، أنشأ الناس البساتين والدور كما يجيء إن شاء الله تعالى ذكره، وأدركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق، ويسكنها أمم من الأكراد والأجناد والكتاب وغيرهم، وقد تلاشت من بعد سنة سبع وسبعين وسبعمائة، عند **حدوث الغلاء بمصر** في ايام الملك الأشرف شعبان بن حسين، فلما كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة خربت الأحكار والمقس وغيره، وفيه إلى الآن بقية صالحة، وبه خمسة جوامع تقام بها الجمعة، وعدة أسواق، ومعظمه خراب.

ميدان القمح

هذا المكان خارج باب القنطرة، يتصل من شرقية بعدوة الخليج، ومن غربيه بالمقس، وبعضهم يسميه ميدان الغلة، وكان موضعا للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة، وكانت صبر القمح وغيره من الغلال توضع من جانب المقس إلى باب القنطرة عرضا، وتقف المراكب من جامع المقس إلى منية الشيرج طولا، ويصير عند باب القنطرة في أيام النيل من مراكب الغلة وغيرها ما يستر الساحل كله.." (١)

"فأعجب المستنصر ذلك منها وقال لها تمني، فسألت ان تقطع الأرض المجاورة للمقس، فأقطعها هذه الأرض. وقيل لها من حينئذ أرض الطبالة، وأنشأت هذه الطبالة تربة بالقرافة الكبرى تعرف بتربة نسب، مغنية المستنصر. قال: أرض الطبالة منسوبة إلى امرأة مغنية تعرف بنسب، وقيل بطرب، مغنية المستنصر. قال: فوهبها هذه الأرض المعروفة بأرض الطبالة، وحكرت وبنيت آدارا وبيوتا، وكانت من ملح القاهرة وبهجتها، انتهى. ثم أن أرض الطباة خربت في سنة ست وتسعين وستمائة عند **حدوث الغلاء والوباء** في سلطنة الملك العادل كتبغا، حتى لم يبق فيها إنسان يلوح، وبقيت خرابا إلى ما بعد سنة إحدى عشرة وسبعمائة، فشرع الناس في سكناها قليلا قليلا، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، كانت هذه الأرض بيد الأمير بكتمر الحاجب، فما زال بالمهندسين حتى مروا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوابين التي تعرف اليوم ببركة الحاجب، وببركة الرطلي، فمروا به من هناك حتى صب في الخليج الكبير من آخر أرض الطبالة، فعمر الأمير بكتمر المذكور هناك القنطرة التي تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصري، وأقام جسرا من القنطرة المذكورة إلى قريب من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٨٨

الجرفن فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب والخليج الناصري، وأذن للناس في تحكيره فبنوا عليه وعلى البركة الدور، وعمرت بسبب ذلك أرض الطبالة، وصار بها عدة حارات منها: حارة العرب، وحارة الأراد، وحارة البزازرة، وحارة العياطين، وغير ذلك. وبقي فيها عدة اسواق وحمام وجوامع تقام بها الجمعة، وأقبل الناس على التنزه بها ايام النيل والربيع، وكثرت الرغبات فيها لقربها من القاهرة، وما برحت على غاية من العمارة إلى أن **حدث الغلاء في** سنة سبع وسبعين وسبعمائة ايام الأشرف شعبان بن حسينن فخرب كثير من حارات ارض الطبالة، وبقيت منها إلى أن دثرت منذ سنة ست وثمانمائة، وصارت كيمانا، وبقي فيها من العامر الآن الاملاك المطلة على البركة التي ذكرت عند ذكر البرك من هذا الكتاب، وفيها بقعة تعرف بالجنينة تصغير جنة من أخبث بقاع الأرض، يعمل فيها بمعاصي الله عز وجل، وتعرف ببيع الحشيشة التي يبتلعها اراذل الناس، وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة في وقتنا هذا فشوا زائدا، وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولعا كثيرا، وتظاهروا بها من غير احتشام بعدما أدركنا تعد من أرذل الخبائث وأقبح القاذورات، وما شيء في الحقيقة افسد لطباع البشر منها، ولاشتهارها في وقتنا هذا، عند الخاص والعام بمصر والشام والعراق والروم، تعين ذكرها، والله تعالى أعلم.

حشيشة الفقراء

قال الحسن بن محمد في كتاب السوانح الأدبية في مدائح القنبية: سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري ببلدة تستر في سنة ثمان وخمسين وستمائة، عن السبب في الوقوف على هذا العقار ووصوله إلى ال‍فقراء خاصة، وتعديه إلى العوام عامة، فذكر لي أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا رحمه الله، كان كثير الرياضة والمجاهدة، قليل الاستعمال للغذاء، قد فاق في الرهادة وبرز في العبادة، وكان مولده بنشاور من بلاد خراسان، ومقامه بجبل بين نشاور ومارماه وكان قد اتخذ بهذا الجبل زاوية وفي صحبته جماعة من الفقراء، وانقطع في موضع منها ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منها، ولا يدخل عليه أحد غيري للقيام بخدمته. قال: ثم أن الشيخ طلع ذات يوم وقد اشتد الحر وقت القائلة منفردا بنفسه إلى الصحراء، ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور، بخلاف ما كنا نعهده من حاله قبل، وأذن لأصحابه في الدخول عليه، وأخذ يحادثهم، فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد إقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة، سألناه عن ذلك فقال: بينما أنا في خلوتي إذ خطر ببالي الخروج إلى الصحراء منفردا، فخرجت فوجدت كل شيء من ا‌لنبات ساكنا لا يتحرك لعدم الريح وشدة القيظ، ومررت بنبات له ورق، فرأيته في تلك الحال

يميس بلطف ويتحرك من غير عنف، كالثمل النشوان، فجعلت أقطف منه أوراقا وآكلها، فحدث عندي الارتياح ما شاهدتموه، وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكله.." (١)

"أما خارج القاهرة من جهة باب النصر، فإنه عندما وضع القائد جوهر القاهرة، كان فضاء ليس فيه سوى مصلى العيد الذي بناه جوهر، وهذا المصلى اليوم يصلى على من مات فيه، وما برح ما بين هذا المصلى وبستان ريدان الذي يعرف اليوم بالريدانية لا عمارة فيه، إلى أن مات أمير الجيوش بد الجمالي في سنة سبع وثمانين وأربعمائة، فدفن خارج باب النصر بحري المصلى، وبني على قبره تربة جليلة، وهي باقية إلى اليوم ناك، فتتابع بناء الترب من حينئذ خارج باب النصر، فيما بين التربة الجيوشية والريدانية، وقبر النصر موتاهم هناك لاسيما أهل الحارات التي عرفت خارج باب الفتوح بالحسينية، وهي الريدانية، وحارة البزادرة وغيرها، ولم تزل هذه الجهة مقبرة إلى ما بعد السبعمائة بمدة، فرغب الأمير سيف الدين الحاج آل ملك في البناء هناك، وأنشأ الجامع المعروف به في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وعمر دارا وحماما، فاقتدى الناس به وعمروا هناك، وكان قد بنى تجاه المصلى قبل ذلك الأمير سيف الدين كهرداس المنصوري دارا تعرف اليوم بدار الحاجب، فسكن في هذه الجهة أمراء الدولة وعملوا فيما بين الريدانية والخندق مناخات الجمال، وهي باقية هناك، فصارت هذه الجهة في غاية العمارة، وفيها من باب النصر إلى الريدانية سبعة أسواق جليلة، يشتمل كل سوق منها على عدة حوانيت كثيرة، فمنها: سوق اللفت، وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن، عند البئر، كان فيه من جانبيه حوانيت يباع فيها اللفت، ومن هذا السوق يشتري أهل القاهرة هذا الصنف والكرنب، وتعرف هذه البئر إلى اليوم ببئر اللفت، ويليها سويقة زاوية الخدام، وأدركت بهذه السويقة بقية صالحة، ويلي ذلك سوق جامع آل ملك، وكان سوقا عامرا فيه غالب ما يحتاج إليه من المآكل والآدوية والفواكه والخضر وغيرها، وأدركته عامرا. ويليه سويقة السنابطة، عرفت بقوم من أهل ناحية سنباط سكنوا بها. وكانت سوقا كبيرا، وأدركته عامرا. ويليها سويقة أبي ظهير، وأدركتها عامرة، ويليها سويقة العرب، وكانت تتصل بالريدانية، وتشتمل على حوانيت كثيرة جدا أدركتها عامرة، وليس فيها سكان، وكانت كلها من لبن معقدو عقودا، وكان بأول سويقة العرب هذه فرن أدركته عامرا آهلا، بلغني أنه كان يخبز فيه أيام عمارة هذا السوق وما حوله كل يوم نحو السبعة آلاف رغيف، وكان من وراء هذا السوق أحواش فيها قباب معقودة من لبن، أدركتها قائمة وليس فيها سكان، وكان من جملة هذه الأحواش حوش فيه أربعمائة قبة يسكن فيها البزادرة والمكارية، أجرة كل قبة درهمان في كل شهر فيتحصل من هذا الحوش في كل شهر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٩٠

مبلغ ثمانمائة درهم فضة، وكان يعرف بحوض الأحمدي. فلما **كان الغلاء في** زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة سبع وسبعين وسبعمائة، خرب كثير مما كان بالقرب من الريدانية، واختلت أحوال هذه الجهة إلى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة، فتلاشت وهدمت دورها وبيعت أنقاضها، وفيها بقية آيلة إلى الدثور.

الريدانية

كانت بستانا لريدان الصقلبي، أحد خدم العزيز بالله نزار بن المعز، كان يحمل المظلة على رأس الخليفة، واختص بالحاكم، ثم قتله في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وريدان إن كان إسما عربيا، فإنه من قولهم ريح ريدة، واردة، وريدانة، أي لينة الهبوب، وقيل ريح ريدة كثيرة الهبوب.

الخلجان التي بظاهر القاهرة

اعلن أن الخليج جمعه خلجان، وهونهر صغير يختلج من نهر كبير و من بحر، وأصل الخلج الانتزاع. خلجت الشيء من الشيء إذا انتزعته، وبأرض مصر عدة خلجان، منها بظاهر القاهرة خليج مصر، وخليج فم الخور، وخليج الذكر، والخليج الناصري، وخليج قنطرة الفخر، وسترى من أخبارها ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

خليج مصر." (١)

"الميدان الظاهري: هذا الميدان كان بطرف أراضي اللوق يشرف على النيل الأعظم، وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من جهة باب اللوق، أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي، لما انحسر ماء النيل وبعد عن ميدان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر، إلى أن كانت سنة أربع عشرة وسبعمائة، فنزل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون إليه وخرب مناظره، وعمله بستانا من أجل بعد البحر عنه، وأرسل إلى دمشق فحمل إليها منها سائر أصناف الشجر، وأحضر معها خولة الشام والمطعمين، فغرسوها فيه وطعموها، ومازال بستانا عظيما، ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الأشجار في بساتين جزيرة الفيل، وجعل السلطان فواكه هذا البستان مع فواكه البستان الذي أنشأه بسرياقوس تحمل بأسرها إلى الشراب خاناه السلطانية بقلعة الجبل، ولا يباع مناه شيء البتة، وتصرف كلفهما من الأموال الديوانية، فجادت فواكه هذين البستانين وكثرت حتى حاكت بحسنها فواكه الشام لشدة العناية والخدمة بهما، ثم إن السلطان لما اختص بالأمير قوصون أنعم بهذا البستان عليه،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٨/٢

فعمر تجاهه بالزريبة التي عرفت بزريبة قوصون على النيل، وبنى الناس الدور الكثيرة هناك سميا لما حفر الخليج الناصري، فإن العمارة عظمت فيما بين هذا البستان والبحر وفيما بينه وبين القاهرة ومصر، ثم إن هذا البستان خرب لتلاشي أحواله بعد قوصون، وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التي على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد الزريبة، ثم لما خرب خط الزريبة خرب ما عمر بأرض هذا البستان من الدور، منذ سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم.

ميدان بركة الفيل

هذا الميدان كان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش، وكان أولا اصطبل الجوق برسم خيول المماليك السلطانية، إلى أن جلس امير زين الدين كتبغا على تخت الملك وتلقب بـالملك العادل، بعد خلعه الملك الناصر محمد بن قلاون في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، فلما دخلت سنة خمس وتسعين كان الناس في أشد ما يكون من غلا الأسعار وكثرة الموتان، والسلطان خائف على نفسه ومتحرز من وقوع فتنة، وهو مع ذلك ينزل من قلعة الجبل إلى الميدان الظاهري بظرف اللوق، فحسن بخاطره أن يعمل إصطبل الجوق المذكور ميدانا عوضا عن ميدان اللوق، وذكر ذلك للأمراء فأعجبهم ذلك، فأمر بإخراج الخيل منه وشرع في عمله ميدانا، وبادر الناس من حينئذ إلى بناء الدور بجانبه، وكان أول من أنشأ هناك الأمير علم الدين سنجر الخازن في الموضع الذي عرف اليوم بحكر الخازن، وتلاه الناس في العمارة والأمراء، وصار السلطان ينزل إلى هذا الميدان من القلعة فلا يجد في طريقه أحدا من الناس سوى أصحاب الدكاكين من الباعة لقلة الناس وشغلهم بما هم فيه **من الغلاء والوباء**، ولقد رآه شخص من الناس وقد نزل إلى الميدان والطرقات خالية فأنشد ما قيل في الطبيب ابن زهر:

قل للغلا أنت وابن زهر ... بلغتما الحد والنهاية

ترفقا بالورى قليلا ... في واحد منكما كفايه

وما برح هذا الميدان باقيا إلى أن عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قصر الأمير بكتمر الساقي على بركة الفيل، فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان، وجعله إصطبل الأمير بكتمر الساقي، في سنة سبع عشرة وسبعمائة، وهو باق إلى وقتنا هذا.

ميدان المهاري: هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع في بر الخليج الغربي، كان من جملة جنان الزهري،

أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة عشرين وسبعمائة، ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضي الفاضل رحمة الله عليه.." (١)

"السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل: في يوم الأحد سابع ذي القعدة المذكور، وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الأول سنة تسعين وستمائة، ونصب عليها اثنين وتسعين منجنيقا وقاتل من بعها من الفرنج أربعة وأربعين يوما حتى فتحها عنوة، في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولء، وهدمها كلها بما فيها، وحرقها وأخذ صور وحيفا وعتليت وانطرسوس وصيدا، وهدمها وأدلى الفرنج من الساحل فلم يبق منهم أحد ولله الحمد، وتوجه إلى دمشق وعاد إلى مصر فدخل قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع شعبان، ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وستمائة بعدما نادى بالنفير للجهاد، فدخل دمشق وعرض العساكر ومضى منها فمر على حلب ونازل قلعة الروم، ونصب عليها عشرين منجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة، وقتل من بها من النصارى الأرمن وسبى نساءهم وأولادهم، وسماها قلعة المسلمين، فعرفت بذلك، وعاد إلى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة، وسار في رابع المحرم سنة اثنتين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر،ونادى فيها بالتجهز لغزة اليمن، وعاد ثم سار مخفا على الهجن في البرية إلى الكرك، ومضى إلى دمشق فقدمها في تاسع جمادى الآخرة، وقصد غزو بهنسا وأخذها من الأرمن فقدموا إليه وسلموها من تلقاء أنفسهم وسلموا أيضا مرعش وتل حمدون، ومضى من دمشق في ثاني رجب، وعبر من حمص إلى سلمية وهجم على الأمير مهنا بن عيسى وقبضه وإخوته وملهم في الحديد إلى قلعة الجبل، وعاد إلى دمشق ثم رجع إلى مصر فقدم قلعة الجبل في ثامن عشري رجب، ثم توجه للصيد فبلغ الطرانة، وانفرد في نفر يسير ليصطاد، فاقتحم عليه الأمير بيدار في عدة معه وقتلوه في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فكانت مدته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام، ثم حمل ودفن بمدرسة الأشرفية واقيم من بعده أخوه.

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون: وعمره سبع سنين، وقام الأمير زين الدين كتبغا بتدبيره، ثم خلعه بعد سنة نقص ثلاثة أيام، وقام من بعده.

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري: أحد مماليك الملك المنصور قلاون، وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم، سنة أربع وتسعين وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام لما فيها من قصور مد النيل وغلاء الأسعار **وكثرة الوباء في** الناس، وقدوم الأويراتية. فقام عليه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/ ٣٩٠

نائبه الأمير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء، في يوم الاثنين ثامن عشري المحرم سنة ست وتسعين، ففر إلى دمشق واستولى لاجين على الأمراء، فكانت مدته سنتين وسبعة عشر يوما، وقد لاجين بالعسكر إلى مصر وقام في السلطنة.

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري: أحد مماليك المنصور قلاون، وجلس على التخت بقلعة الجبل وتلقب بالملك المنصور في يوم الاثنين ثامن عشري المحرم المذكور، واستناب مملوكه منكوتمر فنفرت القلوب عنه حتى قتل في ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة، فكانت مدته سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما، ودبر الأمراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك.

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون: وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية في يوم الإثنين سادس جمادى الأولى، وقام بتدبير الأمور الأميران سلار نائب السلطنة، وبيبرس الجاشنكير أستادار، حتى صار كأنه يريد الحج، فمضى إلى الكرك وانخلع من السلطنة، فكانت مدته تسع سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوما، فقام من بعده.

السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير: أحد مماليك المنصور قلاون، في يوم السبت ثالث عشري ذي الحجة، سنة ثمان وسبعمائة، حى فر من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان، سنة تسع وسبعمائة، فكانت مدته عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما. ثم قدم من الشام في العساكر.

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون: وأعيد إلى السلطنة مرة ثالثة في يوم الخميس ثاني شوال منها، فاستبد بالأمر حتى مات في ليلة الخميس حادي عشري ذي الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكانت مدته الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما، ودفن بالقبة المنصورية على أبيه، وأقيم بعده ابنه.." (١)

"السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج: في يوم الجمعة المذكور، وعمره نحو العشر سنين، فدبر أمر الدولة الأمير الكبير ايتمش، ثم ثار به الأمير يشبك وغيره، ففر إلى الشام وقتل بها، ولم تزل أيام الناصر كلها كثيرة الفتن والشرور والغلاء والوباء، وطرق بلاد الشام فيها الأمير تيمورلنك فخربها كلها وحرقها، وعمها بالقتل والنهب والأسر حتى فقد منها جميع أنواع الحيوانات، وتمز أهلها في جميع أقطار الأرض، ثم دهمها بعد رحيله عنها جراد لم يترك بها خضراء، فاشتد **بها الغلاء على** من تراجع إليها من أهلها، وشنع موتهم، واستمرت بها من ذلك الفتن، وقصر مد النيل بمصر حتى شرقت الأراضي إلا قليلا،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٤٤٤

وعظم الغلاء والفناء، فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع، وصاروا أرقاء مملوكين، وشمل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام من حيث يصب النيل من الجنادل إلى حيث مجرى الفرات وابتلى مع ذلك بكثرة فتن الأميرين نوروز الحافظي وشيخ المحمودي، وخروجهما ببلاد الشام عن طاعته، فتردد لمحاربتهما مرارا حتى هزماه ثم قتلاه بدمشق، في ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، فكانت مدته منذ مات أبوه إلى أن فر يوم الأحد خامس عشري ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، واختفى، وأقيم أخوه عبد العزيز، ولقب الملك المنصور ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما، واقام الناصر في الاختفاء سبعين يوما ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة، واستولى على قلعة الجبل واستبد بملكه أقبع استبداد، إلى أن توجه لحرب نوروز وشيخ وقاتلهما على اللجون، في يوم الإثنين ثالث عشر المحرم، سنة خمس عشرة، فانهزم إلى دمشق وهما في إثره، وقد صار الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشر والدولة، فنزلا على دمشق وحصراه، ثم ألزما الخليفة بخلعة من السلطنة فلم يجد بدا من ذلك وخلعه في يوم السبت خامس عشرية، ونودي بذلك في الناس، فكانت مدته الثانية ست سنين وعشرة أشهر سواء.

واقيم من بعده الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبو الفضل العباس بن محمد العباسي: وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر، أن أمير المؤمنين المستعصم بالله عبد الله آخر خلفاء بني العباس، لما قتله هولاكو بن تولي بن جنكزخان في صفر سنة ست وخمسين وستمائة ببغداد وخلت الدنيا من خليفة، وصار الناس بغير إمام قرشي إلى سنة تسع وخمسين، فقد الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الخليفة الناصر العباسي من بغداد إلى مصر، في يوم الخميس تاسع رجب منه، فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس إلى لقائه وصعد به قلعة الجبل، وقام بما يجب من حقه وبايعه بالخلافة وبايعه الناس، وتلقب بالمستنصر، ثم توجه لقتال التتر ببغداد فقتل في محاربتهم، لأيام خلت من المحرم سنة ستين وستمائة، فكانت خلافته قريبا من سنة.." (١)

"قال القضاعي: ولم يكن الناس يصلون بالجامع بمصر صلاة العيد حتى كانت سنة ست ويقال سنة ثمان وثلاثمائة. فصلى فيه رجل يعرف بعلي بن أحمد بن عبد الملك الفهمي، يعرف بابن أبي شيخة صلاة الفطر، ويقال أنه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مشركون فقال بعض الشعراء:

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٤٨/٢

وقام في العيد لنا خاطب ... فحرض الناس على الكفر

وتوفي سنة تسع و ثلاثمائة.

وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه: منها زاوية الإمام الشافعي رضي الله عنه يقال أنه درس بها الشافعي فعرفت به، وعليها أرض بناحية سندبيس وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع فيما بين المحراب الكبير ومحراب الخمس، داخل المقصورة الوسطى بجوار المحراب الكبير، رتبها مجد الدين أبو الأشباك الحارث بن مهذب الدين أبي المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن علي بن غياث المهلبي الأزدي البهنسي الشافعي، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بحران، وقرر في تدريسها قريبة قاضي القضاة وجيه الدين عبدا الوهاب البهنسي، وعمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة ويعد تدريسها من المناصب الجليلة، وتوفي المجد في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بدمشق، عن ثلاث وستين سنة.

ومنها الزاوية الصاحبية، حول عرفة رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي والأخر شافعي، وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذغيين. ومنها الزاوية الكمالية بالمقصورة المحارب لباب الجامع الذي يدخل إليه من سوق الغزل، رتبها كمال الدين المنودي وعليها فندق بمصر موقوف عليها. ومنا الزاوية التاجية أمام المحراب الخشب رتبها تاج الدين السطحي، وجعل عيها دورا بمصر موقوفة عليها ومنها الزاوية المعينية في الجانب الشرقي من الجامع رتبها معين الدين الدهر وطي وعليها وقف بمصر. ومنها الزاوية العلائية، تنسب لعلاء الدين الضرير، وهي في صحن الجامع، وهي لقراءة ميعاد. ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين بقراءة ميعاد أيضا، ذكر ذلك ابن المتوج. وأخبرني المقرىء الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي رحمه الله قال: أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال: أخبرني شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي، أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم، لاتكاد تبرح منه. قال ابن المأمون: حدثني القاضي المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود بمصر أن من جملة الخدم التي كانت بيد والده مشارقة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود عنده، إلى أن يعملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة ترسم وقوده أحد عشر قنطار أو نصف زيتا طيبا.

المحاريب التي بديار مصر

وسبب اختلافها وتعيين الصواب فيها وتبيين الخطأ منها.

اعلم أن محاريب ديار مصر التي يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب. أحدها محراب الصحابة رضى الله عنهم، الذي أسسوه في البلاد التي استوطنوها، والبلاد التي كثر ممرهم بها من إقليم مصر وهو محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو، ومحراب المسجد الجامع بالجيزة وبمدينة بلبيس وبالإسكندرية وقوص، وأسوان، وهذه المحارب المذكورة على سمت واحد غير أن محاريب ثغر أسوان أشد تشريقا من غيرها وذلك أن أسوان مع مكة شرفها الله تعالى في الإقليم الثاني وهو الحد الغربي من مكة بغير ميل إلى الشمال ومحراب بلبيس مغرب قليلا.." (١)

"قال ابن وهب: وأخبرني شريك بن عبد الرحمن المرادي قال:بلغنا أن شريك بن سمي الغطفاني أتى إلى عمرو بن العاص فقال إنكم لاتعطونا ما يحاسبنا، أفتأذن لي بالزرع؟ فقال له عمرو:ما أقدر على ذلك. فزرع شريك من غير إذن عمرو، فلما بلغ ذلك عمرا كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطفاني حرث بأرض مصر فكتب إليه عمر أن ابعث إلى به فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو، أقرأه شريكا فقال شريك لعمرو: وقتلتني يا عمرو. فقال ما أنا بالذي قتلتك، أنت صنعت هذا بنفسك. فقال له: إذا كان هذا من رأيك فإذن لي بالخروج من غير كتاب، ولك علي عهد الله أن أجعل يدي في يده، فأذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال: تؤمنني يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن أي الأجناد أنت؟ قال من جند مصر، قال: فلعلك شريك بن سمي الغطفاني؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين. قال: لأجعلنك نكالا لمن خلفك. قال: مني ما قبل الله تعالى من العباد؟ قال وتفعل؟ قال: فكتب إلى عمرو بن العاص أن شريك بن سمي جاءني تائبا فقبلت منه. قال: وحدثنا عبد الله بن صالح بن عبد الرحمن شريح عن أبي قبيل، قال كان الناس يجتمعون بالفسطاط إذا قفلوا فإذا حضر مرافق الريف خطب عمرو بن العاص الناس فقال: قد حضر مرافق الريف ربيعكم فانصرفوا، فإذا حمض اللبن واشتد العود وكثر الذباب فحي على فسطاطكم، ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل جواده.

وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم: أنه قد حضر الربيع، فمن أحبر منكم أن يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا أعلمن ما جاء أحد قد أسمن نفسه وأهزل فرسه فإذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا إلى قيروانكم.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٥/٢

وعن ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري عن بجير بن ذاخر المعافري قال: رحت أنا ووالدي إلى صلاة الجمعة تهجيرا، وذلك بعد حميم النصارى بأيام يسيرة، فأطلنا الركوع إذا أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس فذعرت فقلت يا أبت من هؤلاء؟ فقال: يا بني هؤلاء الشرط فأقام المؤذنون الصلاة، فقام عمرو بن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعه قصير القامة وافر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأن به العقبان تألق، عليه حلة وعمامة وجبة، فحمد الله وأثنى عليه حمدا موجزا، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم فسمعته يحض على الزكاة وصلة الأرحام، ويأمر بالاقتصاد وينهي عن الفضول وكثرة العيال، وإخفاض الحال في ذلك فقال: يا معشر الناس إياكم وخلالا أربعا، فإنها تدعو إلى النص بعد الراحة وإلى الذلة بعد العزة، إياكم وكثرة العيال، وإخفاض الحال وتضيع المال والقيل بعد القال في غير درك ولا نوال.ثم أنه لابد من فاغ يؤول إليه المرء في توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصب ال أقل، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيجوز من الخير عاطلا، وعن حلال الله وحرامه غافلا.

يا معشر الناس: إنه قد تدلت الجوزاء وذلت الشعري وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر فحي لكم على بركة الله تعالى إلى ريفكم، فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده واربعوا خيلكم وأسمنوها وصنونوها وأكرموها، فإنها جنتكم من عدوكم،وبها مغانمكم وأنفالكم، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا، وإياكم والمومسات المعسولات، فإنهن يفسدون ويقصرن الهمم.." (١)

"كان العسكر في صدر الإسلام يعرف بعد الفتح بالحمراء القصوى، وهي كما تقدم خطة بني الأزرق وخطة بني روبيل وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم، ثم دثرت هذه الحمراء وصارت صحراء فلما زال زالت دولة بني أمية ودخلت المسودة إلى مصر في طلب مروان بن محمد الجعدي، في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وهي خراب فضاء يعرف بعضه بجبل يشكر، نزل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون عبد الله بن يزيد بعسكرهما في هذا الفضاء، وامرر عبد الملك أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا. وسمي من يومئذ بالعسكر وصار أمراء مصر إذا قدموا ينزلون فيه من بعد أبي عون. وقال الناس من عهده كنا بالعسكر، خرجنا إلى العسكر وكنت في العسكر فصارت مدينة الفسطاط والعسكر ونزل الأمراء من عهد أبي عون بالعسكر فلما ولي يزيد بن حاتم إمارة مصر وقام علي بن محمد عبد الله بن حسن وطرق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٤٧١

المسجد، كتب أبو جعفر المنصور إلى يزيد بن حاتم يامره ان يتحول من العسكر إلى الفسطاط وأن يجعل اليوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة، إلى أن قدم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرا على مصر فنزل بالعسكر بدار إمارة التي بناها صالح بن علي بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب إلى الجامع الذي بالعسكر، وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع، وجعلها أبو الجيش خماروية بن أحمد بن طولون عند إمارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر وزوال دولة بني طولون وسكن محمد بن سليمان أيضا بدار في العسكر عند المصلى القديم ونزلها الأمراء من بعده إلى أن ولي الإخشيد محمد بن طفج فنزل بالعسكر أيضا ولما بني أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبني الجامع على جبل يشكر فعمر ما هناك عمارة عظيمة بحيث كانت هناك دار على بركة قارون أنفق عليها كافور الإخشيدي مائة ألف دينار وسكنها وكان هناك مارستان أحمد بن طولون أنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار.

وقدمت عساكر المعز لدين الله وغلامه جوهر القائد في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والعسكر عامر غير أنه منذ بني أحمد بن طولون القطائع هجر اسم العسكر، وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع فلما خرب محمد بين سليمان الكاتب قصر ابن طولون وميدانه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب صارت القطائع فيها المساكن الجليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله أبا علي في دار الإمارة فلم يزل أهله بها إلى أن خربت القطائع في الغلاء الكائن بمصر في خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة.

فيقال أنه كان هنالك ما ينيف على مائة ألف دار ولا ينكر ذلك فانظر ما بين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين ساحل مصر القديم الذي يعرف اليوم بالكبارة ومابين كوم الجارح من مصر وقناطر السباع فهنالك كانت القطائع والعسكر ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة إلى كوم الجارح حيث الفضاء الذي يتوسط فيما بين قنطرة السد وباب المخدم من جهة القرافة فهناك كان العسكر ولما استولى الخراب في المحنة زمن المستنصر أمر الوزير الناصر للدين عبد الرحمن البازوري ببناء حائط يستر الخراب إذا توجه الخليفة إلى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر فبنى حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في الخلافة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطايحي فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان دار الخراب أو مكان يعمره، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق فعمر الناس ما كان منه مما

يلي القاهرة من حيث مشهد السيدة نفيسة إلى ظاهر باب زويلة ونقلت أنقاض العسكر فصار الفضاء الذي يوصل إليه من مشهد السيدة نفيسة، ومن الجامع الطولوني، ومن قنطرة السد ويسلك فيه إلى حيث كوم الجارح. والعامر الآن من العسكر جبل إن شاء الله تعالى.

جامع ابن طولون

ذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات.." (١)

"وفي رمضان سنة اثنتين وتسعين قلد تموصلت بن بكار دمشق عوضا عن ابن فلاح وابتدأ في عمارة جامع راشدة في سنة ثلاث وتسعين، وقتل فهد بن إبراهيم وله منذ نظر في الرياسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوما، في ثامن جمادى الآخرة منها، وأقيم في مكانه على بن عمر العداس وسار الأمير ما روح لإمارة طبرية ووقع الشروع في إتمام الجامع خارج باب الفتوح وقطع الحاكم الركوب في الليل ومات تموصلت فولي دمشق بعده مفلح اللحياني الخادم وقتل علي بن عمر العداس والأستاذ زيدان الصقلي وعدة كثيرة من الناس، وقلد إمارة برقة صندل الأسود في المحرم سنة أربع وتسعين وصرف الحسين بن النعمان عن القضاء في رمضان منها، وكانت مدة نظره في القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وإليه كانت الدعوة أيضا فسقال له قاضي القضاة وداعي الدعاة وقلد عبد العزيز بن محمد بن النعمان وظيفة القضاء والدعوة، مع ما بيده من النظر في المظالم.

وفي سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بشد الزنار ولبس الغيار، ومنع الناس من أكل الملوخية والجرجير والتوكلية والدلينس، وذبح الأبقار السليمة من العاهة إلا في أيام الأضحية ومنع من بيع الفقاع وعمله البتة وأن لايدخل أحد الحمام إلا بمئزر وأن لا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة و لاتتبرج ولا يباع شيء من السمك بغير قشر ولا يصطاد أحد من الصبيا دين وتتبع اناس في ذلك كله وشدد فيه وضرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرة أهل البحيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجوامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت واحجر والمقابر سب السلف ولعنهم، وأكره الناس على نقش ذلك وكتابته بالأصباغ في سائر الموضع، وأقبل الناس من سائر النواحي فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الأسبوع وكثر الإزدحام ومات فيه جماعة ومنع الناس من الخروج بعد المغرب في الطرقات وأن لا يظهر أحد بها لبيع ولا شرراء فخلت الطرق من المارة وكسرت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٨/٢

أواني الخمور وأريقت من سائر الأماكن واشتد خوف النقاس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الإضراب فاجتمع كثير من الكتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا يسألون العفو فكتب عدة أمانات لجميع الطوائف من أهل الدوة وغيرهم من الباعة والرعية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لاينحصر حتى فقدت وفتحت دار اللحكمة بالقاهرة وحمل إليها الكتب ودخل إليها الناس فاشتد الطلب على الركابية المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثير عفي عنهم وكتب لهم أمان ومنع الناس كافة من الدخول من باب القاهرة، ومنع من المشي ملاصق القصر وقتل قاضي القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عددا كثير من الناس ضربت أعناقهمز وفي سنة سصت وتسعين خرج أبو ركوة يدعو إلى نفسه وادعى أنه من بني أمية فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه، واستجاب ىه لواته ومزاته وزنادة، وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرة وغنم ما معهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الأول وواقعة فانهزم منه فضل واشتد الإضراب بمصر وتزايدت الأسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوة ونزلت العساكر بالجيزة لمحاربة أبي ركوة واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة في ثالث ذي الحجة إلى الفيوم، وتبعه القائد فضل بعد أن بعث إلى القاهررة بستة آلاف رأس ومائة أسير إلى أن قبض عليه ببلاد النبوة وأحضر إلى القاهرة فقتل بها وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله إلى الأعمال.

وفي سنة سبع وتسعين أمر بمحسوب السلف فحمي سائر ما كتب من ذلك وغلت الأسعار لنقص ماء النيل فإنه بلغ ستة عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا نقص ومات ينجو تكين في ذي الحجة **واشتد الغلاء في** سنة ثمان وتسعين وولي علي بن فلاح دمشق وقبض جميع ما محبس على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب إلى سائر الأعمال بذلك.." [١]

"وفي سادس عشر رجب قرر مالك بن سعيد الفارقي في وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الأولياء وصرف عبد العزيز بن النعمان عن ذلك وصرف قائد القواد الحسين بن جوهر عما كان يليه من النظر في سابع شعبان وقرر مكانه صالح بن علي الروذبادي وقرر في ديوان الشام مكانه أبو عبد الله الموصلي الكاتب وأمر حسين بن جوهر وعبد العزيز بلزوم دورهما ومنعا من الركوب وسائر أولادهما ثم عفا عنهما بعد أيام وأمر بالركوب وتوقفت زيادة النيل فاستسقى الناس مرتين وأمر بإبطا عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائة وقلته وفتح الخليج في رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦/٣

وفي تاسع المحرم وهو نصف توت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر فمنع الناس من التظاهر بالغناء ومن ركوب البحر للتفرج ومنع من بيع المسكرات ومنع الناس كافة من الخروج قب الفجر وبعد العشاء إلى الطرقات واشتد الأمر على اكافة لشدة ما داخلهم من الخوف مع **شدة الغلاء وتزايد** الأمراض في الناس والموت.

فلما كان في رجب انحلت الأسعار وقريء سجل فيه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولايعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون وصلاة الخميس للذي جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون، ولايمنع من التربيع عليها المربعون يؤذن بحي على خير العمل المؤذنون ولا يؤذي من بها لايؤذنون لايسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والحالف منهم بما حلف لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده ولقب صالح بن عي الرروذبادي بثقة ثقات السيف والقلم وأعيد القاضي عبد العزيز بن النعمان إلى النظر في المظالم وتزايدت الأمراض وكثر الموت وعزت الأدوية وأعيدت المكوس التي رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة كانت بحارة الروم من القاهرة ونهب ما فيها وقتل كثير من الخدم ومن الكتاب ومن الصقالية بعدما قطعت أيدي بعضهم من الكتاب بالشطور على الخشبة من وسط الذراع وقتل القائد فضل بن صالح في ذي القعدة وفي حادى عشر صفر صرف صالح بن علي الروذبادي، وقرر مكانه ابن عبدون النصراني الكاتب فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة قماسة وجدد ديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الأمراض وعزت الأدوية وشهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية ودلينس وضربوا وعدم دائر القصر واشتد بالأمر على النصارى واليهود في إلزامهم لبس الغيار وكتب إبطال أخذ الخمس والنجاوي والفطرة وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبد العزيز بن النعمان وفر أبو القاسم الحسين بن المغربي وكتب عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قرراءة مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدم والفراشين وقتل صالح بن علي الروذبادي في شوال.." (١)

"هذا الجامع خارج القاهرة على جانب الخليج الشرقي ظاهر باب الفتوح مما يلي قناطر الإوز تجاه أرض البعل، كان مسجدا قديم البناء فجدده الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي في محرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وجدد حوض السبيل الذي فيه، ثم إن الأمير مظفر الدين قيدان الرومي عمل به منبرا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧/٣

لإقامة الخطبة يوم الجمعة، وكان عامرا بعمارة ما حوله، فلما **حدث الغلاء في** سنة ست وسبعين وسبعمائة، أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين خرب كثير من تلك النواحي، وبيعت أنقاضها، وكانت الغرقة أيضا، فصار ما بين القنطرة الجديدة المجاورة لسوق جامع الظاهر، وبين قناطر الأوز المقابلة لأرض البعل يبابا لا عامر له ولا ساكن فيه، وخرب أيضا ما وراء ذلك من شرقيه إلى جامع نائب الكرك، وتعطل هذا الجامع ولم يبق منه غير جدر آيلة إلى العدم، ثم جدده مقدم بعض المماليك السلطانية في حدود الثلاثين والثمانمائة. ثم وسع فيه الشيخ احمد بن محمد الأنصاري العماد الشهير بالأزراري، ومات في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة.

جامع الست حدق

هذا الجامع بخط المريس في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب، بالقرب من قنطرةالسد التي خارج مدينة مصر، أنشأته الست حدق داعة الملك الناصر محمد بن قلاون، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وإلى حدق هذه ينسب حكر الست حدق الذي ذكر عند ذكر الأحكار من هذا الكتاب.

جامع ابن غازي

هذا الجامع خارج باب البحر من القاهرة بطريق بولاق، أنشأه نجم الدين بن غازي دلال المماليك، وأقيمت فيه الخطبة في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وإلى اليوم تقام فيه الجمعة، وبقية الأيام لا يزال مغلق الأبواب لقلة السكان حوله.

جامع التركماني

هذا الجامع في المقس، وهو من الجوامع المليحة البناء، أنشأه الأمير بدر الدين محمدالتركماني، وكان ما حوله عامرا عمارة زائدة، ثم تلاشى من الوقت الذي كان **فيه الغلاء زمن** الملك الأشرف شعبان بن حسين، وما برح حاله يختل إلى أن كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة، فخرب معظم ما هنالك، وفيه إلى اليوم بقايا عامر لا سيما بجوار هذا الجامع.

التركماني محمد، وينعت بالأمير بدر الدين محمد بن الأمير فخر الدين عيسى التركماني، كان أولا شادا، ثم ترقى في الخدم حتى ولي الجيزة، وتقدم في الدولة الناصرية، فولاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون شاد الدواوين، والدولة حينئذ ليس فيها وزير، فاستقل بتدبير الدولة مدة أعوام، وكان يلي نظر الدولة تلك الأيام كريم الدين الصغير، فغص به وما زال يدبر عليه حتى أخرجه السلطان من ديار مصر، وعمله

شاد الدواوين بطرابلس، فأقام هناك مدة سنتين ثم عاد إلى القاهرة بشفاعة الأمير تنكز نائب الشام، وولي كشف الوجه البحري مدة، ثم أعطي أمرة طبلخاناه، وأعطي أخوه علي أمرة عشرة، وولده إبراهيم أيضا أمرة عشرة، وكان مهابا صاحب حرمة باسطة وكلمة نافذة، ومات عن سعادة طائلة بالمقس في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو أمير.

جامع شيخو." (١)

"رخام هذا الجامع، فأتمه من بعده الطواشي بشير الجمدار، وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدا، فلم يترك منها إلا شيء يسير وأقطع أكثر البلاد التي وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الأمراء وغيرهم، وصار هذا الجامع ضدا لقلعة الجبل، قلما تكون فتنة بين أهل الدولة إلا ويصعد عدة من الأمراء وغيرهم إلى أعلاه ويصير الرمي منه على القلعة، فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت المرج التي كان يصعد منها . إلى المنارتين والبيوت التي كان يسكنها الفقهاء، ويتوصل من هذه الدرج إلى السطح الذي كان يرمى منه على القلعة، وهدمت البسطة العظيمة والدرج التي كانت بجانبي هذه البسطة التي كانت قدام باب الجامع، حتى لا يمكن الصعود إلى الجامع، وسد من وراء الباب النحاس الذي لم يعمل فيما عهد باب مثله، وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه إلى داخل الجامع عوضا عن الباب المسدود، فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة، وامتنع صعود المؤذنين إلى المنارتين، وبقي الأذان على درج هذا الباب، وكان ابتداء هدم ما ذكر في يوم الأحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في عمارة الجامع بجوار باب زويلة اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذي كان معلقا هناك بخمسمائة دينار، ونقلا في يوم الخميس سابع عشري شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة، فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب، فلما كان في يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة، أعيد الأذان في المئذنتين كما كان، وأعيد بناء المرج والبسطة، وركب باب بدل الباب الذي أخذه المؤيد، واستمر الأمر على ذلك.

الملك الناصر أبو المعالي الحسن بن محمد بن قلاون: جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة في يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجي، وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفي ركابه الأمراء إلى أن نزل بالإيوان السلطاني، ومدبر والحولة يومئذ الأمير يلبغاروس، والأمير ألجيبغا المظفري، والأمير شيخو، والأمير طاز، وأحمد شاد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٤/٣

الشرابخاناه، وأرغون الإسماعيلي فخلع على يلبغاروس واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر، عوضا عن الحاج أرقطاي، وقرر أرقطاي في نيابة السلطنة بحلب، وخلع على الأمير سيف الدين منجك اليوسفي واستقر في الوزارة والاستادارية، وقرر الأمير أرغون شاه في نيابة السلطنة بدمشق. فلما دخلت سنة تسع وأربعين، كثر انكشاف الأراضي من ماء النيل بالبر الشرقي فيما يلي بولاق إلى مصر، فاهتم الأمراء بسد البحر مما يلي الجيزة، وفوض ذلك للأمير منجك، فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك، فلم يفد، فقبض على منجك في ربيع الأول، **وحدث الوباء العظيم** في هذه السنة، و أ خرج أحمد شاد الشرابخاناه لنيابة صفد، وألجيبغا لنيابة طرابلس، فاستمر أجليبغا بها إلى شهر ربيع الأول سنة خمسين، فركب إلى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم، فأنكر عليه وأمسك وقتل بدمشق. وفي سنة إحدى وخمسين سار من دمشق عسكر عدته أربعة الاف فارس، ومن حلب ألفا فارس إلى مدينة سنجار، ومعهم عدة كثيرة من التركمان، فحصروها حتى طلب أهلها الأمان، ثم عادوا. وترشد السلطان واستبد بأمره وقبض على منحك ويلبغاروس، وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن، وقيد وحمل إلى القاهرة، فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك.." (١)

"هذه المدرسة بحرب ملوخيا من القاهرة، بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، بجوار داره، في سنة ثمانين وخمسمائة، ووقفها على طائفتي الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للإقراء، أقرأ فيها الإمام أبومحمد الشاطبي ناظم الشاطبية،ثم تلميذه أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، ثم الشيخ علي بن موسى الدهان وغيرهم، ورتب لتدريس فقه المذهبين الفقيه أبا القاسم عبد الرحمن بن سلامة الإسكندراني، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، يقال أنها كانت مائة ألف مجلد، وذهبت كلها. وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها، لما **وقع الغلاء بمصر** في سنة أربع وتسعين وستمائة، والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصوري، مسهم الضر، فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية، فتفرقت، وبها إلى الان مصحف قرآن كبير القدرجدا، مكتوب بالخط الأول الذي يعرف بالكوفي، تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان، ويقال أن القافي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار، على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو في خزانة مفردة له بجانب المحراب من غربيه، وعليه مهابة وجلالة، وإلى جانب المدرسة كتاب برسم الأيتام، وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٩/٣

وقد تلاشت لخراب ما حولها.عبدالرحيم: بن علي بن الحسن بن أحمدبن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف اللخمي العسقلاني البيساني المصري الشافعي، كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان، فلهذا نسبوا إليها، وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الحافظ لدين الله، وعنه أخذ صناعة الإنشاء، ثم خدم بالإسكندرية مدة، فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك، خرج أمره إلى والي الإسكندرية بتسييره إلى الباب، فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش، فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة، وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الإنشاء، عينه الكامل بن شاور وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير، فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الإنشاء، فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج إلى كاتب فأحضره، وأعجبه اتقائه وسمته ونصحه، فاستكتبه إلى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه، فاستعان به على ما أراد من إزالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده، فجعله وزيره ومشيره، بحيث كان لا يصدر أمرا إلا عن مشورته، ولا ينفذ شيئا إلا عن رأيه، ولا يحكم في فضية إلا بتدبيره، فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة، وتقلد الأمر،فلمامات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الأفضل، كان معهما على حاله إلى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر، وخرج الأفضل لقتاله، فمات منكوبا أحوج ما كان إلى الموت عند تولى الإقبال وإقبال الإدبار في سحر يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الاخر سنة ست وتسعين وخمسمائة، ودفن بتربته من القرافة الصغرى.قال ابن خلكان وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتمكن منه غاية التمكن، وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره، إ ن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق، إذا جمعت ما تقصر عن مائة، وهو مجيد في أكثرها. وقال عبد اللطيف البغدادي: دخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب، وهو يكتب ويملى على اثنين، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام، وكأنه يكتب بجملة أعضائه، وكان لغرام في الكتابة وتحصيل الكتب، وكان له الدين والعفاف والتقى والمواظبة على أوراد الليل، والصيام وقراءة القرآن، وكان

قليل اللذات كثير الحسنات دائم التهجد، ويشتغل بعلوم الأدب وتفسير القرآن، غير أنه كان خفيف البضاعة من النحو، ولكن قوة الدراية توجب له قلة اللحن، وكان لا يكاد يضيع من زمانه شيئا إلا في طاعة." (١)

"الخانقاه البندقدارية

هذا الخانقاه بالقرب من الصليبة، كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود، وهي الآن تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقاني. أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي، وجعلها مسجدا لله تعالى، وخانقاه، ورتب فيها صوفية وقراء في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وفي سنة ثمان وأربعين وستمائة استنابه الملك المعز أيبك، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل، وإلى أيدكين هذا ينسب الملك الظاهر بيبرس البندقداري، لأنه كان أولا مملوكه، ثم انتقل منه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فعرف بين المماليك البحرية بيبرس البندقداري، وعاش أيدكين إلى أن صار بيبرس سلطان مصر وولاه نيابة السلطنة بحلب، في سنة تسع وخمسين وستمائة، **وكان الغلاء بها** شديدا، فلم تطل أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الأشقر والقبض عليه، في حادي عشرصفر سنة تسع وخمسين وستمائة، فأقام في النيابة نحو شهر، وصرفه الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري. فلما خرج السطان إلى الشام في سنة إحدى وستين وستمائة، وأقام بالطور، أعطاه أمرة بمصر وطبلخاناه في ربيع الآخر منها، ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة، ودفن بقبة هذه الخانقاه.

خانقاه شيخو

هذه الخانقاه في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري في سنة ست وخمسين وسبعمائة، كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون، وآخر ما عرف من خبره أنه كان مساكن للناس، فاشتراها الأمير شيخو من أربابها وهدمها في المحرم من هذه السنة، فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان، فاختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة، ورتب بها دروسا عدة، منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، ودرسا للحديث النبوي، ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع، وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة، وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف، وأقام شيخنا أكمل الدين محمد بن محمود في مشيخة الخانقاه، ومدرس الحنفية، وجعل إليه النظر في أوقاف الخانقاه، وقرر في تدريس الشافعية الشيخ بهاء الدين أحمد بن علي السبكي، وفي تدريس المالكية الشيخ خليلا، وهو متجند الشكل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١١٣/٣

وله إقطاع في الحلقة. وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي، ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام واللحم والخبز، وفي الشهر الحلوى والزيت والصابون، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، فعظم قدرها واشتهر في الأقطار ذكرها، وتخرج بها كثير من أهل العلم، وأربت في العمارة على كل وقف بديارمصر إلى أن مات الشيخ أكمل الدين في شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة، فوليها من بعده جماعة، ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذي فاض عن مصروفها، فأخذه الملك الناصر فرج، وأخذت أحوالها تتناقص حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لأرباب الوظائف بها عدة أشهر، وهي إلى اليوم على ذلك.

الخانقاه الجاولية

هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، فيما بين القاهرة ومصر، أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وقد تقدم ذكرها في المدارس.

خانقاه الجيبغا المظفري." (١)

"هذه الخانقاه بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، أنشأها الأمير طغاي تمر النجمي، فجاءت من المباني الجليلة، ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدي، وبنى بجانبها حماما وكرس في قبليها بستانا، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب، ووقف على ذلك عدة أوقاف، ثم إن الحمام والحوض تعطلا مدة. فلما ماتت أرزباي زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ثمان وثمانمائة، دفنها خارج باب النصر وأحب أن يبنى على قبرها ويوقف عليها أوقافا، ثم بدا له فنقلها إلى هذه الخانقاه ودفنها بالقبة التي فيها، وأدار الساقية وملأ الحوض ورتب لقراء هذه الخانقاه معلوما، وعزم على تجديد ما تشعث من بنائها وإدارة حمامها، ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاه تربة ونقل زوجته مرة ثالثة إليها، وجعل أملاكه وقفا على تربته.

طغاي تمر النجمي: كان دوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاون، فلما مات الصالح استقر على حاله في أيام أخويه الملك الكامل شعبان، والملك المظفر حاجي، وكان من أحسن الأشكال وأبدع الوجوه، تقدم في الدول وصارت له وجاهة عظيمة، وخدمه الناس ولم يزل على حاله إلى أن لعب به أغرلوا فيمن لعب وأخرجه إلى الشام وألحقه بمن أخذه من غزة، وذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وطغاي هذا أول دوادار أخذ أمرة مائة وتقدمة ألف، وذلك في أول دولة المظفر حاجي، ولما

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/١٨٥

كانت واقعة الأمير ملكتمر الحجازي والأمير آق سنقر وعدة من الأمراء في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، رمى طغاي تمر سيفه وبقي بغير سيف بعض يوم، ثم إن المظفر أعطاه سيفه واستمر في الدوادارية نحو شهر، وأخرج هو والأمير نجم الدين محمود الوزير، والأمير سيف الدين بيدمر البدري على الهجن إلى الشام، فأدركهم الأمير سيف الدين منجك وقتلهم في الطريق.

خانقاه أم أنوك

هذه الخانقاه خارج باب البرقية بالصحراء، التي أنشأتها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقي، فجاءت من أجل المباني، وجعلت بها صوفية وقراء، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة، وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها.

طغاي الخوندة الكبرى: زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، وأم ابنه الأمير أنوك، كانت من جملة إمائه، فأعتقها وتزوجها، ويقال أنها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر، وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها، وصارت خونده بعد ابنه توكاي وأكبر نسائه، حتى من ابنة الأمير تنكز. وحج بها القاضي كريم الدين واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال، وأخذ لها الأبقار الحلابة، فسارت معها طول الطريق لأجل اللبن الطري، وعمل الجبن، وكان يقلي لها الجبن في الغداء والعشاء، وناهيك بمن وصل إلى مداومة البقل والجبن في كل يوم، وهما أخس ما يؤكل، فما عساه يكون بعد ذلك. وكان القاضي كريم الدين، والأمير مجلس، وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ويمشون بين يدي محفتها ويقبلون الأرض لها كما يفعلون بالسلطان، ثم حج بها الأمير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وكان الأمير تنكز إذا جهز من دمشق تقدمة إلى السلطان لا بد أن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر، فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة، أيام الوباء، عن ألف جارية، وثمانين خادما خصيا، وأموال كثيرة جدا، وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف، جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء، ووقفت على ذلك وقفا، وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء، ودفنت بهذه الخانقاه، وهي من أعمر الأماكن إلى يومنا هذا.

خانقاه يونس." (١)

(١) المواعظ والاعتبار، ١٩١/٣

"إلياس: هو فينحاس بن العازر بن هارون عليه السلام، ويقال الياسين بن ياسين عيزار بن هارون، ويقال هو إلياهو، وهي عبرانية معناها قادر أزلي، وعرب فقيل إلياس، ويذكر أهل العلم من بني إسرائيل أنه ولد بمصر، وخرج به أبوه العازر من مصر مع موسى عليه السلام وعمره نحو الثلاث سنين، وأنه هو الخضر الذي وعده الله بالحياة، وأنه لما خرج بلعام بن باعورا ليدعو على موسى، صرف الله لسانه حتى يدعو على نفسه وقومه، وكان من زنا بني إسرائيل بنساء الأمورانيين وأهل مواب ما كان، فغضب الله تعالى عليهم وأوقع فيهم الوباء، فمات منهم أربعة وعشرون ألفا إلى أن هجم فينحاس هذا على خباء فيه رجل على امرأة يزني بها، فنظمهما جميعا برمحه وخرج وهو رافعهما وشهرهما غضبا لله، فرحمهم الله سبحانه ورفع عنهم الوباء، وكانت له أيضا آثار مع نبي الله يوشع بن نون، ولما مات يوشع قام من بعده فينحاس هذا هو وكالأب بن يوفنا، فصار فينحاس إماما وكالأب يحكم بينهم، وكانت الأحداث في بني إسرائيل، فساح إلياس ولبس المسوح ولزم القفار، وقد وعده الله عز وجل في التوراة بدوام السلامة، فأول ذلك بعضهم بأنه لا يموت، فامتد عمره إلى أن ملك يهوشا فاط بن أسا بن افيا بن رحبم بن سليمان بن داود عليهما السلام على سبط يهودا في بيت المقدس، وملك أحؤب بن عمري على الأسباط من بني إسرائيل بمدينة شمرون، المعروفة اليوم بنابلس، وساءت سيرة أحؤب حتى زادت في القبح على جميع من مضى قبله من ملوك بني إسرائيل، وكان أشدهم كفرا وأكثرهم ركونا للمنكر، بحيث أربى مي الشر على أبيه وعلى سائر من تقدمه، وكانت له امرأة يقال لها سيصيال ابنة أشاعل ملك صيدا، أكفر منه بالله، وأشد عتوا واستكبارا، فعبدا وثن بعل الذي قال الله فيه جل ذكره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين، وأقاما له مذبحا بمدينة شمرون، فأرسل الله عز وجل إلى أحؤب عبده إلياس رسولا لينهاه عن عبادة وثن بعل، ويأمره بعبادة الله تعالى وحده، وذلك قول الله عز وجل من قائل: " وأن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه " " الصافات ١٢٣ - ١٢٦ " ، ولما أيس من أيمانهم بالله وتركهم عبادة الوثن، أقسم في مخاطبته أحؤب أن لا يكون مطر ولا ندا، ثم تركه. فأمره الله سبحانه أن يذهب ناحية الأردن، فمكث هناك مختفيا، وقد منع الله قطر السماء حتى هلكت البهائم وغيرها، فلم يزل إلياس مقيما في استتاره إلى أن جف ما كان عنده من الماء، وفي طول إقامته كان الله جل جلاله يبعث إليه بغربان تحمل له الخبز واللحم.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٤٤/٣

"دخول النصارى في طاعة المسلمين

من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية، واتخاذهم ذمة لهم، وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء.

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى، وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم، أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم، ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية، وكانت عدتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومي. والقسم الآخر عامة أهل مصر، ويقال لهم القبط، وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الإسرائيلي الأصل من غيره، وكلهم يعاقبة، فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة، ومنهم الأساقفة والقسوس ونحوهم، ومنهم أهل الفلاحة والزرع، ومنهم أهل الخدمة والمهنة، وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكحتهم، ويوجب قتل بعضهم بعضا، ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا. فإنهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها، فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه إلى مصر، قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم، فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره، لطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الأراضي وغيرها، وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم، حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر، وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة، فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة، منها في ملك فارس لمصر عشر سنين، وباقيها بعد قدوم هرقل إلى مصر، فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها، وانفردوا بها دون الملكية، ويذكر علماء الأخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولاده م ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن، وأنه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم جلس وقال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي، وقالوا هاهنا صلى عمر، وكتب كتابا يتضمن أنه لا يصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلا واحد واحد، ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤذنون عليها، وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا، وكان فوقها تراب كثير، فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه، فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء، وعمر المسجد الأقصى أمام الصخرة، فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الأقصى، وذلك سنة

خمس وستين من الهجرة، ثم إن عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح، وكتب سجلا بأيدي النصارى أن لا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلا رجل بعد رجل، ولا يجتمعوا فيه للصلاة، ولا يؤذنوا عليه، ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية في إمارة عمرو الثانية، قدم اليعاقبة بعده أغانو فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين، وهو الذي بنى كنيسة مرقص بالإسكندرية، فلم تزل إلى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان في **أيامه الغلاء مدة** ثلاث سنين، وكان يهتم بالضعفاء، فأقيم بعده إيساك وكان يعقوبيا، فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات، فقدم اليعاقبة بعده سيمون السرياني، فأقام سبع سين ونصفا ومات، وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم، فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان، وأقام غيره وخلا بعد موته كرسي الإسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك، ثم قدم اليعاقبة في سنة إحدى وثمانين الإسكندروس، فقام أربعا وعشرين سنة ونصفا، وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة، ومرت به شدائد صودر فيها مرتين، أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار، وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان، فأمر بإحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار، وهي أول جزية أخذت من الرهبان.." (١)

" استشارة عمر في **مسألة الوباء لما** خرج إلى الشام وأخبروه إذ كان في (سرغ) **أن الوباء وقع** في الشام ، فاستشار المهاجرين الأولين ثم الأنصار فاختلفا . ثم طلب من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فاتفقوا على الرجوع وعدم الدخول **على الوباء** ، فنادى عمر بالناس : إني مصبح على ظهر : (أي مسافر ، والظهر الراحلة) فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف فأخبره بالحديث المرفوع الموافق لرأي شيوخ قريش . التولية بالاستخلاف والعهد : اتفق الفقهاء على صحة استخلاف الإمام الحق والعهد منه بالخلافة إلى من يصح العهد إليه على الشروط المعتبره فيه أي في الإمام الحق ، فالعهد أو الاستخلاف لا يصح إلا من إمام مستجمع لجميع شروط الإمامة لمن هو مثله في ذلك . هذا شرط العهد إلى الفرد ، واستدلوا على ذلك باستخلاف أبي بكر لعمر ، وأما العهد إلى الجميع وجعله شورى في عدد محصور من أهل الحل والعقد ، فاشترطوا فيه أن تكون الإمامة متعينة لأحدهم ، بحيث لا مجال لمنازعة أحد لمن يتفقون عليه منهم ،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٣/٣

وهو الموافق لجعل عمر إياها شورى في السنة (رضي الله عنه) قال الماوردي : وانعقد الإجماع عليها أصلا في انعقاد الإمامة بالعهد وفي انعقاد البيعة بعدد يتعين فيه الإمامة لأحدهم باختيار أهل الحل والعقد وقد تمسك بهذا أئمة الجور وخلفاء التغلب والمطامع ولم يراعوا فيه ما راعاه من احتجوا بعمله من استشارة أهل الحل والعقد والعلم برضاهم أولا وإقناع من كان

". (١)

" العصر أن منصب الخلافة وغيره من أحكام الإسلام هو سبب ضعف المسلمين وأنه لا تقوم لهم بها قائمة ، ولا يكونون مع التزامها أمة عزيزة غنية والأمر بالضد . . والعلاج الشافي من هذا الداء ، والدواء المستأصل **لهذا الوباء** ، هو إحياء منصب الإمامة ، بإعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة ، لإقامة الحكومة الإسلامية الصحيحة ، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين بل أمر سائر البشر ، بجمعها بين العدل والمساواة وحفظ المصالح ومنع المفاسد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكفالة القاصرين والعاجزين ، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين ، ففيها علاج لجميع المفاسد الاجتماعية ، في حكومات المدنية المادية ، التي ألجأت الجماعات الكثيرة إلى البلشفية والفوضوية . . فإذا أقيم بناء حكومة منظمة على هذه الأسس والقواعد لا تلبث بعد ظهور أمرها ، أن تكون قدوة للأمم الحرة التي أمرها بيدها ، ولا يستطيع أكابر مجرميها أن يمكروا بعد ذلك فيها ، ليصدوها عنها ويغووها ، وحينئذ ينجز الله وعده لنا ، كما أنجزه لمن قبلنا ، في قوله تعالى : ! (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) ! الآية . . فالواجب على حزب الإصلاح الذي نقترحه أن يوجه كل قصده وهمه أولا إلى بيان شكل حكومة الخلافة الإسلامية الأعلى بالنظام اللائق بهذا العصر الذي امتاز بالنظام على سائر العصور ، ثم يحاول إقناع أصحاب النفوذ في البلاد الإسلامية المرجوة لتنفيذه بما فيه من المصالح والمنافع والسعادة ، وبتفضيله على جميع أنواع الحكومات في العالم ، وبإمكان تنفيذه ، ودفع كل ما للمتفرنجين واليائسين من الشبهات على ذلك ، وكل ذلك سهل كما جربنا بأنفسنا . . علاقة الخلافة بالعرب والترك : ثم ليعلم هذا الحزب أن الفوز في هذا يتوقف على التأليف والتوحيد بين العرب والترك ، وإنفاقهما عليه ولو بالجملة ومراعاة ما قوى في هذا العصر من العصبية الجنسية مع اتقاء ضررها بقدر الاستطاعة ، وكذا عصبية المذهب عند طائفة الزيدية ، لا لأن جمع الكلمة

---

(١) الخلافة، ص/٤١

ووحدة الأمة من أهم ما يجب من أعمال الخليفة فقط بل لأن النجاح المطلوب في هذا الأمر يتوقف على تعاون الشعبين عليه . . ذلك أن إحياء

". (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٠ """""""

جلاله ، على منعة الأسوار وبعد مهاوي الأغوار ، وكثرة العهد والعدد . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور ، السعيد على المسلمين ، في العيد والسرور ، برد الدين . ولله الحمد على آلايه ، وتوالي نعمه وإرغام أعدايه .

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد و سبعين وسبعمائة ، أعمل الحركة إلى أحواز إشبيلية دار الملك ، ومحل الشوكة الحادة ، وبها نايب سلطان النصارى ، في الجمع الخشن من أنجاد فرسانهم ، وقد عظم التضييق ببلدة قرمونة ، المنفردة بالانتزاء على ملك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة ، ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات ، فكان الانتقال قدما إلى مدينة مرشانة وقد أحدقوا بها . وبها العدة والعديد من الفرسان الصناديد ففتحها الله سبحانه ، إلا القصبة ، واستولى المسلمون فيها ، وفي جارتها . من الدواب والآلات على ما لا يأخذه الحصر . وقتل الكثير من مقاتلتها . وعم جميعها العدم والإحراق ، ورفعت ظهور دواب المسلمين التوسعة ، انحطاط الأسعار ، **وأودب الغلاء في** أرض الكفار ، وقفل والحمد لله في عز وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النشيبة الميمون الطلوع والجيية

المقترن بالعافية ، منقولا من تهليل نشأته المباركة . وحرز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قلت ، ووافقه من التاريخ الأعجمي رابع ينير من عام لف وثلاثمائة وسبعة وسبعين لتاريخ الأعجمي رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين لتاريخ الصفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيمودا وبطليموس ، أن يكون الطالع ببرج القمر ، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة

---

(١) الخلافة، ص/٧٧

السادسة من ليلة الاثنين المذكورة . والطالع من برج السنبلة ، خمس عشرة درجة وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .." (١)

يسح فيه الغمام بقطرة ، ولا لمعت السماء بنزعة ، حتى أضرت الأنفس الشح ، وحسر العسر عن ساقه ، وتوقفت البذور ، فساعده الجد بنزول الرحمة عند نزوله من مرقاة المنبر ، مجابة دعوة استسقايه ، ظاهرة بركة خشوعه ، ولذلك ما أنشدته في تلك الحال :

ظمئت إلى السقيا الأباطح والربا . . . حتى دعونا العام عاما مجدبا

والغيث مسدول الحجاب وإنما . . . علم الغمام قدومكم فتأدبا وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها ، مضطلعا بأصالة النظر ، وإرجاء المشبهات ، وسلك في الخطابة طريقة مثلى ، يفرغ في قوالب البيان أغراضها ، ويصرف على الأحكام الكواين والبساطات أساليبها . من المحاكاة ، باختلاف القبض والبسط ، والوعد والوعيد ، حظوظها على مقبض العدل . وسبب الصواب يقوم على كثير مما يصدع به ، من ذلك شاهد البديهة . ودليل الاستيعاب ، قال شيخنا أبو البركات : ثم صرفت عنها للسبب الىمتقدم . وبقيت مقيما بها ، لما اشتهر من **وقوع الوباء بألمرية** ، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بألمرية ، وكتب بذلك في أوايل رجب عام تسعة وأربعين . وبقيت على ذلك إلى أن صرفت بسبب ما ذكر . ثم أعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين ، عسى أن سكون الانقطاع لله سبحانه . فأنا الآن أتمثل بما قاله أبو مطرف بن عميرة رحمه الله :

قد نسبنا إلى الكتابة يوما . . . ثم جاءت خطة القضاء تليها

وبكل لم نطق للمجد إلا . . . منزلا نابيا وعيشا كريها

نسبة بدلت فلم تتغير . . . مثل ما يزعم المهندس فيها

بدل من لفظ الكتابة إلى الخطابة . وأغرب ما رأيت ما أحكى لك ، وأنت أعلم ببعض ذلك ، أن أفضل ما صدر عني في ذلك ، الخطة من العمل الذي أخلصت لله فيه ، ورجوت منه المثوبة عليه ، وفيه مع ذلك مفتخر لمن أراد أن يفتخر غير ملفت للدنيا ، فعليه عولت سبحانه . انتهى كلامه .

تصانيفه

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ٢/ ٥٠

كتب إلي بخطه ما نصه ، وهو فصل من فصول : وأما تواليفي فأكثرها ، أو كلها عير متممة في مبيضات . منها كتاب قد يكبو الجواد في أربعين." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧٨ """"""""

وكلام أبي الحسن الشاذلي ، ومخاطبات خوطب بها في سره ، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي ، وحقايق الطريق ، وبعض كرامات غير من ذكر من الأولياء ، وذكر الموت ، وبعض فضايل القرآن .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه ، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك ، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه ، ثم رحل فحج ودخل الشام ، وعاش مدة من حراسة البساتين ، واعتنى بلقاء المعروفين بالزهد والعبادة ، وكان مليا بأخبار من لقي منهم ، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله ، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي .

مناقبه

قال ، دخلت معه إلى من خف على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم ألمرية ، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب ، كان من أهل العافية ، ورقت حاله ، ولم يكن ذلك يظهر عليه ، لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته ، ولم يكن أيضا أثر ذلك يظهر على منزله ، بل أثاث العافية باق فيه من فرش وماعون . فساعة وصول هذا الشيخ ، قال الله يجبر حالك ، فحسبتها فراسة من هذا الشيخ . قال ، وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات :

أشكو إليك بقلب لست أملكه . . . ما لم يرد من سبيل فهو يسلكه

له تعاقب أهواء فيقلقه . . . هذا ويأخذه هذا ويتركه

طورا يؤمنه طورا يخوفه . . . طورا ييقنه طورا يشككه

حينا يوحشه حينا يونسه . . . حينا يسكنه حينا يحركه

عسى الذي يمسك السبع الطباق . . . على يديك يا مطلع الأنوار يمسكه

فيه سقام من الدنيا وزخرفها . . . مهمى أبيضه بالذكر تشركه عسى الذي شانه الستر الجميل كما . . . غطى عليه زمانا ليس يهتكه

فلم قرأ منها ، فيه سقام من الدنيا وزخرفها ، قال هذه علتي .

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ٨٥/٢

مولده : سألته عنه فقال لي عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم وفاته : بقرية قنجة خطيبا بها ، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعماية ، **في الوباء العام** ، ودفن بقرية قنجة ، رحمة الله عليه ورضوانه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٣ """""""

واضطلع بشروط التوبة ، فتحلل من أهل بلده ، واستفاد واسترحم ، واستغفر ، ونفض يديه من الدنيا ، والتزم عبادة كبيرة ، فأصبح يشار إليه في الزهد والورع ، لا تراه إلا متبسما ، ملازما لذكر الله ، متواضعا لأصاغر عباده ، محبا في الضعفاء والمساكين ، جميل التخلق ، مغضيا عن الهنات ، صابرا على الإفادة . وجلس للجمهور بمجلس مالقة ، يتكلم في فنون من العلم ، يعظ الناس ، ويرشدهم ، ويزهدهم ، ويحملهم على الإيثار ، في أسلوب من الاستنفار والاسترسال ، والدلالة ، والفصاحة والحفظ ، كثير التأثير في القلوب ، يخبر بإلهام وإعانة . فمال الخلق إليه ، وتزاحموا على مجالسته ، وأعلنوا بالتوبة ، وبادر مترفوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات ، والاستقالة من الزلات . **ودهم الوباء** ، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة ، ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء ولو لا أن الأجل طرقه ، لعظم صيته ، وانتشر نفعه .

وفاته

توفي شهيد الطاعون عصر يوم الأربعاء لصفر من عام خمسين وسبعماية ، ودفن بجبانة جبل فاره ، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته . وصلى عليه خارج باب قنتنالة ، وألحده في قبره الخطيب القاضي الصالح ، أبو عبد الله الطنجالي ، رحم الله جميعهم .

وممن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد فقال :

أبعد ولي الله دمعي يسجم . . . وغمار قلبي من كلوم تترجم

فؤادي مكلوم بحزني لفقده . . . لذاك جفوني دمعها كله دم

وماذا عسى يغني التفجع والبكا . . . وماذا عسى يجدي الأسى والتبرم

سأصبر للبلوى وإن جل خطبها . . . فصبر الفتى عند الشدايد يعلم

كذا العلم بالسيف الصقيل لدى الوغى فويق الذي من حسنه يوسم

على قدر صبر المرء تصغر عنده . . . خطوب من الدنيا على الناس تعظم

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ١٧٨/٣

إلا إنها الدنيا تعلة باطل . . . ومخمضة أحلام لمن بات يحلم

تجنبها أهل العقول فأقصروا . . . وأغرق فيها الجاهلون وأشأم." (١)

"إن النصر عليهم سهل ، أما محاولة تمدينهم فسوف تأخذ وقتا طويلا ، وأما الإبادة فإنها تختصر هذا الوقت ، ووسائل تحقيق الانتصار عليهم كثيرة : بالقوة ، بالمفاجأة ، بالتجويع ، بحرق المحاصيل ، بتدمير القوارب والبيوت ، بتمزيق شباك الصيد ، وفي المرحلة الأخيرة : المطاردة بالجياد السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم ؛ لأنها تنهش أجسادهم العارية " ! – في عام ١٧٣٠ م ، أصدرت الجمعية التشريعية (البرلمان) لمن يسمون أنفسهم : (البروتستانت الأطهار) تشريعا يقنن عملية الإبادة لمن تبقى من الهنود الحمر ، فأصدرت قرارا بتقديم مكافأة مقدارها ٤٠ جنيها مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر ، و٤٠ جينها مقابل أسر كل واحد منهم ، وبعد خمسة عشر عاما ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه ! ثم وضع البرلمان البروتستانتي (تسعيرة) جديدة بعد عشرين عاما من صدور القرارات الأولى : فروة رأس ذكر عمره ١٢ عاما فما فوق : ١٠٠ جنيه ، أسير من الرجال : ١٠٥ جنيهات ، أسيرة من النساء أو طفل : ٥٥ جنيها ، فروة رأس امرأة أو فروة رأس طفل : ٥٠ جنيها .

– في عام ١٧٦٣ م أمر القائد الأمريكي ، البريطاني الأصل (جفري آهرست) برمي بطانيات كانت تستخدم في مصحات علاج الجدري في أماكن تجمعات الهنود الحمر ، لنقل مرض الجدري إليهم بهدف نشر المرض بينهم ؛ مما أدى إلى **انتشار الوباء الذي** نتج عنه موت عشرات الألوف منهم .

وبعد عقود قليلة انتهى أمر السكان الأصليين في القارة الأمريكية إلى ما يشبه الفناء ، بعد الإبادة المنظمة لهم على أيدي المبشرين بالمحبة ، والسلام للبشرية جمعاء !." (٢)

"وقول ذي الرمة:

وأردفت الذراع أرى بعين ... سجوم الماء ينسجل انسجالا

وقوله أيضا:

سقى دارها مستمطر ذو غفارة ... أجش تحرى منشأ العين رائح

يريد أن هذا السحاب تحرى أن يكون منشؤه من حيث نشأ للعين غير أنه ثبت أن هناك منشأ هو أحمد المناشئ وبينه الكميت بقوله:

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ١٨٣/٣

(٢) أمريكا واسرائيل وعقدة الدم، ص/٥

راحت له بين صيفي وأولية ... من الربيع سحاب المغرب الهضب

وإذا كان السحاب مغربيا فمنشؤه من حيث وصف وليس يمتنع أن يقال: عين وإن كان الأصل في العين عين السماء، كما يقال للمطر: سماء ألا ترى أنهم يقولون: أصابتنا سماء غزيرة، وكلا المذهبين صحيح.

فصل

في بيان أمر المجرة

وشرح بعض أحوالها وفي السماء مجرتها

وجاء في الأثر أنها شرج السماء، كأنها مجمع السماء كشرج القبة وسميت مجرة على التشبيه لأنها كأثر المستجب والمجر وتسميها العرب: أم النجوم لأنه ليس من السماء بقعة أكثر عدد كواكب منها كما قيل: أم الطريق لمعظمها. قال:

ترى الو ا حد الأنس الأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

وقال أبو حنيفة: المجرة دائرة متصلة اتصال الطوق وهي وإن كانت مواضع منها أرق ومواضع أكثف، ومواضع أدق، ومواضع أعرض فهي راجعة في خاصتها إلى الاستدارة وأكشف قناعها وأوسعها هو ما بين شولة العقرب فإلى النسرين، فإلى الردعف، والشولة والردف كلاهما في نطاقها الأوسط أو قريب.

فإذا كانت الشولة مشرفة على الثور رأيت حينئذ من فوق الثريا مستقدا في المشرق ورأيت المجرة قد أخذت من عند شولة العقرب فمضت حتى سلكت بين النسرين. ثم مضت حتى غشيت كواكب الكف الخضيب رفت واستدفت إلى أن تبلغ العيوق فتكشف هناك. فإذا بلغت العيوق سلكت بين الكوكبين الجنوبيين من كواكب الأعلام الثلاثة المعروفة بتوابع العيوق. ثم مضى قدما حتى تسلك بين الهقعة والهنعة وحاك بحاشيتها الشرقية كوكبي الهنعة. ثم مضت حتى تسلك بين الشعريين، ثم تمضي وتغشى الغدرة بجاشيتها الغربية فتكشف هناك، ثم تمضي عند العذرة حتى تسلك أسفل من كواكب الحمل، ثم تمضي من هناك حتى تشتمل على الشولة، ومنها كنا بدأنا بالوصف، فتجدها دائرة متصلة.

ألا ترى أنا بدأنا بوصفها من عند الشولة ثم لم تزل تستقر بها حتى عدنا إلى الشولة فهذا الإيضاح عن استدارتها واتصال بعضها ببعض اتصال الطوق، وفي تحولها من جهة إلى جهة يقول ذو الرمة وهو يذكر رفقاءه:

بشعب **يشجون الغلاء في** روسه ... إذا حولت أم النجوم الشوابك

إما أن يريد زمانا من الأزمنة لأن المجرة تتغير مواضعها في الأزمنة فتراها في الشتاء أول الليل في خلاف

موضعها من السماء، وفي الصيف أول الليل وكذلك من آخر الليل في الشتاء والضيف ولذلك قيل: سطى هجر نرطب هجره وذلك أن أول ظهور المجرة عشاء من المشرق، هو في ابتداء القيظ وأيام طلوع الثريا فيبدو منها عشاء قوس في المشرق أخذ من شرقي الشمال إلى شرقي الجنوب مضجعه في الأفق، ثم يزداد كل عشاء ارتفاعا وتوسطا إلى أن يسترق القيظ ويطلع السهيل عشاء قد كبدت السماء، فتوسطتها فصار أحد طرفيها في قبلة العراق، وطرفها الآخر في فقاء المصلى، ووسطها على قمة الرأس، وذلك زمان يكثر فيه الرطب. والمجرة بهذه الصفة سواء آخر الليل أيام طلوع الثريا فإما أن يكون ذو الزمة أراد هذا المعنى، أو يكون أراد وقتا من الليل، لأن المجرة تراها في آخر الليل في غير موضعها من أوله وذلك في جميع ليالي الدهر على ذا وليس ما ترى من هذا المفاز منها الذي وضعت له من الفلك، ولكنها وضعت فيه على انحراف، فأنت ترى ذلك منها لدور الفلك بها.

وقولهم في المجرة أم النجوم كقولهم في السماء جربة النجوم. قال الشاعر:

وخوت جربة النجوم فما ... تشرب أروية لمري الجنوب

قوله خوت يريد لم يكن معها مطر وأصل الجربة القراح من الأرض. قال الأشعر بن حمران:

أماذا يعدو فثعلب جربة ... أو ذيب عادية يعجرم عجرمة

العجرمة سرعة في خفة.." (١)

"ثم وصل إليهم من بدر الدين - صاحب الموصل - مملوك أخبرهم أن بدر الدين قد بذل روحه وماله وابتاع البلد من هولاكو. فقال له علم الدين سنجر الأعسر الخوارزمي وحسام الدين بن رش وعماد الدين الهكاري: نحن نعرف محال أستاذك، والله ما ينزل إلا مع حجارتها فإنا قد بايعنا الله تعالى. وعزم حسام الدين على ضرب رقبته، فلم يمكنه عماد الدين.

ولما فارق السلطان عز الدين - صاحب بلاد الروم - هؤلاء على سروج عند قصده حلب وصل إلى ميافارقين ووقف تجاه السور. وطلب الطواشي نجم الدين مختار، وحسام الدين بن رش وعماد الدين الهكاري وعلم الدين سنجر الأعسر، فلما حضروا قال لهم: المصلحة أن يخرج الملك الكامل إلى هولاكو، فإني قد استطلقته منه، وقد عفا عنه.

فقالوا له: إن رحل عسكر التتر عنا إلى جسر القرمان خرجنا بحريمنا وأولادنا، ونحضر مع الملك الكامل إلى بين يدي " هولاكو " . فلم يجيبوا التتر إلى ذلك وقالوا: متى خرج الملك الكامل من ميافارقين تعلق

---

(١) الأزمنة والأمكنة، ص/١٤٢

بالحبال.

ولما توجه عز الدين جدوا في الحصار وقلت الأقوات في البلد، **ووقع الوباء في** أهله، ونصبت التتر على البلد ست مائة سلم على السور. يصعد في عرض الدرجة ست عشرة نفسا.

وكان المتسلم لباب الكر والقبلة الأمير سابق الدين لاجين الخرندار – أحد مماليك شهاب الدين غازي – . فنزل إلى بيته بعض الليالي، من غير أن يعلم به، فنزل مملوك له يسمى أقوش إلى التتر وأعلمهم بغيبة أستاذه عن الباب. فأقاموا سلما وصعد فيه نحو من ثلاث مائة نفس. وكان بين السورين خادم لصاحب الحصن يسمى دينار، فلما رآهم أخذ رمحه ومشى مع السور، وطعن منهم رجلا فوقع على أصحابه، فصاحوا، فشعروا بهم، ونهض الناس إلى قتالهم، وركب الملك الكامل والطواشي نجم الدين مختار وطلعا إلى السور، وجد القتال بين التتر وبين المسلمين، فقتلوا التتر عن آخرهم، ووقعت جثثهم خارج السور. فأمر الملك الكامل ألا يمكن التتر من أخذها. ففتح الباب وخرج منه سبعون فارسا ومئتا راجل، فأخذوا ما قدروا عليه بعد حرب شديد.

ثم اشتدت الحال على ميافارقين بكثرة القتل والجوع والفناء. فوقع الاتفاق على أن يخرج الملك الأشرف موسى ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي إلى سنتاي ويبذل له السناسنة على أن يرحل عن ميافارقين. فأجابهم إلى ذلك، خداعا منه. وتوجه فتح الدين يحيى بن بدر الدين ممدوح ابن الصرمنكي في طائفة من المغل ليسلمها إليهم، فطلب من الوالي تسليمها ظاهرا، وهو يشير إليه ألا يفعل، فتبين لهم منه ذلك فقتلوه، وبقي عندهم الأشرف موكلا عليه.

ثم اتفق بعد خروجه أن مملوكين من مماليك افتخار الدين ياقوت الخادم السعدي ضربهما أستاذهما بسبب تقدمهما على غلمان الملك الكامل وقلة أدبهما معهم، فعظم ذلك عليهما وحملهما على أكاتبا التتر وقالا لهم: أي شيء تعطونا حتى نسلم إليكم البلد؟ فقالوا: نعطيه لكما. وكتبوا لهما بذلك كتابا. فقالا لهم: إذا كان يوم الخميس، وهو اليوم الثالث والعشرون من ربيع الآخر ينزل الحرس إلى أشغالهم، فارموا إلينا سلما. فلما كان سحر ذلك اليوم اتفق أن نزل افتخار الدين ياقوت وعلم الدين سنجر الخوارزمي إلى الحمام، وخلا السور، فأخذ المملوكان السلم ونصباه فصعد فيه من المغل البهادرية جماعة، واستبق بعضهم بعضا فتكمل على السور في الساعة الراهنة ستة آلاف نفر، فقاتلهم الأمير حسام الدين بن رش حتى قتل ووجدت فيه اثنتان وسبعون ضربة بالنشاب.

وسار الأمير علم الدين سنجر إلى الملك الكامل فاستنهض عزمته، وأيقظ همته، فركب إليهم، ومعه الأمير

علم الدين – المذكور – فقاتلا قتالا شديدا. ثم انهزم الملك الكامل واحتمى ببعض الأبراج. وأسر علم الدين.

وكان أحد مقدمي المغل يسمى بوتاي نوين قد رأى مصابرة علم الدين في الحرب، فطلبه من يشموط فأعطاه إياه، فحماه. فلما اطلع سنتاي على ذلك أخذه وقتله، وقال: هذا قتل من المغل خلقا كثيرا.." (١)

"وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين " ، وكان بها حمدان، فلما بلغه قصد المعتضد إياه خرج منها هاربا، وترك بها ابنه، فنازلها المعتضد وقاتله يومه كله. " فلما "كان من الغد، ركب المعتضد وصعد إلى باب القلعه وصاح: يابن حمدان!! فأجابه، فقال: افتح الباب. ففتحه فقعد المعتضد في الباب، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها.

ثم سير خلف ابن حمدان وطلبه أشد الطلب، وأخذ ماله بالقلعة. ثم إنه ظفر به بعد عوده إلى بغداد.

وفي عوده قصد الحسنية وبها رجل كردي يقال له شداد في جيش كثيف نحو العشرة آلاف فارس، وكان له قلعة " في المدينة " ، فظفر به المعتضد، وهدم قلعته " .

وذكر الهمذاني في تاريخه أنه هدم قلعته، ثم عفا عنه وأقر على ما تغلب عليه.

وكان أهل الموصل وديار بكر قد عمهم الغلاء، فحمل إليهم حمدان من الأقوات ما أرخص عليهم الأسعار. وأنفق على سور ملطية سبعين ألف دينار، ووقف عليهم أربع مائة فرس.

وتوفي – " رحمه الله " – في سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وولي ولجه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وقلده المقتدر بالله الموصل وديار ربيعة والدينور والجبل والكوفة وطريق مكة. فاستخلف ابنه سيف الدولة عليا على الجبل وله اثنتا عشرة سنة، وفيه يقول المتنبي:

يابن المعفر في نجد فوارسها ... بسيفه وله كوفان والحرم

وكان أبو الهيجاء قد أعان الوزير أبا الحسن علي بن عيسى في مصادرته بعشرين ألف دينار، فلما أعادها إليه حلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى ملكه، ففرقت في الفقراء وغيرهم.

وخلع أبو الهيجاء المقتدر بالله وبايع أخاه القاهر، فاجتمعت الرجالة وقتلوا نازوكا – صاحب الشرطة – فبادر أبو الهيجاء ليخرج، فقال له القاهر: تسلمني يا أبا الهيجاء؟!! قد أخلته الحمية وقال: لا، وتربة حمدان لا أسلمتك أو أقتل دونك!!. ثم إنه تبع الخدم، فرموه بالنشاب، فخلع جبته وجرد سيفه. وهجم عليهم، فأجفلوا بين يديه، ثم رموه بالسهام إلى أن أثخنوه بالجراح، وهو ينادي: يا آل تغلب؟! أين

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص/١٩١

الدهماء؟!.

ثم سقط من السهام، فقطعوا يده، وحزوا رأسه.

وكان المقتدر يحبه لشجاعته، فكتب له أمانا بخطه، وقال لبعض حجابه: ويلك؟! بادر إليه وأدركه لئلا يتم عليه أمر. فلما حصل ببعض الطريق تلقاه خادم برأسه، فحزن عليه المقتدر كثيرا.

وقيل عنه: إنه كان ليلة مع بعض جواريه في خلوة في بعض أسفاره. فسمع زئير الأسد عند باب مضربة، فجرد سيفه، وخرج إليه فقتله، وعاد برأسه إلى الجارية، ولم تفر شهوته، ولا كلت آلته.

وكان قتله - رحمه الله - في سنة سبع عشرة وثلاث مائة.

ورد المقتدر بالله الموصل وديار بكر إلى أخيه في السنة المذكورة. ثم. نقلته من التاريخ المظفري.

وكان ولده نائبا عنه بماردين، فلما توفي وليها ولده ناصر الدولة أبو محمد الحسن، ولم تزل في يده إلى أن قبضوا عليه أولاده سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

وكان ينوب عنه بماردين والرحبة ابنه حمدان، فلما قبض عليه أبو تغلب في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وحمله إلى قلعة كواشي وتوفي بها، وكان قد أعطى ماردين والرحبة لولده حمدان. فلم تزل في يد حمدان ابن ناصر الدولة إلى أن دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة في شوال منها، ملكها الغنضنفر، أبو تغلب ابن حمدان، سلمها إليه نائب أخيه حمدان. فأخذ أبو تغلب ما كان لأخيه من أهل، ومال، وسلاح، وأثاث، وحمله إلى الموصل.

ولم تزل ماردين بيده، ويد نوابه، إلى أن ملك عضد الدولة الموصل في سنة سبع وستين وثلاث مائة. وملك ديار ربيعة في سنة ثمان وستين وثلاثمائة. ولم تزل في يد عضد الدولة، ويد نوابه، إلى أن توفي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

ذكر ابن الأثير في تاريخه في تراجم ماردين وآمد: أن باد بن دوستك الكردي الحميدي - خال بني مروان - ملك ديار بكر بعد عضد الدولة. ولم يزل مالكها إلى سنة ثمانين وثلاثمائة. وتوفي وانتقلت إلى بني مروان.

قال أحمد بن يوسف بن علي المعروف بابن الأزرق - صاحب تاريخ ميافارقين - : إن ديار بمر بعد عضد الدولة انتقلت إلى ممهد الدولة أبي منصور بن مروان، وأضرب عن ذكر باد.

وذكر الهمذاني في التذييل: أن ممهد الدولة لم يملك ديار بكر سوى سنة واحدة.." (١)

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص/٢٠٠

"تكاثفت العداوة تجاه اليهود الأوربيين نتيجة للموت الأسود الطاعون البوبوني الوبائي من عام ١٣٤٧ إلى ١٣٥١ الذي أباد ما يقرب من ثلث سكان أوربة و رغم **أن الوباء قتل** اليهود أيضا إلا أنهم وجدوا اليهود جاهزين لحمل التهمة بأنهم **سببوا الوباء بتسميمهم** مياه الآبار و في كثير من المناطق كان رد فعل الأوربيين بطرد الجماعات اليهودية و تدمير مساكنها، و قبل أواسط القرن الخامس عشر لم يبق أحد من اليهود في أوربة الغربية كما أن الكثير من الأراضي الألمانية طردت اليهود أيضا.

خامسا :الهجرة إلى بولندا: طرد معظم اليهود من غربي و وسط أوربة في الألف و الثلاثميات و الأربعميات من السنين إذ ارتحلوا غربا إلى بولندة حيث أنشأوا فيها ما بات يعرف بأكبر متحد يهودي في حينه. و في القرون الأولى بعد وصولهم نجا اليهود من الاضطهاد و العنف الذي كانوا يلقونه في أي مكان آخر في أوربة. كانت بولندة حينئذ أكثر منطقة تنوعا عرقيا و لغويا و دينيا في أوربة. طور اليهود في القرنين السادس و السابع عشر في بولندة حياة فارهة دينيا و اقتصاديا إذ حلقوا طرقا جديدة لدراسة التلمود و دراسة معمقة لتعليل القانون و الشرع اليهودي. ففي مدن مثل كاركوف و لفيف (أوكرانيا اليوم) و بوزنان برز اليهود كتجار و مرابين و في شواهد قليلة كأطباء.." (١)

"تكاثفت العداوة تجاه اليهود الأوربيين نتيجة للموت الأسود الطاعون البوبوني الوبائي من عام ١٣٤٧ إلى ١٣٥١ الذي أباد ما يقرب من ثلث سكان أوربة و رغم **أن الوباء قتل** اليهود أيضا إلا أنهم وجدوا اليهود جاهزين لحمل التهمة بأنهم **سببوا الوباء بتسميمهم** مياه الآبار و في كثير من المناطق كان رد فعل الأوربيين بطرد الجماعات اليهودية و تدمير مساكنها، و قبل أواسط القرن الخامس عشر لم يبق أحد من اليهود في أوربة الغربية كما أن الكثير من الأراضي الألمانية طردت اليهود أيضا.
خامسا :الهجرة إلى بولندا: طرد معظم اليهود من غربي و وسط أوربة في الألف و الثلاثميات و الأربعميات من السنين إذ ارتحلوا غربا إلى بولندة حيث أنشأوا فيها ما بات يعرف بأكبر متحد يهودي في حينه. و في القرون الأولى بعد وصولهم نجا اليهود من الاضطهاد و العنف الذي كانوا يلقونه في أي مكان آخر في أوربة. كانت بولندة حينئذ أكثر منطقة تنوعا عرقيا و لغويا و دينيا في أوربة. طور اليهود في القرنين السادس و السابع عشر في بولندة حياة فارهة دينيا و اقتصاديا إذ حلقوا طرقا جديدة لدراسة التلمود و دراسة معمقة

---

(١) الإثم اليهودي، ص/٤٠

لتعليل القانون و الشرع اليهودي. ففي مدن مثل كاركوف و لفيف (أوكرانيا اليوم) و بوزنان برز اليهود كتجار و مرابين و في شواهد قليلة كأطباء.." (١)

"والثاني: هو نصير الدين الطوسي الرافضي لعنه الله: الذي كان وزيرا ومستشارا لهولاكو فهو الذي أشار عليه في قتل الخليفة بعد ما تهيب هولاكو من قتله، وقد قتل الخليفة ومعه ولده الأكبر أبو العباس احمد وولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن واسر ولده الأصغر مبارك وأسرت بناته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين بن يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزي وقتل أولاده الثلاثة كذلك إضافة إلى قتل أكابر الدولة وعلماءها وأمراءها وكانوا يذبحون كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناتهم وجواريهم، أما من قتل ببغداد من المسلمين.

وكما قال ابن كثير رحمه الله في إحدى الروايات فان عددهم بلغ ألفى الفي نفس (أي مليونا إنسان) من الرجال والشيوخ والنساء والولدان وكان الناس يختبئون في الخانات ويغلقون على أنفسهم الأبواب فيفتحها التاتار إما بالكسر واما بالنار ثم يدخلون عليءم فيهربون إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطح حتى تجري الميازيب من الدماء إلى الأزقة فانا لله وانا إليه راجعون، ومازال السيف يعمل فيهم أربعين يوما ولما انقضى الأمر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها والقتلى في الطرقات وكأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وتغير الهواء فحصل **بسببه الوباء الشديد** حتى سرى وتعدى إلى الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ولما نودي ببغداد بالأمان خرج الناس من تحت الأرض ومن كان بالمطامير [١٢] والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه [١٣].." (٢)

"بها بئر ثمود التي كان شربها بين القوم وبين الناقة، ولما سار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى تبوك أتى على منازل ثمود، وأرى أصحابه الفج الذي كانت الناقة منه ترد الماء، وأراهم ملتقى الفصيل في الجبل، وقال، عليه السلام، لأصحابه: لا يدخلن أحدكم القرية ولا يشربن من مائها ولا يتوضأ منه، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا، ولا يخرج الليلة أحد إلا مع صاحبه.

ففعل الناس ذلك إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لطلب بعير له والآخر لقضاء حاجته، فالذي خرج لحاجته أصابه جنون، والذي خرج لطلب البعير احتملته الريح، فأخبر بهما رسول الله، صلى الله عليه

---

(١) الإثم اليهودي، ص/١٠٠

(٢) أبعاد التحالف الرافضي الصليبي في العراق وآثاره على المنطقة، ص/١٧

وسلم، فقال: ألم أنهكم أن يخرج أحد إلا مع صاحبه ؟ فدعا لمن أصابه جنون فشفي، وأما الذي احتملته الريح فأهدته طيء إلى رسول الله، عليه السلام، بعد عوده إلى المدينة.

فأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم، فشكوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فدعا الله تعالى فأرسل سحابة فأمطرت حتى روي الناس.

خط

قرية باليمن يقال لها خط هجر، تنسب إليها الرماح الخطية، وهي أحسن أنواع خفة وصلابة وتثقيفا، تحمل إليها من بلاد الهند، والصناع بها يثقفونها أحسن التثقيف.

خيبر

حصون على ثمانية برد من المدينة لمن أراد الشام، ذات مزارع ونخيل كثيرة، وهي موصوفة بكثرة الحمى ولا تفارق الحمى أهلها. وكان أهلها يهودا يزعمون ان من أراد دخول خيبر على بابها يقف على أربعه، وينهق نهيق الحمار عشر مرات لا تضره حمى خيبر، ويسمى ذلك تعشيرا، والمعنى فيه أن الحمى ولوع بالناس واني حمار.

وحكى الهيثم بن عدي ان عروة الصعاليك وأصحابه قصدوا خيبر يمتارون بها، فلما وصلوا إلى بابها عشروا خوفا من وباء خيبر، وأبى عروة الصعاليك أن يعشر وقال:

وقالوا: أجب وانهق لا يضرك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوع

لعمري إن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إنني لجزوع

فكيف وقد ذكيت واشتد جانبي ... سليمى وعندي سامع ومطيع

لسان وسيف صارم وحفيظة ... وراء كآراء الرجال صروع

يخوفني ريب المنون وقد مضى ... لنا سلف قيس لنا وربيع

وحكي ان اعرابيا قدم خيبر بعيال كثير فقال:

قلت لحمى خيبر استعدي ... هناك عيالي فاجهدي وجدي

وباكري بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات وبقي عياله.

رحا بطان

موضع بالحجاز، زعم تأبط شرا انه لقي الغول هناك ليلا، وجرى بينه وبينها محاربة، وفي الأخير قتلها وحمل

رأسها إلى الحي، وعرضها عليهم حتى عرفوا شدة جأشه وقوة جنانه، وهو يقول:

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحا بطان

فإني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها: كلانا نضو دهر ... أخو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقول يمان

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران

فقالت: عد ! فقلت لها: رويدا ... مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكئا لديها ... لأنظر مصبحا ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان

وساقا مخدج وشواة كلب ... وثوب من عباء أو شنان

زغر

قرية بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام في طرف البحيرة المنتنة، وزغر اسم بنت لوط، عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها، وهي في واد وخم ردي في أشأم بقعة، يسكنها أهلها بحب الوطن، ويهيج بهم الوباء في بعض الأعوام فيفني جلهم.." (١)

"ينسب إليها سقراط أستاذ أفلاطون، وكان حكيما زاهدا في الدنيا ونعيمها راغبا في الآخرة وسعادتها. دعا الناس إلى ذلك فأجابه جمع من أولاد الملوك وأكابر الناس، فاجتمعوا عليه يأخذون منه غرائب حكمته ونوادر كلامه. فحسده جمع فاتهموه بمحبة الصبيان، وذكروا أنه يتهاون بعبادة الأصنام، ويدعو الناس إلى ذلك، وسعوا به إلى الملك وشهد عليه جمع بالزور عند قاضيهم، وحكم قاضيهم عليه بالقتل فحبس، وعنده في الحبس سبعون فيلسوفا من موافق ومخالف يناظرونه في بقاء النفس بعد مفارقة البدن، فصحح رأيه في بقاء النفس. فقالوا له: هل لك أن نخلصك عن القتل بفداء أو هرب ؟ فقال: أخاف أن يقال لي لم هربت من حكمنا يا سقراط ؟ فقالوا: تقول لأني كنت مظلوما ! فقال: أرأيتم أن يقال ان ظلمك القاضي والعدول فكان من الواجب أن تظلمنا وتفر من حكمنا، فماذا يكون جوابي ؟ وذاك أن القوم كان في شريعتهم أنه إذا حكم عدلان على واحد يجب عليه الانقياد وان كان مظلوما، فلذلك انقاد سقراط للقتل، فازمعوا على قتله بالسم. فلما تناول السم ليشربه بكى من حوله من الحكماء حزنا على مفارقته. قال: إني وإن كنت

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٣٥

أفارقكم إخوانا فضلاء فها أنا ذاهب إلى إخوان كرام حكماء فضلاء ! وشرب السم وقضى نحبه.

وينسب إليها أفلاطون أستاذ أرسطاطاليس، فكان حكيما زاهدا في الدنيا ويقول بالتناسخ. فوقع في زمانه وباء أهلك من الناس خلقا كثيرا، فتضرعوا إلى الله تعالى من كثرة الموت وسألوا نبيهم، وكان من أنبياء بني إسرائيل، عن سبب ذلك، فأوحى الله تعالى إليه أنهم متى ضعفوا مذبحا لهم على شكل المكعب ارتفع عنهم الوباء، فأظهروا مذبحا آخر بجنبه وأضافوه إلى المذبح الأول فزاد الوباء. فعادوا إلى النبي، عليه السلام، فأوحى الله تعالى إليه أنهم ما ضعفوا بل قرنوا به مثله، وليس هذا تضعيف المكعب. فاستعانوا بأفلاطون فقال: إنكم كنتم تردون الحكمة وتمتنعون عن الحكمة والهندسة فأبلاكم الله تعالى بالوباء عقوبة، لتعلموا أن العلوم الحكمية والهندسية عند الله بمكانة. ثم لقن أصحابه انكم متى أمكنكم استخراج خطين من خطين على نسبة متوالية توصلتم إلى تضعيف المذبح، فإنه لا حيلة فيه دون استخراج ذلك، فتعلموا استخراج ذلك فارتفع الوباء عنهم.

فلما تبين للناس من أمر الحكمة هذه الأعجوبة تلمذ لأفلاطون خلق كثير، منهم أرسطاطاليس، واستخلفه على كرسي الحكمة بعده، وكان أفلاطون تاركا للدنيا لا يحتمل منه أحد ولا يعلم الحكمة إلا من كان ذا فطانة ونفس خيرة، والتلميذ يأخذ منه الحكمة قائما لاحترام الحكمة.

وحكي أن الإسكندر ذهب إليه وكان أفلاطون أستاذ أستاذه، فوقف إليه وهو في مشرقة قد أسند ظهره إلى جدار يأوي إليه، فقال له الإسكندر: هل من حاجة ؟ فقال: حاجتي أن تزيل عني ظلك فقد منعتني الوقوف في الشمس ! فدعا له بذهب وكسوة فاخرة من الديباج والقصب، فقال: ليس بأفلاطون حاجة إلى حجارة الأرض وهشيم النبات ولعاب الدود، وإنما حاجته إلى شيء يكون معه أينما توجه.

وينسب إليها أرسطاطاليس، ويقال له المعلم الأول، لأنه نقح علم الحكمة وأسقط سخيفها وقرر إثبات المدعى وطريق التوجيه، وكانوا قبله يأخذون الحكمة تقليدا. ووضع علم المنطق وخالف أستاذه أفلاطون وأبطل التناسخ، قيل له: كيف خالفت الأستاذ ؟ فقال: الأستاذ صديقي والحق أيضا صديقي، لكن الحق أحب إلي من الأستاذ.

وكان أستاذ الإسكندر ووزيره فأخذ الإسكندر برأيه الأرض كلها. حكي أن أرسطاطاليس سئل: لم حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة ؟ فقال: لأن المقبل مصعد، والصعود يكون من مرقاة إلى مرقاة، والمدبر كالمقذوف من علو إلى أسفل.

وحكى الحكيم الفاضل أبو الفتح يحيى السهروردي الملقب بشهاب الدين في بعض تصانيفه: بينا أنا بين

النائم واليقظان رأيت في نور شعشعاني بمثل إنساني، فإذا هو المعلم، فسألته عن فلان وفلان من الحكماء فأعرض عني، فسألته عن سهل بن عبد الله التستري وأمثاله فقال: أولئك هم الفلاسفة حقا، نطقوا بما نطقنا فلهم زلفى وحسن مآب !." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٣ """""""

جمل شؤون هذا الاقليم

سكان مصر

هذا اقليم اذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه واذا أجدب فنعوذ بالله من قحطه يمد سبع سنين حتى يأكلون الكلاب ويقع **فيهم الوباء المبرح** أشد حرا من سواحل الشام ويبرد في رطوبة بردا شديدا به نخيل كثيرة وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط ويهود قليل كثير المجذمين وبيت الجرب لانه عفن وأكثر أدمهم السمك

المذاهب والقراءات

وعلى مذاهب أهل الشام غير أن أكثر فقهائهم مالكيون الا ترى أنهم يصلون قدام الامام." (٢)

"مقدمة الطبعة الاولى بقلم عبد الله الصاوي للمسعودي كتابان جليلان في التاريخ،، ظهر أولهما مروج الذهب في عدة طبعات تداولها اكثر علماء هذا الجيل، فعرفوا من المسعودي عالما، جليلا، فلكيا، حاسبا، منجما، جغرافيا، أخباريا، فقيها، محدثا، جدليا، نظارا، ديانيا، مؤرخا، نسابة، فيلسوفا، أديبا، راوية. وانه كان ملما بعدة لغات، وكان ذا حظ وافر من الثقافات التي انتهى إليها علم الانسان، منذ بدأ الله الخلق إلى عصره.

وظهر ثانيهما، وهو التنبيه والاشراف في طبعة واحدة قبيل نهاية القرن

التاسع بسبع عشرة سنة في مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولانده، ضمن المكتبة الجغرافية، التي عني بنشرها البروفسور " دي جوجي ".

ويندر أن يعرف علماء العصر الحاضر عن هذا الكتاب شيئا، إذ لم يصدر منه سوى هذه الطبعة الاوربية، وطبعات أوربا **من الغلاء بحيث** لا يستطيع الرجل المتوسط الثراء أن يقتنيها.

وقد قمت بنشر هذا الكتاب وسيذاع بين يدي الجمهور بعد بضعة أيام، ريثما أتمم طبع فهارسه المطولة.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٢٣٥

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص/١٨٣

وسوف يرفع هذا الكتاب من منزلة مؤلفة العلامة المسعودي، ويحله الذروة بين الرجال النابهين، ذوي الثقافات الواسعة والمعلومات الكثيرة،." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٣٨ """""""

الجزيلة على الجزار فإنه توسط بينه وبين الباب العالي في سنة ١٨٢٢ لإرضاء السلطان عنه حين أراد الجزار إدخال مدينة دمشق في دائرة ولايته رغم أنف الدولة العلية وآل ذلك إلى أن قهرته العساكر الشاهانية حتى ردته على عقبه ، بعد ما قتلت وأسرت غالب جيشه ولم يرض عنه الباب العالي إلا بتوسط محمد علي باشا وبشرط أن يدفع ستين ألف كيسة غرامة فدفع عنه والي مصر جلها إن لم يكن كلها .

وفي سنة ١٨٣١ ورد كتاب الجزار إلى محمد علي باشا بعدم إجابته إلى ما طلبه فأخذ في زيادة عدد الجيش وجمع المؤن والذخائر والخيل اللازمة لنقلها ونقل العساكر المشاة بين مصر والشام ، وبينما هو مشتغل بجمع رجاله إذ دهمت مصر داهية دهماء وهو **تطرق الوباء إليها** نعوذ بالله منه وانتشر بسرعة غريبة بين الأهالي وأنفار العسكر .

ولما لم يكن إذ اك ما لدينا الآن من الوسائط الصحية المانعة لإنتشاره وكثرة أذاه فتك بالعباد فتكا ذريعا حتى قيل أن عدد من توفي من المصريين في شهري أغسطس وسبتمبر ينيف على مائة وخمسين ألف وكان عدد سكان القطر حينئذ لا يزيد عن ثلاثة ملايين ، ولما اضمحلت وطأة الكوليرة رجع محمد علي باشا إلى الإستعداد لأجل محاربة الجزار فلم يكن إلا قليل حتى سافر من مصر إلى العريش الواقعة على الحدود الشامية ست ألايات مشاة وأربعة خيالة ومعهم أربعون مدفعا صغيرا وعدة من مدافع الحصار الضخمة مع ما يلزم من المؤن والذخائر وكان معهم المياه لعدم وجود ما يطفئ لهيب العطش في هذه الرملة

---

(١) أخبار الزمان، ص/٧

المحرقة الفاصلة بين مصر والشام فقد قاسى الفرنساويون في اجتيازها أنواع آلام العطش وقت سفرهم لمحاربة البلاد الشامية سنة ١٧٩٩ .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٣٨ """""""

أواخر شهر مارث سنة ١٨٤٨ وتبعه ولده إبراهيم باشا فأقام والده بسراي رأس التين ومعه أحذق الأطباء .

وعاد هو إلى مصر وعقد ديوانا تحت رياسته لإدارة أحوال الحكومة مدة مرض والده وأرسل بذلك إلى دار الخلافة فورد في منتصف شهر يوليو سنة ١٨٤٨ مندوب يدعى مظلوم بيك من قبل الخليفة الأعظم ومعه أمر بتولية إبراهيم باشا مكان والده إلى أن يشفى فلم يحتفل احتفالا كليا بهذا المندوب لمرض أبيه وانتشار الوباء في أنحاء القطر . وفي أواخر شهر يوليو سنة ١٨٤٨ سافر إبراهيم باشا مع هذا المندوب إلى القسطنطينية للمثول بين يدي الحضرة السلطانية واستلام فرمان التولية من يدها الشريفة وكان سفر سموه إلى جزيرة رودس على إحدى الدوارع المصرية تخفره الدونانمة المصرية بتمامها ومنها ركب سفينة عثمانية كانت في انتظاره فوصل إلى إسلامبول في ٢٥ أغسطس وتشرف بالمثول لدى السدة العليةة ونال منها كل رعاية والتفات ، لكنه لم يلبث أن عاوده المرض فأسرع بالرجوع إلى مصر إتباعا لمشورة الأطباء فسافر من القسطنطينية في ٣ سبتمبر سنة ١٨٤٨ على إحدى السفن العثمانية فأوصلته إلى جزيرة رودس ، وكان في انتظاره السفينة المصرية (بني سويف) فركبها ووصل ثغر الإسكندرية في ٩ سبتمر سنة ١٨٤٨ وكانت قد خفت وطأة الوباء بعد أن أهلك عددا عظيما من الأهالي ، وبعد أن زار والده في سراى رأس التين عاد إلى القاهرة وجمع بالقلعة ديوانا عظيما من علماء البلد وأعيانها وقناصل الدول وتلا الفرمان العلي الشأن المؤذن بتوليته على أريكة الحكومة المصرية وأطلقت المدافع ايذانا بذلك واستبشارا بما هنالك ، واستمر سموه قابضا على أزمة الحكومة والأحكام إلى أن اخترمته المنون في ليلة ١٠ نوفمبر سنة

---

(١) البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، ص/١٣٨

١٨٤٨ وكانت ولادته في مدينة قوله سنة ١٧٨٩ فتولى بعده عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا .." (١)

"وقيل إنه ما علم في الأرض مقتله كانت أعظم منها. أراد حنظلة أن يحصى من قتل، وأمر بعدهم. فما فدر على ذلك. فأمر بقصب فطرح قصبة على كل قتيل. ثم جمعت القصب، وعدت، فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفا. وكانوا صفرية يستحلون النساء وسفك الدماء.

وكتب بذلك حنظلة إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك. فسر بذلك سرورا عظيما. وكان الليث بن سعد يقول:)ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها، بعد غزوة بدر، أحب إلي من غزوة القرن والأصنام(.

وفي سنة ١٢٥، توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بعلة الذبحة. وعماله في هذه السنة هم الذين كانوا في السنة قبلها، ومن جملتهم حفص بن الوليد على مصر، وحنظلة بن صفوان على أفريقية والمغرب، وأبو الخطار على الأندلس. ثم استخلف بعده الوليد بن يزيد، يوم موت هشام بن عبد الملك، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الأخر.

وفي سنة ١٢٦ توفي الوليد بن يزيد مقتولا يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، قتله يزيد بن الوليد المسمى بالناقص واستخلف يزيد ولم يكن في أيامه في هذه السنة بأفريقية أمر. وبويع بدمشق وجعل العهد نعده لابنه إبراهيم بن يزيد فأقام نحو شهر ونصف، ثم خلع نفسه لمروان الجعدي. فقيل إنه نبش على يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلبه.

انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري بإفريقية

وبعض أخباره

كان عبد الرحمن بن حبيب هذا قد هرب إلى الأندلس. عند هزيمته من الوقيعة التي قتل فيها أبوه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، مع كلثوم بن عياض. فلم يزل. وهو بالأندلس، يحاول أن يتغلب عليها. فلم يمكنه ما أراد، إلى أن وجهة حنظلة أبا الخطاب إليها، فخاف على نفسه، وخرج مستترا، فركب البحر إلى تونس، فنزل بها، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٧، فدعا الناس إلى نفسه، فأجابوه. وأراد حنظلة الخروج إليه، والزحف لقتاله. ثم كره قتال المسلمين. وكان ذات ورع ودين، فوجه إلى حنظلة جماعه من وجوه أفريقية يدعونه إلى مراجعة الطاعة. فلما قدموا عليه. أوثقهم في الحديد، وأقبل بهم إلى القيروان، وقال)أن رمى أحد من أوليائهم بحجر، قتلتهم(وكانوا وجوههم ورؤساءهم. فلما رأى حنظلة ذلك دعا القاضي

(١) البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، ص/٢٣٨

والعدول، وفتح بيت المال؛ فأخذ منه ألف دينار، وترك الباقي، وقال:)لا أتلبس منه ألا بقدر ما يكفيني ويبلغني(ثم شخص عن أفريقية في سنة ١٣٩ في جمادى الأول. وأقبل عبد الرحمن حتى دخل القيروان، ونادى مناديا:)لا يخرجن أحد مع حنظلة، ولا يشيعه(فرجع عنه الناس خوفا من عبد الرحمن. ولما قفل حنظلة إلى الشرق، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل أفريقية، وكان مستجاب الدعوة. **فوقع الوباء والطاعون** بأفريقية سبع سنين، لا يكاد يرتفع إلا مرة في الشتاء ومرة في الصيف.

وقال بعض المؤرخين أن مروان بن محمد الجعدي بعث إلى عبد الرحمن ابن حبيب بولايته على أفريقية بعد تغلبه عليها.

ولما ولي عبد الرحمن، ثار عليها جماعة من العرب والبربر. ثم ثار عليها عروة بن الوليد الصدفي؛ فستولى على تونس، وثار عليها عرب الساحل، وقام عليه ابن عطاف الأزدي. وثارت. البربر في الجبال الصنهاجية بباجة؛ فأخذها. فخرج إلها الياس بن حبيب، أخو عبد الرحمن، في ستمائة فارس؛ ولم يظهر إنه خرج إليه، بل أعمل الحيلة مع أخيه في ذلك. ولما وصل الجاسوس، قال:)إن القوم آمنون غافلون(خرج العسكر إليهم؛ فقتل ابن عطاف وأصحابه، وأمعن عبد الرحمن بن حبيب في قتل البربر، وأمتحن الناس بهم، ابتلاهم بقتل الرجال صبرا، يؤتي الأسير من البربر، فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله، فيقتله. وكانت بأفريقية حروب ووقائع يطول ذكرها.

وكان عبد الرحمن بن حبيب قد كتب إلى مروان بن محمد، وأهدى إليه الهدايا. فكتب إلى مروان، يأمره بالقدوم عليه. ثم ضعف أمر بني أمية بالمشرق، وأشتغل بحرب المسودة. فأقام عبد الرحمن بالقيروان، حتى كانت سن ١٣٥. فغزا تسلمان، وخلف ابنه حبيبا على القيروان؛ فظفر بطوائف من البربر، وعاد إلى القيروان. ثم أغزى صقلية. ثم بعث إلى)سر دانية(؛ فقتل من بها قتلا ذريعا؛ ثم صالحوا على الجزية. وبعث إلى إفرنجة؛ فأتى بسيها؛ ودوخ المغرب كله، وأذل من به من القبائل، لم يهزم له عسكر. ولا ردت له راية. وداخل جميع أهل المغرب الرعب والخوف منه.." (١)

"فقام بأمر فاس والبر بر ابنه محمد، فولى أخاه البصرة وطنجة وما يليهما، وولى سائر اخوته بلاد المغرب.

ذكر مدينة البصرة بالغرب. كانت قبل مدينة كبيرة أزلية، تعرف ببصرة الكتان لأنهم كانوا يتابعون، في بدء أمرها في أكثر تجاراتهم بالكتان. وتعرف أيضا بالحمراء. لأنها حمراء التراب. وكان سورها مبنيا بالحجارة

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٢٤

والطوب. ولها عشرة أبواب. ولجامعها سبع بلاطات. وبها حمامان كبيران ومقبرتها الكبرى في شرقيها، والأخرى في غربيها، وهي التي تعرف بمقبرة قضاعة. وماؤها زعاق وشربهم من ماء عذب كبير على باب المدينة، يعرف ببئر أبي ذلفاء. ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق، ليس بأرض المغرب أجمل منهن، وفيهن يقول أحمد بن فتح التيهرتي في قصيدة مدح بها أبا العيش الحسني)كامل(:

ما حاز كل الحسن إلا قينة ... بصرية في حمرة وبياض

الخمر في لحضاتها والورد في ... وجناتها هيفاء غير مفاض

وأست البصرة في الوقت الذي أسست فيه أصيلا أو قريبا منه. ومنها إلى قصر كتامة وهو قصر عبد الكريم، مرحلة ومنها إلى مدينة جنيارة مرحلة. وقيل أنها كانت قرية على وادي سبو بينها وبين فاس مرحلة ومن مدينة البصرة طريق آخر إلى فاس، فمنها إلى ورغة مرحلة، ثم إلى وادى ماسنة مرحلة وهي مدينة عيسى بن حسن الحسني المعروف بالحجام ثم إلى مدينة سداك وهي قاعدة خلوف بن محمد المغيلي ثم إلى فاس. فذلك سبع مراحل. وفي هذه السنة توفي أسد بن الفرات في رجب منها وهو محاصر لسرقوسة فلما توفي، هربت رهن الروم التي كانت عنده ووقع الموت في عسكر المسلمين، فاغتنموا لذلك، وولوا على أنفسهم الجراوي.

وفي سنة ٢١٤ توفي القاضي أبو محرز الكلابي. وفيها وصل من الأندلس إلى صقلية نحو ثلاثمائة مركب، فيها أصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش. وبلغ المسلمين المحصورين بها خير وصولهم، فاستغاثوا بهم، فودعهم بالغوث.

وفي سنة ٢١٥، كان غزو فرغلوش الواصل في المركب إلى صقلية هو والوقاد الذين معه، فأخذا القلاع، وسبقوا، وغنموا في بلاد الروم. ثم سألوا إغاثة من كان من المسلمين بها، فأجابوهم إلى ذلك على أن يكون أمر الناس إلى فرغلوش فساروا إلى ذلك وأخذوا في طريقهم القلاع وأغاروا حتى انتهوا إلى ميناو. فخرج مخنق من كان بها من مسلين، وحرقوا المدينة وهدموها، وانتقلوا عنها. وسار المسلمون إلى غلواليه، فحصروها وتغلبوا عليها.

واعتل جماعة من المسلمين بها **وأخذ الوباء ومات** فرغلوش وغيره من القواد فرحل المسلمون وركب العدو أثرهم، فقتل منهم خلق كثير في خبر طويل ثم أخذوا في إصلاح مراكبهم قافلين إلى الأندلس.

وفيها ولي سعيد بن إدريس مدينة نكور.

وفي سنة ٢١٦ كانت وقيعة بين مطبق السلمي وإسماعيل بن الصمصامة بإفريقيا فتقاتلا بما من معهما فهزم مطبق وقتل ونهزم أصحابه أبو فهر صقلية.

وفي سنة ٢١٧ توجه أبو فهر محمد بن عبد الله التميمي من إفريقيا إلى صقلية وهرب عثمان بن عرقب عنها.

وفي سنة ٢١٨ قام بمدينة تونس فضل بن أبي العنبر بعد هزيمته لخليل زيادة الله، فضبطها لنفسه. وسار إليه أبو فهر بن عبد الله بن الأغلب في جيش كثيف حتى افتتحها وقتل فيها عباس بن الوليد الفقيه الصالح. وفي سنة ٢١٩ أمن زيادة الله كل من طلب الأمان ممن تلفت من تونس وخرج عنها وقت دخول أبي فهر لها. فأمنهم وسكنت أحوالهم وكان فيهم عبد الرحمن وعلي ابنا أبي سلمة وأبو العزاف كانوا شعراء فصحاء فأنش عبد الرحمن مديحا له فيه فلما أنقض إنشاده قام يعقوب بن يحيا الشاعر يحرض زيادة الله على بني أبي سلمة وأبي العزاف بهذه الأبيات وأوفر:

تسمع أيها الملك المعان ... قوافي في معانيها البيان

يتم أمان من الخضب العوالي ... وليس لشاعر أبدا أمان

لأن قوافي الأشعار تبقى ... على الأيام ما بقى الزمان

وقد يرجى لجرح السيف برء ... ولا برء لما جرح اللسان

فلم يلتفت زيادة الله إلى قوله وأمضى لهم أمانهم وقال لأبي العزاف: ما منعك أن تستأمن إلينا قبل هذا الوقت؟ قال: أيها الأمير كنت مع قوم حمقى يولون كل يوم واليا ويعزلون آخر. فرجوت أن تكون لي معهم دولة، فضحك زيادة الله وقال: لقد عفوت عنك." (١)

"وفي سنة ٣٠٧، كان بأفريقية وما والاها إلى مصر، طاعون شديد وغلاء وغلاء سعر مع الجور الشامل من الشيعة، والتعلل على أموال الناس في كل جهة. وفيها، قدم أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي سليمان بن كافي، صاحب مقدمته إلى الإسكندرية في حملة من رجال كتانة وغيرهم، فوجد أهلها غافلين. فلما أحسوا بالخيل، وتلاحق بهم أبو القاسم بجيوشه، أخلوا المدينة وتركوها. فدخلها أبو القاسم الشيعي، وانتهب أموال أهلها وكتب إلى أبيه بالفتح، ثم قدم سليمان بن كافي بالجيوش إلى الفيوم فدخلها بالسيف، وقتل أهلها، وانتهب أموالها وسبى الذرية وجبى الخراج، وأقبلت العساكر من أفريقية يتلوا بعضها بعضا، فاجتمع إلى أبو القاسم عدد يجل عن الإحصاء. فتنقل من محته عن الإسكندرية إلى الفيوم ونزل بالأشمونين في رجب. وألقى الأطعمة في الأنادر لم تخزن، فانتهبها العساكر. وغلت الأسعار بمصر وبالعسكر، **ووقع الوباء في** الناس وجلا كثيرا منهم. وكانت مصر في ذلك الحين خالية من الجند، فاجتمعوا وتشاوروا في

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٤٣

أمرهم، فردوه إلى محمد بن على المادراني وأخيه أبي زنبور، فكتبا إلى أبو القاسم سرا يعرفنه بغيبة الجند وضعف البلد وأظهرا له المسارعة إلى طاعته، وسألاه الاستثناء عليهم لما يتوقعون من العوام، وكان مذهبهما أن يكتف عنهم حتى تأتيهم الرجال من بغداد. وكتب الماردانى إلى المقتدر بنزول العساكر عليهم. وفي هذه السنة أقبل ثمل الفتى بالمراكب الشامية، مغيثا لأهل الإسكندرية. فألفى الشيعة بها أسطولا لمحاربة ثمل حتى تغلب على الأسطول بمن فيه، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشر ليلة بقيت من شوال، وأسر جملة من رجال كتامة ثم نهض ثمل بالأسرى إلى الفسطاط، فطوفهم على الجمال مشهرين، وفيهم جماعة من رجال الشيعي المشهورين بالبأس.

وفيها مات القاضي محمد بن محفوظ القمودي بإفريقيا، وكان ضعيف الرأي جائر الحكم وولى القضاء بالقيروان إسحاق بن أبي المنهال. وفيها هبت بالقيروان رياح مظلمة صفراء دامت أياما وسدت الأفق حتى كان الرجال لا يرى جليسه، **وأتبعها الوباء الذي** تقدم ذكره. وفيها مات أحمد بن علي بن دودان الفقيه وكانت له رحلة سمع فيها من يونس والمزني. ومات محمد بن أحمد بن يحيى بن مهران الفقيه من رجال محمد بن سحنون. ومات أبو سليمان داود بن مسرور الغساني وكان متزهدا فاضلا ومات محمد بن عبد الله ابن القاضي أحمد بن محرز. ومات بمدينة تونس من قريش محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد بن خالد بن عبيد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان يلقب بالبعرة وكان طرأ على إبراهيم بن أحمد من المدينة، ودخل الأندلس مرتين.

وفي هذه السنة قتل بالقيروان عروس المؤذن بمسجد أبو عياش الفقيه إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه أذن ولم يقل:)حي على خير العمل(وكان من المتزهدين يطحن بيده، ويعمل الخلفاء، ويتعيش من ذلك. وفيها مات من الفقهاء بالقيروان عبد الله بن محمد بن يحيى الرعيني من أصحاب سحنون، ومحمد بن موسى التميمي من شيوخ العراقيين، وإسحاق بن إبراهيم بن أبي عاصم الفارسي، وأبو جعفر أحمد بن منصور مولى بني تميم وكان يعرف بابن المقرعة الغاسل، وسمع بمكة ومصر. ومات جماعة من التجار ومن خدم السلطان ومن الأطباء ممن يطول الكتاب بذكره.

وفي سنة ٣٠٨ سار مصالة قائد عبيد الله الشيعي نحو المغرب بالجيوش. فلما بلغ قريبا من نكور خرج صالح بن سعيد عن مدينة نكور وتحصن بجبل هناك يعرف بجبل أبي الحسين. ودخل مصالة المدينة وضبطها ثم سار منها إلى جهة فاس. وكان بها حينئذ يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس في أهله ورجاله. فلما قرب منها، أرادوا مدافعته. فحاربهم أياما حتى هزمهم. ودخل مصالة مدينة فاس وضبطها. وقال شاعرهم

وقد عرض بها بسيط:

دخلت فاسا وشوق إلى فاس ... والجبن يأخذ بالعينين والرأس

فلست أخل فاسا ما حييت ولو ... أعطيت فاسا بما فيها من الناس." (١)

"وفي سنة ٣٩٦، كثر الخصب بأفريقية ورخصت الأسعار **وأرتفع الوباء عن** الناس وفيها ثار ببرقة الوليد بن هشام وأدعى أنه من بني أمية من ولد المغيرة وكان ظهوره في العام الفارط عن هذه كان معلما ببرقة فرأى في أهل برقة فرصة فانتسب لهم وعرفهم أم عنده روايات وعلما وأنه هو الذي يملك مصر ويقتل الجبابرة وأعانه على ذلك قوم من لواتة وزناتة فنصبوه إماما واجتمعوا عليه. ثم أقبل البربر من كل ناحية إليه فزحف إلى برقة وحاصرها حتى فتحها وذلك في رجب من العام الفارط ثم قوى أمره في هذه السنة، فأخرج الحاكم إليه جيشا فكان بينهم قتال شديد إلى أن هزم عسكر مصر وقتل قائده. وفيها توفي عامل أفريقية محمد بن أبي العرب. وفيها قتل الحاكم قاضيه وأحرقه بالنار على أكله أموال الأيتام. وفي سنة ٣٩٧ استحلف أمر الثائر ببرقة الوليد بن هشام وكثرت جموعه وأتباعه فأخذ الحاكم بالحيلة فدعا وجوه رجاله وقواده وأمرهم أم يكاتموه ويعرفوه أنه على مذهبه وهو أن قرب منهم صاروا في جملته. فلما تواتر ذلك عليه وثق به وزحف بكل من معه من قبائل البربر إلى مصر فخرجت إليه عساكر مصر فهزموه ولحق بأراضي السودان. ثم أخذ أسيرا ودخل إلى مصر على جمل فطيف به بثياب مشهورة ثم قتل شر قتلة في النصف من شوال. وفيها ولي العمالة بأفريقية إلى القاسم بن محمد بن أبي العرب بعد موت أبيه فأفر رجاله على مراتبهم واستعان بهم.

وفي سنة ٣٩٨ توفى صاحب المظالم بأفريقية محمد بن عبد الله وكانت وطأته اشتدت على أهل الريب والفساد بالضرب والقتل وقطع الأيد والأرجل لا تأخذ فيها لومة لائم.

وفي سنة ٣٩٩، هرب أولاد محمد بن أبي العرب من المنصورية يريدون فلفل بن سعد بن خزرون الزناتي بإطرابلس، فأرسل نصير الدولة إلى صاحب قابس يأمره أن يقطع بهم فلحق بهم المذكور، وأخذ منهم عليا ويوسف فقطع رؤوسهما وتوجه بها المنصورية منسلخة المحرم ,وصل القاسم بعد ذلك فعفا عنه.

وفي سنة ٤٠٠، توفي فلفل بأطرابلس بلة أصابته. وولي أخاه ورو وأطاعته زناتة وفيها رحل أبو مناد صاحب الدولة بعساكر إلى إطرابلس ليوم الاثنين خلون من شعبان فتلقاه أهلها مسرورين داعين مستبشرين فضربت له فساطيط الديباج والقباب الجليلة ونزل فأخذ الناس ريح عظيمة خرق جميع المضارب ومزقها وذهب

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٧٨

بها. ودخل نصير الدولة إلى قصر فلفل. وجاءت رسل ورو بن سعيد أخي فلفل راعية في الأمان والعفو فعفى عنهم وشهد بذلك على نفسه، ثم صدر إلى المنصورية ظافرا. ووصل النعيم بن كنون وطائفة معه إلى المنصورية، فأعطاهم نصير الدولة، وأفضل عليهم أتم الأفضال وأمر للنعيم والبنود والطبول والبراذين والسروج وصرف إلى البلاد التي أعطاه وقاعدتها قصطيلية فأقام بها ملك بالطبول والبنود والجيش. وفي سنة ٤٠١، كان موت عزم بن زيري بن مناد بالقيروان. وفيها، توفي القائد جعفر بن حبيب. وفيها أمر الحاكم بأمر الله بن الحسين بن جوهر قائد القواد وصره القاضي على مصر عبد العزيز بن محمد بن النعمان فقتلا جميعا في وقت واحد. وفي شوال من هذه السنة خالف ابن الجراح على الحاكم بأمر الله، وبعث رسالة إلى أمير مكة يستدعيه للخلاف عليه معه فخالفه وتسمى بأمير المؤمنين. وتابعه على ذلك أهل مكة وبنو عمه وغيرهم وتمادى أمرهم على ذلك بقية هذه السنة. وفيها، وجعل أهل مصر ومن كان معهم من المغاربة وغيرهم برسم التوجه إلى مكة – زادها الله تكريما وتشريفا! – وذلك عند وصولهم للقزم بلغهم ما فيعل ابن الجراح وأبو الفتوح أبو الحسن بن جعفر بن محمد فمل يحج منهم أحد، ولم يحج أحد هذه السنة من الشام ولا العراق ولا خراسان ولا سائر الآفاق ألا أهل اليمن ونفر يسير ممن كان بمكة مجاورا.

وفي سنة ٣٠٢ تقدم المنصورية خزرون بن سعيد بن خزرون الزناتي أخو فلفل المتقدم ذكره. وكان سبب وصوله اختلاف بينه وبين أخيه ورو فقصد إلى نصير الدولة فقبله أحسن قبول وكان معه نحو سبعين فارسا من زناتة فأنزلهم وأحسن إليهم ثم بعد ذلك بأيام أعطاه مديمة، فخرج إليها بالبنود والطبول.." [1]

"وفي سنة ٣٠٣، كانت **المجاعة** بالأندلس، التي شبهت **بمجاعة** سنة ستين؛ وبلغت الحاجة بالناس مبلغا لا عهد لهم بمثله؛ وبيع قفيز قمح بكيل سوق قرطبة بثلاثة دنانير دخل أربعين. **ووقع الوباء في** الناس، وكثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة، حتى كاد أن يعجز عن دفنهم. وكثرت صدقات أمير المؤمنين الناصر – رحمه الله – على المساكين في هذا العام، وصدقات أهل الحسبة من رجاله؛ فكان الحاجب بدر بن أحمد أكثرهم صدقة، وأعظمهم بماله مواساة. ولم يمكن في هذا العام، لضيق الأحوال فيه، أن يكون غزاة أو إخراج جيش، غير أن الناصر – رضه – أخذ بالجد والحزم في ضبط أطرافه، والتحفظ بالمسلمين من عادة أهل الخلاف والخلعان، إذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون من قرب منهم، ويغدرون على من مر بهم من رفاق المسلمين وطالبي المعاش ومستجلبي المير.

وفي هذه السنة، ولي إسحاق بن محمد القرشي الوزارة؛ وكان ذا رأي وعناء. وفي١٥، ولي محمد بن محمد

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/١١٢

بن أبي زيد الشرطة العليا؛ وكان يلي الشرطة الصغرى من قبل.
وفي هذه السنة، توفي أبان ابن الإمام عبد الله – رحمه الله – يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة. وهو ابن خمس وخمسين سنة؛ ودفن بمقابر قريش في الربض. ومات فيها لأمير المؤمنين الناصر – رضي الله عنه – ولد يسمى هشاما ويكنى بأبي الوليد؛ وكان بكر ولده.
وتوفي فيها أحمد بن هشام ابن الإمام عبد الرحمن بن الحكم – رحمه الله – يوم الجمعة لعشر بقين من شوال؛ والقرشي العثماني الطارئ من المشرق في أيام الإمام عبد الله بن محمد – رحمه الله – وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان. وتوفي القرشي العبدي لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شعبان. وتوفي يحيى بن إسحاق بن يحيى بن أبي عيسى الفقيه؛ وكانت له رحلة روى فيها الحديث؛ ولم يكن بالثقة، غير أنه كان نبيلا مفوها. وتوفي فيها الفقيه النميري، واسمه أحمد بن عبد الله بن فرج. وتوفي أحمد بن بيطير الفقيه يوم الخميس لليلتين هلتا من ذي الحجة. وتوفي فيها مفوز بن غريب.
وفيها، أسر مطرف بن محمد بن لب بن قسي؛ أسره العدو بالثغر.
وفيها، توفي بالثغر عبد الله بن محمد بن لب بن قسي؛ وكان من أهل البأس والشجاعة والنكاية للعدو. وقتل ابنه محمد بن عبد الله عمه مطرفا. ووقعت بين بني لب فتون وحروب، واختلف أمرهم.
ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوهها وبياض أهلها، يطول الأخبار عنهم والاجتلاب لهم، إلى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم يأخذه إحصاء ولا عد. وكانت للعدو مع بني قسي جولات في الثغر هذا العام.
وفي سنة ٣٠٤، كان إغزاء أمير المؤمنين الناصر لدين الله – رضي الله عنه – أحمد بن محمد بن أبي عبدة القائد إلى أرض الحرب. وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم، وهو اليوم الثامن عشر من يوليه، وضم إليه من الموالي والأجناد عدد كثيرا. ودخل أرض المشركين؛ فبكى، وغنم، وسبى؛ وخرج من أرض العدو بالمسلمين سالمين غانمين.
وفيها، ولي عبد الحميد بن بسيل الخزانة. وفيها، غزا إسحاق بن محمد القرشي إلى كورة تدمير؛ فافتتح حصن أوربوالة واستصلح أحوال أهل الكورة. وفيها، ولي فطيس بن أصبغ الخزانة ولايته الأولى.
وفيها، غزا الحاجب بدر بن أحمد إلى مدينة لبلة؛ فحاصرها وافتتحها يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان.
وفيها، عزل عبد الملك بن جهور عن الكناية، ووليها عبد الحميد بن بسيل؛ ولم يطل أمد ولايته؛ ثم أعيد

إليها عبد الملك بن جهور.

وفيها، ولي إسماعيل بن بدر العرض. وفيها، نقل علي بن حسين عن خزانة السلاح إلى خطة العرض، لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر. وفيها، ولي العرض محمد بن عبد الله بن مضر.

وفيها، توفي منذر ابن الإمام المنذر – رحمه الله – سلخ شعبان؛ وكان مولده بعد موت أبيه إلى ستة أشهر؛ وعبد الملك بن حوزة القرشي، يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ وأخوه الأحدب، وكان يتنجم، في عقب ربيع الآخر؛ والعارض صاحب المواريث قند مولى أمير المؤمنين الناصر، يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب؛ فولي مكانه المواريث إسماعيل بن بدر.

وتوفي المؤدب محمد بن أرقم يوم الجمعة لست خلون من رجب؛ وفيه توفي الولد محمد ابن أمير المؤمنين الناصر – رحمه الله – والولد سليمان الأكبر.." [1]

" قد راح وما بقي لنا إلا أنت فنفذ إلي ثقاتك وخواصك لأسلم البلاد إليهم والقلاع وننزل إليك فما لنا إلا أنت

فسير الأنبرور أخص الناس عنده وأقربهم إليه مقدر مائة وخمسة عشر نفرا فقتل الجميع وأخذ دوابهم وغلمانهم وقال هؤلاء عوض ابن عباد يا عدو الله

فجرى على الأنبرور ما لا يوصف وبقي الأنبرور على هذه الحالة

وفيها كان في الغرب **من الغلاء مالا** يعبر عنه بحيث إنهم أكلوا الميتة جميعها وذلك أن المطر انحبس عنهم من سنة ست عشرة إلى سنة تسع عشرة وستمائة

واختلفت القبائل سنتين سنة عشرين وسنة إحدى وعشرين وستمائة

وقلت الخيول عندهم بحيث ان أكثر الموحدين رجالة وكذلك العربان

وكان لهم في الأرض عرق يسمى الرنا شديد البياض كانوا يطبخونه طول ليلهم وما ينضج فإذا أكلوه ما ينهضم عنهم فهلك أكثرهم بهذا العرق

وكانوا مدة **هذا الغلاء يصانعون**

". [2]

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٢١٣

(٢) التاريخ المنصوري، ص/١٠١

"

وفيها مات الوزير صفي الدين بن شكر بالديار المصرية لأنه كان وزر للملك الكامل بعد موت السلطان العادل كان جبارا ظالما جباها منتهكا للناس متعصبا للأراذل ومتعصبا على الأماثل فأخذ السلطان الكامل أولاده واستخرج منهم ما كان أكله أبوهم وعصروا وضربوا ووجدوا بعض ما عملوا

وفيها أمر الملك الأشرف بخراب خمسة أبرجة من سور الرقة قبالة الآدر التي عمرها في القلعة الجديدة

وفيها **كان الغلاء قد** كثر في البلاد الشرقية وخلت البلاد من فلاحيها وأهلها وحصل في البلاد غلاء والوباء والمرض المختلف إلا أن أكثره بالبرسام بحيث لا يؤخر المريض إلا بعض أسبوع ويموت وفني أكثر الماشية

وفيها مات الأمير سيف الدين بن علم الدين بن جندر كان جوادا شجاعا صالحا ورعا كثير الخير عمارا للمساجد والمدارس والخانات

وفيها أمر الملك المعظم بقطع طريق باب الفرج إلى باب الحديد وسيب الماء في الخندق بحيث منع

وفيها أدار العمارة لسور دمشق وعرضه

وفيها تنكر على أخيه الملك الصالح لشيء بلغه عنه

". (١)

" وأحضره من بصرى وأسكنه دمشق إلى حين موته وكان مقامه بصرى لأنها بلده

وفيها نقص نيل مصر وخاف **الناس الغلاء فأحسن** السلطان الملك الكامل التدبير ثم عاد زاد بعد ذلك

وفيها وصل مجد الدين قاضي الممالك الحنفي رسولا من ابن خوارزم شاه إلى الملك الأشرف ثم إلى الملك المعظم ثم إلى الملك الكامل وشرب الخمر مع الملك الأشرف والملك المعظم وأحسنا في عطائه وحرمته غاية الإحسان سنة ثلاث وعشرين وستمائة

---

(١) التاريخ المنصوري، ص/١١٤

كان الحاج فيها في غاية الأمن والرخاء وكثرة المياه وغيرها وكان الحاج الشامي أكثر من العراقي والمصري

وفيها كان الشريف قاسم بن مهدي قد حاصر مكة مجدها الله وحماها وجمع عليها من العربان خلقا وما حصل على بعض غرض

". (١)

" وكان الكامل والناصر بن المعظم عنده بدمشق والمظفر غازي والملك الصالح وصواب بآمد والملك الصالح إسماعيل بسنجار والملك الحافظ وأخوه مجير الدين وتقي الدين عباس مرضى بدمشق وقد أبلوا من مرضهم والملك العزيز بحلب بحارم والملك المظفر صاحب حماة بالمعرة لعمارة القلعة والملك المنصور إبراهيم قد تلقى أباه إلى النبك

وفيها مات الأبرنس وسير الملك المجاهد يعزي ولده ويهنيه

وفيها مات للملك المظفر بن الملك المجاهد ابنان وكان بحمص **من الوباء والموت** والأمراض ما لا يعبر عنه ولا سمع بمثله

وفيها مات أتابك شهاب الدين طغرل أتابك حلب وسار الملك العزيز إلى تل باشر يعشرها

". (٢)

"وكان أول ما سمع منه صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.

ثم تحول منه، وأمر ببناء المسجد. ثم بنى مساكنه بجانبه، وآخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة.

وقدم عليه ابنتاه: فاطمة وأم كلثوم، وزوجته سودة، وأسامة بن زيد، وأمه بركة أم أيمن، مع زيد بن حارثة وأبي رافع، وكان أرسل إليهم بهما، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم.

وقدم على أبي بكر عياله مع ابنه عبد الله، ثم المهاجرون إلى المدينة.

---

(١) التاريخ المنصوري، ص/١١٥

(٢) التاريخ المنصوري، ص/٢٥٧

ودام بالمدينة – التي أضاء منها – بعد قدومه صلى الله عليه وسلم كل شيء، وزال عنها الوباء، ونقل حماها إلى الجحفة، وأكرمت بمنع دخول الدجال والطاعنون لها بعد الهجرة عشر سنين.

كان في الأولى التي ابتدأ التاريخ منها، وافتتح بالمحرم غزوة الأبواء، وهي غزوة ودان، وجعلت صلاة الحضر أربع ركعات بعد ركعتين، وشرع الأذان، وبني بعائشة في شوالها.

وفي الثانية: غزوة بواط، ثم بدر الأولى، ثم ذي العشيرة، ثم بدر الكبرى وهي البطشة التي أعز الله بها الإسلام، وأهلك بها رؤوس الكفرة اللئام – يوم الجمعة لسبع عشرة خلون من رمضان – ثم غزوة بني قينقاع، ثم السويتي، ثم قرقرة الكدر. وصرفت القبلة إلى الكعبة، بعد أن كانت لبيت المقدس، وفرض صوم رمضان وزكاة الفطر، بل الزكاة، وصلى العيدين وخطب فيهما، وأمر بالأضحية وأعرس علي بالزهراء، وتوفيت رقية ابنته صلى الله عليه وسلم، وعثمان بن مظعون.

وفي الثالثة: غزوة غطفان إلى نجد – ويقال لها: غزوة أنمار – وذي أمر – وغزوة بني سليم، وأحد، واستشهد فيها من المسلمين كثيرون، وحمراء الأسد، ودخوله بحفصة، والزنيبتين: ابنة خزيمة، وابنة جحش، وبني عثمان بأم كلثوم، وتحريم الخمر، أو في التي تليها.

وفي الرابعة: غزوة بئر معونة، وبني النضير، ثم بدر الصغرى، ثم ذات الرقاع، وصلاة الخوف، وقصر الصلاة، وتزويج أم سلمة.

وفي الخامسة: غزوة دومة الجندل، ثم المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق ثم الخندق، وهي الأحزاب، ثم بني قريظة، وقصة الإفك، ونزول آية التيمم، وآية الحجاب، وصلى لخسوف القمر، وبنى بجويرية.

وفي السادسة: غزوة بني لحيان، ثم الغابة، وهي ذو قرد، ثم الحديبية، وبيعة الرضوان، وفرض الحج، وسابق بين الخيل، ونزول آية الظهار، وقحط الناس، فاستسقى الله فسقوا، وكسفت الشمس.

وفي السابعة: غزوة خيبر، وعمرة القضاء، والبناء بكل من صفية، وأم حبيبة، وميمونة، ومنع الحمر الأهلية، ومتعة النساء.

وفي الثامنة: وقعة مؤتة، وغزوة الفتح، ثم حنين، ثم الطائف، وعمل المنبر النبوي، ولما خطب عليه حن الجذع الذي كان يخطب عنده، وهو أول منبر عمل في الإسلام، وتأييد تحريم المتعة، بعد حلها، وأخذ الجزية من مجوس هجر.

وفي التاسعة: غزوة تبوك، وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم، التي انحصرت في سبع وعشرين، وانتهت سراياه لست وخمسين، قاتل النبي صلى الله عليه وسلم في تسع من غزواته: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة،

والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وحج الصديق بالناس، ثم أردفه بعلي: بأن لا يحج بعدها مشرك، ولا يطوف عريان.

وصلى على النجاشي، وتسمى هذه السنة سنة الوفود، لكثرة الوافدين فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها آلى النبي صلى الله عليه وسلم من نسائه، وهدم مسجد الضرار، وكانت الملاعنة.

وفي العاشرة: قدوم جرير البجلي، ونزول " يأيها الذين ءامنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمنكم " النور وكانوا لا يفعلونه قبلها، وارتد مسيلمة الكذاب. وادعى النبوة. وحجة الوداع، التي لم يحج بعد الهجرة غيرها، ونزلت عليه فيها بعرفة " اليوم أكملت لكم دينكم " المائدة: وخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس فيها وأوصاهم وودعهم، وقال لعلكم لا تروني بعد عامي هذا ووقف معه صلى الله عليه وسلم فيها مائة وعشرون ألفا.." (١)

"السلاوي، وكان في أيام ولايته بالمدينة أحيى سنة متروكة، وهي: أن أهل مكة كانوا يصلون من التراويح في رمضان أربع ركعات، ثم يطوفون أسبوعا ثم يعاودون الطواف، حتى يستكملوا من الصلاة عشرين ركعة، ومن الطواف أربع أسابيع، وكان أهل المدينة النبوية يصلون التراويح ستا وثلاثين ركعة منها ست عشرة ركعة عوض الأربعة الأسابيع التي كان أهل مكة يطوفونها في خلال صلاتهم التراويح، ثم يوترون، فكان الزين العراقي يصلي التراويح بالناس عقب صلاة العشاء عشرين ركعة، ويوتر بثلاث، فإذا كان آخر الليل صلى بالناس ست عشرة ركعة، واقتدى به في ذلك الأئمة بالحرم النبوي إلى تاريخه، وشرع في الإملاء بالقاهرة من سنة خمس وتسعين، فأملى أربعمائة مجلس وست عشر مجلسا، فأولا: أشياء نثريات، ثم تخريج أربعين النووي، ثم مستخرجا على مستدرك الحاكم، كتب منه قدر مجلدة إلى أثناء كتاب الصلاة في نحو ثلاثمائة مجلس، أولها: السادس عشر بعد المائة، ولكن تخللها يسير في غيره، ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج، استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج إلى كبير تعب، فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر، وأنشد في آخره قوله في أبيات تزيد على عشرين بيتا:وي، وكان في أيام ولايته بالمدينة أحيى سنة متروكة، وهي: أن أهل مكة كانوا يصلون من التراويح في رمضان أربع ركعات، ثم يطوفون أسبوعا ثم يعاودون الطواف، حتى يستكملوا من الصلاة عشرين ركعة، ومن الطواف أربع أسابيع، وكان أهل المدينة النبوية يصلون التراويح ستا وثلاثين ركعة منها ست عشرة ركعة عوض الأربعة الأسابيع التي كان أهل مكة يطوفونها في خلال صلاتهم التراويح، ثم يوترون، فكان الزين العراقي يصلي التراويح بالناس عقب صلاة

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٩/١

العشاء عشرين ركعة، ويوتر بثلاث، فإذا كان آخر الليل صلى بالناس ست عشرة ركعة، واقتدى به في ذلك الأئمة بالحرم النبوي إلى تاريخه، وشرع في الإملاء بالقاهرة من سنة خمس وتسعين، فأملى أربعمائة مجلس وست عشر مجلسا، فأولا: أشياء نثريات، ثم تخريج أربعين النووي، ثم مستخرجا على مستدرك الحاكم، كتب منه قدر مجلدة إلى أثناء كتاب الصلاة في نحو ثلاثمائة مجلس، أولها: السادس عشر بعد المائة، ولكن تخللها يسير في غيره، ثم لما كبر وتعب وصعب عليه التخريج، استروح إلى إملاء غير ذلك مما خرجه له شيخنا أو مما لا يحتاج إلى كبير تعب، فكان من ذلك فيما يتعلق بطول العمر، وأنشد في آخره قوله في أبيات تزيد على عشرين بيتا:

بلغت في ذا اليوم سن الهرم ... تهدم العمر كسيل العرم

وآخر ما أملاه كان في صفر سنة ست وثمانمائة لما توقف النيل، وشرق أكثر بلاد مصر، **ووقع الغلاء المفرط** وختم المجلس بقصيدة أولها:

أقول لمن يشكو توقف نيلنا ... سل الله يمدده بفضل وتأييد

ويقول في آخرها:

وأنت فغفار الذنوب وساتر ال ... عيوب، وكشاف الكروب إذا نودي." (١)

" معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى هلكوا وبليت أجسادهم فمر بهم نبي يقال له هزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم يلوي شدقه وأصابعه فأوحى الله إليه يا هزقيل أتريد أن اريك كيف أحييهم قال نعم وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقال نعم فقيل له ناد فنادى يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجسادا من عظام ثم أوحى الله أن ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما فاكتست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها وهي عليها ثم قيل له ناد فنادى يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي فقاموا

حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط قال فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/٤٣٠

حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن أشعث عن سالم النصري قال بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال فلما انفتل عمر قال أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو فقالا إنا نجد في كتابنا قرنا من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذي أحيا الموتى بإذن الله فقال عمر ما نجد في كتابنا حزقيل ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم فقالا أما تجد في كتاب الله ورسلا لم نقصصهم عليك (١) فقال عمر بلى قالا وأما إحياء الموتى فسنحدثك أن بني إسرائيل وقع **فيهم الوباء فخرج** منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطا حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال ما شاء الله فبعثهم الله له فأنزل الله في ذلك ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع خلف فيهم يعني في بني إسرائيل حزقيل بن بوذى وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذي ذكر الله في الكتاب لمحمد صلى الله عليه و سلم كما بلغنا ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم الآية

قال ابن حميد قال سلمة قال ابن إسحاق فبلغني أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فرارا من بعض الأوباء من الطاعون أو من سقم كان يصيب الناس حذرا من الموت وهم ألوف حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا فعمد أهل تلك البلاد فحظروا عليهم حظيرة دون السباع ثم تركوهم فيها وذلك أنهم كثروا عن أن يغيبوا فمرت بهم الأزمان والدهور حتى صاروا عظاما نخرة فمر بهم حزقيل بن بوذى فوقف عليهم فتعجب لأمرهم ودخلته رحمة لهم فقيل له أتحب أن يحييهم الله فقال نعم فقيل له فقل أيتها العظام الرميم التي قد رمت وبليت ليرجع كل عظم إلى صاحبه فناداهم بذلك فنظر إلى العظام تتواثب يأخذ بعضها بعضا ثم قيل له قل أيها اللحم والعصب والجلد اكس العظام بإذن ربك قال فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ثم اللحم والجلد والأشعار حتى استووا خلقا ليست فيهم ." (١)

" ذكر الخبر عن خروجه إليها

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال خرج عمر إلى الشأم غازيا في سنة سبع عشرة حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة فرجع بالناس إلى المدينة وقد كان عمر كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهري عن عبد

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١/٢٧٢

الحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن عباس خرج غازيا وخرج معه المهاجرون والأنصار وأوعب الناس معه حتى إذا نزل بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة فأخبروه أن الأرض سقيمة فقال عمر اجمع إلي المهاجرين الأولين قال فجمعتهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك ومنهم القائل إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الأنصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليهم منهن اثنان وقالوا ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء قال فقال لي عمر يابن عباس اصرخ في الناس فقل إن أمير المؤمنين يقول لكم إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فلما اجتمعوا عليه قال أيها الناس إني راجع فارجعوا فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله قال نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ثم قال لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم خلا به بناحية دون الناس فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفا عن الناس لم يشهدهم بالأمس فقال ما شأن الناس فأخبر الخبر فقال عندي من هذا علم فقال عمر فأنت عندنا الأمين المصدق فماذا عندك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إذا سمعتم **بهذا الوباء ببلد** فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه ولا يخرجنكم إلا ذلك فقال عمر فلله الحمد انصرفوا أيها الناس فانصرف بهم حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبد الله بن عمر أنهما حدثاه عن عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف فلما رجع عمر رجع عمال الأجناد الى أعمالهم وأما سيف فإنه روى في ذلك ما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع قالوا وقع الطاعون بالشام ومصر والعراق واستقر بالشام ومات فيه الناس الذين هم في كل الأمصار في المحرم وصفر وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام فخرج حتى إذا كان منها قريبا بلغه أنه أشد ما كان فقال وقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرجع حتى ارتفع عنها وكتبوا بذلك إليه وبما في أيديهم من المواريث

فجمع الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة فاستشارهم في البلدان فقال إني قد بدا لي أن أطرف على (١) ".

" القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع **هذا الوباء سأخبركم** بما يكره مما يتقي من ذلك أن يظن من خرج انه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه فإذا لم يظن هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشأم عام طاعون عمواس فلما اشتغل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه **من الوباء قال** يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إن قد عرفت حاجتك إلي وإني في جند من المسلمين لا أجد نفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة قال لا وكأن قد قال ثم كتب إليه سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضا غمقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة فلما أتاه كتابه دعاني فقال يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت إليه فقلت له والله لقد كان في أهلي حدث فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزة طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن **الناس الوباء**

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب الأشعري عن رابة رجل من قومه وكان قد خلف على أمه بعد أبيه كان شهد طاعون عمواس قال لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في الناس خطيبا فقال أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه و سلم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل قال فقام خطيبا بعده فقال أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن معاذا يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم فطعن ابنه عبدالرحمن بن معاذ فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول ما أحب أن لي بما فيك شيئا من الدنيا فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام خطيبا في الناس

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤٨٦/٢

فقال أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال فقال أبو وائلة الهذلي كذبت والله لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنت شر من حماري هذا قال والله ما أرد عليك ما تقول وأيم الله لا نقيم عليه ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن رجل عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرمي أنه كان يقول بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول معاذ بن جبل إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم فكنت أقول كيف دعا به رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمته حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه وجاءه جبريل عليه السلام فقال إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول اللهم فناء الطاعون فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومعاذ ." (١)

" اضرب في رجل هذا الحديد ونظر إلي عثمان فقال

... آبوا على أدبارهم كشفا ... والأمر يحدث بعده الأمر ...

وفي هذه السنة عزل سلميان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب فحدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال قدم صالح العراق على الخراج ويزيد على الحرب فبعث يزيد زياد بن المهلب على عمان وقال له كاتب صالحا وإذا كتبت إليه فابدأ باسمه وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم بخراسان

ذكر الخبر عن سبب مقتله

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ابن الوليد ولي عهده ودس في ذلك إلى القواد والشعراء فقال جرير في ذلك

... إذا قيل أي الناس خير خليفة ... أشارت إلى عبد العزيز الأصابع ...

... رأوه أحق الناس كلهم بها ... وما ظلموا فبايعوه وسارعوا ...

وقال أيضا جرير يحض الوليد على بيعة عبد العزيز

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤٨٨/٢

... إلى عبد العزيز سمت عيون ال ... رعية إذ تحيرت الرعاء ...

... إليه دعت دواعيه إذا ما ... عماد الملك خرت والسماء ...

... وقال أولو الحكومة من قريش ... علينا البيع إن **بلغ الغلاء ...**

... رأوا عبد العزيز ولي عهد ... وما ظلموا بذاك ولا أساؤوا ...

... فماذا تنظرون بها وفيكم ... جسور بالعظائم واعتلاء ...

... فزحلفها بأزملها إليه ... أمير المؤمنين إذا تشاء ...

... فإن الناس قد مدوا إليه ... أكفهم وقد برح الخفاء ...

... ولو قد بايعوك ولي عهد ... فقام الوزن واعتدل البناء ...

فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة ثم هلك الوليد وقام سليمان بن عبد الملك فخافه قتيبة

قال علي بن محمد أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلاف عن طفيل بن مرداس وجبلة بن فروخ عن محمد بن عزيز الكندي وجبلة بن أبي رواد ومسلمة بن محارب عن السكن بن قتادة أن قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان أشفق من سليمان لأنه كان يسعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان قال فكتب إليه كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه على الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ." (١)

" إني أعيذكم بالله من فتن ... مثل الجبال تسامى ثم تندفع ... إن البرية قد ملت سياستكم ... فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا ٥ ... لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا ... لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثم لا حسرة تغني ولا جزع ...

قال فلما اجتمع ليزيد أمره وهو مبتد أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متنكرا في سبعة نفر على حمير فنزلوا بجرود على مرحلة من دمشق فرمى بنفسه فنام وقال القوم لمولى لعباد بن زياد أما عندك طعام فنشتريه قال أما لبيع فلا ولكن عندي قراكم وما يسعكم فأتاهم بدجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز فطعموا ثم سار فدخل دمشق ليلا وقد بايع ليزيد أكثر أهل دمشق سرا وبايع أهل المزة غير معاوية بن مصاد

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٣٤/٤

الكلبي وهو سيد أهل المزة فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشيا في نفير من أصحابه وبين دمشق وبين المزة ميل أو أكثر فأصابهم مطر شديد فأتوا إلى منزل معاوية بن مصاد فضربوا بابه ففتح لهم فدخلوا فقال ليزيد الفراش أصلحك الله قال إن في رجلي طينا وأكره أن أفسد بساطك فقال الذي تريدنا عليه أفسد فكلمه يزيد فبايعه معاوية ويقال هشام بن مصاد ورجع يزيدإلى دمشق فأخذ طريق القناة وهو على حمار أسود فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشني وخرج الوليد بن روح وحلف لا يدخل دمشق إلا في السلاح فلبس سلاحه وكفر عليه الثياب وأخذ طريق النيرب وهو على فرس أبلق حتى وافى يزيد وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف **فخاف الوباء فخرج** فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي فأجمع يزيد علىالظهور فقيل للعامل إن يزيد خارج فلم يصدق وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست وعشرين ومائة فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذنوا العتمة فدخلوا المسجد فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل فلما صلى الناس صاح بهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعونه فقام وقال اللهم إن كان هذا لك رضا فأعني عليه وسددني له وإن كان غير ذلك فاصرفه عني بموت

وأقبل في اثني عشر رجلا فلما كان عند سوق الحمير لقوا أربعين رجلا من أصحابهم فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من أصحابهم فمضوا إلى المسجد فدخلوه فأخذوا باب المقصورة فضربوه وقالوا رسل الوليد ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا وأخذوا أبا العاج وهوسكران وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذ وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بنوالعاص وهو على بعلبك فأخذه وأرسل من ليلته إلى عبد لملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فأخذه ووجه إلى الثنية إلى أصحابه ليأتوه وقال للبوابين لا تفتحوا الباب إلا لمن أخبركم بشعارنا فتركوا الأبواب بالسلاسل وكان في المسجد سلاح كثيرقدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ولم يكن الخزان فقبضوه فأصابوا سلاحا كثيرا فلما أصبحوا جاء أهل المزة وابن عصام فما انتصف النهار حتى تبايع الناس ويزيد يتمثل (قول النابـغة) ." (١)

" ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٢٤٠

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان بالشأم من العصبية فيها

وفيها ولي الرشيد إسحق بن سليمان الهاشمي السند ومكران

وفيها استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف وأبوه حي

وفيها هلك روح بن حاتم

وفيها خرج الرشيد إلى باقردى وبازبدى وبنى بباقردى قصرا فقال الشاعر في ذلك ... بقردى وبازبدى مصيف ومربع ... وعذب يحاكي السلسبيل برود ... وبغداد ما بغداد أما ترابها ... فخرء وأما حرها فشديد ...

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح

وحج بالناس فيها هارون الرشيد فبدأ بالمدينة فقسم في أهلها مالا عظيما **ووقع الوباء في** هذه السنة بمكة فأبطأ عن دخولها هارون ثم دخلها يوم التروية فقضى طوافه وسعيه ولم ينزل بمكة ." (١)

" اجتمع من بني تميم ووافى علي فلم يدافعه أحد ومر قاصدا إلى المربد ووجه بريه إلى بني تميم يستصرخهم فنهض إليه منهم جماعة فكان القتال بالمربد بحضرة دار بريه ثم انهزم بريه عن داره وتفرق الناس لانهزامه فأحرقت الزنج داره وانتهبوا ما كان فيها فاقام الناس يقتلون هنالك وقد ضعف أهل البصرة وقوي عليهم الزنج واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ودخل علي المسجد الجامع فأحرقه وأدركه فتح غلام أبي شيث في جماعة من البصريين فأنكشف علي وأصحابه عنهم وقتل من الزنج قوم ورجع علي فعسكر في الموضع المعروف بمقبرة بني شيبان فطلب الناس سلطانا يقاتلون معه فلم يجدوه وطلبوا بريها فوجدوه قد هرب وأصبح أهل البصرة يوم السبت فلم يأتهم علي بن أبان وغاداهم يوم الأحد فلم يقف له أحد وظفر بالبصرة

قال محمد بن الحسن وحدثني محمد بن سمعان قال كنت مقيما بالبصرة في الوقت الذي دخلها الزنج وكنت أحضر مجلس ابراهيم بن محمد بن إسماعيل المعروف ببريه فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العنبري فسمعت شهابا يحدثه أن الخائن قد وجه بالأموال إلى البادية ليعرض بها رجال العرب وأنه قد جمع جمعا كثيرا من الخيل وهو

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٦٢٥

يريد تورد البصرة بهم وبرجالته من الزنج وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيف وخمسون فارسا مع بغراج فقال بريه لشهاب إن العرب لا تقدم علي بمساءة وكان بريه مطاعا في العرب محببا إليهم

قال ابن سمعان فانصرفت من مجلس بريه فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب فسمعته يحكي عن هارون بن عبد الرحيم الشيعي وهو يومئذ يلي بريد البصرة أنه صح عنده أن الخائن جمع لثلاث خلون من شوال في تسعة أنفس فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغبا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت وقد كان الحصار عض أهل البصرة **وكثر الوباء بها** واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال من هذه السنة أغارت خيل الخائن على البصرة صبحا في هذا اليوم من ثلاثة أوجه من ناحية بني سعد والمربد والخريبة فكان يقود الجيش الذي سار إلى المربد علي بن أبان وقد جعل أصحابه فرقتين فرقة ولي عليها رفيقا غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان وأمرهم بالمصير إلى بني سعد والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المربد وكان يقود الخيل التي أتت من ناحية الخريبة يحيى بن محمد الأزرق البحراني وقد جمع أصحابه من جهة واحدة وهو فيهم فخرج إلى كل فرقة من هؤلاء من خف من ضعفاء أهل البصرة وقد جهدهم الجوع والحصار وتفرقت الخيل التي كانت مع بغراج فرقتين فرقة صارت إلى ناحية المربد وفرقة صارت إلى ناحية الخريبة وقاتل من ورد ناحية بني سعد جماعة من مقاتلة السعدية فتح غلام أبي شيث وصحبه فلم يغن قليل من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئا وهجم القوم بخيلهم ورجلهم

قال ابن سمعان فإني يومئذ لفي المسجد الجامع إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه زهران والمربد وبني حمان في وقت واحد كأن موقديها كانوا على ميعاد وذلك صدر يوم الجمعة وجل الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك وسعى من كان في المسجد الجامع إلى منازلهم ومضيت مبادرا إلى منزلي وهو ." (١)

" بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ولم يقف أحد منهم على من يقوده ويرأسه فزاد ذلك في جزعه وارتياعه فبادر بالإرسال إلى علي بن أبان يعلمه خبر الجيش الوارد ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ووافى الجيش فأناخ بإزائه فلما كان اليوم الذي كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء خرج الخبيث ليطوف في عسكره ماشيا ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومن هو مقيم بإزائه من أهل حربه وقد كانت السماء مطرت في ذلك اليوم مطرا خفيفا والأرض ثرية تزل عنها الأقدام فطوف ساعة من أول النهار ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤٨٤/٥

لينفذ كتابا إلى علي بن أبان يعلمه ما قد أطله من الجيش ويأمره بتقديم من قدر على تقديمه من الرجال فإنه لفي ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دلف وهو أحد قواد السودان فقال له إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزنج وليس في وجوههم من يردهم حتى انتهوا إلى الحبل الرابع فصاح به وانتهره وقال اغرب عني فإنك كاذب فيما حكيت وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيت من الجمع فانخلع قلبك ولست تدري ما تقول فخرج أبو دلف من بين يديه وأقبل على كاتبه وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجان بالنداء في الزنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب فأتاه السجان فأخبره أنه قد ندب الزنج فخرجوا وإن أصحابه قد ظفروا بسميريتين فأمره بالرجوع لتحريك الرجالة فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى أصيب مفلح بسهم غرب لا يعرف الرامي به ووقعت الهزيمة وقوي الزنج على أهل حربهم فنالوهم بما نالوهم به من القتل ووافى الخبيث زنجه بالرؤوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه فكثرت الرؤوس يومئذ حتى ملأت كل شيء وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم

وأتي الخائن بأسير من أبناء الفراغنة فسأله عن رأس الجيش فأعلمه بمكان أبي أحمد ومفلح فارتاع لذكر أبي أحمد وكان إذا راعه أمر كذب به فقال ليس في الجيش غير مفلح لأني لست أسمع الذكر إلا له ولو كان في الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد ولما كان مفلح إلا تابعا له ومضافا إلى صحبته

وقد كان أهل عسكر الخبيث لما خرج عليهم أصحاب أبي أحمد جزعوا جزعا شديدا وهربوا من منازلهم ولجؤوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ولا جسر يومئذ عليه فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيرا حتى وافاه علي بن أبان في جمع من أصحابه فوافاه وقد استغنى عنه ولم يلبث مفلح أن مات وتحيز أبو أحمد إلى الأبلة ليجمع ما فرقت الهزيمة منه ويجدد الاستعداد ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به

قال محمد بن الحسن فكان الخبيث لا يدري كيف قتل مفلح فلما بلغه أنه أصيب بسهم ولم ير أحدا ينتحل رميه ادعى أنه كان الرامي له

قال فسمعته يقول سقط بين يدي سهم فأتاني به واح خادمي فدفعه إلي فرميت به فأصبت مفلحا

قال محمد وكذب في ذلك لأني كنت حاضرا ذلك المشهد وما زال عن فرسه حتى أتاه المخبر بخبر الهزيمة وأتي بالرؤوس وانقضت الحرب

وفي هذه السنة **وقع الوباء في** الناس في كور دجلة فهلك فيها خلق كثير في مدينة السلام وسامرا وواسط وغيرها ." (١)

" أصحابه فأمرهم بالانصراف وقال لهم إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه

فأخبرني الذي ذكر لي ذلك أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجالهن دعوه يدخل هذا الطريق فإنه إن دخل كفيناكم أمره وعلينا أخذه وأسره لكم فلما انصرف راجعا وشخص عن حدود طبرستان عرض رجاله ففقد منهم فيما قيل لي أربعين ألفا وانصرف عنها وقد ذهب عظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال

وذكر أنه كتب إلى السلطان كتابا يذكر فيه مسيره إلى الحسن بن زيد وأنه سار من جرجان إلى طميس فافتتحها ثم سار إلى سارية وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر ورفع المعابر وعور الطريق وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصنا بأودية عظام وقد مالأه خرشاد بن جيلاو صاحب الديلم فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخرسانية والقمية والجبلية والشأمية والجزرية فهزمته وقتلت عدة لم يبلغها بعهدي عدة وأسرت سبعين من الطالبيين وذلك في رجب وسار الحسن بن زيد إلى الشرز ومعه الديلم

وفي هذه السنة **اشتد الغلاء في** عامة بلاد الإسلام فانجلى فيما ذكر عن مكة من **شدة الغلاء من** كان بها مجاورا إلى المدينة وغيرها من البلدان ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيما وهو بريه وارتفع السعر ببغداد فبلغ الكر الشعير عشرين ومائة دينار والحنطة خمسين ومائة دينار ودام ذلك شهورا

وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص فاستعمل عليها بكتمر

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طبرستان إلى ناحية الري وكان السبب في مصيره إليها فيما ذكر لي مصير عبد الله السجزي إلى الصلابي مستجيرا به من يعقوب لما هزم يعقوب الحسن بن زيد فلما صار يعقوب إلى خوار الري كتب إلى الصلابي يخيره بين تسليم عبد الله السجزي إليه حتى ينصرف عنه ويرتحل عن عمله وبين أن يأذن بحربه فاختار الصلابي فيما قيل لي تسليم عبد الله فسلمه إليه فقتله يعقوب وانصرف عن عمل الصلابي

وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي

ذكر الخبر عن سبب مقتله

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٤٩٠

ذكر أن العلاء بن أحمد فلج وتعطل فكتب السلطان إلى أبي الرديني عمر بن علي بن مر بولاية أذربيجان وكانت قبل إلى العلاء فصار أبو الرديني إليها ليتسلمها من العلاء فخرج العلاء في قبة في شهر رمضان لحرب أبي الرديني ومع أبي الرديني جماعة من الشراة وغيرهم فقتل العلاء

فذكر أنه وجه عدة من الرجال في حمل ما خلف العلاء فحمل من قلعته ما بلغت قيمته ألفي وسبعمائة ألف درهم

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين

وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي المعروف ببريه ." (١)

" ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيه من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان فيما ذكر **بوقوع الوباء بأذربيجان** فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به الموتى فكفنوا في الأكسية واللبود ثم صاروا إلى أن لم يجدوا من يدفن الموتى فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق

وفيها دخل أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فارس وأخرجوا منها عمال السلطان وذلك لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها

وفيها توفي محمد بن أبي الساج الملقب بأفشين بأذربيجان فاجتمع غلمانه وجماعة من أصحابه فأمروا عليهم ديوداد بن محمد واعتزلهم يوسف بن أبي الساج على الخلاف لهم

ولليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر ورد كتاب صاحب البريد بالأهواز يذكر فيه أن أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث صاروا إلى سنبيل يريدون الأهواز

وفي أول جمادى الأولى أدخل عمرو بن الليث عبد الله بن الفتح الموجه كان إلى إسماعيل بن أحمد بغداد وأشناس غلام إسماعيل بن أحمد وذكر لى ان اسماعيل بن احمد خيره بين المقام عنده أسيرا وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين فاختار توجيهه فوجهه

ولليلتين خلتا من جمادى الآخرة ورد فيما ذكر كتاب صاحب بريد الأهواز منها يذكر أن كتاب إسماعيل بن أحمد ورد على طاهر بن محمد بن عمرو يعلمه أن السلطان ولاه سجستان وأمره بالخروج

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٠٠

إليها وأنه خارج إليه إلى فارس ليوقع به ثم ينصرف إلى سجستان وأن طاهرا خرج لذلك وكتب إلى ابن عمه وكان مقيما بأرجان في عسكره يأمره بالانصراف إليه إلى فارس بمن معه

وفيها ولى المعتضد مولاه بدرا فارس وأمره بالشخوص إليها لما بلغه من تغلب طاهر بن محمد عليها وخلع عليه لتسع خلون من جمادى الأخرة وضم إليه جماعة من القواد فشخص في جيش عظيم من الجند والغلمان

ولعشر خلون من جمادى الآخرة منها خرج عبد الله بن الفتح وأشناس غلام إسماعيل إلى إسماعيل بن أحمد بن سامان بخلع من المعتضد حملها إليه وببدنة وتاج وسيف من ذهب مركب على جميع ذلك جوهر ." (١)

" ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه إياه مع ابنيه عبد الله وعبد الواحد وتصييره علي بن عيسى بن داود بن الجراح له وزيرا

وفيها كثر **أيضا الوباء ببغداد** فكان بها منه نوع سموه حنينا ومنه نوع سموه الماسرا فأما الحنين فكانت سليمة وأما الماسرا فكانت طاعونا قتالة

وفيها أحضر دار الوزير علي بن عيسى رجل ذكر أنه يعرف بالحلاج ويكنى أبا محمد مشعوذ ومعه صاحب له سمعت جماعة من الناس يزعمون أنه يدعي الربوبية فصلب هو وصاحبه ثلاثة أيام كل يوم من ذلك من أوله إلى انتصافه ثم ينزل بهما فيؤمر بهما إلى الحبس فحبس مدة طويلة فافتتن به جماعة منهم نصر القشوري وغيره إلى أن ضج الناس ودعوا على من يعيبه وفحش أمره وأخرج من الحبس فقطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه ثم أحرق بالنار

وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان بن حمدون فورد كتاب من طرسوس يذكر فيه أنه فتح حصونا كثيرة وقتل من الروم خلقا كثيرا

وفيها قتل أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر قتله غلام له تركي أخص غلمانه به ذبحا هو وغلامان معه دخلوا عليه في قبته ثم هربوا فلم يدركوا

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٦٣٦

وفيها وقع الاختلاف بين نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد وعم أبيه إسحاق بن أحمد فكان مع نصر بن أحمد غلمان أبيه وكتابه وجماعة من قواده والأموال والكراع والسلاح وانحاز بعد قتال أبيه إلى بخارى وإسحاق بن أحمد بسمرقند وهو عليل من نقرس به فدعا الناس بسمرقند إلى مبايعته على الرئاسة عليهم وبعث كل واحد منهما إلى السلطان كتبه خاطبا على نفسه عمل إسماعيل بن أحمد وأنفذ إسحاق كتبه فيما ذكر إلى عمران المرزباني لإيصالها إلى السلطان ففعل ذلك وأنفذ نصر بن أحمد بن إسماعيل كتبه إلى حماد بن أحمد ليتولى إيصالها إلى السلطان ففعل

وفيها كانت وقعة بين نصر بن أحمد بن إسماعيل وأصحابه من أهل بخارى وإسحاق بن أحمد عم أبيه وأصحابه من أهل سمرقند لأربع عشرة بقيت من شعبان منها هزم فيها نصر وأصحابه إسحاق وأهل سمرقند ومن كان قد انضم إليه من أهل تلك النواحي وتفرقوا عنه هاربين وكانت هذه الوقعة بينهم على باب ." (١)

"فاما قيم الجواهر فليس لها قانون ثابت على حال لايتعير باختلاف الامكنة ومضى الازمنة وتلون الشهوات بحسب الامزجة وانحطاطها الى هوى الرؤساء فيها وابتياعها اياهم ثم حدود احوالها من جهة الكثرة والقلة الموجبتين فيها تداول العزة والذلة والذي سنذكره من قيمتها فهو بالاضافة الى زماننا وحواليه وببلد غزنة وما يليه والعين بعراة هراة فهو المستعمل فيه – وان عرفنا غير ذلك اشرنا اليه – فقد حكى عن المتقدمين ان قيمة وزن المثقال من البهرمان الذي لاغاية وراءه خمسة الآف دينار وقيمة نصف مثقال ألفي دينار ولا قيمة لما اتزن مثقالين والاختيار اليك في تقويمه – وذكر الجوهريون الآن ان فص الياقوت الرماني اذا كان مشبع اللون صافيا ومن معائب الثقب والنمش والحرملات والغمامات بريئا ثم كان ممسوح الوجه مستويا ومربعا مستطيلا اذا كان هو المختار من اشكاله ثم المضاربى بعده وشابه أسفله السندان فقد بلغ اقصى محامد الصفات وسموه نجما والنجم باللؤلؤ اليق من باب التشبيه الصادق – قالوا – وزن الطسوج من هذا الفص النجم الموصوف يقوم بانفراده في الابتداء بخمسة دنانير وضعفه بضعفها والدانق اعنى سدس المثقال بثلاثين دينارا وضعه باربعة أضعاف ونصف المثقال بأربع مائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال والنصف بالفى دينار – وما رأينا زعموا ارجح من هذا المقدار بتلمك الصفات على ان المثقال منه نادر كندرة اللؤلؤ المختار الموازن اياه – ودانق الياقوت اعز واشرف في تزايد الوزن من دانق اللؤلؤ قالوا والمثقال من البهرمان الذي وصفوه دون الرماني بدرجة يسوى بحسب ذلك ثماني مائة دينار – ومن

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦٧٧/٥

الارجواني خمي مائة دينار ومن كل واحد من اللحمى والجلنارى مائة دينار ويقاربهما الوردى الصافى وربما اتفق فيما عدا الرماني من الانواع ما يتزن عشرين مثقالا الى ثلاثين مثقالا – قال الكندى – في أعظم ما رأينا في الاحمر وزن مثقال وثلث وارجح منه قليلا وأما سماعه وحكاية فعشرة مثاقيل وأعظم ما رأينا من الوردى ثلاثون مثقالا – وقال نصر – جودة الياقوت في الشبع من اللون واستكمال الماء والرونق والصفاء والشعاع والبراءة من المعائب فعلى هذا الاصل يتبع العلو **في الغلاء استيفاء** هذه الصفات ويوجب **البهرمان الغلاء ثم** العصفرى بعده ثم الجمرى ثم الوردى – ومعلوم ان كل ما شبه به من الوردى والاصفرى واللحمى انواعا يختلف فيها اللون ومثاله الوردى – فانا نأخذ من الابيض اليقق ثم يشرب حمرة يسيرة ويزيد فيها الى ان شيابه الخدود الحمر ثم يزداد حتى يقارب الشقائق ويميل الى شيء من السواد فكما انه يعنى بتفضيل الوان اليواقيت بتشبيهها كذلك واجب على المعتنى بالتقرير والتفهيم بنوع المشبه به ويجتهد بتقرير حاله وضروبه وامكنته – ووقع الى كتاب مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيم الجواهر وقته دلت على ان الياقوت الاحمر وفائق اللؤلؤ كانا زمانئذ في القيمة ومقدار الثمن كفرسي رهان – وسأذكر في مل باب من ذلك ما هو وفقه ولفقه –

أشباه اليواقيت

ومن اشباه اليواقيت الاحمر يسمى كركند اي الياقوت الاصم لانه منعقد ضعيف الشفاف كدر لايجاوز قيمته اى كهب قال الكندى؟ واجود انواع الكركند واشدها شبها بالياقوت العصفرى هو المعروف بالسندبا وله شعاع ما ومنه ما يجلى بجلود الجرب وهو ارخاها واردأها – وبعده نوع شبيه بالملح لايقبل الجلاء وهو اخس اصنافه – ومن الاشباه نوع يوجد في معادن الياقوت يسمى كربز سهل المكسر وردى اللون حسن المنظر ولليته يغلبه كركند حتى يكسره وان لم يساوه في الحسن – وله مراتب كمراتب الياقوت وبهرمانه يشلبه البهرمان الغاية من الياقوت حتى ربما انه ذهب امره على كثير من مبرزى الجوهريين اذا تغافلوا عن تحقيق امنحانه فراح عليهم ياقوتا – وهذا الكربز لايختص بمشابه الاحمر فانما له ألوان تشبه بكل واحد منها نظيره من الوان اليواقيت – قال حمزة في صفته؟ انه نوع من الجواهر ظاهره كالياقوت ولامرجوح له ويعرب على الجربز فقال للرجل الخب كربز وجربز وكرك بزد – وذكر الكندى في اشباه الياقوت الاحمر الا فلح الاحمر يغلط المبرزين تغليط الكربز اياهم – وما نحكيه عن الكندى فاكثر الأسامى فيه منقول عن كتابة غير مسموع على فساد نسخته التي معنا والاعتراف ابلغ الاعتذار." (١)

---

(١) الجماهر في معرفة الجواهر، ص/٢٢

"أشاد فيها بموقف الشعب التركي إلى جانب الجيش الليبي، في مواجهة المحتلين الإيطاليين في (درنة) كما أشاد في سواها عموما بالمقاومة العربية الشعبية في تصديها لهؤلاء المحتلين شعرا، ونثرا، فكتب في جريدة (الحضارة) في عددها:(١٣٢) س:٣، الصادر في (١٧ تشرين أول ١٩١٢)، مقالا بعنوان "ليتقوا الله في طرابلس"، ختمه بيتين له، أعلن فيه أن المنطقة باتت مسرحا "لتوغل المجاهدين الأبطال، وزحفهم على عدوهم.. إن إيطاليا ليست بفاتحة طرابلس الغرب وبرقة كما تدعي، وأن قانون إلحاق طرابلس الغرب وبرقة، ليتمسكوا بعدم إعطاء العدو اليوم ما منعوه أمس.. إني أول من يودع الشرق إن ظهرت خبايا مذكرات الصلح على ما يرضي الأعداء، ويسيء للشرق ويذهب بسمعته، كما ودعت مراكش قبلها"(٢٠)، و(تونس) و(الجزائر) التي كان احتلالها **بداية الوباء الأوروبي** الاحتلالي في (المغرب العربي) فقال في خاتمة مقاله:

فـإن يك قومنا أضحوا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
وإلا فالحقوا الموتى وقولوا ... على الإسلام والعرب السلام

ولا يلبث الشاعر عبر ذلك حتى يدخل في دوامة من الحيرة تشبه (مندبة) على (أمة) أضاعها بئس (الخلف) في عمل وسياسة، لنعم (السلف) في أفعاله وأقواله:

يا شرقنا هل هذي المصائب تنجلي ... أو ينتهي الغليان من ذا المرجل
يا شرقنا إني ظننتك ناهضا ... فجعلت ظني الماء وسط المنخل
يا شرقنا يكفيك ما هو حاصل ... فأعد فعال السالفين البسل
وانهض فديتك واتخذ لك قوة ... مقرونة بالسعي دون تمهل(٢١).

ثم يغدو إحساسه بالتآمر على الإسلام شديدا، وهو يخمن (المآمرة) في (تركيا) على وحدة المسلمين، تحت راية العقيدة الإسلامية، فقال في قصيدته "دمعة علىالملة" بجريدته (الفاروق) سنة (١٩١٣):

بكائي عليها، لا على الخل والحمى ... وخوفي عليها لا أريد سواها

ألا يابني السمحاء هلا شعرتم ... بذي الذلة الكبرى، وحر لظاها
وهل ملة الإسلام ترضى بذلكم ... وقد أكرمت أسلافكم بنهاها." (١)

"ثم جاء بهبل من أرض هيت إلى مكة، وقال للعرب ان أساف ونائلة، انما أوقفهما إبراهيم واسماعيل أساف ونائلة، فأطاعت العرب أمره، وكسا من كل حج تلك السنة ثلاثة أثواب، من برود اليمن؛ فحمدت العرب فعله، ورضيت امره. وكانت جرهم قد حلت لأساف ونائلة بين الصفاوالمروة فوقفهما تجاه الكعبة عند موضع زمزم، لا نعرف لان العماليق لما أحسوا بغلبة جرهم ردمت زمزم وطمست آثارها وكانت تذبح بين أساف ونائلة من كانت عليه ذبيحته، وجعل هبل في جوف الكعبة يقتسمون عنده باللازلام.

ولم يزل عمرو بن لحي يلي بالبيت وولده من بعده كابرا عن كابر، وأولا عن آخر خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم جليل بن حبيشة بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن لحي فعمرو بن ربيعة لحي، هذا ومن ولده اكثر بطون خزاعة. وفيه وفي ولده كانت السدانة.

كعب بن عمرو بن ربيعة

فأما كعب بن عمرو بن ربيعة بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر، فولد خمسة نفر سلول بن كعب، وحبشية بن كعب، وسعد بن كعب، والحارث بن كعب، ومازن بن كعب.

وسلول: فعلول. أما من السلة وهي السرقة، واما من قولهم سللت الشيء من الشيء، اسله سلا. ويقولون في بني وفيك أي سرقة وسليل الرجل ولده وهو السلالة ايضا، والسال مسيل ماء دقيق والجمع سلال. وفي نسخة سال سلان مثل عال علان، والاسل الرماح شبهت بنبات الأسل المعروف في الآجام، وحبشة حزب من النمل الكبار.

فأما سلول بن كعب، فمنهم جليل بن حبشية بن سلول بن كعب. وجليل: أما تصغير جل. أو تصغير أجل وهو المسترخي العصب من القوم في الدواب، فرس أجل، والخلط القوم المجتمعون في محلتهم، والحلال ضد الحرام، وأحل المحرم إحلالا، وحل المكان حلولا، وحل الدين محلا، وحللت العقد حلا.

وكان لجليل بن حبشية، سدانة الكعبة، ومن بعده رجعت سدانة الكعبة إلى قصي بن كلاب، وولده، وذلك ان قصي بن كلاب تزوج حتى بنت جليل، وكان آنذاك سدانة البيت إلى قصي بن كلاب وولده، والبيت بيد جليل بن حبشية، فلما حضرته الوفاة جعل ولاية البيت إلى ابنته حتى، فقالت: لا أقدر على فتح البيت واغلاقه، فجعل معها ابا غبشان، واسمه: سليم بن عمرو، ويقال المحترش بن عمرو بن ثور بن ملكان بن

---

(١) الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، ص/١٠٣

اقصى بن خزاعة، وكانت حتى ربما اشتغلت في بعض اشغال النساء، تدفع مفتاح البيت إلى قصي فيفتحه، فلم يزل كذلك حتى ولدت من قصي: عبد الدار وعبد مناف، وعبد العزى.

فلما كثر ولقد قصي وكثر ماله، وعظم شرفه رأى انه اولى بأمر الكعبة من خزاعة، وقد كان اولاد جليل بن حبشية الذكور قد ارتحلوا من مكة إلى مر الظهران فرارا من وباء قد وقع بمكة، وكان جليل بن حبشية قد تخلف مفردا مع ابنته حتى زوجة قصي، فحضرته الوفاة وهو معها، ولم يكن احد من اولاده الذكور حاضرا معه فلأجل ذلك اوصى إلى ابنته حتى، ودفع اليها مفاتيح الكعبة، وجعل عندها اباغيشان معينا لها على فتح البيت وغلقه، وقال لها: إذا إذا رفع الله **هذا الوباء ولم** يبقى داء فابعثي إلى اخوتك فادفعي هذه المفاتيح الهم ليكونوا مكاني. فلما مات ورجع امر حتى إلى زوجها قصي بن كلاب، وكثر ولده وطال التنحي بولد جليل بن حيشية. ورأى قصي انه اولى بامر الكعبة من خزاعة، فقال عند ذلك قصي، لعبد الدار ولده وهو ابن حتى، وكان اكبر ولده: يا بني لو سألت امك ان تصير اليك مفاتيح الكعبة فتكون في يدك، فإذا رجع اخوالك اخوتها رددت ذلك اليها، فسلمته اليهم. فسألها ولدها عبد الدار ذلك ففعلت له، واجابت ذلك، ودفعت اليه المفاتيح، ثم ان قصيا جعل يتلطف لابي غيشان وختدعه حتى اشترى منه ما كان له من معاونة حتى فثبتت في اديهم غدرا واختداعا.

ففي ذلك يقول بعض شعرائهم ينفي الظلم عن قصي بن كلاب:

ابوغبشان اظلم من قصي ... وأظلم من بني فز خزاعة

فلا تحلوا قصيا من شره ... ولوموا شيخكم إذ كان باعه." (١)

"فلما ارتفع الداء وتخم الوباء، وعاد بنو الخيلل بن حبشية يطلبون إلى اخنهم المفاتيح، فامتنع بها قصي بن كلاب والاده وثبتت في ايديهم، فعزمت خزاعة على حرب قصي، وكلم قصي رجلا من قريش وبني كنانة، وقال لهم ان البيت مأثرة وزمزم سقي إسماعيل، وانما الغيب امرها عن الناس إذ سكنها غير ولد إسماعيل ان يظهرها الله لهم، كما سقاها جرهم، ثم دعاهم إلى اخراج خزاعة وبني البكر من مناة بن كنانة من مكة، فأجابته قريش وبنو كنانة إلى ذلك، وزاعانه على ذلك اخوه رزاح بن ربيعة بن حزام العذري، واستنصر قومه ولده عذرة وقبائل ققضاعة، فأجابوه ونصروه، حتى صارت في ايدي قصي وولده إلى يومنا هذا.

وانما اخرج الله مكة من يدي خزاعة، لما كثر بغيهم وظلمهم، كما اخرج جرهما والعماليق من قبلهم، وكانت

---

(١) الأنساب للصحاري، ص/١٩٢

مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظال ولا باغي، ولا يبغي فيها الا اخرجته، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا اهلك مكانه. وكانت العرب تسميها الباسة.

قال هشام الكلبي، واخبرني ابو عبيدة، ان بكة، اسم لبطن مكة لانها يباكون فيها، أي يزدحمون فيها. كما في الشعر:

إذا الشريب اخذته اكة ... فخله حتى يبك بكة

ويقال انما سميت بكة، لانها كانت تبك اعناق الجبابرة، إذا احدثوا فيها بظلم، وكان كل من ظلم صام شهر رجب، ثم تقدم إلى الكعبة في آخر الشهر، فيدعو على ظالمه، فينتقم له من ساعته، فيمتنع الناس من الظلم بعضهم لبعض، فانما انقطع هذا في الاسلام لأن المسلمين قد آمنوا بالبعث والجزاء في الآخرة، فأخر الله لهم الانتفام منهم ليكف ظالمهم وتتمنع ملوكهم وأقويائهم م ظلم ضعفائهم لئلا يكثر في الارض الفساد، وذلك تقدير العزيز العليم.

ولد جليل بن حبشية

كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبد تميم بن جليل بن حبشية، وهو الذي اقتفى اثر النبي صلى الله عليه وسلم، حين انتهى إلى الغار، الذي استخفى فيه، فرأى عليه نسج العنكبوت، وراى دونه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفها، وقال هذه قدم محمد ومنها انقطع الاثر، وهو الذي كتب معاوية، وهو إذ ذاك إلى عامله بالمدينة يأمر ان كان كرز حيا يكلفه اقامة معالم الحرم لمعرفته بها. وكان معمرا فأقامهم عليها، وهي مواضع الانصاف.

٢ - بنو كعب

عمرو نب سالم الكعبي، ويقال المليحي، ومن بني مليح بن عمرو بن ربيعة بن لحي. وهو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم البالمدينة يشكو اليه من قريش وبني بكر بن كنانة، وكان سبب ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في يوم الحديبية: من كان على دين الله ودين رسوله، وحلف بيته، فليقم فقامت خزاعة لله ورسوله. وكان على عهد الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم، ان لا يغادر على حلفائه. وقيل في ذلك الوقت من كان على عهد قريش وعقدهم فليقم، فقامت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم. فبينما نفر من خزاعة، بعد ذلك، ونفر من بني بكر جلوسا، إذا انشد رجل من بني بكر قاله في النبي صلى الله عليه وسلم.

والبكري الذي انشد هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، انس بن أبي زنيم الديلي، فغضب لذلك رجل

من خزاعة، فقام إلى انس فلطمه، واستجاش البكريون، فانحازت خزاعة إلى بشر بن سفيان بن عمرو بن عديم بن صرمة بن عبد الله بن عمير بن حبشية بن سلول فاغار على بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، واصابوا غنائم فبهث بها بشر بن سفيان يبيعها بمكة.

وكانت خزاعة لما اغاروا على الدليل قتلوا: سلمى بن نوفل سيد كنانة، وذؤيب بن كلثوم في قتلى كثيرة من بني الدليل، واقبلت بنو كنانة النفر من خزاعة بمكة فقتلوا منهم قوما، وانحاز الباقون إلى دار بديل بن ورقا الخزاعي. وهذه رواية أبي عمرو الشيباني.

واما غيره فيقول: لما اصابت خزاعة من بني الدليل، ما اصابت خرج عمرو بن معاوبة الديلي، حتى ثبت خزاعة في جماعة من قومه على الوبير فأصاب منهم رجلا ورفده قوم من قريش مستخفين بالسلاح، فاستجاشوا مع الكنانيين على خزاعة فنشبت الحرب بينهم. وكان الخزاعيون نفرا قليلا فنالوا منهم جراحات وقتلوا منهم رجلا، وقد كانت الهدنة التي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم.." (١)

"ووقع بمكة رعاف شديد، ووباء، فأخرج خليل ولده من بطن مكة إلى مر الظهران، فرارا من الوباء، فارتحلوا عنه، وتخلف خليل مفردا مع ابنته " حتى " ، زوجة قصي. فمات خليل في **ذلك الوباء بعد** أولاده الذكور، فأوصى إلى ابنته " حتى " ، ودفع إليها مفاتيح الكعبة. وقال: إذا رفع الله هذا الوباء، ولم يبق داء فابعثي إلى اخوتك، فادفعي إلى اخوتك هذه المفاتيح اليهم ليكونوا مكاني، ولتبق سدانة البيت فيهم. وأكد عليها العهد ووثق بها بوفائها. فلما وصل وصارت المفاتيح إلى " حتى " ، طال التناحي باخوتها عن البيت، حذر الوباء.

قال قصي لعبد الدار، ولده، وهو ابن حتى، وكان أكبر ولده: لو سألت أمك ان تصير إليك مفاتيح الكعبة، فتكون في يدك، فإذا رجع أخوالك، اخوتها، رددت ذلك اليها فسلمته إليهم. فسألها ولدها عبد الدار، ففعلت له وأجابت ولدها فدفعت المفاتيح اليه، وهو عبد الدار بن قصي بن كلاب.

فلما ارتفع الداء. ونجم الوباء. عاد بنو خليل بن حبشية، يطلبون إلى أختهم المفاتيح، فامتنع بها قصي، وأولاده، فثبت في ايديهم غدرا لا غلبة يد ولا حق، على ما شرحت لك من أمرها إلى اليوم. وفي ذلك يقول زهير بن خداس العامري في منافرة حرب، بين قومه وبين ولده قصي:

بصهركم في لحي كعب بلغتم ... سدانة بيت الله غدار بلا غصب

فما نلتموها باغتصاب فتفخروا ... ولا جرأة الا بصهر بني كعب

---

(١) الأنساب للصحاري، ص/١٩٣

ولولا رزاح في كتائب قومه ... لكنتم عبيدا بالصفاح لدى الشعب

ولولا الإطالة لتقصيت الحديث والشرح، ولجئت بما يدلك زيادة على ما أوردت، لكن حذر الإطالة، اوردت هذه اللمع، وان جاء في هذا الكتاب تكرير لهذه الاقاصيص أعدتها وشرحتها ان شاء الله.

٣ - خبر مسير الأزد حين أخرجهم سيل العرم وتفرقهم في البلاد

قال: ثم أن الأزد لما خرجوا من جنتي مأرب حين احسوا سيل العرم، وساروا في مسيرهم ذلك، حتى وصلوا إلى مكة وبها يومئذ جرهم بن قحطان. وكان من امرهم ما قصصناه، فأقامت الأزد بمكة حتى أتتهم روادهم، فعند ذلك افترقوا من مكة فرقا، كما ذكرناه في أصل القصة. فكان كل فرق منهم في أرض وبلاد ز فمنهم من نزل السروات. ثم افترقوا من السروات. فسار بعضهم إلى عمان، وأقام منهم من أقام بالسروات، ونزل بعضهم السهل. ومنهم من تخلف بمكة، وما حولها. ومنهم من سار إلى يثرب. ومنهم من خرج إلى العراق. وسار ثعلبة وجفنة إبنا عمرو بن عامر، ومن بقي من إخوتهم وقومهم، فنزلوا بالمشلل نبين قديد والجحفة، على ماء يقال له غسان، فاقاموا به زمانا، فسموا بذلك الماء غسانا. وقد ذكرنا الاختلاف في تسميتهم غسانا في موضع قبل هذا. ثم انهم نهضوا من بعد ذلك حتى لحقوا بأرض الشام: وكان منهم ملوك غسان بالشام وكان من أمرهم ما قد ذكرنا، قبل هذا.

وكان نزول غسان الشام، في عهد عيسى بن مريم، عليه السلام، وأن غسان إنما نزلت الشام، بعد مسير الأزد من مأرب ونزول الأزد في البلدان، من نزل منهم بالسراة، وعمان، وبطن مر ويثرب، والعراق.

وقال بعضهم ان الأزد خرجت من مأرب، ومعها قضاعة، افترقت، فنزل وادعة بن عمرو بن عامر أرض ضوار، فصاروا مع همدان. ونزل عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد شمام، وشردد، ومرد، وهذه أرضون من تهامة على ساحل البحر. ثم سار الباقون من الأزد حتى نزلوا الناصف من أبيدة، وهو واد فيما بين نجد والسروات في سند جبل السراة، وهو احد مجامع شتوة اليوم، الذي يجمعهم فيه المصدق.

وافترقت الأزد من أبيدة، فرقا ثلاثا: فسارت فرقة منهم، ومعهم مهرة بن جيدان بن عمرو بن الحاف، وقضاعة بن مالك بن حمير، ومالك وعمرو ابنا فهم تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قظاعة، في قبائل قضاعة ومن استجمع معهم من اليمن، وقد ملكوا عليهم مالك بن فهم الأزدي، فسار بهم مالك بن فهم على اليمانية. ثم سار بهم على برهوت، وهو واد بحضرموت، ثم جنب الخيل وامتطى الابل،

وجعل على مقدمته ابنه هناة بن مالك في ألفي فارس من صناديد الازد وفرسانهم، وجعل يجد السير حتى انصب على عمان في طريق الشحر، وقد تخلفت مهرة فنزلت ارض الشحر.." (١)

"وقال العماد الأصفهاني: ومن دلائل سماحه ما شاهدته بالقاهرة في سنة إحدى وتسعين من مبراته الظاهرة أنه لما حط القحط رحله ووصل المحل محله، وتم الغلاء، وعم البلاء، ابتكر هذا الحاجب الكبير مكرمة لم يسبق إليها، وذلك أنه كان يخبز كل ليلة اثني عشر ألف رغيف، فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر الفقراء ثم يفتح من الباب مقدار ما يخرج منه واحد، ويعلم أنه غير عائد، فيتناول كل منهم قرصة ويرى ذلك من خيراته فرصة، فما يزال قاعدا حتى يفرق الألوف على الألوف وكان هذا دابه في **هذا الغلاء حتى** هب رخاء الرخاء، فحينئذ تنوعت صدقاته، واستغرقت بالصلات أوقاته وكان بهي الشيب نقي الجيب، قد جعل الله البركة في عمره، وخصه مدة حياته بإمرار أمره، فأنجده في أوان ضعفه بتضعيف بره (١).

---

(١) المصدر نفسه (٤/٤٦٧).." (٢)

"١- غلاء وفناء ووباء: في سنة ٥٩٧هـ **اشتد الغلاء بأرض** مصر جدا، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل (١) أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت (٢) وأكلت الكلاب والميتات في هذه السنة بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير يشويه والداه ويأكلانه، وكثر هذا في الناس حتى صار لا ينكر بينهم، ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضا، فيأكلون من يقدرون عليه ومن غلب من قوى ضعيفا ذبحه وأكله وكان الرجل يضيف صاحبه فإذا خلا به ذبحه وأكله ووجد عنده بعضهم أربعمائة رأس وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى، فيذبحون ويؤكلون، وقد استدعى رجل طبيبا فخاف الطبيب وذهب معه على وجل، فجعل الرجل يتصدق على من وجده في الطريق ويذكر ويسبح ويكثر من ذلك، فارتاب به الطبيب وتخيل ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه، فلما وصل إلى الدار إذا هي خربة، فارتاب أيضا، فخرج رجل من الدار، فقال لصحابه: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد. فلما سمعها الطبيب هرب، فخرجا خلفه سراعا فما خلص إلا بعد جهد جهيد وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين

---

(١) الأنساب للصحاري، ص/٢٣٣

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١/٥٥

الحجاز واليمن وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة قرية، ولم يبق فيها ديار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد (٣).

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٩ البداية والنهاية (٧٠٣/١٦).
(٢) جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك لابن إياس ص ١٠٠.
(٣) البداية والنهاية (٤٥٧/١٦).." [1]
."

ش- ومن شمائله: قال الضياء : ما أعرف أحدا من أهل السنة رآه إلا أحبه ومدحه كثيرا، سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان قال : كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد، أن يملكها لملكها. قال الضياء: ولما وصل إلى مصر كنابها، فكان إذا خرج للجمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق، يتبركون به ويجتمعون حوله، وكنا أحداثا نكتب الحديث حوله، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فتبسم ولم يحرد (١) علينا، وكان سخيا جوادا لا يدخر دينارا ولا درهما مهما حصل أخرجه، لقد سمعت عنه أنه يخرج في الليل بقفاف الدقيق إلى بيوت متنكرا في الظلمة، فيعطيهم ولا يعرف وكان يفتح عليه بالثياب فيعطي الناس وثوبه مرقع وبعث الأفضل ابن صلاح الدين إلى الحافظ بنفقه وقمح كثير ففرقه (٢) كله وقال الضياء: سمعت أحمد بن عبد الله العراقي: حدثني منصور الغضاري قال: شاهدت **في الغلاء بمصر** وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوي ورأيت يوما قد أهدي إلى بيت الحافظ مشمش فكانوا يفرقون، فقال من حينه: فرقوا "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون "(آل عمران، آية : ٩٢) وقد فتح له بكثير من الذهب وغيره فما يترك شيئا حتى قال لي ابنه أبو الفتوح والذي يعطي الناس الكثير ونحن لا يبعث إلينا شيئا، وكنا ببغداد (٣) .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٥٧/٢١).

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١٦٥/١

(٢) المصدر نفسه (٤٥٧/٢١).

(٣) المصدر نفسه (٤٥٨/٢١).." [١]

"١- الزراعة: وكانت الزراعة تشكل نسبة كبيرة من دخل مصر والشام والجزيرة وقد تعرضت هذه البلاد إلى عدة أزمات زراعية في عهد الملك العادل وانبه الملك الكامل ولقد غز الجراد مصر والشام مرات عديدة منها عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وعام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، فأكل الزرع وقل الإنتاج وانتشر الغلاء، وازداد الفقر، والأمراض (١) وارتبطت الزراعة بالمياه، فكلما ازداد سقوط الأمطار في بلاد الشام ازداد الإنتاج، وكذلك كلما ازدادت مياه النيل، انتعشت الزراعة، ولكنها كانت تنتكس إذا انحبست الأمطار أو قلت مياه نهر النيل وتغير طعم الماء فيه، وقلت الأقوات بمصر وتزايدت الأسعار واستمر هذا الحال ثلاث سنوات متوالية، فلم تمد المياه نهر النيل إلا مدا يسيرا، فتزايدت الأسعار **وانتشر الغلاء وعظم** البلاء وفتكت الأمراض بالناس (٢) ، وانتشر الجوع حتى أكل الناس بعضهم، بل أكلوا الأموات (٣) وتكرر نقصان مياه النيل عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ودام ذلك إلى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م فأدى إلى غلاء مصر (٤) وعالج الملك الكامل أزمة الزراعة ومنع قطع الأشجار وكلف المسؤولين في الديوان بعملية مسح جميع بساتين مصر والجزيرة وسجلها في الديوان كي يعرف مقدار ما قطع من الأشجار، وأماكن قطعها وشجع زيادة الإنتاج الزراعي وزراعة النخيل ووضع تسعيرة حدد فيها سعر بيع المحاصيل الزراعية (٥) وحاول الملك الكامل حفر قنوات للري وزيادة الأراضي الزراعية ففي عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م شرع في حفر قناة للري بين المقياس وبر مصر حرصا على استمرار تدفق المياه بغزارة وافتتح بنفسه هذا العمل، ثم قسم حفر هذه القناة على الدور بالقاهرة والروضة بالتساوي

---

(١) النجوم الزاهرة (٢٥٣/٦) القدس بين أطماع ص ١٠٨.

(٢) مفرج الكروب (٢٢١/٣) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٣) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٤) البداية والنهاية نقلا عن القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٥) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.." [٢]

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١٧٦/١

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٢٤٣/١

"أ- **ظاهرة الغلاء والأوبئة** والمجاعات : تعد الحياة الاقتصادية في أي مجتمع إنساني أكثر تأثرا بالوضع السائد في المجتمع، إذ يرتبط الاستقرار الاقتصادي طرديا بالإزدهار السياسي في المجتمع، وتعد الأزمات السياسية الحروب سببا في حدوث الاضطراب الاقتصادي وارتفاع الأسعار، والتهافت على شراء الأقوات، **وكان الغلاء من** أكثر الظواهر الاقتصادية إضرارا بالعامة، فعانى الناس من الجوع والمرض، فقد انخفضت مياه النيل في عامي ١٢٠٠م/١٢٠١م وانتشرت **المجاعة** والأمراض وهجر كثير من الناس مصر إلى أقطار أخرى بحثا عن الطعام (١) ويمكن أن نعزو **أسباب الغلاء وإرتفاع** الأسعار إلى عاملين رئيسين:

- يعتبر منسوب مياه النيل العامل الأول: إذ أن هبوط النيل أو زيادته على المنسوب العادي للفيضان في فصل الصيف يمثل خطرا حقيقيا على الحياة المصرية آنذاك، إذ لم يعتمد الأهالي خزن المياه الزائدة في سدود لاستخدامها في وقت التحاريق لذلك كان السكان يخشون الفيضان ويعدونه كارثة عليهم، إذا أن النيل هو مصدر المياه الوحيد في مصر تقريبا، فإذا قصر الوفاء فإن وقت الزراعة، وإذا زاد على حده العادي أغرق الحقول، وجعلها غير صالحة للزراعة، وعندما تقل مياه النهر عن الحد اللازم للزراعة تنتاب الناس مخاوف من حدوث **المجاعة**، ويكثر قلقهم، خوفا من الجوع لعدم زراعة المحاصيل، لذلك كان السكان يسارعون لتخزين الغلال طمعا في الحصول على مزيد في الأرباح من طريق رفع الأسعار ونتيجة لذلك يشتد الإقبال على شراء الغلال، بينما يقل المطروح منها في الأسواق ويشتد التزاحم على حوانيت الغلال، والأفران، مما يؤدي إلى إرتفاع الأسعار في البضائع المختلفة سواء المأكولات أو المشروبات أو الملبوسات (٢).

---

(١) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٨.

(٢) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٨.." (١)

"- ويتمثل هذا العامل بسياسة الدولة الاقتصادية المرتبطة بطبيعة النظام الإقطاعي ذي الطابع العسكري، فأصحاب الإقطاعات من قادة وأمراء جند لم يعيروا اهتماما كبيرا لاستصلاح أراضيهم وجعلها أكثر مردودا بسبب عدم استقرار هذه الإقطاعات في أيديهم (١) ، وقد ذكر المقريزي: أنه كان لأسرة بني خيار بقرة فذبحوها، وباعوها أثناء حصار دمياط عام ٦١٥هـ/١٢١٨م بثمانمائة دينار (٢) ، وأن سعر رطل السكر ارتفع إلى ٤٥٠دينارا والدجاجة إلى ٣٠دينارا وأن الجوع انتشر بشكل كبير إلى درجة إحدى السيدات المحسنات شقت جوف جمل، وملأته بالدجاج والفواكه وخاطته، ورمته في البحر، وكتبت بذلك

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٢٨٧/١

إلى أهل دمياط ليوزعوا ما فيه إلى المحتاجين (٣) **وكان الغلاء في** مصر عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م شديدا لنقص مياه النيل، فخرج العامة، وأئمة المساجد لتأدية صلاة الاستسقاء فأكل الناس الكلاب والقطط وانتشر المرض، واستمر حوالي ثلاثة أشهر، فمات خلق كثير تجاوز الحد، وقدره المقريزي بحوالي ١٢ألف نفس في القاهرة، عدا من مات في الريف (٤) ، وقدره ابن تغري، بردي بحوالي ثلاثين ألفا (٥).

ب- السخرة: استخدم الملك الكامل الناس للعمل دون أجر لبناء الجسور العامة والسدود والعمل في الإقطاعات، والمرافق العامة التي تظهر فائدتها في السكان(٦).

ج- الرشوة: انتشرت بين بعض كبار المسؤولين، وليس أدل على ذلك من قول المقريزي : تقدم الأنباء كيرلس داود بن لقلق بطرك الإسكندرية بالرشوة، وأنه أخذ الشرطونية عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م (٧) .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٩.

(٢) الخطط (٣٩٩/١) القدس بين أطماع ص ١٢٩.

(٣) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٩.

(٤) السلوك (٢٩١/١)

(٥) النجوم الزاهرة (٢٨٧/٦) القدس بين أطماع ص ١٢٩

(٦) القدس بين أطماع ص ١٣٠.

(٧) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٣٠.." [1]

"باب توماء وباب السلامة، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران وافتقر كثير من الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون (١) بعد معركة غزة سارع القائد المصري بيبرس إلى الإستيلاء على غزة والساحل، والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار ثم حاصر دمشق وفيها صاحبها الصالح إسماعيل وإبراهيم بن شيركوه صاحب حمص، ولما ضاق صاحب دمشق بالحصار ذرعا سير وزيره أمين الدولة إلى العراق متشفعا بالخليفة العباسي ليصلح بينه وبين ابن أخيه الصالح أيوب، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك، وبعد حصار دام ستة أشهر استسلمت دمشق في الثامن من جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ/الأول من تشرين الأول سنة ١٢٤٥ن وعوض الصالح إسماعيل عنها ببعلبك وبصرى وأعمالها (٢) وأما الخوارزمية، فقد انقلبوا على الصالح نجم الدين أيوب لأنهم لم يحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه، فهم ظنوا أنهم بعد أن ساعدوه في التغلب على خصومه

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٢٨٨/١

وفي تملك بلاد الشام سوف يقاسم‌هم الغنائم ويشاطرهم الملك، لكن ظنهم خاب عندما منعهم دخول دمشق وأقطعهم بلاد الساحل، فتغيرت نياتهم واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان (٣)، وأعلنوا الثورة وسارع الناصر داود صاحب الكرك، والملك الصالح إسماعيل بالإنضام إليهم، وزحفوا جميعا على دمشق وحاصروها وقطعوا عنها الإمدادات، **فاشتد الغلاء بها**، ومات كثير من الناس جوعا، وأكل الناس القطط والكلاب والميتات، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وهنا أظهر الصالح أيوب صبرا ومهارة فلجأ إلى أعمال الحيلة والتدبير، فأغرى الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص على الانضمام إليه فضلا عن استمالة الحلبيين، كما تحايل على بعض الأمراء وفك التحالف وبفضل – الله – ثم هذه الإجراءات تمكن الصالح أيوب من إنزال الهزيمة بالخوارزمية بالقرب من حمص في أول المحرم سنة ٦٤٤هـ

---

(١) البداية والنهاية (١٧/٢٧٤).

(٢) السلوك (١/٣١٧-٣١٨) الدولة الأيوبية د. دعكور ص ٢٣٧.

(٣) السلوك (١/٣٢٢) الدولة الأيوبية دعكور ص ٢٣٧.." (١)

"وأمر بإنشاء أسطول من السفن الخفيفة نقلها إلى فروع النيل السفلى، وأنزلها في القنوات المتفرعة، فأخذت تعترض طريق السفن الصليبية التي تجلب المؤن للجنود من دمياط، فقطع، بذلك، الطريق عليها، وحال دون اتصال الصليبيين بقاعدتهم دمياط (١)، وفقد الصليبيون عددا كبيرا من سفنهم قدرتها المصادر بما يقرب من ثمان وخمسين سفينة : انقطع المدد من دمياط عن الفرنج، **ووقع الغلاء عندهم**، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام، ولا يقدرون على الذهاب، وتشجع المسلمون وطمعوا فيهم، وأدرك لويس التاسع استحالة الزحف نحو القاهرة في ظل هذه الأوضاع وبدأ يفكر في العودة إلى دمياط وفعلا أمر بالإرتداد وأحرق الصليبيون ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، كما أدرك أن عملية الانسحاب لن تكون سهلة، وأن المماليك سوف يطاردون جيشه لذلك لجأ قبل أن يبدأ بعملية الإنسحاب إلى فتح باب المفاوضات مع تورانش١هـ، على أساس ترك دمياط مقابل أخذ بيت المقدس (٢)، غير أن الوقت قد فات على مثل هذه المساومة، وكان طبيعيا لأن يرفض تورانشاه هذه الاقتراح، وبخاصة أنه علم بحرج موقف الملك وفي صباح (١محرم عام ٦٤٨هـ/نيسان عام ١٢٥٠م بدأت عملية الإنسحاب المهندسون الصليبيون أن يدمروا الجسر الذي أقاموه لاجتياز البحر الصغير فلم يلبث المماليك أن عبروه

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١/٤٥٦

وراءهم، وقاموا بعملية مطاردة منظمة، وهاجموهم من كل ناحية(٣)، وبفضل ثبات الملك الفرنسي وحسن إدارته بعملية الإنسحاب، وصل الصليبيون إلى شرمساح عند منتصف الطريق بين المنصورة ودمياط، لكن هذا الملك مريضا، وأحاط المماليك بجيشه من كل جانب، وراحوا يتخطفونهم، وشنوا عليهم هجوما عاما عند فارسكور ولم يقوا الملك على القتال، وتم تطويق الجيش بأكمله، وحلت به هزيمة منكرة، ووقع كل

(١) الحركة الزاهرة (٦/٣٦٤) تاريخ الأيوبيين ص ٣٨٧.

(٢) تاريخ الأيوبيين ص ٢٨٨.

(٣) النجوم الزاهرة (٦/٣٦٤) تاريخ الأيوبيين ص ٣٨٨." [١]

"٢٤- في عصر الممالك الأيوبية كانت إيطاليا تتشكل من جمهوريات مستقلة وكانت كل جمهورية منها تقوم في مدينة كبرى، مثل البندقية، بيزا، جنوة، وأمالفي، ولكنها كلها تتبع نمطا اقتصاديا واحدا، يقوم على التجارة البحرية وقد تمكنوا جميعا، بفضل الأساطيل المتنوعة الضخمة من أن يحققوا أرباحا خيالية، وأن تصل هذه المدن إلى مستويات عالية من الثروة.

٢٥- أدركت الدولة الأيوبية حاجتها لكسب التجار الإيطاليين فلوحت لهم بالمكاسب وعقدت معهم الاتفاقات على أساس الفائدة المشتركة فتحدوا كل قرارات المنع وكل التزام ديني ونقلوا البضائع من وإلى الموانئ الإسلامية وخاصة موانيء مصر.

٢٦- كان للملك العادل دور كبير في تشجيع التجارة عبر مصر ففي سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م كان يجتمع في مدينة الإسكندرية وحدها ثلاثة آلاف تاجر من (الفرنج) ما عدا مرافقيهم ومساعديهم، وعمالهم وبحارة سفنهم مما شكل حركة تجارة نشطة، كانت الدولة الأيوبية بأمس الحاجة إليها لحاجتها إلى كثير من المواد المجلوبة وللرسوم.

٢٧- في سنة ٥٩٧هـ **اشتد الغلاء بأرض** مصر جدا، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت وأكلت الكلاب والميتات في هذه السنة بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير يشويه والداه ويأكلانه.

٢٨- كان البيت السلجوقي في الصراع الداخلي إذا ظفر واحد منهم بأخيه أو ابن عمه أعدمه، وأحسن

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١/٤٩٤

أحواله أن يعتقله حتى يموت وكان بنو أيوب يتحاربون وتجري بينهم العداوة الشديدة، ثم يجتمع بعضهم ببعض، وربما صعد بعضهم إلى قلاع بعض، ثم يفارقه بعد المقام عنده على حال جميلة والعداوة والمنافرة باقية بحالها.." (١)

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٣٦٢/٢

" شيء وأسقط عنهم الحج والوضوء والغسل من الجنابة وأحل لهم أكل الأنثى من الخنزير وقال إنما حرم قرآن محمد الخنزير الذكر وأمر أن لا يؤكل الحوت إلا بذكاة وحرم عليهم أكل البيض وأكل الرأس من كل حيوان فبعث إليه عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس عسكرا فالتقوا بقصر مصمودة من أحواز طنجة فقتلوه وقتلوا أتباعه وصلبوا شلوه بالقصر المذكور وبعثوا برأسه إلى الناصر بقرطبة ورجع من بقي من أتباعه إلى الإسلام وذلك سنة خمس عشر وثلاثمائة قال ابن خلدون وكان لابنه عيسى بن حاميم من بعده قدر جليل في غمارة

وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ظهر ببلاد المغرب غمام كثيف دام خمسة أيام لم ير الناس فيها شمسا وكان الشخص لا يرى من الأرض فيه إلا موضع قدميه فتاب الناس وأخرجوا الصدقات فكشف الله عنهم ما بهم وسميت سنة الغمام

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٣٩٢/٢

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة نزل برد عظيم الواحدة منه تزن رطلا وأكثر قتل الطير والوحش والبهائم وكثيرا من الناس وكسر الأشجار وأفسد الثمار كان ذلك بأثر قحط شديد وغلاء عام

وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة نزل أيضا برد كثير لم يعهد مثله كثرة قتل المواشي وأفسد الثمار وجاءت السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب وكان بها رعود قاصفة وبروق خاطفة ودام ذلك أياما واستسقى الناس واستصحوا في هذه السنة وفيها أيضا كانت ريح شديدة هدمت المباني

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة **كان الوباء العظيم** بالمغرب والأندلس هلك فيه أكثر الخلق

وفي هذه المدة كان الشيخ أبو سعيد المصري المعروف بأبي سلهامة موجودا وهو من كبار صلحاء المغرب وقبره شهير قرب مشرع الحضر على ساحل البحر وعليه قبة عجيبة الصنعة محكمة العمل بالنقش والأصباغ والزليج الملون قال أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن كان على

---

(١) ".

" كزنبيل بلد بالجزيرة الخضراء الأندلسية ولعله هو هذا فلما نزله أمير المسلمين لم يأته ممن كتب إليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية وابن عباد صاحب إشبيلية فنازلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه

وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن أربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا إلى أن دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشنآن فشكا المعتمد إلى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه إلى ابن عباد فاختل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع **بها الغلاء**

ولما علم الأذفونش بذلك حشد أمم النصرانية وقصد إلى حماية الحصن في أمم لا تحصى فلما قرب من الحصن انحرف له يوسف عنه إلى ناحية لورقة ثم إلى المرية ثم جاز إلى العدوة وقد تغير على أمراء الأندلس لكونه لم يأته منهم أحد عندما دعاهم إلى الجهاد ومنازلة الحصن

ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور أقبل الأذفونش حتى نزل عليه فأخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته وأخرج من كان فيه من بقية النصارى المنفلتين من مخالب المنية وعاد إلى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلائه وفناء جميع حماته بالقتل والجوع سوى تلك الصبابة المنفلتة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١/٢٤٩

وكان فيه عندما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية فأتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنفلتون منه عند إخلائه

ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث برسم الجهاد فسار حتى نزل على طليطلة وحاصر بها الأذفونش وشن الغارات بأطرافها فاكتسحها وانتسف ثمارها وزروعها

". (١)

"

ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته وانسحبت على مكانه عادة حياته ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى وانقطاع الأماكن القصى تحملهم أجنحة نياتهم فتهوي إليه بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة

وفي سنة عشر وستمائة **كان الوباء العظيم** بالمغرب والأندلس

وفي سنة ست عشرة وستمائة توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السلمي البلفيقي ينتهي نسبه إلى العباس بن مرداس السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو إسحاق رحمه الله من كبار العلماء العاملين والزهد المحققين مثابرا على الاجتهاد والانقطاع إلى الله تعالى وظهرت عليه ببلده المرية من عدوة الأندلس كرامات واجتمع عليه خلق كثير وشاع ذكره هنالك فوشوا به إلى الخليفة صاحب مراكش وهو يوسف المنتصر الموحدي فكتب إلى عامله على المرية يأمره بتوجيهه الشيخ أبي إسحاق مكرما غير مروع

ولما عزم العامل على توجيهه قام العامة والأتباع دون الشيخ وأرادوا أن يحولوا بينه وبين العامل فقال لهم الشيخ طاعة السلطان واجبة ولما انتهى إلى مراكش ودخل على المنتصر هابه وجله وندم على ما كان منه إليه ثم بالغ في إكرامه وبعد ذلك مرض الشيخ أبو إسحاق وتوفي في السنة المذكورة واحتفل الناس لجنازته وحضرها الأمراء والكبراء وكسر العامة نعشه واقتسموا أعواده تبركا به وقبره مشهور بمراكش بسوق

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥٢/٢

الدقيق منها وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب إليه والعامة تقول جامع سيدي إسحاق بدون لفظ الكنية وليس كذلك

وفي سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب وفيها ألف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي الدار عرف بابن الزيات كتابه المسمى بالتشوف إلى رجال التصوف وذكر

". (١)

"

وفي هذه السنة أيضا استأسد العدو الكافر على المسلمين بالأندلس وتوالت له عليهم الهزائم بمواضع متعددة واستولى على كثير من الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق

وفي سنة أربع وعشرين وستمائة **اشتد الغلاء بالمغرب** والأندلس حتى بيع القفيز من القمح بخمسة عشرة دينارا وعم الجراد بلاد المغرب

وفي سنة ست وعشرين وستمائة كان السيل العظيم بفاس هدم من سورها القبلي نحو مسافتين وهدم من جامع الأندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا كثيرة وفنادق متعددة من عدوة الأندلس

وفي سنة ثلاثين وستمائة **كان الغلاء ببلاد** المغرب وكثر بها الجوع والوباء حتى بلغ القفيز من القمح ثمانين دينارا وخلت الأمصار من أهلها

وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة **عاود الغلاء والوباء** أرض المغرب فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفير الواحد المائة من الناس

وفي سنة ست وأربعين وستمائة وقع الحريق بأسواق فاس فاحترقت حارة باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة وبالله تعالى العصمة والتوفيق

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٢٦٢

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٢٦٤

" سجلماسة إلى ملوية وربما يخطون في ظعنهم إلى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزيز بن فكوس بن كرماط بن مرين ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبي الجيل

وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة وعسكر وخمسة أبناء علات وكان يقال لهم بلسان زناتة تيربعين ومعناه الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزيز لما هلك قام بأمره من قومه ابنه حمامة بن محمد وكان الأكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين

ثم قام بأمر بني مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حماقة بن محمد إلى أن هلك فقام بأمرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبي بكر ولم يزل مطاعا فيهم إلى أن استنفرهم يعقوب المنصور إلى غزوة الأرك بالأندلس فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو بن أبي بكر يومئذ جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبة ما نذكره إن شاء الله الخبر عن دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى واستيلائهم عليه والسبب في ذلك

كان السبب في دخول بني مرين لهذا القطر المغربي أنه لما كانت وقعة العقاب بالأندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب **ذلك الوباء العظيم** الذي تحيف الناس إلا قليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فبايع

". (١)

"

المذكورة وفي محرم فاتح سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف توفي الوزير الشهير السيد المختار بن عبد الملك الجامعي بمراكش واستوزر السلطان بعده الفقيه أبا عبد الله محمد بن علي الحاجي النكنافي مدة يسيرة ثم أخره ورد وزيره الأقدم أبا عبد الله محمد بن إدريس رحم الله الجميع وفي هذه السنة **كان الوباء بالمغرب** بالإسهال والقيء وغور العينين وبرودة الأطراف

وفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف ورد سؤال من عند الحاج عبد القادر بن محيي الدين إلى علماء فاس يقول فيه ما نصه

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/٣

الحمد لله سادتنا الأعلام أئمة الهدى ومصابيح الظلام فقهاء الحضرة الإدريسية ومرمى المطالب ومحط الرحال العيسية أطباء أدواء الدين ومحقين حقه ومبطلين باطله ومنتجين قضاياه المتخيلة عقيمة وباطلة جوابكم أبقاكم الله فيما عظم به الخطب واشتد به الكرب بوطن الجزائر الذي صار لغربال الكفار جزائر وذلك أن العدو الكافر يحاول ملك المسلمين مع استرقاقهم بالسيف وتارة بحيل سياسته ومن المسلمين من يداخلهم ويبايعهم ويجلب الخيل إليهم ولا يخلو من دلالتهم على عورات المسلمين ويطالعهم ومن أحياء العرب المجاورين لهم من يفعل ذلك ويتمالؤون على الجحود والإنكار فإذا طلبوا بتعيينه جعجعوا والحال أنهم يعلمون منهم الأعين والآثار فما حكم الله في الفريقين في أنفسهم وأموالهم فهل لهم من عقاب أم يتركون على حالهم وما الحكم فيمن يتخلف عن المدافعة عن الحريم والأولاد إذا استنفره نائب الإمام للدفاع والجلاد فهل يعاقبون وكيف عقابهم ولا يتأتى بغير قتالهم وهل تؤخذ أموالهم وأسلابهم كيف العمل فيمن يمنع الزكاة أو يمنع بعضها من التحقق بعمارة ذمته في الحال فهل يصدق مع قلة الدين في هذا الزمان أم يكون للاجتهاد فيه مجال ومن أين يرزق الجيش المدافع عن المسلمين الساد ثغورهم عن المغيرين ولا بيت مال وما يجمع من الزكاة لا يفي بشبعهم فضلا

." (١)

"

الدينمرك وجنس السويد ما كانا يؤديانه إلى الدولة العلية كل سنة فالأول خمسة وعشرون ألف ريال والثاني عشرون ألف ريال وكذلك أسقط عن غيرهم وظائف أخر والأمور كلها بيد الله ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ الأنبياء ٢٣

وفي سنة إحدى وستين ومائتين وألف أخذت السكة في الارتفاع وكان الريال الكبير ذو المدفع بست عشرة أوقية والريال الصغير الإفرنك بخمس عشرة أوقية والبندقي بثلاثين أوقية والدرهم الصغير بأربع موزونات والكبير بست موزونات ولما أخذت السكة في الارتفاع أخذت الأسعار في الارتفاع أيضا وحاول السلطان رحمه الله حصرها فلم تنحصر وعلة ذلك والله أعلم أنه لما وقع مع الفرنسيس هذا الصلح وأسقط السلطان عن الأجناس ما كانت تؤديه كثر خطارهم وتجارهم بمراسي المغرب وازدادت مخالطتهم وممازجتهم لأهله وكثرت تجارتهم في السلع التي كانوا ممنوعين منها وانفتح لهم باب كان مسدودا عليهم من قبل فظهر

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٤٥

أثر ذلك في السكة وفي السلع أما السكة فلأن سكتهم كانت هي الغالبة وهي أكثر روجانا من سكة المغرب فلا بد أن يكون الحكم والتأثير لها والتجار يعتبرون فيها من الفضول والأرباح الناشئة عن تغاير القطرين ما لا يهتدي إليه غيرهم من العامة وتبعهم على ذلك تجار المسلمين وأما السلع فلأن تجار النصاري يغالون في أثمانها أكثر من غيرهم كما هو مشاهد ثم ما دامت بلاد الفرنج مترقية في التمدن وحسن الترتيب واتساع الأمن والعدل إلا وسككنا وأسعارنا دائمة الترقي **في الغلاء على** نسبة كثرة المخالطة واتساع مادة البيع والشراء فتأمله والله الموفق

وفي هذه السنة ثار أهل رباط الفتح على عاملهم الحاج محمد بن الحاج محمد السوسي وكان السبب في ذلك أن الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي من أهل الوجاهة بالرباط ومتبوع العقب فيها وكان كثيرا ما يجالس

(١) ".

"

العشاء مدة من شهر ونحوه ففزع الناس من ذلك وتخوفوه كما قال أبو تمام

(وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ** إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب)

وفي سنة ست وستين ومائتين وألف أحدث السلطان المكس بفاس وغيرها من الأمصار أحدثه أولا في الجلد على يد المصطفى الدكالي بن الجيلاني الرباطي والمكي القباج الفاسي ثم أحدثه في البهائم ثم تفاحش أمره في دولة ابنه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله وهلم جرا

وفي هذه السنة وذلك ليلة السادس والعشرين من رمضان توفي ولي الله أبو عبد الله سيدي عبد القادر العلمي البركة الشهير صاحب الأزجال الملحونة وكانت وفاته بمكناسة الزيتون ودفن بحومة سيدي أبي الطيب وعليه بناء حفيل إلى الغاية رحمه الله ورضي عنه وفي هذه السنة بعث السلطان ولده المولى عبد القادر وهو ابن اثنتي عشرة سنة إلى سلا بقصد القراءة بها فنزل بدار قاضيها أبي عبد الله محمد بن حسون عواد وكتب إليه السلطان رحمه الله بأن يعود الولد المذكور الخشن من المطعم والملبس وأن لا يمكنه من شرب الأتاي إلا مرة أو مرتين في الجمعة وفي هذه السنة أيضا **كان الغلاء الكبير** والجوع المفرط وكان أكثره بقبائل الحوز من ابن مسكين وعبدة ودكالة وغيرهم فأهرعت هذه القبائل إلى بلاد الغرب

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٥٤

والفحص وأكلت الناس الجيف والميتة والنبات وصار يعرف عند أهل البادية بعام الخبيزي وعام يرني وكان الرجل يأكل ولا يشبع وإذا أمعن في الأكل وتضلع شبعا لم تمض إلا هنيهة حتى تضطرم أحشاؤه جوعا وكان المد بسلا ورباط الفتح وهو مد كبير جدا قد بلغ ثمانية عشر مثقالا فجعله العامة تاريخا يقولون كان ذلك عام ثمانية عشر مثقالا

وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف وذلك ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني منها توفي الفقيه العلامة القاضي بسلا أبو عبد الله محمد بن حسون عواد ودفن بزاوية الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي من

." (١)

"

(ألمم بمغنى اليمن من ذا المجلس ** وأدر بساحته نجوم الأكؤس)

(واسعد فإن الدهر أسعد أهله ** وأحلهم فيه حلول المعرس)

(واشرب هنيء البال في جنباته ** يغنيك عن جيرون أهل المقدس)

(واصرف عن الزهراء ذكرك ساليا ** وعن الخورنق والرسوم الدرس)

(لو قلت ما نالت بدائع حسنه ** غرف البديع وحق مجدك لم تس)

(نصر تحف به المحاسن كلها ** وتحار في مرآه عين الأكيس)

(فإذا أردت إصابة الأغراض من **كل المنى أو كل معنى أنفس)

(أرسل مهام اللفظ في أكنافه ** إن الحنايا الحدب فيه كالقس)

(لا شيء أهنى من تفيىء ظله ** المخضل أو من زهره المتنفس)

(تتمثل الأزهار في أنهاره ** مثل المجرة والنجوم النكس)

(وترى الجداول تلتوي بغصونه ** تحكي البرين عن الغواني الميس)

(طابت حسى الكاسات تحت ظلاله ** وتسابقوا اللذات نحو المحتس)

(يا منزلا قد خصصته سعادة ** واستبدلته أنعما من أبؤس)

(أصبحت مأوى للوزير محمد ** نجل الأدارسة الكرام المغرس)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦١/٣

(إنسان عين الكون من لبست به ** رتب العلى أبهى وأبهج ملبس)

(يا أيها البحر الذي من فيضه **كل الأماني والغنى للمفلس)

(يهنيك ذا القصر الذي أنشأته ** بالسعد في عام انشراح الأنفس)

(قابل قدور الدوح في جنباته ** بالغيد ترفل في بهي السندس)

(ومتى شربت زلاله فامزج به ** راح المراشف من أغن ألعس)

(لا زلت تشرف من مطالع سعده **كالبدر يظهر من خلال الحندس)

(والدهر يخدم جانبيك ويحتمي ** بجلالك العالي الأعز الأقعس)

وفي هذه السنة أعني سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف **كان الوباء بالمغرب** وهو إسهال مفرط يعتري الشخص ويصحبه وجع حاد في البطن والساقين ويعقبه تشنج وبرودة واسوداد لون فإذا تمادى بالشخص حتى جاوز أربعا وعشرين ساعة فالغالب السلامة وإلا فهو الحتف وفي **هذا الوباء مات**

". (١)

"

شيخ الطريقة أبا عبد الله سيدي محمد الحراق التطاوني وبموته **أقلع الوباء من** تلك البلدة ومات به بسلا منتصف ذي القعدة من السنة مائة وعشرون نفسا وفي هذا اليوم توفي عامل سلا أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي زنيبر

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف التفت الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى عرب الخلط فاستعملهم في الجندية بعد أن كانوا في عداد القبائل الغارمة من لدن المنصور السعدي فاعتنى بهم الخليفة المذكور ونقلهم من بلاد سفيان وبني مالك وأحواز العرائش وأنزلهم بزقوطة ووادي مكس من أعمال مكناسة وكساهم وأجرى عليهم الجرايات ثم اختل أمرهم بعد سنتين أو ثلاث

وفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ورد كتاب من السلطان رحمه الله يقول فيه بعد الافتتاح ما نصه خديمنا الأرضى الطالب عبد العزيز محبوبة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك عين عشرين من الولدان النجباء لتعلم علم تاطبجيت وانظر لهم معلما ماهرا أو معلمين من طبجية البلد يعلمهم ويشرعون في التعلم الآن فيبدؤون بمقدماته ثم يتدربون منها إلى الأخذ في

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٦٩

تعلم رماية المدفع والمهراس وهكذا حتى ينجبوا ويمهروا في الصنعة ويصيروا قادرين على الخدمة ونطلب الله أن يعينهم ويفتح بصائرهم وهؤلاء العشرين يكونون زائدين على من هنالك من الطبجية ونأمر الأمناء أن يرتبوا لهم إعانة على ذلك خمس عشرة أوقية في كل شهر للواحد ثم من ظهرت نجابته منهم وفاق غيره فإنا نزيده في المرتب كما نأمرهم أن يرتبوا لمعلمهم واحد أو أثنين ثلاثين أوقية للواحد في كل شهر زيادة على راتبهم المعلوم واعتن بأمرهم غاية الاعتناء وقد كتبنا لغيركم من المراسي مثل هذا وسننظر من تظهر ثمرته واعتناؤه والسلام في عشرين من ذي القعدة عام ثلاث وسبعين ومائتين وألف اه نص الكتاب الشريف

". (١)

"

فكان أهل اليسار لا ينامون لحراستهم دورهم وأمتعتهم وهلك من الجوع عددا لا حصر له حتى لقد أخبر صاحب المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفا وزيادة سوى من كفنه أهله هذا بفاس وليقس عليها غيرها

وفي زوال يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين ومائة وألف توفي قاضي سلا الفقيه العلامة السيد أبو عمرو عثمان التواتي ودفن داخل روضة سيدي الحاج أحمد بن عاشر رضي الله عنه

وفي سنة ثلاث وستين ومائة وألف **كان الوباء بالمغرب** وانحباس المطر فلحق الناس من ذلك شدة ثم تداركهم الله بلطفه

وفي سنة تسع وستين ومائة وألف كانت الزلزلة العظيمة بالمغرب التي هدمت جل مكناسة وزرهون ومات فيها خلق كثير بحيث أحصي من العبيد وحدهم نحو خمسة آلاف وتكلم لويز مارية على هذه الزلزلة فقال إنها مكثت ربع ساعة وتشققت الأرض منها واضطراب البحر وفاض حتى ارتفع ماؤه على سور الجديدة وفرغ فيها ولما رجع البحر إلى مقره ترك عددا كثيرا من السمك بالبلد وفاض على مسارحهم ومزارعهم وأشباراتهم فنسف ذلك كله نسفا واضطربت المراكب والفلك بالمرسى فتكسرت كلها وفر نصارى البلد إلى الكنيسة وتركوا ديارهم منفتحة ومع ذلك لم يفقد منها شيء لاشتغال الناس بأنفسهم وتكلم صاحب نشر المثاني على هذه الزلزلة فقال وفي ضحوة يوم السبت السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وستين

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٧٠/٣

ومائة وألف زلزلت الأرض زلزالها ومادت شرقا وغربا واستمرت كذلك نحو درج زماني وفاض ماء البرك والصهاريج على البيوت وتكدرت العيون ووقف ماء الأودية عن الجري وسقطت الدور وتصدعت الحيطان وأخذ الناس في هدم ما تصدع خوف سقوطه وفزع الناس وتركوا حوانيتهم وأمتعتهم ووقع بمدينة سلا أن ماء البحر انحصر عنه إلى أقصاه فجاء الناس ينظرون إليه فرجع الماء إلى جهة البر وتجاوز حده المعتاد بمسافة كبيرة

". (١)

"

وفي هذه السنة **حدث الوباء ببلاد** المغرب وعم حاضره وبواديه ولما فشا بمراكش وأعمالها رجع السلطان إلى مكناسة وترك أخاه المولى الطيب نائبا عنه بها فبلغه أثناء الطريق وفاة كاتبه أبي عبد الله محمد بن عثمان تركه بمراكش مصابا بالوباء

قال صاحب البستان فلما وصل السلطان إلى مكناسة استقدمني من فاس فقدمت عليه وقلدني كتابته بعد أن أخرني عنها سنة وفي أثناء ذلك بلغه وفاة إخوته الأربعة خليفته المولى الطيب والمولى هشام والمولى حسين والمولى عبد الرحمن بالوباء الثلاثة الأول بمراكش والرابع بالسوس ودفن المولى هشام والمولى حسين بقبة إلى جنب الشيخ الجزولي رضي الله عنه وقبرهما مشهور بمراكش

قال صاحب البستان فبعثني السلطان إلى مراكش لآتيه بمتخلف إخوته الذين هلكوا بها ومتخلف الكاتب ابن عثمان وبعث معي خيلا وبغالا لأحمل المتخلف المذكور والوباء لا زال لم ينقطع قال فوصلت إلى مراكش وجمعت المتخلف ورجعت به إلى فاس وقد **ارتفع الوباء وازدهرت** الدنيا ودرت ألبان الجباية للسلطان وفي هذه المدة قدم على حضرة السلطان باشدور الإصبنيول فعقد معه شروط المهادنة وكان الذي تولى عقدها معه الكاتب ابن عثمان المكناسي قبل وفاته بيسير وهي ثمانية وثلاثون شرطا مرجعها إلى الصلح والأمان من الجانبين إلا أنها أشد بيسير من الشروط التي انعقدت مع السلطان المرحوم سيدي محمد رحمه الله من ذلك أن شروط سيدي محمد كانت تتضمن أنه إذا تشاجر مسلم ونصراني فالذي يفصل بينهما هو الحاكم إلا أن القنصل يحضر وقت الفصل عسى أن يدفع عن ابن جنسه بحجة إن كانت وصارت شروط السلطان المولى سليمان تتضمن أن كل واحد منهما يتولى أخذ الحق منه حاكمه ويدفعه

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/٨٤

لخصمه وإذا فر نصراني من سبتة أو مليلية أو نكور أو بادس وأراد إسلاما فلا بد من حضور القنصل إن كان وإلا فالعدول يسمعون منه ثم شأنه وما يريد

". (١)

" فلهم الحظ الأوفر من العناية والخطاب بصريح الترحيب دون كناية بالقعود على الفرش الحريرية المذهبة والمقاعد العالية المطنبة والرش بمياه الأزهار ومباخر الطيب وكل معنى لطيف ومنظر عجيب وقد أحضر كل واحد ما شاء من آلات اللهو والفرح على حسب ما اشتهى واقترح فلا تكاد تسمع في تلك المجالس والمغاني إلا أصوات المثالث والمثاني وضروب الألحان والأغاني واستمر الناس في ذلك ثلاثة أيام والمولى الخليفة أعزه الله مع إخوته وبني عمه في القبة المحمدية الصويرية المشرفة على مجاري الخيل وملاعبها ومطاردها ومتاعبها وكل عشية يركب من بالحضرة من الوجوه والأكابر على عتاق الخيل والجياد الضوامر ويبدي ما عنده من الثقافة والفروسية مع إظهار الشارة المخزنية والأبهة الملوكية ثم بعد هذا شرع كبار الدولة ووجوهها ورؤساؤها وقوادها في انتخاب الصنائع والولائم كل على حسب ما أداه إليه اختياره واعتناؤه ثم تت ا بع الناس في مزهاتهم وإظهار أبهاتهم وانتخاب دواعي الأفراح ومقتضيات الازدهاء والانشراح فما يمر احد ببستان إلا ويجد به جماعة زاهية وطائفة منبسطة لاهية ا هـ

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف كان بالمغرب جراد سد الأفق وذلك في ربيع الأول الموافق لشهر مارس العجمي فأكل النجم والشجر ثم عقبه فرخه المعروف بآمرد فأكل كل خضراء على وجه الأرض واستلب الأعواد من أوراقها وقشرها من لحائها وفاض في الأمصار حتى دخل على الناس في بيوتهم

وفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف **كان الغلاء المفرط** بالمغرب الذي لم يتقدم مثله بلغ فيه الربيع وهو ربع ثمن المد بسلا ورباط الفتح ستين أوقية وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس وكان الأمر شديدا على الضعفاء وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي القائد الأجل أبو محمد عبد الله بن عبد الملك بن بيهي الحاحي وكان من كبار قواد المغرب وأهل البذل والإيثار والمعروف له في ذلك أخبار مذكورة رحمه الله

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٠٦/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١١٩/٣

"

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف **كان الوباء بالمغرب** بالقيء والإسهال المفرطين على نحو ما وصفناه في السنين الماضية وفي زوال يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة توفي قاضي سلا الفقيه العلامة الورع أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن منصور ودفن بالجبانة المتصلة بضريح الشيخ أبي العباس بن عاشر رضي الله عنه وكانت لهذا القاضي سيرة حسنة وعدل في الأحكام وتأن فيها مع سمت ومروءة وانقباض رحمه الله وبقيت سلا بلا قاض أربعين يوما حتى وقع اختيار السلطان على شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبي بكر ابن الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد عواد رحم الله الجميع

وفي هذه السنة أمر السلطان رحمه الله بضرب الدرهم الشرعي وحاول ضبط السكة به وحمل الناس على أن لا يذكروا في معاملاتهم وأنكحتهم وسائر عقودهم إلا الدرهم الشرعي وشدد في ذلك وكتب فيه إلى ولاة الأمصار يقول في كتابه ما نصه وبعد فإن أمر السكة من الأمور الواجبة المتعين رد البال إليها والاهتمام بشأنها والنظر فيما يصدر بسببها من النفع والضرر للمسلمين وبيت مالهم وقد كان أسلافنا رحمهم الله اعتنوا كثيرا بشأنها وبضبط مصالحها ودفع مفاسدها وجعلوها على قدر شرعي معلوم لضبط أمرها والتبرك بتلك النسبة إذ بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده فتجب عليه فيه الزكاة التي هي من دعائم الإسلام أو عدم كماله فلا يكون مخاطبا في بشيء ولما رأينا ما حدث فيها من التغير وعدم الضبط ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد اقتضى نظرنا السديد ردها لأصلها الأصيل الذي أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة وألف أذلنا فيهم أسوة حسنة في الإجمال والتفصيل فرددنا الدرهم الكبير المسلوك على وزن الدرهم الشرعي والمنهاج المرعي كما كان على عهد جدنا سيدي الكبير قدسه الله وجدد عليه وابل رحماه بحيث تكون عشرة دراهم منه هي المثقال كما هو معلوم إن عشرة دراهم من الدراهم التي كانت تروج قبل على عهد أسلاقنا رحمهم الله هي المثقال وبهذا العدد

". (١)

" من السنة المذكورة ثم لم يلبث ابن داود بعد ذلك إلا مدة يسيرة حتى توفي وتخلصت قائبة من قوب وعفو الله بعد ذلك مرقوب

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/١٢٠

وفي سنة تسعين ومائتين وألف كانت جائحة النار بكثير من بلاد المغرب أحرقت الزروع والثمار وأجيحت الجنات وتراجع الناس في أثمان ما بيع منها بعد إثبات الموجبات وكانت أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله في أولها شديدة بسبب ظهور العدو على المسلمين وما عقبه **من الغلاء والموت** ثم بعد ذلك اتسع الحال وحصل الأمن وانخضدت شوكة قبائل العرب بالمغرب وأمنت الطرقات من عيثهم وازدهت الدنيا ورخصت الأسعار رخصا يسيرا وكان الناس ممعشين في أيامه وغلت الدور والأملاك حتى كانت في بعض السنين لا تسمسر ومن يشتري دارا إنما يشتريها بالتنقير عنها والطلب من ربها بالثمن الجافي واتخذ الناس ذوو اليسار المراكب الفارهة والكسي الرفيعة والذخائر النفسية وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لا سيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الأعجمية وكان للسلطان سيدي محمد رحمه الله في كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم فكانت الرعية كأنها في كف يده وكان يختار أولئك العيون من العوام فكانوا يكتبون له بالغث والسمين فيسمع ذلك كله فينتقي منه الصحيح ويطرح السقيم فاستقامت أحوال الرعية بذلك وفاة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله

كانت وفاة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله في زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين وألف بداره بحضرة مراكش في البستان المسمى بالنيل ولم يمرض إلا يوما أو بعض يوم قيل إنه شرب دواء مسهلا فكان فيه أجله والله أعلم ودفن ليلا بضريح جده المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض وكتب على رخامة قبره أبيات ليست من جيد الشعر وهي

". (١)

"

وسائر الحاشية وخرجا مع الركب النبوي على الهيئة المعهودة في حفظ الله وفي هذه السنة عزل السلطان وصيفه ابن عبد الصادق عن فاس وولى عليها كاتبه أبا العباس أحمد الرفاعي الرباطي المدعو القسطالي كان يعلم أولاده فنقله عن ذلك إلى مرتبة الولاية وأوصاه أن يسير بالعدل في الضعفاء والمساكين ويشتد على الفجرة والمتمردين وفي هذه السنة عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثاني منها توفي الشيخ العلامة المحقق الأديب البليغ أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن السلمي المرداسي

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/١٢٤

الشهير بابن الحاج صاحب التآليف الحسنة والفوائد المستحسنة والخطب النافعة والحكم الجامعة رحمه الله ونفعنا به

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف عزل السلطان الفقيه أبا العباس عن فاس لعجزه عن القيام بالخطة وولى على فاس خديمه الحاج أبا عبد الله محمد الصفار من بيت رياسة وفي هذه السنة أبطل السلطان الجهاد في البحر ومنع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس وفرق بعض قراصينه على الإيالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس وما بقي منها أنزل منها المدافع وغيرها من آلة الحرب وأعرض عن أمر البحر رأسا بعد أن كانت قراصين المغرب أكثر وأحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس قاله منويل وفي هذه السنة قدم ولدا السلطان المولى علي والمولى عمر من المشرق مع الركب ونزلوا بثغر طنجة وكان السلطان قد بعث إليهما بمركب من مراكب النجليز فانتهى إلى الإسكندرية وحملهما ومن معهما من الخدم والتجار وسائر الحاج ولما نزلوا بطنجة **حدث الوباء بالمغرب** فقال الناس إن ذلك بسببهم فانتشر أولا بتلك السواحل ومنها شاع في الحواضر و ا لبوادي إلى أن بلغ فاسا ومكناسة في بقية العام

ولما دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف **شاع الوباء وكثر** في بلاد الغرب فتوجه السلطان إلى مراكش وكان الأمر لا زال محتملا ثم زاد

---

(١) ".

"

وتفاحش حتى أصاب الناس منه أمر عظيم وفي **هذا الوباء توفي** الشيخ المرابط البركة سيدي العربي ابن الولي الأشهر سيدي المعطى بن الصالح الشرقاوي وضريحه شهير بأبي الجعد رحمه الله ونفعنا به وأسلافه آمين وقعة ظيان وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله

لما وصل السلطان رحمه الله إلى مراكش سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف أقام بها إلى رجب منها ثم أخذ في الاستعداد لغزو برابرة فازاز وهم آيت ومالو بطن من صنهاجة وعرفت الوقعة بوقعة ظيان فخذ منهم فحشد السلطان رحمه الله عرب الحوز كلهم وكتب إلى العبيد بمكناسة يأمرهم أن يوافوه بتادلا وكتب إلى ولده وخليفته بفاس المولى إبراهيم أن يوافيه بها بجيش الودايا وشراقة وعرب الغرب وبرابرته وعسكر الثغور وكان الناس يومئذ في شدة من **هذا الوباء الذي** عم الحواضر والبوادي وكان السلطان لما أخذ في استنفار

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٣٣/٣

هذه القبائل لا علم له **بتفاحش الوباء بالمغرب** وكان الواجب على ابن السلطان أن يعلم أباه بما الناس فيه من **فتنة الوباء فيعفيهم** من الغزو أو يؤخره إلى يوم ما فجمع ولد السلطان الجموع وجلهم كاره وسار لميعاد أبيه فوافاه بتادلا فاجتمع للسلطان فيما يقال من الجيوش نحو ستين ألفا وزحف إلى البربر فانتهى إلى بسيط آدخسان وبها مزارع البربر وفدنها فأرسل السلطان الجيوش في تلك الزروع وكانت شيئا كثيرا فأتوا عليها وبعث البربر إليه بنسائهم وولدانهم للشفاعة وأن يدفعوا للسلطان كل ما يأمرهم به من المال وينصرف عنهم فأبى وزحف إليهم فقاتلهم يوما إلى الليل ولقد أخبرني من حضر الوقعة أن المقاتلة كانت في هذا اليوم من عرب الغرب ومن برابرة زمور وجروان وآيت أدراسن إلا أن القتل استحر في العرب دون البربر وذلك أن كبير زمور الحاج محمد بن الغازي دس إلى

". (١)

" بالقتال وترواحه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت أنباؤه على أهل المغرب وحدث في **الخلق الوباء العظيم** الذي عم المشرق والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغارب الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى واتصل ذلك بالأمير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه عليها عند ذهابه إلى إفريقية حسبما مر فلما أرجف بمهلك أبيه وتساقط إليه الفل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول إلى الاستئثار بملك أبيه دون سائر إخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليه في غير وصف واتفق أن كان عنده رجل من بني عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار وكان ينسب إلى علم الحدثان ولما سافر السلطان إلى إفريقية كان هذا الرجل أول المرجفين به وأنه لا يرجع من سفرته وأن الأمر صائر إلى أبي عنان ونجع ذلك في أبي عنان لموافقته هواه فاشتمل على ابن جرار وخلطه بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة ال سلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم يستزب أبو عنان في صدق ابن جرار وأنه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة وصمم على الثورة ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وأنه ثار بها وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتياز الأمر لنفسه دون غيره وروى في ذلك بأنه إنما عزم على الذهاب إلى إفريقية لاستنفاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتغاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يزريكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة بالضواحي فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/١٣٤

منه فلحق بأبي عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملأ وقرأ كتاب بيعتهم على الأشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورست قواعد ملكه وركب في التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن

(١) ".

" نقف على شيء منها رحمه الله ثم عيد السلطان عيد الفطر من هذه السنة بزبيدة من بلاد زعير ولم يدخل رباط الفتح على قربه منها ووفدت عليه هنالك قبائل المغرب وأهل الأمصار فشهدوا العيد معه وأجازهم وكساهم على العادة ولما فرغ من أمر العيد عين عامل رباط الفتح وهو القائد أبو محمد عبد السلام بن محمد السوسي وعين الحاج عبد الكريم بن أحمد بريشاء التطاوني والحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون الفاسي للذهاب إلى مادريد دار ملك الإصبنيول بقصد السفارة عنه إلى دولتهم والمكافأة لهم على مجيء باشدورهم حسبما مر التنبيه عليه ففعلوا وعادوا بحيث أدركوا عيد الأضحى من السنة مع السلطان أعزه الله بمراكش ثم نهض السلطان بعد عيد الفطر من زبيدة يؤم البلاد المراكشية فاجتاز بتادلا وسكن قبائلها وأوقع ببني عمير وقبض منهم على ما يناهز أربعمائة مسجون سيقت في السلاسل والأغلال إلى السجن وفر بنو موسى إلى رؤوس الجبال حتى استنزلهم السلطان على الأمان ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة ثم نهض السلطان أيده الله إلى مراكش فدخلها في عشر ذي الحجة من السنة فكان بها عيد لم يعهد الناس مثله منذ قديم وكتب إلى الآفاق يعلم الناس بما من الله به من النصر والتأييد والفتح والعز المديد وأقام السلطان بمراكش في هذه المرة مدة طويلة إلى أن كان من أمره ما نذكره

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين وألف فكانت هذه السنة من أشد السنين على المسلمين قد تعددت فيها المصائب والكروب وتلونت فيها النوائب والخطوب لا أعادها الله عليهم فكان فيها أولا غلاء الأسعار وكان منشأه وابتداؤه من تثقيف السكة في آخر السنة الماضية ثم عقب ذلك انحباس المطر لم تنزل من السماء قطرة وأجيحت الناس وهلكت الدواب والأنعام وعقب ذلك الجوع **ثم الوباء على** ثلاثة أصناف كانت أولا بالإسهال والقيء في أوساط الناس بادية وحاضرة ثم كان الموت بالجوع في أهل البادية

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٦٤/٣

خاصة هلك منهم الجم الغفير وكان إخوانهم يحفرون على من دفن منهم ليلا ويستلبونهم من أكفانهم عثر بسلا على عدد منهم وأمر

---

(١) ".

" السلطان أعزه الله عمال الأمصار وأمناءها أن يرتبوا للناس من الأقوات ما ينتعشون به ففعلوا وبعد هذا كله **حدث الوباء بالحمى** في أعيان الناس وأماثلهم فهلك منهم عدد كثير وفي هذه المسغبة مد النصارى أيديهم إلى الرقيق فاشتروه وكان ابتداء ذلك أنهم كانوا يعاملون ضعفاء المسلمين وصبيانهم بالصدقات والإرفاقات ثم تجاوزوا ذلك إلى شراء الرقيق منهم والأمر لله وحده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين وألف فكان في أوائلها موت الناس بالحمى كما قلنا فمات في المحرم منها الوزير الأعظم أبو عمران موسى بن أحمد وكان شعلة ذكاء وتمثال فطنة ودهاء غفر الله لنا وله واستوزر السلطان مكانه الفقيه الأخير أبا عبد الله محمد بن العربي بن المختار بن عبد الملك الجامعي من بيت الوزارة وأهل العراقة فيها ويبلغنا عنه أنه يحب أهل الخير ويلين جانبه للضعفاء والمساكين ويحب السلطان وينصح له ويغار على جانبه المعظم وحماه المحترم ويتجافى عن الطمع الذي هو أصل كل مفسدة في الدين والدنيا سدده الله وفي ظهر يوم الأحد عاشر صفر من السنة المذكورة توفي شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبو بكر ابن الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد عواد كان رحمه الله من أهل المشاركة في العلم والاعتناء به كثير الدرس كثير التقييد ختمنا عليه رحمه الله عدة كتب كبار جعلها الله في ميزان حسناته منها صحيح البخاري نحو عشر مرات وصحيح مسلم ثلاث مرات وشفاء القاضي عياض مرارا وكتاب الاكتفا لأبي الربيع الكلاعي مرة وأخرى إلى غزوة خيبر وشمائل الترمذي مرتين بشرح أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وإحياء الغزالي رضي الله عنه وعوارف المعارف للسهروردي وتآليف غيرها من كتب النحو والفقه والبيان والكلام وغير ذلك مما يطول ذكره وبالجملة فقد انتفعنا عليه واستفدنا منه رحمه الله ونفعنا به وولي القضاء بعده الفقيه العالم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الجريري عرف بابن الفقيه من بيت العلم والدين والصون وهو رحمه الله يتحرى المعدلة في أحكامه وينتهج صريح الشرع في جميع أموره سدده الله وكلاه وتولى

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/١٦٤

". (١)

" ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس إلى المغرب وما جرى عليه من المحن في ذلك

كان الأمير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبي بكر الحفصي بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من اولاد أبي الليل وأغروه بملك إفريقية والنهوض إلى تونس ومحاصرة السلطان أبي الحسن بها فأجابهم إلى ذلك ونهض إليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ثم انفض عنها ودخل الفقر مع أولاد أبي الليل إلى أن بايعه أهل بلاد الجريد بإشارة أبي القاسم بن عتو المقطوع ودخل في طاعته توزر وقفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانتهى الخبر إلى السلطان أبي الحسن باستيلاء الفضل على هذه الأمصار واستفحال أمره بها وأنه ناهض إلى تونس فأهمه شأنه وخشي على الأمر وكانت بطانته توسوس إليه بالرحلة إلى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس **من الغلاء والموت** الذريع فاجابهم إلى ذلك وشحن أساطيله بالأقوات وأزاح علل المسافرين ولما قضى نسك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر في فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به وكانت مدة محاصرة السلطان أبي الحسن بتونس سنة ونصفا واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبي بكر وهو ببلاد الجريد فأغذ السير إلى تونس ونزل بها على أبي الفضل المريني ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهد البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزلوا أبا الفضل على الأمان فخرج إلى دار أصهاره من بني حمزة فبقي عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله إلى أبيه فلحق به بثغر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فإنهم لما لجحوا احتاجوا إلى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليال من إقلاعهم عن تونس فمنعهم صاحب بجاية الحفصي من الورود وأوعز إلى سائر سواحله بمنعهم

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٦٥/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٧٠/٣

" هو أضر الأحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب ان الاقترانات بالعادات لا باللزوم وعند الأسباب لا بها إلى غير ذلك إلا إني لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه إلى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لإيثار الدنيا على الدين فإنا لله وإنا إليه راجعون

قال المقري وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثني غير واحد من الثقات ممن أدرك عائشة الجزرية أنها كانت كذلك وإن عائشة بنت أبي بكر يعني زوجة السلطان أبي الحسن التي استشهدت في طريف اختبرتها أربعين يوما أيضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة **وكذلك الوباء العام** القريب فروطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره وكم فيه من أدلة على أصول الملة اه كلام الشيخ أبي عبد الله المقري رحمه الله ويعني بالوباء القريب فروطه وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فإنه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الأرض وتحيف العمران جملة حتى كاد يأتي على الخليقة أجمع والأمور كلها بيد الله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله

كان هذا السلطان محبوبا في قومه وعشيرته أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيانته وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الأوصاف الحسنة أمه أم ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف إلى الآن رأيت مكتوبا عليه بالنقش أنها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ودفنت إثر صلاة الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق

---

(١) ".

" المتجددة وليس ذلك تجديدا للاجتهاد من المقلد حتى تشترط فيه أهلية الاجتهاد بل هذه قاعدة اجتهد فيها العلماء وأجمعوا عليها فنحن نتبعهم فيها من غير استئناف اجتهاد ا هـ ونحوه له في كتاب الفروق ونقله عنه الأئمة واعتمدوه فبان من هذا أنه لا معنى للإفتاء اليوم بمنع بيع شيء من الكفار أيا كان إلا المصحف والمسلم وما في معناهما لأنهم بلغوا اليوم من القوة إلى الحد الذي لم يكن لأحد في ظن

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨١/٣

ولا حساب إلا أن يريد الله كفايتنا إياهم بأمر من عنده فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه وذلك ظننا به تعالى فإن قلت ههنا مضرة أخرى تمنع من بيع ما طلبوه وهي التضييق على المسلمين في معايشهم ومرافقهم لأنهم إذا أكبوا على شراء هذه الأشياء فلا بد أن تغلو وترتفع أثمانها وفي ذلك من الإضرار بالمسلمين ما لا يخفى ولذا أفتى الأئمة بمنع الحكرة في كل ما للناس به حاجة من طعام وأدام وعروض فإن كان في الحال سعة ولم يضر الاحتكار بالناس جاز في الطعام وغيره قلت والناس اليوم والحمد لله في سعة وأما حصول التضييق عليهم في معايشهم ومرافقهم بسبب تسريح وسق هذه الأشياء للنصارى فمشكوك فيه قد يحصل وقد لا يحصل والشك مطروح في نظر الشرع بخلاف المضرة المتوقعة منهم عند المنع والمحاربة فمقطوع بها نظرا للقرائن القوية والعادة فإن قلت بل الغالب حصول التضييق لا أنه مشكوك فقط قلت ليس بغالب فقد رأيناهم منذ أزمان وهم مكبون على وسق أشياء كثيرة مثل القطاني وغيرها ومع ذلك لم يحصل فيها والحمد لله إلا الرخاء بل الحق إن هذا من علم الغيب لا ينبغي لأحد أن يحكم عليه بغلبة ولا قلة لأن الحكم في ذلك بالتخمين من باب التخرص على الله تعالى في غيبه وهو حرام على أن النصارى إذا اشتروا منا شيئا من ذلك فإنما يشترونه بالثمن الذي له بال ويعشرونه بالصاكة التي لها بال فتحصل الأرباح للرعية وللسلطان وهذه منفعة مقطوع بها **وأما الغلاء فمشكوك** كما قلنا والحاصل أن الأبحاث والتفريعات في هذا الموضوع كثيرة وفي هذه النبذة كفاية لمن استبصر والله الموفق وأما الوجه الثاني وهو النظر من جهة الرأي والسياسة ولا بد فيه من

". (١)

" البصير يميز حصباءه من دره ويفرق بين حشفه وثمره فمن ذلك أنه حكى عن السلطان أبي الحجاج المذكور ما صورته قال كانت مراسلات السلطان المريني يعني السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغني بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المريني في الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل إلى أعمال الحيلة فأهدى إلى السلطان أبي الحجاج كسى رفيعة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحينه ومع ذلك فلم يدرك المريني غرضه فإنه لم يلبث إلا يسيرا حتى توفي أيضا اه ولم توفي أبو الحجاج بويع ابنه محمد بن يوسف وقام بأمره القائد أبو

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٦/٣

عبد الله محمد الخصاصي من صنائع أبيه قال ابن خلدون والحال على ذلك لهذا العهد ولنذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث

ففي سنة خمسين وسبعمائة **كان الوباء الذي** عم المسكونة شرقا وغربا على ما نبهنا عليه فيما مضى

وفي سنة خمس وستين وسبعمائة توفي الولي الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي نزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن سعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب كان ابن عاشر أحد الأولياء الأبدال معدودا في كبار العلماء مشهورا بإجابة الدعاء معروفا بالكرامات مقدما في صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحي العباد ملازما للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر في أمر الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل إليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه وإجلاله ثم عاود

". (١)

" الخلاصة وغير ذلك من التآليف قيل هو آخر من درس كتاب سيبويه في النحو بفاس

وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الفتوح التلمساني ثم المكناسي يقال إن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة جميل الشارة فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر إليها من طرف خفي فقالت اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فتأثر لقولها واتعظ وتاب إلى الله تعالى وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الأرض التي قارف الذنب فيها فارتحل إلى فاس فأقام بها مدة وانتفع الناس به ثم انتقل بعدها إلى مكناسة فتوفي بها في السنة المذكورة قالوا وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب

وفي سنة ست وأربعين وثمانمائة **كان الوباء العظيم** بالمغرب هلك فيه جمع من كبار العلماء والأعيان ويسمى **هذا الوباء عند** أهل فاس بوباء عزونة

وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة في ذي القعدة منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والإيثار

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/٨٢

وفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة في أواخر ذي القعدة منها توفي إمام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأندلسي الأصل المعروف بالقوري ودفن بباب الحمراء منها

وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة في أواخر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله المحق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس والله أعلم

".(١)

" أن استهوى العدو قواده بالأموال الجزيلة ثم إن العدو خذله الله وأرسل أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة التي دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون تحت حكمه مخيرا في أي بلاد الأندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال فعند ذلك أرهف العدو حده وجعل غرناطة وأهلها من شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على حصون كثيرة لم نتعرض لذكرها حتى لم يبق له إلا غرناطة وأعمالها وقد اختصرنا معظم هذه الأخبار إذ لم تكن من موضوع الكتاب وإنما ألممنا بهذه النبذة تتميما للفائدة وزيادة في الإمتاع ولما كان اليوم الثاني والعشرون من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته إلى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الأرض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير فأحكمه وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف فإذا به قد صرف عزمه إلى الحصار والإقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد الطرق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق والطعام يأتي من ناحية جبل شلير إلى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام **واشتد الغلاء وعظم** البلاء واستولى العدو على أكثر الأماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس كثيرون من الجوع إلى البشرات ثم اشتد الأمر في شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار إليه من أهل العلم كأبي عبد الله الموافق شارح المختصر وغيره وقالوا انظروا لأنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فأحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب مشورته

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٠١/٤

وتكلموا في هذا الأمر وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكنا نظن أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب

". (١)

" في سواقي السلطان وغيره مثلها فبعث إليه أخوه السلطان وهو الناصر الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدال المشددة على لغة العامة وقال له نحن أحق بتلك الساقية فقال له الشيخ خذها وأخذ في الرحيل إلى مراكش ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفه في يده وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش ويقول أيا يا سلطنة إلى مراكش قال صاحب المرآة هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي قال وآخنيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب سيري معي وموضع بني فزنكار أظنه تاصروت فإن بها رسما منسوبا إليه إلى الآن وأنه منزله الذي كان يأوي إليه وما زالت آثاره هنالك والدار التي بنى بباب القليعة هي المتصيرة إلى تلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهروي المعروف بالطالب ولعل سنة إخراج السواقي هي سنة ست وعشرين وتسعمائة فإنه قد تعذر فيها المطر **وحدث الغلاء الكبير** المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمائة وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس إلى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم نهوض السلطان أبي عبد الله البرتغالي إلى مراكش ومحاصرته أبا العباس الأعرج السعدي بها

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمائة وما زال أمرهم في الزيادة إلى أن كانت دولة أبي العباس الأعرج منهم فاستفحل أمره وبعد صيته وفتك بنصارى السوس فكاتبه أمراء هنتاتة أصحاب مراكش ودخلوا في طاعته فانتقل إليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته وأقبل في جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر كذا في النزهة والذي عند غيره أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/١٠٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/١٤٧

" التجيبي المعروف بالزقاق فقيه فاس وهو صاحب المنظومة اللامية في علم القضاء وغيرها وفي سنة أربع وتسعمائة في يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفي الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريسي مؤلف المعيار وغيره من التآليف الحسان أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها في التاريخ المذكور وفيها أيضا توفي الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولي رضي الله عنهما وصفه شيخه المذكور بالكيمياء وكان يقال النظرة فيه تغني أفاض الله علينا من مدده

وفي سنة تسع عشرة وتسعمائة توفي الشيخ الإمام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي وقد تقدم خبره مع الشيخ أبي محمد الغزواني رحمهما الله

وفي سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس إلى استخراج السواقي من الأودية والأنهار لسقي زرعهم وثمارهم

وفي سنة سبع وعشرين بعدها **كان الغلاء والجوع** الكبير الذي صار تاريخا في الناس مدة

وفي سنة ثمان وعشرين بعدها **كان الوباء بالمغرب** سنة الله في خلقه وفي هذه المدة أعني أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما في الدوحة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفياني دفين جزيرة البسابس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو في البحر من جهة المشرق وكان من أصحاب الشيخ التباع والروضة التي عليها بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن المجذوب يقال إنه لما أكملها رآه في المنام وألبسه حلة خضراء

وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة في ثاني يوم من ربيع الأول منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاجي المعروف بالفلاح ضجيع القاضي عياض في روضته بحومة باب إيلان من مراكش وهو من أصحاب

". (١)

" خلافته أربع سنين ومن حجابه القائد رضوان العلج وكتابه محمد بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وقضاته قضاة ولد أخيه

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤/١٦٥

وكان يتزيا بزي الترك ويجري مجراهم في كثير من شؤونه وكان يتهم بالميل إلى الأحداث وربما كان يظهر ذلك وكان أخوه أبو العباس المنصور خليفته على فاس كما مر وكانت له فيه محبة تامة وكان يظهر أنه ولي عهده ويرشحه لذلك كثيرا حسبما أفصحت عنه رسائله التي كان يبعث بها إليه

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث

ففي سنة ثمان وعشرين وتسعمائة **كان الوباء بالمغرب** كما قدمنا

وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة نزل مطر غزير بمراكش حتى امتلأت منه الآبار وتهدمت الدور وصار الناس يؤرخون بعام الآبار

وفي سنة إحدى وستين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي من أولاد أبي السباع ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت من أعمال مراكش وقبره مزارة مشهورة وعليه بناء حفيل

وفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفي الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله ابن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالهبطي وكانت وفاته في ذي القعدة من السنة المذكورة وكان رحمه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن فوائده ما حكاه عنه في الدوحة قال سألت شيخنا الإمام أبا محمد عبد الله الهبطي عن الشيخ أبي محمد الغزواني وكان من أصحابه فقلت له يا سيدي ما لسائر المشايخ من أصحاب الشيخ الغزواني كأبي الحجاج التليدي وأبي البقاء اليالصوتي وأبي الحسن علي بن عثمان وغيرهم يصرحون بقبطانية الشيخ وينسبونك أنت إلى التقصير في حقه حيث لم تقل بما يقولونه فقال لي رضي الله عنه قد علمت معنى الشهادة في الشرع ما هي فقلت نعم فقال لي كيف لي أن أشهد لأحد بمقام معين وأنا لم أسلكه ولم أتحققه ولم يكشف لي عنه فإن فعلت فقد شهدت شهادة الزور فقلت له وأي شهادة تشهد في الشيخ

---

(١) ".

" صلحت حالته وتاب مما كان عازما عليه وأنه ندم على ما فرط منه فقال لهم اذهبوا إلى مكناسة واختبروا أمره كافيا وانظروا هل رجع عن أباطيله وتنصل من أضاليله فلما أتوه وجدوه أخبث مما تركوه وعاينوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفه اللسان فلما جلسوا إليه في محبسه لم يسألهم إلا عن أصحاب بطانته وقرناء السوء من أهل غيه ولم يظهر الأسف إلا على تلك العصابة ورآهم أهل الإصابة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٨٧/٥

وكان من الأعيان الذين وجههم المنصور أولا وآخرا أولاد الشيخ أبي عمرو القسطلي وأولاد الشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي وأولاد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار وغيرهم فلما رجعوا إلى المنصور من مكناسة سألهم عن الخبر فنافق بعضهم وقال وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه وتكلم بعض أولا د الشيخ ابن ساسي فقال لا والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت الأمير بالخديعة إن ولدك لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ولا تحكمه على عيال الله فإنا وجدناه خبيث الطوية قبيح السريرة لم يندم على ما فرط منه فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد فقال لهم المنصور افتوني في أمر هذا الولد فلم يجبه أحد إلا باشاه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي فإنه قال له الرأي أن تقتله فإنه لا ينجبر أمره ولا يرجى صلاحه وقد رأيت ما صنع فلم يعجب المنصور ذلك وقال كيف أقتل ولدي ثم بعث إلى مكناسة يأمر بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك ثم خرج المنصور فنزل بمحلته في ظهر الزاوية قاصدا مراكش بعد أن استخلف ابنه زيدان على فاس وأعمالها وقد كان كتب إلى ولده أبي فارس خليفته على مراكش برسالة أجابه فيها عما كتب به إليه في **شأن الوباء الذي** ظهر بالسوس ومراكش هل يفر منه أم لا ونصها

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره وظفر عساكره وأسعد بمنه موارده ومصادره إلى ولدنا الأجل الأفضل الأكمل الأعز الأبر الأسعد الأمجد الأرضى بابا أبي فارس وصل الله تعالى عنايتكم

". (١)

" ووالى بمنه رعايتكم وسلام عليكم ورحمه الله أما بعد فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء حاطها الله عن الخير والعافية ونعم الله المتوافية لله الحمد وله المنة وأنه اتصل بعلي مقامنا كتابكم الأعز عشية يوم الثلاثاء فكتبنا إليكم صبيحة يوم الأربعاء ولولا أنه وصل يوم الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه حرصا منا بذلك على المبادرة بوصوله إليكم في الحين وإلى هذا أسعدكم الله أن أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم إذا لاح لكم شيء من **علامات الوباء ولو** أقل القليل حتى بشخص واحد ويبقى في القصبة وصيفنا مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر وتتركوا مائة رام تثقون بها من رماتكم مع أصحاب السقيف وتتكلون على الله وتخرجون بالسلامة ثم لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميلة والتقلب بها بل لا تزيدوا إذا خرجتم على المقام أكثر من

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥/١٧٨

يومين ثم اطووا المراحل إلى أن تنزلوا بسلا وتدخلوها دخول هناء وعافية إن شاء الله وهناك يكون لقاؤنا بكم لقاء يمن وسعادة إن شاء الله ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق أسعدكم الله فلازموه وإذا استشعرتم منه حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف المعروف منه ولا تهملوه وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبيبة بحيث منعه الحال من المداومة على الترياق فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هناكم عند التونسي فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود إليها والله تعالى بمنه وبحرمة صفوة خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعا ويحلكم من جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا وأن يعافي البلاد والعباد بمنه وفضله والسلعة أسعدكم الله تبادرون بإرسالها إلينا وكذلك القائد مسعود النبيلي تعزمون بإرساله إلى حيث أمرناه بالمقام من خنق الوادي بالسوس وطريق تاحظيشت واعلم أسعدكم الله ما قط أرضانا أن أمرها يتم وقبل عقلنا الكريم إن أهل درن يتجرون بسببها ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم إن شاء الله وأنتم

". (١)

" تحاولون أسعدكم الله سلوك الناس على بويباون على العادة وتجهدوا في أن تكون إن شاء الله سابلة وأولائكم أعني أهل طريق تاحظيشت يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد إن شاء الله ومسألة أيسي التي كتبت لكم من خنق الوادي على الزرع وأنه ما عندهم ما يكفيهم منه سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع إليهم على البحر فإن كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ إليهم وإن لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر أيسي هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء وألزموه عهدته وشددوا عليه في أمره وخالنا القائد حمو بن محمد الذي استأذنكم في الخروج عن ذلكم المرض من المحمدية فإذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق بأهل تلك المحلة بخنق الوادي ويترك في القصبة أهل الأندلس مع قائدهم ومسألة مؤمن بن منصور مع هكسيمة التي ذكرتم أسعدكم الله إن مؤمنا قد تثاقل بدمنات بسبب مرض ألم به حتى جاء به شاوش وإن أخاه ذلكم المفسود بعث إليه يلتقي معه بتامصلوحت فعلى بركة الله والحاضر بصيرة وهذا موجبه إليكم والله يصل بمنه رعايتكم والسلام وفي يوم الأربعاء رابع عشر رمضان المعظم عام أحد عشر وألف عرفنا الله خيره وبركته وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا كتابكم ونحن نجيبكم عما تحتاجون

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٧٩/٥

إلى الجواب عنه والبطاقة التي ترد عليكم من السوس من عند الحاكم أو ولد خالكم أو غيرهما لا تقرأ ولا تدخل دارا بل تعطى لكاتبكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم مضمنها ولأجل إن كاتبكم يدخل مجلسكم ويلابس مقامكم حتى هو لا يفتحها إلا بعد أن تغمس في خل ثقيف وتنشر حتى تيبس وحينئذ يقرؤها ويعرفكم بمضمنها إذ ليس يأتيكم من السوس والله سبحانه أعلم ما يوجب الكتمان عن مثل كتابكم وقد طالعنا كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد بن الصغير وصح عندنا من فحوى كلامه ما ذكرتم عنه من أنه أكثر من **خبر الوباء ليجده** ذريعة للخروج من السوس

". (١)

" عائد عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ونسلم على ولدنا الأعز الأرضى بابا عبد الملك وعلى ابنتنا الرضية سيدة الملك ونحن في غاية الاشتياق والتوحش لها جمع الله بكم الشمل جميعا آمين بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام اه

قال مؤلفه عفا الله عنه قد وقع في كلام المنصور رحمه الله أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما الأول إذنه لولده أبي فارس في الخروج من مراكش إذا ظهر بها **أثر الوباء ولو** شيئا يسيرا وهذا الأمر محظور في الشرع كما هو معلوم ومصرح به في الأحاديث والثاني أمره إياه أن لا يقرأ البطائق الواردة عليه من السوس وإنما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تغمس في الخل وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم في تحفظهم **من الوباء المسمى** عندهم بالكرنتينة وقد اتفق لي فيها كلام أذكره هنا تتميما للفائدة وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين ومائتين وألف عرض لنا سفر إلى حضرة السلطان المولى أبي علي الحسن بن محمد الشريف أيده الله عز وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة ومررنا في طريقنا على المحب القائد الأنبل أبي عبد الله محمد بن إدريس الجراري بثغر الجديدة وهو يومئذ م‍تول لعملها فأجل قدومنا على عادته حفظه الله في محبة العلم ومن ينتمي إليه وحضر معنا عنده بعض فقهاء الوقت وكانت السنة سنة وباء فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى في أمر الكرنتينة من حبس المسافرين وشذاذ الآفاق عن المرور بالسبل والدخول إلى الأمصار والقرى ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم وحصل التوقف تلك الساعة في حكمها الشرعي ماذا يكون لو أجريت على قواعد الفقه ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاعة الطهطاوي المصري في أخبار باريز

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥/١٨٠

فرأيته ذكر في صدرها أنه وقعت المحاورة بين العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد المناعي التونسي المالكي المدرس بجامع الزيتونة ومفتي الحنفية بها العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد البيرم في إباحة الكرنتينة وحظرها فقال المالكي بحرمتها وألف في ذلك

". (١)

" رسالة واعتماده في الاستدلال فيها على أن الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء وقال الحنفي بإباحتها واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا فلما وقفت على هذا الكلام تجدد لي النظر في حكم هذه الكرنتينة وظهر لي أن القول بإباحتها أو حرمتها منظور فيه إلى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسلة على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ثم يوازن بينهما وأيتهما رجحت على الأخرى عمل عليها فإن استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه ونحن إذا أمعنا النظر في هذه الكرنتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة أما المصلحة فهي سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة لأنه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وأنه مهما استعملها أهل قطر أو بلد إلا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير أو الأكثر أنهم يستعملونها ويبالغون في إقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ومن زعم أن السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان إذ البينة على المدعي فنتج من هذا أن مصلحة الكرنتينة مشكوكة أو معدومة وإذا كانت كذلك فلا يلتفت إليها شرعا بل ولا طبعا لأنها حينئذ من قبيل العبث وأما المفسدة فهي دنيوية ودينية أما الدنيوية فهي الإضرار بالتجار وسائر المسافرين إلى الأقطار بحبسهم وتسويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم وأما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح في توكلهم وإيهام أن ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه وناهيك بهما مفسدتين محققتين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون فإن العامة لقصور أفهامهم قد تذهب أوهامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون في ورطة ضعف الإيمان عياذا بالله فإن قلت هذا الكلام فيه ميل إلى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الأمة قلت ليس فيه ميل إلى سوء الظن بهم وإنما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا نتركهم هملا يفعلون ما شاؤوا أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع أن سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لا سيما في المذهب

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٣/٥

---

(١) ".

" المالكي ولأمر ما جاءت الشريعة المطهرة ممتلئة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ورد الأسباب والمسببات كلها إلى الله تعالى مع ما في استعمال هذه الكرنتينة مع الاقتداء بالأعاجم والتزيي بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم إلى الإصابة والحكمة كما قد يصرح به الحمقى من العوام فأما إذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله فأي مفسدة أقبح من هذه فالحاصل أن الكرنتينة اشتملت على مفاسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ﴾ ما نصه دل على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز **عن الوباء والتحرز** عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب اه وهو يقتضي بظاهره أن الاحتراز **عن الوباء واجب** بأي وجه كان ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذي ليس فيه مفسدة شرعية كعدم القدوم على الأرض التي **بها الوباء ونحو** ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعده الشريعة كبعض العلاجات المستعملة في إبانة المنقولة عن أئمة الطب أما بالوجه الذي يشتمل على مفسدة أو مفاسد كهذه الكرنتينة فلا هذا ما تحرر في هذه المسألة والله أعلم

ولما وقف على هذا الكلام أخونا في الله العلامة الأستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي وهو اليوم قاضي حضرة مراكش كتب إلي ما نصه وأما حكم الكرنتينه فهو ما ذكرتم من الحظر وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفاسد العظيمة التي لا تفي بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة في الجهات المتعددة ولا يخالف في هذا الحكم إلا مكابر متبع للهوى فماذا بعد الحق إلا الضلال ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك تركناها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه

---

(٢) ".

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٤/٥

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٥/٥

" وفاة المنصور رحمه الله

كان المنصور رحمه الله بعد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع إلى مراكش فلما بلغه **ظهور الوباء بتلك** الناحية تربص إلى أن دخلت سنة اثنتي عشرة وألف **فانتشر الوباء في** بلاد الغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما نذكره

قال صاحب الأصليت وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلي كنا نسمع أن السلطان المنصور إذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس لا يرجع إلى مراكش وذاع هذا الخبر في الناس قبل نزوله فكان الأمر كذلك ثم لا أدري من أين للناس بذلك هل أنطقهم الله به أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الأشبه والله أعلم قال ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا لكن بعد الوقوع والنزول أن دخول رايات أبي العباس المنصور في حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية في دار إمارته كاغو مع تنبكتو وأعمالها كل ذلك من أمارات خروج الإمام المهدي الفاطمي **وكذلك الوباء المنتشر** في هذه الأعوام وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد حتى الآن وبقي من إمارات خروجه فيما نسمع فتح وهران إما على يده أو بإذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الأمر اه

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدي عميرة يوم الأربعاء حادي عشر ربيع النبوي سنة اثنتي عشرة وألف ودخل إلى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفي هنالك ليلة الاثنين الموالي لتاريخه ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم هنالك ضحوة يوم الاثنين المذكور وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار

قال اليفرني كانت وفاة المنصور بالوباء وقال الشيخ أبو محمد عبد

---

(١) ".

" وقعة المترب موضع خارج باب الفتوح وسببها أن أهل فاس استغاث بهم الملالقة واستصرخوهم على شراقة مكيدة وحيلة فخرجوا في يوم شديد الريح وكمن لهم شراقة بخولان وأغاروا عليهم بغتة فانهزم الناس وقتل من أهل فاس نحو الألفين

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٦/٥

وفي نشر المثاني سبعمائة فقط قال وجلهم هلك بالعطش وغلقت الأبواب واضطربت المدينة وهاج الشر بسبب ذلك مدة ثم خرج أهل فاس مرة أخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه وأسروه وبقي في أيديهم فعفوا عن قتله وأطلقوه وذهبوا خلفه حتى دخل داره من فاس الجديد

ولما قتل أبوه الشيخ سنة اثنتين وعشرين كما مر واتصل خبر مقتله بابنه عبد الله عزم على الأخذ بثأره من قاتليه أولاد أبي الليف وأزمع المسير إليهم ووافقه على ذلك الشريف أبو الربيع والفقيه المربوع وأصحابهما وامتنعت العامة من الذهاب معهم لأن الشيخ لم تبق له في نفوس المسلمين مودة حيث باع العرائش للنصارى فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا لا نقبل سليمان ولا المربوع وحاصوا حيصة حمر الوحش واتخذوا رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم أدى إلى قتل الشريف مولاي إدريس بن أحمد الجوطي العمراني التونسي وسبب ذلك أن منادي أبي الربيع مر ينادي في السوق باستنفار الناس مع عبد الله بن الشيخ فقام إليه الشريف مولاي إدريس وضربه بعصا وسبه فأقبل أبو الربيع ومن معه واقتحموا على مولاي إدريس دار القيطون وقتلوه على خصتها ولما كان صباح القبر من الغد قام ولد مولاي إدريس وشكا هضيمته لعلماء فاس فأمروه بالصبر ثم التف عليه أهل العدوة وقصدوا دار أبي الربيع وناوشوه الحرب فرجعوا مفلولين وقتل بعضهم والأمر لله وحده **ووقع الغلاء حتى** بيع القمح بأوقيتين وربع للمد وكثرت الأموات حتى أن صاحب المارستان أحصى من الأموات من عيد الأضحى من سنة اثنتين وعشرين وألف إلى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة وخربت أطراف المدينة وخلت المداسر ولم

ـــــــــــــــــــــ

". (١)

" في **أيامه الغلاء المؤرخ** بعام سبعين وألف وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش إلى أن توفي بها سنة تسع وسبعين وألف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف بأربعين يوما

وقال منويل لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشباني خالفت عليه آسفي وأعمالها فغزاهم ثم رجع مفلولا إلى مراكش وكانت **المجاعة** المشهورة عقب ذلك ثم قتله بعض أجناده دخل عليه فطعنه برمح فأتلفه ثم قبض على القاتل وقتل أيضا في الحين ولما توفي بايع الناس ولده أبا بكر ابن عبد الكريم فبقي إلى أن

ـــــــــــــــــــــ

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦/٥٤

قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ثم تتبع الشبانات فأفناهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث فنقول

في سنة ثلاث عشرة وألف في ثاني عشر محرم منها توفي الولي الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي المعروف بابن حسون نسبة إلى جده الحسن المذكور وهذا الشيخ هو دفين سلا الشهير بها أصله من سلاس مدشر على مرحلة من فاس ثم انتقل إلى سلا وسبب انتقاله إليها أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله إذا غلب أهل مدشره فرح وإذا انهزموا حزن ففكر في نفسه وقال محبة الغلبة تستدعي محبة الشر للمسلمين وعلي عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغي الشر لهم فارتحل إلى سلا ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع إلى بلادهم وحثوا عليه في ذلك فأخذ قدحا وملأه من ماء البحر ووضعه ثم قال لهم ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا وتتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذي منه في القدح ساكن فقالوا له لأنه لم يبق في البحر فقال لهم الغربة تصفي

". (١)

" وتسكن فعلموا مراده وانصرفوا آيسين قلت وفي انتقاله من سلاس إلى سلا إشارة لطيفة وهي أن لفظ سلاس باعتبار تفكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ منه بطريق الإشارة أنه سلو موصول بكدر بخلاف لفظ سلا فإنه سلو محض وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمه الله أن مدينة سلا كانت مقصدا للعبادة وأهل الخلوة والانفراد من لدن قديم أخذ الشيخ ابن حسون عن أبي محمد الهبطي عن أبي محمد الغزواني عن التباع عن الجزولي رضي الله عنهم وكان صاحب أحوال تهدى إليه الثياب الرفيعة فيأمر بها فتلقى في بيت مسدود فتبقى فبه حتى يأكلها السوس وتضيع وكان كل يوم يصبح على بابه أرباب الآلات بالطبول والأبواق يضربون عليه النوبة وغير ذلك وقد تكلم عليه الشيخ اليوسي في المحاضرات وحمله محملا جميلا وكرامات ابن حسون كثيرة شهيرة نفعنا الله به وبأمثاله

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦/١٠٩

وفي السنة المذكورة في ربيع الأول منها توفي الشيخ العارف بالله تعالى العلام الرباني أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي جد السادة الفاسيين وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل ببسطها كتاب مرآة المحاسن لابنه العلامة أبي عبد الله محمد العربي الفاسي الموضوع لهذا القصد بالخصوص

وفي سنة أربع عشرة وألف **كان الغلاء العظيم** بفاس قال صاحب الممتع في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن حكيم بالأندلسي أنه اعتراه ذات يوم حال فجاء إلى بعض أفران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن أغلق فرنك أغلق فرنك ويصيح به فإذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطل ذلك الفرن وغيره من أفران المدينة وكان يمر بالطرقات فيقول الناس يأكلون عن أولادهم ويكرر ذلك على جهة الإنكار **فجاء الغلاء المذكور** فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الأكل بالأسواق قبل ذلك

". (١)

"

وفي سنة خمس عشرة وألف في ثاني جمادى منها جاء بفاس سيل عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب ببعض أنادر الزرع وحمل أمة من باب الفتوح فماتت

وفي سنة اثنتين وعشرين وألف حدث الشر بفاس **ووقع الغلاء حتى** بيع القمح بأوقيتين وربع للمد وكثرت الموتى حتى أن صاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الأضحى من سنة اثنتين وعشرين وألف إلى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة وخربت أطراف فاس وخلت المداشر ولم يبق بلمطة سوى الوحوش

وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثاني والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس ذكر صاحب الممتع في ترجمة أبي عبد الله بن حكيم المذكور آنفا أنه كان قبل الزلزلة المذكورة يصيح المردومات المردومات فإذا بالزلزلة حدثت قال فما بقيت دار من دور فاس غالبا إلا دخلتها الفؤس

وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر بيض الدجاج وأكبر وأصغر ورئي حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر أهلها عنها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦/١١٠

وفي سنة ست وثلاثين وألف توفي الإمام العارف بالله تعالى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي المعروف بالعارف بالله وهو أخو أبي المحاسن المذكور آنفا ومناقبه شهيرة أيضا

وفي السنة المذكورة **كان الغلاء بفاس** والمغرب

وفي سنة أربعين وألف عشية يوم الخميس ثالث ذي الحجة منها توفي الشيخ الإمام العلامة الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا الفاسي منشأ ودارا الفقيه المشهور كان رحمه الله له الباع الطويل في المشاركة في العلوم مع غاية التحرير والتحقيق وله التأليف الحسان التي أغنى فيها عن الخبر والعيان وكان ورعا سنيا وكان لا

". (١)

" يتخذ القراء على جنائز أقاربه ويقول يمنعني من ذلك أنهم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذر في التخلف عن الجنائز

وفي سنة اثنتين وخمسين وألف توفي الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي وكان رحمه الله متفننا عالما له عناية كبيرة بتحصيل المسائل وتفييدها والاطلاع على غريبها وشريدها وهو صاحب مرآة المحاسن وكان جوالا في بوادي المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة المطاف إلى مدينة تطاوين فألقى بها عصا التسيار إلى أن توفي في السنة المذكورة ثم نقل إلى فاس بعد سنتين فوجد طريا رحمه الله

وفي سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالا وكاد ينعدم بالكلية وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالا ونساء نسأل الله العافية

وفي سنة سبعين وألف **كان الغلاء المفرط** بالمغرب لا سيما بمراكش وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربون المثل بغلائها إلى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويحلهم من كنفه في حصن حصين آمين

تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع

وأوله الخبر عن دولة الإشراف السجلماسيين من آل علي الشريف وذكر نسبهم وأوليتهم

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦/١١١

". (١)

"

أيديهم إلى أموال الناس وزروعهم بالنهب لما مسهم من ضرر الجوع فشكا الناس ذلك إلى السلطان فأمر بقتل كل من وجد خارج المحلة فقتل في ذلك اليوم من الجيش نحو الثلاثمائة ثم أمر بجر الوزير أبي زيد عبد الرحمن المنزري لأمر نقمه عليه وقتل أصحابه بالرصاص فجر الوزير المذكور إلى فاس ومكناسة ولم يصل إليهما إلا بعض شلوه فطرح على المزبلة ووصل السلطان إلى مكناسة فاحتل بدار ملكه واقتعد أريكة عزه

ثم دخلت سنة تسعين وألف ففي المحرم منها **وقع الوباء بفاس** وأعمالها فأمر السلطان العبيد أن يردوا الناس عن مكناسة فكانوا يتعرضون لهم في الطرقات بناحية سبو وسايس يردونهم عن مكناسة وكل من يأتي من ناحية القصر وفاس يقتلونه فانقطعت السبل وتعذرت المرافق

وفي أواخر المحرم من هذه السنة أوقع جيش المسلمين بنصارى طنجة فقتلوا منهم نحو ثلاثمائة وخمسين وانتزعوا منهم قصبة بأربعة أبراج واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رحمهم الله نقل زرارة والشبانات إلى وجدة وبناء القلاع بالتخوم وما تخلل ذلك

وفي هذه السنة التي هي سنة تسعين وألف أمر أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله بنقل عرب زرارة والشبانات قوم كروم الحاج من الحوز إلى وجدة لما كانوا عليه من الظلم والفساد في تلك البلاد فأنزلهم بوجدة ثغر المغرب وكتبهم في الديوان وولى عليهم أبا البقاء العياشي بن الزويعر الزراري وتقدم إليه في التضييق على بني يزناسن إذ كانوا يومئذ منحرفين عن الدولة ومتمسكين بدعوة الترك فكان زرارة والشبانات يغيرون عليهم ويمنعونهم من الحرث ببسيط آنكاد وأمر السلطان رحمه الله أن تبنى عليهم قلعة من ناحية الساحل قرينة وجدة بالموضع المعروف برفادة وأمر القائد

". (٢)

"

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١١٢/٦

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦١/٧

السلطان إسماعيل بأن ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي بالسوس قد استولى على بلاد آيت زينب وقويت شوكته فأمر السلطان رحمه الله بتفريق الراتب وتجهيز العساكر إليه من فاس وتوجهت في ثامن ربيع الأول من السنة ثم بلغه أن العسكر المحاصر للمهدية قد أشرف على فتحها وتوقفوا على حضوره فنهض رحمه الله إليهم حتى حضر الفتح وأخرج رئيس النصارى فأمنه وأمن أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة أنفس وأما الغنيمة فقد أحرزها المجاهدون من أهل الفحص والريف الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمر بن حدو البطوئي ورجع السلطان إلى مكناسة بعد أن أنزل بالمهدية طائفة من عبيد السوس لعمارتها وسد فرجتها وحضر هذا الفتح جماعة من متطوعة أهل سلا منهم الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد حجي من صلحائها المشهورين بها واعلم أن السور العادي الذي اليوم بالمهدية هو من بناء البرتغال أيام استيلائهم عليها في دولة الوطاسيين كما مر

ولما فرغ المجاهدون من أمر المهدية ارتحلوا مع أميرهم عمر بن حدو **فأصابه الوباء فمات** في الطريق وتولى رئاسة المجاهدين أخوه القائد أحمد بن حدو تقسمها هو والقائد أبو الحسن علي بن عبد الله الريفي وكان أولاد الريفي هؤلاء من الشهرة في الجهاد والمكانة في الشجاعة ومكائد الحرب بمنزلة أولاد النقسيس وأولاد أبي الليف وأضرابهم رحم الله الجميع

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وألف فيها غزا السلطان بلاد الشرق فنهب بني عامر ورجع إلى مكناسة وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة وبنى لهم حارة خارجها بالموضع المعروف ببريمة وكلف أهل تافيلالت الذين بفاس بالرحيل إلى مكناسة والسكنى بحارة اليهود القديمة التي أخليت فلم يزل أهل تافيلالت يذهبون أرسالا ويسكنونها بالكراء حتى ضاقت بهم

ثم بلغه أن الترك قد خرجوا بعسكرهم واستولوا على بني يزناسن وعلى

". (١)

"

كبير ضرر للدولة بخلاف المستنصر العبيدي فإنه ولي وهو ابن سبع سنين فكان في صدر دولته تحت الاستبداد وحدث في **أيامه الغلاء العظيم**

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٧/٦٤

قال ابن خلكان وهو غلاء لم يعهد مثله بمصر منذ زمان يوسف عليه الصلاة والسلام واستمر سبع سنين أكل الناس فيها بعضهم بعضا وبيع رغيف واحد بخمسين دينارا وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها وكانوا إذا مشوا يتساقطون في الطرقات من الجوع إلى غير ذلك فلذا قلنا لا يستوي حال ملك المولى إسماعيل وملك المستنصر رحمهما الله

ولما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة وألف مرض أمير المؤمنين المولى إسماعيل مرض موته قال في نشر المثاني كان ابتداء مرضه في ثاني يوم من جمادى الأولى من السنة المذكورة ولما أحس بالضعف بعث إلى ولده المولى أحمد صاحب تادلا يستقدمه فقدم عليه وأقام ثلاثا ثم اخترمته المنية رحمه الله يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وتولى غسله الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري وصلى عليه الفقيه العلامة أبو علي الحسن بن رحال المعداني ودفن بضريح الشيخ المجذوب رضي الله عنه من حضرة مكناسة

قال في البستان كان السلطان المولى إسماعيل قد عهد بالأمر إلى ولده المولى أحمد المذكور وكان يعبر عنه بولي العهد وأنكر أكنسوس أن يكون السلطان المذكور قد عهد لأحد من أولاده قال كما أخبرنا بذلك السلطان العالم المولى سليمان بن محمد رحمه الله مرارا وكان يحكى في ذلك خبرا وهو أن المولى إسماعيل لما أيقن بالموت دعا وزيره وعالم حضرته الكاتب أبا العباس اليحمدي وقال له إني في آخر يوم من أيام الدنيا فأحببت أن تشير علي بمن أقلده هذا الأمر من ولدي لأنك أعرف بأحوالهم مني فقال له يا مولانا لقد كلفتني أمرا عظيما وأنا أقول الحق أنه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين كان لك ثلاثة المولى محرز والمولى المأمون والمولى محمد فقبضهم الله إليه فقال له السلطان جزاك الله خيرا وودعه

." (١)

"

تعالى ثم أعيدت الصلاة تاسعة والخطيب القاضي بردلة وخرج يومئذ في جملة الناس شيخ الإسلام وبركة الأمة الإمام أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي راكبا على حمار جاعلا الأشراف من أهل البيت الطاهر أمامه مستشفعا بهم إلى الله تعالى فنزل عند الرجوع مطر قليل ومن الغد نزل المطر الغزير الكافي

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٧/١٠٠

النافع فانحطت الأسعار ونزل القمح إلى خمس وثلاثين أوقية بعدما كررت الصلاة تسع مرات وكانت الصلاة التاسعة يوم الاثنين خامس المحرم فاتح سنة إحدى وتسعين وألف

وفي سنة تسع وثمانين وألف في ليلة الجمعة الثاني عشر من شعبان منها توفي الشيخ المولى أبو محمد عبد الله الشريف الوزاني الشهير وكان عمره يوم توفي خمسا وثمانين سنة وتوفي ولده الشيخ المولى أبو عبد الله محمد وقت العشاء ليلة الجمعة الثامن والعشرين من المحرم سنة عشرين ومائة وألف وعمره يومئذ ثمانون سنة وتوفي ابنه الشيخ القطب المولى التهامي ابن محمد طلوع شمس يوم الاثنين فاتح المحرم من سنة سبع وعشرين ومائة وألف وعمره ست وستون سنة وتوفي الشيخ مولاي الطيب ابن محمد يوم الأحد وقت طلوع الفجر ثامن عشر ربيع الثاني سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وعمره نيف وثمانون سنة وتوفي ابنه الشيخ مولاي أحمد ضحوة يوم السبت الثامن عشر من صفر سنة ست وتسعين ومائة وألف وتوفي ابنه الشيخ مولاي علي بن أحمد يوم الثلاثاء آخر يوم من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائتين وألف وتوفي ابنه الشيخ سيدي الحاج العربي بن علي يوم الأربعاء فاتح سنة سبع وستين ومائتين وألف وقد أتينا بوفاة هؤلاء السادة الوازانيين مجموعة هنا لما في ذلك من المناسبة والتقريب ويتصل نسبهم بالمولى يملح بن مشيش أخي المولى عبد السلام بن مشيش ثم بالمولى إدريس بن إدريس رضي الله عنهم وأماتنا على محبتهم وحشرنا في زمرتهم

وفي سنة تسعين وألف **وقع الوباء العظيم** بالمغرب فكان عبيد السلطان يردون الواردين من الآفاق على مكناسة الزيتون كما مر

". (١)

" غزو السلطان أبي الحسن أهل جبل فازاز في جيش العبيد وهزيمتهم إياه

لما كانت أواخر سنة ثمان وأربعين ومائة وألف أخذ السلطان أبو الحسن في الاستعداد وتجهيز العساكر لآيت ومالو وكان ذلك منه إسعافا للعبيد ليأخذوا بثأرهم من البربر في الوقعة السابقة أيام السلطان المولى عبد الله فخرج إليهم في المحرم فاتح سنة تسع وأربعين ومائة وألف في جيش كثيف من العبيد فلما نذروا بإقباله إليهم ودنوه منهم أظهروا الفرار أمامهم مثل الفعلة الأولى فصاروا يتأخرون ويتبع آثارهم فينزل منازلهم إلى أن عبروا وادي أم الربيع ودخلوا في الجبال فعبر السلطان خلفهم وتقدم العبيد إلى الجبال

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٠٧/٧

والأوعار فاقتحموها عليهم فلما توسطوها كرت البربر عليهم وانقضوا عليهم من الثنايا انقضاض العقبان وأحاطوا بهم من كل وجه فولوا منهزمين وازدحموا على الثنايا وسلكوا سبيلهم في المرة الأولى من ترك الخيل والسلاح والأبنية والأثاث والنجاة بمجرد أعناقهم وسلبهم البربر حتى من الثياب ولم يتعرضوا لل سلطان في موكبه وخاصته إلى أن عبر وادي أم الربيع فرجعوا عنه ولما دخل مكناسة طالبه العبيد بالكسوة والسلاح والراتب فلم يكن عنده ما يعطيهم فشغبوا عليه ومرضوا في طاعته

وقد أجمل صاحب نشر المثاني هذه الأخبار فقال وفي هذه السنة يعني سنة تسع وأربعين ومائة وألف أهلك الله كل من خرج على السلطان مولاي عبد الله وقويت الفتن وارتفعت الأسعار وانحبست الأمطار وقاسى الناس الشدائد **من الغلاء وقل** الإدام وانقطع اللحم وهلكت رقاب كثيرة ولم يزل الأمر في شدة وفر الناس كل فرار

". (١)

"واختطت العرب في هاتين المدينتين خططهما. إلا أن القوم جميعا قد انتقل وجوههم، وجلتهم، ومياسير تجارهم، إلى بغداد. ولم ينزل بنو أمية العراق، لأنهم كانوا نزولا بالشأم. وكان معاوية بن أبي سفيان عامل الشأم، لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان عشرين سنة؛ وكان ينزل مدينة دمشق، وأهله معه. فلما غلب على الأمر، وصار إليه السلطان، جعل منزله وداره دمشق، التي بها كان سلطانه وأنصاره وشيعته ثم نزل بها ملوك بني أمية بعد معاوية. لأنهم بها نشأوا، لا يعرفون غيرها؛ ولا يميل إليهم إلا أهلها. فلما أفضت الخلافة إلى بني عم رسول الله، صلى الله عليه وآله، من ولد العباس بن عبد المطلب، عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم، وكمال آرائهم، فضل العراق، وجلالتها، وسعتها، ووسطها للدنيا؛ وإنها ليست كالشأم الوبيئة الهواء الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتصلة الطواعين، الجافية الأهل.

ولا كمصر المتغيرة الهواء، الكثيرة الوباء، التي إنما هي بين بحر رطب، عفن، كثير البخارات الرديئة، التي تولد الأدواء، وتفسد الغذاء، وبين الجبل اليابس الصلد، الذي ليبسه، وملوحته، وفساده، لا ينبت فيه خضر ولا ينفجر منه عين ماء.

ولا كأفريقية البعيدة عن جزيرة الإسلام، وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل، الكثيرة العدو، ولا كأرمينية النائية، الباردة، الصردة، الحزنة، التي يحيط بها الأعداء. ولا مثل الجبل كور الحزنة، الخشنة، المثلجة، دار

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٧/١٤٠

الأكراد الغليظي الأكباد. ولا كأرض خراسان، الطاعنة في مشرق الشمس، التي يحيط بها من جميع أطرافها عدو كلب، ومحارب حرب. ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب، التي قوت أهلها من غيرها. وقد أنبأنا الله عز وجل في كتابه عن إبراهيم خليله، عليه السلام، فقال: " رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع " . ولا كالتبت التي بفساد هوائها وغذائها، تغيرت ألوان أهلها، وصغرت أبدانهم، وتجعدت شعورهم.

فلما علموا أنها أفضل البلدان، نزلوها، مختارين لها، فنزل أبو العباس، أمير المؤمنين، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الكوفة، أول مرة. ثم انتقل إلى الأنبار، فبنى مدينة على شاطئ الفرات؛ وسماها الهاشمية. وتوفي أبو العباس رضه قبل أن يستتم المدينة. فلما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة وهو أيضا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بنى مدينة بين الكوفة والحيرة، سماها الهاشمية، وأقام بها مدة، إلى أن عزم على توجيه ابنه محمد المهدي لغزو الصقالبة، في سنة أربعين ومائة؛ فصار إلى بغداد، فوقف بها وقال: ما اسم هذا الموضع؟ قيل له: بغداد. قال: هذه والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي أني أبنيها، وأنزلها، وينزلها ولدي من بعدي. ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام، حتى يتم تدبير الله لي وحكمه في، وتصح الروايات، وتبين الدلائل والعلامات، وإلا فجزيرة بين دجلة والفرات؛ دجلة شرقيها، والفرات غربيها؛ مشرعة للدنيا، كل ما يأتي في دجلة، من واسط، والبصرة، والأبلة، والأهواز، وفارس، وعمان واليمامة، والبحرين، وما يتصل بذلك فإليها ترقى، وبها ترسى.

وكذلك ما يأتي من الموصل، وديار ربيعة، وآذربيجان، وأرمينية، مما يحمل في السفن في دجلة. وما يأتي من ديار مضر والرقة، والشأم، والثغور، ومصر، والمغرب، مما يحمل في السفن في الفرات، فيها يحتط وينزل، ومدرجة أهل الجبل وأصبهان وكور خراسان. فالحمد لله الذي ذخرها لي، وأغفل عنها كل من تقدمني، والله لأبنينها، ثم أسكنها أيام حياتي، ويسكنها ولدي من بعدي؛ ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض، ثم لأبنين بعدها أربع مدن لا تخرب واحدة منهن أبدا فبناها وهي: الرافقة ولم يسمها، وبني ملطية، وبنى المصيصة، وبنالمنصورة بالسند.." (١)

"فأحضر غلاما قطعه كساء لعلها طول ذراعين .قالت هذا الثوب.وأحضر آخر قطعه سند روس.قالت هذه الخرزة قلت فالحمار والكلب قالوا الحمار قد ربطوا يديه ورجليه، وهو مرمي في العشب، والكلب

---

(١) البلدان، ص/٢

مفلوت يعدو من مكان إلى مكان فجمعتهم ورأيت بهم من الضر أمرا عظيماقد يبست جلودهم على عظامهم قلت أيش أنتم؟قالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون إلى الميتة ويقولون نحن خير العرب، ما فينا مجذوم ولا أبرص ولا زمن ولاأعمى.وإذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم.قلت ما جاء بكم إلى ها هنا؟ قالوا لنا بجسمى كثول ذرة مطمورة جئنا نأخذها. قلت وكم لكم علينا. من عيد رمضان لنا ها هنا، ما رأينا الزاد بأعيننا.قلت فمن أين تعيشون قالوا من الرمة يعنون العظام الباليه الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف شجر بتلك الأرض ونتقوت به قلتفكلابكم وحمركم؟ قالوا الكلاب نطعمهم من عيشنا، والحمر تأكل الحشيش. قلت فلم لا دخلتم إلى دمشق؟قالوا **خفنا الوباء** **ولا** وباء أعظم مما كانوا فيه! وكان ذلك بعد عيد الأضحى.فوقفت حتى جاء الجمال، وأعطيتهم من الزاد الذي كان معنا.وقطعت فوطة كانت على رأسي أعطيتها للمرأتين، فكادت عقولهم تزول من فرحهم بالزاد وقلت لا تقيموا ها هنا يسبوكم الإفرنج@." (١)

"خشقدم فلما آل أمرها إلى مولانا السلطان الملك الأشرف استمر على ما هو عليه ثم كان من الأمر ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وفيها احتبس المطر ببيت المقدس حتى دخل أكثر الشتاء وحصل للناس شدة من قلة الماء ثم **حصل الغلاء العظيم** في جميع المملكة واشتد الأمر ببيت المقدس وقلت الأقوات منه ووصل سعر القمح كل مد بدينار والشعير كل مد بعشرين درهما **ووقع الغلاء في** كل الاصناف من الأرز والزيت والبصل وغير ذلك حتى في الخضروات وضج الناس إلى الله سبحانه وتعالى وفيها كثرت الفتن بين ناظر الحرمين بردبك التاجي ونائب السلطنة دمرداش العثماني ووقع الخلف بينهما وكثر القيل والقال وانتهى الحال إلى أن ناظر الحرمين كان يظاهر البلد عند بركة السلطان وكانت قناة السبيل هناك محتاجة إلى عمارة وقد شرع الصناع في العمل فيها فخرج الناظر للاشراف عليهم وهو في جمع قليل من حاشيته فسلط النائب جماعة من أعوانه فخرجوا إلى الناظر على بغتة وضربوه ضربا مؤلما واغلظوا عليه وشتموه وأفحشوا له في القول فاقيمت النائرة لذلك ووصل المستنفرون إلى داخل المدينة فبادر قاضي القضاة الحنفي جمال الدين بن عبد الله الديري وركب معه جماعة إلى ظاهر البلد ودخل الناظر إلى المدينة على هيئة قبيحة مما حصل في حقه وعقد بالمسجد مجلسا فكتب ما وقع وجهز إلى السلطان فحضر من القاهرة خاصكي بالكشف على ذلك وبقي بعض أهل القدس في جهة الناظر وبعضهم في جهة النائب واشتد الأمر في وقوع الفتن والاختلاف بين الأكابر وحصل للقاضي

---

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص/١٢

الحنفي ضرر لكونه ركب إلى ظاهر البلد في يوم ضرب الناظر وغرم مالا بسبب ذلك ثم حصل الخلل في نظام الوقفين المبرورين بالقدس والخليل لسوء تدبير الناظر بردبك التاجي وعدم توفيقه وتلاشت الاحوال وفحشت وكثرت المناحس من السراق وقطاع الطريق

""""" صفحة رقم ٢٨٦ """"." (١)

"وفيها استقر القاضي كمال الدين النابلسي الحنبلي في قضاء الحنابلة بالقدس الشريف والرملة عوضا عن القاضي شمس الدين العليمي وتقدم ذكر ذلك وكتب توقيعه في ثاني جمادي الأولى ودخل إلى القدس في أواخر جمادي الآخرة وفيها اهتم الأمير بردبك التاجي ناظر الحرمين بإكمال عمارة المدرسة التي نسبت للسلطان – كما تقدم – وعمل لها الأبواب وفرشت بالبسط وجلس الشيخ شهاب الدين العميري فيها بعد صلاة الجمعة في شهر رجب وحضر معه القضاء والعلماء بالمجمع وعمل درسا تكلم فيه على قوله تعالى إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ثم عمل ناظر الحرمين سماطا من الحلوى السكب وأطعم الخاص والعام وكان يوما مشهودا وفيها توفي القاضي شمس الدين المغراوي المالكي قاضي القدس الشريف في نصف شهر شعبان وتقدم ذكر ذلك في ترجمه وفيها **وقع الوباء بالطاعون** في جميع المملكة ودخل إلى بيت المقدس في أوائل شهر ذي القعدة واشتد أمره وكثر من العشر الثالث من ذي القعدة إلى أواخر ذي الحجة وفي ليلة عيدالأضحى غسل الأموات في الليل وحملوا وقت القبح إلى صحن الصخرة الشريفة وصلي عليهم عقب صلاة الصبح وحملوا إلى التربة قبل صلاة العيد وكانت سنة شديدة لما حصل فيها من الحدب والغلا والوبا والفتن والخلف بين الحكام والاكابر وحصول المحن فسبحان من يتصرف في عباده بما يشاء وفيها توجه الأمير بردبك التاجي ناظر الحرمين الشريفين من القدس الشريف إلى الديار المصرية وهو مستمر على الأولاية واستناب عنه في النظر القاضي فخر الدين ابن نسيبة الخزرجي ولم يقدر له بعد ذلك الرجوع إلى القدس الشريف إلى أن انفصل من النظر ثم دخلت سنة اربع وسبعين وثمانمائة فيها سير السلطان الأمير ناصر الدين

""""" صفحة رقم ٢٨٧ """""." (٢)

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٢٨١

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٢٨٢

"وفيها – اعني سنة إحدى وثمانين – في يوم الجمعة خامس عشر جمادي الاخرة رحل شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف من القدس الشريف بأولاده وعائلته إلى القاهرة المحروسة واستوطنها وكان دخوله اليها في اوائل رجب وفيها **دخل الوباء بالطاعون** حتى عم جميع المملكة وكان دخوله بيت المقدس في اوائل رجب واستمر مدة طويلة ولم يزل الطاعون بالقدس إلى مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وأفنى خلقا من الشباب والنساء وأهل الذمة ولم يكن طال ببلدة من البلاد أكثر من بيت المقدس فسبحان القادر علي ما يشاء ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وفيها وصل إلى القدس الشريف الأمير جانم الخاصكي قريب السلطان وناظر الجوالي بعد عوده من المملكة الشامية وكان دخوله إلى القدس في يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الأولى فإنه توجه إلى بلاد الشام لكشف الاوقاف وحضر إلى القدس بسبب ذلك وأوقد له المسجد الأقصى في ليلة السبت وقبة الصخرة في ليلة الاحد والمدرسة السلطانية في ليلة الاثنين وفي كل ليلة كان يقرأ له ختمات شريفة بحضوره وجمع له من جهة الاوقاف بالقدس الشريف تسعمائة دينار وقيل الف دينار ومن اهل الذمة ثلثمائة دينار فلم يقبل شيئا من جهة الاوقاف وأعاد المبلغ بكماله لمستحقية وأخذ ما جمع له من اهل الذمة وحصل للمسلمين من مستحقي الاوقاف الجبر بذلك وتضاعف الدعاء في صحائفه وسافر من القدس في ليلة الاثنين ثالث عشري جمادي الاولى.

(ذكر سفر السلطان إلى المملكة الشامية)

وفيها سافر السلطان الملك الأشرف من القاهرة قاصدا المملكة الشامية فوصل إلى مدينة غزة في يوم الاربعاء تاسع شهر جمادي الآخرة في جمع قليل دون مائة نفس وولي الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب نيابة القدس الشريف وهو بغزة

""""" صفحة رقم ٣١٩ """""." (١)

"""""" صفحة رقم ٣٣٧ """""

الثلاثا تاسع ذي القعدة بعد كبس قرية جلجوليا فقبض جماعة من أهلها ودخلوا معه إلى القدس بعد ضربهم واشهارهم على الجمال وقصد قتلهم عند باب الخليل فوقعت الشافعة فيهم وقرئ توقيعه يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة وفيها احتبس المطر حتى دخل اكثر الشتاء ووقع الجدب وانزعج الناس لذلك وتزايد ظلم النائب وإفحاشه في حق الرعية بالجور وقل القوت لاحتباس المطر ومضت السنة والأمر على ذلك ثم

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣١٤

دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وفيها عمر الأمير خضر بك نائب القدس بدار النيابة المقعد الملاصق لايوان الحكم من جهة الشمال وجعله على طريقة مجالس الحكام بالديار المصرية وسقفه بالخشب المدهون وكان قبل ذلك جلوس النائب بصدر الايوان فصار جلوسه بالمقعد وهو أولى من النظام الأول وقد كتب بأعلا المقعد تاريخ عمارته في المحرم سنة احدى وتسعين وهو خطأ وإنما عمر في المحرم سنة اثنتين وتسعين وفيها **فشا الغلاء في** جميع المملكة واشتد الأمر ببيت المقدس وتزايد ظلم النائب به وجوه فورد مرسوم شريف بالكشف عليه وما يعلمه في حق الرعية وأن يكون المتولي لذلك الأمير طومان باي الخاصكي وكان إذ ذاك بالمملكة الشامية فانتظر حضوره وكان من تقدير الله تعالى أن الذي تسبب في ورود المرسوم الشريف بالكشف على النائب جمال الدين يوسف بن ربيع أمير الحكم بالقدس فلما وصل المرسوم سر بذلك وشرع في تدبير الامور وترتيب الشكاة إلى أن يحضر الخاصكي للقدس فقدر الله وفاة جمال الدين بن ربيع في ثالث عشري جماي الاولى قبل حضور الخاصكي وصادف يوم وفاته ورود خلعة من الابواب الشريفة للنائب فخرجت جنازة جمال الدين بن ربيع إلى ماملا والأسواق قد زينت والبشائر دقت لورود خلعة النائب ولبسها ودخل إلى القدس في ثاني يوم وفاة ابن ربيع

""""" صفحة رقم ٣٣٨ """""." (١)

"الجواب للسلطان بذلك وتوجه المشار اليه إلى نابلس وفيها في شهر شعبان ورد مرسوم شريف بالافراج عن الأمير قانصوه اليحياوي وان يتوجه من القدس الشريف إلى القاهرة المحروسة فتوجه في يوم الاربعاء يوم عيد الفطر فلما وصل إلى غزة ورد خبر وفاة الأمير قجماس نائب الشام فتباشر الأمير قانصوه وجماعته بولايته نيابة الشام على عادته فلما قدم إلى القاهرة المحروسة أكرمه السلطان وانعم عليه واقام اياما ثم استقر في نيابة الشام في أواخر السنة وفيها اشتد الأمر بالقدس والخليل وغيرهما وغلت الأسعار فوصل سعر القمح بالقدس كل مد بثلاثين درهما والشعير كل مد باثني عشر درهما والخبز كل رطل بأربعة دراهم **وكان الغلاء عاما** في جميع المملكة (واقعة خضر بك) وفيها فحش أمر خضر بك النائب بالقدس وتزايد ظلمه وسفكه الدماء وأخذ اموال الناس وكثر شاكوه وساءت سيرته فكتب شيخ الصلاحية النجمي بن جماعة في أمره الlسلطان فورد مرسوم السلطان على الامير تغرى ورمش دوادار المقر الأشرف السيفي أقبردي الدوادار الكبير وهو بمدينة نابلس بالتوجه إلى القدس والكشف على النائب وتحرير امره فحضر

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٣٢

الامير تغرى ورمش إلى القدس في يوم الخيمس ثالث عشر ذي الحجة وقرئ المرسوم الشريف بالكشف على النائب فعقد له عدة مجالس اولها عقب صلاة الجمعة رابع عشر ذي الحجة بمحراب المسجد الأقصى الشريف ثم تكرر عقود المجالس في عدة أماكن بعضها بالمجمع الكائن سفل المدرسة الاشرفية وبعضها على المسطبة الكائنة عند باب جامع المغاربة وبعضها بالمدرسة لعثمانية وأكثر الناس من الشكوى عليه وكتبت القصص في حقه وحضر أهل مدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام بأعلام المسجد الشريف ---

""""" صفحة رقم ٣٤٠ """"".". (١)

"إلى دير صهيون ومحى أثرها بهدم ما بقي منها ونبش اساسها بحضورهم وذلك في شهر رمضان وكان يوما مشهودا اعظم من يوم هدمها الأول - كما تقدم في السنة الماضية - وفيها في يوم الاثنين سادس عشر شوال دخل قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن الازرق الاندلسي المالكي إلى القدس الشريف متوليا قضاء المالكية عوضا عن القاضي شمس الدين الغزي وباشر بعفة وتوجه ابن مازن إلى غزة في اوائل شهر ذي القعدة واستمر معزولا إلى ان توفي في خامس عشر ذي الحجة سنة تسعمائة وكانت إقامة ابن الأزرق بالقدس الشريف مدة شهرين وتوفي في يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة وتقدم ذكر ذلك في ترجمته عفا الله عنه ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة فيها في شهر ربيع الأول الموافق لكانون الثاني وقع هدم فاحش بكنيسة قمامة بالقدس في الليل من المطر وهلك تحته رجلان من طائفة الحبش واستمر إلى يومنا لم يعمر وفيها ورد مرسوم شريف على شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف بالتوجه إلى مدينة غزة وصحبته الأمير خضر بك ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس الشريف وإيقاع الصلح بينه وبين المقر الاشرف السيفي اقباي كافل المملكة الغزية بسبب ما بينهما من التنافر وإزالة الكدر والوحشة من بينهما والمعاهدة بينهما على ذلك وكتابة صورة وعرضها على المسامع الشريفة فتوجه من القدس الشريف إلى غزة امتثالا للمراسيم الشريفة وحصل الصلح بين المشار اليهما على أحسن وجه فكان ذلك في جمادي الآخرة ودخل الأمير خضر بك إلى القدس الشريف بخلعة كاملية بسمور في بكرة يوم الاربعاء حادي عشري جمادي الاخرة ودخل شيخ الاسلام الكمالي بعد العصر من يوم الخميس بكاملية صوف ابيض سمور وفيها **دخل الوباء بالطاعون** حتى عم جميع المملكة وابتدأ بالقدس الشريف

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٣٤

""""" صفحة رقم ٣٦١ """"". " (١)

"في عشري جمادي الآخرة واستمر إلى آخر رجب يبلغ عدد الاموات في كل يوم إلى ثلاثين واربعين وفي يوم الجمعة حادي عشري رجب نحو الخمسين وهي أول جمعة ظهر فيها كثرة الأموات واشتد الأمر في شهر شعبان فبلغ العدد في كل يوم فوق المائة وقيل انه بلغ في اليوم إلى المائة وثلاثين وبلغ العدد بمدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في دون الخمسين وتوفي الامير خضر بك ناظر الحرمين ونائب السلطنة في ليلة الاحد الحادي والعشرين من شعبان وكان لما ولي النيابة في المرة الاولى ساءت سيرته ووقع في أمره ما تقدم شرحه في حوادث سنة اثنتين وتسعين فلما ولي النيابة والنظر في المرة الثانية في سنة ست وتسعين باشر مباشرة حسنة واظهر العدل في الرعية واستعطف خواطر الناس وشرع في سلوك طرق الرياسة واستمر على ذلك إلى أن **دخل الوباء فتطير** من ذلك وخرج من مدينة القدس إلى ظاهرها وأقام بالكروم اياما واظهر الخوف الزائد فأنكر الناس عليه ذلك فدخل إلى المدينة وأقام يسيرا وتوفيت ابنة له ثم بعد يومين أو ثلاثة توفيت زوجته ثم بعد وفاتها بنحو ستة أيام توفي هو وصلي عليه بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر من يوم الاحد الحادي والعشرين من شعبان ودفن بتربة ماملا وكان اسند وصيته لشيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف – أمتع الله بحياته – فتوجه إلى التربة وتولى امره ووقف على دفنه وصحبته جماعة من الاعيان وقضاة الشرع الشريف **واستمر الوباء بالقدس** في قوته إلى سلخ شعبان وافنى خلقا من الاطفال والشباب وافنى طائفة الهنود عن آخرهم وكذلك الحبش ومات جماعة من الاخيار الصالحين منهم الشيخ عبد السلام الرضي الحنفي وتقدم ذكر ترجمته ومنهم الشيخ جبريل الكردي الشافعي وكان من أهل الفضل ومن اصحاب شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف ومنهم الشيخ الصالح الفاضل يوسف السليماني الحنفي نائب إمام الصخرة

""""" صفحة رقم ٣٦٢ """". " (٢)

"الشريفة وكان من أهل الخير والصلاح والفضل في مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان يصلي إماما بالصخرة وعلى قراءته الانس والجمال ومنهم الشيخ الصالح المقري علي الجزولي المالكي نائب إمام

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٥5

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٥٦

المالكية بالمسجد الأقصى وكان من أهل الخير والصلاح حافظا لكتاب الله تعالى وكان يؤم بجامع المغاربة ويؤدي الصلاة على أوضاعها من الطمأنينة في الركوع والسجود ومنهم الشيخ صالح موسى المغربي وكان عبدا صالحا يقيمها بالخلوة التي تحت سور الصخرة الشريفة القبلي سفل التاريخ وكان يجلس على باب الخلوة ويجتمع عنده أهل الخير يتلون كتاب الله وكان يجلس غالبا ورأسه مكشوف والصلاح ظاهر عليه ومنهم الشيخ الصالح الناسك اسحاق الجبرتي وكان عابدا زاهدا منقطعا إلى الله تعالى في الخلوة التي بصدر جامع النساء بداخل المسجد الأقصى والناس يترددون اليه ويتبركون به وقد ظهر له كرامات ومكاشفات ومنهم العدل خير الدين أبو الخير أحمد بن شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد القلقيلي المقري الحنفي وتقدم ذكر والده وجده مع الفقهاء الشافعية كان يحفظ القرآن ويؤديه بحسن صوت وطيب نغمة واحترف بالشهادة مدة طويلة وباشر عقود الانكحة ولم يمت بالطاعون وإنما ركب بغلة وتوجه إلى الكروم فوقع بظاهر البلد فكسرت رجله من ركبته وحمل إلى المدينة فمرض أياما وتوفي آخر يوم من رجب ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن شروين المقري الخليلي التاجر وكان رجلا من أهل القرآن يتقنه بالروايات وأجازه الشيخ شمس الدين ابن عمران وكان حسن الصوت طيب النغمة بالقراءة وله دنيا واسعة وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شعبان رحمة الله عليهم أجمعين **وتناقص الوباء من** أول شهر رمضان

""""" صفحة رقم ٣٦٣ """"." (١)

"وفيها في يوم الاثنين سابع شهر رمضان توفي الخطيب جلال الدين بن جماعة - المتقدم ذكره مع والده عند ذكر خطباء المسجد الأقصى الشريف - وكان بيده نصف مشيخة الخانقاه الصلاحية والربع والثمن من خطابة المسجد الأقصى واستقر بعده فيما بيده من الوظيفتين أولاد عميه وهم الخطيب العلامة برهان الدين أبو السحاق إبراهيم بن شيخ الاسلام النجمي بن جماعة واخوه لأبيه الخطيب العلامة زين الدين أبو هريرة عبد الرحمن وابن عمهما الخطيب محي الدين عبد الرحيم بن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وانعمت الصدقات الشريفة عليهم باستقرارهم في ذلك بمال بذلوه وكان **ارتفاع الوباء من** القدس الشريف في أواخر شهر شوال بعد إقامته بها نحو أربعة أشهر وعشرة أيام وبلغ عدد الأموات بالقاهرة المحروسة في كل يوم أكثر من عشرين ألفا وبدمشق في كل يوم ثلاثة آلاف

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٥٧

وبحلب في كل يوم ألف وخمسمائة وبغزة في كل يوم نحو أربعمائة وبالرملة في كل يوم نحو المائة وعشرة ولم يمكث في بلدة من البلاد أكثر من بيت المقدس فسبحان من يتصرف في عباده بما يشاء وفيها استقر قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي في وظيفة قضاء الحنفية بالقدس الشريف عوضا عن القاضي شهاب الدين بن المهنسد واستقر قاضي القضاة كمال الدين أبو البركات محمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ خليفة المالكي في وظيفة قضاء المالكية بعد شغورها عن القاضي شمس الدين بن الازرق – المتقدم ذكره في السنة الماضية – ووصلت الولاية اليهما معا على يد سعد الدين قاصد المقر البدري ابن مزهر كاتب السريف الشريف في صبيحة يوم الخميس خامس عشر شوال وحصل الجمع بين يدي شيخ الاسلام الكمالي بن أبي شريف بالمدرسة الاشرفية وجماعة من طلبة العلم الشريف والخاص والعام فكان تاريخ توقيع القاضي المالكي خامس عشري رمضان وتوقيع

""""" صفحة رقم ٣٦٤ """"". " (١)

"الشريفة وقضاة الشرع الشريف وقرئ المرسوم الشريف الوارد على يده بمعنى كشف الأوراق وما تحصل من الترك المخلفة عن الأموات في الوباء المختصة بجهة بيت المال المعمور واستخرج من الاوقاف اموالا نحو الف وخمسمائة دينار وحصل الضرر بذلك للفقراء والفقهاء والحكم لله العلي الكبير وتوجه من القدس في صبيحة يوم السبت عاشر صفر وفيها في العشر الأوسط من صفر حضر الأمير اقبردي الدوادار الكبير من الديار المصرية على حين غفلة ولم يعلم به حتى دخل إلى مدينة غزة ثم توجه إلى الرملة ووضع اثقاله بها ثم توجه من فوره هو ومن معه على الخيول إلى جهة نابلس ثم عاد إلى الرملة وأقام بداخل البلد هو وجماعته ولم ينصب مخيمه بظاهرها على ما جرت به العادة ونادى بالأمان وأمر جماعته بعدم التعرض لأحد من الرعية وكان مقامه بالرملة بدار الامير منصور بن قرابغا يبيت بها ليلا وجلوسه في النهار بدار ابن باكيش المعدة للحكام وجماعة من الخدم وغيرهم نزلوا عند الناس في منازلهم متفرقين ثم في يوم الاحد عاشر ربيع الأول حضر إلى القدس الشريف السيفي قانصوه وعلى يده مرسوم الأمير اقبردي الدوادار في الزيت المتحصل من جبل نابلس على التجار المعتادين بعمل الصابون كل قنطار بخمسة عشر دينار ذهبا بعد أن ختم على ما اشتروه ونودي في البلد بالأمان للعوام وان الزيت لا يأخذه إلا اربابه فمن الناس من لم

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٥٨

يصدق هذه المنادات وخرج هاربا ومنهم من اطمأن ثم شرع قانصوه في كتابة أسماء التجار ومن له عادة بعمل الصابون حتى اطمأن الناس وشرع يقبض عليهم واحدا بعد واحد من التجار وغيرهم ويلزمهم بشراء الزيت على حكم ما فعل بهم في سنة ست وتسعين ورمى على اليهود والنصارى وطلب نساء الغائبين وضرب بعض جماعة ولكنه في هذه المرة أخف وطأة من المرة الاولى التي كانت في سنة ست بمقتضى ان ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس

""""" صفحة رقم ٣٦٦ """""." (١)

"صفحة مواضيع الكتاب ٢٦٨ **وقوع الوباء بالطاعون** في المملكة سفر الأمير بردبك إلى الديار المصرية ورود الأمير ناصر الدين لكشف الاوقاف استقرار القاضي حميد الدين في قضاء المالكية الأمير سيف الدين الجمالي المشهور بابن فطيس استقرار القاضي برهان الدين في القضاء استقرار الأمير ناصر الدين النشاشيبي ٢٨٨ ورود مرسوم بعزل القاضي جمال الدين واقعة الشيخ أبي العباس في رمضان ٢٩٠ دخول القاضي نور الدين البدرشي الانعام على الشيخ الكمالي ٢٩١ سفر شيخ الاسلام من القاهرة إلى القدس دخول الامير يوسف الجمالي القدس ظهور نجم في السماء له ذنب مستطيل حضور القاضي برهان الدين إلى القدس ٢٩٢ وفاءة شهاب الدين أحمد مباشرة الشيخ شهاب الدين الشنتيري عمارة الدرجة في القدس حضور الشيخ شهاب الدين من القاهرة القبض على شهسوار على يد الدوادار ٢٩٣ توجه القضاة الأربعة إلى الرملة دخول يشبك ومعه شهسوار إلى الرملة ٢٩٣ استقرار الامير دقماق في نيابة القدس استقرار الامير جقمق نائب دمياط ٢٩٤ هطول الامطار والبرد وهدم اماكن كثيرة

""""" صفحة رقم ٤١٨ """""." (٢)

"صفحة مواضيع الكتاب ٣٠٢ بروز مرسوم السلطان بأمر العلماء ٣٠٣ وفاة الشيخ زين الدين شيخ الصلاحية مرسوم سلطاني في الصدقات ٣٠٤ تعمير سوق الطباخين وبناء القناطر مرسوم بتعيين شمس الدين الديري ٣٠٥ وفاة الأمير خير بيك الظاهري وورود مرسوم إلى ناصر الدين النشاشيبي عقد مجلس للعلماء بالمسجد الأقصى ٣٠٦ كتابة محضر وانتظار الجواب ٣٠٧ ذكر هدم الكنيسة ٣٠٨ طلب

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٣٦٠

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٤٠٠

القاضي ابن عبية من القاهرة ٣٠٩ عقد مجلس بمجلس الامير يشبك ٣٠٩ استخلاف القاضي ابن عبية في الحكم ٣١٠ اعادة القاضي كمال الدين إلى القدس حضور الخاصكي نائب غزة ٣١١ دخول القاضي فخر الدين إلى القدس قدوم القاضي غرس الدين الكناني إلى القدس ٣١١ استقرار القاضي شمس الدين محمد في قضاء القدس دخول القاضي علاء الدين بن المزوار متوليا ٣١٢ حصول المحنة بالأعادة رجوع القاضي شهاب الدين بن جبيلات ٣١٣ رؤيا اسماعيل البنا النبي (ص) حول البناء

"" "" صفحة رقم ٤٢٠ """""

صفحة مواضيع الكتاب ٣١٤ قدوم السلطان إلى بيت المقدس من القاهرة رفع الحسبة بمدينة الخليل (ع) ٣١٥ توجه السلطان في مدينة الخليل جلوس السلطان بقبة موسى باب السلسلة بشكوى الناس من الأمير جار قطلبي فراغ السلطان من فصل الحكومات ٣١٦ جلوس السلطان مع الأمير لزبك الكبير خروج السلطان إلى مخيمه بظاهر القدس وصول السلطان للرملة ووقوع المطر ٣١٧ القبض على اللص الذي دخل على السلطان فيمن سب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه القاء القبض على الافرنج المقيمين لبس الخلعة لجمال الدين يوسف ٣١٨ **دخول الوباء بالطاعون** حتى عم الجميع وصول الأمير الخاصكي إلى القدس سفر السلطان إلى المملكة الشامية ٣١٩ وصول السلطان إلى حلب ٣١٩ استقرار الخطيب أبو الحزم في الخطابة استقرار الشيخ جمال الدين عبد الله ٣٢٠ عزل القاضي كمال الدين النابلسي وفاة الأمير غرس الدين توجه المباشرين من القاهرة للقدس طلب الامير ناصر الدين من قبل السلطان

---". (١)

"صفحة مواضيع الكتاب ٣٢٨ صفة المدرسة وأمر السلطان بهدمها ٣٢٩ محاسن المدرسة ومحل بناءها ٣٣٠ استقرار الامير جانم الاشرفي ٣٣٠ توجه قاضي القضاة إلى القاهرة صدور مرسوم بعمارة قناة العروب ٣٣١ استقرار القاضي بدر الدين حسن دخول الامير جانم نائب المدينة بخلعة خلعة الامير قانصوه على المعلمين قدوم شيخ الاسلام إلى القدس من القاهرة ٣٣٢ وفاة امين الدين محمد الحلبي الفتنة بين الملك قايتباي و السلطان ٣٣٣ وفاة الشيخ سعدالله امام الصخرة توجه القاضي شرف الدين إلى الديار المصرية اقامة نظام المدرسة الاشرفية تعيين لمدرسة السلطان الكمالي ٣٣٤ الانعام بلبس الخلع من الابواب الشريفة جلوس شيخ الاسلام وجماعة من القضاة تغريم بدر الدين الحمامي المكاتبات الواردة في حق عبد

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٤٠٢

الباسط ٣٣٥ وفاة الشيخ جمال الدين عبد الله دخول الامير ماماي الخاصكي بالقدس ٣٣٦ وصول الامير اقبردي من القاهرة حضور الشيخ محمد الغزي للزيارة استقرار الامير خضر بك في النيابة ٣٣٧ وقوع الجدب واحتباس المطر تعمير المقعد الملاصق لايوان الحكم **افشاء الغلاء في** جميع المملكة ٣٣٨ اخمادالفتنة فسبحان ناقض العزائم ٣٣٨ الكشف على الأوقاف وتحريريها ٣٣٩ الافراج عن الامير قانصوه ٣٣٩ واقعة خضر بك نائب القدس ما وقع للقاضي يحيى المغربي وصول المطالعة وكتم امرها ٣٤١ ما كتب للسلطان من الكشف

""""" صفحة رقم ٤٢٣ """"". " (١)

"صفحة مواضيع الكتاب ٣٥٥ ورود الامير اقبردي للقدس ٣٥٦ مرسوم بطلب القاضي بدر الدين الحمامي ٣٥٧ مجيء الامير الدوادرا لبيع الزيت ظلم الرعية والمحنة والهتك ٣٥٨ القاء الزيت على بلد الخليل استقرار الامير خضر بك في نظر الحرمين اخراج مدينة الرملة عن نائب الشام ٣٥٩ اخماد الفتنة بين السلطان وملك الروم ٣٦٠ دخول القاضي شمس الدين محمد إلى القدس توجه شيخ الاسلام الكمالي إلى القاهرة **دخول الوباء بالطاعون** في القدس ٣٦١ وفاة الأمير خضر بك ناظر الحرمين **استمرار الوباء وقوته** وافناء الاطفال الشيخ يوسف السليماني وجماعته ٣٦٣ **ارتفاع الوباء من** القدس بعد اربعة أشهر استقرار القاضي عز الدين في القضاء ٣٦٨ هطول الثلج حتى جمد الماء توجه الامير جان بلاط إلى القاهرة ٣٧٧ كثرة الفتن والحروب والخلف بين الحكام انتهاء الحوادث بالقدس آخر سنة ٩٠٠ ترجمة الكمالي ابن أبي شريف ٣٧٩ وقوع حادثة اخوابي العب١س سفر شيخ الاسلام والقضاة إلى القاهرة ٣٨٠ وفاة الامير ناصر الدين محمد تجديد المدرسة الاشرفية القديمة ٣٨١ وصول مرسوم على الخانقاه الصلاحية ٣٨٢ انتهاء كلام المؤلف من اخبار بيت المقدس ٣٨٣ صورة الانتهاء من الطبع سنة ١٢٨٣ هـ) تم الفهرست بعونه تعالى (

---." (٢)

" وهب بن منبه إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذى وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا ألم تر إلى الذين خرجوا

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٤٠٤

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص/٤٠٦

من ديارهم وهم ألوف حذر الموت قال ابن اسحاق فروا **من الوباء فنزلوا** بصعيد من الأرض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال نعم فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحما وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة رجل واحد وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة في قوله ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم قالوا كانت قرية يقال لها داورد ان قبل واسط وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح فناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبى يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى شدقيه وأصابعه فأوحى الله اليه تريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقيل له ناد فنادى يا أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجسادا من عظام ثم أوحى الله إليه أن ناد يا أيتها العظام ان الله يأمرك أن تكتسى لحما فاكتست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها ثم قيل له ناد فنادى أيتها الأجساد ان الله يأمرك أن تقومى فقاموا قال أسباط فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد رسما حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم وعن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه ثمانيه آلاف وعن أبيي صالح تسعه آلاف وعن ابن عباس أيضا كانوا أربعين ألفا وعن سعيد بن عبدالعزيز كانوا من أهل أذرعات وقال ابن جريج عن عطاء هذا مثل يعنى أنه سيق مثلا مبينا أنه لن يغنى حذر من قدر وقول الجمهور أقوى ان هذا وقع وقد روى الإمام أحمد وصاحبا الصحيح من طريق الزهري عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه **أن الوباء وقع** بالشام فذكر الحديث يعني في مشاورته المهاجرين ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ٢/٣

" جوفه ثم مليء حكمة وإيمانا وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر وقتادة عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه و سلم في حديث الإسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتئذ وإنه غسل بماء زمزم ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز و جل والمثول بين يديه تبارك وتعالى

وقال ابن اسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأصحابه أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر وذكر ابن اسحاق أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة و السلام فقلبوه وقالوا إنا سنذهب **بهذا الغلاء إلى** ملكنا فإنه كائن له شأن فلم تكد تنفلت منهم إلا بعد جهد وذكر أنها لما ردته حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده فجاءت جده عبدالمطلب فخرج هو وجماعة في طلبه فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فاتيا به جده فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعوذه ويدعو له ثم روه إلى أمه آمنة

وذكر الأموي من طريق عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي وهو ضعيف عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة و السلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن اسحاق وذكر أن عبدالمطلب أمر ابنه عبدالله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه وذكر أنه أقام عندها ست سنين تزيره جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهم ما كان ردته إليهم فأقام عند أمه حتى كان عمره ثماني سنين ماتت فكفله جده عبدالمطلب فمات وله عليه الصلاة و السلام عشر سنين فكفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة منها أن فحلا من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في واد ممرهم عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم برك حتى حك بكلكله الأرض فركبه عليه الصلاة و السلام ومنها أنه خاض بهم سيلا عرما فأيبسه الله تعالى حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب

والمقصود أن بركته عليه الصلاة و السلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن بكمالهم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم وذلك بعد فتح مكة بشهر فمتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم كما سيأتي مفصلا في موضعه إن شاء الله تعالى

قال محمد بن اسحاق في وقعة هوازن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بحنين فلما أصاب من أموالهم وسباياهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام ." (١)

" ابن أبي شيبة عن هشام مختصرا وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى **أرض الوباء فقال** رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وكان بطحان يجري نجلا يعني ماء آجنا وقال زياد عن محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبى بكر في بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم ادعوهم وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجدك يا أبه فقال ... كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله قالت والله ما يدرى أبى ما يقول قالت ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك يا عامر قال كل امرئ مصبح قبل ذوقه ... إن

الجبان حتفه من فوقه

... كل امرئ مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي جلده بروقه ... قال فقلت والله ما يدري ما يقول قالت وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال ... ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي إذخر وجليل ... وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل ...

قالت عائشة فذكرت لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما سمعت منهم وقلت إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيعة ومهيعة هي الجحفة وقال الامام احمد حدثنا يونس ثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروةعن عروة عن عائشة قالت لما قدم رسول

---

(١) البداية والنهاية، ٢/٢٧٧

الله صلى الله عليه و سلم المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال فاستأذنت عائشة رسول الله صلى الله عليه و سلم في عيادتهم فاذن لها فقالت لابي بكر كيف تجدك فقال ... كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله ." (١)

" وسألت عامرا فقال ... إني وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه ...

وسألت بلالا فقال

... يا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي إذخر وجليل ...

فأتت رسول الله صلى الله عليه و سلم فاخبرته فنظر إلى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدها وانقل وباءها إلى مهيعة وهي الجحفة فيما زعموا وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به ورواه الامام احمد من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا ثنا أبو العباس الاصم حدثنا احمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وهي أوبأ أرض الله وواديها بطحان نجل قال هشام وكان وباؤها معروفا في الجاهلية وكان إذا كان الوادي وبيئا فاشرف عليها الانسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة ... لعمري لئن عبرت من خيفة الردى ... نهيق الحمار انني لجزوع ...

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة وهي الجحفة هذا لفظ البخاري ولم يخرجه مسلم ورواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وهي وبيئة فذكر الحديث بطوله الى قوله وانقل حماها الى الجحفة قال هشام فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى ورواه البيهقي في دلائل النبوة وقال يونس عن ابن اسحاق قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وهي وبيئة فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه و سلم وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه صبيحة رابعة يعني مكة عام عمرة القضاء

(١) البداية والنهاية، ٣/٢٢٢

فقال المشركون إنه يقدم عليكم وفد قد وهنهم حمى يثرب فامرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم

قلت وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فاما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام **بنقل الوباء إلى** قريب من ذلك أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك الى تلك المدة والله أعلم وقال زياد عن ابن اسحاق وذكر ابن شهاب الزهري ." (١)

" حديث مالك عن هشام به بنحوه ثم روى أحمد عن سليمان بن داود الهاشمي عن إسماعيل بن جعفر أخبرني يزيد بن حصيفة أن بشر بن سعيد أخبره أنه سمع في مجلس المكيين يذكرون أن سفيان اخبرهم فذكر قصة وفيها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له ويوشك الشام أن يفتح فيأتيه رجال من هذا البلد يعني المدينة فيعجبهم ربعهم ورخاؤه والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراق فيأتي قوم يثبون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل ورواه الحافظ ابن عساكر من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم بنحوه وكذا حديث ابن حوالة ويشهد لذلك منعت الشام مدها ودينارها ومنعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وهو في الصحيح وكذا حديث المواقيت لأهل الشام واليمن وهو في الصحيحين وعند مسلم ميقات أهل العراق ويشهد لذلك أيضا حديث إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز و جل وفي صحيح البخاري من حديث أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك اعدد ستا بين يدي الساعة فذكر موته عليه السلام ثم فتح بيت المقدس ثم موتان **وهو الوباء ثم** كثرة المال ثم فتنة ثم هدنة بين المسلمين والروم وسيأتي الحديث فيما بعد وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبي زر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فاذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة يختصمان في موضع لبنة فخرج منها يعني ديار مصر على يدي عمرو بن العاص في سنة عشرين كما سيأتي وروى ابن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن ابن لكعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما رواه البيهقي من حديث إسحق بن راشد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن

---

(١) البداية والنهاية، ٢٢٣/٣

مالك عن أبيه وحكى أحمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قوله ذمة ورحما فقال من الناس من قال إن أم إسماعيل هاجر كانت قبطية ومن الناس من قال أم إبراهيم قلت الصحيح الذي لا شك فيه أنهما قبطيتان كما قدمنا ذلك ومعنى قوله ذمة يعني بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه وذلك نوع ذمام ومهادنة والله تعالى أعلم وتقدم ما رواه البخاري من حديث محل بن خليفة عن عدي بن حاتم في فتح كنوز كسرى وانتشار الأمن وفيضان المال حتى لا يتقبله أحد وفي الحديث أن عديا شهد الفتح ورأى الظعينة ترتحل من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه و سلم من كثرة المال حتى لا يقبله أحد قال ." (١)

" اجنادين فارجع ولا تغر فتلقى مثل ما لقي الذي قبلك من الهزيمة فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فبعثه الى ارطبون وقال اسمع ما يقول لك ثم ارجع فاخبرني وكتب اليه معه جاءني كتابك وانت نظيري ومثلي في قومك لو اخطاتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت اني صاحب فتح هذه البلاد واقرا كتابي هذا بمحضر من اصحابك ووزرائك فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرا عليهم الكتاب فقالوا للارطبون من اين علمت انه ليس بصاحب فتح هذه البلاد فقال صاحبها رجل اسمه على ثلاثة احرف فرجع الرسول الى عمرو فاخبره بما قال فكتب عمرو الى عمر يستمده ويقول له انى اعالج حربا كؤدا صدوما وبلادا ادخرت لك فرايك فلما وصل الكتاب الى عمر علم ان عمرا لم يقل ذلك الا لامر علمه فعزم عمر على الدخول الى الشام لفتح بيت المقدس كما سنذكر تفصيله

قال سيف بن عمر عن شيوخه وقد دخل عمر الشام اربع مرات الاولى كان راكبا فرسا حين فتحت بيت المقدس والثانية على بعير والثالثة وصل الى سرع ثم رجع لاجل ما وقع بالشام **من الوباء والرابعة** دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه

فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره ابو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره ان ابا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب الى اهل ايليا يدعوهم الى الله والى الاسلام او يبذلون الجزية او يؤذنون بحرب فابوا ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه فركب اليهم في حنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى اجابوا الى الصلح بشرط ان يقدم اليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب اليه ابو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فاشار عثمان بن عفان بان لا يركب

---

(١) البداية والنهاية، ٦/١٩٣

اليهم ليكون احقر لهم وارغم لانوفهم واشار علي بن ابي طالب بالمسير اليهم ليكون اخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب وسار العباس بن عبدالمطلب على مقدمته فلما وصل الى الشام تلقاه ابو عبيدة ورؤس الامراء كخالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان فترجل ابو عبيدة وترجل عمر فاشار ابو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل ابي عبيدة فكف ابو عبيدة فكف عمر ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم اجلاء الروم الى ثلاث ثم دخلها اذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الاسراء ويقال انه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الاولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية بسورة بني اسرائيل ثم جاء الى الصخرة ." (١)

" في قول محمد بن اسحاق وقال سيف وصل الى الجابية قلت والاشهر انه وصل سرغ وقد تلقاه امراء الاجناد ابو عبيدة ويزيد بن ابي سفيان وخالد بن الوليد الى سرغ فاخبروه ان الوباء قد وقع في الشام فاستشار عمر المهاجرين والانصار فاختلفوا عليه فمن قائل يقول انت قد جئت لامر فلا ترجع عنه ومن قائل يقول لا نرى ان تقدم بوجوه اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم على هذا الوباء فيقال ان عمر امر الناس بالرجوع من الغد فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله قال نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارايت لو هبطت واديا ذا عدوتين احداهما مخصبة والاخرى مجدبة فان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان انت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ثم قال لو غيرك يقولها يا ابا عبيدة

قال ابن اسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري وكان عبدالرحمن بن عوف متغيبا في بعض شانه فلما قدم قال ان عندي من ذلك علما سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول اذا سمعتم به بارض قوم فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها لا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر يعنى لكونه وافق رايه ورجع بالناس وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن ابي ثابت عن ابراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن ابي وقاص وخزيمة بن ثابت واسامة بن زيد قالوا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم فاذا وقع بارض انتم فيها لا تخرجوا منها فرارا منه واذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه ورواه الامام احمد ايضا من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن ابي وقاص به قال سيف بن عمر كان الوباء قد وقع بالشام في المحرم من هذه السنة ثم ارتفع وكان

---

(١) البداية والنهاية، ٧/٥٥

سيفا يعتقد ان **هذا الوباء هو** طاعون عمواس الذي هلك فيه خلق من الامراء ووجوه المسلمين وليس الامر كما زعم بل طاعون عمواس من السنة المستقبلة بعد هذه كما سنبينه ان شاء الله تعالى وذكر سيف بن عمر ان امير المؤمنين عمر كان قد عزم على ان يطوف البلدان ويزور الامراء وينظر فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول ابدا بالعراق ومن قائل يقول بالشام فعزم عمر على قدوم الشام لاجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس فانه اشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك وهذا يقتضى ان عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس وقد كان الطاعون في سنة ثماني عشرة كما سيأتي فهو قدوم آخر غير قدوم سرع والله اعلم

قال سيف عن ابي عثمان وابي حارثة والربيع بن النعمان قالوا قال عمر ضاعت مواريث الناس بالشام ابدا بها فاقسم المواريث واقيم لهم ما في نفسي ثم ارجع فاتقلب في البلاد وانبذ اليهم امري قالوا فاتى عمر الشام اربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ومرتين في سنة سبع ." (١)

" عشرة ولم يدخلها في الاولى من الاخريين وهذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف انه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة وقد خالفه محمد بن اسحاق وابو معشر وغير واحد فذهبوا الى انه كان في سنة ثماني عشرة وفيه توفي ابو عبيدة ومعاذ ويزيد بن ابي سفيان وغيرهم من الاعيان على ما سياتي تفصيله ان شاء الله تعالى

شيء من اخبار طاعون عمواس

الذي توفي فيه ابو عبيدة ومعاذ ويزيد بن ابي سفيان وغيرهم من اشراف الصحابة وغيرهم اورده ابن جرير في هذه السنة

قال محمد بن اسحاق عن شعبة عن المختار بن عبدالله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي قال اتينا ابا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدث عنده فلما جلسنا قال لا تحفوا فقد اصيب في الدار انسان بهذا السقم ولا عليكم ان تتنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرتفع هذا البلاء فاني ساخبركم بما يكره مما يتقى من ذلك ان يظن من خرج انه لو قام مات ويظن من اقام فاصابه ذلك انه لو خرج لم يصبه فاذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه ان يخرج وان يتنزه عنه اني كنت مع ابي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب الى ابي عبيدة ليستخرجه منه ان سلام عليك اما بعد فانه قد عرضت لي اليك حاجة اريد ان اشافهك بها فعزمت عليك اذا نظرت

---

(١) البداية والنهاية، ٧/٧٧

في كتاب هذا ان لا تضعه من يدك حتى تقبل الي قال فعرف ابو عبيدة انه انما اراد ان يستخرجه **من الوباء** **فقال** يغفر الله لامير المؤمنين ثم كتب اليه يا امير المؤمنين اني قد عرفت حاجتك الى واني في جند من المسلمين لا اجد بنفسي رغبة عنهم فلست اريد فراقهم حتى يقضى الله في وفيهم امره وقضاءه فخلني من عزمتك يا امير المؤمنين ودعنى في جندي فلما قرا عمر الكتاب بكى فقال الناس يا امير المؤمنين امات ابو عبيدة قال لا وكان قد قال ثم كتب اليه سلام عليك اما بعد فانك انزلت الناس ارضا عميقة فارفعهم الى ارض مرتفعة نزهة قال ابو موسى فلما اتاه كتابه دعاني فقال يا ابا موسى ان كتاب امير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى اتبعك بهم فرجعت الى منزلى لارتحل فوجدت صاحبتي قد اصيبت فرجعت اليه وقلت والله لقد كان في اهلي حدث فقال لعل صاحبتك قد اصيبت قلت نعم فامر ببعير فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد اصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن **الناس** **الوباء**

وقال محمد بن اسحاق عن ابان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة رجل من قومه وكان قد خلف على امه بعد ابيه وكان قد شهد طاعون عمواس قال لما اشتغل الوجع قام ابو عبيدة في ." (١)

" حسان بن مالك أبو سليمان البحدلى قام ببيعة مروان لما تولى الخلافة مات فى هذه السنة والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام واستضعفوهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين بنى مروان وابن الزبير فصالح عبد الملك ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك فى كل جمعة ألف دينار خوفا منه على الشام وفيها **وقع الوباء بمصر** فهرب منه عبد العزيز بن مروان إلى الشرقية فنزل حلوان وهى على مرحلة من القاهرة واتخذها منزلا واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار وبنى بها دارا للامارة وجامعا وأنزلها الجند وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة فأعطى وفرق وأطلق الجماعة من رؤس الناس بالحجاز أموالا كثيرة

وممن توفى فيها من الأعيان عاصم بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبى الأفلح ولد فى حياة رسول الله ص ولم يرو إلا عن أبيه حديثا واحدا إذا أقبل الليل من ههنا الحديث وعنه ابناه حفص وعبد الله وعروة بن الزبير وقد طلق ابوه أمه فاخذته جدته الشموس بنت أبى عامر أتى به

---

(١) البداية والنهاية، ٧٨/٧

الصديق وقال شمها ولطفها أحب إليه منك ثم لما زوجه أبوه فى أيام إمارته أنفق عليه من بيت المال شهرا ثم كف عن الانفاق عليه وأعطاه ثمن ماله وأمره أن يتجر وينفق على عياله وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة فى أرض فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال هى لك فقال له بل هى لك فتركاها ولم يتعرضا لها ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب وكان عاصم رئيسا وقورا كريما فاضلا قال الواقدى مات سنة سبعين بالمدينة

قبيصة بن دؤيب الخزاعى الكلبى أبو العلاء من كبار التابعين وهو أخو معاوية من الرضاعة كان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم انتقل إلى الشام وكان معلم كتاب

قيس بن دريج

المشهور أنه من بادية الحجاز وقيل إنه أخو الحسين بن على من الرضاعة وكان قد تزوج لبنى بنت الحباب ثم طلقها فلما طلقها هام لما به من الغرام وسكن البادية وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه فلما زاد ما به أتاه ابن ابى عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له فداك أبى وأمى اركب معى فى حاجة فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد حتى أتى بهم باب زوج لبنى فخرج إليهم فاذا وجوه قريش فقال جعلنى الله فداكم ما جاء بكم قالوا حاجة لابن أبى عتيق فقال الرجل اشهدوا أن حاجته مقضية وحكمه جائز فقالوا أخبره بحاجتك فقال ابن أبى عتيق اشهدوا على أن زوجته لبنى منه طالق ." (١)

" أشهر وتسعة أيام وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفى ألف دينار أخذها المتقي بالله كلها

أبو محمد البربهاري

العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ صاحب المروزي وسهلا التستري وتنزه عن ميراث أبيه وكان سبعين ألفا لأمر كرهه وكان شديدا على أهل البدع والمعاصي وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة وقد عطس يوما وهو يعظ فشمته الحاضرون ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد فانتهت الضجة إلى دار الخلافة فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة فطلب فاختفى عند أخت بوران شهرا ثم أخذه القيام داء فمات عندها فأمرت خادمها فصلى عليه فامتلأت الدار رجالا عليهم ثياب بياض ودفنته عندها ثم أوصت إذا ماتت أن تدفن عنده وكان عمره يوم مات ستا وتسعين سنة رحمه الله

---

(١) البداية والنهاية، ٣١٣/٨

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول

أبو بكر الأزرق لأنه كان أزرق العينين التنوخي الكاتب سمع جده والزبير بن بكار والحسين بن عرفة وغيرهم وكان خشن العيش كثير الصدقة فيقال إنه تصدق بمائة ألف دينار وكان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وكان ثقة عدلا توفي في ذي الحجة منها عن ثنتين وتسعين سنة رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في المحرم منها ظهر كوكب بذنب رأسه إلي المغرب وذنبه إلى المشرق وكان عظيما جدا وذنبه منتشر وبقي ثلاثة عشر يوما إلى أن اضمحل قال وفي نصف ربيع الأول بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار وأكل الضعفاء الميتة **ودام الغلاء وكثر** الموت وتقطعت السبل وشغل الناس بالمرض والفقر وتركوا دفن الموتى وشغلوا عن الملاهي واللعب قال ثم جاء مطر كأفواه القرب وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعا وثلثا وذكر ابن الأثير في الكامل أن محمد بن رائق وقع بينه وبين البريدي وحشة لأجل أن البريدي منع خراج واسط فركب إليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال فوقعت مصالحة ورجع ابن رائق إلى بغداد فطالبه الجند بأرزاقهم وضاق عليه حاله وتحيز جماعة من الأتراك عنه إلى البريدي فضعف جانب ابن رائق وكاتب البريدي بالوزارة ببغداد ثم قطع اسم الوزارة عنه فاشتد حنق البريدي عليه وعزم على أخذ بغداد فبعث أخاه أبا الحسين في جيش إلى بغداد فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصبت فيها المجانيق والعرادات العرادة شيء أصغر من المنجنيق على دجلة أيضا فاضطربت أهل بغداد ونهب الناس بعضهم بعضا ليلا ونهارا وجاء أبو الحسين أخو أبي عبدالله البريدي بمن معه فقاتلهم الناس ." (١)

" في البر وفي دجلة وتفاقم الحال جدا مع ما الناس فيه **من الغلاء والوباء** والفناء فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم إن الخليفة وابن رائق انهزما في جمادى الآخرة ومع الخليفة ابنه منصور في عشرين فارسا فقصدوا نحو الموصل واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة وقتل من وجد فيها من الحاشية ونهبوها حتى وصل النهب إلى الحريم ولم يتعرضوا للقاهر وهو إذ ذاك أعمى مكفوفا وأخرجوا كورتكين من الحبس فبعثه أبو الحسين إلى البريدي فكان آخر العهد به ونهبوا بغداد جهارا علانية ونزل أبو الحسين بدار مؤنس الخادم التي كان يسكنها ابن رائق وكانوا يكبسون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال فكثر الجور وغلت الأسعار جدا وضرب أبو الحسين المكس على الحنطة والشعير وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف بما كانوا

---

(١) البداية والنهاية، ٢٠١/١١

يصنعون وكان معه طائفة كبيرة من القرامطة فأفسدوا في البلد فسادا عظيما ووقع بينهم وبين الأتراك حروب طويلة شديدة فغلبهم الترك وأخرجوهم من بغداد فوقعت الحرب بين العامة والديلم جند أبي الحسين وفي شعبان منها اشتد الحال أيضا ونهبت المساكن وكبس أهلها ليلا ونهارا وخرج جند البريدي فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات وجرى ظلم لم يسمع بمثله قال ابن الأثير وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض وفي الكتب ليذكروا بها ويذموا ويعابوا ذلك لهم خزي في الدنيا وأمرهم إلى الله لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بن حمدان نائب الموصل يستمده ويستحثه على البريدي فأسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة عليا في جيش كثيف فلما كان بتكريت إذا الخليفة وابن رائق قد هربا فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه وخدم سيف الدولة الخليفة خدمة كثيرة ولما وصلوا إلى الموصل خرج عنها ناصر الدولة فنزل شرقها وأرسل التحف والضيافات ولم يجئ إلى الخليفة خوفا من الغائلة من جهة ابن رائق فأرسل الخليفة ولده أبا منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة فصارا إليه فأمر ناصر الدولة أن ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة وجلسا عنده ساعة ثم قاما ورجعا فركب ابن الخليفة وأراد ابن رائق أن يركب معه فقال له ناصر الدولة اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنع في أمرنا هذا فاعتذر إليه بابن الخليفة واستراب بالأمر وخشي فقبض ابن حمدان بكمه فجبذه ابن رائق منه فانقطع كمه وركب سريعا فسقط عن فرسه فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل وذلك يوم الإثنين لسبع بقين من رجب منها فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذ وجعله أمير الأمراء وخلع على أخيه أبي الحسن ولقبه سيف الدولة يومئذ ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر الأخشيد محمد بن طغج ركب إلى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق لم ينتطح فيها عنزان ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق ." (١)

" **الغلاء وفيها** ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلابكنيسة الرها كان المسيح قد مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقا كثيرا فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم في ذلك فمن قائل نحن أحق بعيسى منهم وفي بعثه إليهم غضاضة على المسلمين ووهن في الدين فقال علي بن عيسى الوزير يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى المسلمين من أيدي الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم قال الصولي وفيها وصل الخبر بأن القرمطي ولد له مولود فأهدى إليه

---

(١) البداية والنهاية، ٢٠٢/١١

أبو عبدالله البريدي هدايا كثيرة منها مهد من ذهب مرصع بالجوهر وجلاله منسوج بالذهب محلى باليواقيت وغير ذلك وفيها كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحدا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة وبعث الخليفة إلى عماد الدولة ابن بويه خلعا فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا واتخذ في داره بيتا سماه بيت العبادة فكان يلبس ثيابا نظافا ويمشي إليه حافيا ويصلي فيه ويتضرع ويكثر الصلاة وكان يجتنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر الساماني ولقب بالأمير الحميد وقتل محمد بن أحمد النسفي وكان قد طعن فيه عنده وصلبه وفيها توفي من الأعيان

ثابت بن سنان بن قرة الصابي

أبو سعيد الطبيب أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته وقد كان مقدما في الطب وفي علوم أخر كثيرة توفي في ذي القعدة منها بعلة الذرب ولم تغن عنه صناعته شيئا حتى جاءه الموت وما أحسن ما قال بعض الشعراء في ذلك ... قل للذي صنع الدواء بكفه ... أترد مقدورا (عليك قد) جرى ... مات المداوى والمداوي والذى ... صنع الدواء بكفه ومن اشترى وذكر ابن الجوزى في المنتظم وفاة الأشعري فيها وتكلم فيه وحط عليه كما جرت عادةالحنابلة يتكلمون في الأشعرية قديما وحديثا وذكر أنه ٤ ولد سنة ستين ومائتين وتوفي في هذه السنة وأنه صحب الجبائي أربعين سنة ثم رجع عنه وتوفي ببغداد ودفن بمشرعة السرواني

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة

ابن الصلت السدوسي مولاهم أبو بكر سمع جده وعباسا الدوري وغيرهما وعنه أبو بكر بن مهدي وكان ثقة روى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجمون فحسبوا عمره وقالوا إنه يعيش كذا وكذا فأرصد أبوه جبا فكان يلقي فيه عن كل يوم من عمره الذي أخبروه به ." (١)

" حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك ولو وليت رجلا من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحة فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز و جل ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بويه فركب ناصر الدولة بعد ما خرج معز الدولة والخليفة إلى عكبرا فدخل بغداد فأخذ الجانب الشرقي

---

(١) البداية والنهاية، ٢٠٦/١١

ثم الغربي وضعف أمر معز الدولة والديلم الذين كانوا معه ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم وكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل واستقر أمر معز الدولة ببغداد ثم شرع في استعمال السعاة ليبلغ أخاه ركن الدولة أخباره فغوى الناس في ذلك وعلموا أبناءهم سعاة حتى أن من الناس من كان يقطع نيفا وثلاثين فرسخا في يوم واحد وأعجبه المصارعون والملاكون وغيرهم من أرباب هذه الصناعات التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل فاسد المروءة وتعلموا السباحة ونحوها وكانت تضرب الطبول بين يديه ويتصارع الرجال والكوسان تدق حول سور المكان الذي هو فيه وكل ذلك رعونة وقلة عقل وسخافة منه ثم احتاج إلى صرف أموال في أرزاق الجند فأقطعهم البلاد عوضا عن أرزاقهم فأدى ذلك إلى خراب البلاد وترك عمارتها إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجاهات وفي هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم **وكثر الوباء في** الناس حتى كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركون على الطرقات فيأكل كثيرا منهم الكلاب وبيعت الدور والعقار بالخبز وانتجع الناس إلى البصرة فكان منهم من مات في الطريق ومنهم من وصل إليها بعد مدة مديدة وفيها كانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبدالله المهدي وولى الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل وكان حازم الرأي شديدا شجاعا ما ذكرنا ذلك في السنة الماضية وكانت وفاته في شوال من هذه السنة على الصحيح وفيها توفي الأخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية كانت وفاته بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة وأقيم ولده أبو القاسم أبو جور وكان صغيرا وأقيم كافور الأخشيد أتابكه وكان يدبر المالك بالبلاد كلها واستحوذ على الأمور كلها وسار إلى مصر فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق فأخذها من أصحاب الأخشيد ففرح بها فرحا شديدا واجتمع بمحمد ابن محمد بن نصر الفارابي التركي الفليسوف بها وركب سيف الدولة يوما مع الشريف العقيلي في ." (١)

" ثم ولي قضاء القضاة وهو أول من ولي القضاء القضاة من الشافعية سوى أبي السائب وكان جيد السيرة في القضاء توفي في ربيع الأول منها

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

---

(١) البداية والنهاية، ٢١٣/١١

في عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم في السنة الماضية فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالا شديدا وانتهبت الأموال وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه وذلك أنه كان في العام الماضي قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالا جزيلة فتمرد بها وذهب إلى أذربيجان وأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له أبو الورد فقتله وأخذ من أمواله شيئا كثيرا وقويت شوكته بسبب ذلك فسار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله فقتل بين يديه وألقيت جثته في الأقذار وفيها جاء الدمستق إلى المصيصة فحاصرها وثقب سورها فدافعه أهلها فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألفا وعاثوا فسادا في بلاد أذنة وطرسوس وكر راجعا إلى بلاده وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذ الموصل وأقام بها فراسله في الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحمل في كل سنة وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة ولي عهد أبيه من بعده فأجاب معز الدولة إلى ذلك وكر راجعا إلى بغداد بعد ما جرت له خطوب كثيرة استقصاها ابن الأثير وفيها ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبدالله محمد بن الحسين من أولاد الحسين بن علي ويعرف بابن الراعي فالتف عليه خلق كثير ودعا إلى نفسه وتسمى بالمهدي وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد وهرب منه ابن الناصر العلوي وفيها قصد ملك الروم وفي صحبته الدمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس فحاصرها مدة ثم غلت عليهم الأسعار **وأخذهم الوباء فمات** كثير منهم فكروا راجعين (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وكان من عزمهم يريدون أن يستحوذوا على البلاد الإسلامية كلها وذلك لسوء حكامها وفساد عقائدهم في الصحابة فسلم الله ورجعوا خائبين وفيها كانت وقعة المختار ببلاد صقلية وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ومن الفرنج ما يقارب مائة ألف فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستنجدونه فبعث إليهم جيوشا كثيرة في الأسطول وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ثم قتل أمير الروم مويل وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وسقط الفرنج في واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون في المراكب فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية في آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثرهم في البحر أيضا وغنموا في هذه الغزوة كثيرا من الأموال والحيوانات والامتعة والأسلحة فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه هذا سيف هندي زنته مائة وسبعون مثقالا طالما قوتل به بين يدي ." (١)

" مع عمر بن حعفر

---

(١) البداية والنهاية، ٢٥٣/١١

محمد بن أحمد بن علي بن مخلد

أبو عبدالله الجوهري المحتسب ويعرف بابن المخرم كان أحد أصحاب ابن جرير الطبري وقد روى عن الكديمي وغيره وقد اتفق له أنه تزوج امرأة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فجاءت أمها فأخذت الدواة فرمت بها وقالت هذه أضر على ابنتي من مائة ضرة توفي في هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة وكان يضعف في الحديث

كافور بن عبدالله الأخشيدي

كان مولى السلطان محمد بن طغج اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر دينارا ثم قربه وأدناه وخصه من بين الموالي واصطفاه ثم جعله أتابكا حين ملك ولداه ثم استقل بالأمور بعد موتهما في سنة خمس وخمسين واستقرت المملكة باسمه فدعى له على المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية وكان شهما شجاعا ذكيا جيد السيرة مدحه الشعراء منهم المتنبي وحصل له منه مال ثم غضب عليه فهجاه ورحل عنه إلى عضد الدولة ودفن كافور بتربته المشهورة به وقام في الملك بعده أبو الحسن علي بن الأخشيد ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلاد مصر كما سيأتي ملك كافور سنتين وثلاثة أشهر

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

في عاشوراء منها عملت الروافض وفي يوم خم عملوا الفرح والسرور المبتدع على عادتهم وفيها **حصل الغلاء العظيم** حتى كاد أن يعدم الخبز بالكلية وكاد الناس أن يهلكوا وفيها عاث الروم في الأرض فسادا وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فسادا عريضا وسبوا من المسلمين نحوا من مائة ألف إنسان فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومي في جيش كثيف من جهة المعز الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمعز الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحي على خير العمل وأن يجهرالأئمة بالتسليمة الأولى وذلك أنه لما مات كافور لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه وأصابهم غلاء شديد أضعفهم فلما بلغ ذلك المعز بعث جوهرا هذا وهو مولى أبيه المنصور في جيش إلى مصر فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل دخول جوهر إليها فدخلها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ففعل ما ذكرنا واستقرت أيدي الفاطميين على تلك البلاد وفيها شرع جوهر القائد في بناء القاهرة المعزية وبناء القصرين عندها على ما نذكره وفيها شرع في الإمامات إلى مولاه المعز الفاطمي وفيها أرسل جوهر جعفر بن فلاح في جيش كثيف إلى الشام فاقتتلوا قتالا شديدا وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي وكان

مطاعا في أهل الشام فجاحف عن العباسيين مدة طويلة ثم آل الحال إلى أن يخطبوا للمعز بدمشق وحمل الشريف أبو ." (١)

" القضاء فأباه وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي فلم يقبل الآخر أيضا توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة

قال ابن الجوزي في محرمها كثرت الحيات في بغداد فهلك بسبب ذلك خلق كثير ولسبع خلون من ربيع الأول وكان يوم العشرين من تموز وقع مطر كثير ببرق ورعد وفي رجب غلت الأسعار جدا وورد الخبر فيه بأنه وقع بالموصل زلزلة عظيمة سقط بسببها عمران كثير ومات من أهلها أمة عظيمة وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهنأ بالسلامة ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فأكحله بعد موته وهذا من غريب ما وقع وفي ذي الحجة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد ابن معروف شهادة القاضي الحافظ أبي الحسن الدارقطني وأبي محمد بن عقبة فذكر أن الدارقطني ندم على ذلك وقال كان يقبل قولي على رسول الله (ص) وحدي فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع غيري

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة

في صفرها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوما مشهودا ثم في ربيعها الأول ركب شرف الدولة من داره الى دار الخليفة وزينت البلد وضربت البوقات والطبول والدبادب فخلع عليه الخليفة وسوره وأعطاه لواءين معه وعقد له على ما وراء داره واستخلفه على ذلك وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيدالله بن أحمد بن معروف فلما رآه الخليفة قال ... مرحبا بالأحبة القادمينا ... أوحشونا وطال ما آنسونا ... فقبل الأرض بين يدي الخليفة ولما قضيت البيعة دخل شرف الدولة على أخته امرأة الخليفة فمكث عندها إلى العصر والناس ينتظرونه ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة وفيها **اشتد الغلاء جدا** ثم لحقه فناء كثير وفيها توفيت أم شرف الدولة وكانت تركية أم ولد فجاءه الخليفة فعزاه وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان وممن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن الحسين بن علي

---

(١) البداية والنهاية، ٢٦٦/١١

أبو حامد المروزي ويعرف بابن الطبري كان حافظا للحديث مجتهدا في العبادة متقنا بصيرا بالأثر فقيها حنفيا درس على أبي الحسين الكرخي وصنف كتبا في الفقه والتاريخ وولى قضاء القضاة بخراسان ثم دخل بغداد وقد علت سنة فحدث الناس وكتب الناس عنه منهم الدارقطني ." (١)

" إسحاق بن المقتدر بالله

توفي ليلة الجمعة لسبع عشر من ذي الحجة عن ستين سنة وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير المؤمنين ودفن في تربة جدته شغب أم المقتدر وحضر جنازته الأمراء والأعيان من جهة الخليفة وشرف الدولة وأرسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه واعتذر من الحضور لوجع حصل له

جعفر بن المكتفي بالله

كان فاضلا توفي فيها أيضا

ابو علي الفارسي النحوي

صاحب الايضاح والمصنفات الكثيرة ولد ببلده ثم دخل بغداد وخدم الملوك وحظي عند عضد الدولة بحيث إن عضد الدولة كان يقول أنا غلام أبي علي في النحو وحصلت له الأموال وقد اتهمه قوم بالاعتزال وفضله قوم من أصحابه على المبرد وممن أخذ عنه أبو عثمان بن جنى وغيره توفي فيها عن بضع وتسعين سنة ستيتة بنت القاضي أبي عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملي وتكنى أم عبد الواحد قرات القرآن وحفظت الفق والفرائض والحساب والدرر والنحو وغير ذلك وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي وكان تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة مسارعة إلى فعل الخيرات وقد سمعت الحديث أيضا وكانت وفاتها في رجب عن بضع وتسعين سنة

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة

في محرمها **كثر الغلاء والفناء** ببغداد إلى شعبان كثرت الرياح والعواصف بحيث هدمت كثيرا من الأبنية وغرق شيء كثير من السفن واحتملت بعض الزوارق فألقته بالارض من ناحية جوخى وهذا أمر هائل وخطب شامل وفي هذا الوقت لحق أهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات وماتوا من شدته وفيها توفي من الأعيان

الحسن بن علي بن ثابت

---

(١) البداية والنهاية، ٣٠٥/١١

أبو عبدالله المقرى ولد أعمى وكان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يقول وما يمليه كله وكان ظريفا حسن الزي وقد سبق الشاطبي إلى قصيدة عملها في القراءات السبع وذلك في حياة النقاش وكانت تعجبه جدا وكذلك شيوخ ذلك الزمان أذعنوا إليها

الخليل بن أحمد القاضي

شيخ الحنفية في زمانه كان مقدما في الفقه والحديث سمع ابن جرير والبغوي وابن صاعد وغيرهم ولهذا سمي باسم النحوي المتقدم ." (١)

" خمسين ألف دينار وفيها كان غلاء عظيم بإفريقية بحيث تعطلت المخابز والحمامات وذهب خلق كثير من الفناء وهلك آخرون من **شدة الغلاء فنسأل** الله حسن العافية والخاتمة آمين وفيها أصاب الحجيج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم وكانت الخطبة للمصريين وممن توفي فيها من الأعيان

محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر

أبو نصر البخاري المعروف بالملاحمي أحد الحفاظ قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري وروى عن الهيثم بن كليب وغيره وحدث عنه الدارقطني وكان من أعيان أصحاب الحديث توفي ببخارى في شعبان منها وقد جاوز الثمانين

محمد بن أبي إسماعيل

علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبي الحسن العلوي ولد بهمذان ونشأ ببغداد وكتب الحديث عن جعفر الخلدي وغيره وسمع بنيسابور من الأصم وغيره ودرس فقه الشافعي على علي بن أبي هريرة ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم وحج مرات على الوحدة توفي في محرم هذه السنة

أبو الحسين أحمد بن فارس

ابن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي الرازي صاحب المجمل في اللغة وكان مقيما بهمذان وله رسائل حسان أخذ عنه البديع صاحب المقامات ومن رائق شعره قوله ... مرت بنا هيفاء مجدولة ... تركية تنمى لتركي ... ترنو بطرف فاتر فاتن ... أضعف من حجة نحوي ... وله أيضا ... إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بها كلف مغرم ... فأرسل حكيما ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم ... قال ابن خلكان توفي سنة تسعين وثلثمائة وقيل سنة خمس وتسعين والاول أشهر

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة

---

(١) البداية والنهاية، ٣٠٦/١١

قال ابن الجوزي في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وكثرة ضوئه عن يسار القبلة يتموج وله شعاع على الأرض كشعاع القمر وثبت إلى النصف من ذي القعدة ثم غاب وفيها ولي محمد بن الأكفاني قضاء جميع بغداد وفيها جلس القادر بالله للأمير قرواش بن أبي حسان وأقره في إمارة الكوفة ولقبه معتمد الدولة وفيها قلد الشريف الرضى نقابة الطالبيين ولقب بالرضي ذي الحسنيين ولقب أخوه المرتضي ذا المجدين وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدنا كبارا وأخذ أموالا جزيلة وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها وكسر أصنامها فألبسه منطقته وشدها على وسطه بعد تمنع شديد ." (١)

" وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبدالله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة وخلع عليه به وذلك بعد موت ابن ماكولا ثم خلع الخليفة على الملك طغرلبك بعد دخوله بغداد بيوم ورجع إلى داره وبين يديه الدبادب والبوقات وفي هذا الشهر توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله وهو ولي عهد أبيه فعظمت الرزية به وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن وخطب للفاطميين وقطع خطبة العباسيين وفيها كثر فساد الغز ونهبوا دواب الناس حتى بيع الثور بخمسة قراريط وفيها **اشتد الغلاء بمكة** وعدمت الأقوات وأرسل الله عليهم جرادا فتعوضوا به عن الطعام ولم يحج أحدا من أهل العراق وممن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن علي

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة المعروف بابن ماكولا الشافعي وقد ولي القضاء بالبصرة ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المقتدر واقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة منها في القضاء سبع وعشرون سنة وكان صينا دينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة وكان يذكر أنه سمع من أبي عبدالله بن مندة وله شعر حسن فمنه ... تصابى برهة من بعد شيب ... فما أغنى المشيب عن التصابي ... وسود عارضيه بلون خضب ... فلم ينفعه تسويد الخضاب ... وابدى للأحبة كل لطف ... فما زادوا سوى فرط اجتناب ... سلام الله عودا بعد بدئ ... على أيام رعيان الشباب ... تولى عزمه يوما وأبقى ... بقلبي حسرة ثم اكتئاب ... علي بن المحسن بن علي

---

(١) البداية والنهاية، ٣٣٥/١١

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي قال ابن الجوزي وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التناصر والتآزر فسموا تنوخا ولد بالبصرة سنة خمسة وخمسين وثلثمائة وسمع الحديث سنة سبعين وقبلت شهادته عند الحكام في حداثته وولي القضاء بالمدائن وغيرها وكان صدوقا محتاطا إلا أنه كان يميل إلى الإعتزال والرفض

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرلبك على صداق مائة ألف دينار وحضر هذا العقد عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وبقية العلويين ." (١)

" وقاضي القضاة الدامغاني والماوردي ورئيس الرؤساء ابن المسلمة فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرلبك وقال له أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقد أمرني أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة فقال السمع والطاعة فذهبت أم الخليفة لدار الملك لإستدعاء العروس فجاءت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والإحسان إليها فلما دخلت إليه قبلت الأرض مرارا بين يديه فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه وأفاض عليها خلعا سنية وتاجا من جوهر ثمين وأعطاها من الغد مائة ثوب ديباجا وقصبات من ذهب وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر والياقوت والفيروزج واقطعها في كل سنة من ضياعه ما يغل اثنا عشر ألف دينار وغير ذلك وفيها أمر السلطان طغرلبك ببناء دار الملك العضدية فخربت محال كثيرة في عمارته، ونهبت العامة أخشابا كثيرة من دور الأتراك والجانب الغربي وباعوه على الخبازين والطباخين وغيرهم وفيها رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيرا واعترى الناس موت كثير واغبر الجو وفسد الهواء قال ابن الجوزي وعم **هذا الوباء والغلاء** مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها هذا لفظه في المنتظم قال وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موت أحدهم على باب النقب والثاني على رأس الدرجة والثالث على الثياب التي كورها ليأخذها فلم يمهل وفيها أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ فانزعج أهلها لذلك وكان كثير الأذية للرافضة وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحى فأظلمت الدنيا واحتاج الناس في

---

(١) البداية والنهاية، ٦٧/١٢

الأسواق وغيرها إلى السرج قال ابن الجوزي وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع وفي عرض نحو الذراع ولبث كذلك إلى النصف من رجب ثم اضمحل وذكروا أنه طلع مثله بمصر فملكت وخطب بها للمصريين وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكت وخطب بها للمصريين وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بحي على خير العمل وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة محمد وعلي خير البشر ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة وذلك أن نوء الرافضة اضمحل لأن بني بويه كانوا حكاما وكانوا يقوونهم وينصرونهم فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم وجاء بعدهم قوم آخرون ." (١)

" من الأتراك السلوجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم والله المحمود ابدا على طول المدى وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه فقتل على باب دكانه وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره وفيها جاء البساسيري قبحه الله إلى الموصل ومعه نور الدولة دبيس في جيش كثيف فاقتتل مع صاحبها قريش ونصره قتلمش بن عم طغرلبك وهو جد ملوك الروم فهزمهما البساسيري وأخذ البلد قهرا فخطب بها للمصريين وأخرج كاتبه من السجن وقد كان أظهر الإسلام ظنا منه أنه ينفعه فلم ينفعه فقتل وكذلك خطب للمصريين فيها بالكوفة وواسط وغيرها من البلاد وعزم طغرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فنهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار فلم يقبل فخرج بجيشه قاصدا الموصل بجحافل عظيمة ومعه الفيلة والمنجنيقات وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى وربما سطوا على بعض الحريم فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه واتفق أنه رأى رسول الله (ص) في المنام فسلم عليه فأعرض عنه فقال يا رسول الله لأي شيء تعرض عني فقال يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز و جل فاستيقظ مذعورا وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل وأن لا يظلم أحد ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلادا ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أماكن كثيرة هناك وفيها ظهرت دولة الملثمين في بلاد المغرب وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها وأول ملوك الملثمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتي بيانه ثم ولي بعده أبو نصر يوسف بن

---

(١) البداية والنهاية، ٦٨/١٢

تاشفين وتلقب بأمير المؤمنين وقوى أمره وعلا قدره ببلاد المغرب وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد عن أمر السلطان وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولدا ذكر وهو أبو القاسم عبدالله المقتدي بأمر الله وفيها **كان الغلاء والفناء** أيضا مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية فإنا لله وإنا إليه راجعون ولم يحج أحد من أهل العراق فيها وفيها توفي من الأعيان

علي بن أحمد بن علي بن سلك

أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالي صاحب الأمالي وفالة قرية قريبة من إيذج أقام ." (١)

" بالبصرة مدة وسمع بها من عمر بن عبدالواحد الهاشمي وغيره وقدم بغداد فاستوطنها وكان ثقة في نفسه كثير الفضائل ومن شعره الحسن ... لما تبدلت المجالس أوجها ... غير الذين عاهدت من علمائها ... ورأيتها محفوفة بسوى الأولى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها ... أنشدت بيتا سائرا متقدما ... والعين قد شرقت بجاري مائها ... أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها ...

ومن شعره أيضا

... تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد تسمى بالفقيه المدرس ... فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس ... لقد هزلت حتى بدى من هزالها ... كلاها وحتى سماها كل مفلس ...

محمد بن عبدالواحد بن محمد الصباغ

الفقيه الشافعي وليس بصاحب الشامل ذاك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الإسفرايني كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي فقبله وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره وكان ثقة جليل القدر

هلال بن المحسن

ابن إبراهيم بن هلال أبو الخير الكاتب الصابئ صاحب التاريخ وجده أبو إسحاق الصابئ صاحب الرسائل وكان أبوه صابئيا أسلم هلال هذا متأخرا وحسن إسلامه وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب فلما أسلم نفعه ذلك وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي بسنده مطولا إنه رأى رسول الله (ص) في المنام مرارا يدعوه إلى الله عز و جل ويأمره بالدخول في الإسلام ويقول له أنت رجل عاقل فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل واراه آيات

---

(١) البداية والنهاية، ٦٩/١٢

في المنام شاهدها في اليقظة فمنها أنه قال له إن امرأتك حامل بولد ذكر فسمه محمدا فولدت ذكرا فسماه محمدا وكناه أبا الحسن في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي فأسلم وحسن إسلامه وكان صدوقا توفي عن تسعين سنة منها في الإسلام نيف وأربعون سنة

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها **كان الغلاء والفناء** مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها وأهلها موتى فيها ثم صار المار في الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ووجد مع امرأة فخذ كلب قد أخضر وشوى رجل صبية ." (١)

" في الأتون وأكلها فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان وأحصى من مات في **هذا الوباء من** تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية وأبوابا مغلقة ووحشة وعدم أنس حكاه ابن الجوزي قال وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا قال ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها حتى طبق البلاد وكان أكثر سبب ذلك الجوع كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي فلا يجد ذلك وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ودخل على مريض له سبعة أيام في النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها فلم يخرج من المسجد منهم أحد حي بل ماتوا جميعا وكان الشيخ أبو محمد عبدالجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ولما اصطلح السلطان دبيس بن علي رجع إلى بلاده فوجدها خرابا لقلة

---

(١) البداية والنهاية، ٧٠/١٢

أهلها من الطاعون فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه قال ابن الجوزي وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس وأصحاب السقط وباب الشعير وسوق العطارين وسوق العروس والأنماطيين والخشابين والجزارين والتمارين والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباغين وغير ذلك من المواضع وهذه مصيبة أخرى ما بالناس من الجوع والغلاء والفناء ضعف الناس حتى طغت النار فعملت أعمالها فإنا لله وإنا إليه راجعون وفيها كثرت العياريون ببغداد وأخذوا الأموال جهارا وكبسوا الدور ليلا ونهارا وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة وأحرقت كتبه ومآثره ودفاتره التي كان يستعملها في ضلالته وبدعته ويدعو إليها أهل ." (١)

" عرفت فعاله بذوي النصابي ... وما يلقون من ذل الهوان ... طلبت أخا صحيح الود محظي ... سليم الغيب محفوظ اللسان ... فلم أعرف من الإخوان إلا ... نفاقا في التباعد والتداني ... وعالم دهرنا لا خير فيهم ... ترى صورا تروق بلا معاني ... ووصف جميعهم هذا فما أن ... أقول سوى فلان أو فلان ... ولما لم أجد حرا يواتي ... على ما ناب من صرف الزمان ... ثبرت تكرما لقراع دهرى ... ولم أجزع لما منه دهاني ... ولم أك في الشدائد مستكينا ... أقول لها ألا كفي كفاني ... ولكني صليب العود عود ... ربيط الجأش مجتمع الجنان ... أبى النفس لا أختار رزقا ... يجيء بغير سيفي أو سناني ... فعز في لظى باغيه يهوى ... ألذ من المذلة في الجنان ...

وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعره قوله

... لايغبطن أخا الدنيا لزخرفها ... ولا للذة عيش عجلت فرحا ... فالدهر أسرع شيء في تقلبه ... وفعله بين للخلق قد وضحا ... كم شارب عسلا فيه منيته ... وكم مقلد سيفا من قربه ذبحا ... توفي يوم الإثنين ضحى من ذي الحجة منها وله ثنتان وسبعون سنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة جوار المدرسة النظامية واحتفل الناس بجنازته وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي في قبر رجل كان قد أعده لنفسه فسئل أن يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه حتى قال له بعض الحاضرين بالله عليك لو جلست أنت والخطيب إلى بشر ايكما كان يجلسه إلى جانبه فقال الخطيب فقيل له فاسمح له به فوهبه منه فدفن فيه رحمه الله وسامحه وهو ممن قيل فيه وفي أمثاله قول الشاعر ... ما زلت تدأب في التاريخ مجتهدا ... حترأيتك في التاريخ مكتوبا ...

حسان بن سعيد

---

(١) البداية والنهاية، ٧١/١٢

... ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ثم ترك ذلك واقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك وبناء المساجد والرباطات وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به ولما **وقع الغلاء كان** يعمل كل يوم شيئا كثيرا من الخبز والأطعمة ويتصدق به ." (١)

" بيانه في موضعه وفي هذا الشهر انجفل أهل السواد من **شدة الوباء وقلة** ماء دجلة ونقصها وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي وأخذ البيعة للخليفة المقتدي بالحرمين وممن توفي فيها من الأعيان

الخليفة القائم بأمر الله

عبدالله وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند وفاته الداوودي راوي صحيح البخاري عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداوودي ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة سمع الكثير وتفقه على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وأبي بكر القفال وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبدالرحمن السلمي وكتب الكثير ودرس وافتى وصنف ووعظ الناس وكانت له يد طولى في النظم والنثر وكان مع ذلك كثير الذكر لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى دخل يوما عليه الوزير نظام الملك فجلس بين يديه فقال له الشيخ إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم وكانت وفاته ببوشح في هذه السنة وقد جاوز التسعين ومن شعره الجيد القوي قوله ... كان في الإجتماع بالناس نور ... ذهب النور وادلهم الظلام ... فسد الناس والزمان جميعا ... فعلى الناس والزمان السلام ...

أبو الحسن علي بن الحسن

ابن علي بن أبي الطيب الباخرزي الشاعر المشهور اشتغل أولا على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر ففاق أقرانه وله ديوان مشهور فمنه ... وإني لأشكو لسع اصداغك التي ... عقاربها في وجنتيك نجوم ... وأبكى لدر الثغر منك ولي أب ... فكيف نديم الضحك وهو يتيم ...

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصا فأكل الغلات وآذى الناس وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه **ووقع الوباء ثم** منع الله الجراد من الفساد وكان يمر ولا يضر فرخصت الأسعار قال ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس

---

(١) البداية والنهاية، ١٠٣/١٢

مدينة منبج وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنة في ذي القعدة منها وفيها ملك الأقسيس مدينة دمشق وانهزم عنها المعلى بن حيدر نائب المستنصر العبيدي إلى مدينة بانياس وخطب فيها للمقتدي وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن ." (١)

" ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي وعزل عن تدريس النظامية وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطنى فشهد له جماعة من العلماء منهم ابن عقيل ببراءته من ذلك وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصة وفيها في يوم الثلاثاء الحادى عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه فقبلا الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية على محمد سيفا وطوقا وسوار لؤلؤ وأفراسا من مراكبه وعلى سنجر دون ذلك وولي السلطان محمد الملك واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ثم خرج السلطان في تاسع عشر الشهر فأرجف الناس وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهزم محمد وجرى عليه مكروه شديد كما سيأتي بيانه وفي رجب منها قبل القاضي أبو الحسن ابن الدامغاني شهادة أبي الحسين وأبي حازم أبني القاضي أبي يعلي ابن الفراء وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوي فوعظ الناس وكان شافعيا أشعريا فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد وفيها وقع حريق عظيم ببغداد وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن دبيس صاحب الحلة وممن توفي فيها من الأعيان

أبو القاسم صاحب مصر

الخليفة الملقب بالمستعلي في ذي الحجة منها وقام بالأمر بعده ابنه علي وله تسع سنين ولقب بالآمر بأحكام الله

محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي أخذ عن الشيخ أبي أسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة يفتي ويدرس ويروي الحديث ويحج من شعره قوله

---

(١) البداية والنهاية، ١١٢/١٢

... عدمتك نفسي ما تملي بطالتي ... وقد مر أصحابي وأهل مودتي ... أعاهد ربي ثم أنقض عهده ... وأترك عزمي حين تعرض شهوتي ... وزادي قليل ما أراه مبلغي ... أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي ...

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمدا بأصبهان فضاقت على أهلها الأرزاق **وأشتد الغلاء عندهم** جدا وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد فأجتمع عليهم الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هاربا ." (١)

" وروى عنه ابن الجوزي وغيره وقد أوصى عند وفاته أن يصلي عليه الغزنوي وأن يدفن عند قبر عبدالله بن الإمام أحمد وحضر جنازته خلائق من الناس

شافع بن عبدالرشيد

ابن القاسم أبو عبدالله الجيلي الشافعي تفقه على الكيا وعلى الغزالي وكان يسكن الكرخ وله حلقة بجامع المنصور في الرواق قال ابن الجوزي وكنت أحضر حلقته

عبدالله بن علي

ابن أحمد بن عبدالله أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد قرأ القراءات وصنف فيها وسمع الحديث الكثير واقتنى الكتب الحسنة وأم في مسجده نيفا وخمسين سنة وعلم خلقا القرآن قال ابن الجوزي ما سمعت أحدا أحسن قراءة منه وحضر جنازته خلق كثير

عباس شحنة الري

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود وقد كان كثير الصدقات والإحسان السالرعية وقتل من الباطنية خلقا حتى بنى من رؤسهم منارة بالري وتأسف الناس عليه

محمد بن طراد

ابن محمد الزينبي أبو الحسن نقيب النقباء وهو أخو علي بن طراد الوزير سمع الكثير من أبيه ومن عمه أبي نصر وغيرهما وقارب السبعين

وجيه بن طاهر

---

(١) البداية والنهاية، ١٦٢/١٢

ابن محمد بن محمد أبو بكر الشحامي أخو زاهر وقد سمع الكثير من الحديث وكانت له معرفة به وكان شيخا حسن الوجه سريع الدمعة كثير الذكر جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفي ببغداد في هذه السنة

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكي عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتفي وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام وولي زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية المخزن المعمورة وفيها **اشتد الغلاء بإفريقية** وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل وأقفلت المعاقل وفيها تزوج سيف الدين غازي بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش بن ارتق بعد أن حاصره فصالحه على ذلك فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين وهو مريض قد أشرف على الموت فلم يدخل بها حتى مات فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مودود فتزوجها قال ابن الجوزي ." (١)

" خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد وأنا ابن عشر تقريبا ونقل أبو القاسم الصفراوي أنه قال مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعبن فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة لأنه توفي ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية والله أعلم ودفن بوعلة وفيها جماعة من الصالحين وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن أحدا جاوز المائة إلا القاضي أبا الطيب الطبري وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة وإن كان قد مات قبله بخمس سنين فذكر رحلته في طلب الحديث ودورانه في الأقاليم وأنه كان يتصوف أولا ثم أقام بثغر الإسكندرية وتزوج بأمراة ذات يسار فحسنت حاله وبنت عليه مدرسة هناك وذكر طرفا من أشعاره منها قوله ... أتأمن إلمام المنية بغتتة ... وأمن الفتى جهل وقد خبر الدهرا ... وليس يحابي الدهر في دورانه ... أراذل أهليه ولا السادة الزهرا ... وكيف وقد مات النبي وصحبه ... وأزواجه طرا وفاطمة الزهرا ... وله أيضا ... يا قاصدا علم الحديث لدينه ... إذ ضل عن طرق الهداية وهمه ... إن العلوم كما علمت كثيرة ... وأجلها فقه الحديث وعلمه ... من كان طالبه وفيه تيقظ ... فأتم سهم في المعالي سهمه ... لولا الحديث وأهله لم يستقم ... دين النبي وشذ عنا حكمه ... وإذا استراب بقولنا متحذلق ... ما كل فهم في البسيطة فهمه ...

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

---

(١) البداية والنهاية، ٢٢٢/١٢

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبرا لما كان اصابهم **من الوباء بالعام** الماضي والفناء وبأن الشام مخصبة بإذن الله لما كان أصابهم **من الغلاء وفي** شوال توجه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية لينظر من أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها وقصورها وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبي طاهر بن عوف عن الطرطوشي وسمع معه العماد الكاتب وارسل القاضي الفاضل رسالة إلى السلطان يهنئه بهذا السماع

وفاةالملك الصالح بن نور الدين الشهيد صاحب حلب وماجرى بعده من الأمور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ودفن بها وكان سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سما في عنقود عنب في الصيد وقيل ." [١]

" بوابنا الليل وقلنا له ... إن غبت عنا هجم الصبح ...

وأرسلت جارية من جواري الملك العزيز إلى الملك العزيز زرا من ذهب مغلف بعنبر أسود فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أرادت بإرساله فأنشا يقول ... أهدت لك العنبر في وسطه ... زر من التبر رقيق اللحام ... فالزر في العنبر معناهما ... زر هكذا مختفيا في الظلام ...

قال ابن خلكان وقد اختلف في لقبه فقيل محيي الدين وقيل مجير الدين وحكى عن عمارة اليمني أنه كان يذكر جميل وأن العادل بل الصالح هو الذي استقدمه من الاسكندرية وقد كان معدودا في حسناته وقد بسط ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا وفي هذه زيادة كثيرة والله أعلم ...

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها **اشتد الغلاء بأرض** مصر جدا فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والاغنياء ثم اعقبه فناء عظيم حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر وأكل من الصغار والاطفال خلق كثير يشوي الصغير والداه وياكلانه وكثر هذا في الناس جدا حتى صار لا ينكر بينهم فلما فرغت الاطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبحه وأكله وكان الرجل يحتال على الفقير فيأتي به ليطعمه أو ليعطيه شيئا ثم يذبحه ويأكله وكان أحدهم يذبح امراته ويأكلها وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى بل يعذر بعضهم بعضا ووجد عند بعضهم أربعمائة رأس وهلك كثير من الاطباء الذين يستدعون إلى المرضى فكانوا يذبحون ويؤكلون

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/٣٠٨

كان الرجل يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله وقد استدعى رجل طبيبا حاذقا وكان الرجل موسرا من أهل المال فذهب الطبيب معه على وجل وخوف فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر الله ويسبحه ويكثر من ذلك فارتاب به الطبيب وتخيل منه ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره فإذا هي خربة فارتاب الطبيب أيضا فخرج صاحبه فقال له ومع هذا البطء جئت لنا بصيد فلما سمعها الطبيب هرب فخرجا خلفه سراعا فما خلص إلا بعد جهد وشر وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن وكانوا عشرين قرية فبادت منها ثماني عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته نعوذ بالله من باس الله وعذابه وغضبه وعقابه أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم بل هم على حالهم لم يفقد منهم أحد فسبحان الحكيم العليم ." (١)

" دمياط وأخذوا برج السلسلة في جمادي الاولى وكان حصنا منيعا وهو قفل بلاد مصر وفيها التقى المعظم والفرنج على القيمون فكسرهم وقتل منهم خلقا واسر من الداوية مائة فأدخلهم إلى القدس منكسة أعلامهم وفيها جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحدا بعد واحد وتغلب مملوك أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور والله أعلم وفيها أقبل ملك الروم كيكاريس سنجر يريد أخذ مملكة حلب وساعده على ذلك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه ورده خائبا

وفيها تملك الأشرف مدينة سنجار مضافا إلى ما بيده من الممالك وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب فأخذت الفرنج دمياط ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر من ثغر دمياط فحصاصروه مدة أربعة شهور والملك الكامل يقاتلهم ويمانعهم فتملكوا برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ومنه إلى دمياط وهو على ٢ شاطيء البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر وعليه الجسر وسلسلة أخرى لتمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل فلا يمكن الدخول فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه لذلك تأوها شديدا ودق بيده على صدره أسفا وحزنا على السلمين وبلادها ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله عز و جل فلما كان يوم الجمعة سابع جمادي الآخرة توفي بقرية غالقين

---

(١) البداية والنهاية، ٢٦/١٣

فجاءه ولده المعظم مسرعا فجمع حواصله وارسله في محفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلغهم الطواشي عنه أي أنه ضعيف عن الرد عليهم فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بالعادلية الكبيرة وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادي من خيار الملوك وأجودهم سيرة دينا عاقلا صبورا وقورا أبطل المحرمات والخمور والمعارف من مملكته كلها وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها أخذها بعد اخيه صلاح الدين سوى حلب فإنه أقرها بيد أبن أخيه الظاهر غازي لأنه زوج ابنته صفية الست خاتون وكان العادل حليما صفوحا صبورا على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج وكانت له في ذلك اليد البيضاء وكان ماسك اليد وقد أنفق في **عام الغلاء بمصر** أموالا كثيرة على الفقراء وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئا كثيرا جدا ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد **عام الغلاء في** الفناء مائة ألف إنسان من الغرباء والفقراء وكان كثير الصدقة في ايام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه وكان كثير الاكل ممتعا بصحة وعافية مع كثرة صيامه كان يأكل في اليوم الواحد أكلات جيدة ثم بعد ." (١)

" في السجون معتقلا على الاموال الديوانية ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجونه من المدينين الذي لا يجدون وفاء وفرق في العلماء بقية المائة ألف وقد لامه بعض الناس في هذه التصرفات فقال إنما فتحت الدكان بعد العصر فذروني اعمل صالحا وأفعل الخير فكم مقدار ما بقيت أعيش ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الاتي كما سيأتي ورخصت الاسعار في ايامه وقد كانت قبل ذلك في **غاية الغلاء حتى** انه فيما حكى ابن الاثير أكلت الكلاب والسنانير ببلاد الجزيرة والموصل فزال ذلك والحمد لله وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل مليح الوجه أبيض مشربا حلو الشمائل شديد القوى وممن توفي فيها من الاعيان

أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل

نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب كان ولي عهد أبيه وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه العادل ثم كاد ان يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه العادل أبو بكر ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضا عمه العادل ثم آل به الحال أن ملك سميساط وبها توفي في هذه السنة وكان فاضلا شاعرا جيد الكتابة ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها وقد ذكر

---

(١) البداية والنهاية، ٧٩/١٣

ابن خلكان انه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر واخاه عثمان وكان الناصر شيعيا مثله ... مولاي إن ابا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي ... وهو الذي كان قدولاه والده ... عليهما باستقام الامر حين ولي ... فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلي ... فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى ... من الأواخر ما لاقى من الاول ... الأمير سيف الدين علي

ابن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر كان من أكابر الأمراء بحلب وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات والغزوات رحمه الله

الشيخ علي الكردي

الموله المقيم بظاهر باب الجابية قال أبو شامة وقد اختلفوا فيه فبعض الدماشقة يزعم انه كان صاحب كرامات وأنكر ذلك آخرون وقالوا ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداسا بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه حكى السبط عن امرأة قالت جاء خبر بموت أمي باللاذقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ." (١)

" أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم وأسر من دار الخلافة من الابكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم فإنا لله وإنا إليه راجعون

وقتل استاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وكان عدو الوزير وقتل أولاده الثلاثة عبد الله وعبدالرحمن وعبدالكريم وأكابر الدولة واحدة بعد واحد منهم الديودار الصغير مجاهد الدين ايبك وشهاب الدين سليمان شاه وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج باولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن التيار وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعليها بها وعليا فلم يقدره الله تعالى على ذلك بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة وأتبعه بولده فاجتمعا والله أعلم بالدرك الاسفل من النار ولما انقضى الامر المقدر وانقضت الاربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها

---

(١) البداية والنهاية، ١٠٨/١٣

ليس بها احد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل **بسببه الوباء الشديد** حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلادا لشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على **الناس الغلاء والوباء** والفناء والطعن والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون ولما نودى ببغداد بالامان خرج من تحت الارض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كانهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الاخ أخاه **وأخذهم الوباء الشديد** فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى ال‌له لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى وكان رحيل السلطان المسلط هولاكوخان عن بغداد في جمادي الاولى من هذه السنة إلى مقر ملكه وفوض أمر بغداد إلى الامير على بهادر فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير بن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادي الاخرة عن ثلاث وستين سنة وكان عنده فضيلة في الانشاء ولديه فضيلة في الادب ولكنه كان شيعيا جلدا رافضيا خبيثا فمات جهدا وغما وحزنا وندما إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد فالحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ولله الحمد والمنة ." (١)

" زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حزرما وأخذت الزنبقية من زين الدين السامري الصدر جمال الدين

يوسف بن علي بن مهاجر التكريتي أخو الصاحب تقي الدين توبة ولي حسبة دمشق في وقت ودفن بتربة أخيه بالسفح وكانت جنازته حافلة وكان له عقل وافر وثروة ومروءة وخلف ثلاث بنين شمس الدين محمد وعلاء الدين علي وبدر الدين حسن

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتبغا ونائبه بمصر الامير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ووزيره فخر الدين بن الخليلي وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ونائب الشام عز الدين الحموي ووزيره تقي الدين توبة وشادالدواوين الأعسر وخطيب البلد وقاضيها ابن جماعة وفي المحرم ولي نظر الايتام برهان الدين بن هلال عوضا عن شرف الدين بن الشيرجي

---

(١) البداية والنهاية، ٢٠٣/١٣

وفي مستهل هذه السنة **كان الغلاء والفناء** بديار مصر شديدا جدا وقد تفانى الناس إلا القليل وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس والاسعار في **غاية الغلاء والاقوات** في غاية القلة والغلاء والموت عمال فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا ووقع غلاء بالشام فبلغت الغرارة إلى مائتين وقدمت طائفة من التتر العويرانية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لأنه منهم فتلقاهم الجيش بالرحب والسعة ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الامير قراسنقر المنصوري وجاء الخبر **باشتداد الغلاء والفناء** بمصر حتى قيل إنه بيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما وبالقاهرة بتسعة عشر والبيض كل ثلاثة بدرهم وأفنيت الحمر واخليل والبغال والكلاب من أكل الناس لها ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الاولى ولي قضاء القضاة بمصر الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق عوضا عن تقي الدين بن بنت الاعز ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الاخرة ولله الحمد وفي يوم الاربعاء ثاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقيمرية عوضا عن صدر الدين ابن رزين الذي توفي قال البرزالي وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام كان يؤذن على سطح القبة المذكورة وكان قد روى شيئا من الحديث وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الاشكري إلى دمشق في أواخر رمضان فبعث إليها نائب البلد بالهدايا والتحف ورتبت لها الروائب والاقامات وكان قد تفاهم خليل ." (١)

" رأسه عصابة فنزل بالقصر ونودي بالبلد نائبكم قبجق قد جاء فافتحوا دكاكينكم واعملوا معاشكم ولا يغرر احد بنفسه هذا الزمان والاسعار في **غاية الغلاء والقلة** قد بلغت الغرارة الى اربعمائة واللحم الرطل بنحو العشرة والخبز كل رطل بدرهمين ونصف والعشرة الدقيق بنحو الأربعين والجبن الأوقية بدرهم والبيض كل خمسة بدرهم ثم فرج عنهم في اواخر الشهر ولما كان في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد ان يخرج الناس الى قراهم وأمر جماعة وانضاف اليه خلق من الأجناد وكثرت الأراجيف على بابه وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادي الآخرة وركب قبجق بالعصائب في البلد والشاويشية بين يديه وجهز نحوا من الف فارس نحو خربة اللصوص ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة وصار كما قال الشاعر ... يا لك من قنبرة بمعمري ... خلالك الجو فبيضي واصفري ... ونقري ماشئت ان تنقري ...

---

(١) البداية والنهاية، ٣٤٣/١٣

ثم انه ضمن الخمارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها وجعلت دارا ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضا وصار له على ذلك في كل يوم الف درهم وهي التي دمرته ومحقت آثاره وأخذ اموالا آخر من اوقاف المدارس وغيرها ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الارض فسادا ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة وقد خربوا قرى كثيرة وقتلوا من أهلها وسبوا خلقا من أطفالها وجبي لبولاي من دمشق أيضا جباية اخرى وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق لخطيب البلد وجماعة من الأعيان ان يدخلوا القلعة فيتكلموا مع نائبها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادي الآخرة فكلموه وبالغوا معه فلم يجب الى ذلك وقد اجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض الله وجهه

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فحلفهم على المناصحة للدولة المحمودية يعني قازان فخلفوا له وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من اسارى المسلمين فاستنقذ كثيرا منهم من ايديهم وأقام عنده ثلاثة ايام ثم عاد ثم راح اليه جماعة من اعيان دمشق ثم عادوا من عنده فشلحوا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وعمائمهم ورجعوا في شر حالة ثم بعث في طلبهم فاختفى اكثرهم وتغيبوا عنه ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة الى الشام وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر وانشمروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فعاثوا في تلك النواحي فسادا ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم احد وقد أزاح الله عز و جل ." (١)

" شهورا وفيها كان غلاء مفرط بدمشق بلغت الغرارة مائتين وعشرين وقلت الاقوات ولولا ان الله اقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصر **لاشتد الغلاء وزاد** أضعاف ذلك فكان مات أكثر الناس واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة وإلى أثناء سنة خمس وعشرين حتى قدمت الغلات ورخصت الاسعار ولله الحمد والمنة وممن توفي فيها من الاعيان توفي في مستهل المحرم

بدر الدين بن ممدوح بن أحمد الحنفي

قاضي قلعة الروم بالحجاز الشريف وقد كان عبدا صالحا حج مرات عديدة وربما أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب وعلى شرف الدين بن العز وعلى شرف الدين بن

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/١٠

نجيح توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيح صاحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بتلك الموتة كما تقدم فرزقوها فماتوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج

الحجة الكبيرة خوندا بنت مكية

زوجة الملك الناصر وقد كانت زوجة أخيه الملك الاشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة وكانت جنازتها حافلة ودفنت بتربتها التي أنشأتها

الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش

ويقال له اللباد ويعرف بالمؤله كان يقرئ الناس بالجامع نحوا من اربعين سنة وقد قرأت عليه شيئا من القراءات وكان يعلم الصغار عقد الراء والحروف والمتفنة كالراء ونحوها وكان متقللا من الدنيا لا يقتني شيئا وليس له بيت ولا خزانة إما كان يأكل في السوق وينام في الجامع توفي في مستهل صفر وقد جاوز السبعين ودفن في باب الفراديس رحمه الله وفي هذا اليوم توفي بمصر

الشيخ أيوب السعودي

وقد قارب المائة أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة ودفن بتربة شيخه بالقرافة وكتب عنه قاضي القضاة تقي الدين السبكي في حياته وذكر الشيخ أبو بكر الرحبي انه لم ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله

الشيخ الامام الزاهد نور الدين ابو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي له تصانيف وقرأ مسند الشافعي علي وزيرة بنت المنجا ثم إنه أقام بمصر وقد كان في جملة من ينكر على شيخ الاسلام ابن تيمية أراد بعض الدولة قتله فهرب واختفى عنده كما تقدم لما كان ابن تيمية مقيما بمصر وما مثاله غلا مثال ساقية ." (١)

" من تنكز رحمه الله فنزل دار السعادة وحكم بها وفيه صرامة وشهامة

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الامير قراسنقر بالجامع الأموي وظاهر باب النصر وحضر القضاة والاعيان والأمراء ودفن بتربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه **من الغلاء وتأخر** المطر وقلة الغلة كل رطل إلا وقية بدرهم وهو متغير وسائر الاشياء غالية والزيت كل رطل بأربعة ونصف ومثله الشيرج والصابون والأرز والعنبريس كل رطل بثلاثة وسائر الاطعمات على هذا النحو ولس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/١١٤

وربع ونحو ذلك وغالب أهل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويجلبون القمح للمؤنة والبدار من دمشق وبيع عندهم القمح المغربل كل مد بأربعة دراهم وهم في جهد شديد والله هو المأمول المسئول وإذا سافر احد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته لأن المياه التي في الدرب كلها نفذت وأما القدس فأشد حالا وأبلغ في ذلك

ولما كان العشر الاخير من شعبان من هذه السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بارسال الغيث المتدارك الذي احيى العباد والبلاد وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الاودية والغدران وامتلأت بركة زرع بعد ان لم يكن فيها قطرة وجاءت بذلك البشائر إلى نائب السلطنة وذكر ان الماء عم البلاد كلها وأن الثلج على جبل بني هلال كثير وأما الجبال التي حول دشمق فعليها ثلوج كثيرة جدا واطمأنت القلوب وحصل فرج شديد ولله الحمد والمنة وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ عز الدين محمد الحنبلي بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفري وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله وكان كثيرا ما يلقن الاموات بعد دفنهم فلقنه الله حجته وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ويقال قطع قطعا فإنا لله وإنا اليه راجعون

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون فدقت البشائر في القلعة المنصورة وزين البلد بكماله ولله الحمد في الساعة الراهنة من أمكن من الناس وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكماله ولله الحمد على انتظام الكلمة واجتماع الالفة وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الامير فخر الدين ." (١)

" إياس نائب حلب محتاطا عليه فاجتمع بالنائب في دار السعادة ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ويقال إنه قد فوض امره إلى نائب دمشق فمهما فعل فيه فقد أمضى له فأقام بالقلعة المنصورة نحوا من جمعة ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية فلم يدر ما فعل به

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٢٤

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله

وفي يوم الاحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله واقفها عوضا عن الشيخ شمس الدين الذهبي وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درسا مشهودا ولله الحمد والمنة أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول صلى الله عليه و سلم قال إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتبهوا شيئا من الباعة فقطعوا إحدى عشر منهم وسمر عشر تسميرا تعزيرا وتأديبا انتهى والله أعلم

ثم دخلت سنة تسع واربعين وسبعمائة

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ووزيره منجك وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الاخنائي المالكي وعلاء الدين بن التركماني الحنفي وموفق الدين المقدسي الحنبلي وكانت سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ونائب الشام المحروس بدمشق الامير سيف الدين أرغون شاه الناصري وحاجب الحجاب الامير طيردمر الاسماعيلي والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي وقاضي القضاة جلال الدين المسلاتي المالكي وقاضي القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلي وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي وهو قاضي العساكر بحلب ومدرس الاسدية بها أيضا مع إقامته بدمشق المحروسة وتواترت الاخبار بوقوع البلاد في أطراف البلاد فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم او يقارب ذلك وكذلك وقع بغزة أمر عظيم وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق انه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفا وقرئ البخاري في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الاول في هذه السنة وحضر القضاة وجماعة من الناس وقر أربعة بعد ذلك المقرؤن ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٢٥

" في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء وفي صبحية يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلثمائة وثلاثة وستين مرة عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله

ص أرشده إلى قراءة ذلك كذلك وفي هذا الشهر أيضا كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة فإنا لله وإنا إليه راجعون وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ولا سيما من النساء فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء **برفع الوباء من** المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإنابة وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا وزادوا على المائتين في كل يوم فإنا لله وإنا اليه راجعون وتضاعف عدد الموتى منهم وتعطلت مصالح الناس وتأخرت الموتى عن إخراجهم وزاد ضمان الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك فإنه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا فرسم نائب السلطنة بابطال ضمان النعوش والمغسلين والحمالين ونودي بابطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الاخر ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ولكن كثرت الموتى فالله المتسعان

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في **رفع الوباء عنهم** فصام أكثر الناس ونام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عميق واليهود والنصارى والسامرة والشيوخ والعجائز والصبيان والفقراء والأمراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جدا وكان يوما مشهودا

وفي يوم الخميس عاشر جمادي الاولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة فتهول الناس من ذلك وانذعروا **وكان الوباء يومئذ** كثيرا ربما يقارب الثلثمائة بالبلد وحواضره فإنا لله وإنا اليه راجعون وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتا بجامع دمشق وصلى على إحدى عشر نفسا رحمهم الله

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها الأماكن ." (١)

" قاضي القضاة كمال الدين الكفري الحنفي وفي عصر هذا اليوم توفي القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي أحد موقعي الدست بدمشق وصلى عليه يوم الاربعاء ودفن بالسفح

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي بجامع يلبغا عوضا عن الشيخ ناصر الدين بن القونوي رحمه الله تعالى وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشتمر وصلى معه قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالشباك الغربي القبلي منه وحضر خلق من الامراء والاعيان وكان يوما مشهودا وخطب ابن نباتة بأداء حسن وفصاحة بليغة هذا مع علم أن كل مركب صعب وفي يوم السبت خامس عشر جمادي الاخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضي الحنبلي إلى الديار المصرية بطلب الامير سيف الدين يلبغا في كتاب كتبه اليه يستدعيه ويستحثه في القدوم عليه

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود أحدهما مسلم والاخر يهودي فمات المسلم من ساعته وانقلعت عين اليهودي وانكسرت يده لعنه الله وحمل إلى نائب السلطنة فلم يحر جوابا

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل بعد ما قارب غزة لما بلغه **من الوباء بالديار** المصرية فعاد إلى القدس الشريف ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة وقد وردت كتب كثيرة تخبر **بشدة الوباء والطاعون** بمصر وأنه يضبط من أهلها في النهار نحو الألف وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولدي قاضي القضاة تاج الدين المناوي وكاتب الحكم ابن الفرات وأهل بيته أجمعين فإنا لله وإنا اليه راجعون

وجاء الخبر في اواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصري بمصر وهو شاب لم يستكمل العشرين وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ففقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضي القضاة تاج الدين السبكي قاضي الشافعية بدمشق وجاء الخبر بموت قاضي القضاة شهاب الدين أحمد الرباجي المالكي كان بحلب وليها مرتين ثم عزل فقصد مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعي في العودة فأدركته منيته في هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضا وفي يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة في صحبة جمهور الامراء إلى ناحية تدمر لأجل الاعراب من أصحاب

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٢٦

خيار بن مهنا ومن التف عليه منهم وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيرا من أشجارها ورعوها وانتهبوا شيئا كثيرا وخرجوا من الطاعة وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاكهم والحيلولة عليهم فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا ." (١)

" المزة ذاهبا إلى ناحية صفد وخرج المحمل صحبة الحجيج وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال توفي القاضي أمين الدين أبو حيان ابن أخي قاضي القضاة تاج الدين المسلاتي المالكي وزوج ابنته ونائبه في الحكم ملطقا وفي القضاة والتدريس في غيبته فعالجته المنية

ومن غريب ما وقع في أواخر هذا لاشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي

ص عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقي فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة وأخذوا اوراقها للاستشفاء **من الوباء ولكن** لم يظهر صدق ذلك المنام ولا يصح عمن يرويه

وفي يوم الجمعة سابع شهر ذي القعدة خطب بجامع دمشق قاضي القضاة تاج الدين السبكي خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته واستمر يخطب هو بنفسه

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره توفي الصاحب تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموي وغيره وقد باشر نظر الجامع في ايام تنكز وعمر الجانب الغربي من الحائط القبلي وكمل رخامه كله وفتق محرابا للحنفية في الحائط القبلي ومحرابا للحنابلة فيه أيضا في غربيه وأثر أشياء كثيرة فيه وكانت له هم وينسب إلى أمانة وصرامة ومبشارة مشكورة مشهورة ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقبيبات رحمه الله وقد جاوز الثمانين وفي يوم الأربعاء تاسع عشرة توفي الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الاخميمي المصري إمام مسجد درب الحجر وصلى عليه بعد العصر بالجامع الاموي ودفن بقصر ابن الحلاج عند الطيوريين بزاوية لبعض الفقراء الخزنة هناك وقد كان له يد في أصول الفقه وصنف في الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة انتهى

دخول نائب السلطنة منكلي بغا

---

(١) البداية والنهاية، ٣٠١/١٤

في يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة دخل نائب السلطنة منكلي بغا من حلب إلى دمشق نائبا عليها في تجمل هائل ولكنه مستمرض في بدنه بسبب ما كان ناله من التعب في مصابرة الاعراب فنزل دار السعادة على العادة وفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة خلع على قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي للخطابة بجامع دمشق واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة وفي يوم الثلاثاء ثانية قدم القاضي فتح الدين بن الشهيد ولبس الخلعة وراح الناس لتهنئته ." (١)

" بالجامع الذي جدد بناءه نائب الشام سيف الدين متكلي بغا بدرب البلاغة قبلي مسجد درب الحجر داخل باب كيسان المجدد فتحه في هذا الحين كما تقدم وهو معروف عند العامة بمسجد الشاذوري وإنما هو في تاريخ ابن عساكر مسجد الشهرزوري وكان المسجد رث الهيئة قد تقادم عهده مدة دهر وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل فوسعه من قبليه وسقفه جديدا وجعل له صرحة شمالية مبلطة ورواقات على هيئة الجوامع والداخل بأبوابه على العادة وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقي وغربي بأعمدة وقناطر وقد كان قديما كنيسة فأخذت منهم قبل الخمسمائة وعملت مسجدا فلم يزل كذلك إلى هذا الحين فلما كمل كما ذكرنا وسيق اليه الماء من القنوات ووضع فيه منبر مستعمل كذلك فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور وقد استكف الناس عنده من قضاة واعيان وخاصة وعامة وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفي مدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموي فلما أذن الأذان الاول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة قيل لمرض عرض له وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه فخطب الناس يومئذ قاضي القضاة جمال الدين الحنفي الكفري خدمة لنائب السلطنة

واستهل شهر ذي الحجة وقد رفع **الله الوباء عن** دمشق وله الحمد والمنة وأهل البلد يموتون على العادة ولا يمرض احد بتلك العلة ولكن المرض المعتاد انتهى

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الاشرف ناصر الدين شعبان والدولة بمصر والشام هم هم ودخل المحمل السلطاني صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه وذكروا انهم نالهم في الرجعة شدة شديدة **من الغلاء وموت** الجمال وهرب الجمالين وقدم مع الركب ممن خرج من الديار المصرية قاضي القضاة بدر

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٣٠٤

الدين بن أبي الفتح وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خالد تاج الدين يحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده

وفي شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادي التيم وهم مشعرا وتلبناثا وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلهما مفسدان في الارض والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقي إليهما إلا فارس فارس فخربتا وعمر بدلهما في أسفل الوادي بحث يصل اليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة فأخبرني الملك صلاح الدين ابن الكالم أن بلدة تلبتاثا عمل فيها ألف فارس ونقل نقضها إلى أسفل الوادي خمسمائة حمار عدة أيام

وفي يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلى على قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن قاضي ." (١)

"

وعدنا بالحمد وحمدنا الله في العود وأحمدنا في نصره تجارة الوعد ونشرنا للاعلان أعلام السعد وجلونا بالبلد عرائس تلك الفرائس وعقدنا بعذب الرماح ذوائب أولئك الفوارس وعبرنا بأساراهم وعددهم عبرة وأثرنا من ألسنة النظارة وأقدامها للرحمة والرحمة في الدعاء الإدعاء رغبة وغيرة وطابت القلوب وطابت الأيدي ونطقت الألسن في هذه المعجزة المزعجة للكفار المبهجة للأبرار بالتجدي والتهدي وكفت من الكفر كف التعدي وما كنا نعلم حقيقة ما جرى من وهنهم ووهيهم ونكالهم وخزيهم حتى وصل من شاهدهم في ديارهم وشام في شامهم بوارق بوارهم فأخبر أنه ليس في خيلهم بل خيالهم إلا مجروح أو على فراشه مطروح وفي كل يوم ترد البشرى بموت مقدم من جراحة أصابته ونكاية نابته وروعة أشابته وفكرة أذابته وغم غام جوه من جواه وسهم أصمى هامه لا شواه فالحمد لله على هذا النصر الذي علا سناه وحلا جناه وأسرع النجح به منا إلى المنى في نعماه ولما سقط في أيديهم وتورطوا بتعديهم وأعضل داء داويهم وغدا ثغر الثغر مفترا بصدق هلك مفتريهم وعز عندهم موت هنفريهم انكسرت سورتهم وانطفأت فورتهم وسكنت نأمتهم وصدأت هامتهم وسفلت همتهم وفالت آراؤهم وفلت آرابهم ورقب ذلهم حين ذلت رقابهم

ولو كان يومئذ عسكرنا حاضرا لما نجا منهم ناج ولما رأى أرجع للحيا مداج ولا مفاجئ بالغارة الا والردى له مفاج ولما استحلينا هذه المرة التي كانت عليهم مرة واستجلينا الكرة التي جرت إليهم بالوبال كرة

---

(١) البداية والنهاية، ٣٠٩/١٤

قصدنا الحصن الذي بنوه وشاهدناه وكشفنا عوراته وعايناه وأزعجنا الكفر بأقدامنا وذعرناه وعدنا على عزم العود إليه والنزول عليه إن شاء الله

ولقد كان حتف ذلك العظيم فتحا عظيما ونصرا من الله الكريم لأوليائه الكرام كريما وبقي العدو وفي كل صباح عليهم صائحة وفي كل ناحية نائحة ونزل عندنا النصر والقطر وسر السرور ورخص السعر ونقص زائده وزال العسر ولانت شدائده وخلص الرجاء من يد القنوط وخرج نجم الصعود إلى أوج السعود من برج الهبوط وأمسكت الزروع ارماقها وحفظت الأصول أعراقها **ووقف الغلاء وانصرف** البلاء وعلم الناس أنهم في هدون وهدو وأن سرحهم لا يطرقه سرحان عدو وحييت الهمم المتماوتة وتساوت القيم المتفاوتة وعاشت الرعية وشاعت الرعاية وبدا الشكاية وأنبهت العزائم الراقدة ونامت الأعين الساهدة

". (١)

"غلته وكان الحر شديدا لا يطاق ودم الشرك مباحا يراق وقد وقد القيظ وان رقد الغيظ

وانتنت اشلاء القتلى وذكرت آيات الاستعاذة تتلى وسير من باقاه الاسار الى دمشق للعرض والاعلام ببشارة اداء الفرض وأقام السلطان في مخيمه والاموات قد جافت والأحياء قد عافت وقال لا أبرح حتلا أهدم الموضع من أساسه وأعيد الرجاء في تصور اعادته الى ياسه فقمسناه أذرعا على الناس حتى هدوه الى الاساس وعاد المشهد اليعقوبي مزورا وأري الابتهاج بزيارته مشورا وكانوا قد احتفروا فيه جبا واسعا على التل نبع معينة وأحكم بالحجارة من أسفله إلى أعلاه طيه وترصيفه وترصينه فأمر بطمه والجد فيهدمه فاحتيج في ذلك الى جثث القتلى وجيف الهلكى

ودخلت الحصن فشاهدت العجب وعاينت في الأعداء الشجب ورأيت فارسا حين ألقى على النار حصانه وهو راكبه ولم يتنكب البلاء والبلاء ناكبه فانظر الى هذه الحمية والنفس الأبية

واقام السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب والتعفية وشفع حق الجهاد بالتوفير وورد المراد بالتصفية ورحلنا يوم الأربعاء آيبين بالنعماء رجعين بالغنائم والآلاء وعند الوصول الى دمشق مرضنا من وبال **ذلك الوباء ونتن** ذلك الهواء وانتقل الى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأمراء ومن الله علينبعد الاشفاء بالشفاء ومما أنشأته في هذه النوبة رسالة إلى القاضي الأجل الفاضل ونحن بالمخيم على الحصن بشرح ذلك من يومه الى آخره وكان المقام على الحصن في أيام فتحه وبعدها أربعة عشر يوما

---

(١) البرق الشامي، ١٥٢/٣

يهني بما ينهي نبأه وأثره الأثير وحديثه الحديث وخبره الثبت الحثيث وخطبه الخطيب من بره على منبر العلى وحاله الحالية من الحسنى حسن الحلى وهو فتح البرج وحتف الفرنج وتضوع النجح وتوضح النهج وافترار ثنايا الثناء بأذى ذوي الافتراء واجترار اللهاذم لها دما من ارماق المراق من أولي الاجترام والاجتراء فان يكن برج الفرنج المستجد المؤثل له موثرا لهم فان خبر الفرنج المستجدي أذم بسلامة الإسلام ونكاة الكفر من كل ذم وقد أخبر بما من الله به ومنح وأسنى من سمناه فسنح من مقدمات السعادات ومسعدات المقدمين واجتهادات الغزاة ومغزى المجاهدين

---

(١) ".

."

... ولا يعني الناصري بذلك تعدد الأحزاب والطوائف وتقاتل أنصارها(١)، وحسب، بل يشير إلى ما حل بالبلاد من يبس، ومجاعة، وطواعين مهلكة، بلغت حدتها في موسم ١١٤٩ هـ/ ١١٥٠ هـ(٢)

---

(١) راجع عن تلك الأحزاب: محمد القادري، نشر...، مصدر سابق، ج ٣، صص. ٤٠٥ ـ ٤٠٨؛ أحمد الناصري، الاستقصا...، مصدر سابق، ج ٧، صص. ١٥١ ـ ١٥٤.

(٢) سبق للناصري أن لخصها في حديثه عن سنة ١١٤٩ هـ/ ١٧٣٦ م، حيث يقول: »وفي هذه السنة... قويت الفتن وارتفعت الأسعار وانحبست الأمطار وقاسى الناس الشدائد من الغلاء وقل الإدام وانقطع اللحم وهلكت رقاب كثيرة، ولم يزل الأمر في شدة وفر الناس كل فرار«. (الاستقصا...، مصدر سابق، ج ٧، ص. ١٤٠)، ولما تكلم عن السنة الموالية (١١٥٠ هـ)، قال: »وفي هذه السنة هزم جيش الثائرين على مولاي عبد الله يعني العبيد هزيمة عظيمة بعد أن صدر منهم فساد كبير، وذلك على يد البربر، و ارتفعت الأسعار جدا وجعل اللصوص يهجمون على الناس في دورهم ليلا ويقتلونهم وهم يستغيثون فلا يغاثون وبلغ الخوف إلى أبواب الدور المتطرفة بفاس... وكثر الهدم في الدور لأخذ خشبها وكثر الخراب وخلت الحارات، فتجد الدرب مشتملا على عشرين دارا وأكثر وكلها خالية«. (المصدر نفسه، ج ٧، ص. ١٤٦). ومعلوم أيضا أن عام ١١٥٠ هـ يوافق ما يسمى في المصادر بعام »المجاعة الكبرى« (راجع مثلا: العباس

---

(١) البرق الشامي، ١٨١/٣

المراكشي، الإعلام...، مصدر سابق، ج ٦، ص. ٦٢). ولم تنفك الأوضاع تزداد تعقيدا، خصوصا بعد أن **حل الوباء بالبلاد** سنة ١١٦٣ هـ/ ١٧٤٩ م (المصدر نفسه، ص. ٦١).." [(١)]

"الجهاز البشري، وهي كافية وحدها في الغالب لعلاج الأدواء (كوستاف لوبون، حضارة العرب، ص. ٥٣٠، [الطبعة الفرنسية]).

... النقرس: توفي به في مراكش أبو الحجاج يوسف موراطير طبيب المنصور والناصر والمستنصر.

... الطاعون والوباء: يظهر أن الطاعون كان له مفهوم غير مفهوم الوباء، حيث أكد ابن خلدون أن الطواعين أمراضها مخصوصة بالرئة (م ١، ق ٣، ص. ٥٤٤). والفرق بين الطاعون والوباء (كما يقول محمد بن أبي العاص الأندلسي صاحب "الرسالة في تحقيق الوباء") أن الطاعون مصحوب دائما بذبيلة، أي عقدة عصبية ملتهبة؛ في حين." [(٢)]

"**أن الوباء قد** لا يتمخض عن أي التهاب من هذا النوع ولكن كليهما قاتل. (عبد العزيز بنعبد الله، الطب والأطباء، ص. ٦٤).

... الطاعون (peste): مرض معد ينتشر **مثل الوباء** (Epidémie)؛ إلا أنه أشد خطرا منه. وقد ظهر »الطاعون الأسود الأكبر« الذي هلك فيه ـ كما يقول رينو ـ ثلث سكان المعمور. وقد صنف بعض الأطباء المغاربة مؤلفات في علل هذا الداء وطرق علاجه (رينو، الطب القديم بالمغرب، ص. ٤٧). وقد أشار ابن خلدون إلى:." [(٣)]

"وأفريقية، فدفن بسلا (الاستقصا، ج ١، ص. ٦١).

... وقد نصح المنصور السعدي ولده في رسالة وجهها إليه باستعمال الدواء إبان الطاعون الذي طرأ في عهده في وصفات تدل على براعة المنصور في الطب. ومن جملة ما أوصاه به عدم فتح الرسائل إلا بعد غمسها في الخل القوي ثم تنشيفها. وهذا يدل (كما يقول رينو، ص. ٧٩) على أن المغرب كان يعرف إذ

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١١٩٠

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٧٩

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٨٠

ذاك أن عزل المرضى أصلح وسيلة لدرء المرض. ولا ينبغي الخلط بين الطاعون والوباء، فالفرق بينهما .كما يقول محمد بن أبي العصا الأندلسي صاحب "الرسالة في تحقيق الوباء" . أن الطاعون مصحوب." [١]

"دائما بذبيلة، أي عقدة عصبية ملتهبة؛ في حين **أن الوباء قد** لا يتمخض عن أي التهاب من هذا النوع، ولكن كلاهما قاتل.

... وقد لاحظ رينو أن »الموت الأسود« الذي هجم من الصين على الهند وروسيا وأوربا من عام ١٣٣٤ م إلى عام ١٣٥٠ م لم يوجد له أثر بالمغرب، وكثيرا ما ينشأ هذا المرض عن **المجاعة** والتلوث. وقد لاحظ رينو خلال المدة المتراوحة بين ٨٦٧ هـ و١٣٢٥ هـ، أي طوال أربعة قرون ونصف طرأت **المجاعة** بالمغرب ست عشرة مرة، ومنذ هذا التاريخ أي أزيد من ثلاثة قرون لم يقع قحط بالمغرب سوى ثماني مرات، أي كل خمس وثلاثين سنة." [٢]

"تقريبا (ص. ٧٦). وقد وقعت هذه **المجاعة** إبان الحماية الفرنسية حوالي ١٩٤٠، بالرغم من الوسائل الوقائية الحديثة ووفرة المواصلات.

المراجع

ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، الإسكوريال، ١٧٨٥، مدريد، ص. ٢٦٩.

رسالة في أحكام الطاعون، خح ١٨٥٤ د، مكتبة تطوان، ٥٥٥.

ابن مبارك أحمد اللمطي تلميذ سيدي عبد العزيز الدباغ، جواب عمن حل ببلادهم طاعون هل يجوز الخروج منه فرارا أم لا؟ (خع ١٣٤٨ د). (راجع حديثا شريفا في الموضوع).

محمد بن عبد القادر الصبيحي، تقييد **في الوباء** (خح ٥٣٢٣)..." [٣]

"أبو حفص عمر المالقي، مقالة في **أمر الوباء** (خع ١٨٧٢ د). راجع نصها في أزهار الرياض، ج ١، ط. وزار الأوقاف المغربية. ص. ١٢٥.

H. P. J., Renaud, « La peste de 1799-1818, d'après des documents inédits », .Hespéris I, 1921, 2è trim.-III, 1er trim-. V, 1925, 1 er trim

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٨٣

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٨٤

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٨٥

Recherches historiques ur les épidémies du Maroc - Les « ‹____ ____ ____

« pestes

des XVè et XVIè siècles principalement d'après les sources portugaises », in Mélanges Lopes - Cenival, Lisbonne, Paris, 1945, pp. 363-389. (vol. VI de

(١) ".collection

"ظروفا خاصة (فلا سعر معلوما ولا مكيال وافيا ولا ميزان صحيحا كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك) (العياشي، ص. ٢٨٥).

وبعد انقضاء أيام الموسم (رجعوا إلى معتاد حالهم في الأمور الدنيوية من الفلاحة والتعسير في الأسواق وتصحيح المكاييل والموازيين) (العياشي، ص. ٢٨٥).

وترتفع الأسعار أيضا في الفصول الغير الممطرة (ولم تزل الأسعار على ما تقدم **من الغلاء إلى** أن هجم الشتاء وقرب زمن الربيع فلانت الأسعار وكثر اللبن والجبن في الأسواق) (العياشي، ص. ٣٠٢).." (٢)

"لا يستبعد أن تكون الحالة الداخلية التي عرفتها البلاد انطلاقا من سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م قد شجعت لويس التاسع على الاتجاه إلى تونس، إذ عرفت إفريقية انطلاقا من هذا التاريخ العديد من المشاكل والاضطرابات الداخلية. فقد **انتشر الوباء حتى** أن المستنصر نفسه أصيب به، لكنه لم يدم طويلا، فلا نجد أي أثر له بعد فترة قصيرة من ذلك، كما ضرب عملة من النحاس سنة

٦٦٠هـ/١٢٦٢م أثارت بعض القلاقل لدى العامة. لكن أهم الاضطرابات التي عرفتها افريقية هي الثورات الداخلية وخاصة منها بالمنطقة الغربية، فتفيدنا المصادر أن أبا علي بن." (٣)

"حاسمة؟

وتذكر المصادر الغربية أن الصليبيين قاموا ببعض الهجمات المعاكسة من يوم ١٧ أوت إلى يوم ٢٢ من نفس الشهر، لكنها حسب نفس المصادر لم تأت بأي نتيجة تذكر، وتعلل ذلك **بحلول الوباء داخل** معسكر الصليبيين الذي نتج عنه موت العديد من الجند. وهكذا، فإن الابن الأصغر لملك فرنسا مات يوم ٣ أوت ثم تبعه يوم ٧ أوت الكردينال رودولف دالبانو.

ثم يؤكد الجميع على موت لويس التاسع نفسه في شهر محرم من عام تسع وستين وستمائة /يوم ٢٥ أوت

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/٤٢٨٦

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٧٢٧٩

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/٨٨٤٢

١٢٧٠م(١)

---

(١) يؤكد هذا الدكتور Charle Nicole في دراسة موجودة في:

(١) "..Archives de l’Institut Pasteur de Tunis, T. XIX Février 1930, p. 67

". إلا أن ابن خلدون يبدي شكه في سبب موت القائد الفرنسي، فيذكر أن: »الله أهلك عدوهم (أي لويس التاسع) وأصبح ملك الفرنجة ميتا، يقال حتف أنفه، ويقال أصابه سهم عرب في بعض المواقف، ويقال أصابه مرض الوباء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث به إليه مع ابن حزم الدلامي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه«. إلا أن المصادر والمراجع على حد سواء لا تذكر وجود وباء خلال تلك السنة بالبلاد التونسية.

إذن فالمعاصرون للويس التاسع أنفسهم يؤكدون على موته من جراء الوباء، لكن يمكن الإشارة إلى أن تحاليل طبية حصلت سنة ١٩٦٥ على بقايا." (٢)

"منطقة "ظهر العقبة":

... التي كم ضاعت هناك من أموال، وفكت من رقبة، هناك تدهش الفحول من الرجال، وتذهل العقول بين تلك الجبال، فأظهرنا أهمية الحرب عند القدوم وتذرعوا بعلامات الحرب سائر الركب خصوصا وعموما، لأم المقاطعين والمعترضين للركب كانوا ناظرين...(١)

... أما الثانية، فتتمثل في حالة مرضية أو بشكل أصح في وباء. وقد صادفه ذلك في مصر، وبالتحديد في الإسكندرية، **هذا الوباء عن** حمى تصيب الإنسان وقد تؤدي به إلى الموت. يقول الرافعي:

---

(١) المصدر نفسه، ص.٢٠٥.." (٣)

"**هذا الوباء قد** أناخ بالإسكندرية ورسا، ورمى بسهمه المصيب واردا وصادرا مما لا يحصى، وفشا في كل البلاد، وعم ببلواه كل العباد، وتنفس العيش وتكدر، ولا محيد للفرار بل تعذر، لكنا لجأنا للتوسل

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/٨٨٧٢

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/٨٨٧٣

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/١٠١٨٠

والطلب من المولى العصمة **من الوباء لأنه** خير رحم وبه الهموم تجلا(١).

الشرق (الآخر) في رحلة الرافعي:

... تجدر الإشارة في البداية إلى أن الشرق الذي يعنيه الرافعي في رحلته لا يتجاوز مصر والحجاز. وتكاد جميع الصور التي نقلها إلينا في هذين البلدين. ومعنى هذا أن الرحالة يقدم لنا مشاهد من خلال مواقع

---

(١) المصدر نفسه، ص.٢٦٨.." [١]

"نتيجة لعمليات التخريب والنهب خلال ثورة صاحب الحمار. فتقهقرت الحياة الاقتصادية بكافة نواحي افريقية، وخاصة منها تونس، بعدما عرفت ازدهار نسبيا في أواخر القرن الثالث الهجري. ومما نعلمه أن الشيخ سيدي محرز أحيي السويقة المجاورة لمقره والتي تسمى باسمها أهم أبواب الميدنة، كما ساهم في إعادة بناء أسوار الميدنة لحمايتها من الأعداء.

كما حافظت الذاكرة الشعبية على اهتمام هذا الولي باليهود الذين كانوا يسكنون خارج الأسوار بحي كان يسمى المرضى (وهو مرض الوباء) والذي يعرف حاليا بحي الملاسين، وبما أن هؤلاء اليهود." [٢]

"في حقيقة المرض الناتج **عن الوباء وما** هي أسبابه وما وسائل علاجه الطبية.

... ومن الأطباء أيضا أحمد بن محمد بن مهنا السبتي المتوفى بفاس أواخر القرن الثامن الهجري. وهو مؤلف كتاب "الإيضاح والتتميم"، شرح فيه أرجوزة ابن سينا في الطب.

... وفي عصر الدولة السعدية، ولا سيما زمن السلطان أحمد المنصور الذهبي ومن جاء بعده من الملوك السعديين، نبغ طبيب رفع من قيمة العصر الذي عاش فيه هو أبو القاسم بن أحمد بن عيسى المعروف بالغول الفشتالي(١)

---

(١) ترجمة الغول الفشتالي للأستاذ عبد الله كنون، جريدة الميثاق، العددان: ٢٢٧ و ٢٢٨.." [٣]

"يدركها الشريف والمشروف

إلا يسيرا أصله ييسر

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١٠١٨١

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١١٩٦١

(٣) مجلة التاريخ العربي، ص/١٢٩٧٣

ولافظ الأمشاج بالعلاج

توفي الطبيب الفشتالي عام ١٠٥٩ هـ/ ١٦٤٩ م.

... وقد كان للطب في العصر السعدي مزيد اعتناء بأهله واهتمام بشأنه. ومما يدل على ارتقاء شأن الطب في هذا العصر ما وصفه السلطان أحمد المنصور الذهبي في كتابه لولده بمراكش عند ظهور الوباء من أنواع الوقاية والعلاج ونص المراد منه:

... وإلى هذا - أسعدكم الله - أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم إذا لاح لكم شيء من علامات الوباء ولو أقل القليل حتى بشخص واحد، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق." [١]

"الذي يتولى قراءتها ويعرفكم مضمنها، ولأجل أن الكاتب يدخل عليكم ويلابس مقامكم فلا يفتحها إلا بعد إدخالها في خل ثقيف (يعني ثقيل) وتنشر فتيبس وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمنها إذ ليس ياتيكم من سوس ما يستوجب الكتمان (١).

... ففي هذا النص الذي كتب زمن الوباء وهو الطاعون نجد أن السلطان أحمد المنصور يوصي باستعمال الترياق وهو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين. ويوصي بالاتقاء من العدوى بالنصائح التي تقدمت. وهذا يدل على براعة المنصور في الطب.

---

(١) النبوغ، ص. ٢٥٢.." [٢]

"يخرجها عن وضعها الأصلي، لغة شعر وخطابة ، ويؤهلها لأن تكون لغة علوم وفنون ولسان اختراعات واكتشافات (مقال أسعد داغر، "تأخرنا العلمي وأسبابه"، مجلد ١٥، عام ١٨٩٠). ووجه أسعد داغر في مقاله النقد إلى كتب التعليم في المدارس : فهي تعاني من الغلاء إذا ما قوبلت بكتب الغرب، إلى جانب غزارة فوائد الأخيرة ونفع محتوياتها؛ وهي غير متقنة الطبع، رديئة الورق والتجليد. كما صوب سهام الانتقاد

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١٢٩٧٦

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١٢٩٧٨

إلى المدرسين المتعاطين صناعة التعليم والتدريس: "... نظرا لمكانة وظيفة التعليم في الاعتبار والأهمية بين ذرائع ترقى شأن." (١)

"ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل **بسببه الوباء الشديد** حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على **الناس الغلاء والوباء** والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم

بعضا، فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، **وأخذهم الوباء الشديد** فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى))(٥٣).

خامسا: أسباب المحنة وعوامل الإنتشار:

يستطيع المتأمل في محنة التتر أن يرصد عددا من الأسباب ساهمت في دخول التتر بلاد المسلمين، وأعانت على سرعة انتشارهم ومن هذه الأسباب:

١- أسباب قدرية كونية:

ولا شك أن كل ما يقع في هذا الكون لا يخرج عن تقدير الله وإرادته الكونية القدرية يهيء أسبابه ويقدر أحداثه.

ومن هذه الأسباب التي هيأها لهؤلاء التتر أن زمن خروجهم اتفق مع خلو الأرض من عدد من الملوك؛ وذلك أن خوارزم شاه كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمر، وكانت جميع البلاد المتاخمة لبلاد التتر تحت أيدي نوابه، فلما انهزم أمامهم في النهاية وهرب من أرضه وتخلى عن سلطانه خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها فساهم ذلك ولا شك في سرعة انتشارهم واستئصال شأفة المسلمين من حولهم(٥٤).

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١٤٩٧٥

والذي يلفت النظر ويؤكد أهمية هذا السبب أنه انتشار مذهل عجب منه المؤرخون، ولم يستطيعوا مقارنته بما فعل ((بخت نصر)) ببني إسرائيل على الرغم من كثرة قتله وتخريبه بيت المقدس.." (١)

"والعقب من مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: عبد العظيم، والحسن سراهنك، والحسين ميركا، وأحمد سيدي، أمهم بنت أبي الحسن السيلقي.

والعقب من سراهنك الحسن بن مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن علي بن إسماعيل حالب الحجارة: علي بن الحسن، وسيلقي، وأبو محمد المطهر، ومانكديم، وعزيز أمهم عامية وبنات، بنت منهن أم السيد حسينك جدة السيد علي بن الحسينك.

وكان السيد سراهنك شيخا معمرا محترما، رآه السيد أبو الغنائم في نيشابور وكتب أسامي أولاده. ومن زيد بن الحسن سراهنك مسطور في كتاب أبي الغنائم.

والعقب من السيد أبي محمد المطهر بن الحسن سراهنك: السيد النقي، والسيد الإمام شرف القضاة والسادة ناصح الدين.

والعقب من السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: رضي الدين زيد، وشمس الدين علي النسابة، والسيد الرئيس محمد، وصفية، ونازنين.

توفي السيد النقي في سنة سبع وخمسمائة وقبره على درب سانزوار على جانب الغربي.

والعقب من رضي الدين زيد: السيد العالم الزاهد كمال الدين يحيى، والسيد علاء الدين علاء السادة الحسين، أمهم علوية بنت السيد الرئيس أبي عبد الله الزبارة، وتوفي رضي الدين زيد في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

والعقب من السيد يحيى: السيد محمد، ولد في يوم السبت الثامن من ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة، وبنات، أمهم بنت الفقيه محمد بن أبي القاسم التديلي، وهم من أولاد تديل بن علي ورقاء الخزاعي، ونسبهم معروف، ومنهم الأئمة والقضاة والحكام والزهاد والأزكياء.

والسيد الحسن بن زيد مات ليلة الخميس الثامن عشر من شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولم يبق منه عقب. والعقب من علاء السادة الحسين.

والعقب من السيد الرئيس الإمام نسابة خراسان شمس الدين علي بن الحسن بن المطهر بن الحسن

---

(١) كيف دخل التتار بلاد المسلمين، ص/٢١

سراهنك: الحسن الأكبر، وحسام الدين الحسين، أمهما زهراء بنت السيد الإمام محمد بن مانكديم، والحسن الصغير.

ومن العجائب التي لم يوجد مثل ذلك في الأنساب أن شمس الدين اسمه علي، وابنه الأكبر الحسن بن علي، وابنه الأوسط الحسين بن علي، وأمهما الزهراء، وجدتهما خديجة وصهر شمس الدين محمد. وهذا نادر لم يوجد في الأنساب مثل ذلك، إلا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومات السيد الحسن في شهور سنة ثمان وأربعين وخمسمائة **في الوباء العام** الذي كان بناحية بيهق.

والعقب من الحسن الأكبر بن شمس الدين: في محمد وبنات، أمهم علوية وهي ستي خاتونك بنت الأمير السيد أبي البركات محمد بن الحسين بن أبي عبد الله الجوزي النيشابوري.

والعقب من السيد حسام الدين الحسين في ولده محمد، أمه بنت السيد الإمام علي بن الفضل بن أبي طاهر الأصغر وبنت، أمها أم أولاد أخيه. ومات السيد الرئيس حسام الدين في حدود سانزوار في شهور سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد محمد بن السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: الأمير السيد الرئيس فخر الدين الحسن وبنات، أمهم علوية وهي ستي حرة الزاهدة والعفيفة بنت السيد السعيد الناصح الدين الحسين بن المطهر بن الحسن سراهنك.

والعقب من الرئيس فخر الدين لحسن بن مهدي بن الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: أبو القاسم المطهر، أمه بنت السيد الإمام الرئيس بدر الدين علي بن الحسين بن المطهر. وأم أولاد السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك بنت الشيخ الزكي الحسين الورادي.

والعقب من السيد الإمام ناصح الدين شرف القضاة والعترة الحسين بن المطهر: في الأمير السيد الرئيس الإمام الزاهد الحاجي بدر الدين ظهير الإسلام سيد الحاج والحرمين علي، والسيدة الزاهدة العفيفة حرة، أمهما بنت الشيخ الحسين بن أبي الحسين بن أبي الحسن المستوفي الموبلي.

وولد الأمير السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين علي في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ومات والده بالري في سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ومات بدر الدين علي فجأة في محرم سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين: في السيد الشهيد تاج الدين الحسين، وبنت في حبالة فخر الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن المطهر.." (١)

"السمع والطاعة لله ورسوله ولمولانا السلطان وأنه من ساعته طلب عربه وأحضرهم ، وأخبرهم بقصد السلطان ، وأمرهم بالرحيل أولا فأولا فرحلوا إلى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها،و ثامر بن قشعم كان قد تألم من الأمير نعير أمير طي ومن حكومته فأمر عربه بالرحيل إلى جهة نعير فجازوا على أملاكه بالبصرة فاستولوا عليها ونهبوها" .

وهذه تعد أول علاقة بالعراق وإمارته العشائرية وأن ثامر أول رئيس عرف وكانت القشعم قبل ذلك التاريخ تعرف بقبيلة عبدة القحطانية ويذكرها المؤرخون بشمر عبدة أو شمر قحطان .

ونستنتج من النص حين قال:

"و ثامر بن قشعم كان قد تألم من الأمير نعير أمير طي ومن حكومته" .

هذا الكلام يشير إلى : حرب وثارات قائمة منذ زمن بعيد بين الأمير ثامر بن قشعم ونعير أمير طي ، كان يزكيها ويشجعها حاكم البلاد لإضعاف قوى الجانبين ويشغل بعضهم ببعض كي لا يجدوا فرصة سانحة لإقلاق السياسة الداخلية في البلاد فيعطي الضوء الأخضر لإحداها عندما يلقى تمردا

وشغبا من الأخرى، لأنه يرى في مطاردة العشائر كلفة باهظة بالأموال ومشقة في الأنفس ، والعربي لا يتقيد ببقعة خاصة ولا يقبل الذل ، وقاعدتهم الطبيعية : "إذا نبا بك منزل فتحول" .

وفي شهر شوال من هذه السنة التي تولى بها ثامر بن قشعم لقب أمير العرب ، كان يسود البلاد حالة رعب وذهول واندهاش الناس بسبب سقوط بغداد على يد تيمورلنك في ٢٠ شوال ٧٩٥هـ التي غطت على غيرها من الحوادث وما نجم من سقوط قتلى وتفسخ الجثث ، **وانتشار الوباء** ، كما وسببت فوضى الحرب **جلب الغلاء** .

-أيضا ورد ذكر قبيلة القشعم في تاريخ العراق بين احتلالين حوادث سنة ٩٥٣هـ الموافق ١٤٥٦م جاء في قصيدة للشاعر عمر فضولي البغدادي مدح بها إياس باشا والي بغداد في انتصاره على هذه القبيلة وأن صاحب كلشن خلفا بين أن هذا الوالي وجد هذه القبيلة سلكت طريق العصيان فقام بتأديبها .." (٢)

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ص/٩٢

(٢) لكود القشعم، ١/٦٩

"وقلت لابن العم محمد : هل لديك أي معلومات عن تعارف والديك وكيفية زواجهما .

فقال : حدثتنا والدتي فقالت :

" **أثناء الوباء** ، أو حرب السفر بر ، أي في العام الذي مات فيه ناس كثر ، توفي والدي ووالدتي وأحد أخوتي وبقينا على قيد الحياة وعمري أنا مريم بحدود سبع أو ثمان سنين وأخوتي مصطفى وهلال ومحمد جميعا صغار السن ، وترك لنا والدي أرزاقا كثيرة من الغنم ولم يكن فينا من لديه القدرة على رعاية هذه الأرزاق والاستفادة من محصولها ، وجاء العم وأخذ هذه الأرزاق وسافر بها إلى تركيا ، أي "أكل مال الأيتام " وأصبحنا في كوخ صغير بأراضي تل أبيض ، وهكذا حتى صرت بعمر الزواج المبكر ، وشاءت الأقدار وحصل التعارف وعقد القران في أراضي تل أبيض بين فجر "هكذا كان يسمي نفسه" ومريم بنت عفر الخليل من عشيرة النعيم والدتها خزنة ، وكان الزوج بالنسبة لي كبير السن ، وبعد الزواج رحلنا إلى مدينة حمص وأقمنا في حي الصحابي خالد بن الوليد وتنقلنا في بلدان كثيرة ثم رجعنا إلى حمص وتوفي زوجي ودفن في مقبرة بالقرب من جامع خالد بن الوليد ."

وسألت ابن العم محمد : كيف عرفت أن لكم أقرباء في قرية الحارة بالتحديد .

فقال حدثتني والدتي فقالت :" أثناء إقامتنا في حمص وفي يوم حضر زوجي وبصحبته ثلاثة رجال من أقربائه كانوا يتسوقون الخيل والإبل من سوق حمص ، وبعد الحديث كانوا يقولون لزوجي ارجع إلى القرية ، ويقصدون قرية الحارة ، فقال لهم : إن شاء الله سأعود عما قريب ، وكان هذا اللقاء هو الأخير حيث توفي ، رحمه الله ."

وقالت بنت العم زهرة : "قالت لي والدتي أنني تزوجت من أبيك وكان كبيرا بالسن ، لكنه كان يدللني ويحترمني كثيرا بدليل القصة التالية : في يوم وضعت كمية لا بأس بها من الزبدة في قدر على النار لتحويلها إلى سمن ، فاندلقت على الأرض وصرت ألوم نفسي على ما حصل ، فقال لي مواسيا ومظهرا عدم غضبه : إيه شو صار ، ما لنا نصيب فيهم ."." (١)

"وهذه المخدرات التي أخذت تتدفق إلى تركستان الشرقية بتشجيع السلطات الصينية منذ عام ١٩٩٤ ، جلبت معها مرض الإيدز إلى مناطق المسلمين، حيث تفيد التقارير أن التحاليل الطبية التي أجريت على مسلمي تركستان الشرقية في عام ١٩٩٥ م لم تسجل إصابة واحدة بالأعراض الخاصة بفيروس مرض نقص المناعة HIV ، ولكن في نهاية عام ١٩٩٦ يقول الباحث الصيني زنغ شي وين Zheng Xiwen من الأكاديمية

---

(١) لكود القشعم، ١/١٥٩

الصينية لدواء المقاومة Chinese Academy of Preventive Medicine : أن واحدا من كل أربعة يتعاطون المخدرات كان ايجابيا بفيروسHIV . وفي السنوات الأخيرة أصبحت شنجانغ (تركستان الشرقية) من أكثر المقاطعات الصينية انتشارا بمرض وباء الإيدز ، وأن المسلمين الأويغور هم أكثر القوميات التي منيت **بهذا الوباء** . ومثلا في الأول من شهر ديسمبر ٢٠٠٣ فإن الباحث لي شيانغ Li Xiang من الوحدة الخاصة بمكافحة الإيدز في مدينة اورومجي أشار إلى ٣٠٣ إصابة جديدة بمرض الإيدز في شهر سبتمبر ٢٠٠٣ ، وأن عدد المصابين بلغ ٣١٦٥ ، ويقدر العدد الحقيقي للمصابين بأكثر من ثلاثين ألفا ، ويذكر أن ثلاثة من كل ٢٠٠ شخص في اورومجي يحمل الأعراض الخاصة بفيروس مرض نقص المناعة ، بينما تقدر بعض الجهات المحلية نسبة المصابين بنحو ٤٠٪ في اورومجي و ٨٥ ٪ في مدينة إيلي بالقرب من حدود قازاقستان .ويمكن القول أن نسبة الإصابة تصل إلى ٣٠ ٪ في مقاطعة شنجانغ (تركستان الشرقية) مما يجعلها المقاطعة الصينية الأولى في نسبة انتشار الإيدز في الصين كلها .

هل هناك مقاومة ...؟

هذه الممارسات الجائرة لاشك أنها تثير امتعاضا وسخطا في أي مجتمع إنساني ، مهما تدنى تخلفه الحضاري أو فقد مشاعره وأحاسيسه فهو لن يفرح بالموت والابادة والقتل ، كما يلاحظ ذلك مع الحيوان نفسه الذي يساق إلى الذبح ، فهل يستطيع شعب تركستان الشرقية المسلم أن يدافع عن نفسه ؟! أو ان يعرب عن آلامه وأحزانه وهمومه ؟! بالطبع لا !!." (١)

"وينتهي هذا الطريق الصيني للمخدرات في تركستان الشرقية بترويجها بين الأهالي دون شعور منهم؛ حيث يتم دسها في الأطعمة والمشروبات التي تقدم في المطاعم؛ وقد بلغت نسبة من ابتلي بها ٢٠٪ من جملة السكان؛ كما أن المبتلين بها من فئة الشباب- الذين تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة- تبلغ نسبتهم ٨٠٪؛ والهيروين الذي يباع باسم بايميان لا تصل نقاوته حتى ٣٠٪، ولم يقتصر الترويج لهذا النوع فقط، بل هناك أنواع أخرى من المخدرات من بينها الكوكايين والأفيون والحشيش، والماريجوانا والإفيدرين وغيرها.

وهذه المخدرات التي أخذت تتدفق إلى تركستان الشرقية بتشجيع السلطات الصينية منذ عام ١٩٩٤م جلبت معها مرض الإيدز إلى مناطق المسلمين؛ حيث تفيد التقارير أن التحاليل الطبية التي أجريت على مسلمي تركستان الشرقية في عام ١٩٩٥م لم تسجل إصابة واحدة بالأعراض الخاصة بفيروس مرض نقص

---

(١) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق، ص/٥٦

المناعة الطبيعية المكتسبة HIV، ولكن في نهاية عام ١٩٩٦م يقول الباحث الصيني زنج شي وين- من الأكاديمية الصينية لدواء المقاومة "Chinese Academy of Preventive Medicine"-: "إن واحدا من كل أربعة يتعاطون المخدرات كان إيجابيا لتحليل فيروسHIV، وفي السنوات الأخيرة أصبحت تركستان الشرقية من أكثر المقاطعات الصينية ابتلاء بوباء الإيدز، وأن المسلمين الأويغور هم أكثر القوميات التي منيت بهذا الوباء، ويقدر العدد الحقيقي للمصابين به بأكثر من ٣٠ ألفا.
يذكر أن ٣ من كل ٢٠٠ شخص في أورومجي يحملون الأعراض الخاصة بفيروس مرض نقص المناعة، بينما تقدر بعض الجهات المحلية نسبة المصابين بهذا المرض بنحو ٤٠٪ في أورومجي و٨٥٪ في مدينة إيلي بالقرب من حدود كازاخستان، ويمكن القول بأن نسبة الإصابة تصل إلى ٣٠٪ تركستان الشرقية؛ ما يجعلها المقاطعة الأولى في نسبة انتشار الإيدز في الصين كلها.." (١)

"لكن ذكاءه المراوغ، وغطرسته الماكرة، كانت تسعفه في العثور على نافذة للنجاة، ليتابع من جديد تسلقه، وقد ازداد علوا حتى صار في مقام الملك، يتصرف بشؤون وأحوال البلاد كما يشاء، فتزايدت عظمته، واجتمعت فيه الوظائف كلها، /عزيز مصر/ في تلك الأيام. ويظهر الزيني بركات سياسيا بارعا؛ يتقن المكر والخداع والنفاق، يمارس الرذائل، ويبدو فاضلا. فينال ثقة الشعب والسلطة معا، ويتولى حسبة القاهرة بموجب مرسوم جاء فيه:
((يتولى بركات بن موسى حسبة القاهرة لما تبين لنا بعد ما قدمناه، ما فيه من فضل وعفة، وأمانة وعلو همة، وقوة وصرامة، ووقور وهيبة، وعدم محاباة أهل الدنيا والجاه، ومراعاة الدين، كما أنه لا يفرق في الحق بين الباطل والحقير، لهذا أنعمنا عليه بلقب "الزيني" يقرن باسمه بقية عمره)) /ص ٣٧/.
هكذا يصل الزيني بركات إلى السلطة بإيهام الناس وخداعهم بنزاهته، وعدله، وحرصه على أمنهم وقوتهم.
غير أن الناس يكتشفون تدريجيا أن سلطة الزيني بركات، ليست إلا حلقة تضاف إلى حلقات القيد المحكم حول قوت الشعب، ومصائر الناس، ومن هنا، فإن الرواية لم تأت تعبيرا دلاليا عن آلية القمع البوليسية فحسب؛ بل هي أيضا تعبير دلالي بكل أبعاده التاريخية والراهنة، عن الوهم الذي تزرعه سلطة الاستبداد، في عقول الناس ونفوسهم، فتجعلهم يهتفون لها إعجابا، وولاء، في اللحظة نفسها، التي تسوقهم فيها إلى الموت، وهذا ما تكتشفه عين الرحالة، التي تشكل قناعا مناسبا للكاتب في رصد الحالة بأكمل صورها،

---

(١) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق، ص/٢٧٨

فترى الوباء، والقيود، والعماء، وتشهد القمع والهلاك، مثل قدر لا راد له، أنزل على الناس: ((."[1]

"في الطريق على مهل أليم مضى طابور من سجناء الفلاحين مربوطين من أعناقهم بسلاسل حديدية..)) ص ١٨/ ربما في طريقهم إلى الإعدام –يتساءل الرحالة –أو في طريقهم إلى الموت البطيء في أقبية السجون، حيث يسجن المرء لعشرات السنين، وكأولئك الفلاحين المقيدين بالسلاسل من أعناقهم، والمساقين إلى الموت..، تساق البلاد إلى هلاك محقق، فالقاهرة –كما يراها الرحالة –عام /٩٢٢/ –أشبه برجل معصوب العينين، فوق ظهره ينتظر قدرا خفيا. "والوقت ظلام، وليس هناك من أثر لديك يصيح" /ص ٢٠/.

وما يثير الدهشة إلى حد القهر، في سلطة "الزيني بركات" هو ممارسته القمع والفساد، باسم العدالة والنزاهة، والدفاع عن حقوق المواطن، بإتقان عجيب، يجعل العيون تراه وتخطئه في آن، أو تراه وتنظر إليه بإعجاب، وفي ضوء ذلك تميز الزيني بركات بذاتية متسلطة، ترى في السلطة مرجعا للحقيقة، وتجعل من السياسة فن تدمير المجتمع، باسم الدفاع عن مصالحه، إذ يتبدد معنى القانون، ومفهوم النظام الاجتماعي، والاقتصادي،.. وتتجلى السلطة كآلة تنظم هذا الوباء، تنسج هلاك المجتمع، وتحيله إلى كارثة، فيغرق المستبد في سادية، غاية في التعقيد والكثافة: يلغي كل ما هو خارج عن فرديته، تاركا حوله أدوات توافق معنى الاستبداد، كوسيلة لإلغاء حياة كل من يرفض له قولا أو إشارة.." [2]

". الحكاية الثانية: يروي علي كلاكش حادثة، تعرض لها شخصيا، انتهت بضربه وسرقة سيارته وما كان بحوزته من مال، بالإضافة إلى محبسه وساعته، وأوراقه الخاصة / ص ٦٤ ـ ٦٥ /، وهذه الحادثة تؤكد حالة القمع الشاملة، التي لا يحول دون ممارستها أي حاجز، سواء في البيت أم في الشارع، أم في أي مكان.

وإذا كان علي كلاكش نفسه يقع فريسة لمثل هذه الحالات ـ في منطقته، وهو الشاب المهندس، صاحب العلاقات والنشاطات الاجتماعية المتميزة ـ ألا يتوقع أن يتعرض لأسوأ منها رجل كهل، يتصرف بطريقة شاذة في منقطة لا يعرفه أهلها.؟ في زمن الحرب التي تطال كل شيء ـ كما يبين الراوي نفسه..؟: "الجريمة تنتشر كأنها الوباء. الطاعون يأكلنا من الداخل.. هذا هو التفكك الذي يصاحب الحروب الأهلية" / ص ٤٥ /.

---

(١) محنة الذات بين السلطة والقبيلة، ص/٦٣

(٢) محنة الذات بين السلطة والقبيلة، ص/٦٤

ـ ثم يروي الحكاية الثالثة عن أزمة ابنة خليل جابر المتفاقمة، صارت / عايدة / تبول في الصف، و: "تجلس تحت الطاورة، وترفض الجلوس على الكرسي في الصف، وتعوي كالكلاب" /ص ٦٦ /.

ثم تنتقل عدوى تصرفاتها هذه إلى بقية التلاميذ، وهو ـ أي الراوي ـ يميل إلى تفسير هذه الحالة، ضمن بعدها الاجتماعي.. رافضا التفسير الذي يعيد أزمة خليل جابر إلى بعدها النفسي / عجزه الجنسي / فقط، وسرده ـ علي كلاكش ـ لحكاية ـ موسى كنج، صديق المغدور، يؤكد موقفه:

ـ في هذه الحكاية ـ وهي الرابعة ـ، يعاني موسى من عجز جنسي، رغم أنه يتمتع بصحة جيدة، وفي هذا العري لهذه الشخصية دلالة تشير إلى عقم الواقع الراهن، وبؤس الحياة، وعدم جدوى الحروب بكل تجلياتها القمعية، كما يعبر عن بؤس العلاقة الزوجية بين موسى وزوجته، كمظهر من مظاهر التفكك الاجتماعي، الذي عصف بالمجتمع جراء الحرب.

نواجه في الفصل الثالث حكايتين: الأولى ـ حكاية محمود فخرو الذي يتعرض للخطف وخطر القتل في الأشرفية وينجو منه، ليقتل على يد مسلحين داخل بيته في كورنيش المزرعة (١١٩).." [(١)]

" الانحطاط البدني لدى العثمانيين

يذكر الدكتور (ريدر (رئيس أطباء المستشفى (في أحد كتبه أن هناك ضعفا بدنيا لدى العثمانيين وان ثلث سكان الدولة العثمانية مصابون بداء الأفرنجي

أرجو أن يكون هذا الطبيب الألماني مخطئا في تقديره المتشائم لكن علينا أن نعترف بإن هذا الداء الخطير منتشر في أرجاء المشرق وان أثره السيء على المواطنين في بلادنا أمر مرعب غير انه ليس بجديد على هذه البلاد فهو آفتها منذ القديم علينا مكافحته بالعناية بالنظافة والصحة وبالقضاء على الجهل

والاخطر من ذلك الوباء في رأي هو الاكثار من التدخين وشرب القهوة والموت هو العدو الرئيسي للانسان عرفت بتجاربي الشخصية مبلغ الخطورة في الاكثار من شرب القهوة على الجهاز العصبي أن شرب القهوة مع ارتشاف سكائر قوية له تأثير سيء على الاعصاب ولا يعجبن أحد في هذه الحال من الامراض العصبية التي نراها في بلادنا يقال أن للخمر

". [(٢)]

---

(١) محنة الذات بين السلطة والقبيلة، ص/١٠٨

(٢) مذكراتي السياسية، ص/١٠١

"وفيها توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير: أبو محمد المرتعش، عبد الله بن محمد النيسابوري، أحد مشايخ العراق، صحب الجنيد وغيره، ومن كلامه: الإرادة حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله تعالى، والرضوان بموارد القضاء، وقيل له: إن فلانا يمشي على الماء فقال ، عندي من مكنه الله تعالى من مخالفة الهوى، هو أعظم من المشي في الهواء، وكان يقال له: إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات الخزيمي.

وفيها توفي أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي صاحب " العقد " ، الأموي مولاهم. كان رأس العلماء المكثرين، والإطلاع على أخبار الناس. حوى كتابه من كل شيء، وله ديوان شعر جيد، ومن شعره:

إن الغواني لو رأينك طاويا ... برد الشباب طوين عنك وصالا

وإذا دعونك عمهن فإنه ... نسجت يزيدك عندهن خيالا

والقرطبي نسبة إلى قرطبة، وهي مدينة كبيرة من بلاد الأندلس، وهي دار مملكتها.

تسع وعشرين وثلاث مائة

فيها: استخلف المتقي لله، وتوفي الراضي بالله أبو إسحاق محمد. وقيل: أحمد المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله العباسي. وكانت أمه جارية رومية، وهو آخر خليفة له شعر مدون وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة إلى خلافة الحاكم العباسي، فإنه خطب أيضا مرتين، وآخر خليفة جالس الندماء، ولكنه كان مقهورا مع أمرته، وكان سمحا كريما محبا للعلماء والأدباء، سمع الحديث من البغوي وعمره إحدى وثلاثون سنة.

وفيها توفي يوسف بن يعقوب بن إسحاق التنوخي الأنباري الأزرق الكاتب، وله نيف وتسعون سنة. وأبو نصر محمد بن حمدويه المروزي.

ثلاثين وثلاث مائة

فيها **حدث الغلاء المفرط** والوباء ببغداد، وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير، أكلوا الجيف. وفيها وصلت الروم، فأغارت على أعمال حلب، وبدعوا، وسبوا عشرة آلاف نسمة. وفيها أقبل أبو الحسين علي بن محمد بن البريدي بالجيوش، فالتقاه المتقي وابن رائق إلى الموصل، واختفى وزيره أبو إسحاق القراريطي، ووقع النهب في بغداد، واشتد القحط حتى بلغ الكر ثلاثمائة وستة عشر دينارا، وهذا شيء لم يعهد بالعراق. ثم عم البلاء بزيادة دجلة، فبلغت عشرين ذراعا، فغرق الخلق.

وأما ناصر الدولة ابن حمدان فإنه جاءه محمد بن رائق، فوضع رجله في الركاب، إذ وثب به الفرس، فوقع

فصاح ابن حمدان: لا يفوتنكم، فقتلوه، ثم دفن ، وعفى قبر وجاء ابن حمدان إلى المتقي، فقلده المتقي مكان ابن رائق، ولقبه ناصر الدولة، ولقب أخاه عليا سيف الدولة. وعاد وهما معه، وهرب البريدي من بغداد، وكان مدة استيلائه عليها ثلاثة أشهر وعشرين يوما، ثم نهب البريدي وعاد، فالتقاه سيف الدولة بقرب المدائن، ودام القتال يومين، وكان الهزيمة على ابن حمدان والأتراك، ثم كانت على البريدي، وقتل جماعة من أمراء الديلم، وأسر آخرون، وهرب البريدي إلى واسط بأسوأ حال، وساق وراءه سيف ا لدولة، ففر إلى البصرة.

وفي رجب من السنة المذكورة توفي الفقيه الكبير الإمام الشهير أبو بكر الصيرفي الشافعي، صاحب المصنفات في المذهب، وصاحب وجه فيه. كان من جلة الفقهاء، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج، واشتهر بالحذق في النظرة والقياس وعلم الأصول، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إليه. قال أبو بكر القفال: كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، وهو أول من انتدب من أصحابنا للشروع في علم الشروط، وصنف فيه كتابا، أحسن فيه كل إحسان. والصيرفي نسبة مشهورة لمن يصرف الدنانير والدراهم.

وفيها توفي الشيخ الكبير أبو يعقوب النهرجوري ، شيخ الصوفية. صحب الجنيد وغيره، وجاور مكة، وكان من كبار العارفين رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الإمام الكبير القاضي أبو عبد الله المحاملي الشهير، الحسين بن إسماعيل الضبي البغدادي. عاش خمسا وتسعين سنة. قال أبو بكر الداؤدي: كان يحضر مجلس المحاملي عشرة آل ا ف رجل.

وفيها توفي الحافظ أبو عبد الله، محمد بن عبد الملك القرطبي. ألف كتابا على سنن أبي داود، وكان بصيرا بمذهب مالك.

وفيها توفي الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الهروي، من أعيان الشافعية والراحلين في طلب الحديث، عاش مائة سنة.." (١)

"وفيها تملك سيف الدولة بن حمدان " حلب " وأعمالها، وهرب متوليها إلى مصر، فجهز الإخشيد " بكسر الهمزة وبالخاء والشين والذال المعجمات والياء المثناة من تحت بعد الشين " ومعناه في لسان الترك ملك الملوك جيشا، فالتقاهم سيف الدولة فهزمهم وأسر منهم ألف نفس، ثم سار إلى دمشق فملكها، وسار الإخشيد ونزل على " طبرية " فخامر خلق من عسكر سيف الدولة إلى الإخشيذ، فانكسر سيف الدولة وجمعه فقصده الإخشيذ، فالتقاه، فانهزم سيف الدولة، ودخل الاخشيذ حلب. وأصاب بغداد قحط

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٣٣٤

لم ير مثله، وهرب الخلق، وكان النساء يخرجن عشرين عشرين، وعشرة عشرة، تمسك بعضهم ببعض، بصحن الجوع الجوع، ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميته.

وفيها توفي أبو علي اللؤلؤي، محمد بن أحمد البصري، راوي السنن عن أبي داود

أربع وثلاثين وثلاث مائة

فيها دثرت بغداد، وتداعت إلى الحراب من شدة القحط والفتن والجور.

وفيها اصطلح سيف الدولة والإخشيذ، وصاهره، وتقرر لسيف الدولة حلب وحمص وأنطاكية، وقصد معز الدولة بغداد، فاختفى الخليفة، وتسللت الأتراك إلى الموصل، وأقامت الديلم ببغداد، ونزل معز الدولة بباب الشماسية، وقدم له الخليفة التقاديم والتحف، ثم دخل إلى خدمة الخليفة وبايعه، فلقبه يومئذ معز الدولة، ولقب أخويه: عليا: عماد الدولة، والحسن: ركن الدولة، وضربت لهم السكة، واستوثقت المملكة لمعز الدولة ، فلما تمكن كحل المستكفي بالله، وخلعه من الخلافة، لكون " علم القهرمانة "كانت تأمر وتنهي، فعملت دعوه عظيمة، حضرها خرشيد مقدم الديلم وعدة أمراء، فخاف معز الدولة من غائلتها، ولأن بعض الشيعة كان يثير الفتن، فآذاه الخليفة وكان معز الدولة متشيعا فلما كان في جمادى الآخرة، ودخل الأمراء إلى الخليفة، ودخل معز الدولة فتقدم اثنان وطلبا من المستكفي رزقهما، فمد لهما يده ليقبلاها، فجذباه إلى الأرض وسحباه ، فوقعت الصيحة، فنهبت دور الخلافة، وقبضوا على " علم " وخواص الخليفة وساقوا الخليفة ماشيا. وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر، وصار ثلاثة خلفاء مكحولين: هو والذي قبله، والقاهر. ثم أحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر، فبايعه، ولقبه المطيع لله، وقرر له معز الدولة كل يوم مائة دينار للنفقة، وانحطت رتبة الخلافة إلى هذه المنزلة.

قلت: ما صار للخليفة من الخزائن، وما يدخل من جميع الدنيا؟ إجراء هذه القدر للنفقه، مع شدة الغلاء. فإنهم في هذه السنة في شعبان منها، كانوا ببغداد يأكلون الميتات والآدميين، ومات الناس على الطرق، وبيع العقار بالرغيفين واشتروا للمطيع كر دقيق بعشرة آلاف درهم.

قلت: والكر على ما قيل ستة وآلاف رطل بغدادي، فعلى هذا يكون قيمة كل رطل درهمين إلا ثلث درهم **وهذا الغلاء وإن** كان شديدا فقد وقع بمكة ما هو أشد منه، بلغ من الرطل الدقيق نحو درهمين في سنة ست وسبعمائة. بلغ في الزمن القديم على ما أخبرني من أثق به من شيوخ المجاورين فوق أربعة دراهم، وقع ذلك في زمانه. وبلغ في تهامة اليمن نحو هذا المبلغ، قبيل التاريخ المذكور، وقبل التاريخ المذكور، إنشاء تاريخي هذا بسنة.

وفيها توفي الإخشيذ محمد بن طفج، ملك مصر والشام ودمشق والحجاز وغيرها، التركي الفرغانجي، صاحب سرير الذهب، وأصله من أولاد ملوك فرغانة ، ولاه المقتدر دمشق، فسار إليها،. ولم يزل بها إلى أن ولاه القاهر بالله مصر في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثمائة، ثم ضم إليه الراضي بالله الجزيرة والحرمين وغير ذلك من البلاد المذكورة، ثم ضم إليه المتقي لله والحجاز وغير ذلك، مع ما تقدم. والإخشيذ لقب لقبه به الراضي، وهو لقب ملوك فرغانة، وتفسيره " ملك الملوك "كما تقدم. وكل من ملك ملك للناحية لقبوه بهذا اللقب، كما لقبوا كل من ملك بلاد فارس "كسرى " ، وملك الترك " خاقان " ، وملك الروم " هرقل " ، وملك الشام " قيصر " ، وملك اليمن " تبع " ، وملك مصر " فرعون " ، وملك الحبشة " النجاشي " وغير ذلك.

وقيصر: كلمة فرنجية تفسيرها بالعربية: شق عنه. وسببه أن أمه ماتت عنه من المخاض، وشق بطنها، وأخرج، فسمي قيصر.

وكان يفتخر على غيره من الملوك بذلك، ودعي لإخشيذ على المنابر بهذا اللقب، واشتهر به، وصار كالعلم عليه. وكان. ملكا حازما كثير التيقظ في حروبه، ومصالح دولته، وحسن التدبير، مكرارا للجند، شديد القوى.." (١)

"وفي الثانية: جاء بعسكر عظيم، وبلغ " الجيزة " فوردت الأخبار بذلك إلى بغداد، فجهز المقتدر مؤنسا الخادم إلى محاربته بالرجال والأموال، فجد في السير، فلما وصل إلى مصر التقيا، وجرت بين العسكرين حروب لا توصف، ووقع في عسكر **القائم الوباء والغلاء** والأهوال، فمات الناس والخيل، فرجع إلى إفريقية ومعه عسكر مصر. وكان وصوله إلى " المهدية " في رجب سنة سبع وثلاثمائة، وفي أيامه خرج أبو يزيد مخلد بن كندار الخارجي، وجرت له أمور يطول شرحها ومات في المهدية.

وفيها توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير صاحب المعارف السنية والأحوال القوية: أبو بكر الشبلي دلف بن جحدر، اشتغل في أول أمره بالفقه، وبرع في مذهب مالك، ثم سلك وصحب الجنيد وغيره من مشايخ عصره، وكان نسيج وحده حالا وظرفا وعلما، وقيل: تاب في ابتداء أمره في مجلس خير النساج. ومجاهداته في أول أمره فوق الحد، ويقال أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح لعتاد السهر، وكان يبالغ في تعليم الشرع، وإذا دخل رمضان جد في الطاعات ويقول: هذا شهر عظمه ربي عز وجل، فأنا أولى بتعظيمه. ودخل يوما على شيخه الجنيد، فوقف بين يديه، وصفق بيديه وأنشد:

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٣٤١/١

عودوني الوصال والوصل عذب ... ورموني بالضد والضد أصعب

زعموا حين عاتبوا أن ذنبي ... قر طبعي لهم وما ذاك أذنب

ألا وحق الخضوع عند التلاقي ... ما جزاء من يحب إلا يجب

فقال الجنيد: نعم يا أبا بكر. وكانت امرأة الجنيد عنده حاضرة، فأرادت أن تشتري منه، فقال لها الجنيد: لا عليك، وهو غائب لا يراك. ثم بكى بعد إنشاده فقال الجنيد: اشتري منه الآن فقد حضر.

وقال بعضهم: دخلت على الشبلي يوما في داره، وهو يصيح ويقول: على بعدك لا يصبر من عادته القرب، ولا يقوى على هجرك من يتمه الحب، فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب.

وقال الشبلي: رأيت معتوها عند جامع الرصافة يقول: أنا مجنون، أنا مجنون، فقلت له: لم لا تصلي. فأنشأ يقول:

يقولون زرنا واقض واجب حقنا ... وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي فلم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

وقال بعضهم: دخلت على الشبلي، فرأيته ينتف شعر حاجبه بالملقاط، فقلت له: سيدي ، إنك تفعل هذا، وألمه يعود إلي، فقال: ظهرت لي الحقيقة فلم أستطع حملها، فإذا دخل على نفسي الألم لكي يستتر عني، فلا وجدت الألم، ولا هي استترت عني، ولا أنا أطيق حملها. وكان أبوه من حجاب الدولة، وله مقالات وحكايات وعجيبات، ذكرت شيئا منها في غير هذا الكتاب.

وقد سأله بعض الفقهاء عن مسألة في الحيض امتحانا فأجابه، وذكر فيها ثمانية عشر قولا للعلماء، وكان قد أراد تخجيله وإظهار جهله في مجلسه بين الخلق، لكون خلقتهم بطلت باجتماع الناس على الشبلي، ولم يكن عند ذلك الفقيه من الأقوال المذكورة سوى ثلاثة.

خمس وثلاثين وثلاث مائة

فيها تملك سيف الدولة دمشق بعد موت الإخشيذ، فحاربه به جيوش مصر، فدفعته إلى " الرقة " بعد حروب وأمور واصطلح معز الدولة بن بويه، وناصر الدولة بن حمدان.

وفيها توفي الفقيه الإمام أبو العباس ابن القاص الطبري الشافعي، وله مصنفات مشهورة، تفقه على الإمام أبي العباس بن سريج.

وفيها توفي العلامة الأخباري الأديب، صاحب التصانيف محمد بن يحيى البغدادي الصولي الشطرنجي، قال ابن خلكان: كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير، روى عن أبي داود السجستاني، وأبي العباس ثعلب

والمبرد وغيرهم.

وروى عنه الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني، والإمام أبو عبد الله المرزباني وغيرهما ونادم المكتفي ثم المقتدر ثم الراضي، وكان أغلب فنونه أخبار الناس، وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة، وكان حسن الإعتقاد، جميل الطريقة، مقبول القول، وكان أوحد وقته في لعب الشطرنج، لم يكن في عصره مثله في معرفته، والناس الأن يضربون به المثل، فيقولون لمن يبالغون في حسن لعبه: فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي.." (١)

"وفيها توفي أبو مسلم ابن مهران الحافظ العابد العارف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مهران البغدادي. رحل إلى البلدان، منها خراسان والشام والجزائر وبخارى وصنف المسند، ثم تزهد وانقبض عن الناس، وجاور بمكة. وكان يجتهد أن لا يظهر للمحدثين، ولا لغيرهم. قال ابن أبي الفوارس: صنف أشياء كثيرة، وكان ثقة زاهدا ما رأينا مثله.

وفيها توفي الإمام الشهير الفقيه الكبير أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي الشافعي نزيل نيسابور ثم بغداد. انتهى إليه معرفة المذهب، قال أبو حامد الأسفراييني: ما رأيت أفقه منه، وقال غيره: كان صاحب وجه في المذهب، تفقه على أبي إسحاق المروزي، وحدث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي. ودارك من قرى أصفهان.

وفيها توفي الأبهري القاضي، أبو بكر التميمي، صاحب التصانيف، وشيخ المالكية العراقيين. سئل أن يلي قضاء القضاة، فامتنع رحمه الله تعالى.

ست وسبعين وثلاثمائة

فيها وقع قتال بين الديلم وكانوا تسعة عشر ألفا وبين الترك، وكانوا ثلاثة آلاف، فانهزمت الديلم، وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، وكانوا مع صمصام الدولة، وكانت الترك مع أخيه، شرف الدولة، فخفوا به وقدموا به بغداد، فأتاه الخليفة الطائع طائعا يهنئه، ثم خفي خبر صمصام الدولة فلم يعرف.

وفيها توفي الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي البلخي. سمع الكثير، وخرج لنفسه معجما، وحدث بصحيح البخاري عن الفربري.

وفيها توفي الواعظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الصوفي الرازي.

سبع وسبعين وثلاثمائة

فيها رفع شرف الدولة عن العراق مظالم كثيرة، فمن ذلك أنه رد على الشريف أبي الحسين محمد بن عمر

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٣٤٣/١

جميع أملاكه، وكان مبلغها في العام ألفي ألف وخمسمائة درهم، **وكان الغلاء ببغداد** دون الوصف.

وفيها توفي الإمام النحوي أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، اشتغل ببغداد، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان. وكان إمام وقته في علم النحو، وجرت بينه وبين المتنبي مجالس، ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة، وتقدم عنده، وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي في النحو. وصنف له "كتاب الإيضاح والتكملة " في النحو، وله تصانيف أخرى تزيد على عشرة.

ويحكى أنه كان يوما في ميدان شيراز، يساير عضد الدولة، فقال له: أنصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ: بفعل مقدر. فقال له: كيف تقديره. فقاد: أستثني زيدا، فقال عضد الدولة: هلا رفعته، وقررت الفعل، امتنع زيد. فانقطع الشيخ وقال: الجواب ميداني، ثم إنه لما رجع إلى منزله، وضع في ذلك كلاما، وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه بالفعل المتقدم تقويه إلا.

وحكى أبو القاسم بن أحمد الأندلسي قال: جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر فقال: إني لا أغبطكم على قول الشعر، فإن خاطري لا يوافقني على قوله، مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده، فقال له رجل: فما قلت قط شيئا منه؟ فقال: ما أعلم أن لي شعرا إلا ثلاثة أبيات، وذكرها في السبب، ولم أذكرها أنا في هذا الكتاب، لأنه أبدى فيه عيبا وذما، وهو: " في الشرع نور ووقار " ، كما ورد به في حديث النبي صلى الله عليه واله وسلم في قصة إبراهيم عليهما أفضل الصلاة والتسليم.

وذكر بعض المؤرخين أنه ذكر له إنسان في المنام أن لأبي علي مع فضائله شعرا حسنا. وأنشده في المنام منها هذا البيت:

الناس في الخير لا يرضون عن أحد ... فكيف ظنك يسمو الشر أو ساموا

وقيل: إن السبب في استشهاده في باب "كان " من كتاب الإيضاح ببيت أبي تمام:

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

لأن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرا، وعدوا له من المصنفات عدة كتب، وفضله أشهر من أن يذكر، وكانت وفاته ببغداد، وقبره في الشونيزية.

وفيها توفيت أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، حفظت القرآن والفقه والنحو والفرائض، وغيرها من العلوم، وبرعت في مذهب الإمام الشافعي، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة.

وفيها توفي ابن لؤلؤ الوراق أبو الحسن علي بن محمد الثقفي البغدادي الشيعي، وكان ثقة يحدث بالآخرة.." (١)

"السلام، وقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة، فقال السلطان: إن لم يكن هذه صلاة أبي حنيفة قتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين، فأنكرت الحنفية أن يكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة، فأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه انتهى كلام إمام الحرمين.لام، وقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة، فقال السلطان: إن لم يكن هذه صلاة أبي حنيفة قتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين، فأنكرت الحنفية أن يكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة، فأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين جميعا، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة رضي الـلـه عنه، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه انتهى كلام إمام الحرمين.

سنة احدى عشرة وأربع مائة

فيها **كان الغلاء المفرط** بالعراق، حتى أكلوا الكلاب.وفيها توفي الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بن نزار بن المعز العبيدي صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب، فقد في شوال وله ست وثلاثون سنة. جهزت أخته ست الملك عليه من قتله، وكان شيطانا مهيبا خبيث النفس متلون الاعتقاد، سمحا جوادا سفاكا للدماء، قتل عددا كثيرا من كبراء دولته صبرا، وأمر بشتم الصحابة، وكتبه على أبواب المساجد، وأمر بقتل الكلاب حتى لم يبق بمملكته منها إلا القليل، وأبطل الفقاع والملوخية والسمك الذي لا فلوس له، وأتى لمن باع ذلك سرا فقتلهم ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئا عظيما فأحرقه،وأباد أكثر الكروم، وشدد في الخمر، وألزم أهل الذمة حمل الصلبان في أعناقهم، وأمرهم بلبس العمائم السود،وهدم الكنائس، ونهى عن تقبيل يد من له ديانة، وأمر بالسلام فقط، وبعث إليه عامله على المغرب ينكر عليه، فأخذ في استمالته، وحمل في كمه الدفاتر ولزم التفقه، وأمر الفقهاء ببث مذهب المالك، واتخذ له مالكيين يفقهانه، ثم ذبحهما صبرا، ونفى المنجمين من بلاده،و حرم على النساء الخروج، فما زلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى قتل، وتزهد، وتأله، ولبس الصوف، وبقي يركب الحمار ويمر وحده في الأسواق، ويقيم

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٣٧٨/١

الحسبة بنفسه. ويقال إنه أراد أن يدعي الإلهية كفرعون، وشرع في ذلك، وخوفه خواصه عن زوال دولته، فانتهى.وكان المسلمون وأهل الذمة في كرب وبلاء شديد معه، حتى إنه أوحش أخته بمراسلات قبيحة، وأتها تزني، وطلبت ابن دواس القائد وكان خائفا من الحاكم فاتفقت معه على قتل الحاكم وسيرته طويلة عجيبة وأقامت أخته بعده ولده الطاهر علي بن منصور، وقتلت ابن دواس وسائر من اطلع على سرها، وأعدمت جيفة الحاكم، ولم يجدوا إلا جبة الصوف، وقد صبغت بالدماء، وقطعت بالسكاكين.

سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

فيها توفي الشيخ الكبير العارف بالله الشهير الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن موسى النيسابوري السلمي الصوفي. صحب جده أبا عمرو بن نجيد، وسمع الأصم وطبقته، وصنف التفسير والتاريخ وغير ذلك، وبلغت مصنفاته مائة. وقال الخطيب: قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك مجلودا صاحب حديث. توفي في شعبان رحمه الله تعالى.وفيها توفي أبو عبدالله بن جعفر التميمي النحوي، المعروف بالقزاز القيرواني. كان الغالب عليه النحو واللغة، وله عدة تآلي، وكان العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر قد تقدم إليه أن يؤلف كتابا، يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاملي. قال ابن الخزاز: وما علمت أن نحويا ألف شيئا من النحو على حروف المعجم سواه. وقال ابن رشيق: وكان مهيبا عند الملوك والعلماء وخاصة الناس، محبوبا عند العامة، قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا، وله شعر مطبوع منصوع،من ذلك قوله:

أما ومحل حبك في فؤادي ... وقدر مكانه فيه المكين

لو انبسطت لي الآمال حتى ... يصير من عنانك في يميني

لصنتك في مكان سواد عيني ... وحطت عليك من حذر جفوني

فأبلغ منك غايات الأماني ... وآمن فيك آفات الظنون." (١)

"فيها قتل ألب أرسلا، وتسلطن ابنه ملكشاه، وفيها افترق الجيش، واقتلوا فقتل نحو الأربعين ألفا، ثم التقوا مرة ثانية، وكثر القتل في العبيد، وانتصر الأتراك، وضعف المستنصر، وأنفق خزائنه في رضائهم، وغلب العبيد على السعيد، ثم جرت لهم وقعات، **وعاد الغلاء المفرط** والوباء، ونهب الجند دور العامة.قال ابن الأثير: اشتد البلاء والوباء حتى إن أهل البيت كانوا يمولون في ليلة، وحتى حكي أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار، باعت عروضا لها قيمة ألف دينار، واشترت بها حملة قمح، وحمله الحمال على ظهره، فنهبت

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٤٠٩/١

الحملة، فنهبت المرأة مع الناس، فحصل لها رغيف واحد.وفيها توفي السلطان الكبير عضد الدولة أبو شجاع: ألب أرسلان ابن الملك داود بن ميكائيل بن سلجوق بفتح السين المهملة وضم الجيم بين الواو واللام، أول من قيل له السلطان على منابر بغداد. وكان فى آخر دولته من أعدل الناس، وأحسنهم سيرة، وأرغبهم في الجهاد وفي نصر الإسلام، ثم عبر نهر جيحون ومعه نحو مائتي ألف فارس، وقيل إنه لم يعبر الفرات في قديم الزمان ولا في حديثه في الإسلام ملك تركي قبل ألب أرسلان، فإنه أول من عبرها من ملوك الترك، فأتى بمتولي قلعة يقال له يوسف الخو ارزمي، فأمر أن يشد بأربعة أوتاد، فقال: يا مخنث، مثلي يقتل هكذا؟ فغضب السلطان، فأخذ القوس والنشاب فقال: خلوه، فرماه، فأخطأه وكان قل أن يخطىء فشد يوسف عليه، فنزل السلطان، فأخذ القوس والنشاب فقال: خلوه عن السرير، فعثر، فبرك عليه يوسف، وضربه بسكين معه في خاصرته، فشد مملوك على يوسف فقتله، ثم مات السلطان من ذلك، وكان أهل سمرقند قد خافوه، وابتهلوا إلى الله تعالى وفروا إليه ليكفيهم أمر ألب أرسلان، فكفاهم.وفيها توفي أبو الغنائم عبد الصمد بن علي الماسع، سمع جده أبا الفضل ابن المأمون الدار قطني وجماعة. قال أبو سعيد السمعاني: كان ثقة نبيلا مهيبا تعلوه سكينة ووقار، رحمه الله.وفيها توفي الأستاذ الكبير العارف بالله الشهير السيد الجليل الإمام، جامع الفضائل والمحاسن زين الإسلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الصوفي شيخ خراسان، وأستاذ الجماعة، ومصنف الرسالة. قال أبو سعيد السمعاني: لم ير أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته، كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والشعر والأدب والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية اسنوا، من العرب الذين قدموا خراسان. توفي أبوه وهو صغير، فتعلم الأدب، وحضر مجلس الأستاذ ابي علي الدقاق وكان إمام وقته فلما سمع كلامه أعجبه، ووقع في قلبه، فسلك طريق الإرادة، فقبله الدقاق، وأقبل عليه، وتفرس فيه النجابة، فجذبه بهمته، وأشار عليه بالاشتغال بالعلم، فخرج إلى درس محمد بن أبي بكر الطوسي، وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه، ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر بن فورك، فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول، ثم تردد إلى الأستاذ أبي إسحاق الاسفرائيني، وقعد ليسمع درسه أياما، فقال الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع، ولا بد من الضبط بالكتابة، فأعاد عليه جميع ما سمع منه في تلك الأيام، فعجب منه، وعرف محله، فأكرمه وقال له: ما تحتاج إلى درس، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي. فقعد، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك، ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وهو مع ذلك يحضر مجلس الأستاذ ابي علي الدقاق، وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها، وبعد وفاة أبي علي سلك مسلك المجاهدة والتجريد، وأخذ في

التصنيف، فصنف التفسير الكبير، وسقاه التيسير في علم التفسير وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الإمام أبو محمد الجويني وإمام الحرمين والإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، وجماعة من المشاهير وسمع منهم الحديث في بغداد والحجاز، وكان له في الفروسية واستعمال السلاح الباع الطويل،والبراعة البالغة. وأما مجلس الوعظ والتذكير فهو إمامها المنفرد بها، عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث.وذكره صاحب: كتاب دمية القصر، وبالغ في الثناء عليه حتى قال في مبالغته: لو قرع الصخر بسوط تخويفه لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لناب.وذكره الخطيب في تاريخه وقال: كان حسن الموعظة، مليح الإشارة، يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي.وذكره الشيخ." (١)

"فيها أخذ المستنصر الديار المصرية والإسكندرية ودمياط وبلاد الصعيد. وكان قد استضع، وأخذ منه جميع ذلك في سنة خمس، فعاد إليه جميع ما أخذ منه، ثم أخذ يعمر البلاد وأطلق الفلاحين من الكلف، ثم بعث الهدايا إلى صاحب مكة، فأعاد خطبة المستنصر بعد أن كان قد خطب للقائم بأمر الله أعواما.وفيها عمل السلطان ملك شاه الرصد، وأنفق عليه أموالا عظيمة.

وفيها توفي محدث الأندلس أبو عمرو بن الحذاء أحمد بن محمد القرطبي.والقائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله. ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وأشهر، وكان ورعا دينا كثير الصدقة، وله علم وفضل، من خير الخلائق، لا سيما بعد عوده إلى الخلافة، وبويع حفيده المقتدي بأمر الله عبدالله بن محمد القائم.وفيها توفي جمال الإسلام أبو الحسن الداوودي عبد الرحمن بن محمد بن مظفر البوشنجي، شيخ خراسان علما وفضلا وجلالة وسندا. تفقه على القفال المروزي و أبي الطيب الصعلوكي وأبي حامد الاسفرائيني، وروى الكثير عن أبي محمد بن حمويه.وفيها توفي أبو الحسن الباخرزي بالموحدة والخاء المعجمة بعد الألف وبعده راء ثم زاي الرئيس الأديب علي بن الحسن، مؤلف كتاب دمية القصر. وكان رأسا في الكتابة والإنشاء والشعر، وأوحد عصره في فصله وذهنه، سابقا إلى حيازة قصبات السبق في نظمه ونثره، وكان في شبابه مشتغلا بالفقه على مذهب الإمام الشافعي، ملازما درس أبي محمد الجوني، ثم شرع في فن الكتابة، وارتفعت به الأحوال، وانخفضت، ورأى من الدهر العجائب،وغلب أدبه على فقهه، وعمل الشعر والحديث، وصنف كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر وهو ذيل يتيمة الدهر التي للثعالبي، جمع فيها خلقا كثيرا، وله ديوان شعر في مجلد كبير. ومن نظمه:

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٤٣٨

يا فالق الصبح من لا غرته ... وجاعل الليل في أصداغه سكنا
بصورة الوثن استعبدتني وبها ... قيدتني وقديما هيجت لي شجنا
لا عز إن أحرقت نار الهوى كبدي ... فالنار حق على من يعبد الوثنا

والأمير عز الدولة محمود بن نصر بن صالح الكلابي صاحب حلب، ملكها عشرة أعوام، وكان شيخا فارسا جوادا ممدوحا، يداري المصريين والعباسيين، أوسط داره بينهما، ولي بعده ابنه نصر، فقتله بعض الأتراك بعد سنة.

سنة ثمان وستين واربع مائة

فيها حوصرت دمشق، واشتد بها الغلاء، وعدمت الأقوات، ثم تسلم البلد بالأمان، وأقيمت الخطبة العباسية، وأبطل شعار الشيعة من الأذان وغيره.وفيها توفي مقرىء واسط الحسن بن قاسم الواسطي، كان أحد من اجتهد في القراءات، ورحل فيها إلى البلاد، وصنف فيها.وفيها توفي أبو الفتح عبد الجبار بن عبدالله الرازي الواعظ الجوهري.والإمام المفسر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أستاذ عصره في النحو والتفسير، تلميذ أبي إسحاق الثعلبي، وأحد من برع في العلم، وصنف التفاسير الشهيرة المجمع على حسنها، والمشتغل بتدريسها، والمرزوق السعادة فيها، وهي البسيط و الوسيط و الوجيز، ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، وله كتب أخرى، بعضها فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى وكتاب أسباب النزول و شرح كتاب المتنبي شرحا مستوفي. قيل: وليس في شروحه – مع كثرتها – مثله، وذكر فيه أشياء غريبة، منها أنه تكلم في شرح هذا البيت:

وإذا المكارم والصوارم والقنا ... وبنات أعوج كل شيء يجمع

ثم قال: أعوج: فحل كريم كان لبني هلال بن عامر، وإنه قيل لصاحبه: ما رأيت من." (١)

"في أولها عزم المقتدي بأمر الله على تقليد السلطان بركيا روق بالموحدة والمثناة من تحت بين الكاف والألف فالتقاه، وخطب له ببغداد، ولقب ركن الدولة، ومات الخليفة من الغد فجأة، وحاصر تتش حلب، فافتتحها، ثم سار فأخذ الجزيرة وأذربيجان، وكثرت جيوشه، واستفحل شأنه.وفيها توفي مسند نيسابور أبو بكر بن خلف الشيرازي أحمد بن علي. روى عن الحاكم وعبدالله بن يوسف وطائفة. قال الشيخ عبد الغافر: هو شيخنا الأديب المحدث المتقن الصحيح السماع، ما رأينا شيخا أورع منه ولا أشد إتقانا.نيف على التسعين.وفيها توفي قسيم الدولة لما افتتح ملك شاه حلب استنابه عليها، فأحسن السياسة،

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٤٤٠

وضبط الأمور، وتتنع المفسدين حتى صار دخله كل يوم من البلد ألفا وخمسمائة دينار، وكانت وفاته بالقتل بعد أسره في المصاف.

وفيها توفي أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي، الأديب صاحب النظم والنثر والكتاب المعروف في الألغاز.وفيها توفي المقتدي بالله أبو القاسم عبدالله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله العباسي. بويع بالخلافة بعد جده في شعبان سنة سبع وستين وأربع مائة، وعمره تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر، ومات فجأة في المحرم عن تسع وثلاثين سنة، وقيل: سمته جارية. وكان دينا خيرا، أمر بنفي الخواطي والمغنيات من بغداد، وكانت الخلافة في أيامه زاهرة، وحرمتها وافرة. وبويع بعده للمستظهر بالله أحمد.وفي السنة المذكورة توفي الحافظ الكبير الأمير أبو نصر علي بن هبة الله العجلي البغدادي المعروف بابن ماكول، النسابة صاحب التصانيف النافعة، لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه. قال الحميدي: ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأجابني عن الكتاب، وقال حتى اكشفه، وما راجعت ابن ماكولا إلا وأجابني حافظا كأنه يقرأ من كتاب. وقال أبو سعد السمعاني: وكان لبيبا عارفا ونحويا مجودا وشاعرا مبرزا. سمع الحديث الكثير، وأخذ عن مشايخ العراق وخراسان والشام وغير ذلك، وكان أحد الفضلاء المشهورين، تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام، وجمع شيئا كثيرا.

وكان الخطيب البغدادي قد جمع بين كتاب المؤتلف والمختلف الذي للدارقطني،والذي لعبد الغني الموسوم بمشتبه النسبة وزاد عليهما، وجعله كتابا مستقلا سماه المؤتلف تكملة المختلف. وجاء ابن ماكولا فزاد على هذا المؤتلف، وضم إليه الأسماء التي وقعت له، وجعله كتابا سماه الإكمال، أجاد فيه وأفاد، حتى صار اعتماد المحدثين عليه، أحسن فيه إحسانا بالغا، وحلاه حسنا فائقا، ولم يصنع مثله في بابه، ثم جاء ابن نقطة وذيله، وما أقصر فيه. وفي كتاب الأمير ابن ماكولا دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وإتقانه. ومن الشعر المنسوب إليه قوله:

قرض خيامك عن أرض تهان بها ... وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل إذا كان في الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه الحطب

قال الحميدي خرج إلى خراسان ومعه غلمان له ترك، فقتلوه بجرجان، فأخذوا ماله، وهربوا، وهو من ذرية الأمير أبي دلف العجلي.وفي السنة المذكورة توفي أبو عامر الأزدي القاضي محمود الهروي، الفقيه الشافعي،كان عديم النظير زهدا وصلاحا وعفة.وفيها توفي المستنصر بالله أبو تميم معد ابن الظاهرعلي بن الحاكم العبيدي صاحب مصر. لما عظم أمره وكبر شأنه خطب له ببغداد أرسلان البساسيري، وقطع خطبة

الإمام القائم. وقد جرى في أيامه أشياء لم يجر شيء منها في أيام آبائه، منها قطع الخطبة المذكورة، ومنها ملك ابن الصليحي بلاد اليمن، ودعاؤه له على منابرها، ومنها أن المستنصر المذكور أقام في الأمر ستين سنة، وهذا شيء لم يبلغه أحد من العبيديين، ولا من بني العباس. ومنها أنه ولي وهو ابن سبع سنين، وفي سنة تسع قطع اسمه واسم آبائه من الحرمين.ومنها أنه حدث في **أيامه الغلاء العظيم** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام، وأقام سبع سنين، وأكل الناس بعضهم بعضا، حتى قيل إنه بلغ رغيف واحد بجمسين دينارا، وكان في هذه المدة يركب وحده، وكل من معه من الخواص مترجلون، ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يركب بغلة عارية، وآخر الأمر توجهت أمه وبناته إلى بغداد من فرط الجوع في سنة اثنتين وستين وأربع مائة.

سنة ثمان وثمانين واربع مائة." (١)

"وفيها **كان الغلاء المفيط** – وفيما قبلها بإفريقية – حتى أكلوا لحوم الآدميين.وفيها توفي أبو الحسن بن الآبنوسي أحمد بن عبدالله البغدادي الشافعي الوكيل.سمع وتفقه وبرع، وقرأ الكلام والاعتزال، ثم لطف الله تعالى به وتحول سنيا.وفيها توفي أبو جعفر أحمد بن عبد إلىحمن الأندلسي البطروجي أحد الأئمة.روى عن أبي علي الغساني وغيره. كان إماما حافظا بصيرا بالحديث ومعرفة رجآله وعلله، ومعرفة مذهب مالك ودقائقه. وله مصنفات مشهورة.وفيها توفي أبو القاسم علي ابن الإمام العلامة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ.وفيها توفي أبو الفتح نصر الله بن محمد المصيصي ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي الأصولي الأشعري. سمع من أبي بكر الخطيب، وتفقه على الإمام أبي نصر المقدسي، ودرس بالغزالية، وأفتى واشتغل، وصار شيخ دمشق في وقته.وفيها توفي الشريف أبو السعادات المعروف بابن الشجري: هبة الله بن علي العلوي الحسيني البغدادي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف، كان متضلما من علم الآداب وأشعار العرب وأيامها وأحوآلها، كامل الفضائل. له عدة تصانيف، منها: كتاب الأماني، أو قال:الأمالي وهو أكبر تآليفه وأكثرها فائدة، أملاه في أربعة وثمانين مجلما،مشتملا على خمسة فنون من علم الأدب.ولما فيغ من إملأنه حضر عنده أبو محمد المعروف بابن الخشاب، والتمس سماعه عليه، فلم يجبه إلى ذلك، فعاداه، ورد عليه في مواضع من الكتاب، ونسبه فيه إلى الخطأ. فوقف أبو السعادات المذكور على إلىد، فيد عليه في رده، وبين وجوه غلطه، وجمعه كتابا سماه: الانتصار، وهو على صغر حجمه مفيد جدا، وسمعه عليه الناس. وجمع أيضا كتابا سماه: الحماسة، تضاهي به الحماسة لأبي تمام ألفائي، وهو كتاب مليح غريب، أحسن

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٤٦٤

فيه. وله في النحو عدة تصانيف، وكان حسن الكلام حلو الألفاظ، فصيحا جيد البيان والتفهيم، وقرأ الحديث على جماعة من الشيوخ المتأخرين.وذكره الحافظ أبو سعد بن السمعاني في كتاب الذيل، وقال: اجتمعت معه في دار الوزير أبي القاسم بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث، وعلقت عنه شيئا من الشعر في المدرسة، ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءا من أمالي أبي العباس الثعلب.وحكى أبو البركات عبد إلىحمن بن الأنباري في كتابه مناقب الأدباء: إن العلامة أبا القاسم محمود الزمخشري، لما قدم بغداد قاصدا للحج، مضى إلى زيارته شيخنا - أبو السعادات بن الشجري، ومضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي:

واستأثر الأخبار قبل لمانه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أنشد بعد دلك:

كانت مساءلة إلىكبان تخبرني ... عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعتأذني بأحسن مما قد رأى بصري

فقال العلامة الزمخشري: روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه لما قدم إليه زيد الخيل قال له: " يا زيد، ما وصف لي أحد في ألفاهلية ولا في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي غيرك " . قال ابن الأنباري: فخرجنا من عنده، ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر، والزمخشري بالحديث، وهو رجل أعجمي، هذا معنى كلام ابن الأنباري، وكان أبو السعادات المذكور نقيب ألفالبين بالكرخ نيابة عن ولده، وله شعر حسن، من ذلك قوله:

هذه السديرة والغدير ألفافح ... فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح

يا سدرة الوادي الذي إن ضله ... ألفاري هداه نشرها المتفاوح

هل عايد قبل الممات لمغرم ... عيش تقضى في ظلالك صالح

شط المنار به ونوئي منزلا ... بصميم قلبك فهو دان نازح

غصن تعطفه النسيم وفوقه ... قمريحف به ظلام طايح

ولقد مررنا بالعقيق فشاقنا ... فيه مراتع للمها ومسارح

ظللنا به نبكي، فكم من مضمر ... وجدا أذاع هواه دمع سافح

قلت ضله ألفاري رأيته الصواب، وفي الأصل المنقول منه: الوادي، ثم وجدته في نسخه أخرى كما ذكرت

من الصواب. وهذه أبيات من قصيدة له في مدح الوزير المظفر بن علي الملقب بنظام الدين.

سنة ثلاث واربعين وخمس مائة." (١)

"فيها تسلطن علاء الدين خوارزم شاه محمد بعد موت أبيه.وفيها كانت محاصرة دمشق. وبها العادل، وعليها الأفضل والظاهر ابنا صلاح الدين وعساكرهما نازلة، قد خندقوا عليهم من أرض اللوان إلى بلد آخر، فأمن من كبسة عسكر العادل، ثم ترحلوا عنها، ورجع الظاهر إلى حلب، وسار الأفضل إلى مصر، فساق وراءه العادل وأدركه عند العراب، ثم تقدم عليه وسبقه إلى مصر، فرجع الأفضل خائبا إلى صرخد – بالخاء المعجمة – وغلب العادل على مصر وقال: هذا صبي. وقطع خطبته، ثم أحضر ولده الكامل وسلطنه على الديار المصرية، فلم ينطق أحد من الأمراء. وسهل له ذلك اشتغال أهل مصر بالقحط، فإن فيها كسو النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلى ثلاثة أصابع، **واشتد الغلاء وعدمت** الأقوات، **وشرع الوباء وعظم** الخطب إلى أن آل بهم الأمر إلى أكل الآدميين الموتى.وفيها توفي العلامة أبو اسحاق العراقي ابراهيم بن منصورالمصري الخطيب، شيخ الشافعية بمصر. شرح كتاب المهذب في عشرة أجزاء شرحا جيدا. قلت: وهذا المذكور أول شراح المهذب، وهم خمسة فيما علمت، والثاني الإمام العلامة أبو عمر وعثمان بن عيسى الماراني الملقب ضياء الدين شرح الكتاب المذكور في قريب من عشرين مجلدا لكنه لم يكمله، بل بلغ فيه إلى كتاب الشهادات وسماة الاستقصاء لمذاهب العلماء والفقهاء.وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته في السنة التي توفي فيها سنة اثنين وستمائة بالقاهرة.و الثالث و الرابع السيدان الكبيران الوليان الشهيران الإمامان الجليلان أبو الذبيح اسماعيل ابن محمد الحضرمي اليمني، وأبو زكريا محيي الدين النووي، وهما متعاصران توفيا في سنةواحدة سنة ست وسبعين وستمائة. ولا أدري أيهما سبق بالشرح، فلهذا جمعتهما، وسيأتي ذكرهما في السنة المذكورة، وثني من فضائلهما بالتعديد. والخامس الإمام العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وكل هؤلاء المذكورين ما أكملوا شرحه سوى العراقي والحضرمي وشرح السبكي، إنما بناه على ما انتهى إليه النووي، وهو باب الربا، ولم يكمله أيضا ولقب أبو إسحاق المذكور بالعراقي لاشتغاله ببغداد.وفيها توفي علاء الدين خوارزم شاه سلطان الوقت. ملك من السند والهند وما وراء النهر إلى خراسان إلى بغداد. وكان جيشه مائة الف فارس وهو الذي أزال دولة سلجوق. وكان شجاعا فارسا عالي الهمة، تغير على الخليفة، وعزم على قصد العراق،فجاءه الموت فجأة في رمضان، وحمل إلى خوارزم، وقيل كان عنده أدب ومعرفة بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة – رضي الله تعالى عنه – وقام مدة بعد ولده قطب الدين محمد. وفيها

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/ ٢٥

توفي مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جميل الكيلاني الشافعي الفرضي مدرس مدرسة صلاح الدين في القدس، وهو أحد من قام على الحكيم الشهروردي وأفتى بقتله.وفيها توفي أبو علي المعروف بالقاضي الفاضل عبد الرحيم ابن القاضي الملقب بالأشرف أبي المجد علي ابن القاضي الملقب بالسعيد أبي محمد الحسن بن الحسن اللخمي العسقلاني المولد، المصري الدار، وزر للسلطان صلاح الدين، وتمكن منه غاية التمكن: وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار.قال ابن خلكان: أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد،وهو مجيد في أكثرها. قال العماد الأصبهاني في كتاب الخريدة في حقه: رب العلم والبيان واللسن واللسان، القريحة والوقادة والبصيرة النقادة والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة،تخترع الأفكار وتفترع الأبكار، وتطلع الأنوار وتبدع الازهار، وهو ضابط الملك بآرائه ورابط السلك بآلآئه، أن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة. أين قس في فصاحته؟!وأين قيس في مقام حصافته؟!وأين حاتم وعمرو في سماحته وحماسته؟! وأط ال القول فيما سمت به مدائحه. فالله تعالى يسامحنا ويسامحه. وذكر له رسالة لطيفة كتبها إلى صلاح الدين من جملتها: أدام الله السلطان الملك وثبته، وتقبل عمله بقبول صالح وأنبته، وأرغم أنف عدوه بسيفه وكتبه، خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب لما نابه المنزل عنها وقل عليه الموفق فيها. وسمع بهذه الفتوحات التي طبق الأرض ذكرها، ووجب على أهلها شكرها. هاجر من هجر عيذاب وملحا ساريا في ليلة أمل كلها نهار، فلا يسأل عن صحبها، وقد." (١)

"فيها طلب الملك الصالح أيوب الخوارزمية، وطلبهم من الجزيرة فعدوا الفرات، وندبهم لمحاصرة عمه إسماعيل بدمشق، واستنجد إسماعيل بالفرنج، وبصاحب حمص، فساقت الخوارزمية، واجتمعت بعسكر مصرفي غرة، وجاءتهم الخلع والنفقات والثياب، وبعث الناصر داؤد عسكره من الكرك نجدة لإسماعيل، ثم وقع المصاف بقرب عسقلان، فانتصر المصريون والخورزمية على الشاميين والفرنج، واستحر القتل في الفرنج، وأسرت ملوكهم، وخاف إسماعيل، وحصن دمشق واستعد.

وفيها توفي أبو البركات محمد بن الحسن الأنصاري الحموي، المعروف بالنفيس، سمع بمكة من عبد المنعم الغوراني.

وفيها توفي شيخ الشيوخ عبدالله، ويقال له: أيضا عبد السلام الجويني الصوفي، المعروف بتاج الدين ابن

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١٢٩/٢

حمويه، سمع من شهدة رضي الله عنها، والحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

وفيها توفي حاطب بن عبد الكريم الحارثي، عاش خمسا وتسعين سنة وروى عن الحافظ ابن عساكر المذكور.

سنة ثلاث وأربعين وست مائة

فيها وقيل: قبلها حاصرت الخوارزمية دمشق، وعليهم الصاحب معين الدين، واشتد الخطب، وأحرقت الحواصل، ورمى بالمجانيق من الفريقين، وبعث الدمشقيون بالصالح إسماعيل في ولايته، وضاقوا من القحط والخوف والوباء ما لا يعبر عنه، وأدام الحصار خمسة أشهر إلى أن أضعف إسماعيل وفارق دمشق، وتسفهما الصاحب معين الدين، فغضب الخوارزمية من الصالح ونهبوا داريا، وترحلوا أو أرسلوا الصالح إلى بعلبك، وصاروا معه، وردوا، فحاصروا دمشق، وتلك الأيام **كان الغلاء المفرط**، حتى بلغت الغرارة بدمشق بألف وست مائة درهم، وأكلت الجيف، وتفاقم الأمر مع الخمور،والفواحش.

وفيها توفي أبو البقاء موفق الدين بن يعيش بن علي الموصلي الأصل الحلبي المولد والمنشأ النحوي قرأ النحو على أبي السخاء الحلبي، وأبي العباس المغربي التبريزي وسمع الحديث على أبي الفضل عبدالله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل، وعلي بن السويد التكريتي، ويحلب على أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي، والقاضي أبي الحسين الطوسي وغيرهم، وكان فاضلا ماهرا في النحو والتصريف، واجتمع في دمشق بالشيخ تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي الإمام المشهور، وسأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن إعراب ما ذكره الحريري في المقامات العاشرة المعروفة بالرحبية، وهو قوله في آخرها: وحتى إذ لألأ الأفق ذنب السرحان وآن ابتلاج الفجر وحان فأستبهم جواب هذا المكان على الكندي: هل الأفق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان، أو الأفق مرفوع وذنب السرحان منصوب، أو على العكس؟ وقال له: قد علمت قصدك، وأنك أردت إعلامي بمكانك من هذا العلم، وكتب له بخطه بمدحه والثناء عليه، ووصف تقدمه في الفن الأ د بي.

قال ابن خلكان: وهف! المسألة يجوز الأمور الأربعة فيها، والمختار منها نصب الأفق ورفع ذنب السرحان، قلت: يعني ابن خلكان أن الأفق مفعول، وفعله لألأ، وفاعله ذنب وأما السرحان مخفوض بالإضافة إليه، والمراد بذنب السرحان الفجر الأول الكاذب، فإنه مشبه به في طوله في السماء بخلاف الفجر الصادق، فإنه مشبه بجناحي الطائر لانتشاره يمينا وشمالا، وهو الذي أشار إليه من الإعراب من كونه المختار، هو الذي ظهر لي وبادر إليه فهمي أول وقوفي على هذه المسألة قبل الوقوف على السؤال، وما يحتمله من

الأقوال. قال ابن خلكان: ولما دخلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف، كان الشيخ موفق الدين شيخ الجماعة، وذلك في سنة ست وعشرين وست مائة، وهي مشحونة بالعلماء والمشتغلين، ولم يكن فيهم مثل الشيخ موفق الدين المذكور، فشرعت عليه في قراءة اللمع لابن جني مع سماعي اقراءه الجماعة كانوا قد تنبهوا وتميزوا، وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدىء والمنتهي، وكان خفيف الروح لطيف الشمائل كثير المجون، مع سكينة ووقار. ولقد سأله يوما و أنا حاضر بعض الفقهاء عن قول ذي الرمة:

أيا ظبية الوعساء بين خلاخل ... وبين النقاء أنت أم أم سالم." (١)

"ومنها أنه أرسل إليه إنسان، وهو يقول: أنا كاتب أحسن الخط الظريف، والكشط اللطيف، أو كما قال، فقال في جوابه: ما ذكرته من حسن كشطك يدلى على كثرة غلطك.

ومنها أن جماعة من الديوان، وأهل الدولة أرادوا أن يجتمعوا في عدن على اللعب والشراب، وملأوا أزيارا كثيرة خمرا، فأراقها الشيخ الكبير الولي الشهير الوافر الفضل، والنصيب عبد الله بن أبي بكر الخطيب المدفون في موزع، شيخ شيوخنا. - قدس الله روحه - فغضب أمير عدن وغيره من أهل الدولة، ولم يقدروا على الانتقام من الشيخ المذكور، فكتبوا إلى الملك المظفر بذلك، فرد عليهم الجواب، وهو يقول فيه: هذا لا يفعله إلا أحد رجلين، إما صالح، وإما مجنون، وكلاهما ما لنا معه كلام.

وفيها توفي الشيخ الكبير الولي الشهير ذو البركات الشهيرة، والكرامات الكثيرة، والهمة العالية، والمحاسن الباهية أبو الرجال بن مري. توفي يوم عاشوراء منيفا على الثمانين، كان صاحب كشف وأحوال له موقع في النفوس وإجلال.

وفيها توفي الإمام مظفر الدين أحمد بن علي، المعروف بابن الساعاتي شيخ الحنفية.

كان ممن يضرب به المثل في الذكاء، والفصاحة، وحسن الخط، وله مصنفات في الفقه وأصوله، وفي الأدب مجادة مفيدة، وكان مدرسا لطائفة الحنفية بالمستنصرية في بغداد.

سنة خمس وتسعين وست مائة

استهلت وأهل الديار المصرية في قحط شديد، ووباء مفرط، حتى أكلوا الجيف، وأما الموت، فيقال: أنه أخرج في يوم واحد ألف وخمس مائة جنازة، وكانوا يحفرون الحفائر الكبار، ويدفنون فيها الجماعة الكثيرة، وبلغ الخبز كل رطل، وثلث بالمصرية بدرهم، وبلغ في دمشق كل عشرة أواق بدرهم في جمادى الآخرة،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١٧٩/٢

وارتفع فيه الوباء والقحط عن مصر ونزل الأردن إلى خمسة وثلاثين.

وفيها قدم الشام شيخ الشيوخ صدر الدين إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين بن حمم الجويني، فسمع الحديث، روى عن أصحاب المؤيد الطوسي، وأخبر أن ملك التتار غازان ابن أرغون أسلم على يده بواسطة نائبه بورروز بالراء بين الواوين، والزاي في آخره، كان يوما مشهورا.

وفيها توفيت بنت علي الواسطي أم محمد الزاهدة العابدة الصالحة، روت عن الشيخ الموفق، وقد قاربت التسعين.

وفيها توفي ابن رزين الإمام صدر الدين قاضي القضاة.

وفيها توفي ابن بنت الأعز قاضي الديار المصرية تقي الدين عبد الرحيم ابن قاض القضاة تاج الدين عبد الوهاب الشافعي، وولي بعده الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد.

سنة ست وتسعين وست مائة

فيها توجه الملك العادل إلى مصر، فلما بلغ بعض الطريق، وثب حسام الدين لاجين على اثنين من أمرائه كانا جناحيه، فقتلهما، فخاف العادل، وركب سرا، وهرب في أربعة مماليك، وساق إلى دمشق، فلم ينفعه ذلك، وزال ملكه، وخضع المصريون لحسام الدين ولم يختلف عليه اثنان، ولقب بالملك المنصور، وأخذ العادل، فأسكن بقلعة صرخد، وقنع بها غير مختار.

وفيه ا توفي محي الدين يحيى بن محمد بن عبد الصمد الزيداني مدرس مدرسة جدة.

سنة سبع وتسعين وست مائة

فيها توفي مسند العراق عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي المقرئ شيخ المستنصرية.

وفيها توفيت عائشة بنت المجد عيسى ابن الشيخ موفق الدين المقدسي، كانت مباركة صالحة عابدة، روت عن جدها، وابن راجح.

وفيها توفي الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر الفارسي الشافعي الأصولي المتكلم، توفي في رمضان في مرة، وهو من أبناء السبعين، درس مدة بالغزالية، ثم تركها.

سنة ثمان وتسعين وست مائة

فيها قتل الملك المنصور صاحب مصر والشام حسام الدين لاجين المنصوري السيفي هجم عليه سبعة أنفس، وهو يلعب بعد العشاء بالشطرنج ما عنده إلا قاضي القضاة حسام الدين الحنفي، والأمير عبد الله ويزيد البدوي، وإمامة ابن العسال، قال القاضي حسام الدين الحنفي: رفعت رأسي، فإذا سبعة أسياف تنزل

عليه، ثم قبضوا على نائبه، فذبحوه من الغد، ونودي للملك الناصر، وأحضروه من الكرك، فاستناب في المملكة سلار، ثم ركب بخلعة الخليفة وتقليده، وكانت سلطنة لاجين بسنتين، وكان فيه دين وعدل.

وفيها توفي صاحب حماة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك الممنصور آخر ملوك حماة.

وفيها توفي الملك الأوحد يوسف بن الناصر صاحب الكرك ابن المعظم توفي بالقدس، - وسمع وروى عنه الديماطي في معجمه.." (١)

"وفيها توفي ابن النحاس العلامة حجة العرب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي، شيخ العربية بالديار المصرية.

سنة تسع وتسعين وست مائة

في أوائلها قصد التتار للشام، فوصل السلطان الملك الناصر إلى دمشق، وانحفل الناس من كل وجه، وهجموا على وجوههم، وسار الجيش، وتضرع الخلق إلى الله تعالى، والتقى الجمعان بين حمص وسلمية، فاستظهر المسلمون، وقتل من التتار نحو عشرة آلاف وثبت ملكهم غازان، ثم حصل تخاذل، وولت الميمنة بعد العصر، وقاتلت الحاصكية أشد قتال إلى الغروب، وكان السلطان آخر من انصرف بحاشيته نحو بعلبك، وتفرق الجيش، وقد ذهبت أمتعتهم ونهبت أموالهم، ولكن قل من قتل منهم، وجاء الخبر إلى دمشق من غد، فحار الناس وأبلسوا وأخذوا يتسلون بإسلام التتار، ويرجون اللطف، فتجمع أكابر البلد، وساروا إلى خدمة غازان، فرأى لهم ذلك، وفرح بهم، وقال: نحن قد بعثنا - بالأمان قبل أن تأتون.

ثم انتشرت جيوش التتار بالشام طولا وعرضا، وذهب للناس من الأهل والمال والمواشي ما لا يحصى، وحمى الله دمشق من النهب والسبي والقتل، ولكن صودروا مصادرة عظيمة، ونهب ما حول القلعة لأجل حصارها، وثبت متوليها علم الدين ثباتا كليا لا مزيد عليه، حتى هابه التتار، ودام الحصار أياما عديدة، وأخذت الدواب جميعها، واشتد العذاب، في المصادرة **مع الغلاء والجوع** وأنواع الهم والفزع، لكنهم بالنسبة إلى ما جرى بجبل الصالحية من السبي والقتل أحسن حالا، فقيل: إن الذي وصل إلى ديوان غازان من البلد ثلاثة آلاف ألف وست مائة سوى ما أخذ في الرسيم والبرطيل ولبس المسوح، وكان إذا ألزم التاجر بألف درهم ألزمه عليها فوق المائين ترسيما يأخذه التتار، ثم أعان الله، فرحل غازان في ثاني عشر جمادى الأولى، وكان قدومه ومحاربته في أواخر ربيع الأول، ثم ترحل بقية التتار بعد ترحله بعشرة أيام، ودخلت جيوش المسلمين القاهرة في غاية الضعف، ففتحت بيوت المال، وأنفق عليهم نفقة لم يسمع بمثلها، ومدة انقطاع

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/٢٢٩

خطبة الناصر من خوف التتار مائة يوم.

وفيها توفي من شيوخ الحديث بدمشق والجبل أكثر من مائة نفس، وقتل بالجبل، ومات بردا وجوعا نحو أربع مائة نفس، وأسر نحو أربعة آلاف منهم سبعون من قرية الشيخ أبي عمرو.

وفيها توفي الإمام المحدث الحافظ أحمد بن فرج الإشبيلي، تفقه على الإمام عز الدين بن عبد السلام، وحدث عن ابن عبد الدائم وطبقته، وكان ذا ورع وعبادة وصدق له حلقة اشتغال لجامع دمشق.

وفيها توفي العلامة نجم الدين أحمد بن مكي، كان أحد أذكياء الرجال وفضلائهم في الفقه، والأصول، والطب، والفلسفة، والعربية، والمناظرة.

وفيها توفيت خديجة بنت يوسف، وخديجة بنت المفتي محمد بن محمود أم محمد، روت عن ابن الزبيدي، وتكنى أمة العز روت عن طائفة، وقرأت غير مقدمة في النحو، وجودت الخط على جماعة، وحجت وتوفيت في رجب، وكانت عالمة فاضلة - رحمها الله تعالى - .

وفيها توفيت صفية بنت عبد الرحمن بن عمرو الفرا المنادي، روت في الخامسة عن الشيخ الموفق، وعدمت بالجبل.

وفيها توفي ابن الزكي قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة محيي الدين بن محمد القرشي درس في العزيزية، وقد ولي نظر الجامع وغير ذلك، ومات كهلا. وفيها توفي إمام الدين قاضي القضاة أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعي كان مجموع الفضائل، تام الشكل توفي بالقاهرة.

وفيها توفي ابن غانم الإمام شمس الدين محمد بن سليمان المقدسي الشافعي المواقع، سبط الشيخ غانم، وفيها حمل الأمير سيف الدين نائب السلطنة بطرابلس مرات، وقتل جماعة، ثم قتل، وكان ذا دين وخبرة وشجاعة.

وفيها توفيت هدية بنت عبد الحميد المقدسية الصالحية، روت الصحيح عن ابن الزبيدي، وتوفيت بالجبل.

وفيها توفي أبو محمد المرجاني الشيخ الكبير، الولي الشهير، القدوة العارف معدن الأسرار؛ والمعارف والمواهب واللطائف، علم الوعاظ، المعلم المنطق بالمعارف والحكم عبد الله بن محمد المرجاني المغربي أحد المشائخ الإسلام، وأكابر الصوفية السادات الكرام. توفي بتونس كان مفتوحا عليه في العلوم الربانية والأسرار الإلهية.." (١)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/ ٢٣٠

"وفيها ماتت بالقدس المعمرة الراحلة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن سكر المقدسي في ذي الحجة عن أربع وتسعين سنة، وسمعت من غير واحد، وتفردت بالأجزاء الثقفيات.

سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة

فيها توفي الفقيه الإمام المدرس المفيد الشافعي، كان من أعيان الأئمة الشافعية، وخيار الفقهاء وكبارهم، درس وأعاد في مدارس، وانتفع به خلق كثير، وصنف في الفقه روايد التعجيز على التنبيه، وثاب في الحكم عن قاضي القضاة الزرعي، ثم عن قاضي القضاة بدر الدين، وتولى وكالة بيت المال، ولم يزل على ذلك إلى أن ليلة الجمعة رابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى.

وفيها أمسك الكريم السلماني وكيل السلطان الملك الناصر، وزالت سعادته التي كانت يضرب به المثل.

وفيها مات بدمشق في ربيع الأول قاضي دمشق، ذو الفضائل ورئيسها الكامل نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن صصري، الثعلبي، الشافعي، سمع من جماعة، وأفتى ودرس، وله النظم والترسل والخط المنسوب، والمروس الطويلة، والفصاحة وحسن العبارة، والمكارم مع دين، وحسن سريرة ولي القضاء إحدى وعشرين سنة.

وفيها مات مسند الشام بهاء الدين القاسم ابن المظفر ابن تاج الأمناء ابن عساكر.

وفيها مات بالمزة ليلة عرفة، مسند الوقت شمس الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله ابن الشيرازي، الدمشقي، سمع من جماعه، وله مشيخة وعوال، وكان ساكنا وقورا منقبضا عن الناس.

سنة أربع وعشرين وسبع مائة

فيها **كان الغلاء بالشام**، وبلغت الغرارة أزيد من مائتي درهم أياما، ثم جلب القمح من مصر بإلزام السلطان لأمرائه، فنزل إلى مائة وعشرين درهما، ثم بقي أشهرا، ونزل السعر بعد شدة، وأسقط مكس الأقوات بالشام بكتاب سلطاني، وكان على الغرارة ثلاثة ونصف.

قلت **هذا الغلاء المذكور** في الشام هو عندنا في الحجاز رخص، ولقد بلغ ثمن الغرارة الشامية في مكة وقت كتابتي لذكر **هذا الغلاء المذكور** في هذا التاريخ فوق ألف وثلاث مائة درهم.

وفيها قدم حاجا ملك التكرور موسى بن أبي بكر بن أبي الأسود في ألوف من عسكره للحج، فنزل سعر الذهب درهمين، ودخل إلى السلطان، فسلم ولم يجلس، ثم أركب حصانا. وأهدى هو إلى السلطان أربعين ألف مثقال وإلى نائبه عشرة آلاف، وهو شاب عاقل، حسن الشكل، راغب في العلم، مالكي المذهب.

قلت: ومن عقله أني رأيته في منزله في الشباك المشرف على الكعبة بحي رباط الحوري، وهو يسكن

أصحابه التالدة عند هيجان فتنة ثارت بينهم وبين الترك، وقد شهروا فيها السيوف في المسجد الحرام، وهو مشرف عليهم، فيشير عليهم بالرجوع عن القتال.

شديد الغضب عليهم في تلك الفتنة من رجحان عقله إذ لا ملجأ له، ولا ناصر في غير وطنه وأهله، وإن ضاق الفضاء بخيله ورجله.

وفيها مات بمصر المفتي الإمام الجليل القدر بين الأنام، الزاهد نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي كهلا، وهو الذي أذى ابن تيميه، وأقدم على الإنكار الغليظ الباهر على السلطان الملك الناصر، وتسلم من بطشه وفتكه القاهر، ولم يزد على الأمر بإبعاده، وإخراجه من بلاده وقيل: إنه أمر بقطع لسانه، فتلجلج وظهر الخوف في جنانه، فقال السلطان لو ثبت لكان عندي عظيم الشأن.

وفيها مات مخنوقا، الصاحب الكبير، كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله القبطي السلماني بأسوان، وكان قد نفي إلى الشويك، ثم إلى القدس، ثم إلى الأسوان، ثم سبق سرا، وكان هو الكل وإليه الحل والعقد بلغ. من الرتبة ما لا مزيد عليه، وجمع أموالا عظيمة، فأعاد أكثرها إلى السلطان. وكان عاقلا ذا هيبة وسماحة، فمرض مرة، فزينت مصر لعافيته، وكان يعظم الدينين، ولم يرو ايثاره.

وفيها مات في ذي الحجة بدمشق، المفتي الزاهد، علاء الدين علي بن إبراهيم بن العطار الشافعي، يلفت بمختصر النووي، سمع من غير واحد، وأصابه فالج أزيد من عشرين سنة، وله فضائل وتأله واتباع، وكان شيخ النورية.

قلت: هكذا ذكر الذهبي، ولم يذكر ما قد عرف واشتهر وشاع، وتقرر عنه أنه من أصحاب الشيخ معتمد الفتاوى محمد محيي الدين النووي، وروى عنه بعض كتبه جامع جزء من مناقبه.." (١)

"والغريب جدا في هذه الفترة أن الحكام والشعوب - بل والعلماء - كانوا قد نسوا تماما أن نصف الأمة الإسلامية يقع تحت الاحتلال التتري، ونسوا أن التتار أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الخلافة العباسية، ومن الحجاز ومصر والشام، لدرجة أن المؤرخين الذين يؤرخون لهذه الفترة لا يذكرون البتة أي شيء عن التتار!!..

...فعلى سبيل المثال تجد ذكر التتار يختفي في كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير - رحمه الله - عند تأريخه للفترة من سنة ٦٣٩ هجرية إلى ٦٤٩ هجرية (فترة حكم "كيوك" ثم أرملته) والتي لم يحدث فيها توسع تتري، وكأن القضية التترية قد حلت، وما ترك ابن كثير - رحمه الله - الكلام عن التتار إلا لقلة

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢٤٥/٢

المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة، ولقلة الأخبار التي كان أهل العراق والشام ومصر يتناقلونها عن جيوش التتار أو عن المسلمين الذين يعيشون تحت الظلم التتري المستمر..

...بل وتجد ابن كثير – رحمه الله – عند وصفه للحياة في العراق والشام ومصر في هذه السنوات العشر يصف حياة طبيعية جدا، فالخليفة يعالج بعض المشاكل الاقتصادية، ويتصدق على بعض الفقراء، وقد يحدث وباء فيعالج، أو غلاء فيشق ذلك على الناس إلى أن يمنح الخليفة بعضا من المال لمقاومة الغلاء، وهذا يفتح مدرسة، وذاك يفتح دارا للضيافة، وغيره يفتح دارا للطب، ومن أحوال هذه السنوات أن مات فلان من الشعراء وفلان من الأدباء وفلان من الكرماء وفلان من الوزراء!.. لكن أين العلماء الذي يخطبون على المنابر وفي حلقات العلم يشرحون للناس خطر التتار، ومصيبة المسلمين في البلاد المنكوبة بالتتار؟ وأين الحكام الذين يجهزون شعوبهم ليوم لا محالة هو آت؟ لم يكن هذا مشتهرا في ذلك الوقت.. ومن ثم اختفى ذكره من كتب التاريخ!..." (١)

"وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ونبل الهمم والأقدار، وشدة الأنقة، والحمية من المعرة، والهرب من العار، بدأت بالتفغير في المنازل، والتقدير للمواطن، فتاملوا شان المدن والأبنية، فوجدوا فيها معرة ونقصا، وقال ذو المعرفة والتمييز منهم: أن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام، ولحقها الآفات. والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح. إذا الهواء ربما قوي فأضر بأجسام م سكانه، وأحال أمزجة قطانة، وقال ذوى الآراء منهم: إن الأبنية والتحويط حصر عن التصرف في الأرض، ومقطعة عن الجولان، وتقييد للهمم، وحبس لما في الغرائز من المسابقة إلى الشرف، ولا خير في اللبث على هذه الحالة. وزعموا أيضا أن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء، وتسد سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك، فسكنوا البر الأفيح الذيلا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر، هذا مع ارتفاع الأقذاء. وسماحة الأهواء، واعتزال الوباء، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن، مع صحة الأمزجة، وقوة الفطنة، وصفاء الألوان وصيانة الأجسام. فإن العقول والاراء تتولد من حيث تولد الهواء، وطبع الهواء الفضاء وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام، فآثرت العرب سكنى البوادي والحلول في البيداء، فهم أقوى الناس همما، وأشدهتم أحلاما، وأصحهم أجساما، وأعزهم جارا، وأحماهم ذمارا، وأفضلهم جوارا، وأجودهم فطنا؛لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء،لأن الأبدان تحتوي أجزاؤها على متكاثف الأكدار وعناء الأقذار مما يرتفع أليه، ويتلاطم في عرصاته وأفقه من

---

(١) قصة التتار، ص/٨٧

جميع المستحيلات، والمستنقعات من المياه، ففي أكنافه جميع ما يتصعد إليه، ولذلك تراكبت الأقذاء والأعواء والعاهات في أهل المدن، وتركبت في أجس أمه م، وتضاعفت في أشعارهم وأبصارهم، ففضلت العرب على سائر من عداها من بوادي الأمم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الأماكن وارتيادها المواطن.

قال المسعودي: ولذلك جانبوا فظاظة الأكراد وسكان الجبال من الأجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم حزون الأرض ودهاسها، وذلك أن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها؛ لعدم استقامة الاعتدال في أرضها، فلذلك أخلاق قطانها على ما هي عليه من الجفاء والغلظ.

؟خطيب العرب عند كسرى يعلل اختيار قومه البداوة

وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن القطامي وغيرهما من الأخباريين أنه وفد على كسرى أنو شروان بعض خطباء العرب، فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها البر واختيارها البدو، فقال: أيها الملك، ملكوا الأرض ولم تملكهم، وأمنوا عن التحصن بالأسوار، واعتمدوا على المرهفات الباترة، والرماح الشارعة جننا وحصونا، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له، يرعون منها خيارها، ويقصدون ألط١فها، قال: فأين حظوظهم من الفلك؟ قال: من تحت الفرقدين ورأس البحرة وسعد الجدي مشرقين في البر بحسب ذلك، قال: فما رياحها؟ قال: أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس، قال: فكم الرياح؟ قال: أربع، فإذا انحرفت واحدة منهن قيل: نكباء، وما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر جنوب، وما بإزائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور، وماجاء من قبل ذلك فهي صبا، قال؛فما أكثر غذاءهم. قال: اللحم واللبن والنبيذ والتمر، قال: فما خلائقهم؟ قال: العز، وا لشرف، والمكأرم، وقرى ا لضيف، وإذمام الجار، وإجارة الخائف، وأداء الحمالات ، وبذل المهج في المكرمات، وهم سراة. وليوث الغيل، وعمار البر، وأنس القفر، ألفوا القناعة، وشنفوا الضراعة،. لهم الأخذ بالثار، والأنفة من العار، والحماية للذمار، قال كسرى: لقد وصفت عن هذا الجيل كرما ونبلا؛ وما أولانا بإنجاح وفادتك فيهم.." (١)

"ومن ولد سويد أيضا: بنو الوليد، وهم بنو الوليد بن سويد.

ويقال: إن من ولده: طريف بن مكنون، الملقب زين الدولة.

قال الحمداني: كان من أكرم العرب، وأنه مان في مضيفته **أيام الغلاء أثنا** عشر ألفا يأكلون عنده كل يوم، وكان يهشم لهم الثريد في المراكب، وبطريف هذا تعرف: نوب طريف، من بلاد الشرقية.

---

(١) مروج الذهب، ١/ ٢١٧

ومن عقبه: فضل بن شمخ بن كمونة، وإبراهيم بن عالي، أمرا كل منهما بالبوق والعلم.

وعد الحمداني من أخلاف بني الوليد: الربيعيين، والخليفيين، والحصينيين.

ومنهم أولاد شريف النجابين.

ويقال إن لهم نسبا في قريش في بني عبد مناف بن قصي.

ومن بني الوليد: الحيادرة، وهم بنو حيدرة بن معروف بن حبيب بن سويد. وهم طائفة كثيرة.

ومنهم أيضا: بنو عمارة، وهم: بنو عمارة بن الوليد.

قال الحمداني: وفيهم عدد، ولهم البرمون.

ومنهم الحييون، وهم بنو حية بن راشد بن الوليد؛ وأولاد منازل، وكان منهم معبد بن منازل. أمر ببوق وعلم.

وأما بعجة، فمن ولده: هلبا بعجة. وهم بنو هلبا بن بعجة بن زيد بن سويد، وكان لبعجة من الولد: رداد، ومنظور، وناثل، ونجاد. ومن هلبا هؤلاء: مفرجبن سالم ابن راضي: المقدم ذكر تأميره مع تأمير سلمى بن معبد. ثم خلفه على إمرته ابنه حسان ابن مفرج.

ومن هلبا بعجة: أولاد الهريم، من بني غياث بن عصمة بن نجاد بن هلبا بعجة.

ومنهم أيضا: الجواشنة، وهم: بنو جوشن بن منظور بن بعجة، وهو صاحب السراة، المضروب به المثل في الكرم والشجاعة.

ومنهم: الغوثية. وكانوا في عداد رداد بن بعجة، وأما نائل، فله البئر المعروفة ببئر نائل على رأس السراة.

ومن عقبه: مهنا بن علوان بن علي بن زبير بن حبيب بن نائل، كان جوادا كريما، طرقته مرة ضيوف في شتاء ولم يكن عنده حطب يوقده لطعام يصنعه لهم، فأوقد أحمالا من بر كانت عنده وكان له كفر برسوط بنواحي مرصفا من الشرقية.

وأما بردعة، ورفاعة، فالظاهر أن بينهم اندرجوا في إخوتهم الثلاثة المقدم ذكرهم.

البطن الثاني من جذام: بنو مجربة بفتح الميم وسكون الجيم وفتح الراء المهملة وقتح الباء الموحدة وهاء في الآخر. وهم: بنو مجربة بن حرام بن جذام، وهو أخو زيد بن حرام، المقدم ذكره. وقيل: ابنه. واسم أمه أمية، وقيل: ميه: وقيل هو وزيد ابنا الضبيب. وقيل: الضبيب أبو أمية المذكور.

ومن بني مجربة هؤلاء: رفاعة بن زيد الجذامي، أحد بني روح، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له على قومه، فتوجه إليهم فأسلموا على يديه ووهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم " مدعما " العبد صاحب الشملة التي ورد فيها الحديث.

ومن بني مجربة هؤلاء: الشواكرة.

قال الحمداني: ولهم شنبارة بني خصيب.

قال: وإليهم يرجع أولاد العجار، أولاد الحاج في زمن السلطان صلاح الدين، وهلم جرا إلى الآن.

قال: وفي عقبه هؤلاء عدد يعرفون به، ثم قال: وفي الحجاز فرقة منهم.

البطن الثالث من جذام: بنو سعد، وضبطه معروف.

قال الحمداني: وقد اجتمع بمصر خمس سعود من جذام واختلط بعضهم ببعض.

أحدها: بنو سعد بن إياس بن حرام بن جذام.

والثاني: سعد بن مالك بن زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام، وإليه ينسب أكثر السعديين.

والثالث: سعد بن مالك بن حرام بن جذام.

والرابع: سعد بن أبامة بن عبيس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام ابن جذام.

والخامس: سعد بن مالك بن أفصى ين سعد بن إياس بن حرام بن جذام.

قال: وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها، ولهم مزارع ومآكل، وفسادهم كثير، وفيهم عشائر كثيرة، ومنهم: شاس، وجوشن، وعلان، وفزارة. ولهم من تل طنبول إلى نوب طريف. ومنها: دقدوس، ودمريط، وليلة، وبرهمتوش.

بل قد ذكر الحمداني أن ديارهم من ضواحي القاهرة إلى أطراف الشرقية.

ومن مقدميهم: أولاد فضل والسلاحمة، وسكنهم في منية غمر – بالغين المعجمة – إلى ريفها.

ومنهم: شاور السعد وزير العضدي، آخر الفاطميين بمصر.

ويقال إن من عصب بني شاور كبار منية غمر وخفراؤها، إلا أن " ابن خلكان " ذكر أن شاورا، من سعد حليمة: ظئر النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن بني سعد هؤلاء: بنو عبد الظاهر، كتاب ديوان الإنشاء.

قال المقر الشهابي بن فضل الله: رأيته – يعني القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر – ينتسب إلى روح بن زنباع.." (١)

" (المستنصر بالله) أبو تميم ، معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز [نزار] بن المعز معد العبيدي ، الفاطمي . بويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر في يوم الأحد نصف شعبان سنة

---

(١) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص/١٧

سبع وعشرين وأربعمائة . وعمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يوما . وبقي في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر . ولا نعلم في الإسلام خليفة ولا سلطانا أقام في الملك هذه المدة . والمستنصر هذا هو الذي خطب له البساسيري على منابر بغداد ، وهذا شيء لم يقع لأحد من آبائه – وقد ذكرنا سبب ذلك في كتابنا ((النجوم الزاهرة)) مطولا فلينظر هناك . وفي أيام المستنصر هذا **كان الغلاء العظيم** بمصر الذي لم يقع مثله من زمان يوسف عليه السلام – في حدود سنين نيف وخمسين وأربعمائة – .

" (١)

" وقيل : إن القمح أبيع بدينار ونصف القدح ، وأكل الناس [فيه] بعضهم ، وأكلوا الميتة والكلاب ، وأبيع فيه الكلاب بخمسة دنانير ، والقط بثلاثة دنانير . **واشتد الغلاء** ، ودام سنين حتى بقي الكلب يدخل بيت الشخص ويأكل ولده وهو قاعد لا يستطيع النهوض لدفعه ؛ مما به من شدة الجوع . وقيل : إنه كان بمصر حارة تعرف بحارة الطبق – وهي معروفة – [كان] فيها عشرون دارا ، كل دار تساوي ألف دينار ؛ فأبيعت كلها بطبق خبز ، كل دار برغيف . **وأقام الغلاء يعاود** الناس سنين . وقال ابن الجوزي : خرجت إمرأة ومعها قدر ربع جوهر ؛ فقالت : من يأخذ مني هذا الجوهر ويعطيني عوضه برا . فلم تجد من يأخذه منها ؛ فقالت : إذا لم تنفعني وقت الضائقة فلا حاجة لي بك . وألقته على الأرض وانصرفت . فالعجب ما كان له من يلتقطه ! . وحكى أن المستنصر [هذا] أخرج جميع ما في الذخائر ؛ فباعها . يقال : إنه باع في [هذا **] الغلاء ثمانين** ألف قطعة من أنواع الجوهر المثمنة ، وخمسة وسبعين ألف قطعة من أنواع الديباج المذهب ، وعشرين ألف سيف ، وأحد عشر ألف دار .

" (٢)

" وافتقر [الخليفة] [المستنصر] [هذا] حتى لم يبق له إلا سجادة تحته وقبقاب في رجله ؛ فصار إذا نزل [من القصر] يستعير بغلة الديوان حتى يركبها . ومات في **هذا الغلاء معظم** الناس جوعا . ثم بعد سنين تراجع حاله إلى ما كان [عليه] وأزيد . ودام في الخلافة ، إلى أن مات [بها – أعني

---

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ١/ ٢٨٠

(٢) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ١/ ٢٨١

القاهرة –] في يوم الخميس لإثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وكانت مدة خلافته ستون سنة – كما تقدم ذكره – وتخلف [من] بعده ابنه [المستعلي أحمد] .

". (١)

"لقد وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه فقلت في نفسي: والله ما يدري عامر ما يقول. وسمعت بلالا يقول: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفخ وحولي إذخر وجليل ؟ ! فرجعت وقلت لرسول الله: انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى، وذكرت له ما سمعته منهم، فقال: " اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد، وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل وباءها الى مهيعة (١) فصرف الله تعالى ذلك عنهم. وكأنه استبدل بهذه المناسبة اسمها من يثرب – بمعنى المتقطع أو الموبوء – الى المدينة، تفاؤلا **باستبعاد الوباء والحمى** عنها، كما ابعد عنها اسمها المتضمن لذلك المعنى المكروه. رأس المنافقين: ولعل ممن أصابته هذه الحمى من أصحاب رسول الله من غير المهاجرين سعد بن عبادة، وقد مر خبر عروة عن عائشة أنها عادت أباها ومولييه ولم يرو عنها عيادة النبي لهم، ولكنه روى عن اسامة بن زيد عيادة الرسول لسعد بن عبادة قال: ركب رسول الله الى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته، على حمار مخطوم بخطام من الليف فوقه قطيفة فدكية، فركبه وأردفني خلفه. فمر في طريقه الى سعد على عبد الله بن ابي ابن سلول وهو في ظل وحوله رجال من قومه منهم عبد الله بن رواحة في رجال من المسلمين، فلما رآه رسول الله كره أن يتجاوزه ولا ينزل إليه. فنزل وسلم وجلس قليلا. ثم تلا القرآن ودعا الى الله عزوجل وذكر الله وحذر وبشر وأنذر، وابن ابي ساكت لا يتكلم، حتى إذا فرغ

----

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٣٨، ٢٣٩. والمهيعة: الطريق الواسع. (*)

----

[٧٠]". (٢)

---

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ٢٨٢/١

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي، ٦٣/٣

"= واجعل ما بها **من الوباء بخم**. اللهم اني قد حرمت لابتيها كما حرم ابراهيم خليلك مكة " ١: ٢٢. والطبري ٣: ٤٣١ والمسعودي في التنبيه والاشراف: ٢٠٤ وابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧ قالوا: كان خروجه لثلاث خلون من شهر رمضان. ولعله كان في الأصل: لثلاث عشرة خلت منه. والمسعودي في التنبيه والاشراف: ٢٠٦ أرخ رجوع الرسول الى المدينة بثمان بقين من شهر رمضان. ولعل هذا يرجح قول الواقدي أن يكون كل من ذهابه وايابه استغرق خمسة أيام. (١) في إعلام الورى ١: ١٦٨: في أربعين راكبا من قريش تجارا قافلين من الشام. وذكره في مجمع البيان ٤: ٨٠٢ وذكره ابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧ وقال: أو سبعين. (٢) روى الواقدي ١: ٢٨ عن عبد الله بن جعفر عن أبي عون مولى المسور، عن مخرمة بن نوفل قال: ادركنا بالشام رجل من جذام فأخبرنا: أن محمدا كان قد عرض لعيرنا في بدأتنا، وأنه ينتظر رجعتنا وقد حالف أهل الطريق ووادعهم. وعن عمرو بن العاص: أنه لقيهم في رجوعهم من غزة الشام بالزرقاء بناحية معان من أذرعات على مرحلتين. وأنه قال: عرض لكم محمد وأصحابه في بدأتكم فأقام شهرا ثم رجع الى يثرب. (٣) الخزاعي، كذا. وفي سيرة ابن هشام ٢: ٢٥٨: ابن عمرو الغفاري، وكذلك في الواقدي ١: ٢٨ واليعقوبي ٢: ٤٥ والطبري والمسعودي وابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٧. وفي الواقدي عن عمرو بن العاص: بعثوا ضمضم من معان الاردن، وقيل: من تبوك ١: ٢٨. (*)

----

[١١٣]." [١]

"(١) التبيان ٣: ٥٠٥. (٢) مجمع البيان ٣: ٢٩١، ورواه الواحدي عن قتادة عن أنس: ١٥٨. وروى الخبر الواقدي عن يزيد بن رومان (عن أنس بن مالك) قال: قدم ثمانية نفر من عرينة على النبي فأسلموا (**وأصابهم الوباء بالمدينة**) فأمر بهم النبي (صلى الله عليه وآله) الى لقاحه بذي الجدر (ذو الجدر على ستة اميال من المدينة من ناحية قباء قريبا من عير، الطبقات ٢: ٦٧) فكانوا بها حتى صحوا وسمنوا... ثم غدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله ومعه نفر فقاتلوهم، فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات تحت شجرة وانطلقوا بالسرح. واقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف فرأت يسار ميتا تحت شجرة، فرجعت الى قومها وخبرتهم الخبر، فخرجوا حتى جاؤوا به الى قباء.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، ٣/١٠٤

واخبروا النبي (صلى الله عليه وآله). فبعث رسول الله في أثرهم عشرين فارسا واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري (كذا) فخرجوا في طلبهم حتى ادركهم الليل بالحرة، فباتوا بها، وأصبحوا لا يدرون أين يسلكون ؟ فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير، فقالوا لها: ما هذا معك ؟ قالت: مررت بقوم قد نحروا بعيرا فاعطوني منه هذا. فقالوا: اين هم ؟ قالت: هم بتلك القفار من الحرة إذا وافيتم عليهم رأيتم دخانهم. فساروا حتى أتوهم فأحاطوا بهم فاستأسروا بأجمعهم، فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، فوجدوا رسول الله بالغابة، فخرجوا إليه، حتى التقوا بمربط في مجمع = (*)

---

[٥٩٩]

صلح الحديبية: روى القمي في تفسيره بسنده عن الصادق (عليه السلام) قال: إن الله - عز وجل - أرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في النوم أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام مع الداخلين، وطاف مع الطائفين وحلق مع المحلقين، وكان ذلك أمرا له بذلك. فأخبر أصحابه بذلك، وأمرهم بالخروج، فخرجوا (١).." (١)

"لما نالهم من الجوع والخوف وكانت الطريق للبشرة على جبل شلير وكان يأتي للبلد من البشرة على ذلك على الطريق خير كثير من القمح والشعير والذرة والزيت والزبيب وغير ذلك من الفواكه والسلع وما زال حال البلد يضعف ويقل من الطعام والرجال إلى أن دخل شهر المحرم عام سبعة وتسعين وثمان مئة ودخل فصل الشتاء والثلج نازل بالجبل وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك في أسواق المسلمين في غرناطة **واشتد الغلاء وأدرك** الجوع كثيرا من الناس وكثر السؤال والعدو ساكن ببلده ومحلته ولقد منع الفحص كله ومنع المسلمين من الحرث والزراعة وقطع الحرب في هذه المدة بين الفريقين فلما دخل شهر صفر من عام التاريخ اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام وأدرك الجوع كثيرا من الناس الموسرين فاجتمع أعيان الناس من الخاصة والعامة والفقهاء والأمناء والأشياخ والعرفاء

". (٢)

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، ٤/١٠٨

(٢) نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، ص/١٢١

"عندما نقول: الفرد، والمسئولية الفردية، ونؤكد عليه، فإن السبب في ذلك أننا دائما ننظر إلى أخطاء الآخرين ولا ننظر إلى أخطائنا، فكل منا اليوم أصبح يشكو الوضع الاقتصادي، حتى أصبحت ظاهرة عامة في المجالس، فلماذا بدلت بعد ذلك بالترف والبطر؟ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [الأنفال:٥٣] لقد غيرنا، لاحظوا لماذا هذا النقص الاقتصادي الذي حصل؟ لقد قرأت إحصائية لوزارة المالية ووجدت فيها أن المملكة تستهلك من الدخان ما قيمته ألف ومائتي مليون ريالا سنويا!! لقد أحللنا بأنفسنا العقوبة، انظروا إلى الأفلام أو أشرطة الغناء، كم يصرف كل إنسان على هذه المعاصي؟ قبل سنوات ما كان هذا الباب يستهلك، والآن كم يشتري كل واحد بالإضافة إلى إيجار المحلات، ومزاحمتها في الأسواق ومنافسة الناس على ذلك صار سببا من أسباب الغلاء، فهو بسيط لكن له أثر كبير أيضا.

المشاغل الرجالية التي يذهب إليها النساء أفواجا وراء أفواج، كم ينفق فيها من الأموال، محلات الأزياء والعطورات، ومحلات التجميل ومشاغل الخياطة، كلها حول شيء واحد، فالمرأة المسلمة لا تتزين ولا تتجمل إلا في البيت لزوجها، فلما عصينا الله عز وجل، وأصبحت المرأة تتزين إذا أرادت الخروج، فكم من الملايين سوف نخسر نتيجة هذه المعصية التي لا يرى كثير من الناس كما أنها معصية، بل معصية خطيرة، ويترتب عليها أضعافا مضاعفة من الخسارة في الدنيا والآخرة، وهؤلاء الخادمات كم يستهلكن من مال سنويا؟ وأولئك السائقون كم ندفع لهم سنويا من الملايين.." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٢٩ """""""

وله يقول عبد الله بن همام السلولي :

تلقفها يزيد عن أبيه . . . فخذها يا معاوي عن يزيدا

فإن دنياكم بكم اطمأنت . . . فأولوا أهلها خلقا سديدا

وكان أخوه خالد يوصف بالعلم ويقول الشعر ؛ زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وكثره ، وأراد أن يكون للناس فيهم طمع ، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك ، وتزوج أمه أم هاشم ؛ وقد كانت أمه تكنى به ؛ وفيها يقول أبوه يزبد بن معاوية :

وما نحن يوم استعبرت أم خالد . . . بمرضى ذوي داء ولا بصحاح

وكان خالد بن يزيد يتعصب لأخوال أبيه من كلب ، ويعينهم على قيس في حرب كانت بين كلب وقيس بن

---

(١) ندوة أسباب انهيار الأمم، ص/٢٨

علان ، فقال شاعر قيس :

يا خالد بن أبي سفيان قد فرقت . . . منا القلوب وضاق السهل والجبل

أأنت تأمر كلبا أن تقتلنا . . . جهلا وتمنعهم منا إذا قتلوا

ها إن ذا لا يقر الطير ساكنة . . . ولا تبرك من جرائه الإبل

وعبد الله بن يزيد ، الذي يقال له " الأسوار " وعاتكة ، ولدت مروان ويزيد ابني عبد الملك ؛ وأمهم : أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ؛ ولأم كلثوم بنت عبد الله يقول يزيد بن معاوية ، وكان معاوية وجهه يغزو الروم ؛ فأقام بدير سمعان ، ووجه الجنود ، وتلك غزوة الطوانة ؛ **فأصابهم الوباء** ؛ فقال يزيد بن معاوية :." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٠ """""""

وإبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأمه : فاطمة ابنة القسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ؛ وكان إبراهيم من خيار المسلمين ؛ وكانت أخته رملة بنت طلحة ، وأمها : فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عند إسماعيل بن علي ؛ وجعفر بن طلحة ، صاحب أم العيال بالفرع .

كان جعفر بن طلحة من أجمل الناس ؛ فلزم علاج أم العيال ، وهي عين عملها بالفرع ، قدرها ، عظيم كثير الغلة ، فيها النخل ؛ فأطال فيها الغيبة ، وأصابه **بها الوباء** ؛ فقدم المدينة ، وقد تغير ؛ فرآه مالك بن أنس ، فقال : " هذا الذي عمر ماله ، وأخرب نفسه " وقد تفرقت أم العيال ، ودخلت فيها أشراك للناس ؛ ولم يكن طلحة ترك من الولد إلا امرأة ورجلا ، تفرقت مواريثهما ، واشترى الناس فيها . وأم جعفر : عائشة بنت النضر بن علي بن الحارث بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة الحارثي .

وعبد الرحمن بن طلحة بن عمر ، كان من وجوه آل طلحة ، وكان يلي صدقتهم ؛ ومحمد بن طلحة ، وكان من خيار قريش ، وأمه : أم ولد ، وأم عبد الرحمن أخيه : أم ولد ؛ وعثمان بن طلحة بن عمر ، كان من أهل الهيئة والنعمة ، ولى القضاء بالمدينة ، ولاه المهدي ، ولم يكن يأخذ عليه رزقا ، وهو لأم ولد .

ومن ولد طلحة بن عمر : موسى بن محمد بن إبراهيم بن طلحة بن عمر ، وأمه : عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ولى قضاء المدينة لمحمد المخلوع .

وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، قتله الحجاج صبرا ، ومن ولده : عثمان بن عمر بن موسى ، وأم

---

(١) نسب قريش ـ موافقا للمطبوع، ١٢٩/٤

عثمان : أم ولد ؛ وكان عثمان على قضاء المدينة في زمن مروان بن محمد ؛ ثم ولاه المنصور القضاء ؛ فكان مع المنصور حتى مات بالحيرة ، قبل أن يبني المنصور مدينته مدينة السلام ؛ وابنه عمر بن." (١)

"ثم إن جرهم والعمالقة **أخذهم الوباء فهلكوا** وتفانوا، وكبر بنو إسماعيل فأظهرهم الله، وولوا البيت وبقي ضم الملك، فرأى الحارث بن مضاض الذي في نفسه، وأيقن لدولة جرهم بالإبادة، ولدولة بني إسماعيل بالإقبال، فخرج من مكة على وجهه، وكانت غربته المشهورة.

وقد تقدم في دولته من ولي بعد الحارث، وأن أمرهم انقرض عن قرب وتغلب عليهم بنو إسماعيل، ولم يبقوا جرهميا ولا عمليقيا بالحرم، وصارت السدانة والسلطنة للهميسع.

قال البيهقي: وكان اسمه زندا _ بالنون _ فلقبوه الهميسع، وهي السلطان عندهم، كما أن السميدع سلطان العمالقة.

قال: والهميسع أول من قال الشعر من بني إسماعيل، علمه ذلك الحارث بن مضاض، فرويت عنه قصيدة يذكر فيها طغيان جرهم والعمالقة في الحرم، وكيف أبادهم الله، وشتت شملهم، وأولها:

سلوا من بقي عمن مضى فهو مخبر ... لقد كفروا في بيته وتجبروا

صبرنا فنلنا الملك بعد فنائهم ... كذلك عقبى من يتوق فيصبر

ولو صحبتنا سرعة في مرادنا ... بهم أصبحت أعمارنا وهي تقصر

وذكر صاحب التيجان أنه ولي بعده أمر مكة ابنه:

أدد بن الهميسع

وكذلك ذكر البيهقي، وأخبر أنه كتب إلى أفعى نجران سلطان التبابعة في شأن كعبة نجران التي أحدثوها كتابا منه: وقد انتهى إلينا أنكم أقمتم بجهتكم كعبة للشيطان، وجعلتموها مناظرة لكعبة الرحمن. ولسنا ممن نترككم في سنة الغفلة، ولا نتعجل بالانتصار، والله أنظر في بيته، وأحكم بين عباده. وكذلك بلغنا أن سوق عكاظ أقمتموها معاندة لموسم الحرم، فما الذي تركتم لبني إسماعيل؟ وكيف عمدتم إلى ما أسسه الله فأردتم هدمه وإزالته؟ والأقدار معينة لهم، وعليهم مقبلة، والظلم بئس القرين، والكفر بالنعمة مصارع إذا أمكنته فرصة لا يدعها.

وذكر صاحب التيجان أنه ولي بعده ابنه:

عدنان بن أدد

---

(١) نسب قريش ـ موافقا للمطبوع، ٢٩٠/٨

وقال صاحب الكمائم: إن ولده كثروا وتفرقوا في أرض العرب، وطال عمره، ولم تكن الش هرة إلا لولده معد، وكذلك العقب العظيم.." (١)

"١٨٩ – بنو النمر – بطن من شنؤة من الأزد من القحطانية، وهم بنو النمر ابن عثمان بن نضر بن زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر وهو شنؤة ، وشنؤة يأتي نسبه عند ذكره في حرف الشين المعجمة منهم الحارث بن حصرة أحد رجال الحديث ذكره أبو عبيدة.

١٩٠ – بنو النمر – أيضا – بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو النمر ابن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحافي من قضاعة، وقضاعة يأتي نسبه عند ذكره في حرف القاف. قال أبو عبيدة: وكان له من الولد تيم وخشين وغاضرة وعاينة.

الألف واللام مع الهاء

١٩١ – بنو الهان – بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو الهان بن مالك بن زيد بن أسلم بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان، وكهلان يأتي نسبه عند ذكره في حرف الكاف.

١٩٢ – بنو الهجيم – ويقال بلهجيم بفتح الباء وسكون اللام، بطن من تميم من العدنانية، وهم بنو الهجيم بن عمرو بن تميم، وتميم يأتي نسبه عند ذكره في حرف التاء المثناة من فوق، منهم جابر بن سليم بن الهيجمي التميمي، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.

١٩٣ – بنو الهميسع – بفتح الهاء والسين المهملة، بطن من حمير من القحطانية، وهم بنو الهميسع بن حمير، وحمير يأتي نسبه ذكره في حرف الحاء المهملة، والهميسع في أصل اللغة اسم للرجل القوي.

١٩٤ – بنو الهنوء – بكسر الهاء وسكون النون وهمزة في الآخر، من الأزد من القحطانية وهم بنو الهنوء من أزد، والأزد يأتي نسبه عند ذكره في حرف الألف واللام مع الزاي.

١٩٥ – بنو الهون – بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو الهون المقدم بضم الهاء وسكون الواو ونون في الآخر، وقد مر نسبه.

١٩٦ – بنو الهون – أيضا – بطن من مضر من العدنانية، وهم بنو الهون بن خزيمة، وخزيمة قد مر نسبه في عمود النسب، ويأتي في حرف الخاء المعجمة فيما بعد إن شاء الله.

الألف واللام مع الواو

١٩٧ – بنو الوحيد – بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهم بنو الوحيد بن عامر بن كلاب بن

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص/١٢٤

عامر بن صعصعة، وعامر يأتي نسبه عند ذكره في حرف العين المهملة، قال أبو عبيدة: ومنهم عبد الله بن يزيد الفقيه.

١٩٨ - بنو الوليد - بطن من جذام ومساكنهم الحوف من الأعمال الشرقية من الديار المصرية. قال الحمداني: وهم بنو الوليد بن سويد بن حرام بن جذام، وجذام يأتي نسبه عند ذكره في حرف الجيم، قال الحمداني: ومنهم أولاد شريف النجابين، ثم قال ونذكر أن لهم نسبا في قريش إلى عبد مناف بن قصي، ثم قال: ومن بني طريف ابن مكنون الملقب بزين الدولة وكان من أكرم العرب كان في مضيفه **أيام الغلاء اثنى** عشر الفا تأكل عنده كل يوم وليلة، وكان يهشم الثريد في المراكب، قال ومن أولاده أيضا فضل بن رميح بن كمونة وإبراهيم ابن عالي أمر لكل منهما ببوق وعلم. قلت وإلى طريف هذا انتسب البلد المعروف بنوب طريف من الشرقية من الديار المصرية.

ال ألف واللام مع الياء المثناة تحت

١٩٩ - بنو اليحمد - بفتح الياء والميم بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية، وهم بنو اليحمد بن حمي واسمه عبد الله بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب، والحارث بن كعب قد مر نسبه عند ذكره في حرف الألف واللام مع الحاء المهملة في هذا الفصل.

٢٠٠ - بنو اليهمة - بفتح الهمزة وكسر اللام. بطن من النخع من كهلان من القحطانية، وهم بنو اليهم بن عوف بن النخع، ونخع قد مر نسبه عند ذكره في الألف واللام مع الخاء المعجمة. قال أبو عبيدة: منهم الحسن بن عبد الله الفقيه.

٢٠١ - بنو أمامة - بضم الهمزة وكسر اللام، بطن من ذهل بن شيبان من العدنانية، وهم بنو قيس وحارثة أبي عمر والمزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وذهل يأتي نسبه عند ذكره في حرف الذال المعجمة، وأمامة هي أم قيس وحارثة المذكورين عرف بنوها بها وهي أمامة بنت اكسين بن ثعلب.

٢٠٢ - بنو أمان - بطن من لخم من القحطانية، وهم بن أمان بن عمرو ابن ربي بن نمار بن لخم، ولخم يأتي نسبه عند ذكره في حرف اللام. قال أبو عبيد: وهم الجهيون رهط الطرماح بن حكم الشاعر، وسيأتي ذكرهم عند حرف الألف واللام مع الجيم من هذا الفصل.

٢٠٣ - بنو امرئ القيس - بطن من الأزد من القحطانية، وهم بنو امرئ القيس بن عمرو بن الأزد، والأزد يأتي نسبه عند ذكره في الألف واللام مع الزاي.." (١)

---

(١) نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ص/٢٨

"١٠٥٩ – بنو سنبس – ويقال لهم سنبس بأسم أبيهم، بطن من طي من القحطانية، وهم بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث ابن طي، وطي يأتي نسبه عند ذكره في حرف الطاء المهملة، وكان لسنبس من الولد زبيد وعمرو، ومنهم بنو أبان بن عدي المذكور في حرف الألف وقد ذكر الحمداني منهم طائفة ببطائح العراق، وطائفة بدمياط من الديار المصرية. قال: وكان لهم شأن أيام الخلفاء الفاطميين بالأعمال الجيزية حول سفارة.

قلت: والأمرة الآن فيهم في الخزاعلة في بني يوسف، ومقرهم في مدينة سخا من الأعمال الغربية.

١٠٦٠ – بنو سنان – بطن من الحمارسة من كنانة عذرة من القحطانية، ومساكنهم بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية، وكنانة يأتي نسبه عند ذكره في حرف الكاف.

السين مع الهاء

١٠٦١ – بنو سهل – بطن من بني بحر من لخم من القحطاينة، مساكنهم مع قومهم بن يبحر بالحي الكبير من الأطفيحية، ولخم يأتي نسبه عند ذكره في حرف اللام.

١٠٦٢ – بنو سهم – بطن من باهلة من القحطانية، وهم بنو صهم بن غنم بن ثعلبة بن قتيبة بن معن بن سعد مناة بن مالك، وسعد مناة هو الذي تنسب إليه قبيلة باهلة على ما تقدم في حرف الباء الموحدة، وهم رهط أبي أمامة الباهلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدم ذكره في حرف الباء الموحدة.

١٠٦٣ – بنو سهم – بطن من هصص من قريش من العدناينة، وهم بنو عمرو بن هصص، وهصص يأتي نسبه عند ذكره في حرف الهاء، كان له من الولد سعد وسعيد، فمن بني سعيد بن سهم قيس بن عدي كانت عنده العطية من بني شنوف من بني كنانة وبها يعرفون فولدت له الحارث بن قيس وهو من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه انزلت " أرأيت من اتخذ إلهه هواه " . ومنهم عبد الله بن الزبعري الشاعر، ومن بني سعيد بن سهم عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم، فتح مصر وتأمر عليها ومات بها، وكانت خطة بني سهم بالفسطاط حول المسجد الجامع.

١٠٦٤ – بنو سهيل – بطن من جذيمة جرم من القحطانية، مساكنهم مع قومهم جرم ببلاد غزة، وجرم قد تقدم نسبه عند ذكره في حرف الجيم. قال الحمداني: وكانوا سفراء بين الملوك وكان يجاورهم قوم من زبيدة يعرفون ببني فهيد ثم اختلطوا بهم.

السين مع الواو

١٠٦٥ – بنو سوادة – بطن من طي من القحطانية، مساكنهم ما فوق أخميم من صعيد الديار المصرية،

وطي يأتي نسبه عند ذكره في حرف الطاء المهملة.

١٠٦٦ – بنو سوادة – بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية، وهم بنو سوادة بن عامر بن صعصعة، وعامر يأتي نسبه عند ذكره في حرف العين المهملة، كان له من الولد حبيب وحرقان، قال في العبر: وشعوبهم في بني حجير بن سوادة.

١٠٦٧ – بنو سودة – بطن من بني مزيقيا من الأزد من القحطانية، وهم بنو سودة بن الحجر بن عمران بن مزيقيا، ومزيقيا يأتي نسبه عند ذكره في حرف الميم، كان له من الولد الحارث وعياد وعائد وعود بطن، وطاحية بطن، وعبد الله بطن.

١٠٦٨ – بنو سومانة – بطن من البتر من البربر، مساكنهم بلاد المغرب، ذكرهم في العبر.

١٠٦٩ – بنو سويد – بطن من جذام من القحطانية، وهم بنو سويد بن حرام جذام، وحرام قد تقدم نسبه عند ذكره في حرف الحاء المهملة، ومساكن بني سويد هؤلاء بالخفو من الشرقية من الديار المصرية، ومن ولد سويد هذا الوليد بن سويد، ومن ولد الوليد هذا طريف بن مكتوم مكنون الملقب زين الدولة: قال الحمداني: كان من اكرم العرب حتى في مضيفه أيام الغلاء أثنا عشر ألفا تأكل الطعام، وكان يهشم الثريد في المراكب، وإليه تنسب البلد المعروف بطريف من البلاد الشرقية.

السين مع اللام والألف

١٠٧٠ – بنو سلا – بطن من جرم من قضاعة من القحطانية، ذكرهم أبو عبيد ولم يرفع في نسبهم وقال: انهم في اليمامة مع بني هزان بن عيرة، منهم أبو قلابة الفقيه المشهور وأسمه عبد الله بن زيد.

١٠٧١ – بنو سلامان بطن من طي من القحطانية، وهم بنو سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي، وطي يأتي نسبه عند ذكره في حرف الطاء المهملة.

١٠٧٢ – بنو سلامان – بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو سلامان بن أسلم بن أقصى بن حارثة بن مزيقيا، ومزيقيا يأتي نسبه عند ذكره في حرف الميم.." (١)

"وكان من الفضل والعلم على جانب عظيم. له اجتهاد كلي، وكان يعمل درس الحديث في الثلاثة أشهر بالجامع، وقرأ بدمشق على أفاضلها مدة مديدة، وله فهم ثاقب لا يفتر عن المطالعة ولا لحظة، وهو من ذوي المال والثروة، وربما إنه كان في سن الثلاثين، وتوفي المذكور بعد حسين آغا كتخدا شيخ الإسلام، وبعد المفتي الحنبلي الشيخ أحمد بن السبحان. وكل من هؤلاء، ممن اعتصب على الشيخ محمد بن مفتي

---

(١) نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ص/١٠١

الشافعية البهائي الشافعي، وكان له سنة في حبس دمشق، وتوفوا الثلاثة في السنة التي حبسوه فيها، فأخرج بالضرورة، لأنهم توفوا في أواخرها. والبغي مصرع مبتغيه وخيم.

فقد ورد في الحديث عنه عليه السلام فيما رواه حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوصى عليه السلام رجلا بثلاث خصال، فقال له: أكثر من ذكر الموت ليشغلك عما سواه، وعليك بالشكر فإنه زيادة في العمر والرزق، وعليك بالدعاء فإنك لا تدري ما يستجاب لك. وأنهاك عن ثلاثة: لا تنقض عهدا، ولا تسعى على نقضه ولا تستمر على معصية، وإياك والبغي، فإنه من بغي عليه لينصرنه الله، وإياك والمكر فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله. ذكره الأردبيلي في تفسيره.

ولا زال مضيقا على المزبور إلى أن قيل: القول قول شيخ الإسلام وأولاده وأحفاده في سائر بلاد بني عثمان، وهذا راجع، وبه أخرج كما ستأتي قصة قتله، فله نحو السنة وأشهر بالقلعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قافلة الحج ٣٠٠٠ جمل

شوال في أوائله سافر للحج الشريف محمد باشا بن بيرم، وخرج المحمل والحج وكتب عسكرا من المغاربة والهنود والروم والأكراد، وجمع جمعا كبيرا وطيب خاطر كليب وأعطى الصرر بتمامها إلى أربابها، ولم يعارضه معارض حتى رجع، وكان معه من الجمال ثلاثة آلاف جمل.

ذو القعدة، وفيه **كثر الوباء والطاعون** ولا قوة إلا بالله.

الشيخ محمد الأكرمي

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين ذي الحجة، توفي الشيخ محمد بن الشيخ حسين الأكرمي الحنفي الصالحي، من خدام الشيخ محي الدين بن عربي، وذلك بالطاعون، وكان تزوج جديدا من نحو أربعة أشهر. وصلي عليه بالسليمية ودفن بالسفح قرب إلايجية.

الشيخ عبد القادر الصمادي

وفي يوم الخميس في اثني عشر من ذي الحجة، توفي الشيخ عبد القادر الصمادي صاحب الطريقة الصمادية القادرية، عن ولد صغير وأخ كبير يقال له السيد صالح. وكان المذكور عهد لولده، فعاد الأكابر وأقاموا مكانه أخاه السيد صالح، وسكن دار أخيه، واستولى على جميع ماله وصلي عليه بالأموي ودفن قرب سيدي بلال، رضي الله عنه.

محرم الحرام سنة ١١١٥

٢٧ – ٥ – ١٧٠٣م

الحكومة

وسلطان مملكة العرب والروم وبعض العجم مصطفى خان ابن محمد خان ابن عثمان، والباشا بالشام ابن بيرم بالحج الشريف، وقاضي الشام إبراهيم أفندي، والمفتي أبو الصفا أفندي، والمدرسون والدولة بحالهم، وأوله الخميس.

عمر جلبي الجابي

وفي رابعه، يوم الأحد، توفي عمر جلبي الحلبي بالطاعون، من كتاب المحكمة العسكرية، عن وظائف كتبها كلها على ولده عبد الرحمن أفندي الحلبي، ودفن بتربة باب الفراديس.

محمد شاهين

وفي يوم الجمعة تاسعه، توفي بالصالحية محمد جلبي ابن شاهين، ترجمان المحكمة العربية، وهو من ذرية الحاجب الأمير درويش محمد، صاحب الجامع بالصالحية، قبلي المدرسة العمرية، وصاحب الخانقاه الكاينة فيه، وصلي عليه بالسليمية، ودفن بالسفح أعلى العجمية، عند تربة الحاجب، وقام مقامه ولده إبراهيم جلبي، وكان عاقلا كاملا كثير النصت، وهو متولي الجامع المذكور.

الشيخ إبراهيم الخلوتي

وفي حادي عشر الشهر، الثلاثاء، توفي مولانا الشيخ إبراهيم بن الوجيه أيوب الخلوتي، صاحب الطريقة الخلوتية، وشيخ السلطنة العثمانية، وصلي عليه بالأموي، ودفن بتربة الفراديس الشرقية عند والده العارف أيوب، رحمه الله تعالى، وكان صاحب ثروة، وعليه تدريس المدرسة الحافظية قبلي الشبلية، ومدخولها حسن جدا.

وكان حسن الصوت. أخذ طريق الخلوتي عن السيد محمد غازي الحلبي، خليفة إخلاص دده الخلوتي، وأذن لبني أيوب بالخلافة، فجلس الشيخ إبراهيم وبايع، ثم بعد مدد طويلة كبر سنه، وتعب من المداراة وأخذ الخواطر، فأجلس مكانه أخاه الشيخ أبو السعود الخلوتي المبايع لغازي، وبايع وأقام طريقته إلى أن توفي. عفي عنهم آمين.." (١)

"فلما قتل وصار نفير عام طيبوا خاطر ابن بيرم وأرسلوا تدخلوا عليه أن يركب مع الناس على كليب وألحوا عليه، ونادوا على العام والخاص في السفر وأن لا يتخلف أحد، وبرزوا إلى قبة الحاج بالخيام، فخرج القاضي والشيخ مراد والموالي والعلماء والمدرسون وأعيان البلد وأصحاب السجادات وأرباب الزوايا، كل

---

(١) يوميات شامية، ص/١٦

واحد ومعه من جماعته أناس، ثم خرجوا بقية العوام، مما لا يحصى، ولكن من غير تدبير، فلما جاء المساء لم يروا أحدا، ورجع الناس إلى أماكنهم ما عدا أرباب الخيام، حتى إنه من طرف كل عشرين خيالا لم يبق منهم أحد، فألحوا على ابن بيرم ونادوا مرارا فلم يخرج، فمر عليهم ابن بيرم عند الظهر وقال: لا أحد يتحرك من مكانه، فأقسموا لا يرجعوا بل يقيموا حتى يجيء.

تدخل ابن بيرم

فبات تلك الليلة بالقنيطرة، فجاء من أخبره عن كليب أنه معين عليك سبعماية فارس، كلهم بالدروع يأخذوك الليلة فما أصبح الصبح إلا ورجع من توه من شدة خوفه من كليب. وكان الباشا السابق معه من العسكر أكثر منه مرارا، لكن اغتاظ عليه أرباب الخيام من الأفندية وأعيان مشايخ الشام، حتى طلع الكمال يونس المصري، والشيخ تقي الدين الحصني، والشيخ إبراهيم السعدي، وكل معه جماعات، والشيخ مراد ومعه ستون خيالا من قراه، أرسل إليها، والبقية كذلك، ثم أمروا ابن بيرم: لا تنزل دمشق ولا حرستا بل ترحل بالكلية عنهم.

وكان لما توجه ابن بيرم إلى الركوب من حرستا على كليب ألزم متقاعدي دمشق وأرباب الوظايف، وجعلوا له مالا، فلم يرض ورجع في الحال، وكفى الله المؤمنين القتال ثم رجع الكل عن آخرهم.

ثم إن أهل الخربة تعوق عليهم الجواب لانشغالهم بما استعدوا من السفر والنفير العام، واشتغلوا عنهم، عادوا وأعرضوا لكليب في أن يطلق حالهم، ففي أثناء إرسال العرض، قام المتسلم مسرعا من الخربة، ثم لحقه الباشا، باشة القدس قبل الجواب، ففي يوم رجوع ابن بيرم، وصل من أهل الخربة أناس مجرحون، ولا قوة إلا بالله.

سكون العاصفة

ثم هدت الفتنة، وكل منهم لزم حاله، وذلك في وسط ربيع الأول في السنة المذكورة.

والحج دخل في خمسة عشر صفر كما سبق، وركوب الباشا الأشقر في آخر محرم الحرام لملاقات الحج والركوب على كليب.

الشيخ أحمد البكري الصديقي

ربيع الأول، وفيه جاء خبر بوفاة مولانا الشيخ أحمد أفندي البكري يوم دخوله مصر، وكان متمرضا ورجع مع الحج المصري، وكان فرغ من قضاء مكة ونزل لما عزل، على مصر، وأن ولده أسعد أفندي توجه في البحر إلى الروم. وكان تولى سابقا بدمشق قضاء العسكر كما تولى نيابة الباب مرارا، وذهب إلى الروم مرارا،

وكان له بها دار عظيمة، وتسرى هناك وولد له أولاد، ثم تولى قضاء دمشق سنة خمس بعد المابة وألف، وتولى محروسة برصا، ثم مكة المشرفة. وكان مراده مصر فحال الأ ... لا غيره المتكل .....

فتنة في مكة المكرمة

ومن جهة مكة، أخبرنا أن شريف مكة عبد الكريم، جلس للسلطنة الحجازية بسيفه، ورضي أشرافها، وعزل ابن الأشرم، وكان بنو عثمان قد أرسلوا لابن الأشرم تقريرا. وأخذ عبد الكريم السلطنة بالسيف، وقتل من رجال ابن الأشرم ما لا يحصى، وهرب ابن الأشرم، قيل، فيه جروح كثيرة، **وأن الغلاء خف** عما كان.

وفي آخره سافر بقية الحجاج من دمشق.

طاووس في دمشق

وفيه ورد طاووس وهرعت الناس للفرجة عليه، وهو طير غريب كثير الألوان، وذنبه إذا فرشه يكون كدارة الرحى المتوسطة، ورأسه صغير جدا، وحجمه قد الأوزة، وفي صوته بشاعة، وقيل إنه يعجب بنفسه ويتخايل، وإذا نظر إلى رجليه صاح استقباحا.

صندوق الدنيا في دمشق

وفيه جاء من بلاد حلب صندوق فيه صور البلدان، مثل أدرنة وإسلام بول ودمشق وحلب وغير ذلك، وفي وجه الصندوق، مرآة تنظر فيها تلك الأشكال فترى مثل الحقيقة، وإنما هي نقوش، والمرآة تقوي البصر في المرئي، وفيه صور بلاد النصارى والكنايس والأنهار والبحور والجبال.

ابن بيرم في دمشق." (١)

"كان عارفا بالهندسة والمهيئة، كاملا في شأنه وحاله، منزويا، إلا في مصالحه الضرورية ونزل به إلى المدينة وصلي عليه بجامع التوبة، ودفن عند أهله بالدحداح الغربية، عفي عنه.

سهرة عند سي رجب

وفي ليلة السبت رابع عشرين رجب، كنا عند صاحبنا سي رجب، مع جماعة من الخلان وتوابع من الإخوان، وسهرنا عنده تلك الليلة، وكان السمر في ذكر الأولياء والصالحين، ومكثنا عنده إلى بعد طلوع الشمس، واستكثرنا خيره وشكرنا بره.

وفي يوم السادس والعشرين من رجب أول الخلوة البردبكية.

الغيث

---

(١) يوميات شامية، ص/٢٧

وليلة الأربعاء منها نزل الغيث من أول الليل إلى ظهره شاحا، وفرح الناس وله الحمد والثناء، ودام من أول الليل إلى وقت الظهر، فامتلت دمشق من الغدران، وبيده الإحسان والإنعام.

وألغزت لبعض أصحابنا من الفقهاء في مسئلة فقهية تتعلق بالدية.

واقعة

وفي شهر رجب المذكور، وقع لي واقعة. ضاع لي شيء من المتاع، فمكثت أياما في حصر من ذلك ولم يبرح من فكري، ونبشت في كل وقت عليه. ففي يوم الأحد ثالث شعبان خطر أن أن أقرأ الفاتحة للشيخ العارف الذي ضريخه بين المدارس بالصالحية، فإنه مجرب للضياع، فقرأت الفاتحة، فما مكثت ذلك النهار إلا ولقيته، فحمدت الله وقرأت له الفاتحة، وكرامات الأولياء حق خارق للعادة.

دخول القاضي الجديد

شعبان، وأوله الجمعة، وفي أوله، ورد قاضي الشام محمد صالح زاده الرومي، وسافر علي زاده الرومي المعزول إلى بلاده بعد أيام والله ولي الأحوال.

يوم الثالث والعشرين نزل الثلج الكثير ولم يطل، وبقي على الجبل أياما.

اعتقال ثمانية آغوات

يوم الثلاثاء عشرين الشهر، أودع في القلعة ثمان أغوات أعيان طائفة الينكجرية، منهم علي آغا ابن الترجمان، ويحيى آغا طالو، والمقابلجي، والخمسة الأخر أيباشية، ونسأله الآخرة إلى خير بمنه آمين.

عمر القاري

رمضان المبارك، وأول السبت بالثبوت. يوم الجمعة سابع الشهر توفي عمر أفندي بن عبد الرحمن أفندي القاري، مدرس الظاهرية البيبرسية شمالي الأموي.

وفيه دخل حج من الأروام.

أخبار الحج

شوال، أوله الاثنين، والحج كثير لا يحصى وله الحمد.

يوم الأحد، رابع عشر شوال طلع المحمل والصنجق، وفي العام قبله طلع يوم الخميس خامس عشر الشهر، ودخل الحج الحلبي يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر.

وفي ثامن عشر الشهر يوم الخميس، خرج الحج كله دفعة.

وفي ثامن عشره، قطع الأنهر بالصالحية، يوم السبت.

وفيه رجعت مزيربتية الحج، ورحل الحج قبل الهلة بيومين.

العملات

وفي يوم السبت عشرين الشهر نادوا على المعاملة والأسعار، فالمصرية الأحمدية تسع فلوس، ومصرية غير الأحمدية بستة فلوس مضروبة بسكة السلطان الآن.

مصرع المحتكرين

يوم الأحد، ثاني عشرين الشهر خنق ابن العلاوي، معلم طاحون الزراميزية، لأجل خزين القمح وتقليله على الناس لأجل الغلاء، ويستدينوا المال من المعاملجية الربوية ويحتكروه، حتى ضاق المغل بدمشق، ويتلقوا الركبان بالمال ويأخذوه. ثم شنقوا اثنين من الينكجرية من الطحانة، ورفعوا الصيارف لأنهم يقصوا المصاري ويتلفوا المعاملة من الناس.

جرائمهم

وكل من ذكر، يقتل في الحل والحرم، لأن أذاهم عام بأفعالهم، ويسلفون على المغل بأكياس يستدينوها من المرابيين، ويحتكروه، ويطالعوا أسبابا في قلة المطر والمحل، حسبهم جهنم وبئس المصير.

حتى الطحانة والخبازة واللحامة تجرؤوا على الحكام وعجزوهم، فانتقم الله منهم، وقتل المتسلم منهم، وشنق وخنق.

فكم نصحوهم الحكام في الحنطة والخبز واللحم، لا يفيد، ويطالعوا مكسبهم وكلفهم، ومع ذلك لا يرجعوا حتى وقع فيهم القتل المذكور. اللهم اخذل الكفرة والمنافقين، أعداء الدين، ورد: بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ.

فهؤلاء يحتمون بالإسلام احتماء، لا يحللون ولا يحرمون، قاتلهم الله وعجل هلاكهم، أفسدوا العباد والبلاد. وورد: لا تزال الناس على الدنيا حرصا، وهي منهم، فعلمنا وانصرنا على آل الصليب وعابديه اليوم. وهؤلاء صار الدرهم والدينار نفس عبدة الدرهم والدينار، كما ورد، وهؤلاء لا يذكرون الله إلا قليلا " ملعونين أينما ثقفوا، أخذوا بوقتلوا تقتيلا " .

سهرات أهل دمشق." (١)

"من دراسته الدقيقة لمقدمة هذا الكتاب أن ابن الخطيب ألفه فى سن عالية بعد أن نفض عن كاهله غبار السياسة، مستدلا بقول ابن الخطيب فى المقدمة «... و استوعبت من صحبة المغرب حصتى، و

---

(١) يوميات شامية، ص/١٢٩

ختمت بالدعاء قصتى، و نزلت عن منصتى، و ابتلعت غصتى «٢١»».

٧- «اللمحة البدرية، فى الدولة النصرية»

. (تاريخ) مؤلف تاريخى موجز، يدور حول أخبار ملوك بنى الأحمر، منذ قيام دولتهم حتى عام ٧٦٥ هـ ..، و الكتاب مطبوع فى القاهرة عام ١٩٤٧ م.

٨- «رقم الحلل، فى نظم الدول»

. (شعر) نظم شعرى فى ألف بيت، يتناول فيه المؤلف تاريخ الدولة الاسلامية بالمشرق و الأندلس، مذيلا كل قصيدة بشرح لها، و يقع المؤلف فى مجلد واحد، طبع بتونس عام ١٣١٦ هـ.

و تجدر الاشارة الى أن هذا الكتاب هو نفسه «الحلل المرقومة»، تبعا لما جاء فى نسخة مكتبة مدريد الوطنية، و التى نسخت عن مخطوطة الاسكوريال (رقم ١٧٧٦).

٩- «مفاخرة بين مالقة و سلا»

(اجتماعيات)

١٠- «خطرة الطيف، فى رحلة الشتاء و الصيف»

(تاريخ لرحلة ملكية)

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد و الديار، ص: ٣٤

١١- «نفاضة الجراب، فى علالة الاغتراب»

(تاريخ مغربى)

يقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء، أولها ما زال مفقودا، و قد نشر الدكتور العبادى الجزء الثانى منه بمعرفة دار الكاتب العربى بالقاهرة ١٩٦٨ م.

أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤخرا.

١٢- «معيار الاختيار، فى ذكر المعاهد و الديار»

. (الذي هو بين أيدينا الآن).

١٣- «مقنعة السائل، عن المرض الهائل»

. (طب)

عبارة عن رسالة وصف فيها ابن **الخطيب الوباء الكبير**، الذي اجتاح الأندلس و حوض البحر الأبيض المتوسط، عام ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م)، و سقط فيه جمهرة من أعيان الأندلس و المغرب و علمائهما، و قد

نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها للألمانية بمعرفة مجلة أكاديمية العلوم الباقارية (١٨٦٣ م).

١٤- «الاشارة الى أدب الوزارة»

(سياسة)." (١)

"قال: مدينة، و للخير خدينة، ما شئت من ظبى غرير، و عضب طرير «١٨٣»، و غلة و حرير، و ماء نمير، و دوام للخزين «١٨٤» و تعمير.

الا أن بردها كثير، و ودقها نثير، و وشرارها لهم فى الخيار تأثير.

٢٦- «مدينة غرناطة» «١٨٥»

قلت: فمدينة غرناطة؟

قال: حضرة سنية، و الشمس (بها) عن مدح المادح غنية،

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد و الديار، ص: ١١٤

غرناطة

الحمراء و قلعتها

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد و الديار، ص: ١١٥

كبرت عن قيل و قال، و جلت عن (١١٠: ب) وامق «١٨٦» و قال «١٨٧»، و قيدت العقل بعقال، و أمنت حال حسنها من انتقال. لو خيرت فى حسن الوضع لما زادت وصفا، و لا أحكمت رصفا، و لا أخرجت

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد و الديار، ص: ١١٦

فناء الاسود (قصر الحمراء)

معيار الاختيار فى ذكر المعاهد و الديار، ص: ١١٧

أرضها ريحانا و لا عصفا «١٨٨»، و لا أخذت بأشتات المذاهب، و أصناف المواهب جدا و (لا) قصفا. كرسيها ظاهر الاشراف، مطل على الاطراف، و ديوانها مكتوب بآيات الانفال و الاعراف، و هواؤها صاف، و للانفاس مصاف. حجبت- الجنوب عنها- الجبال، فأمن «**١٨٩» الوباء و** الوبال، و أصبح ساكنها عير مبال، و فى جنه من النبال، و انفسحت للشمال «١٩٠»، و استوفت الشروط على الكمال،

---

(١) معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، ص/٢٧

و انحدر منها مجاج الجليد على الرمال.

و انبسط- بين يديها- المرج الذي نضرة النعيم لا تفارقه، و مدارى النسيم تفلى بها مفارقه. ريع من واديه بثعبان مبين، ان لدغ تلول شطه تلها للجبين، و ولدت حيات المذانب عن الشمال و اليمين «١٩١»، و قلد منها اللبات سلوكا تأتى «١٩٢» من الحصباء بكل در ثمين، و ترك الارض مخضرة، تغير من خضراء السماء ضرة، و الازهار مفترة، و الحياة الدنيا- بزخرفها- مغترة.

أى واد أفاض من عرفات فوق حمرائها أتم أفاضة

(١١١: أ) ثم لما استقر بالسهل يجرى شق منها بحلة فضفاضة

كلما انساب كان عضبا صقلا و اذا ما استدار كان مفاضة «١٩٣»." (١)

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين سنة خمس وسبعين وخمسمائة

فيها غلت الأسعار جدا بالعراق واشتد المحل وكثر الجدب وكانت الغلات كثيرة والحبوب موجودة غير أن الناس رفعوا أيديهم عن البيع وسبب ذلك أن ظهير الدين أبا بكر [منصور] بن العطار صاحب المخزن كان قد تحكم في دولة الخليفة تحكما زائدا واستولى على جميع المعاملات الواسطية وضمن البلاد سائرها ومنع البيع من خزائن الغلات والحبوب فاشتدت بغضته في قلوب الناس وخاصة أرباب دولة الخليفة وكانوا يقولون سبب غلو الأسعار منعه لبيع الغلات

وفيها كثر الوباء حتى مات من الخلق ما لا يحصى كثرة

". (٢)

"أن أمنتني وأعطيتني كذا (١) وكذا" وتمت الصفقة، فأعطاه الإفرنج كذا وكذا، وأسلمهم البرج الفلاني ... .وسقطت إنطاكية ... .

وكان سقوط أنطاكية في اليوم الثالث من حزيران عام ١٠٩٨. وكانت هزيمة مروعة، لا تقل ضراوة عن هزيمتنا المعاصرة في حزيران المشؤوم ...

وفي عبارة حزينة موجزة يقول التاريخ عن ضحايا إنطاكية: "فقتل وأسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال ما لا يدركه حصر" (٢) .

---

(١) معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، ص/٧٠

(٢) مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص/٣

ويشهد مؤرخ أجنبي أن الإفرنج قد ذبحوا في أنطاكية ما لا يقل عن عشرة آلاف من أهلها، واضطر الجند إلى المسارعة في دفن الجثث قبل أن **ينتشر الوباء في** المدينة (٣) .

وانطلقت جيوش الإفرنج بعد سقوط إنطاكية، تنهب وتدمر، وتحرق القرى والمدن في حوض نهر العاصي، وواصلوا غاراتهم شرقا حتى معرة مصرين، وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها، ثم استولوا على حارم، وبهذا حققوا نصرا كبيرا نظرا لموقعها الاستراتيجي بين حلب وإنطاكية.

ومضى الإفرنج بعد ذلك بحملة على البارة وهي مدينة تابعة لحلب، تقع شرق نهر العاصي واستولوا عليها، وقام قائد حملة الإفرنج "فعاقب الرجال والنساء واستصفى أموالهم، وقتل بعضا وسبى بعضا "كما قال المؤرخ العربي في كلمات باكية (٤) .

---

(١) ابن العديم، فريدة الحلب، ج٢، ص ١٥٧.

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ،ص ١٣٥.

(٣) رانسيمان،ج١، ص ١٣٤.

(٤) ابن العديم ، فريدة الحلب، ج٢، ص ١٤١.." [١]

" أشاقتك أظعان بحفر أبنبم نعم بكرا مثل الفسيل المكمم ابن ماما لا أعرفه في غير كتاب العمراني وقال مدينة صغيرة ولم يزد

ابن مدى مدى الشيء غايته ومنتهاه اسم واد في قول الشاعر فابن مدى روضاته تأنس ابند بفتح أوله وثانيه وسكون النون صقع معروف من نواحي جنديسابور من نواحي الأهواز عن نصر

أبنود بالفتح ثم السكون وضم النون وسكون الواو ودال مهملة قرية من قرى الصعيد دون قفط ذات بساتين ونخل ومعاصر للسكر

أبنى بالضم ثم السكون وفتح النون والقصر بوزن حبلى موضع بالشام من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه و سلم لأسامة ابن زيد حيث أمره بالمسير إلى الشام وشن الغارة على أبنى

وفي كتاب نصر أبنى قرية بمؤتة

الأبواء بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة قال قوم سمي بذلك لما فيه **من الوباء ولو** كان كذلك لقيل الأوباء إلا أن يكون مقلوبا

---

(١) معارك العرب، ص/١٩

وقال ثابت بن أبي ثابت اللغوي سميت الأبواء لتبوء السيول بها وهذا أحسن

وقال غيره الأبواء فعلاء من الأبوة أو أفعال كأنه جمع بو وهو الجلد الذي يحشى ترأمه الناقة فتدر عليه إذا مات ولدها أو جمع بوى وهو السواء إلا أن تسمية الأشياء بالمفرد ليكون مساويا لما سمي به أولى ألا ترى أنا نحتال لعرفات وأذرعات مع أن أكثر أسماء البلدان مؤنثة ففعلاء أشبه به مع أنك لو جعلته جمعا لاحتجت إلى تقدير واحده وسئل كثير الشاعر لم سميت الأبواء أبواء فقال لأنهم تبوأوا بها منزلا

والأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا

وقيل الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل وقد جاء ذكره في حديث الصعب بن جثامة وغيره

قال السكري الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة

قال ابن قيس الرقيات فمنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء فالخيام التي بعسفان أقوت من سليمى فالقاع فالأبواء وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه و سلم وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرا فمات بالمدينة فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره فلما أتى على رسول الله صلى الله عليه و سلم ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها ." (١)

" خوزستان كما نذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى وقال أحمد بن محمد الهمداني أهل الأهواز ألأم الناس وأبخلهم وهم أصبر خلق الله على الغربة والتنقل في البلدان وحسبك أنك لا تدخل بلدا من جميع البلدان إلا ووجدت فيه صنفا من الخوز لشحهم وحرصهم على جمع المال وليس في الأرض صناعة مذكورة ولا أدب شريف ولا مذهب محمود لهم في شيء منه نصيب وإن حسن أو دق أو جل ولا ترى بها وجنة حمراء قط وهي قتالة للغرباء على أن حماها في وقت **انكشاف الوباء ونزوع** الحمى عن جميع البلدان وكل محموم في الأرض فان حماه لا تنزع عنه ولا تفارقه وفي بدنه منها بقية فإذا نزعت فقد وجد في نفسه منها البراءة إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة والأهواز ليست كذلك لأنها تعاود من

---

(١) معجم البلدان، ٧٩/١

نزعت عنه من غير حدث لأنهم ليس يوتون من قبل التخم والإكثار من الأكل وإنما يوتون من عين البلدة ولذلك كثرت بسوق الأهواز الأفاعي في جبلها الطاعن في منازلها المطل عليها والجرارات في بيوتها ومنازلها ومقابرها ولو كان في العالم شيء شر من الأفاعي والجرارات وهي عقارب قتالة تجر ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب لما قصرت قصبة الأهواز عنه وعن توليده ومن بليتها أن من ورائها سباخا ومناقع مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسايل كنفهم ومياه أمطارهم ومتوضآتهم فإذا طلعت الشمس طال مقامها واستمر مقابلتها لذلك الجبل قبل تشبب الصخرية التي فيها تلك الجرارات فإذا امتلأت يبسا وحرا وعادت جمرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد انجرت تلك السباخ والأنهار فإذا التقى عليهم ما انجر من تلك السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء وفسد بفساده كل شيء يشتمل عليه ذلك الهواء وحكي عن مشايخ الأهواز أنهم سمعوا القوابل يقلن أنهن ربما قبلن الطفل المولود فيجدنه محموما في تلك الساعة يعرفون ذلك ويتحدثون به

ومما يزيد في حرها أن طعام أهلها خبز الأرز ولا يطيب ذلك إلا سخنا فهم يخبزون في كل يوم في منازلهم فيقدر أنه يسجر بها في كل يوم خمسون ألف تنور فما ظنك ببلد يجتمع فيه حر الهواء وبخار هذه النيران ويقول أهل الأهواز إن جبلهم إنما هو من غثاء الطوفان تحجر وهو حجر ينبت ويزيد في كل وقت وسكرها جيد وثمرها كثير لا بأس به وكل طيب يحمل إلى الأهواز فإنه يستحيل وتذهب رائحته ويبطل حتى لا ينتفع به وقد نسب إليها خلق كثير ليس فيهم أشهر من عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد أبي محمد الجواليقي الأهوازي القاضي المعروف بعبدان أحد الحفاظ المجودين المكثرين ذكره أبو القاسم وقال قدم دمشق نحو سنة ٢٤٠ فسمع بها هشام بن عمار ودحيما وهشام بن خالد وأبا زرعة الدمشقي وذكر غيرهم من أهل بغداد وغيرها وروى عنه يحيى بن صاعد والقاضي الحسين بن إسماعيل الضبي وإسماعيل بن محمد الصفار وذكر جماعة حفاظا أعيانا وكان أبو علي النيسابوري الحافظ يقول عبدان يفي بحفظ مائة ألف حديث وما رأيت من المشايخ أحفظ من عبدان وقال عبدان دخلت البصرة ثماني عشرة مرة من أجل حديث أيوب السختياني كلما ذكر لي حديث من حديثه رحلت إليها بسببه وقال أحمد بن كامل القاضي مات عبدان بعسكر مكرم في أول سنة ٣٠٦ ومولده سنة ٢١٠ وكان في الحديث إماما ." (١)

" حضن جبل بالعالية ومخاشن جبل بالجزيرة وقال يزيد بن حداق في أخبار المفضل أقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإن لا تقيموا صاغرين رؤوسا أكل لئيم منكم ومعلهج يعد علينا غارة فجبوسا أكابن

---

(١) معجم البلدان، ١/٢٨٦

المعلى خلتنا وحسبتنا صراري نعطي الماكسين مكوسا فإن تبعثوا عينا تمنى لقاءنا يرم حضنا أو من شمام ضبيسا وقال نصر حضن جبل مشرف على السي إلى جانب ديار سليم وهو أشهر جبال نجد وقيل جبل ضخم بناحية نجد بينه وبين تهامة مرحلة تبيض فيه النسور يسكنه بنو جشم بن بكر وقال أبو المنذر في كتاب الإفراق وظعنت قضاعة كلها من غور تهامة بعدما كان من حرب بني نزار لهم وإجلائهم إياهم وساروا منجدين فمالت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة إلى حضن والسي وما صاقبه من البلاد غير شكم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب فإنهم انضموا إلى فهم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب وصاروا معهم ولحقت بهم عصيمة بن اللبو بن أمر مناة بن فتيئة بن النمر بن وبرة فانضمت إليهم ولحقت بهم قبائل من جرم بن ربان فثبتوا معهم بحضن فأقاموا هنالك وانتشرت قبائل قضاعة في البلاد

و حضن أيضا من جبال سلمى عن نصر

حضور بالفتح ثم الضم وسكون الواو وراء بلدة باليمن من أعمال زبيد سميت بحضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ قال غامد تغمدت شرا كان بين عشيرتي فأسماني القيل الحضوري غامدا وقال السهيلي لما قصد بخت نصر بلاد العرب ودوخها وخرب المعمور استأصل أهل حضوراء هكذا رواه بالألف الممدودة وهم الذين ذكرهم في قوله وكم قسمنا من قرية وذلك لقتلهم شعيب بن عيقي ويقال ابن ضيفون

حضوضى بفتح أوله والضادين وسكون الواو مقصور مثال قرورى جبل في الغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها وقال الحازمي حضوض بغير ألف جزيرة في البحر

الحضوض بغير ألف نهر كان بين الحيرة والقادسية

حضوة بالكسر ثم السكون وفتح الواو وهاء يقال حضوت النار حضوة إذا أسعرتها وهو موضع قرب المدينة قيل على ثلاث مراحل من المدينة وكان اسمها عفوة فسماها النبي صلى الله عليه و سلم حضوة وفي الحديث شكا قوم من أهل حضوة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وباء أرضهم فقال لو تركتموها فقالوا معاشنا ومعاش إبلنا ووطننا فقال عمر للحارث بن كلدة ما عندك في هذا فقال الحارث البلاد الوبئة ذات الأدغال والبعوض وهو **عش الوباء ولكن** ليخرج أهلها إلى ما يقاربها من الأرض العذية إلى تربيع النجم وليأكلوا البصل والكراث ويباكروا السمن العربي فليشربوه وليمسكوا الطيب ولا يمشوا حفاة ولا يناموا بالنهار فإني أرجو أن يسلموا فأمرهم عمر بذلك

حضيان بالضم والفتح وياء مشددة وألف ونون حصن وسوق لبني نمير فيه مزارع كذا قال ." (١)

" ولا تقام فيه جمعة

وأما جامع عمرو بن العاص فهو في مصر وهو العامر المسكون وكان عمرو بن العاص لما حاصر الحصن بالفسطاط نصب رايته بتلك المحلة فسميت محلة الراية إلى الآن وكان موضع هذا الجامع جبانة حاز موضعه قيسبة بن كلثوم التجيبي ويكنى أبا عبد الرحمن ونزله فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو بن العاص قيسبة في منزله هذا أن يجعله مسجدا فتصدق به قيسبة على المسلمين واختط مع قومه بني سوم في تجيب فبني سنة ١٢ وكان طوله خمسين ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا ويقال إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة الكرام منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو ذر الغفاري وغيرهم قيل إنها كانت مشرقة قليلا حتى أعاد بناءها على ما هي اليوم قرة بن شريك لما هدم المسجد في أيام الوليد بن عبد الملك وبناه ثم ولي مصر مسلمه بن مخلد الأنصاري من قبل معاوية سنة ٣٥ وبيضه وزخرفه وزاد في أرجائه وأبهته وكثر مؤذنيه ثم لما ولي مصر قرة بن شريك العبسي في سنة ٢٩ هدمه بأمر الوليد بن عبد الملك فزاد فيه ونمقه وحسنه على عادة الوليد بن عبد الملك في بناء الجوامع ثم ولي صالح بن علي بن عبد الله بن العباس في أيام السفاح فزاد أيضا فيه وهو أول من ولي مصر من بني هاشم وذلك في سنة ٣٣١ ويقال إنه أدخل في الجامع دار الزبير بن العوام ثم ولي موسى بن عيسى في أيام الرشيد في سنة ٥٧١ فزاد فيه أيضا ثم قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين في أيام المأمون في سنة ١١٢ لقتال الخوارج ولما ظفر بهم ورجع أمر بالزيادة في الجامع فزيد فيه من غربيه وكان وروده إلى مصر في ربيع الأول وخروجه في رجب من هذه السنة ثم زاد فيه في أيام المعتصم أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع ابن أخت أبي الوزير أحمد بن خالد وكان صاحب الخراج بمصر وذلك في سنة ٨٥٢ ثم وقع في الجامع حريق في سنة ٥٧٢ فهلك فيه أكثر زيادة عبد الله بن طاهر فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته وكتب اسمه عليه ثم زاد فيه أبو حفص عمر القاضي العباسي في رجب سنة ٣٣٦ ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخازن رواقا واحدا مقداره تسعة أذرع في سنة ٧٥٣ ومات قبل تتمتها فأتمها ابنه علي وفرغت في سنة ٨٥٣ ثم زاد فيه في أيام الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس الفوارة التي تحت قبة بيت المال وذلك في سنة ٨٧٣ وجدد الحاكم بياض مسجد الجامع وقلع ما كان عليه من الفسفس وبيض مواضعه قال الشريف محمد بن أسعد بن علي بن الحسن الجواني المعروف بابن النحوي في كتاب سماه

---

(١) معجم البلدان، ٢٧٢/٢

النقط لمعجم ما أشكل عليه من الخطط وكان السبب في خراب الفسطاط وإخلاء الخطط حتى بقيت كالتلال أنه توالت في أيام المستنصر بن الظاهر بن الحاكم سبع سنين أولها سنة ٧٥٤ إلى سنة ٤٦٤ **من الغلاء والوباء** الذي أفنى أهلها وخرب دورها ثم ورد أمير الجيوش بدر الجمالي من الشام في سنة ٤٦٦ وقد عم الخراب جانبي الفسطاط الشرقي والغربي فأما الغربي فخرب الشرف منه ومن قنطرة خليج بني وائل مع عقبة يحصب إلى الشرف ومراد والعبسيين وحبشان وأعين والكلاع والألبوع والأكحول والربذ والقرافة ومن الشرقي الصدف وغافق وحضرموت والمقوقف والبقنق والعسكر إلى المنظر والمعافر بأجمعها إلى دار أبي قتيل وهو الكوم الذي شرقي عفصة الكبرى وهي سقاية ابن طولون فدخل أمير ." (١)

" قضاء حاجته إلا وقد وقف عليه من يبتدر أخذ ما خرج منه لطعمة البساتين وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحون فيه فيخص به من أراد منهم وكذلك نساؤهم لا يرين في ذلك حرجا عليهن إذا سترت إحداهن وجهها ولم يعلم من هي ويذكر أهل قابس أنها كانت أصح البلاد هواء حتى وجدوا طلسما ظنوا أن تحته مالا فحفروا موضعه فأخرجوا منه قربة غبراء فحدث **عندهم الوباء من** حينئذ بزعمهم وأخبر أبو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي وكان كاتبا لمونس صاحب إفريقية أنهم كانوا في ضيافة ابن وانمو الصنهاجي فأتاه جماعة من أهل البادية بطائر على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا أنهم لم يروه قبل ذلك اليوم في أرضهم كان فيه من كل لون أجمله وهو أحمر المنقار طويله فسأل ابن وانمو العرب الذين أحضروه هل يعرفونه ورأوه فلم يعرفه أحد ولا سماه فأمر ابن وانمو بقص جناحيه وإرساله في القصر فلما جن الليل أشعل في القصر مشعل من نار فما هو إلا أن رآه ذلك الطائر فقصده وأراد الصعود إليه فدفعه الخدام فجعل يلح في التقدم إلى المشعل فأعلم ابن وانمو بذلك فقام وقام من حضر عنده قال جعفر وكنت ممن حضر فأمر بترك الطائر في شأنه فطار حتى صار في أعلى المشعل وهو يتأجج نارا واستوى في وسطه وجعل يتفلى كما يتفلى الطائر في الشمس فأمر ابن وانمو بزيادة الوقود في المشعل من خرق القطران وغيره فزاد تأجج النار والطائر فيه على حاله لا يكترث ولا يبرح ثم وثب من المشعل بعد حين فلم ير به ريب واستفاض هذا بإفريقية وتحدث به أهلها والله أعلم وقد نسب إليها طائفة وافرة من أهل العلم منهم عبد الله بن محمد القابسي من مشايخ يحيى بن عمر ومحمد بن رجاء القابسي حدث عنه أبو زكرياء البخاري وعيسى بن أبي عيسى ابن نزار بن بجير أبو موسى القابسي الفقيه المالكي الحافظ سمع بالمغرب أبا عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الأجدابي وأبا علي الحسن بن حمول التونسي وبمكة أبا ذر الهروي وببغداد أبا الحسن روح

---

(١) معجم البلدان، ٤/٢٦٥

الحرة العتيقي وأبا القاسم بن أبي عثمان التنوخي وأبا الحسين محمد بن الحسين الحراني وأبا محمد الجوهري وأبا بكر بن بشران وأبا الحسن القزويني وغيرهم وحدث بدمشق فروى عنه عبد العزيز الكناني وأبو بكر الخطيب ونصر المقدسي وكان ثقة ومات بمصر سنة ٧٤٤

القابل بعد الألف باء موحدة المسجد أو الجبل الذي عن يسارك من مسجد الخيف بمكة عن الأصمعي

القابلة من نواحي صنعاء الشرقية باليمن

قابون موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق في وسط البساتين

القاحة بالحاء المهملة قاحة الدار وباحتها واحد وهو وسطها وقاحة مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل قال نصر موضع بين الجحفة وقديد وقال عرام القاحة في ثافل الأصغر وهو جبل ذكر في موضعه دوار في جوفه يقال له القاحة وفيها بئران عذبتان غزيرتان وقد روي فيه الفاجة بالفاء والجيم ذكره في السيرة في حديث الهجرة القاحة والفاجة

قادس بعد الألف دال مكسورة مهملة ثم سين كذلك جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شذونة طولها اثنا عشر ميلا قريبة من البر بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البر وفي قادس الطلسم المشهور الذي عمل لمنع البربر من دخول جزيرة الأندلس في قصة تلخيصها أن صاحب ." (١)

" دع القوم ما احتلوا ببطن قراضم وحيث تفشى بيضه المتفلق وقال ابن هرمة عفا أمج من أهله فالمشلل إلى البحر لم يأهل له بعد منزل فأجزاع كفت فاللوى فقراضم تناجى بليل أهله فتحملوا

قراضية بالضم وبعد الألف ضاد معجمة وياء مثناة من تحتها وهو موضع في شعر بشر بن أبي خازم حيث قال وحل الحي حي بني سبيع قراضية ونحن له إطار قال روى بعضهم قراضبة وأنكر ابن الأعرابي وقال قراضية بالياء المثناة من تحتها موضع معروف

قراف بالفتح وآخره فاء القرف القشر **والقرف الوباء وقراف** قرية في جزيرة من بحر اليمن بحذاء الجار سكانها تجار كنحو أهل الجار يؤتون بالماء العذب من نحو فرسخين

القرافة مثل الذي قبله وزيادة هاء في آخره خطة بالفسطاط من مصر كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر و قرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم وهي اليوم مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة

---

(١) معجم البلدان، ٤/٢٩٠

ومحال واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب للأكابر مثل ابن طولون والماذرائي تدل على عظمة وجلال وبها قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في مدرسة للفقهاء الشافعية وهي من نزه أهل القاهرة ومصر ومتفرجاتهم في أيام المواسم قال أبو سعد محمد بن أحمد العميدي إذا ما ضاق صدري لم أجد لي مقر عبادة إلا القرافه لئن لم يرحم المولى اجتهادي وقلة ناصري لم ألق رافه ونسب إليها قوم من المحدثين منهم أبو الحسن علي بن صالح الوزير القرافي وأبو الفضل الجوهري القرافي ونسبوا إلى البطن من المعافر أبا دجانة أحمد بن إبراهيم بن الحكم بن صالح القرافي حدث عن حرملة بن يحيى وهو وزير سعيد الإربلي وغيره وتوفي سنة ٤٩٩ قاله ابن يونس

و القرافة أيضا موضع بالإسكندرية يروى عنه حكايات وأنشد أبو سعد محمد بن أحمد العميدي يذكر قرافة مصر وأعاد البيتين المذكورين

قراقر بضم أوله وبعد الألف قاف أخرى مكسورة وراء وهو علم مرتجل لاسم موضع إلا أن يكون من قولهم قرقر الفحل إذا هدر والقرقرة قرقرة الحمام إذا هدر والقرقرة قرقرة البطن والقرقرة نحو القهقهة والقرقرة الأرض الملساء ليست بحد واسع فإذا اتسعت غلب عليها اسم التذكير فقالوا قرقر قال عبيد بن الأبرص نزجي مرابعها في قرقر ضاحي وقال شمر القرقر المستوي من الأرض الأملس الذي لا شيء فيه وقراقر اسم واد أصله من الدهناء وقد ذكر في الدهناء وقيل هو ماء لكلب عن الغوري ويوم قراقر وهو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة و قراقر أيضا واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل ." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٧ """""""""

وكان تأخره عن التجريدة لابن عثمان لأجل ذلك . وفي يوم الأحد ثاني عشريه انقض كوكب في جهة شمالي دمشق ، أضاءت منه الدنيا ، كما تضيء بالقمر . وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه سافر إلى مصر الجبار الظالم الغاشم قرقماس الخاصكي ، الذي جرى له ما جرى ، وخرج لوداعه نائب الغيبة ، والخازندار ، والقضاة ، وغيرهم . وفيه نودي عن نائب الغيبة بإبطال الفرجة بالربوة ، بعد احتفال الناس بها قبل دخول رمضان . وفي هذه الأيام كبس شيخ الرافضة بسكيك ، وهجم على كبير الحشارية وقتله ، ثم هجم الحشارية على أهل سكيك وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا ، ونهبوا أقواتهم وأموالهم ، وسبوا حريمهم . وفي ثامن عشريه دخل إلى دمشق ، راجعا من مكة ، السيد علاء الدين ابن نقيب الاشراف . وفي ليلة الاثنين سلخه تهيأ

---

(١) معجم البلدان، ٣١٧/٤

الناس بدمشق لصوم الغد ، وعملوا الاقراص المشبك والبسيس وغير ذلك ، وعلقت القناديل المشعولة بعد المغرب ، خلا الجامع الأموي ، وقال المؤقتون : رؤية هلال رمضان حينئذ عسرة ، فإنه في جهة الجنوب ومكثه على ست درج ، فحضر القضاة بالجامع على العادة ، فلم يره أحد ، فأنكروا على من شعل القناديل كأهل جامع يلبغا ، فبلغهم ، فأطفوها ، ثم أتى رجل وشهد أن أول شعبان السبت ، وأنه رأى هلاله ليلة السبت ، وجاء آخر وشهد أنه رأى هلال رمضان بعد المغرب من هذه الليلة وزكى ، فحكم بقبول شهادته ، وأعيدت القناديل ، وأصبح الناس صياما بحمد الله تعالى . وفي بكرة يوم السبت سادس رمضان منها ، أحضرت محفة حمراء على جمال إلى عند مسجد الذبان ، وأركب فيها محمد بن الخواجا عيسى القارى وهو ضعيف ، ومعه أخوته ركاب على خيل متقلدي السيوف ، وذهب الجميع إلى مصر ، بسبب تركة أبيهم المتوفى قريبا . وفي يوم الأحد رابع عشره دخل المنفصل من كتابة السر بدمشق ، الزيني العباسي ، إلى دمشق من مصر . وفي بكرة يوم الاثنين خامس عشره دخل من مصر إلى دمشق خاصكي اسمه قنبك ، وهو شاب أشقر ، بخلعة بطراز ذهب طويل ، وتلقاه نائب الغيبة والقضاة ، وأتى على يديه مرسوم بمصادرة أهل الذمة ، ولا قوة إلا بالله . وفي يوم الأحد حادي عشريه رجع بإذن النائب جماعة من المشاة الذين ذهبوا من دمشق مع العسكر ، وأخبروا بأمور ، منها **أن الغلاء كان** مقيما معهم ، وبيع الرطل الخبز بنحو عشرين . وفي هذا الشهر صلى بالقرآن جماعة أولاد منهم ولد عيسى البلقاوي بالقبيبات ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٤ """"""""

وخربت بيوتهم ونهبت ، ودقت البشائر بذلك في دمشق . وفي يوم الأحد سابع عشرينه لبس قاضي الحنابلة نجم الدين بن مفلح خلعة العود ، بعد تولية ابن قدامة مكانه بمصر . وفي بكرة يوم الخميس سلخه ، وهو آخر حزيران ، خرج القلعيون بغير أمر ، لتلقي نائب القلعة ونقيبها الآتيين من مصر ، فورد مرسوم باستمرار النقيب المعزول ، فعوق الجديد بتربة تنم ليراجع السلطان ، فامتنع نائب القلعة لأجله من الدخول إلى دمشق ، ورجع القلعية ، ثم ورجع نائب القلعة ورجع القلعية وأدخلوه ، وبقي النقيب الجديد بالتربة . وفيه لبس القاضي شمس الدين بن يوسف الأندلسي المعزول ، قضاء المالكية ، وعزل شمس الدين الطولقي . وفي يوم الجمعة كان عيد أهل دمشق وهم في وجل من فصل الطاعون ، وقد مات جماعة ، فالله يلطف . وفي هذه الأيام وقع القاضي المالكي الجديد بابن أخي شعيب ، وضربه وأركبه حمارا مقلوبا ، وكشف رأسه وجرسه . وفي الاثنين حادي عشر شوال منها ، ورد خاصكي من مصر صحبته خلعة للنائب ، فلم

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٠٧

يخرج إليه لوجع رجله وضعفه ، فدخل والخلعة بين يديه مطوية على جنيب ، وشاع بين الناس أنه أتى على تركة ابن المزلق المقتول ، وعلى تركة ابن المعتمد ، وعلى كشف الأوقاف . وفي هذه الأيام هرب الشيخ محمد بن الحصني ليلة الثلاثاء إلى قرية الحنارة **من الوباء** ؛ ثم هرب السيد علاء الدين بن نقيب الأشراف على عادته إلى البر منه ، فضعف في قرية غرابة ، ثم اختار الانتقال إلى المزة شرقيها فمات بها ، ودفن جوار الشيخ علاء الدين البخاري ، فلم يغنه الحذر ، وكان عمره في عشر الأربعين ، كذا أخبر شهاب الدين بن بري . وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره سافر وفد الله إلى الحجاز ، وأميرهم دوادار السلطان بدمشق جان بلاط الذي أتى من حلب . وفي يوم السبت ثالث عشرينه توفي النائب وكان الوفد بالمزيريب ؛ وكان قد تولى جديدا عامر بن مقلد ، وولده ، وولد عدوه جانباي ، بقلعة دمشق ، كما أشار به النائب قبل وفاته ، فحصل بدمشق خبطة من زعرها على النقباء ومن استضعفوه ، فتصدى الحاجب الكبير تمربغا لهم ، وقتل جماعة وقطع أيدي آخرين ، فسكنوا ، ونادى بالأمان ، فاطمأن الناس ، وخرج وظهر عن شجاعة وخيولية ؛ أعانه الله على الخير . وفي يوم الأحد رابع عشرينه رجع بعض." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٦ """"""""

الداودار الكبير لما رجع من جفلته إلى غزة ، ثم إلى مصر ، فلما جفل الجفلة الثانية إلى الصعيد ، رجع هذا إلى دمشق على عادته ، وكان عاداه النائب المتوفى لكونه سافر لنصرة الداودار الكبير ، وأخذه له على ما قيل حاصلا شعيرا ، فشكاه إلى السلطان ، فلم يفده إلى طلب قطج وجماعته ، فأنعم عليهم إكراما للنائب أستاذهم ، فرجعوا بخلعة سنية للنائب ، فلم يصلوا دمشق حتى مات النائب ، فعادوا بها إلى مصر ، فاطمأن هذا الأمير يلباي ، وأتى إلى دمشق يومئذ . وفي يوم الجمعة ثالث عشره صلي غائبة ، عقيب صلاتها بالجامع الأموي ، على ثلاثة أنفس منهم المحدث العلامة شمس الدين السخاوي ، توفي بمكة ، وفي ليلة الاثنين سادس عشره شاع بدمشق أن المنجمين قالوا **إن الوباء يرتفع** حينئذ ، فرجع الشيخ محمد بن الحصني ، الذي قد كان هرب منه بولده وأهله إلى قرية الخيارة ، فتوعك ولده واسمه عبد الوهاب ، ثم توفي ليلة الخميس تاسع عشره عن نحو عشرين سنة ، ووضعوا الجثة في القبر طراحة . وفي يوم السبت حادي عشريه وردت الأخبار من مصر إلى دمشق ، بأن أبا البقاء بن الجيعان ، قصده رجل ملتف في برنس حال خروجه من الحمام ، وطعنه بسكين فقتله ، واتفق الناس أنه مسلط عليه ، وقال بعضهم سلطه كاتب السر ابن مزهر . وفي يوم الأحد ثاني عشريه رجع إلى دمشق دوادار النائب المتوفى قطج ، ومعه الوالي

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٤٤

المخصي وغيرهما ، ردهم الخاصكي الذي أتى على الحوطة على مال أستاذهم ، وهو الآن بائت على قبة يلبغا ، وقيل أنه من أقارب السلطان ، ثم دخل بكرة يوم الاثنين ثالث عشرينه وخرج لتلقيه نقيب القلعة ، والقضاة ، وجماعة النائب المتوفى . وأما نائب الغيبة الحاجب الكبير فلم يخرج ، لأن زوجته توفيت ، وخرج في رقبته خراج ، بل شيع بدمشق موته ، وكان على الحواط خلعة خضراء بطراز . وفي هذا اليوم طاشت الزعر وطغى الحرامية ، وعرى جماعة عند دخول الليل ، وكثر ظلم المحتسب . وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه ختم حضور الدرس بالشامية الكبيرة . وبعد ظهر يوم الخميس سادس عشريه ثار الشريرين ، غوغاء ميدان الحصى وغوغاء الشاغور ، بمحلة قبور." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٠ """"""""

ليسلم على الحواط ، فأمر بالترسيم عليه ، وأخبره بالمرسوم ، ثم أرسل طلب نقيبها أيضا ، فامتنع ، فأكد الطلب عليه ، فلما حضر قرأ عليهما المرسوم ، قامتثلا ، فرسم عليهما وأخرجهما من القلعة ، ووضع في القلعة نائب البيرة دولات باي ، قيل وطلب أيضا الأمير الكبير ليرسم عليه لكونه من جهة الدوادار ، وتحقق الناس أن أمر الدوادار آل أمره إلى الهوان به لقلة محبيه في جميع البلاد ، لكثرة ظلمه أيام حكمه . وفي ليلة السبت ثاني عشره ثارت زعر ميدان الحصى ، وزحفت على أهل الشاغور ، وكان الوقعة بمحلة مسجد الذبان ، وارتجف الناس فوق ما هم فيه من الخوف من الوباء ، وقلة الحكام ، وكثرة الظلم ، وقوة الأخبار المخوفة ، واستمر الهواش بينهم إلى قريب ثلث الليل ، ثم أصبحوا كذلك ، والبشائر التي تقدم ذكرها تدق ، ثم كثر الشر بينهم وزحف أهل الشاغور على السويقة المحروقة بالنشاب والهدم إلى قريب الظهر ، فجاءت خيل الترك الذين بدمشق ، كالحواط وأمير كبير ، فحالوا بينهم ، وبعد ثلاثة أيام صالحوا بينهم وسكن الشر بعض سكون . وفي هذه الأيام احتاج الناس إلى تتميم البوابات والتدريبات التي كان النائب المتوفى أمر برسمها ، فلما مات بطل الاهتمام بها ، والآن شرع الناس في إتمام أمرها ، سيما لما جاء الخبر بقتل أتابك العساكر المصرية تمراز ، وهروب نائب غزة قرقماس ، الذي كان حاجبا بدمشق ، إلى الرملة ، وأخذ نائب صفد برد بك ، الذي كان دوادار السلطان بدمشق ، قلعة صفد من نائبها بالحيلة ، ليتقوى بها على قتال الدوادار . واجتمع شيخ بلاد نابلس ابن إسماعيل عدو الدوادار ، وجميع العشير الطائع للسلطان ، على مكان يخرج منه الدوادار من غزة ليحصروه للقتال ، وقد اجتمع على الدوادار بغزة العصاة وقطعوا طريق مصر ، وكان أول دخوله غزة ضعيفا ، ولو ثبت نائبها كان ظفر به ، وكفى الناس شره

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٤٦

وتحدث الناس أنه على عدم ثباته وفيها رجع إلى بيته بدمشق حان بلاط ، الذي كان أمير الحاج بدمشق ، وهو مجروح ، ونم عليه أن كان حاملا صنجق الدوادار ، فطلب ورفع إلى القلعة . وفي يوم الجمعة ثامن عشره ورد مرسوم شريف على الحواط بالقبض على الخاصكي ، الذي كان أتى بالقلعة للنائب في حال ضعفه وأظهر أنه كاشف الأوقاف ، فمسك ورفع إلى القلعة . وفيه شاع أنه رسم بأن يبعث وراء أركماس نائب حماة ، والسواري نائب حمص ،." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦٨ """"""""

وصحبته أستادار السلطان ، وصحبتهما أخو كرتباي ، مدخلا حافلا . وفي يوم الثلاثاء عشريه قتل في الصالحية رجلان . وفي هذه الأيام رد القاضي شعيب من حماة إلى دمشق ، وأعاده القاضي الشافعي قاضيا . وفي يوم الأربعاء حادي عشريه وصل من طرابلس إلى المصطبة بغتة نائبها أركماس ، وصحبته أمراؤها ، والمنفيون بها ، بمرسوم شريف ، ليقيمون بدمشق إلى أن يأتيهم ما يعتمدون عليه . وفي بكرة يوم الخميس شاع بدمشق ، وتواترت الأخبار المحاصرة الدوادار آقبردي لأهل حلب ، وأنهم في مشقة شديدة منه **مع الغلاء** ، وأنه يخشى عليهم من تسليم حلب له . وفي بكرة يوم الجمعة ثالث عشريه دخل من صفد نائبها برد بك ، بمرسوم شريف ، وأراد أن ينزل بدار السعادة واصطبلها والقصر ، فلم يمكن ، فنزل في بيته . وفيه رجع قاضي الحنفية بدر الدين بن الفرفوري من كفرجون إلى دمشق . وفي بكرة يوم الأحد خامس عشريه دخل من مصر إلى دمشق نائب قلعتها الجديد آقباي ، وهو كان الحواط على تركة اليحياوي ، وأحد من قام في منع الدوادار آقبردي من دخول دمشق ، ثم سافر إلى مصر بعد هروب الدوادار ؛ وفي دخوله لبس أركماس خلعة أتت إليه بالاستمرار على نيابته بطرابلس ، فلبسها من قبة يلبغا مع دخول نائب القلعة المذكور ، إلى أن وصلا إلى دار السعادة ؛ فلم ينزل نائب طرابلس ووقف إلى أن لبس نائب القلعة خلعته من حضرة نائب الغيبة ، وهو حاجب الحجاب ابن سلطان شركس ، الذي أعيد إلى نيابة الغيبة ، بعدما منعه منها دوادار السلطن بدمشق جان بلاط ، بإتيان خلعة من مصر إلى الحاجب المذكور بها ، فجلس يومئذ بدار السعادة على عادة نواب الغيبة ، ثم خرج نائب القلعة بخلعته من دار السعادة ، والقضاة والأمراء معه ، ثم سار نائب طرابلس معهم إلى عند باب الفرج ، ففارقهم نائب طرابلس إلى بيته ، ودخل الجماعة مع نائب القلعة . ثم في هذه الساعة هرب محب الدين الأسلمي كاتب سر دمشق ، وعدا خلفه الزعر بإشارة الحاجب فلم يلحقوه ونجا بنفسه ، وكان قد عرس جديدا على بنت ابن المزلق البكر ، من نحو عشرة أيام

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٥٠

، ولم يقدر على أخذ وجهها . وفي بكرة بوم الخميس تاسع عشريه دخل مصر إلى دمشق قصروه نائب حلب الجديد ، عوضا عن جان بلاط ، الذي هو الآن بحلب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٢ """""""

وفي هذه الأيام رمى النائب مالا كثيرا على أهل الحارات ، من أول حوانيت بياعين لحم البقر ، وحمام الانسر ، خارج باب الجابية ، إلى زقاق المعاصرة ، وقناة البريدي ، إلى جامع الصابوني ، ثم إلى خان خلق ، ثم إل مزار سيدي ركب ، ثم من المنجكية ، قبلي مسجد الذبان ، غربي خان الجواميس عرضا ، إلى آخر محلة باب المصلى ، لأجل رجلين مراقي الدم شرعا قتلا قبل ولايته . وفي يوم الخميس ثالث عشريه أمر النائب برجلين أزعرين مجرمين قاتلين ، مع جماعة أخر ، كلهم من الصالحية ، قتلوا ابن الجاموس القباقبي من ايام ، ثم أتنوا إلى أبيه الذي توعدهم ، وهو على باب دكانه يبيع القباقيب بعمارة السلطان ، وبقية أولاده عنده ، فهرب من قاتلي ولده المذكورين ، فتبعوه بحضرة الجم الغفير من أهل السوق فدقوه بالسيوف ؛ فلم يزل النائب يتتبعهم إلى أن وقع بهذين دون رفاقهما ، فأمر بتخوزقهما في أدبارهما بخوازيق غلاظ في اليوم المذكور . وفي أواخر هذا الشهر قل اللحم والقمح ، وكان النائب قد أمر بإشهار المناداة ، أن من كان عنده قمح فليبعه ، وإلا نهب بعد ثلاثة أيام ، فمسك الناس أيديهم **وتوهموا الغلاء** ، ثم أرسل الله رحمته بالمطر ، فكثر إلى يوم الجمعة يوم العيد . ثم في صبحة السبت مستهل شوال منها ، سقط مطر وثلج ، وسعرها على حاله . وفيه نادى النائب بإبطال الخمارات ، وأن أهل الذمة لا يتجاهرون بالخمر ، وأنهم يحفرون لهم حفرا في حوانيتهم يجلسون فيها . وفي يوم الخميس سابعه أدير المحمل بدمشق ، على العادة . وفي بكرة يم الأحد عاشره سلم شيخنا محيي الدين النعيمي على دولتباي ، الدوادار للسلطان الجديد بدمشق ، ووعظه على عادته . وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره عرفت قطعة قماش مع رجل ، فسئل ، فقال : أهداها لي فلان ، فقبض ، فاعترف بأخذ شيء من الحرام ، فهدد ، فأقر على جماعات وسرقات كثيرة ، وأن كبيرهم رجل يدعى بالعطيمة الأقباعي ، يسكن عند البادرائية ، وهو متزوج ببعض جوار النائب ، ويمشي قدامه ، فأمر النائب بنشر القماش على حبال الخيام بحوش الاصطبل ، وأمر بإشهار المناداة بأن أيا ممن سرق له شيء وعرفه يقم من يشهد ويأخذ ، فعرف جماعات بعض قماشهم ، فسلمه له النائب . وفي يوم الخميس رابع عشره كان خميس البيض . وفيه ورد إلى دمشق من البلاد." (٢)

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٦٨

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٢٣٢

وفي يوم السبت ثاني عشره سافر الوفد الشريف إلى الحجاز ، وأميرهم أزدمر اليحياوي . وفي بكرة يوم الأربعاء سلخه نودي بدمشق ، من قبل جان بردي الغزالي ، الحاجب الكبير بدمشق ، ومن قبل نائب قلعتها طومان باي ، بأن ما لكم نائب إلا الأمير سيباي أمير سلاح بمصر ، الذي كان تولى نيابة دمشق ، ثم عزل وطرد ، ثم رضي عليه وطلب إلى مصر وولي أمرة السلاح ؛ وحين المناداة ظن الناس في النائب أركماس المعزول أنه مغضوب عليه من كثرة بغضهم له ، بل أشاع بعضهم أنه أخذ في زنجير إلى القلعة ؛ ثم نودي بالأمان ، وأن لا يحمل أحد سلاحا ؛ ثم تباشر الناس بالرخاء **بعد الغلاء** ؛ ثم بعد ثلاثة أيام أبيع الكيل القمح بأربعين ، ووجد اللحم بعد أن كان عزيزا . وفي يوم الأربعاء سابع ذي القعدة منها ، وردت الأخبار بأنه خلع على الأمير سيباي بنيابة الشام ، يوم الخميس سابع عشر شوال ، قبل وصول القود والزردخانة التي أرسلها النائب المعزول . وفي يوم الاثنين ثاني عشره دخل من مصر إلى دمشق الأمير أردبش متسلم دمشق لنائب الشام سيباي ، فتلقاه أرباب الوظائف على العادة ، وعليه خلعة بطراز خاص ، وأبى أن يحكم : إلا أن يخرج أركماس النائب المعزول من دمشق ، وإن لم يخرج وإلا دخلت إلى القلعة ، وأرسل أعرف أستاذي ، والمقام الشريف . فذهب إليه جماعة فترقق لهم في أن يصبر عليه مدة ، فأبى ذلك ، فذهب إليه وعرف بذلك ، فامتثل خوفا من الرمي عليه من القلعة ، وركب في الحال من بيته في جماعة يسيرة على جرائد الخيل ، ومر على دار السعادة في الشارع الأعظم ، والناس ينظرون إليه ، وقلوب غالبهم تلعنه ، ونزل قريب قبة يلبغا ؛ فلما علم المتسلم ذلك أمر بإشهار المنادات بالأمان ، وأن لا ظلم و لاعدوان ، وأن لا يحمل أحد من الزعر سلاحا ، ففرح الناس بذلك . وكان القياس أن يختفي أركماس في خروجه من دمشق قبل وصول المتسلم ، أو في يومئذ في طريق آخر ، والذي يظهر ذلك عنادا منه لأعدائه ، فإنه لم يصدق أن السلطان عزله ، أو أنه إذا وصلت زردخانته إليه يعيده ، وقيل عنه إنه مترقب ذلك ، وقد استخدم خدامة كثيرة . وفي ليلة الأحد ثالث ذي الحجة منها ، توفي رئيس المتعممين الأديب الصيداوي . وفي بكرة يوم عرفة اجتمع جماعات من القبيباي وغيرها ، وأتوا بأعلام ، وهم يذكرون الله ، إلى الجامع الأموي ، وصعدوا المئذنة ، وكبروا على المتسلم الغائب يومئذ كالحاجب ، عن دمشق ، وذلك لأجل الرميات والغرامات على الحارات من جهة القتلى ، وقصدهم أن يقابل ذوو." (١)

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٢٤١

""""""""" صفحة رقم ٣٠٠ """""""""

تنم ، وهو قريب من سن النائب وهيئته . وفي يوم الجمعة خامس عشره نصب الصنجق بالجامع الأموي على العادة ، إعلاما بالتهيؤ لأمر الحج في هذه السنة ، لا جتماع شروط السفر ، من ضبط مشائخ العرب بني لام ، والأمراء ، وابن ساعد ، ولكن قد **تعلق الغلاء في** غالب البلاد . وفي ليلة السبت سلخه خرج علاء الدين علي بن عبد اللطيف بن بطيبط الرملي ، صبي شهاب الدين الرملي ، إلى المدرسة النورية الكبيرة ، إلى عند الزيني الغزي ، ثم رجع على الرصيف فخرج عليه جماعة ، فضربوه بالسيوف وغيرها إلى أن تلف ، فهرب كبيره شهاب الدين الرملي إلى بيت المحب ناظر الجيش ليحميه ، فأتى إليه أردبش دوادار النائب وجماعته وأخذوه بإهانة إلى حبس باب البريد ، ونهب بيته ، حتى القمح والشعير ، وأشيع عنه أمور ؛ وكان علاء الدين المقتول قد استأذن النائب في السفر إلى مصر ، فأذن له ، فشرع في التأهب لذلك ، فخاف أعداؤه منه ، ووقع في هذه الليلة ما وقع ، واستمر شهاب الدين الرملي في حبس باب البريد إلى يوم موسم الحلاوة ، يوم الخميس ثاني عشر رجب منها ، فأفرج عنه . وفي يوم الأحد ثامن رجب المذكور ، توفي الرجل الذي يزعم أنه من ذرية سيدنا جعفر ، الشهير بالدفة العيبي كان ثم الفاخر السفار بالضيائية ، قبلي العادلية ، من صدمة دابة كان راكبها عند باب حبس باب البريد ، وجهز وصلي عليه بالجامع الأموي ، ودفن بالحميرية ، عن أخيه الشاهد بمركز باب السريجة ، وكان يكرهه ، وابنه فورثاه رغما عليه ، وعن زوجته ، أخت شمس الدين محمد بن حسن بن مختار الطواقي . وفي هذه الأيام ورد كتاب من المحيوي بن الكركية الحريري ، من مكة ، ذكر فيه وفاة جماعة منهم ابن غنائم من العنابة ، ومنهم شمس الدين الطواقي المذكور ، ثم تبين الكذب عنه ، وصح عن الأول ، وتاريخ الكتاب خامس ربيع الآخر منها . وفي يوم الثلاثاء سابع عشره عزل خشقدم الخازندار من الحسبة ، وأبقى له الخازاندارية . وفي يوم الاثنين سادس عشره أدير المحمل بدمشق . وفي يوم الأربعاء ثامن عشره سافر النائب إلى وادي التيم ، والقاضي الشافعي إلى الدورة على بلاده ، والمحب ناظر الجيش إلى الدورة إلى بلاده أيضا - وفي ليلة الأربعاء خامس عشريه ، وهو سادس تشرين الأول ، قريب نصف الليل ، وقع بدمشق بعض برق ومطر بل وجه الأرض ، وهو أول برق ومطر وقع في هذه السنة .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٠٦ """""""""

عند القاضي الشافعي بالبينة أن أول شعبان الجمعة ، فيكون أول رمضان الأحد لا الاثنين كما كان اعتقاد

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٣٠٠

الناس ؛ وهذا الذي ثبت موافق لقاعدة : أن رابع رجب يكون أول الصيام ، وقد كان اللحم الرطل بخمسة ونصف ، فبعد دخول رمضان نودي عليه بخمسة ، فزاد قلة ، ومثله الدبس والأرز . وفي هذه الأيام توفي أطفال كثيرة ، لا يكادون يضبطون ، وفيها جاءت امرأة وطالبت عبد الوهاب الأعرج ، أخانا ، برد حقها ، فسفه عليها ، فذهبت وأتت ببدوي من عرب اليسار ، فتماساكا ، ثم هرب ، فبلغ النائب ، فرمى على أهل المحلة مبلغ مائة وخمسين أشرفيا ، وحضر أستاداره ، وجماعة من عرب اليسار ، وشرعوا في استخلاص ذلك ، وثاني يوم حضر عبد الوهاب فلم يكلموه . وفي يوم الاثنين سادس عشر رمضان منها ، أتى من الهيجانة إلى دمشق ونواحيها ، أحمال جمال كثيرة من الملح ، بعضه كالبلاط ، وهو حلو ، وبعضه ناعم ، ظاهر المرارة ، من عين قدرها نحو فدان من الأرض ، كانت من زمن تمرلنك وبطلت وانقطع ماؤها ، وفي هذه الأيام ظهرت ، وأتى جلب اللبن الحمصي إلى دمشق أيضا ، عدة أحمال ، وبيع قنطاره بنحو الستمائة ، ورطله بخمسة ونصف ، وهو دليل على كثرة الخصب في هذه السنة . وفي بكرة يوم الاثنين ثامن شوال منها ، جاءت إلى النائب خلعة على يدي مملوكه ودواداره الثاني ، تمرباي ، الذي سافر لأمير قراجا ، الذي شفع النائب فيه ، وقبل السلطان شفاعته ، فلبس النائب الخلعة في هذا اليوم ، ودخل بها إلى دمشق على العادة ، بالقضاة ، خلا القاضي الحنبلي لأنه متوعك . وفي يوم الجمعة ثاني عشره قبض على شهاب الدين بن المؤيد ، الذي اشتهر بدلال أوقاف المدارس ، فكم من وقف أبطله ، بعدما ورد من السلطان المنع لجميع الأوقاف ، بمرسوم شريف . وفيه قبض على رفيقه نجم الدين بن الزهيري الحنفي ، فهرب ، ثم ضمن القاضي الشافعي للأول وأطلقه . وفي يوم السبت العشرين منه خرج الوفد إلى الحجاز ، وأميرهم الحاجب الكبير صنطباي . وفي يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة منها ، رجع سوقة المزيريب وأخبروا بالرخص . وفي يوم الخميس سادس عشره أمر النائب بإشهار التقى بصيام ثلاثة أيام ، والتوبة والخروج إلى الصحراء ، وزيارة المزارات ، **ليتقطع الوباء** ، فقال القاضي الشافعي : قد كثر الظلم فلو أبطلتموه." [1]

"""""""""" صفحة رقم ٣٨٧ """"""""

شيء على عادته ، ففرح الناس بذلك ، ولله الحمد ، ثم بلغ ذلك القاضي المذكور ، فقفل المحكمة ، وهي المدرسة الجوزية ، وتفرقت قضاتها والشهود . ثم في يوم الجمعة خامس عشره ركب القاضي إلى عند . . . أمر المحكمة على جاري عادتها ، فقال : أنا لم آمر بإبطالها ، وإنما أمرت بإطلاق الشهادة للشهود على جاري عادتهم ، ثم سأل القاضي للنائب في المناداة بأن . . . جاري عادتها ، فنودي بذلك ، وعادت

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٣٠٦

إليها القضاة وجماعتها من الشهود والمحضر والرسل ، واستقر أمرها وأمر البلد على أن من أراد إثبات ورقة يزن . . . وهو ستة وعشرون ، وفي زواج الكبر ستة ، وفي زواج الثيب أربعة ومن لا يثبت لا يسق عليه ، وإنما يرضى شهوده . وفي يوم الاثنين ثامن عشره توفيت ناظرة المدرسة العصرونية ، بكرة بنت القاضي ابن منعة ، وزوجة القاضي شمس الدين ابن الشيخ عيسى الفلوجي ، وحماة القاضي أبي اليمن بن الخيضري ، ودفنت بالروضة ، شرقي صفة الدعاء . وفي يوم السبت مستهل ذي الحجة منها ، سافر النائب من دمشق إلى البرية ، قاصدا عمارة البلاد ، إلى أن يأتي الحاج فيلاقيه . وفي يوم الجمعة سابعه ، عقب صلاتها بالجامع الأموي ، صلي غائبة عل الشيخ الإمام شهاب الدين العلماوي ، توفي بعلما ، ثم أنزل الله المطر فضلا منه ورحمة . وفي يوم الاثنين عيد الناس ، وهو ثالث عشر كانون الأول ، والناس في شدة **من الغلاء في** كل شيء ، فاللحم الرطل منه باثني عشر درهما ، والخبز بنحو الأربعة . وفي يوم الثلاثاء حادي عشره وصل من عند النائب الخبر بأن مرحلا وصل إليه من عند الحاج ، وأخبر بأن العرب آل دغيم وقفوا للحاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية ، وقصدوا أن يحيلوا بين الحاج وبين الأخيضر ، فتحاربوا هم وإياهم نهارا ، ثم انتصر الحاج عليهم ، وأخذوا منهم ثلاثة من أعيانهم ، وعدة من الخيل ، بسبب رماة البندق التي معهم ، ويقال عدتهم مائة ، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين ، فدقت البشائر لذلك بدمشق .." (١)

"الجوع و أما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج و القتل أو **وقوع الوباء و** سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن و الرطوبات الفاسدة و إذا فسد الهواء و هو غذاء الروح الحيواني و ملابسه دائما فيسري الفساد إلى مزاجه فإن كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة و هذه هي الطواعين و أمراضها مخصوصة بالرئة و إن كان الفساد دون القوي و الكثير فيكثر العفن و يتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة و تمرض الأبدان و تهلك سبب كثرة العفن و الرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران و وفوره آخر الدولة لما كان في أوائلها من حسن الملكة و رفقها و قلة المغرم و هو ظاهر و لهذا تبين في موضعه من الحكمة أن تخلل الخلاء و القفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد و العفن بمخالطة الحيوانات و يأتي بالهواء الصحيح و لهذا أيضا فإن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٣٨٧

غيرها بكثير كمصر بالمشرق و فاس بالمغرب و الله يقدر ما يشاء.

الفصل الثاني والخمسون في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره." (١)

"برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة و يسمى الرابع و برج السرطان هو طالع العالم و فيه و بال زحل و هبوط المريخ فتعظم دلالة هذا القران في الفتن و الحروب و سفك الدماء و ظهور الخوارج و حركة العساكر و عصيان الجند **و الوباء و** القحط و يدوم ذلك أو ينتهي على قدر السعادة و النحوسة في وقت قرانهما على قدر تيسير الدليل فيه. قال جراس بن أحمد الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك و رجوع المريخ إلى العرب له أثر عظيم في الملة الإسلامية لأنه كان دليلها فالمولد النبوي كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هنالك حدث التشويش على الخلفاء و كثر المرض في أهل العلم و الدين و نقصت أحوالهم و ربما انهدم بعض بيوت العبادة و قد يقال أنه كان عند قتل علي رضي الله عنه و مروان من بني أمية و المتوكل من بني العباس فإذا روعيت هذه الأحكام مع أحكام القرانات كانت في غاية الإحكام و ذكر شاذان البلخي: أن الملة تنتهي إلى ثلاثمائة و عشرين. و قد ظهر كذب هذا القول. و قال أبو معشر: يظهر بعد المائة و الخمسين منها اختلاف كثير و لم يصح ذلك. و قال خراشى: رأيت في كتب القدماء أن المنجمين أخبروا كسرى عن ملك العرب و ظهور النبؤة فيهم. و أن دليلهم الزهرة و كانت في شرفها فيبقى الملك فيهم أربعين سنة و قال أبو معشر في كتاب القرانات القسمة إذا انتهت إلى السابعة و العشرين من الحوت فيها شرف الزهرة و وقع القران مع ذلك ببرج العقرب و هو دليل الرب ظهرت حينئذ دولة العرب و كان منهم نبي و يكون قوة ملكه و مدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة و هي إحدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت و مدة ذلك ستمائة و عشر سنين و كان ظهور أبي مسلم عند انتقال الزهرة و وقوع القسمة أول الحمل و صاحب الجد المشتري. و قال يعقوب بن إسحاق الكندي أن مدة الملة تنتهي إلى ستمائة و ثلاثا و تسعين سنة. قال: لأن الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان و عشرين درجة و ثلاثين دقيقة من." (٢)

"إعلم أن المدن قرار يتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف و دواعيه فتؤثر الدعة و السكون و تتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار و لما كان ذلك القرار و المأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها و جلب المنافع و تسهيل المرافق لها فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٤١١/١

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٤٥٥/١

على منازلها جميعا سياج الأسوار و أن يكون وضع ذلك في تمنع من الأمكنة إما على هضبة متوعرة من الجبل و إما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو و يتضاعف امتناعها و حصنها. و مما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض. فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة و هذا مشاهد. و المدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب. و قد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بأفريقية فلا يكاد ساكنها أو طارقها يخلص من حمى العفن بوجه. و لقد يقال أن ذلك حادث فيها و لم تكن كذلك من قبل و نقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه أناء من نحاس مختوم بالرصاص. فلما فض ختامه صعد منه دخان إلى الجو و انقطع. و كان ذلك مبدأ أمراض الحميات فيه و أراد بذلك أن الإناء كان مشتملا على بعض أعمال الطلمسات لوبائه و أنه ذهب سره بذهابه فرجع إليها العغن و الوباء و هذه الحكاية من مذاهب العامة و مباحثهم الركيكة و البكري لم يكن من نباهة العلم و استنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يتبين خرفه فنقله كما سمعه. و الذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهيئها لتعفين الأجسام و أمراض الحميات ركودها. فإذا تخللتها الريح و تفشت و ذهبت بها يمينا و شمالا خف شأن العفن و المرض البادي منها للحيوانات. و." (١)

"إعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري و هي الأقوات من الحنطة و ما معناها كالباقلاء و البصل و الثوم و أشباهه و منها الحاجي والكمالي مثل الأدم و الفواكه و الملابس و الماعون و المراكب و سائر المصانع والمباني فإذا استبحر المصر و كثر ساكنة رخصت أسعار الضروري من القوت و ما في معناه و غلت أ سعار الكمالي من الأديم و الفواكه و ما يتبعها و إذا قل ساكن المصر و ضعف عمرانه كان الأمر بالعكس من ذلك. و السبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها إذ كل أحد لا يهمل قوت نفسه و لا قوت منزله لشهر أو سنته فيعم اتخاذها أهل المصر أجمع أو الأكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك. و كل متخذ لقوته فتفضل عنه و عن أهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثيرين من أهل ذلك المصر فتفضل القتوات عن أهل المصر من غير شك فترخص أسعارها في الغالب إلا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية و لولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن و لا عوض لكثرتها بكثرة العمران. و أما سائر المرافق

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ١/٤٧٠

من الأدم و الفواكه و ما إليها لا تعم بها البلوى و لا يستغرق اتخاذها أعمال أهل المصر أجمعين و لا الكثير منهم ثم أن المصر إذا كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق و الاستكثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها على الحاجات قصورا بالغا و يكثر المستامون لها و هي قليلة في نفسها فتزدحم أهل الأغراض و يبذل أهل الرفه و الترف أثمانها بإسراف **في الغلاء لحاجتهم** إليها أكثر من غيرهم فيقع **فيها الغلاء كما** تراه. و أما الصنائع و الأعمال أيضا في الأمصار الموفورة العمران **فسبب الغلاء فيها** أمور ثلاثة: الأول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه، و الثاني اعتزاز أهل الأعمال لخدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها،." (١)

"الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين. و لهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة و أقواتهم و علوفاتهم من الزرع. و إنما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه. و لما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم و طيب أرضهم ارتفعت عنهم الهون جملة في الفلح مع كثرته و عمومته فصار ذلك سببا لرخص الأقوات ببلدهم و الله مقدر الليل والنهار و هو الواحد القهار لا رب سواه.

الفصل الثالث عشر في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه و تكثر حاجات ساكنه من أجل الترف. و تعتاد تلك الحاجات لما يدعو إليها فتنقلب ضرورات و تصير فيه الأعمال كلها مع ذلك عزيزة و المرافق غالية بازدحام الأعراض عليها من أجل الترف و بالمغارم السلطانية التي توضع على الأسواق والبياعات و تعتبر في قيم المبيعات و يعظهم **فيها الغلاء في** المرافق و أن أوقات والأعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة على نسبة عمرانه. و يعظم خرجه فيحتاج حينئذ إلى المال الكثير للنفقة على نفسه و عياله في ضرورات عيشهم و سائر مؤونتهم. والبدوي لم يكن دخله كثيرا ساكنا بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأهل كسبا و لا مالا فيتعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه و عزة حاجاته. و هو في بدوه يسد حاجته بأقل الأعمال لأنه قليل عوائد الترف في معاشه و سائر مؤونته فلا يضطر إلى المال و كل من يتشوف إلى المصر و سكناه من البادية فسريعا ما يظهر عجزه و يفتضح في استيطانه إلا من يقدم منهم تأثل المال و يحصل له منه فوق الحاجة و يجري إلى الغاية الطبيعية

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٤٩١/١

لأهل العمران من الدعة و الترف فحينئذ ينتقل إلى المصر و ينتظم حالة مع أحوال أهله في عوائدهم و ترفهم. و هكذا شأن بداءة عمران الأمصار. و الله بكل شيء محيط.." (١)

"و ذلك لأنه أصيل في الطبيعة و بسيط في منحاه و لذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب و لا من المترفين. و يختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه و سلم و قد رأى السكة ببعض دور الأنصار: ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل، و حمله البخاري على الاستكثار منه. و ترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به. و السبب فيه و الله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم و اليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا بما تتناوله أيدي القهر و الاستطالة. قال صلى الله عليه و سلم: لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما، إشارة إلى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط و الجور و نسيان حقوق الله تعالى في المتمولات و اعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك و الدول. و الله قادر على ما يشاء. و الله سبحانه و تعالى أعلم و به التوفيق.

الفصل التاسع في معنى الـتجارة و مذاهبها و أصنافها

اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص و بيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش. و ذلك القدر النامي يسمى ربحا. فالمحاول لذلك الربح إما أن يختزن السلعة و يتحين بها حوالة الأسواق من الرخص **إلى الغلاء فيعظم** ربحه و إما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه. و لذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين: اشتراء الرخيص و بيع الغالي. فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه. و الله سبحانه و تعالى أعلم و به التوفيق لا رب سواه.

الفصل العاشر في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة و أيهم ينبغي له اجتناب حرفها." (٢)

"و مما اشتهر عند قوي البصر و التجربة في الأمصار أن احتكار الزرع لتحين **أوقات الغلاء مشؤم**. و أنه يعود على فائدته بالتلف و الخسران. و سببه و الله أعلم أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به و في تعلق النفوس بما لها سر كبير في وباله على من يأخذه مجانا و فعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل و هذا و إن لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لإعطائه ضرورة من غير سمين في العذر فهو كالمكره و ما عدا الأقوات و المأكولات

---

(١) مقدمة ا بن خلدون، ٤٩٣/١

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٣١/٢

من المبيعات لا اضطرار للناس إليها و إنما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار و حرص. و لا يبقى لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من أموالهم فيفسد ربحه. و الله تعالى أعلم. و سمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب. أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأبلي قال: حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد و هو الفقيه أبو الحسن المليلي و قد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب المخزنية لجرايته قال فأطرق مليا ثم قال: من مكس الخمر. فاستضحك الحاضرون من أصحابه و عجبوا و سألوه عن حكمة ذلك. فقال: إذا كانت الجبايات كلها حراما فأختار منها مالا تتابعه نفس معطيه و الخمر قل أن يبذل فيها أحد ماله إلا و هو طرب مسرور بوجوداته غير أسف عليه و لا متعلقة به نفسه و هذه ملاحظة غريبة و الله سبحانه و تعالى يعلم ما تكن الصدور.

الفصل الرابع عشر في أن رخص الأسعار مضر بالمحترفين بالرخص." (١)

"و ذلك أن الكسب و المعاش كما قدمناه إنما هو بالصنائع أو التجارة. و التجارة هي شراء البضائع و السلع و ادخارها. يتحين بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها و يسمى ربحا. و يحصل منه الكسب و المعاش للمحترفين بالتجارة دائما فإذا استديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو متمول على الجملة و لم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فسد الربح و النماء بطول تلك المدة و كسدت سوق ذلك الصنف و لم يحصل التاجر إلا على العناء فقعد التجار عن السعي فيها و فسدت رؤوس أموالهم. و اعتبر ذلك أولا بالزرع فإنه إذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره من الفلح و الزراعة لقلة الربح فيه و ندارته أو فقده. فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة و يعودون بالإنفاق على رؤوس أموالهم و تفسد أحوالهم و بصيرون إلى الفقر و الخصاصة. و يتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضا بالطحن و الخبز و سائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث إلى صيرورته مأكولا. و كذا يفسد حال الجند إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلح زرعا فإنها تقل جبايتهم من ذلك و يعجزون عن إقامة الجندية التي هي بسببها و مطالبون بها و منقطعون لها فتفسد أحوالهم و كذا إذا استديم الرخص في السكر أو العسل فسد جميع ما يتعلق به و قعد المحترفون عن التجارة فيه و كذا حال الملبوسات إذا استديم فيها الرخص أيضا فإذا الرخص المفرط يجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص و **كذا الغلاء المفرط** أيضا. و إنما معاش الناس و كسبهم في التوسط من ذلك و سرعة حوالة الأسواق و علم ذلك يرجع إلى العوائد المتقررة

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٥/٢

بين أهل العمران. و إنما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه و اضطرار الناس إلى الأقوات من بين الغني و الفقير. و العالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيعم الرفق بذلك و يرجح جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين و الله." (١)

" سمع من جده القاضى أبي نصر والسخاوى وجماعة وبمصر ٣٧ ظ من العلم ابن الصابونى وابن قميرة وأجاز له أبو عبد الله بن الزبيدى والحسن بن السيد وقاضى حلب ابن شداد وخلق وله مشيخة وعوال وروى الكثير وكان ساكنا وقورا منقبضا عن الناس له كفاية وكبر سنة وأكثر ولم يختلط سنة أربع وعشرين وسبعمائة

كان الغلاء بالشام وبلغت الغرارة أزيد من مائتى درهم أياما ثم جلب القمح من مصر بإلزام السلطان لأمرائه فنزل إلى مائة وعشرين درهما ثم بقى أشهرا ونزل السعر بعد شدة

وأسقط مكس الأقوات بالشام بكتاب سلطانى وكان على الغرارة ثلاثة ونصف

وعزل الزرعى عن القضاء بالقزوينى بعد أن ألح الدولة على الشيخ برهان الدين الفزارى فامتنع وصمم

." (٢)

"مائة من الابل، وربما أمهرت الواحدة منهن ألفا منها، فصارت مهور كندة مثلا في الغلاء.

عبادتهم: كانوا يعبدون صنما بحضرموت يدعى الجلسد وكانت سندته بني شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور، ثم إلى أهل بيت منهم، يقال لهم: بنو علاق.

وانتشرت اليهودية فيهم.

(الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٨.

تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٥٧.

الاغاني للاصفهاني طبعة دار الكتب ج ٩ ص ٨٥ ج ١١ ص ٤٨، ٤٩، ١٣٣، ١٤٨.

تاج العروس للزبيدي ج ١ ص ٤٣ ج ٢ ص ٤٨٧.

تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ صبح الاعشى للقلقشندي ج ١ ص ٣٢٨ العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٨٠.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٦/٢

(٢) من ذيول العبر، ١٣٢/٦

لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٣٨٦.

مجمع الامثال للميداني ج ٢ ص ٢٦٩.

ثمار القلوب للثعالبي ص ٩٥ نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ١٦٤ - ١.

معجم ما استعجم للبكري ج ٢ ص ٤٨٦.

تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٠، ٢٧١ ج ٤ ص ١١٨، ١٩٢ ج ٦ ص ٨٣، ١٤٦، ١٥٦، ٢٠٧، ٢٦٩ ج ٧ ص ٢٦، ٣٠، ٤٣، 311، ١٣٩، ١٨٩، ٢٣٨، ٢٤٠ ج ٨ ص ٢٧٣ معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ١٠٠ ج ٣ ص ٤٢٠

ج ٤ ص ٢٧٣.

.٣٠٩

صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٨٨.

تاريخ اليعقوبي.

طبقات ابن صاعد ص ٤٣.

قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ٢٣٤، ٢٣٥.

شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٠ - ٣٢.

سيرة ابن هشام على هامش الروض الانف ج ٢ ص ٣٤٥ زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٣٤.

منتخبات في أخبار اليمن ص ٩٤.

نهاية الارب للنويري ج ٢ ص ٣٠٣) (١٠٧٧.

p 2) Encyclopedie de I ' Islam tome الكندوش: احدى الفرق التي تتألف منها الموالي احدى عشائر محافظة حماة.

وتعد ٥٠ خيمة.

(عشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص ١٥٥) (٧٦.

nomades des etats du levant p -) les tribus nomades et semi الكنز: بطن يعرف بأولاد الكنز، من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

كانوا ينزلون اليمامة، وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله سنة ٢٤٠ تقريبا، في عدد كثير، وانتشروا في النواحي ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد، وسكنوا

بيوت الشعر في براريها الجنوبية، وأوديتها.

وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها، فقامت ربيعة في منعهم من ذلك، حتى كفوهم، ثم تزوجوا منهم، فكثرت." (١)

"غشوم ظالم، وظلوم غاشم، خليفة الحجاج في أفعاله، وناهج منهجه في أقواله وأحواله، محتو على الفساد، منطو على الإنكاد، مجبول على الغلظة والقساوة، مجعول من الفظاظة معدوم من اللطافة والطلاوة، ممتلىء منه البذا، متضلع من الأذى، لم يخلق الله تعالى في قلبه شيئا من الرحمة فينتزع، ولم يودع الله لسانه لفظا من الخير فيستمع، سفاك لدماء المسلمين، نباذ لطاعة أمير المؤمنين، كان يعتقد أن ذلك ليس أمرا ذميما، ولا يهوله قوله تعالى: " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما " . فإن هذا المترجم لما اشتد أزره، وقوي أمره، تولى قيادة العساكر المصرية، وصارت له الإمرة الجندية، ثم بعد ذلك وجهه والده إلى الأراضي الشامية، ليضمها إلى الحكومة المصرية، فلم يزل يسير بعساكره، متقلدا لسيف طغيانه ومناكره، حتى حل حي عكة، وكان الوالي بها عبد الله باشا من طرف الدولة العثمانية فدكها دكة أي دكة، وسبب ذلك أن عبد الله باشا وقعت بينه وبين محمد علي باشا عداوة كلية، بسبب أنه خابره بتسليمه بلاد الشام فلم يجبه إلى هذه الأمنية، وكانت وقعة الشام مع سليم باشا آنفة الوقوع، والأفكار تحكم بأن الجزاء مقطوع به لا ممنوع، فلما سمع السلطان بعداوة عبد الله باشا مع محمد علي باشا أشفق من اتحاد الشام مع الخديوي المرقوم، فأرسل للعفو عن الشام أجل مرسوم، ووجه واليا يسمى علي باشا إلى الشام، لمداركة الأمر بغاية الاهتمام، فأرسل محمد علي باشا إلى السلطان شكاية على عبد الله باشا تطعن بعظيم شانه لعله يعزله ويجعله في مكانه، فيصل إلى مطلوبه، ويحصل من غير ضرر على مرغوبه، غير أن السلطان لم يجبه إلى مراده، ولم يوصله إلى ما تأمله في اجتهاده، فجمع إبراهيم باشا الجموع الكثيرة، وتغلب على غالب البلاد الشامية الشهيرة التي تحت ولاية عبد الله باشا كغزة والرملة والقدس والخليل ونابلس وبلاد الساحل، وحصن قلعة طرابلس وساعده أمير جبل الدروز الأمير بشير ورؤساء جبل نابلس، لكون عبد الله باشا في العام الماضي حاصر قلعة سينور وهدمها وحصل منه ضرر لأهل نابلس وكان ذلك من **أسباب الغلاء الذي** وقع في البلاد الشامية، فأرسل حضرة السلطان إلى والي مصر يأمره برفع عساكره عن عكا، فامتنع، فأمر السلطان بجمع العساكر العثمانية وأمر والي حلب بالتوجه إلى مساعدة عبد الله باشا، واستمر العسكر المصري يضارب عكة بحرب لم يسمع بمثله، وقد ورد كتاب من والي عكة

---

(١) معجم قبائل العرب، ٣/١٠٠٠

إلى بعض أعيان دمشق يقول فيه: إن نارهم بالمدافع والقنابر لا تفتر دقيقة واحدة وإنهم يضربون اثنين وعشرين مدفعا بفتيل واحد، وإنهم في سادس شوال اقتحموا على عكة ودخلوا من الجهات التي خربوها من السور فخرج إليهم عسكر عكة وضاربوهم بالسيوف ومن فوق السور بالمدافع والقنابر حتى أهلكوا غالب من اقتحم وامتلأ وجه الأرض من قتلاهم فانهزموا خائبين؛ وبسبب هذه الفتنة تعطلت الأموال الأميرية المعينة على نابلس وطرابلس وتلك الجهات لأجل ركب الحاج الشريف، فورد الأمر السلطاني في خامس عشر شوال بأن لا يخرج الحاج في ذلك العام وأمر والي الشام بأن يتوافق مع أهل البلد ويحافظ الشام، وفي ثالث وعشرين من شوال سافرت الصرة وأعيان الحج الموظفون إلى الاستانة، وجاء في هذا الشهر عباس باشا بن محمد علي باشا إلى أرض البقاع العزيز وحصن بعض القلاع هناك ليقطع الطريق على العساكر العثمانية الواردة لقتالهم، وافترق أهل جبل الدروز وتلك النواحي فرقتين فالنصارى منهم تابعوا الأمير بشير المتوافق مع إبراهيم باشا، وخالفهم الدروز وأظهروا الإطاعة للسلطان، وفي ذي القعدة توجه عثمان باشا الذي ولاه السلطان على طرابلس الشام بكل همة وجمع هناك عساكر كثيرة وحاصر طرابلس، فوصل الخبر إلى إبراهيم باشا فتوجه من عكة بجمع من عساكره المحاصرين عكة إلى طرابلس، فلما سمع به عثمان باشا خرج من طرابلس الشام لاقتضاء المقام ذلك، وتفرقت جموعه، ثم بعد ايام توجه إبراهيم باشا إلى حمص فدخلها في حادي وعشرين من ذي القعدة بلا قتال، وكان في حماه جمع من العساكر العثمانية ومعهم ثلاثة من الباشوات القواد، فلما سمعوا بوصول العسكر المصري إلى حمص ساروا إليهم، فخرج إبراهيم باشا من حمص ولحقه بعض العساكر العثمانية خارج حمص عند البحيرة، فرشقهم بالمدافع فرجعوا." (١)

"إن السماء إذا لم تبك مقلتها ... لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

وأنا الذي أقتل العجوز، وأذهب حرارة آب وتموز، وقد أفتاني الأفاضل، أن من دخل علي من باب المفاخرة أنه لا يجوز، فكيف ينكر فضلي من دب أو درج، وأنا البحر فرعي وفي المثل حدث ولا حرج، وأما أنت أيها الهواء فكم ذهبت فيك نصائح النصاح، كما قال ابن هرمة: وبعض القول يذهب في الرياح ولعمري أنه لا يفي قبولك بدبورك، ولا تقوم جنتك بسعيرك، ولطالما أهلكت أمما بسمومك وزمهريرك، فكم تواتر عنك حديث تشمئز منه النفس وتمجه الأذن، وحسبك من العناد أنك تجري بما لا تشتهي السفن، وأنت المولع برقص الجواري كفعل الفساق، وأنت الذي تهيج التراب وتغري النار بالإحراق، كما قال فيك ابن الرومي:

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/ ٨

لا تطفين جوى بيوم إنه ... كالريح يغري النار بالإحراق

ومن عيوبك أنك لا تسكن ولا يقر لك قرار، ولم تفهم الإشارة في قوله تعالى " وله ما سكن في الليل وار نهار " ، وقد ضربت للعرب بعدم استقامتك الأمثال، كما نقله عنهم أصحاب القصص فمن ذلك قولهم:

إن ابن آوى لشديد المقتنص ... وهو إذا ما صيد ريح في قفص

وأما قولك لولاي لما عاش إنسان، ولا بقي على أرض حيوان، فجوابه لو شاء الله لعاش العالم بلا هواء، كما عاش عالم الماء في الماء، ولم لا قلت أن غالب هلاك كل ذي روح من الوباء، وأنه لولا الرطوبة التي اكتسبتها أنت مني بالمجاورة، لاحترقت أنت فضلا عن العالم لمجاورتك لطبيعة النار الحارة، فعلم بهذا أن حرارتك عرضية، لا أنها فيك طبيعية، ولو شئت لافتخرت عليك بالحرارة التي تعرض لي من النار والارتماض، ولكن لا يليق بالعاقل أن يفتخر بالإعراض، لأن العرض لا يبقى زمانين، كما برهن على أنه لا ينتقل إلى مكانين، وما الافتخار بشيء سريع الزوال، أو بعرض ليس لطبيعة الشخص عليه انجبال، قال الشاعر:

واحق من نكسته ... بالذل من درجاته

من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته

ولذلك قيل:

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وأما قولك إن طبيعتي الرطوبة فذلك أعظم فخري، لأن الرطوبة مادة الحياة التي في الأجسام تسري، إذ الحرارة بمنزلة النار في الأبدان، والرطوبة لها بمنزلة الأدهان، فإذا خلص الدهن انطفأ السراج، وزال ما فيه من النور الوهاج، وأما تعييرك لي بأني متلون، فالتلون صفة عارف الزمان، المتخلق بقوله تعالى "كل يوم هو في شأن " ، وأما قولك قلبي قد انقلب، فالحمد لله الذي قلبه لأعلى الرتب، لأنه كان آخر الحروف فصار أولها، وكان مفضولها فصار أفضلها، إذ الألف تدل على الذات الأحدية، والباء تشير للحقيقة المحمدية، فكل الأحرف من الباء، والباء إذا فنيت صورتها، وتعينها ونقطتها، كانت عين الألف بلا مراء، وأما قولك إن في حرف علة، وإنني منسوب بوجوده في إلى الذلة، فلا يليق أن تعيبني في شيء أوجد الله فيك مثله، وهب أنك خلوت منه فهل تخلو من قول الأطباء فيك أنك أساس كل علة. وأما قولك إن الله شبه بي الدنيا فقد شبه فيك أفئدة الكفار، وجعل زمهريرك سعيرا في النار، فأنت المذموم مقصورا وممدودا، إن مددت كنت جبارا عنيدا، وإن قصرت كنت إلها معبودا، وأنا الذي لا أتغير بالمد ولا بالجزر، وكيف

يتغير من هو مادة البحر، وأما افتخارك برفعة المنازل، وعدك ذلك من أعظم الفضائل، فلا فضيلة للشخص بالمكان ولا بالزمان كما قال الشاعر الملسان:

ولو كان المكان له علو ... لطار الجيش وانحط القتام

وقال الطغرائي:

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل." [١]

"القدر، مما هو عبرة لمن اعتبر. فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ما وراءه، إذ **دهمه الوباء الطاعوني** داخل بغداد الذي أفنى أكثر أهلها، حتى قيل إنه كان يموت في كل يوم أكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد. مما هو عبرة لمن اعتبر. فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ما وراءه، إذ **دهمه الوباء الطاعوني** داخل بغداد الذي أفنى أكثر أهلها، حتى قيل إنه كان يموت في كل يوم أكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد.

وأما جيش علي باشا اللاظ فإنه بتقدير الله تعالى لم يصبه شيء من ذلك الطاعون، وذلك تقدير العزيز العليم، وانقلب الفرح حزنا، واشتغل الصراخ في كل بيت من بيوت أهل بغداد إلا ما ندر. وقيل إن الذي مات بهذا الطاعون من أولاد داود باشا لصلبه أكثر من عشرة أولاد الذين يركبون الخيل، فانكسرت شوكته، وانحلت قوته، وداخله الهم، ولازمه الغم، وانحل عضده وانفل جيشه، البعض بالموت والبعض بالهرب والفرار، إلى البوادي والقفار، وذلك سنة ألف ومائتين وسبع وأربعين، فلما طلب علي باشا اللاظ المحاربة معه لم يسعه إلا المصالحة، على أنه يسلم إلى علي باشا بغداد بما فيها، وداود باشا يرتحل إلى الآستانة ويستقيم بها، فسافر داود باشا إلى الآستانة واستقام بها إلى سنة ستين ومائتين وألف، وكان معظما عند السلطان محمود، ثم عند ابنه السلطان عبد المجيد ورجال دولته لكبر سنه ولطول زمانه في الوزارة مع كمال عقله، ووفور رأيه، حتى إن كسوته الرسمية يوم العيد مكتوب على صدرها شيخ الوزراء بالطراز الملوكاني المذهب، لأن هذا كان لقبه خاصة، ثم إن السلطان عبد المجيد أرسله سنة ستين ومائتين وألف شيخا على الحرم النبوي، فاشتغل هناك في العبادة، وتفرغ لها فوق العادة، وكان مرجع الخاص والعام، فيما يشكل على العلماء الأعلام، وقرأ بها للطلبة كثيرا من الكتب والفنون النادرة، وانتفع به العموم فيما يتعلق بدنياهم والآخرة. وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف ذهبت مع والدي إلى الحجاز الشريف، فاجتمعت مع والدي به في

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/١٠٦

المدينة الشريفة، وكان رجلا كبيرا مهابا عليه سيما الفضل والصلاح، وله خضوع وذل وسكينة وتواضع. وكان يمضي بينه وبين والدي الوقت الطويل في المذاكرة، وقد تبركت به وبدعواته. وفي ليلة عاشوراء حين قراءة المولد النبوي الشريف بين العشائين أمرني والدي بقراءة عشر من القرآن، وكان المسجد قد غص بأهله، وكان قد حضره كذلك المترجم المذكور، وكان جلوسه بجانب والدي في الجهة الشمالية من الحرم الشريف متوجهين إلى القبلة، فغب قراءة العشر وإتمام المولد قبلت يده، فدعا لي وبش في وجهي وأظهر لي الالتفات والمحبة، وكان قد أخبر أن مراده أن يفتح مدرسة بأمر الدولة في المدينة للإفادة والاستفادة في سائر العلوم والفنون، ولكن اخترمته المنية قبل تمكنه من ذلك في تلك السنة، وهي سنة سبع وستين ومائتين وألف، ودفن في البقيع الشريف تجاه قبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمر أن لا يبنى عليه تابوت ولا قبة اتباعا للسنة، فجعلوا له شباكا من الحديد حول قبره. ومن آثاره بالمدينة البستان المعروف بالداودية خارج المدينة، بقرب سيدنا محمد الزكي عند منهل العين الزرقاء. ولما أتم بناءه وغرسه أرخه شاعر العراق بالاتفاق الشيخ صالح التميمي بقصيدة، وجعل آخرها تاريخا، وهو قوله: تاريخه غرسه فأعجب داود باشا وأعطاه جائزة ألف ريال، كانت هكذا سماحته وقد مدحه الشاعر اللبيب، والناثر الأديب السيد عبد الباقي العمري، بمدحية غريبة، وقصيدة عجيبة، ملتزما بها لفظه الخال باختلاف معانيها فقال:

إلى الروم أصبو كلما أومض الخال ... فأسكب دمعا دون تسكابه الخال

وعن مدح داود وطيب ثنائه ... فلا الرقد يثنيني ولا الخد والخال

مشير إلى العليا أشار فطأطأت ... وأصبح مندكا لهيبته الخال

مناصبها انقادت لأعتاب بابه ... كما انقاد مرتاحا إلى العطن الخال

وقد نالها إذ أوتي الحكم حكمة ... إلهية فصل الخطاب لها خال." (١)

"مات شهيدا في الوباء العام الواقع سنة ألف ومائتين وست وأربعين الذي مات فيه خلائق لا يحصون عددا من الحجاج، حيث انتهى الأمر إلى العجز عن دفن الأموات، وخلت في تلك السنة بيوت كثيرة في جدة ومكة من أهاليها بحيث لم يبق فيها أحد، وتركت أموال عظيمة لا يدري من يستحقها من الورثة، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة فكان يموت كل يوم أكثر من ألف، وخلا كثير من القرى بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال، ولا يزال ينتقل هذا الوباء في النواحي والأقطار، والقرى والأمصار، حتى عم البلاد الشامية والمصرية، والتركية والعربية، وكان تاريخ هذا العام لنهلكن الظالمين، ومن الذي لم يظلم

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٢٨٠/١

نفسه، نسأل الله العفو والعافية والسلامة الوافرة السامية، ودفن ذلك المترجم في مكة في مقبرة المعلى رحمه الله تعالى آمين.

الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي رحمه الله تعالى

قد انكب على العلم واجتهد، حتى تميز بين العلماء وانفرد، واقد ترجمه العلامة الشوكاني بقوله: شيخنا المسند الحافظ، ولد تقريبا عام ألف ومائة وأربعة عشر ونشأ بزبيد، وأخذ عن علمائها، ومنهم والده، وبرع في العلوم دراية ورواية إلى أن صار حامل لواء الإسناد في آخر أيامه، ووفد إلى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وسبع، وسمع منه العدد الكثير والجم الغفير. وقد رووا عنه أسانيد الحافظ الشيخ إبراهيم الكردي، وهو يرويها عن أبيه عن جده علاء الدين، عن الشيخ إبراهيم. مات رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة، وكان رحمه الله تعالى له حب لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عند ذكر حبه لهم:

وهل يستوي ود المقلد والذي ... له حجة في حبه ودلائل

يوسف بن إسماعيل أبي يوسف

بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان قرية أجزم بصيغة الأمر الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين من البلاد المقدسة، وهي الآن تابعة لقضاء حيفا من أعمال عكا التابعة لولاية بيروت أقول أن هذا الإمام، والشهم الأديب الهمام، قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر، وسعدت مطالع شمائله بآدابه المعجبة البواهر، فهو الألمعي المشهود له بقوة الإدراك، واللوذعي المستوي مقامه على ذروة الأفلاك، وله ذكاء أحد من السيف إذا تجرد من قرابه، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه، ونثر يزري بالعقد الثمين والدر المنثور، وشعر يدل على كمال الإدراك وتمام الشعور، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح، وصاحب الرماح الخطية والأقلام الفصاح، فلعمري لقد أصبح في الفضل وحيدا، ولن تجد عنه النباهة محيصا ولا محيدا، وناهيك بمحاسن قلدها، ومناقب أثبتها وخلدها، إذا تليت في المجامع، اهتزت لها الأعطاف وتشنفت المسامع. ومن جملة آثاره، الدالة على علوه وفخاره، تآليفه الشريفة، التي من جملتها أفضل الصلوات، على سيد السادات، ووسائل الوصول، إلى شمائل الرسول، والشرف المؤبد لآل محمد، صلى الله عليه وسلم وقد اطلعت على هذا

الكتاب، فوجدته قد ارتدى بالكمال وتمنطق بالصواب، وقد اشتمل آخره على شذرة من ترجمة هذا الهمام، قد ترجم بها نفسه فنقلتها بحروفها تتميما للمرام.." [1]

"من أعظم العلماء المصلحين في ذلك الوقت الشيخ عبدالقادر الجيلاني الحنبلي (٤٧٠-٥٦١). وكان قد اعتزل الناس للتأمل وتهذيب النفس عشر سنين ثم عاد للإصلاح. وقد بدأ عام ٥٢١ هـ وعمره٥٠ سنة في الجلوس لوعظ الناس وإصلاحهم، وبدأ مجلسه بالرجلين والثلاثة، ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضم سبعين الفا(٣١). ثم تزايد الإقبال عليه، وصار الناس يجيئون إليه، ويتوب عليه الخلق الكثير(٣٢). وقد تبنى الشيخ عبدالقادر مدرسة لإخراج جيل من العلماء الذين يقودون الناس إلى الصلاح، واكتمل بناؤها سنة٥٢٨ هـ، وجعل الدراسة فيها لكتب الفقه والحديث والقراءات وغيرها، واستبعد كتب الفلسفة والكلام(٣٣).

وقد خصص لعامة الناس ثلاث جلسات للوعظ في صباح الجمعة، ومساء الثلاثاء في المدرسة، وصباح الأحد في الرباط، ودونت مواعظه باليوم والتاريخ في كتابه: الفتح الرباني.

وقد كانت خطبه نارية تلهب الحماس في الجالسين ، وكان كثيرا ما ينتقد فيها العلماء الذين يأكلون بدينهم، ويسكتون عن قول الحق، كما لم يسلم من النقد موظفو السلاطين الذين يطيعونهم في معصية الله؛ بل إنه رحمه الله كان ينكر على الخليفة الظلم إذا حضر موعظة؛ من مواعظه كما في كتابه المذكور.

فمن أقواله في مواعظه:" ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم، تتعجب من كذبكم في توحيدكم، كل حديثكم **في الغلاء والرخص**، وأحوال السلاطين والأغنياء. أكل فلان، لبس فلان، تزوج فلان، استغنى فلان، افتقر فلان.."(٣٤)، وكما هو ظاهر فالجيلاني يسلك طريق النقد الذاتي باستخدام الهجوم والتغليظ كما هو واضح في كتابه الفتح الرباني

وقد اهتم بالفقراء والغرباء فكان يؤويهم ويطعمهم، ويحضرون دروسه في مدرسته؛(٣٥) ولذا أحبه الناس، وتاب على يديه معظم أهل بغداد(٣٦)، وقد قال عن نفسه:" وقد تاب على يدي من العيارين والمسالحة أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير"(٣٧).." [2]

"

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٩٦/٢

(٢) جهود العلماء والأدباء في استنقاذ القدس من الصليبيين، ص/٩

وضمن علي ابن عيسى الحسين بن احمد المادراني اعمال مصر والشام بثلاثة الاف الف دينار فاوصله الى المقتدر بالله فخلع عليه وشخص الى عمله

وقدم علي بن احمد بن بسطام (١) من مصر فولاه اعمال فارس

قال ابو الفضل العباس بن الحسين وزير معز الدولة رايت ابا القسم بن سام (٢) وقد دخل الينا فارس عاملا ومعه اثقال لم ير مثلها ورايت في جملة اثقاله اربعين نجيبا موقرة اسرة مشبكة ذكروا انه يستعملها في الطرقات للمجلس والتمس يوما سجادة للصلاة بعينها وكان يالفها ففتشت رزم الفرش فكان فيها نحو اربعمائة سجادة

ولما تبين ابن حامد ان منزلته قد وهبت استأذن في الانحدار الى واسط فاذن الخليفة له وليس له من الوزارة غير الاسم (٣)

واقطع المقتدر بالله ابنه ابا العباس دار حامد بالمخرم فانتقل حامد الى داره في باب البصرة

ولما انحدر حامد استخلف مكانه صهره ابا الحسين محمد بن بسطام وابا القسم الكلوذاني فظهرت كفاية الكلوذاني

وتقلد ابو الهيجاء بن حمدان طريق خراسان سنة سبع وثلاثمائة

ضجت العامة من الغلاء وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة واحرقوا الجسور (٤) وقصدوا دار الروم ونهبوها فانفذ المقتدر بمن قبض علي عدة منهم واستدعى حامدا لبيع الغلات التي له ببغداد فاصعد وبعاعها ونقص في كل كر خمسة دنانير

وركب هارون بن غريب وابراهيم بن بطحا المحتسب الى قطيعه ام جعفر فسعروا الكر الدقيق بخمسين دينارا فرضى الناس وسكنوا وانحل السعر سنة ثمان وثلاثمائة

ورد الخبر بحركة الخارج بالقيروان الى مصر فاخرج مونس الى هناك

ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدي المقتدر بالله

---

(١) ".

"الفريقان واظهر ما كان شجاعة شديدة فأتاه سهم عابر فنفذ في خوذته وطلع من قفاه فسقط ميتا وافلت وشمكير بعد ان اسر اكثر اصحابه

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/٢١

وحمل ابن محتاج من رؤوس القتلى ستة الاف راس الى خراسان فيهم رأس ماكان وجلس ابو علي بن محتاج للعزاء (١) واظهر الحزن عليه

وقال الحسن بن الفيروزان (٢) ابن عم ماكان ان وشمكير اسلمه وكان الحسن شجاعا وقصد ابن محتاج فقتله (٣) وقصد وشمكير فكان بينهما حرب على باب سارية (٤) ايام

ثم ورد على ابي علي وفاه صاحبه نصر ابن احمد (٥) فصالح وشمكير واخذ ابنه (٦ * رهينة وانحدر معه الحسن بن الفيروزان (٧) وحقد عليه كيف لم يستخلفه على حرب وشمكير وانتهز غرته (٨) حين قاربا خراسان فوثب عليه فأفلت منه وقتل صاحبه وانتهب سواده واستاد ابن (٩) وشمكير وعاد الى جرجان فملكها فصالحه الحسن ورد عليه ابنه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير فهزمه واستأمن اليه اكثر رجاله وصار بعد انهزامه الى خراسان وتزوج ركن الدولة بنت الحسن وهي والدة فخر الدولة

وفي هذه السنة فرغ من بناء (١٥٢٧٩) مسجد براثا (١٠) وجمع فيه

وفيها **ابتدأ الغلاء ببغداد** وبلغ الكر من الدقيق مائة وستين دينار (١١) وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة من غير غسل ولا صلاة وظهر من قوم فيهم دين وصدقة على الاحياء وتكفين الموتى وظهر من آخرين فجور ومنكرات وكان علي بن عيسى والبقري (١٢) يكفنان الناس على ابواب دورهما

---

(١) ".

"

وكمن لهم المرزبان كمينا وهرب من بين ايديهم وسال الناس العود فلم يعد احد معه لما تمكن لهم في النفوس من الهيبة فعاد وحده وطالبا للشهادة فاستحي خلق من الديلم وعادوا معه فقتل اميرهم وسبعمائة منهم والجأهم الى حصن

ووقع في **الروسية الوباء حين** اكلوا الفاكهة وكان الواحد منهم اذا مات كفن بماله وسلاحه ودفنت زوجته معه وغلامه ان كان يحبه

واخرج المسلمون لما مضوا من قبورهم (١٧٧٩١) اموالا وحملوا على ظهورهم الاموال والجواهر واحرقوا ما عدا ذلك وساقوا النساء والصبيان ومضوا الى سفن لهم

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٢٠

واجتمع خمسة منهم في بستان ببرذعة (١) فيهم امرد ومعهم نسوة من سبي المسلمين فاحاط بهم المسلمون واجتمع قوم من الديلم عليهم ولم يصل الى واحد منهم حتى قتلوا من المسلمين اعدادا ولم يتمكن من واحد منهم اسرا وكان الامر آخر من بقي منهم فقتل نفسه

وظهر للمتقي لله من بني حمدان ضجر (٢) بمقامه عندهم فانفذ بالحسن بن هارون وابي عبد الله بن ابي موسى الى توزون في الصلح فتلقى ذلك باحسن لقاء وحلف له ولابن مقلة بمحضر من الناس (٣) & سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

اتى الاخشيد حلبا فاستولى عليها وانصرف عنها ابو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان الى الرقة فلم يوصله المتقي وغلق ابواب البلد دونه فمضى الى سيف الدولة وهو بحران واتى الاخشيد الى الرقة فخدم المتقي ووقف بين يديه ومشى قداحه حين ركب فامره بالركوب فلم يفعل وحمل اليه اموالا وحمل الى ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجبا الا بره واجتهد بالمتقي ان يسير معه إلى مصر والشام فلم يفعل وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل

وانحدر المتقي الى (١٧٨٩٢) هيث فأقام بها وانفذ بالقاضي الخرقي حتى

." (١)

"قال بعضهم رأيت امرأة تقول انا بنت ابن قرابة (١) ومعي حلي وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء فما اجابها احد وماتت وما فتشها احد لشغل كل انسان بنفسه

وامر معز الدولة برفع السيف والكف من النهب

ولما وصل ناصر الدولة إلى عكبرا ومعه الاتراك وابن شيرزاد انفذب ابي بكر بن قرابة وطلب الصلح فتم ذلك

وعرف الاتراك الحال فهموا بالوثوب بناصر الدولة فهرب الى الموصل

وقصد عيار خيمة ناصر الدولة بباب الشماسية ليلا فطفى الشمعة وأراد ان يضع السكين في حلقه وهو نائم فوضعها في المخدة وظن انه قتله ومضى الى معز الدولة فاخبره فقال هذا لايؤمن ودفعه الى الصيمري (١٩١٩٨) وقتله

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٤١

وأكل الناس في **يوم الغلاء النوى** والميتة وكان يؤخذ البزر قطونا ويضرب بالماء ويبسط على طابق حديد ويوقد تحته النار ويؤكل فمات الناس بأكله وكان الواحد يصيح الجوع ويموت ووجدت امرأة (٢) قد شوت صبيا حيا فقتلت وانحل السعر عند دخول الغلات

ونظر (٣) السيمري (٤) فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد فاستخلف له ابا عبد الله ابن مقلة فقبض على ابي زكريا السوسي والحسن بن هارون فشتمها فقال السيمري (٤) لم يكن غرضك غير التشفي منهما وأطلق معز الدولة ابا زكريا السوسي ولم يلزمه شئ وألزم الحسن بن هارون خمسين الف دينار وعزل ابن مقلة وانفرد الصيمري بالامر واقطع اصحابه ضياع السلطان وضياع ابن شيرزاد وضياع المستترين

وفي شعبان انبثق البحر بثق الخالص والنهروان

وفي ذي الحجة مات الاخشيد ابو بكر محمد (٥) بن طغج (٦) بدمشق وتقلد مكانه ابنه ابو القسم (٧)

---

(١) ".

"

ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين استخلف (١) ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي فخاطبه بعض اصحاب عز الدولة في معنى علوي خطأً (٢) اومى عليه فامتعض ابو عبدالله من ذلك وخرج مغضبا

وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقي وأظهر انه مريض وخرج مضختفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف اولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكلما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم وسمه علوي هناك قام بعده وكانت وفاته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

وأقام الدمستق على المصيصة ثلاثة اشهر **ووقع الوباء في** اصحابه فأتى المستنفرون سيف الدولة فسار معهم وهو مريض فولى الدمستق وكان المتنبي بالعراق فكتب اليه جواب كتابه ورد عليه ٪ فهمت الكتاب ابر الكتب ٪ فسمعا لأمر امير العرب (٣) ٪ ٪ وغر الدمستق قول العداة ٪ بأن عليا ثقيل وصب ٪ ٪ وقد علمت خيله انه ٪ اذا هم وهو عليل ركب ٪ ٪ اتاهم بأوسع من ارضهم ٪ طوال السبيب قصار

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٥٢

العسب ٪ ٪ تغيب الشواهق في جيشه ٪ وتبدو ضغارا اذا لم تغب ٪ ٪ فغرق مدنهم بالجيوش ٪ وأخفت اصواتهم باللجب ٪ سنة اربع وخمسين وثلاثمائة

فيها قتل غلمان سيف الدولة بحضرته نجا غلامه فغشي على سيف الدولة لذلك فأمرت زوجته بنت ابي العلاء سعيد بن حمدان برمي نجا من قصرها (٤) ولما أفاق قتل قتلته وبلغ الخبر أبا فراس فكتب اليه وهو مأسور شعرا ٪ ما زلت تسعى بجد ٪ برغم شانيك مقبل ٪ (٥)

ترى لنفسك امرا ٪ وما يرى الله افضل ٪

". (١)

"استهلت وأرباب الدولة كما تقدم إلا ما ذكرناه في وقته المحرم أوله الاثنين في يوم الثلاثاء تاسعه شكا تمراز نائب القدس كان على الأمين عبد الرحمان ابن الدبري إلى السلطان وادعى إنه أثار فتنة بالقدس حصل بسببها قتال وقتل من مماليك تمراز شخص وأن ابن الديري نادي بغلق المسجد الأقصى وبالجهاد في تمراز وأنه كافر فاستشاط السلطان من ذلك وأمر بوضع الجنزير في رقبة ابن الدبري وإرساله إلى حبس المقشرة فوضع في رقبته الجنزير وذهب به فشفع به وقلع الجنزير من رقبته عند باب الجامع الذي بالقلعة وأمر بحمله وخصمه للقاضي المالكي فحملا إليه.

ضربت رقبة الكيماوي بمقتضى إنه ثبت عند الشمس محمد الديسطي المالكي زندقته ثم الحق في الإسجال بعد إنه ثبت عنده إنه ملحد كاذب قلت وقتله كان من أكبر المصالح فان سيرته عند الأعاجم قبيحة لأمور ارتكبها بتلك البلاد ووقع له أيضا مع ألوغ بك بن شاه رخ ما كان فيه ذهاب روحه لكن منيته لم تكن إلا بمصر وقد عظم قتله على خلائف من الناس ممن لا يعرف حقيقة أمره وزعما أن بعد قتله **وقع الوباء والغلاء** والشراقي وهذه الآفات وليس كذلك وكلما تراه بقدر مقدور.

وفيه جاوز تعرف الأموات المائة كل يوم وفي يوم الأحد رابع عشرة توفي شهاب الدين الهيتي أحد الطلبة.

وفي يوم الاثنين خامس عشرة توفي شهاب الدين المسطيهي أحد نواب الحكم.

وبلغ التعريف في هذا اليوم مائة وستة عشر وجاوزت مصلاة باب النصر وحدهما مائة والتعريف لا عبرة به أيام الطاعون وفي المحرم يوم الثلاثاء سادس عشرة بلغ التعريف مائة وأربعة عشر وفي الذي يليه مائة واثنين وثمانين.

---

(١) تكملة تاريخ الطبري، ص/١٨٩

وفي يوم الجمعة تاسع عشرة وصل ركب المماليك المجاورين إلى القاهرة وفي يوم السبت عشرية دخل الركب الأول من الحاج القاهرة وأميرة قائم التجر ثم دخل من الغد ركب المحمل وأميره سونجيغا اليونسي الناصري وكلاهما أمير عشرة.

صفر أوله الأربعاء فيه عظم الطاعون بالديار المصرية فكان عدة من يموت فيه زيادة على ألف تقريبا ولا عبرة بمن يرد منهم الديوان فان غالب الناس إذا اشتد الطاعون لا يطلقون أمواتهم بل يأخذون من توابيت الأوقاف فلهذا كون التعريف **في الوباء لا** عبرة به وفي يوم الأربعاء هذا توفي سيدي أحمد ولد السلطان وفي يوم الخميس ثانيه توفي العلاء الكرماني شيخ سعيد السعداء وفي يوم الاثنين سادسه توفي الشريف حسن بن على المعزول عن نقابة الأشراف والبرهان إبراهيم بن ظهير ناظر الإسطبل ودفن من الغد وفي أول هذا الشهر توفي الشريف علي بن حسن بن علان المعزول عن إمرة مكة بثغر دمياط وورد الخبر بموته في يوم الجمعة عاشرة وفي يوم الجمعة المذكورة توفي أمير سلاح ودفن من الغد كما سيأتي في الوفيات وفي يوم سنة سمه لسبت حادي عشرة توفي جماعة من الأعيان وهم ابنة السلطان التساعية شقيقة أحمد الماضي قريبا وابنه الخليفة المستكفي بالله والناصري محمد بن طوغان الحسنى الدوادار في الدولة الناصرية المؤيدية وخازندار الكمال ابن البارزي فكان هذا اليوم من الأيام المهولة تحير فيه أعيان الدولة إلى أي جناز تتوجه.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرة توفي البدر ابن التنسي قاضي المالكية بمصر.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرة توفي ازبك الساقي الظاهري جقمق وحر السلطان الصلاة عليه اينال اليشكي كما سيأتي في الوفيات.

وفي يوم الجمعة سابع عشرة توفي كل من الولي أبي الدين محمد ابن قاسم وإسماعيل بن عمر الهواري بالقاهرة.

وفي يوم السبت ثامن عشرة توفي سيدي محمد ابن السلطان الخماسي وأمه أم ولد وقرا قجا الحسنى أمير آخور كبير ثم توفي ولده وكان يقارب عشرين في يومه فأخر أبوه حتى أخرجت جنازتهما من الغد معا وكثر الاسق عليهما.." (١)

"وفي يوم السبت ثاني عشرية لبس كاتب السر ابن البارزي خلعة الاستمرار على وظيفة بعد انقطاعه بداره مدة طويلة حسبما ذكرناه وصار المعين عبد اللطيف ابن العجمي نائبه يباشر الوظيفة في هذه الأيام وخلع على النظام عمر بن مفلح بإعادته إلى قضاء الحنابلة بدمشق وسافر بردبك التاجي بمن معه من

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/١٤

المعمارية وغيرهم إلى مكة في البحر.

وفي يوم الاثنين رابع عشرية سافر اينال باي الخاصكي إلى دمشق وصحبته أبو الفتح على وجه لينظر في حقيقة أمره يفعل فيه ما يقتضيه الشرع.

ثم أرسل من الغد إليه يقيمه من مجلس حكمه فقام من وقته ودار على أرباب الدولة فعرفهم ما أنفق له وطلب أن يعقد له مجلس بالقضاة الأربعة وأعيان الفقهاء بحضرة السلطان بالحوش في يوم الأربعاء سادس عشرية فلما كان عقد المجلس وحضر القضاة والشهود الذين شهدوا على النحاس والمدعي الشريف ابن المصبح سأل السلطان الشافعي هل ثبت على النحاس والمدعي الشريف ابن المصبح سأل السلطان الشافعي هل ثبت على النحاس الكفر فقال أن الدعوى عند القاضي المالكي فتكلم المالك ي بكلام طويل حاصله إنه لم يثبت عليه عنده شيء فلما سمع السلطان كلامه طلب العز ابن البساطي فنهض قائما بين يديه ليتكلم فبدره الشافعي وقال قد ثبت فسقه عندي فالتفت السلطان إلى العز وقال أنا أعرفك منذ أربعين سنة امضوا به إلى المقشرة ثم طلبه بقية الشهود وهم أن الكوم ريشي وغيره وأمر بحبس الجميع أيضا بالمقشرة قبل أن يسمع كلامهم فلما رأى الشريف المدعي ما وقع تكلم وقال يا مولانا السلطان أن الشهود الذين شهدوا بالقدح في العز قد رجعوا عن شهادتهم فلم يلتفت السلطان إلى كلامه بل قاله أنت قلت لي بلامس أن القاضي المالكي ارتشي في قضية النحاس والغي أمره فامضوا به أيضا إلى المقشرة فنزلوا بالجميع فحبسوا بها عند أرباب الجرائم.

فالنظر إلى فعل هذه الدنيا بالمغرمين بها وقد أجاد القائل)الوافر(

أرى الدنيا تقول ... حذار حذار توبيخي وفتكي

ولا يغرركم مني ابتسام ... فقولي مضحك والفعل مبكي

وفي يوم الخميس سابع عشرية وصل ساع من قاتباي الحمزاوي نائب حلب وعلى يده كتاب يتضمن خروج العسكر المصري إلى البلاد الحلبية ففي الحال أمر السلطان بكتابة بطاقة إلى قطيا على جناح الطائر يرد من توجه من النجابة في أمسه وهو أن السلطان كان بعد أن عين التجريدة قبل تاريخه سكت لانتظار ما يرد عليه من الجواب فلما تمادي الخبر أرسل في أمسه نجابة إلى البلاد الشامية يحرضهم على الاهتمام السفر في نصف شعبان فلم تمض إلا ليلة وقدم هذا الساعي فأخذ السلطان في تجهيز العساكر ثم بطل ذلك جميعه بعد أيام قلائل وفتر عزمه عن إرسال التجريدة.

وفيه وصل سنقر الرومي الطواشي الجمدار المتوجه قبل من السلطان إلى بلاد ابلستين لإحضار الحانون

ابنة نائبها سليمان ابن دلغادر ليتزوج بها السلطان.

وفيه لبس اسندمر الارغون شاوي استادار السلطان بدمشق خلعة السفر.

وفيه أعيد البدر ابن الصواف إلى قضاء الحنفية بحماة ببذل مال فلا أخلف الله عليه.

رجب أوله الاثنين استهل والناس في جهد من علو الأسعار في سائر المأكولات خصوصا الغلال فان أثمانها زادت أمثال ما كانت عليه لعدم وفاء النيل فان الموافق لأول هذا الشهر من شهور القبط ثامن عشر مسرى والبحر يومئذ في الذراع الخامس عشر مع توالي الزيادة في كل يوم إلى تاريخه فبيع الإردب من القمح بستمائة فما دونها ومن القول والشعير بأربعمائة فما دونها ومن الأرز بألف وخمسمائة فما دونها والرطل من الجبن الأبيض باثني عشر والمقلي بأربعة عشر مع عزته والشيرج بخمسة عشر وقس على هذا **ولهذا الغلاء إلى** الآن نحو ستين والسعر تارة يزيد وتارة ينقص فإلى ما أبيع به القمح سبعمائة وأرخصه أربعمائة وخمسون وه‍و فيما بينهما هذه المدة فسبحان المتكفل بأرزاق الخلائق والناس الآن في خوف عاقبة هذا النيل فلله الأمر.

وفي هذا اليوم أيضا استقر أبو الفضل المغربي المالكي في تدريس التفسير بالقبة المنصورية قلاوون بين القصرين عوضا عن القاضي محيي الدين عبد القادر الطوخي الشافعي ونزل أليها ومعه القضاة والأعيان من الفقهاء وغيرهم وجلس للتدريس على عادة من تقدمه في ذلك.." (١)

"ولقد شاهدت في هذه الأيام أعاجيب منها أنني **أدركت الوباء العظيم** في سنة ثلاث وثلاثين ثم في سنة أحد ى وأربعين ثم في سنتي سبع وثمان وأربعين ثم في سنة ثلاث وخمسين وكان وباء سنة ثلاث وثلاثين مهولا إلى الغاية بحيث إنه مات فيه في اليوم الواحد من الخلائق ما ينيف على عشرة آلاف نفر ومع ذلك فكنت أجد آذاك بالمقترحات والشوارع جماعة من العامة يضحكون ويهزلون ومنهم من كان يقع فيما قدر عليه هذا مع **عظم الوباء بالمفرط** وسرعة الموت بخلاف هذه الأيام فكنت لا ترى من الناس إلا باكيا أو متضرعا إلى الله أو مهموما بكثرة عياله ولا ترى جماعة بمكان إلا وكلامهم غالبا في القمح والدقيق والخبز فكا هذا دأب الناس في هذه الأيام.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرة خرج القوم أيضا مرة ثالثة إلى الاستسقاء بالمكان المذكور وفعلوا كفعلهم في المرتين من التضرع والدعاء إلى الله ونودي فيه أيضا بزيادة إصبع من النقص فلله الحمد ومن الغريب أن الناس يتشاءمون على الملك بخطبتين في يوم واحد فوقع ذلك الآن مع إنه كان يمكنهم فعله في غيره من

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٢٨

الأيام ولكن ما فطن أحد له إلا بعد وقوعه على أنني فطنت لها قل الوقوع ولكن سكتت للتجربة هل تجري العادة أو تكون هذه خارقة للعادة فكانت خارقة للعادة لم يحصل للسلطان إلا كل خير.

وفي يوم السبت عشرية نقص البحر ثلاثة أصابع ونودي بالقاهرة بالكف عن المعاصي وصيام يوم وفطر يوم وبعرض المماليك السلطانية من الغد لنهيهم عن أخذ الغلال وبأمرهم بسكنى الطباق ففعل ذلك من الغد.

وفي يوم الأحد حادي عشرية ويوافقه ثاني نوروز القبط وهو ثاني توت أحد شهور القبط كانت انتهاء زيادة النيل في هذه السنة أولا وأخرا خمسة أصابع من الذراع السادس عشر وهو شيء لم نعهده ولا سمعنا بمله منذ سنين فسبحانه يتصرف في ملكه بما شاء وفي يوم الاثنين نودي بزيادة إصبع فأنعم السلطان على ابن الرداد حين بشره بذلك مائة دينار واستمرت الزيادة من يوم تاريخه سنة في كل يوم على ما سيأتي أن شاء الله.

وفي يوم الخميس خامس عشرية سافر المحب ابن الشحنة قاضي النفية بحلب وناظر بعد إقامته بالقاهرة أشهرا.

وفي يوم السبت سابع عشرية ويوافقه ثامن توت انتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر إصبعا من الذراع السادس عشر وبقي للوفاء سبعة أصابع فنقص من الغد في يوم الأحد ثامن عشرية وتاسع توت إصبعا فعاد اضطراب الناس كما كان أولا.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرية عزل الطواشي عبد اللطيف الفلاح شاد الحوش السلطاني بالطواشي جوهر اليشبكي المعروف بالتركماني بعد أن أمر السلطان فيروز الخازندار والزمام بضربه مائتي عصاه على رجليه ففعل فيروز ذلك ورسم لعبد اللطيف بلزوم داره وعبد اللطيف هذا كان من الفلاحين ببعض قرى القاهرة فنزل وهو صغير للسباحة في البحر فآخذت الترسة ذكره وخصيته فتداوي حتى عوفي به فقدم به والده إلى خشقدم الظاهري الزمام كان في دولة الاشفية فأخذه وضمه إلى الخدام إلى أن ترفي وولي شاد الحوش وصار من أمره ما حكيناه ولا زال على حاله حتى مات في سنة ست وخمسين ومضى هذا الشهر وقد كثرت الأمر الحادة وفشت في الناس.

وفيه ركب أعيان الدولة من الفقهاء والكتبة على الخيول على عادتهم لاشتغال المماليك السلطانية عنهم بما هو أهم من ذلك من توقف البحر عن الزيادة وغلو الأسعار.

وفي هذا الشهر رأس السلطان لفارس الترماني بالتوجه إلى جزيرة قبرس من بلاد الفرنج ليشتري منها مغلا ويعود به إلى القاهرة بعد أن دفع له مبلغا من الذهب وأحاله على صاحب قبرس بما عليه من الجزية.

وفي هذا الشهر توفي جانبك النوروزي كما سيأتي.

شعبان أوله الثلاثاء الموافق لحادي عشر توت استهل والناس في أمر مريج من كثرة الأمراض والمصيبة العظمى عدم الوفاء إلى الآن وغلو الأسعار في سائر المأكولات والأسعار فيه القمح بأرف فما دونها مع عزته جدا والقول والشعير بستمائة بثلاثمائة بل وأزيد وقس على هذا.

وفي يوم السبت خامسه قبض السلطان على علي بن اسكندر القيسي معلم المعمارية وسلمه للوالي جانبك ليستخرج منه سبعة آلاف دينار ثم آل أمره إلى أربعة فحملها بعد بيع موجودة ثم نفى إلى البلاد الشامية واستقر عوضه في المعلمية يوسف شاه العلمي.." (١)

"وفي هذه السنة بطلت مسايرة أمير حاج المحمل وهو أن أمراء الحاج كانوا يفعلون ذلك على القواعد السالقة فيظهر بذلك البجل الزائد والفرجة التامة ويخرج الناس لرؤية ذلك ذهابا وإيابا وكان السبب في إبطاله أن الدوادار الثاني تمبغا كان أمير المحمل في هذه السنة فلم يركب لها واعذر بقلة سفر المماليك في هذه السنة لكون القاعدة أن كل من يحج من المماليك السلطانية والأعيان يركب في خدمته إذا ركب للمساية وأيضا لما بالناس **من الغلاء المفرط** والانكاد المترادفة وقد مضى رمضان عن الناس بعد مقاساة شدائد من **عظم الغلاء وعم** البلاء جميع الخلائق وعز وجود جميع المأكولات فأبيع القمح فيه بألف ومائتي درهم فما دونها وفوقها والشعير بثماني مائة فما دونها والقول بسبعمائة فما دونها والبطة من الدقيق العلامة بأربعمائة والرطل من اللحم الضأن بأحد عشر والشيرج باثنين وعشرين والجبن الأبيض بخمسة عشر والمقلي بثمانية عشر وأما الخضراوات فعزيزة الوجود شوال أوله السبت فيه سافر خشكلدي الزيني الدوادار إلى البلاد الشامية المقيمين بالبلاد الحلبية.

وفي يوم الاثنين ثالثه خلع على الولي السفطي بإعادته لمشيخة الجمالية برحبة باب العيد بعد عزل الولي الاسيوطي عنها.

وفي يوم الثلاثاء رابعه وقت أذان المغرب توفي الزيني عبد الباسط كما سيأتي في الوفيات.

وفي يوم السبت ثامنه ورد الخبر من ثغر الإسكندرية بأن الفرنج أخذ أربعة مراكب من المسلمين بعد وصول المسلمين إلى ثغر رشيد فاستولى الفرنج عليها بجميع ما فيها من الغلال والدقيق المجلوب من التركية وغيرها مما قيمته تزيد على مائة آلف دينار على ما قاله غير واحد من التجار وغيرهم وكانت عدة مراكب الفرنج زيادة على خمسة عشر مركبا ولهؤلاء الفرنج حول غر الإسكندرية وغيرها من الثغور وسواحل المسلمين نحو

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٣٠

عشرة أيام فما شاء الله كان وقد حدث في هذا الهر من ال ا نكاد والأخبار المهولة أشياء كثيرة منها ورود هذا الخبر ووصول كتاب من سواكن يتضمن أن الحطي الكافر صاحب الحبشة شرع في عمل عدة مراكب برسم غزو المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازية وتكرر المجيء بهذا في هذه السنة ووصول جهان شاه بن قرا يوسف إلى أطراف البلاد الحلبية هذا مع غلو الأسعار وعظم البلاء على الناس من القحط والجوع وعدم الري في الأعمال المصرية وتشتت نواب البلاد الشامية بإقامتهم هذه المدة في البلاد الحلبية فنسأل الله حسن العاقبة.

وفي يوم الأحد ثالث عشرية قدم الخبر من البلاد الحلبية على السلطان بعود جهان شاه بن قرا يوسف من أطراف ممالك السلطان إلى ديار بكر بن وائل من غير أن يحصل منه في مدة أقامته تشويش.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرية توفي الدوادار الكبير كان اركماس الظاهري.

وفي يوم السبت تاسع عشرية توفي جانبك الجكمي بعد مرض طويل ذو القعدة أوله الأحد.

وكتب أيضا باستقر ا ر جعنوس أحد أمراء دمشق في نيابة بيروت عوضا عن جانبك المذكور وكلاهما بالبذل.

وفي يوم الست رابع عشرة ورد الخبر من ثغر إسكندرية بموت الشريف حسن تاجر المذكور وكلاهما بالبذل.

وفي يوم السبت رابع عشرة ورد الخبر من ثغر إسكندرية بموت الشريف حسن تاجر السلطان بالثغر المذكور.

وفي يوم الجمعة عشرية طلق السلطان خوند شاه زاده ابنة ابن عثمان ورسم لها بقضاء عدتها بدارها من الدور السلطانية ثم تنزل إلى بيتها بالقاهرة.

وعيد إلى دقماق ما كان حمله للخزانة من الذهب بسبب الزردكاشية والآمرة فإنه كان التزم بحمل أربعة آلاف دينار وحمل بعضها والسبب في عزله إنه لما استقر في الزردكاشية رام عرض الزردخاناة لتظهر بذلك نتيجة للسلطان فعظم ذلك على ناظرها البدر ابن ظهير وغيره فوصل البدر من اجل ذلك حتى أوغر خاطر السلطان عليه فمال إلى كلامه وعزله واسترجع منه الإمرة وردة إلى جنديته واستقر لاجين عوضه في الزردكاشية وأعجب من هذا أن إقطاع دقماق القديم كان كما تقدم انعم به السلطان على جانبك الاشرفي أحد الدوادارية الصغار وأنعم باقطاعه على جانبك البواب القادم من مكة والآتي بخبر موت تغرى برمش.

ذو الحجة أوله الثلاثاء فيه توفي السفطي ودفن من الغد يوم الأربعاء ثانيه وكان غير مشكور السيرة.." (١)

"وفي يوم الثلاثاء رابعه لبس الزيني خلعة الاستمرار كاملية بفرو وسمور وفي أوائل هذا الشهر وردت الأخبار من البلاد الشامية بأن جهان كبير بن علي بك بن قرا يلك صاحب امد أرسل أخاه حسنا وصحبته

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٣٢

جماعة من عسكره لقتال عسكر جهان شاه بن قرا يوسف الذي هو صحبة عمه الشيخ حسن بن قرا يلك فسار حسن بمن معه غارة وبيت عمه الشيخ حسنا بمن معه من عسكر جهان شاه وطرقه بغتة فظفر بعمه وبابنه فقتلهما معا وحز رأسهما وقتل معهما عدة من عسكر جهان شاه وأبدع فيهم ثم عاد حسن إلى أخيه جهان كبير بآمد مؤيدا منصورا.

وفي يوم الخميس سادسه لبس الجمالي ناظر كاملية بفرو وسمور.

وفي يوم الخميس ثالث عشرة توفي القاضي شمس الدين محمد ابن أخت السخاوي.

وفي يوم الجمعة رابع عشرة ويوافقه حادي عشري برمودة أحد شهور القبط لبس السلطان القماش الأبيض على العادة.

وفي يوم الاثنين سابع عشرة عقد السلطان عقده على ابنة الزيني عبد الباسط وكان المتولي له قاضي الحنابلة البدر البغدادي وخلع عليه السلطان بعد إنجاز العقد كاملية بفرو وسمور.

وفي يوم الجمعة حادي عشرية سافر الزيني الاستادار للوجه البحري لحفر بحر المنزلة وعمل مصالح تلك النواحي على ما يزعم وسافر معه اينال العلائي الناصري اتابك العساكر وتنم من عبد الرزاق المؤيدي أمير مجلس لكونه عرف السلطان أن لهما بتلك النواحي بلادا داخلة في اقطاعهما وحسن له توجههما معه للنظر في مصالح بلادهما فان بحر المنزلة قد استد فمه وصار فيه الرمل كالجبال فرسم لهما بالسفر معه فتبرما من ذلك فلم يقبل السلطان عذرهما الزمهما بذلك فسافرا صحبته في اليوم المذكور.

وفي يوم الأحد ثالث عشرية توفي الشيخ شمس الدين محمد الكاتب الرومي الحنبلي.

وفي يوم الخميس سابع عشرية استقر صاحبنا القاضي بدر الدين ابن القطان في قضاء طرابلس ثم عزل بعد أيام ورشح والده عوضه وكلاهما لم يل.

وفي هذا الشهر انحط سعر الغلال فأبيع القمح بثماني مائة إلى ألف والفول بسبعمائة فما دونها وفوقها وهو قليل جدا والشعير بنحو ذلك انحط سعر التين بحيث بيع الحمل المحاشاة نحو ثلاثمائة بعد سبعمائة وبيع الدقيق العلامة بمائتين وخمسين البطة بعد خمسمائة والرطل من الخبز بأربعة بعد ثمانية وطال مكث هذا الغلاء بالديار المصرية حتى افتقر جماعة بسبب مكثه.

وفي هذا الشهر أيضا والذي قبله فشت في الناس أمراض حادة توعك منها خلائق لا يحصرون وتوفي فيه أيضا خلائق وفيه وردت الأخبار من البلاد الشامية بغلو أسعارها إلى الغاية وان القمح بيع فيها كل غرارة بستمائة قصة وكذا وقع الغلاء فيها أيضا في سائر المأكولات لكثرة من قدم عليها من مصر وغيرها فرارا

من الغلاء ولعظم ما وقع بها من الثلوج فلله الأمر.

ربيع الآخر أوله الاثنين في يوم الخميس حادي عشرة وردت على السلطان مطالعة صاحب مكة الشريف بركات تتضمن إنه ورد عليه الخبر من الهند بعود تمراز المؤيدي المصارع من بلاد كالكوت إلى جهة بندر جدة وإنه اشتري بما كان معه من مال السلطان الذي أخذه من بندر جدة أصنافا البهار للمجر وإن عزمه العود إلى الطاعة.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرة أرسل الشيخ المعتقد محمد السفاري المقيم بجامع عمرو إلى المحتسب الشيخ علي العجمي بفقيرين ومعهما جنزيران وباشتان وقالا له الشيخ على العجمي بفقيرين ومعهما جنزيران وباشتان وقالا له الشيخ يأمرك أن تجعل في عنقك أحد الجنزيرين والباشتين والآخرين في عنق عز الدين فلما سمع مقالتهما اشهد عليهما بذلك وطلع بهما إلى السلطان من الغد في يوم الست واخبره بمقالتها فأمر بهما فضربا بين يديه ضربا مبرحا على أكتافهم وضرب دوادار وإلى مصر على مقعدة لكون هو الآتي بهما إلى المحتسب بأمر الشيخ ثم شهرا بالقارة وحبسا بحبس المقشرة وطلب السلطان السفاري ليوقع به فتوجه إليه دوادار جانبك الوالي وطلبه من غير إزعاج فلم يلتفت الشيخ لذلك وسب السلطان وحفظت عنه كلمات في حقه دالة على قرب زواله أن صدق منها آلة قال إنه يموت في حادي عشري جمادى الأولى منها ومن الناس من نقل إنه قال اكتبوا عني هذا وكثر تخبيط العوام بل غالب الناس في ذلك واختلفت الأقاويل في أمر الشيخ وما سيأتي أعجب.." (١)

"وفي يوم الاثنين سادس عشرينه لبس عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الحجاب والأمير آخورية شاد الأوقاف وكان السلطان قد رسم له بذلك قبل تاريخه وباشر عبد العزيز المذكور ذلك وأمر ونهى في أرباب الأوقاف وظلم وعسف لا سيما في مباشري مدرسة الملك الناصر حسن فقه رسم علهم وأبادهم فلما خلع عليه في اليوم المذكور ونزل بخلعته إلى داره أرسل قاضي القضاة سعد الدين ابن الدبري الحنفي ورقة إلى السلطان يعرفه بسوء سيرته وما عمله في مباشري وقف مدرسة السلطان حسن ووجد بذلك من له غرض في عزله من أعيان الدولة سبيلا للتكلم فيه فتكلم وامعن فعزله السلطان من وقته وأرسل بالطواشي مرجان الحسنى الحبشي الجمدار الخاص إليه بعزله وبأخذ الخلعة من عليه وأخذ المربعة منه فسر الناس بعزله سرورا زائدا واشبع أيضا بين الناس بعزله عن إمرة حاج الركب الأول وكل ما يفعله عبد العزيز هذا يكون في الغالب بغير رضى أبيه محمد الصغير.

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٣٥

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه وصل زين الدين الاستادار من سفرته إلى جهة المنصورة.

شهر رجب أوله الجمعة ويرافقه سادس أبيب فيه نودي على النيل المبارك بزيادة خمسة عشر إصبعا من الذراع الثاني عشر وقد تطاول الناس للزيادة في هذه السنة وكثر السؤال عن ذلك بحيث أن النساء قد صرن يسألن عن ذلك قلت والناس معذرون في كثرة السؤال عن هذا المعنى في مل هذه السنة فان الديار المصرية قد أشرفت على الخراب من عظم ما وقع فيها في هذه السنين **من الغلاء المتداول** والقحط المتطاول ثم الشراقي العظيم وقد نفذ ما بأيدي الناس من التاع والأموال وخلت غالب القرى من أعلاها والعالم منتظرون هذا النيل القادم فإن كان وإلا فالله تعالى يحسن العاقبة بمحمد وآله.

وفي هذه الأيام انحل سعر الغلال بالديار المصرية فأبيع القمح بتسعمائة درهم الإردب إلى ما دونها والقول بدون ذلك بيسير وهو قليل الوجود جدا والشعير بخمسمائة درهم الإردب إلى ما فوقها وإما سائر ما يوكل من اللحوم والاجبان فبالغلو الزائد الخارج عن الحد.

وفي الثلاثاء ثاني عشرة أمر السلطان بعزل القاضي كمال الدين ابن البارزي عن كتابه السر وسبب ذلك غريبة من الغرائب وهي أن ورثة شمس الدين محمد الحموي ناظر القدس وقفوا إلى المواقف الشريفة بقضية بسبب الشكوى على من وضع يده على تركه شمس الدين المذكور فحال قراءة كاتب السر للقضية المذكورة أمر السلطان بعزله وتوجهه إلى حبس المقشرة من غير أن يعلم أحد ما الموجب لذلك فخرج كاتب السر لوقته وجلس بجامع الملك الناصر محمد بن قلأوون بقلعة الجبل فلم يطل جلوسه وإذا بالرسوم قد برز بتوجهه إلى أرضه على إنه يزن خمسة آلاف دينار فنزل إلى داره معزولا ولسان حاله يقول ما أحسن هذا لو دام واستمر وأخذ يستعفي عن الوظيفة بكل ما تصل القدرة إلي فلم يسمع له ذلك ورسم بطلوعه ولبسه خلعة الاستمرار حسبما يأتي.

وفي يوم الخميس رابع عشرة ويوافقه تاسع مسرى أحد شهور القبط وفي النيل المبارك ستة عشر ذراعا ونودي بزيادة إصبعين من الذراع السابع عشر فنزل المقام الفخري عثمان من وقته في وجوه الناس من الأمراء وأعيان الدولة إلى أن عدى النيل وخلق المقياس ثم عاد في الخراقة حتى فتح السد على العادة ثم ركب وطلع إلى القلعة فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة لغاية سرور الناس بوفاء النيل وخلق الناس بعضهم بعضا بالزعفران وكثر حمد الناس وشكرهم لله تعالى على هذه المنة العظيمة ولله الحمد وما أحسن قول سبط الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض في هذا المعنى رحمه الله تعالى)الكامل(.

يا رب يا لمختار من كل الورى ... أسبل على المقياس خلعة ستره

وأفض على السد المبارك ماءه ... وأكسره رب فجبرنا في كسره

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرة رسم السلطان بعود النواب بالبلاد الشامية من البلاد الحلبية إلى محل كفالتهم وكان لإقامتهم بالبلاد الحلبية فوق السنة.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه لبس القاضي كمال الدين ابن البارزي كاتب السر خلعة الاستمرار بعد أن تمنع من الطلوع غير مرة.." (١)

"شهر رمضان أوله الاثنين أهل هذا الشهر والناس في أمر مريج من عدم اللحوم والغلاء المفرط في سائر الأقوات الذي لم يعهد مثله في سالف الاعصار وكثرت الفقراء بالقاهرة إلى الغاية واتسعت الأراضي بالري واحتاجت الفلاحون إلى التقاوي لزراعة الأراضي وعزت الأبقار بالقاهرة وضواحيها حتى بيع الزوج البقر الهائل بمائة وعشرين دينارا وما دونها وأغرب من ذلك ما حدثني السيفي اياس الخاصكي خازندار الاتابك اقبغا التمرازي بحضرة الأمير ازبك الساقي وغيره من الأعيان إنه رأى ثورا هائلا ينادي عليه بأربعين ألف درهم فاستغربت مقالته وأردت أن أسمع ما يقول غيره ممن حضر حتى أثق بهذا الخبر لأكتب عنه ذلك فقال ازبك نعم وأنا سمعته يقول كذلك للمقر الجمالي ناظر الخاص فلما سمع اياس ذلك وفهم عني أني استغربت هذه الحكاية شرع بذكر جماعة ممن رأى ذلك وعاينه انتهى قلت وتفقر خلائق ممن ليس لهم مروءة أخذوا في السؤال واتضع حال جماعة ممن لهم شهرة واسم لعظم القحط وطول مكثه في هذه السنين الثلاث وأمسك في هذه الأيام جماعة من البيعة ومعهم لحوم الدواب الميتة ولحوم الكلاب وشهروا بالقاهرة ونودي عليهم وتفرغت حواصل الغلال التي كانت مذخرة عند أربابها من طول **مكث الغلاء وضاقت** أعين الناس ولولا أن القلوب اطمأنت بري البلاد في هذه السنة وإلا لكان الأمر أعظم من ذلك.

وفي يوم الخميس رابعه لبس القاضي سراج الدين عمر بن موسى الحمصي الشافعي في قضاء دمشق عوضا عن القاضي جمال الدين يوسف الباعوني وفيه أيضا استقر القاضي شهاب الدين أحمد الزهري الشافعي في قضاء حلب عوضا عن ابن اخزري والخزري بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وكسر الزاي وفيه ورد الخبر بموت الشريف اميان ابن مانع الحسني أمير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام وولي الإمرة من بعده الشريف زبير بن قيس بن ثابت.

وفي يوم الخميس حادي عشرة لبس الأمير ناصر الدين محمد ابن مبارك نائب البيرة حجوبية حجاب دمشق بعد عزل انبك الناصري وتوجهه إلى القدس بطالا وكان قدوم ابن مبارك هذا في أوائل هذا الشهر.

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٣٧

وفيه خلع السلطان على الأمير جانبك اليشبكي وإلى القاهرة بسفره إلى إنجون من بر التركية لعمارة عدة مراكب برسم الجهاد.

وفي يوم السبت العشرين منه لبس ابن مبارك خلعة السفر.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه سافر الأمير جانبك وإلى القاهرة إلى التركية ومعه عدة عمال وغيرهم.

وفي يوم الجمعة سادس عشرنه ويوافقه رابع عشرين بابة لبس السلطان القماش الصوف الملون والبس الأمراء مقدمي الألوف على العادة.

وفي يوم السبت سابع عشريه توفي ناصر الدين محمد بن البغا الحاجب الثاني بحلب بالقاهرة غريبا عن وطنه والتاج البلقيني الشافعي.

وفي يوم السبت ثامن عشرة برز المحمل لبركة الحاج وأميره سونجبغا اليونسي الناصري وأمير الأول عبد العزيز بن محمد الصغير وهما في حج قليل إلى الغاية لعلو الأسعار وقلة الجمال وورد الخبر من مكة بإرسال تمراز من بكتمر المؤيدي المصارع الفار من بندر جدة قبل تاريخه خمسمائة تكره من البهار إلى بندر جدة ووعد بإرسال ما بقي عنده وطلب تشريفا بولاية اليمن وكتب إليه الجواب بحضور إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة ووعد بإرسال ما بقي عنده وطلب تشريفا بلاية اليمن وكتب غليه الجواب بحضور إلى الديار المصرية أو إلى بندر جدة وبلبس الخلعة ووعد بكل خير من ذلك أن السلطان رسم بأن يكتب له بأنه يحضر، ويجربنا هذه المرة قلت والتجربة خطر وأظنه يعرف ذلك.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرية سافر الركب الأول من الحاج وسافر المحمل من الغد.

وفي يوم الخميس ثالث عشرية نقي السلطان اسندمر الجقمقي إلى البلاد السامية على اقبح وجه لشكوى الزيني الاستادار منه فلما وقع ذلك بلغ الزيني توعد جماعة المماليك الجلبان أن تم نفي المذكور فخارت طباعه فالح على السلطان في عوده على حاله فأجيب.." (١)

"وكان هلال رمضان في هذه السنة نهار الاثنين وأثبت بعد العشاء، وأشعلت القناديل في سائر مآذن الشام، وضربت مدافع الإثبات في منتصف الليل، وحصل للناس زحمة في حركة السحور، حتى فتحت دكاكين الطعام ليلا كالخبازين والسمانين.

وفي تاسع رمضان المذكور هطلت أمطار غزيرة على عامة البلاد ولله الحمد. وغرق مركب بساحل صيدا بتلك المدة، وكان قادما من مصر وفيه أرزاق كثيرة، عوض الله أصحابها خيرا، قيل إنه غرق في نوء قاسم

---

(١) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص/٣٩

كوى. وجاءت الصرة من إسلامبول يوم الجمعة، وجاءت الخزنة السلطانية من مصر يوم السبت ثالث عشر من رمضان، وقد تأخرت عن وقتها، وكان صنجقها عمر بك.

وجاءت البلطجية من إسلامبول نهار الاثنين في الشهر المذكور ومع ذلك حضرة سليمان باشا العظم في حصار طبرية، وقد شدد على أهلها كما يأتي.

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من هذا الشهر شهر رمضان توفي الرجل الصالح الحاج أحمد الحلاق بن حشيش، كان رجلا صالحا رأى العجائب لأنه كثير السايحة، وكان حسن المعاشرة والوداد، وكان حلاقا لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره، وكان يحلق أيضا للشيخ مراد أفندي النقشبندي الكسيح، ولعمدة مذهب السادة الشافعية شيخنا محمد العجلوني ولأمثالهم، وكان يحلق مجانا للفقراء من طلبة العلم وغيرهم. ومن صلاحه وتقواه أنه ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسر إلا شفاه الله وعافاه. قال مؤرخها الحلاق الشيخ أحمد البديري: وكان صاحب الترجمة أستاذي ومعلمي في صنعة الحلاقة، ومنه حصل لي الفتوح والبركة، رحمه الله تعالى.

وثاني يوم الأربعاء توفي الشيخ مصطفى المغربل، وكان رجلا دينا أخذ الطريق من الأستاذ الشيخ يوسف الطباخ.

وفي تلك الأوقات **اشتد الغلاء في** سائر الأشياء سيما المأكولات، مع وجود الأغلال وغيرها، فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما أرادوا غير أن الغنم كان قليلا جدا فصار الجزارون يذبحون الجاموس والجمل والمعز، فصار يباع رطل اللحم الشامي بثلاثين مصرية، ورطل إلية الغنم بقرش وربع، والبيض كل ثنتين بمصرية، والسمن رطل وأوقتين بقرش، والثوم رطله بثلاثين مصرية، ورطل الخبز بأربع مصاري وبخمسة مصاري وبأكثر. وقد كان بثلاث مصاري ونصف. فبقدوم شهر رمضان المبارك غلت الأسعار حتى الخضر، فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية، فلما هل رمضان صار خمسة وأربعة بمصرية، والباذنجان كل رطلين بمصرية، فصار كل رطل بمصريتين، واللحم عدم، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام.

وكان نهار عيد الفطر يوم الأربعاء، وقد صمناه ثلاثين يوما بإكمال العدة، فدخل العيد، ولم يأت حضرة والي الشام سليمان باشا من الدورة، بل هو للآن مقيم على حصار قلعة طبرية.

وفي يوم السبت رابع شوال جاء تبشير رسمي من حضرة سليمان باشا بفتوح قلعة طبرية، فضربت المدافع وعملوا الزينة ودقت الطبول والزمور.

وثاني يوم الأحد دخل حضرة سليمان باشا العظم إلى دمشق، فسبق كخيته والعسكر، وترك على قلعة طبرية

على أغابن الترجمان، وعنده بعض العسكر والفعالة، وأمره أن لا يقدم دمشق حتى يخربها بعد إخراج أهلها منها.." (١)

"وفي عاشر ذي القعدة دخل مصطفى باشا متولي طرابلس الشام نهار الاثنين إلى دمشق، عينته الدولة العلية سردارا على الجردة. والمذكور كان سفاكا للدماء ظلوما غشوما أهرق دماء كثيرة حينما كان في طرابلس، وكان غالب قتله بالكلاب والشنكل، يترك الرجل حتى يموت جوعا وعطشا، فهربت غالب أهالي طرابلس من ظلمه وتفرقوا في البلاد، وأرسل أعوانه في طلب الهاربين، فالذي قبضوا عليه كان من الهالكين. وبعد مجيئه لدمشق وقعت فتنة بين الدالاتية التي للمتسلم وبين لاوند الأكراد، وقتل من الفريقين جماعة، وكانت تلك الفتنة في يوم الجمعة، حتى بطلت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع.

وفي غرة ذي الحجة ختام السنة المذكورة توفي الشيخ محمد الكيال وكان من رؤساء المؤذنين في جامع الأموي، وكان رجلا صالحا، وكان ينسخ كتبا وغيرها بخط مقبول، وكان ينام والقلم بيده ويفيق ويكتب من غير نظر للكتابة، وقد عدت له كرامة.

وفي ذلك اليوم جاء خبر قتل متسلم دمشق، قتله عرب الزبيد وقتلوا من جنده جماعة كثيرة، وذلك لما كانت هذه العرب عاصية على الدولة خرج المتسلم المذكور ومعه جماعة من العسكر، فساروا حتى وصلوا للعرب المذكورة، ففاجأهم المتسلم وجنوده على حين غفلة بالقتل وغيره، وأرادوا أخذ أموالهم ومواشيهم، فردوا عليهم رد غيور صبور فقتلوا المتسلم المذكور وجماعة من عسكره، فحين بلغ هذا الأمر أكابر دمشق عملوا ديوانا ثم أمروا مناديا ينادي: من أراد طاعة الله والسلطان ممن له قدرة وقوة على الركوب فلا يتخلف، فالغارة الغارة على عرب الزبيد الذين قتلوا المتسلم وعسكره، فخرجت الإنكشارية والسباهية والزعماء، عينوا نائبا بدمشق حسين آغا بن القطيفاني، المتولي على وقف المرحوم سنان باشا، ثم ساروا للعرب، ورجعوا ومعهم جسد المتسلم المقتول، وهو في حالة عبرة لمن اعتبر، ثم غسلوه في سراية الحكم ودفنوه في باب الصغير. وكان اسمه إبراهيم، وهو مملوك سليمان باشا بن العظم حاكم الشام، وكان مع عدل مولاه، له ظلم وعدوان وجرأة على الخاص والعام، وكان يأمر بالقبض على كل من رآه بعد العشاء، ويأمر بتقييده في الحال بالحديد، إلى أن يأخذ منه مال كثير، وإذا أذنب أحد ذنبا، ولم يقدر على قبضه يقبض من يقدر عليه من أهله وقرابته، ويلزمه بمال عظيم، وإذا نهاه أحد عن تلك الأحوال يحرد، ويطلب الارتحال، ولا زال بظلمه وعتوه، إلى أن أخذه الله. وقيل سبب تدميره أنه جاءه شيخ الجبلة، الفحيلي، وقال له سرا: قم حتى أكسبك

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٤

كثيرا من الغنائم، ولم يعلم أحد من كبراء الشام، سوى قومه الطغاة، فذهب هو وقومه حتى وصل إلى اللجاة، فلما وصل إلى تلك القبيلة ساق أموالهم والحريم، فارتدت عليه العرب، وأخذ عليه واحد منهم نيشانا فضربه ولم يخطئه، وتركه ملقى قتيلا وقتلوا جماعة من قومه، ذلك بما قدمت يداه.

وفي نهار السبت منتصف ذي الحجة، توفي أبونا ووالدنا وأستاذنا ومربينا سليمان بن الحشيش الحكواتي رحمه لله. كان فريد عصره ووحيدا في أوانه. وكان يحكي سيرة الظاهر وعنترة وسيف، ونوادر غريبة في التركي والعربي، ومع ذلك فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب. وكان أشقر أبرص، شديد البياض إلا أنه بحر خضم لا يخاض رحمه الله.

وفي يوم السبت خامس عشر ذي الحجة توفي المرحوم عبد العزيز أفندي السفرجلاني، وكان فقيها محبا للعلماء، مقبولا عند الحكام مهابا وقورا، وأعطي جاها لن ينله أحد من بني السفرجلاني، محبا لفعل الخير، ولهذا حصل له القبول عند الخاص والعام.

وفي أوائل الشتاء من آخر هذه السنة قلت الأمطار، ويئست الخلق **ونهض الغلاء على** قدم وساق، فأغاث الله عباده بالأمطار كالبحار، وذلك في ابتداء كانون الثاني، واستمر ليلا مع نهار لا يفتر، وأثلجت الدنيا سبع مرات، واستمر ذلك خمسة وأربعين يوما، وتهدمت أماكن كثيرة بحيث ما بقي محل ولا جهة في الشام إلا ووقع الهدم فيها، ثم بعد ذلك طلعت الشمس، وأحيا الله الأرض بعد موتها.

سنة ١١٥٦

ثم دخلت سنة ١١٥٦، ألف ومئة وستة وخمسين نهار الاثنين غرة محرم، جعلها الله سنة خير ورحمة وبركة. وكان واليا بدمشق الشام سليمان باشا العظم، وهو في ركب الحج الشريف.." (١)

"وقد هل هذا العام الجديد، ورطل الخبز الشامي بأربع مصاري وبخمسة، ورطل الأرز بثمانية مصاري، ورطل الدبس بثمانية مصاري، وأوقية السمن بستة مصاري ولا توجد، مع أنه كان من نحو شهر كل رطل وثمانية أواق بقرش، ولكن الخزان ما أبقى للفقراء قمصان، وأوقية العسل بخمسة مصاري، ورطل اللحم الضأن بثلاثين مصرية ورطل الثوم باثني عشر مصرية، ورطل لحم الجاموس ولحم البقر بعشرين مصرية، وأوقية الزيت بمصريتين وقطعة، **وهذا الغلاء ما** سمعنا بمثله أبدا وقد طال المطال، والناس منتظرة للفرج من الملك المتعال.

قال المؤرخ: وفي أوائل هذه السنة الجديدة توفي الحسيب والنسيب السيد أحمد البابا، رئيس حرفة الدباغين،

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٦

كان رحمه الله بهي المنظر ذا هيبة حسنة، ولنا معه صحبة.

وفي رابع وعشرين محرم، كان دخول الجوخدار من الحاج الشريف، يبشر بالسلامة وحسن السيرة، ثم جاء الكتاب ومعه المكاتيب، ثامن وعشرين محرم نهار ا لأحد من هذه السنة المذكورة. وفي سلخ محرم صار في دمشق سيل عرمرم، ما رؤي قط مثله من قديم الزمان، وعقبه نزل برد كبير استقام نزوله مقدار ساعتين، حتى علا على وجه الأرض مقدار ذراع ونصف.

وفي أوائل شهر صفر الخير، جاء خبر عن الحج الشريف بأنه غرق في الحسا قريبا ممن القطرانة، وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج، من خيل وجمال وبغال، ونساء ورجال وأموال وأحمال وقد غرق لأحد التجار سبعة عشر حمل، كل حمل لا يقام بثمن، فاستغاثوا بحضرة سليمان باشا العظم والي الشام، وأمير الحاج، وقالوا: نحن نهب لك مالنا وخذه أنت ولا تتركه للعرب. فحالا نهض وأخذ معه جماعة، وذهب نحو مرحلة، وقد خاطر هو وجماعته، ثم غاب يوما وليلة بعدما جدوا في طلبه، وإذا هو قادم ومعه الأحمال، لم تنقص ولا ذرة. ثم ناداهم وسلمهم إلى أصحابهم، ولم يدنس حجه بشيء. وقد عدوا هذه المنقبة لمثله، من الهمم العالية والمروءة السامية، وبوصولهم أيضا للبلقة جاء أيضا سيل عظيم، أخذ مقدارا عظيما من الحج، وأراد أن يتمم على بقية الحج، لولا أن تداركه الله بلطفه. ولما حصل هذا الأمر، كتب حضرة أمير الحاج سليمان باشا توقيعا، وأرسله إلى الشام وإلى من حواليه، بأن يأتوه بعلف وذخيرة، فنادى المنادي في شوارع دمشق: يا أمة محمد، من كان يحب الله ورسوله، وتمكن من الخروج فليخرج، ومعه ما يقدر عليه من مأكل ومشرب وملبس، فليخرج ليلاقي الحجاج فخرجت الخلق مثل الجراد.

وفي يوم الأحد رابع صفر الخير دخل الحاج، وثاني يوم دخل المحمل الشريف مع حضرة سليمان باشا، وكانت سنة هائلة أخبر الحجاج أن مد العليق صار بقرشين، وفي بعض الأماكن بأربع قروش، وكل ثلاث تمرات بمصرية، وهذا شيء ما سمع من قديم الزمان، وبيع كعب البقسماط بثلث قرش. وكانت دمشق أشد غلاء من غيرها، حتى مد الملح وصل ثمنه إلى ثلاثين مصرية، والدبس الأوقية بمصرية. واللبن في آذار رطله بسبعة مصاري، والخبز لا يوجد، والحكام يخزنون، وأهل البلد يفعلون كفعلهم، وإلى الله المصير.

وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر الخير من هذا العام، توفي العالم العامل، الشيخ أمين أفندي ابن الخراط رحمه الله.

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة شرع حضرة والي دمشق الشام، سليمان باشا ابن العظم في فرح، لأجل ختان ولده العزيز أحمد بك، وكان في الجنينة التي في محلة العمارة، وجمع فيه سائر الملاعب وأرباب

الغناء واليهود والنصارى، واجتمع فيه الأعيان والأكابر من الأفندية والأغوات ما لا يحصى، وأطلق الحرية لأجل الملاعب يلعبون بما شاؤوا. من رقص وخلاعة وغير ذلك، ولا زالوا على هذا الحال سبعة أيام بلياليها. وبعد ذلك أمر بالزينة، فتزينت أسواق الشام كلها سبعة أيام، بإيقاد الشموع والقناديل، زينة ما سمع بمثلها، وعمل موكب ركب فيه الأغوات والشربجية، والأكابر والإنكشارية، وفيه الملاعب الغريبة من تمثيل شجعان العرب وغير ذلك. وثاني يوم طهر ولده أحمد بك، وأمر من صدقاته أن يطهر من أولاد الفقراء وغيرهم ممن أراد، فصارت تقبل الناس بأولادهم، وكلما طهروا ولدا يعطوه بدلة وذهبين، وأنعم على الخاص والعام، والفقراء والمساكين بأطعمة وأكسية وغير ذلك، مما لم يفعل أحد بعض ما فعل، ولم نسمع أيضا بمثل هذا الإكرام والإنعام، على الخاص والعام، فرحمه الله وجازاه أحسن الجزاء، آمين.." (١)

"وبعد هذا الفرح العظيم عمل فتحي أفندي الدفتري فرحا عظيما بهذا الشهر، أعني به ربيع الأول، زوج ابنته لأخيه، وكان فرحا عظيما ما عمل بدمشق نظيره، ولا بلغ أحد أنه عمل مثله، وكان سبعة أيام كل يوم خصه بجماعة: فاليوم الأول خصه بحضرة والي الشام سليمان باشا بن العظم، واليوم الثاني إلى الموالي والأمراء، واليوم الثالث إلى المشايخ والعلماء، واليوم الرابع التجار والمتسببين، واليوم الخامس إلى النصارى واليهود، واليوم السادس إلى الفلاحين، واليوم السابع إلى المغاني والمومسات، وهم بنات الخطا والهوى، وقد تكرم عليهم كرما زائدا، ويعطيهم الذهب والفضة بلا حساب. وكان قبل الفرح عمل تهليلة، جمع بها جميع مشايخ الطرق.

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول بهذا العام توفي نقيب النقباء في دمشق، على الحرف والصنايع والطرق، الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الحلاق القادري، صاحب الحلقة في الجامع الأموي.

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الثاني في هذه السنة المذكورة، توفي الشاب السعيد سلالة الطاهرين، وفخر الصديقين، أحمد أفندي البكري الصديقي، وكان من النجابة على جانب ودفن بتربة الشيخ رسلان رحمه الله.

وفي يوم الأحد غرة جمادى الأولى من هذه السنة، شرع حضرة سليمان باشا ابن العظم، في تعمير وترميم نهر القنوات، وجعل جميع المصارف من ماله جزاه الله خيرا، واشتغل بها من الفعلة مائتا فاعل، فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها، وبتشييد أركانها وإصلاح ما فسد منها، ورفع جدرانها، وبضبطها ضبطا جيدا وبإصلاح فروض مستحقيها على الوجه الحق، وأن يأخذ كل ذي حق حقه. فكانت هذه العمارة والضبط

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٧

ما سبقه إليه أحد من عهد إصلاحها من أيام التيمور لما أصلحت بعده، وقد تمت عمارته في برهة خمسة عشر يوما في أول مربعانية الصيف. ولما تم أمر بإطلاق النهر، فكان إطلاقه على أهل دمشق فرجة من أبهج الفرج، ويوم مثل يوم الزحام. وقد أرخ هذه العمارة شيخ الأدب في الشام الشيخ عبد الرحمن البهلول، مادحا حضرة الوزير سليمان باشا ومشيرا لتاريخ تتميم البناء، فقال:

جزى المولى أمير الشام خيرا ... سليمان الزمان ودام دهرا

بما قد جدد القنوات صدقا ... بإخلاص زكا سرا وجهرا

فيا طوبى له إذ نال أجرا ... على مر الليالي مستمرا

له في كل مكرمة أياد ... بإحسان علت وهلم جرا

فكم صنعت يداه وجوه بر ... بها أرخ سبيل الخير أجرا

وفي نهار الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى توفي الشيخ الفقيه العالم الشيخ علي، مدرس جامع عز الدين في باب السريجة، وقد ناهز الثمانين، رحمه الله تعالى.

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة، قامت العامة وهجمت على المحكمة، وطردوا القاضي ونهبوا الأفران. وسبب ذلك **كثرة الغلاء والازدحام** على الأفران، وقلة التفتيش على صاحب القمح والطحان والخزان، فتلافى حضرة الوالي سليمان باشا هذا الأمر، وأرسل يشدد على الطحانة والخبازة، ويهددهم ويخوفهم فحالا وجد الخبز، وتحسن وكسد، بعدما كانت غالب الناس تبات بلا خبز، فابتهلت الناس بالدعاء لحضرته.

وفي سادس جمادى الثانية من هذه السنة، توفي الشيخ مصطفى ابن شيخنا وأستاذنا شافعي زمانه، وفاضل أوانه الشيخ محمد العجلوني، من افتخرت به محلة القنوات، رحمه الله. وبالأمر المقدور، توفيت زوجته أول يوم، ولحقها ثاني يوم، رحمهما الله تعالى.." (١)

"وفي نهار الثلاثاء، الثالث والعشرين من شوال توفي الشيخ العالم الفقيه الواعظ الشيخ أحمد الخطيب. الواعظ والإمام في جامع الدقاق في محلة القبيبات قبلي دمشق الشام، وهي الميدان التحتاني عند باب الله. قال المؤرخ: وتلك المحلة بها مولدي، ومسقط رأسي وبها منزلنا، وبعد وفاة والدنا انتقلنا منها إلى محلة التعديل. وكان الشيخ أحمد المذكور رجلا فاضلا، فقد أحيا تلك المحلة بالعلوم والدين، وانتفع به كثير من المسلمين.

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٨

وفي اليوم الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة، قدم سلخور من جهة السلطان، بتحصيل مال سليمان باشا، وقدره اثنا عشر ألف كيس، ودخل الشام مثل شعلة النيران، وأخرج حرم سليمان باشا من ديارهم إخراجا شنيعا، وصاروا يفتشونهم كذا، واحدة واحدة، مع التفتيش في جيابهم وأعبابهم، وختم على جميع مخادع الدار، وأمر بالقبض على ابن عم المرحوم سليمان باشا، وهو السيد محمد، وعلى جماعة أخرى معه، وأمر بالترسيم الشديد عليهم، وسأل عن محمد آغا الديري، وكيل خرج سليمان باشا، فأخبروه أنه ذهب مع أسعد باشا إلى الحج، فأمر بجلبه، فجاؤوا به، وأمر بالترسيم عليه.

قال المؤرخ البديري: ثم أحضر السلخور القاضي والأعيان، واستجلب حرم سليمان الباشا، وأحضر الجلاد وآلة العذاب، وشدد على الحريم بالطلب، وأن يعلموه عن المال أين مخبأ، فلما رأوا التشديد خافوا من العذاب وأقروا له عن بعض مخابئ تحت الأرض، فأرسل خلف المعمارية الذين عمروا السرايا، وكانوا نصارى، وكان المعلم نصرانيا يقال له ابن سياج، فأمر القبجي بتعذيبهم، وقطع رؤوسهم وأيديهم، فلما تحققوا عذابهم قالوا: نحن ندلك على كل ما عمل ثم أنهم حفروا له تحت الدرج، فبان عن سرداب، فرفعوا عنه التراب، ونزلوا في درج، فظهر مكان واسع وفيه صندوق مقفول وعليه غالات وقفول، فأخرجوه وفتحوه، فرأوه ملآن من الدراهم والريالات. ثم أخرجهم النصراني إلى مخدع، فحفر في دوائره، فإذا فيه سبع براني مملوءة من الذهب المحبوب السلطاني، فلما رأى الحاضرون ذلك الحال زاغت منهم الأبصار، ثم عدوه وضبطوه، فوجدوه ثمان مئة كيس وخمسين كيسا. فلما بلغ الناس ما خرج عنده من هذا المال، وكان في أيام شدة الغلاء، مع سوء الحال، لهجوا بالذم والنكال، وقالوا قد جوع النساء والرجال والبهائم والأطفال حتى جمع هذا المال من أصحاب العيال، ولم يراقب الله ذا الجلال.

وقبلا جاء قبجي لضبط مال سليمان باشا، فضبط ألفين وخمسين كيسا، فلم يره بشيء كذا. وقد كان فتحي أفندي الدفتردار اشترى غالب متاعه والأغلال، فكان عنده من القمح ما بلغ ثمنه خمسة وعشرين كيسا، وبلغ الغرارة بخمسة وعشرين غرشا، والكيس بخمس مئة غرش، فانظر كم غرارة بخمسة وعشرين كيسا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسيأتي الكلام على بطش الله، وغضبه بالدفتري المذكور، لأن الله تعالى يمهل ولا يهمل. ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون.

وفي اليوم الرابع والعشرين، وهو يوم السبت من شهر ذي القعدة، توفي الشيخ محمد المكتبي، هو وابنه، في الطاعون المشتد في هذه الأوقات. وكان إماما في الجامع القلعي، وشيخ كتاب في محلة الخراطين، فتوفي هو في أول النهار، وابنه في آخره. وكان مبدأ هذا الطاعون أول الخريف، في أواخر الصيف، واستمر

حتى دخل الشتاء وزاد كثيرا، وقد قيل بدخول السنة الجديدة يذهب.
وفي أوائل ذي الحجة، طلع نجم له ذنب، من جهة الغرب، ويستمر إلى ما بعد الشتاء بقليل واستقام إلى أن دخلت السنة الجديدة.

سنة ١١٥٧

وكان دخولها غرة محرم الحرام يوم السبت سنة سبع وخمسين ومئة وألف، ١١٥٧ فبقي النجم الذي له ذنب يطلع من جهة الغرب، ثم صار يطلع من جهة الشرق، وذنبه إلى الغرب.." (١)

"وفي تلك الأيام قتل نفسه شيخ التكية. وفي تلك السنة كثرت بنات الخطا، ويتبهرجن بالليل والنهار، فخرج ليلة قاضي الشام بعد العصر إلى الصالحية، فصادف امرأة من بنات الخطا، تسمى سلمون، وهي تعربد في الطريق، وهي سكرى ومكشوفة الوجه، وبيدها سكين. فصاح جماعة القاضي عليها، أن ميلي عن الطريق، هذا القاضي مقبل، فضحكت وصاحت وهجمت على القاضي بالسكين، فأبعدوها كذا عنه أعوانه. ثم جمع القاضي الوالي والمتسلم، وذكر له ما وقع له مع هذه العاهرة، فقالوا له هذه من بنات الخطا واسمها سلمون، وافتتن بها غالب الناس، حتى صار ينسب إليها كل حاجة أو متاع، فيقولون هذا متاع سلموني، وهذا الثوب سلموني. فأخرج المفتي فتوى بقتلها، وإهدار دمها تسكينا للفتنة، ففتشوا عليها وقتلوها. وأرسلوا مناديا ينادي في البلد، أن كل من رأى بنتا من بنات الخطا والهوى، فليقتلها ودمها مهدور، فسافر عدد منهن وانزوى البقيةِ. ومع ذلك فالطاعون مخيم في الشام وضواحيها، **مع الغلاء ووقوف** الأسعار.

وفي نهار الأربعاء تاسع عشر محرم من هذه السنة، ورد من الدولة العلية خط شريف إلى القبجي، الذي جاء لضبط مال سليمان باشا، بأن يجمع أعيان البلد ويقرأ عليهم الفرمان، ومضمونه بأن يفتش ويفحص على خلفات الباشا المذكور، وأن يعذب الرجال والنساء بلا معارض حتى يقروا بالمال. فأجابوا بالسمع والطاعة، فأول من أتى به، ابن عم الباشا السيد محمد وهدده، فحلف بالطلاق، بأن ما عنده علم وقيل ضربه، فأقر على مكان، وقال احفروا هنا، فحفروا في دار الباشا حول الوجاق. فبان عن أربع زلع ذهب، فيهم ستة عشر ألف ذهب. ثم ضربوا الطواشي، فأقر بأنه مودع عند رجل يقال له حسن الطرابلسي، مخلاة ملآنة ريالات. فسارت إليه الأعيان، وأتوا به وبالمال، فأخرجوه فوجدوا داخل المخلاة بين المال جوهرة ليس لها قيمة، ورأوا المال ناقصا عن ما قال الطواشي، فأمر القبجي بحبس الذي خرج من عنده المال، وحبس أولاده ومن يلوذ به. وأمر بحضور نساء الباشا وحريمه، وقد ذكرنا أولا أنه أخرجهم كذا من الدار

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/١٢

عنفا وتركهم تحت الترسيم، والآن أمر بإحضارهم فأحضروهم وصار يقررهم فأنكروا وجحدوا، فأمر بحبسهم، فحبسوا في باب البريد وشدد عليهم. وكان لسليمان باشا سرية مقدمة على جميع محاظيه تسمى زهرا، كأنها البدر في أفق السماء، وكان قد تركها القبجي عند سليمان بيك وكيل سليمان باشا على أملاكه تحت الترسيم. فلما جاءه الفرمان بعقوبة الرجال والنساء أمر بإحضارها، وسألها عن المال، فأنكرت وادعت أنها ما رأت شيئا ولم تعرف شيئا، فأمر بضربها، فضربت على وجهها ويديها وأجنابها، حتى عدمت صوابها فلم تقر بشيء، وهي تحلف أن ليس لها علم ولا خير ولا أطلعها سيدها سليمان باشا على أمر، فتركها تحت الترسيم، لأنه جبار لئيم وشيطان رجيم ليس له شفقة على الحريم، عذبه الله بنار الجحيم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ثم بعد ذلك جمع القبجي جميع حريم الباشا الجوار والأحرار جملة واحدة، وأخذ جميع ما معهم كذا وما عندهم من ذهب وفضة ومتاع وحلي وألبسة وجميع ما تقتنيه النساء، وذلك بعد العذاب والإهانة والضرب الشديد. قاتله الله بجلود لا دباغ لها وعذبه بنار الخلود.

ثم إن سليمان باشا كانت له زوجة هي بنت الشيخ ياسين القادري، لما رأت ما حل بصحيباتها من الإهانة سألها القبجي عن مال زوجها الباشا، وهددها بالعذاب، فخافت وأعطت له شكلا من الذهب يساوي عشرة أكياس، وأعطته تمسكات، وهي سندات كانت على بعض التجار بنحو مئة وخمسين كيسا. وكان جميع ذلك المال إرثا عن أبيها الشيخ ياسين القادري، رحمه الله وقدس سره.

وكل هذا الحال وأسعد باشا العظم في الحج. ولما جاء أسعد باشا من الحج عمل ديوانا، وحضر القبجي وأخرج خطا شريفا بأن أمره مفوض يفعل ما يشاء من تعذيب وقتل وحبس، ولا أحد يعترضه. وقد ظن الناس أن أسعد باشا يقوم ويقعد لذلك، فخرج الأمر بخلاف ذلك، وقام ولم يحرك ساكنا. وسيأتي قريبا أخذ ثأر سليمان من فتحي أفندي الدفتردار.

ثم بعد مدة جاء فرمان بالعفو نامه، وجمعوا محمد آغا بن الديري والسيد محمد بن عم سليمان باشا والسيد سليمان، فباعوا القمح والأملاك وما بقي من الأمتعة والزردخانة إلى أسعد باشا بأربع مئة كيس.." (١)

"ثم في هذه الأوقات زاد غلو الأسعار وقلت الأمطار وعظمت أمور السفهة والأشرار، حتى صار رطل الجبن بنصف قرش والبيضة بمصرية وأوقية السيرج بنصف الثلث، ومد الشعير بنصف قرش، ومد الحمص بنصف قرش، ومد العدس بنصف قرش، وغرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا، بعدما كانت بخمسة وعشرين

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/١٣

غرشا، وأوقية الطحينة بأربعة مصاري، والدبس كل ثلاثة أرطال بقرش، ورطل العسل بقرش وربع، وكل شيء نهض ثمنه فوق العادة، حتى صار مد الملح بنصف قرش.

وفي تلك الأيام هلك مصطفى آغا ابن القباني كيخية الإنكشارية بمرض أعيا الأطباء برؤه، وكان من الذين يدخرون القوت **ويتمنون الغلاء لخلق** الله، فجعل الله العذاب والعقاب، لقد بلغني عنه أنه لما أرادوا دفنه حفروا له قبرا فوجدوا فيه ثعبانا عظيما، فحفروا غيره فوجدوا كذلك، حتى حفروا عدة قبور وهم يجدون الثعبان، قلت: وقد سبق ذلك فيما سلف لبعض الظلمة. وقد وجدوا في تركته من السمسم مئة غرارة، على أن في البلد كلها لم يوجد مد سمسم، ووجدوا من القمح شيئا كثيرا، وقد طلب منه أن يبيع غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا فلم يقل، وحلف لا يبيعها إلا بخمسين، فهلك ولم يبع شيئا، فبيعت في تركته، ورحم الله عباده بموته لأنه أرحم الراحمين.

سنة ١١٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئة ألف، وكان أولها يوم الأحد. وقد دخل قاضيها مصطفى أفندي وقدامه أعوانه حاملين البندق والسلاح، حتى وصل إلى المحكمة، وهذا لم يقع لغيره، ثم جلس في المحكمة لا يحرك ساكنا، وفقه الله.

وكان الحاكم في الشام والوالي بها حضرة الوزير الخطير أسعد باشا ابن العظم أيده الله وأعز كلمته. وكان غائبا في الحاج، والمتسلم والكيخية موسى. **ولكن الغلاء قائم** على قدم وساق مع الكرب والخوف والشقاق.

وفي ثالث صفر دخل الحاج دمشق نهار الخميس صحبه أميره المعظم والوزير المفخم حضرة الحاج أسعد باشا العظم، فهو والحجاج على غاية من الصحة والسلامة. ثم بعد ذلك أرسل يطلب الدالاتية طلبا حثيثا، فلما رأت الإنكشارية ذلك ضاقت عليهم الأرض، وقالوا كأقوالهم السابقة في قلة أدبهم: الست سعدية تريد أن تغدر بنا، وهذا الأمر لا يخوفنا. ثم زادوا بحمل السلاح ونهب المال وسبي العرض وسب الدين، وغير ذلك من الفظائع. ولما زادوا عتوا وفتكا، ولم يراقبوا حضرة الحق جل جلاله، أرسا الله تعالى من غضبه ريحا شديدة على الشام ما رؤي مثلها في سالف الأيام، فقلعت الأشجار من أصولها وأرمت غالب الجدران، حتى ظنت الناس أن القيامة قد قامت.." (١)

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/١٥

"وفي آخر ربيع الثاني أرسل حضرة أسعد باشا العظم عسكرا عظيما إلى مدينة بعلبك، لقتل واليها الأمير حسين، فلم يجدوا له أثرا، فدخلت الأعوان ونهبوا وسلبوا وفعلوا ما فعلوا، ثم أتوا بثمانية رجال من أعيان بعلبك، ومن جملتهم مفتيها لدمشق الشام، فشنق مفتيها المذكور وضربت أعناق الباقين.

وفي تلك الأيام أرسل حضرة أسعد باشا جملة من العساكر إلى العرب، فجاؤوا برؤوس من العرب وجمال وأغنام وسلب وغير ذلك. وقد أرهب حضرة أسعد باشا المذكور الكبار والصغار، وعظم صيته حتى في البراري والقفار، وصاروا يضيفون لاسمه الحاج، ويقولون: الحاج أسعد باشا.

وفي هذه الأيام جاء من الدولة العلية قبجي ومعه من حضرة السلطان هدية ملوكية لحضرة الحاج أسعد باشا وهي كرك عظيم مفتخر وسيف ملوكي وخلع وتشاريف. وذلك لم يسبق لغيره من الوزراء والحكام، إلا إلى الوزير الأعظم صاحب الختم، إذا كان في سفر حرب وصار على يده فتوح بلدان، فسبحان المعطي المانح.

وكانت الدولة منذ أمد غير بعيد قد رفعت أرط القبوقول من الشام، ولم تر لفات برمة. فأرسل حضرة أسعد باشا حفظه الله يطلب من الدولة أرطا، فأرسلوا له أرطة أون طقوز، ودخلت بموكب عظيم، سرت أناسا وأكمدت أناسا.

وأرادت بعض الأشقياء أن تقيم رؤسها، فأخبروا حضرة الباشا بذلك، فأرسل يقول للآغا: كل من أدخله من أولاد الشام من غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك. فانتظم الحال، وقويت دولة القبو قول في دمشق الشام، وبرموا اللفات، ورجعت دولتهم أحسن مما كانت.

وفي جمادى الأولى من هذه السنة وصل الجراد للشام، وكان حولها سنين مخيم، فنزل على بساتينها، فأكل حتى لم يبق ولم يذر، فأرسل حضرة الباشا رجلين من أهل الخبرة يأتونه بماء السمرمر. ثم إن هذه السنة كانت كثيرة الأمطار والخيرات والفواكه والنبات. ومع ذلك فأهل الشام في شدة عظيمة من الغلاء، ونهض الأسعار في جميع البضائع. وكان حضرة أسعد باشا حفظه الله عمل ديوانا، وأرسل خلف بائعي القمح، وطلب منهم إحضار القمح وهددهم، فحلفوا له بأن ما عندهم شيء ولا يوجد. فقال لهم أنا عندي قمح كثير في حماة، فاطلبوه فأرسلوا يطلبون جميع ما يوجد من القمح خاصة حضرة الباشا وغيره، فجاءهم من حماه أحمال قمح بغير حساب، وباعوه في الشام على السعر الواقع. ومع ذلك فرطل الخبز بخمسة مصاري، وقد طالت هذه الشدة.

وفي نهار الأحد بعد العصر خامس عشر جمادى الثانية من هذه السنة ضربت مدافع، فسألت الناس عن الخبر، فقيل: إن سعد الدين باشا أخا أسعد باشا جاءته رتبة وزارة، وجاءه طوخ. فهرعت أكابر الشام لأجل

تهنئة أخيه أسعد باشا. وكان أسبقهم لتهنئة الباشا فتحي أفندي دفتر دار الشام، فلما رآه الباشا قام ودخل لدهليز الخزنة، فتبعه وجلس عنده، فأخرج أسعد باشا صورة عرض وأراه إياه، فأخذه فتحي أفندي وقرأه، وإذا فيه ال أمر بقتله. وقال له حضرة الباشا ما تقول في هذا. فقال سمعا وطاعة. لكن أنا في جيرتك فخذ من المال ما أردت وأطلقني، فقال له الباشا: ويلك يا خائن، أنا لم أنس ما فعلت في نساء عمي. ثم أمر برفع شاشه وقطع رأسه، فوضع في رقبته حبل، وسحب إلى خارج السرايا وقطع رأسه، وأرسل للدولة. ثم أمر الباشا أن تطاف بجثته في سائر شوارع الشام وطرقها وأزقتها ثلاثة أيام، ففعل به ذلك، وطيف به عريانا مكشوف البدن وتركوه للكلاب، ثم دفنت جثته في تربة الشيخ رسلان، وأمر الباشا بالإحاطة على داره وعلى ماله والقبض على أعوانه، فألقوا القبض على خزنداره عثمان وعلى ولده فأمر بحبسهما، ثم أتوا بأكبر أعوانه وكان يلقب بالعفصا فقطع رأسه حالا. وزادوا على أعوانه بالتفتيش، فقتل بعض أعوانه وخدامه، ثم ضبط الوزير تركته وأموال أتباعه جميعا للدولة العلية، فبلغت شيئا كثيرا، وتفرق الباقون أيدي سبا، كأن لم يكونوا وانقضت دولة كأنها طيف خيال.." (١)

"وفي نهار الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة قدم محمد آغا بن فروخ بمنصب دفترية الشام، مكان فتحي أفندي الفلاقنسي، وأقام في داره المشهورة بهم.

وفي خلال هذه الأيام زاد الهم على الناس واشتد بهم وقوف الحال مع شدة الغلاء، والخبز بستة مصاري كما قدمنا، حتى صار رأس الكرنب الذي قدر النارنجة بمصريتين، والباقي على هذا المنوال فالأمر لله الملك المتعال.

وفي خلال هذه الأيام من هذه السنة جاء مقرر طرابلس الشام إلى حضرة سعد الدين باشا، وكان مع أخيه في الدورة، فرجع مع أخيه إلى دمشق، وأقام قليلا، وسار طالبا منصبه، وفقه الله.

وفي هذه السنة كان ثبوت رمضان ليلة الاثنين، والعيد الأربعاء والصوم تمام.

وفي نهار الجمعة بعد الصلاة في سبعة شوال من هذه السنة خرج حضرة والي الشام وأمير الحاج أسعد باشا العظم قاصدا الحج الشريف، والحاج خرج يوم عشرين. ولما سافر حضرة الباشا ترك المتسلم بها وهو موسى كخية مكانه في الشام. فجاءه الخبر بأن الزرباوات وهم الأشقياء المطرودون مرادهم بأن يأتوا إلى الشام على حين غفلة من أهله، ويقتلوا جماعة من الذين تسببوا في طردهم، فاضطرب المتسلم المذكور، وأرسل استجلب عبد الله الترك آغة الدالاتية المطرود وقوى شوكته وكثر جماعته. وصار محمود آغا آغة

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/١٧

الدالاتية التفكجية يدور ويطوف ليلا خارج دمشق، والدالاتية تحوم حول البلد، وقد أقلقوا الخلق وزاد النكد، ولا زال هذا الحال مدة غيبة الباشا والحاج.

سنة ١١٦٠

ثم دخلت سنة ستين ومئة وألف، وكان غرة محرمها نهار الخميس، وفي نهار الاثنين خامس محرم الحرام من هذه السنة الموافق لأول كانون الثاني زادت المياه بسبب سيل عظيم، ودخوله للشام كان نصف الليل، فحصل طوفان لم يسمع له نظير من قديم الزمان، هجم الماء من نصف الليل إلى الشام، وأغرق جميع ما كان في طريقه من الدكاكين، وأتلف أموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى، حتى صار المرجة كالبحر، ومع ذلك الماء يخطف الطير، وله خرير ودوي وهدير. وقد غطت هذه الزيادة حجر تاريخ القلعة، ومرت في الأسواق والدور وأخرجت شيئا غير محصور، وقد صارت تحت القلعة وفي المناخ بالارتفاع طول قامة الإنسان.

قال المؤرخ البديري: وقد دخلت إلى قهوة المناخلية بعد انصراف الماء فوجدت الماء في أعلى مساطبها أعلى من ذراع، وقد شاب من هولها الكبير والصغير. وقد غرق بها أناس غير محصورين، مع ما أتلف من البهائم والأموال وقد أضرت بجميع ما مرت عليه وانهدمت أماكن كثيرة لا تحصى وتركتها بلاقع. نسأله تعالى اللطف في المقدور آمين.

وفي خامس صفر كان قدوم الحاج الشريف، وقد أخبرت الحجاج بأن هذه السنة من أجمل السنين وأحسنها، وجميعهم شاكرون وداعون لحضرة أسعد باشا بالدوام، من كثرة ما حصل لهم في الطريق من الراحة والخير والإنعام من حضرة الباشا لعموم الحجاج، فجزاه الله أحسن الجزاء آمين.

وقدم مع أسعد باشا من الحجاز في هذه السنة باكير شاه والي جدة، وأقام في دار فتحي أفندي المتقدم نحو شهرين في الشام، ثم سار قاصدا حماه، ولم يعلم ما سبب مجيئه. وعاد أيضا مع الركب الشامي شيخ الإسلام وأقام مدة في الشام، وسار طالبا إسلامبول. وكان رجلا كبير السن وقورا، ما حرك ساكنا في الشام مدة إقامته.

وبعد قدوم الحج خزنة مصر إلى الشام، وقد تأخرت عن ميعادها. وقد شدد الطلب حضرة أسعد باشا بعد مجيئه من الحج على الزرب الأشقياء، فقبضوا على أمين ابن الحديد وعلى عبده بن حمزة عنبر، فأمر بقتلهما فقتلا شر قتلة. وقد زادت الدالاتية الاعتداء والجور، وخربوا البلاد والقرى، فكثرت الشكاية منهم إلى والي الشام أسعد باشا، فكتب للدولة عليهم في شأنهم، فجاءه مرسوم بإبادتهم، فأمر مناديا أن ينادي

كل من أقام من الدالاتية في الشام أكثر من ثلاثة أيام من أهل الفساد والعناد فدمه مهدور، ثم بعد أيام ظهرت الدالاتية ولم تتم القضية والحكم لله عالم الخفية.." (١)

"وفي يوم الأربعاء جاء خبر بأن عرب عنزة نهبت عرب الرشا، وأن الأكراد الذين كانوا مع عرب عنزة أخذوا جميع ما نهبوه وسلبوه من مال وجمال وغنم ونساء. وكانت الغنم كثيرة لا يحصي عددها إلا الله، وأن الواقعة كانت مهولة، وأنه قتل من الفريقين خلق كثير. والمساعد للعرب حضرة أسعد باشا على ما قيل. فجاؤوا بالأغنام إلى الشام. وقد كان أهل الشام في غلاء اللحم وأكل الذرة والشعير لهم سنين، فبيع رطل اللحم في هذه السنة بسبعة مصاري وثمانية إلى العشرة، مع علم الناس أنه سلب حرام، فمنهم من ترك أكله وهم أقل من القليل، والباقي وهم عموم الناس لم يبالوا. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال المؤرخ البديري رحمه الله: وكان الجراد مفرزا من العام الماضي في الشام وأراضيها، فلما جاء الربيع صار يظهر شيئا فشيئا إلى أن ظهر مظهرا شنيعا، وبدأ يزحف مثل النمل والذر، فبدأ يأكل الزرع ويتلف النبات، فوقعت الناس في كرب عظيم. فنبه حضرة أسعد باشا حفظه الله على الفلاحين عموما بأن تجمعه وتأتي به. وقد فرض على الأراضي الخمس كل أرض قنطارين، وكذلك القرى والضياع، كل ضيعة شيئا معلوما يجمعونه. فجيء به أحمالا وأمر به أن يدفن، فدفن منه بعض في مغارة عند مقبرة البرامكة وردم عليه، ثم صاروا يحفرون حفاير في قبور النصارى واليهود ويضعونه فيها. ثم لم يزل يكثر وينتشر، فأمر حضرة أسعد باشا أثابه الله بأن تعاد الفريضة على كل قرية من قرى دمشق، مئتا قنطار، وأن من لم يأت بالمطلوب فعليه جزاء كذا، وأمر أيضا حفظه الله بعض المأمورين أن تضبط عليهم، وأن يضعوه في جبل الصالحية في آبار ومغاير.

قال المؤرخ البديري: وبلغني أنه في ثلاثة أيام وضعوا في الصالحية ألف وسبع مئة قنطار من الجراد، عدا ما وضع في المغاير والآبار في غير الصالحية.

وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الثاني من هذه السنة جاء خبر إلى دمشق بأن الطير المسمى بالسمرمر قد جاء ومر على قرية عدرا وضمير، وأتلف من الجراد شيئا كثيرا، ففرحت أهل البلاد سيما أهل الشام. فخرجت أهل الصالحية ومعهم المشايخ والتغالبة والنساء والرجال والأطفال بالبكاء والعويل والتضرع إلى الله تعالى بدفع هذا البلاء ورفع الغلاء، ثم زينت أهل دمشق فرحا بوصول السمرمر أحسن زينة.

وفي هذه الأيام شاع خبر بدمشق بأن في الشام امرأة يقال لها السماوية تمسك الأولاد بالاحتيال والرجال

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٢٠

أيضا، لأجل أن تخرج السم منهم، فخافت الناس وكثر الفزع، وصارت الناس توصي بهم بعضا منها. وبعد مدة أيام وقعت ضجة بين الناس، فقيل ما الخبر، قالوا: قبضوا على السماوية، وإذا هي امرأة عجوز قبضت عليها العامة، وخلفها الأولاد والرجال كالجراد، وهم يضربونها ضربا وجيعا، وذهبوا بها لعند القاضي، فسألها عن حالها ومن أين أتت. فقالت: والله يا سيدي أنا امرأة فقيرة الحال ولي أولاد وعيال، وهذا القول عني زور وبهتان. قال: فأمر القاضي بتفتيشها وتفتيش بيتها، ففتشوها فإذا معها لعب يلعب بها الأولاد والأطفال، وفي جيبتها طواقي كبار وصغار، ثم ذهبوا وفتشوا بيتها، فلم يجدوا فيه غير متاع عتيق وقطعة من الحصير، ثم شهد جيرانها بأنها امرأة فقيرة الحال، ولها زمان قاطنة في هذا المكان، ولم نعلم لها سوء حال، ثم أطلقوها فذهبت لحال سبيلها.." (١)

"وفي يوم الاثنين سابع شعبان من هذه السنة أمر حضرة أسعد باشا الدالاتية والأطلية بأن تركب وتغير على أرض البقاع ومن فيها من الدروز، فيقتلوا ويأسروا وينهبوا ويفعلوا ما أرادوا. ثم بلغني أنهم أغاروا على جماعة من الدروز وهم على حين غفلة، فقتلوا منهم ومن مشايخهم، وقبضوا على الباقين منهم، ونهبوا الأموال والدواب والغنم والنساء والأولاد، وجاءوا برؤوسهم إلى دمشق. فكان يوم مجيئهم يوما تقشعر منه الجلود مع الجلال. فنسأله تعالى أن يصلح الأحوال، ويرحم أهل الشام ويرخص لهم الأسعار.

وفي يوم الخميس عاشر شعبان عمل الشيخ إبراهيم الجباوي متولي جامع الأموي فرح عرس إلى ابن ابنه، وأمر أن تزين الأسواق بالقناديل والشمع، وأمر أن تشعل منائر الجامع الأموي فشعلت وهذا شيء ما سمعناه أنه سبق لغيره.

وفي ليلة السبت مات الشيخ الولي معتقد أهل الشام الشيخ عمران بن الشيخ إبراهيم إمام داء السعادة. كان رحمه الله من أرباب الأحوال، وكان له ستة أصابع في يده اليمنى، وكان يكتب خطا حسنا بيده اليسرى ويقلد كل خط، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن. ودفن بباب الصغير بجوار سيدنا بلال رضي الله عنه.

وفي هذا العام جاءنا الخبر بوفاة أحمد باشا بن حسن باشا والي بغداد وقيل إن سبب موته أن الدولة أرسلت له فروة مسمومة فلبسها فدب السم في بدنه، فمات رحمه الله. كان رحمه الله شجاعا مقداما مدبرا للأمور أطاعته العباد ودانت له البلاد، وقد دفع عن بغداد كل جبار، ولقد قصده طهماسب الخارجي ومعه عسكر جرار، وحاصر بغداد أشهرا فلم يقدر على فتحها فرجع ذليلا صاغرا، وطلب بلاد الهند والتتر، فسلط عليه ولده فقتله ودمره، وتولى ولده مكانه، ولم يخرج على الدولة وكان اسمه دبوس. ولما توفي أحمد باشا

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٢١

والي بغداد أرسلت الدولة إلى بغداد واليا كور محمد باشا، وكان صدرا أسبق، فلما استقر ببغداد، طلبت منه الإنكشارية العلايف أي المعاشات. فقال لهم: علايفكم عندي. قالوا: لا، فقد كان أحمد باشا الذي كان قبلك يعطينا إياها من ماله، ولما تأتي له من الدولة يأخذها. قال لهم: أنا لا أفعل. قالوا: لا بد من ذلك وشددوا عليه بالكلام، وكانوا مثل البحر الزخار. فقال: إن كان ولا بد من ذلك فأرسلوا إلي من أكابركم من كل بلد ثلاثة رجال، حتى يستلموا المال ففعلوا، ولما حصلوا عنده أمر بقتلهم ورمي جثثهم. فلما رأوا إلى ذلك أسرعوا إلى القلعة ورموا عليها بالمدافع والبارود، حتى هدموا سرايته، وقتلوا آغة جماعته. فخرج الباشا من سرداب تحت الأرض ينفذ من خارج البلد وفر هاربا إلى بلاد العجم. ثم كاتبت أهل بغداد إلى الدولة العلية بأن يرسلوا واليا لبغداد عليهم سموه لها، كان عند مخدومه أحمد باشا المتقدم، وكان فيه استعداد تام، فأرسلوه لهم وقد رضوا به.

وفي سابع وعشرين من شعبان قدم أسعد باشا من الدورة، وكان دخوله قبيل المغرب، وجاءت معه مغاربة كثيرة.

وفي هذه السنة صار ثبوت رمضان الأربعاء، وضربت المدافع ليلتها في الساعة الخامسة، وبعض الأئمة صلى التراويح تلك الليلة. وقد صارت غرارة القمح بعشرين قرشا، والله يعيننا على هذا الغلاء، الذي هو رطل الخبز بخمسة مصاري، والأرز بإحدى عشرة مصرية، والباذنجان بأربع مصاري.

وفي ثامن رمضان جاء من اصطنبول شيخ الإسلام يقصد الحج إلى بيت الله الحرام، وخرجت لملاقاته أعيان الشام، ومكث اثنا عشر يوما، وتوفي لرحمة الله تعالى وصار قبره بالشام، ودفن بباب الصغير قبلي سيدنا بلال رضي الله عنه.

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان نبه أسعد باشا بأن يكون الريال بقرشين إلا ثلث، وكان أولا بقرش ونصف وأربع مصاري، وكان عيد الفطر في هذه السنة نهار الجمعة.

وفي يوم السبت سادس عشر شوال خرج المحمل الشريف صحبة أمير الحاج أسعد باشا العظم حفظه الله، وأقام نائبا عنه بدمشق متسلما موسى كيخية المتقدم ذكره. وقد جاء خط شريف بعد خروج الباشا إلى الحج بإخراج أولاد الدروز من القلعة، فأخرجهم المتسلم، وصار في الجبل فرح عظيم. ولو كان أسعد باشا في الشام لما أخرجهم، لأنه طالما جاءته أوامر بإخراجهم فلم يخرجهم. وفي هذه السنة المطر قليل والغلاء

كثير، وكان غالب قوت أهل الشام خبز الذرة والشعير، والفقراء مالهم من دون الله معين ولا نصير.
سنة ١١٦١." (١)

"وفي هذه الوقعة توفي الولي المجذوب الشيخ إبراهيم الملقب بالكيكي وكان رجلا مباركا، وأبوه رجل من الصلحاء من محلة القبيبات. وكان في غالب أوقاته يدق على يديه ويميل إلى ورائه وإلى قدامه، وينادي بأعلى صوته: ولك كيكي يا غواص، وتارة يبكي ويقول: بدي امرأة حتى..، ويقول له الناس: أي شيء لك في المرأة؟ فقال: المرأة خبزة، وله وقائع وكرامات. ومن كراماته التي نقلوها عنه واشتهرت أنه رأى يوما من الأيام رجلا يبيع علب لبن، فصاح على صاحب اللبن وقال بدي علبة، وصار يبكي ويدق بيديه، فاجتمعت الناس وأخرجوا له علبة، فقال الشيخ وهو يبكي لا أريد إلا هذه، وأشار إلى واحدة من علب اللبن، فأخرجوها له، فأخذها بيده وأفرغها على الأرض، وإذا قد نزل منها حية، فتركها وذهب، وله كرامات غيرها كثيرة. وسبب موته أنه أصابه قواس في رجله، فصار يبكي وينادي يا أبي يا غواص، قرصتني زلقطة، ومات بعد أيام، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة أرسل موسى كيخية متسلم دمشق الشام بيرقين دالاتية ومعهم بعض من جماعتهم، فجاؤوا له بإسماعيل آغا ابن الشاويش بالجنزير، وكان مقيما في بعض القرى صوباصيا، ورفعه إلى القلعة، وكذلك جاؤوا له بأخيه سليمان آغا ابن الحملي وبأحمد آغا ابن عساكر فأوقفوهم، وذكر للمتسلم أنهم كانوا مساعدين للدروز والزرب.

وفي يوم السبت كانت وقفة عيد الأضحى في دمشق الشام، ذلك العام. وقد كانت سنة كثيرة الأهوال والآلام. فقد صار فيها جدري كثير حتى أفنى وأمات أولادا كثيرة فسبحان الباقي بعد فناء.

سنة ١١٦٢

ثم دخلت سنة اثنين وستين ومئة بعد الألف، وكانت غرة محرمها يوم السبت. والمرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون سنة مباركة علينا وعلى جميع إخواننا المسلمين. والآن الناس في شدة وحصر زائد من **كثرة الغلاء والشدائد**. ولكن استبشرت الناس بالخير بكثرة الأمطار التي هطلت بأول هذا العام. وقد عمل لهذه السنة تاريخا حسنا وفألا مستحسنا أديب الشام الشيخ عبد الرحمن، وأدرجه ضمن هذين البيتين. فقال:

عام جديد نرتجي من ربنا ... فيه مزيد الخير والنعماء

فعساه يغنينا بواسع فضله ... إذ عمنا أرخت عام غناء

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٢٥

وفي يوم الاثنين ثاني محرم هذه السنة توفي شيخنا محدث الديار الشامية، بل خاتمة المحدثين، من افتخرت به دمشق على سائر الدنيا الشيخ إسماعيل العجلوني المدرس تحت قبة النسر بجامع بني أمية، ولم يبق أحد من أهل الشام من كبير وصغير إلا حضر جنازته. ودفن بتربة الشيخ أرسلان، رضي الله عنه. وعوض الإسلام خيرا.

وفي تلك الأيام توفي إبراهيم آغا آغة القبقول المنفصل عن منصبه أشهرا، وكان دينا متواضعا ملازما لصلاة الجماعة في الجامع الأموي رحمه الله تعالى.

وفي السابع والعشرين من المحرم أقبل جوقدار الحج، وبعد ثلاثة أيام جاء كتاب الحج. وفي ليلة الخميس دخل الحج الشريف خامس يوم من صفر الخير.

وفي ليلة الجمعة توفي الشاب اللطيف ذو القدر المنيف والأصل الشريف سلاسة السادة السعدية والبضعة الصديقية الشيخ بكري بن الشيخ مصطفى بن سعد الدين، لأن أباه من بيت سعد الدين، وأمه من بيت البكري، رحمه الله وعوضه الجنة آمين.." (١)

"وفي أوائل شهر صفر وقع بيت في حارة العقيبة على جماعة قتل منهم سبعة، ونجا رجل وزوجته، واسمه سعيد بن الشاكوش، وفي عاشر ربيع الأول صار برد شديد مؤلم، وصار يباع الفحم على الفروش، يحملونه على رؤوسهم، كل رطل بخمسة مصاري، ويدوروا به في الأسواق والحارات، وكان ذلك قبل دخول الحسوم بأيام، واستمر إلى أن دخلت الحسوم. وفي سابع عشر ربيع الأول قدم جوقدارية من إصطنبول ودخلوا على أمير الحاج ووالي الشام الحاج أسعد باشا العظم، وأظهر أنه جاءته بشارة من الجناب العالي، فأمر بعمل أعمال نارية التي تسمى شنك. فتراكضت القبقول والعسكر لنحو السرايا، فظنت أهل دمشق أن حادثة وقعت، فسكرت البلد، فأخبروا الباشا بذلك، فقال: اضربوا مدافعا واعملوا شنكا آخر. ففعلوا، فهدأت الناس، وفتحت دكاكينهم. وفي تلك الأيام سكر بعض الأتراك من القبقول وجرح ثلاثة أشخاص من أهل البلد، وبعد أيام ماتوا من أثر جراحاتهم، ولم تقام لهم دعوة. وقد **كثر الغلاء وزاد** البلاء، فالخبز رطله بست مصاري وهو الدون، والوسط بثمانية مصاري، والمليح باثنا عشر مصرية. وأوقية السمن بسبع مصاري، وأوقية الزيت بمصريتين، واللحم رطله بست وثلاثين مصرية. وبنات الهوى دائرات بالليل والنهار. والناس في كرب عظيم.

وفي شهر ربيع الأول وصل خبر لدمشق بأنه صار في طرابلس الشام غرقة أعظم من التي صارت بدمشق

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٣٠

المتقدم ذكرها. وذلك بأن نهر طرابلس زاد كثيرا وطاف على أهلها حتى أغرق أكثر من خمس مئة إنسان، ماعدا الدواب والأنعام والأموال. نعوذ بالله من غضب الجبار. وفي تلك الأيام أغارت أعوان الظاهر عمر شيخ طبرية على جمال سائرة من الشام، ونهبوا أهلها وأخذوا مالها. وسبب ذلك أن في بلاده وأرضه عرب وتركمان، وكان قد أمر أسعد باشا أن يغيروا عليهم، فغاروا عليهم ونهبوهم، وأخذوا مالهم وأغنامهم، وقتلوا منهم جماعة، فأتوا بأغنامهم، ففرقها الباشا على القرى ولحامة الشام، والذي كان يساوي قرش طرحه غصبا بخمسة قروش وهكذا. وفي هذا الشهر صار رطل الخبز من ثمانية مصاري إلى اثني عشر مصرية، والمعروك بسبعة عشر مصرية، ورطل الثوم بأربعة وعشرين مصرية، وغرارة القمح باثنين وخمسين غرشا، وغرارة الذرة بثمانية وأربعين، والبيض كل اثنتين بمصرية، ورطل الأرز بخمسة عشر مصرية، ورطل الفحم بستة مصاري. وكل شيء زاد عن حده، والحكم لله في عبده.

وفي شهر ربيع الثاني قتل أسعد باشا ثلاثة أنفار من المتاولة وقتل البطحيش من جماعة الزرب الأشقياء الفارين أيام الوقعة.

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الثانية من هذه السنة دخل قاضي الشام السيد محمد أفندي بشمقجي زاده.

قال المؤرخ البديري: وبلغني أن حامد أفندي بن العمادي مفتي الشام كان قد خزن القمح مثل الأكابر والأعيان الذين لا يخافون الرحيم الرحمن، وأن الكيالة جاؤوا إليه وقالوا: نبيع الحنطة كل غرارة بخمسين قرشا، فقال لهم: مهلا فلعل الثمن يزيد. فإذا كان مفتي المسلمين ما عنده شفقة على خلق الله فلا تعتب على غيره.

وفي هذه الأيام عملوا ديوان، وأخبروا أسعد باشا بكثرة المنكرات واجتماع النساء بنات الهوى في الأزقة والأسواق، وأنهم ينامون على الدكاكين وفي الأفران والقهاوي. وقال: دعنا نعمل لهم طريقا إما بترحيلهم أو بوضعهم بمكان لا يتجاوزونه، أو نتبصر في أمرهم. فقال: إني لا أفعل شيئا من هذه الأحوال، ولا أدعهم يدعون علي في الليل والنهار، ثم انفض المجلس، ولم يحصل من اجتماعهم فائدة.

وفي تلك الأيام زاد الغلاء في بلاد الشام، فبلغنا أن رطل الخبز في طرابلس بعشرة مصاري، وفي غزة والرملة بخمسة وعشرين مصرية، وفي الشام ليس واقف على سعر، وقد زاد الغلاء والبلاء والقهر.

قال المؤرخ البديري: وفي هذه الأيام اشترى أسعد باشا والي دمشق الشام أملاكا كثيرة من دور وبساتين وطواحين وغير ذلك، وهذا قبل بنائه لداره وقيساريته. وفي ثامن جمادى الثانية من هذه السنة نزل الشعير الجديد، فباعوا خبز شعير رطله بأربع مصاري، والأبيض بستة. ثم ثاني يوم خرج المنادي بأن يباع الخبز

الحنطة بأربع مصاري والأبيض بستة مصاري. ولم تحصل للفقراء نتيجة، فكل يوم بسعر جديد، والله يفعل ما يريد.

وفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى توفي العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدالاتي رحمه الله.." (١)

"وبعد رحيل الباشا نادى المتسلم على الفلوس الرملية كل إحدى وعشرين فلسا بمصرية، وأطلق البغدادي الذي اتهم بقتل القرا مصطفى الكردي، وكانوا قد رفعوه للقلعة، وبعد إطلاقه بأيام سكر وعربد وضرب حمارين فقتلهما، فاختبطت البلدة، وأرسل المتسلم في طلبه، فهرب ولم يظهر له أثر، ولا وقفوا له على خبر، فقبضوا على مملوك له فخنقوه.

وقبل خروج حضرة أسعد باشا إلى الحاج الشريف بثلاثة أيام انتهت عمارة دار الباشا، التي هي للحريم، وفرشت بأحسن المفروشات، ونقل حرمه إليها.

وفي تلك الأيام حصلت وقعة عظيمة بين الدروز والمتاولة، ومع المتاولة أيضا أولاد الظاهر عمر حاكم طبرية، وقتل من الفريقين، وحصروا قتلى الدروز، فكانوا نحوا من تسع مئة قتيل، وهي فتنة كبيرة. وفي يوم السبت خامس ذي القعدة ضربت مدافع فسألنا عن الخبر، فقيل جاء من السلطنة مقرر إبقاء أسعد باشا العظم والي الشام.

قال المؤرخ البديري: وفي ليلة الأربعاء لعشرين مضت من شهر ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ إسماعيل بن شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الغني النابلسي، مات عن ثلاثين ولدا من بنيه وأولاد بنيه، وعمر سبعة وسبعين سنة، لأن مولده سنة خمس وثمانين بعد الألف ووالده الأستاذ مولده سنة خمسين بعد الألف ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومئة بعد الألف فيكون عمر الأستاذ والده ثلاثا وتسعين سنة، وكانت وفاته بالصالحية ودفن في دارهم التي في العنبرانية قبلى الجامع الأموي، وحمل نعشه للصالحية، ودفن في دار أبيه بجانب ولده الشيخ طاهر، رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

سنة ١١٦٤

ثم دخلت سنة أربعة وستين ومئة وألف، كانت هلة المحرم نهار الثلاثاء، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى المسلمين. وفي ستة وعشرين من المحرم جاء جوقدار الحج الشريف، وبشر عن الحج بكل خير من كثرة الرخص والمياه وغير ذلك ولله الحمد. غير **أن ارغلاء لم** يفارق الشام، فقد دخلت هذه السنة ورطل

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٣١

الخبز بخمسة وبستة مصاري، ورطل الأرز بعشرة مصاري، ورطل اللحم بثمانية وعشرين مصرية، ورطل الدبس بتسع مصاري، وأوقية السمن بستة مصاري، والعملة مغشوشة، والفلوس غير منقوشة، والنساء باحت والرجال ساحت، والحدود طاحت، والأكابر مشغولة ومروءة الرجال مغلولة، إلى آخر ما قال المؤرخ.

وفي تلك الأيام جاؤوا بأربع رؤوس من العرب قطاع الطريق، أتى بهم عيسى بشه الحبش، أحد الزرباوات الهاربين، فعفي عنه لأجل ذلك.

وفي تاسع وعشرين محرم جاء كتاب الحج، وذكر أن هذه السنة هي أريح وأجود السنين في أيام الحاج أسعد باشا والي الشام حفظه الله. غير أنهم جاءهم سيل عظيم في عسفان أوقعهم أياما، ثم أمر الباشا بأن يجدوا في المسير حتى ترك من العشرة اثنين، هكذا ذكر لي بعض الحجاج. ودخل الحاج يوم الأربعاء ثاني صفر. وثاني يوم الخميس دخل المحمل الشريف، وأسعد باشا وأخوه سعد الدين باشا سردار الجردة بالموكب العظيم. وثامن صفر دخل قاضي الشام عبد الله أفندي سعيد زاده ليلا وعليه جلالة وهيبة ولم يتكلم بقال وقيل. وبلغنا أن عثمان باشا المحصل حاكم جدة مات ودفن بها.

وفي تلك الأيام من هذه السنة جاء منصب حلب إلى سعد الدين باشا أخو أسعد باشا، فتحول من طرابلس بعياله وذهب من دمشق إلى حلب، وقد أشاعوا أن سلفه حاكم حلب كان ظالما غاشما، وقد خرب قرايا كثيرة، وعمر عماير كثيرة، أخذ غالب مصارفها من أهل حلب، وبنى بها جامعا يدهش الأبصار.

وبعد مجيء الحاج أسعد باشا من الحج الشريف وجدنا داره قد تمت عمارتها، فلما دخلها زاد فرحا وابتهاجا وسرورا، فذبح الذبائح وأعطى المنائح، وأقام بها بلذة عيش، وبلغه مجيء تقريره في الشام، فازداد شكرا لمولى الأنام. غير أن أهل الشام في أكدار من غلاء الأسعار، وبخل التجار وانفساد الأحرار وضعف الصغار، وعدم زحمة الكبار، والحكم لله الواحد القهار. فلقد صار رطل اللحم الشامي بقرش، ورطل السمن بقرش ونصف، ورطل لحم الجاموس بأربعة وعشرين مصرية، والسمك مثل ذلك، ورطل لحم الجمل بثمانية عشر مصرية، وأوقية الرز بمصرية، والعسل الأوقية بشاهية. ورطل الخبز بستة مصاري، والناس في أسوأ الأحوال.." (١)

"وفي تلك الأيام وقع بيت بباب السريجة على امرأة وصبي صغير. في تلك الأيام أيضا قتل كردي وزوجته في محلة سوق ساروجا. وسبب ذلك أنه كان حاجا، ولما جاء وجدها متغيرة في أحوالها، ثم تبين أنها عابت في غيبته، وكان ذو كذا حسن وجمال فذبحها ولم يبال بأحد. وفي تلك الأيام أيضا قتل رجل

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٣٨

ابنته في محلة سوق ساروجا، وهي ابنة أربع سنين، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها وأن تلك البنت أمها مطلقة وخالتها امرأة أبيها غير محبة لها، فدست لأبيها عليها بعض الكلام، وكان أبوها من الحمق والجنون على جانب عظيم، فضربها بالعصا ضربا مؤلما، ثم ربطها بشجرة داره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح، فجاء ليحلها فوجدها قد ماتت، وكانت ليلة ذات برد شديد، فأحضره أسعد باشا وأمر أن يضرب ضربا شديدا، فضرب ثم وضع بالحديد بعدما أخذ منه أموالا كثيرة. وفي يوم الأربعاء ثامن صفر الخير من هذه السنة توفي الشيخ محمد أبو قميص الكردي شيخ مدرسة المرادية. وسمي بأبي قميص لكونه إذا لبس قميصا لا ينزعه حتى يتقطع، وهذا غاية في الزهد، وقد كان صائما متهجدا، خرجت في جنازته الأكابر والأعيان لاعتقادهم في صلاحه، ودفن في تربة مرج الدحداح، ولما فتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوبا من الكتان جددا وخمسة عشر نصف مقطع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة سمن وقدرة عسل، وغير ذلك من المؤن. ووجدوا قدرة بها أرباع ريال ومثلها مصاري، وفيها ذهب وأمتعة وحوائج وبدراويتين ملآنتين قمصان، ووجدوا مقدار مئة كتاب قدورهم بثمن عظيم. فانظر إلى زهد مثل هذا، فقد ذهب الصالح بالطالح.

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفي الشيخ إبراهيم إمام القشماسية، وكان فقيها صالحا، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله. وفي يوم الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفي العالم النحرير الشيخ أحمد الحرستي أمين الفتوى في بيت العمادي رحمه الله.

وفي تلك الأيام باع رجل جرة زيت إلى رجل آخر، فقبض ثمنها بعدما وزنها؛ ثم حملها إلى دار الرجل، وقال: أبق عندك هذه الجرة، فبعد ساعة آتيك وأفرغها لك، قال: لا بأس بل أنا أفرغها وأي وقت جئت تجد الجرة، ثم ذهب صاحب الزيت، وبعد ساعة فرغها المشتري، فوجد بها أربع أواق من الزيت والباقي ماء صافيا، فطلب الرجل فلم يجده.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبقولي رجلا من الأشراف في مأذنة الشحم، ضربه بخنجر في صدره أخرجه من ظهره، وترك الخنجر مغروزا فيه، حتى أخرجه قاضي كشف عليه ثم ألقوا القبض على القاتل، وقامت الأشراف، وثبت عليه القتل فحبسوه في القلعة، وفي تلك الليلة خنقوه.

وفي يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفي الشيخ محمد بن الشيخ شعيب الشهير بالشيخ جينة القاطن بحارة باب السريجة. كان رحمه الله ضحوك السن لطيفا على غاية من الصلاح، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى. وفي ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقي من الصالحية يعرف بالفستقي، كان كما قيل داهية

دهماء ومصيبة عظماء، شجاع يرد مئة شجاع بعصا، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل، فمن حيله وشطارته التي ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فمتى علق ظفره به صار أعلاه، والمدهش أن يكون ظهره للحائط، وإذا وضع في أي مكان وأغلق عليه الباب وقفل، خرج منه مهما كان، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره، ثم إنه بغى على أهل الصالحية خصوصا وعلى غيرهم فأعياهم أمره، فجعلوا لشخص جعلا على قتله، فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة، وقتله وراح وكأنه ما كان.

وفي يوم الثلاثاء جاء خبر إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قتل حاكم بعلبك الأمير حسن، وقد كان خارجا من الجامع، فاغتاله ثلاثة أشخاص، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل إلى داره. وفي اليوم الثاني توفي، وقد قيل بأن القاتلين له إخوته، حيث أن لـه من الإخوة سبعة، والله أعلم.

وفي تلك الأيام فرض والي الشام أسعد باشا على الزعماء والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة بقمح، ويكون أجرته منهم، فذهب بعضهم وأتى بقمح كثير، فبيعت الغرارة بإحدى وثلاثين غرشا، ولم نستفد غير وجوده، **وأما الغلاء فإنه** باق بجميع الأصناف كما قدمنا تسعيره.." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وستين ومئة وألف نهار الأحد والغلاء قائم في الشام كما قدمنا. وجاء الجوقدار سابع وعشرين من المحرم، والكتاب جاء ثاني يوم من صفر، وسادس يوم منه دخل الحج الشريف. وأخبرت الحجاج أن هذه السنة كانت مخصبة ودار بهم أمير الحج من غير الطريق السلطاني، فحصل على الحج عطش شديد، حتى هلك في يوم واحد ألف وخمس مئة إنسان.

وفي سلخ ربيع الثاني جاء مقرر إلى الحاج أسعد باشا في الشام وهي السنة الرابعة عشر من حكمه الشام وإمارة الحج الشريف المتوالية التي لم تسبق لغيره. وتلك الليلة نزل ثلج عظيم في الشام ما رؤي مثله من سنين.

وبتلك الأيام جاء قبجي إلى حسين بيك بن مكي حاكم غزة ومعه فرمان بأن يكون باشا بالقدس ويعمر ماء القدس، وأن يلم مال الدورة بأمر الدولة.

وكان صوم رمضان هذه السنة نهار الأحد. وفي جمادى الأولى نزل ثلج عظيم بدمشق وأقام أياما وهدم أماكن كثيرة. وفي تلك الأيام جاء قبجي برجوع القدس إلى أسعد باشا والي الشام. وفي ذلك الشهر جاء خبر بأن عرب الحجاز محاصرين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولها نحو شهرين في المحاصرة، حتى هدموا ما حولها وقطعوا نخلها وضيقوا على أهلها، وهم الآن في كرب وضيق ما سبق ولا سمع من

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٣٩

عهد الجاهلية. فبلغ هذا الحال الدولة العلية أيدها الله تعالى، فأرسلت إلى حاكم الشام أسعد باشا العظم بأن يتأهب لقتالهم بالرجال والعسكر الجرار، وإلى أخيه مصطفى باشا كذلك، وإلى أخيه سعد الدين باشا كذلك، وأن يكون حاكما بجدة، وأن يأخذ معه عساكر وأن يساعد أخويه.

وفي تلك السنة أمر حضرة الحاج أسعد باشا العظم بترميم وإصلاح جامع يلبغا، فعمل له وقفا وجرايات بعد ما جدد فيه أخلية وغير ذلك، وأمر أيضا بإصلاح جامع الياغوشية الذي تحت القلعة. وكان قد وقع منه جدار على امرأة ورجال، وألزم بعض أخصائه بتعميره من ماله لأنه ذو مال. وفي أول رجب تمت عمارة قهوة الشاغور التي هي مقابلة للشيخ السروجي رضي الله عنه. وبتلك الأيام عمرت أيضا قهوتين كذا بباب السريجة وقهوة أمام باب المصلى.

وفي نهار الجمعة من شعبان توفي مصطفى بيك بن مردم بيك، وهو من أعيان الشام وذوي البيوت التي شهدت أهل الشام بصلاحه، لأنه كان يحب الخير ويعمله، ولا يقارب الحكام وليس له أذية لأحد، ودفن بمدفنهم عند جده لالا مصطفى باشا، في أسفل سوق السنانية.

ثم جاء رمضان المبارك وأثبتوه الأحد وصمناه تماما. وسار الحج قاصدا الحجاز ثامن عشر من شهر شوال. وفي ذلك اليوم توفي عبد الله أفندي زاده قاضي الشام، ودفن بجوار سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه. وبهذا النهار وجدوا صبيا مخنوقا في نهر بردى، وبعده ظهر أبوه أنه خواجا في سوق السلاح. وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة دخل سعد الدين باشا والي طرابلس إلى سردارية الجردة بعد ورود عزله من طرابلس. ونهار السبت كان نهار وقفة عيد الأضحى بالشام. وفي سلخ ذي الحجة نهار الجمعة توفي خطيب الأموي محمد سعيد أفندي بن محاسن ودفن بباب الصغير.

سنة ١١٧٠

ثم دخلت سنة سبعين ومئة وألف نهار السبت في طالع يمن وفرح وسرور إن شاء الله. **ولكن الغلاء واقع** في البضائع وغيرها كما أسلفنا، فلا عود ولا إعادة.

وبهذه الأيام انفصل مصطفى باشا أخو أسعد باشا العظم من صيدا ووجهت عليه ولاية أدنة. وبتلك الأيام صار انقطاع نهر القنوات بعد عيد الزبيب. وبنصف محرم جاء من إسلامبول قاضي الشام محمد أفندي. وبهذه الأيام سمروا خبازا بباب الجابية.

وفي سابع وعشرين محرم دخل جوقدار الحج الدالي علي باش ومعه جماعة، وبشر بالخبر وأن حضرة الباشا والحجاج سالمين. وفي يوم الثلاثاء جاء كتاب حماة وحلب، ويوم الأربعاء جاء نصراني في بعض مكاتيب،

وأخبر أن كتاب الشام جرحوه العرب. وبتلك الأيام أتت السماء بمطر كأفواه القرب، حتى ظنت الناس أن الحج قد غرق، وكان بمنزلة الصنمين. وقد تأخر دخول الحج عن ميعاده نحو جمعة. ونهار الثلاثاء ثاني عشر صفر دخل الحج الشريف، وثاني يوم دخل أمير الحاج وحاكم الشام الحاج أسعد باشا العظم في موكب الحج والمحمل الشريف. وهذه السنة الرابعة عشر كما قدمنا من سنين حججه المتواليات التي ما عهدت لغيره. أدام الله أيام وجوده آمين.." (١)

"وفي يوم الثلاثاء وليلة الأربعاء بعد المغرب شاع خبر حتى وصل إلى السرايا بأن أحمد القلطقجي الذي كان من رأس الزرباوات الذي هرب وعصى في جبل الدروز كما أسلفنا ذكره هاجم ليلة الأربعاء على الشام. فما أشأمها من ليلة على أهل الشام من كثرة ما دهمهم من الخوف والرعب والسهر وإخلاء البيوت والدكاكين وقد صفت المتاريس في جميع البوابات. وكانت ليلة من هولها كليلة القيامة، لم تذق أهل الشام بها نوما قط، وهم ينتظرون طلوع الفجر، فلما لاح لهم لم يجدوا شيئا مما توهموه، وكان الخبر كاذبا.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الثانية مع أذان الظهر كان دخول حسين باشا بن مكي إلى دمشق الشام، والمنفصل عن مدينة غزة التي هي وطنه. ودخل بموكب عظيم حافل بالأفندية وأعيان الشام وبالإنكشارية كلها خيالة، والقبقول كلها مشاة في العدد الكاملة والأسلحة المزخرفة والزينة الشاملة، ووقف العامة والخلق تدعو له، وتصيح وتستغيث من جور أعيان الشام والغلاء. وثاني يوم جاءت الأفندية والأعيان للسرايا لأجل السلام على الباشا، فوقفت الناس والعامة في طريقهم، فلما مروا عليهم ليدخلوا السرايا قامت العامة بالصراخ والضجيج، وصاحوا عليهم وقالوا: ارجعوا لا بارك الله فيكم، أنتم منافقون وتعينوا الحكام على ظلم الفقراء والمساكين، وأكثروا من سبهم وشتمهم، ورجموهم بالأحجار وصارت حالة مزعجة. ففتح الباشا باب العدل والتفتيش على الرعية، حتى صار رطل الخبز بثلاث مصاري. ثم اشتغل بالظلم كأسلافه، فرجعت الأسعار إلى حالها الأول: كرطل الخبز بخمسة وبستة مصاري، حتى جاءت سقعة وهي شدة برد مؤلمة، فلم تبق ثمرة في شهر آذار إلا أحرقتها. وفي عاشر رجب حصلت سقعة ما سمع بنظيرها، فأتلفت ما بقي إن كان بقي شيء من الثمار.

وفي سابع عشر رجب نهار الأربعاء توفي الشيخ الجليل العالم الفرضي الشيخ عبد الله البصروي الشافعي، علامة زمانه في كل فن خصوصا في علم الفرايض، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله. وبهذا الشهر الشريف أيضا قتل رجل في الميدان، ووجدوا ثلاثة أشخاص مذبوحين في تربة البرامكة. وبعشرين من رجب

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٤٨

هاجمت المغاربة على الباشا، ثم قوسوا على العوام، فقتلوا مقدار عشرة رجال وحرقوا أيضا محلات. وبهذه الأيام وجدوا امرأتان مذبوحتان كذا في تلة باب الصغير. وبهذا الشهر أيضا وقعت فتنة بين المغاربة واللواند الأكراد، وقتل من الفريقين مقدار خمسة عشر رجلا وسكرت الشام، ثم انقضت على الصلح. وفي السابع والعشرين من رجب شنق حسين باشا والي الشام رجلا من الميدان اتهم بالحرام، وكان سابقا قد قتل أمه ذبحا.

قال المؤرخ البديري رحمه الله تعالى: وبهذه الأيام جاء خبر بأن الحاج أسعد باشا بن العظم والي حلب قد جاءه فرمان بأن يسير إلى مصر واليا، فعصت به أهل حلب، وقالوا لا نريد غيره، وكاتبوا الدولة العلية بذلك. ثم بعد أيام جاء مقرر حلب لأسعد باشا بن العظم، ولأخيه سعد الدين باشا منصب مرعش، ولأخيه مصطفى باشا منصب الموصل، فذهب كل واحد لمنصبه، وأرسل مصطفى باشا حريمه وأولاده إلى الشام. وفي أول شعبان خرج حضرة حسين باشا والي الشام إلى الدورة، وأقام متسلما مكانه حسين آغا ألاي بيك السباهية، فعدل ولم يظلم ولم يتعد على أحد. وقبل خروج الباشا أمر الوجاقين بالصلح وترك الفساد والعناد، وسلمهم البلاد والعباد، وأوقف مصطفى آغا الزعفرنجي اختيار وكبير القبقول تفكجي باشي بباب السرايا، بعد ما ضمن على نفسه إصلاح البلد.

وقد دخل رمضان نهار الخميس، ودخل **معه الغلاء الأكبر** في الشام في جميع الأصناف، فوصلت غرارة القمح إلى الخمسين غرش، ورطل الخبز من سبع مصاري إلى اثني عشر مصرية، بعدما كان بثلاثة مصاري رطل أعلى خبز، ورطل الأرز بأربعة عشر مصرية، والدبس كذلك والبصل أيضا، ومد العدس وكذلك الحمص والماش كذا واللوبيا والبرغل بثلاثين مصرية، ومد الشعير باثني عشر مصرية، وأوقية الثوم بمصريتين. والحاصل كل شيء غالي مع قلة الأسباب وقلة الحركة.." (١)

"وفي ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات. وقد صارت معها رجة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن، وأرمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشمالي جميعه مع مدرسة الكلاسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق، والذي سلم من الوقوع تناثر من بعضه البعض وقتل خلق كثير خصوصا في القرايا، ورحلت الخلائق للبساتين وللجبال والترب وإلى المرجة، ونصبوا بها وبالبراري الخيام وناموا بعيالهم وأولادهم، ومع ذلك فلم تبطل الزلزلة والرجفان لا ليلا ولا نهارا. ثم أمر عبد الله باشا الشتجي والي الشام وفقه الله تعالى مناديا ينادي بالناس أن يصوموا ثلاثة

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٥٠

أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع إلى جامع المصلى، فإنه مشهور بإجابة الدعاء فيه. فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلى، وخرج حضرة الوزير معهم وجميع الأعيان والمفتي والقاضي، وخرجت العلماء و أهل الطرق والصوفية والنساء والأولاد، ولازموا الدعاء في المصلى ثلاثة أيام بضجيج وبكاء وخشوع كيوم عرفات، بل كموقف القيامة، فرحمهم أرحم الراحمين، وعاملهم باللطف والتخفيف، فصارت الأرض تختلج اختلاجا خفيفا، ولم تزل الناس في البساتين والبراري خائفة حتى نزل عليهم الثلج المطر وصار الجليد إلى أن خفت الزلزلة ورجعت الناس خائفين.

وفي أواسط جمادى الأولى قدم القاضي إلى دمشق الشام، واسمه رضا أفندي، ولم يحرك ساكنا.

وفي ثامن جمادى الثانية ظهر خبر بدمشق أن عبد الله باشا الشتجي والي الشام معزول. وفي ثالث عشر جمادى الثانية. وفي يوم الخميس ثاني وعشرين جمادى الثانية رحل الحاج عبد الله باشا الشتجي إلى منصب ديار بكر على ما قيل.

وفي ليلة الاثنين الخامسة والعشرين من جمادى الثانية قبيل السحر صارت في الشام أيضا زلزلة خفيفة أخف من الزلازل المتقدمة. ثم شاع الخبر بين الناس أنه سيحدث زلزلة عظيمة، ففزعت الناس فزعا شديدا، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الخوف والفزع والخروج للبساتين والمقابر، نسأله تعالى اللطف.

وفي نهار الاثنين غرة رجب المبارك من هذه السنة دخل والي الشام محمد باشا الشالك بن بولاد باشا لدمشق بموكب عظيم ضحوة النهار، وخرجت لملاقاته الأكابر والأعيان والأفندية والأغاوات، وخرجت الإنكشارية بالخيل والعدد المطلية والدروع الداوودية، وخرجت القبقول بالعدد الكاملة.

وفي يوم السبت سابع رجب دخل نعمان باشا حاكم صيدا، فدخل في موكب عظيم، وخرج لملاقاته والي الشام محمد باشا الشالك ومعه الأفندية والأكابر والأغوات، وأنزله والي الشام عنده، وأنزل كل آغا من أغواته عند آغا من أغوات الباشا، ثم أقام في ضيافة والي الشام محمد باشا ثلاثة أيام وأربعة ليال، ورحل لمحل وظيفته ومنصبه بصيدا.

وفي نصف شهر رجب جاء ريح عظيم استمر أربعة أيام ولياليها حتى هدم أماكن كثيرة، ولم يبق من الأشجار إلا القليل، وارتجاج من الزلازل لم تبطل لا ليلا ولا نهارا، مع **وقوع الغلاء حتى** في الخضراوات، فرطل الخبز بخمسة مصاري، ورطل الباذنجان بخمسة وعشرين مصرية، ورطل البصل بتسعة مصاري، ورطل اللحم بقرش وربع لم يوجد، ورطل السمن بقرش ونصف وربع. والبقية على نحو ما قدمنا.

قال المؤرخ البديري: والفقير لم يوجد معه ولا منقير، والهدم واقع من الزلازل في كل وقت وحين، والناس

رحلت إلى أرض الفلاحين، والله تعالى هو المعين.

وفي نهار السبت الثاني والعشرين من رجب جاء قبجي من طرف الدولة العلية واسمه سبانخ زادة لأجل الكشف على الجامع الأموي وعمارة قبته وجهته الشمالية ومآذنه المهدومة في الزلازل، ومعه باش معماري وفعلة ورجال لأجل مباشرة تعمير الجامع المذكور.

وفي عاشر شعبان سار والي الشام محمد باشا الشالك إلى الدورة وأخذ معه أحمد بشه بن القلطقجي ومعه محمد آغا بن داري وابن بكماز اللذين كانا هاربين مع ابن القلطقجي. فلما وصل محمد باشا ومن معه إلى نابلس توفي أحمد بشه بن القلطقجي. ودفن بها، وكان موته بالطاعون، لأن مبادي الطاعون وقع خفيفا من شهر جمادى الثانية، ولم يزل يكثر في رجب وشعبان، كما **وجود الغلاء كما** يأتي.." (١)

"وفر جيش ابن رشيق من المعركة، ومنع الزاد على جيش المرابطين ومن معه من الأندلسيين الذين يحاصرون الحصن، فارتفعت الأسعار، **ووقع الغلاء واضطربت** الأحوال، وعندما علم ألفونسو بالخلافات التي وقعت حشد جيشا من أجل فك الحصار عن أتباعه فى حصن لييط، فاضطر الأمير يوسف إلى فك الحصار خوفا من معركة خاسرة غير مأمونة النتائج خاصة بعد الذى رآه من حكام الأندلس وتآمرهم واتصالهم بالعدو، ورجع الأمير يوسف إلى لورقة وترك أربعة آلاف مرابطى بقيادة داود ابن عائشة للمحافظة على منطقة مرسية وبعث بجنود إلى بلنسية بقيادة محمد بن تاشفين(١٩٦).

واستطاع ألفونسو الوصول للحصن وأخرج من نجا من الموت، ورأى أن لا فائدة من الاحتفاظ بالحصن، لأنه يتطلب حماية كبيرة معرضة لمصير سابقاتها فقرر إخلاءه وتدميره، واسترجع ابن عباد الحصن بعد أن أصبح أطلالا.

لقد أيقن الأمير يوسف إن أمراء الأندلس لا يصلحون للحكم ولا يعتمد عليهم فى جهاد، وبعد رجوع الأمير يوسف فى عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م عرض الأمر على الفقهاء والعلماء فأفتوا له بضم الأندلس للمغرب. وكان فقهاء وعلماء الأندلس يؤيدون ذلك، وكذلك فقهاء وعلماء المغرب والمشرق، وأرسل الإمام الغزالى وأبو بكر الطرطوشي(١٩٧) فتوى تؤيد عمله الجليل من أجل توحيد صفوف المسلمين.." (٢)

"يا معشر الناس إنه قد تدلت الجوزاء وذكت الشعرى وأقلعت السماء **وارتفع الوباء وقل** الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر فحي لكم على بركة الله

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٥٧

(٢) فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص/١١٩

إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأثقالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا وإياي والمشمومات والمعسولات فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم حدثني عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة فعفوا أيديكم وفروجكم وغضوا أبصاركم ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه واعملوا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حوالكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى

داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال له أبو بكر ولم يا رسول الله قال لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة

فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم فإذا يبس العود وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر فحي على فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم

قال فحفظت ذلك عنه فقال والدي بعد انصرافنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته إنه يا بني يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدعة

ذكر مرتبع الجند

قال وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم

". (١)

"

رابع عشريه وصلت الخلعة لجانبك أن يكون دوادار السلطان وجاء الخبر بأن خلعة قاضي القضاة نور الدين فصلت بألف دينار

ربيع الأول خامس عشره **قوي الغلاء الغرارة** بتسعماية والشعير بثلثماية ولا قوة إلا بالله

---

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص/١٥٧

تاسع عشره جاء الخبر بعزل التلمساني من قضاة المالكية بدمشق وتولية ابن عبد الوارث وعزل ابن عباده من قضاء الحنابلة وتولية قاضي القضاة البرهان بن مفلح وامتنع المعزول الآن من الحكم

ربيع الآخر رابع عشريه توفي القاضي شمس الدين محمد بن المعتمد القرشي كان من رؤساء الأصلاء كثير التودد للناس والإحسان للفقراء وكان مسنا تولى نيابة الحسبة عن ابن شبل مرات ودفن بتربتهم بسفح قاسيون وخلف أولادا منهم ولده العلامة برهان الدين الشافعي صاحبنا ورفيقنا على مشايخ العصر أبقاه الله تعالى

وفيه وصل العسكر المصري متوجهين إلى البلاد الشمالية بسبب شاه سوار الغادري وهذه ثالث مرة نسأل الله العافية

جمادى الأولى ثالثه دخل القاضي نور الدين الصابوني دمشق بخلعة للإهتمام بالمال الذي جعل عليه وقد قدمناه ونزل بالقلعة في مسجد أبي الدرداء رضي الله عنه

خامسه إنتقل الأهل والأولاد للطبقة التي جددتها شمالي الكاملية سادسه توجه العساكر للبلاد الشمالية ونائبهم الأمير الكبير بمصر أزبك

". (١)

"الظاهري سابعه فتحوا قاعة المرحوم الخواجا شهاب الدين الصابوني يقال إنهم وجدوا فيها نحو خمسين ألف دينار

ثاني عشريه أطلق ابن الصابوني من القلعة وسكن في البيت شمالي النورية بينهما الطريق

تاسع عشريه وصل من مصر ابن عبد الوارث بخلعة متوليا قضاء المالكية جمادى الأخرى ورد على قاضي القضاة الحنبلي برهان الدين خلعة بقضاء الحنابلة ووصل الشعير إلى خمس ماية درهم كل غرارة والقمح إلى تسع ماية كل غرارة ولا قوة إلا بالله

رجب رابع عشره أعيد ابن الصابوني إلى القلعة لتكملة المبلغ وفي ليلته خسف القمر

ووصل القمح إلى الألف والشعير إلى ستماية واللحم لا يوجد وبقية البضائع في نهاية الغلاء وعرض جماعة أولادهم لمن ينزلونهم عجزا عن أكلهم سادس عشره صارت غرارة القمح بألف وثمانين والشعير بستماية وخمسين وورد الخبر بكثرة الطاعون بمصر والبلاد الشمالية

---

(١) تاريخ البصروي، ص/٣٥

شعبان وصل سعر القمح إلى ألفين كل غرارة والشعير تسعماية وبقية البضائع في النهاية أيضا ومات جماعة جوعا وأكل جماعة الميتة وبيع خبز الشعير كل وقية بدرهم

ليلة رابع عشره اجتمع الناس بجامع بني أمية وسائر المساجد يستغيثون ربهم في كشف هذا الحال والتفريج عنهم وليلة خامس عشره

". (١)

"بلادا في المملكة باشغال سلطانية وصحبتهم تجار فخرج عليهم من اخذ ما معهم وعراهم وسلمهم للعرب الذين ذهبوا بهم هكذا اشيع وان غزة وقراها تعلق بها الغلاء في الحب وغيره وكثر فيها الطارقون وان الدروب صارت مخوفة وكان خرج قبل ذلك بيومين من دمشق قفل متوجه إلى مصر فرجعوا من المنية لما سمعوا هذه الاراجيف

وجاء الخبر بان شيخ بني وهدان ويسمى خضير جمع جموعا وذهب بها إلى غزة وارسل الكافل لدمشق ومنع المماليك المنفيين بدمشق من المرور لما بلغه انهم قاصدون الذهاب إلى غزة

ثامن عشريه اشيع وصول اينال الخسيف وقانم إلى غزة وكانا مختفيين كما عرفت من قبل وفيه شرع جماعة قلعة دمشق نائبها ونقيبها واتباعهم في تحصينها وافتقاد الاسوار وحصل بالبلد نوع اضطراب لهذا السبب احسن الله العاقبة

خامس عشريه وصل من مصر كتب إلى الطولقي المالكي ان يعزل احمد ابن اخي شعيب ما كان ولاه من نيابة الحكم ففعل ونحن قدمنا ان الناس نكروا ذلك ولم يتجاسر على المباشرة ولا توقف في عدم صحة ولايته من الاول

وفيه تحرر ان آقبردي المقيم بغزة خيروه بين الاقامة بمكة او المدينة او بيت المقدس او اسكندرية او دمياط فلم يختر واحدا منها بل قال اقيم بمصر بطالا واعاد الجواب بذلك وهو الآن في غزة

سابع عشريه وصل الخبر بان محب الدين الحلبي عادت اليه كتابة السر ونظر الجوالي ونظر القلعة وخلعته وصلت إلى غزة وان المقيم بغزة اخذ ذلك وشاع انه عين من مصر الفا فارس بسببه احسن الله العاقبة وان كرتباي يأتي معهم باشا

تاسع عشريه الخميس جاء الخبر بان الدوادار كان اقباي انفصل

---

(١) تاريخ البصروي، ص/٣٦

." (١)

" القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله ٤٢٢هـ ـ ٤٦٧هـ

القائم بأمر الله : أبو جعفر عبد الله بن القادر

ولد في نصف ذي القعدة سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة و أمه أم ولد أرمنية اسمها بدر الدجى و قيل : قطر الندى

ولي الخلافة عند موت أبيه في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين و عشرين و كان ولي عهده في الحياة و هو الذي لقبه بالقائم بأمر الله

قال ابن الأثير : كان جميلا مليح الوجه أبيض مشربا حمرة حسن الجسم ورعا دينا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصدقة و الصبر له عناية بالأدب و معرفة حسنة بالكتابة مؤثرا للعدل و الإحسان و قضاء الحوائج لا يرى المنع من شيء طلب منه

قال الخطيب : و لم يزل أمر القائم بأمر الله مستقيما إلى أن قبض عليه في سنة خمسين و أربعمائة و كان السبب في ذلك أن أرسلان التركي المعروف بالبساسيري ـ كان قد عظم أمره و استفحل شأنه لعدم نظراته و انتشر ذكره و تهيبته أمراء العرب و العجم و دعي له على المنابر و جبى الأموال و خرب القرى و لم يكن القائم يقطع أمرا دونه ثم صح عنده سوء عقيدته و بلغه أنه عزم على نهب دار الخلافة و القبض على الخليفة فكاتب الخليفة أبا طالب محمد بن مكيال سلطان الغز المعروف بطغرلبك ـ و هو بالري ـ يستنهضه في القدوم ثم أحرقت دار البساسيري

و قدم طغرلبك في سنة سبع و أربعين فذهب البساسيري إلى الرحبة و تلاحق به خلق من الأتراك و كاتب صاحب مصر فأمده بالأموال و كاتب تبال أخا طغرلبك و أطعمه بمنصب أخيه فخرج تبال و اشتغل به طغرلبك

ثم قدم البسسيري بغداد في سنة خمسين و معه الرايات المصرية و وقع القتال بينه و بين الخليفة و دعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور و زيد في الأذان : حي على خير العمل ثم خطب له في كل الجوامع إلا جامع الخليفة و دام القتال شهرا

---

(١) تاريخ البصروي، ص/٢٠٢

ثم قبض البساسيري على الخليفة إلى ذي الحجة و سيره في غاية و حبسه بها و أما طغرلبك فظفر بأخيه و قتله ثم كاتب متولي غاية في رد الخليفة إلى داره مكرها فحصل الخليفة في مقر عزه في الخامس و العشرين من ذي القعدة ستة إحدى و خمسين و دخل بأبهة عظيمة و الأمراء و الحجاب بين يديه

و جهز طغرلنك جيشا فحاربوا السباسيري فظفروا به فقتل و حمل رأسه إلى بغداد

و لما رجع الخليفة إلى داره لم ينم بعدها إلا على فراش مصلاه و لزم الصيام و القيام و عفا عن كل من آذاه و لم يسترد شيئا مما نهب من قصره إلا بالثمن و قال : هذه أشياء احتسبناها عند الله بعدها على مخدة

و لما نهب قصره لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي

و روي أنه لما سجنه السباسبري كتب قصته و أنفذها إلى مكة فعلقت في الكعبة فيها : إلى الله العظيم من المسكين عبده اللهم إنك العلم بالسرائر المطلع على الضمائر اللهم غني بعلمك و إطلاعك على خلقك عن إعلامي هذا عبد قد كفر نعمك و ما شكرها و ألغى العواقب و ما ذكرها اطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيا و أساء إلينا عتوا و عدوا اللهم قل الناصر و اعتز الظالم و أنت المطلع العالم المنصف الحاكم بك نعتز عليه و إليك نهرب من بين يديه فقد تعزز علينا بالمخلوقين و نحن نعتز بك و قد حاكمناه إليك و توكلناه في إنصافنا منه عليك و رفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك و وثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق و أنت خير الحاكمين

و في سنة ثمان و عشرين مات الظاهر العبيدي صاحب مصر و أقيم ابنه المستنصر بعده . و هو ابن سبع سنين . فأقام في الخلافة ستين و أربعة أشهر

قال الذهبي : و لا أعلم أحدا في الإسلام لا خليفة و لا سلطانا أقام هذه المدة و في أيامه **كان الغلاء بمصر** الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف فأقام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا و حتى قيل : إنه بيع رغيف بخمسين دينارا

و في سنة ثلاث و أربعين و أربعمائة قطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدي بالمغرب و خطب لبني العباس

و في سنة إحدى و خمسين كان عقد الصلح بين السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة و بين السلطان جغري بك بن سلجوق أخي طغرلبك صاحب خراسان بعد حروب كثيرة ثم مات جغري بك في السنة و أقيم مكانه ابنه ألب أرسلان

و في سنة أربع و خمسين زوج الخليفة ابنته لطغرلبك بعد أن دافع بكل ممكن و انزعج و استعفى ثم لان لذلك برغم منه و هذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء و تحكمهم فيهم

قلت : و الآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من مماليك السلطان فضلا عن السلطان فإنا لله و إنا إليه راجعون

ثم قدم طغرلبك في سنة خمس و خمسين فدخل بابنة الخليفة و أعاد المواريث و المكوس و ضمن بغداد بمائة و خمسين ألف دينار ثم رجع إلى الري فمات بها في رمضان فلا عفا الله عنه و أقيم في السلطنة بعده ابن أخيه عضد الدولة ألب أرسلان صاحب خراسان و بعث إليه القائم بالخلع و التقليد

قال الذهبي : و هو أول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد و بلغ ما لم ما يبلغه أحد من الملوك و افتتح بلادا كثيرة من بلاد النصارى و استوزر نظام الملك فأبطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الأشعرية و انتصر للشافعية و أكرم إمام الحرمين و أبا القاسم القشيري و بنى النظامية قيل و هي أول مدرسة بنيت للفقهاء

و في سنة ثمان و خمسين ولدت بباب الأزج صغيرة لها رأسان و وجهان و رقبتان على بدن واحد

و فيها ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة تمامه بشعاع عظيم و هال الناس ذلك و أقام عشر ليال ثم تناقص ضوؤه و غاب

و في سنة تسع و خمسين فرغت المدرسة النظامية ببغداد و قرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي فاجتمع الناس فلم يحضر و اختفى فدرس ابن الصباغ صاحب الشامل ثم تلطفوا بالشيخ أبي إسحاق حتى أجاب و درس

و في سنة ستين كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التي خربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار و هلك من أهلها خمسة و عشرين ألفا و أبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء فأهلكهم

و في سنة إحدى و ستين احترق جامع دمشق و زالت محاسنه و تشوه منظره و ذهبت سقوفه المذهبة

و في سنة اثنتين و ستين و رد رسول أمير مكة على السلطان ألب أرسلان بأنه أقام الخطبة العباسية و قطع خطبة المستنصر المصري و ترك الأذان بحي على خير العمل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار و خلعا

و سبب ذلك ذلة المصريين بالقحط المفرط سنين متوالية حتى أكل الناس الناس و بلغ الإردب مائة دينار و بيع الكلب بخمسة دنانير و الهر بثلاثة دنانير

و حكى صاحب [المرآة] : أن امرأة خرجت من القاهرة و معها مد جوهر فقالت : من يأخذه بمدبر ؟ فلم يلتفت إليها أحد

و قال بعضهم يهنئ القائم :

(و قد علم المصري أن جنوده ... سنو يوسف فيها و طاعون عمواس)

(أقامت به حتى استراب بنفسه ... و أوجس منها خيفة أي إيجاس)

و في سنة ثلاث و ستين خطب بحلب للقائم و للسلطان ألب أرسلان لما رأوا قوة دولتهما و إدبار دولة المستنصر

و فيها كانت وقعة عظيمة بين الإسلام و الروم و نصر المسلمون و لله الحمد و مقدمهم السلطان ألب أرسلان و أسر ملك الروم ثم أطلقه بمال جزيل و هادنه خمسين سنة

و لما أطلق قال السلطان : أين جهة الخليفة ؟ فأشار له فكشف رأسه و أوما إلى الجهة بالخدمة

و في سنة أربع و ستين كان الوباء في الغنم إلى الغاية

و في سنة خمس و ستين قتل السلطان ألب أرسلان و قام في الملك بعده ملكشاه و لقب [جلال الدولة] ورد تدبير الملك إلى نظام الملك و لقبه [الأتابك] و هو أول من لقبه و معناه الأمير الوالد

و فيها اشتد الغلاء بمصر حتى أكلت امرأة رغيفا بألف دينار و كثر الوباء إلى الغاية

و في سنة ست و ستين كان الغرق العظيم ببغداد و زادت دجلة ثلاثين ذراعا و لم يقع مثل ذلك قط و هلكت الأموال و الأنفس و الدواب و ركبت الناس في السفن و أقيمت الجمعة في الطيار على وجه الماء مرتين و قام الخليفة يتضرع إلى الله و صارت بغداد ملقة واحدة و انهدم مائة ألف دار أو أكثر

و في سنة سبع و ستين مات الخليفة القائم بأمر الله ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان و ذلك أنه افتصد و نام فانحل موضع الفصد و خرج منه دم كثير فاستيقظ و قد انحلت قوته فطلب حفيده ولي العهد عبد الله بن محمد و وصاه ثم توفي و مدت خلافته خمس و أربعون سنة

مات في أيامه من الأعلام : أبو بكر البرقاني و أبو الفضل الفلكي و الثعلبي المفسر و القدوري شيخ الحنفية و ابن سينا شيخ الفلاسفة و مهيار الشاعر و أبو نعيم صاحب [الحلية] و أبو زيد الدبوسي و البرادعي المالكي صاحب [التهذيب] و أبو الحسين البصري المعتزلي و مكي صاحب [الإعراب] و

الشيخ أبو محمد الجويني و المهدوي صاحب التفسير و الإفليلي و الثمانيني و أبو عمر الداني و الخليل صاحب [الإرشاد] و سليم الرازي و أبو العلاء المعري و أبو عثمان الصابوني و ابن بطال شارح البخاري و القاضي أبو الطيب الطبري و ابن شيطا المقرئ و الماوردي الشافعي و ابن باب شاذ و القضاعي صاحب [الشهاب] و ابن برهان النحوي و ابن حزم الظاهري و البيهقي و ابن سيده صاحب [المحكم] و أبو يعلى بن الفراء شيخ الحنابلة و الحضرمي من الشافعية و الهذلي صاحب [الكامل] في القراءات و الفريابي و الخطيب البغدادي و ابن رشيق صاحب [العمدة] و ابن عبد البر ." (١)

" المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم أبو العباس ٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ

المعتمد على الله أبو العباس - و قيل : أبو جعفر - أحمد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ولد سنة تسع و عشرين و مائتين أمه رومية اسمها فتيان و لما قتل المهتدي و كان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه و بايعوه ثم إنه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق و صير ابنه جعفرا ولي عهده و ولاه مصر و المغرب و لقبه المفوض إلى الله و انهمك المعتمد في اللهو و اللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس و أحبوا أخاه طلحة

و في أيامه دخلت الزنج البصرة و أعمالها و أخربوها و بذلوا السيف و أحرقوا و خربوا و سبوا و جرى بينهم و بين عسكره عدة وقعات و أمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه و أعقب **ذلك الوباء الذي** لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ثم أعقبه هدات و زلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس و استمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست و خمسين إلى سنة سبعين فقتل فيه رأس الزنج لعنه الله و اسمه بهبوذ و كان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة و أنه مطلع على المغيبات

و ذكر الصولي أنه قتل من المسلمين ألف ألف و خمسمائة ألف آدمي و قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف و كان له منبر في مدينته يصعد عليه و يسب عثمان و عليا و معاوية و طلحة و الزبير و عائشة رضي الله عنهم

و كان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين و ثلاثة و كان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن و يستخدمهن

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/١١٣

و لما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح و عملت قباب الزينة و ضج الناس بالدعاء للموفق و مدحه الشعراء و كان يوما مشهودا و أمن الناس و تراجعوا الى المدن التي أخذها و هي كثيرة كواسط و رامهرمز

و في سنة ستين من أيامه وقع غلاء مفرط بالحجاز و العراق و بلغ كر الحنطة في بغداد مائة و خمسين دينارا و فيها أخذت الروم بلد لؤلؤة

و في سنة إحدى و ستين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر ثم من بعده لأخيه الموفق طلحة و ولى ولده المغرب و الشام و الجزيرة و أرمنية و ولى أخاه المشرق و العراق و بغداد و الحجاز و اليمن و فارس و أصبهان و الري و خراسان و طبرستان و سجستان و السند و عقد لكل منها لواءين : أبيض و أسود و شرط إن حدث به حدث أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ و كتب العهد و أنفذه مع قاضي القضاء ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة

و في سن ست و ستين وصلت عساكر الروم إلى ديار بكر ففتكوا و هرب أهل الجزيرة و الموصل و فيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها

و في سنة سبع و ستين استولى أحمد بن عبد الله الحجابي على خرسان و كرمان و سجستان و عزم على قصد العراق و ضرب السكة باسمه و على الوجه الآخر اسم المعتمد و هذا محل الغرابة ثم إنه آخر السنة قتله غلمانه فكفى الله شره

و في سنة تسع و ستين اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق فإنه كان خرج عليه في سنة أربع و ستين ثم اصطلحا فلما استد تخيله منه هذا العام كاتب المعتمد ابن طولون نائبه بمصر و اتفقا على أمر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق و خرج المعتمد من سامرا على وجه التنزه و قصده دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب إلى إسحاق بن كنداج ليرده فركب ابن كنداج من نصيبين إلى المعتمد فلقيه بين الموصل و الحديثة فقال : يا أمير المؤمنين أخوك في وجه العدو و أنت تخرج عن مستقرك و دار ملكك و متى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجي فيغلب عدوك على ديار آبائك في كلمات أخر ثم وكل بالمعتمد جماعة و رسم على طائفة من خواصه ثم بعث إلى المعتمد يقول : ما هذا بمقام فارجع فقال المعتمد : فاحلف لي أنك تنحدر معي و لا تسلمني فحلف له و انحدر إلى سامرا فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه إسحاق إليه فأنزل في دار أحمد بن الخصيب و منعه من نزول دار الخلافة و وكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه و لما بلغ الموفق ذلك بعث إلى إسحاق بخلع و أموال و أقطعه ضياع القواد

الذين كانوا مع المعتمد و لقبه ذا السندين و لقب صاعدا ذا الوزارتين و أقام صاعد في خدمة المعتمد و لكن ليس للمعتمد حل و لا ربط و قال المعتمد في ذلك

(أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه ؟)

(و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... و ما من ذاك شيء في يديه)

(إليه تحمل الأموال طرا ... و يمنع بعض ما يجبى إليه)

و هو أول خليفة قهر و حجر عليه و وكل به ثم أدخل المعتمد واسط و لما بلغ ابن طولون ذلك جمع الفقهاء و القضاة و الأعيان و قال : قد نكث الموفق بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة فإنه قال : أنت أوردت علي من المعتمد كتابا بولايته العهد فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه فقال إنه محجور عليه و مقهور فقال : لا أدري فقال ابن طولون : غرك الناس بقولهم في الدنيا مثل بكار أنت شيخ قد خرقت و حبسه و قيده و أخذ منه جميع عطاياه من سنين فكانت عشرة آلاف دينار فقيل : إنها وجدت في بيت بكار بختمها و بلغ الموفق ذلك فأمر بلعن ابن طولون على المنابر

ثم في شعبان من سنة سبعين أعيد المعتمد إلى سامرا و دخل بغداد و محمد بن طاهر بين يديه بالحرية و الجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه و مات بن طولون في هذه السنة فولى الموفق ابنه أبا العباس أعماله و جهزه إلى مصر في جنود العراق و كان خمارويه ابن أحمد بن طولون أقام على ولايات أبيه بعده فوقع بينه و بين أبي العباس بن الموفق وقعة عظيمة بحيث جرت الأرض من الدماء و كان النصر للمصريين

و في السنة انبثق ببغداد في نهر عيسى بثق فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار

و فيها نازلت الروم طرسوس في مائة ألف فكانت النصرة للمسلمين و غنموا مالا يحصى و كان فتحا عظيما عديم المثل

و فيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض في اليمن و أقام على ذلك إلى سنة ثمان و سبعين فحج تلك السنة و اجتمع بقبيلة من كتامة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر و رأى منهم طاعة و قوة فصحبهم إلى المغرب فكان ذلك أول شأن المهدي

و في سنة سنة إحدى و سبعين قال الصولي : و لي هارون بن إبراهيم الهاشمي الحسبة فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها

و في سنة ثمان و سبعين غار نيل مصر فلم يبق منه شيء و غلت الأسعار و فيها مات الموفق و استراح منه المعتمد

و فيها ظهرت القرامطة بالكوفة و هم نوع من الملاحدة يدعون أنه لا غسل من الجنابة و أن الخمر حلال و يزيدون في أذانهم [و أن محمد ابن الحنيفة رسول الله] و أن الصوم في السنة يومان : يوم النيروز و يوم المهرجان و أن الحج و القبلة إلى بيت المقدس و أشياء أخرى و نفق قولهم على الجهال و أهل البر و تعب الناس بهم

و في سنة تسع و سبعين ضعف أمر المعتمد جدا لتمكن أبي العباس بن الموفق من الأمور و طاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلسا عاما و أشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد و بايع لأبي العباس و لقبه المعتضد و أمر المعتضد في هذه السنة أن لا يقعد في الطريق منجم و لا قصاص و استحلف الوارقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة و الجدل

و مات المعتمد بعد أشهر من هذه السنة فجأه فقيل : إنه سم و قيل : بل نام فغم في بساط و ذلك ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب و كانت خلافته ثلاثا و عشرين سنة إلا أنه كان مقهورا مع أخيه الموفق لاستلائه على الأمور و مات و هو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضا

و ممن مات في أيامه من الأعلام : البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة و الربيع الجيزي و الربيع المرادي و المزني و يونس بن عبد الأعلى و الزبير بن بكار و أبو الفضل الرياشي و محمد بن يحيى الذهلي و حجاج بن يوسف الشاعر و العجلي الحافظ و قاضي القضاة ابن أبي الشوارب و السوسي المقرئ و عمر بن شبة و أبو زرعة الرازي و محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و القاضي بكار و داود الظاهري و ابن دارة و بقي بن مخلد و ابن قتيبة و أبو الحاتم الرازي و آخرون و من قول عبد الله بن المعتز في المعتمد يمدحه :

(يا خير من تزجى المطي له ... و يمر حبل العهد موثقه)

(أضحى عنان الملك مقتسرا ... بيديك تحسبه و تطلقه)

(فاحكم لك الدنيا و ساكنها ... ما طاش سهم أنت موفقه)

و من شعر المعتمد لما حجر عليه :

(أصبحت لا أملك دفعا لما ... أسام من خسف و من ذلة)

(تمضي أمور الناس دوني و لا ... يشعرني في ذكرها قلتي)

(إذا اشتهيت الشيء و لوا به ... عني و قالوا : ههنا علتي)

قال الصولي : كان له وراق يكتب شعره بماء الذهب

و رثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابوري بقوله :

(لقد قر طرف الزمان النكد ... و كان سخيا كليلا رمد)

(و بلغت الحادثات المنى ... بموت إمام الهدى المعتمد)

(و لم يبق لي حذر بعده ... فدون المصائب فلتجهد) ." [١]

" المتقي بالله إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد ٣٢٩ هـ ـ ٣٣٣ هـ

المتقي لله : أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي و هو ابن أربع و ثلاثين سنة و أمه أمة اسمها خلوب و قيل : زهرة و لم يغير شيئا قط و لا تسرى على جاريته التي كانت له و كان كثير الصوم و التعبد و لم يشرب نبيذا قط و كان يقول : لا أريد نديما غير المصحف و لم يكن سوى له الاسم و التدبير لأبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي كاتب بجكم

و في هذه السنة من ولايته سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصورة و كانت تاج بغداد و مأثرة بني العباس و هي من بناء المنصور ارتفاعها ثمانون ذراعا و تحتها إيوان طوله عشرون ذراعا في عشرين ذراعا و عليها تمثال فارس بيده رمح فإذا استقبل بوجهه جهة علم أن خارجيا يظهر من تلك الجهة فسقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر و رعد

و في هذه السنة قتل بحكم التركي فولي إمرة الأمراء مكانه كورتكين الديلمي و أخذ المتقي حواصل بحكم التي كانت ببغداد و هي زيادة على ألف ألف دينار

ثم في هذا العام ظهر ابن رائق فقاتل كورتكين ببغداد فهزم كورتكين و اختفى و ولي ابن رائق إمرة الأمراء مكانه

و في سنة **كان الغلاء ببغداد** فبلغ كر الحنطة ثلاثمائة و ست عشر دينارا و اشتد القحط و أكلوا الميتات و كان قحطا لم ير ببغداد مثله أبدا

و فيها خرج أبو الحسن علي بن محمد اليزيدي فخرج لقتاله الخليفة و ابن رائق فهزما و هربا إلى الموصل و نهبت بغداد و دار الخلافة فلما وصل الخليفة إلى تكريت وجد هناك سيف الدولة أبا الحسن

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣١٦

علي بن عبد الله بن حمدان أخاه الحسن و قتل ابن رائق غلية فولى الخليفة مكانه الحسن بن حمدان و لقبه [ناصر الدولة] و خلع على أخيه و لقبه [سيف الدولة] و عاد إلى بغداد و هما معه فهرب اليزيدي إلى واسط ثم ورد الخبر في ذي القعدة أن اليزيدي يريد بغداد فاضطرب الناس و هرب وجوه أهل بغداد و خرج الخليفة ليكون مع ناصر الدولة و سار سيف الدولة لقتال اليزيدي فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن و هزم اليزيدي فعاد بالويل إلى واسط فساق سيف الدولة إلى واسط فانهزم اليزيدي إلى البصرة

و في سنة إحدى و ثلاثين وصلت الروم إلى أرزن و ميافارقين و نصيبين فقتلوا و سبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه على أنهم يطلقون جميع من سبوا فأرسل إليهم و أطلقوا الأسرى

و فيها هاج الأمراء بواسط على سيف الدولة فهرب في البريد يريد بغداد ثم سار إلى الموصل أخوه ناصر الدولة خائفا لهرب أخيه و سار من واسط تورون فقصد بغداد و قد هرب منه سيف الدولة إلى الموصل فدخل تورون بغداد في رمضان فخاع عليه المتقي و ولاه أمير الأمراء ثم وقعت الوحشة بين المتقي و تورون أبا جعفر بن شيرزاد من واسط إلى بغداد فحكم عليها و أمر و نهي فكاتب المتقي ابن حمدان بالقدوم عليه فقدم في جيش عظيم و استتر ابن شيرزاد في سار المتقي بأهله إلى تكريت و خرج ناصر الدولة بجيش كثير من الأعراب و الأكراد إلى قتال تورون فالتقيا بعكبرا فانهزم ابن حمدان و الخليفة إلى نصيبين فكتب الخليفة إلى الأخشد صاحب مصر أن يحضر إليه ثم بان له من بني حمدان الملل و الضجر فراسل الخليفة تورون في الصلح فأجاب و بالغ في الأيمان ثم حضر الأخشيد إلى المتقي و هو بالرقة و قد بلغه مصالحه تورون فقال : يا أمير المؤمنين أنا عبدك و ابن عبدك و قد عرفت الأتراك و فجورهم و غدرهم فالله في نفسك سر معي إلى مصر فهي لك و تأمن على نفسك فلم يقبل فرجع الأخشيد إلى بلاده و خرج المتقي من الرقة إلى بغداد في رابع المحرم سنة ثلاث و ثلاثين و خرج للقائه تورون فالتقيا بين الأنبار و هيت فترجل تورون و قبل الأرض فأمره المتقي بالركوب فلم يفعل و مشى بين يديه إلى المخيم الذي ضربه له فلما نزل قبض عليه و على ابن مقلة و من معه ثم كحل الخليفة و أدخل بغداد مسمول العينين و قد أخذ منه الخاتم و البردة و القضيب و أحضر تورون عبد الله بن المكتفي و بايعه بالخلافة و لقب المستكفي بالله ثم بايعه المتقي المسمول و أشهد على نفسه بالخلع مع ذلك لعشر بقين من الحرم . و قيل : من صفر . و لما كحل قال القاهر :

(صرت و إبراهيم شيخي عمى ... لا بد للشيخين من مصدر)

(ما دام تورون له إمرة ... مطاعة فالميل في المجمر)

و لم يحل الحول على تورون حتى مات و أما المتقي فإنه أخرج إلى جزيرة مقابلة للسندية فسجن بها فأقام بالسجن خمسا و عشرين سنة إلى أن مات في شعبان سنة سبع و خمسين

و في أيام المتقي كان ابن حمدي اللص ضمنه ابن شيرزاد لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة و عشرين ألف دينار في الشهر فكان يكبس بيوت الناس بالمشعل و الشمع و يأخذ الأموال و كان اسكورج الديلمي قد ولي شرطة بغداد فأخذ و وسطه و ذلك سنة ثنتين و ثلاثين

مات في أيام المتقي من الأعلام : أبو يعقوب النهرجوري أحد أصحاب الجنيد و القاضي أبو عبد الله المحاملي و أبو بكر الفرغاني الصوفي و الحافظ أبو العباس بن عقدة و ابن ولاد النحوي و آخرون

و لما بلغ القاهر أنه سمل قال : صرنا اثنين نحتاج إلى ثالث فكان كذلك شمل المستكفي ." (١)

" المطيع لله الفضل بن المقتدر بن المعتضد ٣٣٤ هـ - ٣٦٣ هـ

المطيع لله : أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد أمه أم ولد اسمها شغلة ولد سنة إحدى و ثلاثمائة و بويع له بالخلافة عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة و قرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار فقط

و في هذه السنة من خلافته **اشتد الغلاء ببغداد** حتى أكلوا الجيف و الروث و ماتوا على الطرق و أكلت الكلاب لحومهم و بيع العقار بالرغفان و وجدت الصغار مشوية مع المساكين و اشترى لمعز الدولة كر دقيق بعشرين ألف درهم و الكر سبعة عشر قنطارا بالدمشقي

و فيها وقع بين معز الدولة و بين ناصر الدولة بن حمدان فخرج لقتاله و معه المطيع ثم رجع و المطيع معه كالأسير

و فيها مات الأخشيد صاحب مصر و هو محمد بن طغج الفرغاني و الأخشيد ملك الملوك و هو لقب لكل من ملك فرغانة كما أن الأصبهذ لقب ملك طبرستان وصول ملك جرجان و خاقان ملك الترك و الأفشين ملك أشروسنة و سليمان ملك سمرقند و كان الأخشيد شجاعا مهيبا ولي مصر من قبل القاهر و كان له ثمانية آلاف مملوك و هو أستاذ كافور

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣٤١

و فيها مات القائم العبيدي صاحب المغرب و قام بعده ولي عهد ابنه المنصور إسماعيل و كان القائم شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر سب الأنبياء و كان مناديه ينادي : العنوا الغار و ما حوى قتل خلقا من العلماء

و في سنة خمس و ثلاثين جدد معز الدولة الأيمان بينه و بين المطيع و أزال عنه التوكيل و أعاده إلى دار الخلافة

و في سنة ثمان و ثلاثين سأل معز الدولة أن يشرك معه في الأمر أخاه علي بن بويه عماد الدولة و يكون من بعده فأجابه المطيع ثم لم ينشب أن مات عماد الدولة من عامه فأقام المطيع أخاه ركن الدولة والد عضد الدولة

و في سنة تسع ثلاثين أعيد الحجر الأسود إلى موضعه و جعل له طوق فضة يشد به وزنه ثلاثة آلاف و سبعمائة و سبعة و ستون درهما و نصف

و قال محمد بن نافع الخزاعي : تأملت الحجر الأسود ـ و هو مقلوع ـ فإذا السواد في رأسه فقط و سائره أبيض و طوله قدر عظم الذراع

و في سنة سنة إحدى و أربعين ظهر قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه و امرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها و آخر يدعي أنه جبريل فضربوا فتعززوا يالانتماء إلى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت فكان هذا من أفعاله الملعونة

و فيها مات المنصور العبيدي صاحب المغرب بالمنصورية التي مصرها و قام بالأمر ولي عهد ابنه معد و لقب بالمعز لدين الله ـ و هو الذي بنى القاهرة ـ و كان المنصور حسن السيرة بعد أبيه و أبطل المظالم فأحبه الناس و أحسن أيضا ابنه السيرة وصفت له المغرب

و في سنة ثلاث و أربعين خطب صاحب خراسان للمطيع و لم يكن خطب له قبل ذلك فبعث إليه المطيع اللواء و الخلع

و في سنة أربع و أربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت و دامت ثلاث ساعات و فزع الناس إلى الله بالدعاء

و في سنة ست و أربعين نقص البحر ثمانين ذراعا و ظهر فيه جبال و جزائر و أشياء لم تعهد و كان بالري و نواحيها زلازل عظيمة و خسف ببلد الطالقان و لم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلا و خسف بمائة و خمسين قرية من قرى الري و اتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها و قذفت الأرض

عظام الموتى و تفجرت منها المياه و تقطع بالري جبل و علقت قرية بين السماء و الأرض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها و انخرقت الأرض خروقا عظيمة و خرج منها مياه منتنة و دخان عظيم هكذا نقل ابن الجوزي

و في سنة سبع و أربعين عادت الزلازل بقم و حلوان و الجبال فأتلف خلقا عظيما و جاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات و الاشجار

و في سنة خمسين بنى معز الدولة ببغداد دارا هائلة عظيمة أساسها في الأرض ستة و ثلاثون ذراعا

و فيها قلد القضاء أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب و ركب بالخلع من دار المعز الدولة و بين يديه الدبادب و البوقات و في خدمته الجيش و شرط على نفسه أن يحمل في كل سنة إلى خزانة معز الدولة مائتي ألف درهم و كطتب عليه بذلك سجلا و امتنع المطيع من تقلده و من دخوله عليه و أمر أن لا يمكن من الدخول إليه أبدا

و فيها وضمن معز الدولة الحسبة ببغداد و الشرطة و كل ذلك عقب ضعفه ضعفها و عوفي منها فلا كان الله عافاه

و فيها أخذت الروم جزيرة أقريطش من المسلمين و كانت فتحت في حدود الثلاثين و المائتين

و فيها توفى صاحب الأندلس الناصر لدين الله و قام بعده ابنه الحاكم

و في سنة إحدى و خمسين كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد لعنه معاوية و لعنه من غضب فاطمة حقها من فدك و من منع الحسن أن يدفن مع جده و لعنة من نفى أبا ذر ثم إن ذلك محي في الليل فأراد معز الدولة أن يعيده فأشار عليه المهلبي أن يكتب مكان ما محي [لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه و سلم] و صرحوا بلعنه معاوية فقط

و في سنة اثنتين و خمسين يوم عاشوراء ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق و منع الطباخين من الطبيخ و نصبوا القباب في الأسواق و علقوا عليها المسوح و أخرجوا نساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع يقمن المأتم على الحسين و هذا أول يوم نيح عليه في بغداد و استمرت هذه البدعة سنين

و في ثاني عشر ذي الحجة منها عمل عيد غدير خم و ضربت الدبادب

و في هذه السنة بعث بعض بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين ملتصقين عمرها خمس و عشرون سنة و الالتصاق في الجنب و لهما بطنان و سرتان و معدتان و يختلف أوقات جوعها و عطشها و بولهما و لكل واحد كفان و ذراعان و يدان و فخذان و ساقان و إحليلان و كان أحدهما

يميل إلى النساء و الآخر يميل إلى المرد و مات أحدهما و بقي أياما و أخوه حي فأتين و جمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فضل الميت من الحي قلم يقدروا ثم مرض الحي من رائحة الميت و مات

و في سنة ثلاث و خمسين عمل لسيف الدولة خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعا

و في سنة أربع و خمسين ماتت أخت معز الدولة فنزل المطيع في طيارة إلى دار معز الدولة يعزيه فخرج إليه معز الدولة و لم يكلفه الصعود من الطيارة و قبل الأرض مرات و رجع الخليفة إلى داره

و فيها بنى يعقوب ملك الروم قيسارته قريبا من بلاد المسلمين و سكنها ليغير كل وقت

و في سنة ست و خمسين مات معز الدولة فأقيم ابنه بختيار مكانه في السلطنة و لقبه المطيع [عز الدولة]

و في سنة سبع ملك القرامطة دمشق و لم يحج فيها لا من الشام و لا من مصر و عزموا على قصد مصر ليملكوها فجاء العبيديون فأخذوها و قامت دولة الرفض في الأقاليم : المغرب و مصر و العراق و ذلك أن كافورا الأخشيدي صاحب مصر لما مات اختل النظام و قلت الأموال على الجند فكتب جماعة إلى المعز يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصر فأرسل مولاه جوهرا القائد في مائة ألف فارس فملكها و نزل موضع القاهرة اليوم و اختلطها و بنى دار الإمارة للمعز و هي المعروفة الآن بالقصرين و قطع خطبة بني العباس و لبس السواد و ألبس الخطباء البياض فأمر أن يقال في الخطبة : اللهم صلي على محمد المصطفى و على علي المرتضى و على فاطمة البتول و على الحسن و الحسين سبطي الرسول و صل على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله و ذلك كله في شهر شعبان سنة ثمان و خمسين

ثم في ربيع الآخر سنة تسع و خمسين أذنوا في مصر بحي على خير العمل و شرعوا في بناء الجامع الأزهر ففرغ في رمضان سنة إحدى و ستين

و في سنة تسع و خمسين انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنه شعاع الشمس و سمع بعد انقضائه كالرعد الشديد

و في سنة ستين أعلن المؤذن بدمشق في الآذن بحي على خير العمل و بأمر جعفر ابن فلاح نائب دمشق للمعز بالله و لم يجسر أحد على مخالفته

و في سنة اثنتين و ستين صادر السلطان بختيار المطيع فقال المطيع : أنا ليس لي غير الخطبة فإن أحببتم اعتزلت فشدد علبيه حتى باع قماشه و حمل أربعمائة ألف درهم و شاع في الألسنة أن الخليفة صودر

و فيها قتل رجل من اعوان الموالي ببغداد فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي من طرح النار من النحاسين إلى السماكين فاحترق حريم عظيم لم ير مثله و احترقت أموال و أناس كثيرون في الدور و الحمامات و هلك الوزير من عامه و لا رحمة لله

و في رمضان من هذه السنة دخل المعز إلى مصر و معه توابيت آبائه

و في سنة ثلاث و ستين قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد بن أم شيبان الهاشمي بعد تمنع و شرط لنفسه شروطا ومنها : أن لا يرتزق على القضاء و لا يخلع عليه و لا يشفع إليه فيما يخالف الشرع و قرر لكاتبه في كل شهر ثلاثمائة درهم و لحاجبه مائة و خمسين و للفارض على بابه مائة وللخازن ديوان الحكم و الأعوان ستمائة و كتب له عهد صورته :

هذا ما عهد به عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد صالح الهاشمي حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور و المدينة الشرقية من الجانب الشرقي و الجانب الغربي و الكوفة و سقي الفرات و واسط و كرخي و طريق الفرات و دجلة و طريق خراسان و حلوان و قرميسين و ديار مضر و ديار ربيعة و ديار بكر و الموصل و الحرمين و اليمن و دمشق و حمص و جند قنسرين و العواصم و مصر و الإسكندرية و جند فلسطين و الأردن و أعمال ذلك كلها و من يجري من ذلك من الأشراف على من يختاره من العباسيين بالكوفة و سقي الفرات و أعمال ذلك و ما قلده إياه من قضاء القضاة و تصضفح أحوال الحكام و الاستشراف على ما يجري عليه أمر الأحكام من سائر الناحي و الأمصار التي تشمل عليه المملكة و تنتهي إليها الدعوة و إقرار من يحمد هديه و طريقه و الاستبدال بمن شيمته و سجيته احتياطا للخاصة و ا‌ل‌عامة و جنوا على الملة و الذمة و عن علم بأنه المقدم في بيته و شرفه المبرز في عفافته الزكي في دينه و أمانته الموصوف في ورعه و نزاعته المشار إليه بالعلم و الحجى المجمع عليه في الحلم و النهى البعيد من الأنادس اللابس من التقى أجمل اللباس النقي الجيب المحبو بصفاء الغيب العالم بمصالح الدنيا العارف بما يفسد سلامة العقبى أمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية و ليجعل كتاب الله في كل ما يعمل في رويته و يرتب عليه حكمه و قضيته إمامه الذي يفزع إليه و أن يتخذ سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم منارا يقصده و مثالا يتبعه و أن يراعي الإجماع و أن يقتدي بالأئمة

الراشدين و أن يعمل اجتهاده فيما لا يوجد في كتاب و لا سنة و لا إجماع و إن يحضر مجلسه من يستظهر بعلمه و رأيه و أن يسوي بين الخصمين إذا تقدما إليه في لحظه و لفظه و يوفي كلا منها من إنصافه و عدله حتى يأمن الضعيف حيفه و ييأس القوي من ميله و أمره أن يشرف على أعقانه و أصحابه من يعتمد عليه من أمنائه و أسبابه إشرافا يمنع من التخطي إلى السيرة المحظورة و يدفع عن الإسفاف إلى المكاسب المحجورة

و ذكر هذا الجنس كلاما طويلا

قلت كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ييلدهم القضاء بجميع الأقاليم و البلاد التي تحت ملكهم ثم يستنيب القاضي من تحت أمره من يشاء في كل إقليم و في كل بلد و لهذا كان يلقب قاضي القضاة و لا يلقب به إلا من هو بهذه الصفة و من عداه بالقاضي فقط أو قاضي بلد كذا و أما الآن فصار في البلد الواحد أربعة مشتركون كل منهم بلقب قاضي القضاة و لعل آحاد نواب أولئك كان في حكمه أضعاف ما كان في حكم الواحد من قضاة القضاة الآن و لقد كان قاضي القضاة إذ ذاك أوسع حكما من سلاطين هذا الزمان

و في هذه السنة ـ أعني سنة ثلاث و ستين ـ حصل للمطيع فالج و ثقل لسانه فدعاه حاجب عز الدولة الحاجب سبكتكين إلى خلع نفسه و تسليم الأمر إلى ولده الطائع لله ففعل و عقد له الأمر في يوم الأربعاء ثالث عشري ذي القعدة فكانت مدة خلافه المطيع تسعا و عشرين سنة و أشهرا و أثبت خلعه على القاضي ابن أم شيان و صار بعد خلعه يسمي الشيخ الفاضل

قال الذهبي : و كان المطيع و ابنه مستضعفين مع بني بويه و لم يزل أمر الخلفاء في ضعف إلى أن استخلف المقتفي لله فانصلح أمر الخلافة قليلا و كان دست الخلافة لبني عبيد الرافضة بمصر أميز و كلمتهم أنفذ و مملكتهم تناطح مملكة العباسيين في وقتهم و خرج المطيع إلى واسط مع ولده فمات في المحرم سنة أربع و ستين

قال ابن شاهين : خلع نفسه غير مكره فيما صح عندي

قال الخطيب : حدثني محمد بن يوسف القطان سمعت أبا الفضل التميمي سمعت المطيع لله سمعت شيخي ابن منيع سمعت أحمد ين حنبل يقول إذا مات أصدقاء رجل ذل

و ممن مات في أيام المطيع من الأعلام : الخرقي شيخ الحنابلة و أبو بكر الشبلي الصوفي و ابن القاص إمام الشافعية و أبو رجاء الأسواني و أبو بكر الصولي و الهيثم بن كليب الشاشي و أبو الطيب

الصعلوكي و أبو جعفر النحاس النحوي و أبو نصر الفارابي و أبو إسحاق المروزي إمام الشافعية و أبو القاسم الزجاجي النحوي و الكرخي شيخ الحنفية و الدينوري صاحب المجالسة و أبو بكر الضبعي و القاضي أبو القاسم التنوخي و ابن الحداد صاحب [الفروع] و أبو علي بن أبي هريرة من كبار الشافعية و أبو عمر الزاهد و المسعودي صاحب [مروج الذهب] و ابن درستويه و أبو علي الطبري أول من جرد الخلاف و الفاكهي صاحب [تاريخ مكة] و المتنبي الشاعر و ابن حبان صاحب [الصحيح] و ابن شعبان من أئمة المالكية و أبو علي القالي و أبو الفرج صاحب [الأغاني] ." (١)

" الطائع بالله عبد الكريم بن المطيع بن المقتدر ٣٦٣ هـ - ٣٩٣ هـ

الطائع بالله : أبو بكر بن المطيع أمه أم ولد اسمها هزار نزل له أبوه عن الخلافة و عمره ثلاث و أربعون سنة فركب و عليه البردة و معه الجيش و بين يديه سبكتكين و خلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة و عقد له اللواء و لقبه [نصر الدولة] ثم وقع بين عز الدولة و سبكتكين الأتراك لنفسه فأجابوه و جرى بينه و بين عز الدولة حروب و في ذي الحجة من هذه السنة - أي سنة ثلاث و ستين و ثلاثمائة - أقيمت الخطبة و الدعوة بالحرمين للمعز العبيدي و في سنة أربع و ستين قدم عضد الدولة بغداد لنصرة عز الدولة على سبكتكين فأعجبته بغداد و ملكها فعمل عليها و استمال الجند فشغبوا على عز الدولة فأغلق بابه و كتب عضد الدولة عن الطائع إلى الآفاق باستقرار الأمر لعضد الدولة فوقع بين الطائع و بين عضد الدولة فقطعت الخطبة للطائع بسبب ذلك ببغداد و غيرها من يوم العشرين من جمادى الأولى إلى أن أعيدت في عاشر رجب

و في هذه السنة و بعدها غلا الرفض و فار بمصر و الشام و المشرق و المغرب و نودي بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدي

و في سنة خمس و ستين نزل ركن الدولة بن بويه عما بيده من الممالك لأولاده فجعل لعضد الدولة فارس و كرمان و لمؤيد الدولة الري و أصبهان و لفخر الدولة همذان و الدينور

و في رجب منها عمل مجلس الحكم دار السلطان عز الدولة و جلس قاضي القضاة ابن معروف و حكم لأن عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف هو

و فيها كانت وقعة بين عز الدولة و عضد الدولة و أسر فيها غلام تركي لعز الدولة فجن عليه و اشتد حزنه و امتنع من الأكل و أخذ في البكاء و احتجب عن الناس و حرم على نفسه الجلوس في الدست و

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣٤٥

كتب إلى عضد الدولة يسأله أن يرد الغلام إليه و يتذلل فصار ضحكة بين الناس و عوتب فما ارعوى لذلك و بذل في فداء الغلام جاريتين عوديتين كان قد بذل له في الواحدة مائة ألف دينار و قال للرسول إن توقف عليك في رده فزد ما رأيت و لا تفكر فقد رضيت أن آخذه و أذهب إلى أقصى الأرض فرده عضد الدولة عليه

و فيها أسقط الخطبة من الكوفة لعز الدولة و أقيمت لعضد الدولة

و فيها مات المعز لدين الله العبيدي صاحب مصر و أول من ملكها من العبيدين و قام بالأمر بعده ابنه نزار و لقب [العزيز]

و في سنة ست و ستين مات المنتصر بالله الحكم بن الناصر لدين الله الأموي صاحب الأندلس و قام بعده ابنه المؤيد بالله هشام

و في سنة سبع و ستين التقى عز الدولة و عضد الدولة فظفر عضد الدولة و أخذ عز الدولة أسيرا و قتله بعد ذلك و خلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة و توجه بتاج مجوهر و طوقه و سوره و قلده سيفا و عقد له لواءين بيده : أحدهما مفضض على رسم الأمراء و الآخر مذهب على رسم ولاة العهد و لم يعقد اللواء الثاني لغيره قبله و كتب له عهدا و قرئ بحضرته و لم يبق أحد إلا تعجب و لم تجر العادة بذلك و إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فإذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدي إليك فاعمل به

و في سنة ثمان و ستين أمر الطائع بأن تضرب الدبادب على باب عضد الدولة في وقت الصبح و المغرب و العشاء و أن يخطب له على منابر الحضرة

قال ابن الجوزي : و هذان أمران لم يكونا من قبله و لا أطلقا لولاة العهود و قد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدبادب بمدينة السلام فسأل المطيع في ذلك فلم يأذن له و ما حظي عضد الدولة بذلك إلا لضعف أمر الخلافة

و في سنة تسع و ستين ورد رسول العزيز صاحب مصر إلى بغداد و سأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه [تاج الملة] و يجدد الخلع عليه و يلبسه التاج فأجابه و جلس الطائع على السرير و حوله مائة بالسيوف و الزينة و بين يديه مصحف عثمان و على كتفه البردة و بيده القضيب و هو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه و سلم و ضربت ستارة بعثها عضد الدولة و سأل أن يكون حجابا للطائع حتى لا يقع عليه الأشراف و أصحاب المراتب من الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة و قبل

عضد الدولة الأرض فارتاع زياد القائد لذلك و قال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله ؟ فالتفت إليه و قال : هذا خليفة الله في الأرض ثم استمر يمشي و يقبل الأرض سبع مرات فالتفت الطائع إلى خالص الخادم و قال : استدنه فصعد عضد الدولة فقبل الأرض مرتين فقال له ادن إلي فدنا و قبل رجله و ثنى الطائع يمينه عليه و آمره فجلس على الكرسي بعد أن كرر عليه : اجلس : و هو يستعفي فقال له : أقسمت عليك لتجلسن فقبل الكرسي و جلس فقال له الطائع : قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله إلي من أمور الرعية في شرق الأرض و غربها و تدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصتي و أسبابي فتول ذلك فقال : يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين و خدمته ثم أفاض عليه الخلع و انصرف

قلت : انظر إلى هذا الأمر و هو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه و لا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة و قد صار الأمر في زماننا إلى أن الخليفة يأتي السلطان يهنئه برأس الشهر فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته و يجلسا معا خارج المرتبة ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس و يجلس السلطان في دست مملكته

و لقد حدثت أن السلطان الأشرف برسباي لما سافر إلى آمد لقتال العدو و صحب الخليفة معه كان الخليفة راكبا أمامه يحجبه و الهيبة و العظمة للسلطان و الخليفة كآحاد الأمراء الذين في خدمة السلطان

و في سنة سبعين خرج من همذان عضد الدولة و قدم بغداد فتلقاه الطائع و لم تجر عادة بخروج الخلفاء لتلقي أحد

فلما توفيت بنت معز الدولة ركب المطيع إليه فعزاه فقبل الأرض و جاء رسول عضد الدولة يطلب من الطائع أن يتلقاه فلما وسعه التأخر

و في سنة اثنتين و سبعين مات عضد الدولة فولى الطائع مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة و لقبه [شمس الملة] و خلع عليه سبع خلع و توجه و عقد له لواءين

ثم في سنة ثلاث و سبعين مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة

و في سنة خمس و سبعين هم صمصام الدولة أن يجعل المكس على ثياب الحرير و القطن مما ينسج ببغداد و نواحيها و وقع له في ضمان ذلك ألف ألف درهم في السنة فاجتمع الناس في جامع المنصور و عزموا على منع صلاة الجمعة و كاد البلد يفتتن فأعفاهم من ضمان ذلك

و في سنة ست و سبعين قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة فانتصر عليه و كحله و مال العسكر إلى شرف الدولة و قدم بغداد و ركب الطائع إليه يهنئه بالبلاد و عهد إليه بالسلطنة و توجه و قرئ عهده و الطائع يسمع

و في سنة ثمان و سبعين أمر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في سيرها كما فعل المأمون

و فيها **اشتد الغلاء ببغداد** جدا و ظهر الموت بها و لحق الناس بالبصرة حر و سموم تساقط منه

و جاءت ريح عظيمة بفم الصلح حرقت الدجلة حتى ذكر أنه بانت أرضها و أغرقت كثيرا من السفن و احتملت زورقا منحدرا و فيه دواب فطرحت ذلك في أرض جوخى فشوهد بعد أيام

و في سنة تسع و سبعين مات شرف الدولة و عهد إلى أخيه أبي نصر فجاءه الطائع و حضر الأعيان فخلع الطائع على أبي نصر سبع خلع أعلاها سوداء و عمامة سوداء و في عنقه طوق كبير و في يده سواران و مشى الحجاب بين يديه بالسيوف ثم قبل الأرض بين يدي الطائع و على كرسي و قرىء عهده و لقبه الطائع [بهاء الدولة و ضياء الملة]

و في سنة إحدى و ثمانين قبض على الطائع و سببه : أنه حبس رجلا من خواص بهاء الدولة فجاء بهاء الدولة و قد جلس الطائع في الرواق متقلدا سيفا فلما قرب بهاء الدولة قبل الأرض و جلس على كرسي و تقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع من سريره و تكاثر الديلم فلفوه في كساء و أصعد إلى دار السلطنة و ارتج البلد و رجع بهاء الدولة و كتب على الطائع أيمانا بخلع نفسه و أنه سلم الأمر إلى القادر بالله و شهد عليه الأكابر و الأشراف و ذلك في تاسع عشر شهر شعبان و نفذ إلى القادر ليحضر و هو بالبطيحة

و استمر الطائع في دار القادر بالله مكرما محترما في أحسن حال حتى إنه حمل إليه شمعة قد أوقد نصفها فأنكر ذلك فحملوا إليه غيرها إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث و تسعين

و صلى عليه عبد القادر بالله في داره و شيعه الأكابر و الخدم و رثاه الشريف الرضي بقصيدة

و كان شديد الانحراف على آل أبي طالب و سقطت الهيبة في أيامه جدا حتى هجاه الشعراء

مات في أيام الطائع من الأعلام : ابن السني الحافظ و ابن عدي و القفال الكبير و السيرافي النحوي و أبو سهل الصعلوكي و أبو بكر الرازي الحنفي و ابن خالويه و الأزهري إمام اللغة و أبوا إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب و الرفاء الشاعر و أبوا زيد المرزوي الشافعي و الداركي و أبو علي الأبهري

شيخ المالكية و أبو الليث السمرقندي إمام الحنفية و أبو علي الفارسي النحوي و ابن الجلاب المالكي ." (١)

" المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ٤٦٧ هـ - ٤٨٧ هـ

المقتدي بأمر الله : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله

مات أبوه في حياة القائم - و هو حمل - فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر و أمه أم ولد اسمها أرجوان

و بويع له بالخلافة عند موت جده و له تسع عشرة سنة و ثلاثة أشهر و كانت البيعة بحضرة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي و ابن الصباغ و الدامغاني و ظهر في أيامه خيرات كثيرة و آثار حسنة في البلدان

و كانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة بخلاف من تقدمه

و من محاسنه أنه نفى المغنيات و الحواظي ببغداد و أمر أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر و خرب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس

و كان دينا خيرا قوي النفس عالي الهمة من نجباء بني العباس

و في هذه السنة من خلافته أعيدت الخطبة للعبيدي بمكة و فيها جمع نظام الملك المنجمين و جعلوا النيروز أول نقطة من الحمل و كان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت و صار ما فعله النظام مبدأ التقاويم

و في سنة ثمان و ستين خطب للمقتدي بدمشق و أبطل الأذان بحي على خير العمل و فرح الناس بذلك

و في سنة تسع و ستين قدم بغداد أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القسيري حاجا فوعظ بالنظامية و جرى له فتنة كبيرة مع الحنابلة لأنه تكلم على مذهب الأشعري و حط عليهم و كثر أتباعه و المتعصبون له فهاجت فتن و قتلت جماعة

و عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة المقتدي لكونه شذ عن الحنابل

و في سنة خمس و سبعين بعث الخليفة الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان يتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق

و في سنة ست و سبعين رخصت الأسعار بسائر البلاد و **ارتفع الغلاء**

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣٥١

و فيها ولى الخليفة أبا شجاع محمد بن الحسين الوزارة و لقبه [ظهير الدين] و أظن ذلك أول حدوث التلقيب بالإضافة إلى الدين

و في سنة سبع و سبعين سار سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونية و أقصراء بجيوشه إلى الشام فأخذ أنطاكية . و كانت بيد الروم من سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة . و أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره قال الذهبي : و آل سلجوق هم ملوك بلاد الروم و قد امتدت أيامهم و بقي منهم بقية إلى زمن الملك الظاهر بيبرس

و في سنة ثمان و سبعين جاءت ريح سوداء ببغداد بعد العشاء و اشتد الرعد و البرق و سقط رمل و تراب كالمطر و وقعت عدة صواعق في كثير من البلاد فظن الناس أنها القيامة و بقيت ثلاث ساعات بعد العصر و قد شاهد هذه الكائنة الإمام أبو بكر الطرطوشي و أوردها في أماليه

و في سنة تسع و سبعين أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبتة و مراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه و أن يقلده ما بيده من البلاد فبعث إليه الخلع و الأعلام و التقليد و لقبه بأمير المسلمين ففرح بدلك و سر به فقهاء المغرب و هو الذي أنشأ مدينة مراكش

و فيها دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة و هو أول دخوله إليها فنزل بدار المملكة و لعب بالكرة و قد تقاوم الخليفة ثم رجع إلى أصبهان

و فيها قطعت خطبة العبيدي بالحرمين و خطب للمقتدي و في سنة إحدى و ثمانين مات ملك غزنة المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين و قام مقامه ابنه جلال الدين مسعود

و في سنة ثلاث و ثمانين عملت ببغداد مدرسة لتاج الملك مستوفي الدولة بباب أبرز و درس بها أبو بكر الشاشي

و في سنة أربع و ثمانين استولت الفرنج على جميع جزيرة صقلية و هي أول ما فتحها المسلمون بعد المائتين و حكم عليها آل الأغلب دهرا إلى أن استولى العبيدي المهدي على المغرب

و فيها قدم السلطان ملكشاه بغداد و أمر بعمل جامع كبير بها و عمل الأمراء حوله دورا ينزلونها ثم رجع إلى أصبهان و عاد إلى بغداد في سنة خمس و ثمانين عازما على الشر و أرسل إلى الخليفة يقول : لا بد أن تترك لي بغداد و تذهب إلى أي بلد شئت فانزعج الخليفة و قال : و لا ساعة واحدة فأرسل الخليفة إلى وزير السلطان يطلب المهلة إلى عشرة أيام فاتفق مرض السلطان و موته و عد ذلك كرامة للخليفة و قيل : إن الخليفة جعل يصوم فإذا أفطر جلس على الرماد و دعا على ملكشاه فاستجاب الله

دعاءه و ذهب إلى حيث ألقت و لما كتمت زوجته تركان خاتون موته و أرسلت إلى الأمراء سرا فاستحلفتهم لولده محمود . و هو ابن خمس سنين فخلفوا له و أرسلت إلى المقتدي في أن يسلطنه فأجاب و لقبه [ناصر الدنيا و الدين] ثم خرج عليه أخوه بركياروق بن ملكشاه فقلده الخليفة و لقبه [ركن الدين] و ذلك في المحرم سنة سبع و ثمانين و أربعمائة و علم الخليفة على تقليده ثم مات الخليفة من الغد فجأة فقيل : إن جاريته شمس النهار سمته و بويع لولده المستظهر

و ممن مات في أيام المقتدي من الأعلام : عبد القادر الجرجاني و أبو الوليد الباجي و الشيخ أبو إسحاق الشيرازي و الأعلم النحوي و ابن الصباغ صاحب [الشامل] و المتولي و إمام الحرمين و الدامغاتي الحنفي و ابن فضالة المجاشعي و البزدوي شيخ الحنفية ." (١)

" الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله ٥٧٥ هـ . ٦٢٢ هـ

الناصر لدين الله : أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ولد الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة و أمه أم ولد تركية اسمها زمرد و بويع له عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة سنة خمس و سبعين و أجاز له جماعة : منهم أبو الحسين عبد الحق اليوسفي و أبو الحسن علي بن عساكر البطايحي و شهدة و أجاز هو لجماعة فكانوا يحدثون عنه في حياته و يتنافسون في ذلك رغبة في الفخر لا في الإسناد

و قال الذهبي : و لم يل الخلافة أحد أطول مدة منه فإنه أقام فيها سبعة و أربعين سنة و لم تزل مدة حياته في عز و جلالة و قمع الأعداء و استظهار على الملوك و لم يجد ضيما و لا خرج عليه خارجي إلا قمعه و لا مخالف إلا دفعه و كل من أضمر له سوءا رماه الله بالخذلان و كان . مع سعادة جده . شديد الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم و صغارهم و أصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة و الباطنة و كانت له حيل لطيفة و مكائد غامضة وخدع لا يفطن لها أحد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين و هم لا يشعرون و يوقع العداوة بين ملوك متفقين و هم لا يفطنون و لما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل فصار يبالغ في التكتم و الورقة تأتيه بذلك فاختلى ليلة بامرأة دخلت من باب السر فصبحته الورقة بذلك و فيها [كان عليكم دواج فيه صورة الفيلة] فتحير و خرج من بغداد و هو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب لأن

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣٦٥

الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل و ما وراء الجدار و أتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية و كتاب مختوم فقيل له ارجع فقد عرفنا ما جئت به فرجع و هو يظن أنهم يعلمون الغيب

قال الذهبي : قيل : إن الناصر كان مخدوما من الجن

و لما ظهر خوارزم شاه بخراسان و ما وراء النهر و تجبر و طغى و استعبد الملوك الكبار و أباد أمما كثيرة و قطع خطبة بني العباس من بلاده و قصد بغداد فوصل إلى همذان فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوما فغطاهم في غير أوانه فقال له بعض خواصه : إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة

و بلغه أن أمم الترك قد تألبوا عليه و طمعوا في البلاد لبعده عنها فكان ذلك سبب رجوعه و كفي الناصر شره بلا قتال

و كان الناصر إذا أطعم أشبع و إذا ضرب أوجع و له مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر

و وصل إليه رجل معه ببغاء تقرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تحفه للخليفة من الهند فأصبحت ميتة و أصبح حيران فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى و قال : الليلة ماتت فقال : قد عرفنا هاتها ميتة و قال : كم كان ظنك أن يعطيك الخليفة ؟ قال : خمسمائة دينار قال : هذه خمسمائة دينار خذها فقد أرسلها إليك الخليفة فإنه أعلم بحالك منذ خرجت من الهند و كان صدر جهان قد صار إلى بغداد و معه جماعة من الفقهاء و واحد منهم لما خرج من داه من سمرقند على فرس جميلة فقال له أهله : لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد فقال : الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني فأمر بعض القوادين أنه حين يدخل بغداد يضربه و يأخذها منه و يهرب في الزحمة ففعل فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث فلما رجعوا من الحج خلع على صدر جهان و أصحابه و خلع على ذلك الفقيه و قدمت له فرسه و عليها سرج من ذهب و طوق و قيل له : لم يأخذ فرسك الخليفة إنما أخذها أتوني فخر مغشيا عليه و أسجل بكرامتهم و قال الموفق عبد اللطيف : كان الناصر قد ملأ القلوب هيبة و خيفة فكان يرهبه أهل الهند و مصر كما يرهبه أهل بغداد فأحيا بهيبته الخلافة و كانت قد ماتت بموت المعتصم ثم مات بموته

و كان الملوك و الأكابر بمصر و الشام إذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا أصواتهم هيبة و إجلالا و ورد بغداد تاجر و معه قناع دمياط المذهب فسألوه عنه فأنكر فأعطي علامات فيه : من عدده و ألوانه و أصنافه فازداد إنكاره فقيل له : من العلامات أنك نقمت على مملوكك التركي فلان فأخذته إلى سيف بحر دمياط في خلوة و قتلته و دفنته هناك و لم يشعر بذلك أحد

قال ابن النجار : دانت السلاطين للناصر و دخل في طاعته من كان المخالفين و ذلت له العتاة و الطغاة و انقهرت بسيفه الجبابرة و اندحض أعداؤه و كثر أنصاره و فتح البلاد العديدة و ملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن الخلفاء و الملوك و خطب له ببلاد الأندلس و بلاد الصين و كان أشد بني العباس تنصدع لهيبته الجبال و كان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف فصيح اللسان بليغ البيان له التوقيعات المسددة و الكلمات المؤيدة و كانت أيامه غرة في وجه الدهر و درة في تاج الفخر و قال ابن واصل : كان الناصر شهما شجاعا ذا فكرة صائبه و عقل رصين و مكر و دهاء و له أصحاب أخبار في العراق و سائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور حتى ذكر أن رجلا ببغداد عمل دعوة و غسل يده قبل أضيافه فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك فكتب في جواب ذلك [سوء أدب من صاحب الدار و فضول من كاتب المطالعة] قال : و كان مع ذلك رديء ال سيرة في الرعية مائلا إلى الظلم و العسف ففارق أهل البلاد بلادهم و أخذ أموالهم و أملاكم و كان يفعل أفعالا متضادة و كان يتشيع و يميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه حتى ان ابن الجوزي سئل بحضرته : من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقال : أفضلهم بعده من كانت ابنته تحته و لم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر

و قال ابن الأثير : كان الناصر سيء السيرة خربت في أيامه العراق مما أحدثه من الرسوم و أخذ أموالهم و أملاكهم و كان يفعل الشيء و ضده و كان يرمي بالبندق و يغوي الحمام

و قال الموفق عبد اللطيف : و في وسط ولايته اشتعل برواية الحديث و استناب نوابا في الإجازة عنه و التسميع و أجرى عليهم جرايات و كتب للملوك و العلماء إجازات و جمع كتابا سبعين حديثا و وصل إلى حلب و سمعه الناس

قال الذهبي : أجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه : منهم ابن سكينة و ابن الأخضر و ابن النجار و ابن الدمغاني و آخرون

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي و غيره : قل بصر الناصر في آخر عمره و قيل ذهب كله و لم يشعر بذلك أحد من الرعية حتى الوزير و أهل الدار و كان له جارية قد علمها الخط بنفسه فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التواقيع

و قال شمس الدين الجزري : كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ و يغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام ثم يشرب منه و مع هذا ما مات

حتى سقي المرقد مرات و شق ذكره و أخرج منه الحصى و مات منه يوم الأحد سلخ رمضان سنة اثنتين و عشرين و ستمائة : و من لطائفه أن خادما له اسمه يمن كتب إليه ورقة فيها عتب فوقع فيها :

بمن يمن يمن بمن ثمن ثمن

و لما تولى الخليفة بعث إلى السلطان صلاح الدين بالخلع و التقليد و كتب إليه السلطان كتابا يقول فيه : و الخادم ـ و لله الحمد ـ يعدد سوابق في الإسلام و الدولة العباسية لا يعمرها أولية أبي مسلم لأنه والى ثم وارى و لا آخرية طغرلبك لأنه نصر ثم حجر و الخادم من كان ينازع رداءها و أساغ الغصة التي أذخر الله للأساغة في سيفه ماءها فرجل الأسماء الكاذبة الراكبة على المنابر و أعز بتأييد إبراهيمي فكسر الأصنام الباطنة بسيفه الطاهر

و من الحوادث في أيامه : منشوره في سنة سبع و سبعين و خمسمائة أرسل الملك الناصر يعاتب السلطان صلاح الدين في تسميه بالملك الناصر مع علمه أن الخليفة اختار هذه التسمية لنفسه

و في سنة ثمانين جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمنا لمن لاذ به فالتجأ إليه خلق و حصل بذلك مفاسد

و في سنة إحدى و ثمانين ولد بالعلث ولد طول جبهته شبر و أربع أصابع و له أذن واحدة

و فيها وردت الأخبار بأنه خطب للناصر بمعظم بلاد المغرب

و في سنة اثنتين و ثمانين اجتمع الكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم و توثيقها و سد منافسها على الريح و نقلوا إليها الماء و الزاد و انتقلوا إليها و انتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد و هي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شيء و لا هب فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها و عملت الشعراء في ذلك فمما قيل فيه قول أبي الغنائم محمد بن المعلم :

(قل لأبي الفضل قول متعرف ... مضى جمادى و جاءنا رجب)

(و ما جرت زعزع كما حكموا ... و لا بدا كوكب له ذنب)

(كلا و لا أظلمت ذكاء و لا ... بدت إذن في قرونها الشهب)

(يقضي عليها من ليس يعلم ما ... يقضي عليه هذا هو العجب)

(قد بان كذب المنجمين و في ... أي مقال قالوا فما كذبوا ؟)

و في سنة ثلاث و ثمانين اتفق أن أول يوم في السنة كان أول أيام الأسبوع و أول السنة الشمسية و أول سني الفرس و الشمس القمر في أول البروج و كان ذلك من الاتفاقات العجيبة

و فيها كانت الفتوحات الكثيرة أخذ السلطان صلاح الدبين كثيرا من البلاد الشامية التي كانت بيد الفرنج و أعظم ذلك بيت المقدس و كان بقاؤه في يد الفرنج إحدى و تسعين سنة و أزال السلطان ما أحدثه الفرنج من الآثار و هدم ما أحدثوه من الكنائس و بنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية فجزاه الله عن الإسلام خيرا و لم يهدم القمامة اقتداء بعمر رضي الله عنه حيث لم يهدمها لما فتح بيت المقدس و قال في ذلك محمد بن أسعد النسابة :

(أترى مناما ما يعيني أبصر ... القدس يفتح و النصارى تكسر)

(و قمامة قمت من الرجس الذي ... بزواله و زالها يتطهر)

(و مليكهم في القيد مصفود و لم ... ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر)

(قد جاء نصر الله و الفتح الذي ... وعد الرسول فسبحوا و استغفروا)

(يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فا روقها عمر الإمام الأطهر)

و من الغرائب أن ابن برجان ذكر في تفسيره ﴿ الم * غلبت الروم ﴾ أن بيت المقدس يبقى في يد الروم إلى سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة و ثم يغلبون و يفتح و يصير دار إسلام إلى آخر الأبد و أخذ من حساب الآية فكان ذلك

قال أبو شامة : و هذا الذي ذكره ابن برجان من عجائب ما اتفق و قد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر فإن وفاته سنة ست و ثلاثين و خمسمائة

و في سنة تسع و ثمانين مات السلطان صلاح الدين رحمه الله فوصل إلى بغداد الرسول و في صحبته لأمة الحرب التي لصلاح الدين و فرسه و دينار واحد و ستة و ثلاثون درهما لم يخلف من المال سواها و استقرت مصر لابنه عماد الدين عثمان الملك العزيز و دمشق لابنه الملك الأفضل نور الدين علي و حلب لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي

و في سنة تسعين مات السلطان طغرلبك شاه بن أرسلان بن طغرلبك بن محمد بن ملك شاه و هو آخر ملوك السلجوقية

قال الذهبي : و كان عددهم نيفا و عشرين ملكا و أولهم طغرلبك الذي أعاد القائم إلى بغداد و مدة دولتهم مائة و ستون سنة

و في سنة خمسمائة و اثنتين و تسعين هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا و وقع على الناس رمل أحمر و وقع من الركن اليماني قطعة

و فيها عسكر خوارزم شاه فعدا جيحون في خمسين ألفا و بعث إلى الخليفة يطلب السلطنة و إعادة دار السلطنة إلى ما كانت و أن يجيء إلى بغداد و يكون الخليفة تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية فهدم الخليفة دار السلطنة و رد رسوله بلا جواب ثم كفي شره كما تقدم

و في سنة ثلاث و تسعين انقض كوكب عظيم سمع لا نقضاضه صوت هائل و اهتزت الدور و الأماكن فاستغاث الناس و أعلنوا بالدعاء و ظنوا ذلك من أمارات القيامة

و في سنة خمس و تسعين مات الملك العزيز بمصر و أقيم ابنه المنصور بدله فوثب الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب و تملكها ثم أقام بها ابنه الملك الكامل

و في سنة ست و تسعين توقف النيل بمصر بحيث كسرها و لم يكمل ثلاثة عشر ذراعا و **كان الغلاء المفرط** بحيث كسرها بحيث أكلوا الجيف و الآدمين و فشا أكل بني آدم و اشتهر و رئي من ذلك العجب العجاب و تعدوا إلى حفر القبور و أكل الموتى و تمزق أهل مصر كل ممزق و كثر الموت من الجوع بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت أو من هو في السياق و هلك أهل القرى قاطبة بحيث إن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار و يجد البيوت مفتحة و أهلها موتى

و قد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها قال : و صارت الطرق مزرعة بالموتى و صارت لحومها للطير و السباع و بيعت الأحرار و الأولاد بالدارهم اليسيرة و استمر ذلك إلى أثناء سنة ثمان و تسعين

و في سنة سبع و تسعين جاءت زلزلة كبرى بمصر و الشام و الجزيرة فأخربت أماكن كثيرة و قلاعا و خسفت قرية من أعمال بصرى

و في سنة تسع و تسعين في سلخ المحرم ماجت النجوم و تطايرت تطاير الجراد و دام ذلك إلى الفجر و انزعج الخلق و ضجوا إلى الله تعالى و لم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه و سلم

و في سنة ستمائة هجم الفرنج إلى النيل من رشيد و دخلوا بلد فوة فنهبوها و استباحوها و رجعوا

و في سنة إحدى و ستمائة تغلبت الفرنج على القسطنطينية و أخرجوا الروم منها و كانت بأيدي الروم من قبل الإسلام و استمرت بيد الفرنج إلى سنة ستين و ستمائة فاستطلقها منهم الروم

و فيها ـ أي في سنة إحدى و ستمائة ـ ولدت امرأة بقطيعاء ولدا برأسين و يدين و اربعة أرجل و لم يعش

و في سنة ست و ستمائة كان ابتداء أمر التتار و سيأتي شرح حالهم

و في سنة خمس عشرة أخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة

قال أبو شامة : و هذا البرج كان قفل الديار المصرية و هو برج عل في وسط النيل و دمياط بحذائه من شرقيه و الجزيرة بحذائه من غربيه و في ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط و الأخرى على النيل إلى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من البحر المالح

و في سنة عشرة أخذت الفرنج دمياط بعد حروب و محاصرات و ضعف الملك الكامل عن مقاومتهم فبدعوا فيها و جعلوا الجامع كنيسة فابتنى الملك الكامل مدينة عند مفرق البحرين سموها المنصورة و بنى عليها سورا و نزلها بجيشه و في هذه السنة كاتبه قاضي ركن الظاخر و كان الملك المعظم صاحب دمشق في نفسه منه فأرسل له بقجة فيها قباء و كلوته و أمره بلبسها بين الناس في مجلس حكمه فلم يمكنه الامتناع ثم قام و دخل داره و لزم بيته و مات بعد أشهر قهرا و رمى قطعا من كبده و تأسف الناس لذلك و اتفق أن الملك المعظم أرسل في عقب ذلك إلى الشرف بن عنين حين تزهد خمرا و بردا و قال : سبح بهذا فكتب إليه يقول :

(يا أيها الملك المعظم سنة ... أحدثتها تبقى على الآباد)

(تجري الملوك على طريقك بعدها ... خلع القضاة و تحفة الزهاد)

و في سنة إحدى و عشرين بنيت دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين و جعل شيخها أبا الخطاب بن دحية و كانت الكعبة تكسى الديباج الأبيض من أيام المأمون إلى الآن فكساها الناصر ديباجا أخضر ثم كساها ديباجا أسود فاستمر إلى الآن

و ممن مات في أيام الناصر من الأعلام : الحافظ أبو طاهر السلفي و أبو الحسن بن القصار اللغوي و الكمال أبو البركات بن الأنباري و الشيخ أحمد بن الرفاعي الزاهد و ابن بشكوال و يونس والد يونس الشافعي و أبو بكر بن طاهر الأحدب النحوي و أبو الفضل والد الرافعي و ابن ملكون النحوي و عبد الحق الإشبيلي صاحب [الأحكام] و أبو زيد السهيلي صاحب [الروض الأنف] و الحافظ أبو موسى المديني و ابن بري اللغوي و الحافظ أبو بكر الحازمي و الشرف ابن أبي عصرون و ابو القاسم البخاري والعتابي صاحب [الجامع الكبير] ـ من كبار الحنيفة و النجم الحبوشاني المشهور بالصلاح و أبو القاسم بن فيرة

الشاطبي صاحب القصيدة و فخر الدين أبو شجاع محمد ابن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي أول من وضع الفرائض على شكل المنبر و الرهان المرغيناني صاحب [الهداية] . من الحنفية و قاضيخان صاحب الفتاوي منهم و عبد الرحيم بن حجون الزاهد بالصعيد و أبو الوليد بن رشد صاحب العلوم الفلسفية و أبو بكر بن زهر الطبيب و الجمال بن فضلان من الشافعية و القاضي الفاضل صاحب الإنشاء و الترسل و الشهاب الطوسي و أبو الفرج بن الجوزي و العماد الكاتب و ابن عظيمة المقري و الحافظ عبد الغني المقدسي صاحب [العمدة] و البركي الطاوسي صاحب الخلاف و تميم الحلي و أبو ذر الخشني النحوي و الإمام فخر الدين الرازي و أبو السعادات ابن الأثير صاحب [جامع الأصول] و [نهاية الغريب] و العماد بن يونس صاحب شرح الوجيز و الشرف صاحب [التنبيه] و الحافظ أبو الحسن بن المفضل و أبو محمد بن حوط الله و أخوه أبو سليمان و الحافظ عبد القادر الرهاوي و الزاهد أبو الحسن بن الصباغ بقنا و الوجيه ابن الدهان النحوي و تقي الدين ابن المقترح و أبو اليمن الكندي النحوي و المعين الحاجري صاحب [الكفاية] . من الشافعية و الركن العميدي صاحب الطريقة في الخلاف و أبو البقاء العكبري صاحب [الإعراب] و ابن أبي أصيعبة الطبيب و عبد الرحيم بن السمعاني و نجم الدين الكبرى و ابن أبي الصيف اليمني و موفق الدين بن قدامة الحنبلي و فخر الدين بن عساكر و خلائق آخرون ." (١)

" الفتن التي كانت في كل قرن

فائدة : قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثن يحيى بن عبدك القزويني حدثنا خلف بن الوليد حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن العرباض بن الهيثم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمر

قلت : كان عند رأس المائة الأولى من هذه الملة فتنة الحجاج و ما أدراك ما الحجاج ؟

و في المائة الثانية : فتنة المأمون و حروبه مع أخيه حتى درست محاسن بغداد و باد أهلها ثم قتله إياه شر قتله ثم امتحانه الناس بخلق القرآن و هي أعظم الفتن في هذه الأمة و أولها بالنسبة إلى الدعوة إلى البدعة و لم يدع خليفة قبله إلى شيء من البدع

و في المائة الثالثة : خروج القرمطي و ناهيك به ثم فتنة المقتدر لما خلع و بويع ابن المعتز و أعيد المقتدر ثاني يوم و ذبح القاضي و خلقا من العلماء و لم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام ثم فتنة تفرق

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٣٨٧

الكلمة و تغلب المتغلبين على البلاد و استمر ذلك إلى الآن و من جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية و ناهيك بهم إفسادا و كفرا و قتلا للعلماء و الصلحاء

و في المائة الرابعة : كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله و ناهيك بما فعل

و في المائة الخامسة : أخذ الفرنج الشام و بيت المقدس

و في المائة السادسة : **كان الغلاء الذي** لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام و كان ابتداء أمر التتار

و في المائة السابعة : كانت فتنة التتار العظمى التي لم يسمع بمثلها أسالت من دماء أهل الإسلام بحارا

و في المائة الثامنة : كانت فتنة تمرلنك التي استصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها

و أسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة ! ! بجاه محمد صلى الله عليه و سلم و صحبه أجمعين آمين

تم الكتاب و الحمد لله أولا و آخرا ." (١)

"& ٢٦ السلطان الغازي مصطفى خان الثالث

ابن السلطان احمد الثالث المولود سنة ١١٢٩ وكان ميالا للاصلاح محبا لتقديم بلاده خصوصا وزيره الاول راغب باشا الذي مر ذكره فاخذ هذا الوزير في اصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له فعهد بادارة الاوقاف العمومية إلى احد اغوات السراري قيزار اغاسي واسس مستشفيات للحجر على الواردات الخارجية اذا كانت الاوبئة منتشرة في الخارج لعدم تعديها إلى الممالك المحروسة وانشا مكتبة عمومية على مصاريفه الخاصة وفكر في طريقة غريبة لتسهيل المواصلات داخل المملكة منعا **لحصول الغلاء والمجاعات** في احدى الولايات وذلك ان يصل بين نهر الدجلة وبوغاز الاستانة بخليج عظيم تستعمل الانهار الطبيعية مجرى له على قدر الامكان فيسهل نقل اغلال من اطراف المملكة إلى الاستانة فيمتنع **عنها الغلاء كلية** وهو مشروع جليل يقدره العارفون حق قدره ولو امهله منون لاتمه وسبق المسيو دي لسبس إلى ايصال بحر الروم بخليج فارس فالمحيط الهندي لكنه توفي رحمه الله في ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ هـ ٨ ابريل سنة ١٧٦٢ م ولم يجد مشروعه منفذا حتى الان

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٤٥٢

وبعد موت هذا الوزير الجليل انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا وذلك انه لما توفي اوغست الثالث ملك بولونيا سعت كاترينة الثانية امبراطورة الروسيا

." (١)

"وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلا في بيت المال بمصر إلى أمير المؤمنين المعتمد، فكان مبلغه ألفي ألف ومائة ألف درهم، وقاد الخيل، وحمل الطراز والخيش والشمع، ووازنه بنفسه حتى يسلمه إلى أماجور التركي، وأشهد به عليه، وانصرف إلى الفسطاط.

وكتب المعتمد بالله إلى أحمد بن طولون بولاية الإسكندرية مكان إسحاق ابن دينار بن عبد الله، فشخص أحمد بن طولون إلى الإسكندرية في شهر رمضان سنة ٢٥٧.

وولى أحمد المعتمد بالله أحمد بن محمد بن المدبر خراج الشامات، وصرفه عن خراج مصر، وولى خراج مصر أحمد بن محمد شجاع، المعروف بابن أخت الوزير، فقدم الفسطاط في شهر رمضان من هذه السنة، وعزل شقيرا الخادم، المعروف بأبي صحبة، عن البريد بمصر، وولى مكانه أحمد بن الحسين الأهوازي، فقدم في شوال من هذه السنة.

وفي هذه السنة وجه أحمد بن طولون رجلا من الأتراك يقال له ماطعان في ألف فارس مع حاج مصر وأمره أن يدخل المدينة ومكة في السلاح والتعبية، ويفعل مثل ذلك بعرفات، وفعل ذلك ووافى عرفات بالأعلام والطبول والسلاح. وفي هذه السنة دخل المدعي البصرة ونهب وحرق المسجد الجامع، وتوجه إليه رجل من الأتراك يقال له محمد المولد، فلما بلغه الخبر انصرف، ولم يلقه. وفي هذه السنة بدا أمر المعروف بأبي عبد الرحمن العمري، وأظهر رأسه لمحاربة أصحاب السلطان، ولقي شعبة بن حركان صاحب أحمد بن طولون، فحاربه بأسوان.

وفي هذه السنة وقعت عصبية بفلسطين بين لخم وجذام، فتحاربوا حربا أخذت من الفريقين، وفيها حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل ابن العباس بن محمد. وخرج أحمد بن محمد بن المدبر من الفسطاط متوجها إلى الشامات في المحرم سنة ٢٥٨، فقام بالشامات، وقصد مدينة دمياط وتولى أعمال الخراج.

وفي هذه السنة دخل محمد المولد التركي البصرة، وأخرج المدعي إلى آل أبي طالب وأصحابه عنها، ورجع

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص/٣٢٩

قوم، فلم يجدوا منزلا يسكن.

وفي هذه السنة وثب جند برقة بحمد بن هرثمة بن أعين عامل المعونة، فأخرجوه عنها فا... رو إلى الفسطاط، وفيها أخرج أحمد بن طولون الطالبيين من مصر إلى المدينة، ووجه معهم من ينفذهم، وكان خروجهم في جمادى الآخرة، وتخلف رجل من ولد العباس بن علي وأراد أن يتوجه إلى المغرب، فأخذه أحمد بن طولون، وضربه مائة وخمسين سوطا، وأطافه بالفسطاط.

وفيها **وقع الوباء بالعراق**، فمات خلق من الخلق، وكان الرجل يخرج من منزله، فيموت قبل أن ينصرف، فيقال إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر ألف إنسان، وفيها زاد أبو أيوب أحمد بن محمد بن أخت الوزير، عامل خراج مصر، في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد.

وفيها توجه أبو أحمد بن المتوكل على الله إلى المدعي إلى آل أبي طالب، الخارج بالبصرة، في جمع كثيف، وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن، فوقعت النار في السفن، فاحترقت وانصرف أبو أحمد راجعا.

وفيها أخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكرية والموالي وسائر الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه، ويوالوا من والاه، ويحاربوا من حاربه من الناس جميعا.

وفيها غزا الصائفة محمد بن علي بن يحيى الأرمني، وقدم شنيف الخادم مولى المتوكل للفداء، فاجتمعوا بنهر اللامس، ففادوا وشرطوا للروم هدنة أربعة أشهر، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٢٥٨.

وفيها قتل يارجوج التركي بسر من رأى وبويع لأحمد بن الموفق بن المتوكل ولقب بالمعتضد، بولاية العهد، وصير إليه أعمال يارجوج، من مصر وغيرها، فدعى له على منابر مصر.

وحج بالناس الفضل بن العباس، ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة... ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد، فهربوا إلى المدينة وإلى مكة يستجيرون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالكعبة، وأحضروا متاعا من متاع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية، وكان ذلك في سنة ٢٥٩. وفيها تغير ماء نيل مصر حتى صار يضرب إلى الصفرة، وأقام على هذه الحال أياما، ثم رجع إلى ما كان عليه.

وفي هذه السنة مات أبو صحبة شقير الخادم وابن مطهر الصنعاني صاحب بريد مصر.." (١)

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/٣١٩

"" المعتضد بن الموفق " بويع له في صبيحة الليلة التي مات فيها عمه المعتمد. ولما ولي المعتضد بعث خمارويه بن أحمد بن طولون له هدايا وألطافا شريفة ورسولا وسأله أن يزوج ابنة خمارويه المسماة قطر الندى بعلي بن المعتضد. فقال المعتضد: أنا أتزوجها. فسر خمارويه بذلك. وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين خرج المعتضد إلى الموصل قاصدا للأعراب والأكراد فسار إليهم فأوقع بهم وقتل منهم وغرق منهم في الزاب خلق كبير. وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهرب حمدان منها وخلف ابنه بها فنازلها المعتضد وقاتل من فيها يومه ذلك. فلما كان الغد ركب المعتضد فصعد إلى باب القلعة وصاح: يا ابن حمدان. فأجابه. فقال: افتح الباب. ففتحه فقعد المعتضد في الباب وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها. ثم ظفر بحمدان بعد عوده إلى بغداد جاءه مستأمنا إليه. وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين جهز خمارويه ابنته أحسن جهاز وبعث بها إلى المعتضد في المحرم. وفي هذه السنة لثلاث خلون من ذي الحجة قتل خمارويه بدمشق ذبحه على فراشه بعض خاصته. ولما قتل أقعدوا مكانه ابنه هرون والتزم أنه يحمل من مصر إلى خزانة المعتضد في كل سنة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين سارت الصقالبة إلى الروم فحاصروا القسطنطينية وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وخربوا البلاد. فلما لم يجد ملك الروم منهم خلاصا جمع من عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم السلاح وسألهم معونته على الصقالبة ففعلوا وكشفوهم وأزاحوهم عن القسطنطينية. فلما رأى ملك الروم ذلك خاف المسلمين على نفسه فأخذ سلاحهم وفرقهم في البلدان حذرا من جنايتهم عليه. وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم وكان جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس. وفي هذه السنة وهي سنة أربع وثمانين ومائتين كان المنجمون يوعدون بغرق أكثر الأقاليم إلا إقليم بابل فإنه يسلم منه اليسير وإذ ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه في الأنهار والعيون. فقحط الناس وقلت الأمطار وغارت المياه حتى استسقى الناس ببغداد مرات. وفي سنة خمس وثمانين ومائتين ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد بالبحرين واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره فقاتل ما حوله من القرى ثم صار إلى القطيف وأظهر أنه يريد البصرة. فأمر المعتضد ببناء سور على البصرة فعمل وكان مبلغ الخرج عليه أربعة عشر ألف دينار. وفي سنة ثماني وثمانين ومائتين **وقع الوباء بأذربيجان** فمات منه خلق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفنون به الموتى وكانوا يطرحونهم في الطريق. وفيها سارت الروم إلى كيسوم فنهبوها وغنموا أموال أهلها وأسروا منها نحو خمسة عشر ألف انسان من رجل وصبي وامرأة. وفي سنة تسع وثمانين ومائتين انتشر القرامطة بسواد الكوفة فأخذ رئيسهم وسير إلى المعتضد وأحضره وقال له: اخبرني

هل تزعمون أن روح الله تحل في أجسادكم. فقال له الرجل: يا هذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك وأن حلت روح ابليس فما ينفعك ولا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك. فقال: ما تقول فيما يخصني. فقال: أقول أن النبي عليه السلام مات وأبوكم العباس حي فهل طلب الخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك. ثم مات أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوصى إليه. ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ولم يوصى إلى العباس ولا أدخله فيهم فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها. فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل. وبعد قليل في هذه السنة في ربيع الآخر لثمان بقين منه توفي المعتضد فاجتمع القواد وجددوا البيعة لابنه المكتفي وكانت خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر وعمره سبع وأربعين سنة. وقيل كان المعتضد أسمر نحيفا شهما شجاعا وكان فيه شح وكان عفيفا مهيبا عند أصحابه يتقون سطوته ومع ذلك جاوز الحد في الحلم. قال الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب: كنت عند المعتضد يوما وخادم بيده المذبة إذ ضربت قلنسوة المعتضد فسقطت فكدت اختلط إعظاما للحال ولم يتغير المعتضد وقال: هذا الغلام قد نعس. ولم ينكر عليه. فقبلت الأرض وقلت: والله يا أمير المؤمنين ما سمعت بمثل هذا ولا ظننت أن حلما يسعه. قال: وهل يجوز غير هذا." (١)

"الدامغان و خرب العسكر البلاد و **عم الغلاء تلك** الأصقاع حتى أكل الناس بعضهم بعضا بعد فراغهم من أكل الميتة و الكلاب. و في سنة خمس و تسعين توفي المستعلي بالله الخليفة العلوي المصري و كانت خلافته سبع سنين و ولي بعده ابنه أبو علي المنصور و عمره خمس سنين و لقب بأحكام الله و لم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه و قام بتدبير دولته الأفضل بن أمير الجيوش أحسن قيام. و في سنة سبع و تسعين وقع الصلح بين السلطانين بركيارق و أخيه محمد ابني ملكشاه و تقررت القاعدة أن بركيارق لا يعترض أخاه محمدا في الطبل و أن لا يذكر معه على منابر البلاد التي صارت له و هي ديار بكر و الجزيرة و الموصل و الشام. و في سنة ثماني و تسعين توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه و كان قد مرض بأصفهان بالسل و البواسير فلما آيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه و عمره حينئذ أربع سنين و ثمانية أشهر و أحضر جماعة الأمراء و أعلمهم أنه قد جعل ابنه و لي عهده في السلطنة و جعل الأمير ايز أتابكة فأجابوه كلهم بالسمع و الطاعة و خطب لملكشاه بالجوامع ببغداد. و في سنة تسع و تسعين و أربعمائة سار السلطان محمد من أذربيجان إلى الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها و حصرها. فقاتل

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/٨٥

أهل البلد أشد قتال و كانت الرجالة تخرج و يكثرون القتل في العسكر و دام القتال من صفر إلى جمادى الأولى. فوصل الخبر إلى جكرميش بوفاة السلطان بركيارق فأرسل إلى محمد يبذل له الطاعة. و دخل إليه الوزير محمد و قال له: المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان فإنه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه منه. و أخذ بيده و قام فسار معه جكرميش فلما رآه أهل الموصل قد توجه إلى السلطان جعلوا يبكون و يحثون التراب على رؤوسهم. فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه و أكرمه و عانقه و لم يمكنه من الجلوس و قال: ارجع إلى رعيتك فإن قلوبهم إليك و هم متطلعون إلى عودتك. فقبل الأرض و عاد و عمل من الغد سماطا بظاهر الموصل عظيما و حمل إلى السلطان من الهدايا و التحف و لوزيره أشياء جليلة المقدار. و في سنة خمسمائة سار الجاولي سقاوو إلى الموصل محاربا في ألف فارس و خرج إليه جكرميش صاحبها في ألفي فارس. فلما اصطفوا للحرب حمل الجاولي من القلب على قلب جكرميش فانهزم من فيه و بقي جكرميش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب و إنما يحمل في محفة فأسر و أحضر عند الجاولي فأمر بحفظه و حراسته. و لما وصل الخبر إلى الموصل اقعدوا في الأمر زنكي بن جكرميش. ثم إن الجاولي حصر الموصل و أمر أن يحمل جكرميش كل يوم على بغل و ينادى أصحابه بالموصل ليسلموا البلد و يخلصوا صاحبهم مما هو فيه و يأمرهم هو بذلك فلا يسمعون منه و كان يسجنه في جب فأخرج يوما ميتا. فكتب أصحابه إلى الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قتلميش السلجوقي صاحب مدينة قونية و أقسرة يستدعونه إليهم ليسلموا البلد إليه. فسار في عساكره. فلما سمع جاولي بوصوله رحل عن الموصل فتوجه قلج أرسلان إلى الموصل و ملكها و نزل بالنغرقة و خرج إليه زنكي و لد جكرميش و أصحابه و خلع عليهم و جلس على التخت و أسقط خطبة السلطان محمد و خطب لنفسه و أحسن إلى العسكر و رفع الرسوم المحدثة في الظلم ثم سار عنها إلى جاولي و هو بالرحبة و التقيا على نهر الخابور فهزم أصحاب جاولي أصحاب قلج أرسلان و ألقى قلج أرسلان نفسه في الخابور و حمى نفسه من أصحاب جاولي بالنشاب فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق. و ظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية. و سار جاولي إلى الموصل و ملكها. و في سنة اثنتين و خمسمائة استولى مودود و عسكر السلطان محمد على الموصل و أخذوها من أصحاب جاولي. و في سنة ثلاث و خمسمائة سار تنكري الفرنجي صاحب إنطاكية إلى الثغور الشامية فملك طرسوس و أذنة و نزل على حصن الأكراد فسلمه أهله إليه. و ملك الفرنج مدينة بيروت و كانت بيد نواب الخليفة العلوي. و في سنة ست في المحرم سار الأمير مودود صاحب الموصل إلى الرها فنزل عليها و رعى عسكره زروعها و رحل عنها إلى سروج و فعل بها

كذلك و لم يحترز من الفرنج بل أهملهم فلم يشعر إلا و جوسلين صاحب تل باشر قد دهمهم و كبسهم و كانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فأخذ كثيرا منها و قتل كثيرا من العسكر و عاد إلى تل باشر. و فيها مات باسيل الأرمني صاحب دروب بلاد." (١)

"و فيها سير السلطان عز الدين رسولا إلى خدمة هولاكو شاكيا على بايجو نوين أنه أزاحه عن ملكه. فأمر هولاكو أن يتقاسما الممالك هو و أخوه ركن الدين. فظهر عز الدين فأتى إلى قونية و مضى ركن الدين مع بايجو نوين إلى مخيمه. و لخوف عز الدين من بايجو نوين وجه مملوكه طفلا إلى نواحي ملطية و خرتبرت ليستخدم له عسكرا من الأكراد و التركمان و العرب. فوصل هذا المملوك و سير في طلب شرف الدين أحمد ابن بلاس من بلد الهكار و شرف الدين محمد بن الشيخ عدي من بلد الموصل الكرديين فأتياه. فأقطع ابن بلاس ملطية و ابن الشيخ عدي خرتبرت. أما ابن بلاس فلم يقبله اهل ملطية لأنهم كانوا مستحلفين لركن الدين فكان يضطهدهم و يجور عليهم. فما احتملوه و آل أمرهم معه إلى أن وثبوا بأصحابه و قتلوا منهم نحو ثلاثمائة رجل و هرب هو مع من تبعه من أصحابه و اجتازوا ببلد قلوذيا و أحرقوا دير ماذيق يوم الشعانين و عبروا إلى بلد آمد و هناك أدركهم صاحب ميافارقين و قتل ابن بلاس و أسر أصحابه. و أما ابن الشيخ عدي فرحل من خرتبرت ليتصل بالسلطان عز الدين فأدركه أنكورك نوين و قتله و من معه. ثم ولى السلطان عز الدين ملطية رجلا بطلا شجاعا يقال له علي بهادر فقبله أهل ملطية خوفا من صرامته. و هذا علي حارب الاعجزية و هم قوم مفسدون من التركمان كانوا يغيرون على؟ البلاد و يقتلون أهلها و يسبون الذراري فأسر مقدمهم المسمى جوتي بك و سجنه بقلعة المنشار و هزم جيوشهم . فأمن الناس شرهم و انفتحت السبل و امتار الناس الطعام و فرج الله عنهم غمهم قيلا. و بينما هم فرحون بذلك إذ وافاهم بايجو نوين في عساكره و صاروا يقاتلون متسلمي القلاع ليسلموها إلى ركن الدين. و نزلوا على مدينة ابلستين و قتلوا من أهلها نحو ستة آلاف رجل و أسروا النساء و البنين و البنات. و جاؤوا إلى ملطية فهرب علي بهادر إلى كاختة. و خرج أهل ملطية إلى خدمة بايجو نوين بأنواع الترغو و التحف. و كن ذلك في منتصف أيلول سنة ألف و خمسمائة و ثماني و ستين للإسكندر. فحلفهم لركن الدين و رحل عنهم بعد أن أخذ أموالا و ولى ركن الدين على ملطية مملوكا له اسمه فخر الدين اياز. و لما خرج بايجو من حدود الروم طالبا للعراق عاد علي بهادر إلى ملطية فأغلق أهلها الأبواب و لم يمكنوه من الدخول خوفا من بايجو. فحصرها أياما و **اشتد الغلاء بها** و بلغ المكوك من الملح إلى أربعين درهما و الحنطة المكوك

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/١١٨

بسبعين درهما. فضجر الناس و ضاقت بهم الحيلة ففتح العامة الحاكة و غيرهم بابا من أبواب المدينة في بعض الليالي فدخلها علي بهادر و أصحابه التركمانيون عنوة و أصعد إلى المنابر جماعة ينادون و يقولون: إن الأمير قد أمن الرعية النصارى منهم و المسلمين فليخرج كل واحد إلى عمله و دكانه و ليشتغل ببيعه و شرائه فإنما كلامه مع الحكام.فلما أصبحوا قبض على فخر الدين اياز مملوك السلطان ركن الدين و سجنه و أركب شهاب الدين العارض على بهيم حقير و طوفه بملطية ثم قتله و شد أحد طرفي رسن في رقبة المعين الايكد بشاسي و الطرف الآخر في رقبة كلب و مشاه بالأسواق ثم ضرب عنقه. و عاقب المستوفي الرومي القسيس قالويان و ولده كيريوري و اخويه باسيل و مانويل و استصفى أموالهم ثم قتلهم. و قتل أيضا الأمراء الثلاثة أولاد الأمير شهاب الدين إيسو الكردي. و اشتد الجوع بملطية و بلدها حتى أكل الناس الكلاب و السنانير و كانوا ينقعون الجلود اليابسة التي لدم بها النعال فيأكلونها مطبوخة. و اجتاز جماعة من أصحابنا بقرية اسمها باعبدون ببلد جوباس من أعمال ملطية فرأوا جماعة من النساء قد اجتمعن في بيت و قدامهن ميت ممدود و بأيديهن السكاكين و هن يشرحن لحمه و يشوينه و يأكلن. و امرأة أخرى شوت ابنها الصغير في تنور لها و لما كبسها مجاوروها حلفت أنها لم تقتله و إنما مات ففعلت به ذلك زاعمة أنها به أولى من الديدان.و بعد ما فعل علي بهادر تلك الرزايا بأعيان ملطية و مثل بأماثلها لم يهنأ له بها عيش لما كان أهلها عليه من البلاء و الجلاء و الجدب. فخرج عنها ملما بالسلطان عز الدين.." (١)

"و في سنة ثماني وخمسين و ستمائة دخا هولاكو إلخان الشام و معه من العساكر أربعمائة ألف و نزل بنفسه على حران و تسلمها بالأمان و كذلك الرها و لم يدن لأحد فيهما سوء. و أما أهل سروج فإنهم أهملوا أمر المغول فقتلوا عن أقصاهم. و تقدم هولاكو فنصب جسرا على الفرات قريبا من مدينة ملطية و آخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسياء و عبرت العساكر جملتها و قتلوا عند منبج مقتلة عظيمة. ثم تفرقت العساكر على القلاع و المدن.و نفر قليل من العسكر طلب حلب فخرج إليهم الملك المعظم ابن صلاح الدين الكبير فالتقاهم و انكسر قدام المغول و دخل المدينة منهزما. و طرف منهم وصل إلى المعرة و خربوها. و تسلموا حماة بالأمان و حمص أيضا. فلما بلغ ذلك الملك الناصر أخذ أولاده و نساءه و جميع ما يعز عليه و توجه منهزما إلى برية الكرك و الشوبك. و عندما وصلت المغول إلى دمشق خرج أعيانها إليهم و سلموها لهم بالأمان و لم يلحق بأحد منهم أذى. و اما هولاكو فإنه بنفسه نزل على حلب و بنى

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/١٦٧

عليها سيبا و نصب المنجنيقات و استضعف في سورها موضعا عند باب العراق و أكثر القتال و الزحف عليه. و في أيام قلائل ملكوها و دخلوها يوم الأحد الثالث و العشرين من كانون الثاني من هذه السنة و قتل فيها أكثر من الذي قتل ببغداد. و بعد ذلك أخذوا القلعة في أسرع ما يكون وقتا. ثم أن هولاكو رحل عنها و أحاط بقلعة الحارم و اختار أن يسلموها إليه و يؤمنهم على أنفسهم فلم يطمئنوا إلى قوله و إنما طلبوا منه رجلا مسلما يحلف لهم و يكون صاحب شريعة يطمأن إليه حيث يحلف لهم بالطلاق و المصحف أن لا يدنو لأحد منهم سوء و ينزلوا و يسلموا إليهم القلعة. فسألهم هولاكو: من تريدون أن يحلف لكم. قالوا: فخر الدين الوالي بقلعة حلب فإنه رجل صادق مؤمن خير. فتقدم هولاكو إليه فدخل إليهم و حلف لهم على جميع ما يريدون. فحينئذ فتحوا الأبواب و نزل الناس خلائق كثيرة و تسلم المغول القلعة. ثم أن هولاكو تقدم بقتل فخر الدين الوالي أولا ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار و الكبار الرجال منهم و النساء حتى الطفل الصغير في المهد. و رحل هولاكو من هناك عائدا إلى البلاد الشرقية. و رتب في الشام أميرا كبيرا يسمى كتبوغا و معه عشرة آلاف فارس من العسكر. و لما وصل إلى تل باشر وصلت العساكر التي حاصرت ميافارقين و معهم الأشرف صاحبها و أنهوا أنهم أخذوها و قتلوا كل من فيها و لم يتخلف فيها إلا أنفار قليلة لأنهم هلكوا جوعا و ماتوا. و لولا ذلك لم يتمكن المغول من أخذها. و قتل الأشرف صاحبها و بعد ذلك ندم هولاكو على قتله. ثم أنه ولى عليها رجلا أميرا من أمراء الأشرف يسمى عبد الله. و لما وصل هولاكو قريب ماردين سير يطلب صاحب ماردين إليه. فأبى و لم ينزل إليه. بل سير ولده مظفر الدين لأنه كان في خدمة هولاكو هو و الملك الصالح ابن السلطان بدر الدين لما كان بالشام. قال له هولاكو: تصعد إلى أبيك و تقول له ينزل إلينا و لا يعصي و إن عصى لم يصب خيرا. و لما صعد إلى أبيه و خاطبه لم يقنع بأنه لم يسمع مشورته بل قيده و حبسه عنده. فعند ذلك أحاطت المغول بماردين و ابتدأوا بالقتال و لولا أن وقع فيها الوباء و الموت و مات السلطان و أكثر أهلها لما أخذوها لا في سنتين و لا في ثلاثة. و لما مات السلطان نزل ابنه الملك المظفر و سلم إليهم القلعة و الخزائن و الأموال. و تحقق عند ملك الأرض هولاكو ما جرى عليه من أبيه فلأجل ذلك أكرمه و أحسن إليه و ملكه موضع أبيه. و كتبوغا كبير عسكر المغول الذي نزل بالشام لم يزل يستفحص عن أخبار الملك الناصرالمنهزم في البراري حتى عرف موضعه و سير عليه بعض العسكر فلزموه و سيروه إلى هولاكو. و لما مثل بين يديه فرح به و وعده بكل خير و جميل و أنه يعيده إلى ملكه و هو يومئذ نازل بجبال الطاق. فبينما هم في ذلك وصل خبر أن قوتوز التركماني الذي تولى مصر لما بلغه أن هولاكو رجع إلى

المشرق و كتبوغا بعشرة آلاف فارس في الشام استضعفه و جمع عسكرا كثيرا و خرج التقى به و كسره و قتله و استأسر أولاده و كان ذلك في السابع و العشرين من رمضان من سنة ثماني و خمسين و ستمائة. فغضب هولاكو لذلك و تقدم بقتل الملك الناصر و قتل أخيه الملك الظاهر و جميع من معهم.و لم يخلص منهم غير محيي الدين المغربي بسبب أنه." (١)

" وأما عمر فنشأ نشأة صالحة واشترى وظيفة خطابة وإمامة بالمسجد النبوي وباشرهما . وتوفي شابا سنة ١١٧٥ . وأعقب محمد علي الموجود اليوم . وباشر وظيفة أبيه من الخطابة والإمامة . وتزوج وله أولاد

وأما إبراهيم فموجود اليوم كاتب الإسباهية . وله ولد يسمى عبد الوهاب من فاطمة بنت الحمصاني . ومولد إبراهيم المذكور أعلاه سنة ١١٢٢ . وكان رجلا كاملا عاقلا إسباهيا . وتوفي شابا في سنة ١١٥٠ . وأعقب محمدا الموجود اليوم والدته حليمة بنت عمر الخاشقجي . وهو وابن عمه مشتركان في كتابة المرادية . وهو رجل في غاية الكمال من أحسن الرجال

بيت ركن

" بيت ركن " . أصلهم السيد سليمان بن السيد أحمد بن السيد ركن الدين الهندي الأصل المكي المولد والمربى . قدم المدينة المنورة سنة ١١٧٠ . وكان رجلا كاملا عاقلا تزوج عدة زوجات . ولهم منه أولاد وبنات موجودون اليوم . وكان يتعاطى صنعة الحمصانية ويبيع ويشتري في دكانه بباب المصري . وصارت له ثروة عظيمة . وكانت بيننا وبينه صحبة ومحبة . وهو رجل لا بأس به إلا أن فيه حدة وشدة زائدة . والكمال لله . وتوفي وله ولدان موجودان . وكذلك كانت بينا وبين والده السيد أحمد محبة وصحبة لما كنا مجاورين بمكة المكرمة . وكان حسن الصوت له معرفة تامة بالغناء . وله عدة أولاد . وكذلك أخوه السيد عبد الوهاب ركن كانت بيننا وبينه بمكة المكرمة صحبة ومحبة . وكان رجلا كاملا فاضلا حسن الخط

ولهما أخ ثالث يسمى السيد عبيد فأدركناه . وكان رجلا شاعرا ماهرا . وقفت له على كثير من القصائد النبوية وغيرها . ومن شعره البيتان المشهوران :

أخا الرأي لا يغررك قول ملبس ... يكيف آراء الورى بقياسه

تزيا بزي الآدمي وإنه ... حمار . ولكن رحله فوق رأسه

بيت رشيد

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/١٧٥

" بيت رشيد " . أصلهم رشيد الشرقي من بلاد المشرق . قدم المدينة المنورة سنة ١٠٨٠ . وكان رجلا صالحا مباركا من أحسن المجاورين سيرة وسريرة . وكان ملازما للمسجد النبوي غالب الأوقات إلى أن أدركته الوفاة سنة ١١٣٥ . وأعقب من الأولاد : عبد النبي . فنشأ نشأة صالحة على طريقة والده وزيادة ولاحت عليه لوائح السعادة إلى أن حال حاله وكثرت أمواله فاشترى بيتا كبيرا في آخر زقاق العاصي ونخلا بجزع السيح وغيرهما . وأوقفهما على أولاده . وهما بأيديهم " إلى " اليوم . توفي سنة ١١٣٠ . وأعقب من الأولاد : محمدا وعبد الله وعمر وفاطمة

فأما محمد فكان رجلا كاملا عاقلا وكان صائغا . وجميع إخوانه كذلك . وصار في وجاق الإنقشارية . وتوفي شابا سنة ١١٤٨ . وأعقب من الأولاد : عمر . فنشأ نشأة صالحة مثل والده . وصار صائغا من أهل الديانة والأمانة . وهو في وجاق النوبجتية . وصار جاوشا وبيرقدارا وجروبجيا . وتولى الحبسة . وصار كتخدا نوبجتيان عاما كاملا إلى أن قبض عليه محمد باشا . وسار إلى الشام بمزيد العز والإكرام . ثم أعاده إلى بلده ووطنه . وله ولد وبنات موجودون بقيد الحياة

وأما عبد الله فكان رجلا صالحا مباركا قتله في دكانه محمد صالح المكي النوبجتي غيلة فمسك وحبس في القلعة ثلاثة أيام . وحاولوهم على أخذ الدية فلم يقبل أولياؤه فقتلوه في الحبس سرا في سنة ١١٤٠ . ومن غريب الاتفاق أن الثلاثة الأيام التي كان محبوسا فيها ولم يؤخذ للقتيل بقود لم تطلع فيها شمس أبدا ولا ظهرت من كثرة الغيوم والهموم " والغموم " بسبب الظلم الغشوم

حرف الزاي

" بيت الزيني " . أصلهم أحمد بن علي الزيني الصعيدي . قدم المدينة المنورة . وكان من أحسن المجاورين رجلا صالحا مباركا ملازما للمسجد الشريف في غالب الأوقات إلى أن أدركته الوفاة ؛ فتوفي وأعقب من الأولاد : عبد الرحمان . وهو رجل لا بأس به . وصار جوربجيا في النوبجتية . وكان بيننا وبينه صحبة ومحبة . وسافر إلى بندر ينبع المحروس سنة ١١٣٦ لاستخلاص حب أهل المدينة من البادية الجمالة **بسبب الغلاء العظيم** المسمى بشحي . وهو غلاء مشهور . وقد خاص منهم الكثير وتوفي عبد الرحمان المزبور في سنة ١١٤٥ . وأعقب من الأولاد : أبا بكر وعليا وأحمد وأبا السعود وخديجة

فأما أبا بكر فكان رجلا مباركا . والدته حفصة بنت مصطفى حمودة الشامي السابق ذكره في حرف الحاء . وتوفي سنة ١١٥٢ . وأعقب سليمان الموجود الآن ." (١)

---

(١) تحفة المدنيين، ص/٦١

"– البولو : أسرة أندلسية Polo وهو اسم كانت تحمله أسرة الطريس (العمدة ج ج٣ص ٥٠ / ج٦ ص ١٧٣).

– بونص : أسرة أندلسية تحمل اسم Pans بالأندلس بقرية Lerida (انقرضت بتطوان منذ عام ١١٤٩ هـ/١٧٣٧م) (مختصر تط ج٢ ص ٣٣١).

– البويرطو Puerto : أسرة أندلسية

– بوينو : أسرة أندلسية انقرضت

– بيرا : Vera أسرة أندلسية انقرضت (العمدة ج٣ ص٣٢/ج٤ ص٨٧).

– بيرو : أسرة أندلسية Pero انقرضت على **أثر الوباء الذي** اصاب المدينة (عام ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م) ولا تزال اليوم بالرباط.

– بيريس : أسرة أندلسية Perez.

– بيصة أو بايصة : أسرة أندلسية Baeza (اسم مدينة بناحية جيان).

– بيلين أوبلين : أسرة أندلسية انقرضت (عام ١١٤١هـ/١٧٢٩) (العمدة ج٣ ص ٣٠).

– بينية : أسرة أندلسية Péna انقرضت (عام ١١٨٥هـ/١٧٧١م) (ع ج).

– الترغي : أسرة من ترغة الواقعة بشاطئ بني زيات الغمارية على بعد (٦٥ كلم من تطوان).

– التسولي : والدسولي أسرة من قبيلة التسول شمال غربي تازا انقرضت (العمدة ج٢ ص ١١٤).

– تليو : أسرة رباطية انقرضت ولا يزال مسجد بالرباط يحمل اسمها في درب الجراري وهي غير أسرة تلو الجزائرية التي هاجرت الى تطوان (عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) وأصبح لها دور في الصيد البحري بمرسى مرتان عام (١٢٥٢هـ/١٨٣٦). (تط ج٨ ص ٢٠٢) / (عائلات تطوان)(ع ج).

– التواتي : أسرة أصلها من واحة توات انقرضت في حدود (١٣٢١هـ/١٩٠٣) (العمدة ج٣ ث ٥٢).

– التونسي : إسم لعدة أسر لا علاقة لها ببعضها منها أسرة استوطنت شفشاون قبل انتقالها الى تطوان ومنها فرقة بالرباط .

– تيليو : أسرة من الأندلس Tello انقرضت **إثر الوباء الذي** قضى على جل سكان تطوان (عام ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م).

– الجعيديون : فرقتان إحداهما أندلسية بتطوان وأخرى نسبة لابي الجعد بتادلة وأصل الجعيديين السلاويين

من تطوان ينحدرون من الشيخ علي بن مسعود الجعيدي دفين تطوان (ت ١٠٣٠هـ) وبعضهم رباطيون.." (١)

"... النظام البلدي :

... في عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧ م صدر ظهير عدل بمقتضى خمسة ظهائر صدرت في سنوات ١٩٢٣ و ١٩٢٤و١٩٢٦و١٩٣١و١٩٣٨، نص على ان المدن التي تعتبر بلديات يشرف عليها باشا او قائد تحت مراقبة موظف فرنسي هو رئيس المصالح البلدية. وكان المجلس البلدي معينا إلا في الدار البيضاء حيث كان منتخبا له حق التقرير يتركب من اعضاء مغاربة وفرنسيين برياسة الباشا ونيابة رئيس المصالح البلدية.

... الوباء :

... إن كثيرا من الامراض راجعة لسوء التغذية، لذلك يلاحظ طروء أوبئة على إثر المجاعات التي قلت من حسن الحظ في العهد العلوي كما تدل على ذلك الاحصاءات، حيث لم يقع القحط خلال ثلاثة قرون عدا ثماني مرات (رينو، الطب القديم بالمغرب ص٧٦).

... وكان المخزن يتخذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون **انتشار الوباء من** الخارج بفضل المحاجر الصحية وفي الداخل بفضل الحصار الضيق الذي يضرب ايام الخطر.

... وفي عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م ، عم الطاعون بالمغرب وخصوصا بفاس ومكناس فتفرق الفاسيون في انحاء المغرب مثل القصر الكبير والعرائش وطنجة وتطوان يتكففون بابواب الدور (تط ج٢ص ص٢١٨) ونشرت مجلة هسبريس م٢٦ عام١٩٣٩ بحثا للدكتور رينو اكد فيه **ان الوباء لم** يصب المغرب عامة منذ ازيد من مائة عام.

... وقد **ظهر الوباء بتطوان** اواخر عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م، وفيه مات الشيخ محمد الحراق وكان عبارة عن اسهال مفرط يعترى الشخص مع وجع حاد في البطن والساقين ثم تشنج واسوداد اللون فإذا تمادى بالشخص حتى جاوز اربعا وعشرين ساعة فالغالب السلامة والا فهو الحتف المحقق.

سلطانيات او منزنيات." (٢)

---

(١) تطوان عاصمة الشمال ومنبع إشعاعه، ص/١٦

(٢) تطوان عاصمة الشمال ومنبع إشعاعه، ص/١٣٥

" فاحترك خاطره لهذا الفعل الفظيع والمقصد الشنيع وبادر إليهم برئيس معه كفاية هذا الأمر من العسكر النفعة فحاصروهم وضيقوا عليهم فلما قطعوا بإخفاق مسعاهم إنسلوا من القلعة في وقت خفي فيه أمرهم على عسكر الدولة فدخلها العسكر فظفروا برجل منهم أقعده أجله ولقى عمله فقتلوه وعادوا إلى شرف الإسلام

وفي آخر محرم حصل انتهاب في العمشية بسبب ركة في سفيان وتنقلهم للقحط في البلدان فجهز جمال الإسلام علي بن أحمد مع القوافل عسكره إلى عيان وارتفع القطر **واشتد الغلاء في** عامة اليمن

وفي صفر صال قبائل بني حبيب وآل كثير الذين مستقرهم شرقي بلاد صبيا مما يلي جبال الخسر ومساقط بلاد فيفا وحقارها إلى حدود خبت البقر فاستولوا على بلاد بيش وشردوا أهلها بعد أن انتهبوها ثم أقبلوا على عتود والشقيق ومحل النائب للإشراف فقتلوا بعض أهلها ونهبوا الأطراف حتى انتهوا إلى مدينة صبيا فوقع بينهم وبين أشرافها القتال الشديد ولما طال استصرخوا بالإمام وطلبوا الغارة والإلمام وكان الإمام قد وصل إلى صنعاء بآخر محرم ووصل بوصوله عز الإسلام محمد بن الحسن

وفي هذه الأيام هبت ريح بالقذف

من بلاد حضور فاحتملت بعض أهلها وساقطت البعض على جنوبهم وحملت جميع الحب من الجرين وبلاهم الله كما بلا أصحاب الجنة ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ فإنه نقل عنهم أنهم مع تلك الشدة التي قدمناها ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين ﴾ ولم يبالوا بسد رمق من يحترم دمه ولا شالوا بضبع من عثرت به الأقلال قدمه والأعراب مظنة لفسق القلب

---

(١) ".

"ان ما سردناه لا يتعلق بالاوضاع الاقتصادية ، لذا فالازمات الاقتصادية حتما ستكون افرازا طبيعيا ، حيث يعم الكساد وتزدادا البطالة وخاصة عند نشوب ازمات وعنف مسلح مع عدو خارجي ن حيث يحدث تفاوت اجتماعي واقتصادي داخل المجتمع (كما هو حاصل في مناطق السلطة الفلسطينية) والتي يخوض مجتمعها ما يسمى (بالانتفاضة) وهي في حقيقتها عبارة عن عنف مزدوج من الخارج على الداخل ، أي من قبل اسرائيل على المجتمع الفلسطيني وليس على السلطة الفلسطينية ، والدليل ان البناء الاجتماعي

---

(١) تاريخ اليمن، ص/٢٣٦

للسلطة كنظام ما زال قائما ، وهذا ليس بسبب دعم والتفاف شرائح المجتمع الذي يتعرض للعنف ، بل بسبب عامل خارجي وهو الدعم المادي القادم من الغرب لتنفيذ المشروع الامني لاسرائيل وللشرق الاوسط الجديد – وهذا ايضا ما قصدناه في بداية حديثنا عن الكيفية التي تشكل فيها النظام السياسي العربي – الامر الذي ادى الى تفاقم الفقر وتفكك العلاقات في نظم وانساق البناء الاجتماعي للمجتمع ، وما الفئة المهيمنة على مقاليد الحكم الا الوجه الآخر للعامل الخارجي الذي سبب هذا الحطام فالتقت مصالح الطرفين ، طرف يريد تحطيم البناء الاجتماعي وافنائه وهي اسرائيل ، وطرف اخر يزداد ثرائا وهو مستفيد من ديمومة الانتفاضة – من اجل ايصال المجتمع لوضع عقله في رأسه (وليعقل) – ولا يوافق على وقفها لخوفه من فقدان المصالح والنفوذ والسلطة والقوة والتميز والاحتكار ، مقابل الاغلبية الساحقة من شرائح المجتمع التي لم تجد ما تقتات به ، الا ببيع حلي نساءها وامتعة منازلها وكل ما يصلح للبيع او الرهن ، **امام الغلاء الفاحش** والضرائب وتكاليف العلاج واسعار الكهرباء والتعليم وتوفير المواد الضرورية للعيش ، وانتشار الجهل والامية والخرافات وافرازات المشاكل والعلل الاجتماعية ، وبالتالي انتاج شخصية مريضة نفسيا وجسديا وعقليا وعصبيا ، ادى ذلك الى ظهور الحركات الاجتماعية والعلاقات الجماعية ذو اشكال." (١)

"" العبيد من حمير... ولهم الشجاعة المسلمة لدى القبائل، والاقدام المعروف عند العشائر، وقبائلهم كثيرة منها آل علي، والحربي، وآل حمد، والسعيد، وآل عكلة، وآل هيازع، وآل رياش، وآل طلحة، والكبيشات وغير ذلك من القبائل الكثيرة. ومشايخهم الحمائل (آل شاهر) مقدار خمسمائة فارس. ولا ترى لعشيرة من العشائر حمائل بهذا العدد. وآل شاهر ليوث الحروب... وهم من أشراف العرب... " اه(١).

وعدهم الحيدري من بني العبيد الذين أشار اليهم الاعشى بقوله: ولست من الكرام بني العبيد ولا صلة لهؤلاء بهم. وانما هم من العشائر الزبيدية. فأوقعته التسمية ومشاركة لفظها بهذا الغلط. قال انهم سلك من تبع وهم بنو عبيد بن عدي ابن جناب بن قضاعة... وهذا واضح الخطأ. فالعشيرة لم تحفظ بأسم قديم. وتسميتها متأخرة كتفرعاتها. والا فالنصوص كثيرة على بيان مكانة العبيد(٢). فهم من عشائر العراق المهمة. ولا تزال محافظة على مكانتها.

وللعبيد من الشعر العامي النايل وهم أشهر فيه من الجبور، والقصيد والركباني، والعتابة وهي أقل.

---

(١) ظواهر الفوضى والعنف واشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني، ص/٢١٢

هذا. وعرف العبيد لا يختلف عن سائر العشائر الزبيدية وسنتعرض له.

٥ – العزة قال الشاعر البدوي:

بني عمرو جمالسيل دفار ... ولو دفعناهم شوي يعيون

يستاهلون مكند البن ببهار ... وحيل عليها النشامى يعجفون

وبنو عمرو العزة وعشائر أخرى من آل سبيع. وعشائر العزة من زبيد الأصغر وهي واسعة النطاق معروفة في لواء ديالى في غالب مواطنه، وقسم كبير منها في لواء بغداد، وآخرون في ألوية الموصل كركوك والحلة والدليم والكوت والعمارة... وان التشتت أصابهم لاحداث جسام من أهمها الحروب المستمرة بين العراق وايران لوجودهم في الحدود أو بقربها. وكذا القحط وما شابه ذلك.

قال البسام في كتابه عشائر العرب: " سكان جانب دجلة الشرقي بين بغداد وكركوك (العزة)، ذوو المجد والعزة، والشوق للمكرمات ولا شوق كثير عزة. والقول فيهم انهم امام المكرمات، وغمام المعصرات، والأخذ الوبيل لمن ناواهم، والركن المنيع لمن والاهم، ومآل المؤمل رفدهم، وزاد المتحمل من عندهم، وقرة عين الخائف، وفال المستنطف والعائف، فرسانهم خمسمائة، لم يعرفوا الرمي. " اه (٢).

وأراد الرمي بالبنادق. ومن أشعارهم التي يفخرون بها قولهم:

ياهيه يهل الرمك ... حس المحورب صاح

وكروم حمير عدوا ... على الماطلي برماح

يريد يا أهل الخيل الرمك أسمع صوت (المحورب) يدعو الى سوح القتال بأشعاره ونخواته وتشجيعه. (صاح) أي نادي. وعند ذلك لبى دعوته قروم حمير ورجالها الشجعان وعدوا أي هجموا على الماطلي (أهل البنادق) المسماة بهذا الاسم وأصل هذا اللفظ (مارتيني). وكان هجومهم برماح فلم يبالوا. يفخر بشجاعتهم.

ولا يكفي أن نقف عند هذا. وأنما يهمنا تاريخ عشائر العزة وما أصابها من تحول، أو لحقها من تطور. وان التاريخ في حوادث عديدة صرح بتصريحات وافرة، وان العشائر ليس لنا مرجع في اطراد التدوين عن وقائعها الا عندما تدعو علاقة بدولة.

ومن النصوص التاريخية التي عثرنا عليها ما ورد قي (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) قال: " وفيها – سنة ٥٩٧هـ – وقع في بني عزة بأرض (السراة) بين الحجاز واليمن وباء عظيم، كانوا يسكنون في عشرين قرية، ووقع الوباء في ثماني عشرة قرية، فلم يبق منهم أحد، وكان الانسان اذا قرب من تلك

القرى يموت من ساعته وبقيت ابلهم وأغنامهم لا مانع لها. وأما القريتان الاخريان، فلم يمت فيهما أحد، ولا أحس أهلها بشيء مما كان أولئك فيه. " اه (١).

والقريتان يصح أن تتكاثر وان تزيد نفوسهما للمدة الطويلة التي ذكرها هذا المؤرخ. ومواطنهم بين الحجاز واليمن. ثم انتشروا في أنحاء عديدة. وفي ابن كثير في تاريخه ورد لفظ (عنزة). وغلط الناسخ أو الطابع فيه ظاهر.

وأقدم من هذا ما ورد في كتاب (اسماء جبال تهامة وسكانها) من تأليف عرام بن الاصبغ السلمي. جاء فيه ذكر جبال السراة ويسوم، وفرقد، ومعدن البرام، وجبلان يقال لهما (شوانان) واحدهما (شوان).

وهذه الجبال كلها لغامد... ولخولان ولعزة (ورد غلطا لعنزة). اه(١).." (١)

"وفي أثناء هذه الأحداث انشغل البويهيون بحرب الحمدانين في الجزيرة الفراتية، وبالخارجين عليهم، وابتعد سيف الدولة إلى ميافارقين هربا من حلب التي تعرضت لهجمات الروم، واتهم كافور الإخشيدي بالتهاون في أمر الثغور(١). وأرسل أهل طرسوس الوفود إلى مصر، والعراق، وبقية بلدان العالم الإسلامي، يحملون الاستغاثة، وعاد اغلب الرسل دون الحصول على مساعدة تذكر من الجهات الرسمية. وتنادى الناس للجهاد، ووصل المطوعة إلى طرسوس. ولكن الأمر زاد سوءا **بانتشار الوباء والغلاء** في طرسوس وبقية الثغور الشامية، حتى اضطر الناس إلى أكل دوابهم، وأكل الميتة(٢) وراسل أهل بغراس الدمستق، وبذلوا له الأموال، فأقرهم، وتركهم(٣). وتوجه الروم في مائتي ألف إلى حلب. وفيهم ثلاثون ألفا بالجواشن، وثلاثون ألفا للهدم، وإصلاح الطرق من الثلج، وتمكن الروم من دخولها، وفر سيف الدولة إلى ميافارقين فقد كان قليل الصبر) ٤). ولم ينج إلا قلعه حلب، وبقي فيها الروم تسعة أيام، عاثوا فيها فسادا، وقتلوا حتى كلوا، وملوا، وأحرقوا المساجد، وقتلوا جميع أسرى المسلمين، وقدر عدد القتلى بمائة وخمسين ألفا بحلب(٥) واستنجد سيف بأهل الشام، فسار إليه جيش من دمشق على رأسه ظالم بن السلال العقيلي واليها من جهة الدولة الإخشيدية(٦)، كما وصل إلى طرسوس كثير من المجاهدين. فانسحب الروم من حلب. وسير سيف حاجبه في جيش من أهل طرسوس إلى بلاد الروم، فحققوا بعض لانتصارات(٧).

---

(١) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ١٨٣.

(٢) زبدة الحلب ١/ ١٤٢، تاريخ يحي بن سعيد ص ١٢١- ١٢٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٥٥، الكامل

---

(١) عشائر العراق، ص/٢٥٥

في التاريخ ١٣/٧.

(٣) الكامل ٣/٧.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٢٣٩، ابن تغري ٣/ ٣٣٢.

(٥) ابن تغري ٣٣٢/٣، دول الإسلام ٢١٧/١، العبر ٨٧/٢.

(٦) زبدة الحلب ٣٩١.

(٧) الكامل ٧/ ٧٠٥، البداية ١١/ ٢٤١، ابن تغري ٣/ ٣٣٥- ٣٣٦.." [١]

"وضعف أمر سيف الدولة بعد كائنة حلب، وأصيب بفالج عام ٣٥٢ هـ في يده، ورجله(١). ولكن أهل طرسوس تابعوا الجهاد، فدخلوا بلاد الروم غازين مرة أخرى، كما دخلها نجا غلام سيف الدولة من درب آخر، وأوغل أهل طرسوس في غزوهم حتى وصلوا إلى قونية، وعادوا(٢).

واضطرب أمر بني حمدان، بسبب خلافات هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان مع عمه سيف الدولة(٣). وكان الروم يرقبون ذلك فرحين، وهدفهم إضعاف طرسوس واستنزافها، فقاموا بحملات مكثفة على ما تبقى من الثغور الشامية، على رأسهم نقفور نفسه، الذي عسكر على مقربة من إذنة. فخرج أهل طرسوس لمساعدة أهلها عام ٣٥٣ هـ، وكانت كارثة فقد قتل من المسلمين خمسة عشر ألفا، وأقام نقفور خمسة عشر يوما في بلاد الإسلام، لم يقصده أحد لقتاله. وعاد لغلاء الأسعار، وقلة الأقوات. بعد أن أرسل الدمستق إلى أهل المصيصة، وإذنة، وطرسوس قائلا: "إني منصرف عنكم، لا لعجز ولكن رضيق العلوفة، وشدة الغلاء، وأنا عائد إليكم، فمن انتقل منكم نجا، ومن وجدته بعد عودي قتلته". ففر من أذنة أكثر من خمسين ألفا من المسلمين، في حين أظهر أهل طرسوس من الشجاعة وشدة البلاء الشيء الكثير، وأسروا بطريقا كبيرا من بطارقة الروم(٤).

وبني نقفور مدينة قيسارية، وعسكر فيها، ليقرب من بلاد الإسلام(٥)، وقد عزم على أن يستحوذ على البلاد الإسلامية بعد أن طمع فيها لفساد حكامها، وفساد عقائدهم في الصحابة(٦).

---

(١) ابن تغري ٣/ ٣٣٥.

(٢) الكامل ٧/ ٧، المنتظم لابن الجوزي حوادث ٣٥٢ هـ.

(٣) الكامل ٧/ ٧.

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٤١

(٤) الكامل ٧/٩-١١، البداية ١١/٢٥٣، زبدة الحلب ١/ ١٤١ ابن تغري ٣/٣٣٧، تاريخ يحي بن سعيد ص ١٢٢.

(٥) مسكويه- تجارب الأمم ٢/ ٢١٠، السيوطي- تاريخ الخلفاء ص ٤٠١.

(٦) البداية ١١/٢٥٣.." [١]

"وأدرك أهل المصيصة وطرسوس عجز البلاد الإسلامية، عن نجدتهم. فأرسلوا إلى نقفور، يبذلون له أتاوة، ويطلبون منه أن ينفذ إليهم بعض أصحابه، يقيم عندهم، ولكنه أدرك عجزهم، واشتداد الغلاء، وقد أكلوا السباع والميتة، وفتك فيهم الوباء، فكان يموت في طرسوس كل يوم نحو ثلاثمائة نفس، فأحضر نقفور الرسول، وأحرق الكتاب على رأسه، واحترقت لحيته، وقال لهم: "أنتم كالحية في الشتاء تخدر، وتذبل، حتى تكاد تموت، فإن أخذها إنسان، وأحسن إليها، وأدفأها، انقضت ونهشته"(١).

وفي ظل هذه الأوضاع المحزنة توجه نقفور بجيوشه الجرارة عام ٣٥٣ هـ، فاحتل إذنة بسهولة، وكان قد هجرها أهلها. ودخل المصيصة عنوة في ١٣ رجب بعد حصار طويل، ووضع السيف في أهلها، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم رفع السيف ونقل كل من بها إلى بلد الروم، وكانوا نحو مائتي ألف إنسان(٢). واستولى بعد ذلك على كفربيا، وأسر كثيرا من المسلمين. وكفربيا مدينة بإزاء المصيصة على شاطئ جيحان(٣).

وجاء دور طرسوس آخر معقل من معاقل الثغور الشامية، وقد نهكتها الحروب، وملاحم الجهاد، وتوجه إليها نقفور بقواته الهائلة، ولما وصل إلى أسوارها، أمر بأن يساق من أسر من أهل المصيصة وكفربيا أمام أهل طرسوس الذين كانوا ينظرون من فوق الأسوار، وأمر بضرب أعناق مائة من أعيان المدينتن، بهدف إضعاف معنويات أهل طرسوس فكان أن أخرج أهل طرسوس أسرى الروم الذين عندهم، وضربوا أعناقهم على باب المدينة(٤).

---

(١) البداية ١١/ ٢٥٥، الكامل ٧/١٣.

(٢) البداية ١١/ ٢٥٥، الكامل ٧/ ١٤، تجارب الأمم ٢٠٨- ٢١٠.

(٣) ياقوت- معجم البلدان ٤/٤٦٨.

(٤) تجارب الأمم ٢/ ٢١١، تاريخ يحي بن سعيد ١٢٣.." [٢]

---

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٤٢

(٢) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٤٣

"واشتد حصار الروم لطرسوس، ولم يتحرك أحد من المسلمين لإنقاذها، وكانت تعاني من قلة الأقوات، ومن الغلاء، وانتشار الوباء، فأسقط في أيدي أهلها، وطلبوا من نقفور الأمان، وعرضوا رفع الحصار، مقابل ثلاثمائة ألف دينار، وإطلاق ما عندهم من الأسرى. وأبى نقفور، وخيرهم بين الخروج من المدينة بالأمان، أو البقاء فيها مع الدخول في طاعة الروم، وتخريب أسوار المدينة(١). واستمرت المفاوضات إلى أن تم الاتفاق على تسليم المدينة للروم بالأمان لأهلها، على أن من أراد أن يخرج من المدينة فله أن يحمل من ماله، ورحله، ما يطيق حمله. وأن من أراد البقاء على الذمة، أو الجزية، أو النصرانية، فله ذلك أيضا. واشترط نقفور تخريب الجامع والمساجد.

ودخل نقفور وعامة عسكره طرسوس في منتصف شهر شعبان عام ٣٥٤ هـ، فأخذ كل واحد من الروم دار رجل من المسلمين بما فيها، ثم يتوكل ببابها، ولا يطلق لصاحبها إلا حمل الخف، فإن رآه قد تجاوز منعه، حتى إذا خرج منها صاحبها دخلها النصراني، فاحتوى على ما فيها. ونصب نقفور علمين، علم يشير إلى الإسلام، وعلم يشير إلى النصرانية، وطلب من أهل المدينة أن من أراد الخروج إلى بلاد الإسلام، فليقف تحت العلم الأول، ومن اختار البقاء تحت حكم الروم فليقف تحت الثاني. وقد قدر عدد الذين خرجوا بمائة ألف ما بين رجل وامرأة وصبي. وحدث أثناء الخروج من المواقف المحزنة الكثير. فقد تقاعد بالمسلمين أمهات أولادهم لما رأين أهاليهن، وقالت: أنا الآن حرة، لا حاجة لي في صحبتك، فمنهن من رمت بولدها على أبيه، ومنهن من منعت الأب من ولده، فنشأ نصرانيا. فكان الإنسان يجيء إلى عسكر الروم، فيودع ولده، ويبكي، ويصرخ، وينصرف على أقبح صورة(٢).

(١) تجارب الأمم ٢/ ٢١٣.

(٢) ياقوت- معجم البلدان ٤/ ٢٨، الكامل ٧/ ١٣- ٤ ١.." [١]

"وذكر أندرونيقوس في تاريخه أنه ملك بعد نارون، جالباس سبعة أشهر، ووطليوس ثمانية واثون ثلاثة أشهر، ثم ملك بعده أسفاسيانوس قيصر عشر سنين، وفي اخر ملكه غزا بيت المقدس وخربه، ونقل جميع آلة البيت إلى القسطنطينية وانقطع عنهم، يعني اليهود، الملك والنبوة، وهو الذي وعد الله تعالى به بمجيء المسيح ولا رجعة لم بعده هذه المملكة الأخيرة من الممالك التي وعدهم الله بها، ثم ملك بعده طيطوس ابنه سنتين.

(١) طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور، ص/٤٤

ووجدت في تاريخ مختص قديم رومي أنه ملك بعده طيطوس طميديوس؛ وفي زمانه كان بليناس الحكيم صاحب الطلسمات، ثم ملك بعد دوميطانوس أخو طيطوس، وأن اسفاسيانوس ملك خمس عشرة سنة، وفي زمانه ظهر ماني، وفي أيامه زمانه نهبت مدينة رأس العين، وفي تاريخ أندرونيقوس أنه ملك ست عشرة سنة، ثم ملك بعده فرواس قيصر سنة واحدة، ثم ملك البيوس طرينوس قيصر تسع عشرة سنة وهو الذي ارتجع أنطاكية من الفرس، وكتب إليه خليفته على فلسطين يقول له أنني كلما قتلت النصارى ازدادوا رغبة في دينهم، فأمره برفع السيف عنهم وفي السنة العاشرة من ملكه ولد جالينوس، على ما سنبين فيما بعد.

ثم ملك بعده أبليوس أدريانوس قيصر إحدى وعشرين سنة وبنى مدينته، ثم ملك بعده أنطونينوس قيصر اثنتين وعشرين سنة وبنى مدينة إيليوبليس وهي مدينة بعلبك، وفي أيام هذا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الذي استخدمه، وبيان ذلك قول جالينوس في صدر مقالته الأولى من كتاب علم التشريح وهذا قوله بعينه، قال جالينوس قد كنت وضعت فيما تقدم في علاج التشريح كتابا في مقدمي الأول إلى مدينة رومية، وذلك في أول ملك انطونينوس الملك في وقتنا هذا.

ومما يؤيد هذا، قول جالينوس في الكتاب الذي وضعه في تقييد أسماء كتبه ويعرف ببنكس جالينوس، قال لما رجعت من مدينة رومية وعزمت على المقام بمدينتي، واللزوم لما كانت جرت فيه عادتي، وإذا كتب قد وردت من مدينة أقوليا من الملكين يأمران إشخاصي لأنهما كانا قد عزما على أن يشتيا بأقوليا ثم يغزوا أهل جرمانيا، فاضطررت إلى الشخوص إليها وأنا على رجاء أن أعفى إذا استعفيت، لأنه كان قد بلغني عن أحدهما وهو أشبههما بحسن الخلق ولين الجانب، وهو الذي كان اسمه بيرس، فلما ملك انطونينوس من بعد أدريانوس وصير ببرس ولي عهده أشرك في ملكه رجلا يقال له لوقيس، وسماه بيرس، وسمى هذا الذي كان اسمه بيرس أنطونينوس، فلما صرت إلى بلاد أقوليا عرض فيها من الوباد ما لم يعرض قط، فهرب الملكان إلى مدينة رومية مع عدة من أصحابهما وبقي عامة العسكر بأقوليا، فهلك البعض وسلم البعض، ونالوا جهدا شديدا ليس من **أجل الوباء فقط**، ولكن من جهة أن الأمر فاجأهم في وسط الشتاء، ومات لوقيوس في الطريق، فحمل أنطونينوس بدنه إلى رومية فدفنه هناك، وهم بغزو أهل جرمانيا، وحرص الحرص كله أن أصحبه، فقلت أن الله تعالى لما خلصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي أمرني بالحج إلى بيته المسمى هيكل أسقليبيوس وسألته الإذن في ذلك فشفعني وأمرني بأن أحج.

ثم انتظرت إلى وقت انصرافه إلى رومية، فإنه قد كان يرجو أن ينقضي حربه سريعا، وخرج وخلف ابنه قومودس صبيا صغيرا وأمر المتوالين لخدمته وتربيته أن يجتهدوا في حفظ صحته فإن مرض دعوني لعلاجه أتولاه.

ففي هذا الزمان جمعت كل ما جمعته من المعلمين وما كنت استنبطته، وفحصت عن أشياء كثيرة، ووضعت كتبا كثيرة لأروض بها نفسي في معان كثيرة من الطب والفلسفة، إحترق أكثرها في هيكل أريني ومعنى أريني السلامة، ولأن أنطونيوس أيضا في سفره أبطأ خلاف ما كان يقدر فكان ذلك الزمان مهلة في رياضة نفسي.

فهذه الأقاويل وغيرها مما لم نورده لطلبة الاختصار، فقد بان أن جالينوس كان في أيام هذا الملك، وكان عمره في الوقت الذي قدم فيه رومية القدوم الأولى ثلاثين سنة، وذلك بدليل قوله في هذا الكتاب المقدم ذكره عند وصفه ما وضعه في الكتب في التشريح قال جالينوس." (١)

"رسالة في أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية، رسالة في المناظر الفلكية، رسالة في امتناع الجرم الأقصى من الاستحالة، رسالة في صناعة بطليموس الفكلية، رسالة في تناهي جرم العالم، رسالة في ماهية الفلك واللون اللازم اللازوردي المحسوس من جهة السماء، رسالة في ماهية الجرم الحامل بطباعه للألوان من العناصر الأربعة، رسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الأضواء والأظلام، رسالة في المعطيات، رسالة في تركيب الأفلاك، رسالة في الأجرام الهابطة من العلو، وسبق بعضها بعضا، رسالة في العمل بالآلة المسماة الجامعة، رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحيرة،رسالة في الطب البقراطي، رسالة في الغذاء والدواء المهلك، رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء، رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية، رسالة في كيفية إسهال الأدوية وانجذاب الأخلاط، رسالة في علة نفث الدم، رسالة في تدبير الأصحاء، رسالة في أشفية السموم، رسالة في علة بحارين من الأمراض الحادة،، رسالة في تبيين لعضو الرئيس من جسم الإنسان والإبانة عن الألباب، رسالة في كيفية الدماغ، رسالة في علة الجذام وأشفيته، رسالة في عضة الكلب والكلب، رسالة في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة، رسالة في وجع المعدة والنقرس، رسالة إلى رجل في علة شكاها إليه في بطنه ويده، رسالة في أقسام الحميات، رسالة في علاج الطحال الجاسي من الأمراض السوداوية، رسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت، رسالة في تدبير الأطعمة، رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها، رسالة في الحياة، كتاب الأدوية الممتحنة، كتاب الأقراباذين، رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبين ما يكون من فساد الأخلاط، رسالة في الفراسة، رسالة في إيضاح العلة في السمائم القاتلة السمائية وهو على المقال المطلق الوباء، رسالة في الحيلة لدفع ال أحزان، جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، رسالة في الإبانة عن منفعة الطب إذا كانت

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٦٢

صناعة النجوم مقرونة بدلائلها رسالة في اللثغة للأخرس رسالة في تقدمة المعرفة بالاستلال بالأشخاص العالية على المسائل، رسالة في مدخل الأحكام على المسائل.." (١)

"رسالة في أشفية السموم، رسالة في علة بحارين من الأمراض الحادة،، رسالة في تبيين العضو الرئيس من جسم الإنسان والإبانة عن الألباب، رسالة في كيفية الدماغ، رسالة في علة الجذام وأشفيته، رسالة في عضة الكلب والكلب، رسالة في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة، رسالة في وجع المعدة والنقرس، رسالة إلى رجل في علة شكاها إليه في بطنه ويده، رسالة في أقسام الحميات، رسالة في علاج الطحال الجاسي من الأمراض السوداوية، رسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت، رسالة في تدبير الأطعمة، رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها، رسالة في الحياة، كتاب الأدوية الممتحنة، كتاب الأقراباذين، رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشياطين وبين ما يكون من فساد الأخلاط، رسالة في الفراسة، رسالة في إيضاح العلة في السمائم القاتلة السمائية وهو على المقال المطلق الوباء، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان، جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، رسالة في الإبانة عن منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها رسالة في اللثغة للأخرس رسالة في تقدمة المعرفة بالاستلال بالأشخاص العالية على المسائل.

رسالة في مدخل الأحكام على المسائل، رسالته الأولى والثانية والثالثة إلى صناعة الأحكام بتقاسيم، رسالة في الأخبار عن كمية ملك العرب وهي رسالته في اقتران التحسين في برج السرطان، رسالة في قدر منفعة صناعة الأحكام ومن الرجل المسمى منجما باستحقاق، رسالته المختصرة في حدود المواليد، رسالة في تحويل سني المواليد، رسالة في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث، رسالة في الرد على الثنوية، رسالة في نقض مسائل الملحدين، رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام، رسالة في الاستطاعة وزمان كونها، رسالة في الرد على من زعم أن للأجرام في هويتها في الجو توقفات، رسالة في بطلان قول من زعم أن بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون، رسالة في أن الجسم في أول إبداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل، رسالة في التوحيد بتفسيرات، رسالة في أوائل الجسم، رسالة في افتراق الملل في التوحيد، وإنهم مجمعون على التوحيد، وكل قد خالف صاحبه، رسالة في المتجسد، رسالة في البرهان.

كلام له مع ابن الراوندي في التوحيد، كلام رد به على بعض المتكلمين، رسالة إلى محمد بن الجهم في الإبانة عن وحدانية الله عز وجل، وعن تناهي جرم الكل، رسالة في الأكفار والتضليل رسالة في أن النفس

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/١٩٥

جوهر بسيط غير داثر مؤثر في الأجسام، رسالة في ما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس، رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية، رسالة في علة النوم والرؤيا وما يرمز به النفس، رسالة في أن ما بالإنسان إليه حاجة مباح له في العقل قبل أن يحظر، رسالته الكبرى في السياسة، رسالة في التنبيه على الفضائل رسالة في نوادر الفلاسفة، رسالة في خبر فضيلة سقراط، رسالة في محاورة جرت بين سقراط وأرسواس، رسالة في خبر موت سقراط، رسالة فيما جرى بين سقراط والحرانيين رسالة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد في الكائنات الفاسدات، رسالة في العلة التي لها قيل أن النار والهواء والماء والأرض عناصر تجمع الكائنة الفاسدة، وهي وغيرها يستحيل بعضها إلى بعض، رسالة في اختلاف الأزمنة التي تظهر فيها قوى الكيفيات الأربع لأولى رسالة في خبر العقل.." (١)

"شرح ثمار مسائل حنين بن إسحاق أملاه سنة خمس وأربعمائة كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية، تفسير كتاب إيساغوجي لفرفوريوس، مقالة في القوى الطبيعية، مقالة في العلة لم جعل لكل خلط دواء يستفرغه، ولم لم يجعل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الأخلاط، تعاليق في العين، مقالة في الأحلام وتفصيل الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة، مقالة في عراف أخبر بما ضاع وذكر الدليل على صحته بالشرع والطب والفلسفة، مقالة أملاها في جواب ما سئل عنه من إبطال الاعتقاد في الأجزاء التي لا تنقسم، وهذا السؤال سأله إياه ظافر بن جابر السكري، ووجد بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة ما هذا مثاله، قال هذه الكراسة بخط سيدنا الأستاذ الأجل أبي نصر محمد بن علي برزج تلميذ الشيخ أبي الفرج أملاها الشيخ أبو الفرج – أطال الله بقاءه ونكب أعداءه – عليه ببغداد، وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب، وهي الدستور بعينها، شرح كتاب منافع الأعضاء لجالينوس، مقالة مختصرة في المحبة، شرح الإنجيل.

ابن بطلان

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان، نصراني من أهل بغداد، وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب وتتلمذ له، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكمية وغيرها، ولازم أيضا أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها.

وكان ابن بطلان معاصرا لعلي بن رضوان الطبيب المصري، وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢٠٣

العجيبة والكتب البديعة الغريبة، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا إلا ويرد الآخر عليه، ويسفه رأيه فيه، وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم، ووقائع بعضهم في بعض،وسافر ابن بطلان من بغداد إلى ديار مصر قصدا منه إلى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به، وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه إلى حلب أقام بها مدة وأحسن إليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه إكراما كثيرا، وكان دخوله الفسطاط في مستهل جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وذلك في دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين، وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت، ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة، وقد تضمن كثيرا من هذه الأشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان، ولابن رضوان كتاب في الرد عليه، وكان ابن بطلان أعذب ألفاظا وأكثر ظرفا وأميز في الأدب وما يتعلق به، ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها دعوة الأطباء وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها،وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة، وله مقالة في ذلك يرد فيها على غيره بقبح الخلقة، وقد بين فيها، بزعمه، أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا، وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه، ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وسمها دعوة الأطباء

فلما تبدى للقوابل وجهه ... نكصن على أعقابهن من الندم

وقلن وأخفين الكلام تسترا ... ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

وكان يلقبه بتمساح الجن، وسافر ابن بطلان من ديار مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة.ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله، قال ومن مشاهير الأوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الأثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة، فإن في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد أن امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الخريف، فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل، فمات في الفسطاط والشام أكثر أهلها، وجميع الغرباء إلا من شاء الله، **وانتقل الوباء إلى** العراق فأتى عل أكثر أهله، واستولى عليه الخراب بطروق العساكر المتعادية، واتصل ذلك بها سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وعرض للناس في أكثر البلاد قروح سوداوية وأورام الطحال، وتغير ترتيب نوائب الحميات، واضطرب نظام البحارين، فاختلف علم القضاء في تقدمة المعرفة.." (١)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢٢٧

"وقال أيضا بعد ذلك ولأن هذا الكوكب الأثاري طلع في برج الجوزاء وهو طالع مصر **أوقع الوباء في** الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وصح إنذار بطليموس القائل الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب، وأنجهم في الجوزاء، ولما نزل زحل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة، واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام؛ واضطربت أحوال ملوك الأرض، وكثرت الحروب والغلاء والوباء، وصح حكم بطليموس في قوله إن زحل والمريخ متى اقترنا في السرطان زلزل العالم، ونقلت أيضا من خط بن بطلان، فيما ذكره من الأوباء العظيمة العارضة للعلم بفقد العلماء في زمانه قال ما عرض في مدة بضع عشرة سنة بوفاة الأجل المرتضى والشيخ أبي الحسن البصري، والفقيه أبي الحسن القدوري، وأقضى القضاة الماوردي، وابن الطيب الطبري، على جماعتهم رضوان الله؛ ومن أصحاب علوم القدماء أبو علي بن الهيثم وأبو سعيد اليمامي، وأبو علي بن السمح، وصاعد الطبيب وأبو الفرج عبد الله بن الطيب؛ ومن متقدمي علوم الأدب والكتابة علي بن عيسى الربعي، وأبو الفتح النيسابوري، ومهيار الشاعر، وأبو العلاء بن نزيك، وأبو علي بن موصلايا، والرئيس أبو الحسن الصابئ، وأبو العلاء المعري، فانطفأت سرج العلم وبقيت العقول بعدهم في الظلمة، أقول ولابن بطلان أشعار كثيرة ونوادر ظريفة، وقد ضمن منها أشياء في رسالته التي وسمها دعوة الأطباء وفي غيرها من كتبه، وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة، ولا خلف ولدا، ولذلك يقول من أبيات

ولا أحد أن مت يبكي لميتتي ... سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا

ولابن بطلان من الكتب كتاب الأديرة والرهبان، كتاب شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري، كتاب تقويم الصحة، مقالة في شرب الدواء المسهل، مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الأدوية المسهلة وتركيبها، مقالة إلى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، جوابا عما كتبه إليه، مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديما بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والاقراباذينات، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلثمائة وإلى سنة خمس وخمسين وأربعمائة وصنف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكية في سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وكان في ذلك الوقت قد أهل لبناء بيمارستان أنطاكية، مقالة في الاعتراض على من قال أن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية، ألفها بالقاهرة في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، كتاب المدخل إلى الطب، كتاب دعوة الأطباء ألفها للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ونقلت من خط ابن

بطلان وهو يقول في آخرها فرغت من نسخها أنا مصنفها بوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون، بدير الملك المتيح قسطنطين، بظاهر القسطنطينية في آخر أيلول من سنة خمس وستين وثلثمائة وألف، هذا قوله، ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامي من سنة خمسين وأربعمائة، كتاب دعوة الأطباء، كتاب دعوة القسوس، مقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة.

الفضل بن جرير التكريتي

كان كثير الاطلاع في العلوم، فاضلا في صناعة الطب حسن العلاج، وخدم بصناعة الطب للأمير نصير الدولة بن مروان،وللفضل بن جرير التكريتي من الكتب مقالة في أسماء الأمراض واشتقاقاتها، كتبها إلى بعض إخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح.

أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي

كان كأخيه في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب، وكان موجودا في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة،وليحيى بن جرير التكريتي من الكتب كتاب الاختبارات في علم النجوم، كتاب في الباه ومنافع الجماع ومضاره، رسالة كتبها لكافي الكفاة أبي نصر محمد بن محمد بن جهير في منافع الرياضة وجهة استعمالها.

ابن دينار." (١)

"وسمعت من الشيخ الإمام الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي، رحمه الله، وهو يقول إنني لم أجد أحدا من الأطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين أفصح عبارة ولا أجود لفظا ولا أحسن معنى من كلام أبي سهل المسيحي، وقيل إن المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس صناعة الطب، وإن كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتبا للمسيحي وجعلها باسمه، وقال عبيد الله بن جبرئيل إن المسيحي كان بخراسان، وكان متقدما عند سلطانها، وإنه مات وله من العمر أربعون سنة،ومن كلام المسيحي قالنومة بالنهار بعد أكلة خير من شربة دواء نافع،ولأبي سهل المسيحي من الكتب كتاب المائة في الطب وهو من أجود كتبه وأشهرها؛ ولأمين الدولة بن التلميذ حاشية عليه قال يجب أن يعتمد على هذا الكتاب فإنه كثير التحقيق قليل التكرار واضح العبارة منتخب العلاج، كتاب إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان، كتاب في العلم الطبيعي كتاب الطب الكلي، مقالتان، مقالة في الجدري، اختصار كتاب المجسطي، كتاب تعبير الرؤيا كتاب **في الوباء ألفه** للملك العادل خوارزمشاه

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢٢٨

أبي العباس مأمون بن مأمون،

الشيخ الرئيس بن سينا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، وهو إن كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر، فإنه قد ذكر من أحواله، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه، ولذلك إننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه، نقله عنه أبو عبيد الجوجزاني، قال، قال الشيخ الرئيس إن أبي كان رجلا من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف، وتولى العمل في أثناء أيامه بقربة يقال لها خرميثن من ضياع بخارى، وهي من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها أفشنة، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن، وولدت منها بها، ثم ولدت أخي، ثم انتقلنا إلى بخارى، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضى مني العجب، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وبعد من الإسماعيلية، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم، وكذلك أخي، وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعه وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي، وابتدأوا يدعونني أيضا إليه، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند، وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله النائلي وكان يدعى المتفلسف، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد، وكنت من أجود السالكين، وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به." (١)

"وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومي هذا أعمل تذكرة لي وأغيرها في كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين من ذلك، أتصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني، ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة، وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغياث الملهوف، وكشف كربة المكروب، وإسعاف المحتاج، وأجعل قصدي في كل ذلك الالتذاذ بالأفعال، والانفعالات الجميلة، ولا بد أن يحصل مع ذلك، كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدني، وعمارة منزلي نفقة لا تبلغ التبذير، ولا تنحط إلى التقتير وتلزم الحال الوسطى بقدر ما يوجبه التعقل في كل وقت، وأتفقد آلات منزلي فما يحتاج إلى إصلاح أصلحته، وما يحتاج إلى بدل بدلته، وأعد في منزلي ما يحتاج إليه من الطعام والشراب، والعسل والزيت والحطب، وما

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٢٩٠

يحتاج إليه من الثياب، فما فضل بعد ذلك له صرفته في وجوه الجميل والمنافع مثل إعطاء الأهل والإخوان والجيران، وعمارة المنزل، وما اجتمع من غلة أملاكي ادخرته لعمارتها ومرمتها، ولوقت الحاجة إلى مثله، وإذا هممت لتجديد أمر مثل تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوبا، وحللته إلى موضوعاته ولوازمها، فإن وجدته من الممكن الأكثر بادرت إليه، وإن وجدته من الممكن القليل اطرحته، وأتعرف ما يمكنني تعريفه من الأمور المزمعة وآخذ له أهبته، وأجعل ثيابي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة، وألزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس، وأجتهد أن لا أتكلم إلا بما ينبغي، وأتوقى الأيمان ومثالب الآراء، فأحذر العجب وحب الغلبة، وأطرح الهم الحرصي والاغتمام، وإن دهمني أمر فادح أسلمت فيه إلى الله تعالى، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور، ومن عاملته عاملته يدا بيد، لا أسف ولا أتسلف، إلا أن أضطر لذلك، وإن طلب مني أحد سلفا وهبت منه، ولم أرد منه عوضا وما بقي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرته في عبادة الله سبحانه بأن أتنزه بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وتمجيد محكمها، وأتدبر مقالة أرسطاطاليس في التدبير، وآخذ نفسي بلزوم وصاياها بالغداة والعشي، وأتفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من أفعالي وانفعالاتي، فما كان خيرا أو جميلا أو نافعا سررت به، وما كان شرا أو قبيحا أو ضارا اغتممت به، ووافقت نفسي بأن لا أعود إلى مثله، وأما الأشياء التي أتنزه فيها فلأني فرضت نزهتي ذكر الله عز وجل وتمجيده بالنظر في ملكوت السماء والأرض، وكان قد كتب القدماء والعارفون في ذلك كتبا كثيرة رأيت أن أقتصر منها على ما أنصه من ذلك خمسة كتب من كتب الأدب؛ وعشرة كتب من كتب الشرع؛ وكتب أبقراط وجالينوس في صناعة الطب وما جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس، وكتب روفس، وأريباسيوس، وبولس وكتاب الحاوي للرازي؛ ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب؛ ومن كتب التعاليم المجسطي ومداخله، وما أنتفع به فيه والمربعة لبطلميوس؛ ومن كتب العارفين كتب أفلاطن، وأرسطوطاليس، والإسكندر، وثامطيوس، ومحمد الفارابي، وما أنتفع به فيها، وما سوى ذلك إما أبيعه بأي ثمن اتفق، وإما أن أخزنه في صناديق، وبيعه أجود من خزنه، أقول هذا جملة ما ذكره من سيرته، وإن مولده في ديار مصر بالجيزة ونشأ بمدينة مصر، وكان أبوه فرانا ولم يزل ملازما للاشتغال والنظر في العلم إلى أن تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة، وخدم الحاكم وجعله رئيسا على سائر المتطببين، وكانت دار ابن رضوان بمدينة مصر في قصر الشمع، وهي الآن تعرف به، وقد تهدمت ولم يتبين إلا بقايا يسيرة من آثارها، وحدث في الزمان الذي كان فيه ابن رضوان بديار **مصر الغلاء العظيم**، والغلاء الفادح الذي هلك به أكثر أهلها، ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان **أن الغلاء عرض** بمصر في سنة خمس

وأربعين وأربعمائة قال ونقص النيل في السنة التي تليها، وتزايد الغلاء، وتبعه وباء عظيم، واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وحكي أن السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس، وأنه فقد ثمانمائة قائد، وحصل للسلطان من المواريث مال زيل.." (١)

"وحدثني أبو عبد الله محمد المالقي الناسخ أن ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره، وكان السبب في ذلك أنه في ذلك الغلاء، كان قد أخذ يتيمة رباها، وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلا لها الموضع، وكان قد ادخر أشياء نفيسة، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت ولم يظفر منها على خبر، ولا عرف أين توجهت فتغيرت أحواله من حينئذ.

أقول وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يعاصره من الأطباء وغيرهم، وكذلك على كثير ممن تقدمه، وكانت عنده سفاهة في بحثه، وتشنيع على من يريد مناقشته، وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن إسحاق، وعلى أبي الفرج بن الطيب، وكذلك أيضا على أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطب معلم ينسب إليه، وله كتاب في ذلك يتضمن أن تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين، وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد، وذكر فصلا في العلل التي لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصف إذا كان القول واحدا، وأورد عدة علل الأولى منها تجري هكذا وصول المعاني من النسيب إلي النسيب، خلاف وصولها من غير النسيب إلى النسيب، والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق وهو المعلم، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب، وبعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم، فالفهم من النسيب، وهو المعلم أقرب وأسهل من غير النسيب، وهو الكتاب.

والثانية، هكذا النفس العلامة علامة بالفعل، وصورة الفعل عنها يقال له تعليم، والتعليم والتعلم من المضاف، وكلما هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع، والنفس المتعملة علامة بالقوة، وقبول العلم فيها يقال له تعلم، والمضافان معا بالطبع، فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتب.

والثالثة، على هذه الصورة المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه ا لمعلم من لفظ نقله إلى لفظ آخر، والكتاب لا ينقل من لفظ إلى لفظ، فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصل للمتعلم.

والرابعة العلم موضوعه اللفظ، واللفظ على ثلاثة أضرب قريب من العقل، وهو الذي صاغه العقل مثالا لما

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٣٧١

عده من المعاني؛ ومتوسط، ومتوسط، وهو المتلفظ به بالصوت، وهو مثال لما صاغه العقل؛ وبعيد، وهو المثبت في الكتب، وهو مثال ما خرج باللفظ، فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل، والمثال الأول لا يقوم مقام المثل لعوز المثل، فما ظنك بمثال مثال مثال المثل، فالمثال الأول لما عند العقل أقرب في الفهم من مثال المثال، والمثال الأول هو اللفظ، والثاني هو الكتاب، وإذا كان الأمر على هذا فالفهم من لفظ المعلم أسهل وأقرب من لفظ الكتاب.

والخامسة وصول اللفظ الدال على المعنى إلى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ، وهي البصر. لأن الحاسة النسبية للفظ هي السمع لأنه تصويت، والشيء الواصل من النسيب، وهو اللفظ، أقرب من وصوله من الغريب، وهو الكتابة، فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الكتاب بالخط.

والسادسة هكذا يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم قد عدمت في تعليم المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر وقلة الخبرة بالإعراب، أو عدم وجوده مع الخبرة به، أو فساد الموجود منه، واصطلاح الكتاب ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب، ونحو التعليم ونمط الكلام ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ ورداءة النقل، وادماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعاليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس وهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذا فالقراءة على العلماء أفضل وأجدى من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه.." (١)

"ثم أن صلاح الدين دخل دمشق، وخرج يودع الحاج، ثم رجع فحم ففصده من لا خبرة عنده فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما يجدونه على الأنبياء، وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوبا يحبه البر والفاجر، والمسلم والكافر، ثم تفرق أولاده وأصحابه أيادي سبأ، ومزقوا في البلاد كل ممزق، وأثرهم توجه إلى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها وأقمت بدمشق وملكها الملك الأفضل وهو أكبر الأولاد في السن إلى أن جاد الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق، فلم ينل منه بغية، ثم تأخر إل مرج الصفر لقولنج عرض له فخرجت إليه بعد خلاصه منه فأذن لي في الرحيل معه، وأجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة، وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمني صباح مساء إلى أن قضى نحبه، ولما اشتد مرضه،و وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه وأشرت عليه بدواء فأنشد

لا أذود الطير من شجر ... قد بلوت المر من ثمره

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٣٧٢

ثم سألته من ألمه فقال

ما لجرح بميت إيلام

وكان سيرتي في هذه المدة، أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة، وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون، وفي الليل أشتغل مع نفسي، ولم أزل على ذلك إلى أن توفي الملك العزيز، وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول لا، وكان مع حداثة سنه وشرخ شبابه كامل العفة عن الأموال والفروج.

أقول ثم أن الشيخ موفق الدين أقام بالقارة بعد ذلك مدة، وله الرتب والجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين، وأتى إلى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثله، وألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتابا ذكر فيه أشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها تذهل العقل، وسمى ذلك الكتاب كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق، وتفرقت أولاد أخيه الملك الناصر صلاح الدين، وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين إلى القدس، وأقام بها مدة، وكان يتردد إلى الجامع الأقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم، وصنف هنالك كتبا كثيرة، ثم أنه توجه إلى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها، وذلك في سنة أربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافا من العلوم، وتميز في صناعة الطب بدمشق، صنف في هذا الفن كتابا كثيرة وعرف به، وأما قبل ذلك فإنما كانت شهرته بعلم النحو، وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به، ثم إنه سافر إلى حلب، وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة، وكان في خدمة الملك علاء الدين داود ابن بهرام صاحب أرزنجان، وكان مكينا عنده، عظيم المنزلة، وله من الجامكية الوافرة، والافتقادات الكثيرة، وصنف باسمه عدة كتب، وكان هذا الملك عالي الهمة، كثير الحياء، كريم النفس، وقد اشتغل بشيء من العلوم، ولم يزل في خدمته إلى أن استولى على ملكه صاحب أرزن الروم، وهو السلطان كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان، ثم قبض على صاحب أرزنجان ولم يظهر له خبر.

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة، توجهت إلى أرزن الروم، وفي حادي صفر من سنة ست وعشرين وشتمائة، رجعت إلى أرزنجان من أرزن الروم، وفي نصف ربيع الأول توجهت إلى كماخ، وفي جمادى الأولى توجهت منها إلى دبركي، وفي رجب توجهت منها إلى ملطية، وفي آخر رمضان توجهت إلى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء، ودخلت

حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها بحسن سيرة أتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبتة لمعدلته في رعيته.." (١)

"خيبر ٨١ – قالوا: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر في سنة سبع، فطاوله أهلها وماكثوه، وقالتوا المسلمين، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر، ثم إنهم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية على أن يجلوا ويخلوا بين المسلمين وبين الارض والصفراء والبيضاء والبزة، إلا ما كان منها على الاجساد، وأن لا يكتموه شيئا.

ثم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علما فأقرنا.

فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاملهم على الشطر من الثمر والحب، وقال: أقركم ما أقركم الله.

فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهر **فيهم الوباء وتعبثوا** بالمسلمين، فأجلاهم عمر، وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين.

٨٢ – حدثني الحسين بن الاسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا زياد بن عبد الله ابن طفيل، عن محمد بن إسحاق قال: سألت ابن شهاب ﻋن خيبر فأخبرني أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتحها عنوة بعد القتال، وكانت مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المعاملة ففعلوا.

٨٣ – وحدثني عبد الاعلى بن حماد النرسى قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عبيد بن عمر عن نافع، عن ابن عمر قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم وغلبهم على الارض والنخل، وصالحهم على أن يحقن." (٢)

"وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين على بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأمر الوزير بن العلقمى بأن تعطل المساجد والجوامع والمدارس والربط ببغداد ويستمر بمحال الروافض، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون فيها علمهم، فلم يقدره الله عز وجل على ذلك؛ بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، واتبعه ولده فاجتمعا والله أعلم في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/٤٥٢

(٢) فتوح البلدان، ٢٥/١

ولما انقضى أمد المدة المقدرة، وانقضت الأربعون يوما، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت البلد من جيفهم، وتغير الهواء، فحصل بسببه الفناء والوباء الشديد، حتى سرى وتعدى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على **الناس الغلاء والوباء** والفناء والطعن والطاعون. ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والقنى والمغاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من القبور، وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، **وأخذهم الوباء الشديد** فتفانوا وتلاحقوا بمن سلف من القتلى.

وكان رحيل هلاون عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر، فوض إليه الشحنكية بها إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى، فلم يمهله الله تعالى حتى أخذه عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة، كما سنذكره في الوفيات إن شاء الله، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام.

ويقال: إن هلاون عزم على إحراق مدينة بغداد لما أراد الرحيل عنها، فقال له كتبغا نوين إن هذه المدينة أم المدن ومقصد التجار، فإذا أبقاها الملك حصل له منها مال جزيل، فأبقاها وشحن عليها، وسار عنها إلى الفرات.

وفي تاريخ بيبرس: ثم سار هلاون عن بغداد بعد انقضاء الشتاء إلى الشام، وجرد جيشا إلى ميافارقين صحبة صرطق نوين وقطغان نوين، وكان بها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى، فحاصروها ونصبوا عليها المنجنيقات من كل ناحية، فقاتلت أهلها وامتنعوا عن تسليمها، وصبروا أنفسهم على الحصار الشديد والجوع المبيد، حتى أكلوا الميتات والدزواب والسنانير والكلاب، وطال عليهم الأمد، وقلت منهم القوة والجلد، فاستولى التتار على المدينة وفتحوها، وكانت مدة مقامهم على حصارها سنتين، فقتلوا وسبوا من أهلها خلقا كثيرا، وفنى الجند من كثرة القتال، واشتداد النزال وأسر من بقى منهم، وأخذ صاحبها ناصر الدين الملك الكامل وتسعة نفر من مماليكه وأحضروا بين يدي هلاون، فقتلوا إلا مملوكا واحدا اسمه قرا سنقر، أبقاه هلاون، وذلك أنه سألهم عن وظائفهم، فذكر له ذلك المملوك أنه كان أمير شكار للسلطان، فاستبقاه وسلم إليه شيئا من الطيور الجوارح وحظى عنده، واتفق حضوره إلى الديار المصرية في الأيام الظاهرية، فأعطاه السلطان إقطاعا، وجعله مقدم في الحلقة.

وكان صاحب ميافارقين أديبا فاضلا، وله نظم جيد، فمنه قوله:
ترة تسمع الدنيا بما أنا طالب ... فلى عزمات دونهن الكواكب
وإن يكن الناعى بموتى معرضا ... فأي كريم ما نعته النوائب
ومن كان ذكر الموت في كل ساعة ... قريبا له هانت عليه المصائب
وما عجبي إلا تأسف عاقل ... على ذاهب من ماله وهو ذاهب
؟ذكر ما جرى لأصحاب البلاد مع هلاون:." (١)

"ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة، ونشأ شابا حسنا، وحين توفى أبوه وعظ في موضعه، فأحسن وأجاد وأفاد، ثم تقدم وولى حسبة بغداد، مع الوعظ الرائق، والأشعار الحسنة الفائقة، وولى تدريس الحنابلة بالمستنصرية ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة، وكانت له مدارس أخرى، ثم لما ولى مؤيد الدين بن العلقمى الوزارة وشغر عنه الاستادارية وليها محيى الدين هذا، وانتصب ابنه عبد الرحمن في الحسبة والوعظ، فأجاد وأفاد، ثم كانت الحسبة تنتقل في بنيه الثلاثة: عبد الرحمن، وشرف الدين عبد الله، وتاج الدين عبد الكريم، وقد قتلوا معه في هذه السنة في قضية هلاون كما ذكرنا، ولمحيى الدين مصنف في مذهب الإمام أحمد رحمه الله وقد وقف المدرسة الجوزية بدمشق على الحنابلة.

الصرصرى المادح يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، الشيخ الإمام، العالم العلامة، ا لبارع، جمال الدين أبو زكريا الصرصرى، الشاعر المادح، الحنبلى، الضرير، البغدادي.

وشعره في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور، وديوانه في ذلك معروف غير منكور.

ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث، وحفظ الفقه واللغة، وكان يقال: إنه يحفظ صحاح الدوهري بكمالها، وصحب الشيخ على بن إدريس تلميذ عبد القادر الكيلانى، وكان ذكيا يتوقد ذكاء، ينظم على البديه سريعا أشياء حسنة فصيحة بليغة، وقد نظم الكافي للشيخ موفق الدين بن قدامة ومختصر الحزقى، وأما مدائحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال: إنها تبلغ عشرين مجلدا.

ولما دخل التتار بغداد دعى إلى دار بها فرمان من هلاون، فأبى أن يجيب إليه وأعد في داره أحجارا، فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار، فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم، فقتلوه شهيدا، رحمه الله، وله من العمر ثمانون سنة.

البهاء زهير صاحب الديوان المشهور: أبو الفضل زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٤٢

بن منصور بن عاصم المهلبى العتكى، الملقب بهاء الدين الكاتب.

كان من فضلاء عصره، وأحسنهم نظما ونثرا، وخطا، ومن أكثرهم مروة، وكان قد اتصل بخدمه السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهور على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرقوا عنه، وقبض عليه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك، وأقام بهاء الدين زهير بنابلس محافظة لصاحبه الملك الصالح، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وقال ابن خلكان: وكنت يوم ذاك مقيما بالقاهرة، وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة، وأنشدنى كثيرا من شعره، فمما أنشدنى قوله في جارية له اسمها روضة:

يا روضة الحسن صلى ... فما عليك ضير

فهل رأيت روضة ... ليس لها زهير

قال: وأخبرنى ان مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله.

وقال لي مرة أخرى: إنه ولد بوادي نخلة وهو قريب من مكة، وأخبرنى أن نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة.

ثم حصل بالقاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه منه ألم، فأقام به أياما، ثم توفى قبل المغرب في يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن من الغد بعد الظهر بتربته في القرافة الصغرى بالقرب من قبة الشافعي رحمه الله في جهتها القبلية، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالى بالمرض.

وفى تاريخ المؤيد: وفى سنة ست وخمسين وستمائة توفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب، وفى آخر عمره انكشف حاله، وباع موجوده وكتبه، وأقام في بيته بالقاهرة إلى أن أدركته وفاته **بسبب الوباء العام**، ومن شعره وهو موزون مخترع ليس بخرجة العروض أبيات منها:." (١)

"وكتب إلى نائب الشام أن يبعث الأمير سيف الدين كرجى ليمسك الأمير عز الدين أيبك خزندار، نائب طرابلس، وذلك لتوقفه عن اليمين للسلطان كتبغا حين جاءه خبر عزل الناصر وتولية كتبغا ولم يوافق

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٤٥

على ذلك حتى حكمت عليه الأمراء، وقالوا: إن كتبغا خشداشك وما هو غريب حتى وافقهم على ذلك الأمر حينئذ، وكان قد بلغ ذلك إلى كتبغا من المقلد له بالنيابة، فبقى في نفسه من ذلك ما حتى مسكه، فلما مسك قيد وحمل إلى مصر، وحبس بها، وتولى عوضه الأمير عز الدين الموصلي.

وقال ابن كثير: وكان عمر العادل يوم توليته نحو خمسين سنة، فإنه من سبى وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من الغويراتية، وهم طائفة من التتر.

وفي يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول: ركب الملك العادل كتبغا في أبهة الملك، وشق القاهرة، ودعى له الناس.

ومن غريب الاتفاق أن العادل كان قد قبض على عز الدين الموصلي واعتقله ببرج الساقية، وأقام ثلاثة وتسعين يوما وأخرجه إلى طرابلس، وقبض على عز الدين أيبك الخازندار من طرابلس واعتقله ببرج الساقية، فأقام ثلاثة وتسعين يوما نظير المدة التي كانت لأيبك الموصلي، وهذا أيبك وذاك أيبك والولاية واحدة ومدة السجن واحدة.

وفيها: عزل العادل الحموي عن نيابة دمشق، واستناب مملوكه سيف الدين غرلو.

وفيها: قصر النيل بالديار المصرية تقصيرا قلق له الناس، وحصل منه اليأس، فكان النوروز ولم يحصل وفاء ولا تغليق، فاقتضى الحال كسر الخليج بغير تخليق، وبدل العالم بالأتراح عوضا عن الأفراح والانزعاج بدلا من الابتهاج، فابتدأ الغلاء، في الغلال، والفناء في النساء والرجال، وأجدب الوجه الغربي من برقة وأعمالها وما يتاخمها فلم يصبها شيء من الوبل ولا من الطل، ولم يزرع بها ما جل ولا ما قل، فهلك أهلها جوعا وعدما وعطشا من ماء السماء، ثم أعقب **حدوث الوباء عقبى** السنة الشهباء فساقهم القحط والضر إلى انتجاع ديار مصر، فورد منهم إلى الإسكندرية والبحيرة أمم تتجاوز الإحصاء، وانبثوا في البلاد، وامتدوا في الربى والوهاد، وجلبوا الوخم إلى العباد ففشت الأمراض العامة، ومنى الخلق بالطامة، وبلغ سعر القمح بالقاهرة ومصر مائة وخمسين درهما نقرة الأردب، والشعير مائة درهم، والفول والحبوب نحو ذلك، واشتد الأمر، وأكل الناس الميتة جهارا، ولحوم الكلاب والقطط والحمير نهارا. وقيل: إن بعضهم أكل لحم بعض، وأن امرأة أكلت ولدها.

وعم الفناء والموتان، وكثر بسائر البلدان حتى أن بعض البلاد التي كانت مشحنة بالرجال والنسوان خلت من ساكنيها، ولم يبق إلا النزر اليسير فيها.

وأما القاهرة ومصر فإنه كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى

على الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأحياء بأمواتهم، والسقماء بأمراضهم. هذا وأكثر من يموت يلقون في حفائر الكيمان بغير غسل ولا أكفان، فتأكلهم الكلاب، ثم أكل الناس الكلاب، ففنيت، وفنى أكثر الدواب، ورسم السلطان بتوزيع الصعاليك والفقراء على الجند والأمراء، فوزعوا بالقاهرة ومصر ليقوموا بهم من أموالهم.

هذا كله ذكره بيبرس في تاريخه فقال: وكنت إذ ذاك في الإسكندرية. والصعاليك الذين فيها والواردين إليها وزعوا على الأملياء، والفقراء على الأغنياء، وكنت متوليا أمر توزيعهم على التجار وأرباب المعايش والأيسار، ووظفت على نفسي منهم جماعة، وأجريت عليهم جاريا قام بأودهم إلى أن انقضت **المجاعة**، وتواصلت الغلال إلى الإسكندرية وتواترت من جزيرة صقلية والقسطنطينية وبلد الفرنجية، حتى أن الواصل إليها شف على ثلاثمائة ألف أردب قمحا، فتماسك أهل الثغر، ووجدوا رفقا بهذا الأمر، وانتهى سعر القمح إلى ثلاثمائة وعشرين درهما ورقا الأردب.

وقال ابن كثير في تاريخه: مات في ذي الحجة بديار مصر نحو من عشرين ألفا.

وفي نزهة الناظر: وفيها وصل من بلاد برقة جماعة كثيرة، وقد أثر الجوع فيهم، وشكوا من القحط في البلاد، وأنه لا ينزل لهم غيث في تلك السنة، ولا أعشبت أراضيهم، ونشفت الأعين، ولم يجدوا ببلادهم القوت، وهم نحو ثلاثين ألف نفر، وأفنى الجوع والعطش جميع ما كانوا يملكونه من الأغنام والإبل والمواشي، وكذلك الأطفال والنساء، وما سلم من الرجال إلا من كان في أجله تأخير.." (١)

"مات في هذه السنة مقتولا، قتله جماز بن سليمان، ابن أخيه، بالقرب من مدينة النبي عليه السلام، وكان قصد الغارة على أهل المدينة وغار على بعضهم، فركب جماز ومعه جماعة، والتقوا معه، فقتله جماز، وتباشرت الناس بقتله، وكان كثير الفتن، وسفك الدماء، وكان شجاعا مقداما، وانتشر له صيت في البلاد، وكان يدعى أنه من نسل البرامكة، فكان القاضي شمس اليد ابن خلكان يصدقه، وكان يقدم معه عند الملوك إذا اشتد به أمر، وآخره في الدولة المنصورية.

جمال الدين بن مصعب، توفى في هذه السنة بدمشق، وكان له فيها إقطاع، وكان ظريفا لطيفا شاعرا، وكان يلبس بالفقير.

فمن شعره في قصيدة يتشوق فيها إلى دمشق:

دمشق سقاها من دموعي السحائب ... وحيا رباها مدمع لي ساكب

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٨٥

ولا برحت أيدي النسيم عواطفا ... غصونا لأعطاف الحبيب تناسب

بحيث يمد الظل فاضل برده ... على الغوطة الفيحاء وتصفو المشارب

ويا حبذا وادي المقاسم واديا ... لقد جمعت في جانبيه العجائب

ترى السبعة الأنهار فيه جواريا ... فهذا لهذا صاحب ومجانب

وفي النيرب المعمور فض بنفسج ... به عطرت تلك الربا والربائب

فصل فيما وقع من الحوادث في

السنة الخامسة والتسعين بعد الستمائة

استهلت وخليفة الوقت: الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي.

وسلطان البلاد: الملك العادل زين الدين كتبغا، ونائبه بمصر: الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، والوزير: فخر الدين بن الخليلي، ونائب الشام: عز الدين الحموي.

وصاحب حلب: سيف الدين بلبان الطباخي.

وفي مستهل هذه السنة **كان الغلاء والفناء** بديار مصر شديدا، وقد تعانى الناس به، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها القيام من الناس، والأسعار والأقوات في غاية القلة والغلاء، فمات بها في شهر صفر مائة ألف وثمانون ألفا، **وامتد الغلاء بديار** مصر حتى قيل إنه أبيع الفروج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهما وبالقاهرة بتسعة عشر درهما، والبيض كل ثلاثة بدرهم، وأفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات.

وقال بيبرس في تاريخه: وكنت في الإسكندرية في أيام هذه المحن والفناء والغلاء، وعدت منها إلى الأبواب السلطانية في هذه السنة، فوجدت حال أهل القاهرة قد آل إلى التلف من المرض الشامل والموت العاجل، ولقد أبيع الفروج الواحد بعشرين درهما، والبطيخ الواحد بمائة درهم، والسفرجلة بثلاثين درهما، ومكث الناس على ذلك إلى أن لطف الله بهم وفرج الله هذه الشدة عنهم.

وفي نزهة الناظر: دخلت هذه السنة والحال مستمر على **تمادي الغلاء وقلة** الجلب، وقبل إدراك الزرع هاجت في ناحية بلاد المغرب وبرقة ريح سوداء مظلمة، فأثارت ترابا أصفر فكسى زرع تلك البلاد كلها فأرمى سنبله، والذي تأخر دخل فيه فأفسده، فرحل أهل تلك البلاد إلى نحو مصر، واستمرت تلك الريح والتراب الأصفر إلى أن عمت إقليم البحيرة والغربية والشرقية، ثم وصلت إلى أعلى الصعيد، وأخرت الزرع الصيفي جميعه مثل الأرز والسمسم والقصب والقلقاس، وجميع ما يزرع على السواقي، فصار في كل يوم

يتزايد سعر الغلة، ثم أعقب ذلك أمراض اعترت الناس وحمى مزعجة وأمراض مختلفة، فعم الضعف الناس حتى قل من سلم من أهل بيت من ذلك؛ بل غالب كل من في بيت أو منزل صاروا ضعفاء، فبسبب ذلك تحسن سعر السكر وأنواع الأدوية، وعدمت الفواكه، وبيع الفروج بثلاثين درهما، والبطيخة بأربعين، والرطل منها بدرهم، وبلغ سعر القمح بالتدريج في هذه المدة الأردب إلى مائة وستين، وسبعين، درهما، ثم إلى مائة وتسعين، والشعير إلى مائة وعشرين، والفول إلى مائة وعشرة دراهم، وكذلك العدس والحمص ونحوهما. ووصلت الأخبار من بلاد القدس والشام وصلت بتحسين الأسعار في الغلة، فوصل كل غرارة إلى مائتين وعشرين درهما، والشعير إلى مائة وعشرة، والرطل من اللحم إلى عشرة.." [(١)]

"وكذلك وصلت الأخبار من بلاد مكة شرفها الله والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن الأردب من القمح وصل عندهم إلى تسع مائة درهم، والشعير إلى سبع مائة، وأن مكة لم يبق فيها من يطوف إلا نفر قليل، وأن أهل قراها وسكان حدائقها انتزحوا إلى أعلى الجبال، وإذا سافر الرجل من مكة إلى المدينة لا يجد من يدله على الطريق، والسعيد منهم من له ناقة أو شاة أو شيء من الماشية يأكل لحمها. وكذلك أهل اليمن وقع **فيهم الغلاء المفرط** حتى باعوا أولادهم بالقوت، وأن طائفة منهم خرجت قاصدة إلى مكة وعند وصولهم إلى محلة بنى يعقوب وجدوا بها جماعة من أهل مكة قد قتلهم الجوع ولم يبق منهم غير اثنين ضعيفين.

وكذلك وصلت الأخبار من بلاد الشرق بأنهم في أسوء الأحوال من القحط والفناء وموت المواشي وقلة المرعى ومسك الغيث.

ثم اشتد الحال بأهل مصر حتى صاروا ينهبون الخبز من الأسواق والأفران، وكان إذا خرج الرجل من بيته بطبق العجين يجتمعون عليه ويأخذونه قطعا قطعا، وإذا كان في الفرن خبز لا يقدرون على إخراجه حتى يكون حوله جماعة من أهل بيته وبأيديهم عصى يمنعون من يتعرض إليه، وكان بعضهم يرمى روحه على الطبق من الجوع والضرب عمال على رأسه وظهره وهو لا يلتفت فيضرب حتى يقع مغشيا عليه وهو ماسك رغيفا أو قطعة منه بأسنانه.

ثم اتفق رأى السلطان مع الأمراء على أن يفرقوا الصعاليك على الأمراء والأغنياء، فكتبوا باسم أمير مائة، وباسم آخر خمسين، وباسم آخر عشرين، وباسم آخر عشرة، فخف عن الناس، ما كانوا يجدونه، ثم **جاء الوباء والفناء** في بلاد مصر وكثرت الأمراض الحادة وتحسنت أسعار الأشربة والأدوية والحقن ونحوها،

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٩١

فصار كل شيء بأضعاف قيمته.

قال الراوي: كان دكان برأس حارة الديلم يعرف بدكان الهندي باع صاحبها في شهر واحد باثنين وثلاثين ألف درهم من الأشربة والأدوية، وكان مثل ذلك دكاكين أخرى معروفة في السيوفيين والوزيرية وخارج باب زويلة، وكان كل طبيب يحصل في كل يوم من مائة درهم إلى أقل أو أكثر، وكانت ورقة المواريث يكتب كل يوم من الموتى بثلاثة آلاف درهم وكسور هذا للإطلاق من الديوان، وأما الطرحا على الدكاكين والذين يموتون في الأزقة ونحوها فلا يحصرون ولا يضبطون، وكانوا يحفرون حفرا وآبارا ويرمون الموتى بعضهم على بعض إلى أن جافت بهم الطرقات والأسواق والنواحي، وكان الذي أعقب **هذه الوباء في** **هذا الغلاء كثرة** أكل لحم بني آدم، فإن الناس من الجوع كانوا يأكلون الموتى، وخصوصا موتى الأطفال، وكانوا يجدون الرجل والمرأة ميتين وعند رأسيهما لحم الميت، وكان يمسك بعضهم فيوجد معه كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه.

وفي تاريخ النويري: أكل الناس الميتة من الآدميين والدواب والكلاب، وحكى أن متولى القاهرة وجد ثلاثة نفر وبين أيديهم صبي سباعي قد قطعوا يديه ورجليه وشووه وهم يأكلون فيه م ع خل وبقل وليمون مالح، وقررهم فاعترفوا أنهم فعلوا بالأمس بصبي آخر كذلك، فشنقوا على باب زويلة، فلم يصبح منهم شيء؛ بل أكلهم الناس.

وفي نزهة الناظر: ومن خزن في تلك السنة غلة ربح ربحا نهاية، ولكن كثير منهم أصيب في نفسه شيء من الآفات التي نفق فيها ما كسبه من ذلك.

قال: إن بعض أصحابنا كان عنده نحو ستمائة أردب، وباع كل أردب بمائة وخمسين ونيفا، ثم لما رأى زيادة السعر في الثمن ندم على ذلك ندما عظيما، ثم عمر من ثمن القمح الذي باعه قصرا وزخرفه بالرخام وغيره، وعند فراغه احترق جميعه حتى لم يبق منه شيء ينتفع به أصلا.

قال: وكان الناس في أشد ما يكون من ذلك، والسلطان ينزل إلى الميدان وهو خائف على نفسه، محترس من إيقاع فتنة، ووقع في خاطره أن يعمل اصطبل الجوق الذي للمماليك السلطانية ميدانا، وهو اصطبل مجاور لبركة الفيل مقابل للجامع الطولوني، وحسن له الأمراء ذلك فعمر ميدانا، وأنش أ حوله أماكن وبيوتات، وأول ما أنشأ فيه علم الدين سنجر الخازن، فنسب الحكر جميعه بإنشائه وبقى إلى يومنا هذا معروفا بين الناس بحكر الخازن، واتخذت فيه الأمراء الإصطبلات والمناظر، واتصلت العمارة إلى بركة الفيل،

فصار حكرا كبيرا إلى الغاية، وكان السلطان ينزل إليه من القلعة ولا يجد أحدا من العالم يقف بين يديه، ولا يدعوا أحد غير جماعة من أصحاب الدكاكين هناك.." (١)

"وفيه: لما قرب هؤلاء من القاهرة أمر السلطان لسائر الأمراء والعسكر إلى لقائهم، فخرجوا، وخرج أهل المدينة كافة، وكان يوما مشهودا، ثم أنعم على مقدميهم طرغاى بطبلخاناة، وكان عزم على أن يعطيه إمرة مائة وتقدمة ألف، فأشار عليه الأمراء أن يكون طبلخاناة وبعد قليل يكبره، وأنعم على ألوص بإمرة عشرة، والبقية بأخباز وإقطاعات، وعظمهم تعظيما عظيما، فصار طرغاى يجلس مع مقدمي الألوف، وتزايد ضرر العالم بالغلاء والويل، ورأت السوقة من تلك الطائفة وسوء أخلاقهم وبذاذة نفوسهم ما كرهوه، وقصد الأمراء بعد اتفاقهم مع السلطان أن يتحدثوا في أمر إسلامهم واشتمالهم على الدين الحنيفي، وأن يتعلموا فرائض الإسلام، فتحدث السلطان مع طرغاى في هذه القضية، فلم يجد لهم قابلية في ذلك الوقت، وعرف الأمراء أنهم يحتاجون إلى تطويل المدة فيهم والتدريج بأمرهم قليلا قليلا.

قال ابن كثير: وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاء بالديار المصرية الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد، عوضا عن تقي الدين بن بنت الأعز.

ثم أرخص الناس بمصر، وزال الضرر والجوع في جمادى الآخرة.

وفيها في رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة، وكان قد روى شيئا من الحديث، رحمه الله.

توجه السلطان كتبغا إلى الشام

ذكر توجه السلطان الملك العادل كتبغا من الديار المصرية قاصدا إلى الشام:

وفي نزهة الناظر: والسبب لذلك أن الأمراء الأكابر لم يعجبهم ما فعله السلطان مع الأويراتية من كثرة الإكرام وعلو منازلهم ورفعتهم فوق غيرهم، واتفق أنه دخل شهر رمضان المعظم ولم يروا أحدا منهم صام؛ بل رأوا أكثرهم مفطرين، فخاطب الأمراء السلطان في ذلك وقالوا: ينبغي أن يخاطب هؤلاء في الإسلام ويتعلمون شرائع الدين، ولا يمكن أن هؤلاء في بلاد الإسلام وفي مملكة مصر على غير دين الإسلام، فلم يرجع إلى شيء من كلامهم، فقال: لا يشوش أحد عليهم، فخلوهم يكونون على دينهم.

فوجد الأمراء من ذلك أمرا عظيما مع تطاول مماليكه وحاشيته عليهم، وعلى الناس من كثرة المظالم والحمايات، مع ما اتفق **من الغلاء والوباء**، فاتفق الأمراء فيما بينهم على عزله من الملك، ولم يجدوا لذلك

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٩٢

سبيلا غير أن يشيروا عليه بخروجه إلى السفر ليحصل لهم الغرض، فأخذوا معه في ذلك، وحسنوا له الخروج لافتقاد أمور البلاد والعباد، وعرض العساكر ونواب القلاع، ولتكون أيضا سمعة في بلاد العدو أن السلطان قد خرج ومعه العساكر، وأيضا يحصل التخفيف في الديار المصرية من العساكر.

فأجابهم إلى ذلك، وخرج في العشر الأخير من شوال من هذه السنة، فقدم دمشق يوم السبت نصف ذي القعدة، ودخلها والأمير بدر الدين بيسرى حامل الجتر على رأسه.

قال صاحب النزهة: وخرج نائب الشام إلى ملتقاه، ولم يجد أهل الشام محتفلين له كعادة الملوك المتقدمة عند دخولهم، فطلب الوالي وأمره أن يخرج أهل دمشق إلى الملاقاة، ويوقدوا الشمع، ويظهروا الفرح بقدوم السلطان، ويزينوا المدينة، فركب الوالي وفعل ما أمره، ففعلوا ذلك مكرهين من غير خاطر، وأعلنوا بالدعاء للأمير حسام الدين لاجين ومماليك السلطان مثل بتخاص والأزرق وغيرهما، علموا ذلك وشاهدوا، فلم تطب خواطرهم، وعرفوا بذلك السلطان وأغروه على نائب الشام وأهلها، فطلب الصاحب فخر الدين بن الخليلي واتفق معه على مصادرة جماعة من دواوين الشام ومباشريها، فرسم عليهم وعلى شمس الدين سنقر الأعسر مشد الدواوين، وعلى الأمير سيف الدين اسندمر كرجى متولى البر، وشرف الدين بن فضل الله كاتب السر بدمشق، واستخرج من أهل الشام أموالا كثيرة، وأهانهم إهانة بالغة، ومسك الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب الشام وولى عوضه مملوكه غرلو العادلي، وأخذ أموال نائب الشام، وختم على سائر حواصله فلم يطب ذلك على خواطر الأمراء.." (١)

"ومنها أنه وقعت في هذه السنة أعجوبة، وهي أن بعض الأمراء بالقاهرة كان جالسا على باب داره، وإذا بامرأة فقيرة تسأل، وهي من أحسن الناس صورة، فاستوقفها، وقال للخادم: خذ هذه وادخل بها الدار، واطعمها حتى تشبع، وكان ذلك من قوة الجاه، فدخل بها الخادم، وأحضر لها رغيفا فأكلته، ثم أحضر ثانيا فأكلته، ثم أحضر ثالثا فأكلته، ثم قال الأمير: هاتوا لها زبدية طعام لأجل الدسم، فأحضروا لها خافقية كبيرة، فأكلت أكثرها، ثم استندت إلى الحائط لتستريح، فإذا بها قد ماتت، ووجدوا على كتفها جرابا مسحورة باقى ما فيه يدر صغير ورجله.

ومنها أنه ظهر بدمشق قتل فاحش، فكان كل يوم يوجد اثنان وثلاثة مقتولين، ولم يدروا ذلك حتى أتى .. .. حتى حضر والي المدينة، وأرصد جماعة .... أبوابا للدروب، وبقى يركب طول الليل دابته ويدور البلد، والأمر في تزايد والأقاويل مختلفة، وفي بعض الليالي مسكوا فقيرا مولها فاعترف أنه هو الذي يقتل،

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٩٤

فأخذوه وسمروه، فسكن الناس واطمأنوا.

ومنها في العشر الأول من المحرم أشاع في دمشق حديث عن قاض قرية عسال من قرى دمشق، أنه تكلم ثور في القرية المذكورة، وهو أنه خرج ليشرب من ماء هناك ومعه صبي، فلما فرغ من شربه حمد الله تعالى، فسمعه الصبي، وحكى ذلك لمالك الثور، فأنكره، وخرج في اليوم الثاني سقيه مع الثور، فلما شرب حمد الله، وحدث بذلك الحاضرين هناك، ثم قال الثور أن الله كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدبا، ولكن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها بالخصب، وذكر أن النبي عليه السلام أمره تبليغ ذلك، وأنه قال له: يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم؟ ، فقال: أن تموت عقيب الإخبار. قال الحاكي: ثم قدم الثور إلى مكان مرتفع فمات، فأخذ أهل تلك القرية من شعره للتبرك، ثم كفن ودفن.

ومنها ما قال بيبرس في تاريخه: جردت إلى الإسكندرية، وكان قد بلغ زين الدين كتبغا قبل سفره إلى الشام أن العربان الذين ببرقة قد عبثوا بالمسلمين، وباعوا منهم جماعة للفرنج، وأن منصور بن روق كان الباعث على بيعهم **بسبب الغلاء الذي** عم تلك البلاد، وأحوج الأباء إلى بيع الأولاد، فوردت إلي مكاتبات العادل بالتوجه إلى برقة ومقاتلة هؤلاء إن كان ما نقل عنهم حق، وجرد الأمير سيف الدين بلبان الحبشي وأصحابه وجماعة من الحلقة، فعزمنا على التوجه إلى الجهة الغربية، وبرز من ثغر الإسكندرية، ونزلنا على تروجة، فبينما نحن عليها نازلون وللرحلة مزمعون، ورد البريد يخبر بخلع زين الدين كتبغا من الدست واستقرار الأمير حسام الدين لاجين المنصوري في الأمر، ورسم لنا بالعود إلى القلعة، فعدنا في أوائل سنة ست وتسعين وستمائة.

ومنها: أنه ولى القضاء بالديار المصرية على الطائفة الشافعية الشيخ تقي الدين محمد بن علي بن أبي العطايا القشيري المعروف بابن دقيق العيد، بعد وفاة القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز، وكانت وفاته في نصف جمادى الأولى، وتولية المذكور في الحادي والعشرين منه.

وفي نزهة الناظر: ولما مات ابن بنت الأعز اتفقت الأمراء والأكابر على تولية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وعرفوا السلطان دينه وعلمه، وأنه قد عرض عليه القضاء قبل ذلك مرارا فلم يقبل، فنزلت إليه الأمراء وسألوه فأجاب إليهم، وهو أول من لبس الصوف من القضاة في السلطنة.

قال المؤرخ: وبلغني من شيخ الحديث فتح الدين بن سيد الناس أن ولد الشيخ قال للشيخ: يا سيدي كيف قبلت الولاية في هذا الوقت وقد كنت تأبى عنها؟ فقال له يا ولدي: وجب ذلك على من وجوه. أحدها:

أنه ليس لي شيء يكفيني للعيال، والثاني: عندي كتب العلم فأحتاج أن أبيع الكتاب الذي يساوي مائة بخمسين درهما. والثالث: لم يبق لتولية القضاء من هو أحق مني بالولاية، فتعين علي.

ولما ولي كتب بخطه لسائر نوابه وهو يحذرهم وينذرهم ويخوفهم من الله، ونسخة الكتاب:." [(١)]

"وفي نزهة الناظر: وكان من الأمراء الكبار الصالحية، قديم الهجرة في الدول، وكان شجاعا مقداما، وله غزوات كثيرة، وإذا عرض غزاة استخدم جماعة من الجند في سبيل الله، وكانت له سعادة ضخمة، وهي من كثرة زراعته، وإن كانت له زراعات في سائر الوجه القبلي والبحري، فإذا وجد مكانا خرسا اشتراه أو استأجره وعمره، وأعطاه الله في الزراعة نصيبا وافرا، واستأجر بلادا كثيرة في الوجه القبلي، وكل مكان يكون له في نشا يعمر فيه جامعا أو مسجدا، وإذا بلغه أمر جامع خراب أو مسجد خراب عمره حتى حصرت الأماكن التي عمرها قريبا من ثلاثمائة مئذنة، واتخذ له أملاكا بمصر، وعمارات على بحر النيل، وعمر بقوص مدرسة للشافعية، ومدرسة على ساحل البحر.

قال المؤرخ: وحكى لي بعض مباشريه في البلاد أن غلاله ومتحصل زراعاته في كل سنة تنيف على مائتى ألف أردب من سائر الحبوب، وعمل في **سنة الغلاء خيرا** كثيرا، وكان يجمع الصعاليك على الخبز والطعام، ويبر الأيتام وأرباب البيوتات، وكان له طبقة عالية في سماع الحديث، وحكى عنه الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس شيخ الحديث أنه سمع عليه الحديث هو وجماعة من أهل الشام حضروا لطلب الحديث في سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وعند غلبة المرض عليه أوصى إلى أولاده أنه إذا توفى يخرجون طلبه وهي على عادتها، فالخيول ملبسه والسناجق منشورة ومماليكه ملبسون على جاري عادتهم عند الخروج إلى الغزاة والعرض بالأطلاب، ولما توفى عرفوا لاجين نائب السلطنة ما أوصى به، فقال لهم: افعلوا ما قال لكم من غير دق النقارات: وصول نائب السلطان وسائر الأمراء من القلعة، وغلقت مصر ذلك اليوم من أول باب مصر إلى دار سكنه بباب القنطرة، وجميع القضاة والفقراء كانوا مشاة في جنازته، وطلبه سائرة معه على الحالة التي يخرج فيها إلى الغزو غير أنه لا تضرب الطبلخاناة والبوقات.

الأمير بدر الدين بيلك المحسني المعروف بأبي شامة.

توفي في هذه السنة، كان متولى الكشف بالوجه القبلي، وكانت له حرمة وصولة ومهابة، وأتلف جماعة كثيرة من المفسدين في الوجه القبلي.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٢٩٨

الأمير بدر الدين لقلق المسعودي، توفى فيها بدمشق.

الأمير علم الدين سنجر المسروري، متولى القاهرة.

توفى في هذه السنة، وكان يعرف بعلم الدين الخياط، لقبه به أستاذه الذي اشتراه، وكان ذا شكل حسن، مهابا مصطنعا للناس بالخير في ولايته، عاقلا محتشما، متعقلا عما يبدو من الفواحش، رضى الأخلاق مع لطف وكرم، وكان له تولع بالشراب واجتماع الندماء اللطاف مثل السراج الوراق وشمس الدين الكحال أبي دانيال ونصر الحمامي، وله مكارم عليهم وقبول شفاعات ينالون بها إلى مقاصدهم، واتفق لهم معه مجاري كثيرة من الهزليات المضحكة يطول شرحها، فمن ذلك أنه شرب معهم في بعض الليالي، وكان ليلة الموكب، فقام من السحر وتوضأ، ولبس ثيابه وأخذ في لف شاشه على كلوتاته، فلما فرغ جعل يدير يده على الشاش ويمشيها، فقال له السراج الوراق: يا خوند ابصرها في التحاريس، فضحك علم الدين وأعجبه هذا القول، فقال: والله يا سراج الدين لقد أحسنت في هذا، وأمر له بعطية، وقد علم أن عادة الخياطين غزو الإبرة في عمامته حتى يجد الإبرة فيأخذها.." (١)

"وبلغ ذلك قازان ، فصعب عليه جدا، فطلب الأمير إسماعيل وأمره أن يأخذ معه جماعة من المغل ويتولى عقوبة أهل دمشق ويستخرج منهم الأموال، فركبوا، ورأى أهل دمشق منهم شدة عظيمة، فجاء قفجق إلى قازان وتلطف به وقال له: يا خوند الأموال لا تستخرج على هذه الحالة، ولكن بالتلطف على الناس. فأجاب إليه، وعين لذلك جماعة – وقد ذكرناهم – حتى جبوا الأموال التي ذكرناها.

قال صاحب النزهة: واستمر الأمر على أهل دمشق من النهب وأخذ الأموال خمسة وأربعين يوما، فإن قازان نزل الغوطة في العشر الأول من ربيع الآخر ورحل منها في منتصف جمادى الأولى، والله أعلم.

ذكر إرسال قازان جماعة من جيشه

ذوي الطغيان إلى الأغوار وبيسان:

ولما وصل قازان إلى دمشق أرسل من عسكره عشرين ألفا مجردين صحبة مولاي وأبشغا وجبجك وهلاجو، فنزلوا بالأغوار وبيسان وشنوا الغارات على تلك البلاد. ونهبوا ما وجدوا من المواشي والأقوات والأزواد، وقتلوا من وقع في أيديهم، وانتهت غاراتهم إلى القدس الشريف والخليل عليه السلام، ووصلوا إلى غزة وقتلوا بجامعها خمسة نفر من المسلمين كانوا به منقطعين، ثم رجعوا إلى الشام وقد عاثوا ونهبوا وسبوا وأسروا جماعات كثيرة، وحصروا قرى كثيرة وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا، ولما وصلوا إلى دمشق – وكان قازان قد

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٠٣

رحل بعسكره – جبى له قبجق من أهل دمشق جباية أخرى لأجل مولاي، وخرج تقي الدين بن تيمية إلى مخيم مولاي، فاجتمع به في مكان، فرأى من معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيرا منهم. وأقام عنده ثلاثة أيام، ثم عاد.

وفي عشية يوم السبت الرابع من رجب: رحل مولاي وأصحابه، وأشمروا عن البلد، وساروا من على عقبة دمر، فعاثوا في تلك النواحي فسادا، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد، ولله الحمد.

ذكر رحيل قازان من الشام

لما مل قازان من الإقامة على الشام هم بالرحيل، وكانت إقامته قدر شهرين، ثم رحل متوجها إلى بلاده في الخامس عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، وكان قد ولى الأمير سيف الدين قفجق النيابة بالبلاد الشامية، والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار البلاد الحلبية والحموية، والأمير سيف الدين إلبكي البلاد الساحلية، ظنا أنه قد صارت الممالك الإسلامية في قبضته وانحازت إلى حوزته، فلم يتم له ما أراد، ولا بلغه الله شيئا من هذا المراد، وأقام بعد رحيله نائبه قطلوشاه مع جمع كثيف من الجيش، فلما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور قرىء بالجامع تقليد الأمير قفجق بنيابة السلطنة بالشام، وتولية الأمير يحيى بن جلال الدين الختني الوزارة.

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين من الشهر: رحل قطلوشاه والعساكر، ففرح الناس بذلك واطمأنت قلوبهم، وخرج الناس إلى جبل الصالحية وإلى الحواضر والمزارع وأظهر الناس ما تخلف من أمتعتهم، وجلسوا في الأسواق وباعوا واشتروا، واشتد الغلاء، فبلغ سعر القمح الغرارة منه بثلاثمائة درهم، ومن الشعير إلى مائتي درهم، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل من اللحم بإثني عشر، والرطل من الجبن بإثني عشر، ومن الزيت بستة. والبيض كل أربعة بدرهم.

وأما الأمير قفجق فإنه لما عاد من وداع قازان ركب الموكب في دمشق والعصابة على رأسه، ونادى فيها برجوع الناس، وآمنهم على أنفسهم.

وكان قد حضر إليه بعض أهل الفساد وضمنوا منه الخمر وبيعه وعين عليه كل يوم ألف درهم وجعل دار ابن جرادة خارج باب توما خمارة وخانة.

وأخذ أموالا أخر من أوقاف المدارس وغيرها، ثم شرع يركب بالعصابة والشاويشية بين يديه، وجهز نحوا من ألف فارس نحو خربة اللصوص ومشى مشي الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة والآراء، وصار كما قال الشاعر:

يا لك من قنبرة بمعمري

خلالك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ثم نهض الشيخ تقي الدين بن تيمية واجتمع بالأمير قفجق وقال له: إن الذي فعلته من ضمان الخمور شنعة كبيرة، وثلمة عظيمة في حق الإسلام، واستاذنه في إبطاله، فأذن له، وخرج بنفسه وأراق ظروف الخمر جميعها.." (١)

"وكان الموجب لذلك أن هذا الأمير لما طلب من بين الأسراء كان قد حصل بينه وبين أحد منهم كلام أوجب التباغض بينهما، اجتمع بمشد الأمراء وعرفه أن له نصيحة يريد أن يبديها للسلطان، فعرف المشد بذلك للأمراء وبلغوا السلطان فطلبه، فلما حضر قال: إن هذا الأسير الذي شفع فيه صاحب برشونة وأجاب إليه السلطان ابن ملك كبير في البلاد، وله مال عظيم، ولو طلب السلطان منه ملء مركب ذهبا أعطاه وأعطى أضعافه. فقيل له: كيف أصل أسر هذا وما جرى عليه؟ فقال: هذا كان قد حضر بمركب تجارة إلى مدينة طرابلس وأخذ منها متجرا عظيما، وتردد إليها مرات، وكان يتردد أيضا إلى جزيرة أرواد لما كانت عامرة، وجعل له فيها حواصل كثيرة، ولما أخذت جزيرة أرواد واستولى عليها المسلمون كان هو مقيما فيها، وأخذ مع جملة الأسراء وقال: أنا أعرف بلده وأعرف أباه وأمه وما هو عليه من الدنيا الواسعة وأنا أسرت معه، وتم الأمر علينا إلى هذه الأيام، ولما بلغ والده أن ابنه في قيد الحياة وأنه أسير عندكم، فتحيل ودخل على صاحب برشونة وقدم له هدية عظيمة، وهو الذي أقام بجميع ما جهزه إلى السلطان من عنده ما قيمته أربعون ألف دينار، وكتب صاحب برشونة إلى السلطان بسبب الكنائس وما كان قصده إلا خلاص هذا الأسير، وإنما جعل ذكر الكنائس حجة وسلما إلى وصول قصدهم.

فعند ذلك كتب بطائق إلى متولي الإسكندرية، وسيروا بعدها البريد، فسبقت البطاقة، وأراد الله عز وجل أن لا يبلغهم آمالهم، وفسدت الريح إلى أن أدركهم الأمر، فركب متولي إسكندرية في الحال وأخذ الأسير منهم وأعاده للقيد، وسيره صحبة البريد إلى مصر، وعرف رسول صاحب برشونة أن السلطان علم خبر هذا الأسير ورسم أن يرجع إلى مكانه، وسافروا أنتم، فلم يمكنهم الكلام بعد ذلك، وعلموا أن الذي جاءوا بسببه لم يتم لهم، وخشيوا عاقبة أمرهم، فأقلعوا من وقتهم وسافروا.

ولما بعدوا عن إسكندرية تشاوروا فيما بينهم في أمر الرسول الذي معهم من جهة السلطان، فاتفقوا على أن

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٦١

يأخذوا جميع ما معه من جهة السلطان، ثم يقتلوه ويسافروا، فتصدى شخص من عقلائهم فقال: قتل الرسول ليس بجيد وأيضا إذا قتلناه نخشى عاقبة ذلك، وربما يصعب ذلك على الملك أيضا، وصاحب مصر لا يعاند، فعند ذلك اقتضى رأيهم أن يأخذوا جميع ما معه ويردوه إلى إسكندرية، ولما انتظم الأمر بينهم على ذلك قاموا إليه وأخذوه وحده ووضعوه في قارب، وكان رجلا ضخما وقالوا له: رح إلى مكان جئت منه، فلو كان قتل الرسول جائزا لقتلناك ورميناك في البحر، فسألهم أن يردوا عليه شيئا من ماله فإنه أخذه بالدين، فأبوا أن يردوا عليه شيئا، وقالوا: هذا بعض ما جبناه إلى ملككم، وأقلعوا، ورجع هو بالقارب إلى الإسكندرية وليس معه سوى ما عليه من القماش، فجهزه متولي الإسكندرية إلى القاهرة، وكتب إلى السلطان وعرفه بخبره، ولما وصل إلى مصر دخل إلى الأمراء وشكى حاله فقال: إني تداينت أموالا كثيرة على ذمتي وأخذ جميعها، وبكى بين أيديهم، فكان جواب سلار: نحن سيرنا رسولا ما سيرنا تاجرا، وأرسلوا إلى متولي الإسكندرية وأمروا له بأن يحتاط على من عنده من الإفرنج التجار وغيرهم من برشونة، وإن لم يكن عنده أحد منهم يترقب حضورهم، فإذا حضر أحد منهم يعرف الأبواب الشريفة بذلك.

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

منها: أنه ولد للملك الناصر ولد من زوجته أردكين خاتون بنت الأمير سيف الدين نوكيه السلحدار الظاهري، وسماه عليا ولقبه علاء الدين، ثم لقب بعد ذلك بالملك المنصور، وكانت هي زوجة أخيه الملك الأشرف رحمه الله.

وقال صاحب النزهة: وعملت له الأمراء مهما كبيرا وفرحوا به، وقصد السلطان أن يقيم عنده المغاني سبعة أيام فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعملوه يوما واحدا.

ومنها: أنه ارتفع سعر الغلال بالديار المصرية فبلغ الأردب من القمح إلى أربعين درهما فما فوقها، ثم أخذ في الانحطاط.

ومنها: أنه وقع الموتان في الحيوان بحلب والشام وأعمالها، فقيل إن الذي نفق منها يناهز ثمانين ألف رأس.

قال بيبرس: ووصلت **ريح الوباء التي** أصابتها إلى الديار المصرية، فنفق من خيول العسكر شيء عظيم.." (١)

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٤٤٣

"وحصل للحاج في هذه النوبة أمر لم يعهد بمثله، لأنهم كانوا ثلاث ركوب، ومن حين خرجوا من مصر لم يجد أحد ماء يروي دوابه إلى العقبة، وعند نزولهم إلى العقبة قل الواصل، وتحسن الشعير، وبيع الأردب من الشعير بخمسين درهما، وتم الأمر على ذلك وهم يرجون وصول المراكب إلى ينبع من مراكب الأمراء والتجار، فلم يصل شيء، وغرقت مراكب كثيرة، فتخبطت أحوال الناس، وغلت الأسعار، ثم عند رحيلهم إلى وادي النار لفح الناس هؤلاء بسموم، فهلك خلق كثير، ونشفت قربهم حتى صارت كالقد من اليبس، ولم يجدوا في الوجه ماء إلا قليلا، ولفح الناس هواء أيضا، فكان الركاب يقعون من الجمال موتى، وأما المشاة فإن أكثرهم ماتوا، وبعضهم انقطعوا، وهرب المقومون، وقاست الناس شدة عظيمة، وتاه ركب الأمير يعقوب بدليله، فانقطعت منه جماعة كثيرة وماتوا، **واشتد الغلاء إلى** أن بيعت الويبة من الشعير بأربعين درهما، والبقسماطة بإثني عشر درهما، وكانت سنة شديدة، وسمت الناس تلك السنة سنة راعم، وبلغ الخبر مع المبشرين إلى الأمير سيف الدين سلار وبقية الأمراء، فجهزوا للحاج من الأمراء ولغيرهم الإقامات والجمال بالأحمال، واستقبلوا الحاج بالشعير إلى قريب ينبع بجمال العرب، وبالدقيق وغيره إلى عيون القصب وعقبة، وأرسلوا إلى نائب غزة أن يجلب للناس الزيت والعسل وغير ذلك، فألزم نائب غزة تجارا كثيرين بذلك، وحضرت أيضا جماعة إلى العقبة من الكرك والشوبك ومعهم أصناف كثيرة، وحصل للناس بذلك رفق عظيم.

وفيها: كان وفاء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا.

وفيها: حج بالناس عز الدين أيبك الخزندار المنصوري أمير الركب المصري كما ذكرناه، وحج بالركب الشامي الأمير ركن الدين بيبرس المعروف بجالق، ومعه سيف الدين جوبان المنصوري.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن الحسن بن شرف بن الخضر ابن موسى الدمياطي، شيخ الحديث بمدرستي الظاهر والمنصور ببين القصرين.

وكان إماما في وقته، صدرا في طبقته، مات فيها بالقاهرة، ودفن بباب النصر.

وقال ابن كثير: ولم يزل في إسماع الحديث دائما إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء، فغشي عليه وحمل إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد الخامس عشر من ذي القعدة، وكان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان جمع معجما لمشايخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والفرات ومصر يزيدون على ألف وثلاثين شيخا، وهو عندي بخطه رحمه الله.

وذكر بعضهم وفاته في السنة الآتية، وكان يخرج بالحافظ زكي الدين المنذري، وروى عنه المزي والذهبي وخلق، وكان مولده بتونه، قرية من أعمال تنيس، ونشأ بدمياط، ومات وله اثنان وتسعون سنة.

الشيخ المحدث الصالح نور الدين علي بن مسعود بن نفيس الموصلي، ثم الحلبي.

مات بالمارستان الصغير بدمشق، ودفن بسفح قاسيون، وكان رجلا صالحا من المشهورين بطلب الحديث وكتابته وقراءته عن نحو خمسين سنة، روى عن ابن رواحة، وأصحاب البوصيري، وأصحاب الخشوعي، وغيرهم.

الشيخ الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي بن عمر، المعروف بالعراقي.

كان عالما كثير الفضائل، شافعي المذهب، جاوز الثمانين، مات في هذه السنة، وولى مكانه بالقبة المنصورية الشيخ عز الدين النمراوي.

الشيخ الكبير المعمر ركن الدين أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم المقرىء، القزويني، الصوفي، الطاوسي.

مات بالشميساطية، ودفن بقابر الصوفية، وكان يذكر أن مولده في شعبان سنة إحدى وستمائة، وكانت وفاته في سابع جمادى الأولى منها.

الشيخ أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني.

مات بمكة في المحرم منها، وكان شيخا صالحا من بيت الصلاح والحديث، أسمعه أبوه بمكة على مشايخها والواردين إليها شيئا كثيرا، وكان عنده فضيلة في علم الحديث، وكان شيخ الحديث بمكة، روى عن ابن الجميزي وغيره.

الشيخ العالم نجم الدين عمر بن أبي القاسم بن أبي الطيب.

مات بداره داخل باب الفرج، ودفن بمقبرة باب الصغير، وكان رجلا جيدا، مشكورا في ولاياته، باشر نظر المارستان النوري، ونظر ديوان الخزندار، صاحب حماة، ونظر الخزانة، ووكالة بيت المال، وكان مدرسا بالكروسية نحو أربعين سنة، وسمع الحديث من الجمال العسقلاني، وغيره.." (١)

"تعالى ما فعله بالمسلمين ورأى قبل موته في نفسه العبر والهوان والذل ما لا يعبر عنه ثم ضرب هولاكو عنق بانجونوين لأنه قيل عنه أنه كاتب الخليفة وهو في الجانب الغربي وأما الخليفة فقتل ولكن لم يتحقق كيفية قتلته فقيل أنه خنق وقيل رفس إلى أن مات وقيل غرق وقيل لف في بساط فغطس والله أعلم بحقيقة الحال، ونعود إلى أخبار الشام ومصر كنا ذكرنا أن العساكر المصرية نزلوا حول العباسة لما بلغهم

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٤٦٣

اجتماع البحرية وبعض أمراء مصر مع الملك المغيث ولما جاءهم الخبر بمحاصرة التتر لبغداد كتبوا بذلك إلى الديار المصرية وتقدموا بأن يدعى للمسلمين بالنصر فأمر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله الأئمة والخطباء أن يقنتوا في الصلوات الخمس ثم ورد الخبر أن بغداد ملكت فاشتد أسف المسلمين وحزنهم.الى ما فعله بالمسلمين ورأى قبل موته في نفسه العبر والهوان والذل ما لا يعبر عنه ثم ضرب هولاكو عنق بانجونوين لأنه قيل عنه أنه كاتب الخليفة وهو في الجانب الغربي وأما الخليفة فقتل ولكن لم يتحقق كيفية قتلته فقيل أنه خنق وقيل رفس إلى أن مات وقيل غرق وقيل لف في بساط فغطس والله أعلم بحقيقة الحال، ونعود إلى أخبار الشام ومصر كنا ذكرنا أن العساكر المصرية نزلوا حول العباسة لما بلغهم اجتماع البحرية وبعض أمراء مصر مع الملك المغيث ولما جاءهم الخبر بمحاصرة التتر لبغداد كتبوا بذلك إلى الديار المصرية وتقدموا بأن يدعى للمسلمين بالنصر فأمر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله الأئمة والخطباء أن يقنتوا في الصلوات الخمس ثم ورد الخبر أن بغداد ملكت فاشتد أسف المسلمين وحزنهم.

ذكر الوقعة بين الملك المغيث وعسكر مصر

لما تكامل العسكر مع الملك المغيث دخل بهم إلى الرمل والتقى بعسكر المصريين فكانت الكسرة على المغيث ومن معه وقبض يومئذ على عز الدين ايبك الرومي وعز الدين ايبك الحموي الكبير وركن الدين الصرفي وبن أطلس خان الخوارزمي وأحضروا بين يدي الأمير سيف الدين قطز الغتمي وبهادر المعزية فأمروا بضرب أعناقهم فضربت وحملت رؤوسهم إلى القاهرة وعلقت بباب زويلة ثم أنزلت من يومها ودفنت لما أنكر على المعزية هذا الفعل الشنيع وهرب الملك المغيث والصوابي بدر الدين والأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ومن معهم ووصلوا الكرك في أسوأ حال ونهب ما كان معهم من الثقل ودهليز الملك المغيث ودخل العسكر القاهرة بما حازوه وزين لذلك البلدان وكان المصاف يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ربيع الآخر.

ذكر ما تجدد للتتر بعد أخذ بغداد

لما ملكوها نادوا بالأمان لأهل العراق كلهم وولوا في ولاتهم وكان الوزير ابن العلقمي قد أطمعته نفسه بأن الأمور تكون مفوضة إليه وكان قد عزم على أن يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفة فاطميا فلم يتم له ذلك واطرحه التتر وبقي معهم على صورة بعض الغلمان فمات بعد قرب كمدا وندم حيث لا ينفعه الندم ولقاه الله فعله ورحل التترعن بغداد إلى بلاد اذربيجان ثم رحل إليهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والشريف

تاج الدين بن صلايا صاحب أربل فأكرم بدر الدين ورده إلى بلاده وأما ابن صلايا فقتل وقد ذكر والله اعلم أن بدر الدين لؤلؤ قال لهولاكو هذا شريف علوي وربما نطاول أن يكون خليفة ويبايعه على ذلك خلق عظيم فتقدم هولاكو لقتله ولما رجع بدر الدين إلى الموصل لم يطل مقامه - ٤٣ب - وبها توفي.

وفيها قصد التتر ميافارقين فنازلوها وحصروها وكان المتولي لحصرها اشموط بن هولاكو وكان صاحبها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل قد قصد الملك الناصر صلاح الدين يوسف مستنجدا به على التتر فوعده بذلك ولم يتمكن من إنجاده وفيها وردت رسل التتر إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوصلهم منه جملة كثيرة من المال.

وفيها **اشتد الوباء بالشام** وفني من أهل دمشق خلق لا يحصى وعزت الفراريج وغيرها مما يستعمل المرضى وبيع الرطل الدمشقي من التمر الهندي بستين درهما والحزة من البطيخ الأخضر بدرهم.

ذكر ما تجدد للبحرية بعد كسرتهم بمصر." (١)

"فأفرج الملك المغيث عنه وتوجه إلى دمشق ونزل بالبويضاء شرقي دمشق وأقام بها يتجهز لنصرة الخليفة وقصر الصلاة مدة إقامته بالبويضاء وتواترت الأخبار بمضايقة التتر بغداد فأشار عله جماعة من أصحابه أن يتأنى في الحركة فقال إني قد بعت نفسي من الله تعالى وما توجهي لطلب دنيا وإنما مقصودي أن أبذل نفسي في سبيل الله لعل الله تعالى يجعل على يدي نفعا للمسلمين - ٩٠ب - أو تحصل لي الشهادة في سبيله وبينما هو على هذه النية وردت الأخبار بأن التتر ملكوا بغداد وشاع أيضا خبر لا حقيقة له وهو أن الخليفة لحق بالعرب فقال لا بد لي من اللحاق به فله في عنقي بيعة وقد لزمني الوصول إليه وأخذ بغداد منه لا يسقط وجوب اتباع أمره والذي يخشاه الناس القتل وأنا لا أخشاه وعرض في هذه السنة عم الشام وديار مصر وغيرها وحكى عبد الله بن فضل أحد من كان في خدمته قال لما **اشتد الوباء والطاعون** عقيب أخذ التتر بغداد تسخطنا به فقال لنا الملك الناصر لا تتسخطوا به فإن الطاعون لما وقع بعمواس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بعض الناس هذا وجه هذا الطاعون الذي بعث على بني إسرائيل فبلغ ذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه فقام في الناس خطيبا وقال أيها الناس لا تجعلوا دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم ورحمة ربكم عذابا وتزعمون أن الطاعون هو الطوفان الذي بعث على بني اسرئيل إن الطاعون رحمة ربكم رحمكم بها ودعوة من نبيكم لكم اللهم أدخل على معاذ منه النصيب الأوفى قال ثم افيض علينا موت معاذ وابنه وأهل بيته بالطاعون ثم ابتهل وقال اللهم اجعلنا منهم وارزقنا ما رزقتهم وأصبح

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٣٣/١

من الغد أو بعده مطعونا فلما سمعت بمرضه جئت إليه وهو يشكو ألما مثل الطعن بالسيف في جنبه الأيسر بحيث يمنعه من الأضطجاع وحكى ولده شهاب الدين غازي عنه أنه نام بين الصلاتين ثم انتبه فقال إني رأيت جنبي الأيسر يقول لجنبي الأيمن أنا قد جاءت نوبتي والليلة نوبتك فاصبر كما صبرت فلما كان عشية النهار شكى ألما خفيفا تحت جنبه الأيمن وأخذ في التزايد وتحققنا أن ذلك الطاعون فبينما أنا عنده بين الصلاتين وقد سقطت قواه إذ أخذته سنة فانتبه وفرائصه ترتعد فأشار إلي فدنوت منه فقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والخضر عليه السلام قد جاءا إلى عندي ثم انصرفا فلما كان آخر النهار قال ما في رجاء فتهيئ في تجهيزي فبكيت وبكى الحاضرون فقال لا تكن إلا رجلا ولا تعمل عمل النساء ولا تغير هيئتك وأوصاني بأهله وأولاده ثم اشتد به الضعف ليلا وقمت في حاجة فحدثني بعض من كان عنده من أهله أنه افاق مرعوبا وقال بالله تقدموا إلى جانبي فإني أجد وحشة فسئل لما ذلك فقال أرى صفا عن يميني - ٩١ب - وصورهم جميلة وعليهم ثياب حسنة وصفا عن يساري وصورهم قبيحة فيهم أبدان بلا رؤوس وهؤلاء يطلبوني وهؤلاء يطلبوني وأنا أريد أن أروح إلى أهل اليمين وكلما قال لي أهل الشمال مقالتهم قلت ما أجيئ إليكم خلوني من أيديكم ثم أغفى إغفاءة ثم استيقظ وقال الحمد لله خلصت منهم وكانت وفاته رحمه الله تعالى صباح تلك الليلة وهي ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى هذه السنة وعمره نحو ثلاث وخمسين وقد استولى عليه الشيب استيلاء كثيرا وفي صبيحة موته جاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله في أقاربه وعساكره إلى البويضاء وأظهر التأسف والحزن عليه ورأى على بعض أقاربه ملبوسا ملونا فأنكر عليه ذلك غاية الإنكار وقال هذا يوم تلبس فيه هذه الثياب وقد مات كبيرنا وشيخنا وأجلنا قدرا ومكانة ثم حمل إلى الصالحية فدفن هناك في تربة والده الملك المعظم رحمهما الله تعالى وكانت والدة الملك الناصر داود رحمه الله تعالى أم ولد خوارزميه وعمرت بعد وفاته دهرا حكى لي عز الدين محمد بن أبي الهيجاء رحمه الله ما معناه أنه قال خرج الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله إلى البويضاء؟ لشهود جنازة الملك الناصر داود رحمه الله وكنت في من خرج في خدمته فلما وصل السلطان خرجت والدة الملك الناصر داود حاسرة وقالت اشتفيت بولدي أو هذا معناه من كلام النساء في حال الحزن وسفههن فقال الملك الناصر يا مرة مسلمة والله لقد عز علي فقده وتألمت لوفاته وهو ابن عمي وقطعة من لحمي فكيف تقولين هذا القول ثم قعد وتأسف عليه وبكى ولم يتأثر لمقالها وعذرها لما نزل بها ولم يحضر أحد من." (١)

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٦٨/١

"يكونوا يأمنون سطوته ولا يقدرون على الاحتراز من كل ما ينتقده عليهم ويؤاخذهم به فإنه كان يؤاخذ على أيسر هفوة بأعظم عقوبة ولم يكن في خلقه الميل إلى أحد من أصحابه ولا أهله ولا أولاده ولا المحبة لهم والحنو عليهم على ما جرت به العادة وكان يلازم في خلواته ومجالس أنسه من الناموس ما يلازمه إذا كان جالسا في دست السلطنة وكان عفيف الذيل طاهر اللسان قليل الفحش في حال غضبه ينتقم بالفعل لا بالقول رحمه الله وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ونعود إليه إن شاء الله تعالى.ونوا يأمنون سطوته ولا يقدرون على الاحتراز من كل ما ينتقده عليهم ويؤاخذهم به فإنه كان يؤاخذ على أيسر هفوة بأعظم عقوبة ولم يكن في خلقه الميل إلى أحد من أصحابه ولا أهله ولا أولاده ولا المحبة لهم والحنو عليهم على ما جرت به العادة وكان يلازم في خلواته ومجالس أنسه من الناموس ما يلازمه إذا كان جالسا في دست السلطنة وكان عفيف الذيل طاهر اللسان قليل الفحش في حال غضبه ينتقم بالفعل لا بالقول رحمه الله وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ونعود إليه إن شاء الله تعالى.

وأما بهاء الدين زهير رحمه الله فاتصل بعد موت الملك الصالح بخدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله وله فيها مدايح حسنة يتضمنها ديوانه ثم فارقه ورجع إلى الديار المصرية ولزم بيته يبيع كتبه وموجوده وينفقه وانكشف حاله بالكلية ولما عرض **بالبلاد الوباء العام** عقيب أخذ التتر بغداد مرض أياما ثم توفي إلى رحمة الله تعالى قبل المغرب من يوم الأحد رابع ذي القعدة وقيل خامسه هذه السنة عن خمس وسبعين سنة غير شهر واحد ودفن بالقرافة الصغرى وفضيلته أشهر من أن تحتاج إلى الأطناب في ذكرها وأما مروئته وكرم طباعه وعصبيته لكل من يلوذ به ويقصده فذلك أمر مشهور وكان في أول أمره كاتبا عند المكرم بن اللمطي متولي قوص والصعيد في الأيام الكاملية وله فيها مدايح حسنة منها من قصيدة:

يا منسك المعروف احرم منطقي ... زمنا وقد لباك من ميقاته

هذا زهيرك لا زهير مزينة ... وافاك لا هرما على علاته

دعه وحولياته ثم استمع ... لزهير عصرك حسن ليلياه

لو أنشدت في آل جفنة اضربوا ... عن ذكر حسان وعن جفناته

قلت وهذه الأبيات قد يقف عليها من لا يعرف مقصوده فيها فينبغي أن نشرح ما ينبهم على بعض الناس منها قوله: زهير مزينة يعني زهير بن أبي سلمى المزني وكان يمدح كثيرا هرم بن سنان المدايح المشهورة وكان زهير أحد الشعراء الأربعة الذين فضلوا في الجاهلية على سائر الشعراء زهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب وامرؤ القيس إذا ركب وكان هرم الدين سنان من المشهورين بالكرم وقوله: دعه وحولياته

يعني بها القصائد التي كان زهير المزني ينظمها في سنة فقصد زهير هذا ما ينظمه في ليلة على ما كان ينظمه زهير في سنة وهذا على سبيل التجوز واللغة على ع،دة الشعراء لا الحقيقة فإن بهاء الدين لم يكن ممن يغالط نفسه وسره أنه أجود شعرا من زهير بن ابي سلمى، وقوله لا هرما على علاته يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى رحمه الله.

من يلق يوما على علاته هرما ... يلق السماحة والندى خلقا

معناه أن يلقه عديم المال والجدة يلقه سمحا خلقا لا تحلقا فكيف إذا لقيه على غير تلك الحال، وقوله: لو أنشد ت في آل جفنة البيت معناه أن حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه كان يمدح آل جفنة ملوك الشام القصائد المشهورة ويذكر عظم جفانهم على ما كانت العرب تمدح به في ذلك الزمان فأراد بهاء الدين بهذا البيت لو سمع آل جفنة شعره لأعرضوا عن حسان ووصفه جنفاتهم هذا خطر لي في معنى البيت ثم وثق بعض الفضلاء على ذلك فقال إنما أراد بقوله اضربوا عن ذكر حسان وعن جفناته إشارة إلى قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ورثنا بني العنق،ء وابني محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا أبنما

وهو الصواب إن شاء الله تعالى.." (١)

"محمد بن غازي بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذى أبو المعالي الملك الكامل ناصر الدين صاحب ميافارقين وتلك البلاد ملك في سنة اثنتين وأربعين وستمائة عقيب وفاة والده الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل وكان أولا يداري التتر فلما خبر باطن أمرهم وأن المداراة لا تفيد معهم انجذب منهم فلما علم أنهم على عزم قصده قدم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله بدمشق مستغيثا ومستنجدا على التتر فوعده بالنجدة بعد أن أكرمه غاية الإكرام وقدم له من التحف والخيول وغيرها ما يجل مقداره وعاد الملك الكامل إلى ميافارقين ولم يمكن الملك الناصر إنجاده لما رأى من تخاذل أصحابه وضعف قلوبهم عن مقابلة التتر لكثرتهم ولأنه لم يتفق إلى تلك الغاية من انتصف منهم وقد ملكوا العراق والعجم والروم وغير ذلك من الأقاليم والبلاد وسير هولاكو أشموط لمحاصرة الملك الكامل فحصره حصرا شديدا وبقي الملك ،لكامل رحمه الله مجاهدا للتتر صابرا لقتالهم حتى فني أكثر أهل ميافارقين وعمهم الموت قتلا وفناء **لكثرة الغلاء وعدم** الأقوات وبقي محصورا دون سنتين فعند ذلك ضعفت القوى عن

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٧٣/١

محاربة العدو فاستولوا على ميافارقين واستشهد الملك الكامل قدس الله روحه وحمل رأسه على رمح وطيف به في البلاد فوصلوا به إلى حلب ثم إلى حماة وحمص وبعلبك وشاهدته رحمه الله وهو يطاف به بمدينة بعلبك ثم وصلوا به إلى دمشق يوم الاثنين سابع وعشرين جمادى الأولى وطافوا به بالمغاني والطبول ثم علق الرأس بسور باب الفراديس فلم يزل معلقا في شبكة إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين فدفن بمشهد الرأس داخل باب الفراديس وقد ذكرنا كيفية دفنه وما قيل في ذلك فأغنى عن إعادته.

وكان رحمه الله ملكا جليلا دينا خيرا عادلا عالما محسنا إلى رعيته وسائر من في خدمته كثير التعبد والخشوع لم يكن في البيت الأيوبي من يضاهيه في ديانته وحسن طريقته رحمه الله ورضي عنه وكان التتار قد استولوا على جميع بلاده ومعاقله ومعظم أولاده وحرمه وأهله وهو محصور بميافارقين ثم ختم له بالشهادة على هذا الوجه الجميل بعد أن أفنى في مدة الحصار من التتار ما لا يحصى كثرة رحمه الله تعالى.." (١)

"أولها يوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول دخلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة حرسها الله تعالى نجم الدين أبو نمى بن أبي أسعد بن علي بن قتادة الحسني وعمه إدريس بن علي بن قتادة ومكة بينهما بالسوية وصاحب المدينة الشريفة صلوات الله وسلامه على ساكنها الأمير عز الدين جماز بن شيحة الحسيني وصاحب دمشق وبعلبك وبانياس والصبيبة الأمير علم الدين الحلبي الملقب بالملك المجاهد وصاحب الديار المصرية ومعظم الشام السلطان الملك الظاهر والمستولي على حلب وأعمالها الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار وهو في طاعة الملك الظاهر وصاحب الموصل الملك الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ وصاحب جزيرة ابن عمر أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين إيلغازي بن أرتق وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أرسلان بن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن علاء الدين السلجوقي وأخوه عز الدين كيكاووس والبلاد بينهما مناصفة وصاحب صهيون وبرزية مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن الملك الكامل وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود، وصاحب حمص وتدمر والرحبة الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى والمستولي على حصون الإسماعيلية الثمانية التي بالشام من أعمال حلب رضي الدين أبو المعالي ابن أبي المنصور ونجم الدين إسماعيل

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/١٨٥

الشعراني وصاحب مراكش أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف ويلقب بالمرتضى، وصاحب تونس أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن أبي محمد بن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى، و صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر، وصاحب ظفار موسى بن إدريس بن محمود بن محمد الحضرمي وصاحب دلى ناصر الدين محمود بن شمس الدين ايلتمش وصاحب كرمان تركان خاتون زوجة الحاجب براق وولدا قطب الدين براخمه وصاحب بلاد فارس أبو بكر بن أتابك سعد بن زنكى ابن دكلا.

متجددات الأحوال في هذه السنة

في المحرم منا جاء الخبر إلى دمشق بحفل أهل حلب وما والاها وسبب ذلك تجمع التتار الذين كانوا بحران وغيرها من بلاد الجزيرة وانضم إليهم من سلم من كسرة عين جالوت وضعفوا **لشدة الغلاء عندهم** فألجأتهم الضرورة إلى الغارة على بلد حلب فأجفل الناس من بين أيديهم.

وفيها في أوائل المحرم كانت كسرة التتار على حمص وكانوا في ستة آلاف فارس فلما وصلوا حمص وجدوا عليها الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي ومن معه والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حمص في ألف وأربعمائة فارس فحملوا على التتار حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب بيدرة في نفر يسير وأتى القتل على معظمهم وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما عاد فل التتار إلى حلب أخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق إلا من اختفى خوفا على نفسه ثم نادوا من كان من أهل حلب فليعتزل فاختلط على الناس أمرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغرباء مع أهل حلب جماعة من أقارب الملك الناصر رحمه الله ثم عدوا من بقي من أهل حلب وسلموا كل طائفة منهم إلى رجل من الأكابر ضمنوهم له ثم أذنوا لهم في العود إلى البلد وأحاطوا بها ولم يمكنوا أحدا من الخروج منها ولا من الدخول إليها أربعة أشهر فغلت الأسعار وبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلاثين درهما ورطل اللبن خمسة عشرة درهما ورطل الشيرج سبعين درهما ورطل الأرز عشرين درهما ورطل حب الرمان ثلاثين درهما ورطل السكر خمسين درهما والحلواء كذلك ورطل العسل ثلاثين درهما ورطل الشراب ستين درهما والجدي الرضيع أربعين درهما والدجاجة خمسة دراهم والبيضة درهما ونصفا والبصلة نصف درهم والحسك نصف درهم وباقة البصل درهما والبطيخة أربعين درهما والتفاحة خمسة دراهم حتى أكلت الميتة من شدة الغلاء.." (١)

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/١٩١

"وفي شهر ذي الحجة ظهر باب بين القصرين عند الركن المخلق بالقرب من رحبة العيد بالقاهرة وفيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فجددت عمارته وهو الآن يعرف بمعبد موسى صلى الله عليه وسلم.

ذكر رسل الملك الظاهر إلى السلطان عز الدين

صاحب الروم

لما بلغ الملك الظاهر خلف السلطان عز الدين لأخيه السلطان ركن الدين وخروجه عن بلاده وانحيازه إلى أنطاكية بعث إليه عماد الدين عبد الرحيم الهاشمي والأمير شرف الدين الجاكي فوافياه بإنطاكية فأنهيا إليه رسالة الملك الظاهر ومضمونها تثبيت جنانه وترغيبه في انحيازه إليه ليعاضده ويساعده بخيله ورجله ويبذل نفسه لقصد البلاد الرومية حتى يتسخلصها كلها له فاعتذر بأعذار ظهر فيها التلوم والتوقف والتأني والتأفف ووعدانه متى لم يستتب له حال وضايقته التتر لم يكن له إلا حرم السلطان ملجأ ففارقاه على ذلك وعادا ثم اختل حاله وتلاشت أموره بمضايقة التتر بلاده وذلك أنه لما خرج عنها وقصد أنطاكية قصد التتر نائبه الأمير شمس الدين أرتاش البكلربكي مع مقدمهم على جق نوين فهزموا عسكره وقتلوه واستولوا على ما كان بيده من البلاد خلا بلاد أوج فلم ير السلطان عز الدين بدا من قصد الأشكرى فلما وصل إليه سأله المساعدة فوعده وسوفه فتقاضاه فقال مبعدا له أن تنصرت أزوجتك ابنة أختي وساعدتك على عدوك فهم أن يفعل ذلك ليبلغ غرضه من نصرته على أخيه فأشار عليه من معه أن لا تفعل فإنه متى فعل ذلك نفرت قلوب من معه من الجند وخذلوه فأمسك وتغير باطن الأشكري عليه فبعث إليه مخادعا له أنه قد ظهر لي رأي في معونتك ولا بد من الاجتماع بك فخرج من قسطنطينية فمر في طريقه على قلعة فنزل جانبيها منها وقبض عليه بوصية تقدمت من الأشكري فلم يزل محبوسا إلى أن أغارت طائفة من أصحاب بركة على أطراف بلاد الأشكري وحاصروا القلقة التي فيها السلطان عز الدين فوقع الاتفاق بينهم على أنهم إن سلموه لهم يرحلوا عنها فسلموه إليهم فانطلقوا به إلى بركة.

ذكر الخلف الواقع بين هولاكو وبركة

قال عز الدين محمد بن شداد رحمه الله حكى لي علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي قال أخذت أسيرا من بغداد لما أخذتها التتر وكنت معهم مختلطا بهم مطلعا على أخبارهم فلما كانت سنة ستين ورد من عند بركة رسولان أحدهما يدعى بلاغا والآخر طظر برسالة مضمونها ما جرت به العادة من حمل ما كان يحمل إلى بيت باتو مما يفتح من البلاد وكانت العادة أن جميع ما يحصل في البلاد التي يملكونها ويستولون

عليها من نهر جيحون مغربا يقسم خمسة أقسام قسمان لا لقان وهو الملك الأعظم وقسمان للعسكر وقسم لبيت باتو فلما مات باتو وجلس بركة على التخت بدلا منه لم يوصل إليه هولاكو مما أخذه من العراق ولا من الشام شيئا مما كان يوصله إلى باتو ولما بعث بركة رسله بعث معهم سحرة ليفسدوا سحرة هولاكو وكان عند هولاكو ساحر يسمى تكتا فأعطوه هدية أرسلها بركة إليه معهم فلما وصلت الرسل بعث إليهم هولاكو من يخدمهم وساحرة من الخطا يتسمى كمشتا لتطلعه على أحوالهم فتعرفت أحوالهم وأخبرته فقبض عليهم وحبسهم في قلعة تلاثم قتلهم بعد خمسة عشر يوما وقتل ساحره تكتا معهم فلما بلغ بركة ذلك أظهر العداوة وبعث رسله إلى الملك الظاهر يحرضه على اجتماع الكلمة على قتاله وسيأتي إن شاء الله.

وفي هذه السنة بعث هولاكو إلى مقدم عسكر المغل بالروم يأمره بقتل من ارتاب منه من التركمان فقصد طائفة منهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكان هذا سبب انحياز بقيتهم إلى الشام.

وفيها **اشتد الغلاء بالشام** فأبيع الرطل اللحم بالدمشقي بستة دراهم وبسبعة دراهم والغرارة القمح بأربع مائة وخمسين درهما والشعير بمائتي وخمسين درهما والمكوك القمح بحماة وبحلب بأربعمائة درهم واللحم الرطل بالحلبي بثمانية دراهم ورطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم **اشتد الغلاء في** جميع الأصناف ومات خلق كثير من الجوع بحلب وحماة وغيرهما.." (١)

"ومن غريب ما حكى أن شخصا من المسلمين دخل عسكرهم ومعه فرس يقصد بيعه عليهم فمر بشخص في خيمة وبين يديه جماعة غلمان فطلبه إليه وقال له بلسان ترجمانه تبيع هذا الفرس قال نعم فقال لغلامه خذه منه فأخذه وأحضر جرابين ملآنة دراهم ففرغها بين يديه وقال له خذ ثمن فرسك قال ما الذي آخذ قال خذ ما تختار إلى أن ترضى، فأخذت قريب خمسة آلاف درهم ولعل فرسه لا يساوي ثماني مائة درهم فقال رضيت قال نعم قال اذهب بمالك فلما أبعد رده وقال له نحن قد خرجنا من هذا البحر ومعنا دراهم كثيرة وذهب كثير ما لنا به حاجة وما معنا خيل ونحن محتاجون إلى الخيل فمن أحضر إلينا فرسا حكمناه في الثمن كما رأيت فخرج ذلك الرجل من عندهم، وأشهر هذا الأمر بين العربان والتركمان وغيرهم فجلب إليهم من الخيول بهذه الطريق فوق حاجتهم واشتروها بما اختاروا من الثمن فإن الخروج من عسكرهم بفرس خطر جدا والدخول أسهل فما يبقى بعد الدخول بالفرس إلى عسكرهم إلا بيعه ولو بأقل الأثمان، ولما كان بكرة الثلاثاء خامس ذي القعدة ركب الفرنج ونزلوا بخيولهم في مخاضة سلمون ببحر أشمون دلهم عليها بعض المفسدين وكبسوا عسكر المسلمين فلم يشعر بهم المسلمون إلا وقد خالطوهم

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/٢٢٠

وكان الأمير فخر الدين في الحمام فأتاه الصريخ فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ فصادفه جماعة من الفرنج فاستشهد إلى رحمة الله تعالى، ودخل ريدا فرنس المنصورة ووصل إلى قصر السلطان الذي على البحر وتفرقت الفرنج في أزقة المنصورة وهرب كل من فيها من الجند والعامة والسوقة يمينا وشمالا وكادت شأفة الإسلام تستأصل وأيقن الفرنج بالظفر واشتد الأمر وأعضل الخطب فانتدب لهم جماعة من فرسان المسلمين وأولي البصائر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فزعزعوا أركانهم وأخذتهم السيوف فقتل منهم خلق كثير قريب ألفي وخمس مائة من فرسانهم وصناديدهم وشجعانهم ولولا ضيق مجال القتال لاستؤصلوا ومضى من سلم إلى مكان يقال له جديلة واجتمعوا به ودخل الليل فضربوا عليهم سورا وخندقا وأقامت طائفة بالبر الشرقي، وكانت هذه الواقعة مقدمة النصر وورد المنهزمون من المسلمين آخر النهار من ذلك اليوم إلى القاهرة ولا علم لهم بما تجدد من النصر وأخبروا بما شاهدوا من هجوم الفرنج المنصورة فانزعج الناس، فلما طلعت الشمس من يوم الأربعاء وردت البشرى بالنصر وزين البلدان وعظم السرور.

ولما استقر الفرنج بمنزلتهم كانت الميرة تأتيهم من دمياط في النيل فعمد المسلمون إلى مراكب شحنوها بالمقاتلة وكانوا قد حملوها على الجمال إلى بحر المحلة وألقوها فيه وفيه ماء من أيام زيادة النيل واقف لكنه متصل بالنيل فلما حاذت مراكب الفرنج وهي مقلعة من دمياط بحر المحلة وفيه المراكب المكمنة للمسلمين خرجت عليها المراكب من بحر المحلة ووقع القتال بين الفريقين وجاءت أساطيل المسلمين منحدرة من جهة المنصورة والتقى الأسطول والمراكب المكمنة وأحاطوا بهم وقبضوهم أخذا باليد، وكانت عدة المراكب المأخوذة من الفرنج اثنين وخمسين مركبا وقتل وأسر ممن فيها نحو ألف رجل وأخذ ما فيها من الميرة ثم حملت الأسى على الجمال وقد بهم العسكر وانقطعت الميرة بسبب ذلك عن الفرنج ووهنوا وهنا عظيما هذا وحجارة مجانيقهم تقع إلى جهة أساطيل المسلمين، وكان يوما مشهودا أعز الله فيه الإسلام وأوهى قوى أهل الشرك واشتد من يومئذ **عندهم الغلاء وعدمت** الأقوات وبقوا محصورين لا يستطيعون المقام ولا الذهاب وطمع فيهم المسلمون.

وفي مستهل ذي الحجة أخذ الفرنج من مراكب المسلمين التي في بحر الملحة سبع حراريق وهرب من بها من المسلمين.

وفي يوم عرفة تاسع ذي الحجة خرجت شواني المسلمين على مراكب وصلت للفرنج تحمل الميرة فالتقوا عند مسجد النصر فأخذت شواني المسلمين من مراكب الفرنج اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شواني فازداد

عند ذلك ضعف الفرنج ووهنهم **وقوى الغلاء عندهم** وشرعوا في مراسلة المسلمين وطلب الهدنة وإن يسلموا ثغر دمياط على أن يأخذوا عوضه بيت المقدس وبعض الساحل فلم تقع الإجابة إلى ذلك.." (١)

"وفيها **اشتد الغلاء بمصر** وأعمالها فبلغ الأردب القمح مائة وخمسة دراهم نقرة والشعير وسبعين درهما وثلاثة أرطال خبز بالمصري بدرهم نقرة ورطل اللحم بالمصري وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم وثلث نقرة ففرق الملك الظاهر الصعاليك على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم وفرق من شونة القمح على أرباب الزوايا ورتب أن يفرق كل يوم في الفقراء مائة أردب مخبوزة بجامع ابن طولون ودام ذلك إلى أن دخلت الغلال الجديدة في شهر رمضان وبيع القمح بالإسكندرية الأردب بثلاثمائة وعشرين درهما ورقا وانحط في يوم واحد إلى أربعين درهما ورقا.

وفيها أحضر إلى بين يدي الملك الظاهر طفل ميت له رأسان وأربع أعين وأربع أيد وأربع أرجل فأمر بدفنه.

وفي آخر هذه السنة قتل الزين سليمان الحافظي وسنذكره إن شاء الله تعالى.

؟فصل

وفيها توفي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن عبد الله بن علوان بن رافع أبو العباس كمال الدين الأسدي الحلبي الشافعي المعروف بابن الأستاذ قاضي القضاة بحلب وأعمالها مولده ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وستمائة سمع من أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي ومن جماعة كثيرة غيره وحدث ودرس وولى الحكم بحلب وأعمالها سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهو في عنفوان شبابه فحمدت سيرته وشكرت طريقته كان سديد الإحكام وله المكانة العظيمة عند الملك الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله وسائر أرباب الدولة وكلمته نافذة وحرمته وافرة ومكارمه مشهورة ومناقبه مذكورة ولم يزل على ذلك حتى تملك التتر حلب وقلعتها في سنة ثمان وخمسين ومن الله تعالى بكسرهم في رمضان من السنة المذكورة، وكان قاضي القضاة كمال الدين قد نكب وأصيب بأهله وماله بولده فقدم الديار المصرية ودرس بالمدرسة المعزية بمصر وبالمدرسة الكهارية بالقاهرة وأقام على ذلك إلى أول هذه السنة ففوض إليه الحكم بحلب على عادته فحمله حب الوطن على إجابة فعاد إلى حلب وأقام بها مدة أشهر وتوفي بها في نصف شوال ودفن من الغد رحمه الله، وكان رئيسا جليلا عظيم المقدار جوادا سمحا دينا تقيا نقيا حسن الاعتقاد بالفقراء والصالحين كثير المحبة لهم والميل إليهم والبر لهم والإيمان بكراماتهم لا ينكر ما يحكى عنهم مما يخرق العادات وكان أحد المشايخ الإجلاء المشهورين بالفضل

(١) ذيل مرآة الزمان، ٢٣٩/١

والدين وحسن الطريقة ولين الجانب وكثرة التواضع وجمال الشكل وحلاوة المنطق حضر إلى زيارة والدي رحمه الله ببعلبك فترجل عن بغلته من أول الدرب، ولما دخل الدار قعد بين يدي واليد متأدبا إلى الطرف الأقصى ولم يستند إلى الحائط وسمع عليه شيئا من الحديث النبوي، وكان من حسنات الدولة الناصرية بل من محاسن الدهر وهو من بيت معروف بالعلم والدين والحديث، وأبوه القاضي زين الدين أبو محمد عبد الله تولى القضاء بحلب وأعمالها مدة وسمع من غير واحد وحدث وكان من العملاء الفضلاء الصدور الرؤساء، وجده عبد الرحمن أحد المشايخ المعروفين بالزهد والدين رحمهم الله تعالى وبيتهم أحد البيوت المشهورة في حلب بالسنة والجماعة.

أحمد بن محمد بن صابر بن محمد بن صابر بن منذر أبو العباس ضياء الدين القيسي المالقي مولده في المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة، وتوفي يوم الخميس ثامن شعبان ودفن يوم موته بالقرافة، وكان إماما عالما فاضلا رحمه الله.." (١)

"اتفقا على أكل مال الروم وأنهما يشنآن بي ليخرجاني ويستبدان بها فكتب إليه من هو البرواناة حتى نسمع كلامه فيك، أمره إليك إن شئت أن تقتله وإن شئت أن تبقيه، وكان البرواناة لما بلغه أن آجاي بعث رسولا في أمره جعل عليه عينا عن عوده بالجواب فلما قدم الرسول أخذ إلى دار البرواناة وأنزل وأكرم وحمل إليه الخمر وأعطى بعض غلمانه دراهم وأمره أن يسرق الكتاب ويحمله إليه ليقف عليه ويعيده إليه ففعل ذلك، فلما وقف على الكتاب سارع في تجهيز هدية سنية بعث بها إلى أجاي ولاطفه بأعذار قبلها منه، ثم إن البرواناة أخذ خطوط وجوه أهل الروم بأن آجاي قد عزم على قتله وقتل تقونوين وتسليم البلاد لصاحب مصر فعاد الجواب باستدعاء آجاي وتقونوين والبرواناة ومرحسيا القسيس، والأمير سيف الدين طغان البكلربكي فخاف البرواناة من استصحاب سيف الدين فأقطعه أرزنكان وولاه كفالة السلطان غياث الدين ثم خرج فيمن بقي معه واستصحب معه كل من كان آجاي ظلمه وعسفه ليستصرخوا عليه عند أبغا فوصلوا إليه في ربيع الأول فلما مثلوا بين يديه وسمع شكوى المتظلمين أمر آجاي أن يقيم عنده وقتل من أصحابه سبعة أنفس وأنهى مرحسيا إلى أبغا أن البرواناة أقطع سيف الدين أرزنجان لكي لا أسكنها وإني إن أقتطعها حملت كل سنة خمس مائة فرس عليها خمس مائة فارس نجدة، فقال له تقونوين أنت تلبس البرنس ولا تليق الإقطاع إلا لمن يلبس السراقوج وإن كنت ترغب في الإقطاع فاخلع البرنس.

وقال للبرواناة هذا يضيع كل سنة من أموال الروم شيئا كثيرا لأنه يحمي من الفلاحين خلقا يلبسهم البرانس

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٢٤٧/١

فلا يؤدون الخراج ولا الجزية، فأمر أبغا أن لا يحمي أحد في سائر البلاد لمرحسيا إلا في أرزنجان لا غير لكونه ساكنا بها ثم عاد إلى الروم في ربيع الآخر، لما عاد البرواناة وتقونوين ومن معهما إلى بلاد الروم ورد عليهم أمر أبغا بخروجهم ونزولهم على قلعة البيرة فرحلوا قاصدين البيرة فنزلوا عليها يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة وعدتهم ثلاثون ألفا، منهم خمسة عشر ألفا من المغل مقدمهم تابشي وأقتاي نوين ومقدم عسكر الروم البرواناة، ومقدم عسكر ماردين وميافارقين شرف الدين عبد الله اللاوي، ومعهم من عساكر الموصل وشهرزور والعراق طوائف، فوصلوا إليها ونصبوا ثلاثة وعشرين منجنيقا أفرنجيا والرامي به مسلم، ونصبوا من القلعة عليه منجنيقا فلم يصبه حجره وكان يقع رائدا عنه فقال له الرامي المسلم، لو قطع الله من ساعدك ذراعا كان أهل البيرة يستتركون منك لقلة معرفتك ففهم إشارته وقطع ذراعا من ساعد المنجنيق ورمى به فأصاب المنجنيق فكسره، وخرج أهل البيرة في الليل وكبسوا العسكر فقتلوا الكثير ونهبوا وأحرقوا المنجنيقات وعادوا.

وكان البرواناة لما نزل على البية بعث أربعمائة فارس يتجسسون أخبار الملك الظاهر ليقتلهم ويعمل السير إلى البيرة فإذا سمع بقدومه كبس عسكر المغل بمن معه من عسكر الروم وتوجه إلى الملك الظاهر فلما عبرت الأربعمائة الفرات إلى الشام وجدوا ثلاثة قصاد وكتب معهم من الملك الظاهر، كتب إلى البرواناة تتضمن أننا وقفنا على ما كتبت به إلينا، وها نحن على أثر رسلك، فكن على أهبة فيما عزمت عليه من اجتماع الكلمة على العدو المخذول، فأحضروا القصاد عند أقتاي نوين فعزم على قتل من في العسكر من المسلمين فأشار سمعان عليه أن لا يفعل فإنهم يلجأون إلى أهل البيرة فيقووا بهم على قتالنا فتتركهم إلى أن ننفصل ونرحل ونقتلهم في بعض الأماكن ونقتل معهم البرواناة فأمر بحملتهم إلى البرواناة فأنكرهم، وقال هذه مكيدة من صاحب سيس فقبلوا ذلك منه في الظاهر وقالوا شأنك والقصاد فقتلهم وطاف برؤوسهم في العسكر ثم سيرت الكتب إلى أبغا من غير علم البرواناة، ولما امتد حصار القلعة وعصيانها أرسل أقتاي نوين إلى سيف الدين بكلربكي وحسام الدين بيجار يستشيرهما فأجاباه هذه القلعة حصينة وعساكر صاحبها قريبة وفيها ذخائر كثيرة وعساكرنا قد ضعفت **من الغلاء والوباء** والرأي الرحيل فرحلوا يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة بعد أن أحرقوا مجانيقهم ونهبوا أسواقهم بأيديهم.." (١)

"ولمصرالقرافة العظيمة الشأن في التبرك بها. وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره، لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة. وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة،

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ٣٨٣/١

ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور، ويبنون بها البيوت، ويرتبون القراء يقرأون ليلا ونهارا بالأصوات الحسان. ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة، ويخرجون كل ليلة جمعة إلى المبيت بأولادهم ونسائهم، ويطوفون على الأسواق بصنوف المآكل. ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام، وعليه رباط ضخم عجيب البناء، على أبوابه حلق الفضة وصفائحها أيضا. كذلك، وهو موفى الحق من الإجلال والتعظيم. ومنها تربة السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام. وكانت مجابة الدعوة مجتهدة في العبادة. وهذه التربة أنيقة البناء، مشرقة الضياء، عليها رباط مقصود. ومنها تربة الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، وعليها رباط كبير. ولها جراية ضخمة. وبها القبة الشهيرة البديعة الإتقان، العجيبة البنيان، المتناهية الإحكام، المفرطة السمو، وسعتها أزيد من ثلاثين ذراعا. وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر. وبها عدد جم من الصحابة، وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم، مثل عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وأصبغ بن الفرج، وابني عبد الحكم، وأبي القاسم بن شعبان، وأبي محمد عبد الوهاب. لكن ليس لهم بها اشتهار، ولا يعرفهم إلا من بهم عناية. والشافعي رضي الله عنه ساعده الجد في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته، فظهر من أمره مصداق قوله:

الجد يدفي كل أمر شائع ... والجد يفتح كل باب مغلق

ذكر نيل مصر

ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة. والمدن والقرى بضفتيه منتظمة، ليس في المعمور مثلها. ولا يعلم نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل. وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره. قال الله تعالى: " فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " فسماه يما وهو البحر. وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الإسراء إلى سدرة المنتهى، فإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان. فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وفي الحديث أيضا النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة. ومجرى النيل من الجنوب إلى الشمال خلافا لجميع الأنهار. ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفوفها، وابتداء نقصه حين زيادة الأنهار وفيضها. ونهر السند مثله في ذلك، وسيأتي ذكره. وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه، فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان. فإن زاد ذراعا كان الخصب في العام والصلاح التام، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا أضر بالضياع، وأعقب الوباء. وإن نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج

السلطان، وإن نقص ذراعين استسقى الناس، وكان الضرر الشديد. والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار، وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون. وتماثلها أنهار خمسة أيضا: نهر السند ويسمى ينج اب ونهر الهند ويسمى الكنك، وإليه تحج الهنود. وإذا حرقوا أمواتهم رموا برمادهم فيه. ويقولون هو من الجنة. ونهر الجون بالهند أيضا، ونهر اتل بصحراء قفجق، وعلى ساحله مدينة السرا، ونهر السرو بأرض الخطا، وعلى ضفته مدينة خان بالق، ومنها ينحدر إلى مدينة الخنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين، وسيذكر ذلك كله في مواضعه ان شاء الله. والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا. وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع.

ذكر الأهرام والبرابي." (١)

"ولما كان في سنة إحدى وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده، وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم، كل يوم إثنين وخميس برحبة أمام المشور، ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم إلا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب وشرف الحجاب لا غيره، ولا يمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه، وعين أربعة من كبار الأمراء يجلسون في الأبواب الأربعة من المشور، لأخذ القصص من المشتكين، والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز خان، فإن أخذ صاحب الباب الأول الرفع من الشاكي فحسن، وإلا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع، وإن لم يأخذوه منه، مضى به إلى صدر الجهان قاضي المماليك، فإن أخذه منه، وإلا شكا إلى السلطان، فإن صح عنده أنه مضى به إلى أحد منهم فلم يأخذه منه، أدبه وكل ما يجتمع من القصص في سائر الأيام، يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة.

ذكر إطعامه في الغلاء

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسند، **واشتد الغلاء حتى** بلغ من القمح إلى ستة دنانير، أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر من المخزن، بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب، لكل انسان في اليوم، صغيرا وكبيرا حرا وعبدا. وخرج الفقهاء والقضاة يكتبون الأزمة بأهل الحارات، ويحضرون الناس، ويعطى لكل واحد عولة ستة أشهر يقتات بها.

ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله

وكان على ما قدمنا من تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة، كثير التجاسر على إراقه

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/١٦

الدماء، لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر، وكنت كثيرا ما أرى الناس يقتلون على بابه، ويطرحون هنالك. ولقد جئت يوما فنفر بي الفرس، ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض فقلت: ما هذه ؟ فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع. وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة، ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من المسلسلين والمغلولين والمقيدون مئون فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب، أو للضرب ضرب. وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس إلى المشور، ما عدا يوم الجمعة، فإنهم لا يخرجون فيه، وهو يوم راحتهم، يتنظفون فيه ويستريحون أعاذنا الله من البلاء.

ذكر قتلة لأخيه وكان له أخ اسمه مسعود خان، وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجمل صورة رأيتها في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه، وسأله عن ذلك فأقر خوفا من العذاب فإن من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب، فيرى الناس أن القتل أهون عليهم من العذاب، فأمر به، فضربت عنقه في وسط السوق، وبقي مطروحا هنالك ثلاثة أيام على عادتهم. وكانت أم هذا المقتول قد رجمت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين، لاعترافها بالزنا رجمها القاضي كمال الدين.

ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا في ساعة واحدة وكان مرة عين حصة من العسكر، تتوجه مع الملك يوسف بغرة إلى قتال الكفار، ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلي فخرج يوسف، وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم، فكتب يوسف إلى السلطان يعلمه بذلك، فأمر أن يطاف بالمدينة، ويقبض على من وجد من أولئك المتخلفين ففعل ذلك، وقبض على ثلاثمائة وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين، فقتلوا.

ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله." (١)

"وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر، وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر، الشريف جلال الدين أحسن شاه، فخالف وادعى الملك لنفسه. وقتل نواب السلطان وعماله، وضرب الدنانير والدراهم باسمه. وكان يكتب في إحدى صفحتي الدينار سلالة طه ويس، أبو الفقراء والمساكين، جلال الدنيا والدين، وفي الصفحة الأخرى الواثق بتأييد الرحمن، أحسن شاه السلطان. وخرج السلطان لما سمع بثورته يريد قتاله، فنزل بموضع يقال له: كشك زر، معناه قصر الذهب، وأقام به ثمانية أيام لقضاء حوائج الناس. وفي تلك الأيام أتي بابن أخت الوزير خواجه حهان. وأربعة من الأمراء أو ثلاثة، وهم مقيدون مغلولون. وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته. فوصل إلى مدينة ظهار، وهي على مسيرة أربع وعشرين من دهلي، وأقام بها أياما. وكان ابن أخته شجاعا بطلا، فاتفق مع الأمراء الذين أتى بهم على قتل خاله، والهرب بما عنده

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٣٤

من الخزائن والأموال إلى الشريف القائم ببلاد المعبر، وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه إلى صلاة الجمعة، فوشى بهم أحد من أدخلوه في أمرهم إلى الوزير، وكان يسمى الملك نصرة الحاجب، وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه، لبسهم الدروع تحت ثيابهم، فبعث الوزير عنهم، فوجدهم كذلك. فبعث بهم إلى السلطان، وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم. فرأيت أحدهم وكان طوالا ألحى ، وهو يرعد، ويتلو سورة يس، فأمر بهم، فطرحوا للفيلة المعلمة لقتل الناس، وأمر بابن أخت الوزير فرد إلى خاله ليقتله، فقتله، وسنذكر ذلك. وتلك الفيلة التي تقتل، تكسى أنيابها بحدائد مسنونة شبه سكك الحرث، لها أطراف كالسكاكين. ويركب الفيال على الفيل، فإذا رمى الرجل بين يديه لف عليه خرطومه، ورمى به إلى الهواء، ثم يتلقفه بنيابه ويطرحه بعد ذلك بين يديه، ويجعل يده على صدره، ويفعل به ما يأمره الفيال، على حسب ما أمره السلطان. فإن أمره بتقطيعه قطعه الفيل قطعا بتلك الحدائد، وإن أمر بتركه، تركه مطروحا فسلخ. وكذلك فعل بهؤلاء. وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم. وقد ملئت جلودهم بالتبن والعياذ بالله. ولما تجهز السلطان لهذه الحركة أمرني بالإقامة بالحضرة، كما سنذكره، ومضى في سفره إلى أن بلغ دولة آباد. فثار الأمير هلاجون ببلاده، وخرج ذلك. وكان الوزير خواجه جهان قد بقي أيضا بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر.

ذكر ثورة هلاجون ولما بلغ السلطان إلى دولة آباد، وبعد عن بلاده، ثار الأمير هلاجون بمدينة لاهور، وادعى الملك، وساعده الأمير قلجند على ذلك، وصيره وزيرا له. واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان، وهو بدهلي، فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين، وكل من كان مقيما من الخدام بدهلي أخذ أصحابه، وأخذ في الجملة أصحابي لأني كنت بها مقيما وأعانه السلطان بأميرين كبيرين أحدهما قيران ملك صفدار، ومعناه مرتب العساكر، والثاني الملك تمور الشريدار وهو الساقي، وخرج هلاجون بعساكره، فكان اللقاء على ضفة أحد الأدوية الكبار. فانهزم هلاجون وهرب، وغرق كثير من عساكره في النهر. ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل. وكان الذي تولى قتلهم محمد ابن النجيب نائب الوزير، وهو المعروف بأجدر ملك، ويسمى أيضا صك " سك " السلطان والصك عندهم الكلب. وكان ظالما قاسي القلب. ويسميه السلطان أسد الأسواق. وكان ربما عض أرباب الجنايات بأسنانه شرها وعدوانا. وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثمائة إلى حصن كاليور، فسجن به. ورأيت بعضهن

هنالك. وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل إليها حتى ولدت منه في السجن.

ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان." (١)

"ولما وصل السلطان إلى بلاد التلنك، وهو قاصد إلى قتال الشريف ببلاد المعبر، نزل مدينة بدركوت " وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلوة " ، وهي قاعدة بلاد التلنك " وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقودة " ، وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر. ووقع الوباء إذ ذاك في عسكره، فهلك معظمهم، ومات العبيد والمماليك وكبار الأمراء مثل ملك دولة شاه الذي كان السلطان يخاطبه بالعم، ومثل أمير عبد الله الهروي، وقد تقدمت حكايته في السفر الأول، وهو الذي أمر السلطان أن يرفع من الخزانة ما استطاع من المال، فربط ثلاث عشرة خريطة بأعضاده ورفعها. ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد إلى دولة آباد، وخالفت البلاد، وانتقضت الأطراف، وكان الملك يخرج عن يده، لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته.

ذكر الإرجاف بموته وفرار الملك هوشنج

ولما عاد السلطان إلى دولة آباد مرض في طريقه، فأرجف الناس بموته وشاع ذلك، فنشأت عنه فتن عريضة. وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد، وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبايع غيره ابدا، لا في حياته ولا بعد موته. فلما أرجف بموت السلطان هرب إلى سلطان كافر يسمى بربرة، يسكن بجبال مانعة بين دولة آباد وكون تانه، فعلم السلطان بفراره وخاف وقوع الفتنة، فجد السير إلى دولة آباد، واقتفى أثر هوشنج، وحصره بالخيل. وأرسل الكافر أن يسلمه إليه فأبى وقال: لا أسلم دخيلي ولو آل بي الأمر لما آل براي كنبيلة. وخاف هوشنج على نفسه، فراسل السلطان وعاهد على أن يرحل السلطان إلى دولة آباد، ويبقى هنالك قطلوخان معلم السلطان، ليستوثق منه هوشنج، وينزل إليه على الأمان. فرحل السلطان ونزل هوشنج إلى قطلوخان، وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منزلته، وخرج بماله وعياله وأصحابه وقدم على السلطان، فسر بقدومه وأرضاه وخلع عليه. وكان قطلوخان صاحب عهد يستنيم الناس إليه ويقولون في الوفاء عليه. ومنزلته عند السلطان علية، وتعظيمه له شديد، ومتى دخل عليه قام له إجلالا. فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذي يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له. وهو محب في الصدقات،

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٤٢

كثير الإيثار، مولع بالإحسان للفقراء والمساكين.

ذكر ما هم به الشريف إبراهيم من الثورة ومآل حاله." (١)

"وكان السلطان قد وجد على أمير بخت الملقب بشرف الملك، أحد الذين وفدوا معنا على السلطان، فحط مرتبه من أربعين ألفا إلى ألف واحد، وبعثه في خدمة الوزير إلى دهلي. فاتفق أن مات أمير عبد الله الهروي في الوباء في التلنك، وكان ماله عند أصحابه بدهلي، فاتفقوا مع أمير بخت على الهروب. فلما خرج الوزير من دهلي إلى لقاء السلطان، هربوا مع أمير بخت وأصحابه، ووصلوا إلى أرض السند في سبعة أيام، وهو مسيرة أربعين يوما وكان معهم الخيل مجنوبة، وعزموا على أن يقطعوا نهر السند عوما، ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم في معدية قصب يصنعونها، وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير برسم ذلك. فلما وصلوا إلى النهر خافوا من عبوره بالعوم، فبعثوا رجلين منهم إلى جلال الدين صاحب مدينة أوجه، فقالا له: إن ها هنا تجارا أرادوا أن يعبروا النهر، وقد بعثوا إليك بهذا السرج، لتبيح لهم الجواز، فأنكر أمير أن يعطى التجار مثل ذلك السرج، وأمر بالقبض على الرجلين. ففر أحدهما، ولحق بشرف الملك وأصحابه، وهم نيام لما لحقهم من الإعياء ومواصلة السهر، فأخبرهم الخبر، فركبوا مذعورين وفروا، وأمر جلال الدين نائبه، فركب في العسكر، وقصدوا نحوهم. فوجدوهم قد ركبوا، فاقتفوا أثرهم فأدركوهم. فرموا العسكر بالنشاب، ورمى طاهر بن شرف الملك نائب الأمير جلال الدين بسهم، فأثبته في ذراعه، وغلب عليهم، فأتى بهم إلى جلال الدين، فقيدهم وغل أيديهم، وكتب إلى الوزير في شأنهم. فأمر الوزير أن يبعثهم إلى الحضرة، فبعثهم إليها. وسجنوا بها، فمات طاهر في السجن. فأمر السلطان أن يضرب شرف الملك مائة مقرعة في كل يوم، فبقي على ذلك مدة، ثم عفا عنه. وبعثه مع الأمير نظام الدين أمير نجلة إلى بلاد جنديري، فانتهت حاله إلى أن كان يركب البقر، ولم يكن له فرسه يركبه. وأقام على ذلك مدة، ثم وفد ذلك الامير على السلطان وهو معه. فجعله السلطان شاشنكير " جاشنكير " ، وهو الذي يقطع اللحم بين يدي السلطان. ويمشي مع الطعام. ثم إنه بعد ذلك نوه به ورفع مقداره. وانتهت حاله إلى أن مرض. فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب، وأعطاه ذلك. وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الأول. وبعد ذلك زوجه بأخته وأعطاه بلاد جنديري التي كان بها البقر في خدمة الأمير نظام الدين. فسبحان مقلب الأرض ومحول الأحوال.

ذكر خلاف شاه أفغان بأرض السند

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند، وقتل الأمير بها، وكان يسمى به زاد،

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٤٣

وادعى السلطنة لنفسه. وتجهز السلطان لقتاله، فعلم أنه لا يقاومه. فهرب ولحق بقومه الأفغان، وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليها، فاغتاظ السلطان مما فعله، وكتب إلى عماله أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده، فكان ذلك سببا لخلاف القاضي جلال.

ذكر خلاف القاضي جلال." (١)

"ولما علم السلطان ما فعله الأفغان بكنباية ودولة آباد، خرج بنفسه، وعزم أن يبدأ بكنباية، ثم يعود إلى دولة آباد. وبعث أعظم ملك البايزيدي صهره في أربعة آلاف مقدمة، فاستقبله جند القاضي جلال، فهزموه وحصروه ببلوذرة، وقاتلوه بها. وكان في جند القاضي جلال شيخ يسمى جلول، وهو أحد الشجعان. فلا يزال يفتك في الجند ويقتل، ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته. واتفق يوما أنه دفع فرسه، فكبا به في حفرة فسقط عنه وقتل. ووجدوا عليه درعين، فبعثوا برأسه إلى السلطان، وصلبوا جسده بسور بلوذرة، وبعثوا يديه ورجليه إلى البلاد. ثم وصل السلطان بجنده فلم يكن للقاضي جلال من ثبات، ففر في أصحابه، وتركوا أموالهم وأولادهم، فنهب ذلك كله، ودخلت المدينة، وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها، وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذي قدمنا ذكره، وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه، وما جرى له من الذل، ثم من العز. وأمره بالبحث عمن كان في طاعة جلال الدين، وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم. فأدى ذلك إلى قتل الشيخ علي الحيدري حسبما قدمناه. ولما هرب القاضي جلال لحق بناصر الدين ملك مل بدولة آباد، ودخل في جملته. فأتى السلطان بنفسه إليهم، واجتمعوا في نحو أربعين ألفا من الأفغان والترك والهنود والعبيد، وتحالفوا على أن لا يفروا، وأن يقاتلوا السلطان. وأتى السلطان لقتالهم ولم يرفع الشطر الذي هو علامته. فلما استحر القتال رفع الشطر، ولما عاينوه دهشوا وانهزموا أقبح هزيمة. ولجأ ابن ملك مل والقاضي جلال في نحو أربعمائة من خواصهما إلى قلعة الدويقير، وسنذكرها وهي من أمنع القلاع في الدنيا، واستقر السلطان بمدينة دولة آباد والدويقير هي قلعتها. وبعث لهم أن ينزلوا على حكمه فأبوا أن ينزلوا إلاعلى الأمان. فأبى السلطان أن يؤمنهم، وبعث لهم الأطعمة تهاونا بهم، وأقام هنالك. وهذا آخر عهدي بهم.

ذكر قتال مقبل وابن الكولمي

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه. وكان تاج الدين الكولمي من كبار التجار، فنزل على السلطان من أرض الترك بهدايا جليلة، منها المماليك والجمال والمتاع والسلاح والثياب. فأعجب السلطان فعله

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٤٩

وأعطاه اثني عشر لكا، ويذكر أنه لم تكن قيمة هديته إلا لكا واحدا. وولاه مدينة كنباية. وكانت لنظر الملك المقبل نائب الوزير، ووصل إليها، وبعث السفن إلى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها. وجاءته التحف والهدايا في السفن، وعظمت حاله، ولما لم يبعث أموال تلك الجهات إلى الحضرة، بعث الملك مقبل إلى ابن الكولمي أن يبعث ما عنده من الهدايا والأموال مع هدايا تلك الجهات على العادة. امتنع ابن الكولمي عن ذلك وقال: أنا أحملها بنفسي، أو أبعثها مع خدامي، ولا حكم لنائب الوزير علي ولا للوزير، واغتر بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية. فكتب مقبل إلى الوزير بذلك. فوقع له الوزير على ظهر كتابه: إن كنت عاجزا عن بلادنا فاتركها وراجع إلينا.

ولما وصله الجواب تجهز في جنده ومماليكه، والتقيا بظاهر كنباية. فانهزم الكولمي، وقتل جملة من الفريقين. واستخفى ابن الكولمي في دار الناخوذة " الناخذا " ، إلياس أحد كبراء التجار.

ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب جند ابن الكولمي، وبعث له الأمان نظير أن يأخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ومجبى البلد، وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه إلى السلطان، وكتب شاكيا من ابن الكولمي، وكتب ابن الكولمي شاكيا منه. وبعث السلطان ملك الحكماء ليتنصف بينهما. وبأثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين. فنهب مال ابن الكولمي، وهرب ابن الكولمي في بعض مماليكه ولحق بالسلطان.

ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند." (١)

"وفي مدة غياب السلطان عن حضرته، إذ خرج يقصد بلاد المعبر، وقع الغلاء، واشتد الأمر، وانتهى المن إلى ستين درهما، ثم زاد على ذلك. وضاقت الأحوال، وعظم الخطب، ولقد خرجت مرة إلى لقاء الوزير، فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعا من جلد فرس مات منذ أشهر ويأكلنه. وكانت الجلود تطبخ وتباع في الأسواق. وكان الناس إذا ذبحت البقر، أخذوا دماءها فأكلوها. وحدثني بعض طلبة خراسان أنهم دخلوا بلدة تسمى أكروهة، بين حانسي وسرستي فوجدوها خالية، فقصدوا بعض المنازل ليبيتو به، فوجدوا في بعض بيوته رجلا قد أضرم نارا، وبيده رجل آدمي، وهو يشويها في النار ويأكل منها، والعياذ بالله. ولما اشتد الحال، أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفطة ستة أشهر. فكانت القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقة والحارات، ويكتبون الناس، ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر، بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكل واحد. وكنت في تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٥١

السلطان قطب الدين، حسبما يذكر، فكان الناس ينتعشون بذلك. و الله تعالى ينفع بالقصد فيه. وإذ قد ذكرنا من أخبار السلطان، وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية، فلنعد إلى ما يخصنا من ذلك، ونذكر كيفية وصولنا أولا إلى حضرته، وتنقل الحال إلى خروجنا عن الخدمة، ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة إلى الصين، وعودنا منها إلى بلادنا، إن شاء الله تعالى.

ذكر وصولنا إلى دار السلطان وعند قدومنا وهو غائب

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان، ودخلنا الباب الأول ثم الثاني والثالث، ووجدنا عليه النقباء، وقد تقدم ذكرهم. فلما وصلنا إليهم تقدم بنا نقيبهم إلى مشور عظيم متسع، فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا. فتقدم ضياء الدين خداوند زاده، ثم تلا أخوه قوام الدين، ثم أخوهما عماد الدين، ثم تلوتهم، ثم تلاني أخوهم برهان الدين، ثم الأمير مبارك السمرقندي، ثم أرون بغا التركي، ثم ملك زاده ابن أخت خدواند زاده، ثم بدر الدين الفصال.

ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزار اسطون " استون " ومعنى ذلك ألف سارية، وبه يجلس السلطان الجلوس العام. فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض، وخدمنا نحن بالركوع، وأوصلنا أصابعنا إلى الأرض، وخدمتنا لناحية سرير السلطان، وخدم جميع من معنا. فلما فرغنا من الخدمة، صاح النقباء بأصوات عالية: بسم الله، وخرجنا.

ذكر وصولنا لدار أم السلطان

وذكر فضائلها

وأم السلطان تدعى المخدومة جهان، وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات، عمرت زوايا كثيرة، وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر. وهي مكفوفة البصر، وسبب ذلك انه لما ملك ابنها، جاء إليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زي، وهي على سرير الذهب المرصع بالجوهر، فخدمن بين يديها جميعا، فذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع. وولدها أشد الناس برا بها. ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة، فلما قدمت خرج لاستقبالها، وترجل عن فرسه وقبل رجلها، وهي في المحفة بمرأى من الناس أجمعين.

ولنعد لما قصدناه فنقول، ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه إلى باب الصرف، وهم يسمونه باب الحرم، وهنالك سكنى المخدومة جهان. فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب، وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله.

ودخل معنا قاضي قضاة المماليك كمال الدين بن البرهان، فخدم الوزير والقاضي عند بابها، وخدمنا كخدمتهم، وكتب كاتب بابها هدايانا. ثم رجعوا إلى الوزير، ثم عادوا إلى القصر، ونحن وقوف. ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك، ثم أتوا بالطعام، وأوتوا بقلال من الذهب يسمونها السين " بضم السين والياء أخر الحروف " ، وهي مثل القدور، ولها مرافع من الذهب تجلس عليها، يسمونها السبك " بضم السين وضم الباء الموحدة " وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب، وجعلوا الطعام سماطين، وعلى كل سماط صفان. ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين.." (١)

"وعادة أهل الهند أن يرتبوا لأمواتهم ترتيبا كترتيبهم بقيد الحياة، ويؤتى بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة، وهي مزينة. فرتبت أنا في هذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قراء القرآن مائة وخمسين، وهم يسمونهم الختميين، ورتبت من الطلبة ثمانين، ومن المعيدين، ويسمونهم المكررين، ثمانية، ورتبت لها مدرسا، ورتبت من الصوفية ثمانين، ورتبت الإمام والمؤذنين والقراء بالأصوات الحسان والمداحين وكتاب الغيبة والمعرفين، وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالأرباب، ورتبت صنفا آخر يعرفون بالحاشية، وهم الفراشون والطباخون والدوادوية والأبدارية، وهم السقاءون والشربدارية الذين يسقون الشربة، والتنبول دارية الذين يعطون التنبول والسلحدارية والنيزدارية والشطر دارية والطشت دارية والحجاب والنقباء فكان جميعهم أربعمائة وستين. وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها كل يوم اثني عشر منا من الدقيق ومثلها من اللحم، فرأيت أن ذلك قليل، والزرع الذي أمر به كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة وثلاثين منا من الدقيق ومثلها من اللحم وما يتبع ذلك من السكر، والنبات، والسمن، والتنبول، وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووارد **وكان الغلاء شديدا** فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خبره، وسافر الملك صبيح إلى السلطان بدولة آباد سأله عن حال الناس. فقال له لو كان بدهلي اثنان مثل فلان لما شكا الجهد، فأعجب ذلك السلطان، وبعث إليه بخلعة من ثيابه وكنت أصنع في المواسم وهي العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من الدقيق ومثلها لحما فيأكل الفقراء والمساكين، وأما أهل الوظيفة فيجعل أمام كل إنسان منهم ما يخصه ولنذكر عادتهم في ذلك.

ذكر عادتهم في إطعام الناس في الولائم

وعادتهم ببلاد الهند وببلاد السرى أنه إذا فرغ من أكل الطعام في الوليمة جعل أمام كل إنسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبه المهد له أربع قوائم منسوج سطحه من الخوص، وجعل عليه الرقاق،

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٥٢

ورأس غنم مشوي، وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونية مغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر وطبقا صغيرا مصنوعا من الجلد فيه الحلواء والسموسك، ويغطى ذلك الوعاء بثوب قطن جديد. ومن كان دون من ذكرناه جعل أمامه نصف رأسه غنم، ويسمونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه. ومن كان دون هؤلاء أيضا جعل أمامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحد ما جعل أمامه وأول ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك، فامتنعت أن يرفع رجالي ذلك إذ لم يكن لي به عهد وكذلك يبعثون أيضا لدار كبراء الناس من طعام الولائم.

ذكر خروجي إلى هزار أمروها

وكان الوزير قد أعطاني من الغلة المأمور بها للزاوية عشرة آلاف، ونفذ لي الباقي في هزار أمروها. وكان والي الخراج بها عزيز الخمار، وأميرها شمس الدين البذخشاني. فبعثت رجالي فأخذوا بعض الإحالة، وتشكوا من تعسف عزيز الخمار. فخرجت بنفسي لاستخلاص ذلك. وبين دهلي وهذه العمالة ثلاثة أيام، وكان ذلك في أوان نزول المطر. فخرجت في نحو ثلاثين من أصحابي، واستصحبت معي أخوين من المغنين المحسنين يغنيان لي في الطريق، فوصلنا إلى بلدة بجنور، وضبط اسمها " بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء " فوجدت بها أيضا ثلاثة أخوة من المغنين، فاستصحبتهم. فكانوا يغنون لي نوبة والآخران نوبة.." (١)

"وكان السلطان لما توجه إلى بلاد المعبر وصل إلى التلنك، **ووقع الوباء بعسكره**، فعاد إلى دولة آباد، ثم وصل إلى نهر الكنك فنزل عليه، وأمر الناس بالبناء. وخرجت في تلك الأيام إلى محلته، واتفق ما سردناه من مخالفة عين الملك، ولازمت السلطان في تلك الأيام، وأعطاني من عتاق الخيل، لما قسمها على خواصه، وجعلني فيهم، وحضرت معه الوقيعة على عين الملك والقبض عليه، وجزت معه نهر الكنك ونهر السرو، لزيارة قبر الصالح البطل سالارعود " مسعود " ، وقد استوفيت ذلك كله، وعدت معه إلى حضرة دهلي لما عاد إليها.

ذكر ما هم به السلطان من عقابي

وما تداركني من لطف الله تعالى

وكان سبب ذلك أني ذهبت يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ الجام، بالغار الذي احتفره خارج دهلي، وكان قصدي رؤية ذلك الغار. فلما أخذه السلطان، سأل أولاده عمن كان يزوره، فذكروا أناسا أنا

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٦٣

من جملتهم. فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور. وعادته أنه متى فعل ذلك مع أحد قلما يتخلص. فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة، فألهمني الله تعالى إلى تلاوة قوله: " حسبنا الله ونعم الوكيل " فقرأتها ثلاثا وثلاثين ألف مرة، وبت بالمشور، وواصلت إلى خمسة أيام، في كل يوم منها أختم القرآن وأفطر على الماء خاصة، ثم أفطرت بعد خمس، وواصلت أربعا، وتخلصت بعد قتل الشيخ، والحمد لله تعالى.

ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدنيا

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة، ولازمت الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغاري، وكان من الأولياء، وله كرامات كثيرة، فقد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه. وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ، ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين. وكان الشيخ يواصل عشرة أيام، وربما واصل عشرين. فكنت أحب أن أواصل، فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة، ويقول لي: إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقي معي، فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير، وأعطيت ثياب ظهري لفقير، ولبست ثيابه. ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر، والسلطان إذ ذاك غائب ببلاد السند.

ذكر بعث السلطان عني وإبايتي الرجوع
إلى الخدمة واجتهادي في العبادة

ولما بلغه خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسوستان، فدخلت عليه في زي الفقراء، فكلمني أحسن كلام وألطفه، وأراد مني الرجوع إلى الخدمة فأبيت، وطلبت منه الإذن في السفر إلى الحجاز، فأذن لي فيه، وانصرفت عنه، ونزلت بزاوية تعرف بالنسبة إلى الملك بشير، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين. فاعتكفت بها شهر رجب وعشرة من شعبان، وانتهيت إلى مواصلة خمسة أيام، وأفطرت بعدها على قليل أرز دون إدام. وكنت أقرأ القرآن كل يوم، وأتهجد بما شاء الله. وكنت إذا أكلت الطعام آذاني، فإذا طرحته وجدت الراحة. وأقمت كذلك أربعين يوما، ثم بعث عني ثانية.

ذكر ما أمرني به من التوجه إلى الصين في الرسالة

ولما كملت لي أربعون يوما بعث إلي السلطان خيلا مسرجة وجواري وغلمانا وثيابا ونفقة، فلبست ثيابه وقصدته. وكانت لي جبة قطن زرقاء مبطنة، لبستها أيام اعتكافي. فلما جردتها ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي. وكنت متى نظرت إلى تلك الجبة أجد نورا في باطني، ولم تزل عندي إلى أن سلبني الكفار

في البحر. ولما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، وقال لي: إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين. فإني أعلم حبك في الأسفار والجولان. فجهزني بما أحتاج له، وعين للسفر معي من يذكر بعد.

ذكر سبب بعث الهدية للصين

وذكر من بعث معي وذكر الهدية." (١)

"ومات في تلك الأيام بعض كبراء دمشق، وأوصى بمال للمساكين. فكان المتولي لإنفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر. فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم، ومدوا أيديهم إلى خبز الخبازين. وبلغ ذلك الأمير أرغون شاه. فأخرج زبانيته، فكانوا حيث ما لقوا أحدا من المساكين، قالوا له: تعال تأخذ الخبز. فاجتمع منهم عدد كثير. فحبسهم تلك الليلة، وركب من الغد، وأحضرهم تحت القلعة، وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم. وكان أكثرهم براء عن ذلك. وأخرج طائفة الحرافيش عن دمشق فانتقلوا إلى حمص وحماة وحلب. وذكر لي أنه لم يعش بعد ذلك إلا قليلا وقتل. ثم سافرت من دمشق إلى حمص ثم إلى حماة ثم إلى المعرة ثم إلى سرمين ثم إلى حلب. وكان أمير حلب في هذا العهد الحاج رغطي " بضم الراء وسكون الغين المعجم وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكنة ".

حكاية

واتفق في تلك الأيام أن فقيرا يعرف بشيخ المشايخ، وهو ساكن في جبل خارج مدينة عنتاب، والناس يقصدونه ويتبركون به. وله تلميذ ملازم له، وكان متجردا عزبا لا زوجة له، قال في بعض كلامه: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء، وأنا أصبر عنهن. فشهد عليه بذلك، وثبت عند القاضي، ورفع أمره إلى ملك الأمراء، وأتي به وبتلميذه الموافق له على قوله، فأفتى القضاة الأربعة، وهم شهاب الدين المالكي، وناصر الدين العديم الحنفي، وتقي الدين الصائغ الشافعي، وعز الدين الدمشقي الحنبلي، بقتلهما معا، فقتلا. وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين، بلغني الخبر في حلب **أن الوباء وقع** بغزة، وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الألف في يوم واحد. فسافرت إلى حمص، **فوجدت الوباء قد** وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلثمائة إنسان، ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام ن وخرجوا يوم الجمعة إلى جامع الأقدام، حسبما ذكرناه في السفر الأول. فخفف **الله**

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٢٦٥

الوباء عنهم، فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربعمائة في اليوم، ثم سافرت إلى عجلون ثم إلى بيت المقدس، **ووجدت الوباء قد** ارتفع عنهم. ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر، وهو من الفضلاء الكرماء. ومرتبه على الخطابة ألف درهم في الشهر.

حكاية

وصنع الخطيب عز الدين يوما دعوة، ودعاني فيمن دها إليها، فسألته عن سببها، فأخبرني أنه نذر أيام الوباء، أنه إن ارتفع ذلك، ومر عليه يوم لا يصلى فيه على ميت، صنع الدعوة. ثم قال لي: ولما كان بالأمس، لم أصل على ميت، فصنعت الدعوة التي نذرت. ووجدت من كنت أعهده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله، فلم يبق منهم إلا القليل، مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، ومثل الصالح شرف الديـن الخشي شيخ زاوية المسجد الأقصى، ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي، فأضافني. ولم ألق بالشام ومصر من وصل إلى قدم آدم عليه السلام سواه.

ثم سافرت عن القدس، ورافقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان المليناني، وشيخ المغاربة بالقدس الصوفي الفاضل طلحة العبد الوادي. فوصلنا إلى مدينة الخليل عليه السلام. وزرناه ومن معه من الأنبياء عليهم السلام. ثم سرنا إلى غزة، فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها في الوباء. وأخبرنا قاضيها أن العدول بها كانوا ثمانين، فبقي منهم الربع، وأن عدد الموتى بها انتهى إلى ألف ومائة في اليوم.

ثم سافرنا في البر، فوصلت إلى دمياط، ولقيت بها قطب الدين النفشواني، وهو صائم الدهر، ورافقني منها إلى فارسكور وسمنود ثم إلى أبي صير " بكسر الصاد المهمل وياء وراء " ، ونزلنا في زاوية لبعض المصريين بها.

حكاية." (١)

"وبينما نحن بتلك الزاوية إذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم، وعرضنا عليه الطعام فأبى وقال: إنما قصدت زيارتكم، ولم يزل ليلته تلك ساجدا وراكعا. ثم صلينا الصبح واشتغلنا بالذكر، والفقير بركن الزاوية. فجاء الشيخ بالطعام، ودعاه فلم يجبه. فمضى إليه فوجده ميتا. فصلينا عليه ودفناه، رحمة الله عليه. ثم سافرت إلى المحلة الكبيرة، ثم إلى نحرارية، ثم إلى أبيار، ثم إلى دمنهور، ثم إلى الإسكندرية. **فوجدت الوباء قد** خف بها، بعد أن بلغ عدد الموتى إلى ألف وثمانين في اليوم. ثم سافرت إلى القاهرة، وبلغني أن عدد الموتى **أيام الوباء انتهى** فيها إلى واحد وعشرين ألفا في اليوم. ووجدت جميع من كان بها من المشايخ

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٣٢٨

الذين أعرفهم قد ماتوا، رحمهم الله تعالى.

ذكر سلطان مصر

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. وبعد ذلك خلع عن الملك، وولي أخوه الملك الصالح. ولما وصلت القاهرة، وجدت قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، قد توجه إلى مكة في ركب عظيم يسمونه الرجبي، لسفرهم في شهر رجب. وأخبرت أن الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا إلى عقبة أيلة، فارتفع عنهم. ثم سافرت من القاهرة إلى بلاد الصعيد، وقد تقدم ذكرها، إلى عيذاب. وركبت منها البحر، فوصلت إلى جدة، ثم سافرت منها إلى مكة، شرفها الله تعالى وكرمها، فوصلتها في الثاني والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين. ونزلت في جوار إمام المالكية الصالح الولي الفاضل أبي عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بخليل. فصمت شهر رمضان بمكة. وكنت أعتمر كل يوم على مذهب الشافعي. ولقيت ممن أعهد من أشياخها شهاب الدين الحنفي، وشهاب الدين الطبري، وأبا محمد اليافعي، ونجم الدين الأصفوني، والحرازي. وحججت ذلك العام، ثم سافرت مع الركب الشامي إلى طيبة، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وزرت قبره المكرم، زاده الله طيبا وتشريفا، وصليت في المسجد الكريم، طهره الله وزاده تعظيما، وزرت من بالبقيع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، ولقيت من الأشياخ أبا محمد بن فرحون. ثم سافرنا من المدينة الشريفة إلى العلا وتبوك، ثم إلى بيت المقدس، ثم إلى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم، ثم إلى غزة، ثم إلى منازل الرمل، وقد تقدم ذكر ذلك كله، ثم إلى القاهرة. وهنالك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أبا عنان أيده الله تعالى، قد ضم الله به نشر الدولة المرينية، وشفى ببركته بعد إشفائها البلاد المغربية، وأفاض الإحسان على الخاص والعام، وغمر جميع الناس بسابغ الإنعام. فتشوقت النفوس إلى المثول ببابه، وأملت لثم ركابه. فعند ذلك قصدت القدوم على حضرته العلية، مع ما شاقني من تذكار الأوان، والحنين إلى الأهل والخلان، والمحبة إلى بلادي التي لها الفضل عندي على البلدان.

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

فركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين صغيرة، وذلك في صفر سنة خمسين. وسرت حتى نزلت بجربة. وسافر المركب المذكور إلى تونس، فاستولى العدو عليه. ثم سافرت في مركب صغير إلى قابس، فنزلت في ضيافة الأخوين الفاضلين أبي مروان وأبي العباس ابني مكي أميري جربة وقابس. وحضرت عندهما مولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ركبت في مركب إلى سفاقس، ثم توجهت في البحر إلى بليانة، ومنها سرت في البر مع العرب، فوصلت بعد مشقات إلى مدينة تونس، والعرب محاصرون لها.

ذكر سلطان تونس." (١)

" سنة ست ومائة والف

وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الارضي ووقع الغلاء والفناء

وفي شهر الحجة سافر اناس من مكة الى دار السلطنة وشكوا من ظلم الشريف سعد فعين إليه محمد بك نائب جده وإسمعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحاج فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبدالله بن هاشم على مكة ثم بعد عود الحاج رجع سعد وتغلب وطرد عبدالله بن هاشم

وفي هذه السنة وقعت مصالحات في المال الميري بسبب الري والشراقي

وفي ثاني عشر جمادي الآخرة حضر الشريف احمد بن غالب امير مكة مطرودا من الشريف سعد

وفي ثامن عشري رجب سنة ألف ومائة وستة ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد

وفي ثاني عشر شعبان طلع احمد بك بموكب مسافر اباش على الف عسكري الى انكروس وطلع بعده أيضا في سابع عشرينه اسمعيل بك بالف عسكري لمحافظة رودس بموكب الى بولاق فأقام بها ثلاثة ايام ثم سافر الى الاسكندرية

وفي رابع شعبان ورد مرسوم بضبط اموال نذير اغا واسمعيل اغا الطواشيين فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا اموالهما وختموها

وفي خامس شوال انهى ارباب الاوقاف والعلماء والمجاورون بالازهر الى علي باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج الاوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد وما يلزم من تعطيل الشعائر فأمر الملتزمين بدفع ما عليهم من غير توقف فامتثلوا

وفي شوال ارسل الباشا الى مراد بك الدفتردار بعمل جمعية في بيته بسبب غلال الانبار فاجتمعوا وتشاوروا في ذلك فوقع التوافق ان البلاد الشرقي تبقى غلالها الى العام القابل واما الري فيدفع ملتزموها ما عليهم". (٢)

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٣٢٩

(٢) عجائب الآثار، ٤٦/١

واخذوا اوراقا بيعت بالثمن اشتراها الملتزمون من ارباب الاستحقاق عن الجراية مائة وخمسون نصفا وغلق الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات

وفي ثاني عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بان الشريف فارس بن اسمعيل التيتلاوي قتل عبدالله بن وافي شيخ عرب المغاربة

وفي حادي عشر القعدة ورد اغا بمرسوم بمبيع متاع نذير اغا واسمعيل اغا المعتقلين وضبط اثمانها ما عدا الجواهر والذخائر التي اختلسوها من السرايا فانها تبقى بأعيانها وان يفحص عن اموالهما واماناتهما وان يسجنا في قلعة الينكجرية ففعل بهم ذلك وبلغ اثمان المبيعات الفا واربعمائة كيس خلاف الجواهر والذخائر فانها جهزت مع الاموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية

وفي منتصف المحرم سنة سبع ومائة والف اجتمع الفقراء والشحاذون رجالا ونساء وصبيانا وطلعوا الى القلعة ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم احد فرجموا بالاحجار

فركب الوالي وطردهم فنزلوا الى الرميلة ونهبوا حواصل الغلة التي بها ووكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنا بالشعير والفول وكانت هذه الحادثة **ابتداء الغلاء حتى** بيع الاردب القمح بستمائة نصف فضة والشعير بثلثمائة والفول باربعمائة وخمسين والارز بثمانمائة نصف فضة واما العدس فلا يوجد

وحصل شدة عظيمة بمصر واقاليمها وحضرت اهالي القرى والارياف حتى امتلأت منهم الازقة واشتد الكرب حتى اكل الناس الجيف ومات الكثير من الجوع وخلت القرى من اهاليها وخطف الفقراء الخبز من الاسواق ومن الافران ومن على رؤوس الخبازين

ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطيف وبايديهم العصي حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به

واستمر الامر على ذلك الى ان عزل علي باشا في ثامن ." (١)

" عشري المحرم سنة سبع ومائة الف

وورد مسلم اسمعيل باشا من الشام وجعل ابراهيم بك أبا شنب قائمقام ونزل علي باشا الى منزل احمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل فكانت مدته اربع سنوات وثلاثة اشهر واياما ثم تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة في يوم الخميس سابع عشر صفر فلما استقر في الولاية ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلاء امر بجميع الفقراء والشحاذين بقراميدان فلما اجتمعوا امر

---

(١) عجائب الآثار، ٤٧/١

بتوزيعهم على الامراء والاعيان كل انسان على قدر حاله وقدرته واخذ لنفسه جانبا ولاعيان دولته جانبا وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الى ان **انقضى الغلاء واعقب** ذلك وباء عظيم فامر الباشا بيت المال ان يكفن الفقراء والغرباء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن الى ان انقضى **امر الوباء وذلك** خلاف من كفنه الاغنياء واهل الخير من الامراء والتجار وغيره م وانقضى ذلك في آخر شوال

وتوفي فيه الشيخ زين العابدين البكري وابراهيم بك ابن ذي الفقار امير الحاج وغيرهما

ولما انقضى ذلك عمل الباشا مهما عظيما لختان ولده ابراهيم بك وختن معه الفين وثلثمائة وستة وثلاثين غلاما من اولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار

وورد مرسوم بمحاسبة علي باشا المنفصل فحوسب فطلع عليه ستمائة كيس فختموا منزله وباعوا موجوداته حتى غلق ذلك

وورد امر بالزينة بسبب نصره فزينت المدينة وضواحيها ثلاثة ايام

وفي رجب ورد مرسوم بطلب الفين من العسكر واميرهم مراد بك فلبس الخلع هو وارباب المناصب وسافروا في حادي عشر شعبان

وفي سابع عشر رجب سنة سبع ومائة والف تقلد قيطاس بك تابع امير الحاج ذي ." (١)

" وغرس فيه الاشجار ورمم قاعة الغوري التي بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن اميراخور وبنى مسطبة عظيمة برسم الباس القفاطين وتسليم المحمل لامير الحاج وارباب المناصب وعمر مسطبة يرمى عليها النشاب وانشأ الحمام البديع بقراميدان ونقل اليه من القلعة حوض رخام صحن قطعة واحدة انزلوه من السبع حدارات وعملوا به فسقيه في وسط المسلخ وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى بن سيدي عبد القادر الجيلاني وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم ما يكفيهم وانشأ صهريجا بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقرأون القرآن كل يوم بعد الشمس وهو الذي تسبب في قتل عبدالرحمن بك حاكم جرجا لحزازة معه من اجل مخدومة اسمعيل باشا وسيأتي تتمة ذلك في خبره عند ذكر ترجمته

وتولى رامي محمد باشا وكان تولي الوزارة في زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ثم حضر منها واليا على مصر فطلع الى القلعة في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة ومائة والف

---

(١) عجائب الآثار، ٤٨/١

وفي سبع عشرة تقلد قيطاس بك امارة الحج عوضا عن ايوب بك

وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة فضج لناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره من الاماكن المعروفة باجابة الدعاء فاستجاب الله لهم في حادي عشر توت وشذ ذلك من النوازل فروى بعض البلاد وهبط سريعا **فحصل الغلاء وبلغ** سعر الاردب القمح مائتين واربعين فضة والفول كذلك والعدس مائتي نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والارز اربعمائة نصف فضة الاردب وبيع اللحم الضاني كل رطل بثلاثة انصاف فضة والجاموسي والبقري بنصفي فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلثمائة وخمسين والدجاجة بثمانية انصاف

وعلى هذا فقس والبيض كل ثلاث بيضات بنصف والرطل الشمع الدهن بثمانية انصاف وكثر الشحاذون في الازقة ." (١)

" وفي سادس صفر حضر الشيخ الدردير واخبر بما ذكر وان سليمان بك وسليم اغا استمروا معه

وفي منتصفه وصل الحجاج مع امير الحاج مصطفى بك وحصل للحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة **من الغلاء وقيام** العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة ولم يزوروا المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام لمنع السبل وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع وانقطع منهم جانب عظيم

ومنهم من نزل في المراكب الى القلزم وحضر من السويس الى القصير ولم يبق الا امير الحج واتباعه ووقفت العربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة وحصروهم هناك ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا نحو عشرة انفار

وفي اثناء نزول الحج وخروج الامراء لملاقاة امير الحج هرب ابراهيم بك الوالي وهو اخو سليمان بك الاغا وذهب الى اخيه بالمنية وذهب صحبته من كان بمصر من اتباع اخيه وسكن الحال اياما

وفي اواخر شهر صفر سافر ايوب بك الكبير وايوب بك الصغير بسبب تجديد الصلح فلما وصلوا الى بني سويف حضر اليهم سليمان بك الاغا وعثمان بك الاشقر باستدعاء منهم ثم اجاب ابراهيم بك الى الصلح ورجعوا جميعا الى المنية

---

(١) عجائب الآثار، ٥٢/١

وفي اوائل ربيع الاول حضر حسن اغا بيت المال بمكاتبات بذلك وفي اثر ذلك حضر ايوب بك الصغير وعثمان بك الاشقر فقابلا مراد بك وقدم مراد بك لعثمان بك تقادم ثم رجع ايوب بك الى المنية ثانيا

وفي يوم الاثنين رابع ربيع الثاني وصل ابراهيم بك الكبير ومن معه من الامراء الى معادى الخبيرى بالبر الغربي فعدى اليه مراد بك وباقي الامراء والوجاقلية والمشايخ وسلموا عليه ورجعوا الى مصر وعدى في أثرهم ابراهيم بك ثم حضر ابراهيم بك في يوم الثلاثاء الى مصر ." (١)

" ودخل الى بيته وحضر اليه في عصريتها مراد بك في بيته وجلس معه حصة طويلة

وفي يوم الاحد عاشره عمل الديوان وحضرت لابراهيم بك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بك والامراء والمشايخ وعند ذلك قام مراد بك وقبل يده وكذلك بقية الامراء وتقلد علي أغا كتخدا الجاويشية كما كان وتقلد علي أغا اغات مستحفظان كما كان فاغتاظ لذلك قائد أغا الذي كان ولاه مراد بك وحصل له قلق عظيم وصار يترامى على الامراء ويقع عليهم في رجوع منصبه وصار يقول ان لم يردوا الى منصبي والا قتلت علي أغا

وصمم ابراهيم بك على عدم عزل علي أغا واستوحش علي أغا وخاف على نفسه من قائد أغا ثم ان ابراهيم بك قال ان عزل علي أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا

ثم انهم لبسوا سليما أغا امين البحرين وقطع منها امل قائد أغا وما وسعه الا السكوت

وفي منتصف جمادى الآخرة خرج عثمان بك المذكور بمماليكه وأجناده مسافرا الى الصعيد بنفسه ولم يسمع لقولهم ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع

وفيه كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ونسي الناس **أمر الغلاء**

وفي يوم الخميس مات علي بك أباظة الابراهيمي فأنزعج عليه ابراهيم بك وكان الامراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العيني ومصر القديمة خوفا من ذلك

فلما مات علي بك وكثير من مماليكهم داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم

وفي يوم الاحد طلعوا الى القلعة وخلعوا علي لاجين وجعلوه حاكم جرجا ورجع ابراهيم بك الى بيته أيضا وكان ابراهيم بك اذ ذاك قائمقام

وفيه مات أيضا سليمان بك ابو نبوت بالطاعون

---

(١) عجائب الآثار، ٥٩٢/١

وفي منتصف رجب خف أمر الطاعون ." (١)

" وفيه اشتكت الناس من غلاء الاسعار وتكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك وقال له في زمن العصاة كان الامراء ينهبون ويأخذون الاشياء من غير ثمن والحمد لله هذا الامر ارتفع من مصر بوجودكم وما عرفنا موجب الغلاء أي شيء فقال أنا لا اعرف اصطلاح بلادكم وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك فوقع الاتفاق على عمل جميعة في باب الينكجرية واحضار الاغا والمحتسب والمعلمين ويعملون تسعيرة وينادون بها ومن خالف او احتكر شيئا قتل فلما كان يوم السبت سادس عشرة اجتمعوا في باب مستحفظان وحضر الشيخ العروسي ايضا واتفقوا على تسعيرة في الخبز واللحم والسمن وغير ذلك وركب الاغا وبجنبه المحتبسب ونادوا في الاسواق فجعلوا اللحم الضاني بثمانية انصاف وكان بعشرة والجاموسي ستة بعد سبعة والسمن المسلي بثمانية عشر والزبد بأربعة عشر والخبز عشر آواق بنصف فضة وهكذا فعزت الاشياء وقل وجود اللحم وإذا وجد كان في غاية الرداء مع ما فيه من العظم والكبد والفشة والكرشة

وفي أواخره وصل الخبر بان رضوان بك قرابة علي بك الكبير المنافق وعلي بك الملط وعثمان بك وجماعة علوية حضروا إلى عرضي التجريدة وأخذوا الأمان من اسمعيل بك وعابدي باشا وانهم قادمون إلى مصر وإن القبالي استقروا بوادي طحطأ مكانهم الاول الذي قاتلوا فيه

شهر ربيع الثاني في يوم الخميس خامسه وصل المذكور إلى مصر وقابلوا حسن باشا وتوجهوا إلى بيوتهم

وفي يوم الاحد ثامنه ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى وكان أشيع في أمسه ان التجريدة نصرت وقتل من القبالي اناس كثيرة فلما سمعت الناس تلك المدافع ظنوا تحقيق ذلك وكثرت الاكاذيب والاقاويل ثم تبين ان لا شيء وانها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن بسبب ." (٢)

" واحد طظرى الى الدولة بحقيقة الحال وعينوا التجريدة ابراهيم بك الولي وعثمان بك المرادي متقلدا امارة الصعيد وعثمان بك الاشقر واحضر مراد بك حسن كتخدا علي بك بأمان وقابله وقيده بتشهيل التجريدة وعمل البقسماط ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك ووجه عليه المطالب حتى صرف ما جمعه وحواه وباع متاعه وأملاكه ورهنها واستدان ولم يزل حتى مات بقهره وقلدوا علي أغا مستحفظان سابقا وجعلوه كتخدا الجاويشية

---

(١) عجائب الآثار، ٥٩٣/١

(٢) عجائب الآثار، ١٥/٢

وفي حادي عشرين شهر الحجة الموافق لسابع عشر مسرى القبطي أوفي النيل أذرعه ونزل الباشا الى قصر السد وحضر القاضي والامراء وكسر السد بحضرتهم وعملوا الشنك المعتاد وجرالماء في الخليج ثم توقفت الزيادة ولم يزد بعد الوفاء الا شيئا قليلا ثم نقص واستمر يزيد قليلا وينقص الى الصليب فضجت الناس وتشحطت الغلال وزاد سعرها وانكبوا على الشراء ولاحت **الوائح الغلاء**

وفيه ايضا شرع الامراء في التعدي على أخذ البلاد من اربابها من الوجاقلية وغيرهم وأخذوا بلاد أمير الحاج

وفيه صالح الباشا الامراء على مصطفى أغا الوكيل وأخلوا له داره وقد كان سكن بها عثمان بك الاشقر فاخلاه له ابراهيم بك ونزل من القلعة اليه ولازم ابراهيم بك ملازمة كلية وكذلك مصطفى كاشف الذي كان يطرا لازم مراد بك واختص به وصار جليسه ونديمه

من مات في هذه السنة من الاعيان

ومات شيخنا علم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام الذي جاب في اللغة والحديث كل فج وخاض من العلم كل لج المذلل له سبل الكلام الشاهد له الورق والاقلام ذو المعرفة والمعروف وهو العلم الموصوف العمدة الفهامة والرحلة النسابة الفقيه المحدث اللغوي النحوي الاصولي الناظم الناثر ." [1]

" محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري ونزل في منزله فكان أنيسا له في سائر احواله قال اختبرته حق الاختبار فلم اجد له الا لسانا وهو مثار وبعد اشهر تبرم عن ملازمته واتخذ له حجرة في الحرم وعزل نفسه عنه فالتزم وحكى لي من اموره اشياء غريبة والمترجم معذور فان ساداتنا المغاربة ليس لهم تحمل في سماع كلام مثل كلامه لانهم الفوا ظاهر الشريعة ولم يدخل على اذهانهم نوادر اهل العرفان ولا تسوروا حصونها المنيعة ولاهل الروم فيه اعتقاد جميل ومواهبهم تصل اليه في كل قليل وكان له ولد يسمى جعفرا ورد علينا مصر في سنة خمس وثمانين واقام معنا برهة يغدو الينا ويبيت ويروح لزيارة بعض احباب ابيه بمصر ويذهب معنا لبعض المنتزهات اذ ذاك ولم يزل حتى اخترمته المنية سامحه الله ولم يخلف بعده مثله

سنة سبع ومائتين وألف

استهل المحرم بيوم الخميس والامر في شدة **من الغلاء وتتابع** المظالم وخراب البلاد وشتات اهلها وانتشارهم بالمدينة حتى ملؤا الاسواق والازقة رجالا ونساء واطفالا يبكون ويصيحون ليلا ونهارا من الجوع ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع

---

(١) عجائب الآثار، ١٠٣/٢

وفيه ايضا هبط النيل قبل الصليب بعشرة ايام وكان ناقصا عن ميعاد الري نحو ذراعين فارتجت الاحوال وانقطعت الامال وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل فلما نقص انقطع املهم واشتد كربهم وارتفعت الغلال من السواحل والعرصات وغلت اسعارها عما كانت وبلغ الاردب ثمانية عشر ريالا والشعير بخمسة عشر ريالا والفول بثلاثة عشر ريالا وكذلك باقي الحبوب وصارت الاوقية من الخبز بنصف فضة ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال وآل الامر الى ان صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها ولم يبق للناس شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الاعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والاكل ونحو ذلك وشحت النفوس واحتجب المساتير وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارا فلا ." (١)

" فقالوا وأين الفراش فبعثوا لاحضاره وسألوها فانكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر فقال لهم المشايخ دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية فقال دبوى نونو ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب فقالوا له دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها فلم يرض ايضا وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندها في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الافرنجيات فلما اصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فاحضرها وسلمها الى القاضي ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته

وفي يوم الخميس نادوا في الاسواق بان كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها واذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا وكان احضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها او كثرت فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ثم ترك ذلك وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والاسواق وان يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وان يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات

وفيه نادوا على الاغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين والبطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة ايام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة فذهبت جماعة من المغاربة الى صارى عسكر وقالوا له ارنا طريقا للذهاب فان طريق البرغير مسلوكة والانكليز واقفون

---

(١) عجائب الآثار، ١٤٣/٢

بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الاسكندرية **من الغلاء وعدم** الماء بها فتركهم ." (١)

" ليسكنوا بها فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها ابنية كثيرة وشرعوا في بناء حيطان وكرانك واسوار وهدموا أبنية عالية واعلوا مواضع متخفضة وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان في الابواب العظام من الاسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب الهندية وأكر الفداوية وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والاعمدة الباسقة

وفيه عينت عساكر الى مراد بك وذهبوا اليه ببجر يوسف جهة الفيوم

وفي يوم الخميس سادس عشرة نودي بان كل من تشاجر مع نصراني او يهودي يشهد احد الخصمين على الاخر ويطلبه لبيت صارى عسكر

وفيه قتلوا شخصين وطافوا برؤسهما و هم ينادون عليهما ويقولون هذا جزاء من يأتي بمكاتيب من عند المماليك او يذهب اليهم بمكاتيب

وفيه نبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الازبكية والرويعي ولا يدفنون الموتى الا في القرافات البعيدة والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته في ترب المماليك وإذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر ونادوا ايضا بنشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطحة عدة أيام وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدوه ويقولون ان العفونة تنحبس باغوار الارض فاذا دخل الشتاء وبردت الاغوار بسريان النيل والامطار والرطوبات خرج ما كان منحبسا بالارض من الابخرة الفاسدة فيتعفن الهواء **فيحصل الوباء والطاعون** ومن قولهم ايضا ان مرض مريض لابد من الاخبار عنه فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ان كان مرضه بالطاعون او بغيره ثم يرون رأيهم فيه

وفي يوم السبت ثامن عشره ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون ." (٢)

" والاعيان بالبكور الى بيت سارى عسكر فاجتمع الجمع في صبح يوم الاثنين فركب سارى سكر معهم في موكب كبير وذهبوا الى قصر العيني فمكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف انواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ولعبوا لعبهم في ميدان الحرب وخلع سارى عسكر

---

(١) عجائب الآثار، ٢٠٨/٢

(٢) عجائب الآثار، ٢١١/٢

على الشيخ الشرقاوي والقاضي واغاة الينكجرية خلع سمور ثم رجع الى منازلهم ثم نودى في جميع الاسواق بوقود اربع قناديل على كل دكان في تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالازبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا في المراكب طول ليلهم

وفي سابعه بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من اول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم هذه الغلة الموجودة الان انما هي زراعة العام الماضي واما هذا العام ٢ فلا تخرج زراعته الا في العام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد **يقع الغلاء العظيم** لولا الطاف الله ورحمته ونعمه العميمة الشاملة حصلت

وفيه ارسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه امور لم اتحقق تفصيلها وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة واصطلح معهم على شروط منها تقليده امارة الصعيد تحت حكمهم وفي هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثر اهتمام الفرنساوية باخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والفرين وبلبيس ." (١)

" المصرلية وساعدوهم عليهم ولما انحدر الامراء الى جهة بحري انضمت اليهم جميع قبائل الجهة العربية والهنادي وعرب البحيرة وخلافهم فلما وقعت الحروب بين الامراء والعثمانيين وكانت الغلبة للامراء والعربان زادت جسارتهم عليهم ورصدوا لهم الغوائل وقطعوا عليهم وعلى المسافرين الطرق بحرا وبرا فمن ظفروا به ومانعهم نهبوا متاعه وقتلوه والا سلبوه وتركوه فحش الامر جدا قبلي وبحري حتى وقف حال الناس ورضوا عن احكام الفرنسيس ومنها ان الباشا لما قتل الوالي والمحتسب وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات وان يكون الرطل اثنتي عشرة أوقية في جميع الاوزان وأبطلوا الرطل الزياتي الذي يوزن به السمن والجبن والعسل واللحم وغير ذلك وهو أربع عشرة أوقية لم ينفذ من تلك الاوامر شيء سوى نقص الارطال ولم يزل ذو الفقار محتسبا حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الاصلي وجعل منها قسط الخزينة الباشا وللكتخدا وخلافهما ورجعت الامور في الاسعار أقبح وأغلى مما كانت عليه في كل شيء واستمر الرطل اثنتي عشرة أوقية لا غير وكثر ورود الغلال أيام النيل ورخص سعرها والرغيف على مقدار **رغيف الغلاء** **ومنها** ان الفضة الانصاف العددية صاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها الى الروم والشام

---

(١) عجائب الآثار، ٣٠٧/٢

بزيادة الصرف ولا ينزل الى الصيارف منها الا القليل حتى شحت بأيدي الناس جدا ووقف حالهم في شراء لوازم البيوت ومحقرات الامور ويدور الاسانن بالريال او المحبوب أو المجر وهو في يده طول النهار فلا يجد مصارفته وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك وبسبب أذية العسكر فأنهم يأتون اليهم ويلزمونهم بالمصارفة فيقول له الصيرفي ليس عندي فضة فلا يقبل عذره ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته وان وجد عنده المصارفة وكان المحبوب أو البندقي ناقصا في الوزن لا يستقيم في نقصه ولا يأخذ الا صرفه كاملا واذا اشترى شيئا من سوقي أعطاه بندقيا وطلب باقيه ولم يكن عند البائع باقيه أخذ ." (١)

" بعد ان عقد مجلسا بالحرم وباحثهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة واخبروا ان الشريف غالبا وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها وانهم فارقوا الحجاج في الجديدة

وفيه كتبوا عرضالحين أحدهما بصورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشا ثم كرة الارنؤد على الانكشارية لما اثاروا الفتنة مع أحمد باشا حتى اختلت أحوال المدينة وكايعهما الخراب لولا قرب الامراء المصرلية وحضورهم فسكنوا الفتنة وكفوا ايدى المتعدين والثاني يتضمن رفع الاحداثات التي في ضمن الاوامر التي كانت مع الدفترادر التي تقدمت الاشارة اليها

وفيه عزم الامراء على التوجه الى جهة بحرى فقصد البرديسي وصحبته محمد بك تابع محمد بك المنفوخ جهة دمياط ومعهم محمد علي وعلي بك أيوب وغيرهم وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان ولم يتخلف الا ابراهيم بك واتباعه والحكام وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر ايضا

وفي يوم الثلاثاء عدى الكثير إلى البر الشرقي وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه قدم جاويش الحجاج بمكاتيب العقبة واخبروا بموت الكثير من الناس بالحمى والاسهال وحصل لهم تعب شديد **من الغلاء أيضا** ذهابا وايابا ومات الشيخ أحمد العريشي الحنفي ودفن بنبط ومات أيضا محمد أفندى باش جاجرت ودفن بالينبع والشيخ علي الخياط الشافعي

وفيه عدى ابراهيم بك الى قصر العيني وركب مع البرديسي الى جهة الحلي وودعه ورجع الى قصر العيني فأقام به وجلس ابنه مرزوق بك في مضرب النشاب واستمر وكيل الالفي مقيما بقصر الجيزة

---

(١) عجائب الآثار، ٥٥٨/٢

وفيه وردت الاخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط أبقي بفارسكور ابراهيم باشا ومملوكه سليم كاشف المنوفية بعدة من ." (١)

" مستوفزون وعم **بها الغلاء لعدم** الوارد وانقطاع الطرق وقيل ان علي باشا المذكور فرد عليهم مالا وقبض على ستة انفار من أغنياء المغاربة واتهمهم انهم كتبوا كتابا للبرديسي يعدونه انه اذا حضر يدلونه على جهة يملك منها البلد بمعونة عسكر المغاربة فأخذ منهم مائة وخمسين كيسا بشفاعة القبطان الذى في البيليك بالثغر واجتهد في حفر خندق حول البلد واستعملهم في ذلك الحفر وفي عزمه ان يطلق فيه ماء البحر المالح فان فعل ذلك حصل به ضرر عظيم فقد اخبر من له معرفة ودراية بالامور انه ربما خرب اقليم البحيرة بسبب ذلك واجتهدوا ايضا في تحصين المدينة زيادة عن فعل الفرنسيس والانكليز

وفي يوم السبت تاسعه وصل السيد علي القبطان الى مصر وطلع الى قصر العيني وقابل ابراهيم بك فخلع عليه فروة سمور وقدم له حصانا معددا واكرمه وعظمه وانزلوه عند علي بك ايوب واعطوه سرية بيضاء وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة ورتبوا له ما يليق به وهو رجل جليل من عظماء الناس وعقلائهم وأخبر القادمون البرديسي والاجناد المصريين ارتحلوا من رشيد الى دمنهور قاصدين الذهاب الى سكندرية وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة ومماليك وعساكر

وفيه أرادوا عمل فردة وأشيع بين الناس ذلك فانزعجوا منه واستمر الرجاء والخوف أياما ثم انحط الرأى على قبض مال الجهات ورفع المظالم والتحرير من البلاد والميرى عن سنة تاريخه من الملتزمين ويؤخذ من القبط ألأف وأربعمائة كيس هذا مع توالي وتتابع الفرد والكلف على البلاد حتى خرب الكثير من القرى والبلاد وجلا أهلها عنها خصوصا اقليم البحيرة فانه خرب عن آخره ثم ان البرديسي استقر بدمنهور وبعدما أبقى برشيد مملوكه يحيى بك ومعه جملة من العساكر وكذلك بناحية البغاز وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الامداد الذى اتاه من البحر وكان ما كان وشحن البرديسي برج مغيزل بالذخيرة والجبخانة وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها وأخذوا أموالهم من ." (٢)

" حصل رجات وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم وأرادوا أخذ القلعة فلم يتمكنوا من ذلك وقفل الناس دكاكينهم وقتلوا رجلا نصرانيا عند حارة الروم وخطفوا بعض النساء وامتعة وغير ذلك وركب محمد علي ونادى بالامان

(١) عجائب الآثار، ٥٨٦/٢

(٢) عجائب الآثار، ٦٠٢/٢

وفي يوم السبت عشرينه حضر سليمان كاشف البواب بالامان ودخل الى مصر

وفي يوم الاحد أفرجوا عن كشاف الالفي المحبوسين

وفيه حضر عثمان بك يوسف من ناحية الشرقية واستمر هناك حسين بك الوالي ورستم بك وذهب المنفوخ واسمعيل بك الى ناحية شرق اطفيح لانه اشيع ان الالفي ذهب عند عرب المعازة فقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحي واعطوهم دراهم يفتشون على الالفي

وفيه شرعوا في عمل فردة على أهل البلد وتصدى لذلك المحروقي وشرعوا في كتب قوائم لذلك ووزعوها على العقار والاملاك اجرة سنة يقوم بدفع نصفها المستأجر والنصف الثاني بدفعه صاحب الملك

وفي يوم الاربعاء رابع عشرينه شرح كتاب الفردة والمهندسون ومع كل جماعة شخص من الاجناد وطافوا بالاخطاط يكتبون قوائم الاملاك ويصقعون الاجر فنزل بالناس مالا يوصف من الكدر مع ما هم فيم **من الغلاء ووقف** الحال وذلك خلاف ما قرروه على قرى الارياف فلما كان في عصر ذلك اليوم نطق افواه الناس بقولهم الفردة بطالة وباتوا على ذلك وهم ما بين مصدق ومكذب

وفي يوم الخميس خامس عشرينه اشيع ابطال الفردة مع سعي الكتبة والمهندسين في التصقيع والكتابة وذهبوا الى نواحي باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى فضج الفقراء والعامة والنساء وخرجوا طوائف يصرخون وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويندبن وينعين ويقلن كلاما على الامراء مثل قولهن ايش تأخذ من تفليسي يا برديسي وصبغن أيديهن ." (١)

" له لم يبق بايدي الناس ما يقرضونه ويكفي الناس ما هم فيه **من الغلاء ووقف** الحال وغير ذلك فالتفت الى الوجاقلية وقال كيف يكون العمل فقال ايوب كتخدا نعمل جمعية مع السيد احمد المحروقي ويحصل خير فركن الباشا على ذلك ثم اجتمعوا مع المذكور واتفقوا انهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة وهي انهم قرروا على الوجاقلية قدرا من الاكياس وكتبوا بها تنابية باسماء اشخاص منها ما جعلوا عليه عشرين كيسا وعشرة وخمسة واقل واكثر وكذلك وزعوا على اشخاص من تجار البن وخان الخليلي ومغاربة اغراب واهل الغورية وخلافهم من تراخي في الدفع قبضوا عليه واودعوه في اضيق الحبوس ووضعوا الحديد في يديه ورجليه ورقبته ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزير مربوط بالسقف وارسلوا العسكر الى بيوتهم فجلسوا بها يأكلون ويسكرون ويطلبون من النساء المصروف خلاف الاكل الذي يطلبونه ويشتهونه

---

(١) عجائب الآثار، ٦٣٣/٢

وهو ثمن الشراب والدخان والفاكهة بل ويأتون بالقحاب معهم ويضربون بالبندق والرصاص بطول الليل والنهار وامثال ذلك

وفي يوم الخميس رابع عشرينة ارسل الباشا عسكرا فقبض على الامير علي المدني صهر ابن الشيخ الجوهري وحبسه فركب اليه المشايخ وكلموه في شأنه وقالوا أنه رجل وجاقلي من خيار الناس وما السبب في القبض عليه وما ذنبه الموجب لذلك فقال انه رجل قبيح ولي عليه دعوة شرعية وإذا كان من خيار الناس وم الوجاقلية لأي شيء يعمل كتخدا عند صالح بك الألفي وانه عند هروب مخدومه من الشرقية اخذ ما كان معه من المال على اربعة جمال ودخل بها الى داره وعندي بينة تشهد عليه بذلك فأنا اطالبه بالمال الذي عنده وقاموا ونزلوا من غير طائل

وفي يوم السبت سادس عشرينه توفى الشيخ موسى الشرقاوي الشافعي وكان من اعيان العلماء الشافعية

وفي يوم الاثنين ثامن عشرينة احضروا المحمل من السويس فنزل ." (١)

" الربع وهم الشيخ عمر الغرياني وشركاؤه فذهبوا الى بيت الشيخ الشرقاوي والتجؤا اليه ثم أن القاضي كلم الباشا في امر المردومين وذكر له طلب الحاكم دراهم على رفعهم واجتماع مصيبتين على اهليهم والتمس منه ابطال ذلك الامر فكتب فرمانا بمنع ذلك ونودي به في البلدة وسجل

وفي ليلة الاثنين عمل موسم الرؤية لثبوت هلال رمضان وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة من بيت القاضي ولم يثبت الهلال تلك الليلة و نودي انه من شعبان وانقضى شهر شعبان وقادري أغا عاص جهة شابور في قرية وصالح أغا ومن معه من العساكر مستمرون على حصاره وصحبتهم اخلاط من العربان وجلا اهل شابور عنها وخرجوا على وجوههم مما نزل بهم من النهب وطلب الكلف وغير ذلك من العاصي منهم والطائع فإن كلا من الفريقين تسلطوا على نهب البلاد وطلب الكلف وغيرها واذا مرت بهم مركب نهبوها واخذوا ما فيها فامتنع ورود المراكب **وزاد الغلاء وامتنع** وجود السمن واذا وجد بيع العشرة ارطال بخمسائة نصف فضة وستمائة ولا يوجد وبيع الرطل من البصل في بعض الايام بثمانية انصاف والاردب الفول بثمانية عشر ريالا والقمح بستة عشر ريالا والرطل الشمع الدهن بأربعين نصفا والشيرج بخمسة وثلاثين نصفا واما زيت الزيتون فنادر الوجود وقس على ذلك

شهر رمضان سنة

---

(١) عجائب الآثار، ٢٨/٣

استهل بيوم الثلاثاء في ثانية حضر صالح أغا الذي كان يحاصر قادري أغا وضربوا له مدافع وتحقق أن قادري طلب امانا فارسلوا مع من معه الى دمياط وذلك بعد أن ضيقوا عليه وحضر اليه كاشف البحيرة وضايقه من الجهة الاخرى وفرغت ذخيرته فعند ذلك ارسل الى كاشف البحيرة فامنه

وفي سابعة وصل جماعة من الانكليز الى مصر وهم نحو سبعة عشر ." (١)

" وقطعوا رأسه وستة انفار معه وذهبوا برؤوسهم على مزاريق واقتص الله منه فكان بينه وبين قتله للمذكور دون الشهر وكان مشهورا فيهم بالشجاعة والاقدام

وفيه اجتهدوا في تشهيل علوفة وذخيرة وجبخانة وسفروها مع جملة من العسكر نحو الخمسمائة في يوم الاثنين ثالث عشرينه

وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه وصل الدلاة الى الخانكة فحضر منهم طائفة ودخلوا الى مصر فردوهم الى اصحابهم حتى يكونوا بصحبتهم في الدخول

وفي يوم الخميس نزل كتخدا الباشا وصالح اغاقوش وخرجوا الى جهة العادلية لملاقاة الدلاة المذكورين وكبيرهم يقال له ابن كور عبدالله

وفي يوم الجمعة دخل الدلاة المذكورين وصحبتهم الكتخدا وصالح اغاقوش وكاشف الشرقية وكاشف القليوبية وطوائف العسكر ومعهم نقاقير وطبول وهم نحو الالفين وخمسمائة اجناس مختلفة واشكال مجتمعة فذهبوا الى ناحية مصر القديمة ونواحي الاثار وانقضت السنة وما حصل بها **من الغلاء وتتابع** المظالم والفرد على البلاد واحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد والقبض على افراد الناس بادنى شبهة وطلب الاموال منهم وحبسهم واشتد الضنك في آخر السنة وعدم القمح والفول والشعير وغلا ثمن كل شيء ولولا اللطف على الخلائق بوجود الذرة حتى لم يبق بالرقع والعرصات سواه واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام من العام الماضي وبطول هذه السنة امتنع الوارد من الجهة القبلية ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شأنه ولم يقع قحط ولا موت من الجوع كما رأينا في الغلوات السابقة من عدم الخبز في الاسواق وخطف اطباق العيش والعكعك واكل القشور وما يتساقط في الطرقات من قشور الخضروات وغير ذلك

واما من مات في هذه السنة من الاعيان

---

(١) عجائب الآثار، ٣/٣٦

فقد مات العمدة العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه الاصولي النحوي ." (١)

" وما يحتاج اليه من ادوات وذخير وغير ذلك ولم يظهر لذلك الكلام اثر ولما اصبح النهار وحضر القابجي في موكب الى بيت الباشا وحضر الاشياخ والاعيان وكان الباشا غائبا في الترعة كما تقدم وعوضه كتخدا بك واكابر دولتهم وقرئت المراسيم تحقق الخبر وانقضت السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها فمن الحوادث العامة توالي الفرض والمظالم المتوالية واحداث انواع المظالم على كل شيء والتزايد فيها **واستمرار الغلاء في** جميع اسعار المبيعات والمأكل والمشارب بسبب ذلك وفقر اهل القرى وبيعهم لمواشيهم في الغارم فقل اللحم والسمن والجبن واخذ مواشيهم واغنامهم من غير ثمن في الكلف ثم رميها على الجزارين بأغلى ثمن ولا يذبحونها الا في المذابح ويؤخذ منهم اسقاطها وجلودها ورؤوسها ورواتب الباشا واهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم فتباع على اهل البلد بأغلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله واذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح قبض عليه واشهره واخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ولا يغفر ذنبه ويسمى خائنا وفلاتيا ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج والحال ليس كذلك فانه لم يمنع احدا يأتي الحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم احد بشيء ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن اهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يتعيشون منها خرجوا من اوطانهم باولادهم ونسائهم ولم يمكث الا الذي ليس له ايراد من ذلك واتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من اجراء الارزاق واتصال ." (٢)

" الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها ثم ترجمها بقوله طغاي الخوندة الكبرى زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وام ابنه الامير آنوك كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ويقال انها اخت الامير آقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال من السعادة مالم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة

---

(١) عجائب الآثار، ٤٦/٣

(٢) عجائب الآثار، ٢٤٧/٣

امرأة سواها وصارت خوندة بعد ابنة توكاي اكبر نسائه حتى من ابنه الامير تنكز وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بامرها وحمل لها البقول في محايرطين على ظهور الجمال واخذ لها الابقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطري و الجبن وكان يقلي لها الجبن في الغداء والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن في كل يوم بطريق الحج فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضي كريم الدين وامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويسيرون بين يدي محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لابدان يكون لخوند طغاي منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع واربعين وسبعمائة **ايام الوباء عن** ألف جارية وثمانين خصيا واموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهي من اعمر الاماكن الى يومنا هذا انتهى كلامه

يقول الحقير اني دخلت هذه الخانكاه في اواخر القرن الماضي فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون بها وفيهم اصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ودخلت الى مدفن الواقفة وعلى قبرها ." (١)

" الاكثر من غير شيء مع بعد المسافة وفيهم الكثير من العواجز فلما ترافعوا في الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع وطلع الى الباشا فعرفه بذلك فقال الباشا لا تخصموا له الا ما كان بأذني وفرماني وما كان بدون ذلك فلا وانكر الحال السأبق منه له وقال هو متبرع فيما فعله فتأخر عليه مبلغ كبير في مدة اربع سنوات وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من اتباعه فلا يسعه الممانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التى هو معه عليها فرجعوا عليه في كثير من ذلك وتاخر عليه مبلغ كبير أيضا فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الألف كيس فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الالف كيس والمائتي كيس وكسور تبلغ في الاربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسين افندي وتحير في امره وزاد وسواسه ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا

وفي اواخره عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعملوا له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليه

---

(١) عجائب الآثار، ٣/٣٨٠

وفيه ايضت زاد الارجاف بحصول الطاعون وواقع الموت منه بالاسكندرية فأمر الباشا بعمل كورنتينة بثغر رشيد ودمياط والبراس وشبرا وارسل الى الكاشف الذي بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر وامر أيضا بقراءة صحيح البخاري بالازهر وكذلك يقرأون بالمساجد والزوايا سورة الملك والاحقاف في كل ليلة بنية **رفع الوباء فاجتمعوا** الا قليلا بالازهر نحو ثلاثة ايام ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف نحو ثلاثة ارباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو ايام الشتاء فاظلم الجو الا قليلا ولم ينتبه له كثير من الناس لظنهم انها غيوم متراكمة لأنهم في فصل الشتاء ." (١)

" السويس والقصير وبأن يخلوها لاجل نزول العساكر المسافرين وبتأخير الحجاج وذلك أنه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول ابن مضيان والمضايقي وغيرهم الى دار السلطنة وهروت الوهابين الى بلادهم فعملوا ولائم وافراحا وتهاني وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الرومنلي والانضول بالبشائر بالفتح والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين بالامن والامان والرفاهية والراحة فتحركت همم مريدي الحج لان لهم سنين وهم ممتنعون ومتخوفون عن ورود الحج فعند ذلك اقبلوا افواجا بحريمهم واولادهم ومتاعهم حتى أن كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين بأهله وعياله ولم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين **من الغلاء والقحط** الا عند وصولهم الى ثغر اسكندرية ولم يتحققوها الا بمصر فوقعوا في حيرة ما بين مصدق ومكذب فمنهم من شد للسفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الامر لله ومنهم من تأخر بمصر الى أن ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسه وذلك خلاف اجرة متاعه وما يتزود به في سفره فإنهم يزنونه بالميزان وعلى كل اقة قدر معلوم من الدراهم واما من يسافر في بحر النيل على جهة القصير في مراكب الباشا فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ثم عليه اجرة حمله من قنا الى القصير ثم اجرة بحر القلزم أن وجد سفينة حاضرة والا تاخر اما بالقصير او السويس حتى يتيسر له النزول ويقاسي ما يقاسيه في مدة انتظاره وخصوصا في الماء وغلو ثمنه ورداءته ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر الا بأذن كتخدا بك ويعطيه مرسوما بالاذن وبلغني أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الرومنلي

(١) عجائب الآثار، ٣/٣٩٥

والانضول وغيرهما وحضر الكثير من اعيانهم مثل امام السلطان وغيره فنزل البعض بمنزل عثمان أغا وكيل دار السعادة ." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٨٣ """"""""

المسلمين جملة من المدن ، والحصون ، والمعاقل ، فانتزع الهارونية ، وعين زربه كما ذكرناه وكذلك دلوك ، وأذنة ، وغير ذلك من الثغور .

ونزل على أذنه في ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين ، ولقيه نفير طرسوس فهزمهم وقتل منهم مقدار أربعة آلاف ، وانهزم الباقون إلى تل بالقرب من أذنة ، فأحاط الروم بهم وقاتلوهم وقتلوهم بأسرهم .

وهرب أهل أذنة إلى المصيصة وحاصرها نقفور مدة فلم يقدر عليها بعد أن نقب في سورها نقوبا عدة . وقلت الميرة عندهم فانصرف ، بعد أن أحرق ما حولها .

وورد في هذا الوقت إلى حلب انسان من أهل خراسان ومعه عسكر لغزو الروم ، ، فاتفق مع سيف الدولة على أن يقصدا نقفور وكان سيف الدولة عليلا فحمل في قبة ، فألفياه وقد رحل عن المصيصة .

وتفرقت جموع الخراساني **لشدة الغلاء في** هذه السنة بحلب والثغور **وعظم الغلاء والوباء** في المصيصة وطرسوس حتى أكلوا الميتة .

وعاد نقفور إلى المصيصة وفتحها بالسيف في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . وفتح أيضا كفربيا في هذه السنة ومرعش . وفتح طرسوس من أيدي المسلمين في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

وكان المسلمون يخرجون في كل سنة ويزرعون الزرع فيأتي بعساكره فيفسده .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٧٠ """"""""

المصريين ، بعد أن نهب عسكر الترك حناك ، وجميع ضياعه بالشام .

ووقع الوباء العظيم بحلب ، حتى إنه مات في رجب من هذه السنة زهاء عن أربعة آلاف فضلا عن سائر الشهور .

وفيها طلعت طائفة كبيرة من الترك ، فنزل بعضها على دلوك وتقدم منهم نحو ألف ، فنهبوا بلد أنطاكية عن آخره ، وأخذوا نحو أربعين آلف جاموس . وقيل أكثر ، حتى أن الجاموس كان يباع بدينار ، وأكثره بدينارين وثلاثة . وأما البقر ، والغنم ، والمعز ، والحمير ، والجواري ، فلم يقع على ذلك إحصاء من الكثرة . وكانت

---

(١) عجائب الآثار، ٣/٤٦٤

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٨٣

الجارية تباع بدينارين والصبي بتطبيقة نعال للخيل .

هزيمة الروم

وخرب بلد الروم خرابا لم يسمع بمثله ، وبقيت الغلات في البيادر ما لها من يرفغها منهم ، حتى كان الفلاحون وسائر العوام يمضي الواحد منهم ويأخذ ما يريد ، فلا يجد من يدافعه عن ذاك ، لأن الروم تحصنوا في الحصون والجبال ، والمغاير ، وتركوا بيوتهم على حالها لم يأخذوا منها شيئا ، لأن الترك أتوهم على غفلة ، وكان ذلك في شوال . وكان مقدمهم أفشين بن بكجي ، وكان قد غضب عليه العادل ألب أرسلان بسبب خادم كان زعيم بعض عساكره ، فقتله الأفشين . وقطع الفرات إلى بلد الروم ، ثم خرج إلى أعمال حلب ، وباع الغنائم التي كانت معه .

ونزل في سنة ستين حول أنطاكية ، وضاق الشيء فيها حتى بلغت الحنطة قفيزين بدينار . فلما لم يبق شيء دون فتحها أتته كتب العادل ألب أرسلان من العراق بالرضا عنه . وقيل إن أصحاب مؤونة السوق بحلب حصل في دفاترهم نحو سبعين آلف مملوك ومملوكة سوى ما بيع بغير مؤونة في بلد الروم وسائر البلدان ، وأخذ من أصحاب أنطاكية مائة آلف دينار ، ومثلها من ثياب الديباج والآلة . وسار إلى العراق في جمادى الآخرة من السنة .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧١ """""""""

وفي هذه السنة سلم أمير من أمراء المغاربة يعرف بابن المرأة حصن أسفونا إلى الأمير عز الدولة محمود بن نصر بن صالح . وتولى ذلك الأمير سديد الملك أبو الحسن علي بن متقذ .

بين المرداسيين والروم

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان ، فتحت أرتاح بالسيف ، ونهب جميع ما فيها وما في حصنها من الأموال والذراري ، وكان فيها خلق عظيم من النصرانية لأن جميع من كان في تلك المواضع منهم حصل بها لأنها كانت الكرسي لهم هناك . وقتل من رجالها نحو ثلاثة آلاف رجل ، وقد كان الملك ابن خان حاصرها زهاء خمسة أشهر .

وأتى عسكر عظيم من عساكر الروم ، فنزل على باب أنطاكية ليصالح الملك ابن خان عن أرتاح وغيرها من بلادهم ، فلم يتم بينهم صلح . وإنما كان غرض العسكر أن يدس إلى أنطاكية غلة حملت إلى السويداء لتقويتها .

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/١٧٠

وكان فتح أرتاح فتحا عظيما لأن عملها قريب من أعمال الشام ، من الفرات إلى العاصي إلى أفامية إلى باب أنطاكية إلى الأثارب . وقيل بأنهم أحصوا إلى شهر رمضان من هذه السنة أنه افتقد من الروم في الدرب إلى أفامية بحساب قتلا وأسرا ثلاثمائة آلف نفر .

وخرج ملك الروم في سنة إحدى وستين وأربعمائة إلى ديار الشام فأخذ كثيرا من أهل منبج ، وهرب أهلها من حصنها فأخذه ، وشحنه رجالا وغلة وعدة . وسار إلى عزار فوقف عليها ساعة ، ورجع جاولا ، وسلط الله عليه وعلى **أصحابه الغلاء** ، والعلة ، والوباء . فذكر ملك الروم للقاضي القضاعي رسول المصريين أنه ومات له في يوم واحد ثلاثة آلاف من خيله سوى عسكره .

وقيل : إن منبج بقيت في بلد الروم سبع سنين ، وهذا الملك هو ديوجانس . ولا يبعد عندي أنه الذي عناه هرقل بقوله : " لا يعود إليك رومي إلا خائفا حتى يولد المولود المشئوم ، ويا ليته لا يولد " .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٥ """""""

وأنكر السلطان ذلك ووعدهم بما طابت به نفوسهم ، ووقع لهم بإقطاعهم في الشام ، وأقطع الشام لأخيه تاج الدولة تتش ، وأمره بالمسير إلى الشام في أوائل سنة سبعين وأربعمائة وتقدم السلطان ملك شاه إلى أفشين بن بكجى ، وصندق التركي ، ومحمد بن دملاج ، وابن طوطو ، وابن بريق ، وغيرهم ، من أمراء الترك بالكون مع تاج الدولة والمسير في خدمته فسار تاج الدولة ومعه وثاب بن محمود ومبارك بن شبل وحامد بن زغيب ، حتى وصل إلى ديار بكر ، وتواصلت إليه آلاف حاد مع المذكورين ، وكان أحمد شاه قد حصر أنطاكية مئة ومعه عسكر حلب **واشتد الغلاء بها** في هذه السنة ، واستقرت الحال على خمسة آلاف دينار مقاطعة ، فأخذها ، ورحل عنها إلى حلب .

ولما قرب تاج الدولة من الشام هرب جماعة الأتراك المقيمين بحاضر حلب مع أحمد شاه إلى حصن الجسر وكان ابن منقذ جدد عمارته ليضايق به شيزر ، ويقطع المادة عنها من بلد الروم ، وأذن له سابق بن محمود في ذلك ، فجدد في هذه السنة فتركوا أموالهم وأهاليهم بهذا الحصن ، وعادوا إلى خدمتهم بحلب ، ولم يأمنوا أهل حلب أن يتركوا حرمهم عنده لما كانوا فعلوه بابن خان ، وتغير الهواء بالجسر عليهم ، فهلك عاقتهم بهذا الموضع .

وأما تاج الدولة تتش فإنه أقام بالمروج إلى أن وصلته بنو كلاب بالطعن ، ونزلوا حلب في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/١٧١

ووصل شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش في عسكر كثير بأمر ملك شاه ، ونزل معه على حلب معينا له ، وحصروها ثلاثة أشهر وعشرين يوما ، وكان نزوله على حلب لثلاث خلون من ذي القعدة من سنة إحدى وسبعين وأربعمائة لمكان القتال عليها متصلا .

وقتل أحمد شاه مقدم الأتراك بحلب بطعنة أصابته في الحرب ، وكان هوى." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """""""""

القسم السادس عشر

حلب ومسلم بن قريش

مسلم في حلب

وتسلمها أبو المكارم في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ، بعد حصار أربعة أشهر للقلعة

وقال ابن أبي حصينة يهنيء شرف الدولة بفتح القلعة :

لقد أطاعك فيها كل ممتنع . . . خوف انتقامك حتى غارت الفلب

ولما ملك شرف الدولة حلب أحسن إلى أهلها ، وخفف عنهم أثقالا كثيرة ، وصفح عن كلف كانت عليهم في أيام بني مرداس . ونقلت الغلات إلى حلب ، فرخصت الأسعار **بعد الغلاء الشديد** وفي يوم تسلمه القلعة ودخوله إليها دخل زوجته منيعة أخت سابق ، في اليوم والساعة ، وهو اتفاق لم يسمع بمثله ، ففتح حصنين . وقال في ذلك أبو نصر بن الزنكل يمدح شرف الدولة :

فرعت أمنع حصن وافترعت به . . . نغم الحصان ضحى من قبل يعتدل

وحزت بحر الدجى شمس الضحى فعلى . . . مثليكما شرفا لم تسدل الكلل

ومدحه ، ابن حيوس بالقصيدة التي أول٥ا :

ما أدرك الطلبات مثل متمم . . . إن أقدمت أعداؤه لم يحجم

فلما وصل إلى قوله : أنت الذي نفق الثناء بسوقه . . . وجرى الندى بعروقه قبل الدم

اهتز شرف الدولة وأمره بالجلوس ، فأتمها جالسا وأجازه بألفي دينار وقرية .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """""""""

عبد القاهر بن الموصول وكان أبو الفضل حسن السيرة جوادا كثير المعروف والصدقات . ووافق ذلك **شدة**

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/١٩٥

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٠٥

الغلاء والجوع بحلب ، حتى أكلوا الميتات ، فأخرج غلة كثيرة ، وتصدق بها على الناس وقيل : إنه كان يخرج في كل سنة صدقة وبرا ثلاثة آلاف مكوك غلة سوى ما يطلقه لمن يسأله معونته من الوفود والضيوف ، وغير ما يطلقه من العين والورق وغير ما كان يعتمد من افتكاك الأسرى من المسلمين .

المجن الفوعي

وفيها قتل الملك رضوان رئيس حلب بركات بن فارس الفوعي المعروف بالمجن ، وكان هذا المجن أولا من جملة اللصوص الشطار وقطاع الطريق الذعار فاستتابه قسيم الدولة أن سنقر ، وولاه رئاسة حلب لشهامته وكفايته ومعرفته بالمفسدين ، وكان في حال اللصوصية يصلي العشاء الآخرة بالفوعة ، ويسري إلى حلب ويسرق منها شيئا ويخرج ، ويصلي الفجر بالفوعة فإذا اتهم بالسرقة أحضر من يشهد له أنه صلى العشاء بالفوعة والصبح فيبرئونه .

واستمر على رئاسة حلب في أيام قسيم الدولة وأيام تاج الدولة وبعده في أيام رضوان ، وامتدت يده وحكم على القضاة والوزراء ومن دونهم ، وهو الذي قتل الوزير أبا نصر بن النحاس في أيام قسيم الدولة .

وبلغني أنه حنق عليه بسبب حضر أراد شراءها فاشتراها المجن ، فشق على أبي نصر ، فسيرها المجن إليه ، فردها عليه أبو نصر ، وتكلم في حقه بكلام قبيح فحنق بسببها على ابن النحاس ، فاعتقله بعد ذلك عنده وخنقه .

وكان كثير السعاية في قتل النفوس وسفك الدماء وأخذ الأموال وارتكاب الظلم ، فعصى على الملك رضوان ، ثم ضعف واختفى بعد أن حصر رضوان في قلعة حلب في سنة تسعين وأربعمائة .

فأمر رضوان مناديا نادى بالقلعة بأن الملك قد ولى رئاسة حلب صاعد بن بديع فانقلب الأحداث عنه لبغضهم إياه ، ومضوا إلى صاعد فاختفى المجن ، ثم ظهر عليه فعجل الله المكافأة له على قبيح فعله .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٥ """"""""

وهدموا سور البلد وأحرقوا مساجده ودوره وكسروا المنابر ، وعاد بيمند إلى أنطاكية وقمص الرها إليها وفي هذه السنة فتحوا بيت المقدس وفعلوا فيها كما فعلوا بالمعرة .

وفي سنة ثلاث وتسعين ، وصل مبارك بن شبل أمير بني كلاب في جمع كثير من العرب فحالف الملك رضوان ، ورعوا زرع المعرة ، وكفرطاب ، وحماة ، وشيزر ، والجسر ، وغير ذلك وخلت البلاد ، ووقع

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٤٢

الغلاء في بلد حلب ، ولم يزرع شيء في بلدها ، وسلط الله الوباء على العرب ، فمات شبل ومبارك ولده ، واضمحلت دولة العرب .

حلب والفرنج

وتوجه الملك رضوان في سلخ رجب من هذه السنة إلى الأثارب وأقام عليها أياما ، وتوجه إلى "كلا " في الخامس والعشرين من شعبان لإخراج الفرنج منها ، فاجتمع من كان في الجزر وزردنا وسرمين من الفرنج والتقوا ، فانهزم رضوان ، واستبيح عسكره ، وقتل خلق وأسر قريب من خمسمائة نفس وفيهم بعض الأمراء ، وعاد الفرنج إلى الجزر وأخذوا برج كفرطاب وبرج الحاضر ، وصار لهم من كفرطاب إلى الحاضر ، ومن حلب غربا سوى تل منس فإن أصحاب جناح الدولة كانوا بها .

وسار رضوان عقيب هذه النكبة إلى حمص مستنجدا بجناح الدولة فأجابه ، وعاد إلى حلب ومعه جناح الدولة ، وقد عاد الفرنج إلى أنطاكية ، فأقام جناح الدولة بظاهر حلب أياما ، فلم يلتفت إليه رضوان فعاد عنه إلى حمص .

وتجمع الفرنج بالجزر وسرمين وأعمال حلب وجمعوا العدد والغلال لحصار حلب ، وعولوا على حصارها في سنة خمس وتسعين ، وقيل قبلها ، ووصل بيمند وطنكريد إلى قرب حلب فنزلوا المشرفة ، من الجانب القبلي." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """""""

بلد حلب **بين الغلاء والفرنج**

واشتد الغلاء بأنطاكية وحلب ، لأن الزرع عرق ولحقه هواء عند إدراكه أتلفه ، وهرب الفلاحون للخوف ، واستدعى أهل حلب ابن قراجا من حمص ، فرتب الأمور بها ، وحصنها ، وسار إلى حلب ، ونزل في القصر خوفا من إيلغازي لما كان بينهما . وخرج أتابك إلى حمص ، ونهب أعمالها وشعثها ، وأقام عليها مدة ، وعاد إلى دمشق لحركة الفرنج . وخرجت قافلة من حلب إلى دمشق فيها تجار وغيرهم ، وحملوا ذخائرهم وأموالهم لما قد أشرف عليه أهل حلب . فلما وصلوا إلى القبة نزل الفرنج إليه ، وأخذوا منهم المكس ، ثم عادوا وقبضوهم وما معهم بأسرهم ، ورفعوهم إلى القبة ، وحملوا الرجال والنساء بعد ذلك إلى أفامية ، ومعرة النعمان ، وحبسوهم ليقروا عليهم مالا .

فراسلهم أبو المعالي بن الملحى ورغبهم في البقاء على الهدنة وأن لا ينقضوا العهد ، وحمل إلى صاحب

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٤٥

أنطاكية مالا وهدية ، فرد عليهم الأحمال والأثقال وغير ذلك ، ولم يعدم منه شيء .

وقوي طمع الفرنج في حلب لعدم النجد وضعفها ، وغدروا ونقضوا الهدنة ، وأغاروا على بلد حلب ، وأخذوا مالا لا يحصيه إلا الله ، فراسل أهل حلب أتابك طغتكين ، فوعدهم بالإنجاد ، فكسره جوسلين وعساكر الفرنج ، وراسلوا صاحب الموصل وكان أمره مضطربا بعد عوده من بغداد . ونزل الفرنج بعد عودهم من كسرة أتابك على عزاز ، وضايقوها ، وأشرفت على الأخذ ، وانقطعت قلوب أهل حلب إذ لم يكن بقي لحلب معونة إلا من عزاز وبلدها وبقية بلد حلب في أيدي الفرنج ، والشرقي خراب مجدب ، والقوت في حلب قليل جدا ، ومكوك الحنطة بدينار ، وكان إذ ذاك لا يبلغ نصف مكوك بمكوك حلب الآن ، وما سوى ذلك مناسب له .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """"""""

وأما الفرنج فإنهم توجهوا إلى الأثارب ودخلوا أنطاكية .

وشرع الناس في الزرع ببلد حلب في الثاني عشر من شباط وجعلوا يبلون الغلة بالماء ، ويزرعونها فنبتت وتداركت عليها الأمطار فأخصبت ، وجاءت الغلة من **أجود الغلاء وأزكاها** .

وأطلق البرسقي بني منقذ من الاعتقال بقلعة حلب ، ورحل إلى تل السلطان في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، في أواخر المحرم ، وأقام به ثلاثة أيام ، ورحل إلى أن وصل إلى شيزر في سابع صفر ، وتسلم أولاد الفرنج من ابن منقذ ، وباعهم بثمانين ألف دينار حملت إليه .

وأقام بأرض حماة أياما حتى وصل إليه أتابك طغتكين ، فرحل في عساكره التي لا تحد كثرة ، ونزل كفر طاب فسلمت إليه يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر ، وسلمها إلى صمصام الدين خيرخان بن قراجا ، وكان قد وصل إليه من حمص والتقاه بتل السلطان .

وسار إلى عزاز وقاتلها ، ونقبت قلعتها فقصدهم الفرنج ، فالتقوا سادس عشر ربيع الآخر ، وكسر البرسقي كسرة عظيمة ، واستشهد جماعة من المسلمين من السوقة والعامة ، ولم يقتل من الأمراء والمقدمين أحد .

ووصل أق سنقر البرسقي سالما إلى حلب ، وأقام على قنسرين أياما ، وتفرقت العساكر إلى بلادهم ، ووصل أمير حاجب صارم الدين بابك بن طلماس ، فولاه البرسقي حلب وبلدها ، وعزل عنها سوتكين واليا كان ولاه .

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٦٨

ووقعت الهدنة بين البرسقي والفرنج على أن يناصفهم في جبل السماق وغيره مما كان بأيدي الفرنج ، وسار البرسقي إلى الموصل فلم يزل الفرنج يعللون الشحن والمقطعين بالمحال في مغل ما وقعت الهدنة عليه إلى العشرين من شعبان من السنة .

وسار بغدوين إلى بيت المقدس والرسول خلفه يعلمه بأن الفرنج لا يمكنون." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١٢ """"""""

اتفقت على حفظ الدولة والذب عنها ، فلم يحفل بذلك .

وسار إلى حماة فخرج إليه شمس الخواص بعد أن توثق منه بالأيمان . ورحل إلى دمشق ، وسار إليها ، فنزل على دمشق في عسكر عظيم ، وزحف عليها مرارا متعددة ، فلم يظفر فيها بطائل ، **واشتد الغلاء في** العسكر ، وعدموا القوت ، وقفز جماعة من العسكر إلى دمشق ، ووقعت المراسلة في حديث الصلح . وكان قد وصل مع أتابك بعض أولاد السلطان فطلب أن يخرج شهاب الدين محمود لوطء بساط ولد السلطان ، فلم يفعل .

واتفق الأمر على خروج أخيه تاج الملوك بهرام شاه ، واتفق عند ذلك وصول بشر بن كريم بن بشر رسولا من المسترشد إلى زنكي بخلع هيئت له ، وتقدم إليه بالرحيل عن دمشق والوصول إلى العراق ، ليوليه أمره وتدبيره ، وأن يخطب للسلطان ألب أرسلان داود بن محمود المقيم بالموصل وكان قد وصل هاربا من بين يدي عمه السلطان مسعود فأكرمه أتابك .

فدخل الرسول وبهاء الدين بن الشهرزوري إلى دمشق ، وقررا هذه القاعدة وأخمدا الفتنة ، وأكدا الأيمان ، وخطب يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الأولى بجامع دمشق بحضورهما ، على القاعدة التي وصل فيها الرسول .

زنكي في حماه وحلب وحمص وبغداد

وعاد أتابك من دمشق ، فلما وصل حماه قبض على شمس الخواص صاحبها ، وأنكر عليه أمرا ظهر منه ، وشكا أهلها من نوابه فتسلمها منه ، وأطلقه فهرب ، ورد حماة إلى صلاح الدين ورحل من حماة .

وسار إلى بلد حلب ، فنزل على الأثارب ، ففتحها أول رجب ، ثم فتح زردنا ، ثم تل أغدي ، ثم فتح معرة

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٢٩٦

النعمان ، ومن على أهلها بأملاكهم ، ثم فتح كفر طاب ونزل على شيزر فخرج إليه أبو المغيث بن منقذ نائبا عن أبيه ، ثم نزل بارين وأظهر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١٣ """""""""

أنه يحاصرها ، ثم سار ، وأهل حمص غادون ، فشن عليهم الغارة ، واستاق كل ما كان في بلدها ونهبهم .

ووصل ابن الفنش الفرنجي من بيت المقدس وخرج في جموع الفرنج ، فنزل قنسرين ، فسار إليهم أتابك فأحسن التدبير ، وما زال بالمسلمين حولهم حتى عادوا إلى بلادهم .

وسار زنكي إلى حمص فأحرق زرعها ، وقاتلها في العشر الأواخر من شوال ، ثم سار إلى الموصل في ذي القعدة من هذه السنة .

وسار منها في المحرم من سنة ثلاثين وخمسمائة إلى بغداد ، ومعه داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه الواصل إليه إلى الموصل ، فأنزله في دار السلطنة ببغداد ، وأتابك في الجانب الغربي ، والخليفة إذ ذاك الراشد بعد قتل المسترشد . فوصل السلطان مسعود إلى بغداد فحصرهم بها فوقع الوباء في عسكره ، فسار إلى أرض واسط ليعبر إلى الجانب الغربي ، فاغتنم أتابك غيبته ، وسار إلى الموصل ، وسار داود إلى مراغة .

وبلغ الخبر السلطان مسعود فعاد ، فهرب الراشد ، ولحق أتابك بالموصل . ودخل مسعود بغداد ، فبايع محمد المقتفي ، وخطب له ببغداد وأعمال السلطان ، وبقيت الخطبة بالشام والموصل على حالها إلى أن اتفق أتابك زنكي والسلطان مسعود واصطلحا ، وخطب بالشام والموصل للمقتفي ولمسعود . وفارق الراشد إذ ذاك زنكي ، وسار عن الموصل إلى خراسان في سنة إحدى وثلاثين .

توسع عماد الدين وتحرك الروم

وسار سيف الدين سوار في سنة ثلاثين وخمسمائة في جمع من التركمان يبلغ." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٢٢ """""""""

ماله . وكان قد فرق عسكره ثلاث فرق لكثرته ، فالفرقة الأولى : اختارت تحت بغراس مع الكند المذكور . فوقع عليه عسكر حلب فأخذ منهم مائتي رجل ، ووقع أيضا على جمع عظيم خرجوا للعلوفة ، فقتلوا

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٣١٢

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٣١٣

منهم جماعة كثيرة ، وأسروا زهاء خمسمائة نفر .

ولما وصل ملك الألمان إلى أنطاكية أخذها من صاحبها ، وأودع فيها خزائنه ، وسار منها يوم الأربعاء خامس وعشرين من شهر رجب ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، متوجها إلى عكا ، وفشا **فيهم الوباء حتى** لم يسلم من كل عشرة واحد . ولم يخرجوا من أنطاكية حتى ملؤوها قبورا .

ووصل الملك إلى طرابلس ، في نحو ألفي فارس ، لو صادفهم مائة من المسلمين لأخذوهم ، ووصلوا إلى عكا رجالة ضعفاء ، لا ينفعون . ومات ابن ملك الألمان على عكا في ذي الحجة ، من سنة ست .

الأساطيل البحرية

ووصل إلى المسلمين بعكا الأسطول المصري في خمسين شينيا غنم في طريقه إليها بطس ومراكب فرنجيه ، أسر رجالها وغنم أموالها . وجرى له مصادمات مع مراكب الفرنج المحاصرة لعكا ، كانت الغلبة فيها للمسلمين ، فدخلوا إلى عكا ، وتماسكت بما دخل فيها من الأقوات والسلاح ، وكان دخولها في يوم الإثنين رابع عشر شعبان ، من سنة ست وثمانين .

وفي هذا الشهر ، جهز الفرنج بطسا متعددة ، لمحاصرة برج الذبان وهو على باب ميناء عكا فجعلوا على صواري البطس برجا ، وملؤوه حطبا ونفطا ، على أنهم يسيرون بالبطس ، فإذا قاربت برج الذبان ولاصقته ، أحرقوا البرج الذي على الصاري ، وألصقوه ببرج الذبان ، ليلقوه على سطحه ، ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذونه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٦٤ """"""""

وكان عماد الدين بن سيف الدين علي المشطوب ، لما نفي من الديار المصرية ، قد وصل إلى حماة ، وأقام عند صاحبها ، وكاتب الملك الأفضل ، وجمع جموعا كثيرة من الأكراد ، وأرباب الفساد ، وساعده الملك المنصور صاحب حماة بالمال والرجال على ذلك وعزم على أن يمضي ، بمن جمعه من العساكر إلى الأفضل ، وأن يقوم معه ، ويساعده صاحب حماة ، وسلطان الروم .

ثم سار ابن المشطوب ، بغتة ، وخاض بلد حلب ، وكان الزمن زمن الربيع ، وخيول الأجناد متفرقة في الربيع ، فوصل إلى قنسرين ونفذ منها إلى تل أعون ، وبلغ الساجور ، واستاق في طريقه ما وجد من الخيل ، وغيره .

وبلغ خبره إلى الملك الأشرف ، فأركب من كان بحضرته من العساكر ، خلفه ، وكان فيهم ابن عماد الدين

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٤٢٢

صاحب قرقيسيا ، فلحقوه على الساجور ، وفي صحبته نجم الدين بن أبي عصرون ، فقبضوا عليه وأتوا به إلى الملك الأشرف ، فعفا ءنه ، و عن ابن أبي عصرون ، وأقطع ابن المشطوب رأس عين وأقام عنده مخيما بالياروقية ، إلى أن دخل شعبان ، من السنة المذكورة .
وسار الملك الأشرف ، إلى بلاده الشرقية ، لإصلاح أمر الموصل ، وكان صاحب إربل وزنكي ، قد كسرا لؤلؤ و أيبك الأشرفي ، على الموصل . فنزل الملك الأشرف على حران ، وفي صحبته عسكر حلب .
ومات كيكاوس ملك الروم ، وملك بعده أخوه كيقباذ ، فراسل الملك ألأشرف ، واتفق معه .
وخربت القدس في أوائل هذه السنة .
وخرج إلى الفرنج المنازلين دمياط نجدة من البحر ، ووقع الوباء في أهل دمياط ، وضعفوا عن حفظها ، فهجمها الفرنج على غفلة من أهلها ، في عاشر شهر رمضان ، والملك الكامل ، مرابط حولها بالعساكر ، وابتنى مدينة سماها المنصورة ، أقام فيها في مقابلة الفرنج .." (١)

"ذكر أجزاء جزيرة العرب العلية التي هي من اليمن والحجاز مع حدود اليمامة وعروضها، قال أبو الحسن الخزاعي وكان يسكن بأرض نجد العليا وتوطن عروضها وخالط أهل السراة وسمع من الجميع صدرا من الأخبار القديمة قالوا: أصاب الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء وسموها سنة الجمود لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار وذهاب الماشية وهزالها وثبات الغلاء وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية والآبار، ويسمى مثل هذه السنة الحطمة والأزمة واللزبة والمجاعة والرمد وكحل والقصر والشدة والحاجز، فأقبل الناس بالضجة والعواء والتضرع إلى بيت الله الحرام من أرض نجد واكناف الحجاز وارض تهامة والسروات يدعون الله عز وجل بالفرج لهم ويستسقون وكان في الوفد المستسقين من أهل نجد شاعر يقال له الحزازة العامري أنشد شعرا يذكر آلاء الله عز وجل فيه ورحمته التي كانت تشملهم وتشمل أرضهم بلدا بلدا وواديا وادي ا وجبل جبلا فقال:

رب ندعوك فاستجب فيك الدهر عن الخلق تكشف الغماء

إن أيوب حين ناداك لم يحجب لأيوب رب عنك النداء

مسه الضر فاستجبت له الدعوة لما به أضر البلاء

إن هذا الجمود للسنة الشهباء ... والمصمئلة الدهياء

فأغثنا إلا هنا ولك ... الحمد بغيث تجره الأنواء

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٤٦٤

ينعش الناس في السوارج والوحش وتحي الجديدة الغبراء

فلكم ثم كم رأيت غيوثا ... لك تقتادها الرياح الرخاء

سقي الشحر فالمزون فما حا ... زت ذوات القطيف فالأحساء

فاليماوات فالكلاب فبحرين ... فحزوى تميم فالوعساء

فالنماران فاللوى من أثال ... فالعقيقان عليا فالجواء

فكثاب الدبيل فالحمرة ... العليا فقهر الوحاف والقوفاء

فعلى مأرب فنجران فالجو ... ف فصنعاء صبة عزلاء

فقرى الحنو فالمناضج منها ... فسروم الكروم فالطرفاء

رويت فهي للنزول من الغيث ... عليها دجنة خضراء

القيت للسحاب من أرض ... تثليث فأرض الهجيرة الأعياء

فالشعيبات من يينبم ... أحيين فأجزاعهن فالميثاء

أعشب الكور كور عامر تيم ... حيث هرجاب فالماذاء

واتلأبت سيول بيشة في ... أعراضها فهي لجة طخياء

وكأن النخيل من بطن ترج ... وهي حوم حنادس ظلماء

وبحوران للأوارك والضين ... وفي خصب عثر ضوضاء

رويت قيعتا تبالة غيثا ... فذوات الآصاد فالعبلاء

فقر يحاؤها فرنية قد سا ... ل فوادي كلاخها فالكراء

فعكاظ فذو المجاز مع الحر ... ة فالأبرقات فالجرداء

فخريداؤها مع الحضن ... المعروض فالقرن تلك والبوباء

وعلى ذات عرق فالسي فالركبة منها الملثة الوطفاء

وريت حرتا سليم وسالت ... شعب المعدنين فالأحماء

فضرياتها فيرقة ثهلا ... ن إلى حصنها استمال الرعاء

سال في حاجز فأودية التو ... ز سيول يضيق عنها الفضاء

فسميرا لها عباب وعلت ... مثلها الثعلبية الورقاء

فالحماءان قرن نجد فرما ... ن الهبير فالدهناء

فربا يحمد فأجا وسلمى ... تغتبي في نصيبهن الظباء
شاكلت فيدها زبالة خصبا ... وكذاك الشقوق فالقرعاء
وسما الغيث حيث برقة شما ... ء وحيث اللذيذ فالخلصاء
فمحياة فالصفاح فأعلى ... ذي فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا واودية الشر ... بب فالشعبتان فالأبلاء." (١)

"بالأندلس وهو حصن بينه وبين ماردة يومان وهو حصن منيع على نهر القنطرة، وأهلها متحصنون فيه، ولا يقدر لهم أحد على شيء، والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوس من عمل الأول، في أعلاها سيف معلق لم تغيره الأزمنة ولا يدري ما تأويله.

قورية

بالأندلس، قريبة من ماردة، وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، ولها سور منيع، وهي أولية البناء، واسعة الفناء، من أحصن المعاقل، وأحسن المنازل، ولها بواد شريفة خصيبة، وضياع طيبة، وأصناف من الفواكه كثيرة، وأكثرها العنب والتين.

قيجاطة

مدينة بالأندلس من عمل جيان؛ كان عبد الله المعروف بالبياسى من بني عبد المؤمن، لما نازعه العادل ونزل عليه في بياسة، فلم يقدر عليه، ورجع عنه خائبا، استدعى البياسى النصارى، فسلم لها بياسة، وأخرج منها المسلمين، وسار مع الفنش ليدخل معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة هذه بالسيف، وقتل العدو فيها خلقا، وأسر آخرين، وكان حديثها شنيعا تنفر منه الأسماع والقلوب. ثم سار إلى لوشة من عمل غرناطة، فقاتل أهلها وقاتلوه، وأسمعوه ما غاظه، فسلط عليهم النصارى، ففتكوا فيهم أشد الفتك، ثم سار إلى بيغو من عمل غرناطة فدخلها بعد شدة، وذلك مذكور في حرف الباء، وكان ذلك سنة٦٢٢.

قيشاطة

حصن بالأندلس كالمدينة، بينه وبين شوذر اثنا عشر ميلا؛ وفي قيساطة أسواق وربض عامر وحمام وفنادق، وعليها جبل، يقطع به من الخشب الذي تخرط القصاع والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، وهذا الجبل يتصل ببسطة، وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان.

حرف الكاف

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص/١٠٨

حصن الكرس

بالأندلس من عمل جيان، كان الفنش نزل عليه مدة، وفيه القائد أبو جعفر بن فرج، فارس مشهور بالشجاعة، فرأى منه ضبطا وصبرا وحسن دفاع؛ وكان عند الفنش مهندس من المسلمين المعاهدين بطليطلة، فصنع له برجا عظيما من خشب ارتفع به على سور الحصن، فلما أكمل المهندس عمله، بعث إلى ابن فرج في الباطن: إني صنعت هذا البرج اضطرارا لحفظ دمي، وصون من ورائي من الأهل، فاحتل في إحراقه، لئلا تكون ذنوب المسلمين في عنقي وعنقك، إن تركته وأنت قادر عليه بأنواع الحيل؛ وقد طليته بدهان خفي يقبل النار بسرعة، فاعرف كيف تكون في الكتم والإبقاء على! فاختار ابن فرج من أنجاد الرجال جماعة، ونهض بهم، وبأيديهم القطران والكتان والينران، ودفع تحت الظلام بهم نحو البرج، فأحرقه حتى صار رمادا، ومات من كان فيه ومن حامى عنه، ورجع سالما. فاغتم الفنش وقال: هذا كان رجاؤنا في فتح الحصن، وقد طالت عليه إقامتنا، ولم يبق إلا أن نعلم قدر ما بقي فيه من الطعام والماء لنبنى أمرنا على حقيقة في ذلك؛ فانتدب لهذا الشأن نصرانى ماكر أشقر أزرق أنحس، تقضى الفراسة بأنه جامع للشر، فأظهر أنه أسلم وأنه هرب من الوباء والغلاء الواقعين في معسكرهم، فقبله المسلمون وخالطهم حتى اطلع على أنه لم يبق عندهم غير زبيب يقتسمونه بالعدد، وماء يتوزعونه بالقسط؛ فسار ونزل من السور ليلا إلى أهل ملته، فأعلمهم بحقيقة الأمر؛ فوجه الفنش إلى ابن فرج: إنا قد اطلعنا على خبيئاتكم، ولم يبق إلا أن تسلموا الحصن، وتستريحوا من التعب، المفضى إلى الطب، أو تصبروا قليلا حتى نظفر بكم رغما، فنقتل جميعكم! فاشترط عليه ابن فرج أن يقيم لأهل الحصن سوقا حتى يبيعوا مالا يقدر على حمله، وأن يدفع لهم دواب يحملون عليها أشياءهم إلى جيان فأوفى لهم بذلك. ولما خرج ابن فرج تعجب الفنش من طوله وعظم خلقته، وأنكر عليه كونه سلم عليه بالإشارة ولم يقبل يده، وتكلم معه الترجمان في ذلك فقال: لو كنت أخدمه أكان يجوز أن أقبل يد خصمه؟ فذكر ذلك للفنش فقال: لا يجوز! وضحك الفنش وقال: مثل هذا ينبغي أن تكون الرجال! وأحسن إليه وأعطاه فرسه وسلاحه وقال له: يعجبني أن يكون مثلك عند مثلي. قال: وشغل الله تعالى الفنش مدة طويلة بهذا الحصن عن بلاد الإسلام، وكان الناس يرون ذلك في صفيحة ابن فرج، وكان ذلك في سنة ٦٢٠.

حرف اللام

لاردة." (١)

---

(١) صفة جزيرة الأندلس، ص/٥٨

"وقد كان هذا التراجع حفظا للشأن السياسي لدولته وتضحية بالشأن الديني الذي كان يعتقده ، كما عمد معز الدولة بعد ذلك إلى عدد من الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية فتخلص من عبء أرزاق جنوده عبر إقطاعهم البلاد ثم قام بعدد من إجراءات إلهاء الناس والعوام في بغداد بالرياضات المختلفة كالجري و السباحة والمصارعة والملاكمة وقد أورد ابن الأثير ما يدل على انجرار الناس إلى هذه الإجراءات الإلهائية فقد ذكر تعصب أهل السنة لأحد السعاة وتعصب الشيعة للآخر " (١) .

ومما ساهم في إنجاح هذه السياسات ما اجتاح بغداد قبل وبعد دخول البويهيين لها من غلاء وفناء حتى أنهم كما يذكر ابن كثير أكلوا الميتة والسنانير والكلاب وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم و يأكلهم وكثر الوباء في الناس حتى كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركونه على الطرقات فيأكل كثيرا منهم الكلاب وبيعت الدور والعقار بالخبز " (٢) .

ولم يتسنى لمعز الدولة أن يظهر كافة سياساته في بغداد بسبب انشغاله في حروب جانبية مستمرة مع عمران بن شاهين صاحب البطيحة في الجنوب وبني حمدان في الموصل . كما أن ضعف الموارد المالية لمعز الدولة ساهم في ذلك فقد ذكر أنه وأصحابه أخذوا من أموال التجار في بغداد ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار .

---

(١) ابن الأثير " الكامل " ج٨ ص٥٧٦ .

ويعلق ابن كثير رحمه الله على ذلك قال : " وأعجبه المصارعون والملاكمون وغيرهم من أرباب هذه الصناعات التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل فاسد المروءة " ثم قال "وكل ذلك رعونة وقلة عقل وسخافة منه " ج١١ ص٢١٣.

قلت وقول ابن كثير مخرجه ديانته رحمه الله ، لكن الأمر عند معز الدولة سياسي لإشغال الناس في بغداد واستهلاك أوقاتهم وإبعادهم عن الأنشطة المقلقة للدولة خصوصا في مدينة كبغداد يعرف فيها الناس بالمسارعة إلى الاشتراك في الاضطرابات السياسية .

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص٢١٣." [1]

"ثم دخلت سنة ٣٠٩ ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بنى العباس فيها زاد شغب الناس ببغداد على حامد بن العباس الوزير بسبب غلاء الاسعار حتى صاروا إلى حد الخلعان وحاربهم السلطان عند باب

---

(١) سنوات الحنابلة، ص/١٣٤

الطاق وركب هارون ابن غريب الخال ونازوك وياقوت وغيرهم بعد أن فتحت العامة السجون ووثبوا على ابن درهم خليفة صاحب المعونة وأرادوا قتله حتى حماه بعضهم فلما رأى ذلك حامد بن العباس دخل إلى المقتدر فقال له لعبدك حوائج إن رأيت قضاءها له أكدت بذلك انعامك عليه قال أفعل فما هي قال أولها فسخ ضماني فقد جاء من العامة ما ترى وظنوا أن هذا الغلاء من جهتي فأجاب المقتدر إلى ذلك وسأله أن يأذن له في الشخوص إلى واسط لينفذ عماله بما فيها من الاطعمة إلى بغداد فأجابه إلى ذلك وسأله أن يعفيه من الوزارة فلم يجبه إلى ذلك فشخص حامد إلى واسط ولم يبق غاية في حمل الاطعمة حتى صلح أمر الاسعار ببغداد ثم قدم في غرة شهر ربيع الآخر فتلقاه الناس وشكروا فعله وقد كان المقتدر عرض على علي بن عيسى الوزارة فأباها فكساه ووصله وأعطاه سوادا يدخل به عليه كما يفعل الوزير فاستعفي من ذلك ولم يفارق الدراعة * وفى هذه السنة زحف ثمل الفتى إلى الاسكندرية فأخرج عنها قائد الشيعة ورجال كتامة وألفى لهم بها سلاحا كثيرا وأثاثا ومتاعا وأطعمة فاحتوى على الجميع وأطلق كل من كان في سجنهم ثم أقبل ممدا لمونس واجتمعا بفسطاط مصر وزحفا إلى الفيوم لملاقاة أبى القاسم الشيعي ومناجزته ومعهما جنى الصفواني وغيره من القواد فجعل مونس يقصر المحلات فعوتب على ذلك فقال لهم إنكم إنما تمشون في طرق المنايا فلعل الله صرفهم عنا ويكفينا أمرهم كما فعل قبل هذا فلقى جنى الصفوانى بعض قواد أبى القاسم فهزمه وقتل كثيرا ممن كان معه وانهزم الباقون إلى أبى القاسم فراعه أمرهم وقفل عن الفيوم منصرفا إلى أفريقية لليلة بقيت من صفر وحمل ما خلف من أمتعته وأحرق الباقي بالنار وأخذ على طريق قليلة الماء فهلك كثير من رجاله عطشا." (١)

"طاعون أطلق عليه الوباء الأسود اجتاح العالم بأسره وقتل الكثير من البشر.

٧٤٩¤١٣٤٨

كثرت الأخبار بوقوع الوباء في عامة أرض مصر، فكثر الوباء حتى بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان، فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الإسلام مثله، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين، وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء في الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة، وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف نفس في كل يوم، وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى

---

(١) صلة تاريخ الطبري، ص/٥٩

السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها، وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر، وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دما، ثم يصيح ويموت؛ ولم يكن **هذا الوباء كما** عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني أدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر، وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى أخرها ستة أشهر، وهي بلاد الخطا والمغول، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس، فهلكوا بأجمعهم من غير علة، في مشاتيهم ومصايفهم، وفي مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك ثم حملت الريح نتنهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته، فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، ولم يبق بذاك الإقليم من يحكمه ثم **اتصل الوباء ببلاد** الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها، وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم في طريقهم؛ **وعم الوباء بلاد** قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففني أهلها ودوابهم ومواشيهم، فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعا، وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور في يوم واحد، بموضع واحد مائة وثمانون نفسا؛ وخلت سيس وبلادها، ووقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاثة أشهر، وباد أهل الصين، ولم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين، **ووقع الوباء ببغداد** أيضا، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعا، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة، وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل، ودواب كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر، وفي أول جمادى الأولى: **ابتدأ الوباء بأرض** حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع، ولم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة، ولم يبق، بمدينة لد أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى، ولم **يدخل الوباء معرة** النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم، وأول

ما **بدأ الوباء بدمشق** كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعا، ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيرا، وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة، وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر – على ما ورد في كتاب نائبها – زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها، وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث، فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده، ويوجد أخر قد مات وفي يده ما يبذره، وماتت أبقارهم، وخرج رجل بعشرين نفرا لإصلاح أرضه، فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه، فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة، ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم، وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية، ومات أهل قطا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين من أصحابه وحاربة عجوز، **وعم الوباء بلاد** الفرنج، وابتدأ في الدواب، ثم الأطفال والشباب، فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من في أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفا أن يبيد الموت الفرنج، فتملك المسلمون قبرص، فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت، فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا، وهلك لهم ثلاثة ملوك **واستمر الوباء فيهم** مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذي ملكوه عليهم رابعا بجماعته في مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم في البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم في المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن أخرهم، ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا، وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا يجد ركابها بها أحدا، وإن صدفت أحدا في بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون في البحر، وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت، وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجرا وثلاثون رجل، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعا بالثغر، وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة،

فإنه لم يصب أهلها منه شيء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم، فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة، ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى، فنجا من بقي منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها، وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها، ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود، وتغير أيضا ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها، **وشمل الوباء أيضا** أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة، ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة، وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار، وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم، وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية، وكل الموت أهل البرلس ونستراوه، وتعطل الصيد من البحرة لموت الصيادين، وكان يخرج بها في المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المراكب ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله، ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت، ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم، وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، ولا يوجد من يدفنها **وعم الوباء جميع** تلك الأراضي، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضم الزرع وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء، وكان **ابتداء الوباء من** أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر، فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقي ألحنا، وماتت الدواب والمواشي وأكثر هجن السلطان والأمراء، وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقي من باعتها إلى ما بين البساتين، ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من

أهلها إلى القاهرة وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها، وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها، وبقيت المراكب في البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا، فكان يوجد في السمكة كبة، وهلكت الأبقار الخيسية والجاموس في المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضا الكبة، وقدم الخبر من دمشق **بأن الوباء كان** بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح في نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله، وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان، وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة في البساتين وعلى الطرقات، فنودي في دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخاري في ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، **فتناقص الوباء حتى** ذهب بالجملة، **وابتدأ الوباء في** القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم في الباعة، حتى كثر عدد الأموات، فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها، فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وجبا في يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف في كل يوم، وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس في أقل من أسبوع؛ فشرع الناس في فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت وفي شعبان: **تزايد الوباء في** القاهرة، وعظم في رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء، **واشتد الوباء بعد** ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات، فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس، وحدث في شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس في بدنه بحرارة، ويجد في نفسه غثيان، فيبصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء، واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة، ولم يحتج أحد في **هذا الوباء إلى** أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت، فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر، وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم، وما أهل ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارع[١٥]

مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط، وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين دارا خالية، وبقيت الأزقة والدروب، مما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس، وحصرت عدة من صلى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك، وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش، فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد، وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز، وعمل جماعة من الناس مدراء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة، وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر، وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما؛ فلم يمتع أكثرهم بذلك، وماتوا، وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضا، وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة، وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تواريهم، وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئا بعد شيء، وأخذ كثير من الناس دورا وأثاثا وأموالا من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم، مما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به، وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم، وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحدا عمل فرحا في مدة الوباء، ولا سمع صوت غناء، وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد، وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار في طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر، وغلقت أكثر المساجد والزوايا، واستقر أنه ما ولد أحد في

هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه، وشمل في آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها، ولم **يدخل الوباء ثغر** أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنسانا، وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة، وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شيء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها، وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة، وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله، وكثر عناء الأجناد وغيرهم في أمر الزرع، **فإن الوباء ابتدأ** في آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث في أراضي الرملة وغزة والساحل، وإذا به يخر ميتا والمحراث في يده، ويبقى بقره بلا صاحب، ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فني الفلاحون، ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده، فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيولهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه، وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن، فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والإسكافية والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا تكلفتاه والقباء، ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شيء، فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضي، ولم يوجد أحد يشتري القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحي القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت، وتركت، ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعي دوابه، ولا من يعملها دريسا، وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحي أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجيء منهم الخراج، فصارت في **سنة الوباء هذه** تشتمل على مائة وستة عشر نفرا.

". (١)

"طاعون وموت عظيم بأفريقيا.

٧٥٣ربيع الأول¤١٣٥٢م

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٤٨/٦

عم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء، وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم، فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة، ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها، وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها، ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود، وتغير أيضا ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها، **وشمل الوباء أيضا** أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة، ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة، وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وقدم مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم، وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عم أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية، وشمل الموت أهل البرلس نستراوه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين، وكان يخرج بها في المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المركب، ويعود من بقي منهم، فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله، ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودت ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم، وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، لا يوجد من يدفنها، وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضم الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين، وكان **ابتداء الوباء عندهم** من أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر.

٢/٣." (١)

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٦٠/٦

"وباء وغلاء عام في مصر وهلاك الكثير من الناس بسببه.

٧٧٦جمادى الآخرة¤ ١٣٧٤م

في نصف جمادى الآخر ابتدأ الوباء في الناس في القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع، وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب، لشدة الغلاء، وعدم وجود ما يقتات به، وشح الأغنياء وقلت رحمتهم، فمن كان يكتسب في اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شيء، صار الدرهم لا يجدي شيئا، فمات ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء، وفي شهري رجب وشعبان: اشتد الغلاء، وشفع الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعري، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدي الناس، ورمي طين بالسجن لعمارة حائط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا، وفي رابع عشرين شعبان انتدب الأمير منجك نائب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم، فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوف مائة فقير، وإلى من عدا أمراء الأولوف على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودي في القاهرة ومصر بألا يتصدق أحد على حرفوش، وأي حرفوش شحذ صلب، فآوى كل أحد فقراءه في مكان، وقام لهم من الغذاء بما يمد رمقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنعهم من التطواف لسؤال الناس، فخفت تلك الشناعات التي كانت بين الناس، إلا أن الموات عظم، حتى كان يموت في كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر، ويطلق من ديوان المواريث ما ينيف على مائتي نفس، وتزايد في شهر رمضان مرض الناس وموتهم، ونفدت الأقوات، واشتد الأمر، فبلغت عدة من يرد اسمه للديوان في كل يوم خمسمائة، وبلغت عدة الطرحاء زيادة على خمسمائة طريح، فقام بمواراة الطرحاء الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أقبغا آص، والأمير سودن الشيخوني، وغيرهما، وكان من أتى بميت طريح أعطوه درهما، فأتاهم الناس بالأموات، فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم أحسن قيام، بعد ما شاهد الناس الكلاب تأكل الموتى من الطرحاء، فلما فني معظم الفقراء، وخلت دور كثيرة خارج القاهرة ومصر لموت أهلها، فشت الأمراض من أخريات شهر رمضان في الأغنياء، ووقع الموت فيهم، فازداد سعر الأدوية، واشتد الأمر في شوال إلى الغاية، وفي أول ذي القعدة وصلت تراويج القمح الجديد، فانحل السعر، ثم تناقصت الأسعار.

٢/٣." (١)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٣٢/٦

"غلاء ووباء عظيم في الشام.

٧٧٧¤١٣٧٥

وقع غلاء الأسعار بدمشق، حتى أكلت الناس الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، **وعم الغلاء ببلاد** الشام كلها، حتى أكلت القطط وبيعت الأولاد بحلب وأعمالها.

." (١)

"**كثر الوباء بالإسكندرية**.

٧٨٢رمضان¤١٣٨٠

كثر الوباء بالإسكندرية، فمات في كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا، وتمادى إلى أثناء ذي الحجة.

." (٢)

"**وقوع الوباء بالطاعون** في الناس بالقاهرة ومصر.

٧٨٣محرم¤١٣٨١

في المحرم من هذا العام بدأ انتشار وباء لطاعون في الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت في اليوم ثلاثمائة ميت.

." (٣)

"**اشتداد الغلاء بدمشق**.

٧٩٩جمادى الآخرة¤١٣٩٧

اشتد الغلاء بدمشق، فخرج الناس يستسقون، وثاروا برجل يعرف بابن النشو، كان يحتكر الغلال، وقتلوه شر قتلة، وأحرقوه بالنار.

." (٤)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٣٤/٦

(٢) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٤٩/٦

(٣) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٥١/٦

(٤) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨/٧

"تيمورلنك يدمر مدينة دمشق ويذبح أهلها.

٨٠٣رجب ¤ ١٤٠١ ١/٨

أما دمشق، فإنه لما قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودي في الناس بالتحول إلى المدينة والاستعداد للعدو، فاختبط الناس، وعظم ضجيجهم وبكاؤهم، وأخذوا ينتقلون في يوم الأربعاء نصفه من حوالي المدينة إلى داخلها، واجتمع الأعيان للنظر في حفظ المدينة، فقدم في سابع عشر ربيع الأول المنهزمون من حماة، فعظم الخوف، وهم الناس بالجلاء، فمنعوا منه، ونودي من سافر نهب، فورد في ثامن عشره الخبر بنزول طائفة من العدو على حماة، فحصنت مدينة دمشق، ووقف الناس على الأسوار، وقد استعدوا، ونصبت المجانيق على القلعة، وشحنت بالزاد، وهم نائب الغيبة بالفرار ولكن العامة ردته ردا قبيحا وهاج الناس وماجوا ونادوا بتسليم البلد من غير قتال، وكل هذا وعسكر مصر لم يخرج منها بعد، ثم في ربيع الآخر بدأ جيش مصر بالخروج منها متوجهين إلى دمشق، هذا وجيش تيمورلنك قد وصل قريبا من حمص فبدأ الناس بالهرب وخاصة أن أهل بعلبك أيضا هربوا لنزول تيمورلنك عليهم، ثم في سادس جمادى الأولى قدم السلطان دمشق بعساكره، وقد وصلت أصحاب تيمورلنك إلى البقاع، وفي يوم السبت الخامس عشر من الشهر هذا نزل تيمورلنك إلى قطا فملأت جيوشه الأرض، وركب طائفة منهم إلى العسكر وقاتلوهم، فخرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشره إلى يلبغا، فكانت وقعة انكسرت ميسرة العسكر، وانهزم أولاد الغزاوي وغيرهم إلى ناحية حوران، وجرح جماعة، وحمل تمر حملة منكرة، ليأخذ بها دمشق، فدفعته عساكر السلطان، ونزل كل من العسكرين بمعسكره وبعث تيمور إلى السلطان في طلب الصلح وإرسال أطلمش أحد أصحابه إليه، وأنه هو أيضا يبعث من عنده من الأمراء المقبوض عليهم في وقعة حلب فأشار تغري بردي ودمرداش وقطلوبغا الكركي في قبول ذلك لما يعرفوا من اختلاف كلمتهم، لا لضعف عسكرهم، فلم يقبلوا وأبوا إلا القتال، ثم أرسل تيمور رسولا آخر في طلب الصلح، وكرر القول ثانيا، وظهر للأمراء ولجميع العساكر صحة مقالته، وأن ذلك على حقيقته، فأبى الأمراء ذلك، هذا والقتال مستمر بين الفريقين في كل يوم، فلما كان ثاني عشر جمادى الآخرة اختفى من أمراء مصر والمماليك السلطانية جماعة، منهم الأمير سودون الطيار، وقاني باي العلائي رأس نوبة، وجمق، ومن الخاصكية يشبك العثماني وقمش الحافظي وبرسبغا الدوادار وطرباي في جماعة أخر، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء، وعادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن في الوظائف والإقطاعات والتحكم في الدولة، وتركوا أمر تيمورلنك كأنه لم يكن، وأخذوا في الكلام فيما بينهم بسبب من اختفى من الأمراء وغيرهم، هذا وتيمورلنك في غاية الاجتهاد في أخذ دمشق

وفي عمل الحيلة في ذلك، ثم أعلم بما الأمراء فيه، فقوي أمره واجتهاده، بعد أن كان عزم على الرحيل، واستعد لذلك، فلما كان آخر ليلة الجمعة حادي عشرين جمادى الأولى ركب الأمراء وأخذوا السلطان الملك الناصر فرج على حين غفلة، وساروا به من غير أن يعلم العسكر به من على عقبة عمر يريدون الديار المصرية، وتركوا العساكر والرعية من المسلمين غنما بلا راع وأما بقية أمراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم لما علموا بخروج السلطان من دمشق خرجوا في الحال في إثره طوائف طوائف يريدون اللحاق بالسلطان، فأخذ غالبهم العشير، وسلبوهم، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأما العساكر الذين خلفوا بدمشق من أهل دمشق وغيرها، فإنه كان اجتمع بها خلائق كثيرة من الحلبيين والحمويين والحمصيين وأهل القرى ممن خرج جافلا من تيمور، ولما أصبحوا يوم الجمعة، وقد فقدوا السلطان والأمراء والنائب، غلقوا أبواب دمشق، وركبوا أسوار البلد، ونادوا بالجهاد، فتهيأ أهل دمشق للقتال وزحف عليهم تيمورلنك بعساكره، فقاتله الدمشقيون من أعلى السور أشد قتال، وردوهم عن السور والخندق، وأسروا منهم جماعة ممن كان اقتحم باب دمشق، وأخذوا من خيولهم عدة كبيرة، وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رؤوسهم إلى المدينة، وصار أمرهم في زيادة فأعيا تيمورلنك أمرهم، وعلم أن الأمر يطول عليه، فأخذ في مخادعتهم، وعمل الحيلة في أخذ دمشق منهم، وبينما أهل دمشق في أشد ما يكون من القتال والاجتهاد في تحصين بلدهم، قدم عليهم رجلان من أصحاب تيمورلنك من تحت السور وصاحا من بعد الأمير يريد الصلح، فابعثوا رجلا عاقلا حتى يحدثه الأمير في ذلك، ولما سمع أهل دمشق كلام أصحاب تيمورلنك في الصلح وقع اختيارهم في إرسال قاضي القضاة تقي الدين إبراهيم بن مفلح الحنبلي، فأرخى من سور دمشق إلى الأرض، وتوجه إلى تيمورلنك واجتمع به وعاد إلى دمشق وقد خدعه تيمورلنك بتنميق كلامه، وتلطف معه في القول، وترفق له في الكلام، وقال له: هذه بلدة الأنبياء والصحابة وقد أعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة عني وعن أولادي، ولولا حنقي من سودون نائب دمشق عند قتله لرسولي ما أتيتها وقد صار سودون المذكور في قبضتي وفي أسري؛ وقد كان الغرض في مجيئي إلى هنا، ولم يبق لي الآن غرض إلا العود، ولكن لا بد من أخذ عادتي من التقدمة من الطقزات، وكانت هذه عادته إذا أخذ مدينة صلحا يخرج إليه أهلها من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف تسعة؛ يسمون ذلك طقزات؛ والطقز باللغة التركية: تسعة، وهذه عادة ملوك التتار، فعاد ابن مفلح يثني على تيمورلنك ويحث الناس على عدم القتال وإعطائه ما يريد وكاد يحصل بسبب ذلك فتنة إلى أن جمع ابن مفلح ما يريده تيمورلنك وحمله إليه وعاد هو ومن معه ومعهم فرمان من تيمورلنك لهم، وهو ورقة فيها تسعة أسطر يتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم وأهليهم خاصة؛

فقرىء الفرمان المذكور على منبر جامع بني أمية بدمشق وفتح من أبواب دمشق باب الصغير فقط، وقدم أميرمن أمراء تيمور، جلس فيه ليحفظ البلد ممن يعبر إليها من عساكر تيمور فمشى ذلك على الشاميين وفرحوا به، لكن تيمورلنك لم يرض بالمال الذي أحضر له بل طلب أضعافه، فحصل من الغلاء في دمشق ما لا يصدق بسبب ذلك، ثم إن الجمعة قد دعي فيها لابن تيمورلنك في الخطبة ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمورلنك إلى مدينة دمشق على أنه نائبها من قبل تيمور، ثم بعد جمعتين منعوا من إقامة الجمعة بدمشق لكثرة غلبة أصحاب تيمورلنك بدمشق كل ذلك ونائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق، وأعوان تيمورلنك تحاصره أشد حصار، حتى سلمها بعد تسعة وعشرين يوما وقد رمي عليها بمدافع ومكاحل لا تدخل تحت حصر، هذا وليس بالقلعة المذكورة من المقاتلة إلا نفر قليل دون الأربعين نفرا، وطال عليهم الأمر، ويئسوا من النجمة، وطلبوا الأمان، وسلموها بالأمان، وكان تيمورلنك لما اتفق أولا مع ابن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك علىى أهل دمشق خاصة، والذي تركته العساكر المصرية من السلاح والأموال يكون لتيمور فخرج إليه ابن مفلح بأموال أهل مصر جميعها فلما صارت كلها إليه وعلم أنه استولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فروا من دمشق، فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله، وتدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه فلما كمل ذلك ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع ما في البلد من السلاح جليلها وحقيرها، فتتبعوا ذلك وأخرجوه له حتى لم يبق بها من السلاح شيء فلما فرغ ذلك كله قبض على ابن مفلح ورفقته، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها وسككها، فكتبوا فلك ودفعوه إليه، ففرقه على أمرائه، وقسم البلد بينهم، فساروا إليها بمماليكهم وحواشيهم ونزل كل أمير في قسمه، وطلب من فيه، وطالبهم بالأموال، فحينئذ حل بأهل دمشق من البلاء مالا يوصف وأجرى عليهم أنواع العذاب من الضرب والعصر والإحراق بالنار، والتعليق منكوسا، وغم الأنفى بخرقة فيها تراب ناعم، كلما تنفس دخل في أنفه حتى تكاد نفسه تزهق؛ فكان الرجل إذا أشرف على الهلاك يخلى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعا، فكان المعاقب يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة على الموت، ويقول: ليتني أموت وأستريح مما أنا فيه، ومع هذا تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، وتقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذب امرأته أو بنته وهي توطأ، وولده وهو يلاط به، فيصرخ هو من ألم العذاب، والبنت والولد يصرخان من إزالة البكارة واللواط، وكل ذلك من غير تستر في النهار بحضرة الملأ من الناس، ورأى أهل دمشق أنواعا من العذاب لم يسمع بمثلها، واستمر هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوما، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب، فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، فلما

علمت أمراء تيمورلنك أنه لم يبق بالمدينة شيء خرجوا إلى تيمورلنك فسألهم هل بقي لكم تعلق في دمشق؟ فقالوا: لا فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق أتباع الأمراء، فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الحرب وغيرها، وسبوا نساء دمشق وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربوطين في الحبال، ثم طرحوا النار في المنازل والدور والمساجد، وكان يوم عاصف الريح، فعم الحريق جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار في البلد ثلاثة أيام بلياليها آخرها يوم الجمعة، وكان تيمورلنك - لعنه الله - سار من دمشق في يوم السبت ثالث شهر شعبان بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوما، وقد احترقت كلها وسقطت سقوف جامع بني أمية من الحريق، وزالت أبوابه وتفطر رخامه، ولم يبق غير جدره قائمة، وذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها وحماماتها وصارت أطلالا بالية ورسوما خالية، ولم يبق بها دابة تدب، إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف، فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع.

٢/٣. " (١)

"نزول ملك البرتقال من الفرنج على مدينة سبتة.

٨١٧شعبان ¤ ١٤١٤ ١/٨

نزل ملك البرتقال من الفرنج على مدينة سبتة في ثلاثمائة مركب، وأقام بجزيرة فيما بينها وبين جبل الفتح - يقال لها طرف القنديل - مدة، حتى مل المسلمون الذين حشروا بسبتة من الجبال، ونفدت أزوادهم، وعادوا إلى حبالهم، فطرقها عند ذلك الفرنج، وقاتلوا المسلمين، وهزموهم، وركبوا أقفيتهم، وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه، ومروا على وجوههم، فتملك البرتقال سبتة في سابع شعبان منها. وكان لذلك أسباب منها: أن بني مرين - ملوك فاس - لما ملكوها ساءت سيرتهم في أخذ أموال أهلها، ثم أن موسى بن أبي عنان لما ملك أعطى سبتة لأبي عبدالله محمد بن الأحمر، فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة، فلما استرد بنو مرين سبتة ساءت سيرة عمالهم بها، وكثر ظلمهم؛ **فوقع الوباء العظيم** بها، حتى باد أعيانها، وكان من فساد ملك بني مرين وخراب فاس وأعمالها ما كان، فاغتنم الرند ذلك، ونزلوا على سبتة، فلم يجدوا فيها من يدفعهم.

٢/٣. " (٢)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٧/٧

(٢) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٧٧/٧

"البرتغاليون يستولون على مدينة سبتة الاستراتيجية.

٨١٨جمادى الآخرة١٤١٥

نزل ملك البرتغال من الفرنج على مدينة سبتة في ثلاثمائة مركب، وأقام بجزيرة فيما بينها وبين جبل الفتح – يقال لها طرف القنديل – مدة، حتى مل المسلمون الذين حشروا بسبتة من الجبال، ونفدت أزوادهم، وعادوا إلى حبالهم، فطرقها عند ذلك الفرنج، وقاتلوا المسلمين، وهزموهم، وركبوا أقفيتهم، وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه، ومروا على وجوههم، فتملك البرتقال سبتة في سابع شعبان منها، وكان لذلك أسباب، منها أن بني مرين – ملوك فاس – لما ملكوها ساءت سيرتهم في أخذ أموال أهلها، ثم أن موسى بن أبي عنان، لما ملك، أعطى سبتة لأبي عبد الله محمد بن الأحمر، فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة، فلما استرد بنو مرين سبتة ساءت سيرة عمالهم بها، وكثر ظلمهم، **فوقع الوباء العظيم** بها، حتى باد أعيانها، وكان من فساد ملك بني مرين وخراب فاس وأعمالها ما كان، فاغتنم الرند ذلك، ونزلوا على سبتة، فلم يجدوا فيها من يدفعهم.

." (١)

"انتشار الطاعون بمصر والشام والأموات بالألوف.

٨١٩محرم١٤١٦

دخل فصل الربيع، وقد فشا في الناس الموت بالطاعون، وأحصي من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة في مدة شهر أوله عاشر المحرم، فكان ثلاثة آلاف إنسان، ثم تجاوز عدد من يرد اسمه الديوان من الأموات مائة نفس في اليوم، وهذا سوى من يموت بالمارستان، وفي عدة مواضع خارج المدينة، ويكون ذلك نحو الخمسين نفسا، وكانت عدة من صلي عليه من الأموات – بمصلى باب النصر خاصة – من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتا، وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت في الأماكن، بحيث مات في أسبوع واحد من درب واحد ثلاثون إنسانا، وكثير من الدور يموت منها العشرة فصاعدا، وقدم الخبر **بكثرة الوباء أيضا** ببلاد الصعيد، وفي طرابلس الشام، وأحصي من مات بها في مدة أيام، فكانت عدتهم عشرة آلاف إنسان، **وكثر الوباء أيضا** بالوجه البحري من أراضي مصر، وقدم الخبر بأن معظم أهل مدينة هو – من صعيد مصر – قد ماتوا بالطاعون، وفي شهر ربيع الأول كثر الموتان بالقاهرة ومصر، وتجاوزت عدة من ورد اسمه الديوان من المولي الثلاثمائة، وتوهم كل أحد أن الموت أتيه عن قريب، لسرعة موت من يطعن،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٤/٧

وكثرة من يموت في الدار الواحد، وتواتر **انتشار الوباء في** جميع أراضي مصر، وبلاد الشام، والمشرق، بحيث ذكر أنه بأصبهان غالب أهلها، حتى صار من يمشي بشوارعها لا يرى أحدا يمر إلا في النادر، وأن مدينة فاس بالمغرب أحصى من مات بها في مدة ثلاثين يوما ممن ورد الديوان – سوى الغرباء من المساكين – فكانوا ستة وثلاثين ألف، وأن المساكن عندهم صارت خالية، ينزل بها من قدم إليها من الغرباء، وأن هذا عندهم في سنتي سبع عشرة، وثمان عشرة وثمانمائة، وبلغت عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات في ثالث عشرينه ما ينيف على خمسمائة، بما فيهم من موتى المارستان والطرحاء، ومع ذلك والأخبار متواترة بأنه صلي في هذا اليوم بمصليات الجنائز على ما ينيف على ألف ميت، وأن الكتاب يخفون كثيرا ممن يرد اسمه إليهم، وانقضي هذا الشهر، وقل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما لم يكن بها حزن على ميت وأقل ما قيل أنه مات من عاشر المحرم إلى آخر هذا الشهر عشرون ألفا وفي شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة: بلغت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات – سوى المارستان والطرحاء – إلى مائة وعشرين، وقدم الخبر من دمشق بتزايد الموتان عندهم، وأنه يموت في اليوم ستون إنسانا وأنه **ابتدأ الوباء عندهم** من أثناء ربيع الأول، عندما تناقص من ديار مصر.

٢/٣." (١)

"الوباء في الشام ينتشر ويحصد الآلاف من الناس.

٨٢٦ربيع الأول¤١٤٢٣ ١/٨

بدأت هذه السنة والوباء يتزايد في الشام والموتى بالمئات وبدأ يتزايد شيئا فشيئا ثم في شهر رجب **تناقص الوباء ببلاد** الشام، بعد ما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل، وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان، وأحصي من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفا، وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا وفي رجب **وقع الوباء ببلاد** الخليل عليه السلام، ثم وقع بدمياط.

٢/٣." (٢)

"وباء بمكة وسيل يصل إلى الكعبة.

٨٢٧جمادى الأولى¤١٤٢٤ ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٥/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٢٠/٧

إن الوباء بمكة ابتدأ من نصف ذي الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس، وأنه كان يموت في اليوم خمسون إنسانا عدة أيام، **وأن الوباء تناقص** من أوائل جمادى الأولى، وأنه جاء في ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى صار المسجد الحرام بحرا، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار في المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن في سابع جمادى الأولى، بعد ما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم.

٢/٣." (١)

"شاه رخ بن تيمورلنك يخرب مدينة توريز وهروب ملكها اسكندر بن قرا يوسف.

٨٣٢ذو الحجة ١٤٢٩ م ١/٨

خراب مدينة توريز وسبب ذلك أن متملكها اسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا، زحف على مدينة السلطانية، وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان في عدة من أعيانها، ونهب وأفسد، فسار إليه جموع كبيرة فخرج اسكندر من توريز، وجمع لحربه، ولقيه وقد نزل خارج توريز، فانتدب لمحاربته الأمير قرا يلك صاحب آمد، وقد لحق بشاه رخ، وأمده بعسكر كبير، وقاتله خارج توريز في يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة، قتالا شديدا، قتل فيه كثير من الفئتين، وانهزم اسكندر وهم في إثره يطلبونه ثلاثة أيام، ففاتهم هذا، وقد نهبت جقطاي عامة تلك البلاد، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره، ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بمال كبير احتاجهم فيه أموالهم، حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند، فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه، ورحل بعد مدة يريد بلاده، وقد **اشتد الغلاء معه**، فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم، لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحي تعبث وتفسد، ففقدت الأقوات، حتى أبيع اللحم الرطل بعدة دنانير، وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا وأما اسكندر فإنه جال في بلاد الأكراد، وقد رقعت بها الثلوج مدة، ثم صار إلى قلعة سلماس فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت في البلاد.

٢/٣." (٢)

"انتشار الطاعون في مصر والشام.

٨٣٣ربيع الثاني ١٤٣٠ م ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٢٥/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٤٦/٧

فشى الطاعون في الوجه البحري، سيما في التحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جدا بحيث أحصي من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان، ومن ناحية صا زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق في شعبان في السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر، وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدركناه وقوع الطاعون إلا في فصل الربيع، ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلاط في الربيع، وجمودها في الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد، وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها في كل يوم على ألفي وخمسمائة إنسان، وأما القاهرة فإنه جرى على ألسنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع في الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا في الطرقات، فلما أهل شهر ربيع الآخر هذا: كانت عدة من ورد الديوان فيه من الأموات اثني عشر إنسانا، وأخذ يتزايد في كل يوم حتى بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة في يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنسانا، وجملة من أحصاه ديوان القاهرة في الشهر كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنسانا، وبلغ ديوان المواريث بمدينة مصر دون ذلك، هذا سوى من مات بالمارستان، ومن جهز من ديوان الطرحاء على الطرقات من الفقراء، وهم كثير، في شهر جمادى الأولى شنع الموتان الوحي السريع بالطاعون، والنزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان في أقل من ساعة، بغير تقدم مرض، وكان أكثر في الأطفال والشباب، ثم في العبيد والإماء، وأقله في النساء والرجال، وتجاوز في مدينة مصر الفسطاط المائتين في كل يوم، سوى من لم يرد الديوان، وتجاوز في القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان، وضبط من صلي عليه في مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه في ديوان المواريث زيادة كثيرة، وبلغت عدة من مات بالنحريرية - خاصة - إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثر جدا، وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية في كل يوم نحو المائة، **وشمل الوباء عامة** البحيرة الغربية والقليوبية، ثم بدأ يتناقص من شهر رجب ومات في **هذا الوباء -** على أقل ما قيل - مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلي والوجه البحري، وهم مثل ذلك، وكان هذا الطاعون أعظم من هذه الطواعين كلها وأفظعها، ولم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذي كان سنة تسع وأربعين وسبعمائة نظير هذا الطاعون، وخالف هذا الطاعون الطواعين الماضية في أمور كثيرة، منها أنه وقع في الشتاء وارتفع في فصل الربيع، وكانت الطواعين تقع في فصل الربيع وترتفع في أوائل الصيف.

". ٢/٣ (١)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٥٠/٧

"انتشار وباء عظيم ببلاد الحبشة.

٨٣٨رجب ¤١٤٣٥م

انتشر بعامة بلاد الحبشة وباء عظيم، فمات فيه من المسلمين ومن النصارى عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد. وهلك في **هذا الوباء الحطي** ملك الحبشة الكافر، وأقيم بدله صبي صغير.

". (١)

"طاعون حاد في الشام.

٨٤١محرم ¤١٤٣٧م

كثر الوباء بالطاعون بحلب وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات بمدينة حلب في اليوم مائة، وفي شهر ربيع الآخر **شنع الوباء بحماة**، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم في كل يوم ثلاثمائة إنسان، ولم يعهدوا مثل ذلك في هذه الأزمنة، وفي شهر جمادى الأولى فشا الموت في الناس بمدينة حماة وأعمالها، حتى تجاوز عدة من يموت في كل يوم مائة وخمسين إنسانا، وفي شهر جمادى الآخر **وقع الوباء بدمشق**، وفشا الموت بالطاعون الوحى، ثم كثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقوا حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع، ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان، **وإستمر الوباء الشنيع**، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده، ثم **شنع الوباء بدمشق** في شعبان ومات من الغرباء الذين قدموا من بغداد وتبريز والحلة والمشهد وتلك الديار فرارا من الجور والظلم الذى هنالك وسكنوا حلب وحماة ودمشق عالم عظيم، لا يحصرهم العاد لكثرتهم.

". (٢)

"طاعون حاد في مصر.

٨٤١رجب ¤١٤٣٨م

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٦٥/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٢/٧

في هذا الشهر رجب **وقع الوباء بالطاعون** ببلاد الصعيد من أرض مصر، وفي شهر رمضان كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا، وتزايدت عدتهم في كل يوم حتى فشا في الناس الموت بالطاعون في القاهرة ومصر، لاسيما في الأطفال والإماء والعبيد، فإنهم أكثر من يموت موتا وحيا سريعا، ثم شنعت الأخبار بكثرة من يموت، وسرعة موتهم، وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر، ووقوعه قليلا بصعيد مصر، وقد شنع الموت بالدور السلطانية في أولاد السلطان الذكور والإناث، وفي حظاياه وجواريه، وجوارى نسائه، وفي الخدام الطواشية، وشنع الموت في مماليكه سكان الطباق، حتى لقد مات منهم في **هذا الوباء نحو** آلاف ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشي، ومات من الجوارى بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولدا، ذكورا وإناثا، وشنع الموت أيضا في الناس بالقاهرة ومصر وما بينهما، وفي سكان قلعة الجبل، سوى من ذكرنا، وفي بلاد الواحات والفيوم، وبعض بلاد الصعيد، وبعض الحوف بالشرقية، ووقع الطاعون في الغنم والدواب، ووجد في النيل سمك كثير طاف قد مات من الطاعون، وأما الطاعون فإنه ابتدأ بالقاهرة من أول شهر رمضان، وكثر في شوال حتى تجاوز عدة من يصلى عليه في مصلى باب النصر كل يوم أربعمائة ميت، سوى بقية المصليات وعدتها بضع عشرة مصلى، ومع ذلك فلم تبلغ عدة من يرفع في أوراق ديوان المواريث قط أربعمائة، وسببه أن الناس أعدوا توابيت للسبيل، ومعظم من يموت إنما هم الأطفال والإماء والعبيد، فلا يحتاج أهلهم إلى إطلاقهم من الديوان، وفي شهر ذي الحجة والذى قبله فشا الموت بالطاعون في الإسكندرية، ودمياط، وفوه، ودمنهور، وما حول تلك الأعمال، فمات بها عالم كبير، وتجاوزت عدة من يموت بالإسكندرية في كل يوم مائة إنسان.

٢/٣." (١)

"تزايد فتنة المماليك الأجلاب بمصر.

٨٦٣رجب¤١٤٥٩ ١/٨

تعرض جماعة من المماليك الأجلاب للأمير زين الدين الأستادار، فهرب منهم فضربوه، ولم ينتطح في ذلك عنزان، لقوة شوكة الأجلاب في هذه الأيام، حتى تجاوزت الحد، وبطل أمر حكام الديار المصرية قاطبة، وصار من كان له حق أو شبه حق لا يشتكي غريمه إلا عند الأجلاب، ففي الحال يخلص حقه من غريمه، إما على وجه الحق أو غيره، فخافهم كل أحد، لا سيما التجار والبيعة من كل صنف، وترك غالب الناس

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٥/٧

معايشهم، خوفا على رأس مالهم، فعز بسبب ذلك وجود أشياء كثيرة، **ووقع الغلاء في** جميع الأشياء، ثم في يوم الأحد سابع عشر شهر رجب تعرض بعض المماليك الأجلاب للقاضي محب الدين ابن الشحنة كاتب السر، وهو طالع إلى الخدمة السلطانية، وضربه من غير أمر يوجب ضربه أو الكلام معه، ثم في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان المذكور نهبت العبيد والمماليك الأجلاب النسوة اللاتي حضرن صلاة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر القديمة، وأفحشوا في ذلك إلى الغاية، وفي يوم الأحد حادي عشرينه أغلقت المماليك الأجلاب باب القلعة، ومنعوا الأمراء والمباشرين من النزول إلى دورهم بسبب تعويق عليق خيولهم، وفعلوا ذلك أيضا من الغد إلى أن رسم لهم عوضا عن كل عليقة مائتا درهم.

٢/٣." (١)

"وقوع وباء ومرض عظيم بمدينة زبيد باليمن.

٩٠٦رجب¤١٥٠١ ١/٨

حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ومات بسببه خلائق لا يحصون **وكثر الوباء واستمر** الدعاء لذلك في الصلاة والخطب ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة واشتد في آخر شعبان ورمضان فبلغ الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفسا، وكان غالبه في النساء والأطفال وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها.

٢/٣." (٢)

"**انتشار الوباء وكثرة** الموتى بمدينة زبيد.

٩١٨جمادى الآخرة¤١٥١٢ ١/٨

كثر الموت بمدينة زبيد **وعم الوباء وبلغ** الموتى فيها كل يوم إلى قريب من مائة نفس ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون.

٢/٣." (٣)

"حدوث جوع وغلاء كبير ببلاد المغرب.

٩٢٧¤١٥٢٠ ١/٨

وقع الغلاء والجوع الكبير الذي صار تاريخا في الناس مدة وحدث هذا بعد عام من انحباس المطر

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٣١/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١٢/٧

(٣) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٦٠/٧

واضطرار الناس إلى استخراج السواقي من الأودية والأنهار لسقي زرعهم وثمارهم.

٢/٣." (١)

"**انتشار الوباء بالمغرب**.

٩٢٨¤١٥٢١١/٨

كان وقوع ذلك بعد ما حدث من غلاء وجوع في العام الذي قبله.

٢/٣." (٢)

"وقوع وباء عظيم بالمغرب.

٩٦٥¤١٥٥٧١/٨

كسا **هذا الوباء سهل** المغرب وجباله، وأفنى كماته وأبطاله واستمر وجوده إلى سنة ست وستين بعدها.

٢/٣." (٣)

"وقوع غلاء عظيم بالمغرب.

٩٨٧¤١٥٧٩١/٨

وقع **هذا الغلاء حتى** عرف ذلك العام بعام البقول، وقيل أنه لما انتهب الناس غنيمة وادي المخازن كان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الأموال بالحرام فظهر أثر ذلك من غلاء وغيره، وكان يقال بأن البركة رفعت من الأموال من يومئذ.

٢/٣." (٤)

"**وقوع الغلاء بالمغرب**.

١٠٢٢ذو الحجة¤١٦١٤١/٨

حدث الشر بفاس **ووقع الغلاء حتى** بيع القمح بأوقيتين وربع للمد وكثر الموتى حتى أن صاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الأضحى من سنة اثنتين وعشرين وألف إلى ربيع النبوي من السنة بعدها أربعة

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٥/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٩/٧

(٣) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٩٤/٧

(٤) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٥/٨

آلاف وستمائة وخربت أطراف فاس وخلت المداشر ولم يبق بلمطة سوى الوحوش

٢/٣." (١)

"تولي منكو خان قيادة التتار

وخلال هذه الأحداث لم يكن الوضع في منغوليا مستقرا، فالتتار لم يستطيعوا قبول امرأة كيوك ملكة عليهم، ومن ثم اجتمع المجلس الوطني للتتار، واختار في سنة ٦٤٩هـ منكو خان خاقانا جديدا للتتار، وقد أدى هذا الاختيار إلى تحول كبير جدا في سياسة التتار وتغيير جذري في المناطق المحيطة بالتتار، فقد كان لـ منكو خان سياسة توسعية شديدة الشبه بسياسة جنكيز خان المؤسس الأول لدولة التتار، وبسياسة أوكيتاي الذي فتحت أوروبا في عهده.

ولذلك فأول ما فكر فيه منكو خان بعدما استلم الحكم هو إسقاط الخلافة العباسية واجتياح الشام ومصر وإفريقيا، وكانت أحلامه التوسعية تشمل كل مكان على الأرض.

وللأسف الشديد فإن أمراء المسلمين وشعوبهم في ذلك الوقت لم تكن أبدا على مستوى الحدث الكبير، حدث تولية منكو خان وبداية الأحلام التوسعية في الأراضي المسلمة، فالناس مكثوا عشر سنين بدون ةتال من سنة ٦٣٩ إلى سنة ٦٤٩، توقفت فيها الفتوحات التترية، وهي فترة حكم كيوك ثم أوغول قيميش، والغريب جدا في هذه الفترة أن الحكام والشعوب بل والعلماء كانوا قد نسوا تماما أن النصف الشرقي من الأمة الإسلامية واقع تحت الاحتلال التتري، وأنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الخلافة العباسية والشام ومصر والحجاز، حتى إن المؤرخين الذين أرخوا لهذه الفترة لم يذكروا البتة شيئا عن التتار.

فعلى سبيل المثال لو فتحنا البداية والنهاية لـ ابن كثير -وهو لم يعش في تلك الفترة وإنما نقل عن المؤرخين الذين عاصروها وكتبوا عنها- من سنة ٦٣٩هـ إلى سنة ٦٤٩هـ لن تجد ولا كلمة على التتار، وكأن القضية التترية قد حلت تماما.

وسنجد ابن كثير رحمه الله يصف لنا في هذه الفترة حياة طبيعية جدا في العراق والشام ومصر، وأمورا في منتهى البساطة، فالخليفة يعالج بعض المشاكل الاقتصادية ويتصدق على بعض الفقراء، فقد يحدث وباء فيعالج، أو غلاء يشق على الناس فيأتي الخليفة يتصدق ببعض الأموال لمقاومة الغلاء، وأحدهم يفتح مدرسة، وآخر يفتح دارا للضيافة، وثالث دارا للطب، ويذكر من أحوال هذه السنوات أنه مات فلان من الأدباء، وفلان من الشعراء، وفلان من الوزراء، وأما العلماء الذين يخطبون على المنابر وفي حلقات العلم

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١١٢/٨

ويشرحون للناس خطر التتار، ويذكرونهم بمصيبة المسلمين في البلاد المنكوبة بالتتار، والحكام الذين يجهزون الشعوب ليوم لا محالة هو آت فلا وجود لهم في ذلك الزمان.

فخبر التتار وأحداثهم لم تكن مشتهرة في ذلك الوقت، ولذلك اختفى ذكرها من كتب التاريخ.

وهكذا كانت أحداث ذلك الزمان تشير جميعها إلى أن اجتياحا تتريا جديدا سوف يحدث قريبا جدا على غرار الاجتياح التتري الأول الذي حدث في زمان جنكيز خان أو الاجتياح التتري الثاني الذي حدث في زمان أوكيتاي، ولعله يكون أشد وأنكى؛ لأنه كلما ازداد خنوع المسلمين ازداد طمع التتار وغيرهم فيهم، وكلما فرط المسلمون في شيء طمع أعداء الأمة في هذا الشيء وفي الذي يليه، وهذه سنة ثابتة لأهل الباطل.." [1]

"وقد قال فيه الرضي بن أبي حصينه المصري يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنة ... والدر مذ كان منسوب إلى النحر (١)

وقال العماد الأصفهاني: ومن دلائل سماحه ما شاهدته بالقاهرة في سنة إحدى وتسعين من مبراته الظاهرة أنه لما حط القحط رحله ووصل المحل محله، وتم الغلاء، وعم البلاء، ابتكر هذا الحاجب الكبير مكرمة لم يسبق إليها، وذلك أنه كان يخبز كل ليلة اثني عشر ألف رغيف، فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر الفقراء ثم يفتح من الباب مقدار ما يخرج منه واحد، ويعلم أنه غير عائد، فيتناول كل منهم قرصة ويرى ذلك من خيراته فرصة، فما يزال قاعدا حتى يفرق الألوف على الألوف وكان هذا دابه في **هذا الغلاء حتى** هب رخاء الرخاء، فحينئذ تنوعت صدقاته، واستغرقت بالصلات أوقاته وكان بهي الشيب نقي الجيب، قد جعل الله البركة في عمره، وخصه مدة حياته بإمرار أمره، فأنجده في أوان ضعفه بتضعيف بره (٢).

---

(١) كتاب الروضتين (٤/ ٤٦٦).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٦٧).." [2]

---

(١) التتار من البداية إلى عين جالوت، راغب السرجاني ٤/ ٨

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/ ٦٠

"سابعا: أهم الدروس والفوائد والعبر:

١ – غلاء وفناء ووباء: في سنة ٥٩٧هـ **اشتد الغلاء بأرض** مصر جدا، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل (١) أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت (٢) وأكلت الكلاب والميتات في هذه السنة بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير يشويه والداه ويأكلانه، وكثر هذا في الناس حتى صار لا ينكر بينهم، ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضا، فيأكلون من يقدرون عليه ومن غلب من قوى ضعيفا ذبحه وأكله وكان الرجل يضيف صاحبه فإذا خلا به ذبحه وأكله ووجد عنده بعضهم أربعمائة رأس وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى، فيذبحون ويؤكلون، وقد استدعى رجل طبيبا فخاف الطبيب وذهب معه على وجل، فجعل الرجل يتصدق على من وجده في الطريق ويذكر ويسبح ويكثر من ذلك، فارتاب به الطبيب وتخيل ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه، فلما وصل إلى الدار إذا هي خربة، فارتاب أيضا، فخرج رجل من الدار، فقال لصحابه: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد. فلما سمعها الطبيب هرب، فخرجا خلفه سراعا فما خلص إلا بعد جهد جهيد وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة قرية، ولم يبق فيها ديار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد (٣).

---

(١) ذيل الروضتين ص ١٩ البداية والنهاية (١٦/ ٧٠٣).

(٢) جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك لابن إياس ص ١٠٠.

(٣) البداية والنهاية (١٦/ ٧٠٤).." (١)

"قال فما أعاد ولا أبدي ثم قام الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان، فمضى الرسول وخفنا، فما جاء أحد (١).

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/١٨٠

ش– ومن شمائله: قال الضياء: ما أعرف أحدا من أهل السنة رآه إلا أحبه ومدحه كثيرا، سمعت محمود بن سلامة الحراني بأصبهان قال: كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد، أن يملكها لملكها. قال الضياء: ولما وصل إلى مصر كنابها، فكان إذا خرج للجمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق، يتبركون به ويجتمعون حوله، وكنا أحداثا نكتب الحديث حوله، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فتبسم ولم يحرد (٢) علينا، وكان سخيا جوادا لا يدخر دينارا ولا درهما مهما حصل أخرجه، لقد سمعت عنه أنه يخرج في الليل بقفاف الدقيق إلى بيوت متنكرا في الظلمة، فيعطيهم ولا يعرف وكان يفتح عليه بالثياب فيعطي الناس وثوبه مرقع وبعث الأفضل ابن صلاح الدين إلى الحافظ بنفقه وقمح كثير ففرقه (٣) كله وقال الضياء: سمعت أحمد بن عبد الله العراقي: حدثني منصور الغضاري قال: شاهدت **في الغلاء بمصر** وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوي ورأيت يوما قد أهدي إلى بيت الحافظ مشمش فكانوا يفرقون، فقال من حينه: فرقوا "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " (آل عمران، آية: ٩٢) وقد فتح له بكثير من الذهب وغيره فما يترك شيئا حتى قال لي ابنه أبو الفتوح والذي يعطي الناس الكثير ونحن لا يبعث إلينا شيئا، وكنا ببغداد (٤).

---

(١) المصدر نفسه (٢١/ ٤٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٥٧).

(٣) المصدر نفسه (٢١/ ٤٥٧).

(٤) المصدر نفسه (٢١/ ٤٥٨).." [1]

" ١ – الزراعة: وكانت الزراعة تشكل نسبة كبيرة من دخل مصر والشام والجزيرة وقد تعرضت هذه البلاد إلى عدة أزمات زراعية في عهد الملك العادل وانبه الملك الكامل ولقد غز الجراد مصر والشام مرات عديدة منها عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وعام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، فأكل الزرع وقل الإنتاج وانتشر الغلاء، وازداد الفقر، والأمراض (١) وارتبطت الزراعة بالمياه، فكلما ازداد سقوط الأمطار في بلاد الشام ازداد الإنتاج، وكذلك كلما ازدادت مياه النيل، انتعشت الزراعة، ولكنها كانت تنتكس إذا انحبست الأمطار أو قلت مياه نهر النيل وتغير طعم الماء فيه، وقلت الأقوات بمصر وتزايدت الأسعار واستمر هذا الحال ثلاث سنوات متوالية، فلم تمد المياه نهر النيل إلا مدا يسيرا، فتزايدت الأسعار **وانتشر الغلاء وعظم** البلاء وفتكت

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/١٩١

الأمراض بالناس (٢)، وانتشر الجوع حتى أكل الناس بعضهم، بل أكلوا الأموات (٣) وتكرر نقصان مياه النيل عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ودام ذلك إلى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م فأدى إلى غلاء مصر (٤) وعالج الملك الكامل أزمة الزراعة ومنع قطع الأشجار وكلف المسؤولين في الديوان بعملية مسح جميع بساتين مصر والجزيرة وسجلها في الديوان كي يعرف مقدار ما قطع من الأشجار، وأماكن قطعها وشجع زيادة الإنتاج الزراعي وزراعة النخيل ووضع تسعيرة حدد فيها سعر بيع المحاصيل الزراعية (٥)

---

(١) النجوم الزاهرة (٦/ ٢٥٣) القدس بين أطماع ص ١٠٨.

(٢) مفرج الكروب (٣/ ٢٢١) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٣) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٤) البداية والنهاية نقلا عن القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩.

(٥) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٠٩ ..." (١)

"أ- **ظاهرة الغلاء والأوبئة** والمجاعات: تعد الحياة الاقتصادية في أي مجتمع إنساني أكثر تأثرا بالوضع السائد في المجتمع، إذ يرتبط الاستقرار الاقتصادي طرديا بالإزدهار السياسي في المجتمع، وتعد الأزمات السياسية الحروب سببا في حدوث الاضطراب الاقتصادي وارتفاع الأسعار، والتهافت على شراء الأقوات، **وكان الغلاء من** أكثر الظواهر الاقتصادية إضرارا بالعامة، فعانى الناس من الجوع والمرض، فقد انخفضت مياه النيل في عامي ١٢٠٠م/١٢٠١م وانتشرت **المجاعة** والأمراض وهجر كثير من الناس مصر إلى أقطار أخرى بحثا عن الطعام (١) ويمكن أن نعزو **أسباب الغلاء وإرتفاع** الأسعار إلى عاملين رئيسين:

- يعتبر منسوب مياه النيل العامل الأول: إذ أن هبوط النيل أو زيادته على المنسوب العادي للفيضان في فصل الصيف يمثل خطرا حقيقيا على الحياة المصرية آنذاك، إذ لم يعتمد الأهالي خزن المياه الزائدة في سدود لاستخدامها في وقت التحاريق لذلك كان السكان يخشون الفيضان ويعدونه كارثة عليهم، إذا أن النيل هو مصدر المياه الوحيد في مصر تقريبا، فإذا قصر الوفاء فإن وقت الزراعة، وإذا زاد على حده العادي أغرق الحقول، وجعلها غير صالحة للزراعة، وعندما تقل مياه النهر عن الحد اللازم للزراعة تنتاب الناس مخاوف من حدوث **المجاعة**، ويكثر قلقهم، خوفا من الجوع لعدم زراعة المحاصيل، لذلك كان السكان

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٢٦٢

يسارعون لتخزين الغلال طمعا في الحصول على مزيد في الأرباح من طريق رفع الأسعار ونتيجة لذلك يشتد الإقبال على شراء الغلال، بينما يقل المطروح منها في الأسواق ويشتد التزاحم على حوانيت الغلال، والأفران، مما يؤدي إلى إرتفاع الأسعار في البضائع المختلفة سواء المأكولات أو المشروبات أو الملبوسات (٢).

---

(١) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٨.

(٢) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٨.." [١]

"- ويتمثل هذا العامل بسياسة الدولة الاقتصادية المرتبطة بطبيعة النظام الإقطاعي ذي الطابع العسكري، فأصحاب الإقطاعات من قادة وأمراء جند لم يعيروا اهتماما كبيرا لاستصلاح أراضيهم وجعلها أكثر مردودا بسبب عدم استقرار هذه الإقطاعات في أيديهم (١)، وقد ذكر المقريزي: أنه كان لأسرة بني خيار بقرة فذبحوها، وباعوها أثناء حصار دمياط عام ٦١٥هـ/١٢١٨م بثمانمائة دينار (٢)، وأن سعر رطل السكر ارتفع إلى ٤٥٠دينارا والدجاجة إلى ٣٠دينارا وأن الجوع انتشر بشكل كبير إلى درجة إحدى السيدات المحسنات شقت جوف جمل، وملأته بالدجاج والفواكه وخاطته، ورمته في البحر، وكتبت بذلك إلى أهل دمياط ليوزعوا ما فيه إلى المحتاجين (٣) وكان الغلاء في مصر عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م شديدا لنقص مياه النيل، فخرج العامة، وأئمة المساجد لتأدية صلاة الاستسقاء فأكل الناس الكلاب والقطط وانتشر المرض، واستمر حوالي ثلاثة أشهر، فمات خلق كثير تجاوز الحد، وقدره المقريزي بحوالي ١٢ألف نفس في القاهرة، عدا من مات في الريف (٤)، وقدره ابن تغري، بردي بحوالي ثلاثين ألفا (٥).

ب- السخرة: استخدم الملك الكامل الناس للعمل دون أجر لبناء الجسور العامة والسدود والعمل في الإقطاعات، والمرافق العامة التي تظهر فائدتها في السكان (٦).

ج- الرشوة: انتشرت بين بعض كبار المسؤولين، وليس أدل على ذلك من قول المقريزي: تقدم الأنباء كيرلس داود بن لقلق بطرك الإسكندرية بالرشوة، وأنه أخذ الشرطونية عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م (٧).

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٩.

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٣٠٩

(٢) الخطط (١/ ٣٩٩) القدس بين أطماع ص ١٢٩.

(٣) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٢٩.

(٤) السلوك (١/ ٢٩١)

(٥) النجوم الزاهرة (٦/ ٢٨٧) القدس بين أطماع ص ١٢٩

(٦) القدس بين أطماع ص ١٣٠.

(٧) القدس بين أطماع الصليبيين ص ١٣٠.." (١)

"بعد معركة غزة سارع القائد المصري بيبرس إلى الإستيلاء على غزة والساحل، والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار ثم حاصر دمشق وفيها صاحبها الصالح إسماعيل وإبراهيم بن شيركوه صاحب حمص، ولما ضاق صاحب دمشق بالحصار ذرعا سير وزيره أمين الدولة إلى العراق متشفعا بالخليفة العباسي ليصلح بينه وبين ابن أخيه الصالح أيوب، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك، وبعد حصار دام ستة أشهر استسلمت دمشق في الثامن من جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ/الأول من تشرين الأول سنة ١٢٤٥ن وعوض الصالح إسماعيل عنها ببعلبك وبصرى وأعمالها (١) وأما الخوارزمية، فقد انقلبوا على الصالح نجم الدين أيوب لأنهم لم يحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه، فهم ظنوا أنهم بعد أن ساعدوه في التغلب على خصومه وفي تملك بلاد الشام سوف يقاسمهم الغنائم ويشاطرهم الملك، لكن ظنهم خاب عندما منعهم دخول دمشق وأقطعهم بلاد الساحل، فتغيرت نياتهم واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان (٢)، وأعلنوا الثورة وسارع الناصر داود صاحب الكرك، والملك الصالح إسماعيل بالإنضام إليهم، وزحفوا جميعا على دمشق وحاصروها وقطعوا عنها الإمدادات، **فاشتد الغلاء بها**، ومات كثير من الناس جوعا، وأكل الناس القطط والكلاب والميتات، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وهنا أظهر الصالح أيوب صبرا ومهارة فلجأ إلى أعمال الحيلة والتدبير، فأغرى الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص على الانضمام إليه فضلا عن استمالة الحلبيين، كما تحايل على بعض الأمراء وفك التحالف وبفضل - الله - ثم هذه الإجراءات تمكن الصالح أيوب من إنزال الهزيمة بالخوارزمية بالقرب من حمص في أول المحرم سنة ٦٤٤هـ (٣)

---

(١) السلوك (١/ ٣١٧ - ٣١٨) الدولة الأيوبية د. دعكور ص ٢٣٧.

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٣١٠

(٢) السلوك (١/ ٣٢٢) الدولة الأيوبية دعكور ص ٢٣٧.

(٣) السلوك (١/ ٣٢٤) الدولة الأيوبية دعكور ص ٢٣٨ ..." [١]

"وأمر بإنشاء أسطول من السفن الخفيفة نقلها إلى فروع النيل السفلى، وأنزلها في القنوات المتفرعة، فأخذت تعترض طريق السفن الصليبية التي تجلب المؤن للجنود من دمياط، فقطع، بذلك، الطريق عليها، وحال دون اتصال الصليبيين بقاعدتهم دمياط (١)، وفقد الصليبيون عددا كبيرا من سفنهم قدرتها المصادر بما يقرب من ثمان وخمسين سفينة: انقطع المدد من دمياط عن الفرنج، **ووقع الغلاء عندهم**، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام، ولا يقدرون على الذهاب، وتشجع المسلمون وطمعوا فيهم، وأدرك لويس التاسع استحالة الزحف نحو القاهرة في ظل هذه الأوضاع وبدأ يفكر في العودة إلى دمياط وفعلا أمر بالإرتداد وأحرق الصليبيون ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، كما أدرك أن عملية الانسحاب لن تكون سهلة، وأن المماليك سوف يطاردون جيشه لذلك لجأ قبل أن يبدأ بعملية الإنسحاب إلى فتح باب المفاوضات مع تورانشاه، على أساس ترك دمياط مقابل أخذ بيت المقدس (٢)،

---

(١) الحركة الزاهرة (٦/ ٣٦٤) تاريخ الأيوبيين ص ٣٨٧.

(٢) تاريخ الأيوبيين ص ٢٨٨ ..." [٢]

"٢٤ - في عصر الممالك الأيوبية كانت إيطاليا تتشكل من جمهوريات مستقلة وكانت كل جمهورية منها تقوم في مدينة كبرى، مثل البندقية، بيزا، جنوة، وأمالفي، ولكنها كلها تتبع نمطا اقتصاديا واحدا، يقوم على التجارة البحرية وقد تمكنوا جميعا، بفضل الأساطيل المتنوعة الضخمة من أن يحققوا أرباحا خيالية، وأن تصل هذه المدن إلى مستويات عالية من الثروة.

٢٥ - أدركت الدولة الأيوبية حاجتها لكسب التجار الإيطاليين فلوحت لهم بالمكاسب وعقدت معهم الاتفاقات على أساس الفائدة المشتركة فتحدوا كل قرارات المنع وكل التزام ديني ونقلوا البضائع من وإلى الموانئ الإسلامية وخاصة مواني‌ء مصر.

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٤٩٦

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٥٣٨

٢٦ – كان للملك العادل دور كبير في تشجيع التجارة عبر مصر ففي سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م كان يجتمع في مدينة الإسكندرية وحدها ثلاثة آلاف تاجر من (الفرنج) ما عدا مرافقيهم ومساعديهم، وعمالهم وبحارة سفنهم مما شكل حركة تجارة نشطة، كانت الدولة الأيوبية بأمس الحاجة إليها لحاجتها إلى كثير من المواد المجلوبة وللرسوم.

٢٧ – في سنة ٥٩٧هـ **اشتد الغلاء بأرض** مصر جدا، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ثم أعقبه فناء عظيم حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألف ميت وأكلت الكلاب والميتات في هذه السنة بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير يشويه والداه ويأكلانه.

٢٨ – كان البيت السلجوقي في الصراع الداخلي إذا ظفر واحد منهم بأخيه أو ابن عمه أعدمه، وأحسن أحواله أن يعتقله حتى يموت وكان بنو أيوب يتحاربون وتجري بينهم العداوة الشديدة، ثم يجتمع بعضهم ببعض، وربما صعد بعضهم إلى قلاع بعض، ثم يفارقه بعد المقام عنده على حال جميلة والعداوة والمنافرة باقية بحالها.." (١)

"فسلمها إليه وحصل بها في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى وسلمت جميع الحصون إليه من الشام. وكان بوزان صاحب الرها في جملة من أسر في الوقعة فتقدم تاج الدولة بقتله فضربت عنقه صبرا وكذلك الأمير كربوقا صاحب الموصل كان قد أسر في الوقعة فاعتقل بحلب إلى أن تقرر أمر حلب ورتبت النواب والمستحفظون فيها وقرر أمره. ورحل السلطان تاج الدولة عن حلب في العسكر إلى ناحية الفرات وقطعه وقصد حران فاستعادها وكذلك سروج والرها وقصد ديار بكر وعدل عن طريق السلطان بركيارق لأنه كان نازلا بأرض الموصل طالبا لخاتون زوج السلطان ملك شاه والدة أخيه محمود وكانت مستولية على أصفهان وجميع الأموال لمكاتبات ومراسلات ترددت بينهما في معنى الوصلة بينها وبينه واستقر الملك له ولها وكانت قد منعت السلطان بركيارق التصرف في تلك الأعمال والتقود فيها. وفي هذا الوقت حدثت زلازل في يوم وليلة دفعات لم يسمع بمثلها في كل زلزلة منها تقيم وتطول بخلاف ما جرت بمثله العادة. ورحل تاج الدولة عقيب ذلك ولم

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٣٤٩

يتمكن من الاتمام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من أصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرض حاد فتوفيت وتفرق عسكرها إلى جهة السلطان بركيارق وإلى غيره وحين عرف بكريارق ذاك سار في الحال إلى أصفهان فدخلها وملكها وقد كان أهلها أشرفوا على الهلاك **لفرط الغلاء بها** وعدم الأقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون إلى تاج الدولة خلق كثير وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدته وقويت شكوته ودعي له على منابر بغداد ووصل إلى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير إليه في من بقي من الأجناد في الشام فسار إلى حلب ومن حلب إلى العراق ومعه الأمير نجم الدين ايل غازي بن أرتق والأمير وثاب بن محمود بن صالح وجماعة من أمراء العرب وأتراك حلب القسيمية وتوجه صوب بغداد على الرحبة في أول سنة ٤٨٧ من الاتمام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من أصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرض حاد فتوفيت وتفرق عسكرها إلى جهة السلطان بركيارق وإلى غيره وحين عرف بكريارق ذاك سار في الحال إلى أصفهان فدخلها وملكها وقد كان أهلها أشرفوا على الهلاك **لفرط الغلاء بها** وعدم الأقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون إلى تاج الدولة خلق كثير وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدته وقويت شكوته ودعي له على منابر بغداد ووصل إلى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره." (١)

"طرابلس بعلة لحقته وأقام ابنه في الأمر من بعده وهو طفل صغير كفله أصحابه ودبروا أمره مع طنكري صاحب أنطاكية وجعلوه من خيله وأقطعه انطرطوس وصافيثا ومرقية وحصن الأكراد وفي هذه السنة حدث **بمصر الوباء المفرط** بحيث هلك به خلق كثير يقال تقدير ستين ألف نفس. وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بوصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن البي كذا إلى بغداد في جمادى الأولى منها وأقام بها مدة ثقل فيها على أهلها وارتفع معها السعر إلى أن رحل عنها فصلحت الحال ورخص السعر. وفيها وردت الأخبار بوصول الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها وأقام عليها إلى المحرم سنة ٥٠٦ ورحل عنها إلى سروج ورعى زرعها وهو في غفلة غير متحفظ من عدو يطرق ومسلم يرهق ولم يشعر إلا وجوسلين صاحب تل باشر في خيله من الافرنج ودواب العسكر منتشرة في المرعى هجم عليها من ناحية سروج على حين غفلة من مودود وأصحابه فقتلوا

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٠٩

منهم جماعة فاستاقوا أكثر كراعهم وقتل بعض المقدمين واستيقظ من كان من المسلمين غافلا وتأهبوا للقائه فعاد إلى حصن سروج." (١)

"وفيها ورد الخبر بوفاة ضياء الدين أبي سعيد بن الكفرتوثي وزير الأمير عماد الدين أتابك في خامس شعبان وكان على ما حكي عنه حسن الطريقة جميل الفعل كريم النفس مرضي السياسة مشهور النفاسة والرئاسة. وفيها ورد الخبر بوفاة الأمير سعد الدولة صاحب آمد وجلوس ولده محمود في منصبه من بعده فانتظم له الأمر من بعد فقده. وفيها ورد الخبر بوفاة الأمير ولد الدانشمند رحمه الله وانتصاب ولده في منصبه من بعده واستقام له الأمر. وفيها توفي الشيخ أبو محمد بن طاووس امام المسجد الجامع بدمشق في يوم الجمعة سابع عشر من المحرم من السنة

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيما وردت الأخبار من ناحية مصر **بعظم الوباء في** الاسكندرية والديار المصرية بحيث هلك هناك الخلق العظيم والجم الغفير. وفي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ربيع الأول توفي القاضي." (٢)

"وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة. وأكثر من أسر قتله الغزاة المطوعة والرعاع المجمعة فكان فتحا هنيا ومنحا سنيا وما ظن لتوثيق بنائه وتوغير سبله يتأتى افتتاحه أو يتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدنة لهم ليأمن الناس منهم مبلغ ستين ألاف دينار فلم يذعنوا بالقرار وبلغ المبلغ مائة ألف دينار فثبتوا على الإصرار.

وقال: ورأيت السلطان مستبشرا يتلألأ وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافى وهو يشاهد بلية أهل ملته، وكان الحر شديدا لا يطاق ودم الشرك مباحا يراق، وقد وقد القيظ وأن وقد الغيظ وسير من أبقاه الأسار إلى دمشق فأقام السلطان في مخيم والأموات قد جافت والأحياء قد عافت وقال: ولا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه وأعيد الرجاء في أعادته إلى بأسه فقسمناه أذرعا على البأس حتى (١٩٩ب) هدوه إلى الأساس وعاد المشهد اليعقوبي مزورا ورأى الابتهاج بزيارته منشورا. ودخلت الحصن فشاهدت العجب ورأيت فارسا قد ألقى على النار حصانه وهو راكبه فانظر إلى هذه الحمية والأنفس الأبية. وأقام السلطان

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٨٩

(٢) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٤٣١

في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب ورحلنا يوم الأربعاء وعند الوصول إلى دمشق مرضنا من وبال **ذلك الوباء ونتن** ذلك الهواء وانتقل إلى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأمراء ومن الله غلة بعد الأشقاء بالشفاء.

قال: وهنأ الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فمما بقي على ذكرى من ذلك ما أنشدنيه الفتى أحمد بن نفاذه:

هلاك الفرنج أتى عاجلا ... وقد آن تكسير صلبانها

ولو لم يكن قد دنا حتفها ... لما عمرت بيت أحزانها

ولأبي الحسن علي بن محمد الساعاتي الخرساني من أهل دمشق قصيدة أولها:

بجدك أعطاف القنا تتعطف ... وطرف الأعادي دون مجدك يطرف

وقفت على حصن المخاض وأنه ... لوقف حق لا يوازيه موقف

أيسكن أوطان النبيين عصبة ... تمين لدى أيمانها وهي تحلف

نصحتكم والنصح في ا الدين واجب ... ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ولأبي الفتح سعادة الضرير الحمصي من قصيدة:

وقدت إلى الأعداء جيشا عرمرما ... إذا أبرقت فيه الصوارم أرعدا

خميسا كسوت الجو ثوبا ممسكا ... به وكسوت الأرض ثوبا موردا

لها ما يريك الشمس ثاير نقعه ... يقلب مطرفها من الطرف أرمدا

ترى الليث فيه بالحباب مؤبطا ... نزا البدر فيه بالشهاب مقلدا

طما بالمحاصير الصواهل بحره ... الخضم وبالبيض المباتير أزبدا

وأبدى من الخرصان لمعا مفضضا ... يعود يوشك الطعن لمعا معسجدا

فلم تبق للطغيان شملا مجمعا ... ولم تبق للأيمان شملا مبددا

وللأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي من أهل الحلة المزيدية في السلطان أيضا من كلمة:

وأوردت بيض الهند ماء رقابهم ... وأصدرتها تختال في حلل حمر

جلوت بها صمصامة الدين بعد ما ... علا متنها من بغيم صدء القسر

هي للفتكة الغراء لا زلت قايما ... بأمثالها للدين في ا السر والجهر

فأصبح في أقصى خرسان ذكرها ... وفي كل قلب منه جيش من الذعر

قال: وفي هذه السنة كان طهر الملك العزيز أبي الفتح عثمان ولد السلطان وسمعته يقول مولد عثمان بمصر ثامن جمادى الأولى من سنة سبع وستين وخمسمائة. وكان أحب أولاده إليه وأعزهم وأثناهم لأعطاف سروره به وأهزهم وهو ريحان شمه وفينان ضمه ورأس ماله وأساس أقباله. وكانت فراسته فيه من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه فهو الذي من بعده نظم سلكه وضم ملكه وجمع شمله وأبقى أفضاله وفضله ولزم إحسانه وعدله. ولما وصل من مصر إلى الشام في سني سبعين برح به اشتياقه وأزعجه فراقه فاستقدمه إليه فطلع قمره وينع ثمره وثاب أنسه وبلغت المنى نفسه وقال: وأنشدت أسلطان تهنية بقدومه كلمة منها:

(٢٠٠أ) يا أسد تحمي عرين العلي ... هنيت جمع الشمل بالشبل

ياطيب الثمر بلغت المنى ... تمليا بالطاهر النجل

يحكيك أقداما وبأسا فما ... أشبه هذا الفرع بالأصل

ملك قضى الله له أنه ... على ملوك الأرض يستغنى

شمله المجموع آمالنا ... بنجمها مجموعة الشمل." (١)

"ثم وصل إليهم من بدر الدين – صاحب الموصل – مملوك أخبرهم أن بدر الدين قد بذل روحه وماله وابتاع البلد من هولاكو. فقال له علم الدين سنجر الأعسر الخوارزمي وحسام الدين بن رش وعماد الدين الهكاري: نحن نعرف محال أستاذك، والله ما ينزل إلا مع حجارتها فإنا قد بايعنا الله تعالى. وعزم حسام الدين على ضرب رقبته، فلم يمكنه عماد الدين.

ولما فارق السلطان عز الدين – صاحب بلاد الروم – هؤلاء على سروج عند قصده حلب وصل إلى ميافارقين ووقف تجاه السور. وطلب الطواشي نجم الدين مختار، وحسام الدين بن رش وعماد الدين الهكاري وعلم الدين سنجر الأعسر، فلما حضروا قال لهم: المصلحة أن يخرج الملك الكامل إلى هولاكو، فإني قد استطلقته منه، وقد عفا عنه.

فقالوا له: إن رحل عسكر التتر عنا إلى جسر القرمان خرجنا بحريمنا وأولادنا، ونحضر مع الملك الكامل إلى بين يدي " هولاكو ". فلم يجيبوا التتر إلى ذلك وقالوا: متى خرج الملك الكامل من ميافارقين تعلق بالحبال.

ولما توجه عز الدين جدوا في الحصار وقلت الأقوات في البلد، ووقع الوباء في أهله، ونصبت التتر على البلد ست مائة سلم على السور. يصعد في عرض الدرجة ست عشرة نفسا.

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٧٣

وكان المتسلم لباب الكر والقبلة الأمير سابق الدين لاجين الخرندار – أحد مماليك شهاب الدين غازي – . فنزل إلى بيته بعض الليالي، من غير أن يعلم به، فنزل مملوك له يسمى أقوش إلى التتر وأعلمهم بغيبة أستاذه عن الباب. فأقاموا سلما وصعد فيه نحو من ثلاث مائة نفس. وكان بين السورين خادم لصاحب الحصن يسمى دينار، فلما رآهم أخذ رمحه ومشى مع السور، وطعن منهم رجلا فوقع على أصحابه، فصاحوا، فشعروا بهم، ونهض الناس إلى قتالهم، وركب الملك الكامل والطواشي نجم الدين مختار وطلعا إلى السور، وجد القتال بين التتر وبين المسلمين، فقتلوا التتر عن آخرهم، ووقعت جثثهم خارج السور. فأمر الملك الكامل ألا يمكن التتر من أخذها. ففتح الباب وخرج منه سبعون فارسا ومئتا راجل، فأخذوا ما قدروا عليه بعد حرب شديد.

ثم اشتدت الحال على ميافارقين بكثرة القتل والجوع والفناء. فوقع الاتفاق على أن يخرج الملك الأشرف موسى ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي إلى سنتاي ويبذل له السناسنة على أن يرحل عن ميافارقين. فأجابهم إلى ذلك، خداعا منه. وتوجه فتح الدين يحيى بن بدر الدين ممدوح ابن الصرمنكي في طائفة من المغل ليسلمها إليهم، فطلب من الوالي تسليمها ظاهرا، وهو يشير إليه ألا يفعل، فتبين لهم منه ذلك فقتلوه، وبقي عندهم الأشرف موكلا عليه.

ثم اتفق بعد خروجه أن مملوكين من مماليك افتخار الدين ياقوت الخادم السعدي ضربهما أستاذهما بسبب تقدمهما على غلمان الملك الكامل وقلة أدبهما معهم، فعظم ذلك عليهما وحملهما على أكاتبا التتر وقالا لهم: أي شيء تعطونا حتى نسلم إليكم البلد؟ فقالوا: نعطيه لكما. وكتبوا لهما بذلك كتابا. فقالا لهم: إذا كان يوم الخميس، وهو اليوم الثالث والعشرون من ربيع الآخر ينزل الحرس إلى أشغالهم، فارموا إلينا سلما. فلما كان سحر ذلك اليوم اتفق أن نزل افتخار الدين ياقوت وعلم الدين سنجر الخوارزمي إلى الحمام، وخلا السور، فأخذ المملوكان السلم ونصباه فصعد فيه من المغل البهادرية جماعة، واستبق بعضهم بعضا فتكمل على السور في الساعة الراهنة ستة آلاف نفر، فقاتلهم الأمير حسام الدين بن رش حتى قتل ووجدت فيه اثنتان وسبعون ضربة بالنشاب.

وسار الأمير علم الدين سنجر إلى الملك الكامل فاستنهض عزمته، وأيقظ همته، فركب إليهم، ومعه الأمير علم الدين – المذكور – فقاتلا قتالا شديدا. ثم انهزم الملك الكامل واحتمى ببعض الأبراج. وأسر علم الدين.

وكان أحد مقدمي المغل يسمى بوتاي نوين قد رأى مصابرة علم الدين في الحرب، فطلبه من يشموط

فأعطاه إياه، فحماه. فلما اطلع سنتاي على ذلك أخذه وقتله، وقال: هذا قتل من المغل خلقا كثيرا.." (١)

"وسار المعتضد إلى الموصل يريد قلعة ماردين "، وكان بها حمدان، فلما بلغه قصد المعتضد إياه خرج منها هاربا، وترك بها ابنه، فنازلها المعتضد وقاتله يومه كله. " فلما "كان من الغد، ركب المعتضد وصعد إلى باب القلعه وصاح: يابن حمدان!! فأجابه، فقال: افتح الباب. ففتحه فقعد المعتضد في الباب، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها.

ثم سير خلف ابن حمدان وطلبه أشد الطلب، وأخذ ماله بالقلعة. ثم إنه ظفر به بعد عوده إلى بغداد.

وفي عوده قصد الحسنية وبها رجل كردي يقال له شداد في جيش كثيف نحو العشرة آلاف فارس، وكان له قلعة " في المدينة "، فظفر به المعتضد، وهدم قلعته ".

وذكر الهمذاني في تاريخه أنه هدم قلعته، ثم عفا عنه وأقر على ما تغلب عليه.

وكان أهل الموصل وديار بكر قد عمهم الغلاء، فحمل إليهم حمدان من الأقوات ما أرخص عليهم الأسعار.

وأنفق على سور ملطية سبعين ألف دينار، ووقف عليهم أربع مائة فرس.

وتوفي – " رحمه الله " – في سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وولي ولجه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وقلده المقتدر بالله الموصل وديار ربيعة والدينور والجبل والكوفة وطريق مكة. فاستخلف ابنه سيف الدولة عليا على الجبل وله اثنتا عشرة سنة، وفيه يقول المتنبي:

يابن المعفر في نجد فوارسها ... بسيفه وله كوفان والحرم

وكان أبو الهيجاء قد أعان الوزير أبا الحسن علي بن عيسى في مصادرته بعشرين ألف دينار، فلما أعادها إليه حلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى ملكه، ففرقت في الفقراء وغيرهم.

وخلع أبو الهيجاء المقتدر بالله وبايع أخاه القاهر، فاجتمعت الرجالة وقتلوا نازوكا – صاحب الشرطة – فبادر أبو الهيجاء ليخرج، فقال له القاهر: تسلمني يا أبا الهيجاء؟!! قد أخلته الحمية وقال: لا، وتربة حمدان لا أسلمتك أو أقتل دونك!!. ثم إنه تبع الخدم، فرموه بالنشاب، فخلع جبته وجرد سيفه، وهجم عليهم، فأجفلوا بين يديه، ثم رموه بالسهام إلى أن أثخنوه بالجراح، وهو ينادي: يا آل تغلب؟! أين الدهماء؟!.

ثم سقط من السهام، فقطعوا يده، وحزوا رأسه.

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/١٩١

وكان المقتدر يحبه لشجاعته، فكتب له أمانا بخطه، وقال لبعض حجابه: ويلك؟! بادر إليه وأدركه لئلا يتم عليه أمر. فلما حصل ببعض الطريق تلقاه خادم برأسه، فحزن عليه المقتدر كثيرا.

وقيل عنه: إنه كان ليلة مع بعض جواريه في خلوة في بعض أسفاره. فسمع زئير الأسد عند باب مضربة، فجرد سيفه، وخرج إليه فقتله، وعاد برأسه إلى الجارية، ولم تفر شهوته، ولا كلت آلته.

وكان قتله – رحمه الله – في سنة سبع عشرة وثلاث مائة.

ورد المقتدر بالله الموصل وديار بكر إلى أخيه في السنة المذكورة. ثم. نقلته من التاريخ المظفري.

وكان ولده نائبا عنه بماردين، فلما توفي وليها ولده ناصر الدولة أبو محمد الحسن، ولم تزل في يده إلى أن قبضوا عليه أولاده سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

وكان ينوب عنه بماردين والرحبة ابنه حمدان، فلما قبض عليه أبو تغلب في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. وحمله إلى قلعة كواشي وتوفي بها، وكان قد أعطى ماردين والرحبة لولده حمدان. فلم تزل في يد حمدان ابن ناصر الدولة إلى أن دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة في شوال منها، ملكها الغنضنفر، أبو تغلب ابن حمدان، سلمها إليه نائب أخيه حمدان. فأخذ أبو تغلب ما كان لأخيه من أهل، ومال، وسلاح، وأثاث، وحمله إلى الموصل.

ولم تزل ماردين بيده، ويد نوابه، إلى أن ملك عضد الدولة الموصل في سنة سبع وستين وثلاث مائة. وملك ديار ربيعة في سنة ثمان وستين وثلاثمائة. ولم تزل في يد عضد الدولة، ويد نوابه، إلى أن توفي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

ذكر ابن الأثير في تاريخه في تراجم ماردين وآمد: أن باد بن دوستك الكردي الحميدي – خال بني مروان – ملك ديار بكر بعد عضد الدولة. ولم يزل مالكها إلى سنة ثمانين وثلاثمائة. وتوفي وانتقلت إلى بني مروان.

قال أحمد بن يوسف بن علي المعروف بابن الأزرق – صاحب تاريخ ميافارقين –: إن ديار بمر بعد عضد الدولة انتقلت إلى ممهد الدولة أبي منصور بن مروان، وأضرب عن ذكر باد.

وذكر الهمذاني في التذييل: أن ممهد الدولة لم يملك ديار بكر سوى سنة واحدة.." (١)

"وكان في حمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر المنامات، فدخل سيف الدولة فقال له كلاما معناه: أن الروم تحتوي على دارك. فأمر به فدفع، واخرج بعنف، فقضى الله سبحانه أن الروم خرجوا ففتحوا حلب

---

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين ابن شداد ص/٢٠٠

واستولوا على دار سيف الدولة فذكر معبر المنام أنه دخل على سيف الدولة بعدما كان من أمر الروم، فقال له ما كان من أمر ذلك المنام.

وكان المعتصمون بالقلعة والروم بالمدينة تحت السماء ليس لهم ما يظلهم من الهواء والمطر، ويتسللون في الليل إلى منازلهم، فإن وجدوا شيئا من قوت أو غيره، أخذوه وانصرفوا.

ثم إن نقفور أحرق المسجد الجامع وأكثر الأسواق والدار التي لسيف الدولة، وأكثر دور المدينة، وخرج منها سائرا إلى القسطنطينية بعد أن ضرب أعناق الأساري من الرجال، حين قتل ابن أخت الملك؛ وكانوا ألفا ومائتي رجل.

وسار بما معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها. وقال: هذا البلد قد صار لنا، فلا تقصروا في عمارته؛ فإنا بعد قليل نعود إليكم.

وكان عدة من سبي من الصبيان والصبايا بضعة عشر ألف صبي وصبية، وأخذهم معه.

وقيل: إن جامع حلب كان يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وهي الفص المذهب إلى أن أحرقه الدمستق لعنه الله. وإن سليمان بن عبد الملك اعتنى به. كما اعتنى أخوه الوليد بجامع دمشق.

وسار الدمستق عنها يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة من سنة ٣٥١.

واختلف في السبب الذي أوجب رحيل نقفور عن حلب. فقيل: إنه ورد إليه الخبر أن رومانوس الملك وقع من ظهر فرسه في الصيد بالقسطنطينية، وأنهم يطلبونه؛ ليملكوه عليهم.

وقيل: سبب رحيله أن نجا عاد بجمهور العسكر إلى الأمير سيف الدولة فاجتمع به. وجعل يواصل الغارات على عسكر الروم، وتبلغ غاراته إلى السعدي، وأنه أخذ جماعة من متعلفة الروم، واستنجد سيف الدولة باهل الشام فسار نحوه ظالم بن السلال العقيلي في أهل دمشق، وكان يليها من قبل الإخشيدية، وكان ذلك سبب الرحيل عن حلب.

وكان هذا نقفور بن الفقاس الدمستق، وقد دوخ بلاد الإسلام، وانتزع من أيدي المسلمين جملة من المدن والحصون والمعاقل، فانتزع الهارونية، وعين زربة كما ذكرناه وكذلك دلوك وأذنة، وغير ذلك من الثغور.

ونزل على أذنة في ذي الحجة من سنة ٣٥٢ ولقيه نفير طرسوس فهزمهم وقتل منهم مقدار أربعة آلاف وانهزم الباقون إلى تل بالقرب من أذنة، فأحاط الروم بهم وقاتلوهم وقتلوهم بأسرهم.

وهرب أهل أذنة إلى المصيصة وحاصرها نقفور مدة فلم يقدر عليها بعد أن نقب في سورها نقوبا عدة. وقلت الميرة عندهم فانصرف، بعد أن أحرق ما حولها.

وورد في هذا الوقت إلى حب إنسان من أهل خراسان ومعه عسكر لغزو الروم، فاتفق مع سيف الدولة على ان يقصدا نقفور وكان سيف الدولة عليلا فحمل في قبة، فألفياه وقد رحل عن المصيصة وتفرقت جموع الخراسان **بشدة الغلاء في** هذه السنة بحلب والثغور، **وعظم الغلاء والوباء** في المصيصة وطرسوس حتى أكلوا الميتة.

وعاد نقفور إلى المصيصة، وفتحها بالسيف في رجب سنة ٣٥٤. وفتح أيضا كفربيا في هذه السنة ومرعش. وفتح طرسوس من أيدي المسلمين في شعبان سنة ٣٥٤.

وكان المسلمون يخرجون في كل سنة ويزرعون الزرع فيأتي بعسكره فيفسده فضعفت، وتخلى ملوك الإسلام عن أهل الرباط بها، وكان فيها فيما ذكر أربعون ألف فارس، وفي عتبة بابها أثر الأسنة إلى اليوم. فلما رأى أهلها ذلك، راسلوا نقفو المذكور، فوصل إليهم، وأجابوه إلى التسليم. وقال لهم: إن كافورا الخادم قد أرسل إليكم غلة عظيمة في المراكب، فإن اخترتم أن تأخذوها وانصرف عنكم في هذه السنة فعلت. فقالوا: لا. واشترطوا عليه أن يأخذوا أموالهم فأجابهم إلى ذلك، إلا السلاح.

ونصب رمحين جعل على أحدهما مصحفا، وعلى الآخر صليبا، ثم قال لهم: من اختار بلد الإسلام فليقف تحت المصحف؛ ومن اختار بلاد النصرانية فليقف تحت الصليب. فخرج المسلمون فحرزوا بمائة ألف ما بين رجل وامرأة وصبي، وانحازوا إلى أنطاكية.

ودخل نقفور إلى طرسوس، وصعد منبرها، وقال لمن حوله: أين أنا. قالوا: على منبر طرسوس. فقال: لا ولكني على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم عن ذلك.." (١)

"وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين على بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأمر الوزير بن العلقمى بأن تعطل المساجد والجوامع والمدارس والربط ببغداد ويستمر بمحال الروافض، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون فيها علمهم، فلم يقدره الله عز وجل على ذلك؛ بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، واتبعه ولده فاجتمعا والله أعلم في الدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمد المدة المقدرة، وانقضت الأربعون يوما، بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت البلد من جيفهم، وتغير الهواء، فحصل بسببه الفناء والوباء الشديد، حتى سرى وتعدى في الهواء إلى بلاد الشام،

---

(١) اليواقيت والضرب في تاريخ حلب أبو الفداء ص/٢٤

فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على **الناس الغلاء والوباء** والفناء والطعن والطاعون.
ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والقنى والمغاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من القبور، وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، **وأخذهم الوباء الشديد** فتفانوا وتلاحقوا بمن سلف من القتلى.
وكان رحيل هلاون عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر، فوض إليه الشحنكية بها إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى، فلم يمهله الله تعالى حتى أخذه عزيز مقتدر في مستهل جمادى الآخرة، كما سنذكره في الوفيات إن شاء الله، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام.
ويقال: إن هلاون عزم على إحراق مدينة بغداد لما أراد الرحيل عنها، فقال له كتبغا نوين إن هذه المدينة أم المدن ومقصد التجار، فإذا أبقاها الملك حصل له منها مال جزيل، فأبقاها وشحن عليها، وسار عنها إلى الفرات.
وفي تاريخ بيبرس: ثم سار هلاون عن بغداد بعد انقضاء الشتاء إلى الشام، وجرد جيشا إلى ميافارقين صحبة صرطق نوين وقطغان نوين، وكان بها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى، فحاصروها ونصبوا عليها المنجنيقات من كل ناحية، فقاتلت أهلها وامتنعوا عن تسليمها، وصبروا أنفسهم على الحصار الشديد والجوع المبيد، حتى أكلوا الميتات والدزواب والسنانير والكلاب، وطال عليهم الأمد، وقلت منهم القوة والجلد، فاستولى التتار على المدينة وفتحوها، وكانت مدة مقامهم على حصارها سنتين، فقتلوا وسبوا من أهلها خلقا كثيرا، وفنى الجند من كثرة القتال، واشتداد النزال وأسر من بقى منهم، وأخذ صاحبها ناصر الدين الملك الكامل وتسعة نفر من مماليكه وأحضروا بين يدي هلاون، فقتلوا إلا مملوكا واحدا اسمه قرا سنقر، أبقاه هلاون، وذلك أنه سألهم عن وظائفهم، فذكر له ذلك المملوك أنه كان أمير شكار للسلطان، فاستبقاه وسلم إليه شيئا من الطيور الجوارح وحظى عنده، واتفق حضوره إلى الديار المصرية في الأيام الظاهرية، فأعطاه السلطان إقطاعا، وجعله مقدم في الحلقة.
وكان صاحب ميافارقين أديبا فاضلا، وله نظم جيد، فمنه قوله:
ترة تسمع الدنيا بما أنا طالب ... فلى عزمات دونهن الكواكب
وإن يكن الناعى بموتى معرضا ... فأي كريم ما نعته النوائب

ومن كان ذكر الموت في كل ساعة ... قريبا له هانت عليه المصائب
وما عجبي إلا تأسف عاقل ... على ذاهب من ماله وهو ذاهب
؟ ذكر ما جرى لأصحاب البلاد مع هلاون:." (١)

"ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة، ونشأ شابا حسنا، وحين توفى أبوه وعظ في موضعه، فأحسن وأجاد وأفاد، ثم تقدم وولى حسبة بغداد، مع الوعظ الرائق، والأشعار الحسنة الفائقة، وولى تدريس الحنابلة بالمستنصرية ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة، وكانت له مدارس أخرى، ثم لما ولى مؤيد الدين بن العلقمى الوزارة وشغر عنه الاستادارية وليها محيى الدين هذا، وانتصب ابنه عبد الرحمن في الحسبة والوعظ، فأجاد وأفاد، ثم كانت الحسبة تنتقل في بنيه الثلاثة: عبد الرحمن، وشرف الدين عبد الله، وتاج الدين عبد الكريم، وقد قتلوا معه في هذه السنة في قضية هلاون كما ذكرنا، ولمحيى الدين مصنف في مذهب الإمام أحمد رحمه الله وقد وقف المدرسة الجوزية بدمشق على الحنابلة.

الصرصرى المادح يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام، الشيخ الإمام، العالم العلامة، البارع، جمال الدين أبو زكريا الصرصرى، الشاعر المادح، الحنبلى، الضرير، البغدادي.

وشعره في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور، وديوانه في ذلك معروف غير منكور.

ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث، وحفظ الفقه واللغة، وكان يقال: إنه يحفظ صحاح الدوهري بكمالها، وصحب الشيخ على بن إدريس تلميذ عبد القادر الكيلانى، وكان ذكيا يتوقد ذكاء، ينظم على البديه سريعا أشياء حسنة فصيحة بليغة، وقد نظم الكافي للشيخ موفق الدين بن قدامة ومختصر الحزقى، وأما مدائحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال: إنها تبلغ عشرين مجلدا.

ولما دخل التتار بغداد دعى إلى دار بها فرمان من هلاون، فأبى أن يجيب إليه وأعد في داره أحجارا، فحين دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار، فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم، فقتلوه شهيدا، رحمه الله، وله من العمر ثمانون سنة.

البهاء زهير صاحب الديوان المشهور: أبو الفضل زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبى العتكى، الملقب بهاء الدين الكاتب.

كان من فضلاء عصره، وأحسنهم نظما ونثرا، وخطا، ومن أكثرهم مروة، وكان قد اتصل بخدمه السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب بن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٢

الشرقية وأقام بها إلى أن ملك الملك الصالح مدينة دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهور على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابلس وتفرقوا عنه، وقبض عليه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقلعة الكرك، وأقام بهاء الدين زهير بنابلس محافظة لصاحبه الملك الصالح، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وقال ابن خلكان: وكنت يوم ذاك مقيما بالقاهرة، وأود لو اجتمعت به لما كنت أسمع عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة، وأنشدنى كثيرا من شعره، فمما أنشدنى قوله في جارية له اسمها روضة:

يا روضة الحسن صلى ... فما عليك ضير

فهل رأيت روضة ... ليس لها زهير

قال: وأخبرنى ان مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله.

وقال لي مرة أخرى: إنه ولد بوادي نخلة وهو قريب من مكة، وأخبرنى أن نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة.

ثم حصل بالقاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه منه ألم، فأقام به أياما، ثم توفى قبل المغرب في يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن من الغد بعد الظهر بتربته في القرافة الصغرى بالقرب من قبة الشافعي رحمه الله في جهتها القبلية، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالى بالمرض.

وفى تاريخ المؤيد: وفى سنة ست وخمسين وستمائة توفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب، وفى آخر عمره انكشف حاله، وباع موجوده وكتبه، وأقام في بيته بالقاهرة إلى أن أدركته وفاته **بسبب الوباء العام**، ومن شعره وهو موزون مخترع ليس بخرجة العروض أبيات منها:." (١)

"وكتب إلى نائب الشام أن يبعث الأمير سيف الدين كرجى ليمسك الأمير عز الدين أيبك خزندار، نائب طرابلس، وذلك لتوقفه عن اليمين للسلطان كتبغا حين جاءه خبر عزل الناصر وتولية كتبغا ولم يوافق على ذلك حتى حكمت عليه الأمراء، وقالوا: إن كتبغا خشداشك وما هو غريب حتى وافقهم على ذلك الأمر حينئذ، وكان قد بلغ ذلك إلى كتبغا من المقلد له بالنيابة، فبقى في نفسه من ذلك ما حتى مسكه، فلما مسك قيد وحمل إلى مصر، وحبس بها، وتولى عوضه الأمير عز الدين الموصلي.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٥

وقال ابن كثير: وكان عمر العادل يوم توليته نحو خمسين سنة، فإنه من سبى وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من الغويراتية، وهم طائفة من التتر.

وفي يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول: ركب الملك العادل كتبغا في أبهة الملك، وشق القاهرة، ودعى له الناس.

ومن غريب الاتفاق أن العادل كان قد قبض على عز الدين الموصلي واعتقله ببرج الساقية، وأقام ثلاثة وتسعين يوما وأخرجه إلى طرابلس، وقبض على عز الدين أيبك الخازندار من طرابلس واعتقله ببرج الساقية، فأقام ثلاثة وتسعين يوما نظير المدة التي كانت لأيبك الموصلي، وهذا أيبك وذاك أيبك والولاية واحدة ومدة السجن واحدة.

وفيها: عزل العادل الحموي عن نيابة دمشق، واستناب مملوكه سيف الدين غرلو.

وفيها: قصر النيل بالديار المصرية تقصيرا قلق له الناس، وحصل منه اليأس، فكان النوروز ولم يحصل وفاء ولا تغليق، فاقتضى الحال كسر الخليج بغير تخليق، وبدل العالم بالأتراح عوضا عن الأفراح والانزعاج بدلا من الابتهاج، فابتدأ الغلاء، في الغلال، والفناء في النساء والرجال، وأجدب الوجه الغربي من برقة وأعمالها وما يتاخمها فلم يصبها شيء من الوبل ولا من الطل، ولم يزرع بها ما جل ولا ما قل، فهلك أهلها جوعا وعدما وعطشا من ماء السماء، ثم أعقب **حدوث الوباء عقبى** السنة الشهباء فساقهم القحط والضر إلى انتجاع ديار مصر، فورد منهم إلى الإسكندرية والبحيرة أمم تتجاوز الإحصاء، وانبثوا في البلاد، وامتدوا في الربى والوهاد، وجلبوا الوخم إلى العباد ففشت الأمراض العامة، ومنى الخلق بالطامة، وبلغ سعر القمح بالقاهرة ومصر مائة وخمسين درهما نقرة الأردب، والشعير مائة درهم، والفول والحبوب نحو ذلك، واشتد الأمر، وأكل الناس الميتة جهارا، ولحوم الكلاب والقطط والحمير نهارا. وقيل: إن بعضهم أكل لحم بعض، وأن امرأة أكلت ولدها.

وعم الفناء والموتان، وكثر بسائر البلدان حتى أن بعض البلاد التي كانت مشحنة بالرجال والنسوان خلت من ساكنيها، ولم يبق إلا النزر اليسير فيها.

وأما القاهرة ومصر فإنه كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى على الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأحياء بأمواتهم، والسقماء بأمراضهم. هذا وأكثر من يموت يلقون في حفائر الكيمان بغير غسل ولا أكفان، فتأكلهم الكلاب، ثم أكل الناس الكلاب، ففنيت، وفنى أكثر الدواب، ورسم السلطان بتوزيع الصعاليك والفقراء على الجند والأمراء، فوزعوا

بالقاهرة ومصر ليقوموا بهم من أموالهم.

هذا كله ذكره بيبرس في تاريخه فقال: وكنت إذ ذاك في الإسكندرية. والصعاليك الذين فيها والواردين إليها وزعوا على الأملياء، والفقراء على الأغنياء، وكنت متوليا أمر توزيعهم على التجار وأرباب المعايش والأيسار، ووظفت على نفسي منهم جماعة، وأجريت عليهم جاريا قام بأودهم إلى أن انقضت **المجاعة**، وتواصلت الغلال إلى الإسكندرية وتواترت من جزيرة صقلية والقسطنطينية وبلد الفرنجية، حتى أن الواصل إليها شف على ثلاثمائة ألف أردب قمحا، فتماسك أهل الثغر، ووجدوا رفقا بهذا الأمر، وانتهى سعر القمح إلى ثلاثمائة وعشرين درهما ورقا الأردب.

وقال ابن كثير في تاريخه: مات في ذي الحجة بديار مصر نحو من عشرين ألفا.

وفي نزهة الناظر: وفيها وصل من بلاد برقة جماعة كثيرة، وقد أثر الجوع فيهم، وشكوا من القحط في البلاد، وأنه لا ينزل لهم غيث في تلك السنة، ولا أعشبت أراضيهم، ونشفت الأعين، ولم يجدوا ببلادهم القوت، وهم نحو ثلاثين ألف نفر، وأفنى الجوع والعطش جميع ما كانوا يملكونه من الأغنام والإبل والمواشي، وكذلك الأطفال والنساء، وما سلم من الرجال إلا من كان في أجله تأخير.." (١)

"مات في هذه السنة مقتولا، قتله جماز بن سليمان، ابن أخيه، بالقرب من مدينة النبي عليه السلام، وكان قصد الغارة على أهل المدينة وغار على بعضهم، فركب جماز ومعه جماعة، والتقوا معه، فقتله جماز، وتباشرت الناس بقتله، وكان كثير الفتن، وسفك الدماء، وكان شجاعا مقداما، وانتشر له صيت في البلاد، وكان يدعى أنه من نسل البرامكة، فكان القاضي شمس اليد ابن خلكان يصدقه، وكان يقدم معه عند الملوك إذا اشتد به أمر، وآخره في الدولة المنصورية.

جمال الدين بن مصعب، توفى في هذه السنة بدمشق، وكان له فيها إقطاع، وكان ظريفا لطيفا شاعرا، وكان يلبس بالفقير.

فمن شعره في قصيدة يتشوق فيها إلى دمشق:

دمشق سقاها من دموعي السحائب ... وحيا رباها مدمع لي ساكب

ولا برحت أيدي النسيم عواطفا ... غصونا لأعطاف الحبيب تناسب

بحيث يمد الظل فاضل برده ... على الغوطة الفيحاء وتصفو المشارب

ويا حبذا وادي المقاسم واديا ... لقد جمعت في جانبيه العجائب

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٨٥

ترى السبعة الأنهار فيه جواريا ... فهذا لهذا صاحب ومجانب

وفي النيرب المعمور فض بنفسج ... به عطرت تلك الربا والربائب

فصل فيما وقع من الحوادث في

السنة الخامسة والتسعين بعد الستمائة

استهلت وخليفة الوقت: الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي.

وسلطان البلاد: الملك العادل زين الدين كتبغا، ونائبه بمصر: الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، والوزير: فخر الدين بن الخليلي، ونائب الشام: عز الدين الحموي.

وصاحب حلب: سيف الدين بلبان الطباخي.

وفي مستهل هذه السنة **كان الغلاء والفناء** بديار مصر شديدا، وقد تعانى الناس به، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها القيام من الناس، والأسعار والأقوات في غاية القلة والغلاء، فمات بها في شهر صفر مائة ألف وثمانون ألفا، **وامتد الغلاء بديار** مصر حتى قيل إنه أبيع الفروج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهما وبالقاهرة بتسعة عشر درهما، والبيض كل ثلاثة بدرهم، وأفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات.

وقال بيبرس في تاريخه: وكنت في الإسكندرية في أيام هذه المحن والفناء والغلاء، وعدت منها إلى الأبواب السلطانية في هذه السنة، فوجدت حال أهل القاهرة قد آل إلى التلف من المرض الشامل والموت العاجل، ولقد أبيع الفروج الواحد بعشرين درهما، والبطيخ الواحد بمائة درهم، والسفرجلة بثلاثين درهما، ومكث الناس على ذلك إلى أن لطف الله بهم وفرج الله هذه الشدة عنهم.

وفي نزهة الناظر: دخلت هذه السنة والحال مستمر على **تمادي الغلاء وقلة** الجلب، وقبل إدراك الزرع هاجت في ناحية بلاد المغرب وبرقة ريح سوداء مظلمة، فأثارت ترابا أصفر فكسى زرع تلك البلاد كلها فأرمى سنبله، والذي تأخر دخل فيه فأفسده، فرحل أهل تلك البلاد إلى نحو مصر، واستمرت تلك الريح والتراب الأصفر إلى أن عمت إقليم البحيرة والغربية والشرقية، ثم وصلت إلى أعلى الصعيد، وأخرت الزرع الصيفي جميعه مثل الأرز والسمسم والقصب والقلقاس، وجميع ما يزرع على السواقي، فصار في كل يوم يتزايد سعر الغلة، ثم أعقب ذلك أمراض اعترت الناس وحمى مزعجة وأمراض مختلفة، فعم الضعف الناس حتى قل من سلم من أهل بيت من ذلك؛ بل غالب كل من في بيت أو منزل صاروا ضعفاء، فبسبب ذلك تحسن سعر السكر وأنواع الأدوية، وعدمت الفواكه، وبيع الفروج بثلاثين درهما، والبطيخة بأربعين، والرطل

منها بدرهم، وبلغ سعر القمح بالتدريج في هذه المدة الأردب إلى مائة وستين، وسبعين، درهما، ثم إلى مائة وتسعين، والشعير إلى مائة وعشرين، والفول إلى مائة وعشرة دراهم، وكذلك العدس والحمص ونحوهما. ووصلت الأخبار من بلاد القدس والشام وصلت بتحسين الأسعار في الغلة، فوصل كل غرارة إلى مائتين وعشرين درهما، والشعير إلى مائة وعشرة، والرطل من اللحم إلى عشرة.." (١)

"وكذلك وصلت الأخبار من بلاد مكة شرفها الله والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن الأردب من القمح وصل عندهم إلى تسع مائة درهم، والشعير إلى سبع مائة، وأن مكة لم يبق فيها من يطوف إلا نفر قليل، وأن أهل قراها وسكان حدائقها انتزحوا إلى أعلى الجبال، وإذا سافر الرجل من مكة إلى المدينة لا يجد من يدله على الطريق، والسعيد منهم من له ناقة أو شاة أو شيء من الماشية يأكل لحمها. وكذلك أهل اليمن وقع **فيهم الغلاء المفرط** حتى باعوا أولادهم بالقوت، وأن طائفة منهم خرجت قاصدة إلى مكة وعند وصولهم إلى محلة بني يعقوب وجدوا بها جماعة من أهل مكة قد قتلهم الجوع ولم يبق منهم غير اثنين ضعيفين.

وكذلك وصلت الأخبار من بلاد الشرق بأنهم في أسوء الأحوال من القحط والفناء وموت المواشي وقلة المرعى ومسك الغيث.

ثم اشتد الحال بأهل مصر حتى صاروا ينهبون الخبز من الأسواق والأفران، وكان إذا خرج الرجل من بيته بطبق العجين يجتمعون عليه ويأخذونه قطعا قطعا، وإذا كان في الفرن خبز لا يقدرون على إخراجه حتى يكون حوله جماعة من أهل بيته وبأيديهم عصى يمنعون من يتعرض إليه، وكان بعضهم يرمي روحه على الطبق من الجوع والضرب عمال على رأسه وظهره وهو لا يلتفت فيضرب حتى يقع مغشيا عليه وهو ماسك رغيفا أو قطعة منه بأسنانه.

ثم اتفق رأى السلطان مع الأمراء على أن يفرقوا الصعاليك على الأمراء والأغنياء، فكتبوا باسم أمير مائة، وباسم آخر خمسين، وباسم آخر عشرين، وباسم آخر عشرة، فخف عن الناس، ما كانوا يجدونه، ثم **جاء الوباء والفناء** في بلاد مصر وكثرت الأمراض الحادة وتحسنت أسعار الأشربة والأدوية والحقن ونحوها، فصار كل شيء بأضعاف قيمته.

قال الراوي: كان دكان برأس حارة الديلم يعرف بدكان الهندي باع صاحبها في شهر واحد باثنين وثلاثين ألف درهم من الأشربة والأدوية، وكان مثل ذلك دكاكين أخرى معروفة في السيوفيين والوزيرية وخارج باب

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٩١

زويلة، وكان كل طبيب يحصل في كل يوم من مائة درهم إلى أقل أو أكثر، وكانت ورقة المواريث يكتب كل يوم من الموتى بثلاثة آلاف درهم وكسور هذا للإطلاق من الديوان، وأما الطرحا على الدكاكين والذين يموتون في الأزقة ونحوها فلا يحصرون ولا يضبطون، وكانوا يحفرون حفرا وآبارا ويرمون الموتى بعضهم على بعض إلى أن جافت بهم الطرقات والأسواق والنواحي، وكان الذي أعقب **هذه الوباء في هذا الغلاء كثرة** أكل لحم بني آدم، فإن الناس من الجوع كانوا يأكلون الموتى، وخصوصا موتى الأطفال، وكانوا يجدون الرجل والمرأة ميتين وعند رأسيهما لحم الميت، وكان يمسك بعضهم فيوجد معه كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه.

وفي تاريخ النويري: أكل الناس الميتة من الآدميين والدواب والكلاب، وحكى أن متولى القاهرة وجد ثلاثة نفر وبين أيديهم صبي سباعي قد قطعوا يديه ورجليه وشووه وهم يأكلون فيه م ع خل وبقل وليمون مالح، وقررهم فاعترفوا أنهم فعلوا بالأمس بصبي آخر كذلك، فشنقوا على باب زويلة، فلم يصبح منهم شيء؛ بل أكلهم الناس.

وفي نزهة الناظر: ومن خزن في تلك السنة غلة ربح ربحا نهاية، ولكن كثير منهم أصيب في نفسه شيء من الآفات التي نفق فيها ما كسبه من ذلك.

قال: إن بعض أصحابنا كان عنده نحو ستمائة أردب، وباع كل أردب بمائة وخمسين ونيفا، ثم لما رأى زيادة السعر في الثمن ندم على ذلك ندما عظيما، ثم عمر من ثمن القمح الذي باعه قصرا وزخرفه بالرخام وغيره، وعند فراغه احترق جميعه حتى لم يبق منه شيء ينتفع به أصلا.

قال: وكان الناس في أشد ما يكون من ذلك، والسلطان ينزل إلى الميدان وهو خائف على نفسه، محترس من إيقاع فتنة، ووقع في خاطره أن يعمل اصطبل الجوق الذي للمماليك السلطانية ميدانا، وهو اصطبل مجاور لبركة الفيل مقابل للجامع الطولوني، وحسن له الأمراء ذلك فعمر ميدانا، وأنش أ حوله أماكن وبيوتات، وأول ما أنشأ فيه علم الدين سنجر الخازن، فنسب الحكر جميعه بإنشائه وبقى إلى يومنا هذا معروفا بين الناس بحكر الخازن، واتخذت فيه الأمراء الإصطبلات والمناظر، واتصلت العمارة إلى بركة الفيل، فصار حكرا كبيرا إلى الغاية، وكان السلطان ينزل إليه من القلعة ولا يجد أحدا من العالم يقف بين يديه، ولا يدعوا أحد غير جماعة من أصحاب الدكاكين هناك.." (١)

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٩٢

"وفيه: لما قرب هؤلاء من القاهرة أمر السلطان لسائر الأمراء والعسكر إلى لقائهم، فخرجوا، وخرج أهل المدينة كافة، وكان يوما مشهودا، ثم أنعم على مقدميهم طرغاى بطبلخاناة، وكان عزم على أن يعطيه إمرة مائة وتقدمة ألف، فأشار عليه الأمراء أن يكون طبلخاناة وبعد قليل يكبره، وأنعم على ألوص بإمرة عشرة، والبقية بأخباز وإقطاعات، وعظمهم تعظيما عظيما، فصار طرغاى يجلس مع مقدمي الألوف، وتزايد ضرر العالم بالغلاء والويل، ورأت السوقة من تلك الطائفة وسوء أخلاقهم وبذاذة نفوسهم ما كرهوه، وقصد الأمراء بعد اتفاقهم مع السلطان أن يتحدثوا في أمر إسلامهم واشتمالهم على الدين الحنيفي، وأن يتعلموا فرائض الإسلام، فتحدث السلطان مع طرغاى في هذه القضية، فلم يجد لهم قابلية في ذلك الوقت، وعرف الأمراء أنهم يحتاجون إلى تطويل المدة فيهم والتدريج بأمرهم قليلا قليلا.

قال ابن كثير: وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاء بالديار المصرية الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد، عوضا عن تقي الدين بن بنت الأعز.

ثم أرخص الناس بمصر، وزال الضرر والجوع في جمادى الآخرة.

وفيها في رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة، وكان قد روى شيئا من الحديث، رحمه الله.

توجه السلطان كتبغا إلى الشام

ذكر توجه السلطان الملك العادل كتبغا من الديار المصرية قاصدا إلى الشام:

وفي نزهة الناظر: والسبب لذلك أن الأمراء الأكابر لم يعجبهم ما فعله السلطان مع الأويراتية من كثرة الإكرام وعلو منازلهم ورفعتهم فوق غيرهم، واتفق أنه دخل شهر رمضان المعظم ولم يروا أحدا منهم صام؛ بل رأوا أكثرهم مفطرين، فخاطب الأمراء السلطان في ذلك وقالوا: ينبغي أن يخاطب هؤلاء في الإسلام ويتعلمون شرائع الدين، ولا يمكن أن هؤلاء في بلاد الإسلام وفي مملكة مصر على غير دين الإسلام، فلم يرجع إلى شيء من كلامهم، فقال: لا يشوش أحد عليهم، فخلوهم يكونون على دينهم.

فوجد الأمراء من ذلك أمرا عظيما مع تطاول مماليكه وحاشيته عليهم، وعلى الناس من كثرة المظالم والحمايات، مع ما اتفق **من الغلاء والوباء**، فاتفق الأمراء فيما بينهم على عزله من الملك، ولم يجدوا لذلك سبيلا غير أن يشيروا عليه بخروجه إلى السفر ليحصل لهم الغرض، فأخذوا معه في ذلك، وحسنوا له الخروج لافتقاد أمور البلاد والعباد، وعرض العساكر ونواب القلاع، ولتكون أيضا سمعة في بلاد العدو أن السلطان قد خرج ومعه العساكر، وأيضا يحصل التخفيف في الديار المصرية من العساكر.

فأجابهم إلى ذلك، وخرج في العشر الأخير من شوال من هذه السنة، فقدم دمشق يوم السبت نصف ذي القعدة، ودخلها والأمير بدر الدين بيسرى حامل الجتر على رأسه.

قال صاحب النزهة: وخرج نائب الشام إلى ملتقاه، ولم يجد أهل الشام محتفلين له كعادة الملوك المتقدمة عند دخولهم، فطلب الوالي وأمره أن يخرج أهل دمشق إلى الملاقاة، ويوقدوا الشمع، ويظهروا الفرح بقدوم السلطان، ويزينوا المدينة، فركب الوالي وفعل ما أمره، ففعلوا ذلك مكرهين من غير خاطر، وأعلنوا بالدعاء للأمير حسام الدين لاجين ومماليك السلطان مثل بتخاص والأزرق وغيرهما، علموا ذلك وشاهدوا، فلم تطب خواطرهم، وعرفوا بذلك السلطان وأغروه على نائب الشام وأهلها، فطلب الصاحب فخر الدين بن الخليلي واتفق معه على مصادرة جماعة من دواوين الشام ومباشريها، فرسم عليهم وعلى شمس الدين سنقر الأعسر مشد الدواوين، وعلى الأمير سيف الدين اسندمر كرجى متولى البر، وشرف الدين بن فضل الله كاتب السر بدمشق، واستخرج من أهل الشام أموالا كثيرة، وأهانهم إهانة بالغة، ومسك الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب الشام وولى عوضه مملوكه غرلو العادلي، وأخذ أموال نائب الشام، وختم على سائر حواصله فلم يطب ذلك على خواطر الأمراء.." (١)

"ومنها أنه وقعت في هذه السنة أعجوبة، وهي أن بعض الأمراء بالقاهرة كان جالسا على باب داره، وإذا بامرأة فقيرة تسأل، وهي من أحسن الناس صورة، فاستوقفها، وقال للخادم: خذ هذه وادخل بها الدار، واطعمها حتى تشبع، وكان ذلك من قوة الجاه، فدخل بها الخادم، وأحضر لها رغيفا فأكلته، ثم أحضر ثانيا فأكلته، ثم أحضر ثالثا فأكلته، ثم قال الأمير: هاتوا لها زبدية طعام لأجل الدسم، فأحضروا لها خافقية كبيرة، فأكلت أكثرها، ثم استندت إلى الحائط لتستريح، فإذا بها قد ماتت، ووجدوا على كتفها جرابا مسحورة باقى ما فيه يدر صغير ورجله.

ومنها أنه ظهر بدمشق قتل فاحش، فكان كل يوم يوجد اثنان وثلاثة مقتولين، ولم يدروا ذلك حتى أتى.. .. حتى حضر والي المدينة، وأرصد جماعة.... أبوابا للدروب، وبقى يركب طول الليل دابته ويدور البلد، والأمر في تزايد والأقاويل مختلفة، وفي بعض الليالي مسكوا فقيرا مولها فاعترف أنه هو الذي يقتل، فأخذوه وسمروه، فسكن الناس واطمأنوا.

ومنها في العشر الأول من المحرم أشاع في دمشق حديث عن قاض قرية عسال من قرى دمشق، أنه تكلم ثور في القرية المذكورة، وهو أنه خرج ليشرب من ماء هناك ومعه صبي، فلما فرغ من شربه حمد الله تعالى،

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٩٤

فسمعه الصبي، وحكى ذلك لمالك الثور، فأنكره، وخرج في اليوم الثاني سقيه مع الثور، فلما شرب حمد الله، وحدث بذلك الحاضرين هناك، ثم قال الثور أن الله كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدبا، ولكن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها بالخصب، وذكر أن النبي عليه السلام أمره تبليغ ذلك، وأنه قال له: يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم؟ ، فقال: أن تموت عقيب الإخبار. قال الحاكي: ثم قدم الثور إلى مكان مرتفع فمات، فأخذ أهل تلك القرية من شعره للتبرك، ثم كفن ودفن.

ومنها ما قال بيبرس في تاريخه: جردت إلى الإسكندرية، وكان قد بلغ زين الدين كتبغا قبل سفره إلى الشام أن العربان الذين ببرقة قد عبثوا بالمسلمين، وباعوا منهم جماعة للفرنج، وأن منصور بن روق كان الباعث على بيعهم **بسبب الغلاء الذي** عم تلك البلاد، وأحوج الأباء إلى بيع الأولاد، فوردت إلي مكاتبات العادل بالتوجه إلى برقة ومقاتلة هؤلاء إن كان ما نقل عنهم حق، وجرد الأمير سيف الدين بلبان الحبشي وأصحابه وجماعة من الحلقة، فعزمنا على التوجه إلى الجهة الغربية، وبرز من ثغر الإسكندرية، ونزلنا على تروجة، فبينما نحن عليها نازلون وللرحلة مزمعون، ورد البريد يخبر بخلع زين الدين كتبغا من الدست واستقرار الأمير حسام الدين لاجين المنصوري في الأمر، ورسم لنا بالعود إلى القلعة، فعدنا في أوائل سنة ست وتسعين وستمائة.

ومنها: أنه ولى القضاء بالديار المصرية على الطائفة الشافعية الشيخ تقي الدين محمد بن علي بن أبي العطايا القشيري المعروف بابن دقيق العيد، بعد وفاة القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز، وكانت وفاته في نصف جمادى الأولى، وتولية المذكور في الحادي والعشرين منه.

وفي نزهة الناظر: ولما مات ابن بنت الأعز اتفقت الأمراء والأكابر على تولية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وعرفوا السلطان دينه وعلمه، وأنه قد عرض عليه القضاء قبل ذلك مرارا فلم يقبل، فنزلت إليه الأمراء وسألوه فأجاب إليهم، وهو أول من لبس الصوف من القضاة في السلطنة.

قال المؤرخ: وبلغني من شيخ الحديث فتح الدين بن سيد الناس أن ولد الشيخ قال للشيخ: يا سيدي كيف قبلت الولاية في هذا الوقت وقد كنت تأبى عنها؟ فقال له يا ولدي: وجب ذلك على من وجوه. أحدها: أنه ليس لي شيء يكفيني للعيال، والثاني: عندي كتب العلم فأحتاج أن أبيع الكتاب الذي يساوي مائة

بخمسين درهما. والثالث: لم يبق لتولية القضاء من هو أحق مني بالولاية، فتعين علي.

ولما ولي كتب بخطه لسائر نوابه وهو يحذرهم وينذرهم ويخوفهم من الله، ونسخة الكتاب:." (١)

"وفي نزهة الناظر: وكان من الأمراء الكبار الصالحية، قديم الهجرة في الدول، وكان شجاعا مقداما، وله غزوات كثيرة، وإذا عرض غزاة استخدم جماعة من الجند في سبيل الله، وكانت له سعادة ضخمة، وهي من كثرة زراعته، وإن كانت له زراعات في سائر الوجه القبلي والبحري، فإذا وجد مكانا خرسا اشتراه أو استأجره وعمره، وأعطاه الله في الزراعة نصيبا وافرا، واستأجر بلادا كثيرة في الوجه القبلي، وكل مكان يكون له في نشا يعمر فيه جامعا أو مسجدا، وإذا بلغه أمر جامع خراب أو مسجد خراب عمره حتى حصرت الأماكن التي عمرها قريبا من ثلاثمائة مئذنة، واتخذ له أملاكا بمصر، وعمارات على بحر النيل، وعمر بقوص مدرسة للشافعية، ومدرسة على ساحل البحر.

قال المؤرخ: وحكى لي بعض مباشريه في البلاد أن غلاله ومتحصل زراعاته في كل سنة تنيف على مائتى ألف أردب من سائر الحبوب، وعمل في **سنة الغلاء خيرا** كثيرا، وكان يجمع الصعاليك على الخبز والطعام، ويبر الأيتام وأرباب البيوتات، وكان له طبقة عالية في سماع الحديث، وحكى عنه الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس شيخ الحديث أنه سمع عليه الحديث هو وجماعة من أهل الشام حضروا لطلب الحديث في سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وعند غلبة المرض عليه أوصى إلى أولاده أنه إذا توفى يخرجون طلبه وهي على عادتها، فالخيول ملبسه والسناجق منشورة ومماليكه ملبسون على جاري عادتهم عند الخروج إلى الغزاة والعرض بالأطلاب، ولما توفى عرفوا لاجين نائب السلطنة ما أوصى به، فقال لهم: افعلوا ما قال لكم من غير دق النقارات: وصول نائب السلطان وسائر الأمراء من القلعة، وغلقت مصر ذلك اليوم من أول باب مصر إلى دار سكنه بباب القنطرة، وجميع القضاة والفقراء كانوا مشاة في جنازته، وطلبه سائرة معه على الحالة التي يخرج فيها إلى الغزو غير أنه لا تضرب الطبلخاناة والبوقات.

الأمير بدر الدين بيلك المحسني المعروف بأبي شامة.

توفي في هذه السنة، كان متولى الكشف بالوجه القبلي، وكانت له حرمة وصولة ومهابة، وأتلف جماعة كثيرة من المفسدين في الوجه القبلي.

الأمير بدر الدين لقلق المسعودي، توفى فيها بدمشق.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٢٩٨

الأمير علم الدين سنجر المسروري، متولى القاهرة.
توفى في هذه السنة، وكان يعرف بعلم الدين الخياط، لقبه به أستاذه الذي اشتراه، وكان ذا شكل حسن، مهابا مصطنعا للناس بالخير في ولايته، عاقلا محتشما، متعقلا عما يبدو من الفواحش، رضى الأخلاق مع لطف وكرم، وكان له تولع بالشراب واجتماع الندماء اللطاف مثل السراج الوراق وشمس الدين الكحال أبي دانيال ونصر الحمامي، وله مكارم عليهم وقبول شفاعات ينالون بها إلى مقاصدهم، واتفق لهم معه مجاري كثيرة من الهزليات المضحكة يطول شرحها، فمن ذلك أنه شرب معهم في بعض الليالي، وكان ليلة الموكب، فقام من السحر وتوضأ، ولبس ثيابه وأخذ في لف شاشه على كلوتاته، فلما فرغ جعل يدير يده على الشاش ويمشيها، فقال له السراج الوراق: يا خوند ابصرها في التحاريس، فضحك علم الدين وأعجبه هذا القول، فقال: والله يا سراج الدين لقد أحسنت في هذا، وأمر له بعطية، وقد علم أن عادة الخياطين غزو الإبرة في عمامته حتى يجد الإبرة فيأخذها.." (١)

"وبلغ ذلك قازان، فصعب عليه جدا، فطلب الأمير إسماعيل وأمره أن يأخذ معه جماعة من المغل ويتولى عقوبة أهل دمشق ويستخرج منهم الأموال، فركبوا، ورأى أهل دمشق منهم شدة عظيمة، فجاء قفجق إلى قازان وتلطف به وقال له: يا خوند الأموال لا تستخرج على هذه الحالة، ولكن بالتلطف على الناس. فأجاب إليه، وعين لذلك جماعة - وقد ذكرناهم - حتى جبوا الأموال التي ذكرناها.
قال صاحب النزهة: واستمر الأمر على أهل دمشق من النهب وأخذ الأموال خمسة وأربعين يوما، فإن قازان نزل الغوطة في العشر الأول من ربيع الآخر ورحل منها في منتصف جمادى الأولى، والله أعلم.

ذكر إرسال قازان جماعة من جيشه
ذوي الطغيان إلى الأغوار وبيسان:

ولما وصل قازان إلى دمشق أرسل من عسكره عشرين ألفا مجردين صحبة مولاي وأبشغا وجبجك وهلاجو، فنزلوا بالأغوار وبيسان وشنوا الغارات على تلك البلاد. ونهبوا ما وجدوا من المواشي والأقوات والأزواد، وقتلوا من وقع في أيديهم، وانتهت غاراتهم إلى القدس الشريف والخليل عليه السلام، ووصلوا إلى غزة وقتلوا بجامعها خمسة نفر من المسلمين كانوا به منقطعين، ثم رجعوا إلى الشام وقد عاثوا ونهبوا وسبوا وأسروا جماعات كثيرة، وحصروا قرى كثيرة وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا، ولما وصلوا إلى دمشق - وكان قازان قد رحل بعسكره - جبى له قبجق من أهل دمشق جباية أخرى لأجل مولاي، وخرج تقي الدين بن تيمية إلى

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٠٣

مخيم مولاي، فاجتمع به في مكان، فرأى من معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيرا منهم. وأقام عنده ثلاثة أيام، ثم عاد.

وفي عشية يوم السبت الرابع من رجب: رحل مولاي وأصحابه، وأشمروا عن البلد، وساروا من على عقبة دمر، فعاثوا في تلك النواحي فسادا، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد، ولله الحمد.

ذكر رحيل قازان من الشام

لما مل قازان من الإقامة على الشام هم بالرحيل، وكانت إقامته قدر ش ه رين، ثم رحل متوجها إلى بلاده في الخامس عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، وكان قد ولى الأمير سيف الدين قفجق النيابة بالبلاد الشامية، والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار البلاد الحلبية والحموية، والأمير سيف الدين إلبكي البلاد الساحلية، ظنا أنه قد صارت الممالك الإسلامية في قبضته وانحازت إلى حوزته، فلم يتم له ما أراد، ولا بلغه الله شيئا من هذا المراد، وأقام بعد رحيله نائبه قطلوشاه مع جمع كثيف من الجيش، فلما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر المذكور قرىء بالجامع تقليد الأمير قفجق بنيابة السلطنة بالشام، وتولية الأمير يحيى بن جلال الدين الختني الوزارة.

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين من الشهر: رحل قطلوشاه والعساكر، ففرح الناس بذلك واطمأنت قلوبهم، وخرج الناس إلى جبل الصالحية وإلى الحواضر والمزارع وأظهر الناس ما تخلف من أمتعتهم، وجلسوا في الأسواق وباعوا واشتروا، واشتد الغلاء، فبلغ سعر القمح الغرارة منه بثلاثمائة درهم، ومن الشعير إلى مائتي درهم، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل من اللحم بإثني عشر، والرطل من الجبن بإثني عشر، ومن الزيت بستة. والبيض كل أربعة بدرهم.

وأما الأمير قفجق فإنه لما عاد من وداع قازان ركب الموكب في دمشق والعصابة على رأسه، ونادى فيها برجوع الناس، وآمنهم على أنفسهم.

وكان قد حضر إليه بعض أهل الفساد وضمنوا منه الخمر وبيعه وعين عليه كل يوم ألف درهم وجعل دار ابن جرادة خارج باب توما خمارة وخانة.

وأخذ أموالا أخر من أوقاف المدارس وغيرها، ثم شرع يركب بالعصابة والشاويشية بين يديه، وجهز نحوا من ألف فارس نحو خربة اللصوص ومشى مشي الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة والآراء، وصار كما قال الشاعر:

يا لك من قنبرة بمعمري

خلالك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ثم نهض الشيخ تقي الدين بن تيمية واجتمع بالأمير قفجق وقال له: إن الذي فعلته من ضمان الخمور شنعة كبيرة، وثلمة عظيمة في حق الإسلام، واستاذنه في إبطاله، فأذن له، وخرج بنفسه وأراق ظروف الخمر جميعها.." (١)

"وكان الموجب لذلك أن هذا الأمير لما طلب من بين الأسراء كان قد حصل بينه وبين أحد منهم كلام أوجب التباغض بينهما، اجتمع بمشد الأمراء وعرفه أن له نصيحة يريد أن يبديها للسلطان، فعرف المشد بذلك للأمراء وبلغوا السلطان فطلبه، فلما حضر قال: إن هذا الأسير الذي شفع فيه صاحب برشونة وأجاب إليه السلطان ابن ملك كبير في البلاد، وله مال عظيم، ولو طلب السلطان منه ملء مركب ذهبا أعطاه وأعطى أضعافه. فقيل له: كيف أصل أسر هذا وما جرى عليه؟ فقال: هذا كان قد حضر بمركب تجارة إلى مدينة طرابلس وأخذ منها متجرا عظيما، وتردد إليها مرات، وكان يتردد أيضا إلى جزيرة أرواد لما كانت عامرة، وجعل له فيها حواصل كثيرة، ولما أخذت جزيرة أرواد واستولى عليها المسلمون كان هو مقيما فيها، وأخذ مع جملة الأسراء وقال: أنا أعرف بلده وأعرف أباه وأمه وما هو عليه من الدنيا الواسعة وأنا أسرت معه، وتم الأمر علينا إلى هذه الأيام، ولما بلغ والده أن ابنه في قيد الحياة وأنه أسير عندكم، فتحيل ودخل على صاحب برشونة وقدم له هدية عظيمة، وهو الذي أقام بجميع ما جهزه إلى السلطان من عنده ما قيمته أربعون ألف دينار، وكتب صاحب برشونة إلى السلطان بسبب الكنائس وما كان قصده إلا خلاص هذا الأسير، وإنما جعل ذكر الكنائس حجة وسلما إلى وصول قصدهم.

فعند ذلك كتب بطائق إلى متولي الإسكندرية، وسيروا بعدها البريد، فسبقت البطاقة، وأراد الله عز وجل أن لا يبلغهم آمالهم، وفسدت الريح إلى أن أدركهم الأمر، فركب متولي إسكندرية في الحال وأخذ الأسير منهم وأعاده للقيد، وسيره صحبة البريد إلى مصر، وعرف رسول صاحب برشونة أن السلطان علم خبر هذا الأسير ورسم أن يرجع إلى مكانه، وسافروا أنتم، فلم يمكنهم الكلام بعد ذلك، وعلموا أن الذي جاءوا بسببه لم يتم لهم، وخشيوا عاقبة أمرهم، فأقلعوا من وقتهم وسافروا.

ولما بعدوا عن إسكندرية تشاوروا فيما بينهم في أمر الرسول الذي معهم من جهة السلطان، فاتفقوا على أن يأخذوا جميع ما معه من جهة السلطان، ثم يقتلوه ويسافروا، فتصدى شخص من عقلائهم فقال: قتل

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٦١

الرسول ليس بجيد وأيضا إذا قتلناه نخشى عاقبة ذلك، وربما يصعب ذلك على الملك أيضا، وصاحب مصر لا يعاند، فعند ذلك اقتضى رأيهم أن يأخذوا جميع ما معه ويردوه إلى إسكندرية، ولما انتظم الأمر بينهم على ذلك قاموا إليه وأخذوه وحده ووضعوه في قارب، وكان رجلا ضخما وقالوا له: رح إلى مكان جئت منه، فلو كان قتل الرسول جائزا لقتلناك ورميناك في البحر، فسألهم أن يردوا عليه شيئا من ماله فإنه أخذه بالدين، فأبوا أن يردوا عليه شيئا، وقالوا: هذا بعض ما جبناه إلى ملككم، وأقلعوا، ورجع هو بالقارب إلى الإسكندرية وليس معه سوى ما عليه من القماش، فجهزه متولي الإسكندرية إلى القاهرة، وكتب إلى السلطان وعرفه بخبره، ولما وصل إلى مصر دخل إلى الأمراء وشكى حاله فقال: إني تداينت أموالا كثيرة على ذمتي وأخذ جميعها، وبكى بين أيديهم، فكان جواب سلار: نحن سيرنا رسولا ما سيرنا تاجرا، وأرسلوا إلى متولي الإسكندرية وأمروا له بأن يحتاط على من عنده من الإفرنج التجار وغيرهم من برشونة، وإن لم يكن عنده أحد منهم يترقب حضورهم، فإذا حضر أحد منهم يعرف الأبواب الشريفة بذلك.

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

منها: أنه ولد للملك الناصر ولد من زوجته أردكين خاتون بنت الأمير سيف الدين نوكيه السلحدار الظاهري، وسماه عليا ولقبه علاء الدين، ثم لقب بعد ذلك بالملك المنصور، وكانت هي زوجة أخيه الملك الأشرف رحمه الله.

وقال صاحب النزهة: وعملت له الأمراء مهما كبيرا وفرحوا به، وقصد السلطان أن يقيم عنده المغاني سبعة أيام فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعملوه يوما واحدا.

ومنها: أنه ارتفع سعر الغلال بالديار المصرية فبلغ الأردب من القمح إلى أربعين درهما فما فوقها، ثم أخذ في الانحطاط.

ومنها: أنه وقع الموتان في الحيوان بحلب والشام وأعمالها، فقيل إن الذي نفق منها يناهز ثمانين ألف رأس.

قال بيبرس: ووصلت ريح الوباء التي أصابتها إلى الديار المصرية، فنفق من خيول العسكر شيء عظيم.." (١)

"وحصل للحاج في هذه النوبة أمر لم يعهد بمثله، لأنهم كانوا ثلاث ركوب، ومن حين خرجوا من مصر لم يجد أحد ماء يروي دوابه إلى العقبة، وعند نزولهم إلى العقبة قل الواصل، وتحسن الشعير، وبيع

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٤٣

الأردب من الشعير بخمسين درهما، وتم الأمر على ذلك وهم يرجون وصول المراكب إلى ينبع من مراكب الأمراء والتجار، فلم يصل شيء، وغرقت مراكب كثيرة، فتخبطت أحوال الناس، وغلت الأسعار، ثم عند رحيلهم إلى وادي النار لفح الناس هؤلاء بسموم، فهلك خلق كثير، ونشفت قربهم حتى صارت كالقد من اليبس، ولم يجدوا في الوجه ماء إلا قليلا، ولفح الناس هواء أيضا، فكان الركاب يقعون من الجمال موتى، وأما المشاة فإن أكثرهم ماتوا، وبعضهم انقطعوا، وهرب المقومون، وقاست الناس شدة عظيمة، وتاه ركب الأمير يعقوب بدليله، فانقطعت منه جماعة كثيرة وماتوا، **واشتد الغلاء إلى** أن بيعت الويبة من الشعير بأربعين درهما، والبقسماطة بإثني عشر درهما، وكانت سنة شديدة، وسمت الناس تلك السنة سنة راعم، وبلغ الخبر مع المبشرين إلى الأمير سيف الدين سلار وبقية الأمراء، فجهزوا للحاج من الأمراء ولغيرهم الإقامات والجمال بالأحمال، واستقبلوا الحاج بالشعير إلى قريب ينبع بجمال العرب، وبالدقيق وغيره إلى عيون القصب وعقبة، وأرسلوا إلى نائب غزة أن يجلب للناس الزيت والعسل وغير ذلك، فألزم نائب غزة تجارا كثيرين بذلك، وحضرت أيضا جماعة إلى العقبة من الكرك والشوبك ومعهم أصناف كثيرة، وحصل للناس بذلك رفق عظيم.

وفيها: كان وفاء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا.

وفيها: حج بالناس عز الدين أيبك الخزندار المنصوري أمير الركب المصري كما ذكرناه، وحج بالركب الشامي الأمير ركن الدين بيبرس المعروف بجالق، ومعه سيف الدين جوبان المنصوري.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن الحسن بن شرف بن الخضر ابن موسى الدمياطي، شيخ الحديث بمدرستي الظاهر والمنصور ببين القصرين.

وكان إماما في وقته، صدرا في طبقته، مات فيها بالقاهرة، ودفن بباب النصر.

وقال ابن كثير: ولم يزل في إسماع الحديث دائما إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء، فغشي عليه وحمل إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد الخامس عشر من ذي القعدة، وكان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان جمع معجما لمشايخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والفرات ومصر يزيدون على ألف وثلاثين شيخا، وهو عندي بخطه رحمه الله.

وذكر بعضهم وفاته في السنة الآتية، وكان يخرج بالحافظ زكي الدين المنذري، وروى عنه المزي والذهبي وخلق، وكان مولده بتونه، قرية من أعمال تنيس، ونشأ بدمياط، ومات وله اثنان وتسعون سنة.

الشيخ المحدث الصالح نور الدين علي بن مسعود بن نفيس الموصلي، ثم الحلبي.
مات بالمارستان الصغير بدمشق، ودفن بسفح قاسيون، وكان رجلا صالحا من المشهورين بطلب الحديث وكتابته وقراءته عن نحو خمسين سنة، روى عن ابن رواحة، وأصحاب البوصيري، وأصحاب الخشوعي، وغيرهم.
الشيخ الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي بن عمر، المعروف بالعراقي.
كان عالما كثير الفضائل، شافعي المذهب، جاوز الثمانين، مات في هذه السنة، وولى مكانه بالقبة المنصورية الشيخ عز الدين النمراوي.
الشيخ الكبير المعمر ركن الدين أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم المقرىء، القزويني، الصوفي، الطاوسي.
مات بالشميساطية، ودفن بقابر الصوفية، وكان يذكر أن مولده في شعبان سنة إحدى وستمائة، وكانت وفاته في سابع جمادى الأولى منها.
الشيخ أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد القسطلاني.
مات بمكة في المحرم منها، وكان شيخا صالحا من بيت الصلاح والحديث، أسمعه أبوه بمكة على مشايخها والواردين إليها شيئا كثيرا، وكان عنده فضيلة في علم الحديث، وكان شيخ الحديث بمكة، روى عن ابن الجميزي وغيره.
الشيخ العالم نجم الدين عمر بن أبي القاسم بن أبي الطيب.
مات بداره داخل باب الفرج، ودفن بمقبرة باب الصغير، وكان رجلا جيدا، مشكورا في ولاياته، باشر نظر المارستان النوري، ونظر ديوان الخزندار، صاحب حماة، ونظر الخزانة، ووكالة بيت المال، وكان مدرسا بالكروسية نحو أربعين سنة، وسمع الحديث من الجمال العسقلاني، وغيره.." (١)

"وسلم، ووعظ الناس، وأمرهم ونهاهم، ثم قال: يا معشر الناس إنه قد نزلت الجوزاء، وذكت الشعرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل النداء، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل، وعلى الراعي حسن النظر لرعيته، فحي لكم على بركة الله ريفكم،
تنالوا من خيره ولبنه، وخرافه وصيده، وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنها جنتكم من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم، واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا؛ حدثنا عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لكم منهم

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٦٣

صهرا وذمة"، فعفوا أيديكم وفروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أنى رجل قد أسمن جسمه، وأهزل فرسه. واعلموا أني معترض بالخيل كاعتراض الرجال؛ فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك. واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة؛ لكثرة الأعداء حولكم وتشوق قلوبهم إليكم وإلى دياركم، معدن الزرع والمال، والخير الواسع والبركة النامية. وحدثني عمر أمير المؤمنين، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض"، فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: "لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة"، فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ما أولاكم، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم؛ فإذا يبس العود وسخن العمود، وكثر الذباب، وحمض اللبن، وصوح البقل، وانقطع الورد من الشجر، فحي على فسطاطكم، على بركة الله تعالى وعونه ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله، وأستحفظ الله عليكم.

قال حفظت ذلك عنه، فقال والدي: يا بني إنه يجرئ الناس إذا أنصرفو إليه على الرباط كما جرأهم على الريف والدعة (١) .

---

(١) فتوح مصر ١٤٠-١٤٢، مع حذف وتصرف.." [1]

"وأن المطلق برسمه خاصة لوقود كل ليلة أحد عشر قنطارا زيتا طيبا.

وقال المقريزي: أخبرني شهاب الدين أحمد بن عبد الله الأوحدي، أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، أخبرنا العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي، أنه أدرك بجامع عمرو **قبل الوباء الكائن** في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه.." [2]

"كتابا (١) فيما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"، ودس أحمد بن طولون عيونا لسماع ما يقوله الناس من العيوب في الجامع، فقال رجل: محرابه صغير، وقال آخر: ما فيه عمود، وقال آخر: ليس له ميضأة، فجمع الناس وقال: أما المحراب فإني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد خطه لي، وأما العمد فإني بنيت هذا الجامع

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ١/١٥٤

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٤٥

من مال حلال وهو الكنز، وما كنت لأشوبه بغيره، وهذه العمد إما أن تكون من مسجد أو كنيسة، فنزهته عنهما؛ وأما الميضأة، فها أنا أبنيها خلفه، ثم عمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب فيها، جمع الأشربة والأدوية، وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة، وأوقف على الجامع أوقافا كثيرة سوى الرباع ونحوها، ولم يتعرض إلى شيء من أراضي مصر ألبتة.

ثم لما **وقع الغلاء في** زمن المستنصر خربت القطائع بأسرها، وعدم السكن هنالك، وصار ما حول الجامع خرابا.

وتوالت الأيام على ذلك، فتشعث الجامع، وخرب أكثره، وصارت المغاربة تنزل فيه بإبلها ومتاعها عند ما تقدم الحج، وتمادى الأمر على ذلك.

ثم إن لاجين لما قتل الأشرف خليل بن قلاوون هرب، فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر إن نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه، فنجاه الله، وتسلطن، فأمر بتجديده، وفوض أموره إلى الأمير علم الدين سنجر الزيني، فعمره ووقف عليه وقفا، ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب، والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفا على الديكة تكون في سطح الجامع في مكان مخصوص بها؛ لأنها تعين الموقتين وتوقظهم في السحر. فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان أعجبه،

---

(١) المقريزي: "بابا".." (١)

"ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الإسلام من غلاء ووباء وزلازل وآيات وغير ذلك:

في سنة أربع وثلاثين من الهجرة، قال سيف بن عمر: إن (١) رجلا يقال له: عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأظهر الإسلام، وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه كان يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا (٢) ؟ فيقول الرجل: بلى، فيقول له: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفضل منه، فما يمنع أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى! ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب؛ فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم يقول: فهو أحق بالأمر من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له. فأنكروا عليه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكان ذلك مبدأ تألبهم على عثمان.

وفي سنة ست وستين وقع الطاعون بمصر (٣) .

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٤٩

وفي سنة سبعين **كان الوباء بمصر**، قاله الذهبي (٤) .

وفي سنة أربع وثمانين قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي،

---

(١) الخبر في الطبري ٤: ٣٤٠.

(٢) كذا في الأصول، وعبارة الطبري: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى".

(٣) النجوم الزاهرة ١: ١٧٩: "وفيها كان الطاعون بمصر، ومات فيه خلائق عظيمة، وهذا خامس طاعون مشهور في الإسلام".

(٤) في العبر ١: ٧٨.." [1]

"ماتوا عن آخرهن، وكان يوم جمعهن يوم الجمعة لست من شوال، وعدتهن ألفان وستمائة وستون جارية، فلما مضى لهن ستة أشهر أضرم النار عليهن، فأحرقهن بثيابهن وحليهن، فلا رحمه الله ولا رحم الذي خلفه!.

وفي سنة خمس وعشرين كثرت الزلازل بمصر. وفيها انقض كوكب عظيم، وسمع له صوت مثل الرعد وضوء مثل المشاعل. ويقال: إن السماء انفرجت عند انقضاضه. حكاه في المرآة. ولم يحج أحد سوى أهل مصر، وكذا في سنة ست وعشرين وسنة ثمان وعشرين.

وفي سنة ثمان وعشرين بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر الكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك، فجمع القائم بالله الفقهاء، وسألهم عن هذا المال، فأفتوا بأن هذا فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم، فأذن في صرفه في مصالح المسلمين.

وفي سنة ثلاثين وأربعمائة تعطل الحج من الأقاليم بأسرها، فلم يحج أحد، لا من مصر ولا من الشام، ولا من العراق ولا من خراسان.

وفي سنة إحدى وثلاثين والتي تليها تفرد بالحج أهل مصر، وكذا في سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث وستين بعدها.

وفي سنة إحدى وأربعين في ذي الحجة ارتفعت سحابة سوداء ليلا، فزادت على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة، فانزعج الناس لذلك، وأخذوا في الدعاء والتضرع، فانكشفت بعد ساعة.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٧٤

وفي سنة خمس وأربعين وثلاث تليها انفرد أهل مصر بالحج.

وفي سنة ثمان وأربعين. قال في المرآة: **عم الوباء والقحط** مصر والشام وبغداد والدنيا، وانقطع ماء النيل. واتفقت غريبة، قال ابن الجوزي: ورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور، فوجدوا عند الصباح موتى؛ أحدهم على." [1]

"باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثياب المكورة. وفيها، في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بيضاء، طولها في رأي العين نحو ذراع، ولبث على هذه الحال إلى نصف رجب ثم اضمحل.

وفي سنة إحدى وخمسين وسنتين بعدها، انفرد أهل مصر بالحج.

وفي شوال من هذه السنة لاح في السماء في الليل ضوء عظيم كالبرق يلمع في موضعين؛ أحدهما أبيض، والآخر أحمر إلى ثلث الليل، وكبر الناس وهللوا. حكاه في المرآة.

وفي سنة ثلاث وخمسين في جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه، كسفت الشمس كسوفا عظيما، جميع القرص، فمكثت أربع ساعات حتى بدت النجوم، وأوت الطيور إلى أوكارها لشدة الظلمة.

وفي سنة خمس وخمسين وقع بمصر وباء شديد، كان يخرج منها في كل يوم ألف جنازة.

وفي سنة ست وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك، واقتتلوا. وغلب العبيد على الجزيرة التي في وسط النيل بين مصر والجيزة، واتصل الحرب بين الفريقين.

وفي سنة ثمان وخمسين، في العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب كبير، له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة، وبقي إلى أواخر الشهر، ثم ظهر كوكب آخر عند غروب الشمس، قد استدار نوره عليه كالقمر، فارتاع الناس وانزعجوا، فلما اعتم الليل، رمى ذؤابة نحو الجنوب، وأقام إلى أيام في رجب، وذهب.

وفي سنة ستين وأربعمائة كان **ابتداء الغلاء العظيم** بمصر، الذي لم يسمع بمثله في." [2]

"الدهور؛ من عهد يوسف الصديق عليه الصلاة السلام، واشتد القحط

والوباء سبع سنين متوالية بحيث أكلوا الجيف والميتات، وأفنيت الدواب، وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير، ولم يبق لخليفة مصر سوى ثلاثة أفراس بعد العد الكثير، ونزل الوزير يوما عن بغلته، فغفل

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٨٦

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٨٧

الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها، فأخذوا فصلبوا وأصبحوا وقد أكلهم الناس، ولم يبق إلا عظامهم. وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويبيع لحومهم، ويدفن رءوسهم وأطرافهم فقتل. وبيعت البيضة بدينار، وبلغ الأردب القمح مائة دينار ثم عدم أصلا، حتى حكى صاحب المرآة أن امرأة خرجت من القاهرة، ومعها مد جوهر، فقالت: من يأخذه بمد قمح؟ فلم يلتفت إليها أحد، وقال بعضهم يهنئ القائم ببغداد:

وقد علم المصري أن جنوده ... سنو يوسف هولا وطاعون عمواس

أقامت به حتى استراب بنفسه ... وأوجس منها خيفة أي إيجاس

وفي سنة اثنتين وستين، زلزلت مصر حتى نفرت إحدى زوايا جامع عمرو. وفيها ضرب صاحب مصر اسم ابنه ولي العهد على الدينار، وسمي الآمري، ومنع التعامل بغيره.

وفي سنة خمس وستين اشتد الغلاء، والوباء بمصر حتى إن أهل البيت كانوا يموتون في ليلة، وحتى إن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار، باعت عروضها قيمته ألف دينار، واشترت بها جملة قمح، وحمله الحمال على ظهره فنهبه الناس، فنهبت المرأة مع الناس فصح لها رغيف واحد، وكان السودان يقفون في الأزقة، يصطادون النساء بالكلاليب، فيأكلون لحومهن، واجتازت امرأة بزقاق القناديل، فعلقها السودان بالكلاليب، وقطعوا من عجزها قطعة، وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها، فخرجت من الدار، واستغاثت، فجاء الوالي وكبس الدار، فأخرج منها ألوفا من القتلى.." (١)

"صلاتهم، وودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون، إلى أن أذن الله في الركود، وأسعف الهاجدين بالهجود، واصبح كل ليسلم على رفيقه، ويهنئه بسلامة طريقه، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة، وأفاق بعد الصيحة والصرخة، وأن الله قد رد له الكرة، وأدبه بعد أن كان يأخذه على الغرة. وودت الأخبار بأنها كسرت المراكب في البحار والأشجار في القفار، وأتلفت خلقا كثيرا من السفار، ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار. إلى أن قال: ولا يحسب المجلس أني أرسلت القلم محرفا، والقول مجزفا، فالأمر أعظم، ولكن الله سلم، ونرجو أن يكون الله قد أيقظنا بما وعظنا، ونبهنا بما ولهنا، فما من عباده من رأى القيامة عيانا، ولم يلتمس عليها من بعده برهانا، إلا أهل بلد يافا، اقتص الأولون مثلها في المثلات، ولا سبقت لها سابقة في المعضلات، والحمد لله الذي من فضله جعلنا نخبر عنها ولا تخبر عنا، ونسأل الله أن يصرف عنا، عارضي الحرص والغرور إذا عنا.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٨٨

وفي سنة ست وتسعين، قال الذهبي، في العبر: كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع، فاشتد الغلاء، وعدمت الأقوات، ووقع البلاء وعظم الخطب، إلى أن آل بهم الأمر إلى أكل الآدميين الموتى (١) . قال ابن كثير في هذه السنة والتي بعدها: كان بديار مصر غلاء شديد، فهلك الغني والفقير، وعم الجليل والحقير، وهرب الناس منها نحو الشام، ولم يصل منها إلا القليل من الفئام (٢) ، وتخطفتهم الفرنج من الطرقات، وعزوهم في أنفسهم، واغتالوهم بالقليل من الأقوات. وكان الأمير لؤلؤ أحد الحجاب بالديار المصرية (٣) يتصدق في **هذا الغلاء في** كل يوم باثني عشر ألف رغيف على اثني عشر ألف فقير (٤) .

(١) العبر ٤: ٢٩٠.

(٢) الفئام: الجماعة من الناس.

(٣) قال ابن كثير: "كان من أكابر الأمراء في أيام صلاح الدين، وهو الذي كان متسلم الأسطول في البحر".

(٤) ابن كثير ١٣: ٢٤،٣2.." (١)

"وفي سنة سبع وتسعين، قال الذهبي في العبر: كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية، وجرت أمور تتجاوز الوصف، ودام ذلك إلى نصف العام الآتي، فلو قال القائل: مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما بعد، والذي دخل تحت قلم الحصرية (١) في مدة اثنين وعشرين شهرا مائة ألف وأحد وعشرون ألفا بالقاهرة، وهذا نزر في جنب ما هلك بمصر والحواضر، وفي البيوت والطرقات ولم يدفن، وكله نزر في جنب ما هلك بالأقاليم. وقيل: إن مصر كان فيها تسعمائة منسج للحصر، فلم يبق إلا خمسة عشر منسجا، فقس على هذا؛ وبلغ الفروج مائة درهم، ثم عدم الدجاج بالكلية، لولا ما جلب من الشام، وأما أكل لحوم الآدميين فشاع وتواتر، هذا كلام الذهبي (٢) .

وقال صاحب المرآة: في هذه السنة كان هبوط النيل، ولم يعهد ذلك في الإسلام إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين، ولم يبق منه إلا شيء يسير، **واشتد الغلاء والوباء** بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام، وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق. قال: وكان الرجل يذبح ولده، وتساعده أمه على طبخه وشيه؛ وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا، وكان الرجل يدعو صديقه وأحب

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢٩١/٢

الناس إليه إلى منزله ليضيفه، فيذبحه ويأكله، وفعلوا بالأطباء ذلك، وفقدت الميتات والجيف، وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم، وكفن السلطان في مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفا، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس، وصلى إمام جامع إسكندرية في يوم واحد على سبعمائة جنازة.

قال العماد الكاتب: في سنة سبع وتسعين وخمسمائة اشتد الغلاء، **وامتد الوباء وحدثت** **المجاعة**، وتفرقت الجماعة، وهناك القوي فكيف الضعيف! ونحف السمين فكيف العجيف! وخرج الناس حذر الموت من الديار، وتفرقت فرق مصر في

---

(١) كذا في ح، وفي ط والأصل والعبر: "الحشرية".

(٢) العبر ٤: ٢٩٥، ٢٩٦.." [١]

"قال الذهبي في العبر: في سنة ست عشرة وستمائة، حاصر الفرنج أهل دمياط، ووقعت حروب كثيرة يطول شرحها، وجدت الفرنج في المحاصرة، وعملوا عليهم خندقا كبيرا، وثبت أهل البلد ثباتا لم يسمع بمثله، وكثر فيهم القتل والجرح والموت، وعدمت الأقوات، ثم سلموها بالأمان في شعبان، وطار عقل الفرنج، وتسارعوا إليها من كل فج، وشرعوا في تحصينها، وأصبحت دار هجرتهم، ورجوا بها أخذ ديار مصر، وأشرف الإسلام على خطة خسف، وأقبل التتار من المشرق والفرنج من المغرب، وعزم المصريون على الجلاء؛ فثبتهم الكامل إلى أن سار إليه أخوه الأشرف والمعظم، وحصل الفتح ولله الحمد (١) .

وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة، كان غلاء شديد بديار مصر، قاله ابن كثير (٢) . وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع فقط، بعد توقف عظيم، ووصل القمح خمسة دنانير الإردب، فرسم السلطان بفتح الأهراء وشون الأمراء، وأن يباع بثمانين درهما ال إردب من غير زيادة، فانحط السعر إليه. ذكره ابن المتوج.

وفي سنة تسع وعشرين، وصل النيل ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع، وتأخر نزوله حتى خاف الناس من عدم نزوله، فغلا السعر، ثم نزل، فانحط السعر.

وفي سنة إحدى وثلاثين، قدم إلى الملك الكامل هدية من الإفرنج، فيها دب ابيض وشعره مثل شعر السبع، ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله.

وفي سنة اثنتين وثلاثين **كان الوباء العظيم** بمصر.

وفي سنة ثلاث وأربعين **كان الغلاء بمصر**، وقاسى أهلها شدائد.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٩٢

وفي سنة سبع وأربعين نزلت الفرنج دمياط برا وبحرا، وملكوها، ثم استنقذت منهم.

---

(١) العبر: ٥٩، ٦٠.

(٢) البداية والنهاية ١٣: ١٢٨.." [(١)]

"وفي سنة سبع وعشرين، رسم بقتل الكلاب بالديار المصرية.

وفي سنة تسع وعشرين، رسم بألا يباع مملوك تركي لكاتب ولا لعامي.

وفي سنة أربعين، نودي على الذهب كل دينار بخمسة وعشرين درهما، وكان بعشرين درهما، وأن يتعاملوا به ولا يتعاملوا بالفضة، فشق ذلك على الناس، ثم بطل ذلك.

وفي سنة أربع وأربعين، اشتد آل ملك نائب السلطنة على وادي القاهرة في إراقة الخمر، ومنع المحرمات، وعاقب جماعة كثيرة على ذلك، وأخرب خزانة النبوذ، وكانت دار فسق وفجور، وبنى مكانها مسجدا، ونادى: من أحضر سكرانا، أو من معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لذلك بكل طريق، وأتوه بجندي سكران، فضربه وقطع خبزه، وأخلع على الآتي به، وصار له مهابة عظيمة، وكف الناس عن أشياء كثيرة، حتى أعيان الأمراء، فقال بعض الشعراء في ذلك:

آل ملك الحاج غدا سعده ... يملأ ظهر الأرض فيما سلك

فالأمر أمن دونه سوقة ... والملك الظاهر هو آل ملك

وفي سنة سبع وأربعين قل ماء النيل، حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض، وصار من بولاق إلى المنشية طريقا يمشى فيه، وبلغت راوية الماء درهمين، وكانت بنصف درهم.

وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بمصر وغيرها.

وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة أمر بأن يكون إزار النصرانية ازرق وإزار اليهودية أصفر، وإزار السامرية أحمر.

وفي سنة سبع وخمسين في ربيع الآخر، هبت ريح من جهة المغرب، وامتدت من مصر إلى الشام في يوم وليلة، وغرقت ببولاق نحو ثلاثمائة مركب، واقتلعت من النخيل، والجميز ببلاد مصر وبلبيس شيئا كثيرا.

وفي سنة إحدى وستين **وقع الوباء بالديار** المصرية.

وفي سنة أربع وستين كان الطاعون بديار مصر.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٩٤

وفي سنة خمس وستين وقع الفناء في البقر، فهلك منه شيء كثير.
وفي سنة سبع وستين أخذت الفرنج مدينة إسكندرية، وقتلوا وأسروا، فخرج السلطان والعسكر لقتالهم، ففروا وتركوها.
وفي سنة تسع وستين وقع الوباء بالديار المصرية.
وفي سنة ثلاث وسبعين رسم للأشراف بالديار المصرية والشامية أن يسموا عمائمهم علامة خضراء، تمييزا لهم عن الناس، ففعل ذلك في مصر والشام وغيرهما، وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره؛ ومن أحسنها قول الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الأطراف." (١)

"وفي هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة، وثبت إلى أيام من هاتور، فاجتمع جماعة بالجامع الأزهر، وجامع عمرو، وسألوا الله في هبوطه، وعمل ابن أبي حجلة مقامته المشهورة.
وفي هذه السنة أراد السراج الهندي قاضي الحنفية أن يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة، وتولية القضاة في البلاد، وتقرير مودع الأيتام، فأجيب إلى ذلك؛ فاتفق أنه توعك عقب ذلك، وطال مرضه إلى أن مات ولم يتم الذي أراده.
وفي سنة أربع وسبعين وقعت صاعقة على القلعة، فأحرقت منها شيئا كثيرا، واستمر الحريق أياما، وفي هذه السنة عقد الجائي مجلسا بالعلماء في إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقيني وابن الصائغ بالجواز، وخالف الباقون، وصنف البلقيني كتابا في الجواز، وصنف العراقي كتابا في المنع، وجمع أيضا القاضي برهان الدين بن جماعة جزءا في المنع.
وفي سنة خمس وسبعين، توقف النيل عن الزيادة، وأبطأ إلى أن دخل توت، واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو، واستسقوا، وكسر الخليج تاسع توت عن نقص أربعة أصابع من العادة، ثم نودي بصيام ثلاثة

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠٣

أيام، وخرجوا إلى الصحراء مشاة، وحضر غالب الأعيان ومعظم العوام وصبيان المكاتب، ونصب المنبر، فخطب عليه شهاب الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو، وصلى صلاة الاستسقاء، ودعا وابتهل، وكشف رأسه واستغاث وتضرعوا، وكان يوما مشهودا، **وابتدأ الغلاء وزادت** الأسعار.

وفي هذه السنة في أول جمادى الأولى حدثت زلزلة لطيفة، فيها ابتدئت قراءة البخاري في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان، ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئا، ثم اشترك معه شهاب الدين العرياني يوما بيوم، وأمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا، فحضر جماعة من الأكابر.

وفيها أبطل ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في ربيع الدور، وقرئ بذلك." (١)

"وفي هذه السنة ظهر كوكب له ذؤابة، وبقي مدة يرى في أول النهار من ناحية الشمال.

وفي هذه السنة أمر بتبطيل الوكلاء من دور القضاة.

وفي سنة إحدى وثمانين رسم الأمير بركة بنفي الكلاب من مصر، ورسم بأن يعمل على قنطرة فم الغور سلسلة تمنع المراكب من الدخول وإلى بركة الرطلي، فقال بعض الشعراء في ذلك:

أطلقت دمعي على خليج ... مذ سلسلوه فراح مقفل

من رام من دهرنا عجيبا ... فلينظر المطلق المسلسل

وفي ربيع الآخر من هذه السنة أحدث السلام على النبي -صلى الله عليه وسلم- عقب أذان العشاء ليلة الاثنين مضافا إلى ليلة الجمعة، ثم أحدث بعد عشر سنين عقب كل أذان إلا المغرب.

وفي سنة ثلاث وثمانين ابتدأ الطاعون بالقاهرة. وفيها أمطرت السماء مطرا عظيما، حتى صار باب زويلة خوضا إلى بطون الخيل، وخرج سيل عظيم إلى جهة طرى، فغرق زرعها، وأقام الماء أياما، ولم يعهد الناس ذلك بالقاهرة. وفيها ظهر نجم له ذؤابة قد رمحين من جهة القبلة.

وفي سنة أربع وثمانين **وقع الغلاء بمصر**. وفيها شرع جركس الخليلي في عمل جسر بين الروضة ومصر، وطوله مائتا قصبة في عرض عشرة عند موردة الحبش، وعمل على النيل طاحونا تدور الماء.

وفي هذه السنة قال الحافظ ابن حجر: توجه الظاهر برقوق إلى بولاق التكرور، فاجتاز من الصليبة وقناطر السباع وفم الخور. قال: وكانت عادة السلاطين قبله من زمن الناصر لا يظهرون إلا في الأحيان، ولا يركبون إلا من طريق الجزيرة الوسطى.." (٢)

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠٤

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠٦

"قال: ثم تكرر ذلك منه، وشق القاهرة مرارا، وجرى على ما ألف في زمن الإمرة، وأبطل كثيرا من رسوم السلطنة، وأخذ من بعده بطريقته في ذلك إلى أن لم يبق من رسمها في زماننا إلا اليسير جدا.

وفي هذه السنة بنى السلطان قناطر بني منجة، فأحكم عمارتها.

وفي سنة خمس وثمانين نزل السلطان إلى النيل، فخلق المقياس، وكسر

الخليج بحضرته. قال ابن حجر: ولم يباشر ذلك السلطان قبله في زمن الظاهر بيبرس.

وفي سنة سبع وثمانين زلزلة مصر والقاهرة زلزلة لطيفة، في ليلة الثالث عشر من شعبان. وفيها أحضرت صغيرة ميتة لها رأسان وصدر واحد ويدان فقط، ومن تحت السرة (١) صورة شخصين كاملين، كل شخص بفرج أنثى، فشاهدها الناس، ودفنت. وفيها **وقع الغلاء بمصر**.

وفي سنة ثمان وثمانين في جمادى الآخرة زلزلت الأرض زلزلة لطيفة، وفي هذه السنة عز الفستق عزة شديدة إلى أن بيع الرطل منه بمثقال ذهب ونصف.

وفي سنة تسع وثمانين ضربت الدراهم الظاهرية، وجعل اسم السلطان في دائرة، فتفاءلوا له من ذلك بالحبس، فوقع عن قريب، ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية.

وفي سنة تسعين أصاب الحاج في رجوعهم عند ثغرة حامد سيل عظيم، أهلك خلقا كثيرا. وفي هذه السنة وقع الطاعون بالقاهرة.

وفي سنة إحدى وتسعين في شعبان أمر نجم الدين الطنبدي المحتسب أن يزاد بعد كل أذان الصلاة على النبي –صلى الله عليه وسلم– كما يصنع ذلك ليلة الجمعة بعد العشاء، فصنعوا ذلك إلا في المغرب لضيق وقتها.

وفي سنة اثنتين وتسعين عطش الحاج بعجرود؛ حتى بلغت القربة مائة درهم فضة.

---

(١) ساقط من ط.." (١)

"وفي سنة ثلاث وتسعين أمر كتبغا نائب الغيبة ألا تخرج النساء إلى الترب بالقرافة وغيرها، ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وشدد في ذلك.

وفي هذه السنة في جمادى الآخرة ظهر كوكب كبير بذؤابة طول رمحين.

وفي سنة أربع وتسعين **وقع الوباء في** البقر، حتى كاد إقليم مصر أن يفنى منها. وفي هذه السنة أمر أصحاب

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٠٧/٢

العاهات والقطعات أن يخرجوا من القاهرة.

وفيها ضربت بالإسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح، فآل الأمر إلى أن كانت أعظم الأسرار في فساد الأسرار ونقص الأموال.

وفي سنة تسع وتسعين استأذن كاتب السر بدر الدين الكلستاني السلطان له ولجميع المتعممين أن يلبسوا الصوف الملون في المواكب، فأذن لهم، وكان لا يلبسون إلا الأبيض خاصة. وفيها ولدت امرأة بظاهر القاهرة أربعة ذكور أحياء.

وفي سنة ثمانمائة هبت ريح شديدة بالقاهرة، حتى اتفق الشيوخ العتق على أنهم لم يسمعوا بمثله١.

وفي سنة إحدى وثمانمائة، ذكر أهل الهيئة أنه يقع في أول يوم منها زلزلة، وشاع ذلك في الناس فلم يقع شيء من ذلك. وفي رجب سنة أربع ظهر كوكب قدر الثريا، له ذؤابة ظاهرة النور جدا فاستمر يطلع ويغيب، ونوره قوي يرى مع ضوء القمر، حتى رئي بالنهار في أوائل شعبان، فأوله بعضهم بظهور ملك الشيخ المحمودي.

وفي سنة؟؟ وثمانمائة، نودي على الفلوس بأن يتعامل بها بالميزان، سعرت كل رطل ستة دراهم، وكانت فسدت إلى الغاية بحيث صار وزن الفلوس ربع درهم بعد أن كان مثقالا.

وفي سنة عشر، وقع الطاعون بالديار المصرية.

وفي سنة خمس عشرة ضربت الدراهم الخالصة، زنة الواحد نصف درهم والدينار ثلاثين منه، وفرح الناس بها، وبطلت الدراهم النقرة، وكان ضربها قديما في كل درهم عشرة فضة، وتسعة أعشاره نحاس.." (١)

"وفي سنة ست عشرة فشا الطاعون بمصر.

وفي سنة سبع عشرة أمر المؤيد بضرب الدراهم المديدية.

وفي سنة ثمان عشرة كان الطاعون بالقاهرة.

وفي سنة تسع عشرة كان الطاعون بالقاهرة، **وكثر الوباء بالصعيد** والوجه البحري. وفي هذه السنة أمر الملك المؤيد الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء إليه في الخطبة أن يهبطوا من المنبر درجة، ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من

المكان الذي يذكر فيه السلطان، وصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر، وابن النقاش بجامع ابن طولون. قال ابن حجر: وكان مقصد السلطان في ذلك جميلا.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠٨

وفي سنة عشرين ولدت جاموسة ببلبيس مولودا برأسين وعنقين وأربعة أيد وسلسلتي ظهر واحد ورجلين اثنتين لا غير، وفرج واحد أنثى، والذنب مفروق باثنتين، فكانت من بديع صنع الله.

وفي هذه السنة أمسك نصراني زنا بامرأة مسلمة، فاعترفا، فحكم برجمهما، فرجما خارج باب الشعرية وأحرق النصراني ودفنت المرأة.

وفي سنة اثنتين وعشرين فشا الطاعون بالديار المصرية.

وفي سنة خمس وعشرين زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة.

وفي سنة سبع وعشرين جدد للمشايخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب، وهو أول ما فعل بهم ذلك.

وفي سنة ثمان وعشرين وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها، وهلك من الدواب والناس شيء كثير.

وفي سنة ثلاث وثلاثين كان الطاعون العظيم بالديار المصرية.

وفي سنة إحدى وأربعين كان الطاعون بالديار المصرية.." (١)

"ومن كتاب السجع الجليل فيما جرى من النيل:

وأما البحر الذي بنى عليه عنوان هذه العبودية، فلا تسأل عما جرى منه، وما نقلت الرواة من العجائب عنه؛ وذلك أنه عم قدومه بالنفع البلاد، وساوى بين بطون الأودية وظهورها الوهاد. وقدم المفرد مبشرا بوفائه في جمع لا نظير له في الآحاد، واحمرت على ما **طلب الغلاء عيونه**، وتكفل للمصر بأن يوفي بعد وفائه ديونه، ونزل السعر حين أخذ منه طالع الارتفاع، وأحدق بالقرى فأصبح كأنه سماوات كواكبها الضياع؛ فلم يكن بعد ذلك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى عسل (١) في شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب، وجاس خلال ديارها فأصبح على زرائبها المبثوثة بسطة، وأحاط بالمقياس إحاطة الدائرة بالنقطة. ثم علت أمواجه، واشتد اضطرابه، وكاد يمتزج بنهر المجرة الذي الغمام زبده والنجوم حبابه.

وشرق حتى ليس للشرق مشرق ... وغرب حتى ليس للغرب مغرب

إلى أن قال: أما دير الطين فقد ليس سقوف حيطانه، واقتلع أشجار غيطانه، وأتى على ما فيه من حاصل وغلة، وتركه ملقة فكان كما قيل: زاد الطين بلة.

وأما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر، ووقع بها القصب من قامته

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠٩

حين علا عليه الماء وتكسر، فأصبح بعد اخضرار بزته شاحب الإيهاب، ناصل الخضاب، غارقا في قعر ﴿بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ ، وقطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين والفقراء، وترك الصالح كالصالح يمشي على الماء ﴿فتنادوا مصبحين، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص، ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ فنادوا ﴿ولات حين مناص﴾ ، ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فانهدت قواهم، واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم.

وأما الروضة فقد أحاط بها إحاطة الأكمام بزهره، والكأس بحباب خمره:

فكأن١٥ فيه بساط أخضر ... وكأنه فيها طراز مذهب

---

(١) عسل، أي سار مسرعا.." (١)

"ذكر المقياس:

قال ابن عبد الحكم: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام، ووضع مقياسا بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباء مقياسا بأنصنا؛ وهو صغير الذرع ومقياسا بأخميم. ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير، ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد بالجزيرة؛ وهي المسماة الآن بالروضة، وهو أكبرها؛ حدثنا يحيى بن بكير، قال: أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط.

هذا ما ذكره ابن عبد الحكم (١) .

قال التيفاشي: ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة، وأسسه ولم يتمه، فأتم المتوكل بناءه وهو الموجود الآن.

وقال صاحب مباهج الفكر: المقياس الذي بأنصنا ينسب لأشمون بن قفطيم بن مصر ويقال: إنه من بناء دلوكة، وبناؤه كالطيلسان، وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوان الأحمر.

ورأيت (٢) في بعض المجاميع ما نصه: قال ابن حبيب (٣) : وجدت في رسالة منسوبة إلى ا‍لحسن بن محمد بن عبد المنعم، قال: لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها **من الغلاء عن** وقوف النيل عن مده (٤) في مقياس لهم فضلا عن تقاصره، وإن فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار،

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٦٤/٢

ويدعو الاحتكار إلى تصاعد الأسعار بغير

---

(١) فتوح مصر ١٦.

(٢) نقله المقريزي ٤: ٩٣ عن القضاعي.

(٣) في المقريزي: "يزيد بن حبيب".

(٤) المقريزي: "حده"..'' [١]

"وكان من الفضل والعلم على جانب عظيم. له اجتهاد كلي، وكان يعمل درس الحديث في الثلاثة أشهر بالجامع، وقرأ بدمشق على أفاضلها مدة مديدة، وله فهم ثاقب لا يفتر عن المطالعة ولا لحظة، وهو من ذوي المال والثروة، وربما إنه كان في سن الثلاثين، وتوفي المذكور بعد حسين آغا كتخدا شيخ الإسلام، وبعد المفتي الحنبلي الشيخ أحمد بن السبحان. وكل من هؤلاء، ممن اعتصب على الشيخ محمد بن مفتي الشافعية البهائي الشافعي، وكان له سنة في حبس دمشق، وتوفوا الثلاثة في السنة التي حبسوه فيها، فأخرج بالضرورة، لأنهم توفوا في أواخرها. والبغي مصرع مبتغيه وخيم.

فقد ورد في الحديث عنه عليه السلام فيما رواه حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوصى عليه السلام رجلا بثلاث خصال، فقال له: أكثر من ذكر الموت ليشغلك عما سواه، وعليك بالشكر فإنه زيادة في العمر والرزق، وعليك بالدعاء فإنك لا تدري ما يستجاب لك. وأنهاك عن ثلاثة: لا تنقض عهدا، ولا تسعى على نقضه ولا تستمر على معصية، وإياك والبغي، فإنه من بغي عليه لينصرنه الله، وإياك والمكر فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله. ذكره الأردبيلي في تفسيره.

ولا زال مضيقا على المزبور إلى أن قيل: القول قول شيخ الإسلام وأولاده وأحفاده في سائر بلاد بني عثمان، وهذا راجع، وبه أخرج كما ستأتي قصة قتله، فله نحو السنة وأشهر بالقلعة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قافلة الحج ٣٠٠٠ جمل

شوال في أوائله سافر للحج الشريف محمد باشا بن بيرم، وخرج المحمل والحج وكتب عسكرا من المغاربة والهنود والروم والأكراد، وجمع جمعا كبيرا وطيب خاطر كليب وأعطى الصرر بتمامها إلى أربابها، ولم يعارضه معارض حتى رجع، وكان معه من الجمال ثلاثة آلاف جمل.

ذو القعدة، وفيه **كثر الوباء والطاعون** ولا قوة إلا بالله.

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٧٤/٢

الشيخ محمد الأكرمي

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين ذي الحجة، توفي الشيخ محمد بن الشيخ حسين الأكرمي الحنفي الصالحي، من خدام الشيخ محي الدين بن عربي، وذلك بالطاعون، وكان تزوج جديدا من نحو أربعة أشهر. وصلي عليه بالسليمية ودفن بالسفح قرب الإيجية.

الشيخ عبد القادر الصمادي

وفي يوم الخميس في اثني عشر من ذي الحجة، توفي الشيخ عبد القادر الصمادي صاحب الطريقة الصمادية القادرية، عن ولد صغير وأخ كبير يقال له السيد صالح. وكان المذكور عهد لولده، فعاد الأكابر وأقاموا مكانه أخاه السيد صالح، وسكن دار أخيه، واستولى على جميع ماله وصلي عليه بالأموي ودفن قرب سيدي بلال، رضي الله عنه.

محرم الحرام سنة ١١١٥

٢٧ - ٥ - ١٧٠٣م

الحكومة

وسلطان مملكة العرب والروم وبعض العجم مصطفى خان ابن محمد خان ابن عثمان، والباشا بالشام ابن بيرم بالحج الشريف، وقاضي الشام إبراهيم أفندي، والمفتي أبو الصفا أفندي، والمدرسون والدولة بحالهم، وأوله الخميس.

عمر جلبي الجابي

وفي رابعه، يوم الأحد، توفي عمر جلبي الحلبي بالطاعون، من كتاب المحكمة العسكرية، عن وظائف كتبها كلها على ولده عبد الرحمن أفندي الحلبي، ودفن بتربة باب الفراديس.

محمد شاهين

وفي يوم الجمعة تاسعه، توفي بالصالحية محمد جلبي ابن شاهين، ترجمان المحكمة العربية، وهو من ذرية الحاجب الأمير درويش محمد، صاحب الجامع بالصالحية، قبلي المدرسة العمرية، وصاحب الخانقاه الكاينة فيه، وصلي عليه بالسليمية، ودفن بالسفح أعلى العجمية، عند تربة الحاجب، وقام مقامه ولده إبراهيم جلبي، وكان عاقلا كاملا كثير النصت، وهو متولي الجامع المذكور.

الشيخ إبراهيم الخلوتي

وفي حادي عشر الشهر، الثلاثاء، توفي مولانا الشيخ إبراهيم بن الوجيه أيوب الخلوتي، صاحب الطريقة

الخلوتية، وشيخ السلطنة العثمانية، وصلي عليه بالأموي، ودفن بتربة الفراديس الشرقية عند والده العارف أيوب، رحمه الله تعالى، وكان صاحب ثروة، وعليه تدريس المدرسة الحافظية قبلي الشبلية، ومدخولها حسن جدا.

وكان حسن الصوت. أخذ طريق الخلوتي عن السيد محمد غازي الحلبي، خليفة إخلاص دده الخلوتي، وأذن لبني أيوب بالخلافة، فجلس الشيخ إبراهيم وبايع، ثم بعد مدد طويلة كبر سنه، وتعب من المداراة وأخذ الخواطر، فأجلس مكانه أخاه الشيخ أبو السعود الخلوتي المبايع لغازي، وبايع وأقام طريقته إلى أن توفي. عفي عنهم آمين.." (١)

"فلما قتل وصار نفير عام طيبوا خاطر ابن بيرم وأرسلوا تدخلوا عليه أن يركب مع الناس على كليب وألحوا عليه، ونادوا على العام والخاص في السفر وأن لا يتخلف أحد، وبرزوا إلى قبة الحاج بالخيام، فخرج القاضي والشيخ مراد والموالي والعلماء والمدرسون وأعيان البلد وأصحاب السجادات وأرباب الزوايا، كل واحد ومعه من جماعته أناس، ثم خرجوا بقية العوام، مما لا يحصى، ولكن من غير تدبير، فلما جاء المساء لم يروا أحدا، ورجع الناس إلى أماكنهم ما عدا أرباب الخيام، حتى إنه من طرف كل عشرين خيالا لم يبق منهم أحد، فألحوا على ابن بيرم ونادوا مرارا فلم يخرج، فمر عليهم ابن بيرم عند الظهر وقال: لا أحد يتحرك من مكانه، فأقسموا لا يرجعوا بل يقيموا حتى يجيء.

تدخل ابن بيرم

فبات تلك الليلة بالقنيطرة، فجاء من أخبره عن كليب أنه معين عليك سبعماية فارس، كلهم بالدروع يأخذوك الليلة فما أصبح الصبح إلا ورجع من توه من شدة خوفه من كليب. وكان الباشا السابق معه من العسكر أكثر منه مرارا، لكن اغتاظ عليه أرباب الخيام من الأفندية وأعيان مشايخ الشام، حتى طلع الكمال يونس المصري، والشيخ تقي الدين الحصني، والشيخ إبراهيم السعدي، وكل معه جماعات، والشيخ مراد ومعه ستون خيالا من قراه، أرسل إليها، والبقية كذلك، ثم أمروا ابن بيرم: لا تنزل دمشق ولا حرستا بل ترحل بالكلية عنهم.

وكان لما توجه ابن بيرم إلى الركوب من حرستا على كليب ألزم متقاعدي دمشق وأرباب الوظايف، وجعلوا له مالا، فلم يرض ورجع في الحال، وكفى الله المؤمنين القتال ثم رجع الكل عن آخرهم.

ثم إن أهل الخربة تعوق عليهم الجواب لانشغالهم بما استعدوا من السفر والنفير العام، واشتغلوا عنهم، عادوا

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/١٦

وأعرضوا لكليب في أن يطلق حالهم، ففي أثناء إرسال العرض، قام المتسلم مسرعا من الخربة، ثم لحقه الباشا، باشة القدس قبل الجواب، ففي يوم رجوع ابن بيرم، وصل من أهل الخربة أناس مجرحون، ولا قوة إلا بالله.

سكون العاصفة

ثم هدت الفتنة، وكل منهم لزم حاله، وذلك في وسط ربيع الأول في السنة المذكورة.

والحج دخل في خمسة عشر صفر كما سبق، وركوب الباشا الأشقر في آخر محرم الحرام لملاقات الحج والركوب على كليب.

الشيخ أحمد البكري الصديقي

ربيع الأول، وفيه جاء خبر بوفاة مولانا الشيخ أحمد أفندي البكري يوم دخوله مصر، وكان متمرضا ورجع مع الحج المصري، وكان فرغ من قضاء مكة ونزل لما عزل، على مصر، وأن ولده أسعد أفندي توجه في البحر إلى الروم. وكان تولى سابقا بدمشق قضاء العسكر كما تولى نيابة الباب مرارا، وذهب إلى الروم مرارا، وكان له بها دار عظيمة، وتسرى هناك وولد له أولاد، ثم تولى قضاء دمشق سنة خمس بعد الماية وألف، وتولى محروسة برصا، ثم مكة المشرفة. وكان مراده مصر فحال الأ ... لا غيره المتكل.....

فتنة في مكة المكرمة

ومن جهة مكة، أخبرنا أن شريف مكة عبد الكريم، جلس للسلطنة الحجازية بسيفه، ورضي أشرافها، وعزل ابن الأشرم، وكان بنو عثمان قد أرسلوا لابن الأشرم تقريرا. وأخذ عبد الكريم السلطنة بالسيف، وقتل من رجال ابن الأشرم ما لا يحصى، وهرب ابن الأشرم، قيل، فيه جروح كثيرة، **وأن الغلاء خف** عما كان.

وفي آخره سافر بقية الحجاج من دمشق.

طاووس في دمشق

وفيه ورد طاووس وهرعت الناس للفرجة عليه، وهو طير غريب كثير الألوان، وذنبه إذا فرشه يكون كدارة الرحى المتوسطة، ورأسه صغير جدا، وحجمه قد الأوزة، وفي صوته بشاعة، وقيل إنه يعجب بنفسه ويتخايل، وإذا نظر إلى رجليه صاح استقباحا.

صندوق الدنيا في دمشق

وفيه جاء من بلاد حلب صندوق فيه صور البلدان، مثل أدرنة وإسلام بول ودمشق وحلب وغير ذلك، وفي وجه الصندوق، مرآة تنظر فيها تلك الأشكال فترى مثل الحقيقة، وإنما هي نقوش، والمرآة تقوي البصر في

المرئي، وفيه صور بلاد النصارى والكنايس والأنهار والبحور والجبال.

ابن بيرم في دمشق." (١)

"كان عارفا بالهندسة والمهيئة، كاملا في شأنه وحاله، منزويا، إلا في مصالحه الضرورية ونزل به إلى المدينة وصلي عليه بجامع التوبة، ودفن عند أهله بالدحداح الغربية، عفي عنه.

سهرة عند سي رجب

وفي ليلة السبت رابع عشرين رجب، كنا عند صاحبنا سي رجب، مع جماعة من الخلان وتوابع من الإخوان، وسهرنا عنده تلك الليلة، وكان السمر في ذكر الأولياء والصالحين، ومكثنا عنده إلى بعد طلوع الشمس، واستكثرنا خيره وشكرنا بره.

وفي يوم السادس والعشرين من رجب أول الخلوة البردبكية.

الغيث

وليلة الأربعاء منها نزل الغيث من أول الليل إلى ظهره شاحا، وفرح الناس وله الحمد والثناء، ودام من أول الليل إلى وقت الظهر، فامتلت دمشق من الغدران، وبيده الإحسان والإنعام.

وألغزت لبعض أصحابنا من الفقهاء في مسئلة فقهية تتعلق بالدية.

واقعة

وفي شهر رجب المذكور، وقع لي واقعة. ضاع لي شيء من المتاع، فمكثت أياما في حصر من ذلك ولم يبرح من فكري، ونبشت في كل وقت عليه. ففي يوم الأحد ثالث شعبان خطر أن أن أقرأ الفاتحة للشيخ العارف الذي ضريخه بين المدارس بالصالحية، فإنه مجرب للضياع، فقرأت الفاتحة، فما مكثت ذلك النهار إلا ولقيته، فحمدت الله وقرأت له الفاتحة، وكرامات الأولياء حق خارق للعادة.

دخول القاضي الجديد

شعبان، وأوله الجمعة، وفي أوله، ورد قاضي الشام محمد صالح زاده الرومي، وسافر علي زاده الرومي المعزول إلى بلاده بعد أيام والله ولي الأحوال.

يوم الثالث والعشرين نزل الثلج الكثير ولم يطل، وبقي على الجبل أياما.

اعتقال ثمانية آغوات

يوم الثلاثاء عشرين الشهر، أودع في القلعة ثمان أغوات أعيان طائفة الينكجرية، منهم علي آغا ابن الترجمان،

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/٢٧

ويحيى آغا طالو، والمقابلجي، والخمسة الأخر أيباشية، ونسأله الآخرة إلى خير بمنه آمين.

عمر القاري

رمضان المبارك، وأول السبت بالثبوت. يوم الجمعة سابع الشهر توفي عمر أفندي بن عبد الرحمن أفندي القاري، مدرس الظاهرية البيبرسية شمالي الأموي.

وفيه دخل حج من الأروام.

أخبار الحج

شوال، أوله الاثنين، والحج كثير لا يحصى وله الحمد.

يوم الأحد، رابع عشر شوال طلع المحمل والصنجق، وفي العام قبله طلع يوم الخميس خامس عشر الشهر، ودخل الحج الحلبي يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر.

وفي ثامن عشر الشهر يوم الخميس، خرج الحج كله دفعة.

وفي ثامن عشره، قطع الأنهر بالصالحية، يوم السبت.

وفيه رجعت مزيربتية الحج، ورحل الحج قبل الهلة بيومين.

العملات

وفي يوم السبت عشرين الشهر نادوا على المعاملة والأسعار، فالمصرية الأحمدية تسع فلوس، ومصرية غير الأحمدية بستة فلوس مضروبة بسكة السلطان الآن.

مصرع المحتكرين

يوم الأحد، ثاني عشرين الشهر خنق ابن العلاوي، معلم طاحون الزراميزية، لأجل خزين القمح وتقليله على الناس لأجل الغلاء، ويستدينوا المال من المعاملجية الربوية ويحتكروه، حتى ضاق المغل بدمشق، ويتلقوا الركبان بالمال ويأخذوه. ثم شنقوا اثنين من الينكجرية من الطحانة، ورفعوا الصيارف لأنهم يقصوا المصاري ويتلفوا المعاملة من الناس.

جرائمهم

وكل من ذكر، يقتل في الحل والحرم، لأن أذاهم عام بأفعالهم، ويسلفون على المغل بأكياس يستدينوها من المرابيين، ويحتكروه، ويطالعوا أسبابا في قلة المطر والمحل، حسبهم جهنم وبئس المصير.

حتى الطحانة والخبازة واللحامة تجرؤوا على الحكام وعجزوهم، فانتقم الله منهم، وقتل المتسلم منهم، وشنق وخنق.

فكم نصحوهم الحكام في الحنطة والخبز واللحم، لا يفيد، ويطالعوا مكسبهم وكلفهم، ومع ذلك لا يرجعوا حتى وقع فيهم القتل المذكور. اللهم اخذل الكفرة والمنافقين، أعداء الدين، ورد: بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ.

فهؤلاء يحتمون بالإسلام احتماء، لا يحللون ولا يحرمون، قاتلهم الله وعجل هلاكهم، أفسدوا العباد والبلاد. وورد: لا تزال الناس على الدنيا حرصا، وهي منهم، فعلمنا وانصرنا على آل الصليب وعابديه اليوم. وهؤلاء صار الدرهم والدينار نفس عبدة الدرهم والدينار، كما ورد، وهؤلاء لا يذكرون الله إلا قليلا " ملعونين أينما ثقفوا، أخذوا بوقتلوا تقتيلا ".

سهرات أهل دمشق." (١)

"وكان هلال رمضان في هذه السنة نهار الاثنين وأثبت بعد العشاء، وأشعلت القناديل في سائر مآذن الشام، وضربت مدافع الإثبات في منتصف الليل، وحصل للناس زحمة في حركة السحور، حتى فتحت دكاكين الطعام ليلا كالخبازين والسمانين.

وفي تاسع رمضان المذكور هطلت أمطار غزيرة على عامة البلاد ولله الحمد. وغرق مركب بساحل صيدا بتلك المدة، وكان قادما من مصر وفيه أرزاق كثيرة، عوض الله أصحابها خيرا، قيل إنه غرق في نوء قاسم كوى. وجاءت الصرة من إسلامبول يوم الجمعة، وجاءت الخزنة السلطانية من مصر يوم السبت ثالث عشر من رمضان، وقد تأخرت عن وقتها، وكان صنجقها عمر بك.

وجاءت البلطجية من إسلامبول نهار الاثنين في الشهر المذكور ومع ذلك حضرة سليمان باشا العظم في حصار طبرية، وقد شدد على أهلها كما يأتي.

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من هذا الشهر شهر رمضان توفي الرجل الصالح الحاج أحمد الحلاق بن حشيش، كان رجلا صالحا رأى العجائب لأنه كثير السايحة، وكان حسن المعاشرة والوداد، وكان حلاقا لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره، وكان يحلق أيضا للشيخ مراد أفندي النقشبندي الكسيح، ولعمدة مذهب السادة الشافعية شيخنا محمد العجلوني ولأمثالهم، وكان يحلق مجانا للفقراء من طلبة العلم وغيرهم. ومن صلاحه وتقواه أنه ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسر إلا شفاه الله وعافاه. قال مؤرخها الحلاق الشيخ أحمد البديري: وكان صاحب الترجمة أستاذي ومعلمي في صنعة الحلاقة، ومنه حصل لي الفتوح والبركة، رحمه الله تعالى.

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/١٢٩

وثاني يوم الأربعاء توفي الشيخ مصطفى المغربل، وكان رجلا دينا أخذ الطريق من الأستاذ الشيخ يوسف الطباخ.

وفي تلك الأوقات **اشتد الغلاء في** سائر الأشياء سيما المأكولات، مع وجود الأغلال وغيرها، فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما أرادوا غير أن الغنم كان قليلا جدا فصار الجزارون يذبحون الجاموس والجمل والمعز، فصار يباع رطل اللحم الشامي بثلاثين مصرية، ورطل إلية الغنم بقرش وربع، والبيض كل ثنتين بمصرية، والسمن رطل وأوقتين بقرش، والثوم رطله بثلاثين مصرية، ورطل الخبز بأربع مصاري وبخمسة مصاري وبأكثر. وقد كان بثلاث مصاري ونصف. فبقدوم شهر رمضان المبارك غلت الأسعار حتى الخضر، فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية، فلما هل رمضان صار خمسة وأربعة بمصرية، والباذنجان كل رطلين بمصرية، فصار كل رطل بمصريتين، واللحم عدم، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام.

وكان نهار عيد الفطر يوم الأربعاء، وقد صمناه ثلاثين يوما بإكمال العدة، فدخل العيد، ولم يأت حضرة والي الشام سليمان باشا من الدورة، بل هو للآن مقيم على حصار قلعة طبرية.

وفي يوم السبت رابع شوال جاء تبشير رسمي من حضرة سليمان باشا بفتوح قلعة طبرية، فضربت المدافع وعملوا الزينة ودقت الطبول والزمور.

وثاني يوم الأحد دخل حضرة سليمان باشا العظم إلى دمشق، فسبق كخيته والعسكر، وترك على قلعة طبرية على أغابن الترجمان، وعنده بعض العسكر والفعالة، وأمره أن لا يقدم دمشق حتى يخربها بعد إخراج أهلها منها.." (١)

"وفي عاشر ذي القعدة دخل مصطفى باشا متولي طرابلس الشام نهار الاثنين إلى دمشق، عينته الدولة العلية سردارا على الجردة. والمذكور كان سفاكا للدماء ظلوما غشوما أهرق دماء كثيرة حينما كان في طرابلس، وكان غالب قتله بالكلاب والشنكل، يترك الرجل حتى يموت جوعا وعطشا، فهربت غالب أهالي طرابلس من ظلمه وتفرقوا في البلاد، وأرسل أعوانه في طلب الهاربين، فالذي قبضوا عليه كان من الهالكين. وبعد مجيئه لدمشق وقعت فتنة بين الدالاتية التي للمتسلم وبين لاوند الأكراد، وقتل من الفريقين جماعة، وكانت تلك الفتنة في يوم الجمعة، حتى بطلت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع.

وفي غرة ذي الحجة ختام السنة المذكورة توفي الشيخ محمد الكيال وكان من رؤساء المؤذنين في جامع الأموي، وكان رجلا صالحا، وكان ينسخ كتبا وغيرها بخط مقبول، وكان ينام والقلم بيده ويفيق ويكتب من

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٤

غير نظر للكتابة، وقد عدت له كرامة.
وفي ذلك اليوم جاء خبر قتل متسلم دمشق، قتله عرب الزبيد وقتلوا من جنده جماعة كثيرة، وذلك لما كانت هذه العرب عاصية على الدولة خرج المتسلم المذكور ومعه جماعة من العسكر، فساروا حتى وصلوا للعرب المذكورة، ففاجأهم المتسلم وجنوده على حين غفلة بالقتل وغيره، وأرادوا أخذ أموالهم ومواشيهم، فردوا عليهم رد غيور صبور فقتلوا المتسلم المذكور وجماعة من عسكره، فحين بلغ هذا الأمر أكابر دمشق عملوا ديوانا ثم أمروا مناديا ينادي: من أراد طاعة الله والسلطان ممن له قدرة وقوة على الركوب فلا يتخلف، فالغارة الغارة على عرب الزبيد الذين قتلوا المتسلم وعسكره، فخرجت الإنكشارية والسباهية والزعماء، عينوا نائبا بدمشق حسين آغا بن القطيفاني، المتولي على وقف المرحوم سنان باشا، ثم ساروا للعرب، ورجعوا ومعهم جسد المتسلم المقتول، وهو في حالة عبرة لمن اعتبر، ثم غسلوه في سراية الحكم ودفنوه في باب الصغير. وكان اسمه إبراهيم، وهو مملوك سليمان باشا بن العظم حاكم الشام، وكان مع عدل مولاه، له ظلم وعدوان وجرأة على الخاص والعام، وكان يأمر بالقبض على كل من رآه بعد العشاء، ويأمر بتقييده في الحال بالحديد، إلى أن يأخذ منه مال كثير، وإذا أذنب أحد ذنبا، ولم يقدر على قبضه يقبض من يقدر عليه من أهله وقرابته، ويلزمه بمال عظيم، وإذا نهاه أحد عن تلك الأحوال يحرد، ويطلب الارتحال، ولا زال بظلمه وعتوه، إلى أن أخذه الله. وقيل سبب تدميره أنه جاءه شيخ الجبلة، الفحيلي، وقال له سرا: قم حتى أكسبك كثيرا من الغنائم، ولم يعلم أحد من كبراء الشام، سوى قومه الطغاة، فذهب هو وقومه حتى وصل إلى اللجاة، فلما وصل إلى تلك القبيلة ساق أموالهم والحريم، فارتدت عليه العرب، وأخذ عليه واحد منهم نيشانا فضربه ولم يخطئه، وتركه ملقى قتيلا وقتلوا جماعة من قومه، ذلك بما قدمت يداه.
وفي نهار السبت منتصف ذي الحجة، توفي أبونا ووالدنا وأستاذنا ومربينا سليمان بن الحشيش الحكواتي رحمه لله. كان فريد عصره ووحيدا في أوانه. وكان يحكي سيرة الظاهر وعنترة وسيف، ونوادر غريبة في التركي والعربي، ومع ذلك فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب. وكان أشقر أبرص، شديد البياض إلا أنه بحر خضم لا يخاض رحمه الله.
وفي يوم السبت خامس عشر ذي الحجة توفي المرحوم عبد العزيز أفندي السفرجلاني، وكان فقيها محبا للعلماء، مقبولا عند الحكام مهابا وقورا، وأعطي جاها لن ينله أحد من بني السفرجلاني، محبا لفعل الخير، ولهذا حصل له القبول عند الخاص والعام.
وفي أوائل الشتاء من آخر هذه السنة قلت الأمطار، ويئست الخلق **ونهض الغلاء على** قدم وساق، فأغاث

الله عباده بالأمطار كالبحار، وذلك في ابتداء كانون الثاني، واستمر ليلا مع نهار لا يفتر، وأثلجت الدنيا سبع مرات، واستمر ذلك خمسة وأربعين يوما، وتهدمت أماكن كثيرة بحيث ما بقي محل ولا جهة في الشام إلا ووقع الهدم فيها، ثم بعد ذلك طلعت الشمس، وأحيا الله الأرض بعد موتها.

سنة ١١٥٦

ثم دخلت سنة ١١٥٦، ألف ومئة وستة وخمسين نهار الاثنين غرة محرم، جعلها الله سنة خير ورحمة وبركة. وكان واليا بدمشق الشام سليمان باشا العظم، وهو في ركب الحج الشريف.." (١)

"وقد هل هذا العام الجديد، ورطل الخبز الشامي بأربع مصاري وبخمسة، ورطل الأرز بثمانية مصاري، ورطل الدبس بثمانية مصاري، وأوقية السمن بستة مصاري ولا توجد، مع أنه كان من نحو شهر كل رطل وثمانية أواق بقرش، ولكن الخزان ما أبقى للفقراء قمصان، وأوقية العسل بخمسة مصاري، ورطل اللحم الضأن بثلاثين مصرية ورطل الثوم باثني عشر مصرية، ورطل لحم الجاموس ولحم البقر بعشرين مصرية، وأوقية الزيت بمصريتين وقطعة، **وهذا الغلاء ما** سمعنا بمثله أبدا وقد طال المطال، والناس منتظرة للفرج من الملك المتعال.

قال المؤرخ: وفي أوائل هذه السنة الجديدة توفي الحسيب والنسيب السيد أحمد البابا، رئيس حرفة الدباغين، كان رحمه الله بهي المنظر ذا هيبة حسنة، ولنا معه صحبة.

وفي رابع وعشرين محرم، كان دخول الجوخدار من الحاج الشريف، يبشر بالسلامة وحسن السيرة، ثم جاء الكتاب ومعه المكاتيب، ثامن وعشرين محرم نهار الأحد من هذه السنة المذكورة. وفي سلخ محرم صار في دمشق سيل عرمرم، ما رؤي قط مثله من قديم الزمان، وعقبه نزل برد كبير استقام نزوله مقدار ساعتين، حتى علا على وجه الأرض مقدار ذراع ونصف.

وفي أوائل شهر صفر الخير، جاء خبر عن الحج الشريف بأنه غرق في الحسا قريبا ممن القطرانة، وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج، من خيل وجمال وبغال، ونساء ورجال وأموال وأحمال وقد غرق لأحد التجار سبعة عشر حمل، كل حمل لا يقام بثمن، فاستغاثوا بحضرة سليمان باشا العظم والي الشام، وأمير الحاج، وقالوا: نحن نهب لك مالنا وخذه أنت ولا تتركه للعرب. فحالا نهض وأخذ معه جماعة، وذهب نحو مرحلة، وقد خاطر هو وجماعته، ثم غاب يوما وليلة بعدما جدوا في طلبه، وإذا هو قادم ومعه الأحمال، لم تنقص ولا ذرة. ثم ناداهم وسلمهم إلى أصحابهم، ولم يدنس حجه بشيء. وقد عدوا هذه المنقبة لمثله،

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٦

من الهمم العالية والمروءة السامية، وبوصولهم أيضا للبلقة جاء أيضا سيل عظيم، أخذ مقدارا عظيما من الحج، وأراد أن يتمم على بقية الحج، لولا أن تداركه الله بلطفه. ولما حصل هذا الأمر، كتب حضرة أمير الحاج سليمان باشا توقيعا، وأرسله إلى الشام وإلى من حواليه، بأن يأتوه بعلف وذخيرة، فنادى المنادي في شوارع دمشق: يا أمة محمد، من كان يحب الله ورسوله، وتمكن من الخروج فليخرج، ومعه ما يقدر عليه من مأكل ومشرب وملبس، فليخرج ليلاقي الحجاج فخرجت الخلق مثل الجراد.

وفي يوم الأحد رابع صفر الخير دخل الحاج، وثاني يوم دخل المحمل الشريف مع حضرة سليمان باشا، وكانت سنة هائلة أخبر الحجاج أن مد العليق صار بقرشين، وفي بعض الأماكن بأربع قروش، وكل ثلاث تمرات بمصرية، وهذا شيء ما سمع من قديم الزمان، وبيع كعب البقسماط بثلث قرش. وكانت دمشق أشد غلاء من غيرها، حتى مد الملح وصل ثمنه إلى ثلاثين مصرية، والدبس الأوقية بمصرية، واللبن في آذار رطله بسبعة مصاري، والخبز لا يوجد، والحكام يخزنون، وأهل البلد يفعلون كفعلهم، وإلى الله المصير.

وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر الخير من هذا العام، توفي العالم العامل، الشيخ أمين أفندي ابن الخراط رحمه الله.

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة شرع حضرة والي دمشق الشام، سليمان باشا ابن العظم في فرح، لأجل ختان ولده العزيز أحمد بك، وكان في الجنينة التي في محلة العمارة، وجمع فيه سائر الملاعب وأرباب الغناء واليهود والنصارى، واجتمع فيه الأعيان والأكابر من الأفندية والأغوات ما لا يحصى، وأطلق الحرية لأجل الملاعب يلعبون بما شاؤوا. من رقص وخلاعة وغير ذلك، ولا زالوا على هذا الحال سبعة أيام بلياليها. وبعد ذلك أمر بالزينة، فتزينت أسواق الشام كلها سبعة أيام، بإيقاد الشموع والقناديل، زينة ما سمع بمثلها، وعمل موكب ركب فيه الأغوات والشربجية، والأكابر والإنكشارية، وفيه الملاعب الغريبة من تمثيل شجعان العرب وغير ذلك. وثاني يوم طهر ولده أحمد بك، وأمر من صدقاته أن يطهر من أولاد الفقراء وغيرهم ممن أراد، فصارت تقبل الناس بأولادهم، وكلما طهروا ولدا يعطوه بدلة وذهبين، وأنعم على الخاص والعام، والفقراء والمساكين بأطعمة وأكسية وغير ذلك، مما لم يفعل أحد بعض ما فعل، ولم نسمع أيضا بمثل هذا الإكرام والإنعام، على الخاص والعام، فرحمه الله وجازاه أحسن الجزاء، آمين.." (١)

"وبعد هذا الفرح العظيم عمل فتحي أفندي الدفتري فرحا عظيما بهذا الشهر، أعني به ربيع الأول، زوج ابنته لأخيه، وكان فرحا عظيما ما عمل بدمشق نظيره، ولا بلغ أحد أنه عمل مثله، وكان سبعة أيام كل

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٧

يوم خصه بجماعة: فاليوم الأول خصه بحضرة والي الشام سليمان باشا بن العظم، واليوم الثاني إلى الموالي والأمراء، واليوم الثالث إلى المشايخ والعلماء، واليوم الرابع التجار والمتسببين، واليوم الخامس إلى النصارى واليهود، واليوم السادس إلى الفلاحين، واليوم السابع إلى المغاني والمومسات، وهم بنات الخطا والهوى، وقد تكرم عليهم كرما زائدا، ويعطيهم الذهب والفضة بلا حساب. وكان قبل الفرح عمل تهليلة، جمع بها جميع مشايخ الطرق.

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول بهذا العام توفي نقيب النقباء في دمشق، على الحرف والصنايع والطرق، الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الحلاق القادري، صاحب الحلقة في الجامع الأموي.

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من ربيع الثاني في هذه السنة المذكورة، توفي الشاب السعيد سلالة الطاهرين، وفخر الصديقين، أحمد أفندي البكري الصديقي، وكان من النجابة على جانب ودفن بتربة الشيخ رسلان رحمه الله.

وفي يوم الأحد غرة جمادى الأولى من هذه السنة، شرع حضرة سليمان باشا ابن العظم، في تعمير وترميم نهر القنوات، وجعل جميع المصارف من ماله جزاه الله خيرا، واشتغل بها من الفعلة مائتا فاعل، فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها، وبتشييد أركانها وإصلاح ما فسد منها، ورفع جدرانها، وبضبطها ضبطا جيدا وبإصلاح فروض مستحقيها على الوجه الحق، وأن يأخذ كل ذي حق حقه. فكانت هذه العمارة والضبط ما سبقه إليه أحد من عهد إصلاحها من أيام التيمور لما أصلحت بعده، وقد تمت عمارته في برهة خمسة عشر يوما في أول مربعانية الصيف. ولما تم أمر بإطلاق النهر، فكان إطلاقه على أهل دمشق فرجة من أبهج الفرج، ويوم مثل يوم الزحام. وقد أرخ هذه العمارة شيخ الأدب في الشام الشيخ عبد الرحمن البهلول، مادحا حضرة الوزير سليمان باشا ومشيرا لتاريخ تتميم البناء، فقال:

جزى المولى أمير الشام خيرا ... سليمان الزمان ودام دهرا

بما قد جدد القنوات صدقا ... بإخلاص زكا سرا وجهرا

فيا طوبى له إذ نال أجرا ... على مر الليالي مستمرا

له في كل مكرمة أياد ... بإحسان علت وهلم جرا

فكم صنعت يداه وجوه بر ... بها أرخ سبيل الخير أجرا

وفي نهار الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى توفي الشيخ الفقيه العالم الشيخ علي، مدرس جامع عز الدين في باب السريجة، وقد ناهز الثمانين، رحمه الله تعالى.

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة، قامت العامة وهجمت على المحكمة، وطردوا القاضي ونهبوا الأفران. وسبب ذلك **كثرة الغلاء والازدحام** على الأفران، وقلة التفتيش على صاحب القمح والطحان والخزان، فتلافى حضرة الوالي سليمان باشا هذا الأمر، وأرسل يشدد على الطحانة والخبازة، ويهددهم ويخوفهم فحالا وجد الخبز، وتحسن وكسد، بعدما كانت غالب الناس تبات بلا خبز، فابتهلت الناس بالدعاء لحضرته.

وفي سادس جمادى الثانية من هذه السنة، توفي الشيخ مصطفى ابن شيخنا وأستاذنا شافعي زمانه، وفاضل أوانه الشيخ محمد العجلوني، من افتخرت به محلة القنوات، رحمه الله. وبالأمر المقدور، توفيت زوجته أول يوم، ولحقها ثاني يوم، رحمهما الله تعالى.." (١)

"وفي نهار الثلاثاء، الثالث والعشرين من شوال توفي الشيخ العالم الفقيه الواعظ الشيخ أحمد الخطيب. الواعظ والإمام في جامع الدقاق في محلة القبيبات قبلي دمشق الشام، وهي الميدان التحتاني عند باب الله. قال المؤرخ: وتلك المحلة بها مولدي، ومسقط رأسي وبها منزلنا، وبعد وفاة والدنا انتقلنا منها إلى محلة التعديل. وكان الشيخ أحمد المذكور رجلا فاضلا، فقد أحيا تلك المحلة بالعلوم والدين، وانتفع به كثير من المسلمين.

وفي اليوم الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة، قدم سلخور من جهة السلطان، بتحصيل مال سليمان باشا، وقدره اثنا عشر ألف كيس، ودخل الشام مثل شعلة النيران، وأخرج حرم سليمان باشا من ديارهم إخراجا شنيعا، وصاروا يفتشونهم كذا، واحدة واحدة، مع التفتيش في جيابهم وأعبابهم، وختم على جميع مخادع الدار، وأمر بالقبض على ابن عم المرحوم سليمان باشا، وهو السيد محمد، وعلى جماعة أخرى معه، وأمر بالترسيم الشديد عليهم، وسأل عن محمد آغا الديري، وكيل خرج سليمان باشا، فأخبروه أنه ذهب مع أسعد باشا إلى الحج، فأمر بجلبه، فجاؤوا به، وأمر بالترسيم عليه.

قال المؤرخ البديري: ثم أحضر السلخور القاضي والأعيان، واستجلب حرم سليمان الباشا، وأحضر الجلاد وآلة العذاب، وشدد على الحريم بالطلب، وأن يعلموه عن المال أين مخبأ، فلما رأوا التشديد خافوا من العذاب وأقروا له عن بعض مخابئ تحت الأرض، فأرسل خلف المعمارية الذين عمروا السرايا، وكانوا نصارى، وكان المعلم نصرانيا يقال له ابن سياج، فأمر القبجي بتعذيبهم، وقطع رؤوسهم وأيديهم، فلما تحققوا عذابهم قالوا: نحن ندلك على كل ما عمل ثم أنهم حفروا له تحت الدرج، فبان عن سرداب، فرفعوا عنه التراب،

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٨

ونزلوا في درج، فظهر مكان واسع وفيه صندوق مقفول وعليه غالات وقفول، فأخرجوه وفتحوه، فرأوه ملآن من الدراهم والريالات. ثم أخرجهم النصراني إلى مخدع، فحفر في دوائره، فإذا فيه سبع براني مملوءة من الذهب المحبوب السلطاني، فلما رأى الحاضرون ذلك الحال زاغت منهم الأبصار، ثم عدوه وضبطوه، فوجدوه ثمان مئة كيس وخمسين كيسا. فلما بلغ الناس ما خرج عنده من هذا المال، وكان في أيام شدة الغلاء، مع سوء الحال، لهجوا بالذم والنكال، وقالوا قد جوع النساء والرجال والبهائم والأطفال حتى جمع هذا المال من أصحاب العيال، ولم يراقب الله ذا الجلال.

وقبلا جاء قبجي لضبط مال سليمان باشا، فضبط ألفين وخمسين كيسا، فلم يره بشيء كذا. وقد كان فتحي أفندي الدفتردار اشترى غالب متاعه والأغلال، فكان عنده من القمح ما بلغ ثمنه خمسة وعشرين كيسا، وبلغ الغرارة بخمسة وعشرين غرشا، والكيس بخمس مئة غرش، فانظر كم غرارة بخمسة وعشرين كيسا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسيأتي الكلام على بطش الله، وغضبه بالدفتري المذكور، لأن الله تعالى يمهل ولا يهمل. ول١ تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون.

وفي اليوم الرابع والعشرين، وهو يوم السبت من شهر ذي القعدة، توفي الشيخ محمد المكتبي، هو وابنه، في الطاعون المشتد في هذه الأوقات. وكان إماما في الجامع القلعي، وشيخ كتاب في محلة الخراطين، فتوفي هو في أول النهار، وابنه في آخره. وكان مبدأ هذا الطاعون أول الخريف، في أواخر الصيف، واستمر حتى دخل الشتاء وزاد كثيرا، وقد قيل بدخول السنة الجديدة يذهب.

وفي أوائل ذي الحجة، طلع نجم له ذنب، من جهة الغرب، ويستمر إلى ما بعد الشتاء بقليل واستقام إلى أن دخلت السنة الجديدة.

سنة ١١٥٧

وكان دخولها غرة محرم الحرام يوم السبت سنة سبع وخمسين ومئة وألف، ١١٥٧ فبقي النجم الذي له ذنب يطلع من جهة الغرب، ثم صار يطلع من جهة الشرق، وذنبه إلى الغرب.." (١)

"وفي تلك الأيام قتل نفسه شيخ التكية. وفي تلك السنة كثرت بنات الخطا، ويتبهرجن بالليل والنهار، فخرج ليلة قاضي الشام بعد العصر إلى الصالحية، فصادف امرأة من بنات الخطا، تسمى سلمون، وهي تعربد في الطريق، وهي سكرى ومكشوفة الوجه، وبيدها سكين. فصاح جماعة القاضي عليها، أن ميلي عن الطريق، هذا القاضي مقبل، فضحكت وصاحت وهجمت على القاضي بالسكين، فأبعدوها كذا عنه أعوانه.

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/١٢

ثم جمع القاضي الوالي والمتسلم، وذكر له ما وقع له مع هذه العاهرة، فقالوا له هذه من بنات الخطا واسمها سلمون، وافتتن بها غالب الناس، حتى صار ينسب إليها كل حاجة أو متاع، فيقولون هذا متاع سلموني، وهذا الثوب سلموني. فأخرج المفتي فتوى بقتلها، وإهدار دمها تسكينا للفتنة، ففتشوا عليها وقتلوها. وأرسلوا مناديا ينادي في البلد، أن كل من رأى بنتا من بنات الخطا والهوى، فليقتلها ودمها مهدور، فسافر عدد منهن وانزوى البقية. ومع ذلك فالطاعون مخيم في الشام وضواحيها، **مع الغلاء ووقوف** الأسعار.

وفي نهار الأربعاء تاسع عشر محرم من هذه السنة، ورد من الدولة العلية خط شريف إلى القبجي، الذي جاء لضبط مال سليمان باشا، بأن يجمع أعيان البلد ويقرأ عليهم الفرمان، ومضمونه بأن يفتش ويفحص على خلفات الباشا المذكور، وأن يعذب الرجال والنساء بلا معارض حتى يقروا بالمال. فأجابوا بالسمع والطاعة، فأول من أتى به، ابن عم الباشا السيد محمد وهدده، فحلف بالطلاق، بأن ما عنده علم وقيل ضربه، فأقر على مكان، وقال احفروا هنا، فحفروا في دار الباشا حول الوجاق. فبان عن أربع زلع ذهب، فيهم ستة عشر ألف ذهب. ثم ضربوا الطواشي، فأقر بأنه مودع عند رجل يقال له حسن الطرابلسي، مخلاة ملآنة ريالات. فسارت إليه الأعيان، وأتوا به وبالمال، فأخرجوه فوجدوا داخل المخلاة بين المال جوهرة ليس لها قيمة، ورأوا المال ناقصا عن ما قال الطواشي، فأمر القبجي بحبس الذي خرج من عنده المال، وحبس أولاده ومن يلوذ به. وأمر بحضور نساء الباشا وحريمه، وقد ذكرنا أولا أنه أخرجهم كذا من الدار عنفا وتركهم تحت الترسيم، والآن أمر بإحضارهم فأحضروهم وصار يقررهم فأنكروا وجحدوا، فأمر بحبسهم، فحبسوا في باب البريد وشدد عليهم. وكان لسليمان باشا سرية مقدمة على جميع محاظيه تسمى زهرا، كأنها البدر في أفق السماء، وكان قد تركها القبجي عند سليمان بيك وكيل سليمان باشا على أملاكه تحت الترسيم. فلما جاءه الفرمان بعقوبة الرجال والنساء أمر بإحضارها، وسألها عن المال، فأنكرت وادعت أنها ما رأت شيئا ولم تعرف شيئا، فأمر بضربها، فضربت على وجهها ويديها وأجنابها، حتى عدمت صوابها فلم تقر بشيء، وهي تحلف أن ليس لها علم ولا خير ولا أطلعها سيدها سليمان باشا على أمر، فتركها تحت الترسيم، لأنه جبار لئيم وشيطان رجيم ليس له شفقة على الحريم، عذبه الله بنار الجحيم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ثم بعد ذلك جمع القبجي جميع حريم الباشا الجوار والأحرار جملة واحدة، وأخذ جميع ما معهم كذا وما عندهم من ذهب وفضة ومتاع وحلي وألبسة وجميع ما تقتنيه النساء، وذلك بعد العذاب والإهانة والضرب الشديد. قاتله الله بجلود لا دباغ لها وعذبه بنار الخلود.

ثم إن سليمان باشا كانت له زوجة هي بنت الشيخ ياسين القادري، لما رأت ما حل بصحيباتها من الإهانة

سألها القبجي عن مال زوجها الباشا، وهددها بالعذاب، فخافت وأعطت له شكلا من الذهب يساوي عشرة أكياس، وأعطته تمسكات، وهي سندات كانت على بعض التجار بنحو مئة وخمسين كيسا. وكان جميع ذلك المال إرثا عن أبيها الشيخ ياسين القادري، رحمه الله وقدس سره.

وكل هذا الحال وأسعد باشا العظم في الحج. ولما جاء أسعد باشا من الحج عمل ديوانا، وحضر القبجي وأخرج خطا شريفا بأن أمره مفوض يفعل ما يشاء من تعذيب وقتل وحبس، ولا أحد يعترضه. وقد ظن الناس أن أسعد باشا يقوم ويقعد لذلك، فخرج الأمر بخلاف ذلك، وقام ولم يحرك ساكنا. وسيأتي قريبا أخذ ثأر سليمان من فتحي أفندي الدفتردار.

ثم بعد مدة جاء فرمان بالعفو نامه، وجمعوا محمد آغا بن الديري والسيد محمد بن عم سليمان باشا والسيد سليمان، فباعوا القمح والأملاك وما بقي من الأمتعة والزردخانة إلى أسعد باشا بأربع مئة كيس.." (١)

"ثم في هذه الأوقات زاد غلو الأسعار وقلت الأمطار وعظمت أمور السفهة والأشرار، حتى صار رطل الجبن بنصف قرش والبيضة بمصرية وأوقية السيرج بنصف الثلث، ومد الشعير بنصف قرش، ومد الحمص بنصف قرش، ومد العدس بنصف قرش، وغرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا، بعدما كانت بخمسة وعشرين غرشا، وأوقية الطحينة بأربعة مصاري، والدبس كل ثلاثة أرطال بقرش، ورطل العسل بقرش وربع، وكل شيء نهض ثمنه فوق العادة، حتى صار مد الملح بنصف قرش.

وفي تلك الأيام هلك مصطفى آغا ابن القباني كيخية الإنكشارية بمرض أعيا الأطباء برؤه، وكان من الذين يدخرون القوت **ويتمنون الغلاء لخلق** الله، فجعل الله العذاب والعقاب، لقد بلغني عنه أنه لما أرادوا دفنه حفروا له قبرا فوجدوا فيه ثعبانا عظيما، فحفروا غيره فوجدوا كذلك، حتى حفروا عدة قبور وهم يجدون الثعبان، قلت: وقد سبق ذلك فيما سلف لبعض الظلمة. وقد وجدوا في تركته من السمسم مئة غرارة، على أن في البلد كلها لم يوجد مد سمسم، ووجدوا من القمح شيئا كثيرا، وقد طلب منه أن يبيع غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا فلم يقل، وحلف لا يبيعها إلا بخمسين، فهلك ولم يبع شيئا، فبيعت في تركته، ورحم الله عباده بموته لأنه أرحم الراحمين.

سنة ١١٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئة ألف، وكان أولها يوم الأحد. وقد دخل قاضيها مصطفى أفندي وقدامه

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/١٣

أعوانه حاملين البندق والسلاح، حتى وصل إلى المحكمة، وهذا لم يقع لغيره، ثم جلس في المحكمة لا يحرك ساكنا، وفقه الله.

وكان الحاكم في الشام والوالي بها حضرة الوزير الخطير أسعد باشا ابن العظم أيده الله وأعز كلمته. وكان غائبا في الحاج، والمتسلم والكيخية موسى. **ولكن الغلاء قائم** على قدم وساق مع الكرب والخوف والشقاق.

وفي ثالث صفر دخل الحاج دمشق نهار الخميس صحبه أميره المعظم والوزير المفخم حضرة الحاج أسعد باشا العظم، فهو والحجاج على غاية من الصحة والسلامة. ثم بعد ذلك أرسل يطلب الدالاتية طلبا حثيثا، فلما رأت الإنكشارية ذلك ضاقت عليهم الأرض، وقالوا كأقوالهم السابقة في قلة أدبهم: الست سعدية تريد أن تغدر بنا، وهذا الأمر لا يخوفنا. ثم زادوا بحمل السلاح ونهب المال وسبي العرض وسب الدين، وغير ذلك من الفظائع. ولما زادوا عتوا وفتكا، ولم يراقبوا حضرة الحق جل جلاله، أرسا الله تعالى من غضبه ريحا شديدة على الشام ما رؤي مثلها في سالف الأيام، فقلعت الأشجار من أصولها وأرمت غالب الجدران، حتى ظنت الناس أن القيامة قد قامت.." (١)

"وفي آخر ربيع الثاني أرسل حضرة أسعد باشا العظم عسكرا عظيما إلى مدينة بعلبك، لقتل واليها الأمير حسين، فلم يجدوا له أثرا، فدخلت الأعوان ونهبوا وسلبوا وفعلوا ما فعلوا، ثم أتوا بثمانية رجال من أعيان بعلبك، ومن جملتهم مفتيها لدمشق الشام، فشنق مفتيها المذكور وضربت أعناق الباقين.

وفي تلك الأيام أرسل حضرة أسعد باشا جملة من العساكر إلى العرب، فجاؤوا برؤوس من العرب وجمال وأغنام وسلب وغير ذلك. وقد أرهب حضرة أسعد باشا المذكور الكبار والصغار، وعظم صيته حتى في البراري والقفار، وصاروا يضيفون لاسمه الحاج، ويقولون: الحاج أسعد باشا.

وفي هذه الأيام جاء من الدولة العلية قبجي ومعه من حضرة السلطان هدية ملوكية لحضرة الحاج أسعد باشا وهي كرك عظيم مفتخر وسيف ملوكي وخلع وتشاريف. وذلك لم يسبق لغيره من الوزراء والحكام، إلا إلى الوزير الأعظم صاحب الختم، إذا كان في سفر حرب وصار على يده فتوح بلدان، فسبحان المعطي المانح.

وكانت الدولة منذ أمد غير بعيد قد رفعت أرط القبوقول من الشام، ولم تر لفات برمة. فأرسل حضرة أسعد باشا حفظه الله يطلب من الدولة أرطا، فأرسلوا له أرطة أون طقوز، ودخلت بموكب عظيم، سرت أناسا

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/١٥

وأكمدت أناسا.

وأرادت بعض الأشقياء أن تقيم رؤسها، فأخبروا حضرة الباشا بذلك، فأرسل يقول للآغا: كل من أدخله من أولاد الشام من غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك. فانتظم الحال، وقويت دولة القبو قول في دمشق الشام، وبرموا اللفات، ورجعت دولتهم أحسن مما كانت.

وفي جمادى الأولى من هذه السنة وصل الجراد للشام، وكان حولها سنين مخيم، فنزل على بساتينها، فأكل حتى لم يبق ولم يذر، فأرسل حضرة الباشا رجلين من أهل الخبرة يأتونه بماء السمرمر. ثم إن هذه السنة كانت كثيرة الأمطار والخيرات والفواكه والنبات. ومع ذلك فأهل الشام في شدة عظيمة من الغلاء، ونهض الأسعار في جميع البضائع. وكان حضرة أسعد باشا حفظه الله عمل ديوانا، وأرسل خلف بائعي القمح، وطلب منهم إحضار القمح وهددهم، فحلفوا له بأن ما عندهم شيء ولا يوجد. فقال لهم أنا عندي قمح كثير في حماة، فاطلبوه فأرسلوا يطلبون جميع ما يوجد من القمح خاصة حضرة الباشا وغيره، فجاءهم من حماه أحمال قمح بغير حساب، وباعوه في الشام على السعر الواقع. ومع ذلك فرطل الخبز بخمسة مصاري، وقد طالت هذه الشدة.

وفي نهار الأحد بعد العصر خامس عشر جمادى الثانية من هذه السنة ضربت مدافع، فسألت الناس عن الخبر، فقيل: إن سعد الدين باشا أخا أسعد باشا جاءته رتبة وزارة، وجاءه طوخ. فهرعت أكابر الشام لأجل تهنئة أخيه أسعد باشا. وكان أسبقهم لتهنئة الباشا فتحي أفندي دفتر دار الشام، فلما رآه الباشا قام ودخل لدهليز الخزنة، فتبعه وجلس عنده، فأخرج أسعد باشا صورة عرض وأراه إياه، فأخذه فتحي أفندي وقرأه، وإذا فيه الأمر بقتله. وقال له حضرة الباشا ما تقول في هذا. فقال سمعا وطاعة. لكن أنا في جيرتك فخذ من المال ما أردت وأطلقني، فقال له الباشا: ويلك يا خائن، أنا لم أنس ما فعلت في نساء عمي. ثم أمر برفع شاشه وقطع رأسه، فوضع في رقبته حبل، وسحب إلى خارج السرايا وقطع رأسه، وأرسل للدولة. ثم أمر الباشا أن تطاف بجثته في سائر شوارع الشام وطرقها وأزقتها ثلاثة أيام، ففعل به ذلك، وطيف به عريانا مكشوف البدن وتركوه للكلاب، ثم دفنت جثته في تربة الشيخ رسلان، وأمر الباشا بالإحاطة على داره وعلى ماله والقبض على أعوانه، فألقوا القبض على خزنداره عثمان وعلى ولده فأمر بحبسهما، ثم أتوا بأكبر أعوانه وكان يلقب بالعفصا فقطع رأسه حالا. وزادوا على أعوانه بالتفتيش، فقتل بعض أعوانه وخدامه، ثم

ضبط الوزير تركته وأموال أتباعه جميعا للدولة العلية، فبلغت شيئا كثيرا، وتفرق الباقون أيدي سبا، كأن لم يكونوا وانقضت دولة كأنها طيف خيال.." (١)

"وفي نهار الجمعة في الثاني والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة قدم محمد آغا بن فروخ بمنصب دفترية الشام، مكان فتحي أفندي الفلاقنسي، وأقام في داره المشهورة بهم.

وفي خلال هذه الأيام زاد الهم على الناس واشتد بهم وقوف الحال مع شدة الغلاء، والخبز بستة مصاري كما قدمنا، حتى صار رأس الكرنب الذي قدر النارنجة بمصريتين، والباقي على هذا المنوال فالأمر لله الملك المتعال.

وفي خلال هذه الأيام من هذه السنة جاء مقرر طرابلس الشام إلى حضرة سعد الدين باشا، وكان مع أخيه في الدورة، فرجع مع أخيه إلى دمشق، وأقام قليلا، وسار طالبا منصبه، وفقه الله.

وفي هذه السنة كان ثبوت رمضان ليلة الاثنين، والعيد الأربعاء والصوم تمام.

وفي نهار الجمعة بعد الصلاة في سبعة شوال من هذه السنة خرج حضرة والي الشام وأمير الحاج أسعد باشا العظم قاصدا الحج الشريف، والحاج خرج يوم عشرين. ولما سافر حضرة الباشا ترك المتسلم بها وهو موسى كخية مكانه في الشام. فجاءه الخبر بأن الزرباوات وهم الأشقياء المطرودون مرادهم بأن يأتوا إلى الشام على حين غفلة من أهله، ويقتلوا جماعة من الذين تسببوا في طردهم، فاضطرب المتسلم المذكور، وأرسل استجلب عبد الله الترك آغة الدالاتية المطرود وقوى شوكته وكثر جماعته. وصار محمود آغا آغة الدالاتية التفكجية يدور ويطوف ليلا خارج دمشق، والدالاتية تحوم حول البلد، وقد أقلقوا الخلق وزاد النكد، ولا زال هذا الحال مدة غيبة الباشا والحاج.

سنة ١١٦٠

ثم دخلت سنة ستين ومئة وألف، وكان غرة محرمها نهار الخميس، وفي نهار الاثنين خامس محرم الحرام من هذه السنة الموافق لأول كانون الثاني زادت المياه بسبب سيل عظيم، ودخوله للشام كان نصف الليل، فحصل طوفان لم يسمع له نظير من قديم الزمان، هجم الماء من نصف الليل إلى الشام، وأغرق جميع ما كان في طريقه من الدكاكين، وأتلف أموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى، حتى صار المرجة كالبحر، ومع ذلك الماء يخطف الطير، وله خرير ودوي وهدير. وقد غطت هذه الزيادة حجر تاريخ القلعة، ومرت في الأسواق والدور وأخرجت شيئا غير محصور، وقد صارت تحت القلعة وفي المناخ بالارتفاع طول قامة

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/١٧

الإنسان.

قال المؤرخ البديري: وقد دخلت إلى قهوة المناخلية بعد انصراف الماء فوجدت الماء في أعلى مساطبها أعلى من ذراع، وقد شاب من هولها الكبير والصغير. وقد غرق بها أناس غير محصورين، مع ما أتلف من البهائم والأموال وقد أضرت بجميع ما مرت عليه وانهدمت أماكن كثيرة لا تحصى وتركتها بلاقع. نسأله تعالى اللطف في المقدور آمين.

وفي خامس صفر كان قدوم الحاج الشريف، وقد أخبرت الحجاج بأن هذه السنة من أجمل السنين وأحسنها، وجميعهم شاكرون وداعون لحضرة أسعد باشا بالدوام، من كثرة ما حصل لهم في الطريق من الراحة والخير والإنعام من حضرة الباشا لعموم الحجاج، فجزاه الله أحسن الجزاء آمين.

وقدم مع أسعد باشا من الحجاز في هذه السنة باكير شاه والي جدة، وأقام في دار فتحي أفندي المتقدم نحو شهرين في الشام، ثم سار قاصدا حماه، ولم يعلم ما سبب مجيئه. وعاد أيضا مع الركب الشامي شيخ الإسلام وأقام مدة في الشام، وسار طالبا إسلامبول. وكان رجلا كبير السن وقورا، ما حرك ساكنا في الشام مدة إقامته.

وبعد قدوم الحج خزنة مصر إلى الشام، وقد تأخرت عن ميعادها. وقد شدد الطلب حضرة أسعد باشا بعد مجيئه من الحج على الزرب الأشقياء، فقبضوا على أمين ابن الحديد وعلى عبده بن حمزة عنبر، فأمر بقتلهما فقتلا شر قتلة. وقد زادت الدالاتية الاعتداء والجور، وخربوا البلاد والقرى، فكثرت الشكاية منهم إلى والي الشام أسعد باشا، فكتب للدولة عليهم في شأنهم، فجاءه مرسوم بإبادتهم، فأمر مناديا أن ينادي كل من أقام من الدالاتية في الشام أكثر من ثلاثة أيام من أهل الفساد والعناد فدمه مهدور، ثم بعد أيام ظهرت الدالاتية ولم تتم القضية والحكم لله عالم الخفية.." (١)

"وفي يوم الأربعاء جاء خبر بأن عرب عنزة نهبت عرب الرشا، وأن الأكراد الذين كانوا مع عرب عنزة أخذوا جميع ما نهبوه وسلبوه من مال وجمال وغنم ونساء. وكانت الغنم كثيرة لا يحصي عددها إلا الله، وأن الواقعة كانت مهولة، وأنه قتل من الفريقين خلق كثير. والمساعد للعرب حضرة أسعد باشا على ما قيل. فجاؤوا بالأغنام إلى الشام. وقد كان أهل الشام في غلاء اللحم وأكل الذرة والشعير لهم سنين، فبيع رطل اللحم في هذه السنة بسبعة مصاري وثمانية إلى العشرة، مع علم الناس أنه سلب حرام، فمنهم من ترك أكله وهم أقل من القليل، والباقي وهم عموم الناس لم يبالوا. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٢٠

قال المؤرخ البديري رحمه الله: وكان الجراد مفرزا من العام الماضي في الشام وأراضيها، فلما جاء الربيع صار يظهر شيئا فشيئا إلى أن ظهر مظهرا شنيعا، وبدأ يزحف مثل النمل والذر، فبدأ يأكل الزرع ويتلف النبات، فوقعت الناس في كرب عظيم. فنبه حضرة أسعد باشا حفظه الله على الفلاحين عموما بأن تجمعه وتأتي به. وقد فرض على الأراضي الخمس كل أرض قنطارين، وكذلك القرى والضياع، كل ضيعة شيئا معلوما يجمعونه. فجيء به أحمالا وأمر به أن يدفن، فدفن منه بعض في مغارة عند مقبرة البرامكة وردم عليه، ثم صاروا يحفرون حفاير في قبور النصارى واليهود ويضعونه فيها. ثم لم يزل يكثر وينتشر، فأمر حضرة أسعد باشا أثابه الله بأن تعاد الفريضة على كل قرية من قرى دمشق، مئتا قنطار، وأن من لم يأت بالمطلوب فعليه جزاء كذا، وأمر أيضا حفظه الله بعض المأمورين أن تضبط عليهم، وأن يضعوه في جبل الصالحية في آبار ومغاير.

قال المؤرخ البديري: وبلغني أنه في ثلاثة أيام وضعوا في الصالحية ألف وسبع مئة قنطار من الجراد، عدا ما وضع في المغاير والآبار في غير الصالحية.

وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الثاني من هذه السنة جاء خبر إلى دمشق بأن الطير المسمى بالسمرمر قد جاء ومر على قرية عدرا وضمير، وأتلف من الجراد شيئا كثيرا، ففرحت أهل البلاد سيما أهل الشام. فخرجت أهل الصالحية ومعهم المشايخ والتغالبة والنساء والرجال والأطفال بالبكاء والعويل والتضرع إلى الله تعالى بدفع هذا البلاء ورفع الغلاء، ثم زينت أهل دمشق فرحا بوصول السمرمر أحسن زينة.

وفي هذه الأيام شاع خبر بدمشق بأن في الشام امرأة يقال لها السماوية تمسك الأولاد بالاحتيال والرجال أيضا، لأجل أن تخرج السم منهم، فخافت الناس وكثر الفزع، وصارت الناس توصي بهم بعضا منها. وبعد مدة أيام وقعت ضجة بين الناس، فقيل ما الخبر، قالوا: قبضوا على السماوية، وإذا هي امرأة عجوز قبضت عليها العامة، وخلفها الأولاد والرجال كالجراد، وهم يضربونها ضربا وجيعا، وذهبوا بها لعند القاضي، فسألها عن حالها ومن أين أتت. فقالت: والله يا سيدي أنا امرأة فقيرة الحال ولي أولاد وعيال، وهذا القول عني زور وبهتان. قال: فأمر القاضي بتفتيشها وتفتيش بيتها، ففتشوها فإذا معها لعب يلعب بها الأولاد والأطفال، وفي جيبتها طواقي كبار وصغار، ثم ذهبوا وفتشوا بيتها، فلم يجدوا فيه غير متاع عتيق وقطعة من الحصير، ثم شهد جيرانها بأنها امرأة فقيرة الحال، ولها زمان قاطنة في هذا المكان، ولم نعلم لها سوء حال، ثم أطلقوها فذهبت لحال سبيلها.." (١)

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٢١

"وفي يوم الاثنين سابع شعبان من هذه السنة أمر حضرة أسعد باشا الدالاتية والأطلية بأن تركب وتغير على أرض البقاع ومن فيها من الدروز، فيقتلوا ويأسروا وينهبوا ويفعلوا ما أرادوا. ثم بلغني أنهم أغاروا على جماعة من الدروز وهم على حين غفلة، فقتلوا منهم ومن مشايخهم، وقبضوا على الباقين منهم، ونهبوا الأموال والدواب والغنم والنساء والأولاد، وجاءوا برؤوسهم إلى دمشق. فكان يوم مجيئهم يوما تقشعر منه الجلود مع الجلال. فنسأله تعالى أن يصلح الأحوال، ويرحم أهل الشام ويرخص لهم الأسعار.

وفي يوم الخميس عاشر شعبان عمل الشيخ إبراهيم الجباوي متولي جامع الأموي فرح عرس إلى ابن ابنه، وأمر أن تزين الأسواق بالقناديل والشمع، وأمر أن تشعل منائر الجامع الأموي فشعلت وهذا شيء ما سمعناه أنه سبق لغيره.

وفي ليلة السبت مات الشيخ الولي معتقد أهل الشام الشيخ عمران بن الشيخ إبراهيم إمام داء السعادة. كان رحمه الله من أرباب الأحوال، وكان له ستة أصابع في يده اليمنى، وكان يكتب خطا حسنا بيده اليسرى ويقلد كل خط، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن. ودفن بباب الصغير بجوار سيدنا بلال رضي الله عنه.

وفي هذا العام جاءنا الخبر بوفاة أحمد باشا بن حسن باشا والي بغداد وقيل إن سبب موته أن الدولة أرسلت له فروة مسمومة فلبسها فدب السم في بدنه، فمات رحمه الله. كان رحمه الله شجاعا مقداما مدبرا للأمور أطاعته العباد ودانت له البلاد، وقد دفع عن بغداد كل جبار، ولقد قصده طهماسب الخارجي ومعه عسكر جرار، وحاصر بغداد أشهرا فلم يقدر على فتحها فرجع ذليلا صاغرا، وطلب بلاد الهند والتتر، فسلط عليه ولده فقتله ودمره، وتولى ولده مكانه، ولم يخرج على الدولة وكان اسمه دبوس. ولما توفي أحمد باشا والي بغداد أرسلت الدولة إلى بغداد واليا كور محمد باشا، وكان صدرا أسبق، فلما استقر ببغداد، طلبت منه الإنكشارية العلايف أي المعاشات. فقال لهم: علايفكم عندي. قالوا: لا، فقد كان أحمد باشا الذي كان قبلك يعطينا إياها من ماله، ولما تأتي له من الدولة يأخذها. قال لهم: أنا لا أفعل. قالوا: لا بد من ذلك وشددوا عليه بالكلام، وكانوا مثل البحر الزخار. فقال: إن كان ولا بد من ذلك فأرسلوا إلي من أكابركم من كل بلد ثلاثة رجال، حتى يستلموا المال ففعلوا، ولما حصلوا عنده أمر بقتلهم ورمي جثثهم. فلما رأوا إلى ذلك أسرعوا إلى القلعة ورموا عليها بالمدافع والبارود، حتى هدموا سرايته، وقتلوا آغة جماعته. فخرج الباشا من سرداب تحت الأرض ينفذ من خارج البلد وفر هاربا إلى بلاد العجم. ثم كاتبت أهل بغداد إلى الدولة العلية بأن يرسلوا واليا لبغداد عليهم سموه لها، كان عند مخدومه أحمد باشا المتقدم، وكان فيه

استعداد تام، فأرسلوه لهم وقد رضوا به.
وفي سابع وعشرين من شعبان قدم أسعد باشا من الدورة، وكان دخوله قبيل المغرب، وجاءت معه مغاربة كثيرة.
وفي هذه السنة صار ثبوت رمضان الأربعاء، وضربت المدافع ليلتها في الساعة الخامسة، وبعض الأئمة صلى التراويح تلك الليلة. وقد صارت غرارة القمح بعشرين قرشا، والله يعيننا على هذا الغلاء، الذي هو رطل الخبز بخمسة مصاري، والأرز بإحدى عشرة مصرية، والباذنجان بأربع مصاري.
وفي ثامن رمضان جاء من اصطنبول شيخ الإسلام يقصد الحج إلى بيت الله الحرام، وخرجت لملاقاته أعيان الشام، ومكث اثنا عشر يوما، وتوفي لرحمة الله تعالى وصار قبره بالشام، ودفن بباب الصغير قبلي سيدنا بلال رضي الله عنه.
وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان نبه أسعد باشا بأن يكون الريال بقرشين إلا ثلث، وكان أولا بقرش ونصف وأربع مصاري، وكان عيد الفطر في هذه السنة نهار الجمعة.
وفي يوم السبت سادس عشر شوال خرج المحمل الشريف صحبة أمير الحاج أسعد باشا العظم حفظه الله، وأقام نائبا عنه بدمشق متسلما موسى كيخية المتقدم ذكره. وقد جاء خط شريف بعد خروج الباشا إلى الحج بإخراج أولاد الدروز من القلعة، فأخرجهم المتسلم، وصار في الجبل فرح عظيم. ولو كان أسعد باشا في الشام لما أخرجهم، لأنه طالما جاءته أوامر بإخراجهم فلم يخرجهم. وفي هذه السنة المطر قليل والغلاء كثير، وكان غالب قوت أهل الشام خبز الذرة والشعير، والفقراء مالهم من دون الله معين ولا نصير.
سنة ١١٦١." (١)

"وفي هذه الوقعة توفي الولي المجذوب الشيخ إبراهيم الملقب بالكيكي وكان رجلا مباركا، وأبوه رجل من الصلحاء من محلة القبيبات. وكان في غالب أوقاته يدق على يديه ويميل إلى ورائه وإلى قدامه، وينادي بأعلى صوته: ولك كيكي يا غواص، وتارة يبكي ويقول: بدي امرأة حتى..، ويقول له الناس: أي شيء لك في المرأة؟ فقال: المرأة خبزة، وله وقائع وكرامات. ومن كراماته التي نقلوها عنه واشتهرت أنه رأى يوما من الأيام رجلا يبيع علب لبن، فصاح على صاحب اللبن وقال بدي علبة، وصار يبكي ويدق بيديه، فاجتمعت الناس وأخرجوا له علبة، فقال الشيخ وهو يبكي لا أريد إلا هذه، وأشار إلى واحدة من علب اللبن، فأخرجوها له، فأخذها بيده وأفرغها على الأرض، وإذا قد نزل منها حية، فتركها وذهب، وله كرامات غيرها كثيرة.

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٢٥

وسبب موته أنه أصابه قواس في رجله، فصار يبكي وينادي يا أبي يا غواص، قرصتني زلقطة، ومات بعد أيام، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة أرسل موسى كيخية متسلم دمشق الشام بيرقين دالاتية ومعهم بعض من جماعتهم، فجاؤوا له بإسماعيل آغا ابن الشاويش بالجنزير، وكان مقيما في بعض القرى صوباصيا، ورفعه إلى القلعة، وكذلك جاؤوا له بأخيه سليمان آغا ابن الحملي وبأحمد آغا ابن عساكر فأوقفوهم، وذكر للمتسلم أنهم كانوا مساعدين للدروز والزرب.

وفي يوم السبت كانت وقفة عيد الأضحى في دمشق الشام، ذلك العام. وقد كانت سنة كثيرة الأهوال والآلام. فقد صار فيها جدري كثير حتى أفنى وأمات أولادا كثيرة فسبحان الباقي بعد فناء.

سنة ١١٦٢

ثم دخلت سنة اثنين وستين ومئة بعد الألف، وكانت غرة محرمها يوم السبت. والمرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون سنة مباركة علينا وعلى جميع إخواننا المسلمين. والآن الناس في شدة وحصر زائد من **كثرة الغلاء والشدائد**. ولكن استبشرت الناس بالخير بكثرة الأمطار التي هطلت بأول هذا العام. وقد عمل لهذه السنة تاريخا حسنا وفألا مستحسنا أديب الشام الشيخ عبد الرحمن، وأدرجه ضمن هذين البيتين. فقال:

عام جديد نرتجي من ربنا ... فيه مزيد الخير والنعماء

فعساه يغنينا بواسع فضله ... إذ عمنا أرخت عام غناء

وفي يوم الاثنين ثاني محرم هذه السنة توفي شيخنا محدث الديار الشامية، بل خاتمة المحدثين، من افتخرت به دمشق على سائر الدنيا الشيخ إسماعيل العجلوني المدرس تحت قبة النسر بجامع بني أمية، ولم يبق أحد من أهل الشام من كبير وصغير إلا حضر جنازته. ودفن بتربة الشيخ أرسلان، رضي الله عنه. وعوض الإسلام خيرا.

وفي تلك الأيام توفي إبراهيم آغا آغة القبقول المنفصل عن منصبه أشهرا، وكان دينا متواضعا ملازما لصلاة الجماعة في الجامع الأموي رحمه الله تعالى.

وفي السابع والعشرين من المحرم أقبل جوقدار الحج، وبعد ثلاثة أيام جاء كتاب الحج. وفي ليلة الخميس دخل الحج الشريف خامس يوم من صفر الخير.

وفي ليلة الجمعة توفي الشاب اللطيف ذو القدر المنيف والأصل الشريف سلاسة السادة السعدية والبضعة

الصديقية الشيخ بكري بن الشيخ مصطفى بن سعد الدين، لأن أباه من بيت سعد الدين، وأمه من بيت البكري، رحمه الله وعوضه الجنة آمين.." (١)

"وفي أوائل شهر صفر وقع بيت في حارة العقيبة على جماعة قتل منهم سبعة، ونجا رجل وزوجته، واسمه سعيد بن الشاكوش، وفي عاشر ربيع الأول صار برد شديد مؤلم، وصار يباع الفحم على الفروش، يحملونه على رؤوسهم، كل رطل بخمسة مصاري، ويدوروا به في الأسواق والحارات، وكان ذلك قبل دخول الحسوم بأيام، واستمر إلى أن دخلت الحسوم. وفي سابع عشر ربيع الأول قدم جوقدارية من إصطنبول ودخلوا على أمير الحاج ووالي الشام الحاج أسعد باشا العظم، وأظهر أنه جاءته بشارة من الجناب العالي، فأمر بعمل أعمال نارية التي تسمى شنك. فتراكضت القبقول والعسكر لنحو السرايا، فظنت أهل دمشق أن حادثة وقعت، فسكرت البلد، فأخبروا الباشا بذلك، فقال: اضربوا مدافعا واعملوا شنكا آخر. ففعلوا، فهدأت الناس، وفتحت دكاكينهم. وفي تلك الأيام سكر بعض الأتراك من القبقول وجرح ثلاثة أشخاص من أهل البلد، وبعد أيام ماتوا من أثر جراحاتهم، ولم تقام لهم دعوة. وقد **كثر الغلاء وزاد** البلاء، فالخبز رطله بست مصاري وهو الدون، والوسط بثمانية مصاري، والمليح باثنا عشر مصرية. وأوقية السمن بسبع مصاري، وأوقية الزيت بمصريتين، واللحم رطله بست وثلاثين مصرية. وبنات الهوى دائرات بالليل والنهار. والناس في كرب عظيم.

وفي شهر ربيع الأول وصل خبر لدمشق بأنه صار في طرابلس الشام غرقة أعظم من التي صارت بدمشق المتقدم ذكرها. وذلك بأن نهر طرابلس زاد كثيرا وطاف على أهلها حتى أغرق أكثر من خمس مئة إنسان، ماعدا الدواب والأنعام والأموال. نعوذ بالله من غضب الجبار. وفي تلك الأيام أغارت أعوان الظاهر عمر شيخ طبرية على جمال سائرة من الشام، ونهبوا أهلها وأخذوا مالها. وسبب ذلك أن في بلاده وأرضه عرب وتركمان، وكان قد أمر أسعد باشا أن يغيروا عليهم، فغاروا عليهم ونهبوهم، وأخذوا مالهم وأغنامهم، وقتلوا منهم جماعة، فأتوا بأغنامهم، ففرقها الباشا على القرى ولحامة الشام، والذي كان يساوي قرش طرحه غصبا بخمسة قروش وهكذا. وفي هذا الشهر صار رطل الخبز من ثمانية مصاري إلى اثني عشر مصرية، والمعروك بسبعة عشر مصرية، ورطل الثوم بأربعة وعشرين مصرية، وغرارة القمح باثنين وخمسين غرشا، وغرارة الذرة بثمانية وأربعين، والبيض كل اثنتين بمصرية، ورطل الأرز بخمسة عشر مصرية، ورطل الفحم بستة مصاري. وكل شيء زاد عن حده، والحكم لله في عبده.

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٣٠

وفي شهر ربيع الثاني قتل أسعد باشا ثلاثة أنفار من المتاولة وقتل البطحيش من جماعة الزرب الأشقياء الفارين أيام الوقعة.

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الثانية من هذه السنة دخل قاضي الشام السيد محمد أفندي بشمقجي زاده.

قال المؤرخ البديري: وبلغني أن حامد أفندي بن العمادي مفتي الشام كان قد خزن القمح مثل الأكابر والأعيان الذين لا يخافون الرحيم الرحمن، وأن الكيالة جاؤوا إليه وقالوا: نبيع الحنطة كل غرارة بخمسين قرشا، فقال لهم: مهلا فلعل الثمن يزيد. فإذا كان مفتي المسلمين ما عنده شفقة على خلق الله فلا تعتب على غيره.

وفي هذه الأيام عملوا ديوان، وأخبروا أسعد باشا بكثرة المنكرات واجتماع النساء بنات الهوى في الأزقة والأسواق، وأنهم ينامون على الدكاكين وفي الأفران والقهاوي. وقال: دعنا نعمل لهم طريقا إما بترحيلهم أو بوضعهم بمكان لا يتجاوزونه، أو نتبصر في أمرهم. فقال: إني لا أفعل شيئا من هذه الأحوال، ولا أدعهم يدعون علي في الليل والنهار، ثم انفض المجلس، ولم يحصل من اجتماعهم فائدة.

وفي تلك الأيام **زاد الغلاء في** بلاد الشام، فبلغنا أن رطل الخبز في طرابلس بعشرة مصاري، وفي غزة والرملة بخمسة وعشرين مصرية، وفي الشام ليس واقف على سعر، وقد **زاد الغلاء والبلاء** والقهر.

قال المؤرخ البديري: وفي هذه الأيام اشترى أسعد باشا والي دمشق الشام أملاكا كثيرة من دور وبساتين وطواحين وغير ذلك، وهذا قبل بنائه لداره وقيساريته. وفي ثامن جمادى الثانية من هذه السنة نزل الشعير الجديد، فباعوا خبز شعير رطله بأربع مصاري، والأبيض بستة. ثم ثاني يوم خرج المنادي بأن يباع الخبز الحنطة بأربع مصاري والأبيض بستة مصاري. ولم تحصل للفقراء نتيجة، فكل يوم بسعر جديد، والله يفعل ما يريد.

وفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى توفي العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدالاتي رحمه الله.." (١)

"وبعد رحيل الباشا نادى المتسلم على الفلوس الرملية كل إحدى وعشرين فلسا بمصرية، وأطلق البغدادي الذي اتهم بقتل القرا مصطفى الكردي، وكانوا قد رفعوه للقلعة، وبعد إطلاقه بأيام سكر وعربد وضرب حمارين فقتلهما، فاختبطت البلدة، وأرسل المتسلم في طلبه، فهرب ولم يظهر له أثر، ولا وقفوا له على خبر، فقبضوا على مملوك له فخنقوه.

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٣١

وقبل خروج حضرة أسعد باشا إلى الحاج الشريف بثلاثة أيام انتهت عمارة دار الباشا، التي هي للحريم، وفرشت بأحسن المفروشات، ونقل حرمه إليها.

وفي تلك الأيام حصلت وقعة عظيمة بين الدروز والمتاولة، ومع المتاولة أيضا أولاد الظاهر عمر حاكم طبرية، وقتل من الفريقين، وحصروا قتلى الدروز، فكانوا نحوا من تسع مئة قتيل، وهي فتنة كبيرة. وفي يوم السبت خامس ذي القعدة ضربت مدافع فسألنا عن الخبر، فقيل جاء من السلطنة مقرر إبقاء أسعد باشا العظم والي الشام.

قال المؤرخ البديري: وفي ليلة الأربعاء لعشرين مضت من شهر ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ إسماعيل بن شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الغني النابلسي، مات عن ثلاثين ولدا من بنيه وأولاد بنيه، وعمر سبعة وسبعين سنة، لأن مولده سنة خمس وثمانين بعد الألف ووالده الأستاذ مولده سنة خمسين بعد الألف ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومئة بعد الألف فيكون عمر الأستاذ والده ثلاثا وتسعين سنة، وكانت وفاته بالصالحية ودفن في دارهم التي في العنبرانية قبلى الجامع الأموي، وحمل نعشه للصالحية، ودفن في دار أبيه بجانب ولده الشيخ طاهر، رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

سنة ١١٦٤

ثم دخلت سنة أربعة وستين ومئة وألف، كانت هلة المحرم نهار الثلاثاء، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى المسلمين. وفي ستة وعشرين من المحرم جاء جوقدار الحج الشريف، وبشر عن الحج بكل خير من كثرة الرخص والمياه وغير ذلك ولله الحمد. غير أن الغلاء لم يفارق الشام، فقد دخلت هذه السنة ورطل الخبز بخمسة وبستة مصاري، ورطل الأرز بعشرة مصاري، ورطل اللحم بثمانية وعشرين مصرية، ورطل الدبس بتسع مصاري، وأوقية السمن بستة مصاري، والعملة مغشوشة، والفلوس غير منقوشة، والنساء باحت والرجال ساحت، والحدود طاحت، والأكابر مشغولة ومروءة الرجال مغلولة، إلى آخر ما قال المؤرخ.

وفي تلك الأيام جاؤوا بأربع رؤوس من العرب قطاع الطريق، أتى بهم عيسى بشه الحبش، أحد الزرباوات الهاربين، فعفي عنه لأجل ذلك.

وفي تاسع وعشرين محرم جاء كتاب الحج، وذكر أن هذه السنة هي أريح وأجود السنين في أيام الحاج أسعد باشا والي الشام حفظه الله. غير أنهم جاءهم سيل عظيم في عسفان أوقعهم أياما، ثم أمر الباشا بأن يجدوا في المسير حتى ترك من العشرة اثنين، هكذا ذكر لي بعض الحجاج. ودخل الحاج يوم الأربعاء ثاني صفر. وثاني يوم الخميس دخل المحمل الشريف، وأسعد باشا وأخوه سعد الدين باشا سردار الجردة

بالموكب العظيم. وثامن صفر دخل قاضي الشام عبد الله أفندي سعيد زاده ليلا وعليه جلالة وهيبة ولم يتكلم بقال وقيل. وبلغنا أن عثمان باشا المحصل حاكم جدة مات ودفن بها.
وفي تلك الأيام من هذه السنة جاء منصب حلب إلى سعد الدين باشا أخو أسعد باشا، فتحول من طرابلس بعياله وذهب من دمشق إلى حلب، وقد أشاعوا أن سلفه حاكم حلب كان ظالما غاشما، وقد خرب قرايا كثيرة، وعمر عماير كثيرة، أخذ غالب مصارفها من أهل حلب، وبنى بها جامعا يدهش الأبصار.
وبعد مجيء الحاج أسعد باشا من الحج الشريف وجدنا داره قد تمت عمارتها، فلما دخلها زاد فرحا وابتهاجا وسرورا، فذبح الذبائح وأعطى المنائح، وأقام بها بلذة عيش، وبلغه مجيء تقريره في الشام، فازداد شكرا لمولى الأنام. غير أن أهل الشام في أكدار من غلاء الأسعار، وبخل التجار وانفساد الأحرار وضعف الصغار، وعدم زحمة الكبار، والحكم لله الواحد القهار. فلقد صار رطل اللحم الشامي بقرش، ورطل السمن بقرش ونصف، ورطل لحم الجاموس بأربعة وعشرين مصرية، والسمك مثل ذلك، ورطل لحم الجمل بثمانية عشر مصرية، وأوقية الرز بمصرية، والعسل الأوقية بشاهية. ورطل الخبز بستة مصاري، والناس في أسوأ الأحوال.." (١)

"وفي تلك الأيام وقع بيت بباب السريجة على امرأة وصبي صغير. في تلك الأيام أيضا قتل كردي وزوجته في محلة سوق ساروجا. وسبب ذلك أنه كان حاجا، ولما جاء وجدها متغيرة في أحوالها، ثم تبين أنها عابت في غيبته، وكان ذو كذا حسن وجمال فذبحها ولم يبال بأحد. وفي تلك الأيام أيضا قتل رجل ابنته في محلة سوق ساروجا، وهي ابنة أربع سنين، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها وأن تلك البنت أمها مطلقة وخالتها امرأة أبيها غير محبة لها، فدست لأبيها عليها بعض الكلام، وكان أبوها من الحمق والجنون على جانب عظيم، فضربها بالعصا ضربا مؤلما، ثم ربطها بشجرة داره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح، فجاء ليحلها فوجدها قد ماتت، وكانت ليلة ذات برد شديد، فأحضره أسعد باشا وأمر أن يضرب ضربا شديدا، فضرب ثم وضع بالحديد بعدما أخذ منه أموالا كثيرة. وفي يوم الأربعاء ثامن صفر الخير من هذه السنة توفي الشيخ محمد أبو قميص الكردي شيخ مدرسة المرادية. وسمي بأبي قميص لكونه إذا لبس قميصا لا ينزعه حتى يتقطع، وهذا غاية في الزهد، وقد كان صائما متهجدا، خرجت في جنازته الأكابر والأعيان لاعتقادهم في صلاحه، ودفن في تربة مرج الدحداح، ولما فتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوبا من الكتان جددا وخمسة عشر نصف مقطع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة سمن وقدرة

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٣٨

عسل، وغير ذلك من المؤن. ووجدوا قدرة بها أرباع ريال ومثلها مصاري، وفيها ذهب وأمتعة وحوائج وبدراويتين ملآنتين قمصان، ووجدوا مقدار مئة كتاب قدورهم بثمن عظيم. فانظر إلى زهد مثل هذا، فقد ذهب الصالح بالطالح.

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفي الشيخ إبراهيم إمام القشماسية، وكان فقيها صالحا، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله. وفي يوم الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفي العالم النحرير الشيخ أحمد الحرستي أمين الفتوى في بيت العمادي رحمه الله.

وفي تلك الأيام باع رجل جرة زيت إلى رجل آخر، فقبض ثمنها بعدما وزنها؛ ثم حملها إلى دار الرجل، وقال: أبق عندك هذه الجرة، فبعد ساعة آتيك وأفرغها لك، قال: لا بأس بل أنا أفرغها وأي وقت جئت تجد الجرة، ثم ذهب صاحب الزيت، وبعد ساعة فرغها المشتري، فوجد بها أربع أواق من الزيت والباقي ماء صافيا، فطلب الرجل فلم يجده.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبقولي رجلا من الأشراف في مأذنة الشحم، ضربه بخنجر في صدره أخرجه من ظهره، وترك الخنجر مغروزا فيه، حتى أخرجه قاضي كشف عليه ثم ألقوا القبض على القاتل، وقامت الأشراف، وثبت عليه القتل فحبسوه في القلعة، وفي تلك الليلة خنقوه.

وفي يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفي الشيخ محمد بن الشيخ شعيب الشهير بالشيخ جينة القاطن بحارة باب السريجة. كان رحمه الله ضحوك السن لطيفا على غاية من الصلاح، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى. وفي ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقي من الصالحية يعرف بالفستقي، كان كما قيل داهية دهماء ومصيبة عظماء، شجاع يرد مئة شجاع بعصا، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل، فمن حيله وشطارته التي ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فمتى علق ظفره به صار أعلاه، والمدهش أن يكون ظهره للحائط، وإذا وضع في أي مكان وأغلق عليه الباب وقفل، خرج منه مهما كان، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره، ثم إنه بغى على أهل الصالحية خصوصا وعلى غيرهم فأعياهم أمره، فجعلوا لشخص جعلا على قتله، فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة، وقتله وراح وكأنه ما كان.

وفي يوم الثلاثاء جاء خبر إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قتل حاكم بعلبك الأمير حسن، وقد كان خارجا من الجامع، فاغتاله ثلاثة أشخاص، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل إلى داره. وفي اليوم الثاني توفي، وقد قيل بأن القاتلين له إخوته، حيث أن له من الإخوة سبعة، والله أعلم.

وفي تلك الأيام فرض والي الشام أسعد باشا على الزعماء والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة

بقمح، ويكون أجرته منهم، فذهب بعضهم وأتى بقمح كثير، فبيعت الغرارة بإحدى وثلاثين غرشا، ولم نستفد غير وجوده، **وأما الغلاء فإنه** باق بجميع الأصناف كما قدمنا تسعيره.." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وستين ومئة وألف نهار الأحد والغلاء قائم في الشام كما قدمنا. وجاء الجوقدار سابع وعشرين من المحرم، والكتاب جاء ثاني يوم من صفر، وسادس يوم منه دخل الحج الشريف. وأخبرت الحجاج أن هذه السنة كانت مخصبة ودار بهم أمير الحج من غير الطريق السلطاني، فحصل على الحج عطش شديد، حتى هلك في يوم واحد ألف وخمس مئة إنسان.

وفي سلخ ربيع الثاني جاء مقرر إلى الحاج أسعد باشا في الشام وهي السنة الرابعة عشر من حكمه الشام وإمارة الحج الشريف المتوالية التي لم تسبق لغيره. وتلك الليلة نزل ثلج عظيم في الشام ما رؤي مثله من سنين.

وبتلك الأيام جاء قبجي إلى حسين بيك بن مكي حاكم غزة ومعه فرمان بأن يكون باشا بالقدس ويعمر ماء القدس، وأن يلم مال الدورة بأمر الدولة.

وكان صوم رمضان هذه السنة نهار الأحد. وفي جمادى الأولى نزل ثلج عظيم بدمشق وأقام أياما وهدم أماكن كثيرة. وفي تلك الأيام جاء قبجي برجوع القدس إلى أسعد باشا والي الشام. وفي ذلك الشهر جاء خبر بأن عرب الحجاز محاصرين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولها نحو شهرين في المحاصرة، حتى هدموا ما حولها وقطعوا نخلها وضيقوا على أهلها، وهم الآن في كرب وضيق ما سبق ولا سمع من عهد الجاهلية. فبلغ هذا الحال الدولة العلية أيدها الله تعالى، فأرسلت إلى حاكم الشام أسعد باشا العظم بأن يتأهب لقتالهم بالرجال والعسكر الجرار، وإلى أخيه مصطفى باشا كذلك، وإلى أخيه سعد الدين باشا كذلك، وأن يكون حاكما بجدة، وأن يأخذ معه عساكر وأن يساعد أخويه.

وفي تلك السنة أمر حضرة الحاج أسعد باشا العظم بترميم وإصلاح جامع يلبغا، فعمل له وقفا وجرايات بعد ما جدد فيه أخلية وغير ذلك، وأمر أيضا بإصلاح جامع الياغوشية الذي تحت القلعة. وكان قد وقع منه جدار على امرأة ورجال، وألزم بعض أخصائه بتعميره من ماله لأنه ذو مال. وفي أول رجب تمت عمارة قهوة الشاغور التي هي مقابلة للشيخ السروجي رضي الله عنه. وبتلك الأيام عمرت أيضا قهوتين كذا بباب السريجة وقهوة أمام باب المصلى.

وفي نهار الجمعة من شعبان توفي مصطفى بيك بن مردم بيك، وهو من أعيان الشام وذوي البيوت التي

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٣٩

شهدت أهل الشام بصلاحه، لأنه كان يحب الخير ويعمله، ولا يقارب الحكام وليس له أذية لأحد، ودفن بمدفنهم عند جده لالا مصطفى باشا، في أسفل سوق السنانية.

ثم جاء رمضان المبارك وأثبتوه الأحد وصمناه تماما. وسار الحج قاصدا الحجاز ثامن عشر من شهر شوال. وفي ذلك اليوم توفي عبد الله أفندي زاده قاضي الشام، ودفن بجوار سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه. وبهذا النهار وجدوا صبيا مخنوقا في نهر بردى، وبعده ظهر أبوه أنه خواجا في سوق السلاح. وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة دخل سعد الدين باشا والي طرابلس إلى سردارية الجردة بعد ورود عزله من طرابلس. ونهار السبت كان نهار وقفة عيد الأضحى بالشام. وفي سلخ ذي الحجة نهار الجمعة توفي خطيب الأموي محمد سعيد أفندي بن محاسن ودفن بباب الصغير.

سنة ١١٧٠

ثم دخلت سنة سبعين ومئة وألف نهار السبت في طالع يمن وفرح وسرور إن شاء الله. **ولكن الغلاء واقع** في البضائع وغيرها كما أسلفنا، فلا عود ولا إعادة.

وبهذه الأيام انفصل مصطفى باشا أخو أسعد باشا العظم من صيدا ووجهت عليه ولاية أدنة. وبتلك الأيام صار انقطاع نهر القنوات بعد عيد الزبيب. وبنصف محرم جاء من إسلامبول قاضي الشام محمد أفندي. وبهذه الأيام سمروا خبازا بباب الجابية.

وفي سابع وعشرين محرم دخل جوقدار الحج الدالي علي باش ومعه جماعة، وبشر بالخبر وأن حضرة الباشا والحجاج سالمين. وفي يوم الثلاثاء جاء كتاب حماة وحلب، ويوم الأربعاء جاء نصراني في بعض مكاتيب، وأخبر أن كتاب الشام جرحوه العرب. وبتلك الأيام أتت السماء بمطر كأفواه القرب، حتى ظنت الناس أن الحج قد غرق، وكان بمنزلة الصنمين. وقد تأخر دخول الحج عن ميعاده نحو جمعة. ونهار الثلاثاء ثاني عشر صفر دخل الحج الشريف، وثاني يوم دخل أمير الحاج وحاكم الشام الحاج أسعد باشا العظم في موكب الحج والمحمل الشريف. وهذه السنة الرابعة عشر كما قدمنا من سنين حججه المتواليات التي ما عهدت لغيره. أدام الله أيام وجوده آمين.." (١)

"وفي يوم الثلاثاء وليلة الأربعاء بعد المغرب شاع خبر حتى وصل إلى السرايا بأن أحمد القلطقجي الذي كان من رأس الزرباوات الذي هرب وعصى في جبل الدروز كما أسلفنا ذكره هاجم ليلة الأربعاء على الشام. فما أشأمها من ليلة على أهل الشام من كثرة ما دهمهم من الخوف والرعب والسهر وإخلاء البيوت

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٤٨

والدكاكين وقد صفت المتاريس في جميع البوابات. وكانت ليلة من هولها كليلة القيامة، لم تذق أهل الشام بها نوما قط، وهم ينتظرون طلوع الفجر، فلما لاح لهم لم يجدوا شيئا مما توهموه، وكان الخبر كاذبا.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الثانية مع أذان الظهر كان دخول حسين باشا بن مكي إلى دمشق الشام، والمنفصل عن مدينة غزة التي هي وطنه. ودخل بموكب عظيم حافل بالأفندية وأعيان الشام وبالإنكشارية كلها خيالة، والقبقول كلها مشاة في العدد الكاملة والأسلحة المزخرفة والزينة الشاملة، ووقف العامة والخلق تدعو له، وتصيح وتستغيث من جور أعيان الشام والغلاء. وثاني يوم جاءت الأفندية والأعيان للسرايا لأجل السلام على الباشا، فوقفت الناس والعامة في طريقهم، فلما مروا عليهم ليدخلوا السرايا قامت العامة بالصراخ والضجيج، وصاحوا عليهم وقالوا: ارجعوا لا بارك الله فيكم، أنتم منافقون وتعينوا الحكام على ظلم الفقراء والمساكين، وأكثروا من سبهم وشتمهم، ورجموهم بالأحجار وصارت حالة مزعجة. ففتح الباشا باب العدل والتفتيش على الرعية، حتى صار رطل الخبز بثلاث مصاري. ثم اشتغل بالظلم كأسلافه، فرجعت الأسعار إلى حالها الأول: كرطل الخبز بخمسة وبستة مصاري، حتى جاءت سقعة وهي شدة برد مؤلمة، فلم تبق ثمرة في شهر آذار إلا أحرقتها. وفي عاشر رجب حصلت سقعة ما سمع بنظيرها، فأتلفت ما بقي إن كان بقي شيء من الثمار.

وفي سابع عشر رجب نهار الأربعاء توفي الشيخ الجليل العالم الفرضي الشيخ عبد الله البصروي الشافعي، علامة زمانه في كل فن خصوصا في علم الفرايض، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله. وبهذا الشهر الشريف أيضا قتل رجل في الميدان، ووجدوا ثلاثة أشخاص مذبوحين في تربة البرامكة. وبعشرين من رجب هاجمت المغاربة على الباشا، ثم قوسوا على العوام، فقتلوا مقدار عشرة رجال وحرقوا أيضا محلات. وبهذه الأيام وجدوا امرأتان مذبوحتان كذا في تلة باب الصغير. وبهذا الشهر أيضا وقعت فتنة بين المغاربة واللواند الأكراد، وقتل من الفريقين مقدار خمسة عشر رجلا وسكرت الشام، ثم انقضت على الصلح. وفي السابع والعشرين من رجب شنق حسين باشا والي الشام رجلا من الميدان اتهم بالحرام، وكان سابقا قد قتل أمه ذبحا.

قال المؤرخ البديري رحمه الله تعالى: وبهذه الأيام جاء خبر بأن الحاج أسعد باشا بن العظم والي حلب قد جاءه فرمان بأن يسير إلى مصر واليا، فعصت به أهل حلب، وقالوا لا نريد غيره، وكاتبوا الدولة العلية بذلك. ثم بعد أيام جاء مقرر حلب لأسعد باشا بن العظم، ولأخيه سعد الدين باشا منصب مرعش، ولأخيه مصطفى باشا منصب الموصل، فذهب كل واحد لمنصبه، وأرسل مصطفى باشا حريمه وأولاده إلى الشام.

وفي أول شعبان خرج حضرة حسين باشا والي الشام إلى الدورة، وأقام متسلما مكانه حسين آغا ألاي بيك السباهية، فعدل ولم يظلم ولم يتعد على أحد. وقبل خروج الباشا أمر الوجاقين بالصلح وترك الفساد والعناد، وسلمهم البلاد والعباد، وأوقف مصطفى آغا الزعفرنجي اختيار وكبير القبقول تفكجي باشي بباب السرايا، بعد ما ضمن على نفسه إصلاح البلد.

وقد دخل رمضان نهار الخميس، ودخل **معه الغلاء الأكبر** في الشام في جميع الأصناف، فوصلت غرارة القمح إلى الخمسين غرش، ورطل الخبز من سبع مصاري إلى اثني عشر مصرية، بعدما كان بثلاثة مصاري رطل أعلى خبز، ورطل الأرز بأربعة عشر مصرية، والدبس كذلك والبصل أيضا، ومد العدس وكذلك الحمص والماش كذا والـلوبيا والبرغل بثلاثين مصرية، ومد الشعير باثني عشر مصرية، وأوقية الثوم بمصريتين. والحاصل كل شيء غالي مع قلة الأسباب وقلة الحركة.." (١)

"وفي ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات. وقد صارت معها رجة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن، وأرمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشمالي جميعه مع مدرسة الكلاسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق، والذي سلم من الوقوع تناثر من بعضه البعض وقتل خلق كثير خصوصا في القرايا، ورحلت الخلائق للبساتين وللجبال والترب وإلى المرجة، ونصبوا بها وبالبراري الخيام وناموا بعيالهم وأولادهم، ومع ذلك فلم تبطل الزلزلة والرجفان لا ليلا ولا نهارا. ثم أمر عبد الله باشا الشتجي والي الشام وفقه الله تعالى مناديا ينادي بالناس أن يصوموا ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع إلى جامع المصلى، فإنه مشهور بإجابة الدعاء فيه. فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلى، وخرج حضرة الوزير معهم وجميع الأعيان والمفتي والقاضي، وخرجت العلماء وأهل الطرق والصوفية والنساء والأولاد، ولازموا الدعاء في المصلى ثلاثة أيام بضجيج وبكاء وخشوع كيوم عرفات، بل كموقف القيامة، فرحمهم أرحم الراحمين، وعاملهم باللطف والتخفيف، فصارت الأرض تختلج اختلاجا خفيفا، ولم تزل الناس في البساتين والبراري خائفة حتى نزل عليهم الثلج المطر وصار الجليد إلى أن خفت الزلزلة ورجعت الناس خائفين.

وفي أواسط جمادى الأولى قدم القاضي إلى دمشق الشام، واسمه رضا أفندي، ولم يحرك ساكنا.

وفي ثامن جمادى الثانية ظهر خبر بدمشق أن عبد الله باشا الشتجي والي الشام معزول. وفي ثالث عشر جمادى الثانية. وفي يوم الخميس ثاني وعشرين جمادى الثانية رحل الحاج عبد الله باشا الشتجي إلى

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٥٠

منصب ديار بكر على ما قيل.

وفي ليلة الاثنين الخامسة والعشرين من جمادى الثانية قبيل السحر صارت في الشام أيضا زلزلة خفيفة أخف من الزلازل المتقدمة. ثم شاع الخبر بين الناس أنه سيحدث زلزلة عظيمة، ففزعت الناس فزعا شديدا، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الخوف والفزع والخروج للبساتين والمقابر، نسأله تعالى اللطف.

وفي نهار الاثنين غرة رجب المبارك من هذه السنة دخل والي الشام محمد باشا الشالك بن بولاد باشا لدمشق بموكب عظيم ضحوة النهار، وخرجت لملاقاته الأكابر والأعيان والأفندية والأغاوات، وخرجت الإنكشارية بالخيل والعدد المطلية والدروع الداوودية، وخرجت القبقول بالعدد الكاملة.

وفي يوم السبت سابع رجب دخل نعمان باشا حاكم صيدا، فدخل في موكب عظيم، وخرج لملاقاته والي الشام محمد باشا الشالك ومعه الأفندية والأكابر والأغوات، وأنزله والي الشام عنده، وأنزل كل آغا من أغواته عند آغا من أغوات الباشا، ثم أقام في ضيافة والي الشام محمد باشا ثلاثة أيام وأربعة ليال، ورحل لمحل وظيفته ومنصبه بصيدا.

وفي نصف شهر رجب جاء ريح عظيم استمر أربعة أيام ولياليها حتى هدم أماكن كثيرة، ولم يبق من الأشجار إلا القليل، وارتجاج من الزلازل لم تبطل لا ليلا ولا نهارا، مع **وقوع الغلاء حتى** في الخضراوات، فرطل الخبز بخمسة مصاري، ورطل الباذنجان بخمسة وعشرين مصرية، ورطل البصل بتسعة مصاري، ورطل اللحم بقرش وربع لم يوجد، ورطل السمن بقرش ونصف وربع. والبقية على نحو ما قدمنا.

قال المؤرخ البديري: والفقير لم يوجد معه ولا منقير، والهدم واقع من الزلازل في كل وقت وحين، والناس رحلت إلى أرض الفلاحين، والله تعالى هو المعين.

وفي نهار السبت الثاني والعشرين من رجب جاء قبجي من طرف الدولة العلية واسمه سبانخ زادة لأجل الكشف على الجامع الأموي وعمارة قبته وجهته الشمالية ومآذنه المهدومة في الزلازل، ومعه باش معماري وفعلة ورجال لأجل مباشرة تعمير الجامع المذكور.

وفي عاشر شعبان سار والي الشام محمد باشا الشالك إلى الدورة وأخذ معه أحمد بشه بن القلطقجي ومعه محمد آغا بن دالي وابن بكماز اللذين كانا هاربين مع ابن القلطقجي. فلما وصل محمد باشا ومن معه إلى نابلس توفي أحمد بشه بن القلطقجي. ودفن بها، وكان موته بالطاعون، لأن مبادي الطاعون وقع خفيفا من شهر جمادى الثانية، ولم يزل يكثر في رجب وشعبان، كما **وجود الغلاء كما** يأتي.." [١]

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٥٧

